الروضة الندية في الخطب المنبرية

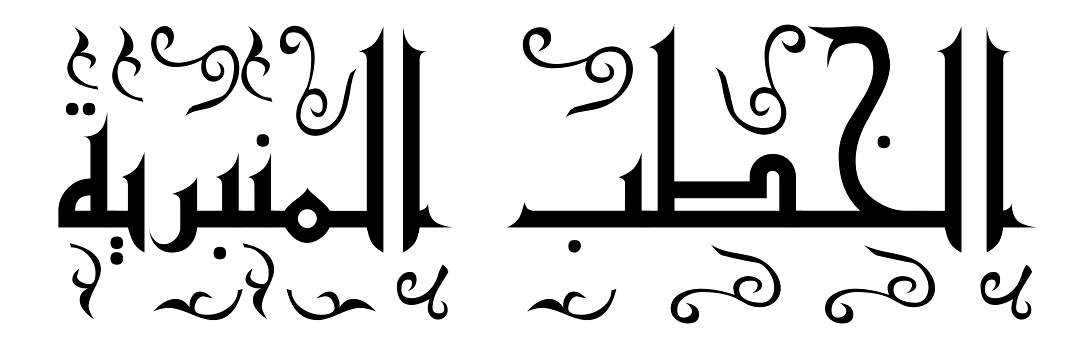


الجزء الاول

الشيخ المفتي
أحمد شريف النعسان

الروضة الندية

في



الشيخ المفتي أحمد شريف النعسان

الجزء الأول

مايزيد عن ٥٠٠ خطبة منبرية في مختلف المناسبات الدينية والاوضاع الاجتماعية

تمثل زاداً خصباً للخطباء والمرشدين

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لَقَدْ خاطَبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجلَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدَاً وَمُبَشِّرَاً وَنَذِيراً * وَدَاعِيَاً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجَاً مُنِيراً * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾.

وَخاطَبَنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» رواه الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فَأَهَمُّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَبْلِيغُ رِسَالَةِ اللهِ عَزَّ وَجلَّ، وَدَعْوَةُ النَّاسِ إلى اللهِ تعالى بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، وَتَرْغِيبُ العِبَادِ بِمَا عِنْدَ اللهِ تعالى مِنْ أَجْرٍ وَنَعِيمٍ، وَتَرْهِيبُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَسَخَطِهِ.

الدَّعْوَةُ إلى اللهِ تعالى مَهَمَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَلَيْسَتْ أُلْعُوبَةً يَتَلَهَّى بِهَا الغِرُّ وَالجَاهِلُ، وَلَيْسَتْ شَهْوَةً يَنْدَفِعُ إِلَيْهَا مَنْ أَحَبَّ الكَلَامَ وَالشُّهْرَةَ، إِنَّمَا هِيَ دَعْوَةٌ إلى اللهِ تعالى، لِذَا يَجِبُ عَلَى مَنْ أَرَادَ القِيَامَ بِهَذِهِ المهَمَّةِ وَهَذَا الشَّرَفِ العَظِيمِ أَنْ يَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ فِيمَا يَقُولُ وَيَتَكَلَّمُ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ المشْرِكِينَ﴾.

الدَّعْوَةُ إلى اللهِ تعالى وَإلى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَهَمَّةٌ جَلِيلَةٌ وَعَظِيمَةٌ، يَجِبُ عَلَى مَنْ يَقُومُ بِهَا أَنْ يَكُونَ بَصِيراً بِالحَقِّ، خَبِيراً بِطُرُقِ الهِدَايَةِ، مُتَعَلِّمَاً أُسْلُوبَ الرِّفْقِ وَاللِّينِ حَتَّى لَا يَكُونَ مُنَفِّرَاً مِنْ دَعْوَةِ النَّاسِ إلى اللهِ تعالى.

وَلِجَلَالِ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى وَعِظَمِهَا عَلَّمَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أُصُولَ الدَّعْوَةِ وَقَوَاعِدَهَا، حَتَّى يَجْمَعَ الخَلْقَ عَلَى اللهِ تعالى وَلَا يُفَرِّقَهُمْ، وَحَتَّى يُوَحِّدَ الأُمَّةَ وَلَا يُمَزِّقَهَا، وَحَتَّى يَبْنِيَ الشَّخْصِيَّةَ الكَامِلَةَ وَلَا يَهْدِمَهَا، فَقَالَ تعالى مُوَجِّهَاً وَمُعَلِّمَاً لِسَيِّدِ الدُّعَاةِ إلى اللهِ تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

وَذَكَّرَهُ بِالأَنْبِيَاءِ وَالمرْسَلِينَ مِنْ قَبْلِهِ كَيْفَ كَانَ تَوْجِيهُ اللهِ تعالى لَهُمْ فِي الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى، فَقَالَ لِسَيِّدِنَا مُوسَى وَلِأَخِيهِ سَيِّدِنَا هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسَاً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي * اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾.

وَخُطْبَةُ الجُمُعَةِ هِيَ أَهَمُّ وَسَائِلِ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى، وَتَبْلِيغِ دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِذَا عَنَى بِهَا القُرْآنُ العَظِيمُ عِنَايَةً فَائِقَةً، وَأَعْطَاهَا الأَهَمِّيَّةَ البَالِغَةَ، فَخَاطَبَ الأُمَّةَ بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فَخُطْبَةُ الجُمُعَةِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى، وَسَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ هِدَايَةِ النَّاسِ إلى اللهِ تعالى، لِذَا وَجَبَ عَلَى الخَطِيبِ أَنْ يُوَثِّقَ مَا يَقُولُ، وَأَنْ يَسْلُكَ هَدْيَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مُخَاطَبَتِهِ للنَّاسِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَاً﴾.

وَلَقَدْ شَرَّفَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ـ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلَاً لِذَاكَ ـ أَنْ أَكُونَ خَطِيبَاً يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَإِنِّي أَرْجُو اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَكُونَ مُسَدَّدَاً فِيمَا أَقُولُ، وَأَنْ أَكُونَ مُتَّبِعَاً لِسَيِّدِ الدُّعَاةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ أَكُونَ مُمْتَثِلَاً قَوْلَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً».

وَقَدْ كُنْتُ أَكْتُبُ خُطَبَ الجُمُعَةِ وَأُسَطِّرُهَا لَعَلَّ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، وَشَاءَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَكُونَ نِعْمَةُ الوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ فِي التَّوَاصُلِ فِي هَذَا الزَّمَنِ مَوْجُودَةً، فَشَرَحَ اللهُ تعالى صَدْرِي لاسْتِغْلَالِ هَذِهِ الوَسَائِلِ فِي نَشْرِ رِسَالَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ رَاجِيَاً المَوْلَى جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَرْزُقَنِي الإِخْلَاصَ.

وَمِمَّا زَادَنِي حِرْصَاً عَلَى نَشْرِ هَذِهِ الخُطَبِ رَغْبَةُ أحدِ طُلَابِ العِلْمْ فتح الله عليه عِنْدَمَا اتَّصَلَ بِي وَطَلَبَ مِنِّي نَشْرَ هَذِهِ الخُطَبِ بِطَرِيقَتِهِ الخَاصَّةِ عَنْ طَرِيقِ النت، فَشَكَرْتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَاعْتَبَرْتُ هَذَا فَضْلَاً مِنْهُ عَلَيَّ، لِذَا فَوَّضْتُ أَمْرِي وَأَمْرَهُ إلى اللهِ

تعالى فِي أَنْ يُكَافِئَهُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ خَيْرَ مَا كَافَأَ أَخَاً عَنْ أَخِيهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ الثَّوَابَ فِي صَحِيفَتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

أَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يَتَقَبَّلَ هَذَا العَمَلَ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ عِبَادَ اللهِ تعالى، وَأَنْ يَرْزُقَنِي الإِخْلَاصَ فِي كُلِّ مَا أَقُولُ وَأَفْعَلُ، كَمَا أَسْأَلُهُ السَّدَادَ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

حلب الثلاثاء ٢٨ رجب ١٤٣٨ هـ

٢٥ نيسان ٢٠١٧ م

أحمد النعسان

المحتويات

أكل الربا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إخوة الإسلام والإيمان، أوصيكم ونفسي المذنبة بتقوى الله، فاتقوا الله العظيم حق تقاته {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون}، وأستفتح بالذي هو خير: يقول مولانا عز وجل في كتابه العظيم موجهاً الخطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: {قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون} صدق الله العظيم.

أمة سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، الدعوة لعبادة غير الله عز وجل ليست حادثة في عصرنا هذا، إنما هي دعوة قديمة منذ بعثة النبي الأعظم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، حيث جاء المشركون إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له: يا محمد تعبد إلهنا يوماً ونعبد إلهك يوماً، فنزل قول الله عز وجل: {قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين} والعبادة هي طاعة عابد لمعبود، ومن الذي يستحق العبادة سوى الله عز وجل، من هذا الذي يستحق إذا أمر أن يطاع، وإذا نهى أن يطاع؟ من هذا الذي يستحق العبادة من دون الله عز وجل؟ وعلى أي أساس يكون هو الآمر؟ وعلى أي أساس يكون هو الناهي؟ على أي أساس تكون طاعتنا له؟ وعلى أي أساس يكون اجتنابنا لنهيه؟ هل هو خالق من دون الله؟ حاشا لله، هل هو واعد ومتوعد ويحقق وعده

ووعيده وإذا قال فعل؟ لا ورب الكعبة، لأن ربنا عز وجل يقول: {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين} وعلى أي أساس وعلى أي منطلق يكون هذا العبد آمراً وناهياً؟ وهو ليس بخالق، وليس برازق، ولا يملك هو لنفسه حولاً ولا قوة.

أما بالنسبة للإنسان المؤمن أيها الإخوة فهو يعلم بأن الآمر واحد، وأن الناهي واحد، لماذا؟ لأن الآمر هو الخلاق العظيم، لأن الآمر على كل شيء قدير، لأن الآمر إذا وعد وفى، ولأن الناهي إذا توعد عفا، وهو على كل شيء قدير.

نعم أيها الإخوة: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا عبادة لغير الله عز وجل.

{قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون} ما أكثر الدعوات اليوم أيها الإخوة لنبذ الإسلام، ما أكثر الدعوات لمحاربة الإسلام، ما أكثر الدعوات لترك الطاعة ولفعل المعاصي والمنكرات، وما هي النتيجة أيها الإخوة، لو رأيت واحداً من البشر وعد فإنه كما قال مولانا عز وجل على لسان هؤلاء الشياطين شياطين الإنس والجن: {يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً} أيها الإخوة عندما يعدك واحد من البشر بوعد إن فعلت أمره وإن تركت نهيه، فإن وعده غرور في غرور، أروني من يحقق وعده سوى الله ، والله يقول لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: {ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله} لأنك لا تملك زماناً ولا تملك مكاناً، ولا تملك قوة، فأنت متصرَّف فيك ولست بمتصرِّف، ولكن المتصرف في الوجود إنما هو الله، إذا وعد وإذا أمر فإنك يكون ضامناً لوعده. وانظر في كتاب الله عز وجل، وانظر في سيرة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام كيف كان النبي عليه الصلاة والسلام ينفذ أمر الله عز وجل ويرى بعد ذلك وعد الله كيف يتحقق، على سبيل المثال أيها الإخوة، يقول مولانا لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك} هذا أمر من الآمر الأعلى، من الله، أنت أمرت يا رب وبأي شيء وعدت؟ قال له مولانا عز وجل:

{والله يعصمك من الناس} نفذ أمر الله بتبليغ الرسالة، والله عز وجل واعد لك بأنهم لن يصلوا إليك {والله يعصمك من الناس} هل يا ترى تحقق وعد الله أم لا؟ النبي عليه الصلاة والسلام امتثل أمر الله عز وجل، فبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الغمة، وحاول بعضهم قتل النبي عليه الصلاة والسلام، وتعلمون أيها الإخوة أن عبداً يهودياً تسلَّل عندما رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عائد من بعض غزواته، ونزل النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه الكرام إلى بطن واد فيه أشجار، فراح النبي عليه الصلاة والسلام يستظل تحت ظل شجرة، وعلق سيفه فوق رأسه على الشجرة، فتسلل الرجل اليهودي واستل السيف وأخذه وجعله فوق النبي عليه الصلاة والسلام وقال له: يا محمد من ينقذك من بين يدي في هذه الساعة، النبي عليه الصلاة والسلام ينفذ أمره والنبي صلى الله عليه وسلم موعود من الله بقوله: {والله يعصمك من الناس}، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: الله، فخرَّ السيف من يده، وأخذه النبي عليه الصلاة والسلام وقال له: من ينقذك من بين يدي في هذه الساعة.
اقرؤوا أيها الإخوة قول الله عز وجل: {ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم} مولانا الله، الله هو الآمر، والله عز وجل هو الضامن، أين امتثالنا لأمر الله ليحقق لنا مولانا عز وجل ما وعدنا الله سبحانه وتعالى.

وإني أرى اليوم أيها الإخوة الدعوة قائمة على قدم وساق لأكل الربا، الذي تفشى في مجتمعنا، الدعوة قائمة على قدم وساق للتعامل الربوي الذي يقول فيه مولانا عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله} آمر وضامن، ويدعوك إنسان من شياطين الإنس للتعامل بالربا، الدعوة إلى الربا قائمة، والله عز وجل أعلن حربه على المرابين، أيها الإخوة انظروا في هؤلاء الذين يتعاملون بالربا بكل أشكاله، قرض ربوي من أجل أن تكون لنفسك رأس مال للتجارة، وقرض ربوي من أجل زواجك، وقرض

ربوي من أجل سكنك، ليكن سكنك بالحرام، ورأس مالك بالحرام، وزواجك بحرام، وحقق لنفسك السعادة إن استطعت أن تحقق، ربنا عز وجل يقول: {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً} يا أيها المرابي إن كنت آكلاً للربا، وإن كنت مطعماً للربا، أوقعت نفسك في هلاك، أوقعت نفسك بأن أعلن الله الحرب عليك، وأنت عاجز عن سداد هذا الربا، وإذا أردت مصداق هذا أقول لك: انظر فيمن هو أقوى منك عندما يتعامل بالربا، هل يستطيع أن يتخلص من الربا، أنت أقوى أم نظام دولة أقوى، أروني دولة أيها الإخوة تستقرض قروضاً ربوية، وهي صارت قادرة على سداد الربا، ربنا جل وعلا عندما يأمرنا بترك الربا من أجل مصلحتنا، فإذا عاند الإنسان فليوطن نفسه لقول الله عز وجل: {الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا} فإن قلت لي: أنا في ضيق، أنا في كرب، أنا في شدة، أنا أريد الزواج، أنا أريد السكن، أنا أريد رأس مال لأتجر، تعال يا أخي وانظر، ربك عز وجل الذي أمرك بالتقوى وأمرك أن تتقي أكل الربا، هو الذي وعدك، وهو القادر على الوفاء، فهل أنت ممتثل لأمر ربك حتى ترى وعد الله عز وجل، تعال يا أخي وتدبر قول الله عز وجل: {ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب} تعال وتدبر قول الله عز وجل: {فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً * ما لكم لا ترجون لله وقاراً} أروني أيها الإخوة العبد التقي المستغفر – لا أقول المستغفر بلسانه، رحمة الله على السيدة رابعة رضي الله تعالى عنها التي كانت تقول: استغفارنا يحتاج إلى استغفار، لأننا نستغفر مع إصرارنا على معصية الله، ومع مخالفة أمر الله، نظن أن الاستغفار هو لقلقة باللسان أن

أقول: أستغفر الله أستغفر الله، دون التوبة، ودون الرجوع إلى الله عز وجل، – أروني أيها الإخوة واحداً هو من أهل التقوى ومن أهل الاستغفار، بتحقيق شروط الاستغفار، بالإقلاع عن المعصية، بالندم على ما فعل، بالجزم على ألا يعود، وهذا العبد يعيش حياة الشقاء، أروني عبداً واحداً هذا وصفه. قد تقول لي: أنا أريك رجلاً من أهل التقوى ومن أهل الاستغفار ومن أهل الاستقامة، وهو فقير الحال، هل يا ترى الفقر يعني أنه يعيش حياة شقاء وحياة ضنك، لا ورب الكعبة، كم من فقير وهو يعيش عيشة الملوك، ويقول لك بلسان حاله: نحن على لذة لو علمتها ملوك الأرض لجالدونا عليها بالسيوف، هناك من يعيش عيشة الكرامة، حياة طيبة مع فقره، مع الابتلاء، لماذا أيها الإخوة؟ لأن الله هو الذي وعده بالحياة الطيبة، فالحياة الطيبة ليست بكثرة العرض وليست بكثرة الدنيا، انظروا في أغلب تجارنا، انظروا في أغلب أغنيائنا، هم من أشقى خلق الله في حياتهم، {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى} السعادة مكانها القلب، السعادة هي طمأنينة القلب، من أين تأتي طمأنينة القلب؟ ليست بكثرة العرض، إنما بإلقاء السكينة في قلبك، كم وكم سمعنا من فقراء طعامهم طعام الفقراء، ومسكنهم مسكن الفقراء، وملبسهم ملبس الفقراء؟ وإذا ضاقت بك الدنيا يا أيها الغني يا أيها التاجر يا أيها الكبير، فإنك تيمم وجهك نحو هذا العبد الفقير من أهل التقوى، وتجلس عنده وتأكل عنده من طعام الفقراء تجد أثر طعمه تحت أضراسك بعد فترة طويلة من الزمن، تدخل إلى هذا الفقير لتجد في قلبك السكينة والطمأنينة، لأن من تحقق بحالة لا يخلو حاضروه منها، أليس هذا واقعنا أيها الأخوة، من الذي قال إن السعادة بالمال، ومن الذي قال إن السعادة بالعافية،

انتبه يا أيها الإنسان، {من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة} ما هي الحياة الطيبة؟ بهدوء القلب، بسكينة القلب، انظروا إلى سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه بقي طريح الفراش ثلاثين سنة، دخل عليه أخوه العلاء، السليم، فبكى على أخيه عمران، فنظر المريض إلى السليم، وقال له: ما يبكيك يا أخي؟ قال: للحالة التي أنت فيها، قال: يا أخي إن أحبَّه إلى الله عز وجل أحبُّه إلي، ثلاثين عاماً ما فارق البشر وجهه والبسمة شفتيه، لأن الله هو الذي جعل في قلبه السكينة والطمأنينة.

يا عباد الله، الله يحرم علينا الربا، ونحن ندعو إلى الربا صباحاً ومساء، ليعلن الله عز وجل الحرب علينا، فهل حققنا سعادة أيها الإخوة؟ أروني من استقرض قرضاً ربوياً إن كان لتجارة وإن كان لزواج وإن كان لسكن، حقق السعادة. {يمحق الله الربا ويربي الصدقات} أيها الإخوة: الآمر ضامن، والآمر هو الله، وهو يضمن ما وعدك به، فتعالوا يا عباد الله لنمتثل أمر الله عز وجل، وذلك من خلال اتباعنا لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فإن ضاقت عليك فاصبر وصابر وتذكر قول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عندما عاد من الطائف إلى مكة المكرمة، استقبلته أهل الطائف شر استقبال، وأراد أن يدخل مكة فمنع من دخولها، وكان في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه، فنظر زيد بن حارثة، وقال: إلى متى يا رسول الله؟ فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: يا زيد إن الله جاعل لما ترى مخرجاً وفرجاً، وهل جعل الله الفرج والمخرج أم لا أيها الإخوة؟

يا عباد الله عندما يقول مولانا عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا} الصحابة يفكرون، المشركون هم أهل

التجارة يستقبلونهم فيستقبلون معهم البضائع المستوردة، وينتظرون مجيئهم ليأخذوا البضائع من أجل تصديرها، استيراد وتصدير، يأتي الأمر من الله، {يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله} هل أغناهم الله أم لا أيها الإخوة؟ اقرؤوا قول الله عز وجل: {يجبى إليه ثمرات كل شيء} عندما حققوا أمر الله تحقق وعد الله عز وجل الذي لا يخلف، نحن الذين نفرض الحصار الاقتصادي أيها الإخوة على غيرنا، لا غيرنا هو الذي يفرض علينا، يفرض علينا حصاراً اقتصادياً من أجل أن نتنازل عن ديننا، فإن فعلنا ذلك خسرنا ورب الكعبة الدين والدنيا، كواقعنا أيها الإخوة، انظروا في واقعنا، انظروا في لبنان، انظروا في العراق، انظروا في فلسطين، انظروا في مشارق الأرض ومغاربها، عندما تخلفت الأمة عن أمر الله كيف ضاعت، وعندما تمسكت بأمر الله، انظروا كيف كان يقول سيدنا هارون الرشيد رضي الله عنه وهو ينظر إلى سحابة في السماء تجري فيقول لها: أنزلي ماءك حيث شئت فإن خراجك عائد إلينا. انظروا أيها الإخوة الآمر هو الضامن، تعالوا يا عباد الله: ربنا عز وجل يقول: {ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب} علينا بتقوى الله، وخاصة في اللقمة أيها الإخوة، تحروا اللقمة، لأن الربا وأكل أموال الناس بالباطل انتشر على قدم وساق.

وأمر آخر بالنسبة لنسائنا، اهتموا بحجاب المرأة، اهتموا بحجابها من خلال قول الله عز وجل: {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين} حجب امرأتك حتى لا تؤذى، وجاء هؤلاء شياطين الإنس، أرادوا نزع الحجاب، الله يأمر وهم يأمرون، فأي الأمرين أنت ستمتثل، {قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون} أنا أنزع الحجاب

عن زوجتي وبناتي لتؤذى؟ وربنا عز وجل يقول: {ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين} وكم أوذيت أعراضنا بسبب السفور أيها الإخوة، كم وكم ندمنا وتحسرنا، كم وكم وقعت الجرائم؟ صدق الله الآمر، وصدق الله الواعد ، حيث إن وعده لا يخلف، فهل من متعظ أيها الإخوة، هل من متذكر، هل يا ترى سنقول: سمعنا وأطعنا، أم إننا سنقول: سمعنا وعصينا، اللهم اجعلنا من الذين قالوا سمعنا وأطعنا، ولا تجعلنا من الذين قالوا سمعنا وعصينا. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

فضائل الصحابة في القرآن والسنة ١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: الكثير منا بدأ يتساءل عن أصحاب سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، بسبب الغزو الفضائي الذي دخل إلى بيوتنا، والذي أراد أن يمزق كيان هذه الأمة، وأن يجعلهم شيعاً وأحزاباً، لأن الغرب عاجز عن أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فما وجد سبيلاً إلا سبيلاً واحداً، ألا وهو أن يفرق هذه الأمة، وأن يجعلها أحزاباً وشيعاً، وذلك من خلال إلقاء بعض الكلمات التي تشوش على المسلمين دينهم. من جملة هذه الشائعات ومن جملة هذه الكلمات أن يقول البعض: من الذي زكى لنا أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام؟ من الذي جعلهم عدولاً؟ من الذي أمرنا أن نقتدي بأصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ بل البعض أيها الإخوة ربما أن تكون عنده الجرأة ليقول: أصحاب النبي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة نبينا صلى الله عليه وسلم.

ليس غريباً هذا الكلام إذا صدر عن رجل حاقد على أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فقد أشار مولانا عز وجل إلى الصحابة وإلى مبغضهم بقوله عز وجل: {ليغيظ بهم الكفار}. هؤلاء الذين امتلأت قلوبهم حقداً وحسداً وبغضاً على أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لا غرابة أن يتفوهوا بمثل هذه الكلمات، ولكن الغرابة في الإنسان المؤمن الذي يقرأ القرآن ويتدبره، ثم بعد ذلك يتساءل: هل أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام عدول؟ هل أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أتقياء صلحاء يقتدى بهم؟ إنه لأمر عجيب أن ترى

مسلماً يتساءل ويقول: هل ارتد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام؟! إنه لمن العجيب أيها الإخوة، لذلك رأيت لزاماً علينا أن نتعرف على أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، من خلال القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الذي قال فيه مولانا: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}، ومن خلال أحاديث سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، من الأحاديث الصحيحة التي وردت في أصدق الكتب بعد القرآن الكريم ألا وهما صحيحا البخاري ومسلم.

يقول مولانا سبحانه وتعالى: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً} هذا آي من كتاب الله، يعرفنا على أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ذكرهم الله في التوراة، وذكرهم في الإنجيل، وأهل الكتاب يعرفون صفات أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون صفات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ونحن اليوم بعد ألف وأربعمئة عام ونيف نريد أن نتساءل ونقول: من هم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام؟ والله إنه لأمر عجيب! وتعلمون أيها الإخوة عندما أكرم الله عز وجل المسلمين بفتح بيت المقدس ما سلم النصارى مفاتيح الأقصى لقائد الجيش، بل أخبروهم إن الذي يتسلم مفاتيح الأقصى أمير المؤمنين، وله صفات عندنا نعرفها، وعندما جاء سيدنا عمر – وما أدراك من هو عمر ، عمر الفاروق، الذي جعل له الغرب إلى يومنا هذا نصباً تذكارياً، وأشاروا إليه بأنه إله العدل، هكذا اعتقاد الغرب في سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، وترى العجب العجاب من بعض المسلمين من يأخذ ليطعن في شخص سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه. والله الذي لا إله غيره، لو انقلب الناس جميعاً إلى كناسين وأرادوا أن

يثيروا الغبار على السماء ما أثاروها إلا على رؤوسهم، من الذي ينال شخصية سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه؟ - سيدنا عمر عندما جاء ليتسلم مفاتيح الأقصى، بمجرد أن رآه النصارى دفعوا له المفاتيح وقالوا: هكذا صفته عندنا، ما هي صفته، أن يدخل الأقصى على قدميه، وخادمه على الدابة، وأن يكون ثوبه مرقعاً، هذا عندهم، وأما نحن نريد اليوم تعريفاً بأصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وختمت الآية بقوله عز وجل: {وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً}.

آية ثانية أيها الإخوة من كتاب الله عز وجل: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر} والنبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري — والطعن في صحيح البخاري قائم أيها الإخوة من أجل الطعن في أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام — يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، والله يقول: {كنتم خير أمة أخرجت للناس}، هل يا ترى مرت على أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام خيرية بحيث يشار إليها بالبنان كما مرت في زمن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وفي زمن سيدنا أبي بكر وعمر، {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر}، في زمنه صلى الله عليه وسلم وفي زمن الخلفاء الراشدين المهديين، ولو اقتتلوا مع بعضهم البعض ولو اختلفوا، ولكنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون القرآن العظيم، واستمرت هذه الخيرية أيها الإخوة إلى زمن زوال الدولة العثمانية، التي نحن دُرِّسناها بأنها الاستعمار العثماني، هذه الخيرية استمرت، وبدأت تضيع خيرية هذه الأمة لأنها تمزقت أحزاباً وشيعاً.

أيها الإخوة أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول فيهم مولانا عز وجل: {هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم

الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} أول من تلقى القرآن عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هم أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وزكاهم رسول الله، هل نشك في تزكية رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وبعد التزكية أطلع الله سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام على حسن خاتمتهم فبشرهم الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، بشرهم بالجنة فقال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وعدد العشرة المبشرين بالجنة) [رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه] وأما نحن ماذا نفعل أيها الإخوة، ماذا نفعل، هل نشك في كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنشفي أحقادنا والعياذ بالله تبارك وتعالى؟!.

انظروا أيها الإخوة في قول الله عز وجل: {ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين * إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين} أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بسيدنا إبراهيم، اليهود قالت إبراهيم يهودي، النصارى قالت إبراهيم نصراني، وكل منهما تمسح بسيدنا إبراهيم، فرد الله عليهم: {ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين} لأن العرب كان يتمسحون كذلك بسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، {إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه} في زمنه {وهذا النبي}، أيّ نبيّ أيها الإخوة؟ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، {وهذا النبي والذين آمنوا}، والله قال: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار} أصحاب سيدنا محمد الذين آمنوا هم أولى الناس بسيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

آية أخرى أيها الإخوة، يقول الله تعالى: {وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين

من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير} هذه الآية أيها الإخوة عندما يقول مولانا: {وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم} تليت على أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، السؤال لنا جميعاً أيها الإخوة: هل أصحاب سيدنا محمد جاهدوا أم لا أيها الإخوة؟ هل ترى إنساناً عنده مسكة عقل يقول أصحاب رسول الله ما جاهدوا؟ {وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم}، من الذي اجتبى أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ من الذي اختارهم ليكونوا أصحاباً لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ هو الذي اجتباكم، أيجتبي مولانا لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام المنافقين؟! لا ورب الكعبة، وإن وجد المنافقون في زمن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم عُرفوا وفُضحوا من خلال أفعالهم أيها الإخوة، لا من خلال باطنهم عندما أبطنوا الكفر، وأصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عرفوا المنافقين في زمنه صلى الله عليه وسلم من خلال ما فضحهم ربنا عز وجل في القرآن العظيم، لأن البعض أيها الإخوة يقول – ولعلك أن تتنبه، لعلك أن تصحوا يا أخي، الخطر داهم على أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فتن تجعل الحليم حيراناً، فتن تمزق كيان هذه الأمة، كن على حذر، وتنبه، هؤلاء أصحاب سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، الذين كانوا معه بإيمانهم وجاهدوا معه، البعض يطعن ويقول – في زمن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كان هناك منافقون، وكان سيدنا حذيفة بن اليمان هو الذي يعلم أسماء المنافقين – هل انتبهت إلى هذا السؤال؟ – فما أدرانا أنه نقل إلينا الدين عن طريق المنافقين الذين كذبوا على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ إذاً أنت تشك في دين الله كله، إذاً أنت تشك في القرآن العظيم، إذاً ممن أخذنا هذا الدين أيها الإخوة، إذا قلت من آل بيت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، والله الذين لا إله غيره نعال آل بيت سيدنا محمد تيجان على رؤوسنا،

وغبار أحذيتهم كحل إثمد في أعيننا، والله الذي لا إله غيره لا يكمل إيماننا حتى يكمل حبنا لآل بيت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، لا تزاودوا علينا أينا الناس، لا تخادعونا أيها الناس، آل بيت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حبهم فرض على الأمة، ما أحبهم إلا من أحب سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم، وما أبغضهم إلا من أبغض سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام، يا أخي إذا كنت كذوباً فكن ذَكوراً، أما تقرأ القرآن العظيم؟ وإذا قرأت القرآن العظيم ووصلت إلى سورة التوبة ماذا قال عنها العلماء؟ هذه السورة العظيمة المباركة التي ملئت بقوله:
{فمنهم .... فمنهم .... فمنهم ... فمنهم} من هؤلاء؟ هذه السورة العظيمة التي قال عنها العلماء: السورة الفاضحة التي فضحت المنافقين، والله عز وجل أسمى سورة كاملة سورة المنافقين، عندما يقول مولانا: فمنهم .... فمنهم فمنهم ومنهم ومنهم. أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أما عرفوا المنافقين؟ أما كان يقول سيدنا كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه عندما تخلف عن غزوة تبوك، فخرج من بيته، يقول رضي الله تعالى عنه: فأخذت أقلب بصري فيمن تخلف فما أرى إلا رجلاً عذره الله ما يستطيع الخروج إلى الجهاد في سبيل الله، أو رجلاً مغموساً في النفاق، فكان يعلمهم سيدنا كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه. يا عبد الله اتق الله في أصحاب سيدنا محمد، أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قال فيهم مولانا: {وجاهدوا في الله حق جهاده} جاهدوا، ما هو وصفهم عند ربنا {هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين} من هو؟ هو الله عز وجل، سماهم المسلمين من قبل في الكتب السماوية، وفي هذا القرآن العظيم وصفهم بالإسلام والإيمان، {ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس} أصحاب سيدنا محمد شهداء على الناس، بنص القرآن العظيم، على الناس جميعاً، على من سبق وعلى من حضر معهم، وعلى من يأتي من بعدهم، فهم شهداء على الناس، بشهادة الله عز وجل،

{ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله} أقام أصحابُ سيدنا محمد الصلاة، وآتوا الزكاة، وعندما وقف سيدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه لمحاربة أهل الردة، حاربهم لأنهم منعوا الزكاة، واعتصموا بالله، واعتصموا بالقرآن واعتصموا بالسنة، واقرؤوا التاريخ أيها الإخوة، ولكن لا التاريخ الذي كتبه جرجي زيدان، لا التاريخ الذي كتبه الحاقدون على إسلامنا، لا التاريخ الذي كتبه المبغضون لأصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، هذا الأمر دين أيها الإخوة، انظروا عمن تأخذوا دينكم، {فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم} مولى من؟ إن لم يكن الله مولى لسيدنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ولسيدنا معاوية ولسيدنا خالد سيف الله المسلول ولسيدنا أبي هريرة، إن لم يكن الله ولياً للسيدة عائشة، وما أدراك ما عائشة، عائشة التي كان الله وليها، فبرأها من فوق سبع سماوات، لنرى البعض اليوم من يلعن السيدة عائشة، {ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم}، الله عز وجل يقول: {فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم} الله مولى أصحاب سيدنا رسول الله، الله مولاهم، فسددهم، المصيب منهم في اجتهاده له أجران، والمخطئ له أجر، والمبغض لهم عليه اللعنة والطرد من رحمة الله عز وجل، أتبغض رجلاً إما أن يكون له أجران أو له أجر؟ ويقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) [رواه البخاري ومسلم].

هؤلاء أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، لعلنا أيها الإخوة أن نشنف أسماعنا وأن نشرف ألسنتنا بالتعرف على أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك، من خلال القرآن، ومن خلال سنة سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، والله الذي لا إله غيره ليس لإرادة فتنة، إنما إرادة للتوضيح لأننا أمة ندعو بعضنا البعض إلى التماسك لا إلى التمزق والتفرق، وها هو الغرب يفعل

الأعاجيب بالمسلمين في العراق وفي فلسطين وفي لبنان، أنريد أن نجر الوبال على أمتنا أيها الإخوة؟ لنتق الله عز وجل أيها الإخوة، لا نكن أداة طيعة في يد أعداء هذا الدين من أجل تمزيق كياننا، والله وضعُنا لا نحسد عليه، ولكن مع كل هذا مع ضعفنا يريد عدونا أن يجعلنا أشلاء أكثر من ذلك، فهل تنبهنا أيها الإخوة؟ أسأل الله أن يوقظنا من غفلتنا، وأن يلهمنا رشدنا، وأقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

فضائل الصحابة في القرآن والسنة ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بعضاً من آيات الله عز وجل في القرآن العظيم وهي تحدثنا عن مكانة أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وعن شهادة الله عز وجل في أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هؤلاء الرجال الأتقياء الأنقياء الأصفياء، الذين حملوا لنا دين الله عز وجل، وحملوا لنا رسالة سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، هؤلاء الرجال الذين بذلوا الغالي والرخيص في سبيل مرضاة الله عز وجل، لنقل هذا الدين الحنيف، فكانوا بحق أهلاً للتقوى، وكانوا بحق أهلاً لأن يكونوا أصحاباً لسيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام.

ولكن الذين امتلأت قلوبهم حقداً وغلاً على دين الله عز وجل، والذين أبطنوا الكفر والعداوة للإسلام، أبوا إلا أن يشوهوا صورة أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاصة في زمن تكالبت فيه قوى الشر على أمة النبي عليه الصلاة والسلام، فما وجد هؤلاء إلا أن يثيروا الفتن بين أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وبكل أسف ربما أن تجد أناساً انتعلهم الغرب وانتعلتهم قوة الشر فوطنوا أنفسهم ليتكلموا باسم الإسلام طعناً في أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، لماذا أيها الإخوة؟ لأنهم باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، لأنهم آثروا الفانية على الباقية، لأنهم اتبعوا الأهواء واتبعوا الشهوات، وإنني أقول لهم أيها الإخوة: شكراً لكم لأنكم أظهرتم لنا صدق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، بأنه لن تقوم

الساعة حتى يلعن آخر هذه الأمة أولها، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تذهب الأيام والليالي حتى يسب آخر هذه الأمة أولها) [رواه الديلمي]، وقال صلى الله عليه وسلم: (احفظوني في أصحابي، فإن من أشراط الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها، وعند ذلك يقع المقت على الأرض وأهلها) [رواه أبو نعيم في حلية الأولياء].

وبكل أسف أيها الإخوة البعض ربما يقرأ القرآن ولا يتدبر معانيه، فلذلك كان لزاماً على طلبة العلم والأئمة والخطباء والوعاظ، والدعاة إلى الله عز وجل أن يُعرِّفوا على أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال القرآن العظيم، ومن خلال الأحاديث الصحيحة التي وردت عن سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، لنتعلم بعد ذلك كيف يكون أدب الخلف مع السلف، لنتعلم بعد ذلك كيف يكون حال التابع للمهاجرين والأنصار؟

يقول الله عز وجل: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه} إن كان الله عز وجل قد رضي عن أصحاب سيدنا رسول الله من المهاجرين ومن الأنصار ببركة اتباعهم لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فإذا أردنا رضا الله عز وجل فعلينا بالتأسي بأصحاب سيدنا رسول الله من زززالمهاجرين ومن الأنصار، وخاصة الخلفاء الراشدون المهديون من بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) ومن هم الراشدون المهديون الخلفاء بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام سوى الصديق والفاروق وذي النورين وأبي الحسنين رضي الله عنهم جميعاً؟

تعالوا أيها الإخوة لنقف أمام آية من كتاب الله عز وجل وهي تحدثنا عن أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة عندما يقول مولانا عز وجل: {واعلموا أن فيكم رسول الله} والخطاب لأصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة

والسلام، {واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون * فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم} إخبار من الله عز وجل، والعلماء قالوا: الخبر في القرآن العظيم وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم لا يُنسخ حكمه، فقد يأتي النسخ للأحكام في بعض آيات من كتاب الله عز وجل، فيتبدل الحكم، فقد روى الإمام أحمدعن أبي هريرة قال: حرمت الخمر ثلاث مرات، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: {يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما}إلى آخر الآية. فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال: {فيهما إثم كبير} وكانوا يشربون الخمر، حتى إذا كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين أمَّ أصحابه في المغرب، خلط في قراءته، فأنزل الله فيها آية أغلظ منها: {يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون}وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مفيق، ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك: {يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون} فقالوا: انتهينا ربنا. فقال الناس: يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجساً ومن عمل الشيطان، فأنزل الله: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا} إلى آخر الآية. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو حرمت عليهم لتركوها كما تركتم).

ففي الأحكام تنسخ الأحكام {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها}، أما في الأخبار فلا تنسخ الآيات التي فيها إخبار من الله عز وجل، كيف تنسخ أيها الإخوة، الخبر لا ينسخ، أنا إن أخبرتك بخبر ثم نسخت هذا الخبر

بالاعتذار إليك، فمعنى ذلك أنا إما أن أكون كاذباً، وإما أن أكون جاهلاً، وهل ربنا جل وعلا يكون جاهلاً؟ وهل ربنا عز وجل يكون ناسياً؟ معاذ الله.

عندما يقول مولانا عز وجل: {واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمة}، تفضل الله عز وجل عليهم فشرح صدورهم للإسلام، وتفضل عليهم فحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ثم قال: {أولئك هم الراشدون}، اقرؤوا أيها الإخوة سيرة أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أما تجدون من خلال سيرة الصحابة الكرام آثار هذا الإيمان في نفوسهم؟ أما تجدون أيها الإخوة في سيرة أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله بغض إليهم الكفر والفسوق والعصيان؟ وإذا بغض الله إليهم الكفر والفسوق والعصيان فلا يعني ذلك أنهم صاروا معصومين، إنما يمكن أن يقع أحدهم في المعصية، فإذا ما وقع في المعصية آب إلى الله وأسرع في التوبة إلى الله عز وجل لينطبق عليه وصف الله عز وجل عندما يقول: {وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين * الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون} لِمَ لم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون؟ لأن الله بغض إليهم الكفر والفسوق والعصيان، فإن زلت قدم أحدهم أسرع إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وقال له: يا رسول الله إني ارتكبت حداً فطهرني، من الذي يجود بنفسه أيها الإخوة؟ من الذي يقدم نفسه للرجم بالحجارة حتى الموت؟ لولا أن الله حبب إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، لولا الإيمان ولولا حبه للطاعة ولولا كراهيته للمعصية ما جاد بنفسه لله عز وجل، ما جاء على قدميه لسيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم ليقول: يا رسول الله طهرني، لم تفعل هذا وقد سترك الله؟ لم أنت تفضح نفسك؟ إنه حب الإيمان، كراهية الفسق والفجور والعصيان، دُنِّس في المعصية فأراد أن يطهره النبي صلى الله عليه وسلم.

هؤلاء أيها الإخوة أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، اقرؤوا سيرة الصحابة الكرام، كيف كان حالهم؟ وكيف كانوا يترجمون عن هذا الإيمان؟ أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، من مظاهر إيمانهم، وحبهم الإيمان، ومن مظاهر حبهم لله، ولسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهم تركوا ديارهم وتركوا أموالهم وتركوا أوطانهم وقطعوا الصلة بينهم وبين أرحامهم المشركين في سبيل رضا الله عز وجل، ألم يقل مولانا: {للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون} هؤلاء الرجال أيها الإخوة تركوا كل شيء في سبيل الله عز وجل، لأن الله حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، أما ترك الصديق ماله؟ أما ترك وطنه؟ أما بذل كل ماله في سبيل الله عز وجل؟ أما فعل الفاروق كذلك؟ أما فعل ذو النورين كذلك في سبيل الدعوة إلى الله، لأن الله حبب إليهم الإيمان، وزينه في قلوبهم، وأما نحن حببت إلينا هذه الدنيا ففي سبيل دريهمات يبيع الرجل دينه بعرض من الدنيا قليل، ربما بمال يسير يأتي هذا الرجل ليلعن أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ويتخلى عن اعتقاده، بمال يسير يلعن آخر الأمة أولها والعياذ بالله. أيها الإخوة أصحاب سيدنا رسول الله زكاهم رسول الله، احفظوها جيداً، {هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم} زكاهم رسول الله أيما تزكية، حتى وقف الواحد منهم أمام أبيه، عبد الله الصحابي الجليل، ابن عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، الذي قال: {لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل} وقف أمام أبيه المنافق على أبواب المدينة وقال له: والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتعلم أيهما الأعز من

الأذل: أنت، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنه، فقيل: عبد الله بن عبد الله بن أبي يأبى أن يأذن لأبيه حتى تأذن له، فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله واطئ على يد راحلة أبيه، وابن أبيّ يقول: لأنا أذلُّ من الصبيان، لأنا أذلُّ من النساء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلِّ عن أبيك، فخلَّى عنه [رواه ابن إسحاق].

بأي شيء؟ حبب إليهم الإيمان، رسول الله زكاهم وطهرهم، يا هذا أتبيع دينك بعرض من الدنيا قليل؟! فإنك ذاهب إلى الله وإنك ملاق ربك وإنك ملاق عملك، فماذا تقول لربك يا من يطعن في أصحاب سيدنا رسول الله؟ يا من يقع في عرض أمنا السيدة عائشة الطاهرة البتول، ماذا ستقول لربك؟ وربك عز وجل بالمرصاد لهؤلاء الذين أساؤوا إلى أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

أتزعم أنك تحب آل بيت رسول الله، فهل حبك لآل بيت رسول الله يتطلب منك أن تعادي أصحاب سيدنا رسول الله، والله الذي لا إله غيره لو أن آل بيت رسول الله أبغضوا أصحاب سيدنا رسول الله فقد يكون لك عذر عند الله عز وجل، ولكن انظر إلى آل بيت رسول الله، انظر إلى سيدنا علي رضي الله تعالى عنه، كيف كان يقف أمام سيرة الصديق؟ لا أقول أمام الصديق إنما أمام سيرة الصديق رضي الله عنه، ولا أقول أمام سيرة الصديق إنما كيف كان أبو الحسنين رضي الله عنه يُذكِّر الأمة بمقام الصديق في دين الله عز وجل. سيدنا علي عندما صار أميراً للمؤمنين، بعد الصديق وبعد الفاروق وبعد ذي النورين، وقف رضي الله تبارك وتعالى عنه أمام أصحابه ومن بقي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وحاشاه رضي الله عنه من التقية، حاشاه من أن يظهر أمراً ويبطن أمراً، وهذا القولُ لسيدنا علي ما كان في زمن الصديق ولا في زمن عمر ولا في زمن عثمان، إنما في زمن خلافته، عندما صار أميراً للمؤمنين، وقف خطيباً بين أصحابه فقال رضي الله عنه: يا أيها الناس من أشجع الناس؟ – طبعاً نحن نعلم أيها الإخوة أن أشجع

الناس على الإطلاق هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لقول أبي الحسنين رضي الله عنه: كنا إذا حمي الوطيس احتمينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا عندنا معلوم جميعاً أيها الإخوة، ولكن سيدنا علياً رضي الله عنه يسأل الصحابة ومن تبعهم من أشجع الناس؟ أي بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين. فقال رضي الله تعالى عنه: (أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، أبو بكر أشجع الناس)، أين الفاروق، اسمعوا ماذا يقول سيدنا علي رضي الله عنه، قال: لكن هو أبو بكر، ويعطينا صورة من هذه الصور، يقول رضي الله عنه: إنا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً كالخيمة في بعض الغزوات فقلنا: من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوي عليه أحد من المشركين، يقول سيدنا علي رضي الله تعالى عنه الذي عرف الفضل لأهل الفضل ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه، ولا يعرف قيمة الرجال إلا الرجال، فقال رضي الله تعالى عنه: فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر، شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يهوي عليه أحد إلا أهوى عليه، ثم يقول سيدنا علي: فهو أشجع الناس.

يا من تزعم حباً لسيدنا علي لا يتصور، ألا يسعك أن تتبع سيدنا علياً فتتأدب مع خليفة سيدنا رسول الله الذي حاز على هذا اللقب دون غيره، يقال: عمر أمير المؤمنين، يقال عثمان أمير المؤمنين، يقال علي أمير المؤمنين، إلا الصديق يقال: خليفة رسول الله، إذا لم يلتزم الإنسان الأدب مع خليفة سيدنا رسول الله فلا بارك الله فيه.

يقول سيدنا علي: ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش فهذا يحاده وهذا يتلتله، أي هذا يخاصمه وهذا يجره، ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً يا محمد، يقول سيدنا علي رضي الله عنه: فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا، ويتلتل هذا، يدافع عن سيدنا رسول الله ويقول: ويلكم

أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟!

هذا الصديق الذي كان يدافع عن سيدنا رسول الله، يا هذا لو أنك دافعت عن أصحاب سيدنا رسول الله وعن آل بيت سيدنا رسول الله لكان لك الشرف العظيم، ولكن إذا بعت دينك بعرض من الدنيا قليل، فبئس ما فعلت. ثم رفع سيدنا علي بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أناشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ أي الصديق، أيهما خير؟ مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، الذي قال لقومه: {يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار} فسكت القوم، فقال سيدنا علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه، ولذلك فالصديق رضي الله عنه أخذ الوسام من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما أورد ذلك الإمام البخاري، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي)، وكررها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين، أيها الإخوة الأدب الأدبَ.

بعضهم يقول: لماذا لا نصلي صلاة الاستسقاء من أجل أن يغيثنا الله عز وجل بالمطر، ماذا أقول أيها الإخوة، إنا لله وإنا إليه راجعون، المعاصي انتشرت، والزكاة منعت، وتطاول القوم في الطعن بأصحاب سيدنا محمد، وفي أمنا المبرأة السيدة عائشة، ثم نقول: لِمَ لم يغثنا ربنا عز وجل؟ لذلك أقول: يا رب يا رب يا رب، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وعافنا واعف عنا، وإلى سوى بابك لا تكلنا، ومن شر الصليبية الحاقدة واليهود سلمنا، سلم لنا ديننا وأكرمنا يا ربنا بإيمان كإيمان الصديق، أكرمنا بإيمان كإيمان الفاروق، أكرمنا بإيمان كإيمان ذي النورين، أكرمنا بإيمان كإيمان أبي الحسنين، لنعيش من السعداء.

إذا أردنا أن يغيثنا الله عز وجل بمطر لنكف ألسنتنا أولاً، ولنتب إلى الله من

الذنوب والمعاصي، ومن سوء الأدب مع سلفنا الكرام أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، عسى أن يغيثنا مولانا سبحانه وتعالى، يا عباد الله، والله السعادة كل السعادة في اتباع أصحاب سيدنا رسول الله من المهاجرين ومن الأنصار، أسأل الله ألا يحرمنا الأدب، أسأل الله أن يجعلنا على بينة من أمرنا، أسأل الله أن يوفقنا أن نعظم أصحاب سيدنا رسول الله الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: (خير الناس من كان في قرني) أسأل الله أن يرزقنا الأدب مع حملة القرآن، مع الذين فتحوا لنا الدنيا من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، فجزى الله عنا أصحاب سيدنا محمد خير الجزاء، وحشرنا معهم تحت لواء سيدنا رسول الله في الفردوس الأعلى، مع الذي أنعم الله عليهم من النبيين وعلى رأسهم سيدنا محمد، والصديقين وعلى رأسهم أبو بكر الصديق، والشهداء وعلى رأسهم سيدنا حمزة، والصالحين ممن جاء من بعدهم، إنه على ما يشاء قدير. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

يختص برحمته من يشاء (عشر ذي الحجة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، كنت قد وعدتكم أن أتابع الحديث عن مكانة أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن العظيم وفي سنة النبي الأعظم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، لأن الإنسان عدو لما يجهل، ومن عرف أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال القرآن العظيم ومن خلال سنة النبي الأعظم عليه وآله الصلاة والسلام لا يسعه إلا أن يقول: {ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} ولا يسعه إلا أن يقول: ربنا احشرنا مع الأنصار والمهاجرين الذين قلت فيهم: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه}. إلا أن العشر الأول من شهر ذي الحجة أوجب علينا أيها الإخوة أن يذكر بعضنا بعضاً بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المناسبة.

أيها الإخوة الكرام، ربنا جل وعلا يقول: {يختص برحمته من يشاء} رجالاً، ويختص برحمته من يشاء نساء، يختص برحمته من يشاء من الرجال اختار الله عز وجل من سائر الخلق الأنبياء، واختار من الأنبياء المرسلين، واختار من المرسلين أولي العزم من الرسل، واختار من أولي العزم من الرسل سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم، فهو صلى الله عليه وسلم أفضل خلق الله على الإطلاق، وأفضل الأنبياء، وأفضل المرسلين، وأفضل أولي العزم من الرسل، وربنا جل وعلا يقول: {يختص برحمته من يشاء} اختص ربنا عز وجل برحمته من يشاء من الرجال فاختار من

سائر الخلق بعضهم ليتشرفوا بصحبة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وليقال عنهم هؤلاء أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، اختارهم الله عز وجل ليكونوا أنصاراً وأعواناً لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، اختارهم الله واختصهم ليحملوا رسالة الإسلام وينشروا نور الإسلام في أرجاء المعمورة، اختار له أصحابه، واختار من الأصحاب العشرة المبشرين بالجنة، واختار من العشرة الخلفاء الأربعة، واختار من الخلفاء الأربعة الصديق رضي الله تعالى عنه، الذي قال له صاحبه وهو في الغار : {لا تحزن إن الله معنا} {يختص برحمته من يشاء}، فاختص الله برحمته الصديق رضي الله عنه ليكون أفضل الخلق بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، (ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل أفضل من أبي بكر بعد النبيين) [رواه عبد بن حميد وأبو نعيم في الحلية].

{يختص برحمته من يشاء}، اختص الله برحمته من يشاء من النساء ليكونوا أزواجاً لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، واختار من الأزواج من تكون قريبة من قلب سيدنا رسول الله أكثر من غيرها، ألا وهي أمنا المبرأة الطاهرة الصديقة بنت الصديق السيدة عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها.

{يختص برحمته من يشاء} من الرجال ليكونوا كُتاباً عند سيدنا رسول الله، كتاب وحي، فاختص الله عز وجل من بعض أصحاب سيدنا رسول الله ليكونوا كتاباً للوحي، ليكونوا أمناء على الوحي، واختار منهم سيدنا معاوية رضي الله تبارك وتعالى عنه.

يختص الله عز وجل أيها الإخوة برحمته مكاناً دون مكان، فاختار بقعة لتكون فيها الكعبة المشرفة كما قال ربنا عز وجل: {بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم} تلك البقعة التي فيها الكعبة المشرفة، يختص الله برحمته من يشاء، واختص الله بقعة لتضم أطهر الأجساد على الإطلاق، ألا وهو جسد الحبيب الأعظم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، واختار الله من المكان بقعة لتضم أشرف الخلق بعد سيدنا

رسول الله لتضم الصديق والفاروق ليكونا جواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أنهما لازما رسول الله في الحياة الدنيا فلازماه في عالم البرزخ، فكان قبراهما بجانب قبر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

يختص برحمته من يشاء زماناً، ومن جملة هذه الأزمنة هذه الأيام التي نحن فيها، أيام عشر ذي الحجة، التي اختصها الله عز وجل برحمته، لأن مولانا عز وجل اختص من الزمان أشهراً وأياماً، اختص من الأشهرِ الأشهرَ الحرم الأربعة، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، واختار الله عز وجل من هذه الأزمنة من الأشهر الحرم الأربعة عشرة أيام من ذي الحجة، اختصها الله عز وجل بما لم يختص بقية الأيام، واختص من هذه الأيام العشر يوم عرفة، فخير أيام الدنيا في كل عام يوم عرفة، كما أن خير القرون على ممر العصور والدهور القرن الذي كان فيه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وفيه الصحب الكرام، لأن ذاك الزمان شَرُف بسيدنا محمد وبأصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، {يختص برحمته من يشاء}.

هذه الأيام العشر أيها الإخوة اختصها الله عز وجل برحمة منه، وجاء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ليبين لنا هذه الأيام العشر وكيف ينبغي على العاقل أن يستغل من اختصه الله برحمته، أيها الإخوة تنبهوا عندما يختص مولانا شخصاً أو مكاناً أو زماناً، فصاحب العقل النير هو الذي يستغل هذا الذي اختصه الله برحمة منه، فنحن بفضل من الله استغللنا رحمة الله عندما اختار سيدنا محمداً ليكون سيد الخلق وحبيب الحق فآمنا به واتبعنا النور الذي جاء به، سائلين المولى أن يحشرنا مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، اختص الله برحمته بعد النبيين الصديق رضي الله تعالى عنه فنحن نسأل الله أن يحشرنا مع الصديق رضي الله عنه الذي اختصه مولانا عز وجل بقوله: {إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} فنسأل الله أن نكون مع من كان الله عز وجل معه، نحن عندما نعلم مكاناً أو زماناً أو شخصاً اختصه الله برحمته توجهنا إلى هذا الشخص، توجهنا إلى هذا المكان، توجهنا إلى

هذا الزمان، لنتعرض لنفحة من نفحات ربنا جل وعلا، فلذلك كلما اقتربنا من سيدنا رسول الله سلوكاً وعملاً كلما أفاض الله عز وجل علينا مزيداً من الإيمان، وكلما تقربنا من أصحاب سيدنا رسول الله وعلى رأسهم الصديق رضي الله عنه كلما اطمأنت قلوبنا بنشر رحمة الله عز وجل علينا، وكلما اقتربنا من الكعبة المشرفة من مسجد سيدنا رسول الله شعرنا بالأمن والأمان، وكلما استغللنا الأيام التي اختصها الله عز وجل برحمته شعرنا بسعادة، ماذا يقول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عن أيام عشر ذي الحجة؟

يروي الإمام البخاري في صحيحه عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم: (ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام — يعني أيام عشر ذي الحجة — قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء) ويقول صلى الله عليه وسلم كما روى الإمام الترمذي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه: (ما من أيام يتعبد فيها إلى الله عز وجل خير من هذه الأيام — يعني عشر ذي الحجة — يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر) فهل يا عباد الله نستغل هذه الأيام بين صيام وقيام، ونكثر من الأعمال الصالحة وعلى رأس الأعمال الصالحة الخلق الحسن الذي فقدناه أيها الإخوة، الخلق الحسن أن تصل من قطعك وأن تعطي من حرمك وأن تحسن لمن أساء إليك، (ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام)، أيها الإخوة هل نتسابق في أيام عشر ذي الحجة بكثرة الأعمال الصالحة وعلى رأسها الخلق الحسن، أن نصل بعضنا البعض، أن نحسن إلى من أساء إلينا، ونحن تتذكر قول الله عز وجل: {قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله} فكيف لا تغفر لمؤمن ولا مؤمنة لزلة وقع فيها أو وقعت فيها – وأقصد بالمؤمنة التي هي صاحبة رحم لأنه في ديننا لا علاقة للرجال مع النساء غير ذوات الأرحام – أن

تحسن لمن أساء إليك وخاصة من أرحامك، أن تحسن لمن أساء إليك ولو كانت زوجة لك ولو كنت زوجاً لها، أن نتنافس أيها الإخوة بالأخلاق الحسنة، أن نتأسى بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أين نحن أيها الإخوة من الاتباع؟! (ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام)، أين تلاوتنا للقرآن العظيم؟ أين صدقتنا؟ وأين صلتنا بالمال وبالجاه في هذه الأيام؟ وخاصة أيام العيد أقبلت علينا، ونحن نرى دائرة الفقر تتسع شيئاً فشيئاً في مجتمعنا، هل نتنافس بكثرة القربات إلى الله، والتي من جملتها الصدقة؟ حيث إنك تتصدق بيمينك وتخفي ذلك عن شمالك وأنت تقول بلسان الحال إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي.

من الأعمال الصالحة في عشر ذي الحجة أن لا يكون في قلبك غل على من يقول لا إله إلا الله، أن لا تجد في قلبك غلاً على أحد من خلق الله عز وجل، (يا بني إن استطعت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل، فإن ذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة) [رواه الترمذي]، فتش قلبك في هذه الأيام هل تجد في قلبك غلاً؟ هل تجد في قلبك بغضاً على الأولياء على الصالحين؟ كم وكم من أناس يطعنون في رجال صالحين خرجوا من الدنيا وما التقينا بهم؟ هناك من يطعن في الإمام أبي حنيفة، وهناك من يطعن في الإمام الشافعي، وهناك من يطعن في الإمام مالك، وهناك من يطعن في الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهم. يا أيها الإخوة ليس شأن المؤمن هكذا، وكلنا يعلم، هناك مبغض لصاحب نعمة، ونحن كذلك كما قلت في بداية الخطبة {يختص برحمته من يشاء}، اختص الله عز وجل من سائر الفقهاء الذين لا يعلم عددهم إلا الله، اختص منهم الأئمة الأربعة الشافعي وأبا حنيفة ومالكاً وابن حنبل، اختصهم الله من سائر الفقهاء لتكون مذاهبهم هي المتبعة في أرجاء المعمورة!

أنت في عشر ذي الحجة تنبه إلى قلبك ينبغي أن يكون سليماً، وخاصة على علماء الأمة، وخاصة على فقهائها، هذا فضلاً عن أصحاب سيدنا رسول الله،

فضلاً عن الخلفاء الأربعة، فضلاً عن كتاب الوحي، فضلاً عن أمهات المؤمنين، فضلاً عن الذين نقلوا إلينا أحاديث سيدنا رسول الله كأبي هريرة رضي الله تبارك وتعالى عنه، أيها الإخوة أيام عشر ذي الحجة هي الأيام التي يتنافس فيها المتنافسون، علينا بصيامها وبقيام لياليها وقيام لياليها، أقل ما يمكن أن يقال في قيام لياليها أن تصلي الفجر والعشاء في جماعة.

من خلال هذه الأيام علينا أن نتعرض لنفحة الله عز وجل، سائلين المولى أن يغيث البلاد والعباد، وأن يطهر قلوبنا من الحقد ومن الغل ومن الحسد على كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، حتى نسلم يوم القيامة إذ يقول مولانا عز وجل: {يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم} لنتنافس أيها الإخوة في هذه الأيام بالأخلاق الحسنة وخيركم خيركم لأهله، سائلين المولى عز وجل أن يعيننا على اتباع سيدنا رسول الله بأقوالنا وأفعالنا وأخلاقنا وأحوالنا، وفي ساعة الرضا وفي ساعة الغضب، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

خطبة عيد الأضحى لعام ١٤٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: كل أمة من الأمم تخلد بعض الذكريات لبعض قادتها ولبعض أئمتها ورؤسائها، لأن هؤلاء القادة أصبحوا مضرب مثل في حياة الأمة، فتأتي الأمة لتخلد ذكرى هذا الإنسان، تخلد ذكراه بأمر من الأمور، تظن الأمة أن هذا الفعل الذي جاء به زيد أو عمرو من هؤلاء الأئمة له أثر في المجتمع سوف يستمر، على أي أساس؟ وعلى أي مبدأ؟

وعلى أي قانون نخلد ذكريات بعضنا البعض؟ نخلد ذكريات هؤلاء القادة على مبادئ وقوانين وعلى أسس نحن نرى أنها صالحة. خلدْ ذكر من شئت، خلد ذكر قائد لك، خلد ذكر عظيم لك من العظماء، ولكن بعد حين وآخر قد تتشوه صورة هذا الإنسان الذي كنا نظن أنه قدم خيراً للأمة، فيخلد ذكره أياماً، أشهراً، سنوات، ثم بعد ذلك ربما أن تصب اللعنة عليه بعد فترة من الزمن، هذا واقعنا المشاهد، وربنا جل وعلا يخلد ذكريات لرجال هم سادة قادة للبشرية جمعاء، ولكن على أساس، ما هذا الأساس الذي يخلد فيه مولانا ذكر عبد من العباد؟ وتعلمون أيها الإخوة من خلد الله ذكره فلا يستطيع أحد أن يطفي ذكره.

ربنا خلد ذكر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، من الذي يستطيع أن ينال من شخص سيدنا محمد؟ والله لو تكالب الشرق والغرب على دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهم أحقر وأدحر وأصغر وأجبن من أن يطفئوا نور سيدنا محمد في الوجود،

وإذا أراد ربنا جل وعلا أن يخلد ذكر المهاجرين والأنصار في القرآن العظيم،

من هم الصعاليك الذين يستطيعون أن يشوهوا صورة أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إذا أراد ربنا أن يخلد ذكر أمهات المؤمنين أزواج سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، من هو الصعلوك الذي يستطيع أن ينال من أمهات المؤمنين، وعلى رأسهن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، إذا خلد الله ذكر عبد أو ذكر جماعة، والله لو انقلب الناس جميعاً إلى كناسين وأرادوا أن يثيروا الغبار على رؤوس من أراد الله أن يخلد ذكرهم، والله ما أثاروا الغبار إلا على أنفسهم، وبقي هؤلاء العظماء الذين خلد الله ذكرهم في القرآن العظيم، وربنا يقول في القرآن: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} من خلد الله ذكره في القرآن فذكره باق إلى قيام الساعة، فذكر رسول الله إلى قيام الساعة، وذكر أصحاب رسول الله إلى قيام الساعة، وذكر نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، وذكر من خلدهم الله في القرآن إلى قيام الساعة.

وانظروا أيها الإخوة خلد الله ذكر سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في القرآن العظيم، على أي أساس؟ خلد ذكره من خلال قوله عز وجل: {وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن} نجح في الاختبار والابتلاء. {قال إني جاعلك للناس إماماً} سيدنا إبراهيم إمام في الناس وخلد الله ذكره في القرآن العظيم، وجاء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ليخلد لنا ذكر سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما روى ابن ماجه والحاكم عن سيدنا زيد بن أرقم قال: قال أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (سنة أبيكم إبراهيم) قالوا: فما لنا فيها يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (بكل شعرة من الصوف حسنة) وأنتم تعلمون أيها الإخوة والحسنة بعشر أمثالها، والذي يعطيك إنما هو الله، وهو المحصي سبحانه، فضمن لك مولانا عز وجل بكل شعرة من هذه الأضحية حسنة، والحسنة بعشر أمثالها تجدها في ميزان حسناتك.

جاء النبي صلى الله عليه وسلم ليخلد لنا ذكر سيدنا إبراهيم من خلال هذه الأضحية، ولذلك عندما سئل العلماء والفقهاء: أيهما أفضل، الصدقة في يوم النحر أم الأضحية؟ قال الفقهاء بالاتفاق: لا تجزئ الصدقة عن الأضحية، لأننا إذا أجزنا الصدقة عن الأضحية عطلنا الأضحية، والله يريد إحياء ذكر سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولو وجد الفقر في المجتمع، فلا تتصدق، وواجب عليك أن تضحي، لماذا؟ تخليداً لذكرى سيدنا إبراهيم، ما قصة سيدنا إبراهيم؟

باختصار شديد، يقول الله عز وجل في قصة سيدنا إبراهيم: قال سيدنا إبراهيم: {رب هب لي من الصالحين} لم يقيد ذلك بذكر أو أنثى، إن كان ذكراً وإن كان أنثى، وإذا سألت الله نعمة وأعطاك الله النعمة، تنبّه! هذا العطاء إنما هو اختبار وابتلاء، فإذا جاءتك النعمة فلا تنشغل بالنعمة عن المنعم، عن الله عز وجل، {رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال} إذا أعطاك الله النعمة هل تعيش معها وتنسى الله؟ النعمة لن تدوم، نعمة المال لن تدوم، نعمة الجاه لن تدوم، أي نعمة أعطاك الله إياها لن تدوم، البقاء لله عز وجل، ولذلك يختبر الله سيدنا إبراهيم الذي قال: {رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك} ورؤيا الأنبياء وحي من الله، لأن الشيطان ليس له طريق على الأنبياء والمرسلين، ولذلك عندما رأى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أن السيدة عائشة تقدم له لتكون له زوجة، فعلمنا من ذلك أن الذي زوج السيدة عائشة من سيدنا محمد إنما هو الله، يا من يطعن في السيدة عائشة تنبه إلى نفسك فإن إيمانك ورب الكعبة مخدوش، لأنك تطعن في امرأة زوجها الله لسيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

{قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ما ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر} انظروا يا أيها الأبناء كيف تتعاملون مع آبائكم، هذه هي التربية التي ربى

الإسلام عليها الأبناء، إذا طلب منك أبوك مالاً، عرضاً من أعراض الدنيا، طلبت أمك، وأنت تتأفف، سيدنا إبراهيم ربى ولده على هذه التربية {قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ما ترى} قال الابن المؤمن المربى الذي تربى في بيت النبوة {يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما} الأب والابن أسلما لله، والله أيها الإخوة ما خاب وما خسر من تعامل مع الله، وخاب وخسر كل من لم يتعامل مع الله، إن طلب الله منك أمراً فلا تبخل، لأن الذي طلب منك على كل شيء قدير، {وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه} {فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم} امتثل أمر الله، ومعاذ الله أن تعامل الله نقداً ويعاملك نسيئة، تعامل مع الله لتكون من السعداء، إذا طلب منك ربك كل ما تملك فقدّمْ، لأن ربك جل وعلا قادر على جبر خاطرك.

{وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين} إبراهيم من عباد الله المؤمنين، طلب منه ربنا ولده، والحمد لله الذي عرف ضعفنا فما طلب منا أبناءنا، إنما طلب منا شيئاً من ماله الذي آتانا إياه، أن نتقرب إلى الله بأضحية، فهل نقول سمعنا وأطعنا، يا مسلم ما طلب الله منك أن تذبح ولدك، ولا أن تقطع أصبعه، إنما طلب منك بقوله: {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن} طلب منك أن تستر ابنتك وتحجبها، أتفعل هذا، يا أختاه ما طلب ربنا عز وجل منك أن تذبحي ولداً من أولادك، إنما طلب منك الستر والحشمة، فهل تقولين سمعنا وأطعنا، ربنا عز وجل طلب منا ترك الربا فقال: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين} طلب منا ربنا عز جل في تسع وتسعين آية في كتاب الله بقوله: {يا أيها الذين آمنوا} فهل نقول سمعنا وأطعنا؟.

الله خلد ذكر سيدنا إبراهيم لأنه كان ممتثلاً لأمر الله، ونحن أيها الإخوة عندما

نقول الصديق نقول رضي الله عنه، الفاروق نقول رضي الله عنه، عثمان رضي الله عنه، أبو الحسنين رضي الله عنه، سيدنا معاوية رضي الله عنه، سيدنا أبو سفيان رضي الله عنه، نذكر المهاجرين والأنصار نقول رضي الله عنهم، لم خلد الله ذكرهم؟ لأنهم قالوا ربنا الله ثم استقاموا، عندما تذكر بعض الصالحين تترضى عنه، لماذا؟ لأنه استقام، فخلد لنفسك ذكرى ألا وهي أن تقول لأوامر الله سمعنا وأطعنا، فمن جملة ما أمرك الله، ومن جملة ما أمرك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن تصل الرحم وإن قطعت، من جملة ما أمرك الله وأمرك النبي صلى الله عليه وسلم: (صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك) [رواه أحمد والبيهقي]، من جملة ما أمرك الله ورسوله: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد} {قوا أنفسكم وأهليكم ناراً} فخلد الله ذكر سيدنا إبراهيم لأنه قدم ابنه للذبح، فهل نقدم أنفسنا أيها الإخوة لنكون خداماً لشريعة سيدنا محمد، اللهم أكرمنا بذلك، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

وجوب التعرف على فضل الصحابة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، ما زالت الأمور تنجلي على إرادة فتنة في بلدنا، ما زالت الأمور تنجلي بوضوح عام بأن المستعمر الأمريكي في المنطقة يريد إشعال نار الفتنة، لأنه عاجز ولأن خسائره فاضحة وفادحة، ولا يستطيع هذا العدو على هذه الأمة إلا إذا استطاع أن يجعلها أحزاباً وشيعاً، فكما قلت أيها الإخوة في الأسابيع الماضية، عدونا من خلال تحكمه في كثير من أجهزة الإعلام يريد أن يشعل نار فتنة طائفية في الأوساط الإسلامية، وخاصة توجهت الأنظار إلى بلادنا،

توجهت الأنظار إلى سورية عامة، وأرادوا أن يشعلوا فيها نار الفتنة، فهل يا ترى يتفطن العقلاء إلى هذا الجانب، هل يا ترى يتعظون بغيرهم عندما نرى ونشاهد الأموال تسلب والأعراض تنتهك ولا ناصر ولا معين من البشر، وما زالوا يشعلون نار الفتنة، وهناك آذان صاغية لهؤلاء المستعمرين لهؤلاء الذين يعيثون في الأرض فساداً، ولكن نحن أيها الإخوة على ثقة من قول الله عز وجل: {فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد} والله لا نشك في ذلك أيها الإخوة، ولكن لكل ميلاد أجل، والإنسان خلق من عجل، ولكن سوف نسأل ونحاسب يوم القيامة، هل الواحد منا – وخاصة من كان رأساً في قومه، وخاصة من كان له آذان في أوساط الناس يسمعون له –، هل هو ناصح أم هو خائن لمن يسمع منه، هل يريد أن يجمع شأن الأمة، أم يريد أن يمزق كيان هذه الأمة؟

أيها الإخوة قلت لكم في الأسابيع الماضية، يريدون أن يجعلوا نار فتنة في بلادنا، بين سني وشيعي، وجاء بعضهم ليكون ذنباً، وليكون أداة بيد هذا

المستعمر فأراد أن يشعل نار الفتنة، وبدأ يتكلم عن أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وبدأ يتكلم في أزواج سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وبدأ يبدأ بالبحث في التاريخ عن ثغرات وعن عثرات وقع فيها البعض ليجعل منها نواة لإشعال نار الفتنة في أوساط المسلمين.

فهل يا ترى نكون عقلاء ونقول لمن أراد أن يطعن في أصحاب سيدنا رسول الله: يا أخي اتق الله عز وجل، لأن المساس في العقيدة وفي أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وفي عرض سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، لا يمكن أن يهادن المسلم عليه أبداً، ما قيمتنا أيها الإخوة إذا انتهكت حرمات أصحاب سيدنا رسول الله، ما قيمتنا أيها الإخوة عندما تنتهك أمهاتنا أزواج سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

أقول لهؤلاء أيها الإخوة: إذا لم تعرفوا أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، تعالوا من خلال المنطلق الذي انطلقتم منه - محبتكم لآل بيت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام – تعالوا من خلال معتقدكم بأن آل البيت معصومون، وعلى رأس أهل البيت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، تعالوا يا من يغار على آل بيت رسول الله، والله نحن نغار على أهل بيت سيدنا رسول الله غيرة لا حدود لها، ولكن هل يا ترى محبة الإنسان لآل بيت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام تعني أن أطعن في أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وأنا أسمع ماذا يقول سيد آل البيت وسيد الأنبياء والمرسلين في أصحابه الكرام.

أما سمعتم أيها الإخوة الحديث الذي اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم، عندما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) وذكرت لكم أيها الإخوة بعض الأحاديث في الخطبة الماضية وفي درس يوم السبت عندما بدأنا نتعرف على أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعالوا أيها الإخوة

لنعرف أصحاب سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام من خلال كلامه صلى الله عليه وسلم، فقد روى الإمام الترمذي رضي الله تبارك وتعالى عنه عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه، قال: قال صلى الله عليه وسلم: (إني لا أدري قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي)، ولنسأل الدنيا أجمع من الذي كان بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كان الصديق رضي الله عنه وكان الفاروق سيدنا عمر رضي الله عنه، والصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى بشهادة مولانا عز وجل يقول لنا صلى الله عليه وسلم: (إني لا أدري قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذَين من بعدي) يعني أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما (واهتدوا بهدي عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه).

هؤلاء أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وهذه خصوصية من سيدنا رسول الله المعصوم في حق الصديق وفي حق سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، وفي حق الخلفاء الراشدين المهديين من بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، يقول "كما روى الإمام الترمذي رضي الله تبارك وتعالى عنه: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ).

من هم الخلفاء الراشدون من بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ أجمعت الأمة أيها الإخوة على أن الخلفاء الراشدين المهديين من بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هم: الصديق، والفاروق، وذو النورين، وأبو الحسنين، وسيدنا الحسن، وسيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله تبارك وتعالى عنهم، لننظر في سنة هؤلاء الأئمة الأعلام الذين حافظوا على الدين بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

لذلك أيها الإخوة نرى العقلاء من الأمة يتتبعون أخبار من سلف من الصحب الكرام،

للاقتداء بهم، لأن الله جل وعلا شاء أن يجعل من أصحاب سيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم وسيلة إيضاح لإيمان هذه الأمة ليتجلى قول الله فيها: {كنتم خير أمة أخرجت للناس} وصدق الله في هذا الوصف في حق أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام،

أما دانت الدنيا أيها الإخوة من أقصاها إلى أقصاها لأصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في زمن الخلفاء الراشدين المهديين بشهادة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، يا من يزعم محبة آل البيت فسيد أهل البيت وسيد الخلائق يقول: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين). وكلنا يعلم أيها الإخوة بأن الأحاديث الشريفة صارت محفوظة بحفظ الله القائل: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} فحُفظت سنة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام من خلال جهود العلماء، ومن خلال بذل العلماء من الصدر الأول إلى يومنا هذا، حفظت أحاديث سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وميز الحديث الصحيح عن الحديث الحسن،

وميز الحديث الحسن عن الحديث الضعيف، وميز الحديث الضعيف عن الموضوع، وصارت الأمة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم.

أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هم قدوتنا وأسوتنا، ألم يقل مولانا عز وجل: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم} اتبعوا من؟ اتبعوا المهاجرين والأنصار، نظر الذين جاؤوا من بعدهم إلى إيمانهم، ونظروا إلى إيمان الصحابة من المهاجرين ومن الأنصار، الذين هم وسائل إيضاح عندنا، فإذا بالذين جاؤوا من بعدهم يجاهدون أنفسهم ليصلوا إلى ما وصل إليه أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كانوا مثالاً لضرب أروع الأمثلة في مسألة الإيثار، وكلكم يعلم أصحاب سيدنا رسول الله عندما هاجروا من مكة إلى المدينة، وآخى رسول الله بينهم، فإذا بالأنصاري يقاسم المهاجر ماله ويقدم له المال

المنقول وغير المنقول، بل بعضهم تجاوز هذا وكان ذلك قبل نزول آية الحجاب، ليقول بعضهم لبعض: عندي امرأتان انظر أيها تعجبك أطلقها تجلس في عدتها تتزوجها من بعدي، ضربوا لنا أروع الأمثلة عندما كانوا قرآناً يمشي على الأرض تأسياً بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا وسائل إيضاح لنا أيها الإخوة لنهتدي بهديهم لنجعل أنفسنا في ميزانهم، عندما يقول سيدنا رسول الله للصديق ما أبقيت لعيالك؟ قال له: ما أبقيت لهم من مال ولكني أبقيت لهم الله ورسوله [رواه أبو داود والترمذي والحاكم]، وجاء بكل ماله من أجل أي شيء؟ هل جاء بكل ماله ليخدم فكرة في رأسه؟ هل جاء بكل ماله من أجل مصلحة ذاتية؟ لا ورب الكعبة بشهادة مولانا عز وجل عندما قال: {للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم

وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله} كل واحد منهم يريد نصرة الدين ولو على دمه ولو على رقبته، فآثروا من أجل دينهم، كما آثر سيدنا الحسن رضي الله تعالى عنه، عندما تنازل عن الخلافة لسيدنا معاوية رضي الله تعالى عنه، وهم يعتقدون العصمة لآل البيت، يعتقدون العصمة لسيدنا الحسن ولسيدنا الحسين، فالمعصوم سيدنا الحسن يتنازل عن الخلافة لمن؟ لسيدنا معاوية، لو كان سيدنا معاوية كافراً، لو كان مرتداً كيف يتنازل سيدنا الحسن لسيدنا معاوية رضي الله تعالى عنهم؟

يا أيها الإخوة كما قالوا: إذا كنت كذوباً فكن ذَكوراً، سيدنا الحسن سيدنا الحسين سيدتنا فاطمة رضي الله عنها سيدنا علي رضي الله عنه، كيف كانوا مع الخلفاء الراشدين؟ كيف كانوا مع أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟

نعم أيها الإخوة نحن بأمس الحاجة أن نتعرف على أصحاب سيدنا رسول الله، وأن نتعرف على أهل البيت، وكيف كانوا مع أصحاب سيدنا رسول الله، وعلى رأسهم سيدنا علي كيف كان مع أصحاب سيدنا رسول الله، وعلى رأس

الصحابة الصديق والفاروق وعثمان رضي الله تعالى عن الجميع، إذا كنا نحن ندعي أننا على قدم أهل البيت فهؤلاء هم أهل البيت، كيف كانوا مع أصحاب سيدنا رسول الله، هذا ما سنتعرف عليه في خطبة قادمة بإذن الله.

وأختم حديثي بما رواه أبو داود والترمذي رضي الله تعالى عنهما: (والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر في وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمّر عمر نوح) [رواه أحمد وأبو داود]. ويقول النبي عليه الصلاة والسلام: (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه) [رواه البخاري ومسلم].

أيها الإخوة بالأدب سادت الأمة، وباجتماع الأمة على الحق سادت الأمة، أما إذا أردنا أن نجعل ديننا وشرعنا مطية لنا، لمصلحة مالية، أو مصلحة سياسية، أو لإرادة حكم وسلطة، أو لإرادة هيمنة، فقد أخطأنا الطريق.

انظروا إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أيها الإخوة وهو سيد أهل البيت، سيد الأنبياء والمرسلين، قالت له قريش: يا محمد صلى الله عليه وسلم إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعناه لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد الشرف سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد مُلكاً ملَّكناك علينا [رواه أبو يعلى وابن جرير]. ماذا تريد يا محمد من دعوتك؟ وكلنا يعلم ماذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم من دعوته، إني رسول الله إليكم، لا يريد من الدنيا أيها الإخوة.

أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عندما بايعوه بقوله: (بايعوني على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وعلى النفقة في الفقر وفي الغنى وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا تأخذكم في الله لومة لائم) قالوا: فما لنا يا رسول الله إن وفينا؟ قال: (فلكم الجنة) لا يريدون عرضاً من أعراض الدنيا إنما يريدون الآخرة.

أيها الإخوة لنكن خداماً لدين الله، لنكن خداماً لكتاب الله ولسنة سيدنا رسول الله، ولأصحاب سيدنا رسول الله، ولآل بيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جعل حظوظنا النفسية تحت أقدامنا، فإن لم نجعل حظوظنا تحت أقدامنا سوف تكون هذه الأمة لا قدر الله تحت أقدام عدوها، وانظروا أيها الإخوة ماذا يفعل الطغاة المجرمون في إخوتنا في العراق، أشعلوا نار الفتنة وماذا زالوا يؤججونها، فهل نريد أن نجعل هذا في بلدتنا أيها الإخوة؟

أسأل الله أن يوقظنا من غفلتنا وأن يلهمنا رشدنا وأن يعظم في قلوبنا حب من نقل إلينا هذا الدين الحنيف، ألا وهم أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فبداية أيها الإخوة أبارك لكم ولأمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في مشارق الأرض وفي مغاربها بالعام الهجري الجديد، وإني أرجو الله جل وعلا أن يكون العام المنصرم عام عبرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد،

وأن يكون العام الجديد عاماً هجرياً مباركاً لأمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حيث هجرت المعصية إلى الطاعة، وهجرت القطيعة عن الله إلى الصلة بالله عز وجل، وهجرت هجرانها لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، واتصلت بالنبي الأعظم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. أرجو الله جل وعلا أيها الإخوة أن يكون العام الذي هل علينا هلاله في هذا اليوم أو في يوم سابق أن يكون عام خير وبركة يجتمع فيه شمل الأمة على كتاب الله وعلى سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتستيقظ هذه الأمة من غفلتها، لتتعلم الأدب مع أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتكون الأمة بأجمعها بقضها وقضيضها تعرف عدوها، وتسأل الله أن يكرمها بالجهاد في سبيل الله، ولبذل المال ولبذل النفس ولبذل الغالي والرخيص في سبيل إعلاء كلمة الله التي هي العليا.

ثانياً أيها الإخوة: ما من أمة من الأمم إلا ولها تخليد ذكريات لعظيم من عظمائها فيما يبدو لهم بأنه عظيم وبأنه خدم وقدم وأثَّر،

فما من أمة من الأمم إلا وخلدت ذكرى عظيم لها في نظرها، وكذلك أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، بل أقول أيها الإخوة: ربنا جل في علاه هو الذي خلد الذكريات لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يخلدون هم، وربنا يخلد لنا، ونحن وهم آيبون وراجعون إلى الله عز وجل، وعند الله تجتمع الخصوم، {وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق} وأسال الله أن نكون من أهل الحق.

ونحن اليوم أيها الإخوة نريد أن نقف أمام آية من كتاب الله بمناسبة حلول العام الهجري الجديد في هذا اليوم العظيم المبارك، أن نقف أمام آية من كتاب الله عز وجل يخلد فيها ربنا جل جلاله ذكرى رجل، من هذا الرجل؟ هل هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ بالاتفاق أيها الإخوة عند القاصي والداني إن شاؤوا وإن أبوا فهو سيد الخلق وحبيب الحق، سيد الكون وسيد الدارين سيد الوجود، من

آمن بذلك سُعد ورب الكعبة بإذن الله إن مات على ذلك، وأما من كفر بذلك فإنه سيأتي يوم القيامة رغماً عن أنفه ورأسه تحت قدميه ليشهد بأن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام هو سيد الخلق وحبيب الخلق هو سيد الأنبياء وسيد المرسلين، لأن كل مخلوق وكل نبي وكل رسول في أرض المحشر يقول: نفسي نفسي، إلا سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام يقول: أمتي أمتي. يا رب لك الحمد أن جعلتنا من أمة هذا الحبيب الأعظم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

مَن هذه الشخصية التي يخلد ربنا ذكراها في القرآن الكريم في ذكرى هجرة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ تعالوا أيها الإخوة لنقرأ قول الله عز وجل وهو يحدثنا عن ذكرى هجرة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إذ يقول: {إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم} يا رب من هذا الذي تقول عنه: إذ يقول لصاحبه؟ يا رب ذكرت لنا الضمير فمن هو صاحب هذا الشأن؟ من هو صاحب هذا الضمير الذي ينبغي أن نتعرف عليه {إذ يقول لصاحبه} ذكرته بالإشارة ولم تذكره يا ربنا بصريح العبارة، فكأن الحق جل وعلا يقول: أوما عرفتموه؟ هل هناك مسلم على وجه البسيطة يختلف مع مسلم أو مع عدو بأن صاحبه هو الصديق رضي الله عنه؟ هل هناك أحد يشك بأن صاحبه هو الصديق رضي الله عنه؟ {إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} أثبت مولانا للصديق رضي الله عنه صحبة متميزة عن سائر أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة شاء ربنا جل وعلا أن يخلد ذكر الصديق رضي الله تعالى عنه بنص القرآن الكريم ليثبت له الصحبة مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يقول مولانا: {إذ يقول لصاحبه} الصاحب الوحيد من سائر الصحب الكرام رضوان الله تعالى عنهم جميعاً، الصاحب الوحيد في هجرته صلى الله عليه

وسلم هو الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه، وفي ذلك إشارة لمن يفهم الإشارة، وفي ذلك عبارة لمن يفهم العبارة، وفي ذلك عظة لمن يتعظ أو كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، {إذ يقول لصاحبه} أثبت الله عز وجل له الصحبة عن سائر الأصحاب الكرام لأنها متميزة، ولأن إيمان الصديق متميز، كل واحد منهم كان له كبوة إلا الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه، قال صلى الله عليه وسلم: (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنه كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عتم عنه حين ذكرته وما تردد فيه) رواه البيهقي في الدلائل، خلد مولانا جل في علاه ذكره في القرآن الكريم بقوله: {إذ يقول لصاحبه لا تحزن} من هو الحزين؟ ومن المحزون عليه؟ الحزين هو الصديق رضي الله تعالى عنه، المحزون عليه هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، المحزون عليه هو الإسلام، المحزون عليه هو هذا الدين المجسد في شخصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة عندما يحزن أحدنا على أي شيء يحزن؟ نحزن على فوات دنيا، أو فوات منصب، أو فوات عرض من أعراض الدنيا، نحزن على صحة فقدناها، أو غال فقدناه، نحزن على عرض فانٍ سيزول لا محالة، أما الصديق رضي الله تعالى عنه على أي شيء كان حزنه؟

والله ما كان حزيناً على نفسه، ولا على ماله، ولا على وطنه، ولا على زوجه وأولاده، ولا على أرض مكة المكرمة إذ ذاك، ولكنه كان حزيناً على سيدنا رسول الله، خائفاً على دين الله عز وجل، هذا حزن الصديق رضي الله تعالى عنه، ما كان في يوم من الأيام حزيناً على عرض دنيوي لا ورب الكعبة، حزن أصحاب سيدنا رسول الله وآل بيت سيدنا رسول الله على الإسلام.

ربنا عز وجل يثبت الصحبة للصديق فيقول: {إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} وإن أخرجنا؟ وإن أخرجنا يا أبا بكر، وإن هُجرنا؟ وإن هُجِّرنا، وإن تُرِّكنا الأوطان؟ وإن تركنا الأوطان، لا تحزن، إن الله معنا، كيف يكون هذا؟

سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، لا تحزن إن الله معنا، كيف هذا ونحن الخائفون، ونحن أوينا إلى الغار؟ لا تحزن إن الله معنا، يطاردوننا يا رسول الله وصلوا إلى فم الغار، لا تحزن إن الله معنا، ما الشأن؟ {وما كان الله ليطلعكم على الغيب} يريد ربنا عز وجل أن يميز بين الطيب والخبيث. اللهم اجعلنا من الطيبين، اللهم اجعلنا من أنصار الحق، اللهم اجعلنا على الحق، اللهم أحينا على الحق، اللهم أمتنا على الحق، وابعثنا على الحق، واجعلنا مع سيدنا رسول الله وصحابته وآل بيته في الفردوس الأعلى يا أرحم الراحمين.

{لا تحزن إن الله معنا} إذا كان الله معك وهو القائل: {إن الله يدافع عن الذين آمنوا} فكيف تحزن؟ إذا كان الله معك وهو القائل: {الله ولي الذين آمنوا} فإذا كان الله وليك، وإذا كان الله هو متوليك، وإذا كان الله عز وجل هو الحافظ، وإذا كان الله عز وجل هو الناصر، فمن الذي يصل إليك يا هذا؟ وكيف تحزن؟ لا تحزن إن الله معنا، ولكن اذكر قوله تعالى: {الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون}، لا بد من الفتنة، لا بد من الاختبار، لا بد من التمحيص، أما أنت أيها الصديق فلا تحزن إن الله معنا.

قفوا أيها الإخوة بتدبر مع قوله عز وجل: {إن الله معنا} ما هذه المعية؟ مع أن ربنا جل وعلا يقول للجميع للمؤمن وللكافر: {وهو معكم} وهنا يقول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام للصديق عندما بكى: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى شراك نعله لرآنا. قال: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا) معنا وليس معهم وهو القائل: {وهو معكم} هناك معية عامة مع المؤمن ومع الكافر مع الطائع ومع العاصي، وهناك معية خاصة بالتأييد والحفظ والنصر بشرطين، إذا تخلف أحد الشرطين لن تتحقق لك المعية الخاصة، ما هما؟

اقرؤوا قول الله عز وجل: {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} التقوى مع الإحسان، هذه معية خاصة، لمن حقق شروطها، وإلا فلا. وهناك معية

خاصة الخاصة بدون قيد وبدون شرط وهي تأييد وحفظ من الله كما قال: {إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} معية خاصة الخاصة، معية متفردة للصديق بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

انظروا أيها الإخوة كما يقول بعض العلماء: هذه المعية من الله لسيدنا رسول الله وللصديق متميزة حتى عن معية المتقين والمحسنين، الذين قال فيهم مولانا عز وجل: {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}. هذه معية خاصة لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وللصديق، معية بالنصر والمعونة والتأييد والتوفيق والتسديد من البداية إلى النهاية، ومعية بالاسم كذلك، عندما تذكر سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم تذكر الله معه، فتقول: محمد رسول الله، يذكر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر الله معه، وعندما تذكر الصديق تذكر معه سيدنا رسول الله وتذكر الله معه فتقول: الصديق خليفة سيدنا رسول الله، يذكر مع رسول الله ومع الله، وأما من بعد ذلك من خلفاء سيدنا رسول الله إنما يقال عنهم: أمراء المؤمنين، سيدنا عمر أمير المؤمنين، سيدنا عثمان أمير المؤمنين، سيدنا علي أمير المؤمنين.

أجل أيها الإخوة ربنا عز وجل خلد ذكر الصديق في القرآن الكريم في يوم الهجرة، وكان الصديق فيها متميزاً، حيث كان الصديق وماله وزوجه وولده وبناته وخادمه وكل ما يملك كان في خدمة الإسلام، في خدمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فما هو دور الصديق في يوم الهجرة؟ وما هو دور ولده في يوم الهجرة، وما هو دور بناته في يوم الهجرة، ودور خادمه في يوم الهجرة، ودور المال في يوم الهجرة، هذا ما سنتحدث به إن شاء الله في الأسبوع القادم إن أحيانا الله عز وجل، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

خطبة الجامع الكبير في حلب أصحاب سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: الناس يؤرخون لبعضهم البعض، إذا شاهدوا من إنسان أنه قدم أمراً ما للأمة، فيجعلون له تأريخاً ويحفظون له المواقف، وبين الحين والآخر يذكّر الناس بعضهم بعضاً بمواقف هؤلاء الرجال، وإذا أرخ الإنسان للإنسان، فإن هذا التأريخ إنما هو لأمد معدود ومحدود، قد يأتي زمن يُطوى ذكر هذا الإنسان، ويصبح نسياً منسياً، لماذا؟ لأن الإنسان أراد أن يخلد ذكر إنسان، وهذا لا يكون أيها الإخوة.

ولكن إذا أراد الله عز وجل أن يؤرخ تاريخاً لرجل أو لفئة من الناس، أو لشريحة من شرائح الناس، فإن هذا التاريخ يبقى باقياً ببقاء الله عز وجل، ويدوم ذكر هذا العبد الذي أرخ له مولانا عز وجل، وخاصة إذا ذكر هذا العبد في القرآن العظيم.

ونحن نعلم يا أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، بأن خير الرجال على الإطلاق هو سيد الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وخير الرجال أصحابه الكرام الذين اختارهم الله عز وجل ليكونوا حملة لهذا الدين، وليكونوا حملة لهذه الرسالة،

وليقاتلوا عن دين الله عز وجل، فشاء مولانا جل في علاه أن يحفظ ذكر

الصحابة الكرام في القرآن العظيم، الذي قال فيه مولانا: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} فالقرآن محفوظ إلى قيام الساعة، وذكر أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من المهاجرين ومن الأنصار محفوظ في كتاب الله إلى قيام الساعة، فأرخ الله لهم تاريخاً، وحفظ الله ذكرهم في القرآن، رضي من رضي، وسخط من سخط، فقال مولانا عز وجل في حق أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام جميعاً، يؤرخ لهم ويعرف الأمة بل يعرف المخلوقات إلى قيام الساعة من هم أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فقال مولانا جل وعلا في كتابه العظيم: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً}.

خلد الله ذكرهم في القرآن العظيم، فقال في موطن آخر في سورة التوبة: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ذلك الفوز العظيم} أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جملة وتفصيلاً، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم، لمن؟ لأصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، رضي من رضي، وسخط من سخط، أعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، هؤلاء أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

وبيّن مولانا عز وجل أيها الإخوة أن أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بينهم تفاوت، كما أن بين الأنبياء والرسل تفاوتاً، {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس} فكما أن الأنبياء والمرسلين سادة البشر، وقد جعل

الله عز وجل بينهم تفاضلاً، كذلك أصحاب سيدنا محمد هم سادة الخلق بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وإن وجد التفاضل بينهم، لقول الله عز وجل: {لا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا} ولكن ما هي النتيجة للطرفين، للفاضل وللمفضول منهم؟ {وكلاً وعد الله الحسنى} وهل يدخل الحسنى إلا من أحبه الله؟ ومن الذي يعادي من أحبه الله؟ (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

هؤلاء أصحاب سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، يؤرخ لهم ربنا في القرآن العظيم، ويعرفنا على مكانتهم عنده جل في علاه، فيقول مولانا سبحانه وتعالى: {للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون} أثبت لهم الله الصدق، (والصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً) وأول الصديقين بعد سيدنا محمد هو سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي لقبه بالصديق، وإذا كان الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وصفه بأنه الصديق، فمن الذي يستطيع من البشر إلى قيام الساعة أن ينفي صفة الصديقية عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه؟

روى الإمام البخاري، أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد على جبل أحد، ومعه سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان، فارتجّ الجبل، ومن حقه أن يرتج، لأننا إذا كنا ننظر إلى الجماد بأنه جماد لا يعقل، فهذا صحيح لأنه لا يعقل علينا، ولا نعقل عنه، ولكن أليس له إحساس، أليس له شعور، وكيف لا يكون له الإحساس والشعور وربنا عز وجل يقول: {ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين} كيف لا يعقل؟ بالنسبة لي لا يعقل نعم، وأنا لا أعقل عنه نعم، ولكن ربنا جل وعلا يقول: {وإن من شيء إلا

يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم} انظر إلى هذا الجماد، إلى جبل أحد، ارتج تحت أقدام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله، وقال له: (اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان)، من هو الصديق؟ هو الصديق غني عن التعريف، ومن هما الشهيدان؟ غنيان عن التعريف، الفاروق وذو النورين رضي الله تعالى عنهما.

هؤلاء أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يؤرخ لهم ربنا في القرآن العظيم فيقول: {للفقراء المهاجرين} سيدنا أبو بكر من المهاجرين وسيدنا عمر من المهاجرين وسيدنا عثمان من المهاجرين وسيدنا علي من المهاجرين، {للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون} وقال العلماء في قوله تعالى: {أولئك هم الصادقون} هذا خبر، والخبر لا يقبل النسخ أبداً، لأن الله أخبر وقال: {أولئك هم الصادقون} والصدق يهدي إلى البر.

وأما الأنصار {والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} أرخ الله للمهاجرين ووصفهم بأنهم صادقون، وأرخ للأنصار وأخبرنا بأنهم من المفلحين، والذين جاؤوا من بعدهم ما هو وصفهم؟ نحن الذين جئنا من بعدهم أيها الإخوة، ولكن هل نحن على قدمهم، كما قال مولانا: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم} هل نحن نتبع هؤلاء؟

{والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان} سعادتنا أن يكون المهاجرون والأنصار إخوة لنا، ومن شقاء العبد ألا ينتمي إلى المهاجرين، وألا ينتمي إلى الأنصار، {ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم } لأن صاحب الغل لا يدخل الجنة، لأن الله عز وجل

طيب لا يقبل إلا طيباً، والجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب، وصاحب الغل قلبه مريض، وربنا عز وجل يقول: {يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم} فإذا لم يكن القلب سليماً على صدر الإسلام الأول من المهاجرين والأنصار فأي قلب سليم سيكون أيها الإخوة؟

أيها الإخوة: أصحاب سيدنا رسول الله زكاهم الله في القرآن، وجاء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ليوصي الأمة من بعده في أن تلتزم الأدب والاحترام مع أصحاب سيدنا رسول الله، فقال كما جاء في الحديث الصحيح: (الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) ثم أكد النبي عليه الصلاة والسلام على أربعة من أصحابه وهم الخلفاء الراشدون، فقال عليه الصلاة والسلام: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)، وأكد رسول الله من هؤلاء الأربعة على رجلين فقال صلى الله عليه وسلم: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر).

ولذلك أيها الإخوة أرخ ربنا جل وعلا للصحابة جملة، واختار واحداً منهم ذكره في القرآن بصيغة الغائب، وكلنا يقرأ هذه الآية، وكلنا يحفظ هذه الآية، عندما نقرأ جميعاً قول الله عز وجل وهو يؤرخ تاريخ الهجرة ويذكر لنا سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام في حديث الهجرة يقول لنا مولانا عز وجل: {إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} من هو هذا الصاحب؟ يا رب، قلت في كتابك: {إذ يقول لصاحبه} لماذا لم تذكر اسمه صراحة، فكأن الحق يقول: وهل هناك مؤمن على وجه البسيطة إلى قيام الساعة، لا يعرف من هو صاحب سيدنا محمد في الغار؟ أمعقول أيها الإخوة أن يوجد مسلم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولا يعرف من هو صاحب رسول الله في الغار، وقد أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على أن صاحب سيدنا رسول الله في الغار إنما هو الصديق رضي الله عنه. ولذلك

قال له النبي عليه الصلاة والسلام كما يخبرنا ربنا عز وجل: {إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} الجزاء من جنس العمل أيها الإخوة، عندما حزن الصديق على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل روحه الفداء لهذا الدين، ولهذا الحبيب الأعظم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كافأه مولانا عز وجل بقوله: {إن الله معنا}. أما من قدم نفسه على نبيه،

أما من استغل دينه من أجل دنيا، من أجل عرض من أعراضها، فاستغل دينه من أجل دنياه، وضحى بدينه من أجل دنياه، فهذا لن تكون له المعية من الله، وهذا كحال بني إسرائيل: {قال أصحاب موسى إنا لمدركون} قال: {كلا إن معي ربي سيهدين} ما قال معنا، لأنهم كانوا حريصين على أنفسهم أكثر من حرصهم على سيدنا موسى، فلذلك أبعدهم سيدنا موسى وقال: {كلا إن معي ربي سيهدين} أما أنتم فقد اعتمدتم على أنفسكم.

ولذلك عندما يقول الله: {إن الله معنا} مع رسول الله ومع الصديق، فكل من عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين وغيرهم، وكل من عادى أصحاب سيدنا رسول الله وعلى رأسهم الصديق رضي الله عنه، ليتذكر قول الله عز وجل: {ولو ترى إذا المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم} لأنه عند ربنا تجتمع الخصوم، فمن عادى رسول الله نكس رأسه أمام سيدنا رسول الله، ومن عادى الصديق نكس رأسه أمام الصديق يوم القيامة، {ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون} ولكن هيهات هيهات.

أيها الإخوة: لماذا أرخ الله لأصحاب سيدنا رسول الله ولم حفظ ذكرهم؟ لأن أصحاب سيدنا رسول الله باعوا الغالي والرخيص، والخسيس والنفيس في سبيل هذا الدين، فهل نتأسى بأصحاب سيدنا رسول الله كما قال رسول الله: (اقتدوا باللذين من بعدي) أن ننظر إلى سيرة الصديق ونحن في شهر المحرم، ونحن نعيش ذكرى

الهجرة، هل نتأسى بالصديق فنجند كل ما نملك في سبيل هذا الدين، اللهم اجعلنا ممن اقتدى بسيدنا أبي بكر الصديق، وبالخلفاء الأربعة، وبأصحاب سيدنا رسول الله من المهاجرين ومن الأنصار، ونسألك يا ربنا أن تجمعنا معهم في مستقر رحمتك، لأنك قلت في حقهم: {وكلاً وعد الله الحسنى}، فنسألك يا ربنا أن تجمعنا معهم بالحسنى إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

لا تحزن إن اللّه معنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، ذكرت لكم في الأسبوع الماضي قول الله عز وجل – ونحن نستقبل عاماً هجرياً جديداً أسأل الله عز وجل أن يجعله عام خير وبركة وجمع شمل لأمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام – {إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} حيث يؤرخ الله عز وجل لسيدنا أبي بكر تاريخاً في كتابه العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ليعرف من عرف مكانة الصديق عند الله، ثم عند سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يؤرخ للصديق رضي الله عنه ليغيظ مبغضي سيدنا أبي بكر رضي الله عنه وليعرِّف الأمة على سيدنا أبي بكر بأنه الصاحب لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وبأنه كان الحزين على الإسلام وعلى رسول الإسلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وما كان يبتغي من وراء ذلك عرضاً من أعراض الدنيا بدليل قول الله عز وجل: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه} رضي الله عن المهاجرين وعلى رأسهم الصديق الذي هاجر ابتغاء مرضاة الله بنص القرآن الكريم، {للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً} والله ما كانوا يبحثون عن عرض من أعراض الدنيا، والله تركوا الدنيا من أجل إسلامهم، وتركوا أوطانهم من أجل دينهم، وتركوا أصولهم وفروعهم من أجل هذا الإسلام، خوفاً منهم على دين الله عز وجل، عندما كان الصديق رضي الله عنه مخلصاً، والله يعلم هذا من قرارة قلب الصديق، انظروا إلى الفارق بين قولي نبيين رسولين كريمين سيدنا

موسى عليه الصلاة والسلام وهو من أولي العزم من الرسل، وسيد أولي العزم من الرسل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، كان معه رهط من بني إسرائيل عندما تابعهم فرعون كما تابعت قريش النبي عليه الصلاة والسلام وصاحبه، فعندما وصلوا البحر نظر أتباع سيدنا موسى عليه السلام إليه وقالوا: يا موسى إنا لمدركون، خافوا على من أيها الإخوة؟ هل خافوا على سيدنا موسى؟ لا ورب الكعبة، إنما خافوا على أنفسهم بدليل قولهم لسيدنا موسى: {أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا}، أوذينا منك يا موسى قبل المجيء، كم وكم قتل فرعون من الأطفال ليقتل سيدنا موسى؟ ومن بعد ما جئتنا بعد أن صار نبياً ورسولاً، هؤلاء الذين يخافون على أنفسهم لا تهمهم الدعوة والرسالة، إنما حرصهم على عرض من أعراض الدنيا قليل، هم حريصون على زيف من هذه الحياة الدنيا، قالوا لسيدنا موسى: إنا لمدركون، فقال لهم سيدنا موسى: {كلا إن معي ربي سيهدين} جعل المعية الخاصة مع سيدنا موسى، لا معهم.

ولكن انظروا إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وصاحبه، وانظروا إلى قوله عز وجل: {إذ يقول لصاحبه} ولم يذكر اسم الصديق، لأنه إذا ذكر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وذكرت الهجرة ذكر الصديق معه مباشرة عند جميع العقلاء، فأشار إليه مولانا بالضمير ولم يفصح عنه، لأن كل عاقل يعرف أن صاحبه هو الصديق رضي الله عنه.

انظروا إلى سيدنا أبي بكر كان خائفاً على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بدليل قول الله عز وجل: {إذ يقول لصاحبه لا تحزن} هل كان حزيناً خائفاً على نفسه؟ إنه كما تقول أمنا المبرأة السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: والله ما رأيت أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت الصديق يبكي من الفرح، عندما قال لسيدنا رسول الله: يا رسول الله الصحبةَ؟ قال: نعم، فبكى الصديق لأنه سيتشرف بمعية

سيدنا رسول الله، سيتفرد من بين سائر الأصحاب بعد أن تفرد من بين سائر خلق الله عز وجل ليكون بمعية سيدنا محمد بضعة أيام وليال منفرداً لخدمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، والصديق يعلم ما هي المهمة، يعلم أن جزاءه القتل لو أن قريشاً وصلت إليه، ولكنه أراد الصحبة، وبكى لهذه النعمة العظمى التي اختصه الله بها من بين سائر أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون الفداء لسيده ولنبيه ولهاديه ولمنقذه ولمن كان سبباً في تبشيره بالجنة، كان الفداء لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال لصاحبه: {لا تحزن} كان حزيناً على سيدنا رسول الله أن تصل إليه قريش، يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى شراك نعله لرآنا قال: {لا تحزن إن الله معنا} معي ومعك يا أبا بكر، وهذه المعية من الله مستمرة من يوم الغار إلى يومنا هذا إلى يوم القيامة، حتى يدخل أهل الجنة الجنةَ وهم يتقلبون في نعيم الله برضا الله، كما أشار مولانا عز وجل: {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين} وعلى رأسهم سيدنا محمد {والصديقين} وعلى رأسهم الصديق رضي الله عنه {والشهداء} وعلى رأسهم سيدنا حمزة رضي الله عنه.

انظروا يا عباد الله إلى الصديق رضي الله عنه، هذا الصديق الذي نال الشرف والدرجة العالية بأنه أفضل مخلوق على الإطلاق بعد الأنبياء والمرسلين، الذي أُمرنا من خلال قول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عندما قال لنا: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) رواه الترمذي وأحمد. اقتداؤنا بالصديق يكون بالنظر إلى سيدنا أبي بكر في يوم الهجرة، جند نفسه وماله وزوجه وأبناءه وخادمه في سبيل خدمة الدعوة، وكيف يجند هؤلاء في سبيل الدعوة بدون تربية على الإسلام؟ كيف يجندون للدعوة بدون تربية على كتاب الله وسنة سيدنا رسول الله، كيف يجندون للدعوة إذا لم يغرس في نفوسهم الإخلاص لله عز وجل في كل عمل، لا يبتغون إلا رضوان الله عز وجل، لا يبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل، لا يتعاملون مع

أعداء هذه الأمة للنيل من كرامة هذه الأمة بعرض من الدنيا قليل. انظروا إلى واقعنا في العراق، انظروا إلى واقع الأمة وبكل أسف.

الصديق رضي الله عنه عندما كان صدّيقاً جند كل ما يملك في خدمة هذا الدين، عندما خرج أخرج كل ماله، وجعل ولده عبد الله رضي الله عنه يتسمع أخبار قريش في النهار ليأتيه بالخبر إلى الغار الذي ضم الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم وضم الصديق، هنيئاً لك يا سيدي يا أبا بكر، ورحم الله القائل:

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سرَّ أرق من النسيم إذا سرى

هنيئاً لك بخلوتك مع سيدنا رسول الله في هذا الغار وأنت ترعى الحبيب، فرعاك الله بعين رعايته وأمدك من فضله وجعلك سيد الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، هنيئاً لك يا سيدي يا أبا بكر، أسأل الله أن يعطف قلبك الشريف علينا، واخجلتاه منك يا سيدي يا أبا بكر عندما تسيء الأمة ويلعن آخرها أولها، واخجلتاه منك وإني أعتذر إليك يا سيدي يا أبا بكر، وأقول كما قال ربنا تبارك وتعالى معلماً لنا أن نقول: {ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا}.

كما جند الصديق رضي الله عنه بناته، السيدة أسماء والسيدة عائشة في تهيئة الطعام وإرساله مع عبد الله، وجند كذلك خادمه عامر بن فهيرة في خدمة هذه الدعوة، وانظروا إلى أنفسنا أيها الإخوة كم أهملنا العمال وكم أهملنا الصناع الذي يعملون عندما ويشتغلون معنا؟ كم أهملناهم ونظرنا إليهم نظرة احتقار؟ لا يا عباد الله، خادمك، أجيرك، هذا الذي يقوم بخدمتك ويقوم بالصنعة معك، ارعه كما ترعى أبناءك، ووجهه إلى الإسلام كما توجه أبناءك، وربِّه على خدمة هذا الدين كما تربي أبناءك، بعد أن تربي نفسك. هيأه سيدنا الصديق رضي الله عنه ليكون في خدمة هذه الدعوة، عندما كان يسرح بأغنامه، يرد بالأغنام في النهار على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشربوا من اللبن وليعمي آثار أقدام سيدنا عبد الله وآثار أقدام السيدة أسماء التي كانت تذهب بالطعام وتجيء رضوان الله

تعالى عنها.

هذا ما قدمه الصديق لدعوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ألا يستحق التعظيم أيها الإخوة؟ الحمد لله أن الصديق ليس بحاجة إلى تخليد ذكره من أمثالنا، فنحن أحقر من أن نعظم الصديق رضي الله عنه، ولكن نحن نتشرف بذكر الصديق على ألسنتنا، لأن الذي خلد ذكره إنما هو ربه جل في علاه.

في طريق الهجرة كان الصديق يمشي تارة أمام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وتارة يمشي خلفه، فيقول له الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم: (ما هذا يا أبا بكر؟) قال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك لأكون الفداء، فإن تذكرت الطلب – أن يكون أحد يتابعنا – أكون خلفك لأكون الفداء. رواه الحاكم في المستدرك.

هذا هو الصديق رضي الله عنه، ماذا نقدم أيها الإخوة لإسلامنا، ماذا نقدم لديننا؟ هل نربي أبناءنا وبناتنا وأزواجنا على كتاب الله وعلى سنة سيدنا رسول الله؟ هل نجند كل ما نملك في سبيل جمع شمل هذه الأمة على كتاب الله وعلى سنة سيدنا رسول الله؟ لماذا أيها الإخوة يريد العدو منا أن يجعل الطائفية والمذهبية سبباً للاقتتال فيما بين بعضنا البعض، لماذا نكون أداة في يد هذا العدو الذي لا يميز بين هذا وبين ذاك، هو يبحث عن دنيا، فإذا كنا نحن نبحث عن دنيا وضعنا يدنا في يده فخسرنا الدنيا والآخرة، علّنا أيها الإخوة أن نصحو من غفلتنا، علّنا أيها الإخوة أن نقف موقف الإنسان المتدبر في قول الله عز وجل: {إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} معية خاصة متميزة متفردة ليست كمعية بقية الخلق لا ورب الكعبة، إنها معية خاصة من الله عز وجل لسيدنا رسول الله ولسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومن سار على قدمه أكرمه الله عز وجل بما أكرم به هؤلاء، بما أكرم به الصديق، ألم يقل لنا مولانا عز وجل بنص الآية الكريمة: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم} اتبع لتنال ما نالوا، وإياك من

الابتداع لأنك إن ابتدعت فاسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أقول سحقاً سحقاً) لأنه غير ولأنه بدل، والرجال هم الرجال الذين قال فيهم مولانا: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً} اللهم اجعلنا منهم يا رب، ولعلنا أن نتمم الموضوع في الأسبوع القادم إن أحيانا الله عز وجل، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

سيدنا أبو بكر على من يحزن؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: عندما سمع البعض قول الله جل وعلا: {إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} قال بعضهم: إن حزن الصديق ما كان على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما كان حزنه على نفسه، لأنه شعر بنفسه أنه تورط، ولأنه شعر بنفسه أنه جُعل في مأزق ضيق، فحزن الصديق رضي الله عنه بخروجه مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك عاب الله عز وجل عليه عندما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: لا تحزن، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا

كذباً! المشكلة أيها الإخوة ليست في الجاهل لأن الجاهل يتعلم، ولكن المشكلة في العنيد، لكن المشكلة فيمن يفسر القرآن على هواه، المشكلة فيمن يوظف القرآن على حسب ما يريد.

ولو كان هذا العبد يملك ذرة من عقل ما قال هذا، لأن الله عز وجل مدحه، ولأن الله عز وجل أثنى عليه بعد الحزن، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) [رواه البخاري ومسلم]، وقال مولانا عز وجل مثبتاً هذه القضية في قوله جل في علاه: {إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} لو كان حرص الصديق – وحاشاه من ذلك – على نفسه، فمعنى ذلك هو ممن كان حريصاً على الحياة الدنيا، ولو كان حريصاً على الحياة الدنيا كاليهود وأذنابهم من هؤلاء الذين يريدون أن يمزقوا كيان الأمة الإسلامية، لجاء ذمه في القرآن الكريم، كما قال مولانا في حق اليهود: {ولتجدنهم أحرص الناس على حياة} ذمهم ربنا عز وجل في القرآن العظيم لأنهم كانوا حريصين على الحياة الدنيا.

أما سيدنا أبو بكر رضي الله عنه فكان خوفه وحزنه على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان الجزاء من الله عز وجل أن يقول له النبي عليه الصلاة والسلام: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما) وقال مولانا عز وجل: {إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} لو كان الصديق حريصاً على نفسه لما كرِّم هذا التكريم بهذه المعية الخاصة، بل خاصة الخاصة، لأن الله عز وجل عندما ذكر المعية في القرآن ذكرها على ثلاثة صور: معية عامة مطلقة مع العبيد والعباد جميعاً فقال: {وهو معكم أينما كنتم} للمؤمن ولغير المؤمن، للطائع وللعاصي، للكافر وللمؤمن. ثم جعل معية خاصة وهي التأييد والمعونة من الله عندما جعلها بشرطين اثنين عندما يقول مولانا سبحانه وتعالى في حق هذا الذي يريد المعية: {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} أصحاب التقوى والإحسان لهم معية خاصة من ربنا. وأما معية خاصة الخاصة فهي التي كانت لسيدنا محمد وللصديق فقط عندما قال

لصاحبه: {لا تحزن إن الله معنا}

أيها الإخوة: كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. لو عرفوا من هو الصديق والله ما تجرؤوا على ذلك، لو سألتهم من هو أول المؤمنين إيماناً بعد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ لأطبقت الأمة بأجمعها وقالت: أول المؤمنين إيماناً من الرجال هو سيدنا أبو بكر، وأول من كان خطيباً في الدعوة إلى الله عز وجل بعد سيدنا رسول الله هو الصديق رضي الله عنه، وأول من أوذي في سبيل الله بعد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الصديق رضي الله عنه.

ولكن لا غرابة في ذلك أيها الإخوة، لأنه الحقد الذي يحلق الدين من القلب، ولأنها البغضاء التي تحلق الدين من القلب والعياذ بالله تبارك وتعالى، أصحاب هذه القلوب الخربة التي دب فيها الحقد والحسد على سلف هذه الأمة وعلى أصحاب سيدنا رسول الله عامة، وعلى الخلفاء الراشدين خاصة، هؤلاء عميت بصائرهم وعميت أبصارهم عن الحقيقة فقالوا زوراً وكذباً: الصديق كان خائفاً على نفسه.

أيها الإخوة: أسوق لكم مثلاً واحداً وهم يعرفون هذا كما يعرفون أبناءهم، موقفٌ للصديق رضي الله عنه ينبيك عن الصديق، ومن هو الصديق؟

وهل كان الصديق بفعل حريصاً على نفسه أم أنه كان حريصاً على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أم كان حريصاً على الإسلام، أم كان حريصاً على هذا الدين الحنيف؟ أيها الإخوة موقف من مواقف الصديق رضي الله عنه - وطبعاً أيها الإخوة لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه — هذا سيدنا علي رضي الله عنه وقف خطيباً وهو أمير للمؤمنين رضي الله عنه وسأل القوم رضي الله تعالى عنهم: من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، قال: أما وإني ما بارزني أحد إلا أنصفت منه، ولكن أشجع الناس أبو بكر، هذا كلام سيدنا علي رضي الله عنه.

وقال سيدنا علي رضي الله عنه في خطبته وهو يزكي الصديق رضي الله عنه

عندما كان أميراً للمؤمنين يسأل القوم: أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ أي الصديق رضي الله عنه، فسكت القوم ونظروا إلى أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه وقد اخضلت لحيته من دموعه. فقال أبو الحسنين رضي الله عنه: والله لساعة من حياة أبي بكر الصديق رضي الله عنه خير من ملء الدنيا من مؤمن آل فرعون، لم يا أبا الحسن؟ قال: لأن ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا يعلن إيمانه. رواه البزار.

نعم أيها الإخوة، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه، الصديق رضي الله عنه، تقول عنه سيدتنا وأمنا الطاهرة المطهرة المبرأة من فوق سبع سماوات، أمنا أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثمانين رجلاً، ألحّ الصديق على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالظهور، أن يظهر رسول الله ومن معه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إنا قليل) فألحّ الصديق على سيدنا رسول الله بالظهور، فظهر النبي عليه الصلاة والسلام، وتفرق أصحاب سيدنا رسول الله في المسجد كلٌّ مع عشيرته يحدث عن الإسلام، ووقف الصديق رضي الله عنه خطيباً، وهو أول خطيب دعا إلى الله عز وجل علانية، فعندما وقف خطيباً وصدع بكلمة الحق، ونطق بأفضل كلمة قالها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام والتي قالها الأنبياء من قبل: لا إله إلا الله، وأتبعها بقوله محمد رسول الله، قام إليه المشركون، وأخذوا يضربونه ضرباً موجعاً ومؤلماً، حتى طرحوه أرضاً، ووُطئ الصديقُ رضي الله عنه،

وجاء الفاسق عتبة بن ربيعة يضرب الصديق رضي الله عنه بنعلين مخصوفتين يحرفهما نحو وجهه، ونزا على بطنه، أي جلس فوق بطن الصديق، حتى ما عُرف وجهُه من أنفه رضي الله عنه، وعندما سمع بنو تيم أهل الصديق وعشيرته، جاؤوا مسرعين إلى المسجد، وفرقوا المشركين عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وحملوا الصديق رضي الله عنه إلى بيته، وهم لا يشكون في موت الصديق من شدة الضرب والإيذاء الذي كان لسيدنا أبي بكر من قبل هؤلاء المشركين، وعاد بنو تيم

إلى المسجد وخاطبوا المشركين قائلين: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بالصديق رضي الله عنه. ورجعوا إلى أبي بكر، وقام أبو قحافة – أبو سيدنا أبي بكر الصديق – يكلم الصديق رضي الله عنه، ولا يجيب الصديق، وقام بنو تيم يكلمونه ولا يتكلم الصديق رضي الله عنه، حتى تكلم آخر النهار، كأنه صحا من شدة هذا الضرب في آخر النهار، – أقول لهؤلاء الحاقدين، الذين امتلأت قلوبهم حقداً، أسأل الله أن ينزع الحقد من قلوبهم، وإلا فأرجو الله أن يعاملهم بعدله –، أول كلمة قالها عندما صحا الصديق رضي الله عنه: (ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم)!!.

يا سبحان الله قلب امتلأ بحب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قلب امتلأ عشقاً لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، والله عز وجل يقول: {واعلموا أن فيكم رسول الله} فكان رسول الله في قلبه، كان الحبيب الأعظم في قلب الصديق رضي الله عنه، والله عز وجل يقول: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}، بمجرد أن صحا الصديق قال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وانظروا إلى الأدب يا أهل الأدب، لم يقل: ما فُعل برسول الله؟ إنما قال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ عرف هذا الأدب من عرفه وجهله من جهله، فعندما قال: ما فعل رسول الله، فإذا ببني تيم أقربائه نالوا منه عندما سمعوا كلامه، وكأنهم ذموا الصديق: أنت في هذا الحال تذكر محمداً عليه الصلاة والسلام وما نالك ما نالك إلا منه؟ قال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانصرف القوم وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه شيئاً.

فلما خلت به وألحت عليه أن يأكل، أن يشرب، فماذا كان موقف الصديق رضي الله عنه، موقف الصديق يقول قبل الطعام والشراب: والله ما آكل شيئاً، ما فعل رسول الله؟ فقالت له أمه أم الخير: والله ما لي علم بصاحبك، فقال لها الصديق رضي الله عنه: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب وسليها عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم، فذهبت أم الخير إلى أم جميل ودخلت عليها وقالت: ما فعل رسول الله؟ فنظرت أم جميل إلى أم الخير وقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمداً، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك. فأذنت لها، فذهبت أم جميل بنت الخطاب رضي الله عنه، فلما رأت الصديق رضي الله عنه بهذا الحال، قالت: والله إن قوماً نالوا منك هذا لأهل فسق وكفر، وصرفت متألمة على الصديق رضي الله عنه.

فقال لها الصديق رضي الله عنه: ما فعل رسول الله؟ ما شأن رسول الله؟ قالت: إنني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت رضي الله تبارك وتعالى عنها: هذه أمك تسمع، وأنت تسألني عن رسول الله، قال: لا شيء عليك، ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: هو سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم بن أبي الأرقم، قال: فإن لله علي أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا هو الرجل أيها الإخوة الذي كان حزيناً على نفسه لا على رسول الله! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

فلما هدأت الرِّجل وسكن الناس أي في الليل، خرجتا وهو يتكئ عليهما، حتى وصل إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم، فأكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمه إلى صدره، وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة، وضمه إلى صدره رضي الله عنه، فقال له الصديق: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وانظروا إلى هذا المتألم وأمه بجانبه، ينظر الصديق إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك، فادعها إلى الله وادع الله لها أن يستنقذها بك من النار. بأي شيء قلب الصديق رضي الله عنه مشغول وهو في هذا الحال، قلبه مشغول برسول الله صلى الله عليه وسلم، قلبه مشغول في دلالة الناس على الله عز وجل. فدعا لها النبي عليه

الصلاة والسلام ودعاها إلى الإسلام فأسلمت. [أورده ابن عساكر في تاريخ دمشق].

هذا عطاء الصديق، هذا هو الصديق رضي الله عنه، يا عباد الله وإني أقول لنفسي ولكل واحد فينا: انظر إلى قلبك يا عبد الله، ماذا تجد في قلبك، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...) [رواه البخاري ومسلم] كالصديق رضي الله عنه جعل روحه وجعل دمه وجعل كل ما يملك رخيصاً في سبيل الإسلام، في سبيل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

الصديق رضي الله عنه من جملة المهاجرين، وعلى رأس المهاجرين بعد سيدنا رسول الله الذين قال فيهم مولانا عز وجل: {للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون} وأما ما عدا ذلك أيها الإخوة، إذا كان الإنسان يستغل دينه من أجل عرض من أعراض الدنيا، إذا كان يستغل تاريخه من أجل عرض من أعراض الدنيا، هؤلاء القوم ومن كان هذا وصفهم باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، وأذكركم وأذكرهم بقول الله عز وجل: {ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم} لأنه عند ربنا تجتمع الخصوم، فإذا ما اجتمعت الخصوم فسوف ينكس المجرم رأسه أمام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمام الصديق وأمام الفاروق وأمام سيدنا عثمان وأمام سيدنا علي، فما هم قائلون لله عز وجل؟

اللهم أيقظنا من غفلتنا، وألهمنا رشدنا، وشرفنا بخدمة دعوتنا. وفقنا يا رب لأن ندعو الأمة لجمع الشمل لا لتفريقه، وفقنا يا رب أن نبذل كل ما نملك في سبيل ديننا، ولا تجعلنا يا ربنا من الذين وظفوا دينهم من أجل عرض من الدنيا قليل، ولا تجعلنا من الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

علينا أن نرتبط بأسلافنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا أمة سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، يجب علينا أن نرتبط بأسلافنا، ويجب علينا أن نرتبط بأصحاب سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، وأن نتعرف عليهم، وخاصة على العشرة المبشرين بالجنة، وعلى الخلفاء الأربعة، وعلى رأسهم الصديق رضي الله عنه، لنتخذهم نجوماً نهتدي بهم في هذه الظلمات التي تمر على هذه البشرية، وعلى أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام خاصة، لنتخذ من سيرتهم منهجاً لحياتنا، وخاصة أننا نمر في مأزق خطير، نمر في حالة خطيرة تهدد الأمة، وتهدد البلد والعرض، تهددنا جميعاً، صغيرنا وكبيرنا. علينا أن نرجع إلى أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وننظر إلى هؤلاء الصحب الكرام كيف رباهم الإسلام في التعامل مع بعضهم البعض، وخاصة إذا جرى خطأ من واحد، هل يكون هذا الخطأ سبباً لتمزيق الكيان، وهل يكون سبباً للتدابر وللتنافر، ينبغي علينا أن نعتصم بحبل الله جميعاً، وأن نعلم أن الخطأ إذا صدر من المسلم فلا يعني هذا الخطأ أن نجعله عدواً لنا، أو أن نخرجه عن دائرة الإسلام.

النبي صلى الله عليه وسلم قال لنا: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) [رواه الترمذي وأحمد]. وقد حدثتكم في الأسبوع الماضي عن موقف واحد من مواقف الصديق رضي الله تعالى عنه، والذي نحن بأمس الحاجة إليه في زماننا هذا، وذلك عندما صدرت كلمة من الصديق لم يرضها لنفسه في حق واحد من إخوانه، وهو ربيعة الأسلمي، فقال: يا ربيعة، ردَّها عليَّ بمثلها حتى تكون قصاصاً. صدرت منه هذه الكلمة لضعف أيها الإخوة، والله الذي خلقنا من ضعف، ولكن إن

صدرت الكلمة فما ينبغي أن نجعلها تحت أقدامنا كأنها لم تكن، سنسأل عنها يوم القيامة، الذي يخطر في باله الحساب يوم القيامة، والوقوف بين يدي الله عز وجل يخاف الله عز وجل. فقال ربيعة: والله لا أفعل. يعلِّمنا كيف يعرف أهل الفضل الفضلَ لأهل الفضل، وجاء النبي عليه الصلاة والسلام ليوافق ربيعة على ما فعل، فقال: أجل، أي لا ترد عليه بمثلها، ولكن قل: يغفر الله لك يا أبا بكر. [رواه الحاكم في المستدرك].

نحن بحاجة إلى مجتمع متماسك، إن أسأت إليك أن تعفو عني، وإن أسأت إليك أن أبادرك أنا باختياري، قبل أن يرفع الأمر إلى قضاء، أو إلى إفتاء، أن أبادر وأقول لك: يا أخي اقتص مني في الحياة الدنيا قبل الآخرة، والطرف الآخر يتعلم هذا الخلق من أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فيقول: لا أفعل، فيسمو به النبي عليه الصلاة والسلام ويعلمه ويقول: قل له: يغفر الله لك يا أبا بكر.

إن أساء إليك مسيء لا تجعل قبلك حقوداً ولا حسوداً، قل: يغفر الله لك يا أخي.

الصديق في موقف آخر نحن بأمس الحاجة إليه. قريب له اسمه مسطح بن أثاثة، عندما حصلت الفتنة، وارتجت لها المدينة بحادثة الإفك، كان من جملة الذين تورطوا سيدنا مسطح رضي الله تعالى عنه، عندما تحدث بالإفك، وكان قريباً للصديق رضي الله عنه، وكان رجلاً فقيراً يصله الصديق بماله. فإذا بالصديق رضي الله تعالى عنه يقول لأنه بشر، ونحن لا ننظر إلى أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم معصومون، ننظر إليهم على أنهم يجري منهم الخطأ، ولكن كل على حسب مقامه، قد ينزل الواحد منهم من مرتبة معاملة الآخرين بالفضل، إلى معاملتهم بالعدل، ينزل هذه الدرجة، فإذا نزل من الفضل إلى العدل رآها نقصاً في حقه. أين نحن من هؤلاء الذين جعلهم الله أسوة حسنة لنا، {والسابقون

الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان} أين اتباعنا لهؤلاء الأصحاب الكرام، نزل أحدهم من منزلة المعاملة بالفضل إلى مرتبة المعاملة بالعدل، يراها كبيرة، لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، درجاتهم عالية، الصديق ما خرج عن طور البشرية، كان ينفق على مسطح بالفضل، فإذا به عندما سمع أنه يتكلم عن زوج سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، والصديق كان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه، لأن الله يقول: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لنا: (ابدأ بنفسك) [رواه مسلم] ولكن إذا اقتضى الأمر أنت أم رسول الله، فرسول الله مقدم على أنفسنا، رسول الله يقول: (ابدأ بنفسك) والله يقول: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}. الصديق يغضب ليس لكون عائشة بنته، إنما لكونها زوجاً لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإذا به ينزل إلى مرتبة المعاملة بالعدل، ويقول: والله لا أنفعه بنافعة أبداً.

هذه هي العقوبة القصوى، هذه هي الزلة الكبرى، نعم هي زلة في حق الصديق رضي الله عنه، ولكن قد نراها نحن أنها أقل ما يمكن أن أفعله في حق من أساء في عرضي وفي شرفي، ولكن الصديق من أهل الفضل.

ولكن عندما قال: والله لا أنفعه بنافعة أبداً، من الذي يربي الصحابة؟ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن هناك من أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من له المنزلة العالية عند الله، وعلى رأسهم الصديق.

الصديق أقسم ألا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً، ما ترك ربنا جل وعلا الأمر لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في معالجة هذا الأمر، إنما تدخل الله في القضية، وهو سبحانه الذي وجه الصديق توجيهاً خاصاً، وأفرده من سائر الصحب الكرام وعظمه أيما تعظيم، اسمعوا ماذا يقول مولانا، روحي الفداء لك يا سيدي يا أبا بكر، والله ما عرف قدرك إلا الله، قبل سيدنا رسول الله، وما عرف قدرك من البشر إلا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ومن التزم سنته من بعده إلى يوم

القيامة، ما عرف أحد فضل الصديق رضي الله عنه، والله لو قرأنا الآية التي يعاتب فيها مولانا الصديق رضي الله عنه، لعرفنا مكانته عند الله عز وجل، عندما يقول رضي الله عنه: والله لا أنفعه بنافعة أبداً. فنزل أمين وحي السماء على أمين وحي الأرض، بقول الله عز وجل: {ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربي والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم} أتريد أن تعرف مقام الصديق عند الله؟ اقرأ قول الله عز وجل: {ولا يأتل} أي لا يحلف {أولو الفضل} خاطبه الله عز وجل بواو الجماعة تعظيماً لشأنه، ما أفرد ذكره، وخاطبه معظماً له بقوله: {وليعفوا} تعريفاً للأمة بمنزلة الصديق عند الله عز وجل {وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم}.

أيها الإخوة: بمقدار الإيمان بمقدار امتثال أوامر الله، بمقدار عظمة الإيمان في قلبك، بمقدار ما تقول: سمعت وأطعت، بدون توقف وتردد، فعندما قال مولانا: { ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم} قال: والله أحب أن يغفر الله لي، فعاد بالنفقة على مسطح رضي الله تعالى عنه. [رواه البخاري ومسلم].

أيها الإخوة: حديث مسطح يتعلق بالعرض فغفر الصديق له وعادت إليه الصلة، العتاب نزل من الله للصديق رضي الله عنه، وهذه الزلة التي وقع فيها مسطح، وهي زلة عظيمة، فتنة ارتجت لها المدينة، ومع كل هذا، هذا مسطح رضي الله عنه ما أخرجته تلك الكلمة عن جادة الإسلام، وعن ذاك الشرف العظيم بأنه من المهاجرين الذين قال فيهم مولانا: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنهم} ومن جملتهم مسطح، فبزلَّته ما أخرجه ربنا عن شرف الهجرة، فقال في حقه رضي الله عنه: {أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين} ومن جملتهم مسطح.

أيها الإخوة: أي عظمة هذه؟ إسلامنا يعلمنا بأن زلة الإنسان لا تمحو له

حسناته، ويعلمنا أن الحسنة تمحو السيئات، ما بالنا إن زلت بي القدم فزلتي تمسح عندك جميع الحسنات، يا سبحان الله، ربنا ما يتعامل مع خلقه هكذا، فكيف نحن نتعامل مع بعضنا البعض هكذا، السيئة تمحو جميع الحسنات، وربنا يعلّمنا بأن السيئة لا تمحو الحسنات، علمنا الإسلام بأن الحسنات يذهبن السيئات، علمنا النبي عليه الصلاة والسلام: (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح] يا عباد الله، اقرؤوا قول الله عز وجل: {وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم} انظروا كيف يحنِّن ربنا عز وجل قلب سيدنا أبي بكر على مسطح، وانظروا إلى مقام الصديق عند الله، كأن الحق جل وعلا يقول: يا أبا بكر إن غفرتَ لمسطح غفرتُ له سيئته، وإن رددتها عليه رددتُها عليه، يحننا ربنا عز وجل على بعضنا البعض، {وليعفوا وليصفحوا}، فإذا لم يعف ولم يصفح فلا بد من القصاص إذاً، وربنا لا يريد منا هذا، ربنا يريد أن نتعامل فيما بين بعضنا البعض بالفضل لا بالعدل، والفضل أن تغفر، والعدل أن تأخذ حقك، ولذلك ما قبل ربيعة أن يعامل الصديق رضي الله عنه بالعدل، وإنما عامله بالفضل. هكذا تربى أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

فتنة نشبت في المدينة ارتجت لها المدينة، فإذا بالحق جل وعلا يريد جمع الشمل، في أيام الفتنة ألّا تنظر إلى سيئاتي وألّا أنظر إلى سيئاتك، أن تدفن سيئاتي وأن أدفن سيئاتك، وأن نكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ألا ترون يا عباد الله، ونحن في هذه الآونة، وعدونا يهددنا صباحاً ومساء بفتنة طائفية، هل من المعقول أن ندفن رؤوسنا في التراب ونتعامى عن عدونا، لننبش بعض الخلافات التي كانت سابقاً في أصحاب سيدنا رسول الله، لنجعل من أمة غفر الله عز وجل لها سابقاً، ووعدهم جميعاً بالجنة، فنأتي نحن لننبش الخلافات التي كانت بينهم، لنجعل من المغفور لهم سبباً للشقاق وللتمزق وللتدابر؟ هذا والله

شأن الإنسان الأحمق. أمة غُفر لها {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى} كلهم من أهل الجنة بشهادة الله، فهل آتي إلى تاريخ فأجعل منه مصدراً للشقاق، وكلنا عرف والغبي الذي يتجاهل، بأن عدونا يريد أن يجعل فتنة طائفية في بلادنا ليتمكن منا، هل يا ترى تأسينا بالصديق رضي الله تعالى عنه، وتأسينا بربنا جل وعلا الذي يحننا على بعضنا البعض فيقول: {ألا تحبون أن يغفر الله لكم} والشرط إذا وقع فلا بد من تحقيق الوعد، إذا حققتَ الشرط فالوعد لا بد أن يتحقق، الصديق غفر لمسطح أم لا؟ إذاً غفر الله للصديق، وهب أنه وقع في زلة، ولكن بشهادة الله وبوعده الذي لا يخلف يقول: {ألا تحبون أن يغفر الله لكم} قال: بلى يا رب أحب أن تغفر لي، فغفر لمسطح، إذاً تحقق الوعد من الله، والوعد من الله لا يخلف.

أيها الإخوة: أناشدكم الله، لنجعل مجتمعنا مجتمعاً متماسكاً، واحذروا أصحاب الفتنة، احذروا من يشوش عليكم، كل من ذكر لكم فتنة من الفتن ألجموه بلجام أن يسكت، لأن ذكر الفتنة والخلاف في زمن الفتنة يشعل ناراً، ونحن نريد أن نعيش في أمن وأمان، علينا أن نعتبر من العراق وفلسطين ولبنان وما يجري حولنا في عالمنا الإسلامي، هل نكون متيقظين؟ لا يكفر بعضنا بعضاً، إن وقعت قدمك في زلة يحرم علي أن أكفرك، ويحرم عليك أن تكفرني، لنتق الله في بعضنا البعض.

عباد الله، تذكروا قول الله عز وجل: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها} هل يا ترى بجمعنا هذا نكون كالجسد الواحد يشد بعضه بعضاً، إخوةً متحابين متآلفين، أسأل الله أن يكرمنا بذلك. اللهم لا تفرق جمعنا، ولا تشتت شملنا، ولا تجعل دائرة السوء علينا. اللهم

اجعلنا إخوة متآلفين متحابين، متناصحين متزاورين فيك يا رب العالمين، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

عقوق الوالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، إسلامنا عندما عرَّفنا على الواجبات التي علينا تجاه أبنائنا، عرفنا على ذلك من أجل مصلحتنا في الحياة الدنيا وفي الآخرة، عرفنا الإسلام على واجباتنا نحو أبنائنا ليكون الأبناء ذخراً لنا في الحياة الدنيا، وفي عالم البرزخ، وفي يوم القيامة، ولكننا أهملنا هذا الواجب وأعرضنا عنه أيَّما إعراض، فإذا ما وقع الأبناء في العقوق، تألم الآباء وعضوا على أياديهم من الندم لأنهم ما أحسنوا التربية، ولأنهم

ما أحسنوا القيام بالواجب الذي عليهم، والذي كلفهم به مولانا سبحانه وتعالى، وبالتالي نرى العقوق ينتشر في المجتمع وأيَّما انتشار، تجاوز الأبناء مراحل عدة في عقوقهم لآبائهم، حتى وصل الأمر في بعضهم إلى قتل أبيه من أجل عرض من أعراض الدنيا، من أجل أن يتعجَّل في الميراث، ارتكب هذه الجريمة النكراء، التي ما سمع بها إنسان عاقل إلا اقشعرَّ بدنه، وجاشت عواطفه غضباً وانتقاماً وحزناً من هذا الذي يقع في مجتمعنا.

طبعاً الولد الذي ارتكب جريمة القتل في حق أبيه ما جاء هكذا دفعة واحدة، إنما تعدى حدود الله عز وجل شيئاً فشيئاً، بدأ بالعقوق من المرحلة الأولى، وبدأ ينتقل من مرحلة إلى مرحلة، ومن حالة إلى حالة، حتى وصل إلى أسوأ حالة وإلى أسوأ ختام في العقوق الذي سيؤدي به لا قدر الله إلى سوء خاتمته عند سكرات الموت.

أيها الإخوة: لعلنا أن نتنبه نحن الأبناء، قد يقول أحدكم وخاصة أرى أكثركم شباباً: لِمَ لَمْ تحدثنا عن عقوق الآباء، عن واجبات الآباء نحو الأبناء، أقول لهذا الشاب الذي يقول هذا القول، والذي يعترض هذا الاعتراض: يا أخي لا تعص الله فيمن عصى الله فيك، إن كان أبوك أو أمك وقعا في العقوق وفي ترك الواجب الذي عليهما، فلا تقابل المثل بالمثل، إنما انظر إلى ما كلفك الله عز وجل به، ألا تريد سلامة الدنيا والآخرة أيها الولد، الجواب نعم، أقول لك يا أخي إذا وقع أبواك في معصية الله، فلم يعرفا الواجب الذي عليهما نحو أبنائهم، فعليك أن تكون باراً أنت بوالديك امتثالاً لأمر الله عز وجل.

أيها الولد: ربُّنا عز وجل حرم علينا العقوق نحو الآباء في أدنى كلمة، وحذرك أن تصدر منك تلك الكلمة، فقال ربنا عز وجل: {ولا تقل لهما أف} أبوك يأمرك وأمك تأمرك، وينهاك أبوك وتنهاك أمك، فلا تقل لهما أف، لأنك إذا وقعت في العقوق بكلمة أف، ربما أن تنتقل إلى عقوق من الدرجة الثانية، عندما

تتأفف من أبويك من خلال مراقبتهما لك في سلوكك، وانظروا إلى الأبناء، ولعلك أن تنظر في نفسك، تأففت أولاً، فإذا بك تضجر وتتضايق عندما ترى أبويك يتابعانك في سيرك وفي سلوكك، يتابعانك في لقائك مع أصحابك، وفي حلك وترحالك، يتابعانك بأقوالك وأفعالك، إن وقعت في العقوق بكلمة أفّ، فإنك تنتقل إلى التأفف من مراقبتهما لك في سلوكك، فإن وقعت في ذلك فإذا بك تتأفف من نصحهما لك لأنك انشغلت بنفسك عن أبويك، فإذا ما وقعت في هذا العقوق وانشغلت بنفسك عنهما، وانصرفت عن إعانتهما، وقعت في عقوق من نوع آخر، فانصرفت عنهما بالكلية، ولم تلتفت إلى النفقة عليهما انشغالاً بنفسك وزوجك وأولادك عنهما، فإذا بك تقع في العقوق شيئاً فشيئاً، فإذا بك تغلظ القول لهما، فإذا وقعت في غلاظة القول ربما أن تنتقل إلى مرحلة ثانية، ألا وهي السب والشتم لهما. وكم سمعتُ من أبناء يشتمون آباءهم وأمهاتهم بدون استحياء من الله عز وجل.

أيها الإخوة: تنبهوا إلى أنفسكم، {ولا تقل لهما أف} كيف وصلت إلى درجة في غلاظة القول، ثم بعد ذلك في السب والشتم إن كان سراً أو علانية، مواجهة أو في غيابهما؟ إن وقعت في السب والشتم وصلت إلى مرحلة في العقوق يخشى عليك أن تنتقل إلى مرحلة ما بعدها مرحلة، وهي أسوأ المراحل، أن ترتكب جريمة القتل في حقهما، وهذا أسوأ العقوق الذي يدفع صاحبه والعياذ بالله تبارك وتعالى إلى سوء الخاتمة.

أيها الإخوة: لعلكم أن تتفكروا، ما من واحد منا إلا وله أبوان، بأي شيء تقابل إحسان والديك؟ المروءة التي عرفناها أن الولد يقابل الإحسان بالإحسان، ولا يقابل الإحسان بالإساءة، هذه من المروءة والرجولة، ومن كمال الأدب والأخلاق، أين المروءة في مجتمعنا بين الأبناء والآباء؟ يا ترى هل يفكر أحدنا فيما عاناه الأبوان عندما كان جنيناً في بطن أمه، وعندما ولد فكان طفلاً رضيعاً؟ هل

فكر أحدنا فيما عاناه الوالدان حتى أصبح رجلاً؟ هل فكرت في المعاناة التي مرت عليها أمك وأبوك حتى طر شاربك، وأصبحت رجلاً بين الرجال؟ هل من المروءة أن تنسى إحسانهما وعطفهما، وأن تنسى الشفقة والرحمة التي كانت تنبع من قلبيهما؟ كل واحد منهما يريد لك طول العمر، والسلامة والكرامة والعفة والطهارة، ويريد لك أن يشار إليك بالبنان، هل قابلت هذا الإحسان بإحسان؟ أم أنك قابلت تلك الشفقة والرحمة بالإساءة، فتمنى الولد موت أبيه وأمه، بل ما تمنى فقط موتهما إنما تعجل لتسوء خاتمته في سوء خاتمة العقوق بارتكاب جريمة القتل في حق والديه والعياذ بالله تبارك وتعالى.

أيها الأبناء: لا ينظر أحدكم إلى مسألة المادة والإنفاق عليه عندما كان جنيناً إلى أن أصبح رجلاً، ولكن لينظر إلى الشفقة والرحمة والعاطفة التي كانت تشع من قلبيهما نحوه، يسهران الليل من أجله، وفي ساعة غضب منهما عليه إذا سمعا عنه أمراً سيئاً ذرفت الدموع من أعينهما حزناً عليه، ويتمنى كل واحد منهما إن كانت له دعوة مستجابة عند الله أن يحمل الله من أعمارهما ويضع ذلك في عمره، ألا يفعل الآباء والأمهات هذا أيها الإخوة، كيف نقابل هذا الإحسان؟ أين المروءة؟ أين هؤلاء الذين يعرفون الآداب والقيم والأخلاق.

أيها الإخوة: من خلال هذا ربُّنا عز وجل وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم علمانا بأن العقوق من أكبر الكبائر. اقرأ قول الله عز وجل: {وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم * ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير} التوصية من الله بالوالدين بعد أن حذر لقمان ولده من مسألة الشرك. ما قيد الوصية بالوالدين، إن كانا مسلمين مؤمنين طائعين، إنما أطلقها {ووصينا الإنسان بوالديه} ولو كانا كافرين، ولو كانا عاقين، ولو كانا فاسقين، ولو كانا فاجرين، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما يروي الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه

عندما حدثنا عن أكبر الكبائر، فقال صلى الله عليه وسلم: (أكبر الكبائر: الشرك بالله وعقوق الوالدين) [رواه البخاري ومسلم] وانظر كيف قرن بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة: قد يبرر أحدنا العقوق لوالديه بسبب المتابعة، أو بسبب الشدة من الآباء والأمهات على الأبناء، لعلكم تسمعون أيها الأبناء، كم وكم سمعنا من شباب كان آباؤهم وأمهاتهم يشدون عليهم وربما يغلظون القول، وربما أن تكون القسوة ظاهرة، فإذا بالولد عندما تقدم به العمر انكشفت له حكمة الأبوين من شدتهما عليه، فإذا بالولد يقول: رحمة الله عليهما عندما كانا شديدين علينا، عرف بعد ذلك الحكمة من تلك الشدة، لقول الشاعر:

فقسا ليزدجروا، ومن يك راحماً فليقس أحياناً على من يرحم

ولذلك لو عرفت الحكمة لالتزمت الأدب، وهب جدلاً بأن أبويك ظالمان، وعندهما الظلم والتعدي، إحسانهما لك منذ أن كنت جنيناً إلى أن أصبحت رجلاً ألا يشفع لهما عندك، فتقابل الإحسان الماضي بإحسان، تقابل إحسانهما لك عندما كنت ضعيفاً، بإحسان عندما صارا ضعيفين، ألا يكون هذا بهذا، كنت ضعيفاً وكانا قويين، كيف كان سيرهما معك؟ الآن أنت أصبحت قوياً وهما الضعفاء، ألا تقابل هذا بهذا، وتتقي الله سبحانه وتعالى.

لذلك أيها الإخوة: كونوا على ثقة بأن الجزاء من جنس العمل، يا من يقع في عقوق الأبوين، وطِّن نفسك لسماع قول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كما يروي ذلك الحاكم والطبراني، (بروا آباءكم تبركم أبناؤكم) [رواه الطبراني والحاكم] وطِّن نفسك يا أيها الولد العاق في يوم من الأيام أن يكون الانتقام في الدنيا قبل الآخرة، أن ترى ولدك أنت عاقاً لك، الله أوصاك بقوله عز وجل: {ووصينا الإنسان بوالديه} بدون قيد وبدون شرط، فلا تعص الله فيهما وإن عصيا الله فيك.

لذلك يا أخي المسلم، يا أيها الابن، ويا أيها البنت، تذكروا قول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كما يروي الإمام البخاري عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه: جاء رجل إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وقال له: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟

انظروا أيها الإخوة إلى الأبناء كم يحسنون الصحبة مع أصدقائهم ورفاقهم، الأصدقاء والرفقاء كبيرهم وصغيرهم قاصيهم ودانيهم يشهد لهذا الولد بحسن الصحبة، ولكنك إن سألت أمه وأباه عن حسن الصحبة، جاء الجواب على العكس من ذلك تماماً فيقول لك الأب وتقول لك الأم: بئس الولد هذا. ليعمل العاق ما شاء فلن يدخل الجنة، ليشهد لك الجميع بحسن أخلاقك وبحسن صحبتك لن تنفعك يوم القيامة. الصادق المصدوق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يسأله الرجل: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك.

اسمعوا أيها العاقون لأمهاتهم بسبب نسائهم، اسمعوا أيها العاقون لأمهاتهم بسبب لعاعة الدنيا، بسبب دريهمات وقع في العقوق وأساء الصحبة مع والديه، اسمع أيها العاق الذي لا يبالي بكلام أمه ولا بكلام أبيه من أجل شهوة عاجلة في الدنيا، (من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك) [رواه البخاري ومسلم]. هل عرفت هذا أيها الشاب؟ أحقُّ الناس بحسن صحابتك أمك التي حملتك وأرضعت وعطفت عليك وسهرت الليل من أجلك، لأن الذي لا يعرف حسن الصحبة مع من حمله ورباه، فلا خير في حسن صحبته مع الآخرين، لأن حسن صحبته مع الآخرين معلولة، له غرض من تلك الصحبة، هو بحاجة إلى مال أو عمل أو جليس يجالسه من أجل اللعب بالورق، ومن أجل تقضية الوقت في القيل والقال، فيحسن الصحبة من أجل مصلحته الذاتية، ولو كان محسناً الصحبة مع الآخرين من خلال قول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (اتق الله حيثما كنت وأتبع

السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) [رواه الترمذي] لو كان حسن صحبته مع الآخرين امتثالاً لأمر سيدنا رسول الله (وخالق الناس بخلق حسن) لكان أولى الناس بالخلق الحسن أبواه.

لذلك روى الترمذي عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، يقول صلى الله عليه وسلم: (رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد) [رواه الترمذي والحاكم وابن حبان]. كيف تستطيع أن تنام بملء جفونك وأبوك في حالة سخط عليك؟ أو أمك في حالة سخط عليك؟ كيف تستطيع أن تضحك بملء فيك مع أصحابك وخلانك وأبوك وأمك يشكوانك إلى الله عز وجل، تذكر أيها الابن قول الله عز وجل: {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله} إذا شكت المرأة أمرها إلى الله عز وجل في حق زوجها سمع الله لشكايتها، فكيف إذا شكت الأم وشكى الأب أمرك إلى الله عز وجل، هل عندك المقدرة على سخط الله عز وجل عليك؟ ولذلك روى الإمام البخاري عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) [رواه البخاري ومسلم]. يا أيها العاق ماذا ستقول لربك عز وجل غداً يوم القيامة؟

لذلك روى الإمام أحمد عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات، منها قال له: (لا تشرك بالله شيئاً وإن قُتلت وحُرِّقت، ولا تعقّنَّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك).

أيها الأبناء: نصيحة لوجه الله عز وجل، ازرعوا لأنفسكم، واعلموا بأن الآمر هو الله، وطالما أن الآمر هو الله فاعلم أن الآمر رقيب عليك، ما أمرك وتركك، إنما أمرك وقال لك بعد ذلك: {إن الله كان عليكم رقيباً}. لذلك لا يسعني أن أنصح الأبناء بكلمة أبلغ من كلمات القرآن الكريم، إذ يقول مولانا عز وجل: {وقضى

ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً * إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً}.

أيها الأبناء: ألا ترون أبناء يطبقون هذه الآية، الجواب نعم، نرى الكثير والكثير، فلم أنت عاق، ولم هو بار بوالديه؟ هل هو عاقل وأنت غير عاقل، إذا قلت نعم، أذكرك بقول الله عز وجل: {وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير}.

أيها الأبناء: عليكم ببر الآباء والأمهات وإن ظلما، وإن ظلما، وإن ظلما، لأن المؤمن لا يعصي الله فيمن عصى الله فيه، اللهم اجعلنا بررة بآبائنا وأمهاتنا، في حال حياتهما وبعد موتهما، وارحمهما كما ربَّياني صغيراً، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

عيد الأم لمن؟؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنه من العادات الوافدة إلينا من الغرب عادةٌ سماها الناس: عيد الأم، وإنني أرى الكثير من المسلمين من صار عنده الاهتمام بيوم عيد الأم، وخاصة من التجار، الذين بدؤوا قبل الواحد والعشرين من هذا الشهر الشمسي يجعلون دعايات كأنهم يُذكِّرون الأمة بعيد الأم، شفقة منهم ورحمة، ولكن هذه الشفقة والرحمة هل هي نابعة من أجل أن يكون الأبناء بررة بأمهاتهم، أم إن هذه الشفقة والرحمة على تجارتهم، وعلى الأموال التي يكسبونها من وراء ذلك؟ أكثر التجار لا يفرِّقون بين الفساد والصلاح، إن جاء عيد الحب الذي وفد إلينا من الغرب كذلك من أجل الفساد، رأيت التجار المسلمين يتسابقون في ذلك، وإن جاء عيد الميلاد للنصارى رأيت المسلمين يتسابقون في ذلك، وجاء عيد الأم رأيت المسلمين يتسابقون في ترويج بضائعهم تحت عنوان: عيد الأم، وكأنهم يُذكِّرون الأمة بارتباط الأبناء مع الأمهات.

أيها الإخوة: نحن كلنا مع احترام الأم، ومع تقديرها، ولكن احترامها وتقديرها في ديننا ليس يوماً واحداً في العام كله، إنما هو بكل نفس من أنفاس أعمارنا، مهما كانت الأم طائعة أم عاصية، وفية أم غير وفية، مستقيمة أم غير مستقيمة، محسنة أم غير محسنة، فالمسلم يتذكر قول الله عز وجل: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً} وربنا عز وجل يقول: {ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير}.

احترامنا للأم وتقديسنا لها من صلب ديننا، وليس يوماً من الأيام في العام كله

يتعرف الولد على أمه بهدية رمزية إن كان لها ثمن وإن لم يكن لها ثمن كبير. لا أيها الإخوة، هذا العيد ليس لأبناء المسلمين، عيد الأم ليس لأتباع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، عيد الأم لأم غربية طعنت في سنها، وتقدم بها العمر، فإذا بها فقدت الزوج والأب والولد، وصارت مسكينة يتيمة لا يرعاها إلا كوخها الصغير أو دور العجزة هناك، وصار الوفي لها الوحيد الذي لا يعرف الغدر كلبُها، في حلها وفي ترحالها تصحب كلبها، أين أبوها وأخوها وزوجها وأين ولدها الذي حملته في بطنها فكان بطنها له وعاء، وثديها له سقاء، وحجرها له وطاء؟ لا تعرف شيئاً عن ولدها، فجعلوا يوماً في العام لهؤلاء الأبناء الذي قطَّعوا أواصر الصلة بينهم وبين أمهاتهم، أن يتذكر هذا الولد أن له أماً حملته في يوم من الأيام وربته.

هذا هو عيد الأم، لهؤلاء الأمهات، عيد الأم لمن فقدت الوفي لها فلم تجد إلا الكلب، أما نحن يا أمة الإسلام، يا أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فبمن نتشبه، (من كثَّر سواد قوم كان معهم) [رواه أبو يعلى والديلمي عن ابن مسعود]. نحن أمة يُقتدى بها ولا تقتدي بأمة من الأمم. نحن أمة أكرمنا الله عز وجل بتشريع، وببركة هذا التشريع قال لنا مولانا عز وجل: {كنتم خير أمة أخرجت للناس} نحن أمة قدوة للشرق وللغرب، بالقيم والأخلاق والسلوك والوفاء، الغرب لا يعرف القيم، ولا يعرف الأخلاق، ولا يعرف الوفاء، والواقع يصدق هذا، لمنْ نقلد؟

إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا *** إن التشبه بالكرام فلاح

بمن نتشبه؟ بمن لا يعرف أمه إلا في العام يوماً واحداً، نحن أسوتنا وقدوتنا سيد الخلق، وحبيب الحق، صلى الله عليه وسلم، القائل: (آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة) [رواه الترمذي وأحمد]، قدوتنا المعصوم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي أنقذ الأمة من الضلال إلى الهدى، وأخرجها من الظلام إلى النور، الذي كرَّم الأمهات أيَّما تكريم، عندما جاءه رجل وقال: يا رسول الله من أحق

الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك [رواه البخاري ومسلم].

قدوتنا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي ضرب أروع الأمثلة في الوفاء للنساء عامة، وللأمهات خاصة، وللزوجات كذلك، فكان صلى الله عليه وسلم وفياً لأمه بعد موتها، عندما كان يمر على قبرها. وكان وفياً لنسائه وخاصة للسيدة خديجة رضي الله تعالى عنها.

أسوتنا وقدوتنا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وليس هؤلاء الأسوة والقدوة لنا، لأن الأبناء في الغرب لا يعرفون آباءهم، ولأن أكثرهم أبناء زنى وأبناء حرام، لأن الرجل يتعرف على المرأة وتنجب ولداً أولاً وثانياً وثالثاً، وبعد ذلك إذا ارتأيا أن يجريا عقد زواج بين بعضهما البعض أجريا هذا العقد. هؤلاء الذين لا يعرفون أواصر المودة والمحبة، نحن لسنا كذلك، ولسنا بأغبياء أن يستغلنا التجار بدعاياتهم أن نكون بررة بأمهاتنا، من أجل أن يأخذوا أموالنا.

أقول لك أيها المسلم: أتقلد هذا الرجل الأجنبي الغربي الذي لا يعرف أمه إلا في العام مرة واحدة؟ نحن أمة بكل نفس من أنفاسنا نرعى أمهاتنا، وخاصة أيام الشيخوخة والضعف الثاني، لأن الله عز وجل يقول: {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة}. نحن أمة نعمل في حاضرنا مع التفاتنا إلى ماضينا، ونأمل لمستقبلنا أن نعيش مكرمين.
المسلم يربط نفسه بالأزمنة الثلاثة، الماضي والحاضر والمستقبل، ينظر إلى ماضيه فيجد أباه وأمه ويجد الحق جل وعلا يقول لهذا الولد ليغتنم من حاضره، ليحترم ماضيه، فيقول له: {فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً}.

أين أمه؟ في دار العجزة والمسنين، عندما يكتب البعض دور الرحمة، عوضاً من أن يكتبوا دور الرحمة ليكتبوا عليها دور عقوق الأمهات والآباء، أن تذهب إلى

تلك الدار لترى الأم والأب ملقى في هذه الدار، التي أسماها الناس دار الشفقة والرحمة، لا أيها الإخوة، هي دار العقوق، الله عز وجل يقول لنا بنص القرآن الكريم: {إما يبلغن عندك} هل انتبهت إلى كلمة عندك؟ وأسمع زوجتك هذا، {إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف} لماذا؟ انظر إلى الماضي، وتطلع إلى المستقبل، لأن الذي جرى على أبيك سيجري عليك، الشيخوخة ستأتيك، والضعف والعجز سيأتيانك، قل هذا لزوجتك التي تصر على ألا تكون أمك في بيتها، لأنها تتدخل، قل لها: يا زوجاه، ربما أن تكوني في يوم من الأيام هذه الأم التي لا يتفقدها ولدها، ألم تسمعوا أيها الإخوة قول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (بروا آباءكم تبركم أبناؤكم) [رواه الطبراني والحاكم].

المسلم يعمل في الحاضر وهو مرتبط بالماضي، من أجل أن يزرع لمستقبله، لأن غيبنا ما أطلعنا الله عز وجل عليه، ألم يقل مولانا جل وعلا في كتابه العظيم: {وما كان الله ليطلعكم على الغيب} أتدري ما هو غيبك؟ أتدري ما هو مستقبلك؟ أتدري هل في المستقبل سيبقى مالك أو قوتك أو عافيتك؟ هل عمرك طويل أم قصير؟ {وما كان الله ليطلعكم على الغيب} ماذا أعمل يا رب؟ ماذا أعمل يا رسول الله؟ (اغتنم خمساً قبل خمس) [رواه الحاكم] اغتنم فترة الشباب، وفترة حياتك، اغتنم فترة وجود أبويك، والحسرة على من مات أبوه وماتت أمه وهما غاضبان عليه، و(رضى الله في رضى الوالد، وسخط الله في سخط الوالد) [رواه الترمذي والحاكم وابن حبان] وكذلك الوالدة،

العاقل هو الذي يغتنم اللحظة التي هو فيها، أبوك وأمك على قيد الحياة ولا تتعرف عليهما إلا من العام إلى العام؟ وأنت الذي تقدم هدية لأمك في الواحد والعشرين من آذار؟ نعم، لم؟ أنا بار بأمي، وهل أكلتَ ميراثها بعد وفاة أبيك؟ نعم، ما أعطيتُها حقها من الميراث. وأنت العاق لأمك طوال السنة تقول لها أف وتنهرها وتعبس في وجهها، ويكفهر وجهك، لأنها بدأت تتكلم، كثر كلامها، وربما

مع خفة في عقلها، لأنه كما قال مولانا: {ومنكم من يرد إلى أرذل العمر} فإذا رُدت إلى أرذل العمر، ربما أن تتكلم بغير وعي، وتتدخل في الشاردة والواردة، والله يحذرك {فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً} ربما أن تقع في العقوق وينتهي أجلها بعد ساعة.

حدثني بعضهم والله، أنه كان من أشد الناس عقوقاً لأمه ولأبيه، وفي يوم من الأيام دخل على أبيه بعد التأفف والنَّهْر قام بضرب أبيه، وبعد أن ضرب أباه وتفل عليه ذهب إلى بيته لينام مع زوجته، مع صاحبته بيته، لأن السيدة صاحبة البيت هكذا تريد، لا تريد الأم ولا الأب، وما هي إلا سويعات حتى اتصل به إخوته وقالوا له: أعظم الله أجرك لقد مات أبوك، وجاء الولد مسرعاً يبكي وقال لي: لقد قضيت الليلة كلها في فراشه وأنا بجانبه أبكي، هل يتوب الله عز وجل علي؟

هيهات هيهات يا أيها المسكين. إياك أن تقول كلمة أف، لأنه بعد كلمة أف قد ينتهي أجلها، وإذا انتهى أجلها والإيمان في قلبك ماذا ستفعل في داخلك عندما يتمزق فؤادك لأن أمك ماتت وهي ساخطة عليك.

أيها الإخوة: نحن لسنا بحاجة إلى الواحد والعشرين من آذار لنتعرف على أمنا، نحن في كل نفس من أنفاسنا نكون بررة بأمهاتنا وبآبائنا، لأن أمَّنا كلما تقدم بها العمر كانت هي البركة في بيتنا، كانت هي الرحمة في بيتنا، لأننا نُرحم بالآباء وبالأمهات، وورد بأن الأم إذا ماتت نادى مناد للولد: ماتت التي كنا نكرمك من أجلها، فاعمل صالحاً نكرمك من أجله.

الغرب لا يعرف هذا، أنحاكي الغرب ونقلده، فأفٍّ على أمة وعلى شباب لا يعرفون أمهاتهم إلا في الواحد والعشرين من هذا الشهر، نحن أمة آباؤنا وأمهاتنا إذا تقدم بهم العمر نحن في خدمة نعالهم، بررة بهم، مهما كان حالهم لأننا نفوض أمرنا وأمرهم إلى الله {إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون}.

أيها الإخوة: المسلم هو الإنسان العاقل، الذي يعمل في حاضره بعد أن نظر إلى ماضيه، نظر إلى أمه وإلى أبيه، فاستغل اللحظة التي هو فيها، لأن اللحظة التي هو فيها هو في فترة القوة، تجاوز مرحلة الضعف الأول {الله الذي خلقكم من ضعف} من رعاك في ضعفك الأول؟ أمك وأبوك. أنت الآن في مرحلة القوة، وأمك وأبوك دخلا في مرحلة الضعف في المرة الثانية، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، ولذلك سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول: (ما أكرم شاب شيخاً – وهو الذي تقدم به العمر فصار عجوزاً – لسنِّه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه) [رواه الترمذي].

أيها الأبناء: أناشدكم الله كونوا بررة بآبائكم وأمهاتكم، هذا ديننا.

أيها الشاب، اغتنم الحاضر وأنت تنظر إلى الماضي، لتتفاءل في المستقبل، وإلا فوطِّنْ نفسك لمستقبل مظلم لا قدر الله عندما لا تجد حولك ولداً يرعاك، أو بنتاً ترعاك، وربما أن تلقى في دور الشفقة والرحمة، في دور العجزة، ومن الذي يرعاك في دور العجزة؟ إن كان ولدك لا يرعاك فهذا الذي يتقاضى أجراً شهرياً ضعيفاً أتتوقع أنه يرعاك؟ لا ورب الكعبة، لا يرعاك إلا صاحب الإيمان، فأدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وآل بيته، وتلاوة القرآن.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا بررة بآبائنا، وأمهاتنا، وأن يجعل أبناءنا وبناتنا بررة بنا، وأن يجعلنا جميعاً بررة بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

أخلاقنا في ميزان الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، في كل عام إذا هل شهر الربيع ابتهجت الأمة وفرحت وسُرَّت بذكرى ميلاد سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام. كلما هلَّ شهر الربيع زاد الحب والعشق لسيدنا محمد عليه وآله الصلاة و السلام في قلوب أتباعه وأحبابه. كلما هلَّ شهر الربيع رأيت الأمة تتذكر قول الله عز وجل: {وذَكِّرهم بأيام الله}، ومن أعظم أيام الله عز وجل يوم ميلاد النبي الأعظم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، لأنه بولادته ولدت الإنسانية، وولدت مكارم الأخلاق وتُمِّمت، وبمولده صلى الله عليه وسلم انتقلت الأمة من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمة إلى النور. ولكن على كل واحد منا أن يفتش قلبه، وينظر ماذا استقر فيه، هل حب الله عز وجل وحب النبي صلى الله عليه وسلم متمكِّن في قلبك؟ وإذا تمكن الحب من قلبك ضحيت بكل شيء في سبيل هذا المحبوب الذي تمكَّن حبه من قلبك.

أصحاب سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام أحبوا النبي عليه الصلاة والسلام، وعشقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكونوا أدعياء في محبتهم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما كانت قلوبهم متوجهة إلى سيدنا رسول الله، وعندما كان القلب هو السلطان على جوارح الإنسان كلها رأيت صاحب القلب المتوجه إلى النبي عليه الصلاة والسلام جوارحه متوجهة نحو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وحُقَّ لهم هذا، لأنهم أحبوا وصدقوا في محبتهم، حُقَّ للواحد منهم، ومن جملتهم سيدنا ثوبان رضي الله تعالى عنه، جاء يوماً إلى النبي عليه الصلاة والسلام وهو يبكي وقد تغير شكله وتغير حاله، يسأله النبي عليه الصلاة

والسلام: ما يبكيك يا ثوبان؟ قال: يا رسول الله ، والله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من أهلي ومالي، وأحب إلي من ولدي،

وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً، حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية : {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً} فدعا به النبي عليه الصلاة والسلام: فقرأ الآية عليه. رواه الطبراني.

ولكن أيها الإخوة ما ينبغي أن يخادع أحدنا نفسه، لأنني إن استطعت أن أخدع الناس جميعاً لا يمكن أن أخدع نفسي، هل يا ترى قلوبنا امتلأت حباً بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، هل يا ترى قلوبنا توجهت نحو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وخاصة في هذا الزمن، الذي كثر فيه الأحباب والأصدقاء والخلان في الظاهر، كثر الناس من حولك، ولكن إذا حقت الحقيقة لا ترى واحداً بجانبك، لأن الناس يخدع بعضهم بعضاً، بربك قل لي: كم من إنسان صدمت به وفوجئت، كم من إنسان خدعك وغشك، كم من إنسان استطاع أن يدلس عليك لغرض من الأغراض، وما هي إلا لحظة وإذا بهذا الإنسان انقلب عدواً لدوداً، وينطبق عليه قول الله عز وجل: {ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام}.

في هذا الزمان القلوب مجروحة من تعامل الناس مع بعضهم البعض، هل بوسعنا ونحن نتجرع كأس المرارة من تعاملنا مع بعضنا البعض أن نتوجه إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وأن نصدق في محبتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه حُقَّ لكل عين رأيت، ولكل أذن سمعت عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعشق سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام.

انظروا إلى جمال خلقه، يقول سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه: (ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه) كما روى ذلك الإمام أحمد والترمذي. ربنا عز وجل قال: {لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم} فكيف بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ما رأت عين ولن ترى قط أجمل من سيدنا رسول الله، ولم تسمع أذن بأجمل من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خَلْقاً وكذلك خُلُقاً. حُقَّ لعين رأيت ولأذن سمعت عن أخلاق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أن تعشق هذا الحبيب الأعظم عليه الصلاة والسلام. ألم يقل فيه مولانا جل في علاه: {وإنك لعلى خلق عظيم}، ألم تقل أمنا السيدة عائشة الطاهرة المبرأة من فوق سبع سماوات في حق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه) رواه مسلم وأبو داود. وأبان النبي صلى الله عليه وسلم المهمة التي خلق وأوجد من أجلها فقال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). رواه البيهقي.

لماذا ونحن في هذا الزمن نتقلب في أعياد موهومة، في عيد الحب، في عيد المعلم، في عيد الأم، وما شاكل ذلك، وكله كذب في كذب، وكله افتراء في افتراء، وما الدعايات التي يبثها الناس إلا دعايات كاذبة، الغرض منها المادة والمال، عندما ترى رجلاً يدعو لترويج سلعته ومحله فيقول: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: الجنة تحت أقدام الأمهات، ثم يجعل بجانب الحديث صورة امرأة سافرة، هذا الرجل ما صلته بالإسلام؟ ما صلته بالنبي عليه الصلاة والسلام؟ هؤلاء يخادعوننا، يضحكون على لحى الذين لا عقول عندهم، يستغلون أحاديث سيدنا رسول الله، هؤلاء من أجل عرض من أعراض الدنيا يفعلون هذا، هلا توجهنا بقلوبنا إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي يقول: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

نحن بأمس الحاجة إلى أخلاقه لتكون المودة قائمة بيننا، وخاصة إلى مادة الصدق التي فقدناها، وإذا أردت أن تعرف مادة الصدق أين هي في موقعنا، انظر

إلى صدق الزوجين مع بعضهما البعض، وإلى صدق الأبناء مع الآباء والأمهات، والإخوة مع الأخوات، وإلى صدق الناس مع بعضهم البعض، بربكم أيها الإخوة أتشمون رائحة الصدق في مجتمعنا، نعم نخادع ونكذب ونحلف الأيمان الكاذبة لأننا نريد غرضاً نصل إليه ألا وهو الدنيا.

أما النبي عليه الصلاة والسلام، فلو قرأت سيرته لعرفت بأنه الصادق الأمين، بأنه صلى الله عليه وسلم ما جُرب عليه الكذب قط، بربك قل لي لمن تحب؟ أتحب رجلاً كذاباً؟ أتحب رجلاً منافقاً؟ أتحب رجلاً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل؟ أبشر أنت مع من أحببت. انظر إلى حبك، لمن هو ولاؤك، لمن هو حبك في قلبك، انظر إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي قال عنه قومه: الصادق الأمين، الذي قالوا عنه: ما جربنا عليك كذباً قط.

انظر إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عندما قدم المدينة، كما يروي ذلك الترمذي عن سيدنا عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه، وكنت ممن انجفل إليه، أي أسرع نحوه، فلما نظرته واستبنته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. إنه الصادق الأمين، ما عُرف عنه الكذب، لا قبل الرسالة ولا بعدها، حاشاه من ذلك.

أما نحن فيخادع بعضنا البعض بالكذب، وخاصة ها هي الأيام قد أقبلت علينا من أجل الانتخابات لمجلس النيابة، انظر واسمع واقرأ الدعايات والشعارات الفارغة الكاذبة إلا من رحم ربي، عندما يدعو أحدهم وهو يريد أن يرشح نفسه، فإذا به يأذن لسانه أن يجري الكذب عليه كيفما يشاء، يا هذا اتق الله، الأمة ملدوعة وملدوغة، الأمة تتطلع إلى رجل صادق، الأمة تتطلع إلى رجل يكون همزة الوصل بينها وبين الحكام حتى يبلغوهم حاجة الأمة، اتق الله يا هذا، وإنني أقول أيها الإخوة: إذا أقبلت الأيام فابحثوا عن الرجل الصادق، الذي ما يعرف الكذب، الذي يتخلق بأخلاق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، والرجل الذي عشق

سيدنا محمداً، فرأيت سلوكه مطابقاً لقوله من حيث الأدب والأخلاق والصدق، ومن حيث الأمانة.

حُقَّ لعين رأت ولأذن سمعت سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام أن تعشق هذا الحبيب الأعظم، لأنه ما عرف إلا الأمانة، مع أن قومه حاربوه صلى الله عليه وسلم، وعادوه وآذوه، ولكن الذي قال له: {ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى} رأيت النبي عليه الصلاة والسلام الأمين الوفي حتى مع أعدائه، عندما هاجر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ترك في فراشه سيدنا علياً رضي الله عنه، وإن سألتكم جميعاً: لم ترك النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا علياً في فراشه؟ لأجبتم: تركه ليرد الأمانات إلى أهلها، قومه يحاربونه، ولا يجعلون أماناتهم إلا عند رسول الله،

لأنهم عرفوه بأنه الصادق الأمين، ولا يخون وإن خانته الأمة، ولا يغدر وإن غدرت به الأمة، وأنا أقول لكم أيها الإخوة ونحن ندعي محبة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: أين الأمانة التي استأمننا الناس عليها، وعلى سبيل المثال: أنا استأمنتك أن تكون ممثلاً لي ولشريحة من المجتمع في مجلس النيابة، هل أنت محافظ على هذه الأمانة ترعاني ليلاً ونهاراً، أم أنك ضيعت هذه الأمانة، فإذا ما أتيتك قدمت لي الاعتذارات، لماذا لا تقدم الاعتذارات من البداية، وتعتذر أن ترشح نفسك لهذا المكان لأنك لست بأهل له؟.

أين الأمانة في مجتمعنا أيها الإخوة، الأمانة فقدناها إلا من رحم ربي، يزوج الرجل ابنته، فإذا بالزوج يخون عمه في ابنته فلا يكون وفياً لهذه الزوجة، تؤمِّن إنساناً على مال فتراه خائناً لا ترى منه أمانة في المال ولا في التعامل ولا في مصاهرة.

أيها الإخوة: أي مجتمع هذا؟ نعم إذا أحببنا النبي سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام علينا أن نتخلق بأخلاقه، فنحن في شهر ربيع الأنور، كلما هلَّ رأيتنا يذكر

بعضنا بعضاً بوجوب محبة النبي عليه الصلاة والسلام، لأنه في الحقيقة لا يستحق الحب من البشر في هذه الآونة إلا سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام، جُرحنا من القاصي والداني، ومن القريب والبعيد، كم وكم جُرحنا؟ والجريمة جريمتنا، ولكن عندما تتوجه قلوبنا إلى محبة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام نُحقق لأنفسنا السعادة، فلذلك لا غرابة عندما يخاطبنا ربنا عز وجل في القرآن الكريم بقوله: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين}. والحب ليس باللسان، الحب إنما هو في الجنان، وإذا أحب القلب انصاعت الجوارح لأوامر هذا القلب.

انظر إلينا عندما أحببنا الدنيا والله الذي لا إله غيره رأيت أسماعنا وأبصارنا وأيدينا وأرجلنا تركض خلف الدنيا، لأن قلوبنا أحبت الدنيا، وإن لم تصرح بأنك محب للدنيا، فلو سألتكم من الذي يحب الدنيا؟ ربما لا يرفع أحد يده، ولكن انظر إلى جوارحك من سمع وبصر ويد ورجل فإنك منساق خلفها، أنت المحب لها ولو لم تصرح. وإذا قلت: أيكم يحب سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام، والله إني واثق أن واحداً لن يتخلف إلا ويرفع يده ويقول: أنا المحب لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. أين أنت في صلاة الفجر في جماعة؟ بعيد. أين أنت من تلاوة القرآن؟ بعيد.

أين أنت من أخلاق سيدنا رسول الله؟ بعيد، أي حب هذا؟ تقول: قلبي يحب رسول الله، ولكن جوارحي مصروفة عن محبة سيدنا رسول الله، لا العين ترى ولا الأذن تسمع ولا الرجل تمشي ولا اليد تمد لمعانقة النبي عليه الصلاة والسلام، أي حب هذا لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

على سبيل المثال: انظروا إلى محبتنا لسيدنا رسول الله في ساعة المولد، إن صح التعبير في حفل زفاف يقولون: مولد للنبي عليه الصلاة والسلام، تدخل إلى هذا

المولد، واسمحوا لي أن أقول أيها الإخوة: كأن الناس مجانين، هذا الذي يصفق، وهذا الذي يرقص، وهذا الذي يدخِّن، وهذا الذي يتحدث، وتقول للناس: هؤلاء يحبون سيدنا محمداً، أي حب هذا؟ أنضحك على أنفسنا، المحب بمجرد أن تذكره بالمحبوب، تراه كما رأيت أصحاب سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام: إن تكلم كأن على رؤوسهم الطير، لا يتحركون، كلهم آذان لما يقول، ولما يُقال، ولكل حرف ينطق به النبي عليه الصلاة والسلام.

أيها الإخوة: لا نشك بأنه في كل شريحة من شرائح المجتمع هناك من يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب الصادق، فهل أنت واحد من هؤلاء؟ هل أنت ممن قال فيهم النبي عليه الصلاة والسلام: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) رواه مسلم. اللهم اجعلنا من الصادقين في محبتنا لسيدنا رسول الله، اللهم خلِّقنا بأخلاقه وأدبنا بآدابه. ورحمة الله على من قال:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه *** هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته *** إن المحب لمن يحب مطيع

اللهم اجعلنا من أهل طاعتك، ومن أهل طاعة سيدنا رسول الله. أقول هذا القول، وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

خطبة جامع الروضة بحلب إن اللّه أوحى إليّ أن تواضعوا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: ما زالت أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام تعيش في ذكرى ميلاد الحبيب الأعظم صلوات ربي وسلامه عليه، ولعلنا أن نتساءل فيما بيننا وبين أنفسنا: كم مرةً مرتْ عليك ذكرى مولد النبي عليه الصلاة والسلام؟ فإذا أحصيت هذه الأعوام العديدة التي مرت عليك بذكرى ولادة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، تساءل فيما بينك وبين نفسك: ما الذي غيرت من منهج حياتك؟ وهل تأسيت بمن قال فيه مولانا عز وجل مخاطباً لنا: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً}.

يا من يطمع بالثواب من الله، ويا من يطمع بجنة الله، ويا أيها الذاكر لله، هل تأسيت برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل تخلقت بأخلاقه؟ هل تأدبت بآدابه؟ هل سرت على شرعه وسنته وما بدلت تبديلاً؟ لينطبق عليك قول الله عز وجل: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً}، لأن الذي يبدل ويغير إذا جاء يوم القيامة ووقف هذا العبد في أرض المحشر ونادى وقال: يا رسول الله الشفاعة. فيقول النبي عليه الصلاة والسلام: (يا رب أمتي أمتي، فيقال له: إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً) [رواه البخاري ومسلم].

هل غيرت وبدلت بعدما أن أُخذ العهد عليك؟ {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى} هل غيَّرنا

وبدَّلنا أم نحن على العهد وعلى البيعة التي بايعنا عليها سيد الوجود سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام؟.

{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً * ليجزي الله الصادقين بصدقهم} وماذا أعد الله للصادقين بصدقهم؟ جنات تجري من تحتها الأنهار، جنات فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

تعالوا أيها الإخوة لنضع أنفسنا في الميزان، في ميزان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، جميعاً بدون استثناء، من حاكم إلى محكوم، ومن مسؤول إلى موظف، ومن تاجر إلى صانع، ومن طالب علم إلى متعلم، على كلّ المستويات، لنضع أنفسنا في الميزان، ولنتدارك أنفسنا إذا كنا مقصرين، ولنحمد الله عز وجل إذا كنا موفقين لاتباع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

أيها الإخوة: أنا أريدك أن تسمع لا سماع تقليد، لأن الكلام الذي أقوله إنما يكون حجة لي أو عليَّ لا قدر الله، وأنت أيها السامع، اعلم بأن الكلام الذي تسمعه إما أن يكون حجة لك أو حجة عليك لا قدر الله. لأننا ما أتينا عادة، نحن أتينا امتثالاً لأمر الله: {إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله} فإن سمعنا ذكر الله، إما أن نقول: سمعنا وأطعنا، وإما أن يقول الواحد: سمعنا وعصينا. وأرجو الله أن نكون ممن قالوا: سمعنا وأطعنا.

على سبيل المثال، النبي عليه الصلاة والسلام قال: (إن الله أوحى إليك أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد) [رواه مسلم]. هكذا أمرنا النبي عليه الصلاة والسلام، وهكذا اختار سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أن يكون عبداً نبياً، لا ملكاً نبياً.

اسمع يا أخي ما يرويه الإمام الطبراني، كان النبي عليه الصلاة والسلام جالساً على جبل الصفا مع سيدنا جبريل، أمينُ وحي السماء مع أمين وحي السماء في

الأرض. فنظر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، - وأريدك أن تسمع لا قدر الله إذا كنت مرابياً، يا أيها المرابي، يا أيها الرجل الذي يأكل الرشوة ويطفف الكيل والميزان، ويأكل أموال الناس بالباطل، زاعماً أنه بحاجة، أنه فقير، اسمع يا أيها الإنسان المؤمن ماذا يقول سيد الخلق وحبيب الحق، قال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (يا جبريل، والله ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق) حفنة من دقيق لم تبق في بيت رسول الله، ولا كف من سويق.

بمجرد أن أتم رسول الله الكلمة، فإذا بسيدنا رسول الله يسمع صوتاً عظيماً مفزعاً، هدة عظيمة، فنظر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وقال: (يا أخي يا جبريل، هل قامت الساعة)؟ قال: لا يا محمد، ولكن الله أرسل إليك إسرافيل عليه السلام، فإذا بسيدنا إسرافيل بين يدي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فقال له: يا محمد، إن الله قد سمع مقالتك، وأرسلني إليك بمفاتيح خزائن الأرض - بطريق مشروع أم غير مشروع؟ بطريق مشروع، ابنَ آدم عندك ما يكفيك وتطمع بالذي يطغيك، لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع - وأن أعرض أن أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة، وأن تكون ملكاً نبياً أو عبداً نبياً) ما الذي تختاره يا محمد؟ ما الذي اختار؟ الذي يفكر في الوقوف بين يدي الله عز وجل يفكر بتخفيف الحمل عنه، يفكر بقلة الأعباء عليه، وخاصة في مسألة المال، (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه) [رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح]. وفي هذه الأيام تنفق الأموال في أي شيء؟ في التنافس على تحمل المسؤولية، انظروا في شوارعنا، التنافس على تحمل المسؤولية التي قال فيها مولانا: {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً}.

هل تنفق هذه الأموال في سبيل التقرب إلى الله؟ في سبيل خدمة دين الله؟ أم

إن الأموال تنفق من أجل المصلحة الذاتية، ومصلحة من يلوذ بنا؟

ليست في مصلحة الإسلام، وليست في مصلحة دين الله عز وجل، وليست في مصلحة خدمة الأمة، الناس يتنافسون على الازدياد من الدنيا، الذي يفكر في الوقوف بين يدي الله يفرُّ من المسؤولية، لأنه سيسأل بين يدي الله يوم القيامة، فهل تعلم يا من رشحت نفسك لمجلس النيابة أنك ستسأل عن هذه الرعية التي ستمثلها بين يدي الله عز وجل، وأُذكِّرك بكلام سيدنا عمر، وما أدراك من عمر؟ عمر الفاروق الذي قال: والله لو زلت قدم شاة على شط النيل لخشيت أن يسألني ربي عنها يوم القيامة، لِمَ لَمْ تعبد لها الطريق يا عمر.

يا أرباب المسؤولية، يا من يتنافسون على المسؤولية، هل تتوقعون أنكم ستسألون يوم القيامة أم لا؟ إذا كنت تتوقع أنك ستسأل يوم القيامة فاقترب لتتحمل المسؤولية بين يدي الله عز وجل.

سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، عندما خيره سيدنا إسرافيل قال عليه الصلاة والسلام: (بل عبداً نبياً)، وفي رواية: (أجوع يوماً فأصبر، وأشبع يوماً فأشكر) حتى ينتهي هذا الأجل.

انظر إلى تواضع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد). بربكم قولوا لي أيها الإخوة: كيف ترون هذا المجتمع؟ أيتواضع الكبير للصغير؟ أيتواضع الغني للفقير؟ أيتواضع طالب العلم للمتعلم؟ أيتواضع صاحب الإشارة في المجتمع إلى الذي انغمس في المجتمع؟ أم أنك ترى هذا المجتمع يتنافس في الكبر والاستعلاء؟ هذا يستعلي بماله، وذاك يستعلي بعلمه، وذاك يستعلي بكرسيه، وذاك يستعلي بعرض من أعراض الدنيا، ولو فكر هذا العبد لحظة لذاب حياء من الله عندما يفكر في الاستعلاء على خلق الله، ولم يتأس برسول الله صلى الله عليه وسلم في تواضعه.

سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع. أي تاجر وأي عالم وأي مسؤول وأي كبير وأي شخصية في الدنيا تستطيع أن تصل إلى غبار نعل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟

أيها المستكبر، أيها الشامخ الذي لا يرام، نحن من طينة عليك السلام.

فكِّر أيها المستكبر بأي شيء تستكبر؟ انظر إلى سيد الوجود سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع، عندما قصد السقاية، مكان شرب الماء للناس جميعاً، إن صح التعبير كماء السبيل الذي يوضع في المساجد أو الطرقات، فقال صلى الله عليه وسلم: (اسقوني. فقالوا: إن هذا يخوضه الناس، ولكنا نأتيك به من البيت)، نأتيك من البيت بماء، بماء خاص، بكوب خاص، لسيد الخلق، أفلا يستحق ذلك أيها الإخوة؟ جعل الله أرواحنا فداء لك يا سيدي يا رسول الله، أين نحن من شريعتك؟ أين نحن من هديك؟ أين نحن من أخلاقك؟.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (لا حاجة لي فيه، اسقوني مما يشرب منه الناس) [رواه البخاري ومسلم وأحمد] من الذي اجتمع عليه الناس، تواضعٌ ما رأت عين مثله أبداً.

النبي عليه الصلاة والسلام بعد صلاة الضحى، جلس مع بعض أصحابه يأكلون الطعام، فكثر الناس، فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي جلس على ركبتيه، فدخل أعرابي وقال: ما هذه الجلسة؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (إن الله قد جعلني عبداً كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً) [رواه أبو داود] وفي رواية قال له النبي عليه الصلاة والسلام: (إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد) [رواه البيهقي].

أيها التاجر، أيها الطبيب، أيها المسؤول، أيها الغني، أيها الصانع، يا صاحب المال الذي يشار إليه بالبنان، هل تأكل كما يأكل العبد، وتجلس كما يجلس العبد، ولا تتميز بين إخوانك وأقرانك؟ والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (إن الله يكره

من عبده أن يراه متميزاً على أصحابه) [رواه ابن عساكر]. ما كان رسول الله يتميز بين أصحابه، هذه سيرة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

روى الطبراني عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ دخل رجل على ناقته المسجد، فأناخ ناقته وعقلها، ونظر في الصحب الكرام وقال: أيكم محمد؟ صلى الله وسلم عليك يا سيدي يا رسول الله. ما كان يتميز بين أصحابه، وما كان يتعالى حاشاه صلى الله عليه وسلم، لأن ربنا عز وجل قال له: {واخفض جناحك للمؤمنين}، وقال في الصورة المعاكسة: {إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين}. وقال في حق المستكبر، ولعلك أن تسمع لا قدر الله إن كان في قلبك مثقال حبة من خردل من كبر، اسمع ماذا يفعل الكبر والاستعلاء: {سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق} سوف يحال بينك وبين الهداية، فلذلك ترى المستكبرين لا يدخلون بيوت الله إلا قليلاً، ترى المستكبرين دائماً وأبداً يستعلون على خلق الله ويتطاولون عليهم، ونسي هؤلاء قول الله عز وجل: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} ما قال أغناكم، وما قال أعلمكم، وما قال مسؤوليكم، وما قال تجاركم، إنما قال: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (التقوى هاهنا) وأشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى صدره الشريف [رواه مسلم].

تلمس التقوى في قلبك، فإذا حلت التقوى في القلب نشطت للعبادة الأعضاء، وتخلقت بأخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

دخل الأعرابي وقال: أيكم محمد؟ يقول سيدنا أنس رضي الله عنه: فقلنا: ذاك الرجل الأبيض المتكئ صلى الله عليه وسلم. نظر إليه وأراد أن يخاطبه، ولكن الأعرابي ما تعلم الأدب بعد، كيف يخاطب الإنسان رسول الله؟ {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً}.

نظر الأعرابي وقال له: ابنَ عبد المطلب، تصور بأن لك مكانة ومنزلة، وخاطبك رجل بهذا الخطاب، ألا يتمعر وجهك، ألا تنتفخ أوداجك، ألا يشتد غضبك، لأنه ما أعطاك لقباً، لأنه ما أعطاك حقك في مكانك، لأنك تبحث عن المكانة في قلوب الناس، ولا تبحث عن مكانتك عند الله، الذي يبحث عن مكانته عند الله لا يلتفت إلى هذه الألقاب. فقال الأعرابي: ابنَ عبد المطلب، قال: لبيك يا أخا العرب. فقال الأعرابي: إني سائلك ومشدد عليك في الأسئلة، فلا تجد في نفسك عليَّ شيئاً.

هل عندك هذا الاستعداد؟ عندما يأتي أعرابي ويأخذ بتلابيب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ويقول له: يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله لا من مالك ولا من مال أبيك، فقال صلى الله عليه وسلم: (لا وأستغفر الله) [رواه أبو داود] رسول الله ما ادعى أن المال ماله. لو جاءك إنسان يا من رشحت نفسك لمجلس النيابة، وأنت تنفق الآلاف المؤلفة بل الملايين، وأخذ بتلابيبك وهو فقير وقال لك: اتق الله، أعطني مئة ألف ليرة من أجل إجراء عملية، أعطني مبلغاً من أجل إيواء يتامى، من أجل مشروع خيري، أتستجيب وتعطي المال في سبيل مرضاة الله عز وجل؟

قال هذا الأعرابي: إني سائلك ومشدد عليك في الأسئلة، فلا تجد في نفسك عليَّ شيئاً. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (سل ما بدا لك). قال له الأعرابي: نشدتك بربك ورب من قبلك آالله أرسلك إلى الناس كلهم؟ [رواه ابن ماجه] يستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله الذي قالت عنه قريش: ما جربنا عليك كذباً [رواه البخاري ومسلم]. لو قال لك رجل: أتقسم يميناً على هذا الكلام، كيف يكون موقفك؟ وأنت التاجر وأنت الطبيب وأنت المعلم وأنت طالب العلم، لو قال لك: أتقسم يميناً على ذلك، تقوم القائمة ولا تقعد، لأنك كما تتوقع كأنه غمزك.

تواضعوا عباد الله، هذا هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، نحتفل بذكرى مولد سيدنا رسول الله، ننتقل من مسجد إلى مسجد، ومن بيت إلى بيت، في هذا الشهر العظيم المبارك، احتفالاً بذكرى مولد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، والكبر موجود عندنا، وقطيعة الرحم قائمة بيننا.

دخل رجل إلى بيت رجل في دعوة إلى مولد، وهذا الرجل يعرف صاحب البيت أنه بينه وبين إخوته قطيعة، وهذا الرجل جمع الناس، فنظر هذا المدعو يبحث في أوجه الحاضرين أين إخوة صاحب هذا البيت؟ فلم يجدهم، فهمس في أذنه وقال له: أين إخوتك؟ فغضب الرجل وانتفض انتفاضة وقال له: أرجوك ألا تعكر عليَّ صفوي، أنا أفرح بمولد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، قال له: وأيُّ فرح وأنت قاطع للرحم؟ أما تقرأ قول الله عز وجل: {فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم}.

تفرح بذكرى مولد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ورسول الله يقول لك: (صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك) [رواه أحمد والبيهقي]. أين أنت من اتباعك لسيدنا رسول الله، المحب متبع، ولذلك أيها المحب لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، تأس برسول الله، تخلق بأخلاق رسول الله، إياك ثم إياك أن تمشي مشية المستكبرين،

وإياك ثم إياك أن تجلس جلسة المستكبرين، وإياك ثم إياك أن تتعالى على خلق الله، لأنك عندما تتعالى فإنك تتعالى بنعمة من الله، وهي ليست أصيلة فيك، هي عارضة، هي عارية مستردة، بأي شيء تستكبر؟ لذلك مر العبد الصالح على بعض وزراء الحجاج، وكان يمشي مشية الإنسان المستكبر، فقال هذا العبد الصالح: إنها مشية يبغضها الله.

أتأمر بالمعروف؟ أتنهى عن المنكر؟ لا أجترئ! طالما أننا ما اجترأنا على الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، جُرِّدنا من الخيرية التي أكرمنا الله تعالى بها، {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر} فإذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر فالخيرية لنا، وإن تجردنا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جُرِّدنا عن تلك الخيرية، ولا أدري أيها الإخوة هل هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس.

هذا الرجل نظر إلى هذا الوزير الذي يستعلي، فقال له: إنها مشية يبغضها الله. فانتفض ذاك الرجل وقال له: أتدري من أنا؟ قال: نعم. قال: من أنا؟ – ولعلك أن تسمع الجواب – نظر إليه العبد الصالح، وأرجو الله أن يُكثر الصالحين في المجتمع، وأرجو الله أن يُكثر الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وأرجو الله أن يكثر من يقول كلمة الحق ولا تأخذه في الله لومة لائم.

قال العبد الصالح: أعرفك من أنت؟ قال: من أنا؟ قال: أوَّلك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بينهما تحمل العذرة. ماذا تحمل في أمعائك؟ ويقول سيدنا علي رضي الله عنه: عجبت لمن يتكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين.

عباد الله: أنصح نفسي وأنصحكم أن تأخذوا وأن آخذ معكم، بوصية سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا). والتواضع ليس بالكلام، التواضعُ بالفعل، نعم نحن الآن نتواضع بالكلام، ونتشدق بالكلام تشدقاً، فإن سألت واحداً: ما اسمك؟ يقول لك: الفقير فلان. وإذا أراد أن يقول كلمة أنا يقول: أنا أعوذ بالله من كلمة أنا، تجمُّل بالكلام، وربما أن يزيد البعض فيقول لك: أفقر الورى وأحقر من ترى، على أساس أنه متواضع، فإن همست في أذنه كلمة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، لرأيته أفعى له سم قاتل.

التواضع ليس بالكلام، التواضع أن تنظر إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كيف كان مع أهل بيته؟ كيف كان مع أصحابه؟ كيف كان مع الناس؟ كيف كان يعامل جميع شرائح المجتمع؟ وهو سيد الخلق وحبيب الحق، وهو القائل

عن ذاته الشريفة: (آدم ومن دونه تحت لوائي) [رواه أحمد]. انظر إلى سيدنا محمد وتأس به صلى الله عليه وسلم، لا تتأس بزيد ولا بعمرو، لأن الله جل وعلا يقول: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً}.

أرجو الله أن يكون هذا الكلام حجة لا علينا يوم القيامة، وأقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

نرفع رؤوسنا عالياً فخراً وعزاً بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: في أيام ذكرى مولد سيد الوجود سيدنا محمد، عليه وآله الصلاة والسلام، بوسعنا أن نخاطب هذا الحبيب الأعظم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم فنقول: يا سيدي يا رسول الله، طبت حياً، نبياً، رسولاً، عابداً، زاهداً، متواضعاً، مقبلاً على الله عز وجل.

سيدي يا رسول الله، طبت ميتاً، وقد حرم الله عز وجل على الأرض أن تأكل هذا الجسد الطاهر الشريف المبارك.

سيدي يا رسول الله، طبت في روضتك الشريفة، وأسأل الله أن يرزقنا أن نصلي فيها ركعتين.

سيدي يا رسول الله، طبت في روضتك الشريفة، حيث وكل الله عز وجل على قبرك ملائكة تبلغك سلام من يسلم عليك من أمتك، فالصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله يوم ولدت، ويوم خرجت من الدنيا، والصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله وأنت في قبرك الشريف، والصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله عندما تنشق الأرض عنك، والصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله عندما تبعث يوم القيامة ولواء الحمد بيدك، والصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله في الأولين وفي الآخرين، جعل الله عز وجل أرواحنا فداء لك يا سيدي يا رسول الله.

فيا جيرة الشعب اليماني بحقكم *** صلوا أو مروا طيف الخيال يزور

بعدتم ولم يبعد عن القلب حبكم *** وغبتم وأنتم في الفؤاد حضور

وضحوة عيدي يوم أضحي بقربكم *** علي من اللطف الخفي ستور

سيدي يا رسول الله، أنت محمد، وأنت أحمد، وأنت الماحي الذي محا الله بك الكفر، وأنت العاقب فلا نبي بعدك، وأنت نبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملاحم، فالصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله، عندما قلت: (من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله) [رواه مسلم]. أرجو الله عز وجل أن نكون منهم.

سيدي يا رسول الله، من حقنا أن نفتخر، وأن نرفع رؤوسنا عالياً بك، أنت الوحيد في هذا الوجود فلا مثيل لك، لا من قبلك ولا من بعدك، فأنت بشر ولست كالبشر، بل أنت ياقوتة والناس كالحجر.

سيدي يا رسول الله، بك نتحدى العالم أجمع.

سيدي يا رسول الله، في كل زمان ومكان، وإلى قيام الساعة نقول بملء أفواهنا: هذا هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أسوتنا وقدوتنا ونبينا وشفيعنا، فهل عند الإنسانية مثل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يتبعونه، وربنا الذي قال لنا: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً}.

سيدي يا رسول الله، أين ما أتى به الجميع، من لدن سيدنا آدم إلى قيام الساعة، بجانب ما أنزل الله عز وجل عليك من القرآن العظيم، أروني أيها الإخوة، وقولوا للعالم أجمع: أرونا من الذي جاء بمثل ما جاء به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، جاءنا بهذا القرآن العظيم الذي ابتدأ نزوله بقوله سبحانه وتعالى: {اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم}. بداية النزول هكذا، وختام النزول بقول الله عز وجل: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً}.

سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي قال فيه مولانا عز وجل: {وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً} سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كما يروي سيدنا عمر الفاروق – الذي فرق الله عز وجل به بين الحق والباطل، ببركة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

يقول الفاروق رضي الله عنه: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرنا عن بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظ، ونسيه من نسيه، كما روى ذلك الإمام البخاري. فسبحان من علمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيماً.

فيا سيدي يا رسول الله، أين مقام الجميع من مقامك؟ وأنت الذي استجاب

الكون كله لك، وما تمرد على أوامرك إلا المردة من شياطين الإنس والجن، وأما ما عدا ذلك فالكل ممتثل لأمرك، أنت يا سيدي يا رسول الله، الذي أشرت إلى القمر فانفلق فرقتين، كما روى ذلك الإمام البخاري، حيث يقول: انشق القمر على عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة على الجبل وفرقة دونه، ثم قال صلى الله عليه وسلم: فاشهدوا.

اشهدوا بأن الكون مستجيب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما بالنا وحالنا إذا كان الجماد والشجر يستجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأقبل أعرابي فلما دنا منه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أين تريد؟) قال: إلى أهلي. قال: (هل لك إلى خير)؟ قال: ما هو؟ قال: (تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله). قال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال: قال صلى الله عليه وسلم: (هذه السمرة). فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخد الأرض خداً حتى كانت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها. ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال: إن يتبعوني أتيتك بهم، وإلا رجعت إليك فكنت معك. [رواه ابن حبان والدارمي ورجاله رجال الصحيح].

فما حالنا أيها الإخوة، وربنا عز وجل يقول لنا – ونحن العقلاء: {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}. نحن بملء أفواهنا نقول للبشرية جمعاء: أرونا محبوباً في الكون كله كسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.
سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الحبيب المحبوب، الذي حنَّ إليه الجذع عندما فارقه النبي عليه الصلاة والسلام، وذلك عندما صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر وفارق الجذع، وإذا بالجذع يخور كخوار الثور حتى ارتج المسجد بخواره، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم واحتضن الجذع، فسكن، ثم قال صلى الله عليه

وسلم: (والذي نفسي بيده، لو لم ألتزمه ما زال هكذا حتى تقوم الساعة) [رواه ابن خزيمة، وأصله في البخاري]. الجماد عشق النبي صلى الله عليه وسلم، فما بال بعض القلوب معرضة عن سيدنا محمد عليه الصلاة و السلام.

أيها الإخوة: أين من يتحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأين من يقف في وجه النور الذي جاء به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، والله عز وجل يقول: {والله متم نوره}. نور رسول الله سوف يتم ويعم أرجاء المعمورة، ودينه صلى الله عليه وسلم فوق جميع التشريعات الوضعية والمنزلة من عند الله عز وجل، وتشريعه محفوظ إلى يوم الدين، {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}. أين الذي يتحدى سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام وربنا القائل في حق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {والله يعصمك من الناس}.

سيد من سادات قريش، الطغاة الحاقدين على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، نقول لمن جاء من بعدهم وكانوا تلامذة لهؤلاء الطغاة الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم {والله متم نوره ولو كره المشركون}. هذا الطاغية أبو جهل يقول: لئن رأيته – أي رسول الله صلى الله عليه وسلم – يصلي لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه بالتراب، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً بجوار الكعبة، تفضل أيها المتحدي. من جملة ما أنزل الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: {الله ولي الذين آمنوا}، {ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم}.

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكفئ على عقبيه، رجع مسرعاً ولم يستطع أن يقترب من سيدنا محمد، ثم قال صلى الله عليه وسلم، كما روى الإمام مسلم: (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً).

هذا هو نبينا وحبيبنا وشفيعنا صلى الله عليه وسلم، فأين نحن يا أمة الإسلام

من سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ نعم أيها الإخوة، ستحتفل الدنيا، إن شاء من شاء، وإن أبى من أبى، بذكرى مولد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن هذا الاحتفال الذي سيكون اعتباراً من الغد وما بعده في الدنيا، هل يا ترى المطلوب منا أن نجعل حفل مولد لسيدنا رسول الله صلى الله وسلم، وأن نقدم الطعام والحلوى، ومسلكنا غير مسلك سيدنا رسول الله، هذا لا يليق أيها الإخوة.

لنترجم عن حبنا لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من خلال سلوكنا، وأخلاقنا، وأفعالنا، وألا تكون لقاءاتنا وألا يكون اجتماعنا حجة علينا لا لنا يوم القيامة. علينا أن يكون هذا الحبيب المحبوب صلى الله عليه وسلم شافعاً لنا، من خلال تأسينا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلت لكم مرة: رجل بذكرى مولد النبي عليه الصلاة والسلام، أقام حفلاً في هذه المناسبة، ودعا الناس إليها، وكانت بين وبين إخوته قطيعة رحم، فدخل أحدهم وقلَّب بصره في الحاضرين، فلم ير إخوة هذا الرجل، فهمس في أذنه وقال له: يا هذا بالله عليك، وأنت تحتفل بذكرى مولد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أين إخوتك؟ فانتفض هذا الرجل انتفاضة وقال: يا أخي لا تكدر عليَّ صفوي، دعني وأنا منشرح الفؤاد، دعني وأنا فرح بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

أي انشراح صدر، وأي حب لسيدنا محمد وأنت قاطع للرحم؟ وربنا عز وجل يقول: {فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم}. أي فرح هذا؟ ينبغي أن تكون صادقاً في المحبة يا أيها المحب، يقول لك محبوبك: (صل من قطعك) أتسمع هذه الكلمة من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لا تسمع هذا الكلام من الخطيب ولا من أي متكلم، اسمع هذا الكلام من قلب تقي نقي اتصل بقلب سيدنا محمد وهو يقول له: (صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن

ظلمك). قل له: لبيك وسعديك يا سيدي يا رسول الله.

أتسمع يا أيها المحب، أتسمع يا من يذرف الدموع، فإن كانت دموعك صادقة، إذا ذكر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لا يسعك إلا أن تقول: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

أيها الإخوة: إلى ذكريات المولد، وإلى الحديث عن الحبيب الأعظم السند الأعلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في هذا الشهر العظيم المبارك، لنستمع إلى سيرته وآدابه وأخلاقه، ولنتحد به صلى الله عليه وسلم البشرية جمعاء، من خلال تأسينا بسيدنا رسول الله، لنفوز بسعادة الدارين، وبرحمة الله التي كتبها الله عز وجل على نفسه، كتب ربكم على نفسه الرحمة، وبين أن هذه الرحمة لا ينالها كل أحد، إنما بين من ينال هذه الرحمة، فقال جل في علاه: {ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي}. إن أردنا الرحمة فعلينا بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

أيها الإخوة: بعد غد يوم الأحد سيكون اجتماعنا في الجامع الكبير لإحياء ذكرى مولد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن أناشدكم الله أن نتوجه جميعاً بقلوب صادقة منكسرة، سائلين المولى أن يشرح صدورنا للإسلام، من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام. أسأل الله أن يشرح صدورنا للإسلام، ولاتباع سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، أقول هذا القول، وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

عرفنا الداء ولم نعرف الدواء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فنحن نعيش في هذه الحياة الدنيا، وعندنا مشاكل كثيرة، وداءات كثيرة، حتى أصبحنا نعرف الداء ونعرف الدواء، ولكن القضية ليست في معرفة الداء مع معرفة الدواء.

لو تساءلنا على كل مستوياتنا: من يعدد لنا الداءات التي أصابت مجتمعنا؟ والمجتمع مكون من أفراد، لرفع الجميع أياديهم، وكل واحد فينا يعرف داء هذا المجتمع، والمجتمع يعني أنا وأنت، وأسرتي وأسرتك. كلنا عرف الداء.

لو تساءلنا: أعطوني داء من داءات مجتمعنا. لقلت لي: الداء في المجتمع الكبر، أقول لك: ثم ماذا؟ تقول لي: الحسد، ثم ماذا؟ التفكك، ثم ماذا؟ التشرذم، ثم ماذا؟ التدابر. أقول لك: ما هو العلاج؟ تقول لي: العلاج: {واعتصموا بحبل الله جميعاً} والإكثار من ذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن الكريم...

عرفنا الداء وعرفنا الدواء، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: بعد معرفتنا بالداء والدواء، لماذا لا نجعل الدواء على الداء ليبرأ بإذن الله عز وجل؟ هنا تكمن المشكلة، ليست الرجولة في معرفة الداء والدواء، ولكن القضية: هل نحسُّ بهذا الداء أم لا؟ والله الذي لا إله غيره، لو أحسسنا بالداء الذي حل في كل فرد منا، لأسرعنا إلى الدواء، إذا رأيت رجلاً مريضاً، ويعرف أن الداء في جسده، وفي جوف الليل أحس بالداء، فماذا فعل عندما أحس بالداء؟

هل تابع نومه وطعامه وشرابه ولهوه وضحكه ولعبه وجلوسه أمام شاشات

التلفاز؟ هل تابع لقاءاته مع الناس عندما أحس بالداء؟ لا أيها الإخوة. عندما أحس بالداء أسرع إلى الطبيب، وأسرع في أخذ العلاج، مع كثرة الدعاء لله عز وجل، مع وجود النذور إن شفاه الله عز وجل من مرضه. أليس هذا هو واقعنا؟ إذا شعرنا بداءات أجسادنا وأحسسنا بها، أسرعنا لعلاجها، وأسرعنا لوضع أنفسنا تحت يد طبيب لمعالجة أنفسنا.

أما فيما يتعلق بديننا، وقيمنا، ومستقبلنا في الآخرة، عند قول الله عز وجل: {فريق في الجنة وفريق في السعير} {يوم تبيض وجوه وتسود وجوه} ما نشعر، وإن عرفنا الكبر وأضراره، والحسد وأضراره، والتكالب على الدنيا وأضراره، لكننا لا نحس بهذا الداء، فترانا نضحك ونلعب ونسرح ونمرح ونلهو ونغفل مع وجود الداء الذي نقر به جميعاً، وربما أن يكون المصير إلى نار جهنم والعياذ بالله، ومع ذلك الأمر طبيعي عند هذا الإنسان، لماذا؟ لأننا ما أحسسنا بدائنا، ولو أحسسنا لأسرعنا.

من داءات المجتمع اليوم الوهم الذي يعيشه الناس، والخوف وعدم الأمل، أنا أتكلم عن هذا من قلب مجروح، لما أرى من أموال تبذل في سبيل أي شيء، ترون شوارعنا، وترون جدراننا، وترون هذه الدعايات، وبكل أسف الذي يدمي الفؤاد ويدمي القلب، أن يستغل البعض بعض آيات من كتاب الله ليجعلها فوق الصورة أو تحتها، ويقسم أيماناً بالله، وهو يرى بأم بصره كيف تمزق هذه الصور وكيف تقع تلك الآيات على الأرض، والأمر طبيعي عند هذا المرشح لمجلس النيابة.

يا أخي: ضع صورك ولو مزقت الصور ووقعت في الأرض، فأنت تعرف قدر نفسك، هل لها قيمة أم لا؟ فالأمر أنت تقدّره؟ أما أن تجعل آية من كتاب الله جل في علاه وأنت على ثقة بأنها ستمزق وتقع على الأرض، وربك جل وعلا يقول لك: {ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب} أين تعظيمك لشعيرة الله، أتستغل آيات من كتاب الله للوهم الذي أنت تعيشه وتتصوره، نعيش في وهم

لا في واقع ولا حقيقة، والله الذي لا إله غيره كاد الوهم أن يذبحنا من الوريد إلى الوريد إلا من رحم ربي عز وجل.

وهمنا وصل إلى درجة سامحوني إن قلت: إن الواحد منا يفكر إذا مات عنده ميت، بعدد المشيعين الذي سيخرجون معه في الجنازة، ويفكر بعدد السيارات والموكب الذي ستتشيع فيه هذه الجنازة، يفكر أحدنا في بيت العزاء الذي سيجعله، ويفكر في المعزين من الذي سيأتي؟ نفكر في هذا، ولا يفكر أحدنا في حسن الخاتمة، ولا يفكر أحدنا في هذا الميت الذي مات لنا هل هو من أهل الجنة أم من أهل النار؟ هل ختم له على طاعة أم على معصية؟ هل ختم له على حسن حالة مع الله أم على سوء حالة؟ هل مات هذا الميت وترك ديوناً وترك وفاء لها أم لا؟ هل خرج هذا الميت وقد كتب وصيته في الحقوق التي له والواجبات التي عليه؟ لا يفكر الكثير منا في ذلك، إنما نفكر في وهم أصبحنا نتقلب به صباحاً ومساء، وربما يرتكب أحدنا مخالفة شرعية في تأخير الجنازة، لماذا؟ فلان سيأتي من المسؤولين، التجار، لأن الجمع يكون أعظم، أصبحنا نعيش في وهم حتى وصل إلى العزاء في مصابنا بالموت، الذي قال عنه سيدنا عمر رضي الله عنه: كفى بالموت واعظاً يا عمر.

الوهم وصل إلى أفراحنا، يريد أحدنا أن يزوج ولده، أول ما يفكر في المكان الذي سيجعل فيه الحفل، من هو المدعو لهذا الحفل؟ من هي فرقة الإنشاد التي ستأتي؟ وكيف توزع الكراسي؟ وإذا جاء فلان وفلان أين يجلس؟ وهل نجعل مع النشيد ضيافات ذات قيمة، وكيف تطبع كروت الدعوات... بدأنا نعيش في وهم لأننا ظننا أن هذه الأفعال هي التي ستحقق السعادة لأبنائنا وبناتنا في زواجهم، لا يفكر أحدنا في سعادة هذا الولد من خلال تعليمه أحكام الله عز وجل في الزواج، ولا يفكر أحدنا في تحقيق السعادة لابنته في تعليمها علاقة المرأة المسلمة مع زوجها، لا يفكر أحدنا في مسألة سعادة الأسرتين في هذا الزواج، إنما فكرنا بالوهم

الذي نعيشه، ألا وهو كيف يكون هذا الحفل؟ حتى وصل الوهم إلينا نحن طلبة العلم، نحن الذين نرتقي منابر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدأت أفكر في الخطبة أو الدرس أو الموعظة، ماذا يقول الناس عني؟ وهل أنا يصلي عندي أكثر من يصلي عند فلان من الأئمة والخطباء؟ وهم وصل إلى قلوبنا فظننا أننا بهذه التصورات نحقق لأنفسنا السعادة.

أحدنا يفكر ليلاً ونهاراً فيمن يجعل معهم العلاقات، مع أي مسؤول، ضابط، كبير، تاجر، وكيف يستطيع الوصول إليه، والتعرف عليه، وكيف يستطيع أن يقوي الصلة به، وهؤلاء الذين رشحوا أنفسهم لمجلس النيابة كيف تكون صلته مع الوزير الفلاني، ومع رئيس مجلس الوزراء، ومع الضابط الفلاني. نفكر في العلاقات فيما بين بعضنا البعض، مع التجار والكبار والصغار، ولا يفكر أحدنا – إلا من رحم ربي – في علاقته مع الله الذي هو على كل شيء قدير.

نفكر في علاقاتنا مع زيد وعمرو، وكلما أتينا إلى خطبة الجمعة سمعنا من خطيبنا وهو يقول: فاعلم أنه لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يخفض ولا يرفع، إلا من؟ إلا الله. هذا قول بأفواهنا، ولكن والله الذي لا إله غيره،

ما ارتقت أفعالنا إلى معشار أقوالنا، لأننا نعيش في وهم، أكون حريصاً على علاقتي مع زيد وعمرو من الناس، وأما علاقتي مع الله عز وجل، لا قدر الله إذا كانت متقطعة فالأمر يسير، ولكن إذا تقطعت مع الخلق، مع المسؤولين، التجار، والأغنياء، والأقوياء، ولا أعرف واحداً منهم، ترى الحسرة تأكل قلبي، لأننا نعيش في وهم، لأننا نظن أن الفاعل إنما هو زيد وعمرو، وقطعنا الصلة مع الفعال لما يريد، مع الذي أمره إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

قُطِعَت الصلة مع الله عز وجل لأننا نعيش في وهم، والإسلام ما جاء إلا ليجعلنا نعيش في واقع لا وهم فيه، إسلامنا لا تعارض فيه، عندما يقول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (يا غلام،

إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) [رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح]. هذا تعليم إسلامنا، وجاء هذا مجسداً في شخص سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

عرفنا الداء ولكن لا نحس به، وعرفنا الدواء ونتغنى به، ترى الواحد منا يقف على المنبر، والمكان الذي يتكلم فيه للناس، ليقول بأعلى صوته وهو يتغنى بسيرة سيدنا رسول الله وهو يصف لنا الدواء لدائنا، وأصبحنا نتغنى بذكر الدواء لدائنا ولكن بدون استخدام. عندما نقول: أصبحنا نعيش في وهم لا أمل حقيقاً عندنا، ونقول: انظروا يا عباد الله إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وكيف كان يرتبط مع الله ولا يخاف إلا الله،

وأضرب لكم على ذلك مثلاً، عندما هاجر صلى الله عليه وسلم ودخل إلى غار ثور، ونظر الصديق رضي الله عنه وبكى وقال: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى شراك نعله لرآنا. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تحزن إن الله معنا، ما ظنك باثنين الله ثالثهما) أتغنى بذكر الدواء لداء الوهم الذي نعيشه، ولكن بدون عمل. نتغنى بقول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لسيدنا زيد بن حارثة عندما عاد من الطائف: (يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً).

نتغنى أيها الإخوة، ونحن عشنا في ذكرى ميلاد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، سمعت وسمعتم أخلاق هذا الحبيب الأعظم الذي ما كان يعيش في وهم، إنما يعيش في أمل من خلال ارتباطه مع الله عز وجل، نتغنى بذلك، ولكن هل يا ترى أخذنا هذا الدواء لنصبه على دائنا لكي نبرأ بإذن ربنا سبحانه وتعالى.

أيها الإخوة: ها هو شهر الربيع يغادرنا كما غادرتنا من سابق أشهر عدة،

في ذكرى مولد سيدنا رسول الله، وفي ذكرى هجرة سيدنا رسول الله، وفي ذكرى الإسراء والمعراج، وذكرى ليلة القدر، ذكريات كثيرة مرت علينا، وسمعنا الكلمات والعظات والأحاديث والدروس، ولكن ما غيرنا وما بدلنا، لماذا؟ لأننا نعيش في وهم، والذي يعيش في وهم لا يحقق لنفسه سعادة، لذلك ترى الغصة في أنفسنا في مآتمنا، وفي أفراحنا، وفي تعاملنا مع البشر، ولكن هل رأيت غصة في نفس المؤمن الذي يتعامل مع الله عز وجل؟ لا ورب الكعبة، لا ترى غصة عنده، لا في مأتمه، ولا في أفراحه، ولا في تعامله مع الناس، لأن المؤمن يعيش بأمل، ويتوكل على الحي الذي لا يموت.

أسأل الله جل وعلا أن يخرجنا من غفلتنا، وأن يلهمنا الرشد في كل أمورنا، وأن يجعلنا في حالة يقظة، سائلين المولى حسن الختام لنا جميعاً، أقول هذا القول، وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

الفائدة المجناة من عيد المولد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا شهر الربيع قد انصرف، وارتحل عن هذه الأمة، وأمةُ سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام احتفلت بذكرى مولد الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم في مشارق الأرض ومغاربها، سمعوا الكلمات، وسمعوا المواعظ، وسمعوا شيئاً عن شمائل سيدنا رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام، وإنني رأيت اليوم أن آتي بخلاصة عن هذه الشخصية العظيمة، شخصية سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، حيث يعرفنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذاته وعن هويته.

انظروا إلى كلام سيدنا رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام، كلام الواثق بالله عز وجل، كلام الصادق المصدوق الذي يصدقه الزمن إلى قيام الساعة. عندما يقف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقول كلمة أنا، وكلمة إني، وأكثرنا عندما يقول كلمة أنا يستعيذ بالله من شر نفسه أن تدخل عليه، أحدنا عندما يقول كلمة أنا لا رصيد له في هذه الكلمة، فربما أن يصدقه الواقع وربما أن يكذبه.

أما سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فما أجمل كلمة أنا إذا صدرت من قلبه الشريف على لسانه الشريف، لتشرف مسامعنا. وعندما يأتي النبي عليه الصلاة والسلام ليقول كلمة أنا، أو ليقول كلمة إني، ما قالها إلا بناء على أمر من الله عز وجل، وإذا قلتُ وقلتَ أنا وإني بناء على أمر الله عز وجل فما أجمل هذه الكلمة، أما إذا صدرت كلمة أنا وإني وهي بعيدة عن شرع الله، فما أقبح هذه الكلمة التي تصدر من هذا العبد الغافل عن الله عز وجل.

هناك من قال أنا فطرد من رحمة الله عز وجل، عندما قال الشيطان: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فطرد من رحمة الله عز وجل. وعندما قال فرعون: أنا ربكم الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى.

تعالوا لننظر إلى سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام وهو يقول أنا وإني، امتثالاً لأمر الله عز وجل، يقول صلى الله عليه وسلم: {قل إنما منذر وما من إله إلا الواحد القهار} وحقاً كان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام منذراً، وأنذر

قومه، وعندما أعرضوا جاء ما توعدهم الله عز وجل به. ما أجمل هذه الكلمة التي لها رصيد عند الله جل وعلا، فالواقع يصدق كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالقرآن العظيم.

وما أجمل كلمة إني عندما صدرت من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول -كما ذكر ربنا جل وعلا ذلك في القرآن العظيم -: {إني رسول الله إليكم جميعاً}، وجاء الواقع ليصدق كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما من نبي بعده صلى الله عليه وسلم.

انظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول كلمة أنا ما أجملها وأروعها من كلمة، كما يحدثنا الطبراني عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا خير أصحاب اليمين، أنا خير السابقين، أنا أتقى ولد آدم وأكرمهم عند الله تعالى) من الذي يجترئ أن يقول هذه الكلمة إلا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

وما أجمل الكلمة التي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يروي البخاري في صحيحه، عندما يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله).

ما أجمل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعرفنا عن ذاته الشريفة، كما جاء في الصحيحين، يقول صلى الله عليه وسلم: (أنا أحمد، أنا محمد، أنا العاقب، أنا الحاشر، أنا نبي الرحمة، أنا نبي الملحمة، أنا أول من تنشق عنه الأرض، أنا أول شافع، أنا أول مشفع، أنا أول من يدخل الجنة).

لم كانت كلمة أنا التي صدرت عن سيدنا رسول الله كلمة رائعة وجميلة، يطرب بها الإنسان المؤمن، ويرفع رأسه عالياً؟ لأن هذه الكلمة صدرت من سيدنا رسول الله بكمال التواضع، بدون استعلاء واستكبار. أما أحدنا عندما يقول أنا، فإن كلمة أنا التي تصدر من أفواهنا معجونة بالهوى والعجب والاستكبار

والاستعلاء على خلق الله عز وجل.

أما سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فكان على العكس من ذلك تماماً، فعندما قال: (إنما أنا منذر) وعندما قال: (إني رسول الله إليكم جميعاً)، وعندما قال: (أنا خير أصحاب اليمين، وأنا خير السابقين، وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم عند الله تعالى) عندما يُسأل صلى الله عليه وسلم من قبل مخلوق عن هويته وعن ذاته، ما تشعر بأنه صلى الله عليه وسلم مستعلٍ على أحد من خلق الله.

أيها الإخوة: رجل من المعمرين في زمن النبي عليه الصلاة والسلام، واسمه أكثم بن صيفي، ما استطاع أن يأتي إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل من قبله وفداً ليتعرف على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وأمر الوفد أن يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أسئلة، من أنت؟ وما أنت؟ وبم جئت؟ كلمات مختصرة.

جاء الوفد إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا محمد، إنا رسل أكثم بن صيفي، أرسل إليك ثلاثة أسئلة، من أنت؟ وما أنت؟ وبم جئت؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (أنا محمد بن عبد الله).

انظر إلى هذا التواضع والأخلاق من سيدنا رسول الله، وهو الذي يقول كما روى الطبراني: (أنا خير أصحاب اليمين، أنا خير السابقين، أنا أتقى ولد آدم وأكرمهم عند الله عز وجل) وقال في حديث آخر: (آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة).

قالوا له: ما أنت؟ قال: (أنا رسول الله إليكم جميعاً).

قالوا: بم جئت؟ قال: (جئت بقول الله عز وجل: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون}).

خرج الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يحملون هذه

الكلمات، (أنا محمد بن عبد الله)، من هذا محمد بن عبد الله في مجتمعه؟ فسألوا عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه أوسط الناس نسباً، ولكنه ما ذكر النسب إلا بكلمتين فقط فقال: (أنا محمد بن عبد الله).

فعاد القوم إلى سيدهم وقالوا له: يا أكثم، سألناه من أنت؟ فقال: (أنا محمد بن عبد الله)، فسألنا عن نسبه فوجدناه أوسط الناس نسباً، فما ارتفع بنسبه، إنما كان متواضعاً. وقالوا له: سألناه ما أنت؟ فقال: (أنا رسول الله). سألناه: بم جئت؟ فقال: (جئت بقول الله عز وجل: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون}).

فنظر أكثم بن صيفي إلى وفده وقال لهم: إني لا أرى هذا الرجل إلا يدعو إلى مكارم الأخلاق ويدع سفاسفها، فكونوا في هذا الدين رؤوساً ولا تكونوا أذناباً.

أتسمعون يا عباد الله، هذا هو نبينا صلى الله عليه وسلم، هذا هو الحبيب الأعظم الذي يقول كلمة أنا ولا تشعر منه بشيء من الاستكبار على خلق الله، لأنه صلى الله عليه وسلم هو الذي اختار النبوة مع العبدية، ولم يختر النبوة مع الملك. كما روى ذلك الطبراني، كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل الصفا مع سيدنا جبريل عليه السلام، فقال النبي عليه الصلاة والسلام لجبريل: (يا جبريل، ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق). ما عنده شيء من الطعام.

فما كانت الكلمة صدرت من رسول الله إلا وسمع هدة عظيمة، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: يا أخي يا جبريل هل أُمر بالساعة فقامت؟ قال: لا يا محمد، ولكن الله أرسل إليك إسرافيل، فإذا بسيدنا إسرافيل بين يدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: يا محمد، إن الله قد سمع مقالتك، فأرسلني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأن أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة، فإن

شئت نبياً ملكاً، وإن شئت نبياً عبداً. فقال صلى الله عليه وسلم: (بل نبياً عبداً).

أيها الإخوة: انظروا إلى مقام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو كان يحق لأحد أن يستكبر لكان أولى الناس بذلك هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فما حالنا نحن أيها الإخوة؟ أي نعمة أوتيناها بجانب نعمة سيدنا رسول الله؟ بجانب نعمة النبوة والرسالة، نعمة خاتم الأنبياء والمرسلين، أنه رسول الله إلى الناس جميعاً، حتى نستعلي ونقول كلمة أنا وإني، التي تجعل الناس ينفرون منا ويشمئزون ولا يبالون بالنعمة التي أسبغها الله عز وجل علينا؟

أما سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فعندما قال: أنا وإني، كان صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين أجمعين، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: (إنما أنا رحمة مهداة). فانظر إلى آثار رحمته في عالم الإنس، عندما يقول مولانا جل وعلا: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}.

وانظر إلى آثار رحمة الله بنبينا صلى الله عليه وسلم الذي كان رحمة للعالمين أجمعين، انظر إلى آثار رحمته في عالم الإنسان وفي عالم الحيوان وفي عالم النبات وفي عالم الجماد. من منا لا يذكر حنين الجذع إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ من منا لا يذكر الجمل الذي جاء وسجد بين يدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ من منا لا يذكر هذا الموقف، عندما جاء رجل من الأنصار وقال: يا رسول الله، ند لي جمل، قال: أين جملك؟ قال: في الحائط. فقام صلى الله عليه وسلم ومعه بعض أصحابه ومن جملتهم سيدنا أبو بكر رضي الله عنه.

فلما دخل إلى البستان قال: أين الجمل؟ قال: في هذه الناحية. فتوجه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له الصديق: على رسلك يا رسول الله، جمل ناد، نخاف عليك يا رسول الله. قال: (بل أنت على رسلك يا أبا بكر). فتوجه رسول الله نحو الجمل، وإذا بالجمل عندما يرى النبي صلى الله عليه وسلم يمشي إلى رسول الله بكامل الأدب، ويقف بين يدي رسول الله ويسجد لرسول الله، والدموع

تذرف من عيني الجمل، فمسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة على ذفريه – خلف أذنيه – وأنصت إليه، وإذا بالجمل كأنه يشكو أمره لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فنظر النبي عليه الصلاة والسلام وقال: (أين صاحب هذا الجمل)؟ قال: أنا يا رسول الله. قال: (ألا تتقي الله في هذه البهيمة؟ إن الجمل يشكوك، إنك تجيعه وتدئبه – أي تتعبه).

أيها الإخوة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة أنا، فانجذب الكون كله إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقلنا نحن كلمة أنا فنفر الكون منا، نفرت الزوجة من زوجها، ونفر الولد من أبيه، ونفر الأخ من أخيه، لأن كلمة أنا خرجت من قلب غافل مغرور.

يا أمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تودعين شهر ربيع الأنور، شهر المولد، هل نرجع إلى سيرة سيدنا رسول الله لنتعلم الأخلاق من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاصة جانب التواضع، لأنه كما جاء في الحديث الصحيح: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد ولا يبغي أحد على أحد).

فيا من يقول أنا وهو معجب بنفسه، قل أنا وقل ما شئت، ولكن انظر إلى آثار كلمة أنا، ربما أن تقولها لا قدر الله فتطرد بعدها من رحمة الله، وربما تقولها وأنت تجذب قلوب الناس إليك، من أجل خدمتهم، ومن أجل أن توزع عليهم شيئاً من نعمة الله التي أسبغها الله عز وجل عليك، فإذا رأيت الناس في حالة نفور منك وأنت صاحب النعمة، فاعلم بأن النعمة صارت حجاباً بينك وبين الله، وأما إذا قلت كلمة أنا بنعمة الله عليك، ورأيت انجذاب الناس إليك وأنت العبد المتواضع، ترى فضل الله عز وجل عليك، فهنيئاً لك يا عبد الله.

لنضع أنفسنا في هذا الميزان، وأقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

لمثل هذا فليعمل العاملون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: في وسط هذا الازدحام على الحياة الدنيا، والتهافت عليها، بل والتكالب عليها، وربما البعض باع دينه بعرض من الدنيا قليل، أريد أن أقدم وصية من وصايا ربنا عز وجل في كتابه العظيم، لهؤلاء الشباب والرجال ولهذه الأمة التي انغمس بعضها في الغفلة عن الله عز وجل، فأقبلوا على الدنيا يعانقونها معانقة الحبيب للحبيب، ومعانقة الإنسان الذي يظن أنه خالد في هذه الحياة الدنيا، يعانق هذه الحياة الدنيا المعانقة العجيبة، في هذا الوسط ينادينا وينصحنا ويذكرنا ربنا عز وجل حتى لا نندم، لأننا إذا ندمنا عند سكرات الموت، فإن هذا الندم لا ينفع.

أقول بداية لكل شاب ولكل رجل ولكل امرأة ولكل من أعرض عن الله عز وجل أيام شبابه وقوته وصحته وغناه، أقول له: تعال يا أخي واعتبر واتعظ بمن قضى فترة الشباب والكهولة، فإذا ما جاءت الشيخوخة بكل صورة من صور الضعف التي فيها، وماتت في هذا العبد جميع القوى، رأيت هذا العبد يعانق كتاب الله، ويريد أن يصطلح مع الله، ويبدأ فيقول: اللهم إني أسألك حسن الخاتمة. اعتبر بهذا العبد عندما يجرد من وظائفه، وعندما يبعد عن أعماله، وعندما تعرض عنه الدنيا، وعندما يترك جميع أعماله الوظيفية، وماتت فيه جميع القوى، وأصبحت

النُذُر تلاحق هذا الإنسان بين الحين والآخر، فأيقن هذا العبد بأنه راحل من الدنيا، فإذا بهذا العبد يريد أن يصطلح مع الله عز وجل. تعال أيها الشاب وأيها المعرض فاعتبر من هذا الإنسان، لأنه في نهاية المطاف سوف نتحقق إن شئنا وإن أبينا بقول الله عز وجل: {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله}.

تعال واعتبر من خلال موعظة ونصيحة يقولها لك مولانا عز وجل في كتابه العظيم، وأنا أتمنى عليكم أن ترجعوا إلى سورة الصافات واقرؤوا هذه الآيات بتدبر، وخذوا وصية الله عز وجل، اسمعوا لكلام ربنا وخالقنا، اسمعوا لكلام الذي نؤوب إليه إن شئنا وإن أبينا، أقوياء أم ضعفاء، رؤساء أم مرؤوسين، طائعين أم عاصين، الجميع راجع إلى الله، ورحمة الله على سيدنا الحسن البصري الذي كان يقول: ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من يقين الناس بالموت.

تعال يا من ينطبق عليه قول الله عز وجل: {إنك ميت وإنهم ميتون} تعال وخذ وصية من ربك حتى لا تكون من النادمين.

حقنا على الله – إن صح التعبير – أن ينصحنا ويذكرنا، وربنا نصح وذكر وأمر ونبه، وربنا أمر بهذه الأوامر وقال لك: اعتبر يا عبد الله.

يقول مولانا عز وجل: {إلا عباد الله المخلصين * أولئك لهم رزق معلوم * فواكه وهم مكرمون * في جنات النعيم * على سرر متقابلين * يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون * وعندهم قاصرات الطرف عين * كأنهن بيض مكنون * فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قال قائل منهم إني كان لي قرين * يقول أئنك لمن المصدقين * أئذا كنا عظاماً وتراباً أإنا لمدينون} انظر إلى قرينك وجليسك هل يذكرك بالآخرة أم يشككك فيها، انظر إلى هذا القرين، صاحب الجنة كان على حذر من هذا القرين. كما يقول مولانا عز وجل: {قال قائل منهم إني كان لي قرين * يقول أإنك لمن المصدقين} أتصدق يوم القيامة، أتصدق وجود الجنة والنار، أتصدق بأن الله

يعذب هذا العبد... يبدأ ويشكك هذا الإنسان {يقول أئنك لمن المصدقين * أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون * قال هل أنتم مطلعون} يقول لأصحابه: تعالوا لنبحث عن هذا القرين، لأن من نعمة الله على العبد في الجنة أن الله يطلعه على أهل النار، حتى يرى نعمة الله عز وجل عليه {إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر} انظر أنت من أهل الجنة أم من أهل النار؟ اللهم اجعلنا من أهل الجنة.

{قال هل أنتم مطلعون * فاطلع فرآه في سواء الجحيم} أي في وسط جهنم، انظر إلى هذا العبد، وانظر إلى هذا العبد {فاطلع فرآه في سواء الجحيم * قال تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين} ماذا يقول مولانا عز وجل بعد أن أعطاك صورة من صور أهل الجنة، كيف يتمتعون؟ وكيف يحمدون الله على تلك النعمة، نعمة الإيمان والهداية؟ يقول: {إن هذا لهو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون}. لأي شيء؟ لقوله: {أولئك لهم رزق معلوم * فواكه وهم مكرمون * في جنات النعيم * على سرر متقابلين...} {أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم} أي نزل تريده يا أيها الإنسان؟ أهذا النزل الذي هو لأهل الجنة؟ أم النزل الآخر الذي يقول فيه مولانا عز وجل: {أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم * إنا جعلناها فتنة للظالمين * إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رؤوس الشياطين * فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون * ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم * ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم} ماذا ينفع الندم عندما يدخل أهل النار النار؟ {وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا منها} هل سيخرجون من هذه النار؟

أيها الإخوة: ألا تأخذون بوصية الله؟ ألا تأخذون بأمر الله؟ بنصيحة الله؟ {لمثل هذا فليعمل العاملون}، وأنتم ترون من حضرته سكرات الموت، وشاخ قبلها كيف يريد أن يصطلح مع الله، بعد أن قضى أيام الشباب والقوة، ونبينا صلى الله

عليه وسلم يقول: (اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وشبابك قبل هرمك...) [رواه الحاكم وابن أبي شيبة] اغتنم فترة الشباب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كما يروي الإمام مسلم، يقول صلوات ربي وسلامه عليه: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر قدامه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة).

أيها الإخوة: لعلنا في وسط هذه الحياة الدنيا التي ازدحم عليها الناس، وجربوا غير الإسلام، فما وجدوا أصلح من الإسلام، ولكن كبرهم وعنادهم منعهم – لأنهم في فترة قوة – من أن يصرحوا بأنه لا خير في غير الإسلام، هلا اعتبرت؟ هلا اتعظت؟ هلا اصطلحت مع الله قبل أن تأتيك سكرات الموت؟ إذا جاءتك سكرات الموت وأنت لا قدر الله ظالم بأي صورة من صور الظلم، تذكر قول الله عز وجل وهو يحدثنا عن ذاك العبد: {رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت} وسيأتيه الجواب: {كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون}. وانظر إلى طرف آخر لترى عبداً جاءته سكرات الموت فقال: (واطرباه غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه).

أيها الإخوة: أرجوكم، ولا أريد أن أستحلفكم بالله، أن ترجعوا إلى بيوتكم مع نسائكم وأبنائكم، واقرؤوا هذه الآيات التي تلوتها عليكم من سورة الصافات، واقرؤوا قول العلماء والمفسرين وخذوا الخلاصة من تلك الآيات، من خلال قول الله عز وجل: {لمثل هذا فليعمل العاملون}. انظروا إلى من سبقكم إلى الآخرة، وهم من أهل الدنيا، والجاه، والريادة، ومن الذين يشار إليهم بالبنان، خرجوا من الدنيا، خرجوا بأي شيء؟ (يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله) [رواه البخاري ومسلم عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه]. فكر بهذا العمل الذي سيدخل معك إلى قبرك، وخذ وصية

الله عز وجل عندما يقول: {لمثل هذا فليعمل العاملون}.

أيها الإخوة: ارجعوا إلى كتاب الله، وإلى تفسير تلك الآيات الكريمة، واعتبروا واتعظوا، وأرجو الله أن أكون معكم من جملة المتعظين. أقول هذا القول، وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

وأنكحوا الأيامى منكم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: شاب من شبابنا أرسل إلي رسالة يشكو أمره إلى الله عز وجل في مسألة إعفاف نفسه، هذا الشاب جاهد نفسه كثيراً في مسألة غض البصر، وحفظ الفرج، وكان يتوسل إلى الله عز وجل في أن يهيئ له ربنا جل وعلا امرأة صالحة، وهيأ الله عز وجل له المرأة الصالحة، ولكن الذي فوجئ به أبوه، الذي رفض أشد الرفض مسألة هذا الزواج، حتى يؤمن الولد مستقبله، وحتى يكون صاحب مال كثير كبقية أقرانه، وعند ذلك يزوجه،

وقال في رسالته: إن أمثاله كثير في هذا المجتمع، وطلب مني أن تكون خطبة الجمعة حول هذا الموضوع. وإنني والله على ثقة بأن أمثاله كثير في هذا المجتمع، لأن الكثير من الآباء صار اعتمادهم على المادة أكثر من اعتمادهم على الله عز وجل.

ربنا جل وعلا بأي شيء أمرنا نحو أبنائنا؟ لا شك أن تربية الأبناء وإطعامهم وكسوتهم وإيواءهم وتدريسهم واجب على الآباء، ولكن الأهم من ذلك قول الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}. ومن الأسباب التي تورد العبد نار جهنم ارتكاب الزنا والفاحشة، حيث يقول مولانا جل في علاه: {ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً * إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً}.

أيها الآباء: يا من يجعل العراقيل في زواج ولده وابنته، الله عز وجل يأمرك أن تقي الولد والبنت من نار جهنم، فلماذا لا تزوج ولدك؟ ولماذا لا تزوج ابنتك؟

وأنت المسؤول عن ذلك يوم القيامة بين يدي الله سبحانه وتعالى.

اسمعوا أيها الآباء، اسمعوا يا أولياء الأمور، اسمعوا أيها المسؤولون، اسمعوا أيها الأغنياء، اسمعوا جميعاً، ماذا يقول مولانا جل وعلا في كتابه العظيم؟ يقول لنا ببيان واضح لا يحتاج إلى تأويل ولا إلى إعمال عقل لفهم كلام الله: {وأنكحوا الأيامى منكم – والأيامى جمع أيِّم، والأيم من لا زوج له من الرجال والنساء – والصالحين من عبادكم وإمائكم – ولعلك أن تتنبه ماذا سيقول مولانا بعد ذلك – إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم}. هل سمعت بالأمر؟ وهل تنبهت لوعد الله أيها الإنسان المؤمن؟ أمرك الله بأن تزوج من لا زوج له، ووعدك الله بالغنى، وهل وعد الله يخلف؟ والنبي عليه الصلاة والسلام يقول في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام الترمذي: (ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف) من أراد أن يعف نفسه فحق على الله معونته، فلماذا تجعل العراقيل في حياة هؤلاء الشباب والفتيات.

مشكلتنا أيها الإخوة أننا نعيش في وهم، ولا نعيش في واقع، من الوهم الذي قام في أذهاننا أنه لا يزوج ولده ولا يزوج ابنته إلا بعد إتمام الدراسة، ولا يزوج ولده إلا بعد إنهاء الخدمة الإلزامية.

يا ولي الشاب ويا ولي الفتاة، قبل أن تصدر أحكامك وقبل أن تجزم في أمورك كن عاقلاً، وانظر إلى وضع المجتمع، وبعد معرفتك بأحوال المجتمع أصدر الأحكام واتخذ المواقف ولا حرج عليك. يا من اتخذ هذا الموقف، بعد انتهاء دراسة ولدك، وبعد قضاء خدمته الإلزامية، كيف يكون حال هذا الشاب في مجتمع تتأجج فيه نيران الشهوات؟ وأعداء هذه الأمة فتحوا الأبواب والنوافذ من خلال الوسائل كلها على أبنائنا وشبابنا وبناتنا، من أجل اقتراف الفاحشة، من خلال القنوات الفضائية، ومن خلال المواقع الإباحية على الإنترنت، ومن خلال الدعايات في الشوارع، ومن خلال دعوة النساء إلى التبرج، ويا حبذا لو كان كتبرج

الجاهلية الأولى، والله العظيم إن التبرج اليوم أشد من التبرج في أيام الجاهلية الأولى، إضافة إلى ذلك التركيز في أجهزة الإعلام على مسألة حجاب الوجه، والكل إلا من رحم ربك يركز على أن الوجه ليس بعورة، ولا يجب على المرأة أن تستر وجهها، كونوا عقلاء يا أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كونوا عقلاء، ماذا يراد بشبابنا؟ ماذا يراد ببناتنا؟ لأن الشباب إذا فسقوا والنساء إذا طغين ماذا تتوقعون من مجتمعنا؟ ضياع الأنساب وحياة الشقاء والضنك في مجمعنا.

ربنا عز وجل عندما يقول لنا جميعاً، اسمع يا ولي الأمر، اسمع أيها المسؤول، اسمع أيها الغني، أيها التاجر، يا من يكدس أمواله في البنوك الربوية، ويسمع قول الله عز وجل: {وأنكحوا الأيامى منكم}. زوِّج الشباب من المال الذي آتاك، أيها المسؤول زوج الشباب من المال الذي جعلك الله مستأمناً عليه، أمِّنوا لهم البيوت، أمِّنوا لهم السكن، يسِّروا عليهم الأسباب، فإذا اعتذر الأغنياء والمسؤولون، أين أنت أيها الغني؟ إن اعتذر الأغنياء، أين أنت أيها المسلم، أيها المؤمن من قول الله عز وجل: {إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله}؟. أين أنت من كلام سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي كان يقول: (التمسوا الغنى – بأي شيء؟ عن طريق الربا؟ عن طريق الرشوة؟ عن طريق الاختلاس؟ التمسوا الغنى في النكاح)، لقول الله عز وجل: {إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله} [رواه ابن جرير]. والله عز وجل لا يخلف الميعاد. ويقول لنا الصديق سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه: (أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى) [رواه ابن أبي حاتم].

هذه العراقيل التي نجعلها، الخدمة الإلزامية، نهاية الدراسة. هل أنت ضامن لولدك خلال هذه الفترة؟ والمجتمع كما تعلم، ونيران الشهوات كما تعلم، هل تضمن ألا ينحرف ولدك؟ هل تضمن أن يحفظ ولدك فرجه؟ لقول الله عز وجل: {والذين هم لفروجهم حافظون}. هل تضمن ولدك ألا يرتكب كبيرة من الكبائر،

أو جريمة من الجرائم، إذا قلت: أنا لا أضمن، ألا تكون عوناً لولدك؟ ألا يكون صدرك واسعاً أن تتحمل مسؤولية زواجه، وأن تتحمل مسؤولية زوجته وأولاده؟ وأن تتمثل قول الله عز وجل: {وتعاونوا على البر والتقوى}، ألا تريد أن تكون عوناً له في إعفاف نفسه؟ أنت وزوجك كونوا عوناً لهذا الشاب، كونوا عوناً لهذه الفتاة، تحملوا أعباء المسؤولية من أجل سلامة أعراضنا، ومن أجل سلامة أبنائنا.

لا تكن حريصاً على ما يفنى لولدك، ومهما كنت حريصاً على ما يفنى لولدك فاعلم بأن النعمة لا تدوم لولدك، وإن دامت فلن يدوم لها، وسيخرج من الدنيا إلى قبره بعمله، فإن كنت أنت متسبباً في انحرافه فأنت الذي ستتحمل المسؤولية يوم القيامة مع ولدك.

لذلك أيها الإخوة: ربنا عز وجل يقول: {وتعاونوا على البر والتقوى}.

عندما قال مولانا جل وعلا: {وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله}. أعطاك الله مثلاً، ألا تريد أن تتأسى وتقتدي؟ انظر إلى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، عندما سقى لبنات سيدنا شعيب، ألا تحفظ ماذا قال عندما أوى إلى الظل؟ ألا تحفظ قوله: {رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير}؟ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء، ودخل سيدنا موسى على سيدنا شعيب، ماذا يحمل من المال؟ لا يحمل شيئاً، جائع لا يحمل إلا ثيابه، وما كان يطمع سيدنا موسى أن يزوجه سيدنا شعيب الغني، صاحب الماشية، لأنه قبل قليل قال: رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير.

فجاء الميسور إلى هذا الفقير وقال له بوضوح تام بدون تردد، والعرض من الغني على الفقير، من القوي على الضعيف، قال له بكل صراحة: {إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين}. أليس بوسعك أن تبحث عن شاب فقير وأنت الميسور أن تزوجه وتعينه وتوظفه وتعطيه رأس المال؟ بوسعك هذا، بوسعنا ورب الكعبة إن أردنا الالتزام، والدليل على أن هذا بوسعنا أن الله كلفنا فقال:

{وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم}، ثم قال لنا في موطن آخر: {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها}، فلو كان يعلم ربنا جل وعلا أن هذا ليس بوسعنا ما كلفنا، وطالما أنه كلف، فمعنى ذلك أن هذا بوسعنا.

كن حريصاً يا أخي على أبنائك وفتياتك، زوِّج على الدين والخلق، أناشدكم الله أيها الإخوة، حوِّلوا وغيِّروا تلك العادات، اجعلوها تحت الأقدام وخلف الأظهر، لا تُحمِّلوا الشباب فوق طاقتهم، من مسألة ذهب ولباس، ومن تكاليف هم عاجزون عن تحقيقها، يسِّروا عليهم يسر الله عز وجل عليكم، وإلا فالطامة علينا، (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) [رواه الترمذي].

أتريد سلامة عرضك، نعم. زوج على الدين والخلق وتوكل على الله، لا تجعل الدراسة ولا الخدمة الإلزامية سبباً لعزفه عن الزواج، لأنه ربما بانتهائه من الدراسة مع الخدمة الإلزامية، قد وقع لا قدر الله في الفاحشة، فانتهى من الخدمة الإلزامية وبعدها انتهى أجله، وذهب إلى الله وهو مقترف للفاحشة. ماذا ستقول لربك غداً يوم القيامة؟ يا رب كنت أعتذر إليه حتى يتمم دراسته، حتى يؤدي خدمته الإلزامية، سيقال لك كذبت يا عبدي، لأن هذا الشاب لو أنه بعدما أن تزوج وضاقت عليه الأسباب، قال لك: يا أبت، وقال الزوج لعمه أبي الزوجة: إني أريد أن أغادر الوطن لمدة أعوام عدة، خمسة أعوام أو أكثر أو أقل، من أجل تأمين المستقبل، يتهلل وجه الوالد والعم، ويرحبون بالفكرة، توكل على الله واترك الزوجة والأولاد نحن في خدمتهم، المهم أن تأتينا بالمال الكثير. وإذا أراد أن يذهب إلى الخدمة الإلزامية وأن يتمم دراسته لا يكون أحدنا عوناً لهذا الشاب على الزواج، {فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون}.

زوجوا أيها الإخوة شبابكم وفتياتكم، والله إنها لنصيحة من خلال كلام الله عز وجل، بل أمر من كلام الله عز وجل من أجل سلامة أعراضنا، ومن أجل

سلامة أبنائنا، {وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله}.

اللهم ردنا إلى ديننا رداً جميلاً، وأقول هذا القول، وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

فاظفر بذات الدين تربت يداك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: هذا فصل الصيف قد أقبل علينا، والزواج فيه شعار من شعارات الصيف، الكثير من الناس يتزوجون في هذا الفصل، ولا شك أن كل متزوج يبحث عن السعادة، وعن السكينة التي أشار الله عز وجل إليها في القرآن العظيم بقوله: {ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة}.

ولكن العجيب، لو سألنا طلبة العلم والعلماء عن الأسئلة التي تعرض عليهم، ما هي نسبة الطلاق في الأسئلة من سائر ما يعرض عليكم؟ لو عرض على طلاب العلم، – وهذا أمر طبيعي في دوائر الإفتاء أن يعرض في اليوم الواحد مئة سؤال –، لو سألت عن نسبة الأسئلة التي تتعلق بالطلاق، لجاءك الجواب: أكثر الأسئلة وربما أن تزيد عن سبعين بالمئة عن الطلاق، ولو سألت عن الطلاق بالثلاث من خلال

هذه النسبة المئوية، لزاد على النصف.

لا أدري لماذا انقلب زواجنا الذي ينبغي أن نحقق من خلاله السعادة، إلى جحيم؟ لماذا انقلب إلى حياة شقاء وضنك حتى أراد كل من الزوجين أن يتخلص من صاحبه؟ إما أن يطلق الزوج ابتداء، وإما أن تطلب المرأة الطلاق من زوجها. هل يا ترى تغير سنة الله عز وجل في خلقه؟ وهل تخلف وعد الله عز وجل في يوم من الأيام أو في لحظة من اللحظات؟ معاذ الله. سنة الله عز وجل لن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً، ووعد الله مستحيل وألف مستحيل أن يتخلف. ومن وعود الله عز وجل التي لا تخلف: {من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون}.

أين الحياة الطيبة في زواجنا؟ أين يكمن الخلل؟ الخلل صوره كثيرة، ولعلي من هذه الخطبة والتي بعدها وما بعدها أن أتحدث عن الخلل في أسرنا، وفي زواجنا الذي جعل حياتنا شقاء وضنكاً.

أيها الإخوة: خلال يومين أو ثلاثة لا تدري كم مرة سئلت عن الزواج في ليلة النصف من شعبان أو ما قبلها أو ما بعدها بقليل، فأسأل: لم هذا السؤال؟ يريدون حجز صالات الأفراح من الآن. من أجل الزواج بعد أربعة أشهر، الوهم الذي نعيشه مزق أفئدتنا، من الآن نبحث ونحجز صالات الأفراح، قبل الزواج بأشهر عدة، يبدأ التنافس على حجز الصالات، أي صالة أفخم؟ وأيها أعظم وأجمع للناس؟ وأيها ترضي أهل الزوجة أو أهل الزوج؟ من الآن نفكر في حجز الصالات، وكنت أسأل هؤلاء: هل فكرتم قبل الزواج بأربعة أشهر أن تجعلوا دورة تدريبية تعليمية لكل من الزوجين ماذا يترتب على الزوج؟ وماذا يترتب على الزوجة؟ أتدرون ما هو الجواب؟ الجواب: سوف نسمع من مشايخنا وعلمائنا كلمة طيبة في ليلة الزواج يوجه فيها العالم الزوج، ويوجه الزوجة من خلال شريط مسجل!.

ولعلنا أن نضحك ضحك سخرية من هذا الكلام الممجوج، لأننا نعلم جميعاً بأن علماءنا ومشايخنا وطلبة العلم إذا أرادوا أن يتحدثوا ليلة الزفاف في حفل الزفاف، فإن أرواحهم تكاد أن تخرج من أجسادهم لتسكيت الناس، رجاء رجاء رجاء اسمعوا أيها الإخوة، كلمة لمدة عشرة دقائق، ما عندهم استعداد، ما عندنا استعداد لنتعلم، ما عندنا استعداد لأن نعرف الواجب الذي علينا قبل أن نعرف الحق الذي لنا. لذلك حرصنا على الوهم الذي نعيشه، لأننا ظننا أن سعادة بنتنا وابننا، إنما هو في ليلة الزفاف، في أي صالة، وكيف تكون الدعوة؟ وقلت لبعضهم: هل بوسعك أن تمنع شرب الأراكيل والدخان في ليلة الزفاف؟ قال: والله هذا ليس بوسعي، لأنني لا أستطيع أن أكسر خاطر الضيف الذي يأتيني، وأما إذا سخط الله عز وجل فلا مشكلة! إذا وقعنا في المعاصي والمنكرات فلا مشكلة! إذا لم تعظم حرمات الله لا مشكلة! في حفلات الزواج في الموالد كنا نتضايق من كثرة الكلام أثناء المديح والنشيد، ولكننا اليوم رضينا بالكلام والضجة والأصوات المرتفعة، وكأن كلاً من المنشد والمستمع يتحدى الآخر أيهما يكون صوته أعلى من الآخر، المنشد يرفع المذياع، والمتكلمون يرفعون الأصوات، إضافة إلى ذلك ضرب الطبول والدفوف، والصياح والرقص، هذا هو همنا في ليلة الزواج، ونفكر له قبل أربعة أشهر، أما أن نفكر كيف نربي أبناءنا حتى لا يقعوا في مشكلة الطلاق، ولأنه وبكل أسف وجد بعض طلبة العلم من يفرغون كلمة الطلاق من مضمونها، كم وكم يأتي الطلاق بلفظ صريح فيسمع المستفتي عليك كفارة يمين ولا حرج عليك، وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول: (ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: الطلاق والنكاح والرجعة) [رواه أبو داود والترمذي] .

أيها الإخوة: من الذي يستطيع أن يفرغ كلمة الطلاق من مضمونها؟ وبالتالي رأيت الحياة حياة شقاء وضنك، لا نحقق فيها سعادة، ما السر في هذا؟ الأسباب كثيرة، من جملة هذه الأسباب، وائذنوا لي في كل خطبة أن أذكر لكم سبباً واحداً،

لعله أن يرسخ في أذهاننا، سائلين المولى أن يوفقنا لاتباع الحق الذي جاء به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وأنا على يقين بأنكم تعلمون جميعاً السبب الأول الذي يحقق لك السعادة، ويبعدك عن الشقاء، ما أقوله لك وأنت تعرفه، ولكن الذكرى تنفع المؤمنين.

اسمعوا يا شباب، ولتسمع الأخوات اللواتي يردن النكاح، لنسمع ماذا يأمرنا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟. السبب الأول لنحد من مسألة الطلاق: اختيار كل من الزوجين شريك حياته، ولا شك أنكم تعلمون أن الاختيار ينبغي أن يكون مبنياً على أساس من الدين وعلى أساس من الخلق.

أيها الشاب: إذا كنت تشكّ في نصحي لك فأنا على ثقة بأنك لا تشكّ في نصح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لك، وأنا على ثقة بك أيها الشاب يا من يريد الزواج أنك تعلم قول الله عز وجل: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}. فاسمع ماذا يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي هو أولى بك من نفسك. لا تترك اختيارك لاختيار أبيك، ولا تترك اختيارك لاختيار أمك، مع أننا نترك اختيارنا لاختيار آبائنا وأمهاتنا، وهذا لون من ألوان البر والطاعة وهو مبارك فيه، ولكن الأولى والأجدر أن تترك اختيارك لاختيار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لك.

يروي الإمام مسلم عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة) لعلك أن تحفظ وتسمع يا من تريد السعادة، من هي المرأة الصالحة؟ المرأة الصالحة التي تراقب الله عز وجل في سرها وجهرها، المرأة الصالحة التي يقول فيها مولانا عز وجل: {فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله}، يا ولي الشاب، ويا أم الشاب، ابحثي لولدك، وأنت ابحث لنفسك عن المرأة الصالحة، من هي المرأة الصالحة؟ هل هي التي إذا جاءت إليك تبدأ بالصلاة؟ التي إن تزوجتها تحجبت؟ التي إن جاءت إليك تترك المواجهة مع أبناء عمها وعمتها؟

المرأة الصالحة هي التي تربت في البيت الصالح، في البيت الوقاف عند حدود الله عز وجل، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه الإمام الترمذي: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك).

من هي صاحبة الدين؟ ليست صاحبة الدين من تحجبت فقط، وليست من سترت وجهها فقط، صاحبة الدين المتحجبة التي لا يرى ظفرها أحد من الرجال الذي يجوز لهم أن يتزوجوا منها، صاحبة الدين التي تحفظ الغيب، وتخشى الله عز وجل في الغيب، صاحبة الدين التي تراقب الله عز وجل وإن غاب عنها الجميع.

انظروا إلى سيدنا عمر رضي الله عنه الفاروق، الذي كان همه ودأبه الرعية، سواء كانت على المستوى الضيق ألا وهي الأسرة، وإن كان رعيته العامة على سائر المسلمين. سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه كان يعس ليلاً ويتفقد الرعية، وهو يمشي في الطريق فإذا به يسمع امرأة تقول لابنها: أي بنية، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، أي امزجيه بالماء. والمقصود باللبن الحليب.

قالت لها: يا أماه، وسيدنا عمر يسمع، - لنبحث عن مثل هذه البنت إذا أردنا السعادة، وإلا والله فإن الشقاء حليفنا، وانظروا في واقعنا، سلوا في دوائر الفتوى، وسلوا المحاكم الشرعية، كم وكم هي الخيانات الزوجية، لأن همَّنا ودأبنا، وهمَّ الآباءِ والأمهات أن يزوِّجوا ولدَهم الحسناءَ الجميلةَ، ثم بعد ذلك الحسناءُ الجميلةُ تتعلم دينها في ذاك البيت الذي لا يعرف دين الله عز وجل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سيدنا عمر يسمع الحديث: قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء.

فقالت البنت: أوما سمعت عزيمة أمير المؤمنين عمر؟

قالت لها: وما عزيمته؟ ما الأمر الذي فرضه علينا.

قالت: لقد أرسل منادياً ينادي ألاّ يمزق اللبن بالماء.

فنظرت الأم إلى ابنتها وقالت لها: أي بُنيَّة، أين الآن عمر؟ وأين منادي عمر؟ قومي فامذقي اللبن بالماء.

فقالت تلك البنت الصالحة: يا أماه، إن كان عمر ومنادي عمر لا يرانا، ألا يرانا الله؟

هذه البنت الوقافة عند حدود الله عز وجل اظفر بها، وإن قلت لي: أين هي؟ أقول لك: والله هي موجودة في المجتمع (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) [رواه البخاري ومسلم]، ولكنك قد تُبتلى أيها الرجل وتُختبَر، فتجد المرأةَ صاحبةَ الدين والخلق ولكن ربما حسنُها لا يعجبك، ولكن ربما أسرتها فقيرة لا تعجبك، وربما مدخل بيتها لا يعجبك، كما حدثني بعضهم، سألني عن بنت صالحة، فدللته على بيت، فذهبت الأم لتخطب تلك الفتاة لابنها، فعادت من مدخل البناية ولم تدخل إلى البيت، فسألها الولد: هل أعجبتك الفتاة؟ قالت له: والله يا بني ما أعجبني مدخل البناية فعدت ولم أر الفتاة.

هكذا وصلنا أيها الإخوة، لا تستغربوا، والله هذا واقعنا، هذا هو الواقع المرير الذي نعيشه، نبحث عن الجمال والمال والمكانة، وفي آخر المطاف إن خطر في بالنا أن نبحث عن الدين سألنا، فإن وافقت هوانا في جمالها ومالها وحسبها ونسبها نُرغِّب ولدنا بأنها وإن كانت قليلة دين سوف نربيها على الدين، وهيهات هيهات. لذلك كن عاقلاً يا أيها الشاب، وخذ بوصية سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، إذا أردت أن تحقق السعادة أن تظفر بصاحبة الدين وبصاحبة الخلق.

وأما أنت يا ولي الفتاة، وأنت الذي عندك بنت صاحبة دين، وصاحبة خلق، والله نصيحة لك وشرف لك أن تتأسى بسيدنا شعيب، وأن تتأسى بسيدنا عمر، لتمتثل قول الله عز وجل: {وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله}. انظر أيها الرجل الذي تختار

لابنتك، انظر إلى سيدنا عمر عندما سمع تلك الفتاة تقول تلك الكلمة، فأين الله؟ جعل إشارة على الباب، وفي اليوم التالي أمر ولده عاصم أن يخطب لنفسه تلك الفتاة، فتزوج عاصم من هذه الفتاة، فأنجبت له بنتاً، فتزوجت تلك البنت من عبد العزيز بن مروان، فأنجبت تلك البنت رجلاً عظيماً، أتدرون من هو هذا الرجل؟ هو الخليفة الراشد الخامس سيدنا عمر بن عبد العزيز. الشجرة الطيبة تؤتي أكلها بإذن الله.

أيها الإخوة: ابحثوا لبناتكم عن صاحب الدين والخلق، وأنتم أيها الشباب ابحثوا عن صاحبة الدين والخلق، فصاحب الدين ينزه لسانه عن كلمة الطلاق والحرام، وصاحبة الدين لا تحيج زوجها إلى يمين الطلاق ولا إلى يمين الحرام.

لا تفكر في صالات الأفراح، لا تفكر بالحفلات، لا تفكر بالأعراس، ووالله إني لك ناصح، إذا لم تستطع أن تجعل ليلة عرسك منضبطة بضوابط الشريعة، أنصحك لوجه الله ألا تجعل عرساً، لأن مشاكل الصيف ستبدأ بحفلات الأعراس، إن كانت موالد وإن كانت غناء، حيث الإزعاج للمسلمين عامة في البلد، بسبب الأصوات المرتفعة، فبناءٌ يُبنى على إيذاء المسلمين، أيُّ خيرٍ سيكمن في ذاك البيت؟!

على كلٍّ: الأساس الأول لتحقيق سعادتنا وللابتعاد عن مسألة الطلاق اختيار كل من الزوجين صاحبه على الدين والخلق. اللهم أكرم شبابنا بذلك، وأكرم فتياتنا بذلك، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

23- خطبة الجمعة: الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأن حياتنا الزوجية والأسروية حياة فاشلة وممزقة، الطلاق يزداد يوماً بعد يوم، وحياة الشقاء والضنك حليفة لأسرنا إلا من رحم ربي، وقلت لكم: إن سبب هذا الفشل، وحياة الشقاء إنما هو بسوء الاختيار لكل من الزوجين، وعرفنا من خلال توجيه سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام في الحديث الذي يرويه الإمام مسلم، قال صلى الله عليه وسلم: (الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة).

ركز النبي عليه وآله الصلاة والسلام على المرأة الصالحة لأن هذه المرأة سوف تكون لك سبباً من أسباب السعادة بإذن الله عز وجل، في الحياة الدنيا، وفي عالم البرزخ، وفي العالم الآخر في عالم يوم القيامة، ألا يستحق هذا الأمر أن نتوقف عند الاختيار؟ أنت لا تشتري سلعة ما حتى تغمض عينك وتشتري كيفما شئت، أنت ترتبط مع امرأة، وهذه المرأة سوف تنجب لك أبناء وبنات، الزوجة مع أبنائها وبناتها سيكون لهم الأثر في حياتك الدنيوية، وفي حياتك البرزخية، وفي حياتك الأخروية، ألا يستحق هذا الأمر أن تقف وقفة الإنسان الذي استجاب لأمر الله، ولأمر سيدنا رسول الله الذي فيه حياتنا {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}. فالأمر بيدك أيها الشاب، ويا ولي الشاب، ويا ولي الفتاة. فهل نختار كما أمر النبي عليه الصلاة والسلام صاحبَ الدين والخلق لبناتنا؟ وهل نختار صاحبةَ الدين والخلق لأبنائنا كما أمر النبي عليه الصلاة والسلام؟ رسولنا

صلى الله عليه وسلم يقول: (اعمل ما شئت)، فاختر ما شئت كذلك، ولكن عليك أن تعلم ما هي النتائج بعد اختيارك؟ إن كان اختيارك صحيحاً فالنتائج سليمة بإذن الله في حياتك الدنيوية والبرزخية ويوم القيامة، وأما إذا كان اختيارك فاشلاً فأنت الذي ستتحمل النتائج في عالم الدنيا وفي عالم البرزخ وفي عالم يوم القيامة.

اسمعوا ماذا يقول نبينا عليه الصلاة والسلام، كما يروي الإمام الطبراني، اسمع يا من يريد الاختيار، إما أن تختار لجمال، وإما لمال، وإما لحسب، وإما أن تختار لدين، والصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الذي ما خرج من لسانه الشريف إلا الحق، يقول: (من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً). تنبه يا من يختار لولده، تنبه أيها الشاب يا من يريد الزواج، اعرف كيف تختار شريكة الحياة، (ومن تزوجها لمالها...) أنت تختار صاحبة المال، أو صاحبة المهنة، أو صاحبة الوظيفة، أو صاحبة المورد المادي، أنت تختار من أجل المال، اسمع ماذا يقول لك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: (ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة) هي حسيبة ونسيبة ولكن بدون دين، هي حسناء ولكن بدون دين، وهي صاحبة مال ولكن بدون دين، ما هي النتيجة؟ النتيجة هي الشقاء في عوالمك الثلاثة. (ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه ويصل رحمه، بارك الله له فيها وبارك لها فيه).

هل أنت تختار صاحبة الدين والخلق التي تعينك على طاعة الله؟ هل أنت تختار صاحبة الدين والخلق التي تعينك على بر الوالدين، والتي تقربك من الله عز وجل؟ هل تختار المرأة من أجل أن تغض بصرك وتحفظ فرجك، ومن أراد أن يغض بصره ويحفظ فرجه فليختر لنفسه صاحبة الدين والخلق، فصاحبة الدين والخلق إن تزوجتها بهذا الغرض كان لك العونُ من الله عز وجل على تحقيق ما تريد، وتتحقق لك السعادة. أما إن اخترت صاحبة المال أو الجمال أو الحسب بدون دين، فأنت

الذي ينبغي أن تتحمل النتائج من وراء هذا الاختيار.

واقعنا مرير أيها الإخوة، وائذنوا لي أن أقول بكل صراحة: والله الذي لا إله غيره جُلُّ الآباءِ والأمهاتِ والشبابِ يختارون صاحبة المال والجمال والحسب، وفي مسألة الدين لا يفكرون فيه إلا في نهاية الأمر، إن أعجبه حسنها ومالها وحسبها أغمض الطرف ثم تزوج، وبعد ذلك جاءت النتائج الوخيمة.

أيها الإخوة: هذا الزواج الذي له أثر في حياتنا، في عالمنا الدنيوي، وفي عالمنا البرزخي، وفي عالمنا الأخروي، ألا يستحق منا أن نحسن الاختيار؟ الزوجة ستنجب لك أولاداً، إن كانت الزوجة صاحبة دين وخلق، كيف تربي أبناءها؟ سوف تربي أبناءها على بر وطاعة الوالدين، ألا يستحق هذا الأمر عندك أن تنتقي المرأة التي لها صلة مع الله عز وجل؟ أن تنتقي المرأة التي تحضك أولاً على بر والديك، ثم تربي أبناءك على برك والإحسان إليك، وأن يرعاك ولدُكَ وابنتُكَ عندما تكون في سن الشيخوخة؟ ألا تفكر في أيام الشيخوخة؟ ألا ترى الواقع المرير عندما نسمع في بلد إسلامي هناك دار الرحمة، دار العجزة، من أجل رعاية المسنين، يُكتب عليها اسم: دار الرحمة، وأنا أقول: ليكتبوا عليها دار عقوق الآباء والأمهات، في بلد مسلم تكون تلك الدار، وربنا عز وجل يقول: {إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً}. ألا تفكر يا أخي في شيخوختك؟ ألا تفكر في ضعفك الثاني، لأن الله خلقنا من ضعف أولاً، ثم جعل من بعد الضعف قوة، ثم جعل من بعد القوة ضعفاً وشيبة.

فأنت في أيام قوتك هل عرفت كيف تختار زوجة تنجب لك أبناء تربيهم على كتاب الله؟ ألم يقولوا لنا:

الأم مدرسة إذا أعددتها *** أعددت شعباً طيب الأعراق

أيها الإخوة: من أراد البر من أبنائه عليه أن يحسن الاختيار في زواجه، لأن

الأم هي التي تربي الولد على طاعة الوالدين، أو تربي الولد على العقوق والعياذ بالله تبارك وتعالى، ألا يستحق هذا الأمر أن تقف وقفة الإنسان المختار، لتختار أماً لتربي لك أبناء حفظة لكتاب الله عز وجل، لتربي لك أبناء دعاة إلى الله عز وجل، لتربي لك أبناء يحملون لك سمعة حسنة طيبة مباركة في حياتك الدنيوية والبرزخية، عندما ساء اختيارنا انظروا إلى عقوق أبنائنا، وانظروا إلى أبنائنا، هل يا ترى أبناؤنا من أهل الصلاح والإصلاح؟ أم أبناء المسلمين اليوم إلا من رحم ربي من أهل الفساد والإفساد؟ الفساد في المجتمع من أين ينتشر؟ من أبنائنا وبناتنا، من أين جاء هذا الفساد؟ من سوء اختيارنا يا عباد الله، ألا يستحق هذا الأمر أن تقف وقفة الإنسان الذي ينبغي عليه أن يحسن الاختيار من أجل مستقبله أولاً، ومن أجل سمعته ثانياً، من أجل أن يكون ولده داعياً إلى الله عز وجل، لا أن يكون داعية من دعاة الفساد.

أنت عندما ترى شاباً صالحاً تقياً، مباشرةً إذا أردت أن تدعو الله عز وجل له تترحم وتترضى على والديه اللذين كانا سبباً في تنشئة هذا الولد تنشئة صالحة، وأما إذا رأيت ولداً فاسداً فأول ما تفكر به أن تصب اللعنة على والديه والعياذ بالله تعالى.

وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يروي الإمام البخاري يقول: (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه) من أكبر الكبائر أن يكون الولد سبباً لصب اللعنة على والديه، نعوذ بالله من ذلك، كيف يكون هذا الولد سبباً لصب اللعنة على والديه؟ بسوء اختيار الأم، لذلك كان أبو الأسود الدؤلي يقول لأبنائه: أي أبنائي، أحسنت إليكم صغاراً، وأحسنت إليكم كباراً، وأحسنت إليكم قبل أن تولدوا. قالوا: أحسنت لنا صغاراً وكباراً عرفنا هذا، ولكن كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: لقد انتقيت لكم من الأمهات من لا تُسبُّون بها.

انظر يا أخي إلى ولدك وإلى سلوكه، أيجر لك اللعنة لا قدر الله؟ أم يجر لك

الرحمة؟ بأن تذكر برحمة، أو يذكر العبد باللعنة من خلال سلوك هذا الولد. ألا يستحق هذا الأمر عندك حسن الاختيار.

أيها الإخوة: زواجنا لا تظنوا أنه نكاح وقضاء شهوة فحسب، إن زواجنا له أثر في حياتنا الدنيوية، وأثره مستمر إلى عالم البرزخ، وإلى عالم يوم القيامة، فلتختر لنفسك ما تشاء، ولكن قبل الاختيار فكِّر في النتائج، فكر ما هي النتائج إن تزوجت امرأة حسناء، أو صاحبة مال، أو صاحبة حسب ونسب، ولكن بدون دين، فكِّر في النتائج قبل الزواج، وفكر في النتائج إن تزوجت صاحبة الدين والخلق ولو كانت سوداء، لأن الذي يفكر في النتائج في عالم الدنيا والبرزخ والقيامة، لا يكون حريصاً فقط على ما يفنى، إنما يكون حريصاً على ما يبقى، هذا الحديث وأثره في حياتنا البرزخية والأخروية سنتحدث عنه في الأسبوع القادم إن أحيانا الله عز وجل، أقول هذا القول، وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

-24خطبة الجامع الكبير في حلب طاعتنا لمن؟(

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: آيتان من كتاب الله عز وجل، جدير بكل إنسان مسلم أن يلقي السمع إليهما، وأن يتفكر بهما، وأن يتدبر تلك الآيتين، قبل أن يندم ولا ينفعه الندم، فلعلك يا أخي المسلم، ويا أختي المسلمة، أن تلقي السمع لهاتين الآيتين الكريمتين، فهيئ نفسك وقلبك وفكرك لسماعها ثم لحفظها، ثم لفهمها ثم

لتطبيقها.

الآية الأولى يقول فيها مولانا جل في علاه: {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً}. احفظ هذه الآية، واعلم نتيجة من أطاع الله وأطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أين هو يوم القيامة؟ لأنك في دار كُلِّفت فيها أيها الإنسان، وأعطاك الله جزءاً من الاختيار، وقال لك النبي عليه الصلاة والسلام: (اعمل ما شئت فإنك مجزي به) [رواه الحاكم]، فيا أيها العامل المختار اعلم أن الجزاء من جنس العمل.

واسمع الآية الثانية، يقول مولانا عز وجل: {يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً}.

هل سمعت هاتين الآيتين؟ هل مجيئك لصلاة الجمعة، ومجيئك يا أختاه لصلاة الجمعة من أجل النزهة والتفسح وتغيير المكان؟ أم أننا سعينا رجالاً ونساء امتثالاً لقول الله عز وجل: {إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون}. لماذا نسعى يا رب؟ لنسمع. وإذا سمعنا ماذا نعمل؟ أنت حر، إما أن تكون من أهل قول الله عز وجل: {وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير}. وإما أن تكون من أهل قول الله عز وجل والعياذ بالله تبارك وتعالى: {وقالوا سمعنا وعصينا}.

اسمع يا أخي، واسمعي يا أختاه نتيجة من أطاع الله، وأطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونتيجة من عصى الله ورسوله. {ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً}. وصورة هذا الفوز العظيم متجلية في قوله جل في علاه: {أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً}. وأما من عصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنتيجته {يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً} لماذا يا رب؟

لأن الله يقول في حق هؤلاء: {يوم تقلب وجوههم في النار} أيها العاصي، أيتها العاصية لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم – وأرجو الله ألا يكون فينا عاص – لنسمع ماذا يقول مولانا عز وجل: {يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا * وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً} ولكن هيهات، ماذا ينفعك هذا الكلام أيها التابع لغير سيدنا رسول الله؟ هل هذا الكلام ينقذك يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل.

أيها الإنسان أنت مأمور بقول الله عز وجل: {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها} انظر إلى نتيجة من أطاع رسول الله، وإلى نتيجة من عصى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمن أنت مطيع؟ من هو الآمر عليك ومن هو الناهي؟ أنت وأنتِ لمن نمتثل الأمر، إن أمر رسول الله أمراً، وأمر شيطان من شياطين الإنس والجن أمراً، فأي الأمرين مرجح عندك يا عبد الله ويا أمة الله؟ لمن أنت طائع بأقوالك وأفعالك ومعاملاتك؟ هل أنت طائع لله ولرسوله؟ أم أنك طائع لشياطين الإنس والجن من السادة والكبراء، من دعاة أبواب جهنم والعياذ بالله تبارك وتعالى؟

أنت أيها الإنسان، لا بد لك من آمر وناه، فمن هو آمرك وناهيك؟ المسلم يقول: آمري إنما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، لماذا أنت تمتثل أمره؟ يقول لك: لأن الدنيا من زمن بعثته إلى يومنا هذا ما جربت على رسول الله كذباً – حاشاه صلى الله عليه وسلم –. أما قال القوم لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: ما جربنا عليك كذباً قط؟ أما قال القوم لسيدنا رسول الله: أنت الصادق الأمين؟ اجعل طاعتك للصادق الأمين، اجعل طاعتك لمن لم تجرب عليه كذباً قط، ومن الذي لم يكذب قط غير النبي صلى الله عليه وسلم؟ طاعة المسلم للمعصوم، للذي قال في الحديث: (فوالذي بعثني بالحق ما خرج منه إلا حق) وأشار إلى فمه الشريف [رواه أبو داود والحاكم]. اجعل طاعتك لمن قال فيه مولانا جل في علاه:

{وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى} اجعل طاعتك لهذا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الذي ما كَذَبَنا وما كذبْنا بالنقل عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال لنا: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى) [رواه البخاري].

نسمع اليوم من دعاة أبواب جهنم يقولون: زماننا وعصرنا عصر التقدم، عصر الرقي، عصر التطوير، عصر التحديث، ينبغي عليكم يا علماء المسلمين أن تجددوا وأن تطوروا لتماشوا الحضارة اليوم، كأنهم يقولون: ينبغي عليكم يا علماء أن تستدركوا على رسول الله، ينبغي عليكم أن تصححوا وأن تغيروا، ونحن الذين نتغير ونتبدل، نحن قد نتكلم صباحاً شيئاً، وفي المساء نقول شيئاً آخر، لأننا أتباع هوى، أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، والذي صدقته الدنيا، ليس فقط في زمنه قالوا: ما جربنا عليك كذباً قط، وليس في زمانه قالوا: أنت الصادق الأمين، بل أحداث الدنيا هي التي تصدق سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام.

خذوا على سبيل المثال، واسمعوا ماذا يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق فتيانكم؟) قالوا: يا رسول الله إن هذا لكائن؟ قال: (نعم وأشد منه، كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟) قالوا: يا رسول الله إن هذا لكائن؟ قال: (نعم، وأشد منه، كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً؟) [رواه الطبراني وأبو يعلى] أليس هذا واقعنا أيها الإخوة؟ هذا كلام الصادق المصدوق سيدنا محمد، هذا الذي يطاع، وهذا الذي يمتثل أمره، هذا الذي قال لنا وصدقته الدنيا، عندما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) [رواه الترمذي]، واليوم يخطب صاحب الدين والخلق،

فيرفض، ما هي النتيجة؟ ما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتنة في الأرض وفساد عريض.

اتباعنا للصادق المصدوق الذي قال في الحديث الصحيح: (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة – اسمعي يا أختاه واسمع يا ولي المرأة – نساء كاسيات عاريات – لضيق الثياب أو لرقتها — مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) [رواه مسلم].

قولي لي يا أختاه، وقل يا ولي الفتاة، ويا أيها الزوج، لمن طاعتك؟ الله عز وجل يقول: {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين} هكذا يقول مولانا، أن تستر نفسها من فرقها إلى قدمها، وأن تستر وجهها حتى لا تعرف، لأن المرأة تعرف من وجهها لا من قدمها، ولكن دعاة أبواب جهنم يأبون من نسائنا إلا التبرج تبرج الجاهلية الأولى، وبكل أسف أن ترى هذه التبرج من بعض النساء وهن داخلات إلى بيت الله، يا سبحان الله، ما هذا التناقض؟ أين طاعتنا لسيدنا رسول الله، وأين طاعتنا لله عز وجل؟

انظر وفكر يا عبد الله ويا أمة الله، لمن طاعتك؟ انظر في نتيجة الفريق الأول: {ومن يطع الله والرسول فقد فاز فوزاً عظيماً} ونتيجة هذا الفوز {فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين} فإذا التقى هؤلاء مع هؤلاء في أرض المحشر، يقول أحدهم: يا رسول الله أنا من أمتك. فيقول النبي عليه الصلاة والسلام: يا رب لا أرضى وواحد من أمتي في النار [أورده القرطبي والرازي في التفسير]. لن تفر من متبوعك، ومتبوعك لا يتبرأ منك.

وأما إذا كان متبوعك من السادة والكبراء الذين ما عرفوا الله، وما عرفوا

رسول الله، إنما حاربوا الإسلام جهاراً نهاراً لا يبالون، ما هي النتيجة يوم القيامة؟ {إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار} وماذا يفعل بهم في نار جهنم {يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا} أنت كنت تتبع الحضارة والتقدم والتحديث والتطوير، أن تماشي الغرب الذي ما عرف الله وما عرف القيم، ولا عرف الآداب ولا الأخلاق، عند ذلك يوم القيامة {يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا} لمن أطعت؟ {وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا} ليأت السادة والكبراء لينقذوك من نار جهنم، ولكن سوف تجد السادة والأمراء في نار جهنم قبل أتباعهم والعياذ بالله {يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود}.

أيها الإخوة: تذكروا قول الله عز وجل في القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إذا كنتم لا قدر الله من العصاة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً * وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً}. إنا لله وإنا إليه راجعون.

أيها الطائع: لمن طاعتك؟ أطاعتك لله ورسوله؟ فهنيئاً لك، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبحث عنك في أرض المحشر، وأنت سوف تبحث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما إذا كانت طاعتك لغير سيدنا رسول الله من السادة والكبراء فتذكر قول الله عز وجل: {يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه} هؤلاء الذين أطاعوا السادة والكبراء يقولون يوم القيامة: {ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا

آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً} أما أمير هؤلاء السادة والكبراء دعاة أبواب جهنم، وهو الشيطان، فإنه سيقول يوم القيامة، اسمع يا أخي، واسمعي يا أختاه، اجعلوا طاعتكم لله ولسيدنا رسول الله من أجل مصلحتنا في الدنيا قبل الآخرة، يقول مولانا عز وجل حكاية عنه: {وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي} من الذي حمل عليك العصا حتى أتيت لصلاة الجمعة؟ طاعتك لله ولسيدنا رسول الله. ومن الذي حمل العصا على المتبرجة حتى تبرجت؟ ومن الذي حمل العصا على المرابي حتى رابى؟ ومن الذي حمل العصا على المنافق حتى نافق؟ وعلى الزاني حتى زنى؟ وعلى السارق حتى سرق؟ وعلى الكاذب حتى كذب؟ ومن الذي حمل العصا على من نظر إلى أجهزة الإعلام إلى تلك الأفلام الخلاعية فعصى، من الذي حمل عليه العصا؟ لا أيها الإخوة، إنما هو اختيارنا، لا تجعل الأمر منوطاً بغيرك، لأن غيرك سيتبرأ منك لا قدر الله، اسمعي يا أختاه والله شياطين الإنس والجن سيتبرؤون منك يوم القيامة، وأجهزة الإعلام ستتبرأ منك يوم القيامة، وشيطانات الإنس والجن سيتبرأن منك يوم القيامة، وأصحاب المحلات الذين يعرضون الألبسة عرضاً مخزياً سيتبرؤون منك يوم القيامة {وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي} الله يدعوك وشيطان الإنس والجن يدعوك، فلمن أطعت؟ من أطاع الله أطاعه باختياره، ومن أطاع شياطين الإنس والجن أطاعهم باختياره. {وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم}. وأعطاك الله صورة من صور هذا الظالم فقال: {ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً}.

في ختام هذه الخطبة: أيها الأخ المسلم هل بوسعك أن تعاهد الله بأن تجعل طاعتك لله ولسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقوالك وأفعالك، وفي تعاملك مع أهل بيتك، وهل بوسع المرأة أن تجعل طاعتها لله ولرسوله قبل أن تأتي ساعة الندم، ولا ينفعنا الندم. أسألك يا رب بأسمائك الحسنى وبصفاتك العلى، أن توقظنا من غفلتنا، وأن تلهمنا رشدنا، وأقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

25- خطبة الجمعة: ولدك استمرار لك، فأحسن اختيار أمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: ذكرت لكم في الأسبوع الماضي وجوب حسن الاختيار في الزواج، أن ينتقي كل من الزوجين صاحبه على أساس من الدين والخلق، لأن حسن الاختيار سبب من أسباب ديمومة الحياة الزوجية، وسبب من أسباب تحقيق السعادة في الدنيا وفي عالم البرزخ وفي عالم يوم القيامة. كما أن سوء الاختيار سبب لعدم الديمومة، وسبب للطلاق، وسبب للشقاق، وسبب للاختلاف، وسبب من أسباب العذاب في حياتك الدنيا، وفي حياتك البرزخية، وفي حياتك الأخروية. وعرفنا في الأسبوع الماضي بأن الزواج ينبغي أن نفكر بأن له أثراً في حياتنا الدنيا، تلك الزوجة التي ستكون أماً لأبنائك، عليك أن تختارها من أجل

مصلحتك، ومن أجل أن تربي أبناءها على قول الله عز وجل: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً * إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً}.

صاحبة الدين والخلق تربي أبناءها على ذلك، فاختر أيها الزوج المرأة الصالحة، واختاري أيتها الزوجة الرجل الصالح، من أجل أن تتعاونا على تربية الأبناء من أجل الشيخوخة في المستقبل، لأن أمامك إن كان لك عمر مرحلة العجز والشيخوخة والضعف، وأنت بحاجة إلى رعاية، فمن الذي يرعاك؟ إذا لم يكن ولدك الذي ربيته والذي أنفقت عليه هو الذي يرعاك، أدور الرحمة ترعاك؟ يا رعاك الله، تنبَّه فإن الأمر جد خطير، عليك أن تتنبه لحسن الاختيار من أجل مصلحتك، عليك أن تختار صاحبة الدين والخلق، من أجل برزخك، من أجل عالم القبر الذي أنت سائر إليه لا محالة، عش ما شئت فإنك ميت. علَّك أن تفكر في برزخك، وفي هذا القبر، هل هذا القبر الذي سيضمك في يوم من الأيام، سيأتي ولدك من بعدك فيرفدك بالعمل الصالح وأنت في قبرك؟ هلاَّ فكرت بالأم لأبنائك قبل الزواج، لتربي لك أبناء ليكونوا لك ذخراً بعد موتك، عندما تكون في قبرك!

أوما سمعنا حديث سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي يرويه الإمام مسلم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به). ألست حريصاً على أن تبقى أعمالك مستمرة بعد موتك؟ تقول: نعم أنا حريص على ذلك، كيف يكون هذا وأنت الذي ستموت؟ يكون هذا بتربية الولد تربية صالحة، الولد الصالح هو الذي يعرف حق أبويه عليه بعد موتهما، لا في حال الحياة فقط، إنما بعد الموت، من هذا الولد الذي يعرف حق الوالد بعد موته؟ إنه الولد الصالح، والولد كيف يكون صالحاً إذا لم يكن

اختيار الأبوين لبعضهما البعض على أساس من الدين والخلق؟

يروي ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من بعده)، هلا فكرت في ولدك أن يكون ولداً صالحاً ليدعو الله عز وجل لك بعد موتك صباحاً ومساء، وهو يقول: رب ارحمهما، على أي أساس؟ كما خلفاني؟ لا أيها الإخوة، رب ارحمهما كما ربياني صغيراً. كيف نربي أبناءنا؟ الأم إذا لم تكن صالحة تعرف دين الله وتعرف شرع الله عز وجل، وتعرف الحلال من الحرام، وتعرف ما ينبغي عليها نحو أبنائها، لأن الزواج مسؤولية كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها) [رواه البخاري ومسلم] إذا لم تختر والله ستندم، وربما لا ينفعك الندم.

النبي عليه الصلاة والسلام لنا ناصح أمين، أولى بنا من أنفسنا، هو الذي قال لنا صلى الله عليه وسلم: (فاظفر بذات الدين تربت يداك) [رواه البخاري ومسلم]، وهو الذي قال لنا: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه) [رواه الترمذي].

أيها الإخوة: الأمر يستحق منا أن نفكر به بجدّ من بعد موتنا، أنت ماذا ستخلف لولدك من بعدك؟ ما هو الإرث الذي ستجعله لأبنائك من بعدك؟ والله إن تركت لهم المال، فربما المال يطغيهم، وسيئاتهم في صحائف أعمالك، والوزر عليك، تركت لهم المال فعصوا الله فيه، ولم تحسن التربية، فوزرهم في صحيفتك يوم القيامة. ماذا تخلف لأبنائك من إرث؟ لا تكن حريصاً على إرثك من بعدك ألاَّ يوزع توزيعاً شرعياً، بل كن حريصاً على نفسك ألاَّ تتعدى حداً من حدود الله، فتأتي إلى مالك الذي ما صار بعدُ إرثاً، تأتي إلى هذا المال وتقول: أنا أريد أن

أقسم مالي على قيد الحياة، لماذا؟ لأني أخاف على أبنائي وبناتي من بعدي حتى لا يقتتلوا مع بعضهم البعض، أين تربيتك لهم؟ وأين تربية الأم لهؤلاء الأبناء الذين لا يستأمنون على بعض الدريهمات من بعدك؟ فيقتتلون من بعدك على الدينار والدرهم لسوء التربية، وما كان سوء التربية إلا من سوء الاختيار.

تعالوا أيها الإخوة وانظروا إلى سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام، عندما يحدثنا ربنا عز وجل عنه في القرآن العظيم: {كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفياً * قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً * وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً * يرثني} هل كان يخاف سيدنا زكريا على المال ويقول: هب لي من لدنك ولياً يرثني؟ ماذا يرث منك يا سيدي يا زكريا عليك وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم؟ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، الدين، الخلق، وهو الذي يضمن لك المال، والعرض، ويضمن لك سلامة الأسرة من بعدك أن تكون متماسكة لا أن تكون متفككة متمزقة، أسرنا اليوم ونحن على قيد الحياة، الآباء والأمهات على قيد الحياة والأسر متمزقة متدابرة متحاسدة متخاصمة، لماذا؟ من سوء الاختيار أيها الإخوة.

انظر إلى سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام وهو يدعو ربه: {هب لي من لدنك ولياً * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً}. أن يكون مرضياً عندك، ومن كان مرضياً عند الله كان حريصاً على أبويه، بدون أن يحرضه الأبوان على برهما، لأنه ينظر إلى الله جل وعلا، عندما دعا سيدنا زكريا هذا الدعاء، حرصه على ديمومة العلم من بعده، كما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام: (صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به). كان حريصاً على أن يورث أبناءه من بعده العلمَ لينتفع هو إن خرج من الدنيا، ما هي النتيجة؟ {يا زكريا إنا نبشرك بغلام}. ما هي نتيجة هذا الغلام يا رب؟ نتيجته بشهادة الله عز وجل:

{يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً * وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً * وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً * وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً}.

انتبهوا أيها الإخوة: وآتيناه الحكم صبياً، لأن الأب كان حريصاً على ولده وهو على قيد الحياة في حسن الاختيار. أهذا ولد لهذا الأب، وأبناؤنا أبناء لنا؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، حسن الاختيار من أجل سعادتك في الدنيا، وفي عالم البرزخ، ومن أجل سعادتك يوم القيامة. أولست أنت الحريص على سعادتك في عوالمك الثلاثة؟ نعم أنت حريص. فاختر المرأة الصالحة التي تحقق لك سعادة في الدنيا، وتحقق لك سعادة في عالم البرزخ وفي حياتك الأخروية، والحديث عن السعادة الأخروية من خلال الزواج نتحدث عنه إن شاء الله في الأسبوع القادم. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة: قبل الدعاء، هذه الأعراس الوطنية التي نجعلها في بلدتنا من أجل يوم الاستفتاء من أجل سيادة الرئيس، لماذا نجعل أعراسنا الوطنية ممزوجة بمعصية الله؟ ما شأننا أيها الإخوة، وما حالنا عندما نرى ونظن أن هذا الأمر نعمة من النعم، وأنت تراه نعمة، لماذا تقابل نعمة الله بمعصية الله عز وجل؟ لماذا لا تجعل عرسك الوطني ممزوجاً بدين الله عز وجل، منضبطاً بضوابط الشرعية؟ لأن هذا الرجل الذي سيتقلد هذه الأمانة يحتاج منا إلى دعاء كثير أيها الإخوة، أن ندعو الله عز وجل له أن يعينه على رفع راية الإسلام خفاقة، أن يعينه على تحليل الحلال وتحريم الحرام، أن يعينه على تحمل هذه المسؤولية، لأنه سيسأل بين يدي الله يوم القيامة عن أمته، عن شعبه، هذه المسؤولية التي سيتقلدها يحتاج منا إلى كثرة التجاء إلى الله، في أن يهيئ له ربنا عز وجل البطانة الصالحة، التي ترعى البلد، وترعى المال، وترعى العرض، وكما قلت قبل قليل: رعاية المال والعرض والأرض لا تكون

إلا من رجال عرفوا الله عز وجل، والتزموا كتاب الله عز وجل، فلماذا لا تجعلون أعراسكم الوطنية التي تحتفلون بها مصبوغة صبغة إسلامية مجردة عن كل معصية ومخالفة؟ وخاصة رفع الأصوات في المذياع والتشويش على الناس، لماذا أيها الإخوة؟ إن فرحنا ينبغي أن يكون منضبطاً بضوابط الشريعة، {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون}.

والله الذي لا إله غيره، هذا الشاب الذي سيتقلد زمام هذه الأمور، إن مسؤوليته كبيرة أمام الله عز وجل وأمام العالم، هو بحاجة إلى بطانة صالحة تعينه على طاعة الله، تذكره بالله عز وجل.

أيها الإخوة: أسأل الله جل وعلا أن يسدد خطاه، وأن يلهمه أن يلتزم كتاب الله عز وجل، وسنة سيدنا رسول الله، وأن يكون حريصاً على الأرض والعرض، من كيد الكائدين، من كيد اليهود، من كيد الصليبية الحاقدة، من كيد المجرمين الذين يخططون لهذا البلد، وخاصة في مسألة الأسرة، يخططون لدمار الأسرة، لأنه إذا دمرت الأسرة دمر المجتمع، أكثروا من الدعاء أيها الإخوة للإمام، لأن السلف الصالح كان يقول: والله إني لو أعلم أن لي دعوة مستجابة عند الله لجعلتها للإمام، لأن صلاحه صلاح للأمة.

لذلك أيها الإخوة: اجعلوا أعراسكم الوطنية وغير الوطنية في حفلات زواجكم، اجعلوها منضبطة بضوابط الشريعة، وأكثروا من الدعاء لهذا الرجل الذي تقلد زمام هذه الأمور، أن يعينه الله عز وجل على الالتزام بالكتاب والسنة، وأن يهيئ له الله عز وجل البطانة الصالحة، التي تذكره إذا نسي، وتعينه على طاعة الله. والحمد لله رب العالمين.

** ** **

26-خطبة الجمعة: جرأة المرأة على التبرج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: إن جرأة المرأة المسلمة على التبرج، وعلى الخروج من بيتها كاسية عارية، مميلة مائلة، رأسها كسنام الجمل، لأمر عجيب، المرأة الغربية الكافرة إذا خرجت سافرة متبرجة كاسية عارية فليس ذلك بغريب عليها، لأن اعتقادها فاسد، ولأن شكها في دينها قائم، وليس عندها ارتباط بيوم القيامة. ولكن المشكلة في المرأة المسلمة التي آمنت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبالقيامة مآلاً، وبأن الجنة حق، وبأن النار حق، أمر عجيب من هذه المرأة أن تخرج سافرة، متبرجة، كاسية عارية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حق هذه النسوة: (لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وريحها يوجد من مسيرة خمس مئة عام) [رواه مالك في الموطأ].

من المسؤول عن ذلك؟ المسؤول عن ذلك هو من يشهد الجمعة، ومن يحضر مجالس العلم. المسؤول عن ذلك هو الذي قال فيه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل - وأنت رجل - راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته) [رواه البخاري ومسلم]. والله يخاطبك بنص القرآن ببيان واضح: {قوا أنفسكم وأهليكم ناراً}.

جرأة المرأة أن تخرج من بيتها وتنسى الأسوة الصالحة من بنات الأنبياء والمرسلين، وتنسى الأسوة الصالحة من نساء أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة

والسلام، وتنسى الأسوة الصالحة من النساء الصالحات، وتنسى نفسها أن تكون من الصالحات، تنسى قول الله عز وجل وهو يحدثنا عن بنات سيدنا شعيب: {لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير}. جرأة في المرأة أن تخرج متبرجة، والجرأة الأكثر أن تحتك مع الرجال، وأن تتكلم مع الرجال، وأن تخلو بالرجال، إن كان في الأسواق، وإن كان في المؤسسات، وإن كان في الجامعات، وإن كان في المدارس، وفي الشوارع والطرقات، والجرأة عندها أشد وأعظم عندما تخرج متبرجة على أجهزة الإعلام بكل صورها.

هذه الجرأة أثرها خطير علينا نحن الرجال، ولعلك أن تتنبه إذا كنت حريصاً على مستقبلك في الآخرة، كن على حذر من جرأة هذه المرأة، لأن جرأتها سوف تحطم مستقبلك في الآخرة، سوف تجعلك نادماً في الحياة الدنيا قبل الآخرة، جرأة المرأة بهذا الشكل، وبدون أن تسمع أمراً بمعروف، ونهياً عن منكر شر مستطير على الأمة كلها، شر مستطير على المجتمع كله، لأن مولانا عز وجل يقول: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة} وشر مستطير على المجتمع كله، لأن مولانا عز وجل يقول: {لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون *كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه}.

هذه الجرأة على التبرج، مع سكوتنا عن هذا المنكر، خطرها على رجالنا، وعلى شبابنا، وعلى أسرنا، ألم يحدثنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء). طبعاً أيها الإخوة كلنا يصدق رسول الله في ذلك، ومن منا يستطيع أن يكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قالت عنه أعداؤه: ما جربنا عليك كذباً قط. الذي قال عنه أعداؤه: أنت الصادق الأمين، وواقع الأمة بعد أعوام عدة يصدق كلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

أيها الإخوة: خروج المرأة – وأي امرأة؟ بنتي وبنتك، زوجتي وزوجتك، أختي وأختك، عمتي وعمتك، خالتي وخالتك، وبنات هؤلاء – خروج هذه المرأة، وجرأتها على الاختلاط والخلوة في المحلات التجارية، وفي مكاتب العمل، والنبي عليه الصلاة والسلام يحذرنا من ذلك بقوله: (لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان) [رواه الترمذي]. إنها لظاهرة خطيرة.

هذه الجرأة ظهر أثرها في أسرنا، تنبهوا أيها الإخوة، وابحثوا في الخلاف الأسروي بين الزوجين، وفي الأسرة كلها، ما سبب هذا الخلاف؟ ومن أين دخل هذا الخلاف بين الزوجين؟ وقد اختار كل واحد من الزوجين الآخر على أساس من الدين والخلق، لتربية الأبناء على الدين وعلى الخلق، ما الذي أدخل المشكلة إلى الزوجين وانتقلت إلى الأبناء؟ لو دققنا لوجدنا بأن سبب الخلاف الزوجي أن امرأة أجنبية دخلت على الخط، ونفذت إلى قلب هذا الرجل، وإذا استثير الإنسان في شهوته، – وهذا ثبت علمياً –، أفرز الدماغ مادة عطلت محاكمة الإنسان العقلية. وعندما انطلق في محاكمة الأمور من منطلق شهواني حطم نفسه، وحطم أسرته، وحطم في النتيجة المجتمع كله، والعياذ بالله تبارك وتعالى.

هل بوسعنا أيها الإخوة أولاً أن نأمر بالمعروف وأن ننهى عن المنكر؟ هل بوسعنا أن يراقب كل منا بناته وزوجته ومحارمه، وخاصة إذا أرادت المرأة الخروج؟ هل بوسعنا إذا لم تمتثل المرأة أمر الله عز وجل أن نمتثل نحن أمر الله عز وجل من أجل سلامتنا، ومن أجل سلامة دنيانا، ومن أجل سلامة أسرتنا، ومن أجل سلامة العلاقة الزوجية مع نسائنا، ومن أجل سلامة أبنائنا؟ هل بوسعنا أن نمتثل أمر الله عز وجل؟

أيها الإخوة: مشكلة النساء مشكلة عظمى، المرأة لا تتعلم ولا تتفقه ولا تشهد الجمعة والجماعات، والزوج مهمل ولا يبالي ولا يأمر ولا ينصح، وأجهزة الإعلام تبث سمومها من أجل تبرج تلك المرأة، وتحقق هذا أيها الإخوة، وما زالت

بلدتنا بحمد الله محافظة، فهل بوسعنا أن نتدارك أنفسنا؟ فإن الشر مستطير، وإن دمار الأسر قائم على قدم وساق يهدد أسرنا وعلاقاتنا الزوجية، ويهدد بضياع أبنائنا، فهل بوسعنا أن ننتبه إلى بناتنا، وأن نمتثل أمر الله عز وجل في أنفسنا؟

روى الإمام مسلم في صحيحه عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)، الله ينظر إلينا كيف نعمل، استخلفنا الله في هذه الدنيا من أجل عمارتها، وعمارة الدنيا لا تكون إلا من خلال البيع والشراء، وطلب العلم، والاحتكاك مع بعضنا البعض، ولكن احتكاك الرجال مع الرجال، والنساء مع النساء، لا احتكاك الرجال مع النساء. عمارة الدنيا لا تتحقق إلا إذا قام كل من الرجال والنساء بعمله كما أمر الله عز وجل. ولكن إذا احتك الرجال بالنساء واختلط الرجال بالنساء فلا عمارة في هذه الحياة الدنيا، وانظروا واقعنا، هل هناك عمارة في واقعنا الدنيوي، على كل المستويات وضعُنا في تدنٍّ، والمؤشر خطير لأننا نسينا أوامر الله عز وجل.

أول فتنة لليهود كانت في النساء، فضربت عليه الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ولعنوا على لسان عيسى عليه السلام وعلى لسان داود عليه السلام، لأنهم فتنوا بالنساء.

أرجع فأقول: انظروا في مشاكلنا في أسرنا، واصدقوا مع أنفسكم، فإنكم تجدون أن السبب في تلك الفتنة والمشكلة في أسرنا أن امرأة دخلت إلى قلبك والعياذ بالله تبارك وتعالى.

أيها الإخوة: ربنا عز وجل أمرنا ببيان واضح بنص القرآن العظيم فقال: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم} إذا المرأة لم تمتثل أمر الله فامتثل أنت أمر الله، إذا اجترأت المرأة على التبرج وضحَّت بمستقبلها في الآخرة، وخرجت متبرجة، والله هي السبب في فتنة الرجال، والشيطان استغلها، الشيطان يريد منا الغواية، ويريد منا

اتباع الأهواء والشهوات، فجنَّد الشيطان هذه المرأة من أجل غوايتك، فهل أنت على حذر من ذلك؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال لك ببيان واضح: (لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان). وقال النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي: (يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة) [رواه الترمذي]. النظرة الثانية هي عليك وليست لك، أما نظرة الفجأة لتلك المرأة التي اجترأت، فإنها لا تضرك، ولكنك إن نظرت ثانية أضرتك تلك النظرة، وفتكت في قلبك فتك السهم المسموم، فأفسدت عليك إيمانك، وإذا فسد الإيمان فلا غرابة أن تفسد الأسرة، ولا غرابة بعد ذلك أن يفسد المجتمع. لذلك خذ قول الله عز وجل وهو يخاطبك بقوله: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم} لم يا رب؟ قال بعضهم:

كل الحوادث مبداها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها	فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها	في أعين الغيد موقوف على خطر
يسر مقلته ما ضر مهجته	لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

نظرة تسر مقلتك وتدمر بيتك، نظرة تسر مقلتك وتوردك إلى نار جهنم. نظرة تسر مقلتك وتفسد عليك دينك وإيمانك، فيبيع ذلك العبد دينه بعرض من الدنيا قليل. بئست تلك النظرة.

أيها الإخوة: لنتق الله عز وجل، لنتق الله في أسرنا، لنتق الله في شبابنا، لنتق الله في رجالنا، لنراقب بناتنا، ولنراقب محارمنا.

وأقول للإخوة التجار: اتقوا الله يا تجار، وخاصة تجار الألبسة النسائية، وخاصة تجار الزينة، اتقوا الله في شبابنا، اتقوا الله في أعراضنا، اتقوا الله في مجتمعنا، اتقوا الله في أمتنا، والله إن عرضكم لتلك الأزياء على تلك التماثيل وهي مبثوثة في الشوارع وفي الجامات، ويمر الشباب والرجال وينظرون إلى تمثال تلك المرأة حيث ألبست تلك الثياب وتلك الزينة، وشبابنا لا يجدون سبيلاً إلى الزواج وإلى إعفاف أنفسهم، أما كفانا أجهزة الإعلام من القنوات الفضائية التي تُبث في الدنيا؟ أما يكفي شبابنا ضياعاً من خلال هذه القنوات. أنت أيها التاجر من أجل دريهمات ومن أجل ترويج السلعة، ولو على حساب شباب المسلمين! والله إنني على ثقة بأن الله لن يبارك لك في هذا المال، وإنني على ثقة والله بأن الانتقام عاجل غير آجل، لأنك سبب في هذا الفساد، ومن كان سبباً في فساد شبابنا فليتذكر قول الله عز وجل: {ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذي الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب}.

أيها التاجر: والله قد تكون أنت السبب في دمار بلدنا ومجتمعنا، ماذا ستقول لربك غداً يوم القيامة، وأنت تقرأ صباحاً ومساء قول الله عز وجل: {إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق}. أيها التاجر: المرأة بحاجة إلى اللباس، وبحاجة إلى الزينة، فسوف تشتري إن شاءت وإن أبت، وإن شئتَ وإن أبيتَ، لأنها من الضروريات للحياة، فلا تعرض اللباس بهذا الشكل فتكون سبباً لفتنة الشباب، وتكون سبباً للغواية، فورب الكعبة سيسألك الله عز وجل، فهل من تائب؟ فهل من مصطلح مع الله؟ أين المصلح في مجتمعنا؟ فلنكن من المصلحين، لأن الله لا يعذب أمة فيها المصلحون، ولكن قد يعذب الله أمة فيها الصالحون، لأن الصالح إن لم يكن مصلحاً قد يبدأ العذاب به، لنكن صالحين، ولنكن مصلحين، آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر {وما كان ليهلك

القرى بظلم وأهلها مصلحون}، وأقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

27- خطبة الجمعة: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: ذكرت لكم في الأسبوع الماضي أن جرأة المرأة في تبرجها، وجرأة المرأة في سفورها، وجرأة المرأة في الاختلاط مع الرجال، مؤشر خطير للمجتمع الذي نعيشه، هذه الجرأة تؤدي إلى دمار الدنيا والآخرة بالنسبة للإنسان المؤمن، إذا لم يكن في حصن حصين مما أمر الله عز وجل ونهى. إذا اجترأت المرأة على أن تتبرج، وأن تختلط بالرجال قل حياؤها، وقل خوفها من الله عز وجل، فكن أنت أيها الرجل – وخاصة وأنت في مقتبل عمرك، وخاصة وأنت في أيام شبابك، وخاصة وأنت كما يقال في أيام مراهقتك، – كن على حذر من أجل طهارتك في الدنيا قبل الآخرة، كن متيقظاً من فتنة المرأة لأنها أعظم الفتن التي تُركت للأمة بعد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلت لكم في الأسبوع الماضي: ينبغي علينا أن نكون رجالاً، ممن قال الله عز

وجل فيهم: {رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه}، أن تكون رجلاً في غض البصر وأنت ممتثل قول الله عز وجل: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم}، فإذا ما امتثلت أمر الله بغض البصر أشعرك الله وأذاقك حلاوة الإيمان التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: (ذاق طعم الإيمان) [رواه مسلم]. الإيمان له طعم وذوق، ومن ذاق طعم الإيمان لو قُطِّع إرباً إرباً ما اجترأ على معصية الله، لأنه ما من لذة يتذوقها الإنسان أعظم من نعمة الإيمان، أسأل الله ألا يحرمنا إياها.

غُضَّ من بصرك من أجل أن تذوق حلاوة الإيمان، وإن ذقت حلاوة الإيمان أقبلت على الله، وإذا أقبلت على الله أصبحت محبوباً عند الله، وإذا أصبحت محبوباً عند الله أصبحت ولياً من أولياء الله، وإذا أصبحت ولياً من أولياء الله قال الله عز وجل في حقك وفي حق أمثالك من الأولياء: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) [رواه البخاري]، صار الله بجانبك، صار الله معك، فإذا أحبك الله قال مولانا عز وجل في الحديث القدسي: (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه) [رواه البخاري].

أيها الإخوة: بغض البصر نذوق حلاوة الإيمان، وبغض البصر يجمع الله أمرنا ويوحد الله عز وجل همَّنا، فيجعل همَّنا هماً واحداً ألا وهو: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي.

وأما إذا ما أطلقنا البصر، وإذا خلونا مع المرأة من غير محارمنا، وانتهكنا حرمات الله في خلواتنا، وظن الواحد بأن الله عز وجل ليس رقيباً عليه، صار الخطر في إيمانه، وإن كان يظن بأن الله رقيب عليه كيف يجعل هذا العبد ربَّه أهونَ الناظرين إليه؟ إن كنت تعتقد أن الله لا يراك فالخلل في إيمانك، وإن كنت تعتقد بأن الله يراك فلا تجعل الله أهون الناظرين إليك. لا تستح من المخلوق وتقلل الحياء مع الله عز وجل.

هذه المرأة المتبرجة، التي عرَّضت رجالنا وشبابنا للفتنة، والتي هدمت كثيراً من البيوت العامرة، الله عز وجل لها بالمرصاد إذا لم تتب إلى الله عز وجل.

وأما أنت أيها الإنسان المؤمن، أيها الشاب التقي، أيها المرتبط بالله عز وجل، فكن على حذر، لأن ربنا عز وجل يقول لنا في القرآن العظيم: {يُنَبَّأُ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر} سوف ينبئك الله بما قدمت وأخرت، عندما كنت في مكتبك أثناء العمل، وعندما كنت في محلك أثناء العمل، وعندما كنت في جامعتك ومدرستك أثناء الدراسة، وعندما كنت تمشي في الطرقات، وعندما كنت في خلواتك، يقول الله عز وجل لنا جميعاً: {ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر} كيف ينبأ هذا العبد؟ ينبأ هذا العبد من خلال قول الله عز وجل: {ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً} إن كنت قارئاً وإن كنت غير قارئ في حياتك الدنيا، وإن كنت متعلماً أو أمياً لا تعرف القراءة والكتابة في الدنيا، في يوم القيامة سيعلمك الله، بمجرد أن يقول لك ربنا: اقرأ، ستصبح قارئاً وإن كنت أمياً.

{اقرأ كتابك} ما هذا الكتاب يا رب؟ الذي قلت لك فيه وأنت في الدنيا: {ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر} سأخرج لك هذا الكتاب الذي كنت في غفلة عنه، وأنا الذي قلت لك في القرآن العظيم: {إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد} ملك عن يمينك وآخر عن يسارك، قعيد قاعد معك، {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} رقيب: حافظ لا يغيب عنك، يحصي عليك أقوالك وأفعالك، فإذا ما خلوت لا تقل ما عليَّ رقيب، رقيب عليك وأنت لا تراه، ولكن الله من محبته فيك أنه أعلمك بأن هناك ملكين موكلين عليك ليحفظا عنك ما تفعل وما تقول.

يخرج لك ربنا هذا الكتاب، وإذا كان الإنسان مجرماً في حق نفسه قبل أن يكون مجرماً في حق غيره، فليتدبر قول الله عز وجل: {ووضع الكتاب فترى

المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها} الصغيرة والكبيرة أحصيت عليك وأخرجت لك في يوم قال فيه مولانا عز وجل: {وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى * يقول يا ليتني قدمت لحياتي * فيومئذ لا يعذب عذابه أحد * ولا يوثق وثاقه أحد}.

انظر إلى هذا المجرم – وأرجو الله ألا يكون فينا مجرم – عندما يقول: {ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها}، هذا العبد يفاجأ بأعماله وسيئاته ونظراته الخائنة في حق المرأة المتبرجة. إن تبرجت هي واجترأت على معصية الله، كيف تجترئ أنت على النظرة إليها؟ كيف تجترئ أنت أن تخلو معها؟ وإذا ما خلوت معها كان الشيطان ثالثكما، وإذا كان الشيطان ثالثكما وقعت الفتنة إلا من رحم ربي.

هذا العبد كما قال مولانا عز وجل في حقه: {يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء} أي كذلك محضراً. بالله عليك يا أخي، بالله عليك يا أختاه، بالله عليك أيها المسؤول، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) أيها المسؤول من خلال منزلتك، (الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية ومسؤولة عن رعيتها) [رواه البخاري ومسلم]. أيها المسؤول ماذا ستقول لربك يوم القيامة وأنت لا قدر الله لك نظرات خائنة؟ والله عز وجل حذرك بقوله: {يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور} ماذا ستقول لربك الذي قال لك: {ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر}؟ ما هو الجواب؟ وأنت لا قدر الله تنتهك حرمات الله، أتيت بأعمال صالحة وأنت تنتهك حرمات الله، في محلك التجاري، في بيتك، في مكان ما، أنت تنتهك حرمات الله، مع صلاتك، مع صيامك، مع تلاوتك للقرآن، مع شهودك للجمعة والجماعات، ولكنك خلوت فعصيت وارتكبت الإثم وانتهكت

حرمات الله، ماذا ستقول لربك يوم القيامة؟ ألك عذر؟ إن قلت: المرأة هي التي فتنتني، سيقول لك ربي عز وجل: وأنا قلت لك: غُضَّ من بصرك، واحفظ فرجك، واصبر لأنني ما خلقتك إلا للعبادة، والعبادة فعل المأمور وترك المحظور، فإن لم توجد المرأة السافرة كيف يكون التزام الأمر؟ هذا هو الابتلاء والاختبار، كن رجلاً، وقل كما قال ذاك الرجل الذي هو في ظل عرش الرحمن: إني أخاف الله رب العالمين، (رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله) [رواه البخاري ومسلم] فكيف بامرأة دون ذلك؟ حرقت مستقبلك لا قدر الله في الآخرة من أجلها.

أيها الإخوة: لنحفظ قول الله جل وعلا: {ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر} فما أنت قائل لربك؟ هل لك من عذر؟ هل لك من تبرير؟ إن قلت: أنا ضعيف. يقول لك الله: وأنا القوي، ومن الذي احتمى بالله ولم يحمه الله عز وجل؟

أيها الشاب، أيها الرجل، أيها الموظف، أيها التاجر، دخلت عليك امرأة فقلت أنا ضعيف فوقعت في الفاحشة، يقول لك مولانا عز وجل: أما ضربت لك مثلاً في القرآن الكريم عن يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، عندما فعلت امرأة العزيز ما فعلت، {وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي}، الله عز وجل أحسن إلينا، علمنا من بعد جهل فينا، والله عز وجل عرفنا على ذاته وقال لنا: {ففروا إلى الله} أتخاف من الفتن؟ من فتنة النساء والمال؟ نعم، ففروا إلى الله، وإذا فررت إلى الله فأنت في حرزه وأمانه، ووالله إن الله يحفظك من الفتن مهما كانت قوية، كما حفظ الله سيدنا إبراهيم عندما ألقي في النار {يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم}.

أيها الشباب، أيها الرجال: لنتق الله في النساء، اتقوا الله في الدنيا، واتقوا الله في النساء، لنتق الله من أجل سلامتنا.

وأخيراً أسوق لكم حديثاً شريفاً عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

أختم به هذه الخطبة المباركة إن شاء الله.

لعلك أن تتدبر يا رائد بيت الله، يا أيها المصلي، يا أيها الصائم، يا أيها الشاب، يا أيها المؤمن، يا أيتها المؤمنة، تدبر قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما يروي ابن ماجه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً، فيجعلها الله عز وجل هباء منثوراً). - نسألك يا رب أن تحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن- .
فقال سيدنا ثوبان رضي الله عنه: يا رسول الله، صفهم لنا، جلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها).

أيها الإخوة: حافظوا على صلواتكم، حافظوا على شبابكم، حافظوا على طاعاتكم، وكونوا على حذر من المرأة، لأنه ما دمرت البيوت في الحياة الدنيا إلا بسبب المرأة، وما خُرِّب المستقبل في الآخرة إلا بسبب المرأة، إلا من رحم الله عز وجل.

أرجو الله أن يوقظني الله وإياكم من غفلتنا، وأن يلهمني الله وإياكم رشدنا، وأقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

28- أسباب انتشار الفضائح الجنسية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: خلاصة خطبة الجمعة الماضية تتجسد في قول الله عز وجل: {ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً}.

اعلم يا عبد الله أن كل قول وفعل مسطر عليك، وسيخرج الله عز وجل لك يوم القيامة ذلك الكتاب، فإما أن يبيض الوجه، وإما أن يسود الوجه والعياذ بالله، وربنا عز وجل يقول: {بل الإنسان على بصيرة * ولو ألقى معاذيره}، وإن فضائحنا اليوم لا تتعدى فضيحتين اثنتين: إما فضيحة جنسية، وإما فضيحة مالية، إما أن يفضح العبد والعياذ بالله من حيث الجنس، من حيث علاقته مع النساء، وإما أن يفضح بأمور مالية. فضائح المجتمع لا تتعدى هاتين الفضيحتين، وانظروا في واقعنا تجدون مصداق ذلك.

هذه الفضيحة الجنسية عندما تحدثنا عن مضارها في الأسابيع الماضية، علينا أن ندرك بأنه من فضح في الدنيا، - وأسأل الله أن يديم الستر علينا، وأسال الله الذي سترنا فيما مضى من أعمارنا أن لا يهتك الستر عنا فيما بقي منها- فإنه قد عرَّض نفسه - إن لم يسرع إلى التوبة الصادقة النصوح لله عز وجل - للفضيحة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد والعياذ بالله، وعندها ينادي — ويا ليت ينفعه الندم — {يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * يا ليتها كانت القاضية * ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه}، والنتيجة {خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه * ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه}. هذا كلام ربنا عز وجل.

أيها الإخوة: العبد لا يفضح — وخذوها قاعدة — في الدنيا بارتكاب المخالفة للمرة الأولى، لا أبداً، سواء كان في علاقة جنسية، أو في أمور مالية، ربنا عز وجل أرحم وأكرم من أن يفضح العبد في المرة الأولى إذا ارتكب المعصية. رفعت قضية سرقة إلى سيدنا عمر رضي الله عنه فجاءت أم السارق مستشفعة وقالت: يا أمير المؤمنين، إن ابني هذا لم يسرق إلا هذه المرة. فقال لها: اسكتي، فإن الله لا يفضح العبد في المرة الأولى.

ولكن العبد إذا أصر فإنه عرض نفسه للفضيحة، فإن فضح في الدنيا فعاد إلى الله وآب ورجع، فإن الحق يعيد الستر عليه مرة ثانية، وينسي ربنا عز وجل القوم تلك الجريمة. ولكنه إذا أصر والعياذ بالله، ومات وهو مصر على ذلك فُضح يوم القيامة، ولذلك الفضائح في مجتمعنا اليوم، وخاصة الفضائح الجنسية ما جاءت من فراغ، لا ورب الكعبة، إنما جاءت من جرأة الرجل والمرأة على معصية الله عز وجل، هذه الفضائح جاءت من جرأة المرأة في أن تخرج إلى الشارع متبرجة، جاءت من خلال جرأة المرأة أن تسافر بدون محرم، وما أكثر السفر بالنسبة للنساء بدون محرم، والنبي عليه الصلاة والسلام حذر من ذلك فقال: (لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم) [رواه البخاري]، وإنكم تسمعون بعض الفتاوى في جواز سفر المرأة بدون محرم، إلى حج وإلى عمرة، ولكن الذي يفتي بهذه الفتوى كأنه لا ينظر إلى واقعنا، وخاصة في سفر المرأة براً، كم وكم من مخاطر الطريق؟ وكم وكم من حوادث؟ وكم وكم من تعطيل المركبات؟ وهذا الرجل يأذن للمرأة أن تسافر بدون محرم.

كما جاءت هذه الفضائح من جرأة المرأة على أن تتكلم مع الرجال بلين القول وخضوع القول، فيطمع الذي في قلبه مرض. جرائم الجنس والفضائح ما جاءت من فراغ، إنما جاءت من جرأة المرأة، عندما تجترئ المرأة أن تخلو برجل في عملها، وفي وظيفتها، وفي عيادة الطبيب، وفي مكتب التاجر، عندما تكون المرأة

عندها تلك الجرأة فقد عرضت نفسها للفتنة، وعرضت نفسها لفضيحة الجنس والعياذ بالله.

وعندما تكون الجرأة في الرجل كذلك أن يطلق بصره، وأن يصغي بسمعه لحديث المرأة التي تخضع بالقول وتلين الكلام، وتكون الجرأة عند الرجل أن يخلو مع المرأة، وأن يغلق باب محله التجاري، وأن يغلق باب مكتبه أثناء الوظيفة، هذه الجرأة هي التي أوقعت الرجال والنساء في تلك الجريمة والفاحشة، مما أدى إلى فضائح في مجتمعنا والعياذ بالله.

هذه الجرأة على ارتكاب معصية الله، واللهِ ما جاءت إلا بسبب غفلتنا عن الله، إلا بسبب غفلتنا عن قول الله عز وجل: {إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}. ما جاءت هذه الجرأة إلا من خلال نسياننا لقول الله عز وجل: {إن الله كان عليكم رقيباً}. ولقول الله عز وجل: {واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير}. في حالة غفلة عن الله، ولا يُذَكِّر بعضنا بعضاً.

أيها الإخوة: علينا أن نتقي مواطن الفتن، يا أيها الإنسان الكريم، الطاهر، الشريف، العفيف، يا أيها الإنسان الذي تكاد أن توصف بأنك ملك في طهرك وعفافك وأدبك وأخلاقك، اتق مواطن الفتن، لأن من حام حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، اتق مواطن الفتن من أجل صيانة عرضك، وحتى لا تتهم، ينبغي عليك يا أيها الرجل الطاهر العفيف، ويا أيتها المرأة الطاهرة العفيفة أن تتقي مواطن الفتن، لأن من جعل نفسه في مواطن التهم فلا يلومن إلا نفسه إذا تحدث الناس عنه، وما هي مواطن التهم، التي ينبغي على الإنسان أن يتقيها؟

مواطن التهم ما أكثرها في مجتمعنا، الكثير منا – وأنا أقصد ما أقول – من يذهب إلى مواطن الريب، وإلى مواطن الفتن، ثم يناشد الناس أن يحسنوا الظن به، من هذه المواطن: السواحل، المنتزهات العامة التي يتقصدها رجالنا ونساؤنا إلا من

رحم ربي، أين تذهب؟ إلى مواطن الاتهام والفتن والريب، تلك السواحل، وتلك الشواطئ التي تنتهك فيها حرمات الله والعياذ بالله، وعند هذا الإنسان المسلم الجرأة أن يذهب ويقول مبرراً لنفسه ولعياله: أن آخذ زاوية متطرفة لا أختلط فيها مع النساء، ونسائي لا يختلطن مع الرجال. جنب نفسك مواطن الريب، ومواطن المعصية لله عز وجل.

أيها الإخوة: من مواطن الريب المطاعم وخاصة خارج منطقتنا، أن يذهب إلى بعض المطاعم التي يدخل فيها النساء والرجال، والنساء السافرات المتبرجات، أين تذهب؟ أين عقولنا عندما يتقصد بعضنا أن يسافر من بلدته إلى محافظة من المحافظات ليتناول الطعام في مطعم من المطاعم، لأن هذا المطعم كبير فيه الأشجار والمياه والمسابح وفيه وما فيه، ولكن أنسيت يا عبد الله أن تلك المواطن إنما هي مواطن فتنة حيث يختلط الرجال بالنساء؟ وأنت تجعل نفسك في مواطن التهمة والريب، ويشار إليك ويشك في شأنك.

وأشد من ذلك المسابح التي فيها كشف للعورات، وبكل أسف جُلُّ المسابح إن لم أقل كلها فيها كشف للعورات، ولو لم يكن فيها الاختلاط، كشف عورات الرجال أمام بعضهم البعض، ولعن الناظر والمنظور إليه والعياذ بالله، يريد أن يذهب ويتعلم السباحة، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والألعن من هذا أن تكون المسابح عائلية، وبكل وقاحة ترى الدعايات إلى المسابح العائلية، هؤلاء أقوام جعلوا على رؤوسهم القرن، هل يا ترى الإنسان المسلم الطاهر العفيف يرتاد تلك المسابح وتلك المطاعم وتلك الشواطئ؟

كن رجلاً محافظاً على طهارتك حتى لا تفتن، لأنه لا قدر الله لو فتن العبد ربما أن يفضح، ومن فضح في الدنيا ربما أن يفضح في الآخرة، وسيندم ولا ينفعه الندم والعياذ بالله.

أيها الإخوة: اتقوا مواطن التهم ومواطن الريب، وانظروا إلى سيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم، كما يروي الإمام البخاري ومسلم، كان صلى الله عليه وسلم معتكفاً في مسجده الشريف، وجاءت أمنا السيدة صفية رضي الله عنها لزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، فجلست مع رسول الله ساعة، ثم قامت تنقلب إلى بيتها أي ترجع، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم معها حتى وصل إلى باب المسجد، فمر رجلان من الأنصار فسلما على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرد عليهما السلام، وقال: (على رسلكما، إنها صفية أمكم)، فنظر الرجلان وقالوا: سبحان الله يا رسول الله، استعظموا هذا الأمر، أنشك فيك يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً). خشي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقذف الشيطان في قلبيهما شيئاً من سوء الظن، بمن؟ بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الطاهر، وأصحابه الأطهار الأبرار، ولكن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

جنبوا أنفسكم مواطن الريب، كم وكم من إنسان اتُّهم مع طهارته، من أين جاء هذا الاتهام؟ من جعل نفسه في مواطن الريب.

أيها الإخوة: لنرجع إلى الله، ولنبتعد عن مواطن الفتن والريب، ولنبتعد عن الأحاديث مع النساء، وعن النظر إلى النساء، وعن الخلوة بغير محارمنا، ينبغي علينا أن نكون على حذر، إياك ثم إياك من مزاحك مع بنت عم أو بنت خال، أو زوجة عم أو زوجة خال، إياك ثم إياك من خلوة مع زوجة أخ لك، وإياك ثم إياك من حديث مع زوجة أخيك، اتقوا مواطن الفتن، ومواطن الريب، لنسلم على ديننا، أعمارنا قصيرة، والموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله يفصل بيننا، أسأل الله ألا يسود وجوهنا يوم القيامة، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

29-خطبة الجمعة: إن الله يغار، وإن المؤمن يغار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: انتهينا في الخطبة الماضية بأنه من الواجب على الإنسان المؤمن أن يتقي مواطن التهم، ورحم الله عبداً جب المغيبة عن نفسه، فيا أخي المسلم اتق مواطن الريب، اتق مواطن التهم، لتصون سمعتك، وحتى لا يتهمك أحد من الناس، فإذا لم تتق مواطن التهم فلا تلومنَّ أحداً من الناس إذا شك فيك، أو اتهمك في عرضك وفي سلوكك لا قدر الله. اتق مواطن التهم، وقد جلَّينا هذا في الأسبوع الماضي.

وأما اليوم فإني أقول لكل مسلم: النساء سبب لفتنة الرجال، والرجال سبب لفتنة النساء، ولكن الخطاب للرجال، فأقول أيها الإخوة: كل مؤمن غيور، والنبي صلى الله عليه وسلم بين هذا في الحديث الصحيح الذي يرويه الإمام مسلم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه).

الأصل في الإنسان المؤمن أنه غيور، ولولا الغيرة التي جبل عليها الإنسان المؤمن لما دافع أحد عن عرضه أبداً، وانظروا أيها الإخوة إذا فقد الإنسان الغيرة فإنه لا يدافع عن عرضه، بل ربما هو الذي يدفع عرضه والعياذ بالله لارتكاب الفاحشة. فالمؤمن غيور،

وإذا ما رأى المؤمن أحداً يقترب من عرضه ويمس هذا العرض بسوء، فإن هذا الإنسان المؤمن يغلي كغليان القدر على المرجل، وهذا أمر طبيعي، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يغار وإن المؤمن يغار)، وقال في حديث آخر: (أتعجبون من غيرة سعد، فوالله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن) [رواه البخاري ومسلم].

فيا أيها الإنسان المؤمن الغيور، هل الغيرة التي جبلت عليها وفُطرت عليها، هل هي مقصورة على عرضك وعلى محارمك فقط؟ تغار على عرضك وعلى محارمك، وهذا من حقك، ولكن هل أنت تغار على أعراض المسلمين وعلى محارم المسلمين، وتعاملهم معاملة عرضك؟ إن قلت: لا، فأقول لك: {ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين}. وإن قلت: نعم، أنا أغار على أعراض المسلمين كما أغار على عرضي، فأقول: الخير كل الخير فيك، وبك انعقدت الآمال على صلاح هذه الأمة، وإن الخير في هذه الأمة إلى قيام الساعة بإذن الله عز وجل.

فيا أيها الإنسان المؤمن الغيور على عرضه وعلى محارمه، اسمع ماذا أقول لك وأرجوك أن تنتبه: إذا ابتليت بالتعامل مع النساء في متجر، وابتليت بالتعامل مع النساء في عيادة طبية فكنت طبيباً، أو كنت مصوراً شعاعياً، أو كنت ممرضاً، يا من ابتليت بالتعامل مع النساء في مكتب من المكاتب، في عمل وظيفي، ويا من ابتليت بالاختلاط بالنساء في الجامعات والمدارس، تذكر يا أخي قول الله عز وجل: {إن الله كان عليكم رقيباً}، تذكر أيها التاجر، أيها الطبيب، أيها الطالب، أيها الموظف، بأن لك عرضاً، بأن لك أماً، وبنتاً، وأختاً، وخالة، وعمة، وبنت عم، وبنت خال، وقس على ذلك من محارم، ومن أقارب ومن عصبات من النساء،

تذكر يا من ابتليت بالاختلاط، ويا من ابتليت بالتجارة مع النساء، ويا من ابتليت بالطب، ويا من ابتليت بالدراسة وأنت تحتك مع النساء، تذكر بأن لك عرضاً، فإن صنت أعراض الناس صين عرضك، وإن انتهكت أعراض الناس انتهك عرضك ورب الكعبة، وهذا قسم شرعي.

أيها المبتلى — ونسأل الله العفو والعافية — تذكر قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي يرويه الإمام مسلم، عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)، وتذكر أيها المسلم بأن هناك إلهاً أعطاك شيئاً من الاختيار في حياتك الدنيا، ثم قال لسيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام: {فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر * إلا من تولى وكفر * فيعذبه الله العذاب الأكبر * إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم}. وعامل أيها المسلم – إن ابتليت بالاحتكاك بالنساء – أعراض المسلمين كما تحب أن يعامل عرضك إذا ابتلي بالاختلاط بالرجال. وتذكر قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يروي الإمام البخاري ومسلم عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، وجاء في الأثر: لا يؤمن أحدكم حتى يكره لأخيه ما يكره لنفسه.

إن ابتليت فدخلت عليك امرأة، وأسأل الله الحفظ والسلامة، اعلم يا أخي أن هذه المرأة إنما هي أم، أو بنت، أو أخت، أو زوجة لأخ لك في الإسلام، فاحذر الإيذاء، واعلم بأن الله رقيب عليك، واسمع ماذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم، كما يروي الإمام الترمذي عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فقال بأعلى صوته — لأن الأمر الذي سيتحدث عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم جِدٌّ خطير، ولأنه صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يتكلم بكلام مهم، نادى مناد: الصلاة جامعة، فيجتمع الناس

لأن هناك كلاماً مهماً يريد أن يتكلم به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم – : (يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله)، إيذاء المسلم من وصف المنافق، وتعيير المسلم من وصف المنافق، وتتبع عورات الناس من وصف المنافق، فالمؤمن لا يؤذي أحداً من المسلمين على الإطلاق، وأنا لا أشك في إسلامك وإيمانك أيها التاجر والطبيب والموظف والطالب، ولكن انتبه إلى نفسك ألا تنزلق قدمك، مهما أغرتك المرأة فكن على حذر، المرأة التي تغريك هي امرأة مريضة، هي بنت أخ لك مسلم، وهي أخت مسلم هو أخ لك، هذه المريضة ينبغي عليك أن ترعاها بالنصح والتذكير، وإياك أن تخون المسلم في عرضه، لأن خيانة المسلم في عرضه إيذاء له، وإيذاء المؤمن إيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإيذاء رسول الله إيذاء لله، ومن آذى الله يوشك الله أن يأخذه.

قال سيدنا سلمان رضي الله عنه: والله لأن أموت ثم أنشر، ثم أموت ثم أنشر، ثم أموت ثم أنشر، أحب إلي من أن أرى عورة الرجل أو يراها مني [رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق]. والمرأة هي عورة الإنسان المسلم، كيف تجترئ أن تتطلع إلى عورة الإنسان المسلم؟ إذا كانت المرأة لا تستحي من الله، ألا تستحي أنت من الله؟

انظروا أيها الإخوة إلى واقعنا، انظروا إلى تجارنا وأطبائنا وأبنائنا من الطلبة، وقدموا لهم النصيحة، وذكِّروهم بالله، وأعلموهم بأن لهم أعراضاً، فمن آذى مسلماً في عرضه، أوذي عرض المؤذي وربِّ الكعبة، فيا أيها الطبيب اتق الله في عورات المسلمين، لا تنظر إلى جسد المرأة إلا بالمقدار الذي أباحه لك الشرع، وإياك أن تتعدى، فإنك في حالة ابتلاء شديد، وأنت معرض للفتنة، فإذا أبحت لنفسك أن ترى ما لم يأذن لك به الشرع، فأنت عرضت نفسك للفتنة، وعرضت عرضك لا

قدر الله لأن ينتهك، وكذلك أنت أيها التاجر، يا أيها التجار، يا من ابتليتم ببيع الأقمشة والألبسة النسائية وأدوات التجميل وبيع العطورات للنساء، اتقوا الله إذا ما دخل إلى محلكم بعض النساء المسلمات، راقبوا الله عز وجل، واعلموا بأن الله رقيب عليكم، فاتقوا الله في الدنيا، واتقوا الله في النساء، وإن الله عز وجل بصير بنا جميعاً.

أيها الإخوة: لنتق الله في أعراضنا، ولنتق الله في أعراض المسلمين، لأن إيذاء المسلم في عرضه إيذاء لعرضك والعياذ بالله تبارك وتعالى، أرجو الله أن يوقظنا من غفلتنا، وأن يجعل الغيرة في قلوبنا على أعراضنا، ومن تمام الغيرة على عرضك وعلى أعراض المسلمين ألا تعرض الألبسة النسائية هذا العرض المهين، بكل أسف أيها الإخوة، الغيرة بدأت تذوب في مجتمعنا، عندما تأتي بتمثال والتمثال مُزَيَّن، وتعرض الألبسة النسائية على هذا التمثال، أما تستحي من الله؟ بالله عليك أترضى
لعرضك أن يدخل إلى محل تجاري للنساء، ويقول صاحب المحل لزوجتك أو لبنتك أو لأختك: ما رأيك بهذا الثوب على هذا الجسد؟ وهذا الحديث أنتم تعلمون ماذا يستتبع من ورائه، اتق الله عز وجل أيها التاجر، وراقب الله، وكن على ثقة بأن رزقك مقسوم ورب الكعبة، ولا تظنن أن رزقك سوف يمنع عنك إذا لم تضع تلك التماثيل، لنتق الله أيها الإخوة، لنتق الله في شبابنا الذين لا يجدون سبيلاً إلى الزواج، ولنتق الله في أبنائنا، وفي أعراضنا، هذه وصية أخ لكل تاجر ولكل طبيب ولكل طالب، لنتق الله في أعراض المسلمين حتى تصان أعراضنا، وإلا لا قدر الله هتكت أعراضنا، وربنا عز وجل يقول: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}، وأقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: أيها الإخوة: أمانة في أعناقكم، من أجل متابعة أعراضنا، ومن أجل الغيرة على نسائنا وعلى محارمنا، راقبوا بناتكم وزوجاتكم ومحارمكم، ومن جملة هذه المراقبة في دائرة النفوس، عند استلام الهوية أو عند تبصيم المحارم على

الهوية، إن لم تكن هناك موظفة لتبصيم هذه المرأة، فتقدم بلطف إلى الموظف وقل له: يا أخي علمني كيف آخذ بيد عرضي وأضع البصمة على هذه الورقة، حتى لا تمس يدُ الموظف يد محارمك. إن لم تكن هناك موظفة، فقم أنت بأخذ يد محارمك من أجل هذه البصمة، وإنَّ مس يد الرجل الأجنبي للمرأة الأجنبية معصية لله عز وجل، إذا كان الإسلام حرم علينا النظر، فكيف يبيح لنا أن نمس يد امرأة لا تحل لنا؟

فإن اعتذر إليك الموظف قل له: بالله عليك أترضى لو لم تكن موظفاً أنت في دائرة النفوس لأمك أو لأختك أو لابنتك أو لزوجتك أن يمس يدها رجل آخر؟ والله أنا على ثقة أنه سيقول لك: والله لا أرضى، قل له: طالما أنك لا ترضى فعلمني، ما هذه المشكلة الصعبة، لا نعرف كيف توضع الأصبع على الورقة من أجل البصمة؟! علينا أيها الإخوة أن نأمر بالمعروف وأن ننهى عن المنكر، لأنه والله ما حلت الطامة في مجتمعنا إلا لأننا سكتنا عن المنكرات، والمنكرات تنتشر في المجتمع، لنتق الله في ذلك أيها الإخوة، وأرجو الله عز وجل أن يكون في السجل المدني هناك امرأة مخصصة للتعامل مع النساء في غرفة مستقلة، وإن لم تكن موجودة فاطلب من الموظف هذا، وأرجو الله أن يكون القائمون على هذا الأمر في دائرة النفوس ممن يتجاوب مع أحكام الشريعة.

** ** **

30-خطبة الجمعة: مرحباً بحياة بدون تدخين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

يقول مولانا عز وجل في كتابه العظيم: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}.

أيها الإخوة: جاءنا تعميم من شعبة أوقاف الباب بناء على توجيه من وزير الأوقاف أن يكون حديثنا في خطبة الجمعة عن المخدرات وأثرها في المجتمع، على الأفراد بشكل خاص، وعلى الأمة بشكل عام. وعندما وصل إليّ الكتاب فكرت في هذا الموضوع هل أجعله حديث خطبة الجمعة؟ وأنا على يقين وعلى ثقة تامة بأن رواد المساجد والذين يحافظون على صلاة الجمعة والجماعة هم أبعد خلق الله عن المخدرات، وهم يبتعدون عن المخدرات بعد الأرض عن السماء. فقلت في نفسي: لِمَ أتحدث عن هذا الموضوع ورواد المساجد قد عافاهم الله عز وجل من ذلك؟ فجاءني خاطر لو جعلت هذا الحديث عن المخدرات وخطره وأحمّل هذا الموضوع الإخوة الحضور ليبلغوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليأمروا بالمعروف ولينهوا عن المنكر، لتعود إلينا الخيرية فقلت هذا من الخير، ولكن أرجأت هذا الموضوع إلى ما بعد خطبتين.

قبل أن أتحدث عن المخدرات وضررها على الفرد خاصة والأمة عامة، سأتوجه بحديثي إلى إخوتي في خطبة الجمعة الذين يحافظون على صلاة الجمعة والجماعة أن أحدثهم عن الدخان أولاً، لأن الكثير من الذين يحافظون على صلاة الجمعة والجماعة من المدخنين. وإنني أرى الدخان والإدمان عليه طريقاً موصلاً إلى شرب المخدرات والإدمان عليها والعياذ بالله تبارك وتعالى. وتذكرت عندما جاء

هذا الكتاب بعناية من المسؤولين قول السيدة خديجة أمنا رضي الله تعالى عنها عندما دعت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الراحة بعد مجيء الوحي إليه، قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (يا خديجة لقد مضى عهد النوم)، فلنجعل شعارنا نحن في هذه الآونة . والخطر يدلهم على الأمة من كل جانب . حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد مضى عهد النوم).

لنعلم أيها الإخوة بأن سلامة الأبدان سبب لسلامة عقول أصحابها، وإن الأمة لن تتماسك وتتكاتف وتترابط، ولن تكون كالبنيان المرصوص إذا لم يكن العقل سليماً، وقديماً قالوا: العقل السليم في الجسم السليم، وإن قوة الأمة بقوة شبابها ورجالها، فلعلنا عوضاً من أن نصرف الأموال الطائلة لمعالجة المدمنين على الدخان بسبب الأمراض التي تترسخ في أبدانهم، لنحول هذه الأموال لإعادة بناء مجد هذه الأمة الذي ضيعناه بأيدينا، ضيعنا مجدنا وكرامتنا ووجودنا بسبب اتباع الشهوات والأهواء، ونتيجة لاتّباع الأهواء والشهوات حلت الأسقام والأمراض، وظهر فينا ما لم يكن في أسلافنا بسبب المخالفات الشرعية، فتوجهت الأمة بقضها وقضيضها مع المسؤولين لمعالجة هذه الأمراض.

أيها الإخوة: نجلب لأنفسنا المرض ثم ندفع أنفسنا للعلاج؟! صرفنا المال من أجل أن نضر بأنفسنا، وصرفنا المال من أجل معالجة أنفسنا، بربكم قولوا لي: هل هذا من شأن العقلاء؟ الجواب: لا ورب الكعبة. آن أيها الإخوة أن نقول: مضى عهد النوم، ولنقف عند قول الله عز وجل: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} .

الدخان ينتشر في المجتمع انتشاراً مذهلاً، كان في الرجال فانتقل إلى الأبناء، ثم انتقل من الأزواج إلى الزوجات، ثم من الأمهات إلى البنات، وأصبح الواحد يدخل ليرى بيته: الولد يدخن سراً، والزوجة تدخن سراً، والبنت تدخن سراً، وصاحب البيت يدخن علانية، وهو متوعد ومهدد للزوجة إن دخنت فهي طالق بالثلاثة، ولولده بأنه إن دخن فأمه طالق بالثلاثة، وأما البنت إن دخنت وعرف

بذلك الزوج حلت الطامة على الزوجة التي لم ترع بنتها. يا سبحان الله ما هذا التخبط الذي وصلنا إليه.

بداية أقول: لنعلم بأن هذا الدخان والشركات التي تنتج هذا الدخان هي في الحقيقة شركات تجار الموت، هؤلاء الذين يقتلون الناس، وما أروع ذاك الإعلان الذي جُعل في الشوارع والطرقات، ويا حبذا أن تكون تلك الإعلانات على هذا المستوى، لا أن تكون الإعلانات في الطرق والشوارع من صور نساء كاسيات عاريات، لأن الطامة أعظم، ولكن لا أدري كيف حالنا نتعامى ونتعامى وندعو بداية إلى الرذيلة بطريق أو آخر، فإذا ما حلت الطامة ارتفعت أصواتنا لمعالجة هذه الطامة التي حلت. من الذي يجعل الدعاية للدخان أولاً؟ أجهزة إعلامنا، أجهزة الإعلام في العالم كله هي التي تجعل الدعاية للتدخين، والعنوان يعرفه جل المدخنين: تعال إلى النكهة، ويعطونك صورة رجل لبس لباس أهل البادية على جواد له، وهو في ريعان الشباب وكتب على تلك الصورة: تعال حيث النكهة، وفي يده السيجارة، وحبذا لو عرف الناس أن هذا الشخص الذي صوروه هو الذي مات في ريعان شبابه بسبب الدخان. نجعل دعاية تعال حيث النكهة، فإذا ما حلت الطامة جعلنا الدعاية اللاحقة عندما جعلوا رصاصة وتحتها قتيل، وهذا هو الموت السريع، وجعلوا سيجارة وقالوا عنها: الموت البطيء.

يا إخوتي: طالما تجعلون هذه العناية في أضرار الدخان بعدما أن حلت، أما يكفينا تشجيعاً على الدخان بالقول: تعال إلى النكهة.

أيها الإخوة العقلاء وكلكم عقلاء، تعالوا لأتلو عليكم بعض قرارات منظمة الصحة العالمية، إذا لم نُرد أن نقف أمام أحكام الله عز وجل، وهذا ليس فينا إن شاء الله، ولكن نريد أن ندعم، مع أن قرآننا وأحكامنا الشرعية لا تحتاج إلى تدعيم، لأنني مؤمن بقول الله والله هو أصدق القائلين، فربنا إن أمرني بأمر ونهاني عن نهي فأنا أمتثل أمره وأجتنب نهيه، عرفت العلة أم لم أعرفها، لأنني عبد وهو

رب، لأنني عبد مسؤول، ومخلوق لله، وطالما أنني مخلوق لله وأنني إليه آيب، ومسؤول بين يديه، فأمتثل أمره وأجتنب نهيه، عرفت العلة أم لم أعرف. ولكن زيادة في اطمئنان القلب، {قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي}. فلعلك أن تسمع أيها المبتلى وأسأل الله العفو العافية لنا ولكل مدخن. اسمع بعض هذه القرارات:

القرار الأول: عدد الذين يلاقون حتفهم بسبب الدخان يفوق عدد الذين يلاقون حتفهم بسبب الأمراض الأخرى مثل الطاعون والكوليرا والجدري والسل والجذام والتيفوئيد وما سوى ذلك من الأمراض.

القرار الثاني: هناك ألف وفاة في كل يوم بسبب الدخان، وهذا العدد يزيد سبعة أضعاف على الذين يموتون في حوادث السير.

ثالثاً: إن التدخين يعد سبباً حتمياً لأمراض مميتة.

رابعاً: إن مجموع الدخل الذي تحققه الدول الكبرى من جراء الضرائب الباهظة على إنتاج التدخين هو أقل بكثير من الأموال التي تنفق في معالجة الأمراض الناتجة عن التدخين. يا سبحان الله ضرائب على استيراد الدخان، وعلى زراعته، وعلى التجارة به، وما تأخذه الدول من ضرائب باهظة هو أقل بكثير مما تصرفه على معالجة الأمراض بسبب هذا الدخان. أين عقولنا أيها الإخوة؟

خامساً: إن سموم الدخان المنحلة في الدم إذا وصلت إلى الدماغ يتلقفها الدماغ بسهولة فائقة، وهذا السم المنحل في الدم يُشعِر الإنسان بشيء من الخدر، وبشيء من الفتور تارة أخرى، وبشيء من النشاط تارة أخرى، فالدخان منشط ومهدئ في آن واحد، وهذا هو سر الإدمان على الدخان، ولكن جاء في هذا التقرير: هذا السم إذا وصل إلى الدماغ فإنه يضعف تغذية الأعصاب فتصاب الأعصاب بالالتهاب وهو سبب لضعف الذكاء في الإنسان، يصبح بليداً، ويحرم نعمة الذكاء.

سادساً: خطره على جهاز التنفس، حيث يضعف الوظائف التنفسية، ويؤدي إلى التهاب الأنف والبلعوم المزمنين، ويؤدي إلى التهاب الحنجرة والقصبات الرئوية، ونسبة سرطان الرئة عند المدخنين هم ثمانية أمثالها عند غير المدخنين.

سابعاً: معظم الإصابات القلبية والوعائية القاتلة تعود إلى التدخين، أكد ذلك أطباء جراحة القلب، أن أكثر المداخلات الجراحية التي يجرونها على القلب بسبب آفات تعود بالدرجة الأولى إلى التدخين، وإن ثمانين بالمئة من مرضى القلب من المدخنين، حيث تسبب لهم سموم الدخان تضيُّقاً دائماً في الشرايين، وقد يتحول التضيق إلى انسداد، فتكون الذبحة الصدرية أو تكون الجلطة.

أيها الإخوة: هذا بعض الكلام الذي تكلمت عنه هذه المنظمات الصحية العالمية، في هذه الخطبة لن أسوق لكم حكم الإسلام في الدخان، وسأرجئ هذا الموضوع إلى الأسبوع القادم إن أحيانا الله عز وجل، ولكن سأنقل لكم عظة من إنسان ابتلاه الله عز وجل بالدخان، فقص علينا قصته من خلال أبيات من الشعر، لعلنا أن نتعظ بها، لأن العاقل من اتعظ بغيره. اسمع أيها المبتلى بالدخان ماذا يقول هذا الرجل، وانتبه إلى جلسائك إذا كنت قد عافاك الله من الدخان، لأن الجليس الصالح كحامل المسك، وجليس السوء كنافخ الكير:

أما أنا فاسمع بداية قصتي	منذ التحقت بشلة الأقران
لم يعلم الأبوان أين تسكعي	بحثاً عن الأعقاب والعيدان
لم تمض إلا أشهر حتى غدت	سيجارة الشيطان طوع بناني
في العيد كانت فرصتي ذهبية	الجيب مملوء، أبي أعطاني
تابعت أفلام البطولة مغرماً	ومشاهد التدخين كل ثوان
أيقنت أن التبغ شرط لازم	كي أنتمي لفصيلة الشجعان
سيجارة الأستاذ في مدرستي	كانت كوحي الجن والشيطان
أذعنت للتدخين دون تردد	وبدأت بعد السر بالإعلان

فأبي يدخن والمعلم قدوتي وكلاهما بسلوكه أغواني

وطبيبنا في الحي كان مدخناً فجعلته ترساً لمن ينهاني

جاوزت مرحلة الشباب وبعدها مالت بصدري كفة الميزان

أصبحت ألهث إن مشيت بسرعة والقلب يخفق والسعال أتاني

أنفقت أموالي أهنت إرادتي كي لا يصاب التبغ بالخذلان

هذا اللدود جعلته لي صاحباً أردفته خلفي فباع حصاني

لم أتعظ مما جرى للسابقين صمدت لكن فزت بالخسران

هذي حكاية من يذوب ندامة فاحذر صديقي أن تكون الثاني

أنت أيها الأب، وأيها الأستاذ المدرس، وربِّ الكعبة ستسأل عن ذلك، (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليها وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) [رواه مسلم]. فالأب يدخن والمعلم يدخن، والطبيب يدخن، والمسؤول يدخن، وأعضاء منظمة الصحة العالمية جلهم مدخنون، ويقولون لك لا تدخن، يا سبحان الله، {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون}.

أنت تمر يا أخي بمراحل ثلاثة: مرحلة الضعف الأولى، ومرحلة القوة، ومرحلة الضعف الثاني، {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة}.

هذا الشاب يذوب ندامة، سلوا أمراض القلب، سلوا أمراض السرطانات، سلوا أمراض الجهاز التنفسي، سلوا هؤلاء ألا يذوبون ندامة، بكل أسف يذوبون ندامة فأين العاقل فينا، أرجو الله أن نكون جميعاً من العقلاء، والحديث له صلة في الأسبوع القادم إن أحيانا الله عز وجل، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

31- خطبة الجمعة: مرحباً بحياة بدون تدخين٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: يقول مولانا عز وجل في كتابه العظيم: {يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون}.

أيها الإخوة: ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأنه طلب منا أن نتحدث عن المخدرات وأضرارها، وعزفت عن هذا الموضوع، وإني لأرجو الله عز وجل أن يلهم الإخوة المسؤولين أن يتحدثوا عن هذا من خلال أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية، لأن شاربي المخدرات جلُّهم لا يرتادون بيوت الله عز وجل. وقلت: سأتحدث عن الدخان، لأنه وبكل أسف جُلُّ رواد المساجد من المدخنين، ويتبع الدخان كذلك شرب الأركيلة التي تفشت في رجالنا وفي نسائنا، وظن الكثير أن كماله لا يكون إلا بالسيجارة والدخان، وعرفنا بعض قرارات منظمة الصحة العالمية في أضرار الدخان، وإنني أتابع الحديث عن هذا الموضوع في أسبوعنا هذا وفي الأسبوع القادم إن شاء الله تبارك وتعالى.

أيها الإخوة: أقول وبكل أسف أصبحنا بحاجة إلى قرارات الغرب حتى نصدق الأحكام الشرعية، وإنه لمن الواجب على المسلم أن يسأل عن الحكم الشرعي في قضية ما، ثم لا يلتفت بعد ذلك إلى العلة في التحليل أو التحريم، الواجب على المسلم أن يقول: {سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} عرف العلة أم لم يعرفها، لأنه يقول: أنا عبد وهو رب، إن عرفت العلة أو لم أعرفها أمتثل أمر الله عز وجل.

أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عندما أراقوا الخمور في المدينة المنورة، وأجريت الخمور في الشوارع، هل كانوا يعرفون العلة في تحريم الخمر؟ لا أبداً، وإنما عندما سمعوا قول الله عز وجل: {إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون} قالوا: انتهينا ربنا، لأن المشرع هو الله وأنت عبد الله. ولكن في هذا الزمن أصبحنا بحاجة وبكل أسف أن ندعم الأحكام الشرعية بما يقوله الغرب، لأننا ما زلنا مخدوعين بالغرب، وما زلنا مخدوعين بحضارة لا إنسانية، لأننا نرى الغرب والعالم المتحضر المتقدم المتمدن الذي يزعم افتراء وكذباً أنه يرعى مصالح الإنسان، ماذا يفعل في العراق؟ وفي فلسطين، وفي العالم الإسلامي والعربي، كلنا يعلم هذا، ولكننا ومع كل أسف في حالة نوم وسبات عميق، الغرب عالم متحضر متمدن. أيها الإخوة: الغرب عالم لا إنساني، وقلت لكم في الأسبوع الماضي إن شركات التدخين إنما هي شركات قتل الإنسان بصورة بطيئة.

أقول لكل مدخن ولكل شارب أركيلة: هل تعلم يا أخي المسلم بأنه أجريت دراسة في بريطانيا على ثلاثة وثمانين مدخناً، وقد أكدت الدراسة أن كل ثلاثة من عشرة

من هؤلاء الثلاثة والثمانين يلقون حتفهم بسبب الدخان، وأما الباقون السبعة فسيعانون من أمراض مزمنة بسبب الدخان.

هل تعلم أيها المدخن ويا شارب الأركيلة أن الحكومة البريطانية أصدرت تعميماً على منع الدخان في الأماكن العامة، ونحن وبكل أسف لا يحلو الدخان وشرب الأركيلة إلا في المواطن العامة، وبشكل أخص في عقود الزواج وفي حفلات الأعراس، هل تعلم أخي المسلم بأن عقد الزواج هو من أقدس العقود؟ وربنا عز وجل أشار إليه بأنه ميثاق غليظ، ولم يذكر الميثاق الغليظ إلا في موطنين من القرآن الكريم، الموطن الأول: قول الله عز وجل: {وإذ أخذنا منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً} هذا العهد بين الأنبياء وبين الله عز وجل أسماه الله ميثاقاً غليظاً، والميثاق الغليظ الثاني هو في عقد الزواج، عندما يحدثنا ربنا عز وجل عن هذا العقد وعن نتائجه فيقول: {وكيف تأخذونه} أي المهر {وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً}. أنت عندما تشهد عقد الزواج، وعندما تشهد حفل تأسيس بيت مسلم، لا يحلو لك الدخان إلا في هذا الموطن! ويقوم طالب علم ليتحدث، ولا يرضى شارب الدخان أن يترك الدخان، في بريطانيا أصدروا قراراً بمنع التدخين في المجالس العامة، ونحن في مجالس نتقرب بها إلى الله عز وجل، ونشهد عقود الزواج، ونشهد إشهار عقد الزواج في ليلة الزفاف لا يحلو لهم الدخان إلا في هذا الوقت.

يا من ابتليتم بالدخان: أناشدكم الله، وأسألكم بالله ألا تكونوا من المدخنين في مواطن الطاعة والعبادة، وشهود عقد الزواج من مواطن الطاعة والعبادة، فلنتق الله عز وجل.

هل تعلم أخي المدخن بأن هناك من يتوهم بأن الدخان المصفى عن طريق الفلتر لا يضر بالصحة، السيجارة التي لها فلتر، وأن الأركيلة تصفى كذلك بالماء، هذا وهم أيها الإخوة، هذا الفلتر من خلال دراسة علمية يمنع دخول القطران إلى الرئتين، ولكن أربعمئة نوع من سموم الدخان تدخل إلى جسدك بدون استئذان ولا تلتفت إلى الفلتر، هل تعلم هذا يا أخي المدخن؟ {يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون} ربما أن تصل إليك هذه الرسائل وربما أن يستهزئ البعض ولا يبالي، علينا النصح والبيان، وعلى الأمة كذلك الالتزام.

هل تعلم أيها المدخن بأن الدخان الذي يُصدَّر للعالم العربي والإسلامي هو من أسوأ وأردأ أنواع الدخان في العالم، وهل تعلم أيها المدخن وشارب الأركيلة أن الأطفال لأبوين مدخنين تزداد عندهم الإصابة بالنزلات الشعبية الحادة إلى أربعة أضعاف عن أقرانهم. شارب الدخان يا حبذا لو أنه أضر بنفسه فقط، وإنما أضر بنسله، فضلاً عن إضراره بالآخرين.

هل تعلم يا شارب الدخان والأركيلة بأن شركة واحدة من شركات الدخان — ولعلك أن تسمع يا من تبكي على وضع المسلمين في العراق وفلسطين، يذبحون، تدمر بيوتهم، ترمل نساؤهم، تقتل أطفالهم، ترتعد فرائصك ماذا يجري في العالم وأنت تتوسل إلى الله عز وجل، اسخر من نفسك — في كل يوم تقدر أرباحها بما يعادل تسعين مليون دولار، يصرف منها تسعة ملايين للصهاينة، لليهود الذين يقتلون المسلمين، أتبكي أنت على وضع المسلمين؟ هل تعلم هذا يا شارب الدخان والأركيلة، والله الذي لا إله غيره لو صرفنا قيمة الدخان والأركيلة على فقراء المسلمين لما رأيت فقيراً في العالم الإسلامي، لا ورب الكعبة.

هل تعلم أيها المدخن، ويا شارب الأركيلة، بأن عدونا يدعم عدونا بالأسلحة المدمرة والصواريخ والأسلحة الفاتكة لقتلنا، ويدعموننا بالدخان، ومن أجمل وسائل الإعلام الرصاصة قتل سريع، والسيجارة قتل بطيء.

هل تعلم يا أخي المسلم أن أكبر مستهلك للدخان في العالم هو عالمنا العربي والإسلامي؟ وهل تعلم أيها المدخن بأن عدد الذين يتركون الدخان في العالم الغربي يزيد على خمسة عشر بالمئة؟ وهل تعلم أن عدد المدخنين في وطننا العربي والإسلامي يزداد خمسة وثمانين بالمئة. {يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون}، وهل تعلم يا أيها المدخن منذ أيام قليلة خرجت مذيعة في قناة الجزيرة الفضائية، هذه القناة الفاسقة الفاجرة التي تشوش على المسلمين وتفتري على علماء المسلمين وتقول بملء فيها: بشارة لأهل سوريا، بأن أكبر عدد للمدخنين قياساً على عدد السكان إنما هو في سوريا.

أيها الإخوة: أريد أن أقف معكم أمام بعض آيات من كتاب الله عز وجل، قبل أن أقول لك هذا الدخان حلال أم حرام، ولكن أذكر هذه الآيات، وبعض ذلك أنت استخلص الحكم من نفسك.

الله عز وجل يقول: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}، أيها المدخن، ويا شارب الأركيلة، ألا تلقي بنفسك إلى التهلكة بسبب هذه الأمراض، فما أنت قائل لربك الذي يقول لك: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}؟

اسمع يا شارب الدخان والأركيلة، ربنا عز وجل يقول: {ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث} بربك هل أنت ترى الدخان من الطيبات أم من الخبائث؟ والله لو أنك كنت تراه من الطيبات لكنت ممن يشعل السيجارة وقبل إشعالها يقول: بسم

الله الرحمن الرحيم، ولقلت بعد الانتهاء من شربها: الحمد لله رب العالمين، ولو كنت تراها من الطيبات لما ألقيت آخرها تحت قدمك وأنت تسحقها سحقاً، كأن لسان حالك يقول: أيها العدو أنت الذي تهلكني، وفي نهاية المطاف سأدوسك تحت قدمي. هل تراه من الطيبات أم من الخبائث؟ فما أنت قائل لربك يوم القيامة؟

أيها المدخن: يقول مولانا عز وجل: {ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً} وعقلاء العالم قالوا: التدخين قتل للنفس بصورة بطيئة، والانتحار حرام شرعاً سواء كان سريعاً أم بطيئاً. فما أنت قائل لربك عز وجل يوم القيامة؟

أيها المدخن: ماذا تقول لربك عز وجل يوم القيامة الذي يقول: {ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين} أليس هذا من الإسراف؟ أليس هذا على حساب الزوجة والأولاد؟ أليس هذا على حساب الفقراء؟ أليس هذا على حساب المرضى الذين لا يجدون علاجاً؟ أليس هذا على حساب جسدك حيث تنفق المال لشرب الدخان، ثم بعد ذلك تنفق المال الأكثر لمعالجة نفسك؟

أيها المدخن، ويا شارب الأركيلة، الله عز وجل يقول: {ولا تبذر تبذيراً * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً} ألا ترى هذا من التبذير؟ ألا ترى أن هذا من صرف المال بطريق غير مشروع؟ فما أنت قائل لربك يوم القيامة.

أيها المدخن، ويا شارب الأركيلة، عندما تقدم الدخان لجليسك ولصاحبك، ما موقفك من قول الله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان} أترى هذا من التعاون على البر والتقوى؟ أم أنه تعاون على الإثم والعدوان؟

يا شارب الدخان والأركيلة، وخاصة في المجالس والأماكن العامة، قد ثبت علمياً بقرارات منظمة الصحة العالمية بأن شارب الدخان يضر نفسه بالمئة خمسة عشر، والباقي للآخرين، وقال عنه العلماء: هذا هو التدخين السلبي، فغير المدخن يتأذى من الدخان بسبب هذا المدخن، ما أنت قائل لربك يوم القيامة، وهو الذي يقول: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً}؟

ما أنت قائل لربك في هذه الآيات الست التي ذكرتها؟ لعلي أن أقف مع بعض أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأسبوع القادم، ومع أقوال الفقهاء والعلماء في مسألة الدخان والأركيلة، وأرجو الله أن يجعلنا جميعاً ممن قالوا: سمعنا وأطعنا، وألا نكون من الذين قال فيهم مولانا: سمعنا وعصينا، وأقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

32- خطبة الجمعة: مرحباً بحياة بدون تدخين (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: ذكرت لكم في الأسبوعين الماضيين مسألة الدخان التي انتشرت في مجتمعنا وهي في حالة ازدياد وانتشار، ومما يؤسف أن هذه الظاهرة انتقلت إلى نسائنا، وانتقلت إلى بناتنا، وما من مدخن وشارب أركيلة إلا وهو يتأفف أن يرى

ولده أو زوجته أو بنته ممن ابتلي بالدخان أو الأركيلة.

أيها الإخوة: إذا كنا لم نعتبر ولم نتعظ من قرارات منظمة الصحة العالمية التي أثبتت أضرار الدخان والأركيلة، لعلنا أن نتعظ وأن نتدبر الآيات الكريمة التي ذكرتها في الأسبوع الماضي، ولعلك أيها الإنسان المسلم وأنت موقن بأنك ستقف بين يدي الله عز وجل، فما أنت قائل لربك عز وجل الذي قال لك في القرآن العظيم: {ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً} والتدخين قتل للنفس بشكل بطيء؟ ما أنت قائل لربك عز وجل الذي قال لك: {ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث} فهل ترى هذا الدخان من الطيبات؟ إن كنت تراه من الطيبات فقل لربك عز وجل يوم القيامة: يا رب إنه من الطيبات، ومعاذ الله أن يكون الدخان من الطيبات وأثره تتحدث عنه منظمة الصحة العالمية في العالم أجمع، مؤمنها وكافرها، مستحيل أن يحل لك ربك عز وجل أمراً وهذا هو ضرره على العقل والجسد والنسل وعلى اقتصاد الأمة، انظر ما أنت قائل لربك يوم القيامة؟

ما أنت قائل لربك يوم القيامة أيها المدخن وشارب الأركيلة وهو الذي يقول: {ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين}، وهو الذي يقول: {ولا تبذر تبذيراً * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين} أذكرك بالآيات التي ذكرتها في الأسبوع الماضي، ما أنت قائل لله عز وجل القائل لك: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً} إن ابتليت بشرب الدخان والأركيلة وأصبحت عاجزاً ضعيفاً أمام نفسك، ألا تقصر هذا الضرر على ذاتك فلا تؤذ الآخرين؟ وخاصة في المجالس العامة، وبشكل أخص في عقود وحفلات الزواج.

ما أنت قائل لربك وقد ابتليت بالدخان وتقدمه ضيافة، وبكل أسف يقدم ضيافة في المناسبات، في مناسبات العزاء، وفي مناسبات الأفراح، ماذا تقدم يا أخي؟ أتشجع الآخرين على الاستمرار بشرب الدخان؟ ماذا تقول لربك الذي يقول: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان} أترى هذا من

التعاون على البر والتقوى؟ أنا على يقين وأقسم بالله أنك لا تراه من باب التعاون على البر والتقوى، فما أنت قائل لربك؟ ابتليت فلا تدفع الآخرين إلى هذا البلاء، حتى لا ينطبق عليك قول الله عز وجل: {ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً} الذي ابتلي بذلك يريد أن يبلي غيره به، أترضى هذا لولدك؟ إذا كنت تقدمه ضيافة وتراه من المعروف وتراه من الطيبات، لم لا تقدم الدخان بيدك لزوجتك ولبناتك ولأولادك؟ لم هذا التمييز؟

واليوم أقول أيها الإخوة: النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا ضرر ولا ضرار) [رواه الإمام مالك في الموطأ]، واستخلص الفقهاء قاعدة من هذا الحديث الشريف فقالوا: ما ثبت ضرره ثبتت حرمته. رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا ضرر ولا ضرار)، لا تضر بنفسك، ولا تضر بالآخرين، فما أنت قائل لله عز وجل، وأنت تضر بنفسك وبالآخرين. لا تتوقع مني أيها الأخ أن أعطيك حكماً واضحاً في مسألة الدخان، لأنني أترك لك هذا الحكم تستخلصه لنفسك من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، لأنه بكل أسف ابتلينا في المجتمع — والحقيقة مرة وأقولها بصراحة — ربما أن ترى طالب علم، أو صاحب لحية، أو صاحب عمامة، بكل أسف ربما أن تراه مدخناً، وأنت تراه طالب علم، ويعطيك فتوى في هذا الموضوع، فحتى لا نقع في تضارب، لن أعطيك الجواب هل هو حرام أم مكروه تحريماً، ولكن أقول ماذا تقول لربك الذي قال لك تلك الآيات؟ وماذا تقول لربك ورسولُك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول لك: (لا ضرر ولا ضرار)؟ أينقذك هذا الأمر أن تقول لربك يوم القيامة: إن فلاناً من طلبة العلم أو من أصحاب اللحى أو من أصحاب العمائم كانوا يدخنون فأنا دخنت وشربت الأركيلة؟ إن كنت ترى هذا الجواب ينقذك من بين يدي الله فأنت الذي ستتحمل هذه المسؤولية، {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء)

[رواه مسلم]، فمن أضر بنفسه أو بغيره فلم يحسن، ما أنت قائل لربك ونبيُّك صلى الله عليه وسلم يقول لك هذا؟

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه) [رواه الترمذي]. ماذا أنت قائل لربك؟ هذا المال الذي تصرفه خلال شهر وخلال سنة وخلال أعوام عدة، ربما أن يصل إلى مئات الألوف، ما أنت قائل لربك؟ على سبيل المثال: كلنا يعلم بأن الأضحية واجبة، وتقول لأكثر المدخنين: هل ضحيت؟ يقول لك: أنا رجل فقير لا أملك ثمن الأضحية، وفي كل يوم خمسون ليرة أو مئة ليرة يصرفها هذا الرجل على الدخان، ليضر بنفسه وبالآخرين، ولو استطاع أن يترك الدخان لجمع في كل عام أكثر من ثمن أضحية، ما أنت قائل لربك سبحانه وتعالى الذي سيسألك عن هذا المال فيم أنفقته؟

النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال) [رواه البخاري]، ما الفائدة التي تجنيها من شرب الدخان؟ هل فكرت في هذا؟ ضرر على نفسك، وعلى جلسائك، وعلى المجتمع، تنفق المال القليل من أجل شرب الدخان والأركيلة، وبعد ذلك تنفق المال الكثير من أجل علاج نفسك، وقلت لكم أيها الإخوة: إن ما يدخل على خزينة الدولة من الضرائب بسبب الدخان هو أقل بكثير مما تصرفه الدولة في معالجة المرض، فما نحن قائلون لله عز وجل؟

أيها الإخوة: النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره) [رواه البخاري]، جارك في مقعدك، وفي المجلس الذي أنت فيه، وزوجتك من أقرب الجيران إليك، ما أنت قائل لربك عز وجل وأنت الذي تؤذي جارك بهذا الدخان؟ بالرائحة الكريهة، النبي صلى الله عليه وسلم نهاك أن

تأتي لصلاة الجمعة والجماعة إذا أكلت الثوم والبصل (من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا – أو قال: فليعتزل مسجدنا – وليقعد في بيته) [رواه البخاري ومسلم]. حتى في صلاة الجمعة، ويكون آثماً، مع أن الثوم والبصل لهما فوائد عظيمة، ولكن من أجل الرائحة الكريهة نهاك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تشهد الجمعة والجماعة إذا أكلت الثوم والبصل، فكيف بشرب الدخان، وأنت تلقي عقب السيجارة على باب المسجد، وتدخل لتأخذ الكوب من الماء، لتنقل تلك الرائحة الكريهة إلى الكوب، ويأتي رجل آخر ما اعتاد الدخان ليتضرر من ذلك، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)، ويقول صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين) [رواه الترمذي] فما أنت قائل لربك عز وجل؟

أخيراً أقول أيها الإخوة: إذا كنت يا أيها المدخن لا تخاف على نفسك، ولا تخاف على نسلك، ولا تخاف على جُلاَّسك، ولا تخاف على زوجك، ولا تخاف على ولدك، ولا تخاف على اقتصاد بلدك، ألا تخاف من الله عز وجل؟ ما أنت قائل لله سبحانه وتعالى.

أيها الأخ المدخن: اختر لنفسك بعدما سمعت من قرارات منظمة الصحة العالمية، ومن الآيات الكريمة، ومن أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما رأيك؟ وما أنت قائل؟ هل الدخان مباح، أم مكروه تنزيهاً، أم مكروه تحريماً، أم حرام؟ انظر أنت من خلال الآيات والأحاديث الشريفة وخاصة من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين)، ومن خلال قوله عز وجل: {إن الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا}.

أسأل الله عز وجل أن يعافي كل مبتلى بشرب الدخان منه، وأقول هذا القول، وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة الكرام: السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب، مسخطة للشيطان، وسبب بإذن الله لحسن الخاتمة، تساءلوا فيما بينكم وبين أنفسكم: هل استخدامك للسواك الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) [رواه البخاري ومسلم]، أفضل أم الدخان؟ قارن بين السيجارة والسواك، وانظر إلى فارق السعر بينهما، السنة تركناها، والبدعة اتبعناها، فما نحن قائلون لله عز وجل؟

** ** **

33-في ذكرى الإسراء والمعراج مع درس المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: ذكرى الإسراء والمعراج التي مرت على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واحتفل بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وهم يذكرون قصة إسراء ومعراج الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وربما كان الكثير من يذكر الأقصى الشريف، ويبكي عليه، ولكن بدون التفات إلى واقع المسلمين.

أيها الإخوة: إذا كان ولا بد من الحديث عن الإسراء والمعراج فإن الحديث عنه لا يكون إلا بعد الحديث عن هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، لنعلم من خلال ذلك أن المنحة تكون بعد المحنة، وبأن المحنة لا بد بالنسبة للإنسان المسلم المستقيم أن تتبعها منحة، لأن المحن قد تكون للإنسان عقوبة من الله عز وجل، ويكون هذا من باب قول الله عز وجل: {ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون}، انظر إلى المحنة التي أنت فيها، وانظر إلى المحنة التي فيها الأمة، هل يا ترى هذا الفرد وهذه الأمة مستقيمة على أمر الله؟ فإن كان الجواب نعم فإنني أقول للفرد وللأمة: اعلموا بأنه من وراء المحنة منحة من الله عز وجل، فاصبروا وصابروا، والمؤمن إن كان فرداً وإن كان مجتمعاً عندما يكون ملتزماً هو يعلم هذه الحقيقة، وسيقول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً).

أما إذا كانت المحنة على الفرد وعلى الأمة، والفرد والأمة غير مستقيمين على دين الله عز وجل، فإن هذه المحنة إنما هي نوع من العذاب، وإننا لا نشك بأن

الأمة وأكثر أفرادها يمرون بمحنة وبشدائد، فهل يا ترى هذه المحن والشدائد التي تصيب الأمة هي مبشرات لمنح بعد ذلك؟ أم إنها مؤشرات لأن تؤوب الأمة إلى دينها، فإذا لم ترجع الأمة ولم يرجع الفرد إلى دينه فليوطن هذا العبد نفسه لقول الله عز وجل: {ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون} فإذا لم يرجع فإن المحنة من ورائها محنة أشد وأعظم، والعياذ بالله تبارك وتعالى.

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محنة مع استقامته، ومع أنه صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء والمرسلين، ومع ذلك كان في محنة وشدة، وبلغت المحنة والشدة أوجها في يوم الطائف، الكل يكذب سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام، والكل يسخر منه، والكل يهزأ به، والكل يؤذيه، والكل يغمزُ ويلمز، والكل تخلى عنه، مع الاستقامة، ومع امتثال أمر الله، وما زادته المحن والشدائد إلا استقامة وصلابة في دين الله عز وجل، ما تزعزع صلى الله عليه وسلم، وما تقهقر، وما شك في وعد الله عز وجل، وكانت الفترة ليست شهراً ولا شهرين ولا سنة ولا سنتين، إنما سنوات طويلة، والنبي صلى الله عليه وسلم ينتقل من شدة إلى شدة، ومن محنة إلى محنة، والشدائد والمحن لا تزيد رسول الله إلا صلابة في دين الله عز وجل مع كمال الخلق.

أرجو أن تنتبهوا أيها الإخوة: زادته المحن والشدائد صلابة في دين الله مع الأخلاق التي ما خرج عنها، والتي مُدح فيها من قبل ربنا عز وجل: {وإنك لعلى خلق عظيم}، قد تأتيك المحن فتزداد صلابة في دين الله ولكن قد تسوء أخلاقك، ويكون غيظ في قلبك نحو الطرف الآخر، أما سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فانظروا إليه في أوج الشدائد والمحن ازداد صلابة، وازداد مع ذلك شفقة ورحمة على الآخرين، هكذا يكون الكمال، إذا جاءت الشدائد والمحن وزادتك صلابة في دين الله فإياك أن تكون حاقداً حسوداً، إنما ينبغي أن تتخلق بأخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

انظروا إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في قلب هذه الشدائد والمحن، مع ازدياده صلابة في دين الله وشفقة على خلق الله، ينظر إلى الله جل وعلا، ويتساءل ويقول: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، - انظر إلى الحال الذي وصل إليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها المسلم الملتزم الذي يعيش في مجتمع يُسخر فيه من دين الإسلام، اصبر وصابر، وانظر إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام - إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك). يا رب إن كان الذي نزل علي بسبب غضب منك علي فلك العتبى حتى ترضى، سوف أعمل جاهداً حتى ترضى يا رب، وإن لم يكن بك علي غضب، فلا أبالي، ولكن أنا عبد ضعيف، عافيتك أوسع لي.

انظروا أيها الإخوة، أيها الشباب الملتزم، يا من يريد الالتزام بدين الله في وسط هذا المجتمع، اصبر وصابر، والمحن ينبغي ألا تزيدك إلا صلابة، ولكن توج صلابتك في دين الله بالأخلاق، عندما دعا بذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل سيدنا جبريل ومعه ملك الجبال، وقال: يا محمد، هذا ملك الجبال مره إن شئت أن يطبق عليهم الأخشبين، ورسول الله في أي ساعة؟ الكل يسخر، والكل يضحك، والكل يغمز، والكل يلمز، والكل يسيء، والكل يتآمر على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ازداد صلابة ولكن مع الصلابة ازداد شفقة ورحمة، هذا هو الذي يعمل لله، هذا هو الذي يتحقق بالعبودية لله عز وجل، هذا هو العبد الذي يشعر بالشفقة والرحمة على خلق الله عز وجل جميعاً {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} وأنت أيها المتبع! {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}.

إن شئت يا محمد أن يطبق عليهم الأخشبين، إذاً القضية ليست قضية غضب، لأن الله استجاب لدعائه، فهي اختبار وابتلاء، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يا أخي يا جبريل، لا تفعل، عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله). هكذا ينبغي أن تكون أيها المسلم، المحن تزيدك صلابة، والصلابة تتوجها بأخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنك أيها المسلم المستقيم الملتزم على يقين بأن بعد المحنة منحة من الله سبحانه وتعالى.

أيها الإخوة: اقرؤوا قول الله عز وجل: {واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون * إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} آخر سورة النحل، وتأتي السورة التي تليها سورة الإسراء مباشرة، يقول الله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده} اربطوا بين هاتين الآيتين، بين قول الله عز وجل: {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} والمحسن ازداد صلابة في دين الله، وتوجها بالأخلاق فقابل الإساءة بالإحسان ودعا الله لمن أساء إليه، فجاءت المنحة: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله}.

أيها الإخوة: ينبغي علينا أن نقارن بين حالنا وبين حال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لننظر ونعلم، المصائب تصب علينا، ولكن كونوا على ثقة بأن الغلبة والظهور لدين الله ورب الكعبة، ولكن البكاء على أنفسنا.

أيها الإخوة: حوادث ١١ أيلول والله كانت سبباً من الأسباب لنشر الإسلام في ربوع الغرب وفي أمريكا، الكثير من المهندسين العرب والأطباء الآن يتفرغون للشعب الأمريكي من أجل أن يعلموه اللغة العربية ليقرؤوا كتاب الله عز وجل، ولكن ما حالنا نحن في بلاد الإسلام، في ربوع الإسلام والمسلمين، كيف حالنا؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، في الظاهر الوضعُ خطير، المعاصي والمنكرات تزداد، والمحن تزداد علينا، إذاً لا أدري هل يا ترى من ورائها المنح؟ أم من ورائها المحن الأشد؟ إذا

كنا من أهل الالتزام فإن من وراء هذه المحن المنح، وأما إذا لم نكن من أهل الالتزام فإن من وراء هذه المحن محن أشد والعياذ بالله تبارك وتعالى.

أيها الإخوة: الحديث عن الإسراء والمعراج حديث ذو شجون، فلذلك في هذا اليوم المبارك عوضاً عن درس حكم ابن عطاء الله، سأتابع شيئاً من الحديث عن الإسراء والمعراج بعد صلاة المغرب في هذا المسجد بإذن الله عز وجل، أقول هذا القول، وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

تتمة الموضوع في درس بعد صلاة المغرب

الدرس بعد صلاة المغرب:

أما بعد فيا أيها الإخوة: كما وعدتكم في خطبة الجمعة أن أتمم الحديث عن هذا الحدث العظيم، الإسراء والمعراج، الذي أكرم به سيدنا محمداً عليه وآله الصلاة والسلام.

قلت أيها الإخوة: عند الحديث عن الإسراء والمعراج ينبغي أن يكون الحديث بداية عن هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، من أجل أن نربط بين المنحة والمحنة، لنأخذ الدرس الأول من إسراء ومعراج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المنحة تكون بعد المحنة، فإذا ما عرفنا سنة الله عز وجل في خلقه بهذا الشكل، الإنسان المؤمن إذا ما جاءته المحن يتطلع من ورائها إلى منحة من الله عز وجل، ولكن قلت: هذا الأمر مشروط بالنسبة للإنسان المؤمن الملتزم، أما الإنسان غير الملتزم، الذي لا يحل حلالاً ولا يحرم حراماً، ولا يقيم للشرع وزناً والعياذ بالله تبارك وتعالى، فهذا العبد تأتيه المحنة ويبقى مصراً على ما هو عليه، ويبدأ بالتفكير بالمنحة التي تأتي من وراء هذه المحنة، فهذه النظرة غير صحيحة، لأن هذه المحنة التي تأتي لغير الملتزم هي في الحقيقة عقوبة من الله عز وجل، وهي لفتة نظر لهذا العبد الذي يقول له مولانا عز وجل: {وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير} وكلمة فبما كسبت أيديكم معناها أن يراجع

الحسابات فيما بينه وبين نفسه، وأن يتوب إلى الله عز وجل من الذنب الذي هو واقع فيه، فمن وراء المحنة منحة ليست لكل أحد، وإنما لمن كان مستقيماً على قدم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة: اليوم – ونسأل الله العفو والعافية – يصب البلاء على الأمة صباً، هل يا ترى الأمة تتطلع إلى منحة من وراء هذه المحن، أي منحة ستأتينا من وراء هذه المحن؟ المحن هذه تزيد العاصي عصياناً، وتزيد المصر إصراراً على المعصية والعياذ بالله تبارك وتعالى إلا من رحم الله تعالى، هذه الأمة لتوطن نفسها إلى عذاب أشد والعياذ بالله لا قدر الله تعالى، إذا بقيت مصرة على معصية الله، وأضرب لكم مثلاً: جاء بعض الإخوة يتشارعون في مسألة الكمون، والمزارع في حالة خسارة ودمار، خسر بالملايين، بذر أراضي كثيرة ولكن لا يوجد حصاد لأن الكمون صار سواداً. من جملة ما سألته: كيف ستفكر في قضاء هذه الديون؟ فأجاب: إنه يفكر أن يقضي هذه الديون من خلال قرض ربوي، فهذا الرجل بهذه المحنة التي جاءته أيتوقع من ورائها منحة، وهو مصر والعياذ بالله على القرض الربوي من أجل أن يبرئ ذمته على حسب ظنه، مع أنني أرجعته إلى البداية، أرضك ما هي؟ من الإصلاح الزراعي، وقد حرم أخواته من الميراث، وقروض ربوية من المصارف الزراعية، وينزل بضاعته في سوق الهال مع قروض يأخذها من البائعين لقاء تنزيل المحصول عندهم، جاءته المحنة من أجل أن يرجع إلى الله، وهو لا يفكر بالعودة إلى الله عز وجل، وكأنه لم يتنبه إلى قول الله عز وجل: {ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون}.

أيها الإخوة: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاستقامة جاءته المحن، وكما قلت في خطبة الجمعة: الكل كذب النبي صلى الله عليه وسلم، وحاربه، وسخر منه، والنبي عليه الصلاة والسلام يلقننا دروساً، الأول: أن ترجع إلى الحسابات فيما بينك وبين نفسك، يا رب: هذا الذي نزل بي مع الاستقامة

غضب منك علي؟ إن كان غضباً فلك العتبى حتى ترضى، أنا سأحاول أن أرضيك بكل الصور، وإن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، العبد عبد، والرب رب، {ولنبلونكم}، والابتلاء للمستقيم وللمنحرف، ولكن عافيتك أوسع لي، ولذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرع لأهل الاستقامة والالتزام، لأنك يا عبد الله إن استقمت ورأيت مع الاستقامة الابتلاء فلا تفكر بعقلك القاصر: أنا مستقيم ومصائب ومحن تصب عليَّ، لماذا؟ اقرأ قول الله عز وجل: {الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين} إن رأيت نفسك مستقيماً وجاءتك الابتلاءات إذاً أنت على قدم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، رسول الله مع الاستقامة جاءته الابتلاءات، ولكن تطلع كما يتطلع النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً).

نحن الآن في ابتلاءات أيها الإخوة، ولكن هذه الابتلاءات هل هي مع استقامتنا أم مع انحرافنا؟ هل عقود البيع والشراء صحيحة أم غير صحيحة؟ جُلُّ العقود غير صحيحة، وما بني على باطل فهو باطل، الآن الابتلاءات تصب علينا بسبب إعراضنا عن شرع الله عز وجل، وكلنا حفظنا حكمة ابن عطاء الله وأرجو الله أن نكون ممن التزمها: من علامات النجح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات.

لذلك جاء النبي صلى الله عليه وسلم ليخاطبك يا أيها الرجل المسلم الملتزم إذا جاءتك الابتلاءات. يروي الإمام الترمذي وأبو داود عن سيدنا سعد رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً؟ - لو نظرنا نظرة سطحية لقلنا إن أشد الناس بلاءً أهلُ الفسق والفجور والمعاصي والمنكرات، ومن ينظر هذه النظرة كأنه لا يقرأ قول الله عز وجل: {فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون} سنة الله عز

وجل مع أهل الانحراف غير سنته مع أهل الاستقامة، فسنته مع أهل الانحراف يجليها سبحانه بقوله: {ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون...}، وأما سنة الله في المؤمن يجليها لنا النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم، عندما يقول له سيدنا سعد رضي الله عنه: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (الأنبياء)، فمهما ابتليت فقد ابتلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما ابتليت، ولكن شدة الابتلاء زادته صلابة في دين الله، {قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد...} أما نحن فبقليل من الابتلاء يتفلت الإنسان من دينه والعياذ بالله.

قال صلى الله عليه وسلم: (الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة) ليرفع الله عز وجل من مكانته ومنزلته، انظر إلى سيدنا إبراهيم خليل الرحمن قال فيه ربنا عز وجل: {وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً} ولذلك فبلاؤه أكثر لأنه قدوة، وعندما يصبح قدوة يضرب به المثل، ولذلك في أي مصيبة تنزل بالمجتمع أو بالفرد، نذكر بعضنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالصالحين وأهل الاستقامة، لأنهم نخبة المجتمع، يصبحون مضرب مثل، وإذا كان سيصبح مضرباً للمثل فلا بد من التدرب، لذلك عند أهل الدنيا كلما ازدادت رتبة الإنسان كلما كان تدريبه أكثر لأنه سيتبوأ منزلة، ولله المثل الأعلى مع الفارق الكبير، أنت أيها الإنسان المؤمن من القليل أم من الكثير؟ {وقليل من عبادي الشكور} والقليل سيصبح مضرب مثل، ولذلك لا بد من شدة الابتلاءات، {فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب} تخرج من ابتلاء تأتيك محنة، ومن ورائها منحة، ومن وراء المنحة محنة، ومن ورائها منحة وهكذا حتى تلقى الله عز وجل.

ولذلك فحادثة الإسراء والمعراج جاءت من وراء محنة، {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى} ومن وراء المنحة محنة، وقف النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام، فمر عليه عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء ؟ قال: نعم، قال: ما هو؟ قال: أسري بي الليلة.

قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم. فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه.

قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ قال: نعم، قال يا معشر بني كعب بن لؤي. فانفضت إليه المجالس، وجاؤوا حتى جلسوا إليهما. فقال: حدث قومك بما حدثتني فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني أسري الليلة بي).

قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، فمن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، وضجّوا وأعظموا ذلك.

فقال المطعم بن عدي: كل أمرك قبل اليوم كان أمماً غير قولك اليوم، أنا أشهد أنك كاذب، نحن نضرب أكباد الإبل إلى البيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً، أتدعي أنت أتيته في ليلة؟ واللات والعزى لا أصدقك.

تصور أنت الصادق ويكذبك قومك، فهل هذه منحة أم محنة؟ مع أن المنحة ما زالت جديدة، وطّن نفسك لأن مهمتك عالية، فالنبي عليه الصلاة والسلام سيد الأنبياء والمرسلين، كانت تأتيه المحنة ومن ورائها منحة، ومن ورائها محنة وهكذا دواليك، حتى جاءت سكرات الموت، وفي سكرات الموت شُدِّد على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووقفت السيدة فاطمة رضي الله عنها وقالت: واكرب أبتاه، فقال صلى الله عليه وسلم: (لا كرب على أبيك بعد اليوم) [رواه ابن ماجه]، فمن وراء هذا الكرب الرفيق الأعلى، إذا خرجت الروح من الجسد فلا

تخرج روحك أيها المسلم الملتزم المستقيم إلا على أحسن حالة ترضي ربنا، وهل منحة أعظم من هذه المنحة، تصور أن يمنحك الله عند سكرات الموت فتقول أفضل كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جاءني رجل منذ أيام فرحاً وعنده ميت وقال: والله شيء يثلج الصدر، قلت: ماذا؟ قال: رأيناه بعد أن غسلناه جمع أصابعه كلها، ورفع السبابة، شيء عظيم جداً أنه خُتم له على الإيمان، فهل هناك منحة أعظم من هذه المنحة. المحن في الدنيا متلازمة، محنة، ثم منحة، ثم محنة، وهكذا، لا تأمن الأكدار ما دمت في هذه الدار، حتى تصل إلى المنحة العظمى وهي أن تخرج من هذه الدنيا بقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} فأعظم منحة أن تموت على الإسلام، وعلى قول: لا إله إلا الله. وأنت عندما ترى ميتاً لك مات على قول لا إله إلا الله تصور كم هي فرحتك؟ وإن مات لا قدر الله على الكفر، أو وهو زان، أو شارب خمر، وكان يتقلب في الحياة الدنيا على أحسن حال، فهل نقول: هنيئاً له؟ نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، خسر الدنيا والآخرة، ولم يربح لأن الدنيا وهم وليست حقيقة، {إنما هذه الحياة الدنيا متاع} والمتاع هو الذي لا يدوم لك، فإذا دام لك فلن تدوم له.

لذلك الابتلاء بالنسبة للإنسان المؤمن الملتزم ملازم له، لذلك قال: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: (الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة) لذلك فالابتلاء لصالح العبد، ولكن لا يسأل الله البلاء، {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} نقول: (ولكن عافيتك أوسع لي)، ولكن إذا جاء الابتلاء نقول: إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، يا رب ألا تكون المصيبة ديني، وإن لم تكن في ديني فلك العتبى حتى ترضى، وعافيتك أوسع لي يا

رب إذا أردت أن تبتليني، لأنك يا بن آدم كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (كل بني آدم خطاء) [رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم]، فالابتلاء لمصلحتك، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة).

أما بالنسبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اشتد عليه البلاء ولكن معاذ الله أن يكون عليه خطايا، ولكن يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ثم صبَّره حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له منه) [رواه الإمام أحمد وأبو داود]، إذاً الابتلاء بالنسبة لأمثالنا تطهير وتكفير للذنوب، لذلك قال العلماء: الابتلاء للمؤمن كاللهب للذهب، فما ينبغي أن يلويك الابتلاء عن جادة الاستقامة، بل يزيدك صلابة، إذا كنت فقيراً كن صلباً في دين الله ولا تمد يدك إلى الربا، وإذا كنت مستقيماً ولا أحد يزوجك، {وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً}، موظف مستقيم مع الفقر ولا يمد يده إلى الرشوة والعياذ بالله تبارك وتعالى، وقس على ذلك سائر الأمور، لأن المؤمن يعلم أن من وراء هذا الابتلاء هناك منحة وعطاء، وإذا جاءت المنحة والعطاء فبعدها المحنة والابتلاء وهكذا لا تأمن الأكدار ما دمت في هذه الدار.

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تشريعه بالقول والعمل، أما جُلُّ مشرعي اليوم من البشر فيشرعون ولا يلتزمون بتشريعهم، وإن كانوا يقولون: القانون فوق رأس الجميع، ولكن إن سرق فيهم الشريف تركوه، وإن سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، تشريع بشر لمصالحهم، ودائماً هناك استثناءات، هذا من أهل البيت وانتهت المسألة.

نسأل الله تعالى أن يردنا إلى دينه رداً جميلاً. والحمد لله رب العالمين.

** ** **

34-شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: لقد ثبت عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يكثر من الصيام في شهر شعبان، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب هذا الصوم في شهر شعبان، فقال النبي الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم) [رواه النسائي].

سيدي يا رسول الله: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً أمته، وإني أسأل الله عز وجل في هذه الساعة المباركة أن يوفقني والحاضرين والمسلمين إلى اتباع نهجك وسنتك، لأنه بحق يا سيدي يا رسول الله أن أكثر الناس في حالة غفلة عن الله عز وجل، وربما أن يكون ذلك خاصة في شهر شعبان المعظم.

لو فكرنا أيها الإخوة بعمل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يرفع إلى الله، فأحبَّ النبي صلى الله عليه وسلم أن يتوج هذا العمل الذي يرفع إلى الله، بالصيام، ما هو هذا العمل؟

من جملة عمله تنفيذ قوله تعالى: {بلغ ما أنزل إليك من ربك} وأعظم شرف لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مبلغاً عن الله عز وجل، فهو سيد الأنبياء والمرسلين يبلغ رسالة الله، وكان يحب أن يرفع هذا العمل وهو صائم، عن الطعام والشراب والنساء، وجوارحه صلى الله عليه وسلم صائمة عما حرَّم الله عز وجل، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قرآناً يمشي على الأرض، أحل حلاله، وحرَّم حرامه، يبلغ عن الله فيرفع هذا العمل مع صيام سيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم.

ومن جملة الأعمال التي ترفع إلى الله عز وجل من أعمال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: الجهاد في سبيل الله، فيرفع هذا العمل مع صيام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن جملة العمل الذي قام به سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإصلاح، إصلاح المجتمع، وإصلاح ذات البين، والإصلاح بين الإخوة، وإصلاح العبد مع ربه عز وجل، فكان مصلحاً عليه الصلاة والسلام، فكان يحب صلى الله عليه وسلم أن يرفع هذا العمل إلى الله وهو صائم، تشبهاً بالملائكة الكرام الذين لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون.

ومن جملة العمل الذي قام به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: التبتل إلى الله، {يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً}. ثم يقول مولانا: {إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك} فأحب صلى الله عليه وسلم أن يرفع هذا العمل إلى الله عز وجل وهو صلى الله عليه وسلم صائم.

ومن جملة العمل الذي كان يقوم به صلى الله عليه وسلم حسن أخلاقه مع نسائه، ومع أهل بيته، لأنه صلى الله عليه وسلم هو القائل: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) [رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب صحيح]، فأحب صلى الله عليه وسلم أن يرفع عمله هذا إلى الله عز وجل وهو متوج بالصيام.

أيها الإخوة: سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياته الكريمة، من أقوال وأفعال ونوايا كلها كاملة، ومع كمالها تُوِّجت بالصيام في شهر شعبان لترفع إلى الله عز وجل بهذا الشكل وبهذا الحال. تُرى أيها الإخوة أتكون هذه الأعمال الصالحة مع الصيام مقبولة عند الله عز وجل أم مرفوضة؟ مما لا شك فيه ستكون هذه الأعمال مقبولة عند الله عز وجل.

أما أنا وأنت يا أخي المسلم، أعمالنا ترفع إلى الله، وفي شهر شعبان خاصة، ما هي هذه الأعمال التي تصدر مني ومنك وترفع إلى الله عز وجل؟ هل هي أعمال تبيض الوجه أم تسوده والعياذ بالله؟

أصبحنا في زمن كثر فيه الهرج - القتل - في مشارق الأرض وفي مغاربها، المسلمون يقتل بعضهم بعضاً، وهذا ما نراه في أصقاع الدنيا، من العراق إلى فلسطين إلى غيرها من الدول، ترفع الأعمال إلى الله، أي عمل؟ كثرة الهرج، وهل ترفع هذه الأعمال مع الصيام؟ على العكس من ذلك تماماً، كَثُر الهرج والقتل فينا، المسلم يقتل أخاه على عرض من الدنيا زائل.

ترفع أعمالنا إلى الله. أي عمل؟ قطيعة الرحم القائمة بيننا نحن رواد المساجد، الذين نشهد الجمعة والجماعات، ويا حبذا لو أننا قرنّا هذا بصوم، ومن صامت جوارحه عن الطعام والشراب امتثالاً لأمر الله صامت جارحة القلب عنده عن البغضاء والحقد والحسد فوصل رحمه. قطيعة للرحم ترفع إلى الله، فما نحن قائلون لله عز وجل؟

ترفع الأعمال إلى الله. أي عمل؟ المعاملات الربوية التي تفشت في مجتمعنا وقل حياء الكثير فكأنهم نسوا قول الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله}.

ترفع الأعمال إلى الله، وكل واحد يضمر في نفسه نحو أخيه ما لا يضمره شيطان على شيطان، ما هذا الحال أيها الإخوة؟ أعمالنا تعرض على الله عز وجل، فيا أيها الموظف والطبيب والمهندس والتاجر، ويا طالب العلم ويا صاحب اللحية ويا صاحب السبحة ويا صاحب المساجد أعمالك ترفع إلى الله، فهل هذا العمل يرضي ربنا عز وجل؟ ترفع إلى الله فيحصيها ربنا، وكما قال مولانا عز وجل: {أحصاه الله ونسوه}، ثم قال جل وعلا: {يوم تجد كل نفس ما عملت من خير

محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه}.

ما هي أعمالنا التي ترفع إلى الله عز وجل؟ حفلات الغناء حفلات يعصى فيها ربنا عز وجل، وتشرب فيها الخمور، وتعزف فيها القيان، والموسيقا إلى ما بعد منتصف الليل، ونسي القوم قول الله عز وجل: {إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد} نسي هؤلاء ربهم عز وجل، وكأننا في هذه الأيام نرفع أعمالنا إلى الله وهي ملطخة بالآثام والمعاصي والمنكرات والمخالفات، فما نحن قائلون لله عز وجل؟

أيها الإخوة: لو جاءتنا ابتلاءات من الله، واشتد البلاء علينا، فما هو موقفنا؟ سنلتجئ لأهل التقى والصلاح، ونطلب منهم الدعاء، ونقول: ادع الله لنا، وهذه الظاهرة متفشية في مجتمعنا، إذا جاء الابتلاء توجهت الأمة إلى الصالحين منها وقالوا لهم: أكثروا لنا من الدعاء.

كم مرة قلت لكم: إذا أصابنا القحط مباشرة تأتي التعاميم لأرباب المساجد لندعو الله عز وجل من أجل الاستسقاء، وأن نتوجه إلى القلة الذين قال فيهم مولانا: {وقليل من عبادي الشكور}. للقلة التي قال فيها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) [رواه مسلم]. أن نتوجه إليهم من أجل الدعاء لنا.

التوكيل أيها الإخوة في كل شيء جائز، في معاملاتك المالية إذا وكلت فلا حرج، وكذلك في عقد نكاحك، أما أن توكل غيرك بأن يلتجئ إلى الله عنك من أجلك فهذا هو عين الاستكبار والعناد والإصرار على المخالفة، والنبي عليه الصلاة والسلام حذر الأمة من الهلاك فقالوا: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم إذا كثر الخبث) [رواه البخاري ومسلم]. والخبث كثر في مجتمعنا، وعندما يكثر الخبث في الأمة ويتوجه هؤلاء إلى القلة قائلين: ادعو الله لنا، كأنهم يوكلونهم في الانكسار والتضرع إلى الله، وهيهات هيهات يا أخي، في كل شيء يجوز

التوكيل، إلا أن توكل غيرك بانكسار القلب إلى الله عنك، فهذا توكيل ليس بصحيح شرعاً.

أيها الإخوة الكرام: (شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان) هل يا ترى نؤوب إلى الله، ونصطلح مع الله عز وجل؟ وهل يا ترى نغتنم فرصة شهر شعبان المعظم الذي تعرض فيه الأعمال إلى الله عز وجل؟ أم نحن على ما نحن عليه؟ إذا بقي الإنسان مصراً على عناده واستكباره، فليتذكر قول الله عز وجل: {إنه كان لآياتنا عنيداً * سأرهقه صعوداً}. أسأل الله ألا يجعلني وإياكم من المعاندين، وأسأل الله أن يكرمني وإياكم باتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأقوالنا وأفعالنا وأحوالنا وأخلاقنا. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة: سامحوني إن قلت: ما لي أرى البعض ما زال يأتي إلى بيت الله عز وجل وعلبة الدخان في جيبه؟ بالله عليك إلى متى سيبقى هذا حالك؟ وإلى متى ستبقى مصراً على بذل المال لشرب الدخان، ثم من بعد ذلك تدفع المال من أجل علاج نفسك؟ بالله عليك ألا تخشى على نفسك من أن تزل قدمك فتنتقل من الدخان إلى الخمر، ومن الخمر إلى شرب المخدرات؟ بالله عليك أما تخاف على ولدك أن يتعلم الدخان؟ بالله عليك أما تخاف على زوجك أن تتعلم الدخان؟ ما أنت قائل لربك وأنت أتيت إلى أعظم فريضة من فرائض هذه الصلاة ألا وهي صلاة الجمعة؟ لماذا لا تشرب السيجارة في بيت الله؟ لأنك ترى في ذلك نقصاً وخللاً، ولو كان الأمر مباحاً لشربته كما تشرب الماء، تدخل إلى بيت الله وتشرب الماء بدون حرج لأن الله أحل لك هذا، وبقرارة نفسك لا تجترئ ويمنعك إيمانك من أن تشرب الدخان في بيت الله، لماذا؟ والله لو لم تشعر بأن في ذلك حرجاً شرعياً لما فعلت هذا، (الحلال بين والحرام بين) [رواه البخاري]، بالله عليك يا أخي اهجر

هذا الدخان الذي أضر بجسمك، وحولت المال لأعداء هذه الأمة ليقتلوا هذه الأمة، فما أنت قائل لربك يوم القيامة؟

أيها الإخوة: كثير من المحلات التجارية، وأرجو أن تنقلوا هذا لأصحاب هذه المحلات، منهم من يقول: إن محله التجاري لا ينطلق إلا بوجود الدخان، وهذا الكلام خطير، ويُخشى منه أن يؤثر على الإيمان. فاعلم يا أخي بأن الرزق على الله تعالى، واعلم قوله تعالى: {وفي السماء رزقكم وما توعدون}.

واعلم يا بائع الدخان بأن الكسب الذي يأتيك من الدخان كسب حرام، لأن العلماء بعدما أن ثبت ضرر الدخان أفتوا أن شرب الدخان حرام، وزراعته حرام، وتصنيعه حرام، وبيعه حرام، والكسب الذي يدخل عليك منه حرام، فما أنت قائل لربك يوم القيامة يا صاحب المحل التجاري وعملك يرفع إلى الله؟ {فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

35- إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: إن لربكم في أيام دهركم لنفحات، ألا فتعرضوا لها.

أيها الإخوة: لقد أثقلت كواهلنا الذنوب والخطايا والإعراض عن الله عز وجل، وربنا عز وجل رحيم بخلقه، ورحمته مطلقة، فمن تمام رحمة الله عز وجل أنه جعل لنا مناسبات من أجل أن نتعرض لنفحة من نفحات الله عز وجل، أن نتعرض لمغفرة ذنوبنا قبل أن يُحال بيننا وبين التوبة، وقبل أن نندم ولا ينفع الندم.

يا بن آدم، يا أيها العبد المذنب وكلنا هذا العبد المذنب، يا أيها العبد الخطاء، وكلنا هذا العبد الخطاء، هلاّ تذكرت قول النبي الأعظم عليه وآله الصلاة والسلام، الذي رواه النسائي عن سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: قلت يا رسول الله، لم أرك تصوم في شهر من الشهور ما تصوم في شعبان؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم).

يا من له ارتباط بيوم القيامة، ويا من له اعتقاد بالوقوف بين يدي الله يوم القيامة للعرض وللحساب، هلا استفدت من شهر شعبان بكثرة الإقبال على الله وأن تصطلح مع الله عز وجل. إن كان النبي الأعظم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حريصاً على زيادة الطاعة في شهر شعبان فنحن أولى بذلك، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، مع عدم وجود الذنب. النبي عليه الصلاة والسلام يستغل الفرص والأيام في زيادة القرب من الله عز وجل، هذا الشهر الذي غفلنا عنه فقصرنا في بقية الشهور، وربما أن يزداد تقصيرنا في شهر شعبان، لأننا نتطلع إلى قدوم شهر رمضان الذي يرمض الذنوب، فربما البعض قبل أن يأتي شهر رمضان يستغل هذه الأيام في معصية الله ويقول:

غداً يأتيني رمضان فالمعصية لا تليق، وإذا به يكثر من معصية الله عز وجل!

ما هذا أيها الإخوة؟ النبي صلى الله عليه وسلم عندما يقول: (ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان) هؤلاء الذين يستغلون شهر شعبان في معصية الله استعداداً في ظنهم لاستقبال شهر رمضان لأنهم سيتوبون إلى الله عز وجل. أهذا هو شأن الإنسان المؤمن؟ وربما وبكل أسف أن ترى شريحة من الناس من يتتبع المسلمين إذا ما أرادوا في شهر شعبان أن يجتمعوا ويتعاونوا على طاعة الله، وأن يجتمعوا في بيت الله امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده) [رواه مسلم وأبو داود]. مع كثرة غفلة الناس عن دين الله وطاعته، ترى شريحة من الناس يتابعون هؤلاء الملتزمين ويقولون: لا يجوز الاجتماع في المسجد في ليلة النصف من شعبان، ولا تجوز هذه الطاعات، لأنها بدعة، يا أخي يا سبحان الله، أما ترى واقع الأمة، نحن بأمس الحاجة أن نتمثل قول الله عز وجل: {وتعاونوا على البر والتقوى} لأننا أصبحنا ضعفاء، من منا يقوم الليل حتى تتورم قدماه؟ ومن منا يقرأ أجزاء من القرآن في جنح من الليل؟ ومن منا يكثر الدعاء بين يدي الله عز وجل؟ جلنا ـ وسامحوني إن قلت هذا ـ لا يعرف الدعاء، وجلنا إذا مدّ يديه إلى الله عز وجل داعياً ربما أن يدعو بجملتين أو ثلاثة ثم لا يعرف كيفية الدعاء، نحن في حالة غفلة وإعراض، فإذا ما دعيت الأمة لتتعاون على طاعة الله، انتبذت شريحة من الناس يقولون: بدعة، ولا يجوز الحضور! من قال لك لا يجوز الحضور؟ والأدلة كثيرة على مشروعية اجتماع المسلمين في بيوت الله من أجل طاعة الله والتقرب إلى الله عز وجل، فإذا دخلت إلى بيت الله ورأيت أناساً جالسين يقرؤون القرآن فهل من حرج؟ ويمدحون النبي صلى الله عليه وسلم فهل من حرج؟ ويصلون النوافل فهل من حرج؟ ويسمعون موعظة فهل من حرج؟ وإن لم تكن الصورة هذه في زمن

النبي صلى الله عليه وسلم، لأن أصحاب سيدنا رسول الله رُبُّوا على مراقبة الله، وكل واحد منهم ينطبق عليه قول النبي عليه الصلاة والسلام: (ورجل قلبه معلق بالمساجد) [رواه البخاري ومسلم]، وأما قلوبنا فقلوب زاهدة إلا من رحم ربي عز وجل.

ولذلك أيها الإخوة: إن لربكم في أيام دهركم لنفحات، ألا فتعرضوا لها، لنتعرض لنفحات الله عز وجل. إن استطعت أن تقوم الليل وتصوم النهار وأنت منفرد، وتقول كما قال بعضهم:

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا *** سر أرق من النسيم إذا سرى

فهنيئاً لك، وأقول لك: يا أخي أناشدك الله أن تذكرني بدعوة صالحة في خلوتك مع الله. وأما إذا كنت ضعيفاً لا تستطيع، وكنت بحاجة إلى من يعينك، فما الحرج أن تقول لصاحبك: تعال يا أخي لنجدد إيماننا، كما كان يفعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ أو تعال لنقول: لا إله إلا الله، أو تعال لنقرأ القرآن، ما الحرج في ذلك؟ ربنا يقول: {وتعاونوا على البر والتقوى}.

أيها الإخوة: شهر شعبان شهر القربات لله عز وجل، كما جاء عند الطبراني، والحديث رجاله ثقات، أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن). ليس فينا مشرك ولله الحمد، ولكن ما أكثر المتشاحنين! أناشدك الله وأنت في هذه الساعة المباركة، وأنت ممن امتثل أمر الله جل وعلا عندما قال له مولانا: {إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله} هل أنت مشاحن؟ كيف الصلة بينك وبين إخوتك وأخواتك؟ وبينك وبين زوجك؟ وبينك وبين أمك وأبيك؟ وبينك وبين أعمامك وعماتك وأخوالك وخالاتك؟ لأنه بكل أسف أيها الإخوة صار التشاحن مع الأباعد أمراً طبيعياً، ولكن التشاحن انتقل من الأباعد إلى الأقارب، بل إلى أقرب الأقارب، بينه وبين زوجه، وبينه وبين أبنائه، ما هذا المجتمع أيها

الإخوة؟ لا ينظر الله ولا يغفر في ليلة النصف من شعبان لمشاحن، انظر هل في قلبك الشحناء والبغضاء؟ هل هكذا كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟

أما تعلم بأن النبي صلى الله عليه وسلم في يوم أحد عندما شقت شفته السفلى وكسرت رباعيته وشج وجهه الشريف، ووقع في حفرة، والصحابة تألموا على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله ادع على المشركين. قال: (إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة) رواه مسلم.

أيها الإخوة: من منا لا يحفظ قول الله عز وجل: {يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم} أين القلوب السليمة بين الزوج وزوجته؟ وبين الأصول والفروع؟ وبين الإخوة والأخوات؟ وأين القلوب السليمة بين الحاكم والمحكوم؟ وبين الغني والفقير؟ وبين القوي والضعيف؟ ما هذا الحال أيها الإخوة؟ ألسنا بحاجة للاجتماع ليذكّر بعضنا بعضاً، فإذا ما اجتمعت الأبدان وأكثرنا من الدعاء عسى أن يغسل الله ما في قلوبنا.

هم حريصون أن يبعدوا الأمة عن الاجتماع بحجة البدعة، وإن هذا الابتعاد عن الجمع يزيد في البغضاء والتدابر، أما كثرة اللقاء والاجتماع فهي التي تغسل ما في القلوب، لأن المسلم عندما يلتقي مع أخيه ويصافحه ويصليا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تتساقط ذنوبهما كما تتساقط أوراق الشجر. ألسنا بحاجة إلى هذا؟

أيها الإخوة: لنغتنم هذا الشهر العظيم المبارك، شهر شعبان، بكثرة القيام، وانظر إلى ما رواه البيهقي عن أمنا المبرأة السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل يصلي فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض، ـ أي لا يتحرك وكأنه صلى الله عليه وسلم حابس نفسه في حالة المراقبة لله عز وجل ينتظر رحمة الله تعالى ـ قالت: فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك، فرجعت، فسمعته يقول في سجوده: (أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ

برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك، جل وجهك ، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) ويكررها صلى الله عليه وسلم، فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال: يا عائشة أظننت أن النبي صلى الله عليه وسلم خاس بك؟ قلت : لا والله يا رسول الله ولكني ظننت أنك قبضت لطول سجودك، فقال: (أتدرين أي ليلة هذه؟)، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (هذه ليلة النصف من شعبان، إن الله عز وجل يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم).

ربما أن تسمع ممن يقول لك إن الاجتماع بدعة يقول لك: الحديث ضعيف، نعم الحديث ضعيف، ولكن هذا الحديث الضعيف إن عملت به في فضائل الأعمال فهل هذا يضر في دينك؟ إن عملت به وانقلبت يوم القيامة فوجدت رحمة الله قد شملتك ليلة النصف من شعبان فهل أنت من السعداء أم من الأشقياء؟ أما إذا قلت: هذا الحديث ضعيف، وإني سأعرض ولن أتعرّض، وفوجئت بمن كنت تنهاه بأنه صار من السعداء، ألا يتفطر قلبك لأنك قد حرمت من هذا الخير؟

أيها الإخوة: يؤخر ربنا أهل الحقد كما هم حتى يصطلحوا، وكلنا سمع الحديث مراراً عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة النصف من شعبان بأن (لله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم كلب، لا ينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مسبل، ولا إلى عاق لوالديه، ولا إلى مدمن خمر) رواه البيهقي في شعب الإيمان. تقول لي: هذا الحديث ضعيف، وحديث: (قوموا ليلها وصوموا نهارها) أيضاً حديث ضعيف، ولو اجتمعت الأحاديث الضعيفة ألا ترتفع إلى مرتبة الحسن كما يقول علماء الحديث؟

أيها الإخوة: ليقبل من أراد الإقبال، ولا أقول ليعرض من أراد الإعراض، لأنني والله أريد من نفسي ومن كل مؤمن أن يقبل على الله، لأننا بأمس الحاجة إلى رحمة الله، وإذا أقبلت على الله، فكما تطهّر جسدك الظاهر وتطهر ثوبك، طهّر

قلبك، لتتعرض لنفحة من نفحات الله عز وجل، فتصالحوا يا عباد الله، أزيلوا ما بينكم من بينكم، أقبلوا على الله، لا تقولوا: زيد وعمرو في حالة تدابر فنحن كذلك، وتذكروا قول الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}.

اللهم ردنا إليك رداً جميلاً، اللهم طهّر قلوبنا من الشحناء والبغضاء، اللهم طهّر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن رحمتك يا أرحم الراحمين. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

36- خطبة الجمعة: من أجل سعادتك عليك بالاتباع وكثرة ذكر اللّه

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: مصيبة المصائب ألا يعرف الإنسان لماذا خُلق؟ ومصيبة المصائب ألا يعرف الإنسان مهمته، ومصيبة المصائب أن يعيش الإنسان في هذه الحياة بدون هدف. رجل ميسور تقدم به العمر يحدثني بأن حياته شقاء، ويفكر وهو في هذا العمر بالانتحار والتخلص من الحياة. ميسور الحال ويتساءل: لم خُلق في هذه الدنيا؟! جمع المال فأوعى، ولكن حياته شقاء.

أيها الإخوة: ربنا عز وجل بيّن لنا وعرّفنا لم خُلقنا، وعرَّفنا الوظيفة التي خُلقنا من أجلها فقال: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} فجاءك تكليف من الله، وبين لك مولانا عز وجل بأنك يا أيها العبد إذا أردت حياة سعيدة فعليك

بعبادة الله، ولعلك أن تتنبه وأنت في ريعان الشباب، وجلكم شباب، اتعظوا واعتبروا ممن تقدم بهم العمر، ميسورو الحال، ولكنهم يفكرون في الانتحار، لأن حياتهم شقاء وضنك، تقدم به العمر وتجاوز الستين من عمره، وهو لا يعرف المهمة التي خُلق من أجلها.

أيها الإخوة: ربنا عندما كلفنا بيّن لنا بأننا إن اتبعنا هذا التكليف والتزمناه نعيش حياة سعيدة طيبة كريمة، أرجوكم أيها الإخوة أن تحفظوا هاتين الآيتين من كتاب الله عز وجل. الآية الأولى في سورة البقرة يقول فيها مولانا عز وجل: {قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون}. أناشدك الله من أجل مصلحتك أيها الشاب، أيها الرجل، أيتها المرأة، فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله، من أجل سعادتك أيها الرجل، أيتها المرأة، {فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون}. وهل الشقاء يأتي إلا من الخوف والحزن؟ وإذا انتفى الخوف والحزن فهل هناك إنسان أسعد منك على وجه البسيطة.

والآية الثانية من سورة طه: {فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى} إذا انتفى عنك الضلال والشقاء فبالله عليك هل تجد إنساناً أسعد منك؟ الاتباع ينفي عنّا الخوف مما هو آت، والحزن على ما هو فائت، الاتباع ينفي عنك الضلال في عقلك، وينفي عنك الشقاء في قلبك. فهل هناك سعادة أعظم من هذه السعادة؟

أيها الإخوة: ها نحن في شهر شعبان، ونودعه ونتطلع إلى شهر رمضان، وفي شهر رمضان ينادي المنادي: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، يا من يعيش حياة الشقاء والضنك، أقصر من إعراضك، وأقصر من الابتداع، وعليك بالاتباع لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واعلم بأنك إن اتبعت فإن الاتباع من أجل مصلحتك، إن تحليل الحلال وتحريم الحرام والوقوف عند حدود الله عز وجل

من أجل مصلحتك، تعيش حياة شقاء وضنك وأنت تحتار كيف أتخلص من هذا؟ أبدخانك تتخلص من الشقاء؟ أبشرب المخدرات يتخلص الإنسان من الشقاء؟ أبشرب الخمور يغيب الإنسان عقله من أجل أن يرتاح؟ فإذا ما غاب العقل بسبب شرب الخمر أو المخدرات ساعة أو ساعتين، ثم انتهى مفعول الخمر أو المخدرات فإذا بالشقاء صار مضاعفاً في حياة هذا العبد والعياذ بالله تبارك وتعالى.

أيها الشباب: حياتنا صارت معقدة، والله إني أرى شباباً ربما أنهم ما تجاوزوا سن التكليف، وما دخلوا سن الرجال، حياتهم معقدة، يحتارون في هذه الحياة، ما هو السبيل لتحقيق هذه السعادة؟ السبيل بيّن واضح، ألا وهو الاتباع لسيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام. كلنا أيها الإخوة وبالإجماع وأنا واثق، بأنك لو استفتيت الإخوة الحاضرين، وأهل البلدة أجمعين، فإنك ترى الجواب واحداً عن سؤال: هل الاتباع لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يورثك شقاء أم سعادة؟ والله الذي لا إله غيره، الجواب من الجميع، الطائع والعاصي، الفاسق الفاجر والملتزم، واحد: نعم يحقق السعادة، فلماذا لا نؤمن ونجدد إيماننا ونزيد في إيماننا ونعمل صالحاً، وكلنا على يقين من قول الله عز وجل: {من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة} الله هو الذي سيحييك هذه الحياة، وإذا أراد الله أن يحييك حياة طيبة فهل تستطيع البشرية جمعاء أن تجعلك شقياً؟ معاذ الله. وإذا أراد الله أن يجعل حياتك شقاء لا قدر الله فهل تستطيع البشرية جمعاء أن تحقق لك سعادة {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً}.

هذا الرجل الذي يحدثني هو ميسور الحال، يده تطول كما تقول العامة، له صلاته مع الكبير والصغير والقاصي والداني، وحسب الظاهر الكبير فيهم يطلب رضاه، والمال موفور، وحياته شقاء... من الذي سيحقق لك السعادة غير الله عز وجل؟ {من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة} ولو كنت فقيراً، ولو لم تجد مأوى، ولو كنت مريضاً، أليس ربك بقادر على ذلك؟

أليس ربك بقادر أن يحقق لك سعادة مع الفقر ومع المرض؟ أيعجز ذلك ربنا جل وعلا؟ أما وقفت أمام قول الله عز وجل: {وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين} إذا كنت تعيش في شقاء وضنك فالله وحده هو القادر على أن ينقذك، وإلا فأتعب نفسك، ووالله لولا أننا نقع في الغيبة وفي مشاكل لها أول وليس لها آخر، لضربنا لكم الأمثلة من واقعنا الذي نعيشه، وجلّنا يعرف هذا، جلّنا يعرف الأشقياء في حياتهم مع وفور المادة والنعم، جلّنا يعرف حياة طيبة مباركة لأناس مع الفقر والمرض. هذا الأمر مفروغ منه {من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة}.

أيها الإخوة: من أسباب السعادة وعلى رأسها الاتباع لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فعليك بالاتباع، اتبع سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام، بلباسك، ومأكلك ومشربك، وفي حركاتك وسكناتك، لأن أكمل شخصية هي شخصية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، اتبع سيدنا محمداً في تعاملك مع أبويك، ومع زوجتك، ومع أبنائك، ومع أبناء جنسك، فإن اتباعك لأكمل شخصية هو الذي يحقق لك السعادة. فهل تعاهد الله عز وجل في الاتباع؟

أيها الإخوة: في هذا الأسبوع المنصرم أكرمني الله عز وجل بلقاء مع عالم جليل تجاوز مئة عام ونيف، كما تقول العامة تنظر إليه وكأنه كبة من نور، وأول كلمة سمعتها منه بعد السلام والجلوس أن قال: والله ليحاسبني أولادي يوم القيامة إن أطعمتهم لقمة من حرام! والأمر الثاني قال: وما نظرت إلى وجه امرأة أجنبية، وها أنا أنتظر لقاء ربي. والله ما رأيت أسعد من هذا الإنسان، ترك لقمة الحرام فحافظ على فمه، وحافظ على بصره، وهو يتطلع ويقول: أنا أنتظر لقاء ربي ويلح على الله في لقائه مع الله. وأما نحن فلا نريد الموت واللقاء مع الله، لأننا غُذِّينا بالحرام، وأفسدنا الإيمان في قلوبنا بسبب النظر إلى النساء، وبسبب قلة حياء

النساء عندما خرجن سافرات كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت، ورضي الله عن سيدنا علي عندما كان يقول لمن كان مجالساً له: ألا تستحون؟ ألا تغارون؟ تخرج امرأتكم تختلط بالرجال فترى الرجال ويراها الرجال، ألا قبَّح الله من لا يغار.

أيها الإخوة: يقول ربنا جل وعلا: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه} كن هذا الرجل البطل المستقيم على نهج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والله كم أرى من الشباب التزموا بالاتباع، تنظر إلى وجه الواحد منهم واللحية امتلأت في وجهه وهو في ريعان الشباب تأسياً واقتداء بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، النور يشع منه. وبكل أسف ترى بعض الشباب قص الشعر واللحية يتزينون بها، وترى الظلمة تخرج من وجوههم. أتريد سعادة؟ أولاً عليك بالاتباع.

ثانياً: عليك بكثرة ذكر الله، إنا لله وإنا إليه راجعون، غفلتنا عن الذكر ما أعظمها؟ من منا له ورد في ذكر الله عز وجل؟ مع أن الله يقول: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً} أين ذكرك لله؟ أين السُّبحة في يدك؟ هذه السبحة التي تذكرك أنه ينبغي عليك أن تذكر الله، أوقات متقطعة تمر في حياتك بدون فائدة، أنت تركب السيارة، وتمشي في الطريق، وتسافر، هذا الوقت المتقطع لماذا لا تستغله بحمل سُبحة وتكثر من قول لا إله إلا الله، ومن التسبيح، والتحميد، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، {يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم} أتريد سعادة؟ اقرأ قول الله سبحانه وتعالى: {الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب}. قلوبنا في حالة اضطراب وقلق، خوف مما هو آت، وحزن على ما هو فائت، القلب مضطرب، وأمراض القلوب صارت كثيرة، فإذا أردت أن يطمئن قلبك فأكثر من ذكر الله عز وجل، لأن وصف المنافقين كما قال ربنا عز وجل: {ولا يذكرون الله إلا قليلاً}. أكثر من ذكر الله، لأن كثرة ذكر الله تجعل قلبك مطمئناً، وتخلق بأخلاق سيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم: كان يذكر الله على سائر أحيانه. لذلك كان يقول بعض الصالحين: إذا رأيت ثقل الذكر على لسانك فاتهم نفسك بالنفاق.

جاء رجل إلى سيدنا رسول الله فقال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبث به قال: (لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله) [رواه الترمذي]. أكثر يا أخي من ذكر الله، لأن سعادتك عندما تأتيك سكرات الموت وأنت تقول لا إله إلا الله، فقد ضمن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لك الجنة. أنت كم تعتز وتفتخر إذا رأيت قريباً لك مات وكانت آخر كلمة له: لا إله إلا الله. جاءني رجل في هذا الشهر المنصرم وهو فرح مسرور، ماتت له قريبة، قال: والله عندما غسلت ودخلنا لتوديعها رفعت سبابتها بيدها اليسرى وكأنها تشير إلى كلمة التوحيد بعد موتها، وهو يرقص طرباً، قلت: سبحان الله، رفعت سبابتها اليسرى فهذا حالك، فكيف لو رفعت سبابتها اليمنى، فكيف لو أنك سمعتها قالت: لا إله إلا الله، وخرجت روحها مع كلمة الله، سعادة ما بعدها سعادة.

أوقاتنا بكل أسف أيها الإخوة نقضيها بالغناء، من محلك إلى بيتك إلى سيارتك وفي حالة الانتقال الاستماع إلى الغناء، والغناء ينبت في القلب النفاق.

إذا أردت سعادة فعليك بالاتباع أولاً، وعليك بكثرة ذكر الله ثانياً. وثالثاً: عليك بتلاوة القرآن العظيم، تذكر قول الله عز وجل: {وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة} أتريد الشفاء لحياة الشقاء؟ عليك بتلاوة القرآن العظيم. ولعلنا في خطبة قادمة نقف مع تلاوة القرآن الكريم التي تحقق لنا سعادتنا.

احفظوا هاتين الكلمتين في هذه الخطبة: الاتباع وكثرة ذكر الله هي التي تحقق لك السعادة، فهل نقول سمعنا وأطعنا؟ أم لا قدر الله هناك من يقول بلسان حاله: سمعنا وعصينا، اللهم لا تجعل فينا من يقول هذا، اللهم اجعلنا جميعاً كأصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذين قالوا: {سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} فإن قلت ذلك تحققت سعادتك بإذن الله، أقول هذا القول وكل منا

يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

37- خطبة الجامع الكبير في حلب: الاستعداد لشهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: إن أخطر شيء في حياة الإنسان هو الوقت، ومن عرف قيمة الوقت لم يدركه المقت، لا في الدنيا ولا في الآخرة. وأما من لم يعرف قيمة الوقت فقد أدركه المقت في الدنيا قبل الآخرة، وفي الآخرة أشد، لأن هذا العبد الذي ما عرف قيمة الوقت سيكون يوم القيامة في نار جهنم لا قدر الله. واسمع ماذا يقول الله عز وجل في كتابه العظيم، ولعلك أن تتنبه يا من ضيع الوقت في القيل والقال، وفي كثرة السؤال، وفي إضاعة المال، ويا من ضيع الوقت في الحرص على الشيء الفاني الذي لا يدوم، ويا من ضيع الوقت بدون تقرب إلى الله، أو في معصية الله، يا من ضيع الوقت ولم يعرف كيف يستغل تلك اللحظات والأيام التي فيها نفحات الرحمن، ونحن أُمرنا أن نتعرض لنفحات الرحمن، (إن لربكم عز وجل في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن تصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبداً) [رواه الطبراني] يقول ربنا عز وجل عن هؤلاء الذين ما عرفوا قيمة الوقت: {وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل} ولكن سيأتي الجواب من مولانا عز وجل: {اخسؤوا فيها ولا تكلمون}.

يا من ضيع الوقت بدون معرفة لقيمته، هل تعلم بأنك ستكون لا قدر الله من النادمين عند سكرات الموت، لأنه عند سكرات الموت ستعرف قيمة الوقت، يقول مولانا عز وجل عن هؤلاء الذين ما عرفوا قيمة الوقت: {حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون}. يا من ضيع الوقت ولم يعرف قيمته، قف

أمام قول الله عز وجل: {حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها} يا من ضيع الوقت ولم يعرف قيمته، اسمع ماذا يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: الليل والنهار يعملان فيك يا بن آدم، فاعمل فيهما أنت. تقدم بك العمر فبدأت بالضعف بعد القوة، وضعف بصرك، وضعفت قوتك، واحدودب ظهرك، وها أنت على مشارف الآخرة، الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل بهما، ماذا نعمل في هذه الحياة الدنيا؟ {بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره} أنت إذا لم تعرف قيمة الوقت ستندم، ولا ينفعك الندم، كما يروي الإمام الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه) في أي شيء أفنيت هذا العمر؟ كل واحد منا يعرف في أي شيء يقضي عمره، وهذا بشكل عام، وبشكل خاص يقول صلى الله عليه وسلم: (وعن شبابه فيما أبلاه) فترة الشباب فترة القوة والعطاء والحيوية، أيام ربيع العمر، في أي شيء قضيت هذه الأيام؟ كم وكم من أناس اصطلحوا مع الله في المرحلة الثالثة من حياتهم؟ لأن الإنسان يعيش في حياته في مراحل ثلاث: مرحلة الضعف، ثم مرحلة القوة، ثم مرحلة الضعف والشيبة، قال تعالى: {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة} في أيام القوة والشباب ماذا فعلت؟ أين قضيت أيام الشباب؟ كم وكم من أناس اصطلحوا مع الله في المرحلة الثالثة من حياتهم؟ عندما دخلوا مرحلة الضعف الثاني، مع الشيخوخة وانحناء الظهر والضعف، إن قلت له: صم، يقول: أنا عاجز وضعيف، وإن قلت: حج أو اعتمر، قال: أنا عاجز وضعيف، وإن أراد أن يفعل الطاعات ذهبت أيام القوة، فيا أيها الشباب ويا أيتها الشابات، اسمعوا ماذا يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (وعن شبابه فيما أبلاه)، في أي شيء أبليت هذا الشباب؟ في السفر، والقيل والقال، واتباع

الشهوات، عندما ترى شبابنا متسكعين في الشوارع، ويتبعون الفتيات، ولا يعرفون إلا الأمور السخيفة، ولا يعرفون كيف يقدمون لأوطانهم، ولا لحياتهم، ولا لآخرتهم، اتبعوا الأهواء والشهوات، اعلم أيها الشاب أنك ستسأل سؤالاً خاصاً عن فترة شبابك، فما أنت قائل لربك؟ وأنت أيتها الشابة ستسألين عن فترة الشباب، فما أنت قائلة لله عز وجل؟ كم وكم من بناتنا ضيعن أوقاتهن أيام الشباب في القيل والقال واتباع الشهوات، وفي السفور والتبرج، والاختلاط مع الرجال، وإذا ما جاءت مرحلة الضعف والشيخوخة ندم هذا وندمت هذه، ولكن فترة الشباب قد ولت.

ثم قال صلى الله عليه وسلم: (وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه) أستطيع أن أخدعك، وتستطيع أن تخدعني، وأستطيع أن أقول لك: مالي من حلال، وتستطيع أن تخدعني وتقول: مالي من حلال، لأنك لن تحاسبني، وأنا لن أحاسبك، الذي يحاسبني وإياك هو الذي يعلم السر وأخفى، ستسأل أخي المسلم عن مالك من أين اكتسبته وفيم أنفقته، من أين جمعت المال؟ سواء كان هذا المال قليلاً أم كثيراً. لأن البعض عندما يسمع قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه) لا يخطر بباله إلا أصحاب الملايين، لا يا عبد الله، ستسأل عن مالك الذي جمعته سواء كان قليلاً أم كثيراً، من أين أتيت بهذا المال؟ وفيم أنفقت هذا المال؟ هل جاءك عن طريق الربا؟ أم عن طريق الرشوة؟ أم عن طريق السرقة؟ أم بيمين كاذبة؟ أم بطرق ملتوية؟ ما أنت قائل لربك عز وجل؟ {يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم} عندما يكون كنزك من حرام فستنفقه في حرام، وعندما يكون جمعك للمال من طريق حلال فستوفق للطاعة ورب الكعبة.

أيها الإخوة: (عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه)، أنت موظف في دائرة أو مؤسسة وقدمت لك هدية، على سواد عينك؟ من أنت حتى تقدم لك هذه

الهدية؟ إنما مكانك هو الذي دفع هذا ليقدم لك الهدية. جاء رجل إلى سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقدم له هدية، فاعتذر سيدنا عمر، . تأس يا أخي بهؤلاء الرجال الذين عرفوا أنهم واقفون بين الله والله سائلهم يوم القيامة . فقال: يا أمير المؤمنين، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبل الهدية. فقال سيدنا عمر رضي الله عنه: نعم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية، وأما لنا فهي رشوة. لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم والعطاء لا يؤثر فيه، أما العطاء لنا فيؤثر، اعلم هذا أيها الموظف، وأيها القاضي، ويا من تبوأت مكانة، احذر أن يميل إنسان قلبك إليه بعطية، هلا جلست في بيت أمك وأبيك فنظرت أيهدى لك أم لا؟

(وعن علمه ماذا عمل به)، في كل جمعة نصلي، ونسمع الخطيب يتكلم ويقول: قال الله، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما أنت عامل بهذا العلم؟ ونحن أيها الإخوة إن عرفنا قيمة الوقت أقول لكم كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه) رواه ابن خزيمة. كيف نستقبل رمضان؟ هل أنت تستعد لاستغلال أيام رمضان كما يستعد أهل الدنيا في أيام مواسمهم؟ بأي شيء تستعد لاستغلال هذا الشهر المبارك؟ أنصحك وأنصح نفسي أن نستغل هذا الشهر المبارك، أولاً بصلاة الفجر مع الجماعة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة). حافظ على صلاة الفجر في جماعة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله). وبعد صلاة الفجر استغل هذا الوقت من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس بذكر الله، ثم صل الضحى، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من صلى الفجر في جماعة ثم

جلس يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كان له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة).

يا أختاه، يا من تدّعين أن القلب يحن لزيارة الحرمين الشريفين، وخاصة في شهر رمضان المبارك، لأن عمرة في رمضان كحجة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقول لك يا أختاه: كيف تسافرين إلى الحج أو العمرة بدون محرم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حذرك من السفر بدون محرم، إن كنت حريصة على الأجر فصلي صلاة الفجر في جماعة، واجلسي واذكري الله حتى تطلع الشمس، ثم صلي ركعتي الضحى، كتب الله لك أجر حجة وعمرة تامة، في كل يوم تفعلين هذا، وفي كل يوم تفعل هذا يا أخي المسلم.

كن حريصاً على وقتك من أجل بناء الدار الباقية، لا من أجل بناء الدار الفانية، اقرأ القرآن في شهر رمضان، قال تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن} وربنا يقول حكاية على لسان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً}.

توّج صيامك بالأخلاق، بكل أسف أيها الإخوة، لو أردنا أن نعرض صيام المسلمين على الغرب في هذه الأيام، ونقول له: هذا الصوم الذي أمرنا به مولانا بقوله: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم} لو عرضنا للغرب الذي نحن حريصين كل الحرص عليه أن يهديه الله للإسلام، لو عرضنا عليه صورة من صور المسلمين في أيام صيامهم من بعد صلاة العصر إلى قبل الغروب بدقائق، انظروا إلى شوارعنا بعد العصر إلى ما قبل الغروب بقليل، كأنك ترى أناساً مجانين، لماذا؟ كل واحد يقول: إني صائم، هل يعني أنك صائم أن تفقد الأخلاق؟ (وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم) لأنه توَّج صيامه بالأخلاق. أيها الرجل، وأيها الزوج، توّج صيامك بالأخلاق، وخاصة مع نسائك وبناتك وأبنائك.

أيها الإخوة: حافظوا على صلاة التراويح، التي كانت عشرين ركعة من زمن سيدنا عمر رضي الله عنه إلى يومنا هذا في مسجد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ما لي أرى بعض القوم يأتون في مثل هذه الأوقات، وبيوت الله خاوية، والناس معرضون، يأتون ليروا أناساً يحافظون على صلاة التراويح عشرين ركعة، فإذا بهم يقولون: بدعة لا تجوز. يا أخي سبقك بهذا سيدنا عمر فقال رضي الله عنه: نعم البدعة هذه. لأن سيدنا عمر رضي الله عنه هو الذي جمع الأمة على أبي بن كعب في مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيهم صلاة التراويح عشرين ركعة، وأوصاه فقال: لا تفتن المسلمين، قال: كم أقرأ؟ قال: في كل يوم جزءاً من القرآن. عرفوا قيمة الوقت، {إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك} كن حريصاً أن تصلي صلاة المغرب في المسجد، لأنه بكل أسف بيوت الله في شهر رمضان في صلاة المغرب أصبحت خاوية، لا يوجد فيها إلا المؤذن، الإمام غائب وهو الموظف، والخادم غائب وهو موظف، ما أنت قائل لربك أيها الموظف وأنت تتقاضى الأجر؟ لماذا أنت غائب عن المسجد؟ اشرب الماء وكل تمرات ثم صل الصلاة في وقتها في بيت الله، لا تجعلوا بيوت الله خاوية.

وأوصيكم أيها الإخوة بوصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تسحروا فإن السحور بركة)، لا يكن سحورك قبل نومك بعد الساعة الواحدة أو الثانية، استيقظ قبل الفجر بساعة وتناول طعام السحور، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين)، تعرض لنفحة الله عز وجل، وصل صلاة التهجد لأن الله تعالى سنَّ هذا لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

وأخيراً: أكثر من الدعاء عند فطرك، لأن الدعاء عند فطرك مستجاب عند الله، ولكن حتى يكون دعاؤك مستجاباً ليكن طعامك ومشربك ومسكنك

ومركبك من حلال، فإذا كان ذلك من حلال ثم قلت يا رب قال: لبيك عبدي.
أما إذا كان مطعمك - لا قدر الله - من حرام، ومشربك من حرام، ومسكنك من حرام، وغُذيت بالحرام، فأنى يستجاب لك.

الوقتَ الوقتَ أيها الإخوة، الليل والنهار يعملان فيك يا بن آدم، فاعمل بهما أنت. اللهم وفقنا للطاعة، ووفقنا لترك المعصية، واجعلنا يا ربنا فرحين مستبشرين عند سكرات الموت قائلين: واطرباه غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه، ولا تجعلنا يا رب ممن يقول: {رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت}.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

-38خطبة الجمعة: رمضان شهر الصبر

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر ليلة من شعبان مخاطباً الأمة: (يا أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة) [رواه ابن خزيمة].

الحديث طويل أيها الإخوة، ولكن أحببت أن أقف معكم ونحن في اليوم الثاني من شهر رمضان المبارك، أعاده الله علينا وعليكم وعلى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في مشارق الأرض ومغاربها بجمع شملها بعد تمزق، وبجمع

شملها على الكتاب والسنة. أحببت أن أقف معكم مع قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: (وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة)، أريد أن أخاطب كل واحد فيكم، كل صائم، وكل مصل، يا أيها الصائم المصلي، ويا أيها الرائد لبيوت الله عز وجل، ويا من أكرمك الله فكنت من رواد المساجد، ويا من أكرمك الله بالاستقامة، تعال واسمع إرشاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، عندما يقول: (وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة)، والجنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إلا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة) [رواه الترمذي]، وإذا كانت سلعة الله غالية وهي الجنة، فإن الثمن ينبغي أن يكون كبيراً، لأنك عندما تشتري سلعة وتكون السلعة نافعة لك، وأنت حريص عليها، فمهما كان الثمن تنقده لحرصك على تلك السلعة.

أتريد الجنة مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ نعم، أتريد أن تكون في الرفيق الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم؟ نعم، تعال واسمع ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم: (وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة)، كن صابراً، وإن لم تكن صابراً فتجمَّل وتكلف الصبر شيئاً فشيئاً، لأن كل شيء يولد صغيراً ثم يكبر، فإن لم تكن صابراً فتصبَّر، وإن لم تكن حليماً فتحلَّم، وإن لم تكن صاحب خلق حسن فحاول أن تقلد أصحاب الخلق الحسن، وأن تتدرب شيئاً فشيئاً. كم وكم من أمور نجهلها وهي صعبة الوصول، ولكن بالتعلم وبإلزام النفس على الوصول إلى هذا الهدف نصل إلى ما نريد، فيا من يريد جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، خاطبك النبي صلى الله عليه وسلم أن تكثر من سؤال الله الجنة في شهر رمضان، (واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما. فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار) [رواه ابن خزيمة].

الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثمنها الصبر، والصبر ينبغي علينا أن نتحلى به، لأن الله كلفنا وأمرنا بقوله: {يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون} لعلك تفلح وتكون من أهل الجنة، لأنك إن وصلت إلى الآخرة ووقفت في أرض المحشر، وتطايرت الصحف، والقلوب بلغت الحناجر، ولا تدري أتقاد إلى جنة أم تقاد إلى نار، فإذا بصحيفتك تطايرت حتى وصلت إليك، أي يد تشل وأي أرض تتحرك في أرض المحشر لا تدري، فإذا بتوفيق من الله تحركت يدك اليمنى وأخذت كتابك بيمينك، وهذه علامة الفلاح والنجاح، وستقول في أرض المحشر على رؤوس الأشهاد: {هاؤم اقرؤوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه * فهو في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية *كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية}.

من هذا الذي يأخذ كتابه بيمينه؟ هو الصابر.

من هو الصابر؟ وعلى أي شيء يكون صابراً؟

احفظ كلمات ثلاث، فإن حفظت وعملت بما علمت سعدت بإذن الله، لعلك أن تتنبه لهذه الكلمات إن أردت الجنة، وما أظن أن واحداً فينا لا يريد الجنة، لولا أنك تريد الجنة لما أتيت في شدة الحر وأنت صائم، ما الذي جاء بك؟ أيوزع هنا مال؟ لا ورب الكعبة، أهنا جاه؟ نعم هنا جاه ولكن جاه بالله، أنت أتيت تريد الجنة، فيا مريد الجنة احفظ كلمات ثلاث: اصبر على الطاعة، واصبر عن المعصية، واصبر على البلاء.

كلمات سهلة، والعمل صعب، والثمرة طيبة، ألا وهي قول الله تعالى: {فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين} وطالما أن الثمرة هي الجنة بمعية سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فكل شيء يكون هيناً للوصول إلى تلك الثمرة.

صبر على الطاعة، الطاعة تحتاج إلى صبر، لأنك مأمور بالاستمرارية فيها،

قال تعالى: {فاستقم كما أمرت}، فصلاة ركعتين سهلة، وصيام يوم سهل، ولكن الأمر يحتاج إلى صبر في الاستقامة على ذلك. والصبر على الطاعة يحتاج إلى مشقة وجهد أن تبذله، أراك تحافظ ولله الحمد في شهر رمضان على أربع صلوات في جماعة، ما أجمل بيوت الله عز وجل عندما ترى الرواد إلى بيوت الله في شهر رمضان في أربع صلوات، في صلاة الفجر والعشاء، والظهر والعصر، ما عدا صلاة المغرب، ففي صلاة المغرب بيوت الله خاوية على عروشها، لم يا أخي صليت تلك الصلوات في جماعة وتركت صلاة المغرب في جماعة؟ إن كنت جائعاً، فقد صبرت النهار كله، ألا تصبر دقائق لتطبيق سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يقول: (من تمسك سنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد) [رواه البيهقي، والطبراني بلفظ: فله أجر شهيد]. وهي سنة صلاة الجماعة في المغرب، بيوت الله خاوية إلا من الإمام والمؤذن، وربما يكون الإمام غائباً، قولوا أيها الإخوة لأئمتنا وللمؤذنين ولخُدَّام المساجد: كونوا في الأوقات الخمسة في بيوت الله، لأنكم تتقاضون على ذلك أجراً، أتأخذ أجراً وأنت تصلي في بيتك؟ يا سبحان الله! حافظ على صلاة المغرب في جماعة، والأمر يحتاج إلى صبر، وهذا الصبر ثوابه الجنة.

وصبر عن المعصية، اصبر عن معصية الله، لأنني والله أخشى على نفسي وأخشى على كل واحد فينا وعلى كل مسلم أن يموت على معصية، لأن الله يقول: {ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون} تصور لا قدر الله لو ختم لك وأنت في المعصية، فما أنت قائل لربك؟ أنت تلعب بالطاولة وفي يدك الزهر، وإذا بملك الموت أخذت روحك لا قدر الله وأنت في هذه الحالة، أتستوي مع رجل جاءه ملك الموت وأخذ روحه وكتاب الله بين يديه؟ هل يستوي هذا مع هذا؟ ما تقول لربك إذا ختم لك على معصية؟ واللعب بالطاولة من الكبائر، لا تقل: أسلي صيامي، أتسلي الطاعة بمعصية الله في

الكبائر؟ اصبر عن المعصية لأنك لا تدري متى ينتهي أجلك، والله لو أنك تعلم بأنك لن تموت أثناء المعصية فافعل ما تشاء، ولكن لا تدري متى ينتهي الأجل، فما أنت قائل لربك إن ختم لك على المعصية؟

وصبر على البلاء، اصبر على إساءة الآخرين إليك، وقابل الإساءة بالإحسان، {ادفع بالتي هي أحسن}، صل من قطعك، واعف عمن ظلمك، وأحسن لمن أساء إليك، كن حليماً، وكن واسع الصدر، وخاصة بعد العصر إلى أذان المغرب. بكل أسف أيها الإخوة، من العصر إلى الغروب لا أدري ماذا يحصل علينا؟ انظر إلى شوارعنا وطرقاتنا وأنفسنا في بيوتنا بعد العصر إلى المغرب كأن العقول تكاد أن تخرج من الرؤوس، ويقول أحدهم: إني صائم، هل تمنُّ على الله بصومك؟ أما علمت بأن الله يقول في الحديث القدسي: (كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به) [رواه البخاري]، لا يعلم أجر الصائم إلا الله، أتمنُّ على الله بصومك وتقول للناس: إني صائم، تعني أن يعفوا عن سيئاتك، لا يا أخي، كنت حليماً، ودرِّب أبناءك على الحلم والصبر، وخاصة إذا كان يقود دراجة أو سيارة أن يمشي بتؤدة ويؤثر الآخرين على نفسه، وأن يتحلى بالصبر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة).

فيا أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أنفاسنا معدودة، وعمرنا له بداية عرفناها، وله نهاية لا ندري متى تكون، وربما أن تكون هذه اللحظة هي النهاية، أسأل الله أن يختم لي ولكم على الإيمان الكامل.

أيها الإخوة: يا من لكم بداية ونهاية، استغلوا أنفاس عمركم في كثرة القربات إلى الله، كما يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز: الليل والنهار يعملان فيك يا بن آدم فاعمل أنت فيهما. وتذكروا أيها الإخوة إن قصرتم قول الله عز وجل: {وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً}، ونحن نقول: يا رب، نسألك بأسماء

الحسنى، وبصفاتك العلى، أن توفقنا للعمل الصالح، وأن نكون صابرين على الطاعة، وصابرين عن المعصية، وصابرين على البلاء، وأن نتحلى بأخلاق الأنبياء، الله أكرمنا بذلك، وأكرم أصولنا وفروعنا وأزواجنا وأهل بلدتنا وسائر بلاد المسلمين بالصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى البلاء، وأكرمنا يا ربنا بعد ذلك بجنة عرضها السماوات والأرض، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء

39- خطبة الجمعة: شهر رمضان شهر المواساة

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: ذكرت لكم في الأسبوع طرفاً من حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما خاطب الأمة في آخر ليلة من شهر شعبان وقال لها: (يا أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة) [رواه ابن خزيمة]. وقفنا عند هذه الفقرة، وقلنا إنه ينبغي على الإنسان المسلم أن يغتنم الفرص، وأن يغتنم أنفاس

عمره وخاصة في الأوقات المباركة، وأن يزيد في اغتنام الوقت في الأوقات المباركة في التقرب إلى الله عز وجل، وقلنا عن شهر الصبر أنه صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على الابتلاء، ولكننا نرى الكثير صبر على الطاعة أياماً ما تجاوزت أسبوعاً فإذا به قصَّر في المحافظة على هذه الطاعة، يا أخي تذكر قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان يقول: (شيبتني هود وأخواتها) [رواه عبد الرزاق]، لقول الله عز وجل في سورة هود: {فاستقم كما أمرت}، والاستقامة تعني الاستمرارية، قال تعالى: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}، أما أن تستمر وتحافظ على الطاعات أياماً قليلة، ثم بعد ذلك تفتر همتك؟ فإذا فترت همتك وأنت في شهر رمضان الذي صفدت فيه الشياطين، وفتحت فيه أبواب الجنان، وغلقت أبواب النيران، فإن فتورك في الهمة بعد رمضان سيكون من باب أولى وأولى.

أيها الإخوة: اغتنموا شهر رمضان المبارك، ها هو ثلثه الأول قد ولى، وكم وكم من رمضان مرَّ عليك؟ فهل اغتنمت تلك الأيام؟ لذلك عندما خاطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك) فهذا الخطاب من أجل اغتنام هذا الشهر العظيم المبارك.

ثم يقول صلى الله عليه وسلم: (وهو شهر المواساة)، المواساة أن تتفقد إخوانك وأبناء جنسك وأبناء مجتمعك وأبناء حيك، وأن تسعى في كل أيام حياتك لتفريج كربهم وخاصة في شهر رمضان المبارك، شهر رمضان شهر المواساة، لعلنا أيها الإخوة ونحن في هذا الشهر العظيم المبارك أن ننطلق من هذا اليوم في مواساة أبناء مجتمعنا، في مواساة أصحاب الحاجة، وأن نجعل هذا رصيداً لأنفسنا عند ربنا جل وعلا، لا تكن مجروح الفؤاد إذا واسيت إنساناً فقابل إحسانك بالإساءة، وتقسم

بعد ذلك يميناً ألا تصنع معروفاً، {ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا} فلا تقسم يميناً بألا تصنع معروفاً، لأنك إذا أقسمت يميناً ألا تصنع معروفاً، فاعلم أنك صنعت المعروف بدايةً لغير الله، ولم يكن عندك الإخلاص حتى فوجئت، ولكن المؤمن أيها الإخوة يواسي غيره وهو ينظر إلى الله ويتعامل مع الله، ولا يطلب جزاءً على المواساة من فقير مثله، إنما يطلب هذا من الله عز وجل.

انظروا أيها الإخوة إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عندما عاد من غار حراء يرتجف فؤاده وهو يقول لأمنا السيدة خديجة رضي الله عنها: (زملوني، إني قد خشيت على نفسي)، فقالت أمنا الجليلة التي أقراها ربنا السلام من فوق سبع سماوات عن طريق سيدنا جبريل وقال له: يا محمد اقرأ على خديجة السلام من ربها [رواه البخاري]، أسأل الله أن يحشرنا في ظلال جناحها يوم القيامة بمعية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه السيدة الجليلة التي هيأت السكن لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي هيأت الفرصة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لخدمة دين الله، وما أجمل المرأة التي تهيئ الجو لزوجها من أجل خدمة دين الله عز وجل!

قالت رضي الله عنها: (كلا والله ما يخزيك الله أبداً) على أي أساس تقسم بالله وهي لا تعلم بعد بأنه رسول الله، لأنها لو علمت أنه رسول الله فالأمر طبيعي، لأن الله يتولى رسله، ولكن حكمت بأن الله لا يخزيه أبداً قبل الرسالة، فعلى أي أساس؟ تقول رضي الله عنها: (كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) [رواه البخاري ومسلم]. الذي يصنع المعروف أيها الإخوة، والذي يقوم بواجب المواساة للمسلمين

لا يخزيه الله أبداً، على أن يكون عمله خالصاً لوجه الله، على أن يكون ممن قال الله عز وجل فيهم: {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين}.

كن مواسياً، لأن الله شاء أن يجعلنا متفاوتين، وأن يجعلنا درجات، وأن يجعل فينا قوياً وضعيفاً، وغنياً وفقيراً، ورئيساً ومرؤوساً، ورجلاً وامرأة، وصاحب حاجة وغنياً عن الحاجة، الله عز وجل جعلنا متفاوتين اختباراً وابتلاء، وقال لنا: {وجعلنا بعضكم لبعض فتنة}، فيا أيها الكبير والرئيس والغني، ويا صاحب العلم والجاه والمنزلة أتتفقد من هو دونك في هذا المجتمع؟ أم أنك تغمض الطرف وتستغل نعمة الله لذاتك فقط؟ ما وسَّع الله عليك في المال، وما وسع عليك في الجاه والمنزلة، وما ألقى عليك المحبة بين الناس إلا لتكون مواسياً لمن حُرم هذه النعمة، (وهو شهر المواساة)، فأين مواساتنا أيها الإخوة؟ وأين الذي يتعامل مع الله؟ وأين الذي لا ينتظر المدح والثناء من الناس؟

في مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أناس يعيشون ولا يدرون من أين يأتيهم رزقهم، حتى مات سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما، فعندما مات فقد الناس رزقهم. أين الذين كان يأتينا ليلاً ولا نعرفه؟ الذي نقول نحن عنه: جابر عثرات الكرام، الذي يعطي ولا يريد أن يعرف بأنه هو المعطي، لأنه التزم حده وعرف نفسه بأنه عبد لله، لا تقل عن نفسك أنا الذي أعطي، ولا تقل عن نفسك أنا الذي أفرج الكروب وأغيث الملهوف، الحقيقة أن المعطي هو الله، وأنت واسطة، فلك الشرف أن استخدمك الله في إغاثة ملهوف، ولك الشرف بأن استخدمك الله عز وجل بتفريج كرب إنسان مسلم موحِّد.

لذلك أيها الإخوة اعملوا لله، وكونوا حريصين ألا تُعرَفوا في المجتمع بأنكم تعملون،

هذا إذا أردنا الأجر من عند الله عز وجل، وإذا كنا مستحضرين الموقف يوم القيامة، وعرصات يوم القيامة ما أدراك ما هي؟ والكربات يوم القيامة ما أدراك ما هي؟ عندما تدنو الشمس من الرؤوس بمقدار ميل، والناس يغوصون في عرقهم كل على حسب عمله، وفي أرض المحشر كم يتمنى العبد أن يفرج الله كربه، أتريد أن يفرج الله كربك يوم القيامة؟ نعم، ففرج كربة إنسان مسلم في الحياة الدنيا، وغيِّب نفسك بعد القيام في هذا العمل لأنك تنظر إلى الله عز وجل.

ينبغي عليك أن تبحث عن الملهوف، فبالله عليك كيف لو أنه أتاك آت وطلب منك أن تفرج عنه وأن تغيثه؟ جاء رجل إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني مجهود. وطبعاً أيها الإخوة قد يقول أحدنا: هناك من اتخذ المسألة صنعة له وسبباً للكسب، نعم أقول لك بحق هناك من اتخذ هذا صنعة له، ولكن إن وجدت أناساً اتخذوا المسألة صنعة لهم أيمنعك هذا من أن تبحث أنت عن المجهود، ابحث، وادخل بيوت الناس، وتقصَّ الحقائق، فإن كنت عاجزاً فهناك جمعيات خيرية أيها الأخ الكريم، قاموا بهذه المهمة، فتوجه إليهم، وإذا كنت تشك في هذه الجمعيات والقائمين عليها، أنا لا أقول عليك أن تلزم نفسك بهذه الجمعيات، فإن كان عندك شك فاذهب إلى هذه الجمعيات واطلب منهم أن يدلوك على تلك البيوت، وقم أنت بنفسك بالبحث عن المجهود، وعن صاحب الحاجة، فإذا ما اطمأن قلبك فقم بإغاثة هذا الملهوف. نعم غفر الله لهؤلاء الذين اتخذوا المسألة صنعة لهم لأنهم منعوا الخير في هذا المجتمع، وأقول: غفر الله لمن منع الخير لأنه كان يتعامل مع الخلق ولا يتعامل مع الله.

ابحث أنت عن المجهود، وتقصَّ أخباره، ما الذي يمنعك أن تتفرغ في كل يوم أن

تبحث لمدة عشر دقائق أو ربع ساعة عن بيت أو بيتين لتتيقن أن هؤلاء من أصحاب الحاجة، أفضل من أن تجلس للنظر إلى المسلسلات على شاشة التلفاز.

جاء هذا الرجل في مجتمع الصدق، وقال: يا رسول الله إني مجهود، فماذا فعل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أرسل صلى الله عليه وسلم إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء. بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وسلم: (من يضيف هذا الليلة رحمه الله)؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلِّليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأضيئي السراج، وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه. قال: فقعدوا وأكل الضيف، . وبات الرجل مع زوجته وصبيانه على الجوع .. فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم: (قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة) وفي رواية: ونزلت هذه الآية: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة} [رواه مسلم].

يا عبد الله، ما أنت قائل لربك وأنت تضيع أنفاس عمرك باللهو واللعب، وهي رأسمالك الذي ستسأل عنه يوم القيامة، اغتنموا الفرصة أيها الإخوة، أنفاسنا معدودة، في كل يوم نسمع مات فلان وماتت فلانة، وسليم مات ومريض مات، سنموت أيها الإخوة، فاغتنموا الفرصة، فهذا الشهر شهر المواساة.

أيها الإخوة: اعملوا لله، {وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً

وأعظم أجراً}، استغل نعمة المال والجاه، واستغل نعم الله عليك قبل أن تأتيك سكرات الموت، واعتبر من ذلك الرجل الذي أدركته سكرات الموت فقال: رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت.

أيها الإخوة: شهر رمضان شهر المواساة، وشهر المواساة يعني ينبغي عليك أن تتفقد أصحاب الحاجة وما أكثرهم في هذا المجتمع. أسأل الله أن يجعلني الله وإياكم من أهل المواساة ومن أهل الاستقامة، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

40- خطبة الجمعة: من هو الكيِّس الحازم

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: روى الطبراني بإسناد حسن عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقام رجل من الأنصار فقال: يا نبي الله، من أكيس الناس وأحزم الناس؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أكثرهم ذكراً للموت، وأشدهم استعداداً للموت قبل نزول الموت، أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة).

أيها الإخوة: أظن بأن الجميع سمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له) [رواه الحاكم وصححه والطبراني].

المشكلة فينا أننا نسوِّف، ونسوِّل لأنفسنا بعد التسويف، والمشكلة فينا كما قال

سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه: ما رأينا يقيناً أشبه بالشك أشبه من يقين الناس بالموت.

أيها الإخوة: من منا لا يريد أن يكون من أكيس الناس ومن أحزم الناس، والكيس هو الفطن الذكي الحاذق العاقل، من منا لا يريد أن يتصف بهذه الصفات؟ بشهادة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. أكيس الناس وأحزم الناس في ميزان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرهم ذكراً للموت، وأشدهم استعداداً للموت. هل يا ترى نضع أنفسنا في ميزان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أم في الميزان الذي نختاره لأنفسنا؟ لأن الكثير من الناس اليوم من يعتقد بأن أكيس الناس وأحزمهم من عمَّر دنياه، بطريق مشروع أو غير مشروع لا يبالي، أحزم الناس وأعقلهم الذي يستطيع أن يعيش في هذه الحياة الدنيا، ولو على حساب الآخرين، المهم أن يعيش عيشة في ظنه حياة طيبة دون أن يفكر بالموت. هذا الميزان خاطئ أيها الإخوة. الميزان يضعه لنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما يسأله هذا الصحابي الجليل: من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال: (أكثرهم ذكراً للموت، وأشدهم استعداداً للموت قبل نزول الموت، أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة). أتريد أن تبقي لنفسك ذكراً شريفاً بعد موتك؟ أتريد أن تذهب بكرامة الآخرة حيث تكون في الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ نعم، إذاً أكثر من ذكر الموت.

قد يقول قائل: إن أكثرتُ من ذكر الموت تعقدت حياتي، ولا أعيش حياة طيبة كريمة، لا يا عبد الله، من أكثر ذكر الموت فمعنى ذلك أنه استغل أنفاس عمره، واستغل نعم الله عليه في طاعة الله وفي التقرب إلى الله وفي العمل لما بعد الموت، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصف الرجل العاقل بقوله:

(الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) [رواه الترمذي]، أكثروا من ذكر الموت أيها الإخوة، لأن ذكر الموت يجعل فينا استقامة، يجعلنا وقافين عند حدود الشريعة، ومن المنصفين في تعاملنا مع الآخرين، ويجعلنا نستغل الفرصة التي منحنا الله إياها ونحن في شهر رمضان، غلقت أبواب النيران وفتحت أبواب الجنان، ونادى مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، إذا كنت تكثر من ذكر الموت فإنك تجعل شهر رمضان موسماً للتقرب إلى الله، في كثرة القربات والطاعات، والاصطلاح بينك وبين الله، والاصطلاح بينك وبين أبناء جنسك، وأن تتخلق بأخلاق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

أيها الإخوة: الإكثار من ذكر الموت يجعل فينا استقامة. انظروا إلى سيدنا عمر رضي الله عنه كان ماشياً في كوكبة من أصحابه على راحلته، فإذا بامرأة عجوز تشق الصفوف وتأخذ بخطام الراحلة، ونظرت إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر، وما أدراك من هو عمر؟ صاحب الهيبة، الذي ما رآه الشيطان سالكاً فجاً إلا وسلك فجاً غيره، ولكن الهيبة التي أكرمه الله بها ما كانت تمنع أحداً من نصح سيدنا عمر، امرأة شقت الصفوف وأخذت بخطام الراحلة وقالت: يا عمر، . بالله عليك وأنت صاحب المكانة لو خاطبك إنسان باسمك أتغضب أم لا؟ إن غضبت فمن أجل أي شيء تغضب؟ أليس هذا هو اسمك؟ لماذا تريد أن تضيف على اسمك ألقاباً؟ من أحب أن يتمثل له الناس قياماً وبالمدح والثناء فليتبوأ مقعده من النار، أنت أدرى بنفسك، وغيرك الإسلام ربَّاه وعلَّمه، وقال: (ليس منا لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه) [رواه الترمذي]، هذا واجب علي أيها الإخوة، أما أنت فما ينبغي أن تتطلع إلى هذه الألقاب والكرامة التي تراها من الناس، كن متواضعاً لأنك أدرى الناس بنفسك، ولكن الناس إذا احترموك وعظموك وقدَّروك فوالله ما احترموك وعظموك وقدَّروك إلا بستر الله

عليك، ولولا ستر الله علينا أيها الإخوة لما دفن أحدٌ منا أحداً على الإطلاق أبداً.

إن نوديت باسمك مهما كنت، طبيباً أو مهندساً أو عالماً، فلا تغضب، وإلا ينطبق عليك قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار) [رواه الترمذي] نعم أنا أقوم للعالم وللصالح وللرجل الكبير وأكرم الآخرين، هذا واجب علي، ولكن الطرف الآخر عليه أن يراقب الله، وألا يحب هذا، لئلا تخرج نفسه فوق رأسه، لأن النفس إذا خرجت أهلكتك يا بن آدم.

أيها الإخوة: سيدنا عمر كسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاتباع، رسول الله صلى الله عليه وسلم أدبنا الله معه فقال: {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً} ومع ذلك يأتيه الرجل فيقول: يا محمد، فيقول له: لبيك يا أخا العرب، ولا يغضب النبي عليه الصلاة والسلام ولو لم يقل له: يا نبي الله ويا رسول الله، الأمر سيان أيها الإخوة، لأنك ستنادى يوم القيامة في أرض المحشر على رؤوس الأشهاد باسمك، يا فلان بن فلان قم للعرض والحساب على الله. اللهم لا تسود وجوهنا يوم القيامة. وسيدنا عمر على قدم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ثم قالت المرأة: يا عمر، يا عمر عهدتك وأنت تسمى عُميراً في سوق عكاظ تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيام والليالي حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب منه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، فبكى عمر رضي الله عنه.
فقال الجارود: هيه فقد أكثرت وأبكيت أمير المؤمنين. فقال له عمر رضي الله عنه وعنها: أوما تعرف هذه؟ هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه،

فعمر والله أجدر أن يسمع لها. إنها خولة التي قال الله فيها: {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما}.

تقدم له نصيحة، أين النصح فينا أيها الإخوة؟ أين النصح للآباء والأمهات، ومن الآباء للأبناء والبنات، ومن الفقراء للأغنياء، ومن الضعفاء للأقوياء، ومن المرؤوسين للرؤساء، إن كنت أباً أو غنياً أو مسؤولاً أو كبيراً أو عظيماً أو قوياً فمكِّن الآخرين من نصحك من أجل مصلحتك، ومن شقاء ابن آدم ألا يجد لنفسه ناصحاً.

أيها الإخوة: عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة) من هم؟ (أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم استعداداً للموت)، وتقول هذه المرأة لسيدنا عمر: من أيقن الموت خشي الفوت. فهل أنت على يقين بأنك ستموت؟ ألا تخشى أن يفوتك الخير المتبقي من شهر رمضان؟ بعد من أدرك رمضان ولم يغفر له، أما تخشى أن يفوتك الخير في شهر رمضان والمنادي يناديك: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر. أوقاتنا أيها الإخوة في شهر رمضان بأي شيء ملئت؟ ملئت وللأسف بالجلوس على شاشات التلفاز، بالمسرحيات والمسلسلات التي كانت تعد خلال العام كله، بمناسبة شهر رمضان مسلسل كذا، وبمناسبة شهر رمضان مسرحية كذا، وما شابه ذلك من الأمور الفارغة التي فرغت لنا صيامنا، فما وجدنا أثراً للتقوى من خلال صيامنا. بأي شيء تقضي أوقاتك يا عبد الله في شهر رمضان، في ليله الذي جعله الله قياماً؟ وفي نهاره الذي جعل الله صيامه فريضة؟ بأي شيء تقضي هذا الوقت؟ على شاشة التلفاز، أم على المسرحيات والمسلسلات، أم على الغناء؟ من أيقن الموت خشي الفوت، بالله عليك لو قيل لك إنك ستموت بعد ساعة أو في هذا اليوم أو في هذا الشهر أتجعل بقية هذا الشهر على المسلسلات؟

لو قيل لك ستموت هذا اليوم بعد صلاة العشاء، فأين تصلي صلاة المغرب؟ في المسجد، (ورجل قلبه معلق بالمساجد)، وأين تصلي العشاء؟ في المسجد، وصلاة التراويح عشرين ركعة، لأنني سأموت في هذا اليوم، من أيقن الموت خشي الفوت.

أيها الإخوة: لقد ذهب النصف الأول من شهر رمضان، وهل تدري وهل تشعر بأن الأيام التي مضت كأنها لحظة؟ وما بقي من شهر رمضان هل تستطيع أن تستغله في الإقبال على الله عز وجل؟ لذلك أيها الإخوة أرجو الله أن أكون وإياكم وأصولنا وفروعنا من الأكياس، الفطناء، العقلاء، الذين يكثرون ذكر الموت، والذين يكثرون الاستعداد للموت، فمن أكثر ذكر الموت واستعد له حاول أن يخرج من الدنيا وذمته بريئة، ذمته بريئة بينه وبين الله، وبينه وبين زوجه، وبينه وبين أبنائه، وبينه وبين شركائه، وبينه وبين إخوته وأخواته، وبينه وبين محكوميه، وبينه وبين الفقراء والضعفاء، يحاول أن يخرج من الدنيا وذمته بريئة، كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه: والله لو أن شاة في العراق عثرت أخاف أن يسألني عليها ربي ويقول لي: يا عمر لِمَ لَمْ تعبِّد لها الطريق. من أيقن الموت خشي الفوت أيها الإخوة.

أسأل الله أن يجعلني الله وإياكم ممن أقبل على الله حق الإقبال، واغتنم فرصة شهر رمضان، وأسأل الله أن يعتق رقابنا جميعاً من النيران. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

41-خطبة الجمعة: طاعاتك خيرها عائد عليك

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: من جملة ما ينبغي علينا أن نعتقده وأن نعلمه علماً جازماً أن تكاليف الله عز وجل التي شرعها لنا بين أمر ونهي، خيرها عائد علينا بالذات، وخيرها لن يرجع إلى الله عز وجل، قال تعالى: {لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم}، فخيرها عائد عليك حصراً، كما جاء في الحديث القدسي: (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها) [رواه مسلم]. هذا ينبغي علينا أن نعتقده اعتقاداً جازماً، بأن أي أمر فعلته وأي نهي تركته إنما هو من أجل مصلحتي، لا يعود على الله عز وجل من ذلك شيء، لا النفع والضر، قال تعالى في الحديث القدسي: (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) [رواه مسلم].

من هذا المنطلق أيها الإخوة ذكرت لكم في الأسبوع الماضي أن شهر رمضان المبارك إنما هو شهر المواساة، والمواساة أن تتفقد إخوانك من أبناء جنسك، من الذين أكرمهم الله بالإيمان كما أكرمك، ومن الذين شرح الله صدرهم للإيمان بما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما شرح صدرك، أن تتفقد إخوانك المؤمنين، وأن تنظر في أحوالهم بشكل عام، وخاصة في شهر رمضان المبارك، وقلت لكم أيها الإخوة: من سمات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شمائله الحميدة المجيدة، أنه كان جواداً كريماً، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر أبداً، لأن الذي يغترف في العطاء من بحر الله عز وجل يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، لأن ربنا يعطي من غير حساب، فأعط أنت من مال الله بغير حساب لقوله صلى الله عليه

وسلم في الحديث القدسي الذي يرويه الإمام البخاري: (قال الله عز وجل: أنفقْ أنفقْ عليك). عليك بالعطاء وأن تقوم بالمواساة، لأن الله عز وجل يقول: {وتلك الأيام نداولها بين الناس} ربما أنت الآن غني وغداً تصبح فقيراً، وربما تكون الآن قوياً وتصبح غداً ضعيفاً، وربما تكون الآن عالماً فتصبح في الغد لا قدر الله جاهلاً، أخذ ربنا عز وجل منك ما وهب، وأعظم نعمة وهبها الله لك هي نعمة العقل التي هي مناط التكليف.

أيها الإخوة: أنا لا أشك بأن المؤمن إذا سمع أمر الله عز وجل يقول كما قال أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: {سمعنا وأطعنا}، المشكلة ليست في امتثال الأمر، ولا في اجتناب النهي، إنما المشكلة في أن يعمل العبد ثم يفاجأ لا قدر الله يوم القيامة بأن أعماله صارت هباء منثوراً، أن يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وحج، ولكن أصبحت جميع أعماله لا قدر الله هباء منثوراً، وربما أن يكون هذا العبد العامل الناصب في الحياة الدنيا أول من تسعر فيه النار يوم القيامة.

لذلك أخاطبك أيها المنفق، وأيها المزكي، وأيها المتصدق، انتبه لنفسك عندما تؤدي زكاة مالك، وعندما تؤدي صدقة فطرك، وعندما تؤدي نفقةً تتقرب بها إلى الله عز وجل، وتساءل قبل العطاء: من هو المحتاج؟ هل أنت بحاجة أم الآخذ منك الصدقة بحاجة؟ أيهما أكثر حاجة إلى صاحبه؟ هل الفقير بحاجة إليك أكثر من حاجتك أنت إلى وجود هذا الفقير؟ إذا تساءلنا فيما بيننا وبين أنفسنا يأتي الجواب مباشرة: الفقير هو بحاجة إلي، وأنا لست بحاجة إليه، هو الذي ينبغي عليه أن يسأل عني، ويقف على بابي، وأن يتحين الفرصة المناسبة لي حتى يأتيني ليأخذ!.

أيها الإخوة: إذا كنا نشعر بأن الفقير بحاجة إلينا أكثر من حاجتنا إليه فقد حبط عملنا من حيث لا ندري. تنبهوا أيها الإخوة، الأمر جدٌّ خطير، ينبغي عليك أن تتنبه، بأنك إن امتثلت أمر الله فإنما ينبغي أن تقوم بهذا الأمر كما أمر

الله، وعلى النحو الذي يرضي ربنا عز وجل. إذا لم تشعر أيها الغني والمنفق والمتصدق، بحاجتك إلى ثواب الصدقة أكثر من حاجة الفقير إلى صدقتك فقد أحبطت عملك، لأنني عندما أشعر بأن الفقير بحاجة إلي أمنٌّ عليه في العطاء، وأستعلي وأتكبر عليه، وأجعله يبحث عني ولا أبحث عنه، وربما أن يكون هذا حال الكثير من المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إذا أردت مصداق هذا أقول لك يا عبد الله: تعال وتذكر آيتين من كتاب الله عز وجل. الآية الأولى يقول فيها مولانا عز وجل: {وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} إذا لم تنفق ألقيت بنفسك في التهلكة، أنت في دار التكليف، ومأمور بالعطاء، زيادة على زكاة المال وصدقة الفطر الصدقة التي ينبغي أن تكثر منها تقرباً إلى الله، لماذا إذا لم أنفق ألقيت بنفسي إلى التهلكة؟ لأنك يا بن آدم عند سكرات الموت سوف تلتفت يمنة ويسرة، تلتفت على يمينك فترى نفسك بأنك ودعت الدنيا، وودعت المال الذي جمعته ولم تعرف لله فيه حقاً، ها هو يفارقك، وأنت تفارقه. وتلتفت إلى يسارك فترى نفسك أقبلت على عالم البرزخ وأنت الفقير صفر اليدين لا قدر الله، من هو الرابح ومن هو الخاسر؟ المنفق هو الرابح والممسك هو الخاسر، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً) [رواه البخاري].. هذا العبد الذي كدس أمواله ولم يعرف لله فيها حقاً خرج من الدنيا صفر اليدين من النفقات، احفظوا هذه الآية جيداً: {أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}.

والآية الثانية يقول فيها مولانا عز وجل: {وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين}. بالله عليك وأنت ترى هذا العبد الذي يحتضر، وكشف له عن بصره وبصيرته، فرأى عالم الآخرة من مقامه في الدنيا، {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك

اليوم حديد} رأى مقعداً في الجنة وآخر في النار ففي أي المقعدين هو؟ ينظر ويفكر، وعندها يتذكر قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (اتقوا النار ولو بشق تمرة) [رواه البخاري].

أيها الإخوة: العبد المحتضر الذي وقف في سكرات الموت، ونسي قول الله: {وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق} بالله عليكم هذا الذي يقول لربنا هذا الكلام يقول هذا من أجل مصلحة الفقير أم من أجل مصلحته؟ عندما يقف هذا الموقف أيتذكر الفقير من أجل فقره، أم يتذكر الفقير من أجل مصلحته؟ إنه مما لا شك فيه أن هذا العبد الذي يقول لربنا: {رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق} ليس رحمة بالفقير لا ورب الكعبة، إنما هي رحمة بنفسه، ولكن هيهات هيهات.

أيها الإخوة: ينبغي علينا أن نعلم علماً جازماً بأننا نحن بحاجة إلى ثواب الصدقة أكثر من حاجة الفقير إلى صدقتنا، لأن الفقير يا أيها العبد الغني ليس رزقه عليك، إنما رزقه على الله، قال تعالى: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها}، ولكن الله اختبرك وابتلاك وامتحنك، جعلك غنياً وجعله فقيراً، أتنظر إليه باستعلاء؟ أم إنك تنظر إليه بتواضع وأن الفضل له عليك؟ ولذلك كانت أمنا السيدة فاطمة رضي الله عنها إذا أرادت أن تتصدق جاءت بالدرهم فمسحته وطيبته ودفعته للفقير، فرآها النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لم هذا يا فاطمة؟ قالت: يا رسول الله لأني أعلم بأن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير.

تعامل مع الله من أجل مصلحتك، وكان سلفنا الصالح رضي الله عنهم إذا دخل الرجل عليهم ليأخذ صدقة، قام هذا العبد الصالح ووقف على قدميه بكل احترام لآخذ الصدقة، وقال له: مرحباً بالذي يحمل زادي إلى الآخرة من غير أجر، لا مرحباً بمن سأتفضل عليه أو سأعطيه أو بمن أنا غني عنه وهو بحاجة إلي! فمن

هو صاحب الفضل الذي حمل زادك إلى الآخرة من غير أجر؟ ومن هو صاحب الفضل الذي أخذ منك الصدقة فمنَّ عليك بالأخذ منك؟ لأنه إذا لم يأخذ الصدقة فكيف تدفع زكاة مالك وصدقة فطرك؟ وكيف تتقرب إلى الله؟ فمن هو صاحب الفضل؟ صاحب الفضل الذي يأخذ منك.

ولذلك كان الصالحون يتفطن أحدهم إلى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اليد العليا خير من اليد السفلى) [رواه البخاري ومسلم] والنبي صلى الله عليه وسلم يقولها تربية للفقراء لكي ينطبق عليهم قول الله عز وجل: {يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف} ربى الإسلام الفقراء على العفة، فلتكن يدك هي العليا حتى لا تظهر حاجتك للناس. ولكن تفطن الصالحون إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اليد العليا خير من اليد السفلى)، لذلك حتى لا تتحرك نفس هذا الرجل الصالح الأمارة بالسوء، كان يأتي إلى الفقير ويضع المال على كفه ويقول للفقير: تفضل إذا سمحت، فتأتي يد الفقير لتكون هي العليا وتأخذ من يد هذا الغني الذي جعل نفسه تحت قدمه.

أيها الإخوة: اسمحوا لي أن أقول لكم: نفوسنا في العطاء فوق رؤوسنا، نظن بأن كل واحد هو المطعم وهو الرزاق، وهو الذي يعطي يمنع، هذا العبد وقع في الغرور، فنحن بحاجة أن نعلم بأن حاجتنا إلى ثواب الصدقة أكثر من حاجة الفقير إلى الصدقة، فإذا عشنا في هذا المجتمع، الغني جواد كريم، والفقير متعفف، فهل هناك مجتمع أكمل من هذا المجتمع؟ اللهم ردنا إلى دينك رداً جميلاً. أقول هذا القول، وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

42-خطبة الجمعة: من المقبول منا فنهنيه؟

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: كان سيدنا عدي بن أرطاة رضي الله تعالى عنه يخطب بعد انقضاء شهر رمضان فيقول: يا ليت شعري من المقبول منا فنهنيه، ومن المردود منا فنعزيه. [أورده ابن عساكر في تاريخ دمشق].

أيها الإخوة: أُمرنا بالصيام فصمنا، وأُمرنا بالقيام فقمنا، وربنا جل في علاه يقول: {إنما يتقبل الله من المتقين}، هل يا ترى يتساءل الواحد منا بعد الصيام والقيام، هل قبل الله عز وجل منا الصيام والقيام؟ أم إنه لا قدر الله ضربت وجوهنا بهذا الصيام والقيام؟ لأنكم تعلمون أيها الإخوة قول الله عز وجل: {وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية}، وتعلمون قول الله عز وجل: {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً}. نعم الآيتان في حق الكفرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن ما ينبغي أن تغفل أنت عن هذه الحقيقة، أكرمك ربي عز وجل بنعمة الإسلام، وأكرمك بنعمة الإيمان، وأكرمك بنعمة الطاعة، فوفقك للصيام والقيام، ولكن قال لك: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً}، هل كان عندنا الإخلاص في صيامنا وقيامنا وتلاوتنا لكتاب ربنا عز وجل؟ هل عملنا وصمنا وصلينا وقمنا وقرأنا القرآن نبتغي مرضاة الله عز وجل؟ أم أننا فعلنا ذلك ليقال عنا بأننا صمنا وصلينا وقمنا وقرأنا القرآن العظيم؟

أيها الإخوة: سيدنا عدي يقول: من المقبول منا فنهنيه، ومن المردود منا فنعزيه، عبد أمره مولاه وسيده بالعمل، ثم بعد ذلك لا يدري هذا العبد هل قبل السيد العمل أم لم يقبل؟ ولذلك ربنا عز وجل وصف عباده المؤمنين بقوله: {والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة} خائفة هل قبل الله منهم الصلاة والصيام أم

لم يقبل جل وعلا؟

أيها الإخوة: من تمام الرحمة ومن تمام الفضل أنه جل في علاه جعل لك علامات تدل على قبول هذا العمل، أو رد هذا العمل على فاعله، فإذا رأيت أثراً لطاعتك في سلوكك وفي عملك، وكان هذا الأثر إيجابياً فإن هذا الأثر من وراء الطاعة يدل على أن عملك مقبول عند الله عز وجل. أما إذا لم تر أثراً لطاعتك، ولم تر أثراً لصيامك وقيامك، فأرجو الله ألا نكون ممن قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر) [رواه ابن خزيمة والبيهقي].

أيها الإخوة: علينا أن ننظر إلى أثر طاعتنا في سلوكنا، ربنا عز وجل أمرنا بالصيام ولكن جعل علامة على قبول هذا الصوم أنك تصبح من الأتقياء، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} أن تتقي الله عز وجل فيما أسبغ عليك من نعم، وفي بيعك وشرائك، وفي زوجتك وأولادك، وفي جلوتك وخلوتك، وفي صحتك وفي مرضك، وفي غناك وفي فقرك، أما إذا صمنا وصلينا ثم بعد ذلك نظرت إلى أعمالنا فلم تر فيها أثراً للتقوى، فما هذا الصوم أيها الإخوة؟

أسوق لكم بعض الأمثلة: رجل صائم يتقرب إلى الله بصومه، وقائم يتقرب إلى الله عز وجل بقيامه، يختلف مع زوجته، وأمر طبيعي أن تختلف مع أهل بيتك، فهذا ليس بغريب، وكل بني آدم خطاء، فإذا بهذا الصائم القائم يقسم يميناً بالطلاق والحرام ثلاثاً ألا تذهب الزوجة إلى بيت أهلها شهراً كاملاً، وجاءت أيام العيد، يا أخي، اختلفت مع صاحبة بيتك، فلماذا تحرم الوالدين من رؤية ابنتهما؟ هل هذا من التقوى؟ وهل هذا أثر يدل على أن صيامك مقبول عند الله عز وجل؟ لا أيها الإخوة، التقوى أن تكون منصفاً، وألا تكون جائراً وظالماً، وألا تتعدى حدود الله عز وجل.

أيها الإخوة: صورة أخرى من صور الصائمين القائمين أنه يقسم أيماناً مغلظة على سلعته من أجل أن يروجها، أي صيام وقيام هذا حتى يقبل عند الله عز وجل إذا كان هذا هو حالك؟

صورة أخرى: صائم وقائم يلزم أبناءه أن يلزموا نسائهم بالاختلاط فيما بين بعضهم البعض، ويلزم زوجة ولده بمواجهة سائر أبنائه، أو يلزم زوجة ولده أن تختلط مع أصهاره، أي صيام وقيام هذا؟

أيها الإخوة: (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر)، ويقول ربنا جل وعلا: {كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون}، انظر إلى نفسك بعد الصوم هل أنت ملتزم بكتاب الله؟ وهل أنت ملتزم بشرع الله؟ من علامات قبول الصيام والقيام أن تصبح ملتزماً شرع الله، تحل الحلال وتحرم الحرام. ومن علامات قبول الصيام عند الله عز وجل أن تستمر بعد رمضان على الاستقامة كما أكرمك الله بالاستقامة في شهر رمضان. في شهر رمضان حافظ بعضنا على صلاة الفجر في جماعة، وعلى صلاة الجمعة والجماعة، فما الذي يحصل بعد شهر رمضان؟ هل تعبد الله عز وجل في رمضان وتنساه في باقي الأيام؟ أنسيت قول الله عز وجل وهو يخاطب سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}. أقبلت على الله في شهر رمضان صائماً، فلماذا بعد رمضان لا تتم الصيام بالنوافل تقرباً إلى الله عز وجل؟ وربنا يقول في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه). لماذا بعد رمضان تقصر في صلاة الجماعة؟ ولماذا تقصر في صيام النافلة؟ وخاصة في صيام ستة أيام من شوال، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر) [رواه مسلم].

في شهر رمضان كنت تقرأ القرآن العظيم، فماذا حصل بعد شهر رمضان،

لماذا تركت تلاوة القرآن الكريم؟ وفي شهر رمضان كنت تغض بصرك وتحفظ فرجك وسمعك وبصرك، فما الذي حصل بعد رمضان؟ من علامات قبول الصيام عند الله أن تستقيم على ما كنت عليه من الاستقامة في شهر رمضان.

أيها الإخوة: لعلنا أن نتلمس صيامنا وقيامنا، وها نحن في اليوم الأخير من شهر رمضان المبارك، ما هي إلا سويعات وتطوى أعمال هذا الشهر العظيم المبارك، وترفع إلى الله عز وجل، سل نفسك يا أخي وأنت في الساعات الأخيرة من شهر رمضان: هل شهر رمضان شاهد لك أم شاهد عليك؟ في شهر رمضان الذي ستطوى فيه صحائف الأعمال لترفع إلى الله عز وجل هل تستطيع أن تختم هذه السويعات بكثرة التوبة والاستغفار، وأن تتراجع عن العناد والإصرار على الظلم والتعدي لحقوق الناس؟ هل بوسعك أن تتوب إلى الله وتستغفر الله هذه السويعات المتبقية؟ الوقت قصير أيها الإخوة، سويعات وينتهي شهر رمضان، سويعات وأنت ينبغي عليك أن تتذكر قول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له) [رواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك]، هل تتعرض لنفحة الله بأن تعتق من نار جهنم بالتوبة والإنابة وكثرة الاستغفار؟ وخاصة وأنت في يوم عظيم مبارك، فيه ساعة الدعاء فيها مجاب عند الله، وقال بعض العلماء: إنما هي بعد صلاة العصر إلى الغروب، فهل تستطيع أن تستغل هذه السويعات بالإقبال على الله نادماً على ما فرطت وقصرت، معاهداً ربك عز وجل أن تستقيم بعد شهر رمضان كما أمر الله عز وجل؟ قبل أن تطوى أعمال هذا الشهر أيها الإخوة، وقبل أن يرفع هذا الشهر إلى الله عز وجل، ولا ندري أيرفع وهو شاهد لنا أم شاهد علينا؟

أرجو الله عز وجل أن يوفقنا للتوبة والإنابة والاستغفار، إن قصرنا وأسأنا وعصينا في شهر رمضان.

أيها الإخوة: تعالوا لنكثر من الاستغفار قبل أذان المغرب، لأنه إذا أُذِّن

للمغرب طويت أعمال هذا الشهر ورفعت إلى الله، الذي كان ينادي هؤلاء العباد: (يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر) [رواه الحاكم وابن حبان وابن خزيمة]، فينظر مولانا جل وعلا من الذي أقبل ومن الذي بقي مصراً ومعانداً؟ احذر يا عبد الله أن تكون معانداً لآيات الله، لأن ربنا قال في حق الوليد بن المغيرة: {إنه كان لآياتنا عنيداً * سأرهقه صعوداً} وقال فيه: {سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر}.

تذكر يا عبد الله وأنت في يوم الجمعة في آخر شهر رمضان قول الله عز وجل: {إن الله يحب التوابين}، فهل نكون من التائبين والمستغفرين الذين يرجون أن يتقبل الله عز وجل منهم الصلاة والصيام والقيام؟ تعالوا أيها الإخوة لنستغل هذه السويعات المتبقية من شهر رمضان المبارك في الاصطلاح مع الله، عسى أن يختم هذا الشهر في صحائف أعمالنا بالتوبة والإنابة والاستغفار، فإذا ختمت صحيفة عملك في شهر رمضان بالتوبة والإنابة وأنت محقق شروط التوبة، فإن الله يقول لك: {إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات}، ولا تكن عنيداً ومصراً، لأن العناد والإصرار كانا سبباً في طرد إبليس من رحمة الله عز وجل.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: يا أيها الصائم، ويا أيها القائم، وأنت تودع شهر رمضان ولم يبق منه إلا سويعات، هل بوسعك أن تسمع معي حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تحفظه كما تحفظ سورة الفاتحة، أذكرك به لأنك قد حفظته قولاً ونسيته سلوكاً وعملاً، أذكرك بهذا الحديث ولعلك أن تعزم خلال هذه السويعات المتبقية أن تتوب إلى الله وتعيد الحقوق إلى أصحابها.

اسمع يا أيها الصائم ويا أيها المصلي ويا أيها القائم ويا أيها التالي للقرآن، اسمع قول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (لعن الله الراشي والمرتشي والرائش)

يعني الذي يمشي بينهما [رواه أحمد]. يا من أكلت الرشوة لا تظن بأن الله غافل عنك، ولا تظن بأن صلاة وصيامك يغنيان عنك من الله شيئاً، يا آكل الرشوة، يا من أكل أموال الناس بالباطل، يا من استطاع أن ينجو من محاسبة المخلوقين بطريق أو بآخر، كيف تستطيع أن تخلص نفسك من بين يدي مولاك يوم القيامة الذي قال لك: {لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل}. يا أيها المرتشي وأنت الصائم المصلي هل بوسعك أن تعزم في هذه السويعات المتبقية، على أن تتوب إلى الله، ومن تمام التوبة أن تعيد الحقوق إلى أصحابها، وإن كانت الرشوات كثيرة وكثيرة جداً، وربما أن يلزمك هذا أن تخرج من مسكنك الذي سكنته، عليك أن تفعل، لأنك خارج من النعمة التي أنت فيها إن شئت وإن أبيت، فاخرج باختيارك بإعادة الحقوق إلى أصحابها قبل أن يخرجك ملك الموت، وستحاسب على ذلك.

هل نستطيع أيها الإخوة أن نتوب إلى الله وأن نعيد الحقوق إلى أصحابها، وهل تستطيع أنت أيها الصائم المصلي القائم، أن تعين الموظف على عدم أكل الرشوة فلا تدفع له شيئاً؟ هل نتعاون أيها الإخوة على البر والتقوى أم نتعاون على الإثم والعدوان؟ أي صلاة وأي صيام وأي قيام والصائم القائم إما راش وإما مرتشي وإما رائش بينهما.

تعالوا أيها الإخوة لنتوب إلى الله في هذه السويعات المتبقية، وثقوا تماماً ورب الكعبة بأن هناك من تاب إلى الله وأعاد الحقوق إلى أصحابها، وما هي إلا سويعات وأيام قليلة انتهى أجله على توبة واصطلاح مع الله عز وجل. بعضهم كان مرابياً، فصارت عنده المليارات من الربا، فإذا بهذا العبد قبل نهاية أجله بشهرين وهو لا يعلم متى ينتهي أجله، اصطلح مع الله، فخرج من الأموال الربوية كلها وطبق قول الله عز وجل: {وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم}، فأخذ رأس ماله وتبرأ من الأموال الربوية جميعها، فحجر عليه أبناؤه، وادعوا أنه صار مجنوناً سفيهاً، بعدما أن تاب إلى الله وامتثل قول الله عز وجل: {وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم

لا تظلمون ولا تظلمون}، وبعد شهرين التقى مع الله بعد وفاته.

أيها الإخوة: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (المؤمن واهٍ راقع، فسعيد من هلك على رقعه) [رواه الطبراني]، واهٍ يقع في المعصية، راقع يتدارك نفسه بعد المعصية بتوبة، فطوبى لمن مات على توبة لله عز وجل. أيها الراشي تب إلى الله، وأيها المرتشي تب إلى الله وأعد الحقوق إلى أصحابها، لأنك إذا مت على توبة غفر لك، وإذا لم تتب إلى الله، فهيئ نفسك للفضيحة يوم القيامة، عندما تأتي بكل مال ارتشيت به محمولاً على عنقك لتفضح على رؤوس الأشهاد ويعرفك الجميع بأنك كنت تأكل الحرام والعياذ بالله.

أيها الإخوة: سويعات وينتهي شهر رمضان، فنسألك يا ربنا بأسمائك الحسنى وبصفاتك العلى ألا تضرب وجوهنا بأعمالنا، اللهم تقبل منا الصلاة والصيام والقيام إنك سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

** ** **

-43خطبة عيد الفطر: العبادات نوعان: عبادات شعائر، وعبادات معاملات

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا معاشر المؤمنين، يا من أقبلتم من بيوتكم إلى بيت الله وأنت متطهرون، أتيتم إلى بيت من بيوت الله، وحق على المزور أن يكرم زائره، وكيف إذا كانت الزيارة في اليوم الأول من شهر شوال، بعد أداء طاعة كبيرة لا يعلم أجر هذه الطاعة إلا الله القائل في الحديث القدسي: (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) [رواه مسلم].

أيها الإخوة: يا من أتيتم من بيوتكم إلى بيت الله، والملائكة تتلقاكم على طرقاتكم، وهو ينادونكم: هلموا يا معشر المسلمين إلى رب كريم، ينادونكم: أمرتم بالصيام فصمتم وأمرتم بالقيام فقمتم فاقبضوا جوائزكم، وهذه الجائزة هي عتق رقبتك من النار. اللهم اجعلني والحاضرين مع أصولنا وفروعنا وأزواجنا ممن أعتقتهم من النار برحمتك يا أرحم الراحمين.

لذلك أيها الإخوة: أعياد المسلمين إنما تكون بعد أداء طاعة عظيمة، فرأينا العيد بعد الصيام، لأن الصيام دليل على صدقك وإخلاصك، لأنك في خلواتك لا يراك أحد إلا الله، وأنت جائع عطشان، فما منعك من الطعام والشراب إلا خوف الله عز وجل، فأنت امتثلت أمره سراً وجهراً، فأنت من المخلِصين، وإن شاء الله تكون من المخلَصين، فكان بعد أداء هذه الطاعة يوم عيد لك وهو يسمى في السماء السابعة: يوم الجائزة، عندما تفرح بانتهاء صيام شهر رمضان، وفقت للصيام والقيام، فأنت تشكر الله، كم هي فرحتك في هذا اليوم؟ ولكن انظر إلى الفرحة العظمى يوم القيامة عندما تأخذ كتابك بيمينك، لتقول على رؤوس الأشهاد جميعاً: {هاؤم اقرؤوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه * فهو في عيشة راضية * قطوفها دانية *كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية}. وإن العبد الذي أفطر في شهر رمضان لا يتذوق ورب الكعبة حلاوة العيد في هذا اليوم، وإن كان يضحك في الظاهر، وإن كان يعايد الآخرين في الظاهر، ولكنه ورب الكعبة لا يشعر بالفرحة كما يشعر بها الصائم، والصورة هي الصورة عندما ينقلب إلى الآخرة، ويأخذ كتابه بشماله ويقول: {يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * يا ليتها كانت

القاضية * ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه * خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه} هل أنت تريد أن تكون من الفريق الأول أم من الثاني؟ اللهم اجعلنا من أهل الطاعة.

فربنا جعل بعد الصيام عيداً، وجعل بعد الحج عيداً أيضاً، لأنك عندما تقف على أرض عرفة، إن كنت في شهر رمضان نلت العتق من النيران، فإنك في أرض عرفة تسمع المنادي وهو ينادي في قلبك: أفيضوا عبادي فإني قد غفرت لكم. فرحة عظمى، هذا هو الفرح الحقيقي، {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون}. مالك والله لا يفلحك، وجاهك والله لا يفلحك، لأن المال يتعبك والجاه يتعبك، ولكن طاعتك لله تفرحك لأنها تريحك، وإذا استراح قلبك استراح بدنك، وإن استراح القلب والبدن فأنت السعيد.

أيها الإخوة: شاء ربنا عز وجل أن يجعل يوم العيد بعد طاعة، فأنت ما خلقت إلا للعبادة، قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}، وشاء ربنا عز وجل أن يجعل العبادة على نوعين: عبادة يقال عنها شعيرة من شعائر الإسلام، وهي صلاة وصيام وزكاة وحج، وعبادة تعامل بينك وبين الآخرين. فعبادة الشعائر لو نظرت إليها في مجتمعنا ما أعظمها، بيوت الله ملأى بفضل الله عز وجل، الصائمون والمصلون لا يعلم عددهم إلا الله، عبادة الشعائر كلنا يزدحم عليها بقوة وبتدافع. وعبادة المعاملات بينك وبين الآخرين من صدق وأمانة ووفاء عهد ووفاء وعد ورفع ظلم، هل يا ترى أنت تعبد الله عبادة الشعائر، أم أنك تعبد الله عبادة الشعائر مع عبادة المعاملات؟ يا أيها العابد لربه عز وجل في الشعائر وقصر في عبادته لله عز وجل في المعاملة، هل تعلم بأنك لن تنتفع من عبادة الشعيرة إذا لم تكن عابداً لله في المعاملات؟ وإذا أردت أن تعرف مصداق هذا فاسمع قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو يذكر أمامه بأن امرأة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال صلى الله عليه وسلم: (لا خير فيها هي في النار). ما انتفعت.

يا أيها العابد لربه في الشعائر وهو عاص لله في المعاملات، أما سمعت قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (أتدرون ما المفلس؟) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: (إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما

عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) [رواه مسلم].

أيها الإخوة: ليعلم كل واحد منا بأن طاعته لله عز وجل في الشعيرة حتى ينتفع منها فلا بد من طاعة لله عز وجل في المعاملة، وإلا فهو خاسر. لذلك أقول أيها الإخوة: كن لله طائعاً من خلال هويتك، ومن خلال ذاتك، ومن خلال ما ولاك الله عز وجل عليه، فإن كنت مسؤولاً . وأنا أقصد بكلمة المسؤول ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) [رواه البخاري] . إن كنت مسؤولاً فأحقق الحق وأبطل الباطل ولا تأخذك في الله لومة لائم.

إن كنت زوجاً فاعبد الله من خلال حياتك الزوجية وعاشر امرأتك بمعروف كما أمرك مولانا عز وجل.

وإن كنت قوياً فاعبد الله من خلال قوتك أن تكون عوناً للمظلوم وأن تكف يد الظالم عن ظلمه لأنك مسؤول يوم القيامة عن ذلك.

وإن كانت المرأة زوجة فلتعبد الله من خلال هويتها أن تحسن التعامل مع زوجها، وأن تعين زوجها على طاعة الله، لأننا جميعاً نعلم بأن خلف كل رجل عظيم امرأة عظيمة، فكوني يا أختاه عوناً لزوجك على طاعة الله عز وجل.

وإن كنت غنياً فعبادتك أن تصل الفقراء، وألا تقتصر على الزكاة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن في المال حقاً سوى الزكاة).

أيها الإخوة: عبادة الشعائر وعبادة المعاملات تجعل عندك وازعاً. التشريعات الوضعية تكون رادعة، وأما تشريعات السماء فتكون وازعة، وشتان بين الوازع والرادع، ففي الوازع المراقبة ذاتية، وفي الرادع المراقبة للمخلوقات، وكم وكم يتحايل الناس على التشريعات الوضعية ليتفلتوا منها، لأنها ليست بوازع وإنما هي رادع، أما الإسلام فربَّانا على الوازع، وإذا أردتم مصداق هذا فتذكروا تلك المرأة التي اقترفت الفاحشة ولا يعلم بذلك أحد إلا الله، فجاءت إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله طهرني [رواه النسائي]. انظر إلى الوازع حيث تكون مراقباً لذاتك لأن لك صلة مع الله عز وجل.

وانظروا أيها الإخوة إلى هذا الوازع، كان سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في سياحة، فمر على راع، فسقاه الراعي من الحليب، فقال له الراعي بعدما أن سأله ابن عمر لِمَ لم يشرب فضلة الحليب

قال: إني صائم، . في يوم شديد الحر، وهذا الصوم ليس رمضان وليس ستة أيام من شوال، وليس يومي الإثنين والخميس .، قال: ما سبب صومك؟ وهو لا يعرف ابن عمر. قال: أومؤمن أنت؟ قال: نعم، قال: عجبت من مؤمن يسأل مؤمناً لم أنت صائم؟ قال: لم تصوم؟ قال: أصوم حر هذا اليوم لأتقي حر ذلك اليوم.

هذه العبادة عبادة شعيرة، فأراد سيدنا عبد الله بن عمر أن يختبره في عبادة المعاملة، في الدينار والدرهم، يا رواد المساجد اتقوا الله عز وجل في معاملاتكم المالية، واتقوا الله في عبادتكم المعاملاتية، ولا تقتصروا على عبادة الشعائر، فقال له ابن عمر: اذبح لنا شاة، قال: يا أخا العرب، إنها ليست لي، وإنما هي ملك لسيدي، قال: وأين سيدك؟ قال: هو في مكة، قال: اذبح لنا شاة، قال: وما أقول لسيدي؟ قال: قل له: أكلها الذئب وندفع لك ثمنها. فقال: يا أخي إن غاب سيدي فأين الله؟

فحتى تكون عبادتك الشعائرية مقبولة عند الله كن عابداً لله في المعاملات، بأن تكون صادقاً في معاملاتك، فتشريع الإسلام جعل عندنا وازعاً أن نراقب الله عز وجل ولا نراقب البشر.

نعم أيها الإخوة، يا من أمرتم بالصيام فصمتم، وأمرتم بالقيام فقمتم، انتقلوا إلى المعاملات في عبادتكم لله عز وجل، أحسن إلى زوجتك لا تسئ إليها، وأحسن إلى أبنائك لا تسئ إليهم، وأحسن لمن جعلك الله ولياً عليهم حتى تفوز بسعادة الدارين، وإلا عرضت عبادتك للضياع، وإذا عرضتها للضياع فأخشى أن تكون ممن قال الله عز وجل فيهم: {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً}.
أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

44-خطبة الجمعة: (استقيموا ونعما إن استقمتم

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: إنه لمن المعلوم عند جميع العقلاء أن العبد إذا أراد الفلاح في أي أمر من الأمور الدنيوية فلا بد له من الاستقامة على ما أراد، أما إذا كان متقلباً ولم تكن عنده الاستقامة والتصميم والإرادة والمتابعة، فهو إنسان فاشل في حياته الدنيوية. هذا الأمر مسلَّم به عند العقلاء، فكل عاقل جعل لنفسه هدفاً في هذه الحياة الدنيا، ومن خلال معرفة الهدف استقام في المتابعة للوصول إلى الهدف الذي يريده. والإنسان المؤمن الذي عرف أن الاستقامة على دين الله سبب من أسباب رضا الله عز وجل عنه، يستقيم على دين الله حتى يصل إلى هذه البغية.

وإنني أرى أيها الإخوة وكما ترون وتشاهدون أننا بعد شهر رمضان كأن الأمور تغيرت في حياتنا، استقمنا فترة قصيرة في شهر رمضان على أوامر الله عز وجل، وعلى طاعة الله، وترك معصيتنا لله عز وجل، ولكن بعد شهر رمضان كأن الأمر لم يكن، هل يا ترى الفلاح والنجاح يوم القيامة يكون متوقفاً على استقامتك فترة قصيرة من الزمن ثم بعد ذلك ترجع إلى ما كنت عليه؟ لا أيها الإخوة، إن الفلاح والنجاح يوم القيامة لا يكون إلا باستقامتك على طاعة الله عز وجل ما حييت، ما دامت روحك في جسدك. ولذلك يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استقيموا ونعما إن استقمتم) [رواه ابن ماجه]، نعم الفعل قمتم به إذا دمتم على الاستقامة، لأن هناك من يبدأ عمره بالاستقامة وينتهي بالانحراف والعياذ بالله، والأمور بخواتيمها، ومن هنا أشار ربنا عز وجل إلى مسألة الاستقامة بقوله: {إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلاً من غفور رحيم}.

تنبه يا أخي إلى ما رتب الله عز وجل على الاستقامة، {تتنزل عليهم الملائكة}، والملائكة لا تتنزل على من أطاع الله ساعة ثم عصى الله ساعات، {ألا تخافوا ولا تحزنوا}، فإذا أردت أن تنفي عن نفسك

الخوف مما هو آت، والحزن مما هو فائت فاستقم على شرع الله وأوامره، وعلى طاعة الله. ثم تأتي بعد ذلك البشارة الثانية: {وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون}. أما أن تتوقع جنة عرضها السماوات والأرض من غير استقامة فهذا مستحيل أيها الإخوة.

ولذلك كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول: (شيبتني هود وأخواتها) [رواه الطبراني في الكبير]، وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا علي السري يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، روي عنك أنك قلت: شيبتني هود، قال: نعم، فقلت: ما الذي شيبك؟ قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال: (لا، ولكن قوله: {فاستقم كما أمرت}.

أيها الإخوة: عندما أمرنا بفعل الطاعات ونهينا عن المعاصي والمنكرات، هل هذا الأمر والنهي مقيد بفترة زمنية محددة في أعمارنا، أم أنه مقيد بقول الله عز وجل: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}، الطاعة وفعلها، والمعصية وتركها، ينبغي أن تبقى ملازماً عليه حتى يأتيك الموت. أما إذا أطعنا فترة وتركنا المعصية فترة، ثم انقلب الإنسان رأساً على عقب، فهذا العبد خاسر أيها الإخوة، ولذلك كان من دعاء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) [رواه الترمذي].

أيها الإخوة: نحن بحاجة إلى استقامة على أوامر الله، وعلى ترك المعاصي والمنكرات، نحن بحاجة إلى متابعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دامت أرواحنا في أجسادنا، إذا كنت حريصاً على مستقبلك في الآخرة فاستقم على شرع الله، وإذا كنت حريصاً على الفلاح والنجاح فاستقم على شرع الله، وتذكر قول القائل: إن أعظم كرامة للعبد هي الاستقامة. وتذكر ذاك الصحابي الجليل الذي جاء إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كيف أصبحت يا حارثة؟) قال: أصبحت مؤمناً حقاً. قال: انظر ما تقول، فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقال: قد عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت لذلك ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها. فقال صلى الله عليه وسلم: (يا حارث عرفت فالزم) ثلاثاً. رواه الطبراني. وفي رواية عند البيهقي في شعب الإيمان: قال

صلى الله عليه وسلم: (عبد نور الله الإيمان في قلبه).

نحن أيها الإخوة أسهرنا ليلنا وأظمأنا نهارنا في شهر رمضان المبارك، هي أيام معدودة، قال تعالى: {كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياماً معدودات} أتعبنا أنفسنا بالصيام والقيام كهذا الصحابي الجليل الذي قال لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسهرت ليلي وأظمأت نهاري، ولكن لا أدري هل وصلنا إلى النتيجة التي وصل إليها هذا الصحابي الجليل، (وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً)؟ إن العبد إذا عبد الله بإخلاص وإن كان في أيام قصيرة فإن ربنا جل وعلا يجلو له مرآة قلبه فيصبح هذا العبد فرشياً عرشياً، في أيام معدودة لو صدق العبد مع الله لوصل إلى الله. ولكن إن وصلت إلى الله وتقربت إلى الله فاسمع وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: وكأني أنظر إلى عرش ربي، من بعد أن أسهر ليله وأظمأ نهاره، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (عرفت فالزم).

أيها الإخوة: ينبغي علينا أن نلزم المنهج الذي يحقق لنا سعادتنا في الدنيا والآخرة. أسأل الله أن يكرمني وإياكم بالاستقامة ما دامت أرواحنا في أجسادنا، وأن يباعد عني وعنكم المعاصي والمنكرات ولقمة الحرام كما باعد بين الأرض والسماء. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة: أذكركم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر) [رواه مسلم]. فعليكم بصيام ستة أيام من شوال، وإن أحببت أن تصوم هذه الأيام متصلة فلا حرج، وإن أحببت أن تصومها متفرقة فلا حرج في ذلك أيضاً. وانقل الحكم إلى نسائك ولمحارمك أن قضاء ما فات من صيام رمضان بالنسبة للنساء أولى من صيام النافلة، لتصم المرأة أولاً ما عليها، ثم بعد ذلك لتأت بالنافلة. أما أن تصوم المرأة ستة أيام من شوال نافلة وتترك القضاء المترتب عليها فقد أخطأت الطريق. الأولى للمرأة أن تصوم القضاء، ثم بعد ذلك تصوم ستة أيام من شوال إن استطاعت ذلك، وإلا فالقضاء أولى من صيام النافلة.

أيها الإخوة: صوموا هذه الأيام، وتقربوا إلى الله عز وجل، وأرجو الله أن يجعلني وإياكم ممن صامت جوارحهم الظاهرة والباطنة عن معصية الله الظاهرة والباطنة.

** ** **

45- خطبة الجمعة: واتقوا فتنة لا تصيبن الذي ظلموا منكم خاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: واقع المسلمين الذي يعيشونه يدمي الفؤاد، لا أقول يدمي العين، ولا أقصد بواقع المسلمين الذي يعيشونه من التآمر على الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، من يهود ونصارى، إنما أقصد من هذا الكلام واقع المسلمين الذي يعيشونه فيما بين بعضهم البعض، من خلال ما نسمع وما نرى، وإنه لمن العجيب أيها الإخوة أن أسمع من الإخوة المسؤولين في هذه البلدة بأن الحوادث والمشاكل التي حصلت في شهر رمضان المبارك توازي أو تقارب أحداث سنة كاملة. وقال لي بعضهم: إنه لمن العجيب مع أن المسلم في شهر رمضان إن سابه أحد أو قاتله يقول: إني صائم، لماذا هذا أيها الإخوة؟ لماذا هذا الواقع المرير الذي نعيشه؟ هل يا ترى يخطر في بالنا نحن جميعاً أن نبحث عن السبب وأن نكون جادين وصادقين في معالجة هذا الواقع المرير الذي نشكو منه جميعاً؟ والله المسؤولون يشكون من هذا، وكذلك الأغنياء، والفقراء، والصالح والطالح، وعلى كل المستويات بدون استثناء، فهل نبحث عن السبب لمعالجته؟ ونحن نسمع قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل الله داء إلا وأنزل له دواء) [رواه ابن ماجه وأحمد].

الواقع المرير الذي نعيشه داء وأي داء، إنه مزق المجتمع، ومزق العائلة، بل ومزق الأسرة الواحدة، بين الزوج وزوجه، وبين الأخ وأخيه، وبين الوالد والولد، وبين الأم وابنتها، هذا الواقع المرير الذي نعيشه ينبغي علينا أن نبحث عن السبب، فإذا ما عرفت السبب فإن الدواء جاهز وموجود، فمن الذي يأخذ الدواء ليجعله على الداء ليبرأ بإذن الله؟ من منا ما تألم من الحدث الأخير الذي جرى في بلدتنا؟ على أمور تافهة، بنيان الله وصنعة الله وخلق الله يهدر دمه لأتفه الأسباب! مع أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم يقول في هذا البنيان وإن كان يهودياً أو نصرانياً: (ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو

أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة) [رواه أبو داود] خصمه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والمعاهد هو الكتابي، النصراني الذي يقول: عيسى ابن الله، واليهودي الذي قد يقول عزير ابن الله.

يا ظالم الزوجة ويا ظالم الولد، ويا ظالم الأخ، ويا ظالم الشريك، ويا ظالم المحكوم، تفكر يا أخي أن عمرك قصير، وستقف بين يدي الله، وسيكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خصمك لا قدر الله، ونحن كلنا نطمع بشفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، ما أنت قائل لربك؟ هذا البنيان يهدر دمه لأتفه الأسباب؟ ما السر في هذا؟ والله أيها الإخوة، فكرت ملياً في هذا الموضوع، فوجدت أن السبب في فشل حياتنا على مستوى الأسرة والعائلة والحي والبلد والوطن والعالم الإسلامي أنني أقول: لا علاقة لي مع الآخرين، وربما أن أستدل على هذا بآية من كتاب الله عز وجل. إن قلت لك: لِمَ لَمْ تأمر بالمعروف ولِمَ لَمْ تنه عن المنكر، يأتي الجواب: ليس لي علاقة، وأنا لست بمسؤول! أنت لا علاقة لك، وأنا لا علاقة لي، والآخر لا علاقة له، إذا احصدوا النتائج أيها الإخوة، أنت كنت عزيزاً فبعد ارتكاب جريمة أصبحت ذليلاً، وأصبحت تحاول أن تقبل الأقدام ليعفو الناس عنك. لماذا يا أخي؟ أين تربيتنا؟ وأين أمرنا بالمعروف؟ وأين نهينا عن المنكر؟ وأين وقوفنا عند حدود الله؟ أين أنت من هذا؟ قد تقول لي: الله عز وجل يقول: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم} إن سألتك: ما معنى عليكم أنفسكم؟ لأتاني الجواب كما كنت أتوقع أنا من سابق: انتبه إلى نفسك ولا تلتفت إلى المجتمع بأكمله.

أيها الإخوة: مشكلتنا أنا لا نقرأ القرآن، وإن قرأنا لا نفهم القرآن كما أراد ربنا سبحانه. أيها الإخوة: من منا خطر بباله أن يسأل ما معنى قول الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}؟ لا يخطر ببال أحدنا، لأنني لو سألتك هل سألت عن هذه الآية؟ يأتي الجواب: الكلام واضح، علي بنفسي ولا علاقة بالآخرين. وربنا عز وجل يقول: {لا يضركم من ضل إذا اهتديتم} والضرر قد لحقنا، فهل واقعنا أصدق أم قول الله أصدق؟ لا شك أن قول الله أصدق. إذاً فما معنى هذه الآية؟

مشكلتنا أيها الإخوة أننا نجهل، وإن جهلنا نتعامى عن جهلنا، وإن تعامينا عن جهلنا يعز علينا أن نسأل، وبالتالي نحصد النتائج في مجتمعنا.

يا أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أخرج الإمام أبو داود والترمذي في الحديث الحسن عن سيدنا أبي أمية الشعباني رضي الله عنه قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني وقلت له: يا أبا ثعلبة، كيف تصنع بهذه الآية؟ فقال: وأية آية تقصد؟ قال: أقصد قول الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم} فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله) قلت: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: (أجر خمسين منكم).

فقوله تعالى: {عليكم أنفسكم} يعني أن حرصك على نفسك ودمك ومالك وعرضك ووطنك لا يكون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن لم تأمر بالمعروف ولم تنه عن المنكر فتذكر قول الله عز وجل: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}. المشكلة عندما تقع يذهب فيها الصالح والطالح، والتقي والفاجر، بسبب الجهل، أما عندما نكون وقافين عند حدود الله عز وجل فإن وقوفنا عند حدود الله وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر يجعلنا في أمن وأمان. أما أن أقول: لا علاقة لي! تعال يا أخي واسمع ماذا يحدثك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. والله الذي لا إله غيره نقولها بحق: جزى الله عنا سيدنا محمداً خير ما جزى نبياً عن أمته.

اسمع يا من يريد السعادة الطمأنينة في بلده وأسرته وعائلته، لا تقل لا علاقة لي، تابع أبناءك، وتابع أسرتك، وتابع عائلتك، وخاصة هذا النشء الجديد أيها الإخوة، الذي جر على الأسر والعائلات بلاء لا يعلمه إلا الله عز وجل، ومن غباء البعض أيها الإخوة ربما ينقاد خلف هذا الطفل الجاهل. اسمع يا أيها العاقل، وكل واحد فينا عاقل، تابعوا أبناءكم

وأنا واحد منكم، لنتابع أبناءنا وأقرباءنا ونلاحقهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا فالنتائج على رؤوسنا قبلهم أيها الإخوة.

يروي الإمام البخاري عن سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً). أي إن ضربوا على أيديهم ومنعوهم نجوا جميعاً، لأن المشكلة أن الخطر يعم الجميع.

لماذا لا نأمر بالمعروف؟ لماذا لا ننهى عن المنكر؟ لماذا لا نربي أبناءنا على الحلم وسعة الصدر والعفو؟ ولماذا لا نربي أبناءنا على قول الله عز وجل: {واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين * إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين}. ربِّ أبناءك على الحلم، لا تربه على قول العامة: انتبه يا بني لا أحد يدوس على كراعيبك، ولا تكن سخرية في المجتمع، ومن ضربك كفاً فاضربه كفين، ومن قلع عينك فاقلع عينيه الاثنتين. نربي أبناءنا هذه التربية، وترى طفلاً صغيراً في عائلة يجمع من ورائه رجالاً ويركضون خلفه، لارتكاب جريمة، لماذا؟ فلان ضرب فلاناً أو شتمه أو أكل مال فلان! إذا كان فلان ضرب فلاناً أو شتمه أو أكل ماله أيقتضي الأمر أن نجتمع عقلاء وغير عقلاء ونأخذ معنا أسلحة ونأخذ ونأخذ، ماذا تفعل؟ أتجعل من الحبة قبة في الإجرام؟ إن حل المشاكل يحتاج إلى عقل، لا تقل لا علاقة لي في المجتمع، علينا أن نتعب أنفسنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلا فالخطر الداهم علينا أعظم ورب الكعبة.

أيها الإخوة: مشكلتنا في تفكك هذا المجتمع، أن كل واحد يقول لا علاقة لي، ويستدل بقول الله عز وجل: {عليكم أنفسكم}. ويقول سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله

عنه ـ كما يروي الإمام الترمذي وأبو داود ـ: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها: {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم} وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الناس إذا رأوا ظالماً فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب). ترى ظالماً ولا تأخذ على يده بأن تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر؟ فإن سكتَّ وسكتُّ أخذ الله الجميع بعقاب.

أيها الإخوة: أناشدكم الله مروا بالمعروف في أسرتكم وفي عائلتكم وفي كل مكان تدخلونه، وتناهوا عن المنكر في عائلتكم وأسرتكم وفي كل مكان، حتى نعيش في أمن وأمان ما كتب الله لنا من عمر في هذه الحياة الدنيا، وإلا فالجميع مسؤول، وتذكروا قول الله عز وجل: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}.

أيها الإخوة: لنتب إلى الله عز وجل، ولنقف بجانب المظلوم، وبجانب الظالم بالأخذ على يده، وهذا ما أقوله للقضاء والمحامين ولأولياء الظالمين، لا تقفوا بجانب الظالم، ولا تجعلوا له محامياً ومدافعاً، وأنتم أيها القضاة اتقوا الله في هذه الأمة، فإن إقامة حد واحد من حدود الله خير لنا من أن نمطر أربعين صباحاً.

أيها الإخوة: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإن جار القاضي وظلم برشوة، وإن جار وظلم المحامي برشوة، وإن جار وظلم ولي الظالم بدفع المال فإن النتائج ستكون وخيمة على هذا الولي وعلى الظالم وعلى المحامي عن الظالم وعلى القاضي الظالم. لنتق الله يا عباد الله، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

46-خطبة الجمعة: خير الناس من طال عمره وحسن عمله

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: الإنسان مطلق الإنسان حريص على الحياة الدنيا، وحريص أن يطول عمره، ولو استطاع أن يخلد في الدنيا لفعل، ولكن سبحان من قهر العباد بالموت والفناء، الإنسان حريص على طول العمر وعلى البقاء في هذه الحياة الدنيا، ولكن حرص الإنسان على طول حياته في هذه الحياة الدنيا بدون أن يتنبه إلى ما يكتسبه في هذه الحياة الدنيا إن هذا الأمر قد يكون عليه طامة كبرى، لأن الإنسان إذا طال عمره وساء عمله فإن طول العمر بالنسبة لهذا الإنسان نقمة، وليس بنعمة. ولذلك عندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس خير؟ قال صلى الله عليه وسلم: (من طال عمره وحسن عمله) [رواه الترمذي]، لأن عمرك يا بن آدم إنما هو وعاء لأعمالك، فلا تكن حريصاً على الوعاء بدون حرص على ما يحتويه هذا الوعاء، لأن قيمة الوعاء بما يحتويه، وقيمة عمرك بما تجنيه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ولذلك أيها الإخوة لو نظرنا في حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لرأينا عمر النبي صلى الله عليه وسلم في فترة النبوة والرسالة لا يتجاوز الثلاثة وعشرين سنة، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا العمر الوجيز قلب الدنيا رأساً على عقب، وجعل من رعاة الإبل رعاة للأمم، لا أقول أصلح فساداً كان مستشرياً على أساس كان مسبوقاً بصلاح، إنما جاء إلى مجتمع يعبد الحجارة والشجر من دون الله، لم يكن عندهم الأساس في ارتباط مع الله عز وجل، الحبال كلها مقطعة، القوي يأكل الضعيف، والغني يأكل الفقير، والمجتمع يعيث فساداً، حتى إنه كان يقال لأحدهم: لا يؤمن فلان حتى يؤمن حمار فلان. وفي هذا المجتمع بقية باقية

من القيم والأخلاق. جاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذه الشريحة من الناس ليترك أثراً في هذا المجتمع بعدما أن قلبه رأساً على عقب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يعرف الفراغ، وما كان يعرف إضاعة الوقت، إنما كان جاداً في إصلاح فساد المجتمع، وكما قلت أيها الإخوة في الأسبوع الماضي: إن تركنا للأمر بالمعروف وللنهي عن المنكر يجعلنا نعض أصابعنا من الندم، والفساد يستشري شيئاً فشيئاً ونحن الذين نحصد نتائج هذا الفساد.

إن تحويل الفساد إلى صلاح لا يحتاج إلى زمن طويل، إنما يحتاج إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فاستغلوا أنفاس عمرهم في إصلاح هذا المجتمع، ويعتمد على الجدية منك يا أيها الإنسان. النبي صلى الله عليه وسلم بعمر قصير نقل الدنيا وأشرقت فيها الأنوار بصدق نبوته صلى الله عليه وسلم وبصدق التبليغ عن الله عز وجل. نحن حريصون على طول العمر، وعلى البقاء في هذه الحياة الدنيا، ولكن عمرنا ماذا يحتوي؟ ماذا ستترك من بعد وفاتك؟ ونحن لاحظنا في هذا الأسبوع في بلدتنا كأن الموتى قد كثروا في هذا الأسبوع المنصرم، أكثر من عشرة موتى بين شباب وشيوخ خرجوا من الدنيا، انظر إلى نفسك يا أخي ماذا سيقال عنك بعد موتك، أنت حريص على طول العمر، ولكن البعض ليس حريصاً على ما يحتويه عمره من عمل صالح يذكر به، إذا كنت حريصاً على البقاء فاعلم أن بقاء جسدك في الدنيا سينتهي، ولكنك تستطيع أن تبقي لنفسك ذكراً بعد موتك، فإما أن تذكر بصلاح، وإما أن يذكر العبد بفساد والعياذ بالله.

أتعلمون أيها الإخوة أن الإمام الشافعي رضي الله عنه عاش أقل من خمسين عاماً، ولكن ذكره على كل لسان في مشارق الأرض ومغاربها، وهو من القرن الأول من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وأطبق الأرض علماً بعمر قصير، وأنا وأنت ماذا سنترك بعد موتنا من ذكر؟ لا تكن حريصاً على عمرك لأن عمرك لن يزاد فيه ثانية واحدة، واطمئن بأنه لن ينقص منه ثانية واحدة، ولكن كن حريصاً على

العمل الذي يحتويه عمرك، خض غمار هذه الحياة ولكن خضها بشرف، وبالعمل الصالح، وباتباع النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تقل: فسد المجتمع، ولا تلتفت إلى فساد المجتمع، بل التفت إلى نفسك، وخض غمار الحق في وسط هذا الباطل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (العبادة في الهرج كهجرة إليّ) [رواه مسلم].

خض غمار هذه الحياة الدنيا وأنت ملتزم الاستقامة مع انحراف الشباب، وأنت ملتزم الصدق مع انتشار الكذب، وأنت ملتزم لقمة الحلال مع انتشار الرشوة والربا والكذب في البيع والشراء. خض غمار هذه الحياة الدنيا وكن صاحب خلق حسن في وسط كثرت فيه الأخلاق السيئة، وابتعد الناس فيها عن الأخلاق الحسنة. خض غمار هذه الحياة الدنيا وأنت تتحلى بقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك) [رواه أحمد والبيهقي]، وإن رأيت المجتمع كله لا يفعل هذا.

خض غمار الحق في هذه الحياة الدنيا وأنت شعارك الصدق والوفاء بالوعد، مع انتشار الكذب بالوعود وعدم الوفاء بالعهود، خض غمار هذه الحياة الدنيا بالحق لأن عمرك قصير، وخاصة أعمار أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، (معترك أمتي من الستين إلى السبعين)، وأعمارنا لا تتجاوز هذا إلا ما ندر، وكم وكم منا من يموت في ريعان الشباب؟ خض غمار الحق في وسط هذا المجتمع الذي أضرمت فيه نيران الفتن، لأنك ستجد نتيجة هذا العمل، لأنك ستصبح مضرباً للمثل. انظر إلى سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام كان مضرب للمثل في العفة والطهارة، عندما قالت له امرأة العزيز بعدما غلقت الأبواب {وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي}، مراقبة لله.

خض غمار الاستقامة في وسط هذا المجتمع لتصبح مضرب مثل، ستذكر بعد موتك يا عبد الله، وأنت لا تدري ماذا سيكرمك الله عز وجل إن استقمت في وسط هذا المجتمع. انظر إلى أمنا السيدة خديجة رضي الله عنها، كانت امرأة

مغمورة كبقية النساء، ولولا زواجها من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ربما أن تكون طويت صحيفتها وذكرها كما طوي ذكر الكثير من النساء، ولكن حفظ اسمها باقترانها بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، انظر إلى السيدة خديجة وهي امرأة كانت تعيش في مجتمع متفلت ومتحلل ويعبد الأصنام، هذه السيدة الجليلة رضي الله عنها يأتي سيدنا جبريل عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويقول له: (يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب) [رواه البخاري]. السلام يقرئها السلام، لأن هذه السيدة الجليلة كما قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس) [رواه أحمد والطبراني]، كانت بجانب نبينا صلى الله عليه وسلم، وكانت ملتزمة بالحق، وخاضت غمار هذه الحياة الدنيا بالاستقامة ولو كان من حولها على انحراف في عقيدتهم وفي سلوكهم.

أيها الإخوة: ما منا من أحد إلا وهو حريص على طول عمره، ولكن أقول: يا أخي مهما كنت حريصاً على طول عمرك والله لن يزيد عمرك شيئاً، ولكن يبارك الله في عمرك بحيث يكون وقتك قصيراً ولكن الخير فيه كثير وكثير جداً، كسيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، والله كأن قصة هؤلاء الرجال أسطورة من الأساطير، ولكنها حقيقة وليست بأساطير خيالية، في فترة وجيزة لا تتجاوز السنتين ونصف ملأ الأرض عدلاً بعدما أن ملئت جوراً وظلماً. كن حريصاً أن تجعل وعاء عمرك مليئاً بالطاعات، تعال يا أخي الشباب، ولتأت المرأة لتنظر في حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي حياة الصحابة والتابعين، وفي حياة الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ما ضيعوا أوقاتهم في الهزل والغفلة والقيل والقال، بل استغلوا أنفاس عمرهم، حتى قال فيهم ربنا عز وجل: {وكلاً وعد الله

الحسنى}.

أيها الإخوة: جاء سيدنا جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به) [رواه الحاكم والطبراني]. إني على ثقة أيها الإخوة بأن جُلّكم ذهب لمواساة بعض أهل الموتى الذين ماتوا في بلدتنا هذه في هذا الأسبوع أو في الأسبوع المنصرم، هلا فكرت وأنت في زيارة هؤلاء الذين فقدوا عزيزاً لهم، بأن ملك الموت في كل يوم ينظر فيك متى ينتهي أجلك حتى يأخذ هذه الأمانة؟

أيها الإخوة: الموت اليوم يتخطانا لغيرنا، وسيأتي يوم يتخطى فيه غيرنا ليأتينا نحن، يقول الناس: مات فلان ومات فلان، وسيأتي يوم يقول فيه الناس مات عمر بن الخطاب. ولكن مات سيدنا عمر رضي الله عنه لا أقول رافعاً رأسه، بل أقول كل من أحب سيدنا عمر رضي الله عنه يرفع رأسه بهذه الشخصية العظيمة، سيدنا عمر رفع أمة، لأن حياته كانت كحياة أمة، ألم يقل مولانا عز وجل في سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: {إن إبراهيم كان أمة}، أفعاله لو اجتمعت أمة بأكملها لا تستطيع أن تأتي أفعاله، ويقول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إن معاذاً كان أمة) [رواه الحاكم]، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كل واحد فيهم كان أمة، وربما أن يكون ألف رجل لا يساوون رجلاً واحداً. انظر إلى نفسك كم تساوي أنت؟ أتساوي رجلاً أم رجلين؟ أم تساوي حياً أم تساوي أمة؟ من خلال عملك وسلوكك، وتدبر قول الله عز وجل في حق سيدنا إبراهيم: {إن إبراهيم كان أمة}، لأنه انطلق من منطلق فقال: {إني لا أحب الآفلين}، ولذلك تعالوا أيها الإخوة لنجعل هذه الكلمة: {إني لا أحب الآفلين} شعاراً لنا، الذي يغيب ويفنى ولا يبقى ولا يدوم ما ينبغي عليك أن تحبه ولا أن يتعلق قلبك به، ولكن ليكن حبك للباقي، وهل من باق غير الله؟

أيها الإخوة: لعلي أن أقف معكم مع قول سيدنا إبراهيم لقومه: {إني لا

أحب الآفلين} لنعلم أن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بحق كان أمة، بشهادة الله عز وجل: {إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين}.

أنا وأنت قدوة في هذا المجتمع، ولكن أنا وأنت هل يا ترى قدوة في الحق أم في الباطل؟ في الصدق أم الكذب؟ في الوفاء أم في الخيانة؟ في الخلق الحسن أم في الخلق السيئ؟ في الاستقامة أم في الانحراف؟ في الصلة أم في القطيعة للأرحام؟ كلنا قدوة، فلتكن قدوة صالحة، عمرك قصير كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (عش ما شئت فإنك ميت)، ولكن لتعلم أن عمرك وعاء لعملك، وعملك سوف تجده بين يديك يوم القيامة: {يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه}.

اللهم لا تجعلنا من النادمين عند سكرات الموت، والله أيها الإخوة عندما مررت على بعض أهل الموتى، وكل واحد ودع حبيباً وقريباً له وجعله تحت أطباق الثرى، فكرت كثيراً وملياً ما هي قصة هذه الحياة؟ سنصبح خبراً بعد عين، خرجت مع بعض الإخوة الذين أخرجوا عزيزاً عليهم من المستشفى، والله الذي لا إله غيره المتوفى في السيارة، اتصل أحدهم مع صديق له وقالوا له: نحن ذاهبون إلى بيت فلان قال: من؟ قال: معنا الجثة، انتهت المسألة صار جثة، انتهى ذكره، وسيقال: كان، وماذا سيقال عني وعنك بعد كلمة كان؟ اللهم لا تجعلنا م

ن النادمين، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور

الرحيم.

47- خطبة الجمعة: حقيقة نتناساه

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: ذكرت لكم في الخطبة الماضية أن الإنسان ينبغي عليه أن يفكر وأن يعتقد اعتقاداً جازماً بأنه مفارق لهذه الحياة الدنيا، ورحمة الله على الحسن البصري الذي كان يقول: ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من يقين الناس بالموت. هذه الحقيقة المنسية عندنا، أو هذه هي الحقيقة التي نتناساها، مع أنه في كل يوم يدفن من أمثالنا، وفي كل يوم نسمع بأن ملك الموت تخطانا فأخذ غيرنا، فلنعلم بأنه سيأتي يوم يتخطى فيه ملك الموت غيرَنا ليأخذنا، فهل بوسعنا أيها الإخوة أن نجعل شعارنا في هذه الحياة الدنيا، المنطلقَ الذي انطلق منه سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم عندما قال: {إني لا أحب الآفلين}. الذي يغيب ويهلك والذي لا وجود حقيقي له من ذاته، والذي لا يبقى ولا يدوم هذا لا يستحق المحبة، لذلك انطلق سيدنا إبراهيم من هذا المنطلق فقال: {إني لا أحب الآفلين}، والآفل الذي يغيب، وهذه حقيقة بثها ربنا عز وجل في القرآن العظيم فقال: {كل شيء هالك إلا وجهه}، وقال: {كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}.

ينبغي أن يكون منطلقنا: {لا أحب الآفلين}، وينبغي أن تكون هذه قصة حياتنا، أن يكون حبنا للباقي لا للفاني، لأنه من أحب الذي يأفل ويغيب يتعب نفسه، ويشقي نفسه. سمعتم أيها الإخوة مراراً من طلبة العلم عن رجل مر على مقبرة فوجد رجلاً جالساً على قبر يبكي، قال: ما يبكيك يا أخي؟ قال: إليك عني، لقد مات حبيب لي، قال له: يا مسكين، لو أنك أحببت حبيباً لا يموت لما تعذبت لفراقه. هذه هي الحقيقة التي ينبغي أن نتنبه إليها.

أيها الإخوة: أكثر الناس إلا من رحم ربي عز وجل توجَّه حبُّهم لكل آفل

غائب هالك فان، ونسي الكثير إلا من رحم ربك أن يتوجه إلى الله عز وجل الباقي، ولذلك كان يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح]. أيها الإخوة: الذي يغيب ويهلك لا يستحق المحبة، لأنك لو أحببته أتعبت نفسك، لأنك تخاف عليه من الأفول، وتخاف عليه من الهلاك والفناء، ولذلك كان من الواجب علينا أن نتوجه إلى الباقي الموجود وجوداً حقيقياً، الذي أوجد ذاته بذاته، الخالق الأعلى، القادر على كل شيء، الذي منه كل شيء، ويعود إليه كل شيء، أن يكون توجهنا إلى الله عز وجل. ولذلك سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال لقومه: {إني لا أحب الآفلين}، فالذي يأفل لا يُتَوجَّه إليه، ولا يستحق العبادة، لأنه لن يكون مقصوداً، ولن يكون موئلاً لك في الشدائد، كم وكم من الناس من توجه إلى الآفل، ففوجئ، وهو يظن أن هذا الذي توجه إليه على كل شيء قدير، أو إذا قال فعل، ولكنه عندما توجه إليه وأفل فإذا بهذا العبد يفاجأ، كم فوجئنا أيها الإخوة عندما جعلنا اعتمادنا وتوكلنا على غير الله عز وجل.

أيها الإخوة: انظروا إلى توجيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول لسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليه، رفعت الأقلام وجفت الصحف) [رواه أحمد والترمذي]. ولذلك تربى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على محبة الباقي، وعلى محبة الله عز وجل، فلم يتعلق أحدهم بمال ولا بزوجة ولا بمكانة ولا برياسة ولا بريادة، لأنهم علموا أن الجميع هالك، فكان توجُّههم إلى الله سبحانه وتعالى، فعاشوا سعداء أقوياء، عاشوا حياة كريمة طيبة مباركة، لأنهم توجهوا إلى الله سبحانه وتعالى، فكانوا بحق كما وصفهم ربنا تبارك وتعالى عندما قال:

{كنتم خير أمة أخرجت للناس}.

فعندما تتوجه إلى الله فأنت السيد وأنت السعيد وأنت العزيز، وأنت الذي تبقى بعزتك وكرامتك، أما إذا توجهنا إلى الآفل فإننا نشقى. انظروا إلى سحرة فرعون، ما كانوا يعرفون الله عز وجل، وكان توجههم إلى فرعون الذي خدعهم ودلس عليهم وقال لهم: أنا ربكم الأعلى، وقال لهم: ما علمت لكم من إله غيري، فتوجهوا إلى هذا الآفل، ولكن عندما توجهوا إليه عاشوا حياة الذل والمهانة، حياة لا يحسدون عليها، فعندما تشعشع نور الإيمان في قلوبهم، بمجرد أن دخل الإيمان قلوبهم تحوَّلوا وتبدَّلوا وتغيَّروا، فأصبحوا أعزَّة، ووقفوا أمام هذا الآفل الغائب ليقولوا كما قال مؤمن آل فرعون عندما قال لقومه منبهاً وناصحاً ومرشداً، وانظر إلى هذا الخطاب الذي توجه من قلب توجه إلى الله نحو أناس توجهت قلوبهم إلى كل آفل: {وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد * يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار}، هذه الحياة الدنيا متاع، والمتاع يعني أن النعمة لا تدوم لك، فإن دامت لك فلن تدوم لها. عندما توجه هذا الخطاب وسيدنا موسى دعا القوم فآمن السحرة، وعندما آمن السحرة، قال هذا الذي ظن أنه على كل شيء قدير، وظن أنه إذا قال فعل، وظن أن كلامه نافذ لا يرد: {قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى}، تصوروا أيها الإخوة هذا الأحمق الذي ظنَّ أنه على كل شيء قدير، وظن أنه لن يأفل، ولن يموت ويهلك، وانظروا إلى هؤلاء القوم الذين أكرمهم الله عز وجل بالإيمان، قالوا له كلمة أرجو الله أن تكون لنا نبراساً وهداية بعد كلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، قالوا: {فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا * إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير أبقى}.

نعم أيها الإخوة، تحولوا من حياة الذل إلى حياة الكرامة عندما توجهوا إلى الباقي، عندما كانوا متوجهين إلى هذا العبد الفاني انظروا إلى نتيجته، وانظروا إلى نتيجتهم، هذا الذي ظن أنه لن يموت أدركه الغرق، وفي تلك الساعة توجه إلى الله ولكن هذا التوجه لن ينفعه، فعندما أدركه الغرق قال: {آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين}، فيأتي الجواب: {الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين}. فلنتوجه أيها الإخوة إلى الله عز وجل الباقي، وليكن شعارنا: {إني لا أحب الآفلين}، ما ينبغي لقلوبنا أن تتوجه إلى الفاني، لأنك إن توجهت إلى الفاني بقلبك أتعبت قلبك، وإذا أتعبت قلبك عشت حياة الشقاء، فهل بوسعنا أن نوجه قلوبنا إلى الله، ومن توجه قلبه إلى الله عاش سعيداً، انظروا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول: (ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر) [رواه البخاري ومسلم]. أسأل الله جل وعلا أن يطهِّر قلوبنا، وأن يردَّنا إليه ردّاً جميلاً، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

48- خطبة الجمعة: هذا هو إسلامنا

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: إسلامنا إنما هو عقيدة وعبادة ومعاملة، فالعبادة هي التي تنظم علاقة العبد مع الله عز وجل، ففرض ربنا عز وجل على العبد الصلاة والصيام والزكاة والحج وما شاكل ذلك من العبادات، وكذلك شرع له المعاملات فحدَّد له كيفية التعامل مع أبناء جنسه، وجعل ربنا جل في علاه ترابطاً بين العبادة والمعاملة، فكلما صحت العبادة سمت المعاملة، وكلما صحت المعاملة قُبلت العبادة عند الله عز وجل. ولعلنا أيها الإخوة أن نتنبه إلى هذا الجانب، عباداتك هي علاقتك مع ربك جل في علاه، ومعاملاتك هي تعاملك مع الآخرين، فإذا صحت العبادة سمت المعاملة، واقتربت المعاملة من حدود الإنسانية التي مُزجت بالرحمة، وإذا صحت معاملاتك بينك وبين الآخرين صارت عباداتك مقبولة عند الله عز وجل.

أما العبادة التي يهتم بها العبد، بمعنى أنه يهتم بالعلاقة فيما بينه وبين الله، وأما بالنسبة للمعاملة فيما بينه وبين أبناء جنسه فلا يلتفت فيها إلى الشرع، إنما ينطلق فيها من خلال الهوى ومن خلال حبه للدنيا ومن خلال استعلائه واستغلاله للآخرين، هذا العبد وإن أتقن العبادة وأكثر منها فإن مآله يوم القيامة إذا مات على تلك الحالة ولم تتداركه رحمة الله عز وجل أن يموت من الخاسرين، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وحج، عبادات بينه وبين الله أتقنها، ويأتي وقد شتم هذا، وضرب هذا، وسفك دم هذا، حسنت عباداته وساءت معاملاته، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طرح في النار.

أيها الإخوة: نحن نعيش في هذه الأيام، ومن كتب الله عز وجل لهم الحج في هذا العام يتهيؤون لزيارة بيت الله الحرام، لأداء هذا الركن العظيم ألا وهو الركن الخامس من أركان الإسلام، حيث إنه متميز عن سائر الأسفار التي يأتي بها الإنسان، كم وكم نسافر أيها الإخوة، ونضرب في الأرض يمنة ويسرة، وشرقاً وغرباً، ونسافر كثيراً، إلا أن هذا السفر إلى بيت الله الحرام متميز عن سائر الأسفار، حيث ترى هذا المسافر يسافر قلبه قبل أن يسافر جسده، فإذا ما سافر القلب تبع الجسد هذا القلب، فإذا بهذا العبد في هذا السفر المبارك اجتمع القلب مع الجسد وتحقق بسعادة لا يدري حقيقتها إلا من ذاقها وأكرمه الله عز وجل بها.

هذا السفر لأداء ركن عظيم من أركان الإسلام تتجلى فيه عبوديتك لله سبحانه وتعالى، تترك فيه الأهل والوطن، والزوجة والولد والمال، وتتحمل أعباء السفر وأخطاره، وتبذل المال، وفي ظاهر الأمر ليس هناك عرض دنيوي أنت تبحث عنه، إنما تقول بلسان المقال والحال: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. لو سألك سائل: ماذا تريد من هذا السفر؟ تقول: أريد رضا الله عز وجل.

نعم أيها الإخوة، هذا السفر عظيم ومقدس، ويستحق منا هذا السفر أن تسافر قلوبنا قبل أبداننا، ويستحق منا أن نترك الأهل والمال والوطن، وأن نترك كل شيء، لأن الثمرة التي حدثنا عنها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي ثمرة غالية عزيزة، وأسأل الله أن يكرمنا بذلك، وإن أقمنا نحن على عذر وعن قدر فأسأل الله أن يكتب لنا في ذلك الأجر، ولذلك نقول لحجاج بيت الله الحرام: يا زائرين بيت الله الحرام، سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحاً، لقد أقمنا على عذر وعن قدر، ومن أقام على عذر فقد راح.

نعم أيها الإخوة، إن الحج ثمرته عظيمة، يقول فيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما يروي ذلك الإمام البخاري ومسلم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله

عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)، وعندما ولد العبد من بطن أمه ولد ولا ذنب عليه، فرجع بدون ذنب، فهذا السفر الذي ترجع من بعده لا ذنب عليك يستحق منك أن تهتم به أيَّما اهتمام، واسمع ماذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم، كما يروي الإمام مسلم، ويخاطب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال له: (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله)، الحج يهدم ما كان قبله من الذنوب والخطايا، ويرجع الحاج من بيت الله الحرام ولا ذنب عليه، بل الأعظم من هذا يرجع هذا الحاج بدعاء مقبول عند الله، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج) [رواه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي]، الحاج إذا جاء واستغفر لك فإن الله عز وجل يغفر لك، هذا السفر الذي يرجع صاحبه بهذه الفائدة يستحق أن يهتم به العبد أيما اهتمام.

يروي الإمام الترمذي عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة).

أيها الإخوة: أرى الحجاج يتهيؤون للرحيل، ولكن أقول لهؤلاء الحجاج، وأقول لهؤلاء المعتمرين: تنبهوا لأنفسكم، أنتم عندما تقولون عند الميقات، وأنتم تتجردون من ثيابكم، هذه الثياب التي نفتخر ونستعلي بها، وهذا لجهلنا ولقلة عقلنا، عندما يأتي الإنسان ليفتخر بثوب بال ويستعلي به، رحمك الله يا عبد الله، أتفتخر بالخادم وأنت المخدوم، أتفتخر بخيوط نسجت من حيوان أو من نبات، وأنت الإنسان المكرم؟ يأمرك مولانا عز وجل أن تتجرد من هذه الثياب عند الميقات، ولا يجوز لك أن تتجاوز الميقات إلا أن تخلع جميع الثياب المخيطة، فتقول: لبيك الله لبيك،

وخلعت الثياب، ولبست ثياباً ما اعتدت في حياتك أن تلبسها أبداً، لبست إزاراً ورداءً، أيكفيك الإزار والرداء؟ نعم، وتعيش بهما أياماً، فلماذا لا تقنع بما أعطاك الله إذا رجعت إلى بلدك، فإذا بك تمد يدك لا قدر الله إلى الربا أو الرشوة أو السرقة أو تطفيف الكيل والميزان لتجمع المال؟ أنت يكفيك ثوب هو إزار تستتر به عورتك، ورداء تستتر به صدرك وظهرك، جرَّدك ربنا عز وجل فقلت: لبيك اللهم لبيك، فإذا بك تتجرد من هذه الدنيا، والناس صاروا جميعاً سواسية.

ثم ينبغي عليك أن تفكر يا أيها العبد إذا ما وصلت إلى بيت الله الحرام ووقفت أمام الكعبة المشرفة، لترى هذه الحجارة السوداء كساها الله مهابة وإجلالاً وتعظيماً وهيبة، فإذا بالفؤاد يرتجف، وإذا بهذا العبد تسيل الدموع على وجنتيه خشية من الله عز وجل، إنه بيت الله، إنه كما قال مولانا عز وجل: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ}. وقفت أمام هذا الحجر وأنت تتذكر أن الأساس في الحجر أنه أقل الموجودات قيمة، والنبات فوقها، والحيوان فوق الجماد والنبات، والإنسان فوق الجماد والنبات والحيوان فهو المكرَّم، ولكن ربنا إذا أراد أن يكرم فإنه يكرِّم أقل الموجودات قيمة، فيجعل أعلى الموجودات قيمة ينحني ويطأطئ رأسه ليقبل هذا الحجر الذي كرَّمه الله، فإذا بك تقف أمام قطعة من حجر، وتزاحم الناس وأقول لك: لا تزاحم، ولكن الحجاج يزاحمون، يزاحم الواحد منهم على وضع شفتيه على هذا الحجر، ليحطم لك هذا العنفوان وهذه الأنا التي تحول بينك وبين رحمة الله وجنته، الله عز وجل يريد منك أن تعرف حدّك لتقف عنده، فأنت عبد، ولو شاء ربك لجعل هذا العبد أقل الموجودات قيمة، ولكن كرَّمك الله، فإذا كرَّمك الله فلا تستغل تكريم الله لك بالاستعلاء على الآخرين.

تتوجه إلى أرض عرفة فترى محشراً من الخلق، ترى رجالاً ونساء شباباً وشيوخاً وأطفالاً، وترى الأبيض والأسود، وجميع شرائح المجتمع في الدنيا، جاؤوا إلى صعيد

واحد وكلهم توجهوا إلى رب واحد. انظر إلى هذا الموقف في أرض جمع الله عز وجل فيها بعض خلقه بثياب واحدة، والجميع توجهوا إلى رب واحد، تذكر بأنك ستقف بين يدي الله، كما قال عليه الصلاة والسلام: (حفاة عراة غرلاً) [رواه البخاري]، فما أنت قائل لربك في أرض المحشر؟ فإذا وقفت وأنت تتذكر موقفك بين يدي الله فانكسر قلبك وسالت الدمعة من عينك وقلت: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين} ربِّ اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم، فإنك تعلم ولا أعلم وأنت الأعز الأكرم، رب اغفر لي ذنبي وتجاوز عن سيئاتي، فيقول لك ربك: لبيك عبدي، فتفيض من أرض عرفة ولا ذنب عليك.

يأمرك مولانا عز وجل أن تتجه إلى منى بعدما أن وقفت في مزدلفة، لتأخذ حصيات لترجم بها من كان سبباً في غوايتك، وهي إشارة إلى عداوتك للشيطان برجم تلك الجمرات، لأن الذي حال بيننا وبين الطاعة وأوقعنا في المعصية إنما هو الشيطان، دعانا فاستجبنا له ولا حول ولا قوة إلا بالله، بعد أن غفر لك ربك، أما عرفت عدوك؟ {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} فأعلنها من هناك وخذ تلك الحصيات وقل: بسم الله والله أكبر، رجماً للشيطان وإرضاء للرحمن، ثم ترجع إلى بيت الله ولا ذنب عليك، وتطوف وقد وضعت عنك ذنوبك وخطاياك.

أيها الإخوة: يا من قال: لبيك اللهم لبيك، أنت عندما تلبي إذاً هناك نداء، ما هذا النداء؟ {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيق} طالما أنك استجبت لله في هذه العبادة، فإذا أردت أن تحافظ عليها فالتفت إلى معاملاتك مع أبناء جنسك، مع زوجتك وأولادك، ومع إخوتك وأخواتك، مع شركائك ومع أبناء جنسك، فإذا صحت المعاملة، صار تصحيح هذه المعاملة سبباً لقبول هذا العمل عند الله، وإلا لا قدر الله ضيعت هذه العبادة بسبب سوء المعاملة.

فيا حجاج بيت الله الحرام، أناشدكم الله ألا تغادروا بلادكم وأوطانكم إلا بعد تصحيح المعاملة فيما بينكم وبين أبناء جنسكم، للقريب وللبعيد، في أمور المعاملات، صححوا هذه المعاملات، وتوبوا إلى الله، واصطلحوا مع الله، وخاصة في لقمة الحلال كونوا حريصين عليها، لأنه من تزود من حرام ثم وضع رجله في الغرز في السفر، وقال: لبيك اللهم لبيك، ولكن زاده من حرام، فينادى هذا العبد: لا لبيك ولا سعديك، وحجك مأزور غير مبرور.

أسأل الله أن يلهمني وإياكم الرشد، وأن يبلغني وإياكم زيارة الحرمين الشريفين، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

49- **خطبة الجمعة**: **عشر ذي الحجة** (**تعالوا لنجدِّد إيماننا**)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم : (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام، يعني أيام عشر ذي الحجة، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء).

وروى الطبراني بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير). وأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بأن صيام يوم منها يعدل بصيام سنة، وقيام ليلة منها يعدل بقيام ليلة القدر.

أيها الإخوة: كثيراً ما نسمع من أمثال هذه الأحاديث الشريفة التي ترغبنا بالعمل الصالح، ويعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم الأجر المترتب عليها يوم القيامة، ولكن المشكلة أن بعض الناس إذا حدثتهم عن الجنة وعن النار فكأنهم ينظرون إليها بأنها أسطورة من الأساطير، أو نوع من أنواع الخيال، لو حدثت أحدهم عن الآخرة التي حدثنا عنها مولانا في القرآن العظيم وحدثنا عنها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة، رأيت البعض لا يبالي، وكأنه زاهد في هذا الأجر الذي رتَّبه الله عز وجل على فعل الطاعات وعلى ترك المعاصي. ما السر في هذا أيها الإخوة؟ هل دخل الخلل في إيماننا؟ أم أن إيماننا أصبح ضعيفاً وكاد الإنسان لا يتطلع إلى ما أعد الله عز وجل له في الآخرة من نعيم ومن عقاب؟

أيها الإخوة: ربنا عز وجل عندما يحدثنا في القرآن العظيم: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ

وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}، ويقول مولانا عز وجل: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا} ويقول: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا}، الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، والنار يقول فيها مولانا جل وعلا: {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون}. يحدثنا مولانا في القرآن العظيم عن أقوام يدخلون نار جهنم: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ}.

أيها الإخوة: هذا قرآننا، وهذا حديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لماذا عندما نسمع أمثال هذه الأحاديث الشريفة التي يوصينا فيها النبي صلى الله عليه وسلم بأن نكثر من الأعمال الصالحة في أيام عشر ذي الحجة المقبلة علينا إن كان لنا عمر، لماذا الزهد في العمل؟ ولماذا الزهد في الأجر المترتب على هذا العمل؟ مع أننا على يقين بأن الحياة الدنيا التي نعيشها لو سألتني ولو سألتك: بالله عليك أتضمن لنفسك ساعة واحدة تعيشها بعد هذه اللحظة؟ سيأتي الجواب: لا أضمن الغد ولا أضمن ساعة تأتي لأعيش فيها، فلا ضمان للغد الذي أنا مقبل عليه ولا أدري أيقبل هو علي أم لا؟ ولا أدري أأُقبل على الغد أم لا؟ هل يا ترى تقوم القيامة؟ وهل يا ترى أموت قبل الغد؟ أنا في شك في ذلك، ولست على يقين بأني سأعيش بعد ساعة، ولو نظرت إلى أفعالنا وأعمالنا، غَدُنا مشكوك فيه ولكننا نعمل له عمل الرجال.

انظروا أيها الإخوة في التجار والطلاب وأصحاب المصالح وجميع شرائح الناس على مختلف المستويات، كل واحد يعمل من خلال موطنه عملاً جاداً كأنه سيعيش أبداً، ولو سألته: هل أنت ضامن لنفسك أن تعيش إلى الغد؟ لقال لك: أنا لا أضمن لنفسي هذا، ومع ذلك يعمل بكل جد ونشاط. ولو سألت المؤمن: هل يوم القيامة آت عليك أم لا؟ يأتي الجواب: قطعاً إن يوم القيامة آت، وكل آت قريب، وربنا عز وجل يعملنا من خلال القرآن العظيم في الحديث عن يوم القيامة:

{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا}، نحن أيها الإخوة نرى الغد في الدنيا قريباً وكأنه في متناول أيدينا فنعمل لغد وبعد غد وسنة وما بعد سنة، وكأن الأيام في المستقبل هي تحت أيدينا نستطيع أن نتناولها، مع أننا على يقين بأننا لا نضمن أن نعيش ساعة، ولا نضمن أن يأتينا غد.

أما بالنسبة للآخرة فهي آتية لا محالة، قال فيها مولانا: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}، لماذا عندما نسمع الترغيب من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعمل لجنة فيها نعيم مقيم دائم باق ببقاء الله عز وجل فلماذا لا نعمل؟ هل ضعف الإيمان؟ أم يا ترى في الإيمان زيغ؟ لنراجع الحسابات فيما بيننا وبين أنفسنا، لأن المؤمن الصادق يعمل لآخرته لا أقول كما يعمل لدنياه، بل يعمل لآخرته كما يعمل لدنياه وأشدَّ، ولا تفهم من كلامي يا أخي الكريم أنه ينبغي عليك ألا تعمل في الدنيا، بل اعمل في الدنيا، لأن عملك في الدنيا على أساس من العبادة ومن النية الصالحة إنما هو عمل للآخرة، ولكن كما تحاول أن تعمّر دنياك الفانية كن حريصاً على تعمير آخرتك، كن حريصاً على أن تكون من أهل الجنة، كن حريصاً على أن تكون مع الذين أنعم الله عليهم، وكن حريصاً على أن تنتقل من نعيم إلى نعيم لا أن تنتقل من نعيم إلى جحيم، كن حريصاً على أن تنتقل من قصر إلى قصر، لأنك مهما تمتعت في هذه الحياة الدنيا، من متع، ودار واسعة، وأثاث فاخر، ومركوب عظيم، لو نظرت إلى ما أعد الله لك في الآخرة لرأيت نفسك في قبر، فإذا ما انتقلت من القصر الذي تراه قصراً إلى القصر الذي أعده الله لك لرأيت نفسك في قبر وانتقلت إلى قصر.

أما المصيبة فيمن ينتقل من قصر يراه قصراً في الحياة الدنيا إلى قبر والعياذ بالله قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (حفرة من حفر النار) [رواه الترمذي]، تصوروا أيها الإخوة مؤمن آل فرعون، الذي قال لقومه كما حدثنا ربنا عز وجل: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ}، هل تسمع هذا الكلام؟ لأننا في

غفلة أيها الإخوة، المادة والحياة الدنيا والمال والدينار والدرهم وأهواؤنا وشهواتنا طغت علينا، نحن بحاجة إلى رجل كمؤمن آل فرعون ليوقظنا من غفلتنا، وليصرخ بنا لنستيقظ من غفلتنا ومن سباتنا، {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَاد * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَار * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَاب * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّار * تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّار * لاَ جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّار * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد}. أيها الإخوة: كم هي الحسرة التي تحرق الفؤاد عندما يقول القوم وهم في نار جهنم يصطرخون: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ}، تصور حسرة هؤلاء، {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُون} لأنهم ما سمعوا كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة: هذه هي أيام عشر ذي الحجة قد أقبلت علينا إن أحيانا الله عز وجل، وحبيبنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رغبنا بكثرة العمل الصالح فيها، العمل الصالح محبوب عند الله، وخاصة في أيام عشر ذي الحجة، أكثروا فيها من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصيام والقيام والمحافظة على صلاة الفجر في جماعة مع سائر الصلوات، حافظوا على تلاوة القرآن، اصطلحوا مع الله، صلوا الأرحام، أعيدوا الحقوق لأصحابها، وراقبوا الله عز وجل، لأن عملك يقول فيه مولانا عز وجل: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ}.

يا شباب هذه الأمة، المعصية تذهب لذتها وتبقى مرارتها، والطاعة يذهب

نصبها وتعبها وتبقى لذتها، يا شباب هذه الأمة، قلِّلوا من المعاصي والمخالفات الشرعية، فإن لذة المعصية سراب وربِّ الكعبة، ولكن الحسرة تلازم الفؤاد والقلب إلى يوم القيامة إذا لم يصدق العبد في التوبة لله عز وجل. أكثروا من العمل الصالح في أيام عشر ذي الحجة خاصة، فإن النصب والتعب في العبادة والصيام والقيام وإنصاف الآخرين من نفسك وإن كنت تجد في ذلك مشقة، ولكن اعلم بأن لذة الطاعة باقية معك من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ إلى عالم يوم القيامة.

يا أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لنسمع ما قال ذاك الصحابي الجليل كلما رأى أصحابه وإخوانه: تعالوا نجدد إيماننا، تعالوا لنقول لا إله إلا الله، كونوا متعاونين أيها الإخوة على ذكر الله وتلاوة القرآن وكثرة التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، كونوا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، ذكِّروا أبناءكم وبناتكم وأزواجكم بأن هذه الأيام إنما هي موسم طاعة وعبادة، انظروا إلى التجار أيها الإخوة، يهيئون أنفسهم لأيام عشر ذي الحجة ولأيام العيد من أجل عرض من الدنيا لا يدري أحدهم أيبقى ليجمع المال أم لا، ولا يدري أحدهم إن جمع المال أيتمتع به أم لا؟ ولا يدري أيبقى المال بيده أم يُسرق؟ ولا يدري أيصرفه على طعام وشراب أم على دواء؟ وإن الغد بالنسبة لك مجهول، أما الآخرة فهي معلومة وإن الآخرة آتية، كما قال فيها مولانا عز وجل: {وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون}.

لنجدد إيماننا أيها الإخوة، ولنكثر من الطاعات ليزيد إيماننا، فإذا ما زاد الإيمان أقبلت على الطاعات كإيمان العبد الذي آمن بالدينار والدرهم فجمع الدينار والدرهم من حلال ومن حرام لا يبالي، لأن همه ودأبه المال، فهل أنت وأنا نستطيع أن نقول جميعاً: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي، أن نستغل جميعاً أنفاس عمرنا في طاعة الله، لأن الله جل وعلا يقول: {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُون} ألا تريد أن يؤمنك الله من الفزع يوم القيامة؟

نريد جميعاً، فلنكثر من الحسنات والطاعات، ولنقلل من المعاصي والمنكرات ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وإذا ما وقع أحدنا في معصية ليقل كما علمنا أبونا آدم عليه الصلاة والسلام: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين}، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

50- خطبة الجامع الكبير في حلب: (إذا ساءت المعاملة ضاعت العبادة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: لا أشك أن أكثركم إن لم يكن كلكم قد سمع الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام، يعني أيام عشر ذي الحجة. قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء).

لا أشك بأن جلكم سمع هذا الحديث، من الرجال والنساء، ولا أشك بأن جلَّكم صائم في هذه الأيام، لأن صيام يوم منها كصيام سنة، وقيام ليلة منها كقيام ليلة القدر، وأقلُّ القيام أن تصلي الفجر والعشاء في جماعة. لا أشك بأن جلَّكم صائم ومصلٍّ ويكثر من العبادة في هذه الأيام، من تلاوة للقرآن، ومن صلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير، وخاصة في هذه الأيام، امتثالاً لأمر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولكن تعالوا أيها الإخوة لنعلم بأن إسلامنا هو عقيدة وعبادة ومعاملة، وأرجو أن تتنبهوا أيها الإخوة، وأرجو ألا يكون حضورنا لصلاة الجمعة عادة، أرجو أن يكون

حضورنا عبادة، حيث يقول مولانا عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون}، اتركوا الحياة الفانية، وأقبلوا على بيوت الله من أجل عمارة أخراكم الباقية، التي قال فيها مولانا عز وجل: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِير}، وقال فيها: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا}، وقال فيها: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا}. أرجو أن تتنبهوا أيها الإخوة، إسلامنا عقيدة وعبادة ومعاملة، والعبادة والمعاملة لا تكون مقبولة عند الله عز وجل إلا على أساس من الإيمان، إذا فُقد الإيمان ولو صحت العبادة والمعاملة، وكان ذكرك حسناً وسيرتك طيبة، فليتذكر هذا العبد قول الله عز وجل: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا}، لأنه لا يوجد عنده إيمان. وقال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَة * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَة * عَامِلَةٌ نَّاصِبَة * تَصْلَى نَارًا حَامِيَة}.

إسلامنا عقيدة وعبادة ومعاملة، العقيدة موجودة عندنا بفضل الله، كلنا نؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، وأسأل الله ألا يحرمنا هذه النعمة. إخوتي في الله: والله الذي لا إله غيره ما نحن فيه من نعمة الإيمان التي قال فيها مولانا عز وجل: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ} نعمة لا يوازيها نعمة، الحمد لله الذي جعلنا من أهل القرآن، والحمد لله الذي قال فينا: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} فالظالم لنفسه من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو من المصطفَين عند الله عز وجل. نعمة الإيمان لا يوازيها نعمة، أسأل الله ألا يحرمنا منها، وأسأل الله أن تكون آخر كلمة لنا في حياتنا الدنيا شهادة أن لا إله إلا

الله وأن محمداً رسول الله، اللهم أحينا عليها وأمتنا عليها وابعثنا عليها يوم القيامة.

أيها الإخوة: لا نشك في إيماننا وعقيدتنا، فلله الحمد أننا نشهد لله بما شهد لنفسه، حيث قال: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ} ونحن نشهد بشهادة الله لذاته فنقول: لا إله إلا الله، ونشهد لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة الذي قال فيه مولانا عز وجل: {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا * مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ}، فنشهد لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة لأن الله شهد له، ونشهد بأن القرآن كلام الله. والعبادة بفضل الله عندنا موجودة من صلاة وصيام وزكاة وحج، وتلاوة للقرآن وتسبيح وتحميد وتهليل وتكبير واستغفار، وقس على ذلك كثيراً من العبادات، ولكن لو انتقلنا إلى الجزء الثالث ألا وهو المعاملة، تعالوا لنتلمس المعاملة في حياتنا، هل المعاملة القائمة بيننا وبين أبناء جنسنا قائمة على كتاب الله وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وكما قلت: هناك تلازم بين الإيمان والعبادة والمعاملة، إذا صح الإيمان قبل الله منك العبادة والمعاملة، ولكن انظر إلى العبادة حتى تكون مقبولة، لأن لها ارتباطاً وثيقاً مع المعاملة، إذا صحت عبادتك استقامت معاملتك، وإذا استقامت معاملتك انتفعت بعبادتك يوم القيامة. أما إذا صحت العبادة ولم تستقم المعاملة فأقول لك: تدارك نفسك يا أخي، حتى لا تضيِّع تلك العبادات، لأن تلك العبادات تضيع بسبب سوء المعاملة مع أبناء جنسك، ونحن أيها الإخوة لو خرجنا من بيت الله عز وجل لننظر إلى تعاملنا مع بعضنا البعض بعد أن رأيتنا في بيت الله عز وجل، لأن الداخل إلى بيت الله سبحانه وتعالى عندما يرى هذه الجموع في بيوت الله، يطمئن قلبه لهذه الأمة، حيث يتطلع بعد خروج هذه الأمة من بيوت الله إلى تعاملهم، فيجد هناك بوناً شاسعاً، وهذه حقيقة مرَّة، ولكن الحقيقة المرَّة أفضل

من النفاق لبعضنا البعض.

أيها الإخوة: تعاملنا لو أخضعناه للجانب الإسلامي لرأيتنا أنفسنا بعيدين كل البعد، يا أخي أنت تكثر العبادة لله عز وجل، وإن سألتك: لمَ؟ قلت: إني أتقرب إلى الله، وأطمع بالأجر العظيم من الله على صيامي وصلاتي وزكاتي وحجي وعمرتي وتلاوتي للقرآن. أقول لك يا أخي: حافظ على طاعاتك وعباداتك من الضياع، وتضيع تلك العبادات من خلال سوء المعاملة بينك وبين أبناء جنسك.

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ).

أين المشكلة في حياة فانية إذا لم يكن عندك درهم ولا متاع؟ والله لا مشكلة في ذلك، لأني مؤمن وواثق بقول الله عز وجل: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا}، وواثق بقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها) [رواه البيهقي في شعب الإيمان]، أنا مطمئن بأن رزقي لا ينقص ولا يناله أحد، لأن الله تعالى قال: {وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون}، رزقك في السماء ليس في الأرض، ولا يناله أحد من الخلق. وانظر إلى أصحاب الدراهم والمتاع يخرجون من الدنيا بعد أن جمعوا المليارات، أين هم؟ تحت أطباق الثرى، أين فرعون وقارون وهامان وأين أرباب الأموال؟

(إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة)، جاء بعبادات كالجبال مع الإيمان، ويظن أنه بتلك العبادات وصل إلى جنة الله عز وجل، عبادة صحيحة بعد إيمان صحيح، ولكن كيف كانت المعاملة؟ (وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ) هذه العبادات التي هي سبب لدخولك الجنة، سوف تكون مفلساً منها لا قدر الله بسبب سوء التعامل، (فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ). ما رأيك أيها الصائم، أيها المصلي، يا من تعلق ببيت الله؟ ما رأيك يا من أكرمك الله بصحبة العلماء وراث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ يا من أكرمك الله بنعمة الإيمان؟ تأتي بإيمان وبعبادة كالجبال، ولكن ساءت المعاملة، إما باليد وإما باللسان وإما بالمال، فذهبت تلك العبادات، وطرح على هذا العبد من خطاياهم، ثم طُرح في نار جهنم {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَة * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَة * عَامِلَةٌ نَّاصِبَة * تَصْلَى نَارًا حَامِيَة}.

روى البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، وتؤذي جيرانها، قال : (هي من أهل النار)، قال: قالوا: يا رسول الله، فلانة تصلي المكتوبات، وتتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها، قال: (هي من أهل الجنة). [الأثوار: جمع ثور، وهو القطعة من اللبن المجفف. والأقط: لبن مجفف يابس يطبخ به].

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا

وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ). وكلها في التعامل، انظر إلى تعاملك.

اخرجوا أيها الإخوة من بيت الله وانظروا إلى تعاملنا، إلى أقوالنا ونحن في الأسواق، ونحن في بيوتنا مع نسائنا، وفي مكاتبنا ومواطن عملنا، أعطاه رأس مال للاتجار فيه، وإذا به يعلن إفلاسه، أين ذهب هذا المال؟ هذا رجل لا يعرف الأمانة، وبكل أسف تراه صائماً مصلياً ذاكراً تالياً للقرآن يرتاد بيوت الله عز وجل.

فيا أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أناشدكم الله وأقول لكم كما قال مؤمن آل فرعون لقومه: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَاد * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَار * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَاب * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّار * تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّار * لاَ جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّار * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد}. حافظوا على عباداتكم من خلال حسن معاملتكم، فإذا ساءت المعاملة ضاعت العبادة، وإذا ضاعت العبادة خسر هذا العبد الدنيا والآخرة والعياذ بالله تبارك وتعالى.

هل بوسعنا أيها الإخوة أن ننظر إلى تعاملنا فيما بيننا وبين نسائنا وأبنائنا وأبناء جنسنا؟ هل ننظر إلى المعاملة في الدينار والدرهم؟ هل ننظر إلى معاملاتنا إذا حدثنا صدقنا وإذا وعدنا وفينا وإذا خاصمنا لم نفجر؟ هل نتخلق بأخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ انظروا إلى سيد العابدين صلى الله عليه وسلم كان قرآناً

يمشي على الأرض. العبادة ينبغي أن يظهر أثرها في المعاملة. إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. أقول هذا القول وأستغفر الله.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة: أذكر نفسي وإياكم بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من وجد سعة فلم يضح فلا يقربنَّ مصلانا) [رواه أحمد]، هل بوسعك أن تضحي أم لا؟ لا تقل أنا فقير، أيها الفقير المدخِّن، لو أنك جمعت المال الذي تصرفه خلال العام للتدخين، لضحيت في كل عام عن نفسك وأضحية أخرى عن زوجتك عندما توفِّر لنفسك قيمة الدخان فقط.

أيها الإخوة: لا تسرفوا ولا تصرفوا أموالكم في غير ما خلقت من أجله، (من وجد سعة فلم يضح فلا يقربنَّ مصلانا)، وهذا دليل على أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون راضياً على من وجد القدرة على الأضحية فلم يضح.
فالأضحية واجبة عند السادة الحنفية، وسنة مؤكدة عند السادة الشافعية على كل من ملك ثمنها، فتقرَّبوا إلى الله عز وجل بإراقة الدماء، وأحيوا هذه الشعيرة، فإنها سنة نبي الله سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، واشكروا الله بأن الله كلَّفنا أن نذبح شيئاً من الأنعام ولم يكلِّفنا بذبح ولد من أولادنا، تقرَّبوا إلى الله عز وجل بإراقة الدماء فإنه بأول قطرة من دمها يغفر الله لك ذنوبك. لقول النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة فاطمة رضي الله عنها: (يا فاطمة قومي فاشهدي أضحَيَتَك، فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها مغفرة لكل ذنب، أما إنه يجاء بلحمها ودمها توضع في ميزانِك سبعين ضعفاً). قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: يا رسول الله هذا لآل محمد خاصة، فإنهم أهل لما خُصَّوا به من الخير، أو

للمسلمين عامة؟ قال صلى الله عليه وسلم: (لآل محمد خاصة وللمسلمين عامة) [رواه أبو القاسم الأصبهاني عن سيدنا علي رضي الله عنه. وقال الإمام المنذري في كتابه الترغيب والترهيب: وقد حسَّن بعض مشايخنا حديث سيدنا علي رضي الله عنه].

** ** **

51- خطبة عيد الأضحى ١٤٢٨هـ (العيد عودة إلى اللّه تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: بعد كل طاعة وكل عبادة جعل الله عز وجل عيداً لهذه الأمة، وخاصة من أركان الإسلام الصيام والحج، وما هذا العيد إلا من أجل أن يجدد العبد العهد مع الله عز وجل في أن يتحقق بالعبودية لله سبحانه وتعالى، علينا أن نعلم أيها الإخوة بأن العيد إنما هو من العود، والعود والرجوع إلى الله عز وجل مطلوب منا، لأن هذه العبادات التي يأتي بها الإنسان المسلم من صلاة وصيام وزكاة وحج لا تنفع الله عز وجل، ولا تزيد في عظمة الله عز وجل شيئاً، إن أثر هذه العبادة عائد عليك أنت يا بن آدم، وينبغي أن يظهر أثر هذه العبادة في قلبك، لأن العبادة إذا طهَّرت ظاهرك دون أن تطهِّر باطنك فإنها عبادة موهومة بالنسبة لك يا بن آدم، العبادة تطهِّر القلب، فإذا لم يتطهَّر قلبك بالعبادة فإن نار جهنم هي التي تطهِّر ذاك القلب والعياذ بالله.

لذلك أيها الإخوة ينبغي علينا أن ننتبه إلى أنفسنا في أيام العيد، إذا كنت في حالة فرح وسرور لأنك أديت ركناً عظيماً من أركان الإسلام ألا وهو الصيام والحج، وأتيت بواجب من الواجبات ومن جملتها الأضحية، عليك أن تنتبه إلى أثر هذه

العبادات في قلبك، إذا وجدت لها أثراً في قلبك، بأن طهَّرت القلب من الحقد والشحناء والبغض والكراهية والاستكبار، فإن هذه العبادة نافعة لك بإذن الله عز وجل. أما أن يأتي العبد بهذه العبادات وقلبه مشحون لا قدر الله بالكبر والشحناء والبغضاء فإنه لا فائدة من هذه العبادات. ولذلك علينا أن نتنبه إلى أنفسنا أيها الإخوة، أن ننظر إلى قلوبنا بعد أداء هذه الطاعات، انظروا أيها الإخوة في واقعنا، هل يا ترى وأنت في أيام العيد تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتحسن إلى من أساء إليك، يا من تتقرب إلى الله اليوم بالأضحية، ما تنفعك هذه الأضحية إذا كان قلبك مشحوناً بالبغضاء أو كنت قاطعاً للرحم أو عاقاً لوالديك أو متكبراً؟ والحاج الذي وقف على أرض عرفة وأفاض منها، ووقف بمزدلفة وتوجه بعد ذلك إلى منى ورمى جمرة العقبة الكبرى وهو يقول: بسم الله والله أكبر رجماً للشيطان وإرضاء للرحمن، هل يا ترى يتنبه إلى أثر هذه العبادة في قلبه؟ أم إنه ذهب إلى الحج وقلبه مشحون بالبغضاء، وعاد من الحج وقلبه مشحون بالبغضاء، أما تعلمون يا عباد الله قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [رواه البخاري ومسلم].

أيها الإخوة: عباداتنا كثيرة بفضل الله عز وجل، ولكن معاملاتنا بعيدة عن الإسلام كل البعد والعياذ بالله، ربما أن ترى قاطعاً للرحم ومشاحناً وهذه البغضاء والقطيعة والشحناء مرت عليها سنوات عدة، وهو يتقرب إلى الله بزيارة الحرمين الشريفين، أو بالأضاحي أو بالصيام والقيام وتلاوة القرآن، ولكن هذا العبد معاندٌ لآيات الله، ومصرٌّ وملازم للقطيعة والشحناء مهما كلف الثمن، وهذا العبد ينسى قول الله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم * أُوْلَئِكَ

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُم * أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}.

أيها الإخوة الكرام: انظروا إلى أثر العبادة في قلوبكم، هل غيّرت شيئاً في قلبك؟ هل وجدت الرحمة في قلبك بعد أداء الطاعة؟ أنت الآن تخرج من صلاة العيد، أديت صلاة الفجر في جماعة، وأديت صلاة العيد، وذهبت إلى المنحر فتقربت إلى الله بالأضحية، انظر إلى قلبك، هل تجد فيه الرحمة على الزوجة والولد والإخوة والأخوات؟ وهل تجد الرحمة في حق من أساء إليك بأن تعفو وتصفح عنهم رجاء أن يصطلح حال هذا العبد مع الله سبحانه وتعالى.

أيها الإخوة: نحن بأمس الحاجة أن نلتفت إلى قلوبنا، لأن قلوبنا أصبحت قاسية، وامتلأت حقداً وبغضاء وحسداً إلا من رحم الله عز وجل، فيا عباد الله، ينبغي علينا أن نتدارك أنفسنا قبل نهاية الأجل، ولقد سمعتم اليوم بعد أذان الفجر في مكبرات الصوت أن اثنين قد ماتا في هذه الليلة المباركة، لا ندري متى ينتهي أجلنا؟ بأي وجه نلقى الله عز وجل؟ من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه، يا من هجر صديقاً أو أخاً لمدة سنة أنت كأنك سفكت دم هذا العبد، ويا من قطع الرحم بسبب عرض من أعراض الدنيا ما أنت قائل لربك عز وجل يوم القيامة وأنت تتذكر قول الله عز وجل: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم}.

أين أثر العبادة في قلبك؟ أين الرحمة في قلبك من خلال تعاملك في البيع والشراء؟ وأين هذه الرحمة في تعاملنا مع بعضنا البعض؟ انظروا إلى أثر العبادة في قلوبكم، فمن وجد أثر العبادة في قلبه فليهنئ نفسه وليفرح بفضل الله، كما قال مولانا عز

وجل: {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُون}. أما إذا نظرت إلى قلبك فلم تجد أثراً لهذه الطاعات والقربات، ولم تجد أثراً للأضحية ولقراءة القرآن في قلبك، بل وجدت القسوة والبغضاء في قلبك، فأقول لك: تدارك نفسك يا أخي قبل فوات الأوان، بأن تتوب إلى الله عز وجل، لأن الله يدعوك بقوله: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}.

أيها الإخوة: أسأل الله أن يطهِّر قلوبنا من الشحناء والبغضاء، وأن يرزقنا أحسن الأخلاق والأعمال، فإنه لا يرزق أحسنها إلا هو، وأن يصرف عنا سيئ الأخلاق والأعمال، فإنه لا يصرف سيئها إلا هو، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

52- خطبة الجمعة: اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة

+

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: يا من سعيتم إلى استماع ذكر الله عز وجل من خلال أمر الله عز وجل لكم: {إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}، فيا من

سعيتم إلى ذكر الله عز وجل باختياركم، سلوا الله عز وجل أن يجعل هذا الذكر حجة لا علينا يوم القيامة، وأن يكون سبباً لدخولنا الجنة، وألا يكون سبباً لدخولنا نار جهنم، لأن القرآن العظيم إما أن يكون حجة لنا وإما أن يكون حجة علينا، ونرجو الله أن يجعله حجة لنا قائداً لنا إلى الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم.

يا من سعيتم إلى ذكر الله، أُذكركم بما قلته لكم في الأسبوع الماضي، بأنه لا أروح ولا أسعد لحياتك يا أيها الإنسان المؤمن من سلامة صدرك وطهارة قلبك من الحقد والغل والحسد، فإذا ما أردت السعادة والروح والريحان، وإذا أردت سلامة البدن وسلامة الدنيا والآخرة فانظر إلى قلبك، فإن وجدت فيه السلامة والطهارة ومحبة الخير للغير فأنت من أسعد خلق الله. وأما إذا وجدت القلب امتلأ حقداً وغلاً وحسداً فاعلم بأنك أنت الذي أشقيت نفسك، أتعبت جسدك، وأتعبت دنياك، وجعلت آخرتك على خطر عظيم والعياذ بالله تبارك وتعالى.

أيها الإخوة: الإسلام جاء ليجمعنا، وليجعل منا أمة كرجل واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، الإسلام جاء ليجعلنا كالبنيان المرصوص، وليجعل منا وحدة متكاملة بين أتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ألا يُخترق هذا الإنسان المؤمن. ولذلك كان الإسلام حريصاً على سلامة قلوبنا التي بها سلامة مجتمعنا، والتي بها تكاتفنا وتلاحمنا وتعاضدنا على امتثال أمر الله عز وجل. لاحَقَنا الإسلام وتابعنا قبل أن يمتلئ القلب حقداً وغلاً وحسداً، نادانا النبي صلى الله عليه وسلم. هذا هو نبينا أيها الإخوة، عرِّف
وا الناس على نبيكم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الإنسان عدو لما يجهل، ولذلك عاب الله على أقوام فقال: {أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُون}، رسولنا وحبيبنا وقرة أعيننا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حريص علينا أفراداً وأسرة ومجتمعاً، حريص علينا في دنيانا وآخرتنا، وصدق الله القائل: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيم} .. فاسمعوا أيها الإخوة من السيد الأعظم صلى الله عليه وسلم عندما يقول ـ كما يروي الإمام البخاري في صحيحه ـ: (لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا)، يا أيها المؤمن، يا من يقول: رضيت بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، فاسمع إلى المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم بأن هناك المسيء والمساء إليه، والظالم والمظلوم، والقاهر والمقهور، ومع ذلك يقول لنا نحن أتباعه: (لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)، ما أنت قائل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إن خالفت هذا الحديث الشريف؟ عندما تقف في أرض المحشر، وترى الشمس تدنو من الرؤوس بمقدار ميل، ورأيت كما قال مولانا: {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}، ورأيت الناس كل واحد منهم يقول نفسي نفسي، إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو الذي يتكلم ويقول: أمتي أمتي، ما أنت قائل لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن وقفت أمامه يوم القيامة وقلت: يا رسول الله الشفاعة، فإذا سألك وقال لك: يا عبد الله، أنا قلت لكم: (لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)؟ لم كان التقاطع والتدابر والتباغض والتحاسد والهجر لا فوق ثلاثة أيام إنما فوق ثلاث سنوات وأكثر؟ ما أنت قائل لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة؟

أيها الإخوة: رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعنا من أجل سلامتنا في كل عوالمنا، في عالم الدنيا والبرزخ ويوم القيامة، فقال صلى الله عليه وسلم كما يروي أبو داود في سننه: (لا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلاثٍ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلاثٌ فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ فَقَدْ اشْتَرَكَا فِي الأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ) زَادَ أَحْمَدُ: (وَخَرَجَ الْمُسَلِّمُ مِنْ الْهِجْرَةِ).

أيها الإخوة: هذا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حريص علينا، وكلنا آيب وراجع إلى الله، {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم}، الإسلام ربانا بشكل عام هذه التربية التي سمعتموها، ثم توجّه الإسلام إلى الإنسان، لأن الإنسان في حال التدابر إما أن يكون ظالماً وإما أن يكون مظلوماً، والأحب عند الله أن تكون مظلوماً لا أن تكون ظالماً، فتوجّه الإسلام إلى الظالم أولاً.

أيها الإخوة: ربنا عز وجل يقول: {بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَة * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَه}، قد أُثبت لك بأني مظلوم ولست بظالم، وقد تثبت لي بأنك مظلوم ولست بظالم، ولكن أنا وأنت نحفظ قول الله عز وجل: {بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَة}، أعرف نفسي وتعرف نفسك، يا أيها العبد الذي يعرف نفسه تعال وتدبَّر قول الله عز وجل عندما يخاطب الإنسان بشكل عام إن كان ظالماً أو مظلوماً: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}، ليس المهم أن تثبت لي براءتك ولا أن أثبت براءتي، ليس المهم أن ننفي عن أنفسنا الظلم، ولكن المهم أن تكون قرير العين وأنت تعلم بقرارة نفسك أنك مظلوم ولست بظالم، {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}، تفقَّد إيمانك إذا كنت ظالماً، يا أيها المسؤول، يا أيها الحاكم، يا أيها التاجر، يا أيها القوي، يا أيها الزوج، يا أيها الأب، تفقَّدْ إيمانك من خلال قول الله عز وجل: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}، شاء الله عز وجل أن يجعل بعضنا فوق بعض: {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ}، لم يا رب؟ {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً}، اختبار وابتلاء، إياك من الظلم فالله عز وجل يقول: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}، وإن كان في ظاهر الأمر أنه مظلوم وليس بظالم، ولكن أن تعرف قرارة نفسك أنك ظالم أو مظلوم.

واسمع ماذا يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لهذا العبد الذي ظُلم، كما يروي الإمام البخاري: (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ

الْيَوْمَ)، إذا كانت عندك مظلمة، ظلمت المحكوم والضعيف والمرأة والأجير والموظف والمشتري، أو أي مخلوق ممن خلقه الله عز وجل، فتحلَّل منه، لأن المسألة خطيرة، وتصوَّر بأنك إن ظلمت طُلب منك أن تستحل الذي ظلمته، ولكن كيف تستطيع أن تستحلَّ من ظلمتَه من البهائم والعجماوات التي ستسأل عنها يوم القيامة؟ والتي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: (رب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكراً لله تبارك وتعالى منه) [رواه أحمد]، (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) [رواه مسلم]، (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) [رواه مسلم]، ما أنت قائل لله عز وجل أيها الظالم؟ مهما كان مستواك ومرتبتك ومنزلتك، اسمع ماذا يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ)، قبل أن تخرج من دنياك تحلَّل، واطلب السماح والعفو ممن ظلمته واعتديت عليه، وكم من جريمة وقعت في المجتمع، والمجرم ليس بمعروف عند الناس، ولكنه معروف عند الله؟ كم من جريمة أخفيت؟ وكم من بيت هُدِّم من وراء ظالم والظالم لا يعرفه أحد من الناس ولكن يعرفه الله عز وجل؟ تحلَّل منه من قبل أن يكون هناك دينار ولا درهم.

وروى الإمام مسلم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ). هل تدبَّرت يا عبد الله قول الله عز وجل: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا}؟ هل عرفت بأن الظلم وإن كان في ظاهر

الأمر للغير ولكنه في الحقيقة ظلم لنفسك؟ لأنك ألقيت بنفسك إلى التهلكة، ألقيت بنفسك في نار التي قال فيها مولانا عز وجل: {وَقُودُها النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون}.

أيها الإخوة: سامحوني إن قلت ولا أدري قد أكون مسيء الظن، بأن الظلم متفش وقائم في مجتمعنا من كبيرنا إلى صغيرنا، ومن قوينا إلى ضعيفنا، ومن رجالنا إلى نسائنا، ومن حاكمنا إلى محكومنا، فما أنت قائل لربك أيها الظالم يوم القيامة؟ هذه الحياة الدنيا ستنتهي أيها الإخوة {فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}، ولكن المشكلة ما أنت قائل لربك يوم القيامة عندما تقف بين يديه؟ أيها الظالم لنفسه، الظالم لزوجه، ولولده، ولأمته، ولوطنه، ولوظيفته، وللأموال العامة، أيها الظالم الذي يسرق الأموال العامة، ما أنت قائل لربك يوم القيامة؟ تدارك نفسك، (الظلم ظلمات يوم القيامة)، والإسلام حريص علينا ألا يكون فينا ظالم، توجَّه الإسلام إلى الظالم، ثم توجَّه كذلك إلى المظلوم فوجَّهه، الإسل

53- خطبة الجمعة: خطاب الإسلام للمظلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: ذكرت لكم في الأسبوع الماضي أن الإسلام حريص على

تماسك المجتمع، وجاء الإسلام ليجمع وما جاء ليفرق، جاء الإسلام ليجعل منا مجتمعاً كرجل واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. جاء الإسلام وقال: (لا تَحَاسَدُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) [رواه مسلم]. والإسلام جاء ليحقق السعادة للإنسانية كلها، فتوجّه إلى جميع الفئات في المجتمع، وخاطب الجميع بدون استثناء، خاطب الناس كافة بقوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيم}، وخاطب المؤمنين خاصة فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}.

وقلت لكم في الأسبوع الماضي بأن الإسلام تابع المجتمع، وخشي من تمزيق هذا المجتمع إذا ما حصلت مشكلة بينك وبين أخيك المسلم، فتوجّه الإسلام إلى الرجل الظالم وخاطبه بقوله عز وجل: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) [رواه مسلم]، والحديث الذي رواه البخاري وذكرته لكم في الأسبوع الماضي، وأعيده على مسامعكم رجاء من الله أن نحفظ وبعد الحفظ أن نعمل: (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ).

أيها الظالم لا تحسبن الله غافلاً، كن حريصاً على حسناتك من أن تتحوَّل منك إلى غيرك فتصبح مفلساً يوم القيامة، ومن أصبح مفلساً كُبَّ على وجهه في نار جهنم، خسر الدنيا والآخرة. إذا وقعتَ في مشكلة أو ظلم أو تعدٍّ فبادر بالتوبة قبل الموت، لأن الله عز وجل يقول: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}، كلمة جرحت بها شعور إنسان، درهم أكلته على زيد من الناس، احتقار، غيبة، نميمة، سخرية،

أحصاها الله عز وجل عليك يوم القيامة، بادر فتحلَّل منها قبل أن تخرج من الدنيا، عند ذلك تندم ولا ينفعك الندم. رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصح أمين لنا، فخذ بنصيحة سيدنا رسول الله، وخذ بوصية الله عز وجل وبتحذيره بقوله: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}.

وكما توجه الإسلام إلى الظالم توجه إلى المظلوم، وأنا أخاطب المظلوم اليوم، وما أكثر المظلومين في مجتمعنا، وما أكثر الظالمين، توجَّه الإسلام إلى الطبقة الأولى الظالمة، وأما أنت أيها الإنسان المظلوم، فالإسلام حريص على سلامة قبلك وراحة فؤادك، لأن راحة القلب فيها راحة البدن، وسلامة القلب فيها سلامة البدن، (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [رواه البخاري]. فالقلب عندما يكون سليماً من الغلِّ يكون بدنك مرتاحاً، وأما إذا كان في القلب غلٌّ فإن قلبك الصنوبري الذي يضخ الدم قد يتأثر من هذا، وتنعكس الحالة عليك، لذلك كان الإسلام حريصاً عليك يا عبد الله، يا أيها المظلوم، إذا جاءك أخوك متنصلاً من ذنبه ومعتذراً فلا تكن عنيفاً وعنيداً، بل سامح واصفح مرة ومرتين وثلاثة وأكثر حتى تخرج روحك من جسدك، لماذا؟ تعال واسمع ماذا يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما يروي الإمام أحمد: (من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل عذره، كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس)، وصاحب المكس هو شر الناس في أكله للمال الحرام. اعتذر إليك أخوك المسلم، أو زوجتك، أو ولدك، أو محكومك، أو شريكك، أو أخوك أو أختك، فما هو موقفك؟ صاحب المكس الذي يأكل المال الحرام كم عليه من الوزر؟ شيء لا يعلمه إلا الله، إذا اعتذر إليك أخوك فلم تقبل يقول صلى الله عليه وسلم: (كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس).

ويروي الطبراني عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من

تُنُصِّل إليه ـ اعتذر إليه ـ فلم يقبل لم يرد عليَّ الحوض). ما رأيك؟ جاء أخوك، أو زوجتك، أو إنسان أساء إليك، واعتذر ولم تقبل عذره، يقول صلى الله عليه وسلم: (لم يرد عليَّ الحوض)، لأن الشمس تدنو من الرؤوس بمقدار ميل في أرض الموقف يوم القيامة، ويخوض الناس في عرقهم، منهم إلى كعبيه، ومنهم إلى ركبتيه، ومنهم إلى سرته، ومنهم إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق لجماً، اشتد العطش ولا ماء إلا من حوض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، تكاد الأعناق تنقطع من شدة العطش، أتريد أن تحرم من حوض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ وأنت لو شربت شربة من حوضه صلى الله عليه وسلم وخاصة إذا كان بيده الشريفة، لا تظمأ أبداً بعدها؟ ألا ترضى هذا يا عبد الله؟ إذا جاءك أخوك متنصلاً معتذراً فلماذا العناد؟ إذا قلت لي: ذنبه متكرر، أقول لك: وذنبك أنت مع الله هل يتكرر أم لا؟ ألم يقل مولانا عز وجل: {يُحِبُّ التَّوَّابِينَ}، والتوَّاب كثير الأوب والرجوع إلى الله، أنت عبد مذنب خطاء في حق الله عز وجل، وأنت تريد أن يغفر الله عز وجل لك ذنبك، فلماذا لا تغفر ذنب هذا العبد؟ ربنا عز وجل الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك، انظر كيف يعاملك عندما تذنب ذنباً، روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: (أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ). انظر إلى مولاك كيف يعاملك، ألا تعامل خلق الله كما يعامل مولاك خلقه؟ الخلق كلهم عيال الله، إذا اعتذر

إليك إنسان فاقبل عذره، وإلا فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لم يرد عليَّ الحوض).

قد يقول أحدنا: نعم أنا أقبل العذر وأغفر إذا جاء، وإذا لم يأت أتبقى حقوداً حاملاً للغلِّ في فؤادك؟ أيها الإخوة: إذا لم يأتك أخوك معتذراً فاعلم بأنه قد جاءتك آيات الله عوضاً عن أخيك المسيء، من مثل قوله تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين}، اكظم غيظك واعف وأحسن، وجاءك حديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك) [رواه أحمد والبيهقي]. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك، ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك) [رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي مرسلاً]. تدبَّر قول الله عز وجل: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِين}، وجاءك قول الله عز وجل: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}. وتعلمون أن هذه الآية نزلت في حق الصديق رضي الله عنه، الذي أسيء إليه من قبل ابن خالته مسطح رضي الله عنه، فعندما نزلت هذه الآية: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}، ما انتظر الصديق رضي الله عنه أن يأتي مسطح معتذراً، بل قال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه مباشرة: بلى يا رب، فعفى وصفح قبل أن يأتي إليه أخوه.

هكذا ربَّانا الإسلام أيها الإخوة، ربَّاك الإسلام على الصفح قبل أن يأتيك أخوك متنصلاً، فكيف إذا جاءك أخوك متنصلاً؟ وهذا الإسلام ما كان في يوم من الأيام مجرد مبادئ ونظريات خيالية، إنما جُسِّد هذا في شخص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كم أسيء إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وما جاء

القوم معتذرين إليه، تذكرون يوم أحد عندما أُدمي وجهه الشريف، وكسرت رباعيته، ودخل المغفر في وجنتيه، فكان صلى الله عليه وسلم يمسح الدم وهو يقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) [رواه البخاري]. وعندما قيل له: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: (إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة) [رواه مسلم].

أيها المظلوم، سامح الظالم، لأن الظالم لو عرف الله ما تجرأ على ظلمه، لأن الذي يأكل أموال الناس بالباطل لو عرف الله والله ما أكل لقمة من حرام، وخاصة بعد قول الله: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِين * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون}، طفَّف الكيل بغرامات قليلة، له الويل، لو عرف الله ما اجترأ على الظلم بأكل أموال الناس بالباطل، أو ظلم الزوجة أو الولد، ولو عرف الله ما اجترأ على ظلم نفسه، بترك صلاة أو صيام أو بأكل الرشوة أو بأكل مال الحرام، أو بشرب الخمر أو الدخان، لو عرف الله لما ظلم نفسه، لأن جسدك أيها العبد أمانة عندك أنت مسؤول عنها يوم القيامة: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}، لا تكن ظالماً لنفسك، ولا تكن ظالماً لأحد من خلق الله لأن الظلم ظلمات، وأنت أيها المظلوم اعف واصفح لأن الظالم ما عرف الله، فإذا كان الظالم ما عرف الله فأنت أما عرفت الله؟ إن عرفت الله كمعرفة ذاك الرجل الذي قال عنه مولانا عز وجل في القرآن الكريم آمراً سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يتلو علينا نبأه بقوله: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِين * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِين}، واحد عرف الله والآخر ما عرف الله. من عرف الله عذر هذا العبد، لأن هذا الظالم في الحقيقة ما ظلم إلا نفسه، ولأنه تعدى حداً عظيماً من حدود الله، وربنا

يقول في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) [رواه مسلم].

وانظر إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما عرف الله عز وجل ما قابل الإساءة بالإساءة، إنما قابل الإساءة بالإحسان، وقال بعد ذلك مولانا لي ولكم جميعاً: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}، وقال أيضاً: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيم}. فتِّش قلبك، وانظر إلى فؤادك، قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم)، وأشار بأصابعه إلى صدره [رواه مسلم]، فتِّش قلبك هل تجد فيه الغل والحسد والبغضاء والشحناء؟ فلا تجعل قلبك الذي هو محطة نظر ربك أن ينظر إليه بسخط والعياذ بالله، اجعل من فؤادك صدراً سليماً، لتعيش في جنة في الدنيا قبل جنة الآخرة، لأن سمات أهل الجنة: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ}. إذا أردت أن تعيش في جنة الله في الدنيا فعش سليم الصدر، واسمع قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح]، ومن الخلق الحسن أن تعفو عمن ظلمك، وأن تحسن إلى من أساء إليك. اللهم خلِّقنا بأخلاق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأدِّبنا بآداب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأحينا على سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتوفنا على ملة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

ام يريد منا الكمال، أراد من الظالم أن يرجع ويتوب إلى الله، وأراد من المظلوم

أن يعفو وألا يصرّ على البغض الذي في قلبه من نتيجة هذا الظلم، فما هو توجيه الإسلام لنا إذا كنا مظلومين؟ هذا ما سنتحدث عنه في الأسبوع القادم إن أحيانا الله عز وجل، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

54- خطبة الجمعة: ابدأ عامك واختمه بطاعة اللّه عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: يقول الله عز وجل في كتابه العظيم: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ}.

يا أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ربنا جعل أمتنا متميزة، جعلها أمة يقتدى بها، ولا تقتدي بأحد، أمتنا جعلها مولانا عز وجل خير الأمم بما أكرمت من تشريع عظيم {تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيد}. ولكن وبكل أسف هذه الأمة تخلَّت عن كثير من مبادئها وتشريعات مولانا عز وجل اتباعاً لشرق أو غرب، ومن جملة ذلك التأريخ، فالقليل منا الذي يؤرخ بالتاريخ الهجري، ولكن الكثير وبكل أسف يؤرِّخ بالتاريخ الميلادي الذي تبنَّته النصارى، والذي عندما سمعت الكنيسة بأن القوم يريدون أن يجعلوا تاريخاً للبشرية من خلال السنة الهجرية قامت قائمتها ولم تقعد، ونحن الأمر عندنا يسير. وهذه الأشهر التي نؤرخ بها لا نعلم لها أساساً.

ومولانا عز وجل يقول لنا: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} جعلكم أمة متميزة ليقتدى بكم، لأنه بالنهار وبالشمس لا يعرف عدد الأيام ولا عدد الأشهر ولا عدد السنوات، وإنما من خلال القمر يعرف عدد الأشهر والأعوام. فأناشدكم الله أيها الإخوة أن ترجعوا إلى التأريخ بالشهر العربي، ونحن في أول شهر من هذا العام الجديد، في شهر الله المحرم، أن نعتزَّ بإسلامنا، إن كانوا يعتزون بضلالهم وبانحرافهم، فنحن أولى بالاعتزاز بدين الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أيها الإخوة: من بديع حكمة الله عز وجل عندما قال: {مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} جعل آخر شهر في السنة الهجرية شهراً محرماً، وجعل الشهر الأول من العام الذي تستقبله شهراً محرماً، جعل آخر العام في طاعة، واستهل العام الجديد في طاعة جديدة، فآخر الأشهر من السنة الهجرية هو شهر ذي الحجة حيث يكون المسلمون في الديار المقدسة يؤدون أعظم ركن من أركان هذا الدين ألا وهو الحج، ويستقبلون عاماً جديداً بشهر الله المحرم الذي قال فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما يروي الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ). إذا كنا أيها الإخوة نكثر الصوم في شهر رجب الذي هو شهر الله المحرم، وفي شهر شعبان الذي يغفل عنه كثير من الناس كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك شهر الله المحرم الذي نحن فيه، الصيام فيه أفضل عند الله عز وجل من بعد صيام شهر رمضان، فأكثروا فيه من الصيام أيها الإخوة.

هذا الشهر العظيم المبارك شهر المحرم، آخر العام شهرٌ محرم، وبداية العام شهرٌ محرم، ختمت عامك بطاعة، واستقبلت عاماً جديداً بطاعة، فهنيئاً لك إذا كانت بدايتك على طاعة وختمت عامك بطاعة، والويل والحسرة لمن بدأ عامه

بمعصية وختم العام المنصرم بمعصية والعياذ بالله.

يا أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ونحن نستقبل عاماً هجرياً جديداً، أناشدكم الله أن تتذكروا وتحفظوا قول الله عز وجل: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}. هل بوسعنا أيها الإخوة أن نفعل كما يفعل التجار اليوم، التجار قبل نهاية العام المنصرم ومع بداية العام الجديد يقضون أياماً عدة في جرد الحسابات، وسامحوني أن أقول: ربما أن يكون جرد الحسابات عندهم أياماً عدة على حساب صلواتهم، وعلى حساب صلاة الجماعة، وعلى حساب الزوجة والأولاد، وعلى حساب حضور مجالس العلم، يتفرغون تفرغاً كاملاً من أجل جرد الحسابات، حتى يعرف الواحد منهم نفسه هل هو رابح أم خاسر؟ ليتلافى التقصير إن كان خاسراً ليكون رابحاً، لأنه لا يرضى أن يكون خاسراً، وإذا استوى العام المنصرم مع العام الذي قبله بدون أن يحقق ربحاً فإنه يعد نفسه في خسارة، ويتألم عندما يجد الخسارة، ويتألم عندما يجد أمواله قد ضُيِّعت وأكلها الناس عليه، يتألم على شيء فانٍ.

يا إخوتي ويا أحبتي في الله: هل انتفعنا من طريقة التجار في أن نرجع لحساب أنفسنا، لنجعل عملية جرد لأعمالنا في العام المنصرم الذي يقول فيه مولانا عز وجل في كل عمل يقوم به ابن آدم: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}، ويقول الله عز وجل: {وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا} عملك يسجل عليك، فهل بوسعك يا عبد الله أن ترجع إلى صحيفة أعمالك وأنت تتذكر قول الله عز وجل: { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا} هذه الأشهر وجَّهك الله عز وجل إليها بقوله: {فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ}، هل رجعت إلى سجلِّ أعمالك وتذكرت الأيام المنصرمة، اثنا عشر شهراً قد مضت وسُجِّلت عليك أعمالك، وأنت الآن بوسعك أن تصحِّح أعمالك، وكيف تصحح هذه الأعمال؟ أن ترجع وتقلب أيامك الماضية، إن وجدت الطاعة فقل يا رب لك

الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، وإن وجدت الظلم لنفسك أو لغيرك فبادر بالتوبة، وخاصة وقد سمعت مني في الأسبوع الماضي والذي قبله ما هي نتيجة الظالم عند الله عز وجل، {فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ} ارجع وتدارك نفسك بعملية الحساب، لأنك في الحياة الدنيا إن حاسبت نفسك فبوسعك أن تمحو كل خطيئة، بالتوبة والاستغفار والندم وإعادة الحقوق إلى أصحابها، لأنك لا تدري متى ينتهي أجلك يا عبد الله؟ دقات قلبك الآن تعمل، وكل دقة ستسأل عنها يوم القيامة، ولا تدري متى تكون آخر دقة عندك، فإذا جاءت الدقة الأخيرة لقلبك وتوقف طويت صحيفة أعمالك، وعوضاً من أن تحاسب نفسك في الدنيا فتستدرك نفسك بإعادة الحقوق لأصحابها والتوبة لله، سوف يحاسبك الله يوم القيامة، وإذا جاء يوم الحساب لا ينفعك الندم ولا البكاء، وربما لا قدر الله أن لا تنفعك الشفاعة يوم القيامة.

ألم يقل مولانا عز وجل: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَر * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّين * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِين * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِين * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّين * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِين * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين}، انتبه إلى نفسك يا أخي، قبل أن يحاسبك الله عز وجل حاسب نفسك، يقول سيدنا عمر رضي الله عنه:
حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا [رواه الترمذي]، مضى عام كامل أكثر من مئة وستين يوماً مضت عليك، كم صلاة فاتتك؟ وكم صلاة مع الجماعة فاتتك؟ وكم من صلاة الفجر فاتتك؟ وهل قضيت هذه الصلوات؟ وكم ساعة قضيتها في هذا العام المنصرم من خلال قول الله عز وجل: {وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِين}؟ كم من ساعة ومن يوم ومن شهر وأنت تخوض مع الخائضين وفي غفلة عن الله، وأنت تلعب القمار وورق الشدة وتلعب بالطاولة، وأنت أمام التلفاز على القنوات التي جُرِّدت وبكل أسف من القيم والأخلاق؟ كم من ساعة وأيام وأشهر قضيتها على مواقع الإنترنت؟ وكم من ساعة قضيتها في معصية الله عز وجل؟ هلا حاسبت

نفسك، وربك عز وجل يقول: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}. كم مرة نافقت لصاحب مال ولصاحب جاه وسلطان؟ {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}، {يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا}، هلا حاسبنا أنفسنا أيها الإخوة، هل أديت زكاتك في العام المنصرم؟ هل أكثرت من الصدقة؟ فكر يا أخي وأنت الذي أكلت في العام المنصرم ربما أكثر من نصف طن من الطعام من رزق الله عز وجل، وقد تقوَّى بدنك، سمعك وبصرك ويدك ورجلك وفؤادك، على أي شيء تقوَّى هذا البدن؟ هل تقوَّيت على طاعة الله أم على معصية الله؟ في العام المنصرم كم مرة أكلت الرشوة؟ وكم مرة أكلت أموال الناس بالباطل؟ هل أعدت الحقوق إلى أصحابها، لا تنس قول الله عز وجل: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}.

كم مرة سببت زوجتك؟ وكم مرة تكلمت معها بكلمات لا تليق أن تصدر من إنسان عاقل نحو أم أولاده؟ كم مرة ظلمت زوجتك؟ وكم مرة قهرتها؟ عام منصرم أحصاه الله عز وجل ونسوه، هلا فكرت يا عبد الله في العام المنصرم كم مرة ختمت القرآن العظيم؟ وكم مرة سبحت بحمد الله؟ لأنه مطلوب منك أن تكثر من التسبيح، كم مرة صليت على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ عام كامل كم مجلس للعلم حضرت فيه؟ فكر في نفسك يا عبد الله، لا تكن حريصاً على ما يفنى، كن حريصاً على ما يبقى، فكر في العام المنصرم كم مرة وصلت رحمك وكم مرة قطعتها؟ فكر في العام المنصرم، كم أصلحت بين المتخاصمين وكم أفسدت بينهم؟ {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون}، في العام المنصرم رزقك الله الكثير كم صرفت على دخانك وكم تصدقت لله عز وجل؟ فكر يا أخي، صرفت المال في شرب الدخان، وصرفت الوقت في لعب الورق، وربما يتساءل البعض ما هو حكم اللعب بالورق والطاولة وما شاكل ذلك؟ {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُون}، ما أنت قائل لربك يا من يضيع الوقت والمال؟ إنسان مثلك في كل يوم يقرأ أكثر من جزء من القرآن، وأنت في كل

يوم تقضي أكثر من ساعة بلعب الورق، رزقك الله المال الكثير صرفته في الغفلة واللهو ومعصية الله عز وجل، ما أبقيت لنفسك يوم القيامة؟ أما تعرفون أيها الإخوة بأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم كان عند أهله شاة أرادت أن تموت، قالت عائشة: فذبحناها فقسمناها، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا عائشة، ما فعلت شاتكم؟ قالت: أرادت أن تموت فذبحناها فقسمناها ولم يبق عندنا منها إلا كتف، فقال: الشاة كلها لكم إلا الكتف [رواه البيهقي في السنن الكبرى]. ويقول صلى الله عليه وسلم: (يقول ابن آدم مالي مالي، قال: وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت) [رواه مسلم]، رزقك الله المال فتعصي الله فيه ولا تصرفه في طاعة الله، سلوا المدخنين في كل يوم كم يتصدق؟ وفي كل يوم عنده الاستعداد أن يدفع خمسين ليرة وأكثر ليحرق نفسه ويحرق المال ويؤذي المجتمع، ويذهب هذا المال لهؤلاء الذين يحاربون الإسلام ليلاً ونهاراً.

أيها الإخوة: ربنا عز وجل يقول: {فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ}، لأن كل شيء يكتب علينا وسيعرض علينا يوم القيامة، {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}، أنصحك يا أخي وأنصح نفسي أن نقرأ كتابنا في حياتنا الدنيا لأننا بوسعنا أن نصحح، أما إذا لم نقرأ الكتاب إلا في يوم القيامة، فاعلم أنك إن قرأته في تلك الدار ولم تقرأه في هذه الدار سوف تحكم على نفسك يوم القيامة بأنك من الأشقياء والعياذ بالله.

أيها الإخوة: هذا عام جديد أقبل علينا، فهل نعاهد الله عز وجل أن نكون على قدم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ أن نعتبر من الإخوة التجار، أن نجرد أعمالنا، فما وجدنا من خير حمدنا الله عز وجل، وما وجدنا من غير ذلك استغفرنا الله عز وجل، فلنكثر من الاستغفار، ولنكثر من التوبة، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

55-خطبة الجمعة: إياك والظلم في الأشهر الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: ذكرت لكم في الأسبوع الماضي قول الله عز وجل: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ}، وقلت أيها الإخوة: هذه الآية الكريمة دعوة من الله عز وجل لنا ألا نظلم أنفسنا، لأن عاقبة الظلم وخيمة في الدنيا قبل الآخرة، أما رأيت ظالماً كيف انتقم الله عز وجل منه؟ أما رأيت ظالماً كيف صبَّ الله عز وجل عليه البلاء صباً والعياذ بالله تبارك وتعالى، فلم يجد ذلك

العبد ولياً له من دون الله ولا نصيراً؟ أما رأيت ظالماً عاش حياته وخاصة في المرحلة الثالثة من عمره عندما بلغ الضعف والشيبة فلم يجد معيناً له ولا ناصراً ولا مفرِّجاً لكروبه؟ عاقبة الظلم وخيمة أيها الإخوة في الدنيا قبل الآخرة، في الآخرة يقول مولانا عز وجل: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء}، ولكن رحمة الله واسعة أيها الإخوة، يا أيها العبد الذي خاطبك مولانا عز وجل بقوله: {فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ}، إذا قلت لمولانا: يا رب إني قد ظلمت نفسي، وتعدَّيت الحدود وأريد أن أتوب فهل تقبل توبتي؟ كلنا يعلم أيها الإخوة بأن الله عز وجل فتح باب التوبة للجميع، ويقبل التوبة عن عباده ما لم يغرغر العبد وما لم تطلع الشمس من مغربها.

لذلك نقف أمام قول الله عز وجل وهو يخاطب الناس وخاصة الفئة المؤمنة بقوله: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}، لا تنتظر توبة أهل الكتاب والمشركين والفسقة المارقين من دين الله عز وجل، لأن هؤلاء لا يعتقدون بيوم القيامة ولا يفكِّرون به، يعرفون حياتهم لها بداية ونهاية ولا بعث بعد النهاية، يقولون: {مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ} وانتهت المسألة عندهم. أما أنا وأنت فيقول مولانا عز وجل لنا: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}، أولست أنت المؤمن بأن الجنة حق وأن النار حق، أولست أنت مؤمن بقول الله عز وجل: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِير}، وبقول الله عز وجل: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا} وبقوله سبحانه: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا}، وبقوله عز وجل: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ}، أيها المؤمن يخاطبك مولاك بقوله: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ}، أيها الشاب المؤمن والفتاة المؤمنة، أيها الحاكم المؤمن والمحكوم المؤمن، أيها الرجل المؤمن والمرأة المؤمنة، يخاطبنا مولانا جميعاً

بقوله: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ}، من أجل ماذا يا رب؟ ولمصلحة من؟ إذا تبنا أتنتفع من توبتنا؟ وإذا تبنا أيزيد في ملكك؟ وإذا تبنا أيزاد في عزتك؟ لا أبداً أيها الإخوة، {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}، من أجل مصلحتكم، يقول ربنا في الحديث القدسي: (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) [رواه مسلم]، إنما من أجل مصلحتكم، لأن العبد ـ ونعوذ بالله أن نكون من الغافلين ـ إذا كان في غفلة عن الله يفعل بنفسه كما يفعل العدو بعدوه، كيف تفعل هذا بنفسك وأنت المؤمن بعالم البرزخ وما بعده؟ وأنت المؤمن بقول الله عز وجل: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَاب}.

الله يخاطبنا بقوله: {فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ}، ولكن الظلم قائم على قدم وساق، وإن قلت: قد يكون هذا سوء ظن منك بالمسلمين، أقول: إن واقعنا يدلُّ على ظلمنا لأنفسنا، انظروا أيها الإخوة إلى البلاء الذي يُصب صباً، والأمر يُضيَّق ويُضيَّق على المسلمين، وهذه سنة الله في خلقه في حق أهل الإيمان، أن يضيق عليهم ليرجعوا إلى الله عز وجل. قال لي بعضهم: لماذا لا نصلي صلاة الاستسقاء؟ قلت: يا أخي، صلاة الاستسقاء لا تكون فرادى في المساجد، وإنما ينبغي أن تكون صلاة الاستسقاء بأمر ولي الأمر، قال: وما علاقة ولي الأمر بالأمر بصلاة الاستسقاء؟ قلت له: حتى يتعلم الناس جميعاً أن ولي الأمر فقير إلى الله عز وجل، وبحاجة إلى الله عز وجل، ليرعى هذه الأمة، فينبغي أن يعلن ولي الأمر عن عجزه وفقره وحاجته وحاجة الأمة إلى الله عز وجل، ليخرج ولي الأمر مع الأمة يتضرعون إلى الله عز وجل. صلاة الاستسقاء لا تكون من رُوَّاد المساجد، لأن رُوَّاد المساجد هم صمَّام الأمان للأمة جميعاً، إن صلاة الاستسقاء تكون من ولي الأمر إلى أصغر واحد، مع الأطفال والبهائم، أن يخرجوا جميعاً، فيلتقي العاصي مع الطائع، ويلتقي البعيد مع القريب من الله عز وجل، ليعلن الجميع توبتهم إلى الله عز وجل.

انظروا أيها الإخوة إلى آثار ظلمنا لأنفسنا، القحط مع الغلاء، والقحط مع الابتلاء، والغلاء مع عدم الوجود، فقر مع الابتلاء مع الأسقام والأمراض والأوجاع، مع قهر الأعداء، لماذا أيها الإخوة؟ يخاطبنا مولانا: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ}، والصورة عكسية، في كل يوم نزداد معاصي ومخالفات، وفي كل يوم يزداد عدد الفاجرات والمتبرجات، وفي كل يوم يزداد عدد المرابين، ويزداد عدد المنافقين، ويزداد عدد المرتشين، ويزداد عدد الراشين، ويزداد عدد الكاذبين، ويزداد عدد المدخنين، ويزداد عدد شاربي المخدرات، ويزداد عدد شاربي الخمر، وفي كل يزداد العصاة عصاة والعياذ بالله، والله يقول: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون} لماذا نتوب أيها الإخوة؟ في كل يوم يزداد عدد الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، وفي كل يوم يزداد عدد الذين يسرقون من الأموال العامة، من الكهرباء والمياه والهاتف، وفي كل يوم يزداد عدد الإساءة للأموال العامة ولا ترعى كما ينبغي أن ترعى تلك الأموال العامة، ما السر في هذا أيها الإخوة مع أننا نجني ثمار هذا الظلم وهذا التعدي وهذه المعاصي؟

السر في هذا أيها الإخوة هو إمهال الله، ونحن كلنا يعلم ويحفظ بأن الله يُمهل ولا يُهمل، كلنا يعلم بأننا جميعاً حاكمين ومحكومين في قبضة الله، وكلنا يعلم أننا جميعاً تحت قدرة الله عز وجل، وطالما أن الجميع في قبضة الله وفي قدرة الله جل في علاه، فمن مظاهر رحمته أنه لا يعجِّل العقوبة، بل يُمهل، عسى أن تتوب يا عبد الله، {مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ}، يريد الله منك تائباً عبداً مصطلحاً مع الله، لأن الله قال: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}، ومن تكريم الله لك أن خلق جنة عرضها السماوات والأرض ودعاك إليها، ولكن عندما يصرُّ العبد على المعصية فمن مظاهر رحمة الله أنه يُمهل هذا العبد عسى أن يتوب ويرجع إلى الله عز وجل، ولكن الإمهال مع طول الأمل. ولعلك أن تحفظ هاتين الكلمتين. إمهال من الله وطول أمل منك حجباك عن توبتك لله عز وجل، وإلا لو كان الله عز

وجل يعاجلنا بالذنب بإنزال العقوبة مباشرة لما رأيت عاصياً، وعند ذلك لا يتحقق الاختبار، لأن الاختبار والابتلاء من الله أن يمهلك الله عز وجل من أجل أن تتوب من تقصيرك في فعل الأوامر ومن جرأتك على معصية الله عسى أن تتوب إلى الله، فإذا ما أصرَّ العبد أمهله الله، ويعطيك مولانا بين الحين والآخر صورة من صور الانتقام، ترى عبداً ظلم فأخذه الله مباشرة.

حدثني بعضهم بأن قضية رُفعت إلى القاضي، والقاضي يعلم علماً يقينياً أن صاحب الدعوى مظلوم، ولكن الظالم جاء بشاهد زور، وما أكثر شاهدي الزور في زماننا أيها الإخوة، دخل الرجل، والقاضي محكوم بحسب الظاهر، لا يحكم من خلال ما يعلم بالحقائق، إنما يحكم من خلال الظاهر، فجاء شاهد الزور ووضع يده على كتاب الله، وأقسم يميناً بالله ألا يقول إلا الحق، فما قال كلمة حق أبداً، وإنما قال الكذب، فما خرج من باب مكتب القاضي حتى وقع مغشياً عليه، وما هي إلا لحظات حتى مات هذا العبد واسودَّ وجهه.

يعطيك الله عز وجل بين الحين والآخر صوراً من أجل أن تتوب، انظر إلى شارون هذا العبد المجرم، والعاقل من اتعظ بغيره، والأحمق الذي لا يتعظ إلا بنفسه، لماذا لا نتوب أيها الإخوة وواقعنا يدعونا؟ واقعنا الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والأسروي وواقع الأمة جملة وتفصيلاً يدعو الأمة أن تتوب إلى الله، أين التائبون لله عز وجل؟ لماذا لا نتوب؟ طول الأمل مع إمهال الله عز وجل لنا، مع أننا لو عرفنا ثمرات التوبة لأسرعنا إلى التوبة بكل نفس من أنفاسنا، فما هي ثمرات هذه التوبة؟ وما هي آثار هذه التوبة في حياة الأمة على مستوى الأفراد والجماعة؟ نتحدث عنه إن أحيانا الله عز وجل في الأسبوع القادم، ولكن من الآن نعلن توبتنا إلى الله، ونقول كما علمنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي

فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) [رواه البخاري]. اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

56- خطبة الجمعة: وتوبوا إلى اللّه جميعاً أيها المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: ذكرت لكم في الأسبوع الماضي قول الله عز وجل: {وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون}، وقلت فيما قلت: إن خير التوبة عائد على التائب، لأن معصيتنا لا تضر الله عز وجل، كما أن طاعتنا لا تنفع الله سبحانه وتعالى، إن خير الطاعة عائد علينا، وإن شر المعصية عائد علينا، والمعصية ما هي إلا معول يهدِّم كيان العاصي، إن كان على مستوى الفرد، وإن كان على مستوى الأسرة، وإن كان على مستوى الأمة.

المعصية معول يهدِّم كيانك يا بن آدم، يهدم نعمة الله التي أسبغها الله عز وجل عليك فضلاً ونعمة. المعصية تذهب بالنعمة، وتجلب الشقاء، إن كان على مستوى الفرد أو الأسرة أو الجماعة أو الأمة، ولذلك قال العلماء: التوبة واجبة على الفور بعد المعصية، لأنك لا تدري متى ينتهي أجلك، إذا انتهى أجل العبد

بعد المعصية وبدون توبة لله عز وجل فليتذكر قول الله عز وجل: {وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}. وإرجاء التوبة معصية ثانية، إذا أرجأت التوبة والاستغفار لله عز وجل بعد المعصية لساعة أو يوم أو شهر أو سنة فأنت في معصية ثانية ولو لم تعص الله عز وجل، لأن التوبة واجبة على الفور، وتأخيرها معصية، وكم وكم نسمع من رجال ومن نساء أنه يؤجل التوبة إلى الحج أو العمرة، أو حتى يوسّع الله عز وجل عليه، أو حتى يتزوج، أو ينهي الخدمة الإلزامية، أو يؤمن لنفسه عملاً، وتؤجل المرأة التوبة حتى تتزوج أو يأتيها الولد أو تشتري مسكناً.

أيها الإخوة: إرجاء التوبة معصية، وأنت لا تدري يا بن آدم متى ينتهي أجلك، لماذا نهدِّم بمعاصينا نعمةَ الله عز وجل؟ ربنا قال: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} ربنا كرَّمنا، وما خلقنا إلا ليسعدنا في الدنيا والآخرة، وبيَّن لنا بأن السعادة في الإيمان والعمل الصالح، والشقاء في الكفر ومعصية الله عز وجل، قال تعالى: { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}.

أيها الإخوة: المعصية دمار للدنيا والآخرة، وشقاء للعاصي ولمن رضي بالمعصية في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً}، ينبغي علينا أن نكون آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر من أجل مصلحتنا، إذا أردت السعادة فكن آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ولا تكن شيطاناً أخرس ترى المعصية فتسكت، وترى التقصير بالواجب فتسكت، لأن الأمر يتعلق بك ولا يتعلق بالعاصي فقط. اقرؤوا أيها الإخوة قول الله عز وجل: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُون}، لأن مولانا عز وجل

يقول: { وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}، إذا كفر العبد نعمة الله عرَّض النعمة للزوال، بعد الأمن والإطعام جاء الخوف والجوع، وإذا كان الإنسان يعيش بين الخوف والجوع فما هذه الحياة التي يعيشها هذا العبد؟ إنما هي حياة عذاب وشقاء وضنك في الحياة الدنيا والآخرة.

لذلك ربنا عز وجل دعانا إلى التوبة وأوجبها علينا على الفور، لأن الله أخفى عليك نهاية أجلك، وحذَّرك بأنك إذا متَّ على معصية ربما أن تموت لا قدر الله وأنت مجرَّد من الإيمان. هل عرفت هذا؟ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) [رواه البخاري ومسلم]، فلو أن العبد مات بعد الزنى أو شرب الخمر أو السرقة مباشرة بدون توبة فما هو قائل لله عز وجل؟ وإن الزنى وأكل أموال الناس بالباطل وشرب المخدرات والخمور قائم على قدم وساق.

أيها العاصي المذنب، أما قرأت قول الله عز وجل: {فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ} لماذا هذا الظلم لنفسك؟ أنت تدمِّر نفسك في الدنيا وفي الآخرة، فما أنت قائل لله عز وجل؟ بالله عليك أيها العاصي هل وجدت خيراً في المعصية؟ أو في المال الحرام، أو في الزنى، أو في شرب الخمر، أو في الكذب؟ ماذا وجدت في معصية الله عز وجل؟ ما وجدت وربِّ الكعبة إلا الشقاء والتعب؟ إلا إذا كان قد طمس على بصيرة العبد والعياذ بالله وختم على قلبه فهذا صار إنساناً أحمق لا يتلذَّذ إلا بالمعصية، كما أن الإنسان الذي أصيب بالجرب لا يتلذَّذ إلا بالحك والعياذ بالله تبارك وتعالى، وصارت المعصية عند هذا العبد كسباً لا اكتساباً، صارت المعصية عنده سهلة والطاعة صعبة، أما الأصل في الإنسان فأن تكون معصيته لله فيها تكلُّف ومشقة وتعب، لأن الأصل أنك لله طائع، وطاعتك تأتي بها بدون تكلف، أما إذا انعكست الآية فصارت طاعتنا اكتساباً بالجهد والتعب والمشقة حتى نأتي بها، أما المعصية فصارت كسباً وسهلة عندنا والعياذ بالله، فهذا

العبد أصبح على خطر عظيم.

يقول تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ} توبتك لا تنفع إذا وقعت في سياق الموت، بادر للتوبة، واسمع ماذا يحدثنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما يروي الإمام مسلم: (إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار حتى تطلع الشمس من مغربها). إن اقترفت إثماً في الليل فتب إلى الله في النهار، وإن اقترفت إثماً في النهار فبادر بالتوبة في الليل، لأن يد الله مبسوطة من أجلك يا بن آدم، يدعوك وهو غني عنك، وتكون معرضاً عنه وأنت مفتقر إليه، هذا شأن الإنسان الأحمق. الله غني عن خلقه وعن كل موجود، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد}، وما من شيء إلا وهو فقير إلى الله، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ}، فيا أيها الفقراء يدعوكم الله إلى التوبة والإنابة، وثقوا تماماً بأننا إذا حقَّقنا شروط التوبة بالإقلاع عن المعصية والندم على ما فعلنا والجزم على ألا نعود وأن نعيد الحقوق إلى أصحابها، فربنا عز وجل يقول: {وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا}، وأما إذا أصرَّ العبد على معصية الله عز وجل فإن الله يمهله، ثم إذا أصرَّ أخذه مولانا عز وجل أخذ عزيز مقتدر، فهل من تائب لله عز وجل؟

ونحن أيها الإخوة نتطلع إلى قطر السماء، ونتطلع إلى أن يغيثنا الله عز وجل، لماذا لا نتوب إلى الله من أجل مصلحتنا؟ فتعالوا من أجل مصلحتنا ومصلحة أمتنا وأصولنا وفروعنا وذرارينا أن نتوب إلى الله عز وجل، وأن نجتنب المعصية، لأن المعصية معول يهدِّم كيان المجتمع والعياذ بالله تبارك وتعالى. أسأل الله أن يرزقني وإياكم توبة صادقة نصوحاً، لأن مولانا عز وجل يحب التوابين، أما قرأنا قول الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِين}، فتعالوا أيها الإخوة لنتوب إلى الله عز وجل، لأنه بالتوبة يغفر الله عز وجل لنا ذنوبنا، قال تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}، تعالوا أيها الإخوة لنتوب إلى الله من

أجل أن نكون من المفلحين، لقوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}، تعالوا لنتوب إلى الله عز وجل من أجل أن يجعل مولانا سيئاتنا حسنات، لقوله تعالى: {إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}، تعالوا لنتوب إلى الله عز وجل لأنه بتوبتنا لله يجعلنا الله عز وجل مع النبي والذين آمنوا معه يوم القيامة، وذلك من خلال قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}، وإذا أردتم قطر السماء فأكثروا من الدعاء، وأكثروا من الاستغفار، كما قال سيدنا نوح لقومه: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا}، وتذكروا قول الله عز وجل حاكياً لنا ما قال سيدنا نوح عليه السلام لقومه: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِين}.

ويا ليت أهل فلسطين وأهل العراق وأهل سوريا وجميع الفئات المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها أكثروا من الاستغفار حتى يزيد الله عز وجل في قوتهم، ولكن المعصية ـ ورب الكعبة ـ هي التي حبست قطر السماء، وهي التي سلطت القردة والخنازير الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، سلطهم الله عز وجل علينا، فهل من تائب أيها الإخوة؟ طوبى لعبد اعتبر، وطوبى لعبد تذكَّر، وطوبى لعبد كان سبب خير لوطنه ومجتمعه والإنسانية جمعاء، وويل ثم ويل لمن كان سبباً في الدمار والعياذ بالله.

أيها الإخوة: ربنا ما قال لنا في القرآن العظيم لا تذنبوا، إنما قال: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ}، لأن نبينا صلى الله عليه وسلم يقول لنا: (كل بني آدم خطاء) [رواه ابن

ماجه]، فليست المشكلة في الخطأ والذنب، ولكن المشكلة في الإصرار وعدم التوبة وعدم الرجوع إلى الرشد والصواب، وفي عدم إعادة الحقوق لأصحابها.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وألهمنا رشدنا برحمة منك يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

57- خطبة الجمعة: {لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: تذاكرنا في الأسبوعين الماضيين فيما بين بعضنا البعض بوجوب التوبة ووجوب الإنابة والرجوع إلى الله عز وجل، فخاطبنا مولانا بقوله: {وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون}، وعرفنا ثمرات هذه التوبة، والتي من جملتها أن تكون حبيب الله إذا تبت إليه، وإذا تبت إلى الله عز وجل بدَّل الله سيئاتك حسنات، وجعلك ربنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين يقولون: {رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}.

وتناصحنا أن نتوب إلى الله عز وجل، وإنني اليوم أتوجه إلى نفسي وإليكم بأن نركز على أمرين اثنين، ألاَّ نكون فيهما من الظالمين، لأن الأمرين فيهما تعدٍّ لحدود الله عز وجل، وتعلمون أيها الإخوة قول الله عز وجل في حق الذي يعصي الله ورسوله ما هي نتيجته يوم القيامة: {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا}، وتعرفون قول الله سبحانه وتعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}.

أيها الإخوة: أمران ينبغي أن نتنبه إليهما، الأمر الأول والذي تساهل فيه الكثير من الناس وخاصة بالنسبة لشبابنا الذين نُزوِّجهم دون أن نعرِّفهم ونعلمهم أحكام الله عز وجل في مسألة الزواج، من منكم أيها الإخوة ـ وأنا أخاطبكم أنتم السامعون ـ زوَّج ولده وأجلسه وعرَّفه على أيمان الطلاق التي ينبغي عليه أن

يجتنبها؟ من منكم . أنتم روَّاد بيوت الله عز وجل . زوَّج ولده وقال له: يا بني أتعرف ماذا يترتب على الطلاق إذا خطر في بالك يوماً من الأيام أن تتلفظ بكلمة الطلاق؟ سامحوني أن أجيب بأن جُلَّنا ما تنبَّه إلى هذا، ولكن عندما نتحدث عن الزواج يجلس الآباء والإخوة والأخوات جلسات عديدة، ويخططون: أين ستكون حفلة الرجال وحفلة النساء؟ من هو المنشد؟ ومن هي المنشدة؟ لمن ندعو إلى عقد الزواج وإلى الزواج؟ ما هي الضيافة؟ أينبغي أن تكون هناك ضيافة في حفل الزواج أم لا؟ نجلس سويعات فيما بين بعضنا البعض في مجلس أسروي نتحدث عن هذا، أما عن مسائل خطيرة تتعلق بديننا وبآخرتنا فالكل نائم إلا من رحم ربي.

أيها الإخوة: صورة من الصور تتعلق بالطلاق ينبغي علينا أن نتوب إلى الله عز وجل منها، هل سمعتم بأن مسلماً في بلدتنا هذه طلَّق زوجته وألزم زوجته بأن تجلس في بيت الزوجية لقضاء عدتها؟ تساءلوا أيها الإخوة فيما بينكم وبين أنفسكم، الطلاق كثير أيها الإخوة، إن سألت طلبة العلم يقولون لك الطلاق كثير وكثير، وكذلك المحاكم الشرعية، ولكن أين تقضي المرأة عدتها؟ ظلم ما بعده، وتعدٍّ لحدود الله أيما تعدٍّ، وهذا ليس من كلامي أيها الإخوة، وإنما هو من كلام الله عز وجل، يا أخي أنت عبدٌ لله، وأنت مسؤول يوم القيامة عن هذا القرآن العظيم، هل حلَّلنا الحلال وحرَّمنا الحرام ووقفنا عند حدوده؟ ما أنت قائل لمولاك.

تعال واسمع يا أخي وأسمع أولادك وبناتك وأصهرتك وكناتك ومن حولك قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} أوما سمعت قول

الله عز وجل: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}، تعالوا أيها الإخوة على مستوى الأزواج والزوجات وعلى مستوى أولياء الزوجات وأولياء الأزواج، الله يقول: {لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ} والخطاب لكل من سوَّلت له نفسه أن يخرج الزوجة بعد الطلاق من بيت الزوجية، أيها الزوج لا تخرج زوجتك، ويا ولي الزوجة لا تخرج ابنتك وإن وقع الطلاق، ويا ولي الرجل لا تأمر ولدك أن يخرج زوجته بعد الطلاق من بيتها حتى تنقضي عدتها. {لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ} أثبت الله عز وجل البيت لها، وقد يقول قائل: البيت لي، من قال لك إن البيت لك؟ تقول: أنا أذهب إلى السجل العقاري وآتيك بالسند، أقول لك: هذا السند من السجل العقاري يثبت أن البيت لك، وأنا آتيك بنصٍّ من كتاب الله يقول لك البيت للزوجة، فأيهما أصدق؟ قرار الله أم قرار السجل العقاري؟ لأن الملك لله وليس لك ولزوجتك، أثبت الله لها ملك البيت في فترة العدة وإن كان مسجَّلاً باسمك، لأن النتيجة أنك ستخرج من هذا البيت إلى قبرك، وستخرج المرأة من بيتها إلى قبرها، وأنت وإياها ستقفان بين يدي الله عز وجل.

ويتوجه الخطاب للمرأة: {وَلاَ يَخْرُجْنَ}، أنت أيتها المرأة يحرم عليك الخروج، لا يجوز للمرأة أن تخرج من بيت الزوجية، وإنما تقول لزوجها المطلِّق: الله يأمرني بالبقاء هنا وأنت تأمرني بالخروج، فأيّ الأمرين أقدم؟ أين نحن من قول الله عز وجل: {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا}. قد تقول: طلقتها وتبقى في بيت الزوجية؟ نعم، وربما أن يكون الطلاق بائناً بينونة كبرى، أي لا تحل المرأة لزوجها حتى تنكح زوجاً غيره، أتبقى في بيت الزوجية؟ نعم، لأن ربنا ما فرَّق بقوله عز وجل: {لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ}، بين طلاق رجعي وبين طلاق بائن بينونة صغرى، وبين طلاق بائن بينونة كبرى. ولكن قال الفقهاء: إذا كان الطلاق ثلاثاً

ولا تحل المرأة لزوجها حتى تنكح زوجاً غيره، ولم يكن عنده إلا غرفة واحدة، أوجب عليه الشرع من خلال قوله تعالى: {لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ} أوجب الشرع على الزوج أن يخرج من البيت، حتى لا تتم الخلوة بينه وبين هذه المرأة التي لا تحل له حتى تتزوج غيره، يأمره الله بالخروج لأن البيت بنص القرآن هو بيت المرأة، وأما هذا البيت في السجل العقاري فسيرجع إليك بعد أيام عندما تنقضي عدتها، تخرج من بيتك المسجَّل في السجل العقاري وتسلم هذا البيت لهذه المرأة حتى تنقضي عدتها.

أين نحن أيها الإخوة من هذا؟ أين نحن من حدود الله عز وجل؟ لماذا نتجاوز حدود الله سبحانه وتعالى؟ لماذا لا نعلِّم أولادنا هذه الأحكام حتى يحسب أحدهم ألف حساب إذا أراد أن يتلفظ بكلمة الطلاق؟ ولكن عندما هانت كلمة الطلاق على ألسنتنا فإنك ترى الكبير والصغير والقاصي والداني: عليه الطلاق وعليه الحرام وهي طالقة وعليه الطلاق بالثلاثة، وما شاكل ذلك، ولا يخشى الله والعياذ بالله. وكثير أيها الإخوة من يطرد زوجته، وكثير من يأتي بابنته من بيت الزوجية بعد الطلاق، هذا عاص، وذاك عاص، والمرأة عاصية، وتصوَّروا كم تتعدد المعاصي وكم يتعدد العصاة؟ وكل معصية تجرُّ وبالاً على الأسرة وعلى الأمة، وينبغي علينا أن يذكِّر بعضنا بعضاً بحدود الله.

المسألة خطيرة أيها الإخوة، بعد قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ}، التعدي لحدود الله قائم أيها الإخوة، من منكم يجترئ أن يتعدى حدود القانون إذا كان فيه عقوبات صارمة؟ أتخشون الناس ولا تخشون الله؟ يا سبحان الله، الله يقول: {تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا}، ويتعدى الإنسان حدَّ الله عز وجل، فما أنت قائل لله

سبحانه وتعالى؟

هذا الأمر الأول، وأما الأمر الثاني فإني سوف أرجئه للأسبوع القادم، المهم في هذا الأسبوع أن تعلم هذا الحكم الشرعي، وأرجو الله ألا يحيجك ربنا إلى مسألة الطلاق، ولكن أقول لمن راودته نفسه أن يطلِّق: إنك تطلق لأنك حياتك جحيم، فلا تزد حياة الجحيم جحيماً بأن تتعدى حدود الله عز وجل بعد الطلاق فتخرج زوجتك من بيتها، وأسأل الله أن يجعل من الآباء والأمهات عوناً للأبناء على الوقوف عند حدود الله.

أيها الأب، أيتها الأم، إذا كان الواحد منكم حريصاً على ولده فليُلزم ولده بالتزام الحدود، والتي من جملتها: {لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ}، هذا فضلاً عن دفع مهر المرأة المقدم والمؤخر والذهب واللباس وما شاكل ذلك، مع نفقة العدة. أرجو الله عز وجل أن نلتزم بذلك، ونحن نتضرع إلى الله أن يصرف البلاء عن المسلمين في العراق وفلسطين، وأن يغيثنا مولانا، فيا من هو صادق في دعائه لله كن وقافاً عند حدود الله، لأن التزامنا بحكم شرعي خير لنا من أن نُمطَر أربعين صباحاً ورب الكعبة، ولكن إذا عطَّلنا حدود الله عز وجل ولو أُمطرنا صباحاً ومساء فإن الحسرة ستكون يوم القيامة عندما يقول بعضهم والعياذ بالله ونرجو الله ألا نكون منهم: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ}، أو يقول: {رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ}.

اللهم لا تجعلنا من النادمين عند سكرات الموت، واجعلنا يا ربنا من الوقافين عند حدود شريعتك، ومع الموضوع الثاني في الأسبوع القادم بإذن الله عز وجل، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

58-خطبة الجمعة: {لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل }

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأنه يجب علينا جميعاً أن نتوب إلى الله عز وجل، وينبغي على العبد أن يتوب قبل أن يموت، وأنت لا تدري متى موتك، فكن حريصاً على التوبة في اللحظة التي أنت فيها، وإلا فإن العبد سيندم ولا ينفعه الندم، وربما أن يقول في سكرات الموت: {رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}.

وقلت أيها الإخوة: إن مما يجب التوبة إلى الله منه المعصية والتعدي على حد من حدود الله، ألا وهو وجوب إبقاء الزوجة المطلَّقة في بيت الزوجية، وهذا ما كاد أن يصبح معدوماً في مجتمعنا، الطلاق كثير، ولكن الزوجة لا تقضي عدتها في بيت الزوجية، إما لأنها خرجت بنفسها، وإما لأن زوجها أخرجها، أو ولي أمرها، وربنا خاطب الجميع بقوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}، ما أكثر الظلم لا أقول عن الطلاق فقط، ما أكثر الظلم في الطلاق، وما أكثر الظلم بعد الطلاق، حيث إن الزوج أو الزوجة أو ولي الزوجة أو ولي الرجل لا

يُقون المرأة أو لا تبقى في بيت الزوجية، {وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}، ومن ظلم نفسه قال الله عز وجل له ولأمثاله: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}، إما أن تُعجَّل العقوبة في الدنيا لا قدر الله، وإما أن تؤخر للعبد يوم القيامة في نار جهنم.

أيها الإخوة: ظلم آخر ينبغي علينا أن نتوب إلى الله عز وجل منه، حيث يقول مولانا عز وجل في كتابه العظيم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، وينبغي علينا إذا سمعنا الخطاب في القرآن العظيم بقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} أن نرعي هذا الخطاب آذاننا، لأنك آمنت بالاختيار، آمنت بأن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وآمنت بأنك راجع إلى الله عز وجل، وآمنت بأن الجنة حق وأن النار حق، وآمنت بأن العرض على الله حق، وأن الحساب من الله للعبد حق، وأن الجميع مخاطب بقوله تبارك وتعالى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُون}، ينبغي علينا كما يقول سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه: إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعها سمعك، فإنه أمر تؤمر به أو نهي تنهى عنه. يخاطبك الله أنت أيها المؤمن بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا}،

تنبَّه أيها المؤمن الذي قال له سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (اعمل ما شئت فإنك مجزي به) [رواه الحاكم والطبراني]، هل سمعت وعرفت حكم الله عز وجل؟ هل فهمت النهي في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}، سل نفسك ولا تلتفت إلى نظر الخلق إليك، يكفيك علم الله فيك لأن حسابك على الله، أتأكل أنت أموال الناس بالباطل، وإن كان الناس لا يعلمون أو يعلمون، إن قلت نعم بقرارة نفسك فوطِّن نفسك لقول الله عز وجل:

{وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا} والتعدي يكون عن علم، إن فعلت ذلك عدواناً وظلماً فوطن نفسك لقول الله عز وجل: {فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا}، وإذا أردت أن تعرف الفعل فانظر إلى الفاعل، {نُصْلِيهِ نَارًا}، من الذي سيُصلي هذا العبد نار جهنم؟ إنما هو الله، والفعل يستمد قوته من فاعله، ولذلك قال مولانا عز وجل: {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَد * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَد}، من الذي سيعذب؟ إنما هو الله عز وجل، هل عندك مقدرة أن تتحمل عذاب الله عز وجل الذي يقول فيه مولانا عز وجل: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا}، ويقول سبحانه: {لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيى}؟ هؤلاء الذين يعذبون في نار جهنم قال الله في حقهم: {لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا}، هل عندك استعداد أن تتحمل هذه النتيجة؟ إن قلت نعم فافعل ما تشاء، كل أموال الناس بالباطل، ولكن لتعلم أنك إذا أكلت أموال الناس بالباطل جرَّأت الآخرين على أن يأكلوا مالك بالباطل، لأنك عندما تبيح لنفسك أن تأكل أموال الناس ظلماً وعدواناً من خلال قدرتك أو وظيفتك أو دهائك أو مكرك أو حيلتك أو عشيرتك أو قوتك أو من خلال الكرسي التي أنت جالس عليها، إن أبحت ذلك لنفسك من خلال ما أعطاك الله من النعم فوطن نفسك أن يأتيك وقت لترى من هو أقوى منك وهو يأكل مالك بالباطل، {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا} الظالم سيولي الله عليه من هو أظلم منه.
يا أخي أنت عندما تأكل أموال الناس بالباطل أنت الذي تشل حركة المجتمع، لأن المال إنما هو ثمرة جهد وحركة، يقوم الإنسان ويتعب ويكد ويشقى في جمع المال، وأنت على بارد الماء جالس على كرسيك وضعت رجلاً على رجل لتأكل أموال الناس من غير جهد، بقوة سلطان أو جاه أو دهاء أو مكر أو خديعة أو بيمين كاذبة، وطِّن نفسك لانتقام الله عز وجل منك عاجلاً أم آجلاً.

انظروا إلى واقعنا، ربنا الذي يقول: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ} انظروا إلى عاقبة هؤلاء ونتيجتهم، ما أفلتوا من قبضة الله، يا أخي ما أنت قائل لربك عز وجل الذي يقول: {فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا} إذا أكلت أموال الناس بالباطل؟ هل عندك هذه المقدرة؟ إن قلت نعم، أقول لك: أنت المسكين الغافل الذي جنيت على نفسك. وإذا تساءلنا: ما أكثر صور أكل أموال الناس بالباطل في هذا المجتمع؟ من جملة ذلك الرشوة، وأكل الميراث: {وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}، ومن جملة ذلك السرقة والربا وتطفيف الكيل والميزان، ومن أكل أموال الناس بالباطل التعدي والاختلاس بعلم وبغير علم، يا من أكل مال الناس بالباطل بأي صورة من الصور وطِّن نفسك ليوم القيامة عندما تقف بين يدي الله عز وجل.

أيها الإخوة: على سبيل المثال الرشوة، التي تفشت في المجتمع، حتى رأيت في كل موطن وفي كل مكان عمل إن كان عملاً وظيفياً أو في شركة أو في موطن من المواطن، الرشوة قائمة على قدم وساق، وهل تعلمون أيها الإخوة بأن الأصل في الرشوة أنها ليست من المسلمين، الأصل في الرشوة إنما هي من اليهود والنصارى، هؤلاء الذين عبدوا المال من دون الله، الذين قال الله عز وجل في حق هؤلاء الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ظلماً وعدواناً، مخاطباً لنا ربنا عز وجل بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ}، هل أنتم يا أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تتبعون اليهود والنصارى في ذلك؟ إن كان هذا حالكم فيا أسفا على هذه الأمة التي ركبت سنن من قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، هؤلاء اليهود أيها الإخوة الذين ضربت عليهم الذلة، الذين لا يعبدون إلا المادة، الذين قالوا لسيدنا موسى عليه السلام: {فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا

وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ}، خذوا المال، إن الله يعطي هذه الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولكن لا يعطي الدين إلا لمن أحب، أتريد أيها المؤمن أن تكون لا قدر الله كهؤلاء الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، إن قلت نعم فوطِّن نفسك لا قدر الله أن تحشر يوم القيامة معهم، لأن الله جل في علاه قال: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ}، أي أمثالهم، يا أهل الرشوة ستحشرون جميعاً تحت لواء المرتشين، هؤلاء الذين يرتشون من اليهود والنصارى والمسلمين يحشرون جميعاً يوم القيامة مع بعضهم، {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ} الزناة مع بعضهم البعض، والمرابون مع بعضهم البعض، والمرتشون مع بعضهم البعض، والسارقون مع بعضهم البعض، وأهل القرآن مع بعضهم البعض، وأهل الأسحار مع بعضهم البعض، وأتباع النبي صلى الله عليه وسلم مع بعضهم البعض، والذين يأكلون لقمة الحلال مع بعضهم البعض. انظر إلى نفسك من هو زوجك ومثيلك، أنت من أهل الاستقامة أم من أهل الانحراف؟

الأصل في الرشوة أنها من اليهود والنصارى بدليل قول الله تعالى: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ}، يقول سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه: أكَّالون للسحت أكالون للرشوة. اضحك بملء فيك عندما تأخذ المال رشوة، ولكن لتعلم بأن الله ليس بغافل، ولتعلم بأن الله يُمهل ولا يُهمل. يا مؤمن أتفعل فعل اليهود والنصارى، اسمع ماذا يقول مولانا عز وجل: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا}، النصراني يأخذ الرشوة ويقول: سيغفر لنا، هؤلاء قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، معنى ذلك أباحوا لأنفسهم ما أرادوا وهم يظنون أن الله سيغفر لهم، وبكل أسف ربما أن تجد هذا في المسلمين، يأكل الرشوة ويقول لك سيغفر الله لنا، ويقول: أمة سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم على خير، ويقول لك: شفيعنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. يا آكل الرشوة وأنت تطمع بشفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، هل سمعت الحبيب صلى الله عليه وسلم عندما يقول.كما روى الإمام البخاري عن سيدنا عبد الله بن عباس وابن عمر رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع .: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ).

{يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيه}، أنت الذي تقول: سيشفع لنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، تعال أيها المرتشي وأيها الرائش، واسمع ماذا يقول من تطمع في شفاعته يوم القيامة، كما يروي الإمام أحمد عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لعن الله الراشي والمرتشي)، رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن الراشي والمرتشي وهذا يقول كما قالت النصارى سيغفر لنا! {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}.

يا من يأخذ الرشوة ويعقِّد المعاملة ويتأفَّف من المراجع ويجعل العقبات في تسيير المعاملات حتى يأخذ الرشوة والمال، يا من يجعل الحق باطلاً والباطل حقاً، تريد أكل أموال الناس بالباطل؟ تريد أن تجمع المال من غير جهد وتعب؟ أنت الذي تشل حركة الناس، وأنت الذي ستسأل يوم القيامة، وثق تماماً أنه ليس لك من هذا المال الذي جمعته من طريق الرشوة وغيرها إلا ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت وإن تصدقت فالصدقة مضروبة في وجهك لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن حججت واعتمرت بالرشوة والمال الحرام فحجك وعمرتك أنت مأزور فيها غير مأجور.

أين نحن يا عباد الله من الرشوة التي تفشت، ألا تكون حريصاً على

جسدك، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّهُ لا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ) [رواه الترمذي]، أيها المرتشي تغذي نفسك وزوجتك وأولادك بالحرام، ما هو مآلك؟ إن جاءتك المصائب في الدنيا فإنك لا تطيقها، فكيف وأنت تقف أمام قول الله عز وجل: {فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا}، ألا نتوب إلى الله؟ لا تدفع الرشوة، ولا تأخذ الرشوة، واتق الله، واعلم أن ما قُدِّر لفكيك أن يمضغا فسيمضغا، ويحك كلها بعز ولا تأكلها بذل، كلها بعز الطاعة، ولا تأكلها بذل المعصية.

وأما أنت يا من قال الله عز وجل في حق أمثالك: {وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا}، يا من هضمت حقوق أخواتك وحقوق النساء من أم أو زوجة أب أو أخت، وأنت تأكل التراث أكلاً لماً، ولا تبالي، ما أنت قائل لمولاك؟ تعال يا أخي إن أحياني الله عز وجل لأتحدث معك عن مسألة أكل التراث أكلاً لماً دون مراقبة الله عز وجل في الأسبوع القادم إن أحيانا الله عز وجل، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

** ** **

59-خطبة الجمعة: {وتأكلون التراث أكلاً لمًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، يا من أيقنتم بالرجوع إلى الله، وآمنتم بالوقوف بين يدي الله للعرض وللحساب، أقول لنفسي ولكم: علينا جميعاً بتقوى الله في هذا المال الذي جعله مولانا عز وجل سبباً من أسباب السعادة كما جعله سبباً من أسباب الشقاء. لنتق الله في هذا المال الذي جعله مولانا عز وجل همزة وصل بين العباد كما جعله البعض همزة قطع فيما بين بعضهم البعض. لنتق الله في هذا المال الذي إما أن يكون سبباً للحضارة والعمارة، وإما أن يكون سبباً للدمار وللشقاء.

أيها الإخوة: المال الذي جعل اللهُ عز وجل الإنسانَ يحبه حباً جماً، فقال مولانا عز وجل: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}، وقال تبارك وتعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالله عِندَهُ حُسْنُ الْمَآب}. هذا المال الذي تحبّه الأمم كما يحبه الفرد، أراد الله عز وجل أن نجعله همزة وصل فيما بين بعضنا البعض من أجل أن نكون متماسكين متعاونين، لا أن نجعل المال سبباً للتحاقد والتدابر والتخاصم، لأن المال في أصله نعمة، فإن أسأنا التعامل معه صار

هذا المال نقمة علينا في الدنيا وفي الآخرة.

قوم سيدنا شعيب أهلكهم الله عز وجل بسبب المال، وقارون أهلكه الله عز وجل بسبب المال، أحب القوم وأحب الفرد المال، فطفف أهل مدين الكيل والميزان، فاستحقوا الصيحة من الله فأخذهم جميعاً، وقارون عشق المال فقال فيه مولانا: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ}.

أيها الإخوة: مولانا جل وعلا جعل لهذا المال نظاماً في القرآن العظيم من أجل أن نتعامل معه، فصان هذا المال أيما صيانة، ولذلك عندما نقرأ القرآن العظيم نجد أطول آية في كتاب الله عز وجل هي آية المداينة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ...} إلى آخر الآية.

من هذا المنطلق أيها الإخوة قلت لكم في الأسبوع الماضي: خاطبنا مولانا عز وجل بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا}.

وروى الشيخان عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللهمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ

بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ).

وكم ضربت الرقاب من أجل المال؟ وكم سفكت الدماء من أجل المال؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم حذَّرنا، فإن الجرائم والخصومات والشقاق التي تقع في يومنا هذا، وفي بلدنا هذا إنما هي بسبب المال، حيث نتعامل مع هذا المال ونحن بعيدون كل البعد عن شرع الله عز وجل.

أيها الإخوة: عندما علم مولانا عز وجل ـ الذي خلقنا وفطرنا على ذلك ـ أننا نحب المال حباً جماً، وما جعلنا مولانا كذلك إلا اختباراً وابتلاءاً، حذَّرنا مولانا عز وجل أن نأكل أموال الآخرين بالباطل. يا أيها الإنسان يا من قال فيك مولانا عز وجل: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيد}، ويا من قال فيه مولانا عز وجل: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}، كن على حذر من هذا الحب أن يعمي بصرك ويصمَّ أذنك فلا ترى الحق ولا تسمع كلمة الحق بسبب حبك لهذا المال، فيدفعك حبك للمال للظلم والعدوان والتعدِّي لحدود الله عز وجل، والتي من جملتها أكل الميراث.

أيها الإخوة: بعضهم أرسل إليَّ: لماذا لا تتكلم في خطبة الجمعة عن إخوتنا في غزة؟ ولماذا لا تتكلم في خطبة الجمعة عن الرسوم السيئة في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ نعم أيها الإخوة إن إخواننا في غزة، وإن الإساءة في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شيء عظيم ما ينبغي أن يهدأ لنا بال، ولكن الأمر ليس بغريب، ما يجري في غزة، وما يجري في العالم من الإساءة في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأن الله عز وجل خاطبنا إن كان عندنا ذرة عقل فقال: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}، وإني أذكر أني قلت على هذا المنبر في المرة الأولى عندما حصلت الإساءة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في تلك الرسوم بأن الجواب لهؤلاء القوم لا أن نذهب إليهم لنعرِّفهم على الإسلام، لا أيها الإخوة ورب الكعبة، لأن مولانا عز وجل قال: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ}، ولكنه الحقد الدفين الذي في قلوبهم، وهم يرون نور

الإسلام يتغلغل في البلاد الغربية، حقدهم ظهر في فلسطين وفي العراق وفي الرسوم، الجواب لهؤلاء أن يهيئ قادة الأمة الإسلامية جيوشاً يكون أولها عند هؤلاء الخُبثاء وآخرها في بلادنا، لأنه لا خير في أمة لا تغار على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

نعم أيها الإخوة أقول هذا الكلام بكل وضوح وبكل صراحة، جواب هؤلاء بالقوة {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ}، لأن أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إذا لم تكن أمة إرهابية فإنه لا خير فيها، نرهب عدو الله لا نرهب أنفسنا أيها الإخوة، إذا كان مولانا عز وجل قال لنا: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ}، هذا في حق الأعداء.

أما نحن أيها الإخوة، قبل أن نفعل هذا لننظر إلى أنفسنا، أين إسلامنا؟ أين شرع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فينا على نطاق الأسرة؟ تعال يا أخي، مات أبوك أو أمك أو زوجتك أو أخوك، الميراث أين هو؟ لماذا لم توزِّع الميراث بعد وفاة أبيك بسنوات؟ لماذا يدك على المال كله بعد وفاة أبيك ولم توزِّع الميراث؟ لماذا لا تعطي أخواتك حقها وخاصة في القرى؟ في المدن تُعطى النساء من الميراث إلى حد ما، أما في القرى فحدِّث بدون حرج، المال ليس للنساء، ولا للصغار، المال لمن يعمل ويجمع ويدافع عن الحوزة، المال للرجال، أما النساء فلا، ربنا عندما قال: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}، هذا للرجال والنساء، زوجتك ألا تحب المال؟ وكذلك ابنتك وأختك، ورب الكعبة أختك وابنتك وزوجتك تحب المال كما تحب أنت المال.

تعالوا أيها الإخوة لنقرأ آيات المواريث في سورة النساء، وأتمنى أن ترجعوا إلى بيوتكم وتقرؤوا هذا في القرآن العظيم، عندما يقول مولانا عز وجل: {يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ...} إلى

آخر آيات المواريث، بيَّن الله عز وجل حق الذكر وحق الأنثى من الأولاد، وبين نصيب الأبناء والبنات والآباء والأمهات والزوج والزوجة، وبعدما أن وضَّح القرآن العظيم أحكام الميراث، أتدري بماذا ختمت هذه الآيات؟ هجرْنا كتابَ الله تلاوةً وتدبُّراً وسلوكاً وعملاً وتحكيماً فيما بين بعضنا البعض، خُتمت آيات المواريث وأحكامها بقوله سبحانه: {تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم * وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِين}، هل تسمع وقد مات مورِّثك أبوك أو أمك من أعوام، ولم توزِّع التركة؟ . وإنَّ الحديث عن علاقة الزوج مع زوجته في مسألة الميراث والمهر والذهب سيكون في أسبوع لاحق بإذن الله .، ولكن أنت يا من ورَّث لك مورثك مالاً، هل أنت الوارث الوحيد أم معك ورثة؟ معك أخواتك، والنساء، واليتامى الذين قال فيهم مولانا عز وجل وفي حق من يأكل أموال اليتامى ظلماً وعدواناً: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}.

أيها المؤمن اسمع وتدبَّر، يا من وضعت يدك على المال تريد أن تُثَمِّر، يا أيتها الأم التي تقول: لا نبيع شيئاً من تركة الأب إلا بعد موتي، تعالي يا أختاه، وتعال يا أخي الكريم وتدارك نفسك، وأنت تتدبر قول الله عز وجل: {وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِين}، ما أنت قائل لربك يا من حرمت النساء؟ وما أنت قائلة لله يا أيتها الأم، ويا أيتها الزوجة التي توفي عنها زوجها وتهدِّد أبناءنا وبناتها بالغضب عليهنَّ إذا تكلمت واحدة في مسألة التركة؟ وتقول: هذا عيب، أتتكلمين في حق التركة؟ هذا المال ليس لك!!! لمن إذاً؟ لإخوتك!!! يا سبحان الله، أنسينا قول الله عز وجل: {تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ}، أنسينا قول الله عز وجل: {وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}، إذا كان القوم يسيئون لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويسيئون لأمتنا في العراق

وفلسطين، فنحن نسيء لإسلامنا من خلال عدم التزامنا بكتاب الله.

أين الأمة التي تنصر الله بالتزام شريعة الله عز وجل؟ فيا من يتألم على العراق، ويا من يتألم على فلسطين، ويا من يتألم من الرسوم المسيئة في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أقول لك: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}، ولكن أسألك: هل أنت ظالم أم لا؟ إذا كنتُ أنا الظالم لأخواتي وللنساء وللقُصَّر، وأنا الذي أبكي على أهل العراق وفلسطين ومن الرسوم المسيئة في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أقول ورب الكعبة: هذه دموع الكذابين، لأن المسلم يكون ملتزماً، وعندما تجد الأمة التزمت بكتاب الله فإن الله عز وجل يلقي الهيبة في قلوب أعدائها، ولكن عندما هان علينا الإسلام أصبحنا مهانين عند هؤلاء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تعالوا أيها الإخوة لنتوب إلى الله عز وجل، ولنعط كل ذي حق حقه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بذلك فقال: (فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ) [رواه البخاري]، يا من زوى الميراث عن أخواته وعن اليتامى وعن الزوجة، ويا من يعيث في المال كيفما شاء، وترك كتاب الله وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحلّ حلالاً ولا يحرّم حراماً، ويقول كما سألني بعضهم: أولست أنا حراً في مالي، قلت له: أنت عبد لله، أنت لست بِحُرٍّ، تعال واسمع يا عبد الله، يا من تعدى حدود الله في مسألة المواريث، وأنا أعلم أيها الإخوة وربِّ الكعبة أن هناك بعض المواريث من أكثر من عشرين عاماً إلى الآن لم تُوزَّع التركة، والأكثر من ذلك أن وصية الميت من عشرين عاماً إلى الآن لم توزع، {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}.

تعال يا عبد الله واقرأ قول الله عز وجل: { فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَن} يأتي الجواب من الله: {كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيم * وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ

الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}، تأكل نصيبك ونصيب غيرك، وكأنك تلمُّ الأمور إليك لماً وتجمعها إليك، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لابْتَغَى ثَالِثًا وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ) [رواه البخاري].

{وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا} تجمعه من حلال ومن حرام، هل هذا المال هو خير في حقك؟ قوم سيدنا شعيب أهلكهم الله عز وجل بسبب حُبِّ المال، وقارون أهلكه الله عز وجل بسبب حُبِّ المال. فيا من يزوي الميراث اسمع ماذا يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما روى ابن ماجه: (مَنْ فَرَّ مِنْ مِيرَاثِ وَارِثِهِ قَطَعَ اللَّهُ مِيرَاثَهُ مِنْ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، كل مال الورثة، كل حصة أخواتك، وحصة زوجتك من ميراثها، فأنت حرمت من ميراثك في الجنة لا قدر الله، ويقول صلى الله عليه وسلم كما يروي البيهقي في شعب الإيمان: (من قطع ميراثاً فرضه الله ورسوله قطع الله به ميراثه من الجنة)، هل عندك الاستعداد لهذا؟ أم عندك الاستعداد أن تعلن توبتك لله عز وجل؟

أروني أيها الإخوة، وأنا أسألكم سؤال مستفسر: بالله عليكم هل تسمعون في مجتمعنا بأن الميت يموت وبعد يومين أو ثلاثة يقتسم الورثة الميراث مباشرة؟ لماذا نؤخر مسألة إقامة حدود الله عز وجل؟ نسوِّل ونسوِّف، يموت المورث الأول والثاني والثالث وتتشابك الأمور مع بعضها البعض، وينمو هذا المال، وبعد نموِّ هذا المال يقول: كيف أعطي وأنا الذي عملت وثمَّرت؟ يا أخي كيف تثمِّر مالاً هو ليس بمالك؟ وكلُّ تثمير للمال بدون إذن صاحبه فثمرته عائدة له، والخسارة أنت التي تتحملها يوم القيامة إن لم تتحملها في الدنيا. بعد وفاة مورثك كن وقافاً عند حدود الله، وقسِّم التركة امتثالاً لأمر الله، وإلا وقعت تحت قول الله عز وجل: {وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ}.

هل من تائب أيها الإخوة؟ هل من صارخ بأعلى صوته: أنا الذي سألتزم

وسأتوب وأعيد الحقوق إلى أصحابها؟ فإن أبينا فاعلم يا أخي بأنك تأكل الحرام وتتغذى بالحرام وتغذي زوجتك وأولادك بالحرام، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّهُ لا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ) [رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن].

أيها الإخوة: الحديث له صلة، لأن أكل أموال الناس بالباطل ما أكثر صوره في مجتمعنا، ولعلنا إن أحيانا الله عز وجل أن نتحدث عن صورة أخرى من صور أكل الأموال بغير حق في مجتمعنا. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

60-خطبة الجمعة: يا أيها الناس اتقوا اللّه في أموال الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: الظلم لأنفسنا كثير كما قلت في الأسابيع الماضية، وما كثر الظلم فينا إلا لغفلتنا عن الله عز وجل، ومن صور هذا الظلم أكل أموال الناس بالباطل، وصور أكل المال بالحرام كثيرة في هذا المجتمع، وما اجترأ الظالم على أكل الحرام وعلى أكل أموال الناس بالباطل إلا لكونه لم يستحضر العقوبة التي رتَّبها مولانا عز وجل له يوم القيامة، لأن الذي يستحضر العقوبة فإن استحضارها يكون

دافعاً له لترك المخالفة، ولترك أكل أموال الناس بالباطل وبالحرام. نحن أيها الإخوة عندما نكون في حالة استحضار لعقوبة مخلوق فإنك ترانا مبتعدين عن المخالفة، على سبيل المثال، قانون نظام السير الذي سيُطبَّق، والغرامات الباهظة التي ستوضع، تجعل كلَّ سائق يفكِّر في هذه العقوبة، وبدأ يُفكِّر في ترك المخالفة. عندما تعلم بأنَّ أجهزة الأمن والاستخبارات مراقبة لك على أقوالك وعلى أفعالك، وإن خالفت أُخذت، فإذا بك تراك منضبطاً، بشرٌ يجعل لنا قانوناً، وإنسان يحذِّرنا من عقوبة إن خالفنا، فنلتزم، وأما إذا حذَّرنا مولانا عز وجل فالكثير منا لا يبالي!!

أيها الإخوة: أنا أقول لكل من سوَّلت له نفسه أن يأكل الحرام، وأن يأكل أموال الناس بالباطل، بداية أقول له حديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (عش ما شئت فإنك ميِّت، وأحبب من أحببت فإنَّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به) [رواه الحاكم والطبراني والبيهقي في الشعب]، استحضر أولاً أمام ناظرك بأنك ستموت، وبأنك ستفارق ما أحببت، ومن جملة ما أحببنا جميعاً المال، كما ذكرت لكم في الأسبوع الماضي قول الله عز وجل: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيد}، {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}، أيها المحبُّ للمال ستفارق هذا المال، إن لم يفارقك المال في حياتك الدنيا بتفليس فإنك سوف تفارق هذا المال بموتك، تذكَّر ما بعد الموت، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به.

يا من تسوِّل له نفسه أكل أموال الناس بالباطل، وبالحرام، بالصور المتعدِّدة التي تكون في أذهاننا، والتي من جملتها كما قلت لكم في الأسبوع الماضي: {وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا}، مسألة المورايث التي عطَّلناها، ويأتي الذكور ليحوزوا على المال بأجمعه دون الإناث، وطِّن نفسك يا من أكلت أموال الناس بالباطل ومن جملتها ميراث النساء بأنك ستقف بين يدي الله وتُجزى على عملك.

يا من تسوِّل له نفسه أكل أموال الناس بالباطل تعال واسمع يا أخي قبل أن تخرج روحك من جسدك، تذكَّر ما رواه البخاري عن خولة الأنصارية رضي الله

عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، يأكلون أموال الناس بغير حق من حلال ومن حرام، لا يفكِّرون، كل ما شئت من حلال أو من حرام، ولكن احفظ الكلمة التي قالها بعض الصالحين: كل ما شئت فمثله تعمل، من أكل الحرام لم يوفَّق للطاعة، ومن أكل الحرام سوف تُيسَّر له المعصية، لأن المعصية تأتيك بأخواتها، فإن الذين يتخوَّضون في أموال الناس بغير حق يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، وأي نار أيها الإخوة؟ {سَأُصْلِيهِ سَقَر * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر * لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَر}، سيصلى ناراً وقودها الناس والحجارة، هذا كلام ربنا أيها الإخوة، بشر يهدِّدنا بعقوبة فننضبط، أما مولانا الذي يمهلنا ولا يهملنا، يمهل لعلك أن تتوب وتعيد الحقوق إلى أصحابها، ولكن العبد إذا أصرَّ فإن ربنا سيأخذه أخذ عزيز مقتدر.

اسمع يا من تسول له نفسه أكل أموال الناس بالباطل، ما يرويه النسائي عن سيدنا كعب بن عجرة رضي الله عنه، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (يا كعب بن عجرة إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به)، النار تنتظره، اللهم أغننا بحلالك عن حرامك.

واسمع أيها الإنسان الذي تسوِّل له نفسه أن يأكل أموال الناس بالباطل. والصور كثيرة، وائذنوا لي أن أطيل معكم الحديث أسابيع طويلة عن صور أكل أموال الناس بالباطل، لأنها جريمة في المجتمع قائمة على قدم وساق، وخاصة في هذه الآونة. ما يرويه الإمام مسلم عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلماً). يقسم يميناً حتى يأكل أموال الناس ظلماً وعدواناً، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (البينة على من ادعى واليمين على من أنكر) [رواه البيهقي في السنن والدارقطني]، يقول أنا أقسم يميناً لأن الطرف الثاني لم تكن عنده البينة، والطرف الثاني سيُسأل عن تقصيره وسأتحدث إليكم بعد

لحظات. يقول صلى الله عليه وسلم: (أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلماً ليلقينَّ الله وهو عنه معرض)، وإن أعرض عنك مولاك لا قدر الله فمن هو الشفيع لك؟ إذا قلت يا رسول الله أنا من أمتك، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: يا رب أمتي، فيُقال لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك، أنت الذي تأكل أموال الناس بالباطل لا قدر الله، سيلقى هذا العبد ربه وهو عنه معرض، وإن قلت: سيشفع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول: تعال واسمع يا أخي يا من سوَّلت له نفسه أن يأكل أموال الناس بالباطل. روى الإمام البخاري عن سلمةبن الأكوع رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَقَالَ: (هَلْ عَلَيْهِ مِنْ دَيْنٍ)؟ قَالُوا: لا، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِجَنَازَةٍ أُخْرَى فَقَالَ: (هَلْ عَلَيْهِ مِنْ دَيْنٍ)؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: (صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ). قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: عَلَيَّ دَيْنُهُ يَا رَسُولَ الله، فَصَلَّى عَلَيْهِ [رواه البخاري]. وفي رواية عند أحمد قال: (هَلْ تَرَكَ مِنْ دَيْنٍ)؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: (هَلْ تَرَكَ مِنْ شَيْءٍ)؟ قَالُوا: لا، قَالَ: (صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ). وتصور لو كنت في زمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على أخيكم فإني لا أصلي عليه، هل تصلي على هذا الإنسان؟ الجواب لا، وتصوَّر هذه البداية للمدين الذي لا يترك وفاءً. يا من يأكل أموال الناس بالباطل ويحتال عليهم ولا يترك وفاءً، البداية ما صلى عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا لم يصل عليك بأي وجه ستقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله الشفاعة، وهو الذي تبرأ من الصلاة عليك في الحياة الدنيا صلى الله عليه وسلم؟

يا من تسوِّل له نفسه أكل أموال الناس بالباطل، اسمع ماذا يقول حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام)، جسدٌ غُذِّي بالحرام، ملبس من حرام، ومطعم من حرام، ومشرب من حرام، ومسكن من حرام، ويصلي ويعتمر ويصوم ويتصدق، أعماله مضروبة في

وجهه، لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، فإذا كان الجسد غُذِّي بالحرام فكيف يستجاب لهذا العبد؟ وكيف يتقبل الله من هذا العبد ما دام الحرام في جوفه وهو مصرٌّ على أكل أموال الناس بالباطل والعياذ بالله؟

اسمع يا من تسوِّل له نفسه أكل أموال الناس بالباطل، ما يرويه الإمام مسلم عن سيدنا أبي موسى الأشعري قال: قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته). اسمع يا أيها العبد الغافل: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} أمهلك لتتوب، وستر عليك حتى لا تُفضح، ولكنك عندما تُصرّ ولا تتوب يأخذك مولانا عز وجل، ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيد}.

يا من يأكل أموال الناس بالباطل والحرام، سينتهي أجلك، وأنت لا تدري متى ينتهي أجلك، ربما والله بعد لحظة، وربما تأخذ المال الحرام وقبل أن تنتفع منه في الظاهر يأخذك الله أخذ عزيز مقتدر، فما أنت قائل لله عز وجل؟

من صور أكل أموال الناس بالباطل في هذا العصر، القرض وتثمير المال، يأتيك إنسان فيقول: أقرضني، ويعطيك العهود والمواثيق والأيمان بأنه سوف يسدِّد لك في الوقت المحدد، أو يأتيك ويقول لك: أنا الذي أُثَمِّر لك المال، هناك صفقة تجارية رابحة، وهناك كذا وكذا، أُثَمِّر لك المال، فيُعطي هذا العبد المال، وبعد الأخذ اتبعه أيها الدائن، تابعه ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساء، سراً وجهراً، فإذا به ينتفض عليك انتفاضة الثعلب، لأن هذا العبد لا يبالي بلقمة الحرام، اجترأ على الحرام ولا يخاف الله، فكيف يخافك؟

لذلك أقول أيها المدين، يا من يستقرض من الناس، يا من تسوِّل له نفسه أن يُثمِّر أموال الناس، وهو ينوي أن يأكل أموال الناس بالباطل، أولاً: ما أنت قائل لله؟ أقول لك: راجع الحسابات فيما بينك وبين نفسك وتفقَّد في قلبك ذرَّة الإيمان، أين إيمانك وأنت تجترئ على أكل أموال الناس بالباطل والحرام بصورة

قرض أو بصورة تثمير للمال؟ يا أيها المدين لقد جررت العار لأصولك ولفروعك، وسوف تكون سبباً لصبِّ اللعنة على والديك التي هي من أكبر الكبائر، فما أنت قائل لمولاك عز وجل؟ إذا لم تستح من الله ألا تستحي من نسبك؟ ألا تستحي من أصولك؟ إذا لم تستح من أصولك ألا تخشى على فروعك؟ ألا تخشى على أبنائك أن يقال: أبوهم كان نصَّاباً محتالاً يأكل حراماً؟ أيها المدين أما علمت بأن المجتمع لا يرحم؟ أما علمت بأن المجتمع نسي قول الله: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}. أيها الظالم بأكل أموال الناس بالباطل ما أنت قائل لله عز وجل وأنت تتذكر قول الله عز وجل: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّهِ وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه}؟ لم؟ لأنه كان يغذِّيهم بالحرام وربما أنهم لا يدرون، ولأنه جرَّ عليهم العار بأكل أموال الناس بالباطل، لتستح من الله، ومن أصولك وفروعك وعشيرتك وأهل بلدتك، الإسلام أرادك أن ترفع رأسك إلى السماء عالياً معتزاً بالطاعة، وما أراد الإسلام منك أن تنكس رأسك إلى التراب لتكون ذليلاً حقيراً في هذا المجتمع، لا وربِّ الكعبة، الإسلام أراد لنا العزة، ومن جملة العزة أن لا تأكل المال إلا بالحلال.

أيها الإخوة: أكل أموال الناس بالباطل اليوم قائم على قدم وساق، ومن صوره القرض وتثمير المال.

وأما أنت أيها الدائن الذي أقرض والذي أراد أن يُثمِّر المال، اسمح لي أن أهمس في أذنك كلمات لتتحمل أنت المسؤولية كذلك، أيها الدائن، أيها المقرض، أيها المثمِّر للمال، هل رجعت إلى القرآن العظيم وأنت تبحث عن أطول آية في كتاب الله عز وجل؟ هل رجعت إلى كلام الله؟ وأنا أقول لكم مراراً: من علامات النُّجح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات. أم أنك هكذا عرَّضت صدرك بداية واختنقت نهاية، هل رجعت إلى أطول آية في كتاب الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ الله فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ الله رَبَّهُ وَلاَ

يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ الله وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ الله وَيُعَلِّمُكُمُ الله وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم * وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ الله رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم}. هل سمعت هذا يا أيها الدائن؟ لماذا تركت الكتابة؟ أو الإشهاد؟ لماذا لم تطالب بكفيل؟ ولماذا لم تطالب برهان مقبوضة كما قال مولانا عز وجل؟ جعلت الدين بينك وبينك، وجعلت تثمير المال بينك وبينه، فإن فوجئت بإنكار المال أو التبرؤ منه توجَّهت لأصول هذا الرجل أو فروعه، وإذا بأصوله وفروعه يفاجؤون بهذه الديون، ويقولون: لم لَمْ تقل لنا؟ فتقول: أنا أعطيته وأقرضته وثمَّرت معه المال لأنه ابن فلان، يا أخي هل هذا تجده في كتاب الله؟ هل قال لك مولانا أعطه لأنه ابن فلان، أو لأن أخاه فلان، أو لأنه من عشيرة كذا؟ لا أبداً، الذي يعلم بأن المال شقيق لأرواحنا حافظ على أموالنا، ولكننا تركْنا الشرع جانباً، فحصدنا الندامة، يا أخي إذا أنت أُصبت بمالك فإن أهل هذا الرجل مصابهم وربِّ الكعبة أعظم من مصابك، لأن مصابهم بولدهم الذي سيرد نار جهنم إذا لم يتب إلى الله عز وجل، ألا تكون رحيماً بهؤلاء الذين يتبرؤون من أموالهم وإخوتهم بسبب أكل أموال الناس بالباطل؟

أيها الناس، لا تحرجوا الناس، لا تحرجوا الأصول ولا الفروع ولا الأخوة ولا الأهل ولا العشيرة، إذا أردت أن تُقرض أو تُثمِّر فطالب بالكفيل المليء، أو

بالشهود، أو برهان مقبوضة، من أجل أن تسلم على مالك، وإلا فإن جرحت فؤاد هؤلاء الذين هم أصوله أو فروعه أو أقرباؤه فأنت الذي ستتحمل معه الإثم كذلك يوم القيامة.

أيها الإخوة: في جريدة أظنها جريدة الجماهير، تعلن في صفحة في وسطها، تعلن عائلة كريمة تبرُّؤها من ولدها، لماذا تحرجون الناس أيها الإخوة؟ لماذا تجعلون الناس في مذلة ومهانة؟ لا تقل ما أحسنوا التربية، ربما أن يحسنوا التربية ولكن الولد ينحرف، لا تقل أبوه صالح أو أبوه طالب علم أو أخوه، بل وثِّق كما قال مولانا، فإن قصَّرت فلا تلومنَّ إلا نفسك، ولا تجرح شعور الآخرين، تصوروا أيها الإخوة، عائلة كريمة تتبرأ من ولدها وتعلن للناس جميعاً بأنهم لن يتعرَّفوا على هذا الولد، لماذا؟ لأننا نتعدى حدود الله عز وجل.

يا عباد الله، أيها الدائن ارجع إلى كلام الله، تمسَّك بكتاب الله، قبل أن تُقرض وتُثَمِّر طالب هذا الإنسان بكفيل أو برهان مقبوضة، ولا تحمِّل غيره وزره إذا فوجئت.

يا أيها الناس: لنتذكر جميعاً قول الله عز وجل: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الله غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}، أيها الناس اتقوا الله في أموالكم، اتقوا الله في أموال الناس، اتقوا الله في المواريث، واتقوا الله في القروض، واتقوا الله في تثمير الأموال، اتقوا الله عز وجل، وتذكَّروا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به)، وجسد نبت من حرام لا تطهِّره إلا النار، فهل عندك المقدرة على تحمُّل نار جهنم؟ إن قلت نعم فإن أبواب الحرام مفتوحة وميسَّرة، وسبل الاحتيال ما أعظمها وما أكثرها في مجتمعنا، {تُوبُوا إِلَى الله جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}. وأقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة الكرام: أناشدكم الله، وأجعلها أمانة في أعناقكم، في كل مجلس من مجالسكم في هذا الأسبوع، حذِّروا الناس من أكل أموال الناس بالباطل بالصورتين التي ذكرت، بالقرض أو بتثمير المال، وقولوا للناس ارحموا الناس إذا ما ابتليت عائلة بفرد من أفرادها في أكل أموال الناس بالباطل.

ولا تجعل الدين في عنق إنسان ولا تثمير المال في رقبة إنسان إلا بعد توثيق هذا الأمر أو بكفيل مليء، اجعل الدين وتثمير المال بينك وبين هذا الرجل وكفيله، وقل للكفيل الكلمة التي نقولها بالعامية: الكفيل عدَّاد، ليس الكفيل كفالة كلام، قل له: إن خان أو قصَّر أو ذهب المال فأنت الذي تدفع، فإن اعتذر فاعتذر أنت عن القرض أو تثمير المال، فإن خالفت ما نصَّ عليه شرعنا فلا تلم إلا نفسك إن فوجئت بأكل مالك بالباطل، لأن أصول هذا الإنسان أو فروعه ربما لا يستطيعون أن يبرؤوا ذمة هذا الفاسق الذي خرج عن دائرة الشريعة والعياذ بالله، وربما يستطيعون ولكن الشرع ما كلَّفهم، فلا تجعلوا أنفسكم في حرج، وأناشدكم الله أن تعمِّموا هذا بين إخوانكم وأصحابكم وأصدقائكم، ولا تعط دَيناً لأن فلاناً ابن فلان، ولا تعط المال قرضاً أو تثميراً لأن فلاناً أخ لفلان، لأن هذا ليس من ديننا، بل من ديننا أطول آية في كتاب الله، ألا وهي آية المداينة، اللهم اشهد أني قد بلَّغت.

** ** **

61- **خطبة الجمعة**: **سبحان اللّه! ماذا نزل من التشديد؟!**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: ما زلنا بصدد الحديث عن المال الذي أصبح تناوله بالحرام أمراً يسيراً على كثير من الناس، لا يبالي بالمال الذي دخل إلى جيبه إن كان من حلال أم من حرام، بل جعل الناس قاعدة لأنفسهم: ما كان في يدي أو جيبي فهو الحلال، وما عدا ذلك فهو الحرام.

أكلُ أموال الناس بالباطل قائم على قدم وساق، وما اجترأ العبد على أكل أموال الناس بالباطل إلا لضعف إيمانه، وإلا فكيف يجترئ على أكل أموال الناس بغير حق، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا بأنَّ كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به، ولن يدخل هذا العبد الجنة حتى يُطهِّره الله، والتطهير في الآخرة لا يكون إلا في نار جهنم.

أيها الإخوة: الجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب، والله طيب لا يقبل إلا طيباً، وجسد نبت من حرام فليس بطيب. وأنا أخاطبكم أيها الإخوة الكرام، أنتم الذين تغلغل الإيمان في قلوبكم، لا تنسوا هذا الأمر بأن يوم القيامة قريب، {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا}، فالاجتراء على أن يأكل العبد لقمة الحرام وبغير حق مسألةٌ خطيرة. أعطيتُ في الأسابيع الماضية صوراً من أكل أموال الناس بالباطل، وإني أقف اليوم على صورة من هذه الصور في أكل أموال الناس بالباطل وبدون مغالاة، ألا وهو مهر الزوجة.

أيها الإخوة: اليوم نرى في جميع العقود بدون استثناء إلا النذر اليسير، والنذر اليسير لا حكم له، في الغالب الأعم عقود الزواج صار المهر فيها كلُّه ديناً، المقدَّم والمؤخَّر، واجترأنا أن نقول: اكتب ما تشاء، وقلنا الكلمة التي نسمعها: اكتب فإنما هو حبر على ورق. يا أخي المسلم اعلم بأن المهر إن لم يكن مقبوضاً فهو دين في ذمَّتك، فتحمَّل من هذا الدين ما تشاء، ولكن تعال لأذكِّر نفسي وأذكِّرك معي في مسألة الدَّين بشكل عام، لنتحدث بعد ذلك عن مهر المرأة الذي هو دَين في ذمَّة الرجال.

روى النسائي والإمام أحمد واللفظ له عن سيدنا محمد بن عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال: كُنَّا جُلُوسًا بِفِنَاءِ الْمَسْجِدِ حَيْثُ تُوضَعُ الْجَنَائِزُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَيْنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصَرَهُ قِبَلَ السَّمَاءِ فَنَظَرَ ثُمَّ طَأْطَأَ بَصَرَهُ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ! سُبْحَانَ اللَّهِ! مَاذَا نَزَلَ مِنْ التَّشْدِيدِ؟). تصور حبيبنا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم حركاته تشريع، لأنه ما ينطق عن الهوى، والوحي يتنزَّل عليه، والخواطر والإلهامات تُصبُّ على قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. في موضع الجنائز يعني أن القبر ينتظرنا ليضمنا، والقيامة تنتظرنا، والله يفصل بيننا .. ثم قال صلى الله عليه وسلم: (سبحان الله، سبحان الله، ماذا نزل من التشديد) شيء شديد الذي نزل، قَالَ: فَسَكَتْنَا يَوْمَنَا وَلَيْلَتَنَا فَلَمْ نَرَهَا خَيْرًا حَتَّى أَصْبَحْنَا. قَالَ مُحَمَّدٌ: فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا التَّشْدِيدُ الَّذِي نَزَلَ؟ قَالَ: (فِي الدَّيْنِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ رَجُلاً قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ عَاشَ، ثُمَّ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ عَاشَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَقْضِيَ دَيْنَهُ) وفي رواية النسائي: (حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ دَيْنُهُ).

اسمع يا أخي يا من يستدين بأي صورة من الصور، والتي من جملتها مهر الزوجة، وذهب الزوجة، وميراث الزوجة، المهر المعجَّل والمؤجَّل دين في ذمتنا،

تزوجنا وأعطينا الذهب هدية منا لنسائنا، وبعد شهر أخذناه وهو دين في ذمَّتنا، ومات أبوها أو أمها وأخذنا ميراثها وهو دين في ذمَّتنا! استعداد لتحمّل الدين بدون مبالاة، اسمع ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا من يجترئ ويتحمَّل الدين، عندما قيل له: ما التشديد الذي نزل؟ قال: (فِي الدَّيْنِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ رَجُلاً قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ عَاشَ، ثُمَّ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ عَاشَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَقْضِيَ دَيْنَهُ) ما رأيك؟ شهيد قُتل بشهادة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله، أي ما قاتل حميَّةً ولا شجاعةً ولا رياءً، وإنما في سبيل الله، لا يدخل الجنة لو أعاده الله إلى الحياة ثانية فقاتل فقتل، وفي المرة الثالثة والرابعة، ما دام عليه دين.

اسمع يا من عنده الاستعداد أن يتحمَّل الديون والتي من جملتها حقوق الزوجة. روى النسائي والحاكم وابن حبان في صحيحه عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أعوذ بالله من الكفر والدَّين)، فقال رجل: يا رسول الله، أتعدل الدَّين بالكفر؟ فقال: (نعم). تصوَّر يا أيها المدين وخاصة إذا متَّ ولم تترك وفاءً، استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والدَّين.

وروى الحاكم عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدَّين راية الله في الأرض، فإذا أراد أن يُذِلَّ عبداً وضعها في عنقه). ولذلك روى الترمذي وابن ماجه عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (من فارق الروح الجسد وهو بريء من ثلاث دخل الجنة: من الكِبر والغلول والدَّين) والغلول هو السرقة من الغنائم أثناء القتال، لأن أمتنا أمة مجاهدة، أمة تدافع عن حياض الإسلام، أمتنا أمة تدافع عن مقدساتها، ولكن أصبحنا إذا أردنا أن نتحدث عن الجهاد قيل عنا بأننا إرهابيون، ولذلك عندما تركنا الجهاد رأينا سفلة الخلق يجترئون على سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم ولا شيء فينا يتحرك. إذا لم تكن متكبراً ولا سارقاً ولا دَين عليك، فإذا متَّ دخلت الجنة، وإلا حُبس هذا العبد بسبب السرقة أو الدَّين أو الكِبر.

أيها الإخوة: من هذه الديون مهر الزوجة، مشكلتنا أننا نكتب المقدَّم والمؤخَّر بدون حساب، لأننا اعتبرناه من جملة الدين فلا إشكال عندنا، وإذا ما حصل خلاف، فإذا بنا نخاصم المرأة، ونضيِّق عليها حتى تفتدي نفسها من هذا العقد بأن تبرئ زوجها من المقدَّم والمؤخَّر، وربما أن بعض الشباب اليوم يتزوَّج وهو ناوٍ ألا يدفع هذا المهر، وأرجو أن تنبِّهوا أبناءكم على ذلك، وأن تتنبَّه أنت أيها الرجل عندما تجلس على عقد الزواج فتقول لولي الفتاة: اكتب ما تشاء مهرها عندي، أنت الولي، إذا قلت مهرها عندي أصبحتَ كفيلاً، والمرأة من حقها أن تطالب زوجها وكفيل زوجها بهذا المهر، ولكن بكلِّ أسف نُعرِّض صدورنا في البداية ثم نختنق في النهاية، ويكون الرجل أو وكيله أو وليه أو أبوه ينويان ألا يدفعا المهر، تعال واسمع وأنا أخاطب المؤمن الذي يحسب الحساب ليوم القيامة.

اسمع يا من يريد أن يزوِّج ولده ويا من يريد أن يتزوَّج، انظر إلى نيَّتك أثناء عقد الزواج، هل أنت ناوٍ أن تدفع المهر أم لا؟ والمهر تستحقه المرأة كاملاً بمجرد الدخول عليها، ولو للحظة، ليست هناك مساحة من الزمن حتى تقول: تستحق المهر أو لا تستحقه، بعد لحظة من الدخول إذا حصل الطلاق فإنَّها تستحقُّ المهر كاملاً، المقدَّم والمؤخَّر مع نفقة العدَّة والذهب واللباس، ولا ارتباط بالمدة الزمنية، وبمجرَّد العقد عليها وقبل الدُّخول تستحقُّ نصف المهر، وهو دَين في ذمتك ستسأل عنه يوم القيامة.

روى الطبراني عن ميمون الكردي عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثة حتى بلغ عشر مرار: (أيما رجل تزوَّج امرأة بما قلَّ من المهر أو كثُر، ليس في نفسه أن يؤدِّي إليها حقَّها، خدعها، فمات ولم يؤدِّ إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زانٍ).

ماذا نفعل أيها الإخوة؟ انظروا الخصومات في المحاكم الشرعية من أجل أن يتهرَّب الرجل من مهر الزوجة، يا من يريد أن يتهرَّب من مهر الزوجة، ويا من يريد أن يطلِّق المرأة، ويا من يريد أن يتزوج غير زوجته ويريد طلاقها، تعال يا أخي وتدبَّر قول الله عز وجل عندما يقول في سورة النساء: {وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}، والقنطار لا حدَّ له ولا عدَّ، وقال العلماء: القنطار يعني حشو جلد بقرة ذهباً، تصوَّر لو أنك سقت لزوجتك هذا المقدار وأردت طلاقها، اسمع يا من يقف أمام زوجته من أجل دريهمات ما بلغت مثقالاً، بل دريهمات قليلة، يعاندها ويضيِّق عليها، ويتركها معلَّقة ليست بزوجة ولا بمطلقة حتى تفتدي نفسها، أقول لك: ستفتدي هي منك نفسها بشيء من المال، وأما أنت فبأيِّ شيء ستفتدي نفسك من نار جهنم يوم القيامة؟

الله يقول لك: {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ} مع أنه قال لك في صدر سورة النساء: {وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً}، والنحلة هي العطية والهدية، وما يقدَّم هديةً للزوجة يصير ملكاً لها لا يجوز للزوج أن يستردَّه، تقول: الذهب حقي، من قال لك هو حقك؟ بمجرد أنه دخل في المهر صار من حق الزوجة، وتستحق نصفه إذا تمَّ الطلاق قبل الدخول بها.

{وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا} الزوجة أخذت منك ميثاقاً غليظاً أثناء العقد، ما هو هذا الميثاق؟ عندما قال لك وليُّها: زوجتك ابنتي على كتاب الله وعلى سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندما أراد أن يتكلَّم معك هذه الكلمة، ما قصر هذه الكلمة على وجود شاهدين، إنما جمع جمعاً غفيراً كلُّهم جاؤوا ليشهدوا عليك بأنَّك تزوجت هذه المرأة على كتاب الله، وعلى سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن جملة ما يوجد في كتاب الله: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ

تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}، والإمساك بالمعروف أن تصبر على سوء خلقها امتثالاً لقول الله عز وجل: { وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}، فإن لم تستطع أن تمسكها بمعروف، والمعروف أن لا تعيش معك في ظلم ولا ساعة، لأنك تزوجتها على كتاب الله، وأن تعطيها من غير حق، وأن تعاملها بالفضل لا بالعدل، فإن عجزت عن معاملتها بالفضل، وأردت أن تسرِّحها يقول لك مولانا عز وجل: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}، والتسريح بإحسان أن تدفع لها مقدَّمها ومؤخَّرها وذهبها وما أكلته من مال عليها، وإذا كنت تأخذ راتبها وأموالها بشرط الإعادة إليها أن تعيد إليها الأموال، والتسريح بإحسان أن تضيف على هذا المتعة، بأن تكرمها زيادة على مهرها.

أين تعاليم الإسلام فينا أيها الإخوة؟ نحن الآن نتكلَّم ونتألَّم من الدانمارك الذين أساؤوا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والله إني أرى أحياناً بعض المسلمين يسيئون للمرأة المسلمة فيجعلونها تنفر من دين الله بسبب هذا الزوج. (كل رجل من المسلمين على ثغر من ثغر الإسلام، الله الله أن يؤتى الإسلام من قبلك) [رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة].

أناشدكم الله من أجل مصلحتكم أيها الإخوة، أبرؤوا ذمَّتكم تجاه نسائكم في مسألة الذهب والمهر والميراث إن أخذت ميراثها من أهلها، ومن سائر الحقوق، قبل أن تلقى الله وأنت مُثقل بالديون، ولا تنس تلك الجنازة التي رُفعت إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم: (هل عليه من دين)؟ . ومن جملة الديون المهر . قالوا: نعم، قال: (صلوا على صاحبكم) [رواه البخاري]. وفي رواية أحمد قال: (هل ترك من شيء)؟ قالوا: لا، قال: (صلوا على صاحبكم). ما أنت قائل لله يوم القيامة يا من أكلت حقَّ زوجتك؟ أرجو الله أن يغنينا جميعاً بفضله عمَّن سواه وبحلاله عن حرامه. أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

62- خطبة الجمعة: أيها الأب هل تريد الإصلاح؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: مما لا شك فيه أن أحدنا إذا بلغ من العمر أربعين سنة تذكَّر وتدبَّر قول الله عز وجل: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}. فيا من بلغ الأربعين من عمره احفظ هذه الآية، واجعلها ورداً لك من جملة الدعاء، أن تدعو بهذا الدعاء صباحاً ومساء: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}. إذا بلغت الأربعين وبلغت سن الرشد والكمال توجَّهت إلى الله في دعائك في أن يوفقك الله لشكره على النعمة التي أسبغها الله عليك وعلى والديك، وأنت تسأل الله عز وجل أن يوفِّقك للعمل الصالح، وأن يصلح ذريَّتك، لأنك ربما أسرفت فيما مضى من عمرك.

نعم أيها الإخوة، هذا العبد الذي بلغ أربعين سنة ودعا الله عز وجل بهذا الدعاء يدعو الله مع حضور قلب وفكر وعقل، لا يدعو الله عز وجل لقلقة لسان دون أن يتفطَّن للمعنى، {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي}، أنا حريص يا رب على أمرين اثنين: العمل الصالح، وأن تكون ذريتي صالحة، فاعلم مهمَّتك يا أيها الأب يا من بلغت الأربعين، وأكرمك الله بزوجة وولد، اعلم ما هي

مهمَّتك في حياتك الزوجية الأسروية؟ مهمتك أن تعمل صالحاً وأن تكون ذريَّتك صالحة.

وأنا كنت أتحدث إليكم في أسابيع ماضية عن المال وعن فتنة المال وعن المال الذي أضحى في زماننا هذا همزة قطع لا همزة وصل، هذا المال الذي مزَّق كيان المجتمع، وصار الكثير متدابرين متخاصمين من أجل المال، وهذا ليس من شأن العقلاء أيها الإخوة، المال ينبغي أن يكون همزة وصل لا همزة قطع، ولكن القلب إذا تعلَّق بالمال وصار القلب يعشق المال أكثر من عشقه لله عز وجل، حلَّت الطامة في صاحب هذا القلب. ولذلك حذَّرنا ربنا سبحانه وتعالى من أن نقدِّم حب المال على حبِّه جلَّ في علاه، وحذَّرنا النبي صلى الله عليه وسلم من أن نكون عبيداً للدينار والدرهم فقال: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ) رواه البخاري.

أيها الإخوة: المال الذي أتحدث إليكم عنه في الأسابيع الماضية، حبُّنا له جرَّأ الكثير على ارتكاب المخالفات الشرعية، وأصبح البعض لا يبالي إن كان المال من حلال أم من حرام، فأخذ يعيث في هذا المال فساداً، من جملة هذه الأمور التي تُفسد ولا تصلح: تقسيم المال بين الأبناء في حياة الأب، وهذا أمر صار ملاحظاً في المجتمع، وكأنه صار هو الأساس، أن يوزِّع الوالد المال على الأولاد قبل موته، وآيات المواريث عُطِّلت، يموت الإنسان وقد فرغ بأمواله لأبنائه، وقلَّما أن تجد غنياً ميسوراً ما قسم المال على قيد حياته. لا حرج شرعاً إذا أردت أن تقسِّم المال للأبناء وأنت على قيد الحياة، ولكن بشروط: ألاَّ يكون هذا التقسيم لهذا المال يورث ضغينة وحقداً بين الأولاد على بعضهم البعض، لأنك تريد الإصلاح، فإذا كان عطاؤك لأبنائك يورِّث الفساد والشقاق والتحاسد والتدابر وزيادة العقوق هذا حرام عليك، والعجيب أنك لا تبالي بهذا، لا تبالي بعقوق ولدك لك، ولا تبالي

بزرع الحقد بين قلوب الأبناء، فأسألك يا أخي: هل بتقسيم هذا المال أردت الإصلاح أم الإفساد؟ هل يا ترى بهذا التقسيم جعلت أبناءك من بعدك بررةً بك وبإخوتهم وأخواتهم؟ ماذا فعلت؟ أنت الذي مزّقت كيان الأسرة، وغرست الحقد والغلَّ والحسد في قلوب الأبناء على بعضهم البعض، إذا لم تكن منصفاً ومقسطاً في تقسيمك. إذا أردت أن تقسِّم هذا المال تعال وارتفع إلى مستوى عالٍ، وأنت تسمع كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. تقول عن نفسك أنا حر، أنا أصدِّقك بأنك حرٌّ أمامي وأنا حرٌّ أمامك، ولكن أنا وأنت نتفق على أني وأنت عبدان لله عز وجل، وأتفق أنا وأنت على أن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام يريد لنا الكمال، بأقوالنا وأفعالنا، من أجل سلامة ذريتنا.

أنت عندما تريد أن تفعل فعلاً ألا تستشير؟ وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (ما خاب من استخار ولا ندم من استشار) [رواه الطبراني]، العاقل هو الذي يستشير لأن مولانا قال لسيد العقلاء وسيد الناس: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ}، تعال واجعل مشورتك لا لزوجتك ولا لولدك ولا لابنتك ولا لصديقك، اجعل مشورتك مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، اطلب من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشير عليك إذا أردت أن تقسِّم المال وأنت على قيد الحياة، ليوجهك رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل سلامتك، ومن أجل سلامة ذريَّتك.

تعالوا أيها الإخوة لنرتفع إلى هذا المستوى لنأخذ النصح والتوجيه من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما كان يفعله أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. اسمع هذا الحديث الذي اتفق عليه الإمامان الجليلان البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أَنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ مِنْ مَالِهِ لابْنِهَا، فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً، ثُمَّ بَدَا لَهُ فَقَالَتْ: لا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى مَا وَهَبْتَ لابْنِي، فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ

غُلامٌ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لابْنِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا)؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: (أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا)؟ قَالَ: لا، قَالَ: (فَلا تُشْهِدْنِي إِذاً، فَإِنِّي لا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ).

انظروا إلى هذا المستوى الرفيع، والدٌ يهب ولده، ووالدة هذا الولد لها ضرائر، ولزوجها أولاد من امرأة ثانية، والوالد يريد أن يخصَّ الولد بهدية دون بقيَّة الأبناء، ما هو موقف الأم التي تربَّت في مدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قالت هذه الأم الصالحة: لا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى مَا وَهَبْتَ لابْنِي. هل تخاطبنا نساؤنا بهذا أيها الإخوة؟ هل تذكِّرنا نساؤنا في كل عمل أن نرجع إلى شرع الله، لأن من أراد الفلاح والنجاح نهاية فليرجع بداية إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لعلك أن تتنبَّه وأنت تريد أن تقسِّم مالك على قيد الحياة، ربما أن تعيث فيها فساداً، تعطي الذكور دون الإناث، أو تعطي الإناث دون الذكور، أو تعطي نصف حصة للأنثى وحصة كاملة للذكر، تعال يا أيها المحب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمع ما قال: (يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا)؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: (أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا)؟ للكل دون تمييز بين ذكر وأنثى، قَالَ: لا، قَالَ: (فَلا تُشْهِدْنِي إِذًا، فَإِنِّي لا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ). وفي رواية عند البخاري قال: (فَأَرْجِعْهُ). وفي رواية عند مسلم قال: (فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي). وإذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أشهد على هذا غيري)، أي أنا لا أشهد، وإذا رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهادة فمن الذي سيشهد من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية عند البخاري قال: (لا تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ). وفي رواية عند مسلم: (اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلادِكُمْ). وفي رواية عند الإمام أحمد: (فَلا تُشْهِدْنِي إِذًا إِنِّي لا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ، إِنَّ لِبَنِيكَ عَلَيْكَ مِنْ الْحَقِّ أَنْ تَعْدِلَ بَيْنَهُمْ). وقال

صلى الله عليه وسلم: (سووا بين أولادكم في العطية، ولو كنت مفضِّلاً أحداً لفضَّلت النساء على الرجال) رواه البيهقي والطبراني. هذا العطاء في حياتك الدنيا ليس ميراثاً، إنما هو عطية، والعطية والهبة ينبغي أن تسوِّيَ فيها بين الذكر والأنثى.

نعم أيها الإخوة، قد يأتي أحدنا ويقول: هذا ولد بارٌّ والآخر عاق، فأنا سأمنع هذا الولد العاقَّ من هذا المال، أسألك يا أخي: أيعجبك العقوق؟ الجواب: لا، إن كان لا يعجبك العقوق، تعال وتدبَّر قول الله عز وجل: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ}، جعل الإسلام نصيباً وسهماً من مال الزكاة للعبد إذا كان كافراً وتطمع في إسلامه، فكيف بولدك المؤمن الموحِّد المحبِّ لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه وقع في العقوق؟ ألا تريد أن تعالج هذا الولد؟ تعالجه بالمال الذي هو همزة وصل، فلا تحرم الولد من هذا الميراث أو من هذه الهبة والعطية ظناً منك بأن هذا يؤدبه، لا يا أخي، رحم الله والداً أعان ولده على بره، ولدك العاق عندما يراك آثرت ولدك البار عليه فأعطيته المال الكثير وحرمته، كان عاقّاً لك وأضاف إلى العقوق عقوقاً، وجمع مع العقوق الحسد والبغضاء في قلبه نحو إخوته وأخواته، أيسرك ويعجبك أن يكون ولدك من أهل النار يوم القيامة؟ الجواب: لا، إذا كان لا يعجبك ولا يسرُّك هذا فلماذا لا تعطي هذا الولد؟ ولعله بهذا العطاء يصلح حاله، لأن العطاء يملك القلوب والرقاب.

لذلك أقول مناشداً لك يا أخي: لا تزد الولد العاق عقوقاً، ولا تجعل مع العقوق حسداً وبغضاء في قلبه نحو إخوته، لأنني سمعت الكثير يقول: لا سامح الله والدي، وسمعت البعض يقول ويسأل الله أن يجعل قبر والده حفرة من حفر النار، لأنه آثر في العطية.

قد يكون دعاؤه غير مستجاب، لا حرج، ولكن تصوَّر الولد عندما يدعو الله على والده كم يكون سخط الله على هذا الولد؟ لماذا تجعل ولدك يزداد عصياناً وعقوقاً وإعراضاً عن الله عز وجل وتغرس في قلبه الحسد ليكون مآله لا قدر الله إلى

نار جهنم؟ فإما أن تعطي الجميع سواء، وإما أن تبقي المال من بعدك للورثة جميعاً يقتسمونه كيفما شاؤوا وتخلص أنت من الإثم. أنت تريد الإصلاح، وتقول: ما أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله، نعم يا أيها المريد للإصلاح هذا العطاء غرَسَ في القلب الفساد والشقاق.

أيها الإخوة: انظروا إلى واقعنا، كم وكم من الإخوة والأخوات تدابروا وتقطَّعت الأرحام بسبب سوء المعاملة. أما عطاؤك لولدك عن حاجة من أجل الزواج مثلاً فلا حرج، بحيث لو جاء الثاني زوَّجتَه وأعطيته من مالك، وما ينبغي أن تعطي للبنت كما أعطيت للذكر في زواجه، لأن عطاءك في الزواج من باب الحاجة والمعونة، أما أن تُزوِّج الولد وأن تشتري له بيتاً، ثم بعد ذلك ما تستطيع أن تشتري بيتاً للثاني ولا للثالث، لماذا جعلت هذا البيت لولدك؟ اشتر البيت ودعه لك، وأسكن الولد فيه ثم بعد موتك يكون هذا المال للورثة جميعاً، وإذا كانت أحوالك ميسورة فاشتريت للبنات وللبنين فلا حرج، أما أن تخصَّ الذكور بالدّور والبيوت وتمنع الإناث فعلى أيِّ أساس؟ ربما أن يأتيها زوج فقير الحال لا يستطيع أن يشتري بيتاً، فلماذا لا تعطي ابنتك بيتاً؟ لا تقل أنا حر، أنت عبد لله، لا بأس أن تعين ولدك، ولكن أعنه في السكنى دون أن تجعل البيت تمليكاً له، وبعد موتك يكون البيت من جملة المال للورثة جميعاً.

لذلك أختم حديثي أيها الإخوة بما رواه البيهقي في شعب الإيمان، عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء بنيّ له، فأخذه فقبَّله وأجلسه في حجره، ثم جاءت بنيَّة له، فأخذها وأجلسها إلى جنبه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فما عدلت بينهما). إذا كان هذا أيها الإخوة في القبلة، فكيف بالمال؟ لذلك لا يسعنا يا عباد الله إلا أن نتبع هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن نسوِّي بين أبنائنا في العطيَّة إن كنا على قيد الحياة، والأولى من هذا وهذا أن تترك الأمر من بعدك لورثتك يقتسمون هذا المال كما أمر

الله عز وجل. فلا تجعلوا المال أيها الإخوة همزة قطع بين أفراد أسرتكم، بل اجعلوا المال همزة وصل، عسى أن يكونوا بررة بكم بعد موتكم، وأن يكونوا متآلفين متعاونين متحاببين، وأكثروا من الدعاء الذي علَّمنا إياه مولانا عزَّ وجل في القرآن العظيم: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}. أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

63- خطبة الجمعة: أيها السارق..!!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: الإسلام جاء ليجعل من المجتمع مجتمعاً متماسكاً متراصّاً كالبنيان المرصوص، كما قال النبي الأعظم عليه وآله الصلاة والسلام: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ [رواه البخاري]. الإسلام جاء ليجعل المجتمع آمناً، والمجتمع لا يكون متراصّاً وآمناً إلا إذا رُفع الظلم، ومن جملة الظلم أكل أموال الناس بالباطل، ومن صوره السرقة التي تفشَّت في المجتمع، وهي سببٌ لاضطراب المجتمع ولنفي الأمان عنه، وتجعل المجتمع في حالة قلق واضطراب، وربما أن تؤدي جريمة السرقة إلى جريمة سفك الدماء، لأن السارق حين يأخذ هذا المال فإنه يأخذ ثمرة جهد هذا الإنسان ربما خلال أعوام عديدة تعب

فيها لجمع هذا المال.

أيها الإخوة: السرقة سبب لانتشار البطالة في المجتمع، فما جاء الإسلام بتحريم السرقة إلا ليجعل من المجتمع مجتمعاً آمناً مطمئناً على ثمرة جهده بأنها لن تضيع، جاء الإسلام وحرَّم السرقة من أجل أن ينشِّط الناس للعمل، لأن السارق عندما يعلم بأن السرقة حرام، وأن عاقبتها وخيمة في الدنيا قبل الآخرة، فإنه يتوجّه للعمل، ومن توجّه للعمل كان منتجاً ولم يكن بطّالاً يعيش على حساب الآخرين.

الإسلام جاء لرعاية الناس ولرعاية المال، ومن هنا يقول مولانا عز وجل في حدّ السرقة: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ}، اليد تُقطع بجريمة السرقة، مع أن الأصل فيها أنها ثمينة بحيث لو اعتدى إنسان على يد آخر فقطع يده ظلماً وعدواناً فإنه يدفع دية اليد المقطوعة خمسين ناقة، وأما إذا سرقت اليد فإنها تُقطع بأمر من الله عز وجل بعشرة دراهم، وربما تعجَّب البعض: إذا قطع إنسان يد إنسان دفع ديتها خمسين ناقة، وإذا سرقت اليد عشرة دراهم قطعت اليد؟! نعم، لأن اليد عندما كانت أمينة كانت ثمينة، وعندما خانت هانت.

أيها الإخوة: إني أتوجَّه إلى كل أخ تسوِّل له نفسه جريمة السرقة، أو يخطر في باله أن يسرق، من مال خاص أو من مال عام، لأن السرقة تشمل الأملاك الخاصة والأملاك العامة، قد تسوِّل للواحد منا نفسه أن يسرق الأموال العامة، متأوِّلاً أن الدولة ظالمة جائرة، وقد تسوِّل له نفسه أن يسرق من أموال الآخرين من أموالهم الخاصة. أقول لهذا الإنسان: تعال واسمع يا أخي طالما أنك إنسان مؤمن موقن بأنك راجع إلى الله وأنك ستحاسب يوم القيامة، واسمع ماذا يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ). واللعنة تعني الطرد من رحمة الله، تصوَّر

سرق بيضة فطرد من رحمة الله، وسرق حبلاً فطرد من رحمة الله.

لو كان إيمان هذا الإنسان كاملاً في قلبه لما اجترأ على السرقة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما يروي الإمام البخاري عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ). هل استوعبنا هذا الحديث أيها الإخوة والذي سبقه من قول النبي صلى الله عليه وسلم؟ تلمَّس الإيمان في قلبك الذي هو سرُّ سعادتك في الدنيا والآخرة، إن سُلب من قلبك الإيمان لا قدر الله فأيُّ سعادة ترجوها، وخاصة أننا عرفنا من سيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه عندما بايع أصحابه الكرام قال صلى الله عليه وسلم: (بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا وَلا تَسْرِقُوا وَلا تَزْنُوا) [رواه البخاري]، بايعوا وصدقوا العهد فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

أما عندما تسوِّل لنا أنفسنا السرقة من الأملاك العامة أو الخاصة، هل عند هذا الإنسان السارق الاستعداد لأن يطرد من رحمة الله عز وجل؟ لذلك أنا أخاطب هذا السارق أيها الإخوة، ولعلكم أن تبلِّغوا كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) [رواه البخاري]، بلِّغوا كلَّ سارق، وكل من تسوِّل له نفسه السرقة من الأملاك العامة والخاصة. الأملاك العامة بكل صورها، من سرقة الكهرباء والمياه والهاتف، وما يخطر في بالك من الأملاك العامة، إذا كنت مدير دائرة، وإذا كنت مستأمَناً على الأملاك العامة، وتأخذ منها لجيبك، هذه السرقة بها عرَّضت نفسك لأمور عدة، لعلك أن تسمع، وأنا أخاطب هذا السارق وأقول:

أيها السارق! أتعرض إيمانك للضياع من أجل دريهمات بسيطة، والدنيا كلها بما فيها لا تساوي عند الله جناح بعوضة؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)، ومن عرَّض إيمانه للضياع فأي عمل سيكون مقبولاً عند الله عز وجل؟ لأننا كلنا نعلم بأن العمل الصالح لن يُقبل إلا على أساس من الإيمان.

أيها السارق: أتعرِّض نفسك للإفلاس؟ وهذا ما سرق إلا خشية الإفلاس، ومن أجل الغنى، يا أيها السارق عندما تسرق وأنت تطمع بالغنى وتخشى الإفلاس، أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟) قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ. فَقَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا...)، أكله سرقةً أو رشوةً أو تطفيفاً بالكيل والميزان، وأكل الميراث والمهر... (وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) [رواه مسلم].

أيها السارق: أتعرِّض نفسك ألاَّ يقبل الله عز وجل منك صدقة؟ لأن الله طيِّب لا يقبل إلا طيباً، أتعرِّض نفسك لأن لا يقبل الله عز وجل منك صرفاً ولا عدلاً، لأنَّ كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به.

أتعرِّض نفسك لضياع أجر الصدقة التي بها يستظلُّ الناس يوم القيامة في أرض المحشر، وبالصدقة تطفئ غضب الرب، والصدقة تكون وقاية بينك وبين النار، تصدَّقوا ولو بشقِّ تمرة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم عندما حذَّرنا من النار قال: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) [رواه البخاري]. ولكن هذه الوقاية من نار جهنم بصدقةٍ ينبغي أن تكون من حلال صرف، لأن الله طيِّب لا يقبل إلا طيباً.

أيها السارق: أتعرِّض نفسك لا قدر الله أن توصف بوصف جاء منه الكفر والنِّفاق، ألا وهو وصف الكذب؟ هل رأيتم سارقاً صادقاً؟ السارق كاذب، ونتيجة الكذب رسمها النبي صلى الله عليه وسلم وبيَّنها لنا بقوله صلى الله عليه وسلم: (وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ،

وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا) [رواه مسلم]. أيرضيك أيها السارق أن تعرِّض الإيمان للضياع؟ أيرضيك أن تجعلك السرقة مفلساً؟ أيرضيك أن تجعلك جريمة السرقة مطروداً من رحمة الله وأن تصبَّ عليك اللعنة؟ أترضى أن توصف بأنك كذَّاب وأن تُكتب عند الله كذاباً؟ ومن كُتب عند الله كذاباً فسييسره ربنا عز وجل للعسرى، ولن ييسره لليسرى. أروني أيها الإخوة رجلاً سارقاً ما اعتاد الكذب، وأروني رجلاً سارقاً ما وقع في معصية بعد معصية بعد معصية، لأن هذا الوقود الذي يجعله في جسده من مطعم حرام ومشرب حرام، وغذَّى جسده للحرام فلن يوفَّق للطاعة.

أترضى أخيراً أيها السارق أن توصد في وجهك أبواب استجابة الدعاء فلا يستجيب الله عز وجل لك دعاء؟ ألم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماءِ ويدعو ويقول: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام ومسكنه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟ أيرضيك هذا أيها السارق لا قدر الله؟

ولتعلم يا أيها السارق بأن الله لا يقبل توبتك حتى تعيد الحقوق إلى أصحابها، أو أن تستحلَّهم، تصوَّر عندما يسرق الإنسان من الأملاك العامة لمن سيرضي؟ عندما يسرق الكهرباء والماء، لمن سيرضي من أبناء البلد؟ هل تستطيع أن ترضي الناس جميعاً؟ لا يقبل الله عز وجل منك التوبة حتى تعيد الحقوق إلى أصحابها أو أن تستحلَّ أصحابها.

أيها الإخوة: هل يا ترى نكون آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر محافظين على لقمة الحلال حتى تخرج روحنا من أجسادنا، والله إنها لحسرة كبيرة عظيمة لا قدر الله إذا مات العبد وهو مصرٌّ على السرقة ودون أن يرد الحقوق إلى أصحابها، فما هو قائل هذا العبد لمولاه يوم القيامة؟ وما هو موقفه من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة عندما يقول له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد

الله أما سمعت قولي: (وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)؟ فأي شفاعة ترجوها من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنت تستحلُّ السرقة والعياذ بالله تبارك وتعالى؟

أيها الإخوة: لتكن أيدينا أمينة، فإن كان أمينة كان ثمينة، وإلا إذا خانت اليد صارت هينة وتُقطع، هل تعلم أيها السارق بأنك لو كنت في زمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أو في ظل من يقيم حدود الله عز وجل وسرقت قُطعت يدك لتُعرف بين الناس بأنك أنت السارق؟ والنبي صلى الله عليه وسلم ما عرف هوادة في مسألة السرقات على الإطلاق، وكلنا يعلم حديث المرأة المخزومية التي سرقت في زمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. أين هؤلاء الذين يسمعون حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أين هؤلاء القضاة الذين يقيمون شريعة الله عز وجل؟ أين هؤلاء الذين يريدون الأمن والأمان لوطنهم ومجتمعهم في تطبيق حد السرقة؟ وألا يقبلوا في ذلك شفاعة شفيع على الإطلاق؟

السرقة سبب لضياع الأمان في المجتمع، وسبب لقلق الناس في ليلهم ونهارهم، وما جاء الإسلام إلا ليجعل لنا أماناً، فالحدود من أجل أمننا وأماننا وإيماننا. روى الإمام البخاري في صحيحه أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: (أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله)؟ قَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ الله.

فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ الله خَطِيبًا فَأَثْنَى عَلَى الله بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا).

ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا، فَحَسُنَتْ

تَوْبَتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَتَزَوَّجَتْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم.

حبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه كان معمِّراً وما كان مدمِّراً، أما حبُّنا لبعضنا البعض فهو في غالب الأحيان مدمِّر، حبُّنا لبعضنا البعض يستر بعضنا بعضاً على المنكرات، وينساق بعضنا خلف بعض دون شفقة ورحمة، أيُّ حب هذا إذا لم نكن وقَّافين عند حدود الله؟

هل تعلم هذا أيها السارق؟ ليس هناك شفقة، الله يقول: {وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}، لأن هذا السارق هو داء في المجتمع وحدُّه أن تُقطع يده، فأخاطبك أخي المسلم: اجعلك يدك ثمينة بالأمانة، ولا تجعلها رخيصة هيِّنة بالخيانة، كن أميناً، لأن الإيمان يأتي بالأمانة، ومن فقد الأمانة فقد الإيمان والعياذ بالله تبارك وتعالى. فطوبى لعبد اصطلح مع الله، وطوبى لعبد أعلن توبته إلى الله وبرَّأ ذمته قبل أن يخرج من هذه الدنيا.

اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة: كثرت التساؤلات عن المصالحة على الدين، إنسان يكون مديناً، اشترى سلعة إلى أجل، على أقساط يدفعها، تتيسر معه الأمور فيأتي للدائن البائع ويقول له: أعطيك الديون المترتبة عليَّ فبكم تسامحني؟ فيقول: أسامحك بمبلغ قدره كذا، فيعجِّل له الدفع بعد إسقاط جزء من الدين الذي عليه. هذه مشكلة قائمة في المجتمع، وعند الأئمة الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة أنها من الربا، ويحرم هذا شرعاً، هذا واقع في مجتمعنا، المصالحة على الدين المؤجَّل. أما الدين المعجَّل الذي حلَّ وقته فإذا أردت أن تصالحه على هذا المبلغ الذي حلَّ أجله فلا حرج في ذلك. أما الدين المؤجل الذي ما حلَّ أجله فالمصالحة عليه عند جماهير

الفقهاء من الربا، فلنتنبَّه إلى ذلك، أجارنا الله عز وجل وإياكم من لقمة الحرام.

** ** **

-64خطبة الجمعة: أيها المرتشي..!!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: جاءتنا ذكرى المولد فهشت القلوب وبشَّت وفرحت، واجتمع المسلمون في بعض بيوت الله عز وجل فرحين بذكرى ميلاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإذا فرحوا فمن حقِّهم أن يفرحوا، لأن مولانا عز وجل يقول: {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُون}، فرحوا بالرحمة المهداة، بمن قال فيه مولانا عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين}، فرحوا بالرحمة المهداة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن ذاته: (إنما أنا رحمة مهداة) [رواه ابن أبي شيبة]، فجزاك الله عنا يا سيدي يا رسول الله خير ما جزى نبياً عن أمته.

وكم كنتُ فرحاً عندما رأيت جمعاً كبيراً في هذه البلدة اجتمع في وقت واحد، وكما يقولون: اجتمعوا حكومة وشعباً، في بيت من بيوت الله، وقلَّبتُ النظر، هؤلاء المسؤولون، وهؤلاء الناس، اجتمعوا جميعاً في بيت واحد، والذي جمعهم حبُّ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ما اجتمع القوم رغماً عن أنوفهم، وما اجتمع القوم بتهديد إذا تخلَّف واحد منهم، وما اجتمعوا ليأخذوا عرضاً من أعراض الدنيا، لو سألتهم حكومة وشعباً: ما الذي ساقكم لهذا الاجتماع؟ لقالوا جميعاً: حب الله

وحب رسوله صلى الله عليه وسلم.

فرحت أيها الإخوة ولله الحمد، ولكن جاء موضوع خطبة الجمعة، وفكَّرتُ في صباح هذا اليوم المبارك، ماذا سيكون موضوعنا؟ وأنا الذي أتحدَّث من أسابيع ماضية عن صور أكل المال بطريق غير مشروع، عن أكل أموال الناس بالباطل، عن أكل الحرام، والله أيها الإخوة عندما فكَّرت في متابعة هذا الموضوع تبادر إلى ذهني الصورةُ التي رأيتها في ليلة ميلاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وتبادر إلى ذهني أمرٌ آخر، أننا نعيش في بلدة فيها أكثر من خمسة عشر خطبة جمعة والناس يأتون طواعية بدون ترغيب وبدون ترهيب، يأتون إلى بيوت الله جماعات وفرادى، فقلت في نفسي: يا سبحان الله، هذا الانقياد من خلال الحب لله عز وجل ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أين أثره؟ إن تخلَّفت عن صلاة الجمعة ربما أن لا ترى لائماً يلومك، وإن تخلَّفت عن حضور المولد ربما أن لا ترى لائماً يلومك، أتيت بطواعية، ما الذي جاء بك؟ الذي جاء بك إلى صلاة الجمعة وإلى مولد سيد الكائنات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو حبك لله ولسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المبنيُّ على الإيمان بالله وبسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلت في نفسي: ما القصة؟ والله إنه لأمر عجيب أن ترى أكل الحرام منتشراً أيَّما انتشار، كانتشار النار في الهشيم، وفي كل يوم يزداد المجتمع صورة من صور أكل الحرام، صورة من صور أكل الربا، وصورة من صور المقامرة، ما الذي حصل أيها الإخوة؟ لماذا هذا؟ تعالوا أيها الإخوة يا أحباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يا روَّاد المساجد، يا أيها المحافظون على صلاة الجمعة والجماعة، تعالوا لأتمِّم معكم الحديث عن أكل أموال الناس بالباطل، حيث نهانا ربنا عز وجل عن ذلك بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}.

من صور أكل أموال الناس بالباطل: الرشوة، وكلُّنا يعلم بأن الرشوة منتشرة

أيَّما انتشار، وكأنَّ الراشي يُخرج نفسه من اللعنة ويُخرج نفسه من غضب الله وسخطه، أنا عندما أتحدَّث عن الرشوة لا أقصد المرتشي فقط، إنما أقصد الراشي والمرتشي والرائش بينهما.

أيها الإخوة: الرشوة ضيَّعت حقوق الفقراء، وضيَّعت حقوق الضعفاء، وأصبح الظالم فيها يزداد ظلماً، وصار المظلوم فيها يزداد مظلومية، الرشوة حرَّكت في نفوس الضعفاء أن يتقاعسوا عن العمل، ولا يقوموا بالواجب الذي عليهم إلا بعد أخذ المال بطريق غير مشروع. الرشوة سبب لتعطيل حدود الله عز وجل، وما كان تعطيل حدود الله عز وجل في مجتمع إلا حلَّ الدمار في ذلك المجتمع.

أيها الإخوة: الرشوة انتشرت أيَّما انتشار، وكلُّ واحد منا يبرِّر: أنا أدفع من أجل أن آخذ حقي، والآخذ يقول: أنا آخذ هدية.

أيها الإخوة: كونوا على حذر من مداخل الشيطان، {زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ}، هؤلاء الذين زُينت لهم أعمالهم السيئة وهم من أهل الإيمان، أخاطبهم وأذكِّرهم، واسمحوا لي أن أقول: الخطاب لمن يسمع، وليس الخطاب لمن لم يسمع، لأن الذي لم يسمع ترك الجمعة والجماعة، ومن ترك الجمعة ثلاثاً طُبع على قلبه، لا إشكال، حسابه على الله عز وجل. أما أنا وأنت من روَّاد بيوت الله، من أهل الإيمان، إذا فاتتنا صلاة ندمت قلوبنا وانكسرت وتحسَّرت واستغفرنا الله وتصدقنا من أجل أن يكفِّر عنا مولانا، فيا أيها المصلي، ويا أيها المحافظ على الجمعة والجماعة، ألقِ السمع لحديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإني أُشهد الله بأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم يحبنا، وبأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم يتألَّم علينا وهو في قبره الشريف الذي يقول صلى الله عليه وسلم: (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم، أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم) [رواه الديلمي].

سيدنا محمد يحبُّنا وينتظرنا، وعلَّمنا أن نبحث عنه في أرض المحشر ليشفع لنا، وأن نبحث عنه عند الصراط والميزان والحوض رحمةً منه نحونا، فهلاَّ سمعت يا أيها المرتشي حديث حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. قد أكون أنا متهماً عندك وعند الآخرين، وغيري متهم عندك، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس متهماً عند أحد من المؤمنين أبداً، فهلاَّ جلست جلسة إنصاف وحساب فيما بينك وبين نفسك وأصغيت السمع لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أولاً: يقول لك مولانا عز وجل: {وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون * فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُون}. ويقول لك سبحانه: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا}، ويأتي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليقول لنا: (وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته) [رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والطبراني والديلمي]. ويقول لك الصادق المصدوق عن رزقك وهو يحدِّثك عن جمع خلقك وأنت في رحم أمك، بأنه عندما يأتي الملك فينفخ فيك الروح فيكتب رزقك وأجلك، رزقك مقسوم، والله حرصك لن يزيد فيه، ووالله زهدك لن يُنقص من رزقك أبداً. ثم يقول لك الحبيب صلى الله عليه وسلم: (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا بْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ)؟ [رواه مسلم].

تعال يا أيها المضمون رزقه، يا من ليس له من ماله إلا ما أكل فأفنى، ولبس فأبلى، وتصدق فأبقى، تعال وأنت الذي تسوِّل لك نفسك أن تجمع المال عن طريق الرشوة، وتكدِّس هذا المال تكديساً، وليس لك منه إلا كما قال لك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. تعال واسمع ماذا يقول لك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

روى الحاكم عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم: (من ولي عشرة فحكم بينهم بما أحبوا أو بما كرهوا، جيء به مغلولة يده، فإن عدل ولم يرتش ولم يحف فك الله عنه، وإن حكم بغير ما أنزل الله وارتشى وحابى فيه، شُدَّت يساره إلى يمينه، ثم رُمي به في جهنم، فلم يبلغ قعرها خمسمائة عام).

يا أيها الموظف، يا أيها المسؤول، يا مدير الدائرة، مهما كان عملك الوظيفي المسند إليك، ولو على عشرة أشخاص سيؤتى بك يوم القيامة يدك مغلولة إلى عنقك، سواء عدلت أم جُرت.

أناشدكم الله يا أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، دريهمات تكدِّسها في البنوك الربوية، من أجل أن تجعل يديك مغلولة إلى عنقك، وأن تلقى في نار جهنم، لا يبلغ العبد قعرها خمسمائة عام والعياذ بالله!.

تعال واسمع أيها المرتشي كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، روى أبو داود والترمذي عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي)، وفي رواية الطبراني: (الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي فِي النَّارِ). لا تظن أنك إذا أخذت المال عن طريق الرشوة أنك أخذت فوق ما قسم الله لك وأنت في بطن أمك، والله الذي لا إله غيره لو صبرت لأكلت هذا المال بطريق مشروع، ولكنك تعجّلت، ولا تقل أنا لا أعرف الحلال من الحرام، القطُّ يعرف الحلال من الحرام، إذا قدَّمت بيدك قطعة اللحم للقطّ أكلها بجانبك، ولكن إن أخذها خِلسة أخذها وولى يعدو، الرشوة حرام وكبيرة من الكبائر، تعال واسمع يا من يقول: أنا قضيت له عمله ولم أجعل له عقبة، ويسَّرت له أموره بدون قيد وشرط، وهو الذي أكرمني بعد ذلك، تعال يا من تسوِّل له نفسه وشيطانه هذا، اسمع ماذا يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما جاء في سنن أبي داود قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ شَفَعَ لأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا فَقَبِلَهَا

فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا). وسئل ابن مسعود عن السحت فقال: هو أن تشفع لأخيك شفاعة فيهدي لك هدية فتقبلها، فقال له السائل: أرأيت إن كانت هدية في باطل؟ فقال: ذلك كفر، لأن الله عز وجل يقول: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُون}.

نحن أيها الإخوة اليوم نعيش في رعب، من الغلاء، ومن قوة الغرب، ومن تسلط الظلمة علينا، هذا الرعب ما جاء من فراغ، لأن مولانا عز وجل يقول: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}، يا أيتها الأمة المرعوبة ارجعي إلى الوراء وانظري إلى سبب هذا الرعب، فعالجي السبب وبعد ذلك لا تخافي من النتيجة. ما سبب هذا الرعب؟ إن قلت لك قد تتهمني، ولكن اسمع ماذا يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما يروي الإمام أحمد في مسنده عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: (مَا مِنْ قَوْمٍ يَظْهَرُ فِيهِمْ الرِّبَا إِلا أُخِذُوا بِالسَّنَةِ، وَمَا مِنْ قَوْمٍ يَظْهَرُ فِيهِمْ الرُّشَا [أي الرشوة] إِلا أُخِذُوا بِالرُّعْبِ)، الرعب والخوف موجود، والرشوة لا أدري أموجودة أم لا؟

أيها الإخوة: يروي الإمام البخاري عن سيدنا أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اسْتَعْمَلَ عَامِلاً، فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي. فَقَالَ لَهُ: (أَفَلا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لا)؟ ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلاةِ فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: (أَمَّا بَعْدُ، فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لا؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ، فَقَدْ بَلَّغْتُ. فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ حَتَّى إِنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى

عُفْرَةِ إِبْطَيْهِ). تصور الشيء التي يأخذه هدية كما يقول، أو رشوة كما هو في الحقيقة، يأتي يوم القيامة يحمله على عنقه، تصور كيف سيحمل بعيراً على رقبته، ولا تقل كيف؟ لأننا سنرى هذا يوم القيامة وربِّ الكعبة. فكيف لو أتيت يوم القيامة وأنت تحمل الأراضي والسيارات والدور والمزارع وتلك الأموال التي أكلتها بغير حق، ما أنت قائل لربك يوم القيامة؟

اعلموا أيها الإخوة أننا سنسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ}، سنسأل هل بلَّغ أم لا؟ وسيأتي الجواب: نعم بلَّغ، ونقول كما قال الصحابة رضي الله عنهم: نشهد يا رسول الله أنك بلَّغت الرسالة، وسوف يُسأل عنا الأنبياء يوم القيامة هل اتَّبعنا أم ابتدعنا؟ إذا جاء يومُ القيامة، ونحن نبحث عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقول: يا رسول الله الشفاعة، فيقول: يا رب أمتي، فيقال له: إنهم ليسوا من أمتك، إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك. لا أيها الإخوة، أترضى لنفسك أن تكون ملعوناً ومطروداً من رحمة الله، لا أيها المرتشي أترضى أن تكون سبباً في فساد المجتمع، وربنا عز وجل يقول: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}، لا أيها المرتشي، كن رحيماً بنفسك، وكن رحيماً بمجتمعك.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

-65**خطبة الجمعة**: **هل تعلم هذه الحقائق؟**(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: إنه من المسلَّم عند جميع العقلاء أن الإنسان هو المكرَّم في هذا الوجود، وأنه سيد هذا الوجود، وكل شيء في عالم السماء والأرض مسخَّر لهذا الإنسان المخيَّر، ولكن ينبغي علينا أن نقف أمام بعض الحقائق لكي نعرف الهوَّة السحيقة بيننا وبين سائر الموجودات، فإذا كان الإنسان يعتقد أنه هو سيد الموجودات، وأنه هو المخدوم، وأن عالم الجماد وعالم الحيوان وعالم النبات مسخَّر في خدمته، فإنه ينبغي على هذا العبد أن يقف أمام بعض الحقائق لكي يعرف الهوَّة السحيقة البعيدة بينه وبين هذه الموجودات، فيا أيها السيد ويا أيها المخدوم، انظر إلى الفارق الكبير بينك وبين هذه الموجودات من دونك، هل يا ترى هناك هوة سحيقة بينك وبينها، أم أنك بحق وبجدارة سيّد هذه المخلوقات من خلال عبوديتك لله عز وجل.

أيها الإخوة: انظروا في هذه الحقائق التي سأذكرها لكم، وكيف أن هذه الموجودات متحققة في العبودية لله، وكيف أن بعض بني الإنسان قد تمرَّدوا على شرع الله، وتمرَّدوا على العبودية لله سبحانه وتعالى. فيا أيها السيد المخدوم، يا بن آدم، هل تعلم هذه الحقائق؟

هل تعلم أن الحيوان يغار على عقيدة التوحيد، وأن الحيوان ينفر من الشرك ومن أهل الشرك، وأن الحيوان يُنكر على ابن آدم إذا ما أشرك مع الله عز وجل، مع أننا نعلم أن عالم الحيوان ما أرسل الله عز وجل إليه رسولاً، وما أنزل عليه قرآناً،

ولكن هذا الحيوان بفطرته علم عقيدة التوحيد، فأنكر الشرك وأنكر على المشركين، وانظر إلى حال البعض الذين هم سادة هذا الكون يعتقدون أن كل شيء مسخَّر لهم كيف يشركون مع الله عز وجل؟

أيها الإخوة: تعالوا قفوا أمام هذه الحقيقة التي ذكرها مولانا عز وجل في القرآن العظيم عن هدهد سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام، هذا الهدهد الذي تفقَّده سيدنا سليمان عندما كان يتفقَّد الطير، وعندما فقده توعَّده سيدنا سليمان بأن يذبحه أو يعذبه عذاباً أليماً، فقال الهدهد لسيدنا سليمان: {أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِين}، ما قصة سبأ؟ وما قصة قوم سبأ؟ قوم سبأ يسجدون للشمس من دون الله، فأنكر الهدهد هذا السجود لغير الله، وأنكر الشرك، وأنكر على المشركين، وقال لسيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام: {وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُون * أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُون * اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم}، انظروا أيها الإخوة، علم الهدهد أن السجود لا يكون إلا لله، علم التوحيد ودافع عنه، أنت أيها الإنسان انظر إلى نفسك وانظر إلى شريحة من الناس أشركت مع الله عز وجل، وكن على حذر من عقيدة الشرك، لأن مولانا عز وجل يقول: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُون}.

أيها الإخوة: انظروا في هذه الحقيقة، حيوان يعلم عقيدة التوحيد، وبعض بني آدم يشركون مع الله عز وجل! إن هذا لأمر عجيب!

حقيقة ثانية، الشجر والنبات يسجد لله عز وجل، وبعض بني آدم لا يسجد لله سبحانه وتعالى، أما وقفتم أمام هذه الحقيقة التي ذكرها مولانا عز وجل في القرآن العظيم بقوله: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَان}، يسجدان لله عز وجل، هذا النبات منسجم في عبوديته لله وهو مسخَّر وخادم لك، تستظل بظلّه، وتأكل من

ثماره، وتستفيد من خضرته، وإذا ببعض هؤلاء الناس يشركون مع الله ولا يسجدون لله عز وجل، إذا دُعي العبد إلى الصلاة استكبر، وإذا دُعي إلى السجود لله استكبر والعياذ بالله. هذا الشجر يحدّثنا عنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

يروي ابن ماجه والبيهقي عن سهل بن سعد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَا مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي إِلا لَبَّى مَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا). إذا وقف العبد ملبياً بحج أو بعمرة وقال: لبيك اللهم لبيك، فما من حجر ولا من شجر ولا من مدر عن يمين الملبي وعن يساره إلا لبى معه وقال: لبيك اللهم لبيك. انظروا أيها الإخوة إلى هذا الشجر الذي يلبي ويسجد لله، وبعض بني آدم لا يسجد لله عز وجل، هذه حقيقة غفل عنها الكثير من الناس.

حقيقة ثالثة، الحيوان يعلم بأن رزقه من الله، ويعلم بأن رزقه على الله عز وجل، وترى بعض بني آدم يعتقد بأن رزقه على الأسباب، فإذا بهذا العبد يشرك مع الله من حيث يدري ومن حيث لا يدري، وإذا ببعض الخلق يعتقدون بأن رزقهم على غير الله عز وجل. الحيوان بعلم بأن رزقه على الله، ويعلم بأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو رسول الله، وبعضهم لا يعلمون هذا، ويسيئون لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وربنا قال في حقهم: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ}؟ إلا أنه الاستكبار الذي تمكّن في قلوبهم، بعد أن كان هذا العبد سيداً في هذا الكون ومستواه راقٍ، هبط إلى أدنى الدركات والعياذ بالله تبارك وتعالى، كما قال مولانا عز وجل: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِين * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ}. بعضهم يقول بأن محمداً عليه الصلاة والسلام ساحر أو غير ذلك، والحيوان المسخّر لخدمة هذا الإنسان يعرف محمداً رسول الله، والمخدوم يتجاهل هذا!

جاء في مسند الإمام أحمد عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ فَأَخَذَهَا، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ، فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ قَالَ: أَلا تَتَّقِي اللَّهَ تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ؟! فَقَالَ: يَا عَجَبِي ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ يُكَلِّمُنِي كَلامَ الإِنْسِ! فَقَالَ الذِّئْبُ: أَلا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم بِيَثْرِبَ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ). وفي رواية البخاري: فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ! قَالَ: (فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ). ذئب يتكلم ويعلم بأن رزقه على الله عز وجل، وتأتي لإنسان مؤمن يقرأ قول الله عز وجل: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا}، ويقرأ قول الله عز وجل: {وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون * فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُون}، يعلم هذه الحقيقة وهو الإنسان العاقل، ولكنه يضيق صدره ويخاف على رزقه من أن ينقص فيسلك طريق الحرام. هذا العبد الذي يقول له مولانا عز وجل: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ}، ويقول له مولانا عز وجل كما أخبرنا سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا * مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا}، يضيق صدره في مسألة الأرزاق، مع أن رزقه بيد الله عز وجل، ويخاطبنا مولانا كما جاء في بعض الكتب السابقة، لعلك تسمع هذا وأنت تسمع بموجة الغلاء في العالم كله، هذا الغلاء الذي سبَّب الرعب في قلوب الكثير من الناس، يخاطبك مولاك فيقول: (يا بن آدم لا تخافنَّ من ذي سلطان ما دام سلطاني باقياً، وسلطاني لا ينفد أبداً.

يا بن آدم لا تخشَ من ضيقِ الرزق ما دامتْ خزائني ملآنة، وخزائني لا تنفد أبداً. يا بن آدم لا تَأْنَسْ بغيري وأنا لك، فإن طلبتَني وجدتَني، وإن أَنِسْتَ بغيري فُتُّكَ وفاتك الخيرُ كله.

يا بن آدم خلقْتُكَ لعبادتي فلا تلعبْ، وقسمتُ رزقَكَ فلا تتعبْ، وفي أكثرَ منه فلا تطمعْ، ومن أقلَّ منه فلا تجزعْ، فإن أنتَ رضيتَ بما أرحْتُ قلبَكَ وبَدَنَكَ وكنتَ عندي محموداً، وإن لم ترضَ بما قسمْتُهُ لك فوعزَّتي وجلالي لأُسلطنَّ عليك الدنيا، تركضُ فيها ركضَ الوحوش في البرِّ، ولا ينالُكَ منها إلا ما قد قسمْتُهُ لك، وكنتَ عندي مذموماً.

يا بن آدم خلقتُ السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ ولم أَعْيَ بخَلْقِهنَّ، أَيُعْيِيني رغيفٌ أسوقُهُ لكَ من غير تعب.

يا بن آدم أنا لك مُحِبٌّ، فبحقِّي عليكَ كنْ لي مُحِبّاً.

يا بن آدم لا تطالبْني برزقِ غَدٍ كما لا أطالبُكَ بعملِ غَدٍ، فإني لم أَنْسَ من عصاني فكيف من أطاعني؟ وأنا على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وبكلِّ شيءٍ مُحِيطٌ) أورده في كتاب المستطرف من كل فن مستظرف قال: روي أن هذه الكلمات وجدها كعب الأحبار مكتوبة في التوراة فكتبتها، ثم ذكره.

حقائق ينبغي أن نتدبَّرها، انظر إلى حقيقة هذا الهدهد الذي نفر من مسألة الشرك، ودافع عن عقيدة التوحيد، وانظر إلى الشجر الذي يسجد لله، وانظر إلى الحيوان الذي علم بأن رزقه على الله، ثم بعد ذلك انظر إلى الهوّة السحيقة بين العبد المكلف العاقل وبين هذه الموجودات، ولعلي أن أقف معكم في الأسبوع القادم مع بعض الحقائق التي ينبغي علينا أن نتنبه إليها لنصحّح مسارنا إلى الله عز وجل، أقول هذا القول، وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

66-خطبة الجمعة: هل تعلم هذه الحقائق؟(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: ذكرت لكم في الأسبوع الماضي أنه ينبغي أن نلتفت إلى كتاب الله وإلى سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لنقف على كثير من الحقائق، هذه الحقائق التي تنبِّه العبد من غفلته، وتوقظ العبد من أجل القيام بالوظيفة التي كُلِّف بها ألا وهو العبادة لله عز وجل.

قلنا في الأسبوع الماضي بأن الجمادات والحيوانات والنباتات تغار على عقيدة التوحيد، وضربنا على ذلك مثلاً هدهد سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبالمناسبة وجبت علينا سجدة التلاوة في الأسبوع الماضي عندما قرأنا ما أخبرنا الله عز وجل به من قول الهدهد حيث كانت السجدة في تلك الآية. وذكرت لكم حقيقة ثانية ألا وهي في قوله عز وجل: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَان}، وذكرنا حقيقة ثالثة بأن الحيوان يعلم بأن رزقه على الله، ويعلم بأن سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما اليوم فأتابع معكم ونحن نبحث من خلال كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى عن مثل هذه الحقائق، عسى أن نستيقظ من غفلتنا وأن نؤوب إلى رشدنا، هل تعلمون هذه الحقيقة التالية؟ بأنه ما من جماد وما من شجر وما من مدر وما من حيوان إلا وينفر من أهل المعاصي من بني آدم ويبغضهم، وهذا أمر عجيب، ولكننا لا نعلم ولا نشعر، ولكن علينا أن نلتفت إلى الذي قال فيه مولانا عز وجل: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى *

إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}، فيا أيها العبد الذي استرسل في معصية الله، وتهاون في طاعة الله، اعلم بأن المسخَّر لك من عالم الجماد والنبات والحيوان ينفر منك ويبغضك لله عز وجل، لأنك عاص، بل يتمنَّى موتك، فإذا مات العبد الفاجر استراحت منه هذه الكائنات.

يروي الإمام البخاري عن أبي قتادة الأنصاري أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ: (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ). قَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: (الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ، وَالعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ). استحضر نفسك وضع نفسك في هذا الميزان هل أنت مستريح أم مستراح منه؟ إذا كنت مستريحاً فإن الجميع سيبكي عليك، وإن كنت مستراحاً منه فإن الجميع سيفرح بموتك. تذكَّر عندما جاءت سكرات الموت لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقالت أمنا السيدة فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (لا كَرْبَ عَلَى أَبِيكِ بَعْدَ الْيَوْمِ) [رواه ابن ماجه وابن حبان]. الموت بالنسبة للإنسان المؤمن راحة.

ضع نفسك في هذا الميزان، أنت مؤمن بفضل الله عز وجل، ولكن هل عملك عمل الأبرار أم عمل الفجار؟ الفاجر إذا مات استراح منه العباد والبلاد والشجر والدوابّ، أترضى هذا لنفسك أن يكون موتك راحة لمخلوقات الله عز وجل؟ الذين قال فيهم مولانا عز وجل: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِين}، وأما بالنسبة للعبد المؤمن فإذا مات بكى عليه موضعان، موضع في الأرض وموضع في السماء، الموضع الذي كان يُحدث فيه طاعة لله عز وجل، والمكان الذي يصعد فيه عمله. أما العبد الفاجر الذي يعيث في الأرض فساداً، والذي يتقي الناس شره، فبموته يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدوابّ، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، تساءل فيما بينك وبين نفسك: بموتك تكون

مستريحاً أم مستراحاً منك؟ إذا كنت مستريحاً انقلبت إلى قبر هو روضة من رياض الجنة، وأما إذا كان العبد مستراحاً منه فإنه انقلب إلى قبر هو حفرة من حفر النار والعياذ بالله تبارك وتعالى، عندها يقول: رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت.

هل تعرف هذه الحقيقة بأن الشجر والدواب يتأذون من معصية ابن آدم؟ وعلى العكس من ذلك تماماً يفرحون بطاعته واستقامته، بل يصلون عليه ويستغفرون له ويدعون الله عز وجل له.

يروي الإمام الترمذي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ). أتعلِّم الناس الخير أم تعلِّمهم الشر؟ أتدعو إلى الفضيلة أم إلى الرذيلة؟ ما أثرك في المجتمع؟ أثر صالح أم سيئ؟ انظر ماذا تعلِّم الناس، وانظر إلى أثرك من خلال شخصيتك، علمتَ أناساً شرب الدخان أو المخدرات أو الخمور، أو الصلة مع النساء الأجنبيات، علمت أناساً معصية الله عز وجل؟! والجماد والنبات والدواب تنفر من هذا العبد الفاجر. أما الذي يعلم الناس الخير فالله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير.

أتعلِّم زوجتك وأبناءك الخير؟ أتعلم أقرباءك الخير؟ أتعلِّم جلساءك الخير؟ ألا تريد أن يصلي عليك الله وأهل السماوات والأرض، حتى هذه النملة الضعيفة، تصلي وتستغفر وتدعو لك عندما تعلم الناس الخير؟ لأن معلِّم الناس الخير يجعل من المجتمع مجتمعاً متآلفاً مع الموجودات كلها، ترى صاحب الخير منسجماً مع عالم السماء والأرض والجماد والنبات، لأن الجميع تحقَّق بالعبودية لله عز وجل. هل تعرفون هذه الحقيقة؟ لنخرج من غفلتنا.

حقيقة خامسة، والله الذي لا إله غيره ما وقعنا في المعاصي وما اجترأنا عليها

إلا بسبب غفلتنا عن يوم القيامة، وما أدراك ما يوم القيامة! كما قال مولانا عز وجل: {الْقَارِعَة * مَا الْقَارِعَة * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَة * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوث * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوش * فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُه * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه * فَأُمُّهُ هَاوِيَة * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه * نَارٌ حَامِيَة} ثم قال: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُر} عن أي شيء ألهانا؟ عن يوم القيامة بالصورة التي ذكرها مولانا عز وجل في سورة القيامة، نسينا القيامة وما أشفقنا منها، وربنا عز وجل يقول: {أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون}.

يروي الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إلا وَهِيَ مُسِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنْ السَّاعَةِ إلا الْجِنَّ وَالإِنْسَ). لأن الدوابّ علمت أن قيام الساعة سيكون يوم الجمعة، ونحن في حالة نسيان، يوم الجمعة بالنسبة لنا يومُ استراحة، ويوم معاص ومنكرات، وخاصة في فصل الصيف، عندما يخرج الناس إلى الشواطئ وما شاكل ذلك، وهم يقترفون المعاصي وعلى رأسها اختلاط الرجال بالنساء، وكم وكم من أناس تركوا صلاة الجمعة لأنهم يريدون الذهاب إلى نزهة أو إلى الشواطئ والسواحل، والدوابّ تشفق يوم الجمعة من قيام الساعة، لأن الله عز وجل قال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيم * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد}. أسأل الله أن يخرجنا من غفلتنا.

وحقيقة سادسة، هل تعلم بأن الجماد الذي هو أدنى الأشياء وجوداً. لأنه مسخَّر لعالم النبات والحيوان، وما عداه ليس مسخّراً لعالم الجماد، أدنى الأشياء قيمة في نظرنا عالم الجماد. هل تعلم أن هذا العالم يكاد أن يتشقّق ويتفطَّر من

كلمة الكفر؟ وأنت يا مؤمن في ساعة الغضب تصدر منك كلمة الكفر والعياذ بالله! سباً لله، أو لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لدين الله عز وجل، أو كفراً بشعائر الله عز وجل، والجماد الذي هو تحت قدمك يتميَّز غيظاً ويكاد أن يتشقق من كلمة الكفر، وأنت في حالة غفلة عن الله عز وجل، أما تقرأ قول الله عز وجل: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا}؟ كلمة كفر، كما قالت اليهود عزيز ابن الله، وكما قال المشركون الملائكة بنات الله، كلمات الكفر التي لا يلقي العبد لها بالاً وكأن الأمر لم يكن وليس بشيء، {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا}، عبد يجترئ على نسبة الولد لله، وعلى قول: لا إله والحياة مادة، وعلى سبِّ الله والعياذ بالله، وعلى كفر بدين الله، والجماد مسخَّر له، ووالله لولا تسخير الله الجماد والنبات والحيوان لنا لما استقرَّت لنا الحياة. هل تعرفون هذه الحقائق؟ متى سنخرج من غفلتنا يا عباد الله؟

أيها الإخوة: اعلموا بأن الجمادات تستريح من العبد الفاجر، وأن الجمادات والنباتات والحيوانات تصلي على معلِّم الناس الخير، فكن داعياً إلى الله، كن آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وبعد ذلك اعلم بأن الدوابّ تفزع من يوم الجمعة من أجل قيام الساعة، فاستحضر دائماً وأبداً قيام الساعة، لأن استحضارنا ليوم القيامة يجعل فينا استقامة، ثم بعد ذلك تنزَّه وابتعد عن كلمة الكفر، لأن كلمة الكفر آثارها سيئة:

أولاً: بكلمة الكفر يرتدّ العبد عن دين الله، وإذا مات بعد كلمة الكفر وقبل أن يجدّد إسلامه حبط عمله وصار من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

ثانياً: بكلمة الكفر كلُّ شيء يلعن العبد الكافر.

ثالثاً: بكلمة الكفر يُفسخ عقد الزواج بينك وبين زوجتك إن كنت متزوجاً، وينبغي عليك أن تجدِّد العقد على زوجتك بعد أن تعود إلى الإسلام.

رابعاً: بكلمة الكفر يحبط عملك وإذا تُبت يقال لك استأنف العمل من جديد.

خامساً: بكلمة الكفر إن كنت حاجّاً بطل حجك ووجب عليك أن تعيد الحج ثانية، فإن استطعت إعادة الحج ولم تحج بعد كلمة الكفر فلا على هذا العبد إلا أن يموت يهودياً أو نصرانياً.

لنتب إلى الله عز وجل يا عباد الله، ولنصغ إلى كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولنستيقظ من غفلتنا، ولنعلم بأن الجمادات تقوم بوظيفة العبودية لله، ونحن في حالة غفلة عن الله عز وجل، ولعلي أن أتابع الحديث معكم في الأسبوع القادم من خلال هذه الحقائق التي ذكرها مولانا عز وجل في القرآن العظيم، وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

67- خطبة الجمعة: أيها المرابي..!!

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: من حقنا على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلِّمنا ويرشدنا ويبين لنا وأن ينصحنا، وسيسأل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الواجب الذي كلَّفه به مولانا عز وجل، ودليل ذلك قول الله عز وجل: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ}. سوف يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة: هل بلَّغت؟ هل نصحت؟ هل طبَّقت قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ}، وطبعاً الجميع سيشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ ونصح، وقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: (وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ)؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: (اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ) رواه مسلم.

من جملة ما بلَّغنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون * يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}، بلَّغنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وعرَّفنا خطر الربا، لأن الربا نوع من أنواع أكل أموال الناس بالباطل، وكل جسم نبت من سحت فالنار أولى به، لا تطهِّره إلا النار.

أيها الإخوة: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلَّغنا قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين * فَإِن لَّمْ

تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ}.

وبلَّغنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه الإمام البخاري ومسلم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ). بلَّغنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وأخبرنا أن الربا من الموبقات المهلكات، وأجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على أن الربا جريمة من الجرائم وكبيرة من الكبائر، لأن الربا محرَّم في جميع الشرائع السماوية التي أنزلها الله عز وجل، فما من نبي ورسول أرسله الله عز وجل إلا وحرَّم الربا على قومه.

ويروي الإمام أحمد والطبراني عن سيدنا عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دِرْهَمٌ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلاثِينَ زَنْيَةً).

ويروي الإمام الحاكم عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الربا ثلاثة وسبعون باباً، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم).

ولعلك أن تسمع أخي المسلم وأن تبلِّغ حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليكن لك الشرف بأن تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) [رواه البخاري]. قولوا للمرابين، إن كان آكلاً للربا، أو مُطْعِماً، أو كاتباً أو شاهداً على العقد الربوي، أو كان كفيلاً على عقد ربوي، بلِّغوه حديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي يرويه الإمام مسلم، عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ). إن أَكَلَ الربا أو أطعمه أو

كَتَبَ العقد الربوي أو شهد عليه أو كان كفيلاً، قولوا هذا للمسلمين وذكِّروهم بقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (هُمْ سَوَاءٌ)، أي بصبِّ اللعنة عليهم، وبإعلان الحرب عليهم من الله عز وجل ومن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (يقال يوم القيامة لآكل الربا: للحرب) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم. الحرب على الله ورسوله {فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ}. فيا آكل الربا، ويا مطعم الربا، ويا كاتب الربا، ويا شاهداً على العقد الربوي، ويا كفيلاً للمرابي ما أنت قائل لله يوم القيامة؟

يقول سيدنا ابن عباس رضي الله عنه: (من كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه، فحُقَّ على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع وإلا ضرب عنقه). وهذه مسؤولية الحُكّام والقضاة، سيسألون يوم القيامة وربِّ الكعبة، إذا كان الأنبياء والمرسلون سيسألون، فغيرهم سيسأل من باب أولى وأولى، هؤلاء القضاة والحكام سيسألون يوم القيامة عن إقامة شريعة الله عز وجل وتنفيذ حدوده. وتوبة المرابي إنما تكون كما قال ربنا عز وجل: {وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُون}، يستتاب هذا المرابي فإن تاب ونزع فبها ونعمت، وإلا ضرب وليُّ الأمر عنقَه.

يا أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، إذا انتشر الربا في المجتمع فليأذن المجتمع بحرب من الله عز وجل، والدمار آت لا محالة على مجتمع انتشر فيه الربا، وإنكم ترون بأن الربا قائم على قدم وساق، فما نحن قائلون لله عز وجل؟ أيرضى هذا المرابي إن كان آكلاً أو مطعماً أو كاتباً أو شاهداً أو كفيلاً، أيرضى لنفسه أن يُطرد من رحمة الله؟ أيرضى أن تُصَبَّ عليه اللعنة؟ أيرضى أن يؤذن من الله رسوله صلى الله عليه وسلم بحرب؟ أيرضى أن يكون لا قدر الله من الخالدين في نار جهنم؟ أيرضى أن يكون سبباً في دمار هذا المجتمع؟ أيجترئ هذا المرابي على الله عز

وجل ويتحدَّى، والله عز وجل يقول: {فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ}؟

أيها الإخوة: أناشدكم الله، كونوا آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر، وذكِّروا بعضكم بعضاً بهذه الجريمة الشنعاء التي انتشرت في مجتمعنا وقلَّما أن تجد مسلماً. إلا من رحم الله. حفظه الله عز وجل من جريمة الربا، ومن أكل أموال الناس بالباطل، فهل من تائب لله؟ هل من معتبر؟ هل نظرت إلى المرابين الذين قال فيهم مولانا عز وجل: {فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ}، والذين قال فيهم مولانا: {يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}، هل نظرت إليهم واعتبرت؟ أم أن حبَّنا للمال لا قدر الله سيطر على قلوبنا فعمي القلب ولم ير إلا المال، فباع العبد دينه بعرض من الدنيا قليل.

أسأل الله جل وعلا أن يلهمني وإياكم الرشد، وأن يردَّنا إلى دينه رداً جميلاً.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

68- خطبة الجامع الكبيرفي حلب: الرازق هو اللّه، والرزق مقسوم، فعلام الضجر؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: الابتلاء للمؤمن كاللهب للذهب، والابتلاءات تُظْهِر إيمان العبد، وبالابتلاءات يميِّز الله عز وجل العليمُ الخبيرُ بين الصادق والكاذب، وإنني وأنا أتطلَّع إلى المسلمين خلال هذا الأسبوع، والغلاء الذي وقع على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، هذا الابتلاء والاختبار الذي وقع بأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بدأ الناس يعالجونه، ولكلٍّ وجهة هو موليها.

وأما بالنسبة لنا فينبغي علينا كذلك أن نعالج هذا الأمر، لأن مولانا جل في علاه قال لنا في كتابه العظيم: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}، فديننا يعالج كل قضية تقع بأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بل تقع بالبشرية جمعاء، يعالج كل قضية وقعت وستقع في المستقبل، لأن إسلامنا هو الذي يُصلح المجتمعات كلها بإذن من الله عز وجل. أنا لا أقول: الإسلام صالح لكل زمان ومكان، بل أقول: كل زمان وكل مكان لا يُصلحه إلا الإسلام.

يا أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تعالوا في هذا الأسبوع لنعالج هذه القضيّة التي شغلت الفؤاد، بل طاشت بالعقول وكاد الناس أن يخرجوا من عقولهم، لنعالجَ هذه القضية من كتاب الله عز وجل، ومن سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإن ما وقع ليس مقصوراً على هذه الأمة في هذه الآونة، إنما ينبغي علينا أن نتذكر قول الله عز وجل: {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}.

روى الإمام أبو داود والترمذي عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: غَلا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غَلا السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلا مَالٍ). وإني أقول لكل أخ مسؤول عن هذا الموضوع، تذكَّر يا أخي سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم الذي يقول: (وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلا مَالٍ).

تعالوا لنعالج هذه القضية من خلال قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ).

أولاً: ينبغي علينا أن نعلم أين يكمن رزقنا، ورزقنا بيد من؟ هذه عقيدة ينبغي ألا تتزعزع في قلوبنا، لأننا نسمع دائماً من خطيب الجمعة: فاعلموا أنه لا يضر ولا

ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يصل ولا يقطع، ولا يخفض ولا يرفع، إلا من؟ إلا الله، هذه عقيدتنا، ينبغي علينا أولاً أن نعلم بأن مصدر رزقنا هو الله عز وجل، أنسينا قول الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ}؟ أنسينا قول الله عز وجل: {وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون * فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُون}؟ نسينا قول الله عز وجل: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِين}.

أيها الإخوة: من عرف أن رزقه على الله توجَّه إلى الله ولم يتوجّه إلى غيره. امرأة غاب عنها زوجها، فدخل النسوة عليها وسألوا: أين زوجك؟ هل ترك شيئاً من المال؟ فقالت الزوجة المؤمنة صاحبة العقيدة السليمة: إن عهدي أن زوجي أكَّال وليس برزَّاق، ذهب الأكَّال وبقي الرزَّاق، وهو الله.

سليمان بن عبد الملك، طلب أن يلتقي مع عالم من العلماء، وهذا شأن الأمراء والحكَّام الذين يحسبون الحساب ليوم الحساب، صلتهم مع العلماء العاملين الذين يقدِّمون لهم النصح، مع العلماء الذين تساموا على الدنيا بما فيها، لأنهم كانوا متوجِّهين إلى الله عز وجل. فالتقى به في المسجد الحرام عند الكعبة المشرَّفة، فبعد أن سمع الأمير من العالم قال له: سلني حاجتك، فقال العالم: لا أسأل غير الله في بيت الله. فألحَّ عليه، فأبى، فالتقى معه خارج المسجد، فقال: سلني حاجتك، فقال له: والله ما سألتها من يملكها، أفأسأل عنها من لا يملكها؟! {لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ}. فألحَّ عليه الأمير أن يسأله حاجته، فقال: أسألك الجنة، فقال: هذه لا أملكها، قال: ليس لي حاجة إلا هذه.

أيها الإخوة: من عرف أن الرزَّاق هو الله، توجَّه إلى الله، وربما أن يفعل كما فعل هذا العبد الصالح أن لا يسأل الله الدنيا، ولماذا يسأله الدنيا وهو الذي يعلم بأنه جلَّ في علاه هو الذي استدعاه إلى هذا الوجود، أيستدعيه إلى هذا الوجود وينساه؟ معاذ الله، لأننا نعتقد أن الرزاق إنما هو الله، هذه هي النقطة الأولى.

الثانية: أن أعلم بأن رزقي مقسوم، يقول ربنا تبارك وتعالى: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، نسينا الحديث الصحيح الذي حدَّثنا فيه صلى الله عليه وسلم عن قصة خلقنا ونحن في أرحام أمهاتنا، يقول صلى الله عليه وسلم: (ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ) رواه البخاري ومسلم. قبل أن تُنفَخ فيك الروح كتب الله رزقك، ورزقك في يده جل في علاه، ولذلك حذَّرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. اسمع يا أيها المضطرب، يا من أصبح القلق ملاحقاً له صباحاً ومساءاً، ويا من أصبح يبكي على رزقه ويفكر فيه. روى عبد الرزاق وابن أبي شيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وإن روح القدس نفث في روعي، وأخبرني أنها لا تموت نفس حتى تستوفي وإن أبطأ عنها، فيا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاءُ رزقه أن يخرج إلى ما حرم الله عليه، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته).

كن على حذر من المعصية، من الربا، ومن الرشوة، ومن تطفيف الكيل والميزان، ومن الاحتكار، ومن التدليس، ومن أكل أموال الناس بالباطل. أتريد رزقاً واسعاً؟ فلا تدرك هذا إلا بطاعة الله، مشكلتنا أننا نعلم ولا نعمل، يقول ربنا تبارك وتعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ}، ويقول سبحانه: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا * مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا}! أين التجاؤنا إلى الله عز وجل أيها الإخوة؟

النقطة الثالثة: لنعلم أننا ما خُلِقنا إلا للابتلاء، ليرانا الله عز وجل شاكرين في الرخاء، ومن الصابرين في الابتلاء، يقول ربنا تبارك وتعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ}، أنت خُلقت للابتلاء، ويقول سبحانه: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ

يُفْتَنُون}، وهذا من جملة الفتنة، ليراك الله عز وجل شاكراً في الرخاء، صابراً في البلاء. وانظر إلى سيدنا سليمان عليه السلام قال فيه مولانا عز وجل: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب} لأنه كان شاكراً، وانظر إلى سيدنا أيوب عليه السلام قال فيه مولانا عز وجل: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب}، لأنه كان صابراً. وأما نحن أيها الإخوة، ففي الرخاء غير شاكرين، وفي البلاء غير صابرين، راسبون في العطاء وفي المنع، وهذا ليس من شأن المؤمن، شأنُ المؤمن أن ينظر إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما كان يدخل على بيوته فيقول: هل عندكم من طعام؟ فإن قالوا: لا، قال صلى الله عليه وسلم: إني صائم [رواه النسائي وعبد الرزاق وابن عبد البر في التمهيد].

الأمر الرابع: لنتساءل من خلال قول الله عز وجل: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}، لماذا ننزعج من كلمة الحق أيها الإخوة؟ تضايقنا، وربما لعن البعضُ البعضَ، وربما قال البعض: ما هذا الظلم والجور؟ نعم لنقل: ما هذا الظلم والجور؟ ولكن لنرجع إلى أنفسنا في الدائرة الضيقة ثم الأوسع ثم الأوسع، أين الرحمة من الزوج لزوجته، ومن الزوجة لزوجها، ومن الوالد لولده، ومن الولد للوالد؟ أين الرحمة فيما بين بعضنا البعض؟ أين رحمة التجار بالعمال؟ وأين رحمة العمال بالتجار؟ وأين تقوى الله في الموظفين في الدوائر العامة؟ وأين رحمتنا على بعضنا البعض؟ الكبير لا يرحم الصغير والصغير لا يرحم الكبير، والحاكم لا يرحم المحكوم والمحكوم لا يرحم الحاكم، هكذا وضعنا، وإن كان هذا حالنا فربنا عز وجل يقول: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}، لنشم رائحة كفِّنا أيها الإخوة، نحن الذين دمَّرنا أنفسنا بأنفسنا، ظلمٌ ورشوةٌ وربا وسرقة من الأموال العامة وتطفيف للكيل والميزان، ومخالفة لأولياء الأمر فيما يتعلق بالأمور العامة، لأن طاعة ولي الأمر واجبة في غير معصية لله عز وجل، يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ}، تجاوزنا وتعدينا على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة أولي الأمر، ثم إذا نزل البلاء قلنا لم؟ {وَمَا

أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}.

أيها الإخوة: أخيراً أقول: إذا كنا جادّين في معالجة هذا الأمر، وإذا كنا صادقين في الخروج من هذا الضيق ـ ضيق الرزق ـ ونحن عرفنا بداية أن الأمر بيد الله، إن أردنا ذلك فالمفتاح بأيدينا، وقد تتعجب، نعم المفتاح بأيدينا، لأن الضيق الذي وقعنا فيه ليس بدرجة الضيق الذي وقع فيه سيدنا يونس بن متى عليه السلام، في بطن الحوت، دخل بطن الحوت، وهل هناك ضيق أشد من هذا الضيق؟ ولكن ونحن ننظر إلى أبنائنا في هذه الآونة، تنظر إلى ولدك يضحك ويلعب ولا يبالي بمسألة الغلاء، وإن سألته لم؟ يقول لك: لي أب متكفِّل بي، هو لا يسأل عن موضوع الغلاء، طفل يقول: ليس أب فليس لي كرب، وأنت أيها المؤمن لك رب أيكون لك معه كرب؟ والله إن هذا لأمر عجيب، لا كرب وأنت رب، {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُون * قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين}، وإذا كان الله معك فهل لك كرب؟ سيدنا يونس دخل بطن الحوت {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِين}.

فيا أيها المؤمنون، هل نستطيع أن نرجع إلى كلمة سيدنا يونس: {لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ}، توحَّدت وجهتنا إلى الله، هذا أولاً، توجَّهْ إلى الله لا إلى المخلوقات، لأن المخلوق لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً وإن كان حاكماً، توجه إلى الله واعلم بأن الضار والنافع إنما هو الله {لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ} هذا أولاً.

ثانياً: أن تعترف وتقول: {سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين}، أعيدوا المظالم لأصحابها أيها الإخوة، أعيدوا الحقوق لأصحابها يا أيها الظلمة، وأرجو الله ألا يكون فينا ظالم، إن كنت ظالماً فأعد الحقوق لأصحابها، لأنه ربما بظلمك جاء البلاء على الأمة، {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً}. فهل من عودة إلى هاتين النقطتين أيها الإخوة؟ {لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ} توجهنا إلى الله،

{سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين} اعترفنا وأعدنا الحقوق لأصحابها، والله إن فعلنا ذلك فربنا هو القائل: {وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا}، لأنه هو الذي قال: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ}، فلذلك لا يكشف هذا الضر إلا الله، واعلموا يقيناً قوله عز وجل: {لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَة}، فلنتوجَّه إلى الله. أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

69- خطبة الجمعة: نصيحتي في أيام الغلاء!!

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا معاشر المؤمنين: جميعاً نتوجه إلى الله عز وجل قائلين:

جَهْدُ البلاء حلَّ بنا *** ضاق الفلا من كَرْبنا

وكلُّ ذا من ذنبنا *** فهو الذي طمس الفؤاد

إن كنتَ غيثَ الطائعين *** فمنْ يغيث المذنبين؟

رحمةُ خير الراحمين *** مطلقةٌ بلا قياد

اللهم إنا نعوذ بك من الهمِّ والحزَن، ونعوذ بك من العجز والكسل، ونعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال وسوء المنقلب، اللهم ارفع الشدائد والغلاء والبلاء والوباء عن أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عاجلاً غير آجل يا أرحم الراحمين.

أيها الإخوة الكرام: حديث الشارع، وحديث المجالس أينما حللنا وأينما نزلنا

ومع جميع شرائح المجتمع حديث الناس عن الغلاء، ومما لا شك فيه أنا واحد من هذه الأمة، وأنا فرد من أفرادها، وأنا أتحدث كذلك عن الغلاء، ولكن من منطلقٍ قال لنا فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما يروي الإمام مسلم في صحيحه: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)، ولا خير فينا إذا لم نتناصح، وإذا تناصحنا فلا خير فينا إذا لم نعمل، {وَالْعَصْر * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْر * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر.

من خلال هذا المنطلق أيها الإخوة، أتوجَّه بالنصيحة في أيام الغلاء لأئمة المسلمين ولعامتهم، وأرجو الله عز وجل أن يكون هذا النصح خالصاً لوجه الله، وأن يلقى هذا النصح مكاناً في قلوب الأمة إذا كنا صادقين في تحويل هذا الحال إلى أحسن حال، لأن الأمور بيد الله عز وجل، وطالما أن الأمر بيد الله فهو الذي قال لنا: {وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا}، وهو الذي قال: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}، فلا بدَّ من النصح لأئمة المسلمين وعامتهم.

فأقول بداية لأئمة المسلمين، وطبعاً تعلمون جميعاً أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا). فيا أيها المسؤول يوم القيامة، وكل عاقل مسؤول، فإن كنت من أئمة المسلمين فأقول لك في أيام الغلاء:

اسمع ماذا يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه الإمام مسلم في صحيحه عن أمنا المبرأة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا ـ ولعلك يا ولي الأمر أن تسمع ـ: (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ).

وروى الإمام مسلم عن سيدنا جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الْخَيْرَ)، من لم تكن عنده الشفقة والرحمة حُرِم الخير.

وروى الإمام مسلم أيضاً عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ).

ويروي أبو داود في سننه عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ). وفي رواية للنسائي والحاكم: (من يعول).

يا ولي الأمر أنت مسؤول عن الأمة يوم القيامة، فليكن عندك الرفق، فإنه من كان رفيقاً بالأمة فإن الله عز وجل يرفق به يوم القيامة وفي الدنيا وفي عالم البرزخ، ومن شق على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شق عليه مولانا عز وجل في الدنيا وفي عالم البرزخ وفي عالم يوم القيامة.

أما أنتم يا عامة المؤمنين وأنا واحد منكم، لنقل كما قال بعضهم: لا يضيق صدرك فالحادث يهون، الله المقدِّر والعالم شؤون، لا تُكثر لهمك ما قُدِّر يكون.

أيها المؤمن ينبغي عليك في أيام الغلاء أن تقف وقفة صحيحة فيما بينك وبين نفسك، وأن تتنبه إلى مسألة الإيمان في قلبك، أنت عندما تسمع من خطيب الجمعة في كل جمعة: فاعلم أنه لا يضر ولا ينفع، ولا يصل ولا يقطع، ولا يعطي ولا يمنع، إلا من؟ إلا الله، أنت يا أيها المؤمن، عقيدتك لا إله إلا الله، وكلمة لا إله إلا الله تعني أنه لا معطي إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا خافض إلا الله، ولا رافع إلا الله، ألا تقرأ أيها المؤمن في كتاب ربك عز وجل: {لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ}؟ ألا تعلم أيها الإنسان المؤمن أن الخلائق والأسباب جميعهم خُدَّام لقدر الله، وليس القدر خادماً للأسباب؟ أنسيت أيها المؤمن قول سيدنا رسول الله صلى

الله عليه وسلم: (وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح]. أما علمتَ بأن ما كان لك فسيأتيك على ضعفك؟ أما علمت بأن ما كان لغيرك فلن تناله بقوتك ولا بحيلتك، ولو كانت الأرزاق بالقدرة وبطاقة البشر لما أكل العصفور مع النسر أبداً، ولكن الله هو القائل: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا}.

فيا أيها الإخوة الكرام، ينبغي علينا أن نتنبَّه أولاً وأن نعلم بأن مصدر رزقنا إنما هو الله، أما تقرؤون قول الله عز وجل: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُون}، وقول الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِين}، وقول الله عز وجل: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُوم}. اعرف هذا أولاً، بأن الله هو مصدر رزقك، وإذا عرفت بأن الله هو مصدر رزقك فكيف تلتفت إلى غير الله عز وجل؟ التفتوا إلى الله عز وجل، واعلموا بأن أرزاقنا بيد الله عز وجل، ورزق كل واحد منا كما قال مولانا عز وجل: {وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون}، ليس رزقك الذي في يدك أو في جيبك أو في بيتك، ربما أن يكون المال الذي في يدك أو جيبك أو محلّك أو دارك لغيرك وليس لك، إذا كان رزقك انتهى وخرجت من الدنيا، {وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون * فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُون}، وإذا كان رزقك على الله فكيف تحزن؟ الله غالب وليس بمغلوب، وقاهر وليس بمقهور، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، التفت إلى الله عز وجل، واعلم بأن رزقك بيد مولاك، فتوجَّه إلى الله عز وجل، فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

إذا عرفت بأن الله عز وجل هو مصدر الرزق، فاعلم بأن المسعِّر إنما هو الله، ولعلك أن تسمع يا أيها الإنسان المؤمن إن كنت ولياً للأمر وإن كنت من عامة

الناس، اسمعوا جيداً وأقول لأئمة المسلمين وللتجار الذين يتواطؤون فيما بين بعضهم البعض ألا تُباع السلعة إلا بسعر كذا، يحدِّدون سعرها. روى الإمام أبو داود والترمذي عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: غَلا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غَلا السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلا مَالٍ).

أيها الإخوة أيها التجار، اتقوا الله في العباد، لا تتواطؤوا على سعر واحد، فإن الله هو المسعِّر القابض الباسط الرازق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف أن يلقى الله وواحد من أمته يطالبه بمظلمة في دم أو مال. من أنت؟ أعندك استعداد أن يطالبك الناس يوم القيامة؟ إن كان عندك استعداد فوطِّن نفسك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ)؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ. فَقَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) [رواه مسلم].

اعلم أيها المؤمن بأن رزقك على الله فتوجَّه إلى الله.

ثانياً: يا عباد الله اعلموا بأن أرزاقنا مقسومة، ألم يقل مولانا عز وجل: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}؟ وقد قسم الله عز وجل لك رزقك قبل أن تنفخ فيك الروح. روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ). قُسِم رزقك قبل نفخ الروح

فيك، وإن قُسِمَ الرزق قبل نفخ الروح فوالله الذي لا إله غيره لن تخرج روحك من جسدك حتى تستكمل الرزق كله، لأنه رزقك، وهذا ليس من كلامي، وإنما من كلام الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، كما يروي عبد الرزاق وابن أبي شيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وإن روح القدس نفث في روعي، وأخبرني أنها لا تموت نفس حتى تستوفى وإن أبطأ عنها، فيا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدَكم استبطاءُ رزقه أن يخرج إلى ما حرم الله عليه، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته). ربما أن يبطئ عنك رزقك اليوم، فسيأتيك في الغد، وإن لم يأت في الغد فبعد غد، وكما قال سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً)، المهم أنك لن تخرج من الدنيا إلا بعد أن تستوفي أقصى رزقك، ولن يستطيع أحد أن يأخذ من رزقك لقمة واحدة وربِّ الكعبة. فإن أبطأ عنك رزقك فلا تخرج عن دائرة الطاعة إلى المعصية، إن أبطأ رزقك فإياك من الربا، ومن الرشوة، ومن السرقة، ومن الاختلاس، ومن السرقة من الأموال العامة، إن أبطأ رزقك فإياك ثم إياك من معصية، لأن رزقك ما أبطأ إلا لحكمة يريدها الله عز وجل، فاصبر حتى تأخذ رزقك بالحلال.

وأخيراً أقول أيها الإخوة: يا أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما خُلقنا إلا للابتلاء، هل تعرف هذا؟ أم أنك نسيت وتناسيت، أما تقرأ في كل يوم سورة تبارك الملك التي يقول فيها مولانا عز وجل: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ}، لا تنس أنك مبتلى، والبلاء أحياناً يكون في العطاء والرخاء وتوسيع الرزق، وأحياناً يكون في المنع والشدائد وتقتير الرزق، يقول ربنا عز وجل: {فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَن}، فالمبتلي هو الله في التوسيع والتقتير، والابتلاء في العطاء ليس تكريماً، والابتلاء في المنع ليس إهانة، إنما ابتلاك في العطاء ليراك شاكراً، وابتلاك في المنع ليراك صابراً، واسمحوا لي أن أقول أيها الإخوة: ربما أكثرنا كان خاسراً وراسباً

في كلا الحالين، في العطاء طغى: {كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى}، وفي المنع كان كافراً بأنْعُم الله ضجراً معترضاً على قدر الله، ما رُئينا شاكرين في الرخاء ولا صابرين في البلاء، إذا كان حالنا فالعبد راسب، ومآله يوم القيامة حسرة وندامة.

أما إذا شكرت في الرخاء فتذكر قول الله عز وجل في حق سيدنا سليمان عليه السلام: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب} لأنه كان شاكراً، وإذا كنت صابراً في البلاء فتذكر قول الله عز وجل في حق سيدنا أيوب عليه السلام: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب} عندما كان صابراً، فهل نحن من الشاكرين عند الرخاء ومن الصابرين عند البلاء؟ لنراجع الحسابات مع أنفسنا. ولكن ما هو الطريق والسبيل للخروج من هذا الغلاء والضيق حتى تطمئن أفئدتنا وعقولنا؟ فهذا نتحدث عنه في الأسبوع القادم إن أحيانا الله عز وجل، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

70-خطبة الجمعة: كيف نعالج داء الغلاء؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، لقد ذكرت لكم في الخطبة الماضية نصيحتي لكم ولأئمتنا في أيام الغلاء، وكانت النصيحة لأئمتنا الرفق بالرعية لأنه من شَقَّ عليهم شُقَّ عليه، ومن رَفِقَ بهم رُفِقَ به.

وأما النصيحة لنا نحن الرعية:

أولاً: أن نعرف بأن رزقنا بيد الله عز وجل .

ثانياً: أن رزقنا مقسوم واصل إلينا وإن أبطأ عنا.

ثالثاً: أن نعرف بأنا خلقنا للابتلاء، فإن كنا في رخاء وجب علينا الشكر، وإن كنا في ضيق وجب علينا الصبر، ومن شكر في الرخاء وصبر في البلاء فنعم العبد هو.

وأما اليوم فحديثنا عن كيفية معالجة داء الغلاء:

أولاً: الاقتصاد في العيش والإنفاق. وذلك لقول الله عز وجل: {وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}. ولقوله تعالى: {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا}. ولمدحه تبارك وتعالى عباده بقوله عنهم: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كما روى البخاري: (إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ). وجاء في الحديث: (ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد) رواه الطبراني في الأوسط.

لقد أصبح الإسرافُ رائدَنا، إسراف في الطعام والشراب واللباس، إسراف في الحفلات، إسراف في الماء والكهرباء والهاتف، وكل هذا مساهم في رفع الأسعار.

قيل للعارف بالله إبراهيم بن أدهم: إن اللحم قد غلا، فقال: أرخصوه بالترك.

ويقول صدِّيق هذه الأمة رضي الله عنه: (إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد).

والله ما تنفقه في غير ضرورة رياءً وسمعةً وشهرةً ليكفي أسراً فقيرة لا يعلم عددها إلا الله تعالى، ولكن انفتحت شهيتنا على الإسراف واليوم نحصد نتائج هذا الإسراف.

ثانياً: الإكثار من الاستغفار، فإن كثرة الاستغفار تزيد في الرزق، وذلك لقوله تعالى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}. ومن لوازم المتاع الحسن الرزق الوفير.

أين استغفارنا وتوبتنا؟ الآمر ضامن، أين نحن من الأمر؟

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) رواه أبو داود.

فهل نستغفر استغفاراً حقيقياً؟ وهل نتوب توبة صادقة؟ هل نقر بظلمنا لأنفسنا ولغيرنا؟ أصاب الناس قحط في عهد عمر رضي الله عنه فصعد عمر المنبر فاستسقى حتى نزل، فقالوا له: ما سمعناك يا أمير المؤمنين استسقيت. فقال: لقد طلبت الغيث بمفاتيح السماء التي بها يستنزل المطر. ثم قرأ هذه الآية: { اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا}. وقوله: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ

رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِين}.

لقد أصبح استغفارنا يحتاج إلى استغفار، ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه عز وجل [رواه الديلمي في مسند الفردوس].

ثالثاً: عدم الاحتكار. اسمع أيها المحتكر ماذا يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ) رواه مسلم. ويقول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَبَرِئَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ) رواه أحمد والحاكم. ويقول أيضاً: (المحتكر ملعون) رواه الحاكم.

ويقول أيضاً: (مَنْ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَاماً ضَرَبَهُ اللهُ بِالْجُذَامِ وَالإِفْلاَسِ) رواه ابن ماجه.

يا أخي: الاحتكار كبيرة من الكبائر، الاحتكار ظلم، {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الله غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار} الاحتكار حرام.

يا أيها المحتكر ما أنت قائل لربك يوم القيامة؟ تحتكر ليكثر مالك ولو مات الناس، تحتكر لتكدس أموالك في البنوك الربوية وأنت ترى ما حلَّ بالمجتمع، هل نزعت الرحمة من قلبك؟ أم أصبح الدينار والدرهم معبودك؟ باحتكارك زادت الأسعار وصرت ملعوناً ـ لا قدر الله ـ وهل تعلم ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (المحتكر ملعون)؟ يعني مطرود من رحمة الله، فإياك والاحتكار رحمة بك قبل أن تكون رحمة بالآخرين.

رابعاً: أن نأخذ بوصية ربنا عز وجل حيث يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِين}. استعينوا على الغلاء بالصبر والصلاة، وخاصة صلاة الليل، قوموا بالأسحار، صلوا بالليل والناس نيام، وقولوا يا الله يا رحمن يا رحيم، يا من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، يا من يبارك

في القليل، أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

استعينوا على الغلاء بالصبر والصلاة في جوف الليل، وناجوه بالأسحار وأنتم في حالة السجود بين يدي الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) [رواه مسلم]، وقال صلى الله عليه وسلم: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وقولوا: يا رب لقد بلغنا عن نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ؟ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) رواه البخاري ومسلم. سلوه ونسأله جميعاً، فرزقنا بيده، وهو القابض الباسط الرزاق المسعِّر.

وأخيراً: لنعترف بظلمنا، ولنعد الحقوق لأصحابها، ثم لنتوجه إلى مولانا الأوحد، ونناجيه كما ناجاه سيدنا يونس عليه السلام عندما كان في ضيق ما بعده ضيق، عندما كان في بطن الحوت، عندما كان في ظلمة البحر وظلمة الليل، فتوجَّه إلى مولانا الأوحد قائلاً: {لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ}. هذا أولاً، سبحانك أنت الواحد الأحد الفرد الصمد، أنت خلقتني وأنت تهديني، وأنت تطعمني وأنت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييني، وأنت على كل شيء قدير.

ثانياً: {إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين}. توجه إلى مولاه وأقرَّ واعترف، فما كانت النتيجة؟ {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِين}. فهل أنت مؤمن بوجوب التوجُّه إلى الله تعالى وحده؟ وهل أنت مؤمن بوجوب الاعتراف بظلمك؟ فإذا كنت مؤمناً بذلك، فتوجَّه إليه وحده، واعترف بظلمك، وأعد الحقوق

لأصحابها، لأن مولانا يقول: {وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا}.

فأسأل الله تعالى بمنِّه وفضله أن يعاملنا بفضله لا بعدله، وأن يردَّنا إليه ردّاً جميلاً.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين استغفروا الله.

** ** **

71- خطبة الجمعة: هل أنت من أهل الأثرة، أم من أهل الإيثار؟

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فقد أوقفني في هذا الصباح المبارك حديث عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه، يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ).

وقلت في نفسي: أين نحن من الإسلام الحقيقي؟ أين نحن من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أين تأسينا بهؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه؟ أين نحن من هؤلاء الرجال الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه؟ أين نحن من هؤلاء الذين قال فيهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فهم مني وأنا منهم)؟ أين نحن من هؤلاء السابقين الذين قال فيهم مولانا عز وجل:

{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ

الْفَوْزُ الْعَظِيم}؟.

وتذكرت أيها الإخوة قول الله عز وجل: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}. وقلت في نفسي: ما الذي حلَّ بنا؟ لماذا صار هذا البون الشاسع بيننا وبينهم رضي الله عنهم؟ فوجدت السرَّ في هذا، ألا وهو الفارق الكبير بين إيماننا وإيمانهم، ولا أقصد الإيمان العقلي لأنه إيمان واحد، ولكن أقصد الإيمان الذوقيَّ الذي يزيد وينقص، يزيد بالطاعة حتى يُدخِلَ صاحِبَه الجنة، وينقص حتى يُدخِل صاحبه النار.

لقد كانوا عقلاء، وعندما كانوا كذلك، عملوا لما بعد الموت، وسمعوا قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ) [رواه الترمذي وقال: حديث حسن]. فاسْتَغلوا نعمة الله عليهم في الدنيا لآخرتهم، وعملوا بمقتضى حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وشبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك) [رواه ابن أبي شيبة والحاكم].

فأخذوا يسارعون في الخيرات، ويسرعون إلى جنة عرضها السموات والأرض امتثالاً لأمر مولاهم عز وجل القائل: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء}. فنظروا إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجوده يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، كما جاء عن سيدنا أنس رضي الله عنه (أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ) [رواه مسلم].

وكيف يخاف الفقر والله هو الغني الحميد؟ وكيف يخاف الفقر ومولاه يقول: {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِين}؟ كيف يخاف الفقر وما من

يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً [رواه البخاري ومسلم]، كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فأنفقوا في الضرَّاء كما أنفقوا في السرَّاء طمعا بمغفرة الله تعالى وجنته، روى الإمام مسلم، عَنْ عَائِشَةَ رَضيَ الله عَنها أَنَّهَا قَالَتْ: (جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتْ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا). عدلت بينهما هل انتبهنا لذلك أيها الإخوة (فَشَقَّتْ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا). سووا بين أولادكم يا عباد الله، اتقوا الله في أولادكم يا عباد الله، الظلم وصل إلى الأبناء من الآباء فلا تلوموا الآخرين.

تقول السيدة عَائِشَةَ رَضيَ الله عَنها: (فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنْ النَّارِ).

أما نفقتهم في السرَّاء فحدِّث عنهم بدون حرج، فهذا سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: (كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}. قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ) فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو

طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ) [رواه البخاري].

هؤلاء هم أهل الإيمان الكامل، هؤلاء هم أهل العقل النيِّر، هؤلاء هم الذين يسارعون إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها السموات والأرض، هؤلاء هم أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما نحن أيها الإخوة فلسنا من أهل الإيثار، نحن من أهل الأثرة إلا من رحم ربي عز وجل، نحن نخص أنفسنا وأهلنا وأتباعنا بالنافع دون غيرنا، نحن قد شاعت بيننا الأثرة والأنانية، وما ذلك لضعف الإيمان وقِصَر نظرنا وغياب الآخرة عنا.

وقد حدَّث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام يوماً فقال لهم: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ) [رواه البخاري ومسلم].

أيها الإخوة:

عندما كان الأصحاب هكذا يُسِّرت لهم اليسرى وبُشِّروا بالجنة، وذلك تصديقاً لقوله تعالى: {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}.

وعندما كنا هكذا تعسرت علينا الأمور، وذلك تصديقاً لقول الله عز وجل {وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى}.

هذا داؤنا أيها الإخوة فما هو الدواء؟

لعل أن يكون هذا حديثنا في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **

72- خطبة الجمعة: ما هي الأمور التي تزيد في إيمان العبد؟

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فيا عباد الله: ذكرت في الأسبوع الماضي بأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا من أهل الإيثار وذلك لعظم الإيمان في قلوبهم، والكثير منا صار من أهل الأثرة والأنانية، فمصلحتنا مقدمة على كل شيء ولو على حساب الآخرين، وما هذا إلا بسبب ضعف الإيمان.

لأن الإيمان إذا كان قوياً في القلب كان صاحبه من أهل الإيثار، أما إذا ضعف لا قدر الله تعالى صار صاحبه من أهل الأثرة، وهذه صفة نقص لا صفة كمال، واللائق في المؤمن أن يتحلى بصفات الكمال لا بصفات النقص.

وإذا عرفنا هذا أيها الإخوة الكرام، عرفنا أن سبب الأثرة هو ضعف الإيمان فلا يسعنا إلا أن نسعى جادين لزيادة الإيمان قبل نهاية الأجل، فما هي الأمور التي تزيد في إيمان العبد؟

الأمر الأول لزيادة الإيمان: تلاوة القرآن العظيم، لأن الله تعالى قد وصف عباده المؤمنين حقاً بقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}.

لذلك نرى حرص المنافقين على اللغو أثناء تلاوة القرآن العظيم لأنهم لا

يريدون زيادة الإيمان لأهل الإيمان، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُون}.

ويقول الله تعالى عنهم: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُون * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُون}.

فتلاوة القرآن العظيم تزيد في إيمانك، وكم هو شرف عظيم لنا أن نتلو القرآن الذي قال الله تعالى فيه: {تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِين}؟

كم هو شرف عظيم لنا أن نتأسى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال له مولانا: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُون}.

وكم هو شرف عظيم أن نكون ممن قال الله فيهم: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}.

لذلك رأينا السلف الصالح دائماً وأبداً يوصون بتلاوة القرآن العظيم لأنها سبب عظيم في زيادة الإيمان.

الأمر الثاني لزيادة الإيمان: مجالسة الصالحين، لأن الله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِين} ويقول: {وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِين} ويقول: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى}.

كم لها أثر في زيادة الإيمان أيها الإخوة، مجالستهم تنقلك من الإيمان العقلي إلى الإيمان الشهودي، كما جاء في صحيح مسلم عن حنظلة الأسيدي قال: (لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيراً، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيراً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمْ المَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

فابحث عن العبد الصالح وجالسه لو ساعة من النهار، وإذا كنت لم تعرف من هو العبد الصالح فاسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، سله عن صفاته، ولله الحمد لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، كما جاء عن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله أي جلسائنا خير؟ قال: (من ذكّركم الله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وذكّركم بالآخرة عمله) رواه البيهقي في شعب الإيمان وأبو يعلى.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعال نؤمن بربنا ساعة، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ، إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تُبَاهَى بِهَا المَلَائِكَةُ) رواه أحمد بإسناد حسن.

الأمر الثالث لزيادة الإيمان: كثرة القيام والاستغفار وخاصة إذا أكرمك الله

تعالى بالقيام في الأسحار، لأن الله تعالى يصف أهل الإحسان الذين سَمَوْا في إيمانهم حتى دخلوا مرتبة الإحسان التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم (أن تعبد الله كأنك تراه) [رواه مسلم]. وصفهم بقوله: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِين *كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون}.

فالقيام في الأسحار مع كثرة الاستغفار يزيد في إيمانك، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فاستقبله شاب من الأنصار يقال له حارثة بن النعمان فقال له: (كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً. قال: فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: انظر ما تقول فإن لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك قال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار كيف يتعاوون فيها. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: عرفت فالزم مرتين) رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق البيهقي في شعب الإيمان.

الزم الصيام والقيام حتى يُزاد في إيمانك.

الأمر الرابع لزيادة الإيمان: كثرة الدعاء كما علمنا ربنا في القرآن العظيم: {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّاب}.

وكما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه سيدنا أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: (يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك) رواه الترمذي.

لأن قلبك الذي هو محل إيمانك بيد الله عز وجل كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ) رواه مسلم.

فأكثر من الدعاء وقل: اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبِّتْني عليه لأنك أنت القائل: {يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ}.

فعلينا أيها الإخوة بتلاوة القرآن العظيم، ومصاحبة الأخيار الصالحين، والقيام بالأسحار مع الاستغفار، وكثرة الدعاء حتى يزداد في إيماننا، ليكون لنا الشرف في أن نندرج فيمن قال فيهم مولانا: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ}. أي من بعد المهاجرين والأنصار الذين اتصفوا بصفة الإيثار {يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم}.

اللهم اجعلنا كذلك. آمين آمين آمين. وأقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين استغفروا الله.

** ** **

73-خطبة الجمعة: اصبر فالابتلاء من اللّه نعمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فيا عباد الله، في أسماء الله تعالى الرحمن الرحيم، وهما اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة تستدعي مرحوماً، ولا مرحوم إلا وهو محتاج.

ورحمة الله تعالى في خلقه لا نظير له فيها، فهو يوصل إليهم المنافع والمصالح وإن كرهتها نفوسهم وشقَّت عليها، ولله المثل الأعلى فرحمة الأب بولده أن يُكْرِهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشقّ عليه في ذلك بالضرب، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، وإذا أهمله والده كان ذلك لقلة رحمته به، وهذه رحمة مقرونة بجهل.

ولهذا من تمام رحمة الله عز وجل تسليطُ أنواع البلاء على العبد، ففقرك من رحمة الله بك، والخوف من رحمة الله بك، والنقص من الأموال والأنفس والثمرات من رحمة الله بك.

لذلك من رحمة الله بخلقه أمْرُه لهم أن يفوّضوا أمورهم إليه، ويتوكَّلوا عليه، وأن يرضوا بما قسمه لهم، لأنه يعلم وهم لا يعلمون قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.

أيها الإخوة: يقول الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ}. فستر عنك العيب رحمة منه بك، وأخفى الحكمة عنك رحمة منه بك، وطلب منك أن تؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره فيما يبدو لك وأنت على يقين بأن الله تعالى أرحم بالعبد من الأم على ولدها.

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) رواه مسلم.

لا شك كلُّنا يريد الخير، وكلنا حريص على الخير، وكلنا على يقين بأن مصدر الخير من عند الله عز وجل: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}. فيا مريد الخير اصبر حتى ينكشف لك الحجاب لترى الخير من وراء الابتلاء، واعتبر من قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام، عندما خرق الخضر السفينة وقتل الغلام وبنى الجدار؟ وقال: {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي}. فلما انكشف الحجاب كان الخير كل الخير في خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار.

واعتبر من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام حين بلغ الكبر وزوجته عقيم، وَهبَه الله إسماعيل عليه السلام على كبر سنه، فلما بلغ معه السعي أمره ابتلاءاً بذبحه بعد أن أحبه حب الوالد لولده، {وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}. فامتثل الخليل أمر ربه عز وجل فكان الخير العظيم له:

١. نجَّا الله إسماعيل من الذبح.

٢. فداه بذبح عظيم.

٣. بنى معه الكعبة.

٤. رزقه مع إسماعيل إسحاق ومن ورائه يعقوب.

٥. ولم يأت نبي بعد ذلك إلا من سلالة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

واعتبر من قصة سيدنا يوسف عليه السلام: عندما كان يعيش في كنف أبيه الرحيمِ الشفوقِ يعقوبَ عليه السلام، يخاف عليه أن يخرج للَّعب مع إخوته،

{أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون}. فإذا به يُنزع من وسط تلك الرعاية والعطف، ويفقد حنانَ الأبوة وأُنسَ الأُخوَّة، ويُلقى في الجب، وبعده يباع بثمن بخس دراهم معدودة، وبعد ذلك تتآمر النسوة عليه وخاصة امرأة العزيز، وبعد ذلك يسجن {فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين}. فماذا كان بعد ذلك؟ كان الخير العظيم:

أولاً: منحه الله تعالى نسباً وجمالاً وشباباً {مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيم}.

ثانياً: أثنى الله عليه {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِين}.

ثالثاً: جعله الله تعالى مضرب مثل لعفاف الشباب، والخشية لله في السر.

رابعاً: مكَّنه الله تعالى {وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء}. وجعل الله خزائن الأرض بيده.

خامساً: أنزل الله تعالى سورة باسمه تتلى إلى يوم القيامة.

واعتبر من قصة سيدنا زكريا عليه السلام عندما حُرم الذّرّية دهراً طويلاً إلى أن وهن العظم منه، واشتعل الرأس شيباً {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً}. ولكنه التجأ إلى الله الذي يقول للشيء كن فيكون، التجأ إلى الله الذي يحيي العظام وهي رميم فقال تعالى: {فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}.

صبر فظفر فما هي النتيجة أيها الإخوة؟ النتيجة خير عظيم:

أولاً: {يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيَى}. البشارة جاءته من عند الله عن طريق الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب.

ثانياً: الله تعالى هو الذي سمى له ولده بيحيي.

ثالثاً: طمأنه الله تعالى كيف سيكون حال ابنه قبل حمل أمه فيه، قال تعالى:

{فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ}.

فيا أيها العبد المبتلى اصبر وصابر فالابتلاء من الله تعالى نعمة، واد تعالى، وألحَّ في الدعاء، وكنْ على يقين من الاستجابة، واشتغل بعد ذلك بما كُلِّفْتَ به، وتذكَّرْ قولَ الله تعالى: {قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ}.

ولعلي أن أتابع معكم الحديث في هذا الموضوع في الأسبوع القادم إن أحيانا الله عز وجل.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

74- خطبة الجمعة: حِصنُ النعم واحد لا ثاني له.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله النعم إذا وفدت إلينا فإن لها حصناً واحداً لا ثاني له، به تحفظ هذه النعم، وبه تزيد، ألا وهو شكر الله تعالى، أ لم تقرؤوا قول الله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد}. أ لم تقفوا أمام قوله تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُون * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُون}.

أيها الإخوة: فكِّروا بدايةً بجدٍ وإمعان، هل يمكنكم أن تحصوا نعمة الله

عليكم؟ من ظاهركم إلى باطنكم، من فرقكم إلى قدمكم، من الأمور الحسية والمعنوية، هل يمكنكم أن تحصوا هذه النعم؟ لا، بل صدق الله القائل: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار}. لأنه ما من نعمة إلا وتحمل في طيَّاتها نعماً لا تعد ولا تحصى، ومن أَجَلِّ هذه النعم قوله تعالى: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُون}.

ومن ورائها نعمة الأمن والأمان، ونعمة الصحة والعافية، ونعمة الزوجة والذُريَّة، ونعمة الجاه والحياة، ونعمة المنع والعطاء، ونعمة الظاهر والباطن، كل واحدة فيها نعم لا تعد ولا تحصى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيم}. فأين الشكورُ الباذلُ ما في وسعه في أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً في سائر أحواله، في الرخاء والشدة؟ بل أين الشاكرُ المثني على الله المنْعِمِ، المقبلُ على الله بجوارحه انقياداً وطاعة في الرخاء والعطاء؟

أيها الإخوة المؤمنون: الشكر أعلى منازل السالكين، بل هو فوق منزلة الرضا، لأن الرضا مندرج في الشكر، وهو نصف الإيمان، ولا تظنوا أن الشكر مجرد، ترديد كلمة الشكر لله باللسان، فلو كان الشكر باللسان لوجدت أكثر الناس شاكرين، وهذا مخالف لقوله تعالى: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور}.

الشكر يبنى على خمس قواعد:

١. خضوع الشاكر للمشكور.

٢. حب الشاكر للمشكور.

٣. اعتراف الشاكر بنعمة المشكور.

٤. ثناء الشاكر على المشكور.

٥. ألا يستعمل الشاكر النعمة فيما يكره المشكور.

يا عباد الله:

الله عز وجل يريد منا أن نكون شاكرين، قال تعالى: {أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ}. وقال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُون}. وقال جلَّ شأنه {وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُون}.

ولكن هل تعلمون بأن عدوكم لا يريد منكم أن تكونوا شاكرين؟ هل تعلمون بأن شياطين الإنس والجن لا يريدون منكم أن تكونوا شاكرين، لتزول نعمة الله عنكم؟ لأن شياطين الإنس والجن عرفوا حقيقة قوله تعالى: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيم * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِين * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا}.

لماذا طرده الله من رحمته؟ من أجلك أيها المؤمن، طرده من رحمته لأنه أراد صرفك عن شكر الله، فهل يليق بك أن تتخذه ولياً من دون الله؟ {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً}.

أيها الإخوة الكرام: تعالوا لندعوَ الله عز وجل أن نكون من الشاكرين، لأن هذا شان العقلاء، وخاصة إذا بلغ أحدنا أشدَّه وبلغ أربعين سنة، كما قال تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِين}.

أكثروا من هذا الدعاء، لأن خير الشكر عائد علينا لا على المشكور، كما بيّن ذلك مولانا بقوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيد}.

فالشكر طريق الأنبياء والمرسلين، وطريق الصالحين، ومنزل من منازل

السالكين.

ألم يقل سيدنا سليمان عليه السلام: {قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيم}؟.

ألم يصف ربنا تبارك وتعالى سيدنا إبراهيم شيخ الأنبياء بقوله: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِين * شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم}؟

ألم يكن النبي صلى الله عليه وسلم شاكراً؟ أخرج البخاري عن الْمُغِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ أَوْ سَاقَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)؟

وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

أخيراً يا عباد الله: أوصي نفسي وإياكم بوصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاذ بعد أن أخذه بيده وقال: (يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) رواه أبو داود.

اللهم اجعلنا من الشكارين الذكارين الرَّهابين، لك مطيعين وإليك مخبتين. آمين. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله.

** ** **

75-خطبة الجمعة: صلاح السيرة وصفاء السريرة صفة المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

الإنسان يطمع

فيا أيها الإخوة الكرام، مما لا شك فيه بأن الإنسان المسلم يطمع بدخول الجنة، يطمع بنعيم مقيم، يطمع بالمعية مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، يطمع أن يكون ممن قال فيهم مولانا عز وجل: {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}. يطمع في أن يكون ممن قال فيهم مولانا: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}. يطمع في أن يكون ممن يسمع السلام من حضرة السلام: {سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ}. يطمع أن يكون ممن يجتمع مع أصوله وفروعه وزوجه في الجنة، والملائكة تدخل عليه من كل باب، وأن يكون من أهل هذه الآية: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}.

ما ثمن ذلك؟

لا شك كل واحد فينا يطمع في ذلك، ولكن ما ثمن هذه السلعة الغالية (أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ) رواه الترمذي؟

ثمن ذلك أمران أو صفتان:

الأمر الأول أو الصفة الأولى: صلاح السيرة.

والأمر الثاني أو الصفة الثانية: صفاء السريرة.

صلاح السيرة وصفاء السريرة هما صفة الصفوة من البشر الذين اختارهم الله تعالى لصحبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون}. صلاح سيرةٍ وصفاء سريرةٍ.

أما الذين جاؤوا من بعدهم فما هو حالهم؟ حالهم كما وصفه ربنا جل جلاله في القرآن العظيم: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ}. صلاح سيرة {وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم}. صفاء سريرة.

ما هي نتيجة المهاجرين والأنصار والذين من بعدهم، الذين صَلُحَت سيرتهم وصَفَت سريرتهم؟ نتيجتهم كما قال مولانا عز وجل: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم}.

حال مجتمعنا بشكل عام

فما هو حال مجتمعنا اليوم؟ لو نظرنا بشكل عام فإننا نجد حال المجتمع بشكل عام - إلا من رحم ربي عز وجل - سيء السيرة، وفاسد السريرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سوء السيرة: قتل، تكبُّر، إسراف، قطيعة رحم، خمر، زنا، لواطة، أكل أموال الناس بالباطل، أكل أموال اليتامى، ربا، غش، خيانة، سفور، تبرج سوء أخلاق.............

فساد السريرة: نفاق، حقد، حسد، بغضاء............ إلا من رَحِمَ الله وعافاه من فساد السريرة وسوء السيرة، فهل نحن مؤمنون حقاً؟

يجب إعادة النظر في صلاح سيرتنا وصفاء سريرتنا

يجب علينا أيها الإخوة أن نعيد النظر في صلاح سيرتنا وصفاء سريرتنا، ولا يكون هذا إلا بالعودة إلى كتاب ربنا عز وجل، لنقرأ ونتدبر بعض الآيات من أجل صلاح سيرتنا وسريرتنا.

يقول تعالى ناهياً لنا عن فساد السيرة والسريرة: {وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}. ويقول تعالى أيضاً: {وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ}. ما ظهر يعني: فساد السيرة، وما بطن يعني: فساد السريرة.

نهانا عن ذلك لأن العاقبة وخيمة، ألا وهي: صَبُّ العذاب، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَاد * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَاد * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَد * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَاد * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَاد * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَد}. فساد سريرة. {فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد} فساد سيرة، النتيجة قال تعالى: {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَاب}.

صفات عباد الرحمن، صلاح سيرة، وصفاء سريرة

نهانا مولانا عن فساد السيرة والسريرة، ووصف لنا عباده عباد الرحمن، بصلاح سيرتهم وصفاء سريرتهم، ثم دعوة من الله تبارك وتعالى لنا لصلاح سيرتنا وصفاء سريرتنا.

قال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا} صلاح سيرة.

{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا} صلاح سيرة.

{وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} صفاء سريرة.

{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا

سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} صفاء سريرة.

{وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} صلاح سيرة.

{وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} صفاء سريرة.

{وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ} صلاح سيرة.

{وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} صلاح سيرة.

{وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا} صلاح سيرة.

{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} صلاح سيرة وصفاء سريرة.

ما هي نتيجة من صلحت سيرته وصفت سريرته؟

قال تعالى: {أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَمًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}.

فحتى ننال ما نال عباد الرحمن، لا بد من الصبر على صلاح السيرة وصفاء السريرة.

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

لذلك كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الأَخْلاقِ) رواه أبو داود. لأن الشقاق يؤدي إلى فساد السيرة، والنفاق إلى فساد السريرة، وسوء الأخلاق يؤدي إلى فساد السريرة والسيرة.

اللهم أصلح لنا سرائرنا واجعلها خيراً من علانيتنا، واجعل علانيتنا صالحة يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين. استغفروا الله.

** ** **

76خطبة الجمعة: أيها العابد أين أخلاق؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فما هو ثمن الجنة؟

فالإنسان خُلِق للجنة، والجنةُ خُلِقت له، والجنةُ هي سلعةٌ، وسلعةُ الله غالية، وثمنها في الدنيا. فما هو ثمن الجنة؟

ثمن الجنة هو العبادة لله تعالى، والإسلام عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق، والعبادات التي هي من شعائر الإسلام وحدها لا تكفي، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) رواه البخاري.

فهذه العبادات هي أُسُسُ الإسلام، التي لها الأثر الكبير في تبديل الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحسنة، والدليل على ذلك قوله تعالى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}. فالعبادة لها أثر في تغيير الأخلاق إلى الأحسن.

وضع المسلمين اليوم

نموذجان في المسلمين اليوم، الأول: عابدٌ سيئُ الخلق.

الثاني: حَسَنُ الخُلُق ضعيفُ العبادة، فأيهما المقبول عند الله عز وجل؟ لا شك بأن الفريقين مرفوضان عند الله تعالى، وأقف اليوم مع الفريق الأول.

الفريق الأول: عابد سيئ الخلق

هذا مرفوض في الإسلام وخاسر يوم القيامة، في يوم يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لا يقطف ثمار عبادته بسبب سوء أخلاقه، وذلك للحديث الشريف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (هَلْ تَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ)؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ الله مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، قَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلاةٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنْ الْخَطَايَا، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) رواه مسلم وأحمد واللفظ له.

وروى أحمد وابن حبان والحاكم بسند صحيح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ فُلانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: (هِيَ فِي النَّارِ) قَالَ: يَا رَسُولَ الله فَإِنَّ فُلانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنْ الأَقِطِ، وَلا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: (هِيَ فِي الْجَنَّةِ).

الأثوار: قطعة من الأَقِط. والأَقِطُ: هو شيء يتخذ من مخيض اللبن.

لذلك يقول الفضيل بن عياض: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إليَّ من أن يصحبني عابد سيئ الخلق ا هـ. لأن صحبة الفاجر حسن الخلق للعلماء الصلحاء خير له، حيث يكون متأثراً بصحبتهم.

أضف إلى عبادتك حسن الخلق:

أيها الإخوة المسلمون:

لا نقول لهذا العابد، ولا يستطيع أحد من العقلاء أن يقول له: لا تعبد الله وأنت سيئ الخلق، بل نقول له: أضف إلى عبادتك حسنَ الخلق، أضف إلى

عبادتك الإحسان إلى الناس، لأن الأخلاق الحسنة والإحسانَ إلى للناس جزء لا يتجزأ من الدين، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنْ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ) رواه الترمذي. وفي رواية: (الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ).

وروى البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (وَلَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ) رواه البخاري ومسلم.

أقول لهذا العابد سيء الخلق:

لماذا هذا الانفصال بين الأخلاق والعبادات؟ لماذا هذا الانفصال بين حقيقة الدين ومظاهر الدين؟ لماذا أنت في المسجد إنسان كامل، وخارجَ المسجد لستَ كذلك؟ لماذا هذا التناقض المريع في شخصيتك؟ لماذا هذه المفارقة الحادَّة؟

أيها الإخوة الأحبَّة: أتمنى أن لا يفهم أحدكم أن يقلِّل من العبادة بسبب سوء الأخلاق، لا، بل حافظ على الكثرة من العبادة، وحافظ على هذه العبادة من الضياع بسبب سوء الأخلاق، وسوء التعامل، لأن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم أوضحها بقوله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) رواه البيهقي في السنن الكبرى.

روى البخاري وأحمد عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (وَالله لا يُؤْمِنُ، وَالله لا يُؤْمِنُ، وَالله لا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ). البوائق: جمع بائقة، أي غوائله وشروره.

مهما عَبَدْتَ، ومهما قُمْتَ، ومهما قرأت القرآن، ومهما ذكرت، ومهما حججت، ومهما اعتمرت، ومهما بكيت وأنت تتفنَّن في إيقاع الأذى بجارك، بمسلم، بمخلوق، فالنبي صلى الله عليه وسلم ينفي عنك الإيمان ثلاث مرات، وخاصّة إذا كان المأذيُّ جارَك.

فضل حسن الخُلُق:

أيها الإخوة الكرام:

يقول صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ) رواه أبو داود.

ويقول صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ويقول صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا) رواه أبو داود.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: (سُئِلَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: تَقْوَى الله وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ) رواه الترمذي.

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا) رواه الإمام أحمد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّكُم لَن تَسَعُوا النَّاس بأَموالِكُم، فَسَعُوهُم بِبَسْطِ الوَجهِ وَحُسْنِ الخُلُق) رواه الطبراني وابن أبي شيبة.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ) رواه أبو داود.

أيها العابد السَّيئُ خُلُقُه: تعلَّم دعاءَ النبي صلى الله عليه وسلم: (وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلا أَنْتَ) رواه مسلم، وأضف إلى هذا الدعاء مجاهدتَك لنفسك، لأن العلمَ بالتعلم، والحلمَ بالتحلم، والصبرَ بالتصبر، وإلا لا قدَّر الله سيكون هذا العبد من الخاسرين يوم القيامة.

اللهم حسِّن أخلاقنا، واهدنا لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت. ولعلنا نقف في الأسبوع القادم مع صاحب الخلق الحسن فاقد العبادة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** **

**

77- خطبة الجمعة: يا صاحب الخلق الحسن أين عبادتك

بسم الله الرحمن الرحيم

الناس على صنفين:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا معشر المسلمين، ذكرنا في الأسبوع الماضي بأن الكثير من المسلمين اليوم صنفين، إما عابد سيئُ الخلق، وإما حسنُ الخلق ضعيف العبادة. وأقصد بضعيف العبادة من ضيَّع أكثر حقوق الله تعالى من الفرائض والواجبات. وقلنا إنَّ كلا الفريقين مرفوض في الإسلام، لأن هناك من يتصوَّر أن صاحب الخلق الحسن ضعيفَ العبادة أفضل في دين الله من العابد سيئ الخلق، لا أيها الإخوة فكلا الطرفين مرفوض، والمقبول هو صاحب العبادة ذو الخلق الحسن.

عابد سيئ الخلق خاسر:

وعرفنا في الأسبوع الماضي بأن العابد سيئ الخلق خاسرٌ يوم القيامة إذا لم يبادر إلى تحسين خلقه باتباع الشرع والتدرب على أخلاقه الحميدة والمثابرة عليها، وذلك للحديث النبوي الشريف عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الآخِرَةِ، وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ، وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ. يعني لا يزيد على الفرائض. وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَجَةٍ فِي جَهَنَّمَ) رواه الطبراني.

وتذكر أيها العابد السيئ الأخلاق قوله تعالى: {وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}.

حَسَن الخُلُق ضعيفُ العبادة:

وحديثنا اليوم عن الصنف الثاني المرفوض كذلك في ديننا، ألا وهو حَسَن الخلق ضعيف العبادة، قد ضيَّع أكثر الفرائض والواجبات، أقول له:

أين أخلاقك على أركان الإسلام؟

يا صاحب الخلق الحسن إذا أردت أن تنتفع من خُلُقك الحسن يوم القيامة، وذلك بقربك من مجلس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فابن هذه الأخلاق على أركان الإسلام الخمسة، لأن البناء إذا لم يكن على أسس متينة وصحيحة فلا قيمة لهذا البناء، وتذكر يا أخي يا صاحب الخلق الحسن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) رواه البخاري ومسلم. فإذا كانت أخلاقك الحسنة من باب الاتباع فلا بد أن تبنيها على هذه الأسس الخمسة.

أخلاقك وحدها لا تكفي يوم القيامة، لأن الغاية من خَلْقك العبادةُ لله عز وجل، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون}. فحُسن الخُلُق هذا حقُّ الخَلْق عليك، وأما العبادة فهي حقُّ الله عليك، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ) رواه البخاري.

أين صلاتك وزكاتك وهويَّتك يا صاحب الخلق الحسن؟

أنت بالأخلاق الحسنة أتيت بعمل صالح لا شك في ذلك، وإن سئلت ما هذه الأخلاق؟ من أين اكتسبتها؟ فسوف تقول: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى الله وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِين}. اكتَسَبها من الإسلام، اكتَسَبَها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اكتَسَبَها من القرآن العظيم. شيء حسن، ولكن

مسلم بدون صلاة؟! مسلم بدون زكاة؟! مسلم بدون هوية تترجم عن انتمائه؟!

تذكر يا صاحب الخلق الحسن وأنت بدون صلاة وزكاة، قول الله تعالى: {إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِين * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُون * عَنِ الْمُجْرِمِين * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَر * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّين * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِين * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِين}.

تذكر يا أخي قول الله عز وجل: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيم}.

يا صاحب الخلق الحسن توّج أخلاقك الحسنة بصلاتك وزكاتك واعتزازك بالإسلام، وإلا ذهبت أخلاقك الحسنة يوم القيامة هباءً منثوراً.

المعاملات من العبادات فأين هي؟

يا صاحب الخلق الحسن انتقِ لقمةَ الحلال، واحذر الحرام احذر الربا والرشوةَ وأكلَ أموال الناس بالباطل، لأن كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به، الجسم الذي يتغذى بالحرام لا يطهِّره إلا النار.

خُلُق حسن ويأكل الربا! وينسى قول الله عز وجل: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}. ماذا ينفعك الخلق الحسن مع الربا؟ والمرابي ملعون بنص الحديث عن عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَعَنَ الله آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ، قَالَ: وَقَالَ: مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا وَالزِّنَا إِلا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ الله عَزَّ وَجَلَّ) رواه الإمام أحمد.

ماذا ينفعك الخلق الحسن مع الرشوة؟ وصاحب الرشوة ملعون بنص الحديث، عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: (لَعَنَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ. يَعْنِي الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا) رواه الإمام أحمد.

ماذا ينفعك الخلق الحسن مع أكل أموال الناس بالباطل؟ والله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن

تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً}.

ضبط الشهوات من العبادة:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) أخرجه الحسن بن سفيان والديلمي في الفردوس، وقال ابن حجر: ورجاله ثقات، وصحَّحه النووي في الأربعين.

يا صاحب الخُلُق الحسن هل أنت ضابط لشهواتك؟ هل أنت محافظ على جوارحك وخاصة السمع والبصر؟ {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}.

اتباع الشهوات مدمِّر، الجنة حفَّت بالمكاره، والنار حفَّت بالشهوات، يا من أطلق بصره بالنظر إلى النساء، وأطلق يده في مصافحة النساء، وحَلَت له الخلوةُ بهن، ماذا ينفعك الخلق الحسن يوم القيامة؟ والله تعالى يقول: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}.

ماذا ينفعك الخلق الحسن وقلبك مريض بطمعك بالنساء؟ تطمع بالحرام دون الحلال؟ تطمع بما حرَّم الله عليك بسبب عدم غضِّ البصر وحفظ الفرج والاختلاط بالنساء.

وأنت يا صاحبة الخلق الحسن بدون ضبط للشهوات بضوابط الشريعة، ماذا سينفعك هذا الخلق الحسن يوم القيامة؟ والله عز وجل يقول: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ}.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ

مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا) رواه مسلم.

الدين المعاملة وسلامة القلب:

كثير من أصحاب الخلق الحسن عندما تدعوهم إلى العبادة يقولون: الدين المعاملة وسلامة القلب، نعم، الدين المعاملة وسلامة القلب، كلام صحيح، ولكن لماذا نقصر المعاملة على حسن الخلق مع الناس فقط؟ أليست معاملتك مع الله من الدين؟ أليست معاملتك مع نفسك من الدين؟

ماذا ينفعك الخُلُق الحسن وأنت تشرب الخمر؟ ماذا ينفعك الخلق الحسن وأنت تشرب المخدرات؟

وأنت عندما تقول: الدين المعاملةُ وسلامةُ القلب، أقول: هذا صحيح، نعم الدين بسلامة القلب، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ) رواه البخاري. نعم إذا سلم القلب سلم اللسان والبصر والسمع، وسلمت اليد والرجل والفرج.

خاتمة:

فيا أيها الإخوة الكرام الأحبة توّجوا عباداتكم بالأخلاق الحسنة لتنالوا القرب من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تجعلوها تذهب هباءً منثوراً بسوء الأخلاق.

وتوّجوا كذلك أخلاقَكم بالعبادة، لأن الخلق الحسن بدون عبادة لا ينفع، أول ما يحاسب العبد به يوم القيامة عن الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام، ثم يحاسب عن بقية الأركان.

اللهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وارزقنا أحسن الأخلاق والأعمال فإنه لا يرزق أحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئ الأخلاق والأعمال فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

** ** **

78- خطبة الجمعة: أنسيت أيها الزوج الظالم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، كنت أفكر الليلة الماضية في خطبة الجمعة ماذا سيكون موضوعها؟ فدخل عليَّ ولدي وقال لي كلمةً عابرة: كم من امرأة تبكي وتشكو أمرها إلى الله عز وجل من ظلم الزوج لها؟. وكان الوقت متأخراً. فقلت له: عددهم كبير ربما وصل إلى الخمسين في المائة، وقلت له نسي هؤلاء قول الله عز وجل: {قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}.

نعم أيها الإخوة الكرام: صور ظلم النساء كثيرة وكثيرة جداً، وإني أريد أن أُذكِّرَ كلَّ زوج فينا، وخاصة من كان في مرحلة الشبابِ والقوَّةِ والفتوَّةِ، حيث تدفعه قدرته على ظلم المرأة، لأن العصمة في يده، ونسي أنه ما استحلَّ فرجها إلا بكلمة الله عز وجل، كما قال عليه الصلاة والسلام: (اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) رواه مسلم.

أنسيت أيها الزوج الظالم قول الله عز وجل: {وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قول الله عز وجل: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الله غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء}؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قول الله عز وجل: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا}؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قول الله عز وجل: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً}؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قول الله عز وجل: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}؟

وأنا عندما أُذكِّرك بذلك، والله ما أذكِّرك إلا من خلال حبِّي لك، وإخلاصي معك، ونصحي لك، لأن الله يسأل عن صحبة ساعة، وأنا صاحبك في هذه الساعة.

أنسيت أيها الزوج الظالم قولَ النبي صلى الله عليه وسلم: (اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قولَ النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه لما أرسله إلى اليمن: (اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيس بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ) رواه البخاري ومسلم؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قولَ النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ) رواه الترمذي؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قولَ النبي صلى الله عليه وسلم: (إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ

فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا) رواه البخاري؟

أيها الزوج الكريم: تذكَّر قول سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حيث قال: إذا دعتك قدرتك على الناس على ظلمهم، فاذكر قدرة الله عليك. رواه البيهقي في شعب الإيمان.

تصوَّرْ أيها الزوج الظالم. وربما أن تكون أنت العابد المتبتل.، تصوَّرْ قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ حُبِسُوا) لأنه أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة عن حقوق الله عز وجل،لأن حقوق الله تعالى مقدَّمة على سائر الحقوق، وربَّما أن تكون أنت ممن عرف حق الله عز وجل فأدَّاه، وإذا أدى العبد حقوق الله تعالى أتى بأعمال كالجبال وظنَّ بأنه قد نجا، لأنه يضرب على الصراط قناطر يُسأل فيها العباد، وإنكم تعلمون أيها الناس بأنَّ الصراط مضروب على متن جهنم، فيُسأل في القنطرة الأولى عن التوحيد، ثم في الثانية عن الصلاة، ثم الصيام، ثم الزكاة، ثم الحج، ثم العمرة، وفي القنطرة السابعة يُسأل عن حقوق العباد. روي في تفسير الخازن والبغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إنَّ على جسر جهنم سبع محابس، يُسألُ العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها تامَّة جاز إلى الثاني، فيُسألُ عن الصّلوات، فإن جاء بها تامَّة جاز إلى الثالث، فيُسأل عن الزّكاة، فإن جاء بها تامَّة جاز إلى الرابع، فيُسألُ عن الصوم، فإن جاء به تامّاً جاز إلى الخامس، فيُسألُ عن الحج، فإن جاء به تامّاً جاز إلى السادس، فيُسأل عن العمرة، فإن جاء بها تامَّة جاز إلى السابع، فيُسأل عن المظالم، فإن خرج منها، وإلا يُقال: انظروا فإن كان له تطوع أكملت به أعماله، فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة).

فمن جملة حقوق العباد حق الزوجة، تصور أيها الزوج العابد بعد أن ظننت بأنك نجوت، فإذا بالزوجة المظلومة إذا لم تعفُ عنكَ ولم تسامحْكَ بدأت تطالب

بحقها، فماذا تأخذ مقابل حقها الذي هو عليك، والله يقول: {يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُون * إِلاَّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيم}؟

لا شك تأخذ من حسناتك، وأنت تنظر إلى النار وتظن بأنك قد نجوت منها، وتنظر إلى الجنة وتظن أنَّك أصبحت من أهلها، وعندها تَذَكَّر حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما سأل أصحابه قال: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) رواه الإمام أحمد.

أنت وزوجتك في القنطرة السابعة أو في المحبس السابع، وقد شتمتَها وضربتَها وأكلتَ مالها من مهر وذهب وتركة وميراث وحليٍّ ومُرَتَّب، فإذا بها تأخذ من حسناتك، وربما لا قدَّر الله تستغرق حقُوقها وحقُوق أهلها جميع حسناتك، وإذا فنيت حسناتك لا قدَّر الله تعالى أخذت من خطاياهم ثمَّ طرحتْ عليك ثم طُرِحْتَ في النار.

ما رأيك أيُّها الزوج الظالم وأنت العابد الذي أدى حقوق الله تعالى كاملة، ونسي حقَّ الزوجة، بل ظَلَمَ الزوجة وأهلَها؟

ولعلَّك تسأل أخي الكريم: ما هي صور الظلم بين الرجل وزوجته حتى أجتنبها؟ فأقول: صورها كثيرة، ولكن سأذكر لك بعض صور الظلم التي تفشت في المجتمع تفشِّياً خطيراً، وقلَّما أن تجد زوجاً ناجياً من الظلم لزوجته، ولكن في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى.

أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم ممن تأسَّى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأقوال والأفعال. وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

79-خطبة الجمعة: صور من ظلم المرأة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

خلاصة الخطبة الماضية

فيا عباد الله، لقد ذكرت في الأسبوع الماضي بأنَّ ظُلْمِ الرجال للنساء كبير، وما وَقَعَ الرَّجُلُ في الظُلْمِ إلا بسبب غفلتِهِ عن يوم القيامة وأهوالها، وعن المآل الذي يؤول إليه الظالم.

وربما وجد البعض في نفوسهم شيئاً من قولي: أنسيت أيُّها الزوج الظالم.

أيُّها الإخوة: الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع، وإن فلاحَنا بتناصُحِنا، ولا خير في طلاب العلم إذا لم ينصحوا، ولا خير في الأمة إذا لم تستجب. لقد أقسم مولانا بقوله: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}. سوف نُسأل عن بعضنا البعض يوم القيامة، سوف نسأل عن صحبة ساعة، هل تناصحنا أم لا؟

وأنا أتابع اليوم فأقول: لقد نَسِيَ الزوج الظالم قولَ الله تعالى في الحديث القدسي الصحيح الذي يرويه الإمام مسلم عَنْ سيِّدنا أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا).

نَسِيَ الزوج الظالم بأنَّ الله تبارك وتعالى الذي لا يُسأل عما يفعل حرَّم الظُلْمِ على نفسه، فكيف به وهو الذي قال الله تعالى فيه وفي غيره: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون}. وقال تعالى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُون}. وقال

النبي صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلا يَرَى إِلا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) رواه مسلم. كيف وهو يُبِيحُ لنفسه الظُلْمِ؟

لذلك أَسْرِعْ أيها الزوج الظالم للتوبة الصادقة، لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يقول لنا جميعاً: (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمِةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمِتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ) رواه البخاري.

صور من ظُلْمِ الرجل للمرأة

أولاً: سبُّها وشتمُها ولعنُها، من الذي أعطاك حق سبِّها وشتمِها ولعنِها؟

ماذا ستقول لربك غداً يوم القيامة؟ وما هو موقفك من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، حيث ستطلب منه الشفاعة؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبك بقوله: (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ) رواه البخاري. وبقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم. وبقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ لَعَّانًا) رواه الترمذي. وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني. قال: (أوصيك ألا تكون لعَّاناً) رواه الطبراني.

هذا السبُّ والشتمُ واللعنُ أليس بسيئة؟ والله عز وجل يقول: {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِين}. فكم سيئة صدرت منك نحوها، حاول أن تحصي هذا منذ أن تزوجتَها إلى هذه الساعة، هل ترضى أن تقابل زوجتك السيئة بالسيئة كما شرع الله عز وجل بنص الآية؟ لماذا

أعطيت نفسك هذا الحق وحَظَرتَهُ على زوجتك؟ لماذا أبحت لنفسك السيئة وحظَرتَها على زوجتك؟ هل زَوْجَتُكَ قابلت تلك السيئات كلِّها بواحدة مثلها؟ لماذا؟ لأنها عفت وأصلحت ووقع أجرها على الله تعالى، أما أنت فهل اعتذرت؟ هل طلبت منها السماح؟ إن لم تفعل فأنت ظالم، والله لا يحب الظالمين.

ثانياً: الضرب المبرِّح: من صور ظلم الرجل للمرأة الضرب المبرِّح.

أيُّها الزوج لماذا تجمع مع السبِّ والشتمِ واللَّعنِ الضربَ؟

العجيب أيُّها الإخوة أن يقول الزوج هذا مما شرع الله تعالى للرجال، ألم يقل الله تعالى: {وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ}؟

نعم أيُّها الرجل لقد شرع الله عز وجل هذا، ولكن هل وقفت مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوضح لك معنى هذه الآية؟ أما سمعت أيُّها الرجل قولَ النبي صلى الله عليه وسلم: (اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ) رواه أبو داود؟

من حق الزوج أن يضرب زوجته ضرباً غير مبرح، ولكن خيار هذه الأمة لا يضربون لقوله صلى الله عليه وسلم: (ولن يضرب خياركم) المستدرك على الصحيحين. كيف يضربها الخيار ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أيضرب أحدكم امرأته كما يضرب العبد ثم يجامعها في آخر اليوم) رواه البيهقي؟

أيُّها الإخوة الكرام لقد ذكر الفقهاء أثناء حديثهم عن ضرب المرأة الناشز بأنَّه يجوز للرجل أن يضرب زوجته ضرباً غير مبرح، إذا عَلِمَ بأنَّ الضرب يُؤَدِّبُها، وإلا حَرُمَ عليه ضربها، وقالوا : يحرم على الرجل أن يضرب زوجته ضرباً مبرِّحاً وإن كان هذا الضرب يُؤَدِّبُها.

بل أقول لك: لا يجوز الدعاء عليها فضلاً عن ضربها ضرباً مبرِّحاً، وإن دعوت الله عليها فاعلم بأنَّ دعاءك غيرُ مستجاب، لما أخرجه الحاكم في مسنده بسند حسن عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلِّقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه، ورجل آتى سفيهاً ماله وقد قال الله عز وجل: {وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ}).

لماذا الدعاء عليها؟ هلَّا دعوت الله عز وجل لها؟ أنت تدعو عليها بالشرِّ كما وصف الله عز وجل حالك بقوله: {وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً}.

لا تتعجل بالدعاء عليها، فإن دعوت فاعلم بانَّ دعاءك غير مستجاب في حقِّها، لأن الله تعالى ما شرع لك معالجة نشوزها بالدعاء عليها.

بل شرع لك في معالجة نشوزها الموعظة الحسنة والهجر والضرب غير المبرح بقوله تعالى: {وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً}. فإن لم تفلح شَرَعَ لك إرسال حكم من أهلك وحكم من أهلها فقال: {فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا}. فإن لم يفلحا شَرَعَ لك طلاقها بقوله: {وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ}. فإذا توجهت إلى طلاقها، فاحذر الظُّلْمَ أثناء الطلاق.

كيف يكون ظُلْمُ المرأة في طلاقها. هذا ما سنتحدث عنه في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

** ** **

80-خطبة الجمعة: خُلِقنا في هذه الدنيا للابتلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن مع العسر يسراً:

لقد مرَّت علينا ذكرى الإسراء والمعراج، هذه المعجزة والكرامة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فما ينبغي أن تمرَّ علينا هذه الذكرى دون أن نقف عند هذا الحدث لنستفيد منه فائدة نصحِّح فيها سيرنا إلى الله عز وجل، ونعرف الغاية التي خُلقنا في هذه الحياة الدنيا من أجلها.

حادثة الإسراء والمعراج كانت بعد مِحَن، أول هذه المِحَن:

ما قاله له عمه أبو لهب عندما وقف على جبل الصفا يدعو قومه، وذلك في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ.

فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟

قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا.

قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ.

فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا. فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}.

وآخرها محنة الطائف، حيث خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يدعو أهلها، فدعاهم إلى الله وكلَّمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أردَّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقال لهم: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبُّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، وقعدوا له صفين على طريقه، فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا أرضخوهما ـ أي دقُّوهما ـ بالحجارة حتى أدموا رجليه.

فانصرف فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين، ثم قال: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني؟ إلى عدوّ يتجهمني؟ أم إلى قريب ملَّكته أمري؟ إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحلَّ علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك. رواه الطبراني.

فما إن أتمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه، إلا وجاءه الفرج من الله، قال صلى الله عليه وسلم: (فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا

عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلَّم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً) رواه البخاري ومسلم.

سنوات عدَّة من الابتلاءات، من الابتلاء الأول إلى يوم الطائف، بعد ذلك جاء العطاء والكرم من الله بقوله سبحانه: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير}.

لا بدَّ من الابتلاء

فلا بدَّ من الابتلاء، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش حياته في ابتلاءات فنحن من باب أولى وأولى.

ألم يقل مولانا عز وجل: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ}؟

ألم يقل سبحانه: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ}؟

ألم يقل سبحانه: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين}؟

ألم يقل سبحانه: {الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين}؟ وهذا هو القانون الذي يتعامل به مولانا عز وجل مع عباده المؤمنين، أما الكافرون فلهم قانون آخر يتعامل به الله عز وجل معهم.

والابتلاء نوعان: ابتلاء في العطاء، وابتلاء في المنع، والابتلاء في العطاء أشدُّ من الابتلاء في المنع، لأن الابتلاء في العطاء قد يُطغي الإنسان، أما الابتلاء في المنع فيجعل العبد يقف على باب مولاه.

الأسباب التي تعين على تحمُّل الابتلاءات:

ربما أن يكون الابتلاء بالمنع لا يطاق، وذلك لضعف العبد، فما هي الأسباب التي تعين العبد على تحمُّل هذه الابتلاءات؟ علَّمنا الله تعالى الأسباب في القرآن العظيم.

أولاً: الصبر والصلاة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِين}، يا صاحب الابتلاء عليك بالصبر، واجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتك في ذلك، حيث جعل الله عز وجل له قدوةً بالأنبياء من قبله، قال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}، وقال لنا: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.

وعليك بالصلاة، لأنها صلة مع مولاك، فإذا صبرت واتصلت مع مولاك بالصلاة ضع أمورك وهمومك بباب مولاك، كما كان يفعل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى أبو داود في سننه وأحمد في مسنده عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى.

ثانياً: الدعاء، وذلك امتثالاً لأمر الله عز وجل القائل: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين}، واجعل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوتك وقدوتك في ذلك، وانظر كيف كان يدعو الله عز وجل في الشدائد وفي الرخاء مع انكسار القلب إلى الله عز وجل، وتدبَّر تلك الكلمات التي خرجت من قلب مجروح: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني؟ إلى عدوّ يتجهمني؟ أم إلى قريب ملَّكته أمري؟ إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحلَّ علي سخطك، لك

العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك. تذلَّل وتضرَّع إلى الله تعالى، وخاصة في جوف الليل في السَّحَر.

فإذا صبرتَ وصلَّيتَ ودعوتَ الله عز وجل، فإن الله تعالى سيجعل لك من كلِّ ضيق مخرجاً، ومن كلِّ همٍّ فَرَجاً، وعندها تشعر بأن الله عز وجل ما ابتلاك بغضاً وكراهية، إنما لحكمة يريدها الله عز وجل، إما لتكفير سيئاتك، وإما لرفع في درجاتك، وإما لإظهار حقيقة إيمانك، وعندها تقول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي).

أيها الإخوة الكرام:

لنكن عند الابتلاءات ـ ونسأل الله العفو والعافية ـ صابرين مصلين داعين، ولا تجعلوا من الابتلاء سبباً لإعراضكم عن الصلاة، وسبباً لنفاد الصبر، وسبباً للكفِّ عن الدعاء، بل اجعلوا من الابتلاءِ نقيض ذلك، لأن هذه الأسباب هي العون لك في الابتلاءات.

أيها الإخوة: اجعلوا من هذه الذكريات محطة لتقوية الإيمان، ولتصحيح السير إلى الله تعالى، ولا تجعلوا تمرُّ علينا ونمرُّ عليها مرور الكرام.

اللهم اجعلنا من الشاكرين عند الرخاء، ومن الصابرين عند البلاء، ومن الراضين بمرِّ القضاء، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله.

** ** **

-81خطبة الجمعة: صور من ظلم المرأة (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

خلاصة الخطبة السابقة

فقد ذكرت لكم في الأسبوع قبل الماضي صوراً من ظلم الرجال للنساء، وقلنا يجب على كل عاقل أن يستحضر الموقف بين يدي الله عز وجل يوم القيامة، في كل قول وعمل يأتي به، وخاصة في تعامله مع الزوجة. ينبغي علينا أيها الإخوة أن لا يغيب عن بالنا قول الله عز وجل: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}، وأن لا يغيب عن بالنا قوله تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَاد}، وأن لا يغيب عن بالنا قوله جل جلاله: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}.

ذكرنا في الأسبوع قبل الماضي بعض صور ظلم الرجال للنساء، والتي من جملتها السبُّ والشتم واللعن والضرب المبرّح والدعاء عليها، وعرفنا بأن الدعاء عليها لا يستجيبه الله تعالى، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه، ورجل آتى سفيهاً ماله وقد قال الله عز وجل: {ولا تؤتوا السفهاء أموالكم}) أخرجه الحاكم وابن أبي شيبة والبيهقي. كل هذه الصور من الظلم المحرَّم شرعاً.

طرق معالجة نشوز المرأة

أيها الإخوة:

إن معالجة نشوز المرأة لا يكون بالظلم لها، فإن كانت هي ظالمة لزوجها بنشوزها، فما ينبغي للرجل أن يكون ظالماً في حال معالجة نشوزها، ولن تكون معالجة نشوزها بطرق غير مشروعة من سبٍّ وشتم ولعن وضرب ودعاء عليها، إن طريق معالجة نشوزها رسمه لنا القرآن العظيم بقوله جل جلاله: {وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ}.

فإن أفلحت في معالجة نشوزها بإحدى هذه الطرق الثلاثة فبها ونعمت، وإلا فانتقل إلى المرحلة التي تليها، ألا وهي قوله تعالى: {فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا}، فإن أفلحا في حل النشوز فبها ونعمت، وإلا انتقل الزوج إلى العلاج الأخير ألا وهو الطلاق، وذلك لقول الله عز وجل: {وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ}.

من صور ظلم المرأة التعسُّف في الطلاق

ولكن أيها الإخوة حتى استخدام الكثير من الرجال لهذا الحق في طلاق المرأة من أجل معالجة نشوزها يكون فيه ظلم للمرأة، وهذا مما يؤكد لنا بأن المعصية تجرُّك إلى معصية ثانية، والثانية إلى الثالثة، حتى يهلك العبد بالمعاصي.

انظروا أيها الإخوة إلى مصداقية هذا الكلام، معصية السبِّ والشتم جرَّت الرجل إلى معصية ثانية ألا وهي اللعن، ومنها إلى معصية الضرب المبرِّح، ومنها إلى الدعاء عليها، ومنها إلى الطلاق الذي فيه تعدٍّ لحدود الله عز وجل، كل هذا بسبب تركنا لمنهج ربنا عز وجل الذي أنزله على حضرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

من ظلم إلى ظلم، ومن معصية إلى معصية، إلى أين سنصل؟ وربنا عز وجل يقول: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}.

استخدام الرجل حقَّه في الطلاق ما ينبغي أن يكون فيه الظلم، وكيف يكون ظلم الرجل للمرأة في طلاقها؟

الطلاق مرَّتان

أيها الإخوة الكرام:

يقول مولانا في كتابه العظيم: {الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ}. أرجو أيها الإخوة أن تتدبَّروا هذه الآية جيِّداً، {الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون}.

تدبَّروا الآية جيِّداً، وتعلَّموا وعلِّموا أبناءكم الذين يريدون الزواج، الطلاق يجب أن يكون منضبطاً بضوابط الشريعة، وإلا أصبحت ظالماً في استعمال الحق الذي شرعه الله لك.

ماذا يقول مولانا عز وجل؟ يقول: {الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ}، وفي آخر الآية: {تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون}.

أولاً: يجب علينا أن نعلم بأن الله تعالى أحلَّ لنا النساء بكلمة واحدة عندما يقول لك وليُّها: زوَّجتُكَ موكِّلتي، وتقول له: قبلتُ زواجها، حلَّت لك بهذه الكلمة، وأصبحت ترى منها ما لا يرى أبٌ ولا أمٌّ ولا أخ ولا أخت، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: (أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ) رواه مسلم، بكلمة واحدةٍ حلَّ لك، ولكن لا تحرُم عليك حرمة كبرى إلا بثلاث كلمات، أي الطلاق ثلاث مرّات.

ثانياً: يجب علينا أن نعلم بأن الطلاق مرَّتان، مرة تلو مرة، فلماذا نظلم المرأة بإيقاع الطلاق عليها ثلاثاً دفعةً واحدة؟ الله تعالى يقول: {الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ}، وهذا حدٌّ من حدود الله، فإذا طلقتها ثلاثاً دفعةً واحدة فقد ظلمتَ وتعدَّيتَ حدود الله

تعالى.

الطلاق علاج وليس انتقاماً، لماذا تطلِّق ثلاثاً دفعة واحدة؟ والأشدُّ أنك تطلِّق أكثر من ثلاث.

جاء رجل إلى سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقال له: إني طلقت امرأتي مائة فقال: بانت منك بثلاث، وسائرهن معصية. رواه ابن أبي شيبة.

وجاء رجل إلى سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال: يا بن عباس! إنه طلق امرأته مائة مرة، وإنما قلتُها مرة واحدة، فتبين مني بثلاث، أم هي واحدة؟ فقال: بانت بثلاث، وعليك وزر سبعة وتسعين. رواه ابن أبي شيبة.

لا تظلم في طلاقك، طلِّق طلقة واحدة.

ثالثاً: يجب عليك أن تعلم بأنك تكون آثماً إذا طلَّقتها وهي حائض أو نفساء، مع العلم بأن الطلاق يقع عليها، وهنا أستغلُّ الفرصة لأوجِّه الخطاب للإخوة القضاة الشرعيّين وللإخوة المحامين، يجب عليكم أن لا توقعوا الطلاق أثناء حيض المرأة أو نفاسها، وإذا أوقعتموه فأنتم آثمون.

ويجب على الزوج أن يراجع زوجته إذا طلَّقها أثناء حيضها أو نفاسها، إذا كان طلاقها للمرة الأولى أو الثانية، ثم ينتظر حتى تطهر، ثم تحيض، تم تطهر، ثم بعد ذلك إن شاء أمسكها بمعروف، أو سرَّحها بإحسان، وذلك لأن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما طلق زوجته وهي حائض، فسأل سيِّدُنا عمرُ رضي الله عنه سيِّدَنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ، ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ) رواه البخاري ومسلم.

ويقول سيدنا ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم في قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}: طَاهِرًا مِنْ غَيْرِ جِمَاعٍ. رواه

الطبراني.

رابعاً: يجب عليك أن تعلم بأن الطلاق يقع إذا علَّقتَه على شرط، ولو لم تكن الزوجة لها علاقة في ذلك. ظلمٌ كثير من الرجال للنساء في الطلاق. كم وكم من رجل يعلِّق طلاق زوجته على فعلِ أمرٍ أو تركِهِ، والزوجةُ بعيدةٌ كلَّ البعدِ عن هذا الموضوع؟ لماذا هذا يا أخي؟ أليس هذا من الظلم؟ ولنعلم أيها الإخوة بأن لفظ الحرام ألحقه الفقهاء بألفاظ الطلاق الصريحة، وهذا صار معلوماً عند الجميع.

خاتمة:

وأعود أخيراً لما بدأت به أولاً، الظلم يجرُّك إلى ظلم آخر، والمعصية تجرُّك إلى معصية أخرى، من السبب والشتم واللعن، إلى الضرب المبرح، ومنه إلى الدعاء، ومنه إلى الطلاق التعسُّفي، وبعد ذلك ينتقل إلى معصية أخرى وهي أكل حقوق الزوجة بعد طلاقها التعسُّفي.

فهل من تائب إلى الله تعالى قبل موته، والله تعالى يقول: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}؟ أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم.

** ** **

-82خطبة الجمعة: يا مريد إحياء ليلة النصف من شعبان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لماذا يتوجَّه الناس لإحياء هذه الليلة؟

إنه في هذه الليلة المقبلة علينا يتوجَّه الناس جماعات أو فرادى إلى بيوت الله عز وجل، أو إلى بيوتاتهم من أجل إحياء ليلة النصف من شهر شعبان المعظَّم، ولئن سألتهم لماذا التوجّه في هذه الليلة إلى بيوت الله عز وجل أو بيوتاتكم؟ لجاء الجواب:

نريد أن نتعرَّض لنفحات الله عز وجل، لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن لربكم عز وجل في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن تصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبداً) رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

نريد أن نتعرَّض لمغفرة الله عز وجل، لأن الله تعالى يطَّلع إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين.

نريد أن نتعرَّض لرحمة الله عز وجل، لأن الله تعالى يطَّلع إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيرحم المسترحمين.

نريد أن نتعرَّض لعطاء الله عز وجل، لأن الله تعالى يطَّلع إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيقضي حوائجهم.

هل نحن جادُّون في هذا الطلب؟

أولاً: السؤال الذي يطرح نفسه في هذه المناسبة: هل نحن جادُّون في هذا الطلب؟ وهل نحن صادقون في هذا الطلب؟ ويجب علينا أن نعلم بأن الله تعالى

يطَّلع على قلوب العباد، كما جاء في الحديث الصحيح: (إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) رواه مسلم. هل نحن نظرنا إلى قلوبنا فوجدنا هذا العزم في قلوبنا، ووجدنا صدق هذا الطلب قبل أن تغرب شمس هذا اليوم علينا؟ الله رقيب علينا أيها الإخوة، الله عز وجل لا يريد رقاباً وقوالب، بل يريد قلوباً صادقة، قال تعالى: {يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُون * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم}، وقال: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}، وقال: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}، الله ناظر إلى قلوبنا، فهل نحن صادقون في طلبنا في هذه الليلة؟ فاهتمَّ بقبلك أولاً.

ثانياً: يجب علينا ثانياً أن نعلم بعض أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصوص هذه الليلة.

روى الطبراني عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَطَّلِعُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ)، استثناء من المغفرة، هل أنت مشاحن؟ إن قلت: نعم، أقول لك: إلى أين تتوجَّه إذاً؟

وروى البيهقي عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع عنه ثوبيه ثم لم يستتم أن قام فلبسهما، فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنه يأتي بعض صويحباتي، فخرجت أتبعه فأدركته بالبقيع بقيع الغرقد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء، فقلت: بأبي وأمي أنت في حاجة ربك، وأنا في حاجة الدنيا فانصرفت، فدخلت حجرتي ولي نَفَس عال، ولحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (ما هذا النفس يا عائشة؟)، فقلت: بأبي وأمي أتيتني فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستتم أن قمت فلبستهما، فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع، قال: (يا عائشة

أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ بل أتاني جبريل عليه السلام، فقال: هذه الليلة ليلة النصف من شعبان، ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم كلب، لا ينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مسبل، ولا إلى عاق لوالديه، ولا إلى مدمن خمر) قالت: ثم وضع عنه ثوبيه، فقال لي: (يا عائشة تأذنين لي في قيام هذه الليلة؟)، فقلت: نعم بأبي وأمي، فقام فسجد ليلاً طويلاً حتى ظننت أنه قبض، فقمت ألتمسه، ووضعت يدي على باطن قدميه فتحرك ففرحت، وسمعته يقول في سجوده: (أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)، فلما أصبح ذكرتهن له فقال: (يا عائشة تعلمتهنَّ؟)، فقلت: نعم، فقال: (تعلميهنَّ وعلِّميهنَّ، فإن جبريل عليه السلام علَّمَنيهنَّ وأمرني أن أرددهنَّ في السجود).

قف مع نفسك يا أخي الكريم، وحاسب نفسك هل أنت مشمول في هذا الاستثناء من المغفرة لا قدر الله؟ هل فيك صفة من هذه الصفات الستِّ التي ذكرها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟

واسمع ما يرويه الإمام أحمد رضي الله عنه، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَطَّلِعُ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِعِبَادِهِ إِلا لاثْنَيْنِ مُشَاحِنٍ وَقَاتِلِ نَفْسٍ).

واسمع كذلك إلى ما يرويه البيهقي عن أبي ثعلبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه فيغفر للمؤمنين، ويملي للكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه).

ثالثاً: يجب علينا أن نعلم بعض آيات من كتاب الله عز وجل، مثل قوله تعالى: {إِنَّ الله كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا}، وقوله تعالى: {وَكَانَ الله عَفُوًّا غَفُورًا}، فهذه من أسماء الله تعالى وصفاته، فهو تبارك وتعالى: الغافر: {غَافِرِ الذَّنبِ}، وهو الغفور:

{فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيم}، وهو الغفّار: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}، وطلب منا ربُّنا عز وجل أن نسأله المغفرة لأنفسنا، فقال لنا معلِّماً أن ندعوه: {وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين}، {رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَار}.

وعلَّمنا أن نسأله المغفرة لأصولنا وللمؤمنين عامة، بقوله تعالى حكاية على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَاب}.

وأخبرنا بأن الملائكة حَمَلةَ العرش يطلبون من ربنا المغفرة للمؤمنين، فقال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيم}.

ويجب علينا أيها الإخوة أن نتخلَّق بأخلاق الرحمن، يجب علينا أن نتسامح وأن نصفح عن بعضنا البعض، وأن يغفر بعضنا لبعض، امتثالاً لأمر الذي نتوجَّه إليه بطلب المغفرة، حيث يخاطبنا بقوله تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين}، يطلب منا أن نسرع إلى طلب المغفرة، فإذا كنا صادقين في هذا الطلب فإنا نمتثل أمره تبارك وتعالى بقوله: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين}.

نحن ممن نطلب المغفرة؟ نطلبها من الله تعالى، لأنه هو القائل: {وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله}، فالذي تطلب منه المغفرة يقول لك: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين}، ويقول: {وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيم}، ويقول: {وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ

وَالله غَفُورٌ رَّحِيم}.

إن توجَّهت إليه بطلب المغفرة وأنت فقير إليه، خاطبك بهذه الآيات مع الغنى عنك، وطلب منك أن تغفر لإخوانك، وأن تنظر إليهم بنظر: (الخلق كلهم فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله) رواه الطبراني وأبو يعلى. فهل تغفر لهم أم لا؟

الغافر الغفور الغفار يخاطبك بقوله: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ}، ماذا نقول له؟ وبقوله: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِين}، بالله عليك إن قلت بلسان الحال لا المقال: لن أكظم غيظي ولن أعفو عن المسيء ولن أكون من المحسنين، هل تتوقع أن يغفر الله لك؟ وهو الذي ناداك بقوله: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون}، مولاك يجيب دعوتك، أفلا تستجيب لدعوة مولاك؟

قد تقول: قد عفوت كثيراً وسامحت كثيراً، ولكن هذا العبد عنيد ومُصِرّ، إلى متى؟

اسمع يا أخي إلى ما أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله كَمْ نَعْفُو عَنْ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلامَ فَصَمَتَ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ قَالَ: (اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً).

ألا تحب أن يغفر الله لك؟ فاغفر وسامح واصفح تضمن إن شاء الله تعالى حسن الخاتمة. دُخل على أبي دجانة رضي الله عنه وهو مريض، وكان وجهه يتهلَّل، فقيل له: ما لوجهك يتهلَّل؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً.

وأخيراً اسمع إلى قول عنترة:

لا يحملُ الحقدَ من تعلو به الرتبُ *** ولا ينالُ العلا من دأبُهُ الغضب

خاتمة:

فيا أيها المتوجِّه إلى ليلة النصف من شعبان، تفقَّد قلبك، واجعله سليماً على خلق الله، واعرف الأصناف الذين استثناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرحمة، وامتثل أمر الله في العفو والصفح، حتى تنال رحمة الله وعفوه ومغفرته في هذه الليلة.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

83-خطبة الجامع الكبير في حلب ٢١ شعبان ١٤٢٨هـ:::

من أقبح الظواهر في المجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا أيها الإخوة الكرام، إن ظاهرة الكذب من أقبح الظواهر في نظر الإسلام، فيجب علينا أن نعيرها اهتمامنا، وأن نركز عليها جهودنا حتى نُقلِع عنها، ويُقلِع عنها نساؤنا، ويُقلِع عنها أبناؤنا.

الكثير من الناس يظن أنه بالكذب يجلب لنفسه نفعاً، أو يدفع عنها ضراً، الكثير من الناس يظن أنه بالكذب يكون حديثه عذباً وكلامه مُستطرَفاً، الكثير من الناس يظن أنه بالكذب يتشفَّى من عدوه، الكثير من الناس أَلِفَ الكذب منذ نعومة أظفاره حتى صار عادة له.

أيها الإخوة الكرام : تعالوا لننظر إلى إسلامنا الذي قال فيه مولانا: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}.

أولاً: عدَّه الإسلام من خصال النفاق، فالكاذب منافق، ومن يرضى عن نفسه هذا الوصف؟ والله عز وجل يقول: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا}. ويقول تعالى: {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا}. من منّا يرضى أن يكون منافقاً بشهادة الصادق المصدوق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ).

أيها الإخوة: لا تجعلوا من كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ميزاناً لوزن الآخرين فيه، بل اجعلوه ميزاناً لوزن أنفسنا فيه، لأن الله تعالى يقول: {بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَة * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَه}.

لو كانت ـ لا قدَّر الله تعالى ـ هذه الصفات الأربعة فيك، ماذا ينفعك حسن ظن الناس بك لو قالوا عنك إنك من أولياء الله تعالى؟ حاسبوا أنفسكم أيها الإخوة من خلال كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل إذا اؤتُمِنَّا نخون؟ هل إذا حدثْنا نكذب؟ هل إذا عاهدْنا نغدر؟ هل إذا خاصمْنا نفجر؟

ويقول صلى الله عليه وسلم كما يروي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ).

ثانياً: الكذَّاب لا ينظر الله تعالى إليه نظرة رحمة، ولا يطهِّره من دنسه، ويكون في سخط الله تعالى، من يرضى بذلك؟ من يرضى أن يكون تحت قول الله عز وجل: {كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُون}؟ من منّا لا يريد أن يكون من أهل قول الله عز وجل: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة}؟ الكذَّاب لا ينظر

الله إليه ولا يزكيه وله عذاب عظيم، كما جاء عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول: (ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ، قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ) رواه مسلم.

شيخ زان: رجل تقدَّم به العمر وشاخ وظهر الشيب في صدغيه، وهو مفتون في النساء والعياذ بالله تعالى، ويقترف الفاحشة.

وملك كذَّاب: شيء عجيب! ملك، سيد، أمير، ولاه الله ولاية عامة أو خاصة يكذب، لماذا؟

أنت سيّد في قومك، أنت سيد في دائرتك، أنت سيد في عشيرتك، أنت سيد في أسرتك، أنت سيد في تجارتك، ما الذي يدفعك إلى الكذب؟

وعائل متكبر: فقير متكبّر، هؤلاء لا ينظر الله إليهم ولا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم من يرضى هذا؟

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلاثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ) رواه مسلم.

هل سمعت أيها التاجر كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ يا من ينفق سلعته بالحلف الكاذب، والله ما زدت في رزقك فلساً واحداً، بل بحلفك الكاذب أكلت الحرام، والله لو أنك حزت على الدنيا بما فيها بالكذب ورب الكعبة، إنك خاسر خاسر خاسر، فستذكرون ما أقول لكم.

ثالثاً: الكذَّاب كُتب عند الله من الكذَّابين، من منا يرضى أن يكتب عند الله من الكذابين، ويُحرم أن يسجل اسمه في الديوان من الصديقين؟ أترضى أن يسجل اسمك في ديوان الكذَّابين يوم القيامة؟ لا بل أقول لك أترضى أن تكذب عليك

زوجتك؟ أترضى أن يكذب عليك ولدك؟ أترضى أن يكذب عليك شريكك؟ أترضى أن يكذب عليك محكومك؟ أترضى أن يكذب عليك حاكمك؟ قطعاً لا ترضى، فكيف ترضى بالكذب لنفسك حتى يسجل اسمك في ديوان الكذَّابين عند الله عز وجل؟ روى الإمام البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا). الصدق قادك إلى البر، والبر قادك إلى الجنة، وأنت في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، والكذب قاد صاحبه إلى الفجور، والفجور قاده إلى النار، فكان مع فرعون وهامان وقارون واليهود والنصارى.

أترضى أن تكون مع الكذَّاب الفاجر الذي قال كذباً: {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}؟ أترضى أن تكون مع الكذَّاب الفاجر الذي قال: {أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}؟ أترضى أن تكون مع الكذَّاب الفاجر الذي قال: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي}؟ أترضى أن تكون مع الكذَّاب الفاجر الذي قال: {عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ}؟ أترضى أن تكون من أهل هذه الآية: {وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}؟ أترضى أن تكون من أهل هذه الآية: {كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّين * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّين * كِتَابٌ مَّرْقُوم * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِين}؟ أترضى أن تكون من أهل هذه الآية: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَر}؟

رابعاً: الكذَّاب خائن خيانةً كبرى، ومن الذي يرضى أن يوصف بالخيانة؟ روى أبو داود عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَسِيدٍ الْحَضْرَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ

مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ). أخوك أحسن الظن بك فهو يصدقك، وأنت تكذِّب عليه، أمر عجيب؟

خامساً: فكِّر في عقلك من هو قدوتك؟ إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق قبل الرسالة، فكيف بعد الرسالة؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أعداؤه: (مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلا صِدْقًا) رواه البخاري ومسلم.

هل ما جُرِّبَ عليك إلا الصدق؟

أيها الإخوة الكرام: الكذب خرَّب بيوتاً عامرة، الكذب دفع المرأة لأن تخون زوجها، الكذب دفع الرجل لأن يخون زوجته، الكذب دفع الشريك لأن يخون شريكه، الكذب دمّر المجتمع اقتصادياً وأخلاقياً، بالكذب خسر الناس الدنيا والآخرة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

من طرائف سيرة سيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه قال: بنيت أمري حين نشأت على الصدق، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أمي أربعين ديناراً أستعين بها على النفقة، وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا جماعة من اللصوص، فأخذوا القافلة، فمرَّ واحد منهم وقال لي: ما معك؟ قلت: أربعون ديناراً. فظن أني أهزأ به فتركني، فرآني رجل آخر، فقال: ما معك؟ فأخبرته بما معي. فأخذني إلى كبيرهم، فسألني فأخبرته، قال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتني أمي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها.

فأخذت الخشية رئيس اللصوص، فصاح ومزَّق ثيابه، وقال: تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟ ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلة، وقال: إني تائب لله على يديك، وتابوا جميعاً.

فهل بوسعنا أيها الإخوة أن نبني أمورنا كلَّها على الصدق؟

هل بوسعنا أن نبني أسرنا على الصدق؟

هل بوسعنا أن نبني تجارتنا على الصدق؟

هل بوسعنا أن نبني علاقاتنا بجميع صورها على الصدق؟

اللهم أعنّا على ذلك، اللهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

84-خطبة الجمعة: كيف نودع شهر رمضان؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

كيف نودِّع شهر رمضان؟

هذه هي الأيام الأخيرة من شهرِ رمضان، شهرِ القرآن، شهرِ الصيام والقيام، وطوبى لعبد استغل هذا الشهر بالصيام والقيام وكثرةِ تلاوة القرآن، وكثرةِ الصدقة، والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه هي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك، ونحن نودع هذا الشهر العظيم، ولا أدري أنودِّعه وداع حبيب لحبيب، أم وداع تخلّص من هذا الركن الذي أتعَبَنا بين صيام وقيام؟ هناك من يودِّع شهر رمضان وهو يبكي حزناً وأسفاً على هذا الشهر العظيم المبارك لأنه عرف قدره، ولأنه علم الحديث الشريف: (لو علم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها) رواه ابن خزيمة وأبو يعلى والبيهقي. وهناك من يودِّع شهر رمضان فرحاً لأنه استراح من الصيام والقيام ومن صلاة الفجر في جماعة.

الاستغفار بعد أداء الطاعة:

وأنا أتوجّه اليوم إلى الإخوة الذين يبكون حزناً وأسفاً على شهر رمضان، الذين عرفوا قدر هذا الشهر العظيم، وعرفوا الحديث: (لو علم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها)، الذين صاموا حقَّ الصيام، وقاموا حقَّ القيام، فأقول: يا أيها الصائم القائم المحتسب صيامه وقيامه عند الله عز وجل، هنيئاً لك صيامك وقيامك وإخلاصك، ولكن أقول لك: أكثر من

الاستغفار في هذه الأيام المتبقية، لأن المخلِص بحاجة إلى كثرة استغفار، لأن الله عز وجل يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}. بعد أن قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأداء ما كُلِّف به من أداء الرسالة على أكمل وجه، وطبَّق قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} أحسَنَ تطبيق، فبلَّغ ما أُنزل إليه من ربه، وحان وقت الرحيل إلى الإله الذي قام بهذا العمل من أجله، فجاء الخطاب من الله لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ}، أمره بالتسبيح والاستغفار بعد أداء العبادة على أتمّ وجه مع الإتقان ظاهراً والإخلاص باطناً. تدبَّروا هذا أيها الإخوة.

وتدبَّروا كذلك قول الله عز وجل وهو يأمر الحُجّاج الذين وقفوا على أرض عرفة، . وبغروب الشمس في يوم عرفة تغرب الذنوب، فيخرج الإنسان من أرض عرفة ولا ذنب عليه .: {ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيم}.

وقال لنا جميعاً بعد أداء كل طاعة مهما كان نوعها مع إخلاصنا فيها، قال عز وجل: {وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم}.

ويقول ربنا سبحانه وتعالى في وصف أولي الألباب: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَاب * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار * رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا

رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَار}. بعد الإيمان {رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}.

أيها الإخوة الصائمون القائمون المخلِصون، هل تنبَّهتم إلى أننا بحاجة إلى الاستغفار بعد أداء العبادة ـ على أتم وجه ظاهراً مع الإخلاص باطناً ـ، قد يقول أحدنا: نحن نعلم بأن الاستغفار لأهل العصيان وللشاردين عن منهج الله تعالى! فهل يحتاج الطائع إلى استغفار؟ نعم، لأننا ما عبدنا الله عز وجل حقَّ العبادة، وما عرفناه حقَّ المعرفة، ولأننا عاجزون عن أداء حقه تبارك وتعالى، وكيف نشكره حق الشكر، وكيف نعبده حقَّ العبادة، والشعر والعبادة مِنَّةٌ من الله تعالى علينا يستحقُّ الشكر عليها؟! هذا أولاً.

ثانياً: لأن المعاصي على قسمين، معصية ظاهرة، ومعصية باطنة، وما بطن من الداء علاجُه أشدُّ من الذي ظهر، لذلك أنت أيها الصائم القائم التالي بحاجة إلى استغفار، لأن هذه الطاعات ربما ـ لا قدر الله ـ أن تورثك عزّاً واستكباراً، وإذا أورثتك عزاً واستكباراً حبِط عملك.

استغفاره صلى الله عليه وسلم:

لذلك روى الإمام مسلم عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا، وَقَالَ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ). قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ: كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

ويروي الإمام البخاري عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً). واستغفاره صلى الله عليه وسلم ليس كاستغفارنا، ويرحم الله السيدة رابعة العدوية التي كانت تقول: استغفارنا يحتاج إلى استغفار. ويقول سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

وهذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلِّمنا كيفية الاستغفار، يقول صلى الله عليه وسلم: (سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ. قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) رواه البخاري.

لذلك ينبغي علينا أن نستغفر الله تبارك وتعالى بعد العبادة، لأن هذه العبادة التي صدرت منَّا نحو ربنا غير لائقة في حقه تعالى، قال فيها مولانا جل وعلا: {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}.

الاستغفار من سمات الأنبياء والصالحين:

والاستغفار بعد الطاعة من سمات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن سمات الصحابة الكرام، قال ربنا عز وجل: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}، الرسول يستغفر، والصالحون يستغفرون، والأنبياء يستغفرون، وما من نبي إلا وأمر أمته بالاستغفار.

وهذا حبيبنا صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نستغفر الله تبارك وتعالى في شهر الصيام بقوله صلى الله عليه وسلم: (واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه...) رواه ابن خزيمة.

أيها الصائم القائم أكثر من الاستغفار فيما بقي من هذا الشهر العظيم المبارك، وهذه شمس رمضان بدأت بالمغيب، فهل نكثر من الاستغفار يا أمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا من أهل الطاعة؟ وإذا كان الاستغفار حتماً لازماً على أهل الاستقامة، فماذا يقول العصاة؟ وماذا يقول تارك الصلاة والصيام والزكاة والقيام والقرآن؟ لذلك أكثروا من الاستغفار وتذكَّروا قول الله عز وجل وهو يرشدنا إلى وقت الاستغفار: {وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون}.

من فوائد الاستغفار:

والاستغفار ننتفع منه في الدنيا قبل الآخرة، يقول ربنا عز وجل: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون}.

وأما في الآخرة فيقول ربنا عز وجل: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُون * أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِين}.

لذلك أيها الإخوة، لنكثر من الاستغفار لا أقول قبل أن تغرب شمس رمضان، بل قبل أن تغرب شمس عمرنا، ومن منا يدري متى ينتهي أجله؟ والله هو القائل: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}.
اللهم تب علينا يا تواب، أقول هذا القول، وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

85- خطبة عيد الفطر ١٤٢٩هـ: علامات قبول العمل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، لقد أمرتم بالصيام فصمتم، وأمرتم بالقيام فقمتم، وكلكم يعلم من الحديث الشريف بأن هذا اليوم هو يوم الجائزة، (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ وَقَفَتِ الْمَلائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الطُّرُقِ، فَنَادَوْا: اغْدُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ، يَمُنُّ بِالْخَيْرِ، ثُمَّ يُثِيبُ عَلَيْهِ الْجَزِيلَ، لَقَدْ أُمِرْتُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَقُمْتُمْ، وَأُمِرْتُمْ بِصِيَامِ النَّهَارِ فَصُمْتُمْ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ، فَاقْبِضُوا جَوَائِزَكُمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، نَادَى مُنَادٍ: أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ، فَارْجِعُوا رَاشِدِينَ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَهُوَ يَوْمُ الْجَائِزَةِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْيَوْمُ فِي السَّمَاءِ يَوْمَ الْجَائِزَةِ) رواه الطبراني في الكبير.

كم هي الفرصة وأنت على ثقة بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقول الملائكة الكرام: (أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ، فَارْجِعُوا رَاشِدِينَ إِلَى رِحَالِكُمْ)، ولكن يا عباد الله، المغفرة لها دلائل ولها علامات، الصيام له أثره، والقيام له أثره، هلا تفقَّدنا تلك الدلائل والعلامات في أنفسنا؟ هلاّ تفقَّدنا أثر الصيام والقيام في سلوكنا؟ إن وجدنا الأثر لنرقص فرحاً وطرباً بفضل الله علينا، {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}.

أما إذا لم نجد أثر الصيام، ولا أثر القيام، ولا أثر تلاوة القرآن، ولا أثر الصدقة والعبادات في حياتنا، فلنبك على أنفسنا عوضاً عن الدمع الدمَ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ) رواه الطبراني

والحاكم.

نعم يا عباد الله، لقد أدركْنا رمضان، وأدركَنا رمضان، وتسلَّمه الله عز وجل منا، وأرجو الله أن يتسلَّمه كاملاً غير منقوص، ولكن هل هذا الشهر العظيم المبارك شاهدٌ لنا أم علينا؟ هل سَلَّمْنا الصيام فكان حقَّ الصيام؟ وسلمنا القيام فكان حقَّ القيام؟

هل سلَّمْنا هذه العبادة كاملة لننال البشارة العظمى، (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) رواه البخاري ومسلم، والشهادة من الله تعالى القائل: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِين}؟ هل سلَّمْنا الصيام والقيام كاملاً لننال البشرى العظمى التي جاءت في الحديث القدسي: (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ) رواه البخاري.

إذا قلنا: نعم، صمنا حقَّ الصيام، وقمنا حقَّ القيام، صمنا وقمنا كما أمر ربنا عز وجل، ونحن ننتظر وعد الله تعالى الذي لا يُخلف، أن نكون عنده من المقبولين المحبوبين.

أقول أيها الإخوة: نعم، وعدُ الله لا يُخلَف، وحاشاه أن يُخلف الوعد، وكيف يُخلِفُ الوعدَ وهو أصدق القائلين إذ يقول: {إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَاد}؟

ولكن حتى لا نخدع أنفسَنا، علينا أن نعلم بأن القبول له علامات، فإذا لم نجد العلامات فالخلل فينا، فالخلل في صومنا، والخلل في قيامنا، وليس الخلل في وعد الله عز وجل حاشا وكلا.

الله عز وجل يقول: (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)، إذا أصبحت محبوباً بعد الصيام والقيام، فانظر إلى أثر هذه المحبة على جوارحك،

وخاصة جارحة السمع والبصر واليد والرجل، هل حافظت على هذه الجوارح، وشعرت بحفظ الله لها من المخالفات؟

انظر إلى نفسك في هذا اليوم وما بعده، هل جارحة السمع صارت مُصانة لا تسمع فيها الغناء ولا الغيبة، ولا ما لا يحل لك سماعه؟ هل صارت جارحة البصر مُصانة فلا تنظر فيها إلى مُحرَّم؟ هل صارت جارحة اليد مُصانة فلا تمتد إلى ما حرَّم الله تعالى من مصافحة، ولا ضرب، ولا سرقة، ولا رشوة، ولا ربا...؟ هل صارت جارحة الرجل مُصانة فلا تمشي فيها إلى مُحرَّم؟

إذا رأيت نفسك محفوظاً بحفظ الله تعالى، لأنك حفظت الله في أوامره، (احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وإذا رأيت نفسك أصبحت تحبُّ الخيرَ وأهلَ الخير، وإذا قدرت على فعله بادرت إليه، وإذا فاتك الخير حزنتَ عليه، فأنت السعيد الموفَّق المقبول عند الله تعالى، وبحقٍّ أنت أصبحت ممن أراده الله تعالى بخيرٍ.

جاء زيد الخير إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: يا رسول الله، أسألك عن علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (كيف أصبحت؟) قال: أصبحت أحب الخير وأهله، ومن يعمل به، وإن عملت به أيقنت بثوابه، وإن فاتني منه شيء حننت إليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هذه علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد، ولو أرادك بالآخرة هيأك لها، ثم لا تبالي في أي واد هلكت) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة وحلية الأولياء، والطبراني في الكبير.

أيها الإخوة: فتِّشوا عن أثر الصيام والقيام على جوارحكم الظاهرة والباطنة، فمن وجد أثرها فليحمد الله تعالى، وإلا ـ لا قدر الله ـ فعلى نفسه فليبك من ضاع عمره، وليس له فيها نصيب ولا سهم.

أيها الإخوة الكرام: كان سيدنا علي رضي الله عنه إذا خرج شهر الصيام جلس يبكي، ويقول: عبد كلَّ

فه سيِّده بعمل فقام به، لا يدري هل قبل منه العمل أم لا؟

أرجو الله عز وجل أن لا نكون من أهل هذه الآية: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَة * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَة * عَامِلَةٌ نَّاصِبَة * تَصْلَى نَارًا حَامِيَة}.

أرجو الله تعالى أن نكون من المقبولين عنده، وأن نكون ممن أعتقهم الله تعالى من نار جهنم، وأدخلهم الجنة من باب الريان.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

86 خطبة الجمعة: علاج ضيق الأخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول الله عز وجل : {فَمَن يُرِدِ الله أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء}.

توصيف لحالنا:

أيها الإخوة الكرام: إن من الملاحظ في حالنا ـ وخاصة في حال الرجال ـ ضيقَ الصدر بأخلاقها، فترى الواحد منهم في ساعة غفلة عن الله، وفي ساعة الغضب يضيق صدره وتسوء أخلاقه، فإذا به يتلفظ بكلمة الكفر التي تحبط العمل الصالح، وآخر يتلفظ بكلمة الطلاق التي تهدم بناء أسرة كاملة، وآخر يتلفظ بكلمة سبٍّ أو شتم أو قذف فيصبح من المفلِسين يوم القيامة.

فضيق الأخلاق قائم في المجتمع على كل المستويات، على مستوى الرجال والنساء، وعلى مستوى الأقوياء والضعفاء، وعلى مستوى الأغنياء والفقراء، وعلى مستوى الحُكَّام والمحكومين، وهذا مؤشِّر خطير في حياة الفرد وفي حياة الأمة، لأن ضيق الأخلاق من ضيق الصدر، وضيق الصدر مؤشر لا قدر الله على الضلال بعد الهدى، لأنَّ حسن الأخلاق من سعة الصدر وشرحه، وهو مؤشر على الهداية وشرح الصدر للإسلام، ومن انشرح صدره للإسلام حسُنت أخلاقه.

التفكير العميق في الآية الكريمة:

أيها الإخوة: تفكَّروا بهذه الآية تفكراً جيداً: {فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}. من يُرِدِ الله هدايته يشرح صدره، ومن يرد الله إضلاله يضيِّق صدره، من تدبَّر هذه الآية تدبُّراً صحيحاً فإنه يجعل من نفسه باحثاً عن الأسباب التي يشرح بها صدرُه للإسلام.

طلب سيدنا موسى عليه السلام أن يُشرح صدره:

انظروا أيها السادة إلى سيدنا موسى عليه السلام عندما كلَّفه ربنا عز وجل بالذهاب إلى فرعون، وقال له: {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى}. مهمَّة عظيمة كبيرة جليلة ألا وهي تبليغ رسالة الله عز وجل إلى رجل طغى وتجبَّر وتعدَّى الحدَّ أيَّما تعدٍ، قال: أنا ربكم الأعلى، وقال: ما علمت لكم من إلهٍ غيري، وقال: ما أريكم إلا ما أرى، وقال: ابن لي صرحاً لعلي أطَّلع إلى إله موسى، وقال: فمن ربكما يا موسى؟ قال ما قال، فالذهاب إليه يحتاج إلى شرح صدر، إلى حلم وأناة، إلى رفق، إلى حكمة، إلى أسلوب، لذلك سيدنا موسى عليه السلام قال مباشرة بعد التكليف: {رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي}. لأن شرح الصدر يعني هدايةً، يعني حلماً، يعني حكمةً، يعني قوة، يعني جُرأة، يعني صبراً، يعني حُسنَ خلق، يعني صفات الكمال.

شرح صدر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

فسيدنا موسى طلب شرح الصدر فأُعطِيَه بعد الطلب فقال مولانا: {قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى}.

أمَّا حضرة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فقال له مولانا ابتداءً: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَك}. فمهمته أعظم من مهمة سيدنا موسى عليه السلام،

ورسالته أعظم، ودائرة دعوته أوسع، حيث أرسل للناس كافَّة.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم مشروح الصدر في سائر الأحوال، كان مشروح الصدر مع كثرة الهموم وأعباء الرسالة، مشروح الصدر مع كثرة الأحزان، مشروح الصدر مع كثرة المعارك، مشروح الصدر مع الإيذاء من المشركين له ولأصحابه الكرام، مشروح الصدر في العطاء والمنع، في القوة والضعف، مشروح الصدر في الصحة وفي المرض، لأنه كان يشهد أن الفاعل إنما هو الله تعالى.

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلاً *** رأيت جميع الكائنات ملاحا

ما هو العلاج لضيق الصدر؟

وقد يسأل أحدنا ما هو العلاج لضيق الصدر؟ العلاج لضيق الصدر تقويةُ الإيمان بكلمة التوحيد التي أكرمنا الله عز وجل بالنطق بها حيث قال: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ}.

لذلك رأينا النبي صلى الله عليه وسلم جاهد حقَّ الجهاد في المرحلة الأولى من دعوته لزرع كلمة التوحيد في نفوس الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم، فعندما غُرِست هذه الكلمة في صدورهم انشرحت صدورهم، مع شدَّة التعذيب، مع الضيق عليهم، مع الفقر، مع الحصار، مع الهجرة ...

فبكلمة التوحيد رسخوا رسوخَ الجبال الراسيات، بكلمة التوحيد ذلَّلوا الصعاب، بكلمة التوحيد هانت عليهم الدنيا، بكلمة التوحيد قابلوا الإساءة بالإحسان، حيث أنقذوا الناس من الضلال إلى الهدى.

كلمة التوحيد عندنا

أما كلمة التوحيد عندنا ـ إلا من رحم ربي ـ فهي كلمة تُقال باللسان دون رسوخ معناها في القلوب، لأننا ما عملنا بمضمونها، كلمة التوحيد تحتاج إلى تصديقٍ بالأركان، كلمةُ التوحيد تحتاج إيمان يقينيٍّ بأنه لا إله إلا الله، حيث جسَّد

هذا المعنى سيدُنا إبراهيم عليه السلام يوم ألقي في نار نمروذ، فقد روي عن أبي بن كعب: أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك. ثم رموا به في المنجنيق إلى النار، واستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

كما جسَّدت أمُّنا هاجر هذا المعنى عندما تركها سيدنا إبراهيم عليه السلام في وادٍ غير ذي زرع، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لَتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: أَاللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} رواه البخاري. هذا هو أثر كلمة التوحيد عندما تُغرس في القلب، ويعمل العبد بمضمونها.

توجيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا المضمون:

كذلك رأينا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجسِّد كلمة التوحيد من خلال توجيه سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث قال له: (يَا غُلامُ،

إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) رواه الترمذي.

هذا هو مضمون كلمة التوحيد، مضمونها: {قُلِ اللهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}. فمن عاش هذا المعنى انشرح صدره، ومن انشرح صدره حَسُنت أخلاقه، وجسَّد قول النبي صلى الله عليه وسلم في حياته حيث يقول صلى الله عليه وسلم: (صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ) رواه الإمام أحمد.

جسِّد ذلك تجسيداً عملياً بقوله صلى الله عليه وسلم: (اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

من سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم:

يقول سيدنا أنس رضي الله عنه: (خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي أُفًّا قَطُّ، وَلا قَالَ لِي لِشَيْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا، وَهَلا فَعَلْتَ كَذَا) رواه مسلم.

أين أثر التوحيد فينا؟

أين أثر التوحيد فينا والربا قد انتشر في صفوف المسلمين؟

أين أثر التوحيد فينا والزنا انتشر في صفوف المسلمين؟

أين أثر التوحيد فينا والسفور انتشر في صفوف المسلمين؟

أين أثر التوحيد فينا والاختلاط انتشر في صفوف المسلمين؟

أين أثر التوحيد فينا من خلال بيوتنا؟ بيوتنا غناء، مسرحيات، اختلاط، ترك صلاة، الموسيقى، الخمر ....

بيوت الصحابة كانت مساجد يتلى فيها القرآن، يُتعلم فيها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

خاتمة:

أيها الإخوة من التزم شرع الله حَسُنت أخلاقه، ويصدق فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) رواه البيهقي. فالعبادات كلها ما شُرِعت إلا لتحسين أخلاقنا.

اللهم أكرمنا بذلك يا أرحم الراحمين. أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

خطبة الجمعة: سبب من أسباب المحافظة على نعمة الإيمان٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أعظم نعمة هي الإيمان:

إن من أعظم نعم الله علينا نعمة الإيمان، وأسأل الله تعالى أن يحيينا على الإيمان وأن يميتنا عليه، وأن لا يسلبه منا وقت النزع إنه جَوَاد كريم.

بهذه النعمة العظمى لا يدخل العبد النار، ولا يخلد فيها إن دخلها، هذه النعمة جاءتنا بمحض الفضل من الله تعالى، قال جل جلاله: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله}. فهذه نعمة لا توازيها نعمة من النعم، فجدير بالعبد المؤمن أن يحافظ على هذه النعمة العظمى وخاصة في زمن أرجو الله تعالى أن لا ندركه حيث: (يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا) رواه مسلم.

فمَنْ فَقد الإيمانَ وخُتِم له على الكفر والعياذ بالله تعالى فقد خسر الدنيا والآخرة، فحريٌّ بنا أن نحافظ على نعمة الإيمان من الضياع.

من أسباب المحافظة على نعمة الإيمان:

ومن أهم الأسباب التي تحفظ نعمة الإيمان من الضياع هي نعمة الصلاة، التي جعلها الله كتاباً موقوتاً علينا، قال تعالى: {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا}. هذه الصلاة التي ما فرضها ربنا عز وجل علينا إلا بعد أن أسري

برسولنا صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماوات العلى، حتى وصل إلى مَقامٍ سمع فيه صريف الأقلام، في ذاك المكان فُرض على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلينا الصلوات الخمس.

هذه الصلوات الخمس من حافظ عليها حافظ على نعمة إيمانه بإذن الله عز وجل، ومن فرَّط بها وتهاون بها وضيَّعها عرَّض إيمانه للضياع لا قدر الله.

محافظة السلف الصالح على الصلاة وخاصة في جماعة

لذلك رأينا السلف الصالح رضي الله عنهم حافظوا على هذه الصلوات أيَّما محافظة وخاصة صلاة الجماعة، فما كانت تفوتهم الجمعة ولا الجماعة، بل ما كانت تفوتهم تكبيرة الإحرام، لأنهم تدبروا جيداً قول الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُون}. وهذا وصف لحالة صلاتهم، حيث الخشوع فيها، لأنه كيف يكون الفلاح في حق من لم يهتم بصلاته شكلاً ومضموناً، فأول وصف للمفلحين الخشوعُ في صلاتهم، وآخر وصف لهم المحافظة على هذه الصلوات شكلاً ومضموناً، قال تعالى في آخر أوصاف المفلحين: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُون}. فمن حافظ على صلاته شكلاً ومضموناً التزم الأحكام الشرعية ظاهراً وباطناً، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، واستحق بأن يكون من الوارثين للفردوس مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بفضل الله تعالى، كما قال تعالى في جزاء المفلحين: {أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُون * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُون}.

فسلف هذه الأمة عرفوا قَدْرَ الصلاة فحافظوا عليها في أوقاتها وفي الجماعة الأولى في المساجد، وزيَّنوا صلاتهم بالخشوع فيها حتى ظهرت آثار تلك الصلاة على جوارحهم بالاستقامة فَسَلِمَ إيمانهم بإذن الله تعالى.

خطورة ترك الصلاة على الإيمان

أيها الإخوة: أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسلف هذه الأمة الصالح سمعوا حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرويه الإمام مسلم عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ).

وسمعوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرويه الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن عَبْدُ الله بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ). سمعوا هذا وغير ذلك من الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة التي تتعلَّق بالصلاة، فحافظوا عليها أيَّما محافظة.

صور من السلف الصالح في الاهتمام بالصلاة:

لذلك رأيناهم ما شغلتهم النعمة عن المنعم، وما شغلهم المخلوق عن الخالق، بل كانوا إذا سمعوا (حيَّ على الصلاة) تركوا النعمة من أيديهم وتوجهوا إلى المنْعِم، توجهوا إلى الخالق وتركوا الخلق حتى انطبق عليهم قول الله تعالى: {رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَار}.

أمَّا نحن فنرى في المجتمع من شغلته النعمةُ عن المنعم، والمخلوقُ عن الخالق، فاستغنى بالنعمة والمخلوق والعياذ بالله تعالى عن المنعم والخالق وانطبق عليه قول الله تعالى: {كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}.

كان السلف الصالح يوصي بعضهم بعضاً بالصلاة، ويخاف بعضهم على بعض أن يقصِّروا في الصلاة، لأن النصح لا يُتْرَكُ حتى لأهل الاستقامة، وهذا مستمدٌّ من قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ}. ومن قوله صلى الله عليه وسلم للصحابة الكرام الذين وصفهم الله تعالى بقوله: {تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا}.

وبقوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ}. ومع هذا قال لهم عليه الصلاة والسلام: (الصلاةَ الصلاةَ) رواه أبو داود.

من خلال هذا كان السلف يوصي بعضهم بعضاً بهذا الركن العظيم حتى يفوزوا بالفلاح ويتحقق فيهم قول الله عز وجل: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

١ . هذا سيدنا عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين يوصي قائداً من قادة جيشه يوصي سعد بن أبي وقاص وما أدراك من هو سعد؟

سعد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ) رواه الترمذي.

سعد الذي فداه النبي صلى الله عليه وسلم بأبيه وأمه فقال له: (ارْمِ سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي) رواه الترمذي.

هذه الشخصية العظيمة يوصيها سيدنا عمر رضي الله عنه بقوله: (يا سعد، اللهَ اللهَ في الصلاة، فإنَّ أخوفَ ما أخاف عليكم ترك الصلاة).

فنعمت الأمة عندما يكون أميرها يأمر قادة الجيش بالصلاة والمحافظة عليها، أما جيش ضيَّع الصلاة فقد خاب وخسر، لأنه بترك الصلاة ارتكب الفحشاء والمنكرات، ألم يقل مولانا عز وجل: {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُون}.

إذا غابت الصلاة جاءت الفحشاء والمنكرات، جاء شرب الخمر والميسر، جاء اللهو والغفلة، جاء الغناء والموسيقى، جاء اللعب بالنرد وورق الشدة، جاءت الميوعة والانحلال الخلقي، وإذا حلَّ هذا بالأمة ضاع العباد والبلاد، ولكن الحجة قائمة على جميع الناس، لأنه ما من شريحة من شرائح المجتمع إلا وفيها المتمسك

بدينه ليكون حجة على غيره، فما هو المبرر لتارك الصلاة؟

٢. وهذا سيدنا سعيد بن المسيِّب رضي الله عنه وهو سيَّد التابعين عندما حضرته الوفاة بكت عليه ابنته عند رأسه فقال: (يا ابنتي لا تبكي عليَّ، والله ما أذَّن مؤذن منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد).

اللهَ اللهَ يا سيدي سعيد، أربعين سنة ما سمعت المؤذن يؤذن إلا وأنت في المسجد {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله مَنْ آمَنَ بِالله}؟!!

هنيئاً لك يا سيدي بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ) رواه البخاري.

هنيئاً لك يا سيدي بقول الله عز وجل: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ الله الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ الله كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا}. هذا وصف المؤمن، أما المنافق فوصفه: {وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلاً}.

أربعون عاماً ما سمع الأذان إلا وهو في المسجد ليتحقَّق فيه قوله تعالى: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}.

أما نحن إلا من رحم ربي، لا نأتي إلا عند إقامة الصلاة، وبمجرد الانتهاء من السلام نسرع في الخروج، يا سبحان الله كم هو الفارق بيننا وبين سلف هذه الأمة؟

٣. وهذا الأعمش الزاهد العابد يقول لابنته: (والله ما فاتتني تكبيرة الإحرام في الجماعة أربعين سنة). لأنهم سمعوا حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صَلَّى أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كَانَ

حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ) رواه الطبراني. هذا العابد الزاهد ما فاتته تكبيرة الإحرام أربعين سنة.

٤. وهذا سيدنا عامر بن عبد الله بن الزبير يسأل الله تعالى بقوله: (يا رب أسألك الميتتة الحسنة، قالوا: وما هي الميتتة الحسنة؟ قال: أن يتوفاني ربي وأنا ساجد).

فاستجاب الله تعالى دعاءه، لأنه صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ اللهُ، يموت وهو ساجد، كأنه سمع وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال لسيدنا ربيعة بن كعب الأسلمي عندما سأله أن يكون معه رفيقاً في الجنة فقال له النبي صلى الله عليه وسلمن: (فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) رواه مسلم.

فمرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة تكون بإذن الله تعالى لمن يكثر السجود لله تعالى. اللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك والموت في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم ونحن ساجدون.

فيا عباد الله عليَّ وعليكم بالمحافظة على صلاة الجماعة، واسمعوا ما يرويه الإمام مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى الله غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ الله شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إلا كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ).

واسمعوا يا عباد الله ما يقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَثْقَلَ صَلاةٍ عَلَى

الْمُنَافِقِينَ صَلاةُ الْعِشَاءِ وَصَلاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأتوهما وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لا يَشْهَدُونَ الصَّلاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ) رواه مسلم.

واسمعوا يا عباد الله يا أصحاب نعمة البصر، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: (هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاةِ؟) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (فَأَجِبْ) رواه مسلم.

واسمعوا أخيراً وصف العباد المفلحين: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُون * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُون * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُون * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُون * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُون * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُون * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُون * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُون}. فأول وصفٍ لهم الخشوع في الصلاة، وآخر وصف لهم المحافظة على الصلاة في وقتها. اللهم اجعلنا منهم يا ربِّ.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

خطبة الجمعة: خاطبوا الكذاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أقبح ظاهرة في المجتمع

فإن الظواهر القبيحة في المجتمع كثيرة جداً، ولكن أقبحها وأخطرها ظاهرة الكذب، هذه الظاهرة التي قال عنها صلى الله عليه وسلم: (يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلالِ كُلِّهَا إلا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ) رواه أحمد.

أثرها في المجتمع

صفة الكذب التي ظهرت في المجتمع وتفشت وانتشرت فيه انتشاراً واسعاً، ضيَّعت الحقوق، ويَتَّمت الأطفال، ورَمَّلت النساءَ، وفَرَّقت بين الأزواج، وقَطَّعت الأرحام، وسَفَكت الدماء.

ظاهرة الكذب في المجتمع جعلت في القلوب الحزن والأسى وبيَّضت العيون من الحزن، وأورثت الأحقادَ والضغائنَ وسوءَ الظن بين الناس، ظاهرة الكذب غيَّبت الكثيرَ في السجون ظلماً وعدواناً، فجرحت الأفئدة وبات المظلوم مكسور القلب والفؤاد، سائل الدمعة من عينيه يشكو أمره إلى الله تعالى.

ظاهرة الكذب ضيَّعت الحقوق والأموال التي جمعت بِكَدِّ يمينٍ وَعَرَقِ جبينٍ وربما لسنوات عدة.

بداية هذه الظاهرة

هذه الظاهرة التي تفشت في المجتمع كان منطلقها أولاً من كذب الأقوال ثم

من كذب الأفعال ثم كذب الأحوال، والناس يخدعون باللسان، فكيف إذا كان الخداع بالقول الكاذب والفعل الكاذب والحال الكاذب؟

هناك من الناس من صار كلُّه كذباً، في مقاله كذَّاب، وفي أفعاله كذَّاب، وفي أحواله كذَّاب، صار كتلة من الكذب ظاهراً وباطناً، هذا شرُّه مستطير وخطره كبير، وخاصة إذا صار هو المصدَّق في المجتمع، هذا الرجل يُفرق بين الأحبَّة، يُفرق بين الأصول والفروع، يُفرق بين الآباء والأبناء، يفرق بين الأزواج ...

خاطبوا الكذَّاب وقولوا له

أولاً: أيها الإخوة قولوا لهذا الكذَّاب:

والله الذي لا إله غيره إنك ستفضح عاجلاً أم آجلاً إذا لم تتوب إلى الله تعالى، والله الذي لا إله غيره ستندم عاجلاً أم آجلاً إذا لم تتوب إلى الله تعالى، والله الذي لا إله غيره ستعضُّ يديك من الندم عاجلاً أم آجلاً ولن ينفعك الندم إذا لم تتوب إلى الله تعالى، والله الذي لا إله غيره ستكون مفلساً عاجلاً أم آجلاً إذا لم تتوب إلى الله تعالى، والله الذي لا إله غيره ستنجلي الحقائق عاجلاً أم آجلاً في الدنيا أو في الآخرة، فما هو موقفك أيها الكذَّاب إذا انجلت الحقائق وتبين كذبك، وأنت واقف في محكمةٍ أَمامَ أحكم الحاكمين الذي يعلم السر وأخفى، الذي يقول: { الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون }. الذي يقول: {لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ }. الذي يقول: { وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء}. الذي يقول: { إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى }. الذي يقول: { سَأُصْلِيهِ سَقَر * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر * لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَر * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَر * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَر}. الذي يقول: { خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوه}.؟

فما هو موقفك أيها الكذَّاب إذا انجلت الحقائق؟ وما هي حجتك أيها الكذَّاب؟.

خاطبوا الكذَّاب وقولوا له:

ثانياً: أيها الإخوة خاطبوا الكذَّاب وقولوا له:

تصور نفسك وقد تقدم بك العمر، وظهرت عليك سيما الوقار في ظنك وأنت مُصرٌّ على الكذب ولم تتب إلى الله تعالى وقد فضحك الله تعالى فما أنت فاعل؟ ما هو موقفك عندما تفضح؟ سترى نفسك حقيراً صغيراً، هذا إذا كانت فضيحتك في الدنيا، أما إذا كانت الفضيحة في الآخرة والعياذ بالله تعالى فهي أشد وأعظم، لأنها ستكون على رؤوس الأشهاد، ستكون على أرض مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا، ستكون على أرض المحشر حيث يُبصرهم الناظر ويُسمعهم الداعي.

خاطبوا الكذَّاب وقولوا له:

ثالثاً: أيها الإخوة خاطبوا الكذَّاب وقولوا له:

لقد سترك الله لعلك تتوب، لقد سترك الله لعلك تستحي، لقد سترك الله لتعيد الحقوق لأصحابها، لقد سترك الله رحمة منه، لأن ربنا يمهل ولا يهمل ولكن لحماقتك استرسلت، ونسيت قول الله عز وجل: {سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُون وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِين}. ولحماقتك استرسلت، ونسيت قول الله عز وجل: { أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}. ونسيت قول الله تعالى: { قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى }.

كذبك لن يُنسى عند الله تعالى، جرائمك من خلال الكذب لن تنسى عند الله، دموع المظلومين لن تُنسى عند الله تعالى، زفرات المتأوهين لن تُنسى عند الله تعالى، خطاب المظلومين لله تعالى لله تعالى لن يضيع عند الله، وكل واحد منهم

يخاطب ربه في جوف الليل قائلاً: { إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى الله }. وأنت تضحك بملء فيك لا تدري ما خبأ لك الله عز وجل؟.

خاطبوا الكذَّاب وقولوا له:

رابعاً: أيها الإخوة خاطبوا الكذَّاب وقولوا له:

الفضيحة حتم لازم إذا لم تتب إلى الله تعالى وتتدبر قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع إخوته، وما هي نتيجة الإخوة؟.

إخوته قالوا كذباً، وفعلوا كذباً، وتصنعوا حالاً كذباً، قالوا كذباً عندما قالوا لسيدنا يعقوب عليه السلام: { قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ}.وفعلوا كذباً: {وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ }. وتصنعوا حالاً كذباً: {وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُون}. قول كاذب وفعل كاذب وحال كاذب، بذلك فرقوا بين الحبيب والحبيب، وقال لهم سيدنا يعقوب: { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُون }.كلمة تقصم ظهر العاقل لو تفكر بها، وقال لهم مرة ثانية: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى الله }. فَهِمَ هذه الشكوى مَنْ فهمها وجهلها مَنْ جهلها.

كذبوا على سيدنا يعقوب عليه السلام، وسترهم الله لعلهم يتوبوا، ولكنهم أصروا واستمروا على إصرارهم حتى جاء اليوم الموعود، جاء اليوم الذي أصبح فيه سيدنا يوسف عليه السلام عزيز مصر، وجاء اليوم الذي أصبحوا فيه فقراء، ووقفوا أما سيدنا يوسف عليه السلام فعرفهم وهم يخاطبونه ولا يعرفونه: { يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِين }. تصوروا هذا الموقف: { قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُون }. تصور هذا الموقف كيف كانت حالتهم أمام الذي ألقوه في غيابة الجب؟ كيف حالهم أمام أبيهم الذي ابيضت عيناه من الحزن؟ أمام

سيدنا يوسف عليه السلام: {قَالُواْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ }. أمام سيدنا يعقوب عليه السلام : { قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِين }. أما عندما سيقفون بين يدي الله عز وجل فما هم قائلون؟ الله تعالى أعلم.

هل يليق بك هذا الموقف؟ هل ترضى أن تكون في هذا الموقف؟.

والله الذي لا إله غيره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خاطبنا بقوله:

(وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا). رواه مسلم. إلا من أجل مصلحتنا، حتى لا نُذَل في الدنيا ولا في الآخرة.

خاطبوا الكذَّاب وقولوا له:

خامساً: أيها الإخوة خاطبوا الكذَّاب وقولوا له:

الكذب لن يرفعك، ولن يجعل لك مكانة، وإن رفعك وجعل لك مكانة مؤقتة فهي موهومة مزعومة، هي سراب في سراب، اسمعوا إلى كلام سيدنا عمر رضي الله عنه وهو يقول: (لأن يضعني الصدق وقلَّما يضع أحب إليَّ من أن يرفعني الكذب وقلَّما يفعل).

خاطبوا الكذَّاب وقولوا له:

سادساً: أيها الإخوة خاطبوا الكذَّاب الذي يريد أن يأكل المالَ بالكذب، أو أن يُرفع بالكذب لن تحقق ذلك، وإن حققت ذلك فهو وَهْمٌ، وستفضح عاجلاً أو آجلاً فهل فكرت بالمآل.

فكِّر بقصة امرأة العزيز مع سيدنا يوسف عليه السلام، قال تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُون * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِين}. هي التي

تعرَّضَت له وعَرَضَت نفسها عليه، ولكن عندما رأت سيِّدَها لدى الباب كذبت {قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيم }. كذبت ولم تكتف بالكذب بل أدخلته السجن ظلماً وعدواناً، وكم من دخل السجن ظلماً وعدواناً؟.

لا تنسى أيها الكذَّاب آثار كذبك، وفكر عندما ستنجلي الحقيقة، أَدْخَلَتِ امرأةُ العزيز سيِّدَنا يوسفَ عليه السلام السجن، ومكث فيه بضع سنين، ولما حان وقت إظهار الحق وظهر، ماذا قالت؟ { قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِين }. كيف تتصورون حالها عندما قالت هذه الكلمات؟ من الذي دفعها إلى أن تقف هذا الموقف؟ شهوة ساعة أورثت ذلاً وهواناً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها الإخوة: الصدق وإن وضع لكن نتيجته رفع، والكذب وإن رفع لكن نتيجته خفض، والأمور بخواتيمها. نسأل الله حسن الختام.

الخاتمة

أيها الإخوة الكذب لن يرفع، والصدق لن يخفض، والعاقل ينظر إلى الخاتمة، أيها الإخوة لا تتسرعوا في تصديق الأخبار حتى لا تندموا ولا ينفعكم الندم، واحفظوا قول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين }. وخاصة في زمن كثر فيه الكذب والكذَّابون. اللهم اجعلنا من الصِدِّيقين ولا تجعلنا من الكاذبين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فيا فوز المستغفرين.

** ** **

89- خطبة الجمعة السبب الرئيسي للكذب وعلاجه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول الله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا}.

خلاصة الخطبة الماضية:

أيها الإخوة: لقد ذكرت لكم في الخطبة الماضية تلك الظاهرة القبيحة التي تفشَّت في المجتمع، وانتشرت فيه انتشار النار في الهشيم، حتى عمَّت الكثير إلا من رحم ربي، ألا وهي ظاهرة الكذب، تفشَّت في الكبار قبل الصغار، وفي الأغنياء قبل الفقراء، وفي الأقوياء قبل الضعفاء، وفي السادة قبل المسودين، وفي الرجال قبل النساء.

هذه الظاهرة يَتَّمَتِ الأطفال، ورَمَّلَتِ النساء، وضَيَّعت الحقوق، وملأت القلوب أسىً وحزناً حتى ابيضَّت الأعين، ظاهرة الكذب التي فرَّقت بين الأحبة، التي هدمت البيوت، التي بسببها سُفِكت الدماء.

أول المتضررين من الكذب:

هذه الظاهرة التي تفشَّت في المجتمع أول المتأثرين من أضرارها هو الكذَّاب نفسه قبل غيره، عندما يرى نفسه في نفسه حقيراً، لأنه يعرف نفسه أنَّه كذَّاب مخادع، فهو حقير في نفسه، وعندما تنكشف حقيقة كذبه للناس سوف يزداد

حقارة في نفسه، سينكس رأسه، سيحتار ماذا يفعل؟

خذوا على سبيل المثال امرأة العزيز في قصتها مع سيدنا يوسف عليه السلام، هي التي غلَّقت الأبواب، وهي التي عرضت نفسها على سيدنا يوسف عليه السلام، وهي التي لحقت بسيدنا يوسف عليه السلام عندما ولَّى هارباً منها وقَدَّت قميصه من دُبُر ووجدت سيدها لدى الباب، ماذا قالت؟

انظروا أيها الإخوة إلى من أتقن فنَّ الكذب وصار الكذب عنده سجيَّة، صار عنده الكذب هو الأصل، فيكذب بدون تكلُّف، لا يتلعثم لسانه، مباشرةً أسرعت وقالت: {مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيم}. سبحان الله العظيم، ظالمة، بكذبها أظهرت نفسها مظلومة، بكذبها غيَّبت سيدنا يوسف عليه السلام في السجن بضع سنين.

ولكنَّ الكذاب حقير في نفسه وسوف يزداد حقارة عندما تنجلي الحقيقة، انظروا أيها الإخوة: ما هي حالتها النفسية عندما قالت: {الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِين}. بعد سنوات هذه الكلمة؟! أتتوقعون أنَّ القضية انتهت بهذه الكلمة؟ لا بدَّ من الوقفة بين يدي الله عزَّ وجل، فماذا سيقول الكذَّاب لله تعالى بعد أن ترتَّب على كذبه ما ترتَّب؟

السبب الرئيسي للكذب:

أيها الإخوة: قلت في بداية الخطبة قول الله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا}. هذا هو السبب الرئيسي للكذَّاب في كذبه، عدمُ إيمانه بيوم الحساب، وعدمُ إيمانه بالمحاسِب، أو بسبب ضعف إيمانه بالمحاسِب ويوم الحساب، لأنَّ الكذَّاب لو كان مستحضراً الوقوفَ بين يدي الله، وكان على يقين بأنَّه سيحاسب، فهل يتجرأ على الكذب؟ نعم صدق الله القائل: {إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ

يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا}. ولكنَّ الله تعالى يقول:{وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا}. وما أحصاه الله تعالى إلا ليُرتِّبَ عليه الجزاء يوم القيامة، لذلك قال تعالى:{ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا}.

علاج هذا السبب:

نعم إن المفسد إذا كان لا يؤمن بحساب ولا محاسب ولا أحد يأمره وينهاه فسوف يعيث في الأرض فساداً، وما فسدت الدنيا إلا بذلك، إما لغياب المحاسب عن المفسد، وإما لكون المجتمع لا يلاحق المفسد، وإما لجور المحاسب وعدم عدله.

أيُّها الإخوة: الإسلام عالج هذا الموضوع أيَّما معالجة.

ربَّانا على مراقبة الله تعالى:

فأول علاج لهذا السبب هو مراقبة الله عز وجل، ولقد ربَّانا الإسلام على ذلك منذ نعومة أظفارنا، ربَّانا على مراقبة الله عز وجل الذي لا نغيب عنه طرفة عين، فيجب علينا أن لا نغفل عنه طرفة عين.

لأنَّ الله عز وجل غرس فينا ذلك بقوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم}.

غرس فينا قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد}. فهو أقرب إلينا من حبل الوريد، هذا الحبل الذي هو في صفحة رقبتنا.

غرس فينا قوله تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُور}. جَعَلَنا نراقبه في ظاهرنا وفي باطننا، حتى رأينا الصحب الكرام يراقبون الله في خلواتهم كما يراقبونه في جلواتهم، وهذا بعضهم يقترف إثماً فيأتي النبيَّ صلى الله عليه وسلم

فيقول له: يا رسول الله طهِّرني، نعم لقد ستره الله عز وجل، ولكن شدة خوفه من الله تعالى دفعته لأن يطلب إقامة الحد عليه، لأنَّه ما كان يراقب البشر إنما يراقب الذي يقول: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم}. وهذا ما غرسه النبي صلى الله عليه وسلم في نفوسنا من خلال قوله صلى الله عليه وسلم: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ) رواه مسلم. ومن خلال قوله صلى الله عليه وسلم: (يَا غُلامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ) رواه الترمذي وأحمد.

وهذا ما ربَّى عليه الصالحون أبناءهم، فهذا سيدنا لقمان عليه السلام يغرس هذا في نفس ولده فيقول له: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِير}.

حمل المجتمع المسؤولية عن أفراده:

ثانياً: أيُّها الإخوة الكرام العلاج الثاني هو أنَّ الإسلام حمَّل المجتمع بأسره المسؤولية عن أفراده من القمة إلى القاعدة، فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب الجميع بقوله: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، ألا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) رواه مسلم.

الإمام مسؤول عن المجتمع، وأنت مسؤول عن أسرتك، والزوجة مسؤولة عن أولادها، وصاحب الإدارة مسؤول عن إدارته، ومدير الدائرة مسؤول عمن هو تحت يده، يراقب بعضنا بعضاً من أجل سلامة الجميع.

وهذا ما ضرب به النبي صلى الله عليه وسلم أروع مثال، فقال: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ

أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) رواه البخاري.

أيُّها الإمام راقب رعيَّتك وحاسب الكذَّاب، وإلا فأنت أول المتضرِّرين من كذب الكذَّاب عليك.

أيُّها الأب راقب رعيَّتك وحاسب الكذَّاب، وإلا فأنت أول المتضرِّرين من كذب الكذَّاب عليك.

أيُّها المسؤول بالمستوى الذي أنت فيه راقب من استرعاك الله عليه وحاسب الكذَّاب وإلا فأنت أول المتضرِّرين.

أيها المسؤول كن عادلاً:

ثالثاً: عالج الإسلام هذا السبب بأنَّ أمر كل مسؤول أن يكون عادلاً في رعيته، أمر الإمام أن يكون عادلاً، وأمر الأب أن يكون عادلاً، وأمر كلَّ راع أن يكون عادلاً، وإلا فالجور هو سبب الفساد والكذب.

لأن الجورَ وعَدَمَ العدل يدفع الإنسان للفساد والكذب، ويحاول أن يستتر عن عين المسؤول، أمَّا عندما تكون عادلاً فإنك تقضي على الفساد، ولذلك رأينا المربي الأول سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم يغرس هذا في نفوس الأمة في نفوس المسؤولين بقوله: (إِنَّمَا أَهْلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَأَيْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا) رواه البخاري.

خاتمة

وأخيراً أخاطب نفسي وأخاطب كلَّ مسؤول فينا وكلَّ راع، وأخاطب كلَّ من سوَّلت له نفسه جريمة الكذب: تذكَّر يا أخي قوله تعالى: {وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ

رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُون}.

تذكَّرْ يا أخي قوله تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}.

تذكر يا أخي قوله تعالى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُون}.

وأرجو الله عز وجل أن لا نكون ممن قال الله فيهم: {إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا}.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

90- خطبة الجمعة: العدل بين الأولاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ماذا بالعدل:

فبالعدل قامت السماوات والأرض، وبه يصلُحُ حال الدنيا، وبه تكون الأُلفة، وبه تَعْمُر البلاد، وبه يُدْفع إلى الطاعة، وبه تنمو الأموال، وبه تُحفظ الأعمال، وبه تأمن الرعية والراعي، وبه يكون القبر روضة من رياض الجنة، وبه تَبيضُّ الوجوه، وبه

تَثْقُلُ الموازين، وبه تُزحزح عن النار وتَدخل الجنة.

بالعدل تُحبِّبُ الناسَ بالإسلام، بالعدل تُحبِّبُ الناسَ بالقرآن، بالعدل تُحبِّبُ الناسَ بالنبي صلى الله عليه وسلم، بالعدل تُحبِّبُ الناسَ فيك، بالعدل تَكبُرُ في أعين الناس، بالعدل يخلد ذكرك بعد موتك.

هكذا تربى أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

أيُّها الإخوة الكرام: ربَّى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على خُلُق العدل، ربَّاهم على العدل بين الناس جميعاً، ربَّاهم على أنَّ الحق أحقُّ أن يُتَّبع مهما كانت العواطف في نفوسهم من حبٍّ أو بغض.

هذا سيدنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل خيبر . وما أدراك ما أهل خيبر، أهل خيبر منهم تلك المرأة التي قدَّمت الذراع المسموم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه امرأة من نسائهم فكيف برجالهم؟ - أرسل النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إليهم ليخرص عليهم . ليقدِّر عليهم . ثمارهم وزروعهم، فأرادوا أن يرشوه ليَرفُقَ بهم.

فقال: (يا أعداء الله تطعموني السحت؟ والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليَّ، ولأنتم أبغض إليَّ من عدَّتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا اعدل بينكم) فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. رواه البيهقي.

المجالات التي يدخل فيها العدل:

معشر المسلمين: إن المجالات التي يدخل فيها العدل كثيرة جداً منها:

في الولاية العامة، والولاية الخاصة، وفي القضاء، وفي الشهادة، وفي الكتابة، وفي معاملة الزوجات، وفي معاملة الأولاد، وفي الكيل والأوزان إلى غيرها من المجالات.

العدل بين الأولاد

أيُّها الإخوة المؤمنون: أريد أن أقف معكم في هذه الخطبة مع مسألة العدل بين الأولاد، حيث أرى الكثير من الأبناء وقع في العقوق لوالديه بسبب جور الأب أو الأم أو كليهما في تعاملهما معه، وأسمع كثيراً من النساء مَنْ وقعت في العقوق لوالديها بسبب الجور والظلم منهما، حتى وصلت بعض النساء إلى درجة اللعن لوالديها بعد موتهما، وأما الشقاق والنزاع وتقطيع الأرحام فيما بين الإخوة والأخوات بسبب جور الآباء فحدِّث عنه بلا حرج.

أيُّها الآباء أيَّتُها الأمهات: أريد أن أذكِّر نفسي وأُذكِّرَكُم ببعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تحثُّنا على العدل.

أولاً: يقول الله تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون}. الله يأمرك بالعدل بشكل عام، فيجب عليك أن تعدل مع جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، فكيف لا تعدل بين أولادك؟

ثانياً: يقول تعالى: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ الله مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ الله رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الله يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِير}. تنبَّه إلى قوله تعالى: {وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ}. وقوله: {الله يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِير}. فما أنت قائل لربك إذا جمع بينك وبين ولدك؟ سيسأل الله الولد: لماذا عققت والديك؟ هيِّئ الجواب لله تعالى أيُّها العاقُّ لوالديه، وسيسألك الله تعالى أيُّها الأب لماذا لم تعدل وقد أمرتك بالعدل؟ هيِّئ الجواب لمولاك أيُّها الأب.

ثالثاً: يقول الله تعالى: {يُوصِيكُمُ الله فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ}. هذه وصية الله عز وجل لكم أيُّها الآباء والأمهات، {يُوصِيكُمُ الله فِي أَوْلاَدِكُمْ}.

بدون قيد ولا شرط ما داموا مؤمنين، {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ}. فلماذا الجور والظلم في وصيتكم؟ وهذا لهذا، الذهب للبنات... المعمل والمصنع للذكور... البيوت والمزارع للذكور... والنذر اليسير للبنات... لا تقسم التركة بعد موتي، كل شيء على حاله حتى تموت أمكم...

اسمع يا أخي: إنَّ وصيتك هذه أبطلها الشرع، لأنه ما بقي لك حق في مالك بعد موتك، وأعطى الله عز وجل الحقَّ لورثتك فهم ينفذونها أَوْ لا، فإن كانوا أبراراً فلا حاجة لوصيتك لأنَّهم سيلتزمون شرع الله تعالى في القسمة فلا يضيعوا حق أحد، وإن كانوا غير ذلك فلا قيمة لوصيتك لأن الذي كان عاقّاً لوالديه في حال حياتهما فهو من باب أولى أن يكون عاقّاً لهما بعد موتهما إلا إذا تاب إلى الله.

فيا أيُّها الإخوة الكرام لماذا هذا العبث في الأحكام؟ لماذا هذا الهوى الذي قالَ بنا عن جادة الإسلام والله تعالى يقول: {فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا}.؟.

لماذا هذا الجور في التعامل؟ لا تقل أنا حر في مالي، أنت لست حراً بل أنت عبد مملوك لله عز وجل، والمال مال الله تعالى استأمنك عليه، فلا تتصرف فيه إلا بما رسم لك مولانا عز وجل في القرآن العظيم

رابعاً: تعال واسمع يا من جُرْتَ في وصيتك إلى ما يحدِّثُك به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْخَيْرِ سَبْعِينَ سَنَةً، فَإِذَا أَوْصَى حَافَ فِي وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِشَرِّ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الشَّرِّ سَبْعِينَ سَنَةً فَيَعْدِلُ فِي وَصِيَّتِهِ، فَيُخْتَمُ لَهُ بِخَيْرِ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ) رواه الإمام أحمد

قَالَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ راوي الحديث وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: { تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم * وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِين}.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ وَالْمَرْأَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِتِّينَ سَنَةً، ثُمَّ يَحْضُرُهُمَا الْمَوْتُ فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ، فَتَجِبُ لَهُمَا النَّارُ) ثُمَّ قَرَأَ أَبُو هُرَيْرَةَ: {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنْ اللَّهِ} إِلَى قَوْلِهِ: {ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

هذه الآيات جاءت بعد آيات المواريث في سورة النساء، والتي ابتدأت بقوله تعالى: {يُوصِيكُمُ الله فِي أَوْلاَدِكُمْ}.

خامساً: اسمعوا أيُّها الإخوة الأعزاء يا من يقسمون أموالهم في حال حياتهم عَنْ عُرْوَةَ عَنْ بَشِيرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ نَحَلَ ابْنَهُ غُلَامًا فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرَادَ أَنْ يُشْهِدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ ذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَارْدُدْهُ) رواه النسائي.

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيما رجل نحل ابنه نحلاً فبان به الابن، فاحتاج الأب، فالابن أحق به، وإن لم يكن بان به الابن، فاحتاج الأب، فالأب أحقُّ به) رواه الطبراني في الأوسط.

أيُّها الإخوة الكرام: عليكم بالعدل بين الأبناء وإياكم والجور والظلم، بسبب العواطف عواطف الحب أو عواطف البغض، فالحق أحق أن يُتبَع، أعينوا أبناءكم على البر، ورحم الله والداً أعان ولده على بره، لا تزرع الحقد في قلوب أبنائك عليك ولا فيما بينهم، اعدل بينهم في حال الحياة وسوي بين جميع أبنائك في العطاء للذكر مثل حظ الأنثى، وإياك أن تجور في الوصية عند موتك، واسمع أخيراً واحفظ: العقوق لا يمنع من الحقوق.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله فيا فوز المستغفرين.

** ** **

91- خطبة الجمعة: أثر نعمة الإيمان في حياة المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

نعم الله تعالى لا تحصى:

فإنَّ نعم الله تعالى علينا لا تعد ولا تحصى، قال تعالى:{وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار}. وقال تعالى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيم}.

عندما ذكَّرنا مولانا بأنَّه هو مصدر النِّعَم ذكر صفته بأنَّه غفور رحيم، وعندما ذكر المنعَم عليه ذكر وصفه بأنَّه ظلوم كفَّار، لأنَّ الكثير من الخلق من يأخذ نعمة الله تعالى فيعصي الله تعالى فيها، وهذا كفر بالنعمة وظلم للنفس.

هل ينتفع العبد بجميع النعم؟

أيُّها الإخوة هناك كثير من النعم التي أسبغها الله تعالى على خلقه قد لا ينتفع العبد منها، قد يعطيك الله تعالى نعمة المال فلا تنتفع منه، وقد يعطيك نعمة الجاه ولا تنتفع منها، وقد يعطيك نعمة الزوجة والولد ولا تنتفع منها، وقد يعطيك نعمة الرياسة والريادة ولا تنتفع منها.

بل أقول: قد تتحوَّل هذه النعمة في ساعة من الساعات إلى نقمة عليك والعياذ بالله تعالى، تصوَّر قول الله عز وجل: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيم * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُون}. أيُّ نعمة هذه إذا كانت هذه نتيجتها؟

تصوَّر قول الله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}. أيُّ نعمة هذه إذا كانت نتيجتها الكفر بالله والعياذ بالله تعالى؟ ومثل ذلك عن فرعون الذي آتاه الله الملك فقال لقومه: {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}. وقال: {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}. أيُّ نعمة هذه؟

حتى تبقى النعمة نعمة وتنتفع منها في جميع عوالمك يجب عليك أن توظِّفها فيما خُلِقت من أجله، فمن جعل نعم الله تعالى عليه فيما خُلِقَت من أجله انتفع من هذه النعم في مراحل حياته كلِّها، انتفع منها في حياته الدنيا، وفي حياته البرزخية، وفي الحياة الآخرة.

هل تدوم النعم؟

أيُّها الإخوة الكرام: إن نعم الله تعالى علينا قد تدوم وقد تزول، ولكن في نهاية المطاف لا بدَّ من الفراق، فالنعم إما أن تفارقك وأنت على قيد الحياة، وإما أن تفارقها أنت بالموت، يقول صلى الله عليه وسلم: (عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من أحببت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به) رواه الحاكم.

أعظم النعم نعمة الإيمان:

أيُّها الإخوة الكرام: إن كنا حريصين على بقاء النعم فلا إشكال في ذلك أبداً، ولكن أقول: يجب علينا أن نكون حريصين على أعظم نعمة أسبغها الله تعالى علينا، هذه النعمة إن دامت لك انتفعت منها ولن تتضرَّر أبداً، هذه النعمة إن حرصت عليها انتقلت معك في جميع عوالمك لتنتفع منها، ألا وهي نعمة الإيمان، فلنحسن جوار هذه النعمة، يقول صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة: (يَا عائشةَ! أحسني جِوارَ نِعَمِ اللهِ، فإنها قَلَّ مَا نَفَرتْ عَن أهلِ بيتٍ ، فَكادتْ أنْ تَرجعَ إليهمْ) رواه الترمذي.

نعمة تعطيك سعادة في جميع مراحلك:

هذه النعمة العظيمة، والتي مَنَّ الله عز وجل بها عليك تجعلك في سعادة في الحياة الدنيا وفي الحياة البرزخية، وفي الحياة الأخروية، تجعلك سعيداً في الدنيا، وذلك لوعد الله الذي لا يُخلَف، يقول تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون}.

وتجعلك سعيداً في حياتك البرزخية، حيث يكون قبرك روضة من رياض الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ) رواه الترمذي.

وتجعلك سعيداً في أرض المحشر، حيث تكون في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، يقول رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ فَاجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ) رواه مسلم. ولولا نعمة الإيمان ما كان العبد عادلاً في إمامته، ولا كان شاباً نشأ في عبادة الله، ولا تعلَّق قلبه بالمساجد، ولا أحبَّ أخاه في الله، ولا ترك الفاحشة، ولا أخفى صدقته، ولا ذكر الله تعالى خالياً، نعم بركةُ الإيمان بالله واليوم الآخر جعلته هكذا.

نعمة الإيمان تجعلك سعيداً في الجنة حيث تتمتع فيها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، مع الذين أنعم الله عليهم، قال تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}. وأعظم نعيم تسعد فيه عندما تكون من أهل هذه الآية: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة}. اللهم اجعلنا منهم.

فهذه النعمة تجعلك سعيداً في جميع عوالمك مع وجود الشدائد والمصائب، فأنت سعيد في الدنيا مع شدَّة الابتلاءات، ونسأل الله العفو والعافية، أنت سعيدٌ في برزخك حيث جعله الله روضة ولم يجعله حفرة، أنت سعيد في آخرتك والناس في أرض المحشر تحت أشعة الشمس، أنت سعيد في آخرتك وبعض الناس سيقوا إلى جهنم وبئس المصير.

الإيمان هو الذي جعلك سعيداً بإذن الله تعالى، أسأل الله تعالى أن لا يحرمنا منها ولا بلحظة من اللحظات.

نعمة الإيمان تبقيك مكرَّماً:

أيُّها الإخوة: لا نشك بانَّ الله تعالى كرَّم الإنسان، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}. ولكن هذا العبد المكرَّم قد يردُّ من التكريم إلى الإهانة عندما يُعرِض عن شرع الله عز وجل، عندما يُعرِض عن الإيمان، قال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون}. وقال أيضاً: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}. هذا العبد المكرَّم أراد الله تعالى أن يُشَرِّفه فكلَّفه، فإذا ترك التكليف رُدَّ هذا العبد من التكريم إلى الإهانة والعياذ بالله تعالى، قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين}. وقال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِين}.

فبنعمة الإيمان يزداد إكرام الله تعالى لك، فتنتقل من إكرام إلى إكرام، ومن رفعة إلى رفعة، ومن درجة إلى درجة، قال تعالى: {وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى}.

نعمة الإيمان تُذيقك حلاوة لا مثيل لها:

أيُّها الإخوة: بنعمة الإيمان تذوق حلاوة لا مثيل لها، حلاوة تستهين بها كل الشدائد، وتسمو فوق المصاعب والمتاعب، قال صلى الله عليه وسلم: (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا) رواه مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) رواه مسلم.

بهذا الإيمان تصنع الأعاجيب، وبحلاوته تُحير ألباب الذين حُرموا نعمة الإيمان، تذكرون أيُّها الإخوة قصة سيدنا عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه عندما أسرته الروم، فقال له الطاغية: تنصَّرْ وإلا ألقيتك في البقرة من نحاس [وهي قِدْر كبير]، قال: افعل، فدعا بالبقرة النحاس فمُلِئت زيتاً وغُلِيت، ودعا برجل من أسارى المسلمين، فعرض عليه النصرانية فأبى، فألقاه في البقرة، فإذا عظامه تلوح. فقال لعبد الله: تنصَّرْ وإلا ألقيتك، فقال: ما أفعل، فأمر به أن يلقى في البقرة فكتفوه فبكى، فقالوا: قد جزع، قد بكى، قال: رُدُّوه، قال له: لا ترى أني بكيت جزعاً مما تريد أن تصنع بي، ولكني بكيت حين ليس لي إلا نفسٌ واحدة يفعل بها هذا في الله، كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عددَ كلِّ شعرةٍ فيَّ، ثم تُسلَّطَ عليَّ فتفعلَ بي هذا، قال: فأعجب منه وأحب أن يطلقه، قال: قَبِّلْ رأسي وأُطلِقك. قال: ما أفعل، قال: تنصَّر وأزوِّجك ابنتي وأقاسمك ملكي. قال: ما أفعل، قال: قبِّل رأسي وأطلقك، وأطلق معك ثمانين من المسلمين، قال: أمّا هذه فنعم ، فقبَّل رأسه، فأطلقه وأطلق معه ثمانين من المسلمين ، فلما قدموا على عمر بن الخطاب، قام إليه عمر فقبَّل رأسه، قال: فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازحون عبد الله فيقولون: قبلتَ رأس عِلج، فيقول لهم: أطلق الله بتلك القُبلة ثمانين من المسلمين. رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة.

حلاوة الإيمان تهوِّن عليك مصائب الدنيا التي أشار الله تعالى إليها بقوله:

{وَلَنَبْوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين}.

نعمة الإيمان تجعل منك صاحب خلق حسن:

أيها الأخوة: نعمة الإيمان عظيمة وعظيمة جداً، حيث فيها قوة ذاتية عجيبة تدفعك للتخلّق بالأخلاق الحسنة بدون تكلّف، لأنَّ المؤمن بالله واليوم الآخر حريصٌ على أن يكون أقربَ الناس من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثمن ذلك القرب هو الخلق الحسن، قال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ أقربكم مني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون) رواه الطبراني.

نعمة الإيمان تجعلك متعشِّقاً لصفات الكمال:

أيُّها الأحبة في الله: نعمة الإيمان تجعل من العبد المؤمن الصادق في إيمانه باحثاً عن كل ما يزيد في إيمانه، قال صلى الله عليه وسلم: (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ) رواه النسائي.

نعمة الإيمان تجعلك مستقيماً:

أيُّها الإخوة بنعمة الإيمان تكون مستقيماً، لأنَّ الإيمان يولِّد في قلبك الخشية من الله تعالى، ومن تولَّدت في قلبه الخشية كان مستقيماً على شرع الله عز وجل، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون}.

فالمؤمن صاحب قلب وَجِل، يخاف الله تعالى، ومن خاف الله تعالى أَمَّنَهُ الناسَ، لأنَّه لا شرَّ عنده، صاحب القلب الوَجِل يعشقه الناس لأنَّه يخاف الله تعالى، فيتمنَّى الناسُ جوارَه، ويتمنَّى الناسُ صحبتَه، ويتمنَّى الناس أن يزوِّجوه ويتزوَّجوا من عنده، يتمنَّى الناس مشاركته، وتتمنَّى صحبته في الدنيا والآخرة.

حافظوا على هذه النعمة:

أيُّها الإخوة: كلُّ العقلاء يحافظون على النعمة إن وجدت عندهم، وهذا شيء حسن، ولكن جدير بالعاقل الذي يحرص على النعم لتدوم، أن يكون أشدَّ الناس حرصاً على نعمة الإيمان التي تُسعده في جميع العوالم.

حافظوا على نعمة الإيمان أيُّها الإخوة، وخاصة في زمن نعوذ بالله أن ندركه حيث يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً.

حافظوا على نعمة الإيمان حتى يغبطكم على سعادتكم الملوك والأمراء وأصحاب المال والجاه، حافظوا على نعمة الإيمان حتى تقولوا كما قال ذلك العبد الصالح: نحن على لذَّة لو علمتها ملوك الأرض لجالدونا عليها بالسيوف.

حافظوا على نعمة الإيمان في قلوبكم بحيث تتفقدون هذه النعمة في ازدياد أم في نقص لا قدَّر الله، لأنَّه قد ينقص الإيمان لا قدَّر الله حتى يُدخِل صاحبَه النار، تفقَّدوا هذا الإيمان في قلوبكم من خلال مراقبتكم لأنفسكم هل تزيد طاعاتكم لله عز وجل أم تنقص؟ فالإيمان يزيد بالطاعة حتى يُدخِل صاحبَه الجنةَ، وينقص بالمعصية حتى يُدخِل صاحبَه النارَ والعياذ بالله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ) رواه مسلم.

تفقَّدْ إيمانك هل هو في ازدياد أم في نقصان؟ وسل نفسك متى تأتي إلى صلاة الجمعة؟ لماذا التأخر في السهر والتأخر عن صلاة الجمعة التي هي أقدس عبادة؟

أسأل الله تعالى لي ولكم زيادة في الإيمان، وأقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

92-خطبة الجمعة: أيها المدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

خلاصة الخطبة الماضية:

فيا عباد الله: لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأن أعظم نعمة أسبغها الله علينا هي نعمة الإيمان، التي تكون بها حياتنا الدنيا طيبة، وبها يكون قبرنا روضة من رياض الجنة، وبها ندخل نعيم الله الأبدي في جنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقلنا: إنه لجدير بالعاقل أن يرعى هذه النعمة، ورعايتها تكون بكثرة الطاعات والابتعاد عن المعاصي والمخالفات.

ظاهرة تفشِّي الدَّيْن:

أيُّها الإخوة الكرام: وإنني أرى ظاهرة في المجتمع هي من أخطر الظواهر وأقبحها، حيث تؤثر في الإيمان تأثيراً سلبياً والعياذ بالله تعالى، ألا وهي ظاهرة الدَّيْن، هذه الظاهرة التي أدَّت إلى تقطيع أواصر المودة والمحبة بين الناس، أدَّت إلى العداوة والبغضاء، أدَّت إلى الغل والحقد، وقطعِ صُنع المعروف بين الناس، هذه الظاهرة هي ظاهرة الدَّيْن.

حكم الاستدانة:

مشكلتنا أنا لا نرجع إلى شرع الله عز وجل بداية، لذلك حلَّ بنا ما حلّ، فشلنا وتنازعنا في الأمر وعصينا الله تعالى لأننا ما نرجع إلى الله تعالى في البدايات.

أيُّها الإخوة: من رجع إلى الله في البدايات ضمن النهايات المشرقة، لذلك يقول سيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه: من علامات النُّجح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات.

من منا تعرَّف على حكم الاستدانة قبل أن يستدين؟

أيُّها الإخوة: الاستدانة تعتريها أحكام ثلاثة: إما أن تكون واجبة، وإما أن تكون جائزة، وإما أن تكون حراماً.

أولاً: تجب الاستدانة على المضطر لإحياء نفسه، فمن خاف على نفسه من الهلاك المحقَّق وجب عليه أن يستدين لأنَّ حفظ النفس مقدَّم على حفظ المال.

ثانياً: تجوز الاستدانة لسدِّ حاجة من الحاجيات، وإن كان الأولى له أن يصبر لما في الاستدانة من المنَّة التي يأباها الأحرار.

ولكن قال الفقهاء: تجوز الاستدانة لسدِّ حاجة إذا كان المدين يرجو وفاءً لدينه، أما إذا كان لا يرجو وفاءً لدينه فإنه يحرم عليه أن يستدين.

ثالثاً: تحرم الاستدانة إذا كانت لكمالية من الكماليات، والمدين يعلم أنَّه عاجز عن وفاء هذا الدَّيْن ولا يترك وفاءً.

هل تعلم أيُّها المدين؟

أيُّها الإخوة: أريد في هذه الخطبة أن أخاطب كل رجل يفكِّر في أن يستدين من الخلق بعد أن عرف حكم الاستدانة فأقول له:

استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والدَّيْن:

أولاً: هل تعلم أيُّها المدين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذ من الكفر والدَّيْن؟

عن أَبَي سَعِيدٍ الخُدْرِيِ رَضِيَ الله عنهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقولُ: (أَعُوذُ بِالله مِنْ الْكُفْرِ وَالدَّيْن) قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَتَعْدِلُ الدَّيْن

بِالْكُفْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نَعَمْ) رواه النسائي. عَدَلَ بين الكفر والدَّيْن، لأنه بالكفر ضيَّع حقَّ الله تعالى عليه بالتوحيد، وبالدَّيْن قد يضيِّع حقوق العباد بإتلاف أموالهم، والواجب على العبد رعاية الحقين.

الله يُذلُّ العبد بالدَّيْن:

ثانياً: هل تعلم أيُّها المدين أنَّ الدَّيْن راية الله في الأرض يُذلُّ بها من يشاء؟

عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدَّيْن راية الله في الأرض، فإذا أراد أن يُذلَّ عبداً وضعها في عنقه) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين. أتريد أن يُذِلَّك الله تعالى بحيث يجعل الدَّيْن في عنقك؟ اصبر يا أخي ولا تستدن إذا كنت تعلم أنَّك لن تقدر على الوفاء.

الله يتلف العبد المدين إذا لم ينو الأداء:

ثالثاً: هل تعلم أيُّها المدين أنَّك إذا أخذت أموال الناس تريد إتلافها ولا تريد أداءها بأنَّ الله سيتلفك عاجلاً أم آجلاً؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّاهَا اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ) رواه الإمام أحمد. تذكَّر يا أخي بأنَّ الإتلاف على قَدْر قوة المتلِف، فهل عندك الجرأة على ذلك لا قدَّر الله؟ إيَّاك والاستدانة إذا كنت عاجزاً عن الوفاء، وإلا فالإتلاف من الله لك أمامك.

إذا لم يُرِد المدين وفاءً لقي الله وهو سارق:

رابعاً: هل تعلم أيُّها المدين أنك إذا استدنت وأنت مجمع عازم أن لا توفي الدَّيْن تلقى الله تعالى يوم القيامة سارقاً؟

عن صُهَيْب الْخَيْرِ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَيُّمَا رَجلٍ يَدِينُ دَيْنًا وَهُوَ مُجْمِعٌ أَنْ لا يُوَفِّيَهُ إِيَّاهُ لَقِيَ اللهَ سَارِقًا) رواه ابن ماجه.

أترضى أيُّها المدين الذي استدان وهو عازم أن لا يوفِّ دينه أن تلقى الله وأنت سارق؟ والسارق ليس بطيب عند الله تعالى، ولن يدخل الجنة حتى يؤدِّي ما أخذ، لأنَّ الجنة طيِّبة لا يدخلها إلا طيِّب.

يؤخذ من حسناتك لدائنك:

خامساً: هل تعلم أيَّها المدين بأنَّك إذا خرجت من الدنيا ولم تترك وفاء لدينك فإنَّه سيؤخذ من حسناتك لدائنك، فإن لم يكن عندك حسنات أخذ من خطاياه ثمَّ طُرحت عليك ثمَّ طُرحتَ في النار؟

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ قُضِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ) رواه ابن ماجه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) رواه مسلم. أترضى أيُّها المدين أن تكون من المفلسين في يوم يقول الله تعالى فيه: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}؟ والمفلس قطعاً ليس من فريق أهل الجنة إن لم يرحمه الله عز وجل.

الشهيد لا يدخل الجنة حتى يُقضى دينه:

سادساً: هل تعلم أيُّها المدين بأنَّ الشهيد ـ الذي قتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ـ لن يدخل الجنة حتى يُقضى عنه دينه؟

عن محمد بن جحش رضي الله عنه، قال: (كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قاعداً حيث توضع الجنائز، فرفع رأسه قبل السماء، ثم خفض بصره، فوضع يده على جبهته، فقال: (سبحان الله سبحان الله، ما أنزل الله من التشديد)؟ قال: فعرفنا وسكتنا، حتى إذا كان الغد، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، ما التشديد الذي نزل؟ قال: (في الدَّيْن، والذي نفس محمد بيده لو قُتِل رجل في سبيل الله، ثم عاش وعليه دين، ما دخل الجنة حتى يقضي دينه) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين. إذا كان هذا حال الشهيد عند الله، فكيف بحال المدين إن لم يكن شهيداً؟

المدين قد يُسْلم إلى عذاب الله تعالى:

سابعاً: هل تعلم أيُّها المدين أنَّ المدين قد يُسْلم إلى عذاب الله تعالى؟

عَنْ سَمُرَةَ بن جندب رضي الله عنه، قَالَ: خاطبنا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فقال: (هَهُنَا أَحَدٌ مِنْ بني النَّجَّار؟ فَنَادَى ثَلاثًا لا يُجِيبُهُ أَحَدٌ، ثُمَّ إِنَّ رَجُلاً أَجَابَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتَ نِدَائِي؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّ فُلانًا الَّذِي تُوُفِّيَ مِنْكُمْ قَدِ احْتَبَسَ عَنِ الْجَنَّةِ مِنْ أَجْلِ الدَّيْن الَّذِي عَلَيْهِ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَافْدُوهُ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَأَسْلِمُوهُ إِلَى عَذَابِ الله) رواه الحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب.

تصور هذا الموقف أيُّها المدين بأنَّك تقف على باب الجنة، ولكن يمنعك من دخولها إلا الدَّيْن الذي عليك، فهل ورثتك يسددون الدَّيْن عنك أم لا؟ هل يتصدَّق عليك أحد بسداد الدَّيْن عنك أم لا؟

لا تجعل نفسك في موقف ذُلٍ وحسرة وندامة، فاصبر في هذه الحياة الدنيا ولا تستدن فهو أكرم لك.

المدين ما كان يصلي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ثامناً: هل تعلم أيُّها المدين بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يصلى عن من كان عليه دين ولم يترك وفاءً؟

عن أنس رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بجنازة ليصلي عليها، قال: (هل عليه دين؟ قالوا: نعم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ جبريل نهاني أن أصلي على رجل عليه دين، وقال: إن صاحب الدَّيْن مرتهن في قبره، حتى يقضى عنه دينه، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه) رواه الطبراني.

وفي رواية أخرى: (فما ينفعكم أن أصلي على رجل روحه مرتهن في قبره لا يصعد روحه إلى السماء، فلو ضمن رجل دينه قمت، فصليت عليه، فإن صلاتي تنفعه).

الخاتمة:

فيا عباد الله عليكم بالصبر على مصائب الحياة الدنيا، وإيَّاكم والدَّيْن، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذ من الكفر والدَّيْن، لأنَّ الدَّيْن ذلٌّ للمَدِين، ولأنَّ المدين مُهدَّد بالإتلاف، ولأنَّ المدين قد يلقى الله وهو سارق، ولأنَّ المدين معرَّضٌ حسناته للضياع يوم القيامة، ولأنَّه قد يحبس على باب الجنة فلا يدخلها.

أسأل الله تعالى أن لا يجعل حوائجنا إلا إليه، وأن يغنينا بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وبفضله عن من سواه. آمين وأقول هذا القول واستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

93- خطبة الجمعة: أيُّها الدَّائن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

خلاصة الخطبة الماضية

فيا عباد الله: لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي ظاهرة تفشي الدَّين في المجتمع بشكل كبير، حيث أدَّت إلى تنافر القلوب وتقطيع أواصر الإخوة بين المسلمين بسبب المماطلة في الوفاء، أو بسبب إفلاس المدين، أو بسبب عدمِ الوفاء.

وقد قال البعض: ماذا تريد من الناس من خلال هذا الموضوع؟ هل تريد أن تشلَّ حركة العمل بين الناس؟ فالجميع يستدين.

أيُّها الإخوة الكرام: معاذ الله تعالى أن يكون قصدي أن أشلَّ حركة العمل بين الناس، ومعاذ الله أن يكون قصدي أن أقطع المعروف بين الناس، معاذ الله أن يكون هذا قصدي، قصدي من الخطبة الماضية أن تبقى أواصر المودة قائمةً بيننا، قصدي أن تكون عزيزاً باستغنائك عن الناس، كما جاء في الحديث الشريف: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: (يا محمد شرف المؤمن قيام الليل، وعِزُّهُ استغناؤه عن الناس) رواه الحاكم.

قصدي أن لا نستهين بأموال الناس، قصدي أن تكون محبوباً عند الناس، كما قال عليه الصلاة والسلام: (وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) رواه ابن ماجه وحسَّنه النووي. قصدي سلامة الدِّين والدنيا والآخرة، قصدي أن لا

تذلَّ نفسك للآخرين، قصدي أن تكون حراً لا عبداً للدائن، قصدي أن لا يتلفك الله تعالى، قصدي أن لا تلقى الله وأنت سارق، قصدي أن تحافظ على حسناتك، قصدي أن تدخل الجنة بإذن الله تعالى، قصدي أن تسلم من عذاب الله، قصدي إن استدنت أن تترك وفاءً.

أخي الكريم: إذا استدنت وأنت تترك وفاء وأشهدتَ على وصيتك بأنَّك مُدان لفلان من الناس فأنت لست المقصود بخطابي في الأسبوع الماضي، بل المقصود هو من استدان ولم يترك وفاءً، ومن استدان ولم يكتب وصيته ويُشهِد عليها بأنَّه مدان لفلان.

القرض الحسن:

أما اليوم فإني أخاطب الدائن فأقول له: أخي الدائن يجب عليك أن تعلم قبل القرض هذه الأمور التالية:

أولاً: قَرْضُك قربةٌ من القُرَب تتقرَّب فيه إلى الله تعالى، لأنَّ قرضك فيه تفريج كربة من الكرب الدنيوية عن أخيك المسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم. ويقول صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّتَيْنِ إِلا كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً) رواه ابن ماجه. فاعلم أيها الدائن بأنك عندما تُقرِض أحداً من الخلق أنك تأتي بعبادة لله عز وجل، فيجب عليك أن تكون مُخلِصاً لله عز وجل فيها.

ثانياً: يجب أن يكون قرضك لله عز وجل، لأنَّ الله تعالى يقول: {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَالله يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون}. فاطلب أجر القرض من الله تعالى، وإيَّاك أن يكون قرضك رياء وسمعة وشهرة، أو أن تتبعه بالمنِّ والأذى، فإن ذلك يحبط لك أجر قرضك عند الله عز

وجل.

لذلك يجب عليك أن تعلم بأن القرض من أجل مصلحتك، قبل مصلحة المدين المقترض، لأن الله عز وجل يقول: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ}. أنت يجب أن تشعر بأن الفائدة لك قبل فائدة المقترض، لأن قرضك مرتين يكون كصدقتها مرة، فاستحضر هذا بين يدي القرض.

ثالثاً: احذر من القرض المشروط بالزيادة في بدل القرض، لأنَّ الزيادة ربا، واحفظ القاعدة التي تقول: (كل قرضٍ جرَّ نفعاً فهو ربا). والله عز وجل يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}. ويقول صلى الله عليه وسلم: (دِرْهَمُ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلاثِينَ زَنْيَةً) رواه أحمد.

رابعاً: احذر من اشتراط عقد آخر في عقد القرض، كمن يقرض قرضاً ويشترط على المقترض أن يؤجره بيته، لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يَحِلُّ سَلَفٌ وَبَيْعٌ) رواه أحمد.

فلا يجوز أن يكون عقدان في عقد واحد، كما لا يجوز أن يجرَّ عقد القرض نفعاً للمقرض، على سبيل المثال الرهن المنتشر الآن في زماننا، فهو غير جائز لأمرين اثنين، الأول: أنَّه عقدان في عقد واحد، عقد قرض وعقد إيجار في آن واحد. والثاني: لأنَّه لا آجار فيه مقابل القرض، أو تكون الأجرة رمزية، ولولا القرض لما كان إلا بأجر المثل.

خامساً: أن لا يكون قرضك لمن يصرفه في معصية الله عز وجل، لأنَّك لو أقرضت إنساناً مالاً وأنت تعرف بأنَّه سيصرفه في معصية الله عز وجل فأنت معين له على المعصية، والله تعالى يقول: {وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}.

وكن على حذر من أن تكفل إنساناً من أجل قرض ربوي، لأنَّك تكون مثله

لا قدَّر الله تعالى.

سادساً: وثِّق دَينك بالكتابة، كما قال تعالى في أطول آية في كتاب الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ الله فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ الله وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم}.

أيها الإخوة الكرام، الله عز وجل أمرنا في هذه الآية التي هي أطول آية في كتاب الله أن نوثِّق القرض بالكتابة وبالشهود، وإلا فبالرهان المقبوضة، لماذا لم توثِّق الدين كما أمر الله تعالى؟ لما تعرِّض صدرك بداية ثم يضيق صدرك نهاية؟

فإذا أقرضت ولم تكتب، ولم تُشْهِد، ولم تأخذ رهاناً مقبوضة، وجحد المدينُ دَينَك فلا تلومنَّ إلا نفسك، واعلم بأنه إذا خطر في بالك أن تدعو الله عز وجل على المدين فاعلم بأن دعاءك عليه غير مستجاب عند الله عز وجل، لما روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة يدعون فلا يستجاب لهم : رجل أعطى سفيهاً ماله وقال الله تبارك وتعالى : {وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ}، ورجل كانت عنده امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها أو لم يفارقها، ورجل كان له على رجل حقّ فلم يشهد عليه) رواه ابن أبي شيبة.

أمرك الله بالكتابة فلم تمتثل أمره، فاعلم بأن دعاءك على أخيك لن يستجيبه الله تعالى، لأن الجزاء من جنس العمل.

سابعاً: لا تضايق أهل المدين إن لم يكونوا كفلاء، لأنَّ الله عز وجل يقول: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}. لا تقل أنا أقرضتُه لأنَّه من بني فلان، أو لأنَّه ابن فلان، أو لأنَّه أخ فلان، إذا كنت تعلم بأنَّك ستضايق أهله وذويه فأَعْلِمْهم قبل القرض، وخذ منهم كفالة على ذلك، وإلا فلا تجمع عليهم مصيبتين، كم من والد لا يرضى بدَين ولده؟ وكم من أخ لا يرضى بدَين أخيه؟ وكم من قريب لا يرضى بدَين قريبه؟ وربما لو أنَّك أتيت لذويه من أصول أو فروع أو إخوة وأعلمتهم بأنك ستُقرض قريبهم سيقولون لك: لا تفعل، لأنه نصَّاب، فهل تريد من ذويه أن يفضحوا أنفسهم؟

ثامناً: تذكَّر قولَ الله تعالى: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ}. وهذا واجب عليك شرعاً أن تُنظِرَه إذا صار بحقٍّ معسراً، وإيَّاك أن تُضيِّق عليه فتدفعه للقرض الربوي أو القرض الحسن.

يجب عليك أيُّها الدائن أن تعلم هذا قبل شروعك في القرض، لأنَّه لا يجوز للمدين أن يستدين لسداد دينه الأول إذا كان معسراً، إلا إذا أعلم الدائن الثاني بحقيقة أمره، هذا فضلاً عن القرض الربوي، فقوله تعالى: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ}. جاء بعد آيات تحريم الربا، فكيف يلجأ المدين للقرض الربوي؟

واعلم بأنَّ إنظار المعسر أجرُه عظيم عند الله عز وجل، يقول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَرَادَ أَنْ تُسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ وَأَنْ تُكْشَفَ كُرْبَتُهُ فَلْيُفَرِّجْ عَنْ مُعْسِرٍ) رواه ابن ماجه.

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنْ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إلا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ

النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنْ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ) رواه مسلم.

ويقول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ) رواه مسلم.

خاتمة:

أيها الإخوة الكرام، التزموا كتابَ الله، وهدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أموركم كلِّها، وخاصة الأمور المالية، التزمْ أيها المِدين بهدي الله عز وجل وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم، والتزم أيها الدائن بهدي الله عز وجل وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم، وأسأل الله عز وجل أن لا يجعل حوائجنا إلا إليه، وأن يغنينا بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وبفضله عمّن سواه. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

94-**خطبة الجمعة**: **خصوصية عشر ذي الحجة**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يختص برحمته من يشاء:

يقول الله تبارك وتعالى: {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء}، فالله تعالى يختص من خلقه ما يشاء بما يشاء، ولقد اختصَّ من الأمكنة الكثير، خصَّ الحرمين الشريفين وخصَّ فيهما الكثير، حيث خصَّ الروضة الشريفة والمنبر الشريف، والحجر

الأسود، والمقام، وخصَّ مسجد قباء، وجبل أحد، والبيت المقدس، وخص المساجد.

وخصَّ البشر من سائر المخلوقات، وخصَّ الأنبياء من البشر، وخصَّ الرسل من الأنبياء، وخصَّ أولي العزم من سائر الرسل، وخصَّ نبينا صلى الله عليه وسلم من سائر أولي العزم من الرسل.

وخصَّ من الزمان الكثير، خصَّ شهر رمضان، وخصَّ منه ليلة القدر، وخصَّ يوم الجمعة، وخصَّ منه ساعة الإجابة، وخصَّ عشر ذي الحجة وخصَّ منها يوم عرفة.

خصوصية عشر ذي الحجة:

أخرج الإمام البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ، يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، إِلا رَجُلاً خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ).

ما اختص إلا لينشر رحمته:

أيها الإخوة المؤمنون: الله عز وجل ما اختصَّ من الأمكنة والأشخاص والأزمنة إلَّا لينشر رحمته على خلقه، لذلك وجب على كل عاقل أن يغتنم الفرصة ويتعرَّض لنفحات الله عز وجل قبل أن يدركه الموت فيندم ولا ينفعه الندم، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}. وقال تعالى: {وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِين * وَلَن يُؤَخِّرَ الله نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا

وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون﴾. فيا من أيقنت بالموت، وبالبعث بعد الموت، وبالوقوف بين يدي الله عز وجل للعرض والحساب، يا من أيقنت بأن الدنيا ممرٌّ وليست دارَ مقرّ، يا من أيقنت بأن المقرَّ في الآخرة إما في جنة وإما في نار، تعرَّض لنفحات الله عز وجل في هذه الأيام، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٌ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا، فَلا تَشْقَوْنَ بَعْدَهَا أَبَدًا) رواه الطبراني.

هل من مغتنم؟

أيُّها الإخوة الأحبة: هذه العشر قد أقبلت، وأبواب التنافس فيها قد فتحت، فهل من منافس في الأعمال الصالحة التي يحبها الله تعالى؟ فالأعمال الصالحة التي يحبها الله تعالى في هذه الأيام هي كناية عن محبة الله تعالى لعامل الأعمال الصالحة، فهل من مغتنم لهذه الأيام؟

يقول سيدنا علي رضي الله عنه: (ارْتَحَلَتْ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتْ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلا عَمَلٌ) رواه البخاري تعليقاً.

فيا من أكرمك الله تعالى بالعقل وشرح صدرك للإسلام، وحبَّب إليك الإيمان، جاهد نفسك في هذه الأيام المباركة، واسمع قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِين﴾.

رسول الله صلى الله عليه وسلم وظيفته أنه مبلِّغ عن ربه عز وجل. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، وقد بلَّغَ، رسول الله صلى الله عليه وسلم وظيفته أنه مذكِّر، قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّر ﴾، وقد ذكَّرَ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصح أمين، فما ترك شيئاً يقرِّبنا من الله إلا

دلنا عليه وأمرنا به، وما ترك شيئاً يبعدنا عن الله عز وجل إلا وبيَّنه لنا ونهانا عنه.

فيا أيها العاقل: اغتنم هذه الأيام، واعلم بأن الذكرى تنفع المؤمنين، تنفع صاحب القلب السليم، أما صاحب القلب الحقود الحسود المتكبر فلا ينتفع ولا يسمع، ولا يتغيّر ولا يُغيِّر، الجماد يتأثر وهو لا يتأثر والعياذ بالله تعالى، تفقَّدوا قلوبكم أيها الإخوة، وسلوا الله لنا ولكم سلامة القلب.

صور من الأعمال الصالحة:

أيُّها الإخوة الكرام: الأعمال الصالحة كثيرة وكثيرة جداً، فاستغلُّوا منها ما استطعتم، لأن الله يحب العبد الصالح الملتزم بالأعمال الصالحة، وإذا أحبَّه الله تعالى سدَّد جوارحه كلها، كما قال تعالى في الحديث القدسي: (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) رواه البخاري، أكثروا من النوافل التي تقرِّبكم من الله عز وجل، لأن الدنيا ارتحلت مدبرة، والآخرة ارتحلت مقبلة، وكل واحد فينا أعرض عن الدنيا مدبراً عنها مقبلاً على الآخرة إن شاء وإن أبى، متى ينتهي الأجل لا ندري؟

وها أنا أُذكِّر نفسي وإيَّاكم ببعض الأعمال الصالحة عسى أن نتقرب إلى الله عز وجل بها لنكون بفضل الله عز وجل محبوبين عنده.

أولاً: صيام النافلة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ، وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ) رواه الترمذي.

هل سمعت يا أخي الكريم هذا الحديث الشريف: (يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ)؟ هل أنت تحب العاجلة أم الآجلة؟ هذه هي التجارة الرابحة، وخاصة ونحن في فصل الشتاء، طال ليله وقصر نهاره، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ) رواه أحمد. فيا تجار الآخرة اغتنموا هذه الأيام بالصيام، فصيام يوم واحد في سبيل الله يجعل بينك وبين النار خندقاً، روى الترمذي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) رواه الترمذي.

ثانياً: قيام الليل:

أيُّها الإخوة: عليكم بقيام الليل فإنَّه دأب الصالحين قبلكم، وخاصة ونحن في فصل الشتاء. عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى الله وَمَنْهَاةٌ عَنْ الإِثْمِ) رواه الترمذي. وفي رواية: (عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى الله، وَمَنْهَاةٌ عَنْ الْإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنْ الْجَسَدِ).

قيام الليل الذي زهد فيه الكثير من الناس، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ)... نحن أيها الإخوة إذا أقبل شهر رمضان علينا نتنازع من أجل صلاة التراويح عشرين ركعة أم ثماني ركعات، وينبري البعض ويقول: ثماني ركعات، ويستدلُّ بالحديث الشريف حديث السيدة عائشة رضي الله عنها: (مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ

أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلا يَنَامُ قَلْبِي) رواه البخاري ومسلم. مع أن صلاة التراويح عشرين ركعة سنةٌ مؤكدة، لأنها سنة سيدنا عمر رضي الله عنه عندما جمع الناس على أبي بن كعب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

المهمّ أيها الإخوة: كان البعض في رمضان يؤكّد على أن التراويح ثمان ركعات استدلالاً بالحديث الشريف، والحديث يقول: لا في رمضان ولا في غيره، لماذا لا نحافظ على ثمان ركعات في غير رمضان؟

وهذه صلاة قيام الليل، أما صلاة التهجّد فهي التي تكون في الثلث الأخير من الليل، وأقلها ركعتان وأكثرها اثنا عشر ركعة...

أيها الإخوة، الناس زهدوا في قيام الليل، فمنهم من يصلي سنة العشاء البعدية ركعتين، والوتر ركعة واحدة، ومنهم يصليه ثلاث ركعات، لماذا هذا الزهد في العبادات؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثالثاً: صلاة العشاء والصبح في جماعة:

من الأعمال الصالحة صلاة الجماعة وخاصة العشاء والصبح، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ قَالَ: دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الْمَسْجِدَ بَعْدَ صَلاةِ الْمَغْرِبِ فَقَعَدَ وَحْدَهُ فَقَعَدْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ) رواه الإمام مالك ومسلم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: (أَثْقَلُ الصَّلاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاةُ الْعِشَاءِ وَصَلاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهما وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ الْمُؤَذِّنَ فَيُؤَذِّنَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي

بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهِمْ حُزَمُ الْحَطَبِ إِلَى قَوْمٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْ الصَّلاةِ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ) رواه أحمد.

سل نفسك يا أخي الكريم: هل أنت ممن يحافظ على صلاة الفجر في وقتها؟ وإذا كنت تحافظ عليها في وقتها فهل هي في جماعة في المسجد؟ صلاة الفجر والعشاء في جماعة هي أثقل صلاة على المنافقين، أجارنا الله وإياكم من النفاق.

حافظوا على الصلاة في جماعة، وخاصة الفجر والعشاء.

رابعاً: الصدقة:

من الأعمال الصالحة صدقة النافلة، وخاصة في هذه الأيام التي انتشر فيها الفقر.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَنَّ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (لا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ إِلا أَخَذَهَا الله بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا كَمَا يرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلوَّهُ أَوْ قَلُوصَهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ) رواه مسلم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: عَنْ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ الله إِلا رَفَعَهُ اللهُ) رواه مسلم.

خامساً: تحرِّي الحلال:

من الأعمال الصالحة أن نتحرَّى الحلال، وخاصة في مطعمنا ومشربنا، فالربا، والرشوة، والأيمان الكاذبة، وأكل أموال الناس بالباطل، والسرقة من الأموال العامة، ليست من الحلال في شيء، بل كلها حرام، وكل جسم نبت من سحت فلا تطهّره إلا النار، كما جاء في الحديث الشريف: (إِنَّهُ لا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ) رواه الترمذي.

ما أنت قائل لربك يوم القيامة وأنت تأكل الحرام؟ وكيف تمد يديك إلى الله تعالى سائلاً إياه حوائجك وأنت تأكل الحرام؟ أنسيت قول النبي صلى الله عليه وسلم: عندما (ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟) رواه مسلم.

سادساً: الأخلاق الحسنة:

من الأعمال الصالحة، بل على رأس الأعمال الصالحة الأخلاق الحسنة، ما أحوجنا إلى الأخلاق الحسنة، يا عباد الله، اسمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ) رواه الإمام أحمد.

لا تقل لا أستطيع، فإن الله تعالى ما كلّفنا فوق استطاعتنا، جاهد نفسك يا أخي، وتحلَّ بالأخلاق الحسنة، ولا تقل: لا أستطيع أن أصل من قطعني وأن أعفو عمن ظلمني وأن أحسن إلى من أساء إليّ، لا تقل هذا، لأن الرؤوف الرحيم صلى الله عليه وسلم أمرك بهذا، وطلب منك ربك اتباعه صلى الله عليه وسلم فقال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.

لا تقل لا أستطيع، ولكن قل: أأبى أن أدخل الجنة، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى) رواه البخاري.

خاتمة نسأل الله حسنَها:

عبادَ الله: تعالوا نعاهد الله عز وجل ونحن نستقبل هذه الأيام المباركة أن نكون على قدم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عباداتنا ومعاملاتنا وأخلاقنا، وأن نستكثر من الأعمال الصالحة فيها، فلنحافظ على صيام النافلة،

وصلاة النافلة، وعلى الصلاة في جماعة وخاصة الفجر والعشاء، وكثرة الصدقة، وأن نتحرّى الحلال في أرزاقنا، وأن نحسّن أخلاقنا.

اللهمَّ وفِّقنا لذلك، اللهمَّ وفِّقنا لذلك، اللهمَّ وفِّقنا لذلك. آمين. آمين. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله.

** ** **

95-خطبة الجمعة: وظائف يوم عرفة والنحر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

خلاصة الخطبة الماضية:

أخرج الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ) قَالُوا: وَلا الْجِهَادُ؟ قَالَ: (وَلا الْجِهَادُ، إِلا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ).

ولقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي قول الله عز وجل: {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء}، ولقد اختصَّ ربنا من الأزمنة ما شاء، واختص من الأمكنة ما شاء، واختص من الأشخاص ما شاء، وهو فعَّال لما يريد، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

وما اختصَّ إلا لينشر رحمته، ومن جملة ما اختصه من الأزمنة هذه الأيام العشر من ذي الحجة، حيث يحب الله تعالى فيها العمل الصالح من عباده.

وذكرت أن من الأعمال الصالحة التي ينبغي على المؤمن أن يتحلَّى بها: الصيام ـ وصيام يوم واحد منها يعدل صيام سنة ـ والقيام، وصلاة الجماعة، والصدقة، وحسن الأخلاق.

ظاهرة خطيرة:

أيها الإخوة الكرام: لقد سمعت بأن بعض العلماء على بعض القنوات الفضائية يقول بأنه ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث بصيام هذه

الأيام، مع أن الحديث رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ، وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ).

نعم الحديث ضعيف، ولكن هذه الظاهرة التي تنتشر بين المسلمين اليوم وهي مساواة الحديث الضعيف بالموضوع هي ظاهرة خطيرة، لوجود الفوارق الكثيرة بين الحديث الضعيف والموضوع، والتي منها:

١. الحديث الضعيف في الأصل منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والموضوع مكذوب عليه صلى الله عليه وسلم.

٢. سبب ضعف الحديث سقوط في السند، أو جهالة في الراوي، أما الموضوع فهو مكذوب.

٣. الحديث الضعيف تجوز روايته بالإجماع، أما الموضوع فتحرم روايته إلا لبيان وضعه.

٤. الحديث الضعيف يُعمل به عند العلماء في فضائل الأعمال، والموضوع يحرم العمل به عند العلماء.

٥. الحديث الضعيف هو بين الراجح والمرجوح، فإن ثبت صدقه فهو الخير، وإلا فلا يضر.

ماذا يضرُّ العمل بالحديث الضعيف؟

أيها الإخوة: وأنا أخاطب هؤلاء وأمثالهم وأقول لهم: ماذا يضرُّ العمل بالحديث الضعيف، إذا كان العمل في فضائل الأعمال، والتي من جملتها صوم هذه الأيام؟

أما رغَّب النبي صلى الله عليه وسلم بصيام النافلة؟ أما رغَّب مولانا عز وجل

بكثرة النوافل في الحديث القدسي: (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ) رواه البخاري. أليس هذا الصوم من النوافل؟ ألا يستحبُّ الصيام في الأشهر الحُرُم؟

يا هؤلاء! اتقوا الله تعالى في الأمة، وعلموها كيفية الاحتيال على الالتزام لا على التفلّت، واحذروا من تسوية الحديث الضعيف بالموضوع، لأن العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال مقبول عند علماء الأمة سلفاً وخَلَفاً.

يوم عرفة من أيام العشر:

أيها الإخوة الكرام، لقد اختصَّ الله عز وجل هذه الأيام العشر، واختص منها يوم عرفة، فهل نغتنم يوم عرفة بالأعمال التالية:

أولاً: صيام يوم عرفة مكفِّر للذنوب:

يقول صلى الله عليه وسلم: (صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ) رواه مسلم، صيام هذا اليوم يكفِّر لك الصغائر، فإن لم توجد يخفّف عنك من الكبائر، فإن لم توجد يرفع في درجاتك عند الله عز وجل.

ثانياً: صيام يوم عرفة يعدل صيام سنتين:

روى الطبراني عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: سأل رجل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن صوم يوم عرفة، فقال: كنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعدله بصوم سنتين. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط وهو حديث حسن.

ثالثاً: يحب الله تعالى فيه التكبير والتسبيح والذكر:

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنْ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ).

أيها الإخوة: أكثروا في هذه الأيام وخاصة في يوم عرفة من:

١. التكبير، وهو قول: الله أكبر، ومن السنة المؤكدة التكبير من فجر يوم عرفة ويستمر إلى عصر آخر يوم من أيام التشريق، فزيِّنوا أعيادكم بالتكبير في الشوارع وفي المجالس وفي كل مكان. والتكبير بعد صلاة الفريضة للرجال والنساء، في صلاة الجماعة أو الانفراد.

٢. التهليل، وهو قول: لا إله إلا الله، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) رواه الترمذي.

٣. التسبيح، وهو قول: سبحان الله.

٤. الحوقلة، وهي قول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

٥. الحسبلة، وهي قول: حسبنا الله ونعم الوكيل.

فيوم عرفة يوم عظيم مبارك، عرف قدره من عرف، وجهله من جهل، تقول أمنا الطاهرة البتول المبرَّأة من فوق سبع سماوات، قال صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلاَءِ؟) رواه مسلم، فأكثروا أيها الإخوة من الدعاء فيه، وأن يعتق الله رقابنا من النار.

يوم النحر آخر أيام العشر:

أيها الإخوة الكرام: آخر أيام العشر هو يوم النحر، والنحر فيه أحب الأعمال إلى الله تعالى.

قال تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر} الكوثر هو الخير الكثير، وإني أيها الإخوة الكرام أقسم بالله العظيم بأن نعم الله عز وجل تترى، وهي في ازدياد بدون نقصان، حتى إن منع الله لنا هو عين العطاء، فعطاؤه عطاء، ومنعه عين العطاء، وكله خير لنا ونعم، ونحن نسأل الله العفو والعافية.

نحن في نِعَم ولو مع الفقر، نحن في نعم ولو في مرض، نحن في نعم ولو في مصائب، لأنه كله عطاء من الله عز وجل، نستقبل كل هذا من خلال قوله تعالى: {وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}. ومن خلال قول النبي صلى الله عليه وسلم: (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) رواه مسلم.

فالله تعالى أعطانا لنشكر، وبالشكر يرتقى العبد، ومنعنا لنصبر، وبالصبر يرتقي العبد.

التكليف بعد العطاء:

أيها الإخوة الكرام: الله عز وجل ذكَّرنا بالنعم أولاً، فقال: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر}، وبعد التذكير بالنعمة جاء التكليف، والتكليف بحد ذاته نعمة وتشريف، فقال: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر}، هكذا يعاملنا ربنا عز وجل، يعطي النعم، وبعدها يكلِّف، قال تعالى: {لإِيلاَفِ قُرَيْش * إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْف * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْت * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْف}، ما طلب منك العبادة إلا لكونه منعماً عليك.

{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر}

أيها الإخوة: بعد أن ذكَّرنا الله تعالى بالنعم طلب منا أن نتصل بالمنعم، أن نتصل بالله، والصلاة صلة بين العبد وربه، والمقصود بهذه الصلاة صلاة العيد،

وبعد صلاة العيد انحر، وهو أفضل عمل تقوم به بعد صلاة العيد.

يقول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَ لَهُ سَعَةٌ وَلَمْ يُضَحِّ فَلا يَقْرَبَنَّ مُصَلانَا) رواه ابن ماجه، .

حكم الأضحية:

أيها الإخوة: الأضحية واجبة على من ملك النصاب من الرجال والنساء، فإذا كنت مالكاً للنصاب وجبت عليك الأضحية، وإذا ملكت زوجتك النصاب وجبت عليها الأضحية، وإذا ملك ولدك النصاب وجبت عليه الأضحية، وإذا ملكت ابنتك النصاب وجبت عليها الأضحية.

ولقد ضحَّى النبي صلى الله عليه وسلم، كما جاء في صحيح البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: (ضَحَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا). وعن أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِكَبْشٍ أَقْرَنَ يَطَأُ فِي سَوَادٍ وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ، فَأُتِيَ بِهِ لِيُضَحِّيَ بِهِ، فَقَالَ لَهَا: يَا عَائِشَةُ هَلُمِّي الْمُدْيَةَ، ثُمَّ قَالَ: اشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ أَخَذَهَا وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضْجَعَهُ، ثُمَّ ذَبَحَهُ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ ضَحَّى بِهِ) رواه مسلم.

هل تستطيع أن تتخيَّل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسارع إلى أمر ربه، {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}، يدعو بكبش، وتصور مواصفات هذا الكبش (يَطَأُ فِي سَوَادٍ وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ)، تخيَّل هذا الكبش وهو بين يدي الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كبش عظيم في حجمه، جميل في شكله، قال تعالى: {لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ}.

هل بوسعك أن تتخيَّل هذا الموقف؟ كم هي رحمة الله عز وجل بنا؟ تصوّر

لو أن ربنا كلَّفنا بنزع ولد من أولادنا كيف سيكون حالنا؟

ابتلاء الله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام:

أيها الإخوة: ابتلى الله تعالى سيدَنا إبراهيمَ عليه السلام بذبح ولده، وأي ولد؟ الولد الذي جاء على كبر، وبعد دعاء: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِين}، فبشَّره الله تعالى بغلام حليم، ما أجمل هذا الغلام، حليم وهو غلام، فكيف إذا بلغ سنَّ الرجال؟ ولما بلغ سيدنا إسماعيل عليه السلام معه السعي كلَّفه الله تعالى بذبح ولده، وقام بتنفيذ أمر ربه، امتثل الخليل أمر الله تعالى، وامتثل الغلام الحليم أمرَ الله تعالى، فلما أسلما لله تعالى فدى الله تعالى الغلام الحليم بذبح عظيم.

قال تعالى: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِين * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِين * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيم * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِين * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِين * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيم * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِين * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيم}.

نحن أيها الإخوة عندنا المقدرة لشراء الكماليات، عندنا المقدرة لشراء التلفاز وشراء السيارات وشراء المزارع، وعند الفقير المقدرة أن يدخِّن ليلاً ونهاراً، وليست عنده المقدرة أن يجمع خلال العام ثمن أضحية. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تضحية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال: (يَا عَائِشَةُ هَلُمِّي الْمُدْيَةَ، ثُمَّ قَالَ: اشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ أَخَذَهَا وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضْجَعَهُ، ثُمَّ ذَبَحَهُ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ ضَحَّى بِهِ).

تصوَّر هذا الكبش وهو بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم للذبح،

والكبش يعرفه أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لا أدري هل كانت فرحة الكبش تقدر عندما سيضع النبي صلى الله عليه وسلم رجله على عنقه ثم يذبحه؟ لأنه ما من شيء في الوجود إلا ويشهد لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة، قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلا عَاصِيَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ) رواه أحمد.

أتريد أن تنال دعوةَ النبي صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ)؟

اللهمَّ وفِّقنا لفعل الخيرات وترك المنكرات، أقول هذا القول وأستغفر الله.

** ** **

96- خطبة عيد الأضحى ١٤٢٩هـ: وصايا للأبناء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ذكرى خالدة:

فإن في يوم النحر لذكرى خالدة حُفَّت باللطف الإلهي، وعبرةً قويةٌ في مبناها، بالغةً في معناها، تحضُّ الأبناء على بر أبويهما وعدم عقوقهما، والانصياع لأوامرهما.

إنها ذكرى فداء الله تعالى إسماعيلَ عليه السلام بذبح عظيم، كرماً منه ونعمة، بعد أن استجاب والده شيخ الأنبياء خليلُ الرحمن سيدُنا إبراهيم عليه السلام لداعي الله عز وجل، وامتثل أمره في رؤياه الصادقة، إذ أنَّ أرواح الأنبياء لا تغلبها الأخلاط ولا تجول حواسهم الباطنة في العبث.

قال تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ مِنَ الصَّابِرِين * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِين * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيم * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءِ الْمُبِين * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيم}.

الانقياد لأمر الله تعالى مؤذن بالفرج:

عباد الله: إن يوم النحر عظة للمتقين، وبشرى للمؤمنين، إذ إن الانقيادَ لأمر الله تعالى، والاستجابةَ له مؤذن بالفرج والفرح، والثناء العاطر، والجزاء الأوفى.

هذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول فيه مولانا عز وجل: {وَإِذِ ابْتَلَى

إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}.

أولاً: انقاد إلى أمر الله تعالى في وضع زوجه وولده الرضيع بواد غير ذي زرع وقالت له زوجته: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذًا لا يضيعنا.

ولما وصل إلى الثنية رفع يديه داعياً الله تعالى: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُون}. فما كانت النتيجة؟

النتيجة:

١. {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيق}. وهؤلاء هم الحجاج يأتون بيت الله الحرام من كل فج عميق، أفئدتهم قبل أبدانهم.

٢. { يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ}. فِكْرُ العالم يُصَبُّ في الحرمين الشريفين، خِدمة لحجاج بيت الله والمعتمرين، فثمراتُ العالم تجبى إلى الحرمين الشريفين.

٣. صار سيدنا إبراهيم عليه السلام وزوجه وولده رمز من رموز الحج، حيث الذكريات من خلال الطواف والسعي وماء زمزم.

ثانياً: انقاد لأمر الله تعالى في تبليغ الدعوة إلى الله، ونبذ عبادة الأصنام فعاداه قومه وصبر، وأجمعوا أمرهم على أن يحرِّقوه وينصروا آلهتهم، ما هي النتيجة؟

النتيجة هي: حفظ الله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام الذي وقف في وجه عمه وقومه، قال تعالى: {إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُون * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُون * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِين * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُوم * فَقَالَ إِنِّي سَقِيم * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِين * فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلاَ تَأْكُلُون * مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُون *

فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِين * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّون * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُون * وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيم * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِين}. وقال تعالى: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِين * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيم * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِين}. تدبَّروا قوله تعالى: (قالوا) و(قلنا) فأيّ القولين سيتحقق؟

ثالثاً: انقاد لأمر الله تعالى في ذبح ولده، وأيُّ ولد؟ الذي جاءه عن كبر حيث دعا ربه بقوله: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِين * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيم}. تصور سيدنا إبراهيم عليه السلام حين سأل مولاه أن يرزقه غلاماً صالحاً، فبشره الله بغلام صفته أنه حليم، فلما بلغ معه السعي أُمِرَ بذبحه {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَء الْمُبِين}.

امتثل أمر الله عز وجل وقام لذبح ولده، ولكن ما هي النتيجة؟

النتيجة هي كما قال تعالى: {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيم * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِين * سَلاَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيم *كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِين * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِين}.

أيها الإخوة: ما ينبغي أن يكون تعلقنا بالنعمة بل يجب أن يكون تعلقنا بالمنعم، لأنَّ النعمة لا تدوم، ولكن المنعم له الدوام، فكن مع من يبقى ولا تكن مع ما يفنى.

وصايا للأبناء:

أيها الإخوة الكرام: ها أنا أقدم لنفسي ولكل الأبناء بعض الوصايا نحو الآباء من كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم العظيم المبارك:

أولاً: برُّ الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَيُّ الأعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: (الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا) قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ) قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ) قَالَ: فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي. رواه مسلم.

فَبِرُّ الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى، ومن تقرب إلى الله تعالى بأحب الأعمال إليه أحبه الله تعالى، ومن أحبه الله تعالى أيده الحق جل جلاله بسمعه وبصره ويده ورجله واستجاب لدعائه، وإن سأله أعطاه.

فعليكم بِبِرِّ الوالدين لأنَّ بِرَّهما من أحب الأعمال إلى الله تعالى.

ثانياً: إذا كنت تبتغي الأجر من عند الله فعليك ببر الوالدين:

أخرج الإمام مسلم عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنْ اللهِ، قَالَ: (فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ)؟ قَالَ: نَعَمْ بَلْ كِلاهُمَا، قَالَ: (فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنْ اللهِ)؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا).

فهل سمعت أيها الحريص على الأجر من عند الله حديثَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

ما ينبغي أن يكون أحدنا عاطفياً في طلب الأجر، بل يجب علينا أن نجعل هوى أنفسنا على هوى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) خرجه الحسن بن سفيان وغيره. قال ابن حجر: ورجاله ثقات وصححه النووي في الأربعين.

فيا أيها الحريص على الأجر من عند الله عز وجل عليك بِبِرِّ والديك وأحسن الصحبة معهما، وخاصة إذا تقدم فيهم العمر {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}.

ثالثاً: إذا كنت تريد أجر الحج والعمرة والجهاد في سبيل الله فعليك بر الوالدين:

أخرج الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أشتهي الجهاد ، وإني لا أقدر عليه ، فقال : (هل بقي أحد من والديك)؟ قال: أمي، قال: (فأبل الله عذراً في برها، فإنك إذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد ، إذا رضيت عنك أمك، فاتَّق الله وبرَّها).
ومعنى (فأبل الله عذراً في برِّها): قال ابن الأثير في النهاية: أي أعْطِه وأبْلِغ العُذْر فيها إليه، المعنى أحْسِن فيما بَيْنَك وبين الله تعالى بَبرِّك إيَّاها.

إن عَجَزتَ عن أداء الحج والعمرة لِعُسرٍ أو لعائق، وإن عجزت عن الجهاد في سبيل الله لقلة يد أو قلة حيلة وأنت صادق في طلب أجر الحج والعمرة والجهاد فعليك ببر الوالدين، وخاصة أمك، وقابل الله تعالى ببرها.

رابعاً: إذا أردت بركة العمر والرزق فعليك ببر الوالدين:

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَأَنْ يُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) رواه أحمد.

يا من يشكو من قلة البركة، ويا من يشكو من ضيق الوقت فلا يدري أين يذهب ماله، وكيف يضيع وقته، إذا أردت البركة في مالك حتى تراه كثيراً ولو كان قليلاً، وإذا أردت البركة في الوقت فتنجز فيه ما لم ينجزه غيرك في مثله من الوقت فعليك ببر الوالدين.

خامساً: اعلم أيها البار أنك عاجز عن تأديتهما حقهما:

أخيراً اعلم أيها البار والمطيع . وطبعاً تعلمون بأنَّ هناك فارقاً بين المطيع والبار، المطيع هو من أمره والداه أو أحدهما أمراً فأسرع بامتثال أمرهما، أما البار

فهو من حقَّق لوالديه رغبتهما دون طلب منهما . بأنك لن تستطيع أن تكافئ والديك مهما قدَّمت ومهما بررت أو أطعت إلا أن تجدهما مملوكين فتشتريهما ثم تعتقهما. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يَجْزِي وَلَدٌ عَنْ وَالِدِهِ إلا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ) رواه مسلم.

الخاتمة ونسأل الله تعالى حُسنها:

أيها الإخوة الكرام: اجعلوا من عيد يوم النحر عيداً لكم في العودة إلى كتاب الله عز وجل، وإلى سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاصة في برِّ الآباء والأمَّهات أحياء وميتين، حتى نلقى الله عز وجل بأحبِّ الأعمال إليه، ونحن نبتغي الأجر منه، وحتى يبارك لنا في عمرنا ورزقنا، وحتى نكون أولاً وآخراً ممن امتثل أمر الله تعالى فيهما حيث قال جلَّت قدرته: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}.

ربِّ ارحمهما كما ربَّياني صغيراً، واجعلني باراً بهما كبيراً. أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

97- خطبة الجمعة: كيف نستقبل حجاج بيت اللّه الحرام؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ميزات الإسلام:

فإن الله تبارك وتعالى قد خص الإسلام بمزايا فريدة، فكان بحق أكملَ الأديان ، وأتمَّ التشريعات، وخاتمَ الرسالات، وصدق الله إذ يقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}.

فالإسلام دين وسط، وشريعة سمحة، ومحجة بيضاء، جمع بين الدين والدنيا، والمادة والروح، والحقيقة والشريعة، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}.

الإسلام نظر إلى الآداب نظرة كمال فجعلها حِلْية الإنسان ووسيلَةَ تجميله وأسلوب تزيينه، حتى كانت الآداب مفخرة من مفاخر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) رواه العسكري في الأمثال وابن عساكر وابن السمعاني وهو حديث ضعيف.

الإسلام أوجب على الآباء والمربين أن يؤدبوا أبناءهم وتلاميذهم على الآداب الرفيعة وأن يسعوا بهم نحو الكمال، عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَبِي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَكْرِمُوا أَوْلادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ) رواه ابن ماجه. ويقول صلى الله عليه وسلم: (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع

أنبياء الله وأصفيائه) قال في كشف الخفاء: رواه أبو النصر عبد الكريم بن محمد الشيرازي في فوائده، وابن النجار في تاريخه عن علي رضي الله عنه رفعه، قال المناوي: ضعيف.

المضحون سيستقبلون الحجاج:

أيها الإخوة الكرام: ها نحن قد خرجنا من عيد الأضحى المبارك، خرجنا من العشر الأولى من شهر ذي الحجة التي كانت فيها الأعمال الصالحة من أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى، ها نحن قد خرجنا من أيام النحر التي غفر الله عز وجل فيها للمضحين بأول قطرة قطرت من دماء أضاحيهم، كما جاء في الحديث الشريف: عَنْ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا فَاطِمَةُ، قُومِي فَاشْهَدِي أُضْحِيَّتَكِ، فَإِنَّهُ يُغْفَرُ لَكِ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهَا كُلُّ ذَنْبٍ عَمِلْتِيهِ، وَقُولِي: إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)، قَالَ عِمْرَانُ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا لَكَ وَلأَهْلِ بَيْتِكَ خَاصَّةً، فَأَهْلُ ذَاكَ أَنْتُمْ، أَوْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً؟ قَالَ: (بَلْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً) رواه الطبراني والبيهقي وقال: في إسناده مقال.

وها نحن سنستقبل بإذن الله عز وجل حجاج بيت الله الحرام بعد أيام قليلة، هؤلاء الذين وقفوا على أرض عرفة في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة، ثم أفاضوا منها عند غروب شمس ذلك اليوم، ومع غروب شمسه غربت ذنوبهم إن شاء الله تعالى، وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (منْ حجَّ فَلَم يرْفُثْ، وَلَم يفْسُقْ، رجَع كَيَومِ ولَدتْهُ أُمُّهُ) رواه مسلم.

سنستقبل وفد الله كما قال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ الله، إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِنْ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ) رواه ابن ماجه.

سنستقبل مغفورَ الذنب إن شاء الله تعالى مجابَ الدعوة ببركة دعاء سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم القائل: (اللهمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ، وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ) رواه الحاكم.

سنستقبل من باهى الله بهم الملائكة، كما جاء في الحديث في أهل عرفات: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا) رواه أحمد.

آداب تلقي الحاج:

أيها الإخوة المؤمنون: كما قلت لكم الإسلام دين الآداب والأخلاق فما هي آداب تلقي الحاج؟

أولاً: يستحب للحاج أن يخبر أهله وذويه بقدومه وأن لا يفاجئهم بالدخول عليهم بغتة، وهذا هو السنة، كما جاء في الحديث الصحيح، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلاً وَكَانَ يَأْتِيهِمْ غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً) رواه مسلم.

وكما جاء في الصحيحين عَنْ جَابِرٍ بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا قَدِمَ أَحَدُكُمْ لَيْلاً فَلا يَأْتِيَنَّ أَهْلَهُ طُرُوقًا حَتَّى تَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ).

ما أعظمها من آداب؟ لا تطرق أهلك ليلاً حتى تعلمهم لتراهم على أحسن حال وأحسن مظهر، هل تجد مثل هذا الأدب في غير شرعنا؟

ثانياً: أن يُتلقى الحاج من ظاهر بلدته وأن يُحضر أولاده وصغار أهله لا النساء، لما أخرجه مسلم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ، فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ قَالَ: فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلاثَةً عَلَى دَابَّةٍ).

وما ينبغي أن يُستقبل من مسافات شاسعة حيث تؤدي إلى سرف ومباهاة.

ثالثاً: أن يدخل بيت الله عز وجل قبل أن يدخل بيته، لأن أعظم البيوت حرمة وقداسة هي بيوت الله عز وجل، وبيوت الله في الأرض المساجد، وأن يصلي فيه ركعتين، وهذا ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم كما أخرج الشيخان: عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنهما: (أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ إِلا نَهَارًا فِي الضُّحَى، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ).

هذه السنة المهجورة ينبغي علينا إحياؤها لنفوز ببشارة النبي صلى الله عليه وسلم في فضل من أحيا سنته، قال صلى الله عليه وسلم: (وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ) رواه الترمذي.

رابعاً: أن تبادله صالح الدعاء، تدعو له ويدعو لك، انظر إلى هذا الأدب الذي ربانا عليه الإسلام، أن تقول للحاج كما ورد في الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: جَاءَ غُلامٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ هَذِهِ النَّاحِيَةَ الْحَجَّ، قَالَ: فَمَشَى مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: (يَا غُلامُ، زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى، وَوَجَّهَكَ الْخَيْرَ، وَكَفَاكَ الْهَمَّ)، فَلَمَّا رَجَعَ الْغُلامُ سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: يَا غُلامُ، قَبِلَ اللَّهُ حَجَّكَ، وَكَفَّرَ ذَنْبَكَ، وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ) رواه الطبراني.

وتطلب منه الدعاء لأنه مرجو الإجابة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ، وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ) رواه الحاكم.

خامساً: إذا دخل منزله فإنه يستحب له أن يقول: (تَوْبًا تَوْبًا، لِرَبِّنَا أَوْبًا، لا يُغَادِرُ عَلَيْنَا حَوْبًا) رواه أحمد. يعني: توبة لله بعد توبة، ولربنا عودة بعد عودة، رجوعاً بعد رجوع، وأن تكون توبة صادقة ورجوعاً صادقاً لا يبقى لنا إثماً.

منكرات استقبال الحجاج:

أيها الإخوة المؤمنون، أيها الإخوة المضحّون، يا من طمعتم بمغفرة ذنوبكم ببركة أضاحيكم أو ببركة دعاء الحجاج لكم، احذروا المنكرات عند استقبالكم للحجاج والعمّار وفد الرحمن، لا تقابلوا نعمة الله عليكم بمعصيتكم لله عز وجل، لا تقابلوها بالمخالفات الشرعية، لا تقابلوها بالمنكرات، ومن هذه المنكرات:

أولاً: من هذه المنكرات خروج النساء لاستقبال الحجاج والعمار واختلاطهنَّ بالرجال، يقول الله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى}، ما ينبغي للمرأة أن تخرج، بل عليها المكث في البيت، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِذَا قَدِمَ أَحَدُكُمْ لَيْلاً فَلا يَأْتِيَنَّ أَهْلَهُ طُرُوقًا حَتَّى تَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ) رواه مسلم.

نعم كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يطرق أهله ليلاً، وكان إذا وصل المدينة ليلاً عرّس على أطراف المدينة ليسمع أهلُه والناس بقدومه من أجل ان تهيئ المرأة نفسها لاستقبال زوجها، لا من أجل أن تخرج لاستقباله.

والأقبح من ذلك عندما تخرج المرأة سافرة عن وجهها، أو متبرِّجة بزينتها والعياذ بالله تعالى، يقول صلى الله عليه وسلم: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا) رواه مسلم. ويقول صلى الله عليه وسلم: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

أيها الإخوة الكرام: لتكن عواطفنا مضبوطة بضوابط الشريعة، ينبغي أن نحزم حزم الرجال، وذلك من خلال قوله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ}، فنمنع

المرأة من الخروج لاستقبال الحجاج، حتى لا تختلط مع الرجال، ولا تكون سبباً للفتنة، وما أكثر الفتن بالنساء، وخاصة عند استقبال الحجاج.

لا تستقبلوا الحجاج بالمعاصي والمنكرات، لا تستقبلوا الحجاج باختلاط الرجال بالنساء، لا تستقبلوا الحجاج بالمخالفات الشرعية.

ثانياً: ومن هذه المنكرات إطلاق العيارات النارية حقيقية كانت أم خلّبية، هذا لا يجوز شرعاً، لأنه إضاعة للمال بدون فائدة، ولأنه يروع النساء والأطفال، فضلاً عن وقوع كوارث بسبب ذلك لا قدر الله تعالى.

ثالثاً: من هذه المنكرات كثرة السيارات، والتنافس بين السائقين في التسابق مع السرعة التي كثيراً ما أحدثت أضراراً، وإضافة إلى هذا أصوات الزمامير المزعجة وخاصة في وسط الليل والناس نيام، وربما يوجد فيهم المريض والقلق الذي لا يستطيع النوم مع ترويع الأطفال الصغار.

رابعاً: من هذه المنكرات الإسراف في الزينات، والتي لا تدل إلا على المباهاة والرياء والسمعة.

ويجب التنبيه إلى أن هناك من الزينات المكتوب عليها بعض الآيات الكريمة أو الأحاديث النبوية الشريفة، هذه الزينة يجب احترامها وتقديسها، وذلك لقول الله عز وجل: {وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب}. فكم من هذه الزينات سقطت على الأرض وديست بالأقدام من حيث لا يشعر الناس، بل ربما رؤيت هذه الزينات وهي ملقاة في القمامة والعياذ بالله تعالى من هذه المنكرات.

اللهمَّ إنا نبرأ إليك من هذه المنكرات ولا نرضى بها ولا نقدر على ردِّها.

خامساً: من هذه المنكرات ذبح الذبائح بين يدي الحجاج والعمّار، وأنكرُها المرور من فوقها، فإذا ما حصل هذا حرمت تلك الذبيحة ولا يجوز أكلها لأنها ذبحت لغير الله عز وجل.

خاتمة نسأل الله حسنها:

أيها الإخوة الكرام: أحيوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم فيما بينكم وأميتوا المنكرات والبدع، لأن إحياء السنة يميت البدعة، وإحياء بدعة يميت السنة، فعليكم بالاتباع وإياكم والابتداع، استقبلوا حجّاج بيت الله الحرام بالطاعات، وإياكم من استقبالهم بالمخالفات. وأسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً ممن غفر الله لهم ذنوبهم كلَّها سرَّها وعلانيتها، صغيرها وكبيرها، عمدَها وخطأها. إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

-98خطبة الجمعة: علامات الحج المبرور(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يقول الله تعالى في كتابه العظيم: {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَق * وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَاب}.

اعلم أيها العابد:

أيها الإخوة الكرام: هذه الآية الكريمة تكليف من الله عز وجل لحجاج بيت الله الحرام أن يذكروا الله تعالى بعد أداء مناسك الحج كذكرهم آباءهم أو أشدَّ ذكراً، وبالوقت نفسه كشفتْ لنا الحجاب عن حجاج بيت الله الحرام وقسمتهم إلى قسمين.

بداية أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نعلم بأن الله عز وجل ينظر إلى القلوب، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) رواه مسلم.

بأن الله عز وجل يعلم نيات العباد في عباداتهم، والأجر على العبادة متوقف على نية العابد في عبادته، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ

بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) رواه مسلم.

فالله عز وجل {يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُور} {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد}.

ويجب علينا أن نعلم بأن الله عز وجل لا يريد منا الطاعات شكلاً، بل يريدها منا شكلاً ومضموناً، فلا بد من جمع شبح الطاعة مع روحها، وإلا فلا قيمة لا لطاعة بلا روح، ولا لطاعة بروح بلا شبح.

الآية الكريمة قسمت الحجاج إلى قسمين:

أيها الإخوة المؤمنون: هذه الآية الكريمة قسمت الحجاج إلى قسمين، بعد أَمْرِ الله عز وجل لهم أن يذكروا الله تعالى كذكرهم آباءهم أو أشدَّ ذكراً.

القسم الأول: قال الله فيهم: {فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَق}.

تنبَّهوا أيها الإخوة إلى دقَّة القرآن العظيم: {فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا} هكذا بدون قيد، المهم عنده الدنيا، ولو لم يكن له في الآخرة من خلاق أي: من نصيب.

هذا القسم رجع من زيارة الحرمين الشريفين وهو فرِح مسرور بأنه حج بيت الله الحرام، وكان حريصاً كل الحرص أن يلقَّب بكلمة الحاج، وأن يعرفه الناس بأنه قد ذهب إلى الحج وأتى بأعظم ركن من أركان الإسلام. هذا القسم يأتي بالطاعة وبقلبه ينظر إلى الخلق، همُّه أن يعرفه الناس، وكأنه يريد منهم شيئاً، هذا القسم

يأكل الدنيا بدينه والعياذ بالله تعالى، ولا يهمه الأمر من حلال أم من حرام.

هذا القسم عندما أفاض من عرفات، وشعر بأنه صار قريباً من الله عز وجل، وبأن دعاءه صار مستجاباً سأل الله تعالى الدنيا {يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا} هذا همه وهذا دأبه.

القسم الثاني: قال الله عز وجل فيهم: {وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، طلبات ثلاث:

١. طلب لدنياهم: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} من طريق مشروع، من طريق حلال، وأن يكون حسنة حتى يؤجر عليها يوم القيامة.

٢. طلب لآخرتهم: {وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً} حيث الجزاء على حسنة الدنيا، أن يكونوا ممن قال فيهم: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} طلبوا لدنياهم وطلبوا لآخرتهم لأنهم عقلاء، والعاقل من يكون حريصاً على مستقبله في دار البقاء كما هو حريص على مستقبله في دار الفناء.

٣. طلب سلامتهم في دار الجزاء {وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} لأنهم لا يأمنون على أنفسهم من أن يدخل شيء من الرياء على أعمالهم فتحبط تلك الأعمال، وهذا مصداق قول الله عز وجل: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُون}.

نعم هم أدّوا هذا الركن العظيم كما قال عليه الصلاة والسلام: (خُذُوا عَني مَناسِكَكُمْ) رواه مسلم والبيهقي واللفظ له، ولكن ما زال الخوف ملازماً لهم، لأن الله تعالى يقول: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِين} يخافون أن تضرب وجوههم بحجهم

وأن يكون حجهم مأزوراً غير مبرور.

علامات الحج المبرور:

أيها الإخوة الكرام: أمر طبيعي أن يتساءل الإنسان بعد قول الله عز وجل: {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَق * وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار} ما هي علامات الحج المبرور الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: (الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلا الْجَنَّةُ) رواه البخاري ومسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) رواه البخاري ومسلم؟ فما هي علامات الحج الذي جزاؤه الجنة؟ وما هي علامة الحاج الذي رجع من مناسك الحج وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه؟

أقول وباختصار شديد: علامات الحج المبرور:

أولاً: أن يعيش الحاج حياته المقبلة كساعة إرادته السفر لأداء مناسك الحج، حيث إنه قبل سفره وصل الرحم المقطوعة، واعتذر إلى من أساء إليه، وأعاد الحقوق لأصحابها، وطلب السماح ممن أساء إليهم وممن لم يسئ إليهم، وكتب وصيته، وكتب الذي له والذي عليه، واعترف بتقصيره، ونظف قلبه من الحقد والغل والحسد.

فَعَلَ هذا لأنه قصد السفر في الدنيا إلى بيت الله الحرام، وقد حُدِّدَ له موعد السفر، فينبغي أن يدوم على ذلك، وخاصة عند سفره من الدنيا، لأن سفره من

الدنيا واحد لا عودة بعده، وسفره من الدنيا إلى الآخرة للعرض والحساب، ومتى سيكون لا يعلم، نسأل الله حسن الختام.

ثانياً: أن يتزوَّد الحاج لما بقي من حياته من حلال كما تزوّد لسفره من حلال.

أخي الحاج الكريم: عندما عزمتَ على سفرك إلى بيت الله عز وجل أنا على ثقة بأنك حاولت أن تتزوّد من مال حلال لا حرام فيه ولا شبهة، لأنك سمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ حَاجًّا بنفَقَةٍ طَيِّبَةٍ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ، فَنَادَى: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَلالٌ، وَرَاحِلَتُكَ حَلالٌ، وَحَجُّكَ مَبْرُورٌ غَيْرُ مَأْزُورٍ، وَإِذَا خَرَجَ بِالنَّفَقَةِ الْخَبِيثَةِ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ، فَنَادَى: لَبَّيْكَ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لا لَبَّيْكَ وَلا سَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَرَامٌ وَنَفَقَتُكَ حَرَامٌ، وَحَجُّكَ غَيْرُ مَبْرُورٍ) رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

فكُنتَ حريصاً على زاد طيب ونفقة طيبة لأنك علمت حقاً بأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، فتزوّدت لسفرك هذا بالحلال، فَدُمْ على ذلك حتى تكون عند سفرك من الدنيا في جنة طيبة لا يدخلها إلا طيب، وحتى يستجيب الله لدعائك: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} لأن كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به، كما جاء في الحديث: (إِنَّهُ لا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ) رواه الترمذي.

ثالثاً: أن يعيش الحاج حياته المقبلة في ظل مناسك الحج التي أدّاها، ومن هذه المناسك:

التلبية: تذكّر أخي الحاج بأنك عندما وصلت الميقات ما استطعت أن تتجاوز هذا الميقات إلا بالشروط الصحيحة التي جعلها لك النبي صلى الله عليه وسلم القائل: (خُذُوا عَني مَناسِكَكُمْ).

عندما وصلتَ إلى الميقات خلعت ثيابك المخيطة التي كنتَ تفتخر بها على الناس، والتي بها يعرف الغني من الفقير، خلعت تلك الثياب وناديت بصوت مرتفع: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لا شَرِيكَ لَكَ). قلت: لبيك الله لبيك، فإن أمرتني بخلع الثياب المخيطة أخلعها دون توقف، أمرتني بترك الطيب أتركه بدون توقّف، أمرتني بترك المعاشرة الزوجية بطريق مشروع أتركها بدون توقف، أمرتني بعدم تقليم الأظفار وعدم قص الشعر وحلقه امتثلت بدون توقف.

وأشهدتَ الحجر والمدر والشجر ومن حضر معك من البشر ومن غير البشر من الملائكة الكرام بصوت مرتفع: لبيك اللهم لبيك.

تذكّر هذا كله عندما رجعت إلى بلدك ودُم على صدق قولك: لبيك اللهم لبيك، لا تكذب على نفسك بعد تصريحك لبيك اللهم لبيك، لا تكذِّب نفسك بعد العودة من مناسك الحج حيث تركت الحلال امتثالاً لأمر الله فكيف لا تترك الحرام امتثالاً لأمر الله تعالى، فَدُمْ على قولك لبيك اللهم لبيك خلال حياتك المتبقية، فإن دُمْتَ على ذلك فاعلم بأن حجَّك مبرور ومقبول وأنت من أهل الجنة إن شاء الله تعالى.

رابعاً: أن يشعر الحاج بأن صدره شُرح للإسلام.

من علامات الحج المبرور أن ترى انشراحاً في صدرك للإسلام، وتتذوق حلاوة الإيمان في قلبك، وذلك لقوله تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ}، ولقوله تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُون}.

إن رجعت وأنت تحبّ الإيمان وأهل الإيمان، وتكره المعصية وأهل المعصية، فهذا دليل على أن حجَّك مبرور مقبول إن شاء الله تعالى، وجزاؤك عليه الجنة، وأنت رجعت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك.

فَدُمْ على ذلك ولا تعكِّر صفو إيمانك بالمعاصي والمخالفات الشرعية، وأما إذا رجعت إلى المعاصي والمخالفات وشعرت بضيق صدرك من الالتزام فتذكَّر قوله تعالى: {وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء}.

أسأل الله عز وجل أن يجعل حجَّنا مبروراً وذنبَنا مغفوراً، ولعلنا نتابع هذا الموضوع في الخطبة القادمة إن أحيانا الله عز وجل. أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم.

** ** **

-99خطبة الجمعة: علامات الحج المبرور(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

خلاصة الخطبة الماضية:

فقد ذكرنا في الأسبوع الماضي علامات الحج المبرور، الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف الذي يرويه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إلا الْجَنَّةُ). وعلامات الحاج المغفور له الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (منْ حجَّ فَلَم يرْفُثْ ، وَلَمْ يفْسُقْ ، رجَع كَيَومِ ولَدتْهُ أُمُّهُ) رواه مسلم.

وقلنا: الحج المبرور، والحاج المغفور له، له دلائل وعلامات منها:

أولاً: أن يعيش الحاج حياته المقبلة كساعة إرادته السفر إلى الحج.

ثانياً: أن يتزود الحاج لحياته المقبلة كما تزود لسفره إلى الحج.

إذا كان الحاج حريصاً على زادٍ حلالٍ لسفرٍ في الدنيا، فلأن يكون حريصاً على زاد حلال ـ وزاد التقوى خير زاد ـ لسفر من الدنيا أولى، لأن سفرنا في الدنيا كثير، وبعد سفرنا في الدنيا من بلدنا نرجع إليه، ولكنَّ سفرَنا من الدنيا مرةٌ واحدة لا عودةَ بعدها أبداً، فحريٌّ بنا أن نتزوّد لهذا السفر بزاد التقوى، ومن زاد التقوى أن يكون مطعمنا من حلال ومشربنا من حلال ومسكننا من حلال.

ثالثاً: أن يعيش الحاج حياته المقبلة في ظل مناسك الحج.

رابعاً: أن يشعر الحاج بأن صدره قد انشرح للإسلام.

خامساً: أن يعيش الحاج وقلبه مطمئن لوعد الله عز وجل الذي لا يخلف، لأنه شاهد ببصره آثار الممتثل أمر الله عز وجل كيف صبر على امتثال الأوامر، وكيف صبر على اجتناب النواهي، وكيف صبر على الابتلاءات.

شاهد ببصره آثار سيدنا إبراهيم عليه السلام وآثار زوجته هاجر وولده إسماعيل، شاهد المقام والحجر وزمزم والمسعى، هذه الأسرة المسلمة التي امتثلت أمر ربها عز وجل، امتثل الأب أمر الله بوضع ولده الصغير في واد غير ذي زرع، وامتثلت المرأة أمر الله عز وجل عندما قالت: (آللَّهُ أَمركَ بِهذَا؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَت : إِذًا لا يُضَيِّعُنا) رواه البيهقي. وامتثل الولد بعد ذلك أمر الله عز وجل في قضية الذبح، وقال: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِين}. هل ضيَّعها الله تعالى؟

تصوّروا أيها الإخوة الكرام، امرأةٌ في واد غير ذي زرع، وأنتم تعلمون ماذا يعني واد غير ذي زرع؟ يعني لا ماءَ فيه، وإذا كان لا ماء فيه يعني لا نبات فيه، وإذا كان لا نبات فيه يعني لا حيوان فيه، يعني مقوّمات الحياة كلُّها معدومة في هذا الوادي، ولكن طالما أن الآمر هو الله الذي بيده ملكوت كلِّ شيء وبيده مقوّمات الحياة فهو ضامن لنتائج أمره، ولا أحدَ غيرُ الله يستطيع أن يضمن نتائج أمره.

فهل ضيَّعها الله تعالى في هذا الوادي الذي فقد جميع مقوّمات الحياة؟ معاذ الله تعالى، فإن الناس يعيشون في هذا الوادي ببركاتها بعد بركات سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

شاهد الحاج ببصره كيف يأتي الناس من كل فج عميق، كما قال تعالى: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيق * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِير * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيق}. يطوفون بالبيت العتيق. وحِجر إسماعيل من البيت العتيق

.، ويصلون خلف مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويشربون من ماء زمزم، ويسعون بين الصفا والمروة، ويهرولون في مكان بطن الوادي.

شاهد الحاج آثار دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي قام بوظيفته التي كُلِّفَ بها وقال: {رَّبَّنَا إِنِّيَ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُون}.

قام بما أُمر به، وتحقَّق له وعدُ الله القائل: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون}. استجاب لله فاستجاب الله له.

أما نشاهد أيها الإخوة الكرام كيف تتوجه الأفئدة إلى تلك الديار المقدّسة قبل الأبدان، ومن حبسه القدر لعذر (ما) ترى فؤاده هناك.

يا سائرين إلى البيت الله الحرام لقد ... سِرتم جُسوماً وسرنا نحن أرواحا

لقد أقمنا على عُذْرٍ ومِنْ قَدَرٍ ... ومن أقام على عُذْرٍ فقد راحَ

نعم تحقَّق لسيدنا إبراهيم ما أراد لنفسه ولذرِّيته {فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ} والمعوَّل عليه الفؤاد، فالأفئدة تتوجّه إلى هناك قبل الأبدان، وإذا عاد الحاج من حجِّه ترى فؤاده هناك.

نعم بحقٍّ أيها الإخوة، ربُّنا لا يُخلِف الميعاد، فاستجيبوا للهِ ليستجيبَ الله لكم، عندما امتثل سيدُنا إبراهيم أمرَ ربِّه عز وجل ثم دعا بقوله: {وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُون} استجاب الله لدعائه، فالناس يعيشون في الديار المقدَّسة ببركة دعاءِ سيدنا إبراهيم عليه السلام، لأن الله استجاب لدعائه وقال مولانا: {يُجْبَى إِلَيْهِ

ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ}.

فيا أيها الحاجُّ كن على ثقة بوعد ربك وخاصة في مسألة رزقك، إيَّاك أن تفكِّر في الحرام، إيَّاك أن تفكِّر في الربا، إيَّاك أن تفكِّر في أكل أموال الناس بالباطل، وكن ممتثلاً أمرَ ربِّك وهو الضامن، لأنك شاهدت ببصرك آثار الممتثل لأمر ربِّه عز وجل.

سادساً: أن يعيش الحاج حياته المقبلة وهو يستحضر يوم عرفة حيث الجميع سواء كلهم بثياب واحدة، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، الكلُّ متوجِّه إلى الله تعالى يدعون رباً واحداً، زالت الفوارق المادية التي كانت يمتازون بها فلا تميز بين غني وفقير ولا سيد ومَسُود.

أن يعيش الحاج حياته المقبلة بتواضعٍ مهما كانت رُتبته ومكانته، ومهما كان غناه، ومهما كان انتماؤه، كما عاش تلك السويعات في أرض عرفة.

أن يعيش الحاج حياته المقبلة وهو يستحضر يوم القيامة عندما يقوم الناس لرب العالمين كما قال تعالى: {أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين}. ثم يفكِّر في نفسه هل هو من الأبرار أم من الفجار؟ قال تعالى: {إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيم} فأيّ الدارين يختار؟

نعم أيها الإخوة يجب علينا أن نبحث عن صفات الأبرار في القرآن العظيم، وعن صفات الفجار، ولنتصف بعد ذلك بالصفات الأحبّ إلينا ونترك الأبغض إلينا.

ومن عاش حياته المقبلة وهو مستحضر يوم عرفة حيث الجميع سواء ومتوجّهون إلى ربٍّ واحد بالدعاء فإنه سيستجيب لأمر الله تعالى القائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُون}. وسوف يخشى أن تفوته فرصة العمل في الحياة الدنيا التي هي دار عمل بلا جزاء من أجل دار المقرِّ التي هي دار جزاء بلا عمل.

أيها الإخوة: تذكَّروا قول سيدنا علي رضي الله عنه: (ارْتَحَلَتْ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتْ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلا عَمَلٌ) رواه البخاري تعليقاً.

استحضروا الوقوف بين يدي الله عز وجل، وأرجو الله لي ولكم سعادة الدارين. أقول هذا القول وأستغفر الله

100- **خطبة الجمعة**: **صبراً يا أهل غزة فلكم اللّه**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

مقدمة:

فإنه مما لا شك فيه بأن المسلمين في هذا اليوم المبارك يتطلَّعون إلى خطباء الجمعة وينتظرون ما سيسمعون منهم عن الجرائم التي يرتكبها المجرمون شذاذ الآفاق الذين ضُربت عليهم الذلة و المسكنة بأهلنا بإخواننا بأطفالنا بأعراضنا بممتلكاتنا في غزة الحبيبة في فلسطين الغالية.

نقول لأهلنا في غزة الحبيبة:

أيها الإخوة: لا يسعنا ـ ونحن على منبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـ أن نقول لأهل غزة إلا كما قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما تقطعت الأسباب وعجز عن نصرة المظلومين، ومرَّ على أسرة ياسر ورآهم يعذَّبون وهو صلى الله عليه وسلم لا يملك لهم شيئاً إلا

الدعاء، فقال لهم صلى الله عليه وسلم: (صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ) رواه الحاكم والطبراني والبيهقي.

ونحن نقول لأهلنا في غزة وقد تقطعت الأسباب عندنا ـ نحن عامة الناس ـ متأسين بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: صبراً يا أهل غزة فإن موعدكم إما النصر وإما الشهادة بإذن الله تعالى، فإن موعدكم النصر، أو جنة عرضها السماوات والأرض أُعدَّت للمتقين، وأنتم منهم إن شاء الله تعالى ببركة صبركم وصمودكم.

يا أهل غزة: لا يسعنا إلا أن نقول: اللهم ثبِّتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم أرسل إليهم المدد من السماء يا من بيده ملكوت كل شيء.

يا رب لقد خانهم الحكّام وأغلقوا الأبواب أمامهم، واتفقت كلمة حكام العرب والعجم ـ إلا من رحم ربي ـ على إغلاق جميع الأبواب والسبل أمام هؤلاء المستضعفين، بل اتفقت كلمتهم على إبادتهم واستئصالهم.

ما هي جريمة أهل غزة؟

أيها الإخوة: **ما هي جريمة أهل غزة** حتى اتفقت كلمة حكّام العرب والعجم على مقاطعتهم وإرادة إبادتهم على أيدي هؤلاء الطغاة الذين لُعنوا أينما ثقفوا، الذين ضُربت عليهم الذلة والمسكنة، الذين هم أشد الناس عداوة للمؤمنين؟ ما هي جريمتهم؟

جريمتهم أنهم اختاروا لولاية أمرهم من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، **جريمتهم** أنهم اختاروا لولاية أمرهم أهل حماس الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم، هؤلاء الذين جعلوا اعتمادهم وتوكلهم على الله تعالى.

جريمة أهل غزة أنهم اختاروا لولاية أمرهم رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه ـ

ولا نزكي على الله أحداً. اختاروا رجالاً ما عرفوا النفاق للحكّام، اختاروا رجالاً حُلَماء عقلاء وسعت صدورهم إخواناً لهم من أهل فلسطين ممن باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، وسعت صدورهم لهؤلاء حتى لا تكون حرباً داخليّة بينهم كما أرادها اليهود لهم.

جريمة أهل غزة أنهم اختاروا لولاية أمرهم رجالاً لا يعرفون النفاق ولا يبيعون دينهم ولا عرضهم ولا أرضهم بعرض من الدنيا قليل.

جريمة أهل غزة أنهم اختاروا لولاية أمرهم من يجاهدون اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين بغير حق، فأرادوا تطهير الأرض المقدسة من دنس هؤلاء اليهود ومن رجسهم.

جريمة أهل غزة أنهم قالوا: ربنا الله، عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير. وقالوا: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، جريمتهم أنهم ما نافقوا لليهود ولا لأذنابهم ممن انتعلهم اليهود والغرب، **جريمة أهل غزة** أنهم ما باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل.

غُلِّقت الأبواب دونهم وفُتحت لغيرهم:

نعم أيها الإخوة لقد غُلِّقت الأبواب دون هذه الفئة المؤمنة الصامدة المنكسرة بقلبها إلى الله تعالى من قبل حكام العالم العربي والعجمي إلا من رحم الله تعالى، فقُطِّعت عنهم مقومات الحياة، الماء والطعام والكهرباء والدواء ولا إغاثة لهم، ولو استطاع العالم أن يقطع عنهم الهواء لفعل.

وأما بالنسبة لليهود فقد فُتحت لهم أبواب حكّام العالم العربي والعجمي إلا من رحم الله تعالى، ووافقهم الجميع على ضرب هؤلاء بدون اعتراض، وبارك حكام العجم لبعض حكام العرب بموقفهم ضد أهلهم في غزة.

فقام هؤلاء الطغاة المجرمون الذين يملكون أقوى سلاح في الشرق الأوسط

بضرب هؤلاء الذين لا يملكون من السلاح إلا أضعفه وأقله من تصنيع محلي، قام هؤلاء الجُبَناء بضرب هؤلاء المستضعفين عن طريق الجوّ ولم يجترئوا على الاقتحام البري لأنهم يخافون من المجاهدين الذين باعوا أنفسهم لله عز وجل، فهانت عندهم الدنيا وعشقوا لقاء الله عز وجل.

نعم أيها الإخوة صدق الله تعالى القائل في حق هؤلاء المجرمين: {لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُون}. لجبنهم وخوفهم وحرصهم على الحياة الدنيا كما قال تعالى فيهم: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ}.

تذكّروا يا أهل غزة:

يا أهل غزة: لا يسعنا إلا أن نقول: حسبكم الله، لأنكم توكلتم على الله، {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}.

يا أهل غزة: كونوا مع الله، ومن كان مع الله كان الله معه.

يا أهل غزة استقيموا على ما أُمرتم به فإن وعد الله لا يُخلف، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون}. وقال جلّت قدرته: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِين * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُون * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُون}. فأنتم إن شاء الله تعالى من جند الله الذين لا يُغلبون، ولا نزكي على الله أحداً.

تذكروا يا أهل غزة قول الله عز وجل: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِير}. فكونوا مع الله تعالى فالله قادر على نصرتكم.

تذكروا يا أهل غزة وأنتم في مطلع عام هجري جديد قول الله عز وجل: {إِلاَّ

تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا}. فالله معكم يا أهل غزة.

تذكروا يا أهل غزة سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عندما خرج من مكة المكرمة إلى الطائف لعله أن يجد معيناً له وناصراً لتبليغ رسالته، وردَّه أهل الطائف شرَّ ردٍّ، ودعا صلى الله عليه وسلم بالدعاء المعروف عند أصحاب القلوب المنكسرة من أهل غزة: (اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي؟ أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْته أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنْ عَافِيَتُك هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك، أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سُخْطُك، لَك الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلا بِك) رواه الطبراني. يا أهل غزة قولوا لربنا عز وجل: (إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي، ولكن عافيتك أوسع لنا).

تذكروا يا أهل غزة عودة النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف إلى مكة ووقف على أبواب مكة كيف سيدخل مكة؟ ويسأل سيدنا زيد رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: إلى متى؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وإن الله مظهر دينه وناصر نبيه).

يا من غدوت يؤوساً من إزالتها *** ما بين غمضت عين وانتباهتها

يغير الله من حال إلى حال

يا أهل غزة إن الله جاعل لما نرى وترون فرجاً ومخرجاً، وأسأل الله أن يعجّل في ذلك.

تذكروا يا أهل غزة أصحاب سيدنا موسى عليه السلام عندما قالوا: {إِنَّا لَمُدْرَكُون}. فقال لهم سيدنا موسى عليه السلام: {كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين}.

يا أهل غزة: المحن تجعل رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، تجعل عباداً لله توكُّلُهم عليه، تجعل صناديداً للوقوف أمام هؤلاء الطغاة.

يا أهل غزة: أرجو الله عز وجل أن تكونوا أنتم السبب في قتل اليهود الذين قُطِّعوا في الأرض أُمماً كما قال تعالى: {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون}، فإذا أراد الله إهلاكهم جميعاً جاء بهم لفيفاً، كما قال تعالى: {وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا}. لماذا يأتي بهم الله لفيفاً؟ ليبعث الله عليهم عباداً له أولي بأس شديد.

أرجو الله تعالى أن تكونوا أنتم يا أهل غزة من هؤلاء العباد أصحاب البأس الشديد الذي على أيديهم يكون هلاك هؤلاء، حيث يخاطب الحجرُ والشجرُ المؤمنَ الصادقَ ويقول له: (يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إلا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ) رواه مسلم.

يا حكَّام العرب والمسلمين:

أما أنتم يا حكام العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها: فهلا تساءلتم فيما بينكم وبين أنفسكم لماذا أعطاكم الله السلطان وآتاكم الملك لأنه هو القائل: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}؟

لماذا آتاكم الله الملك وآتاكم السيادة والريادة، وجعل ممتلكات الأرض تحت أياديكم؟ لماذا آتاكم الله ذلك؟

هل أعطاكم السلطان وآتاكم الملك وجعلكم ملوكاً ورؤساء، وجعل الممتلكات تحت أيديكم من أجل أن تجنّدوا كل ذلك في خدمتكم الشخصية ولحمايتكم من القتل أو الموت؟

كونوا على ثقة يا حكام العرب والمسلمين بقول الله عز وجل: {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}. وبقوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور}. كونوا على ثقة بأن الملك لن يدوم لكم، وإن دام لكم فلن تدوموا له.

كونوا على ثقة بأنه ليس لكم من ملككم إلا ما أكلتم فأفنيتم ولبستم فأبليتم وتصدقتم فأبقيتم.

يا حكام العرب والمسلمين ستسألون يوم القيامة أمام الله عز وجل: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون}.

ستسألون يوم القيامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) رواه البخاري ومسلم.

يا حكام العرب والمسلمين أنتم المسؤولون قبل غيركم عن إخوانكم، عن أهلكم، عن أعراضكم في غزة خاصة، وفي بلاد المسلمين عامة. فهلاّ اجتمعت كلمتكم وتوحَّد صفكم ووقفتم في محراب العبودية لله، وأنتم تتذكرون قول الله تعالى: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِين}. فما أنتم قائلون لربكم يوم القيامة؟

يا حكام العرب والمسلمين إن القوة التي بين أيديكم والجيوش التي تحت رعايتكم إنما هي بقدرة الله لا بقدرتكم، فوظِّفوها لما جُعِلَت من أجله، هذه القوة والجيوش لحماية المسلمين المستضعّفين في مشارق الأرض ومغاربها، ولرفع الظلم عن المظلومين ولو كانوا من غير المسلمين.

يا حكام العرب والمسلمين: اغتنموا هذه النعمة نعمة الملك في نصرة المظلومين المقهورين من بني البشر ـ فضلاً عن المؤمنين ـ حتى لا يكون ملككم

حسرة وندامة عليكم يوم القيامة، قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه} ما هي النتيجة؟ {خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوه}. أترضيكم هذه النتيجة بعد ملككم؟

يا حكّام العرب والمسلمين: أَجَبُنْتُمْ أمام هذه الفئة الطاغية؟ فإنَّ أهلَ غزة حجةٌ عليكم، لقد صمدوا وثبتوا رغم كل الظروف التي يمرون بها، ورغم قلة السلاح، سلاح هؤلاء بعض الصواريخ من الصنع المحلي مداه لا يتجاوز /١٠٠/كم، أقلقت اليهود وأقضّت مضاجعه.

واجبنا نحن نحو أهل غزة:

أمّا نحن العامة فلا نملك لإخوتنا في غزة إلا الدعاء، وبعده الاستقامة على شريعة الله عز وجل، لأن الدعاء أسهمه لا تخيب، انظروا إلى دعاء سيدنا موسى عليه السلام عندما قال: {رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيم * قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُون}.

الدعاء يقيناً مستجاب في الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي نريد، لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، وهو الحكيم الخبير، فعلينا بالدعاء ثم بالاستقامة على شرع الله تعالى بتحليل الحلال وبتحريم الحرام، فهذا من أسباب النصر لإخوتنا في غزة، ثم بعد ذلك ننتظر الفرج، وانتظار الفرج عبادة بحمد الله عز وجل، كما جاء في الحديث: (سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ) رواه الترمذي. وأسأل الله تعالى أن يعجّل بالفرج.

أيها الإخوة الكرام: أسأل الله عز وجل أن يُكرِمِ أهل غزة بالنصر من عنده، لأنه القائل: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ}، أسأل الله تعالى ألا يجعل يداً لمنافق ولا لمجرم على أهلنا في غزة، وأن ينصرهم من عنده نصراً معزاً عاجلاً غير آجل.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وبصفاته العلى أن يحفظ هذا البلد وقائده الذي احتضن المقاومة ووقف بجانبها حارساً أميناً عليها في ساعة رفضها العالم أجمع، هذا البلد بقائده احتضن حماس المجاهدة، حماس الصابرة، حيث رفضتها الدنيا، احتضنها ورعاها.

أسأل الله تعالى ببركة هذا الاحتضان أن يؤيد قائد هذا البلد بتأييد من عنده، وأن يكتب النصر على يديه، وأن يجمع به شمل الأمة، وأن يوفقه لرفع راية الإسلام وإقامة حدوده، وأن يشرح صدرنا وصدره للإسلام، وأن يحبب إلى قلوبنا وقلبه الإيمان وأن يتجاوز عن تقصيرنا كلِّه ببركة هذا الموقف المشرّف في دعم هذا البلد مع قائده للمقاومة وللمجاهدين ضد الطغاة المجرمين. وأسأله تعالى أن يفرِّج عن إخوتنا في غزة عاجلاً غير آجل.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله.

101- خطبة الجمعة: يا أهل غزة ما يجري لكم وليس عليكم إن شاء اللّه تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمما لا شك فيه بأنَّ الأمة تنتظر الفرج من عند الله عز وجل، وانتظارُ الفرج عبادة كما جاء في الحديث الشريف عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (انتظار الفرج عبادة) رواه البيهقي. فنحن بفضل الله عز وجل في عبادة لله تعالى، لأنا بِتْنا على يقين بأنه لا يأتي فرج إلا من عند الله تعالى، قال تعالى: {لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ كَاشِفَة}. فلا يضِقْ صدركم مما يجري، لأن الفرج آتٍ لا محالة بإذن الله تعالى.

قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا:

أيها الإخوة الكرام: ماذا نقول وماذا نتكلم وبأي شيء نخاطب إخواننا في غزة الجريحة التي تقطر دماً. إنا لله وإنا إليه راجعون. لا يسعنا إلا أن نقول لإخواننا في غزة خاصة وفلسطين عامة، ولجميعِ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها قولَ الله عز وجل: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا}. نقول هذا بملء أفواهنا ورؤوسنا شامخة إلى السماء، نقول ذلك بكل عز وافتخار: {لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا}.

يا إخوتنا في غزة وفي فلسطين وفي كل مكان، ما يجري الآن في غزة وفي

غيرها هُوَ لَنا وليس علينا وربِّ الكعبة، وأنا على منبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أُقْسِم بهذا ولست بحانث، نعم إنَّ سفكَ الدماء وقتلَ الأبرياء وقتلَ الأطفالِ والشيوخِ الرُّكَّع، وتهديمَ المساجدِ والمنازلِ فوق رؤوس أصحابها، وإتلافَ الأموالِ والمزارعِ وكلَّ ما يفعله هؤلاء الطغاة المجرمون هُوَ لنا لا علينا بإذن الله تعالى.

نحن على يقين بقول الله عز وجل: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ الله لَنَا}. هذا الذي يجري مَغْنَمٌ وليس مغرماً، لأن النِّعَمَ من الله تعالى ظاهرةٌ وباطنةٌ، فكم من نعمة جاءت في ثوب نقمة ورُبَّ ضارَّةٍ نافعة، كم من نقمة أوقفت العبد على باب مولاه؟ وكم من نقمة ردَّت العبد إلى جادة الصواب؟ وكم من نقمة جمعت شتات الأمة؟ وكم من نقمة أيقظت النائم من سُباته؟ وكم من نقمة أرجعت العبد إلى الله تعالى فاصطلح مع الله تعالى؟ أقول أيها الإخوة بملء فمي، وجوارحي وذراتي وربِّ الكعبة واثقةٌ بقول الله عز وجل: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ الله لَنَا}. نعم سنةُ الله في خلقه ماضية، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

الحكمة في علوِّ فرعون في الأرض:

أقول لأهل غزة: يا إخوتنا يا أحبتنا يا آباءنا يا أمهاتنا يا أبناءنا يا عرضنا يا شرفنا، أذكِّر نفسي وأذكِّركم بقول الله عز وجل: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}.

هل فِعْلُ فرعون هذا غائب عن الله عز وجل؟ هل فعل فرعون هذا كان قهراً عن الله عز وجل؟ هل فعل فرعون هذا كان من وراء ربنا عز وجل؟ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، لأنه القائل: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ}.

لماذا إذاً أيها الإخوة يفعل فرعون هذا الفعل من عُلُوٍّ في الأرض، وجعلِ

القوم شيعاً، واستضعافٍ للقوم، ومن تذبيح للأبناء الأطفال الأبرياء، ومن فسادٍ في الأرض؟

لماذا يفعل فرعون وهامان وجنودهما هذا الفعل مع أن الله تعالى من ورائهم محيط؟

اسمعوا يا أحبتنا في غزة، اسمعوا يا مسلمين في كل مكان، اسمعوا يا مستضعفين في كل مكان، اسمعوا قولَ الله تعالى بقلوبكم قبل آذانكم قوله تعالى . بعد أن ذكر فعل فرعون .: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِين * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُون}.

فلن يدومَ لفرعون هذا الظلم، لأن الله تعالى كتب ألاَّ يُفلح ظَلومٌ، وألاَّ يموت الظالمُ حتى ينتقم للمظلوم منه.

نعم سوف يُري اللهُ عز وجل كلَّ فرعون وكلَّ طاغية وظَلوم نتيجته التي كان يحذر منها، لأن الله تعالى يقول: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد}. فربُّنا بالمرصاد لهؤلاء الطُّغاة المجرمين لهؤلاء الفراعنة، لهؤلاء الذين عاثوا في الأرض فساداً.

نعم إنه يُمْهِل ولا يُهْمِل لحكمةٍ يريدها الله عز وجل، نعم فرعون وهامان وجنودهما فعلوا ما فعلوا، وكان الله حليماً بهم، ولكن عندما أصرُّوا جاءهم ما كانوا يحذرون منه، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَاد * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَاد * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَد * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَاد * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَاد * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَد * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَاب}. قل لمن تسول له نفسه من بعدهم أَنْ يَسْلُكَ مسلكهم: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد}. ومتى سيكون سوط العذاب للفراعنة اللاحقين لفرعونهم الأكبر؟ سيكون في الوقت الذي يريده الله تعالى، لا في الوقت الذي نريده نحن المستضعفون.

ولكن كونوا على ثقة أيها الإخوة من قوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِين * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُون}.

ارجعوا إلى الوراء قليلاً واعلموا كيف سيمكِّن الله تعالى لهؤلاء في الأرض؟ ارجعوا إلى الوراء قليلاً وانظروا كيف كانت بداية الانتفاضة؟ لقد كانت بالحجر ثم وصلت اليوم إلى صواريخ من تصنيع محلي أقضَّت مضاجع اليهود، حيث بلغ مدى الصاروخ اليوم أن يصل إلى تل أبيب، وهم الآن يحفرون الملاجئ هناك خشية هذه الصواريخ مع ما يملكون من قوة طاغية.

يا حاكم مصر!

أيها الإخوة الكرام: طالما أني ذكرت قصة فرعون وهامان وجنودهما وهم كانوا في مصر، وعاثوا في الأرض فساداً، أقول لحاكم مصر، لهذا الطاغية، لهذا الفاسق، لهذا الفاجر، لهذا الذي باع دينه بعرض من الدنيا قليل: آه لو أنَّك توجهت إلى الأهرامات وَنَظَرْتَ أيها الغافل، أيها الجبان، أيها الخائن لأمته، يا من بعت دينك بعرض من الدنيا قليل، إلى فرعون الذي عاث في الأرض فساداً أكثر منك، ووصل إلى درجة قال فيها لقومه: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}. وقال لهم: { مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}. وقال لهم: {مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى}.

يا حاكم مصر: انظر إليه، وتفكَّر وتذكَّر وتدبَّر قول الله عز وجل: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد}. تذكَّر وتفكَّر وتدبَّر قول الله عز وجل: {حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِين}.

يا حاكم مصر إنْ دُمْتَ على ما أنت عليه - لا قدَّر الله - فستقول والله تعالى أعلم مثل قوله عندما يأتيك ملك الموت: {آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِين}، ولكن ستسمع والله تعالى أعلم مثل ما سمع

فرعون: {آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِين}. وستقول عند سكرات الموت كذلك والله تعالى أعلم: {رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ}. وستسمع والله تعالى أعلم: {كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}.

يا حاكم مصر أسأل الله لك توبة قبل الموت، وإن كان بعلم الله القديم أنه لا توبة لك فأسأله أن يرينا فيك آية لتكون عبرة لمن أراد أن يتذكَّر أو يعتبر.

يا حاكم مصر انظر إلى فرعون الذي نجاه الله تعالى ببدنه ليكون لمن خلفه آية، فهلاَّ اعتبرت؟ ولكني أراك من الغافلين، فبئس الخَلْفُ لبئس سلف.

يا حاكم مصر ما أنت قائل لربك يوم القيامة وأنت ترى أبناء المسلمين وشيوخ المسلمين ونساء المسلمين وأموال المسلمين يُفعَل بهم ما يُفعَل؟ ما أنت قائل لربك يوم القيامة؟ هل انتعلك اليهود والغرب؟ أما علمت بأن مُلكك لا يدوم وإن دام لك فلن تدوم له، ولو دام لغيرك ما وصل إليك؟

يا حاكم مصر كن على ثقة من قول الله عز وجل للمستضعفين: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ}. فكن على يقين بأن ما يجري على أرض فلسطين وفي غزة خاصة سيكون سبباً لتمكين هؤلاء المستضعفين، وغداً لناظره قريب.

لكم الشرف يا أهل غزة فيما أنتم فيه:

يا أحبَّتنا في غزة: {اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}. يا أهل غزة اصبروا وصابروا والله معكم، الله يريد أن يجعل منك أئمة ويجعل منكم وارثين ويمكن لكم في الأرض إن شاء الله تعالى ولا نزكي على الله أحداً ، لأن التمكين في الأرض لا يكون لكلِّ أحد، لأن حمل الأمانةِ أمانةِ التشريع لا يستطيعها من باع دينه بعرض من الدنيا قليل، لا يستطيعها إلاَّ رجال صدقوا ما

عاهدوا الله عليه.

يا أهل غزة لكم الشرف أن يكون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوةً وقدوةً لكم، لكم الشَرَف أن تكونوا على قَدَمِ القِمَمِ من البشر وهم أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تكونوا على قَدَمِ القِمَّةِ من القِمَمِ من البشر وهو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يا أهل غزة: لقد أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما لم يؤذَ أحدٌ من البشر، ولقد أُخِيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما لم يُخف أحد من البشر، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلا لِبِلالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبِطُ بِلالٍ) رواه أحمد.

نتيجة الحِصار على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يا أهل غزة لقد حُوصر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الكرام في بعض شعاب مكة لمدة ثلاث سنوات وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أصحاب سيد الخلق وحبيب الحق، فمن نحن ومن أنتم بجانبهم؟ جاء في كتاب نور اليقين: (لما أجمع المشركون أمرهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب وَلَديْ عبد مناف، وإخراجِهم من مكة، والتضييقِ عليهم فلا يبيعونهم شيئاً، ولا يبتاعون منهم حتى يُسلِّموا محمداً صلى الله عليه وسلم للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم في شِعْب أبي طالب، ودخل معهم بنو المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم، ما عدا أبا لهب فإنه كان مع قريش، وانخذلَ عنهم بنو عَمَّيْهم عبد شمس ونوفل ابني عبد مناف، فجهد القوم

حتى كانوا يأكلون ورق الشجر، وكان أعداؤهم يمنعون التجار من مبايعتهم وفي مقدمة المانعين أبو لهب).

يا أهل غزة لكم الشرف في هذا الحصار الذي ضُرب عليكم، لأن نتيجة الحصار الذي ضُرب على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانت لصالح المحَاصَرِين في النهاية، ألم يقل مولانا عز وجل بعد حصار المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الشعب في كتابه العظيم حيث جاء التوجيه لعباده المؤمنين الذين مكَّنهم الله في الأرض: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا}. وإنا إن شاء الله تعالى بعد هذا الحصار على المسلمين في كل مكان وفي فلسطين خاصة وفي غزة بشكل أخص نتطلع إلى ذلك اليوم الذي نمتثَّل فيه أمر ربنا القائل: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ}. فنطهر أرضنا من الشرك وأهل الشرك.

<u>مئة ناقة جعلتها قريش لمن يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم:</u>

يا أهل غزة تذكَّروا الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم عندما أُخرج من مكة المكرمة وحيداً فريداً مطارداً بعد أن ردَّته الطائف وقلاه الجميع، وجعلت قريشٌ مائة ناقة لمن يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم حياً أو ميتاً، وخرج سُراقة بن مالك يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعاً بمائة ناقة كما يطمع هؤلاء بكراسيهم وعروشهم، وعندما وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيل بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كيف بك إذا لبست سواري كسرى).

أَمِنَ المعقول هذا الوعد من رسول الله صلى الله عليه لسراقة؟ سواري كسرى؟! نعم: إنْ خذله الخلق فلن يخذله الله عز وجل، قال تعالى: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ}. وأسأل الله عز وجل لكم هذا يا أهل غزة، إنْ خذلكم الناس

وتخلَّوا عن نصرتكم فلن يخذلكم الله ولن يتخلَّى عنكم إن شاء الله تعالى.

أَيَتَغَلَّبُ هذا الوحيدُ الفريدُ المطاردُ على أعظم دول العالم فارس والروم؟ نعم صدق الله القائل: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِين * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُون}.

علم سراقة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون له دولة، وسيكون له جيش، وسيكون له تمكين، وسيكون له سلاح سيفتح العالم بإذن الله تعالى، ولكن متى؟ إنَّ غداً لناظره قريب.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يلبس سراقة سواري كسرى، ولكنه على يقين بصدق وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}. سراقة على يقين بأنه لن يموت حتى يلبس سواري كسرى، وجاء خليفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولم يلبس سواري كسرى، وجاء سيدنا عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين، وجاءت معه الفتوحات، وإنَّ قدسَنا الشريف ينتظر رجلاً كسيدنا عمر رضي الله عنه، أسأل الله تعالى أن يرينا رجلاً كسيدنا عمر رضي الله عنه لتطهير قدسنا الشريف ، وأسأله تعالى أن يكرمنا بصلاة ركعتين فيه قبل موتنا.

جاء سيدنا عمر رضي الله عنه وفُتحت له الدنيا، ورضخ له العالم، وجاءت الغنائم إلى المدينة المنورة بدون غُلول، بدون سرقة. بهؤلاء الأُمناء تفتح الدنيا. وشاهد سيدنا عمر رضي الله عنه سواري كسرى وقال: (أين سراقة فألبسهما إياه وقال: الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة) رواه البيهقي، وتحقق وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لنترك الكلام ولنعمل:

أيها الإخوة الكرام: أقول لنفسي ولكم: تعالوا لنترك الكلام جانباً، لنترك السب والشتم واللعن ولنقبل على العمل دون القول، فنحن لسنا بحاجة إلى مظاهرات، ولسنا بحاجة إلى تنديد، ولسنا بحاجة لحرق الأعلام، ولسنا بحاجة لانتظار قرارات مجلس الأمن، لأن مجلس الأمن منهم وفيهم، وإن الكلب لا يعض ذنبه، فهؤلاء ذنب لهؤلاء، وهؤلاء ذنب لهؤلاء.

نعم أيها الإخوة لا نريد مظاهرات ولا نريد تحليلات سياسية، ولا تطلعات غيبية، لا نريد قولاً بل نريد عملاً، أيها الإخوة لنقف في محراب العبودية لله عز جل، لنجعل تظاهراتنا في بيوت الله عز وجل، نعكف على تلاوة القرآن العظيم، نعكف على الدعاء، وبعد الدعاء نُلزِم أنفسنا بالاستقامة، ألم يحدِّثْنا مولانا عن سيدنا موسى عندما دعا الله عز وجل بقوله: {وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيم * قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا}؟ الدعاء استجابه الله، ولكن علينا بعد الدعاء وبعد تلاوة القرآن وبعد الوقوف في محراب العبودية بتحليل الحلال وتحريم الحرام، ولنأخذ القرآن بيد والسنة بيد أخرى، لأن الذي يزلزل عرش أمريكا والغرب أجمع هو تمسُّكُنا بكتاب ربنا عز وجل، وبهدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لذلك جعلوا همهم ودأبهم أن يبعدوا الأمة عن كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، ولكن هيهات هيهات فوالله الموت أقرب إلينا من أمانيهم الباطلة .

أيها الإخوة لنجعل من أنفسنا رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فلا تبديل ولا تحويل، ولا استعاضة بالأعلى على الأدنى، علينا أن نسمع قول الله تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ

فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون}.

لنجعل من أنفسنا رجالاً تركوا النزاع فيما بينهم حتى لا يفشلوا قال تعالى: {وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِين}. نصرتنا لأهل غزة بمزيد الالتزام بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

نصرتنا لأهل غزة بالتبرع بالمال لأن هذا من الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: {انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ الله ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون}. واحذروا شياطين الإنس الذين يقولون: هل تصل الأموال لأهل غزة أم لا؟ احذروا فلا يثبِّطنَّكم قول هؤلاء.

ونحن نقول لِلِّجان: يا أيتها اللجان اتقوا الله في هذه الأموال، وأوصلوها إلى إخوتنا في غزة، والله رقيب عليكم، هذه الأموال أمانة في أيديكم لأهل غزة خاصة ولفلسطين عامة، هذا المال ليس ليوضع منه شيء في الجيوب، هذا المال أنتم مستأمَنون عليه حتى يصل إلى إخوتنا المجاهدين في غزة والمنكوبين منهم، وأذكِّركم بقول الله عز وجل: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ الله يَرَى}. أذكِّركم بقول الله عز وجل: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}.

يا أهل اللجان: إن هؤلاء الإخوة سيتبرعون لإخوانهم في غزة لأنهم سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ الله فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا) رواه مسلم.

أسأل الله تعالى أن لا يميتنا حتى نرى ذلك اليوم الذي قال فيه مولانا: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُون * بِنَصْرِ الله}. اللهم أرنا هذا اليوم قبل موتنا. وأقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

102- خطبة الجمعة: يا أهل غزة! سلعة اللّه غالية، فلا بدّ من دفع الثمن!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

نحن على يقين من وعد الله بالتمكين:

فلا يمكن بحال من الأحوال أن نتعامى عن الحال الذي تمر به أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وخاصة ما يجري في غزة.

أيها الإخوة: أكَّدنا في الخطبة الماضية وما زلنا نؤكد قول الله عز وجل: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِين * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُون}.

نحن والله على يقين من هذا الوعد، وأن التمكين سيكون لهؤلاء الذين استُضعفوا في الأرض، وسيكون منهم أئمة، وسيمكَّن لهم في الأرض، وسيرى الظلمة طال الزمن أم قصر، لأن هذا الكلام ليس من كلام البشر، هذا الكلام كلام ربنا جلَّ في علاه، هذا كلام ربنا القادر على كل شيء، هذا كلام ربنا الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، هذا كلام ربنا القائل: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ}. هذا كلام ربنا القائل: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}.

فنحن على يقين من قوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِين * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُون}.

أيها الإخوة: سلعة الله غالية ولكن لا بد من دفع الثمن، أما سمعتم يا أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن؟ التي قال فيها مولانا جل جلاله: {فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ}. والتي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: (فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) رواه مسلم. والتي فيها أعظم نعيم ألا وهو النظر إلى وجه الله الكريم قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة}.

فالجنة غالية، وأمر طبيعي أن يكون ثمنها غالياً وغالياً جداً، فكان لا بد لمن أرادها أن يدفع الثمن، وثمنُها بذل النفس والمال قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ}.

هل يعني أنهم يقاتلون في سبيل الله ألاَّ يُقتل منهم أحد؟ هل يعني أنهم يقاتلون في سبيل الله أن لا تُهدَّم بيوتُهم ولا تُسلب أموالُهم؟ هل يعني أنهم يقاتلون في سبيل الله أن لا تُسلبَ خيراتُهم وأراضيهم؟

أيها الإخوة: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فلنتدبَّر قول الله عز وجل جيداً: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم}.

لا أحد أوفى بعهده من الله، فنحن على وعد من الله تعالى إما النصر وإما

الشهادة، والأمران محبَّبان إلى قلوبنا، فأيّهما اختاره الله لنا فهو أحبُّ إلى قلوبنا.

{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ}:

أيها الإخوة: نحن نقول لهذه الشرذمة الحقيرة من اليهود التي لقيت الدعم من العالم كله، التي فتح لها العالم أبوابه لا حُباً فيهم وربِّ الكعبة، بل للتخلُّص منهم ومن شرورهم، لأنهم أينما حلُّوا فسدوا وأفسدوا، لأنهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، لأن الله تعالى قَطَّعهم في الأرض أمماً، فالعالم يدعمهم للتخلُّص منهم وخاصة إذا عاثوا في ديار المسلمين فساداً، فأراد العالم الغربي ضربَهم وضرب الإسلام، دَعَمَهُمْ ليتخلَّص منهم ومن الإسلام.

نعم سيتخلَّص العالم من اليهود ومن شرِّهم على أيدي المسلمين، وسيأتي الزمن الذي ينادي الحجر والشجر المسلم فيقول: (يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ) رواه مسلم. نعم سيرتاحُ العالم من شرِّ اليهود، وسَيَنْعَمُ برسالة الإسلام، فلا يَطْمَعُ الغربُ بزوال الإسلام، لأن الله تعالى هو القائل: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون}.

نعم نقول لهذه الشرذمة الحقيرة ولمن دعمهم وساعدهم ووقف بجانبهم، نقول لهم لا بألسنتنا ولكن بألسنة المحاصَرين من أحبائنا في غزة، بألسنة المجاهدين من سادتنا، بألسنة المقاومين للاحتلال الصهيوني نقول للشرذمة الحقيرة وأذنابهم قول الله عز وجل: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ}.

نعمة الشهادة في سبيل الله:

يا يهود ويا أذناب يهود، يا من باع دينه بعرَض من الدنيا قليل، ويا من وضع رقبته تحت نعال يهود خوفاً على كرسيه، خوفاً على عرشه، خوفاً على

دنياه، نقول لكم ما علمنا إياه ربنا عز وجل أن نقوله لكم: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُون}.

نحن على وعد من الله تعالى إما بنصر وإما بشهادة، إما هذه النعمة وإما تلك، والأمر لله عز وجل من قبل ومن بعد، فنعمة الشهادة من أعظم نعم الله تعالى، ولا ينالها إلا من صدق اللهَ في طلبها، لأنها شرفٌ ما بعده شرف، نعمةٌ ما بعدها نعمة، نعمةٌ عظمى يطلبها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، نعمة الشهادة التي قال الله عز وجل: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِين * الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيم}. نعمةٌ عظيمة لا ينالها كل أحد.

نعمة الشهادة لا تكون إلا لرجال جعلوا اعتمادَهم وتوكُّلَهم على الله عز وجل كما وصفهم الله عز وجل بقوله: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل}.

يا من خَذَلْتُم أهلَ غزة، يا من خَذَلْتُم المقاومة في غزة، يا من حَمَّلتُم المقاومة ما يجري في غزة حرصاً منكم على عروشكم وعلى كراسيّكم، حَمَّلتُم المقاومة أحداث غزة خيانة منكم ونفاقاً ليهود، وخاطبتم المقاومة وأهل غزة: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ}. فأتاكم الجواب من هذه الفئة المؤمنة بعد زيادة الإيمان في قلوبهم: {حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل}. ومن قالها بحق وصدق فسينقلب بنعمة من الله وفضل طال الزمن أم قَصُر، لأن وعد الله لا يُخلف، لذلك قال مولانا:

{فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ}.

نحبُّ ما اختاره الله تعالى لنا:

لذلك نقول لليهود ولأذنابهم: نحن على وعد من الله تعالى إما بنصر وإما بشهادة، والأحبُّ إلينا ما اختاره الله عز وجل لنا، فإن فاتت الشهادة فالنصر، وإن فات النصر فالشهادة، والنصر لن يفوت أبداً لوعد الله تعالى القائل: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون}. لوعد الله تعالى القائل: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِين * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُون}. النصر آتٍ لا محالة، ولكن لا بُدَّ من التمحيص، لا بد من التمييز بين الغثِّ والسمين، قال الله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيب}.

قولوا يا أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على لسان هؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، على لسان رجال تمسَّكوا بالقرآن العظيم فأحلُّوا حلاله وحرَّموا حرامه، قولوا لهم: {أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيب}.

نحن على يقين بأن الله سيصيبكم بعذاب:

قولوا لهم: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُون}. نحن على يقين بأن الله سيصيبكم بعذاب إما بأيدينا أو من عنده، فإن عجزنا عن إعداد قوة كقوة اليهود، وإن دعم العالم اليهود، وخَذَلنا العالم فإن الله سيصيبكم بعذاب

من عنده، فهو الذي أرسل صاعقة على عاد وثمود، قال تعالى: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَة * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَة} وهو الذي صبَّ سوط عذابٍ على فرعون وقومه، كما قال تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَاد * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَد * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَاب}.

وربُّنا بالمرصاد لمن سوَّلت له نفسه أن يسلك طريق عاد وثمود وفرعون، لذلك قال: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد}. ومن سنَّة الله تعالى في خلقه أنه يُمهِل ولا يُهمِل، هل تعلمون كم أمهل ربُّنا عز وجل قومَ سيدنا نوح؟ ألفَ سنة إلا خمسين عاماً، كما قال ربنا عز وجل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُون}، وسيدُنا نوح يدعوهم ليلاً ونهاراً كما قال تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا}. أصرُّوا وعاندوا وأمهلهم الله تعالى.

بعد هذا الإمهال أخذهم الله عز وجل أخذ عزيز مقتدر قال تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِر * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِر * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِر * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِر}. نعم {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد}. نعم ربنا يمهل ولا يهمل.

هكذا تكون القادة:

نحن نرى الشهداء من أهلنا في غزة، نرى الشهداء من العُزَّل من أطفال ونساء وشيوخ، ونرى شهداء من المقاومة، ومن قادة المقاومة، وأنا عندما أرى قادة المقاومة يستشهدون أتذكر قول سيدنا علي رضي الله عنه: كنا إذا حمي الوطيس

احتمينا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

فرجال المقاومة مع قادتهم في خندق واحد، فما دفع القادة رجالهم للمقاومة ونزلوا هم إلى الملاجئ، لا، بل كانوا مع رجالهم في صف واحد، لذا رأينا الشهداء من القادة كما رأينا الشهداء من رجالهم، كما رأينا من عامة أهل غزة رجالاً ونساءً وأطفالاً.

وأنا أتشرف أن أقول كما قال سيد من سادات المقاومة، أتشرف أن أتشبه به ولو بالكلام: أقبِّل جباه هؤلاء الرجال وأيديَهم والأرضَ التي تحت نعالهم، وجزاهم الله تعالى خير الجزاء على مقاومتهم، وأرجو الله تعالى أن تكون في ميزان حسناتهم يوم القيامة، لأنهم غسلوا العار عن هذه الأمة.

هؤلاءِ نالوا شرف الشهادة في سبيل الله عز وجل ولا أزكي على الله أحداً، وهذا الشرف لا يناله كل أحد.

موقف العز بن عبد السلام:

أذكر أيها الإخوة في هذا المقام موقفاً للعز ابن عبد السلام رحمه الله تعالى سلطان العلماء عندما أصدر فتواه بأن حكم المماليك غير نافذ ولا بد من بيع المماليك ثم إعتاقهم.

جاء في طبقات الشافعية لابن السبكي رحمه الله: وحادثة أمراء الدولة من الأتراك المماليك أدل شاهد على ذلك، وهم جماعة ذكر أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مُستصحَب عليهم لبيت مال المسلمين، وذلك أنهم كانوا عبيداً عند الخلفاء، ثم انفردوا بالملك بعد قتل سادتهم، فبلغهم ذلك، فعظم الخطب عندهم فيه، وأضرم الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولا شراء ولا نكاحاً، وتعطلت مصالحهم بذلك، وكان من جملتهم نائب السلطنة، فاستشاط غضباً، واجتمعوا وأرسلوا إليه فقال: نعقد لكم مجلساً، وينادى عليكم

لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي، فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة حاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر، وأنه لا يتعلق به، فغضب الشيخ، وحمل حوائجه على حمار، وأركب عائلته على حمار آخر، ومشى خلفهم خارجاً من القاهرة، قاصداً نحو الشام، فلم يصل إلى نحو بريد إلا وقد لحقه غالب المسلمين، لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل لا يؤبه إليه ليتخلف، لا سيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاؤهم، فبلغ السلطان الخبر، وقيل له: متى راح ذهب ملكك.

فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه، وطيب قلبه، فرجع، واتفقوا معه على أنه ينادي على الأمراء، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة، فلم يفد فيه، فانزعج النائب وقال: كيف ينادي علينا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض، والله لأضربنَّه بسيفي هذا.

فركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلول في يده، فطرق الباب، فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السلطنة ما رأى، فعاد إلى أبيه وشرح له الحال، فما اكترث ولا تغير، وقال: يا ولدي! أبوك أقلُّ من أن يقتل في سبيل الله. ثم خرج، وكأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب، وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله، فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال: يا سيدي، خبِّر إيش تعمل؟ قال: أنادي عليكم وأبيعكم. قال: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين. قال: من يقبضه؟ قال: أنا، فتمَّ له ما أراد، وفي يوم مشهود، جمع السلطان كل أمرائه في القلعة بأمر من قاضي القضاة العز بن عبد السلام، وفي مزاد علني نادى الشيخ على الأمراء واحداً واحداً، وغالى في ثمنهم، حتى أصبح من الصعب على غير السلطان شراؤهم، فتقدم السلطان فدفع من ماله الخاص، حتى اشترى جميع الأمراء،

وأعتقهم لوجه الله تعالى، ليصبحوا أحراراً، وقبض العزُّ ثمنَ الأمراء، وصرفه في وجوه الخير، وهذا لم يسمع بمثله عن أحد، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

عند تطاير الصحف:

لذلك أقول لإخواننا أهل غزة، لساداتنا من أهل غزة: أعزَّكم الله، أيدكم الله، آواكم الله، رعاكم الله، يا أيها الرجال، التاريخُ يسطِّر لكم، والملائكةُ تسجِّل أفعالَكم، وفي القيامة عندما تجتمع عند الله الخصوم، ستتطاير الصحف، فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابه بشماله، وأنتم إن شاء الله تعالى سيأخذ كل واحد كتابه بيمينه، ولا أتألى على الله، ولكن أحسبكم هكذا، سيأخذ كل واحد منكم كتابه بيمينه ويقول على رؤوس الأشهاد، على رؤوس الحُكّام الخونة الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، سيقول بأعلى صوته إن شاء الله تعالى: {هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيه * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة * فِي جَنَّةٍ عَالِيَة * قُطُوفُهَا دَانِيَة *كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَة}.

وسوف ترون إن شاء الله والله تعالى أعلم، هؤلاء إذا ماتوا وهم مُصرُّون على خيانتهم، وهم مُصرُّون على حصاركم، ولم يتوبوا إلى الله عز وجل، سوف ترون الواحد منهم إذا مات ولم يتب الله عليه آخذاً كتابه بشماله وهو يقول: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه}

أين سلطانك يا حاكم مصر؟ وأين ملكك يا خادم الحرمين الشريفين؟ أين سلطانك وملكك ومالُك يوم القيامة؟

إذا مات كل واحد منكم على تلك الخيانة ولم يتب إلى الله تعالى سوف يأخذ كتابه بشماله فيقول: {يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه} ما هي النتيجة؟

النتيجة ستسمعها من الله تعالى إذا لم تتب إلى الله ولم يتب الله عليك، النتيجة: {خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوه * إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيم * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِين * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيم * وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِين * لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِؤُون}.

نعم أيها الإخوة: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}.

نعم أيها الإخوة: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَاد}.

نعم أيها الإخوة قال تعالى: {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}.

نعم سيُخرَج لك الكتابُ. كتابُ عملك. وستقرأ ما سطَّرتَه لنفسك وتلقى جزاءَ ما اقترفتْ يداك، وطالما أنك ما نصرت الفئة المظلومة في الدنيا فلن تجد لك ناصراً يوم القيامة، وصدق الله القائل في كتابه العظيم: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين}.

أسأل الله تعالى أن لا يجعلنا من النادمين، وأن ينصر إخواننا في غزة عاجلاً غير آجل، وأن يصلح ولاة أمر المسلمين وأن يردَّهم إلى دينه ردّاً جميلاً، آمين.
وأقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

-103 خطبة الجمعة: غزة انتصرت وفُضِح المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

الأمة تمرُّ بامتحان صعب:

فإن الأمة تمرُّ بامتحان صعب وصعب جداً، عندما يرى الواحدُ الطغاةَ وقد أمدَّهم الله في طغيانهم، فأخذوا يقتِّلون البشر، ويهدِّمون البيوت، ويقتِّلون الأطفال والنساء والشيوخ، ويُجْهِزون على الجرحى، ويقتلون الحرية ويجعلونها تحت أقدامهم، ثم يتصدَّرون في أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة ليتحدثوا للعالم أجمع عن الحرية والديمقراطية التي يجب أن تسود العالم أجمع، ويتكلَّمون عن رعاية حقوق الإنسان، وهم وضعوا حقوق الإنسان تحت أقدامهم في سبيل مصالحهم.

ثم بعد ذلك جرائمهم تطال العباد والبلاد، والحجر والشجر والدواب، حتى يقول ضعاف الإيمان: أين الله؟ أين نصر الله؟

امتحان صعب وفتنة عظيمة، ولكن علاجَنا من القرآن العظيم، علاجُنا من كتاب ربنا القائل: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ}. أوَلسنا نطلب الجنة؟ الجنةُ غالية وثمنها غال،

كما تحدثنا في الأسبوع الماضي.

هناك من يشكك في النصر:

علاجنا من خلال قول الله عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّ الله مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُم}. فمن كان الله مولاه فهو الذي يتولاه، هناك من يشكّك في النصر الذي أكرم الله عز وجل به المجاهدين في غزة، ويقولون: أيُّ نصر هذا؟ تَهديمٌ، وَتَقْتِيلٌ للأبرياء، وزهقٌ لأرواح الأطفال والنساء والشيوخ العُزَّل الذين لا يملكون حولاً ولا قوة، أيُّ نصر هذا؟

نسي هؤلاء قول الله عز وجل: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَالله يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}. نسي هؤلاء بأن الخير قد يكون فيما نكره.

نسي هؤلاء سيرة النبي الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، حيث تجلى فيه قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ الله مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُم}. ومن كان الله مولاه تولاه، ومن تولاه ساق إليه الخير وربما أن يكون بثوب مصيبة.

تجلى في صلح الحديبية قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَالله يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}. وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، شيءٌ يجعلُ العبدَ في حيرة، لا يستطيع أن يربط بين الواقع والغيب القادم.

صلح الحديبية:

في صلح الحديبية: وقع حسب الظاهر شيء يكرهه الصحابة، حتى رأينا سيدنا عمر رضي الله عنه كما جاء في الصحيحين قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: (بَلَى)، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: (بَلَى)، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: (إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي)، قُلْتُ: أَوَلَسْتَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: (بَلَى)، قَالَ: (أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ)؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: (فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُتَطَوِّفٌ بِهِ)، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيُّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ.

ما الذي حصل في صلح الحديبية حتى يقول سيدنا عمر رضي الله عنه هذا الكلام لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ اسمع يا أخي الكريم ماذا تُحدِّثنا السيرة العطرة عن صلح الحديبية.

أرسلت قريش سهيل بن عمرو ممثلاً عنها ليكتب بينهم وبين المسلمين كتاب الصلح، فلما جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب ـ وكان الكاتب علياً رضي

الله عنه فيما رواه مسلم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل: أما (الرحمن) فوالله ما أدري ما هي؟ ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال المسلمون: والله لا نكتب إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اكتب باسمك اللهم)، ثم قال: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب (محمد بن عبد الله) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والله إني لرسول الله وإن كذبتموني)! اكتب محمد بن عبد الله. وفي رواية مسلم: فأمر علياً أن يمحوَها، فقال علي: لا والله لا أمحوها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرني مكانها)، فأراه مكانها فمحاها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (على أن تخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به)، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أُخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام القادم، وليس مع المسلمين إلا السيوف في قِرابها، فكتب، فقال سهيل: وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، ومن جاء منكم لم نردَّه عليك، فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ والتفتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه: أتكتب هذا يا رسول الله؟ قال: (نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً). ما هذا الصلح؟ في ظاهر الأمر الشروط تُملى من طرف واحد، ولحساب طرف واحد ألا وهو المشركون، فأيُّ صلح هذا فيما يراه البشر؟ إنَّه

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا دين الله، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله}. {فَأَتَاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}.

وحقاً قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة وقلوبُ الصحابة تغلي، وما هو إلا أن نزلت سورة الفتح بكاملها:

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا* لِيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ الله نَصْرًا عَزِيزًا}. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر فأقرأه إياها، فقال: يا رسول الله أوَ فتح هو؟ قال نعم، فطابت نفسه.

نعم أيها الإخوة جرت سنة الله في خلقه أن يوطئ بين يدي الأمور التي تعلقت إرادته بإنجازها مقدماتٍ تُؤذِن بها وتدل عليها، وتذكَّروا أيها الإخوة ما قلته لكم في الأسبوع الماضي قول الله عز وجل: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِين * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِين * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُون}. عُلُوُّ فرعون كان سبباً لِمنَّة الله عز وجل على الذين استُضعِفُوا في الأرض فجعل منهم أئمة ووارثين ومكَّن لهم في الأرض، وأهلكَ فرعونَ وهامانَ وجنودَهما.

نعم أيها الإخوة، صلحُ الحديبية . بتلك الشروط القاسية التي كانت كلَّها في

ظاهر الأمر للمشركين وليس للمسلمين منها شيء. كان فتحاً مبيناً، كما قال علماء السيرة: ما فُتِح في الإسلام فَتْحٌ قبله كان أعظم منه.

صور من نصر الله لإخواننا في غزة:

وإن ما جرى في غزة هو نصر بحمد الله عز وجل، عَرفَ هذا من عَرَفَ وجهله من جهل، نعم ما جرى في غزة نصرٌ، قد يقول أحدنا أين هذا النصر مع الهدم والتَّقتيل والتَّحرِيق والتشريد؟

النصر في غزة تجلَّى في كشف حقائق الذين يجعلون من قضيةِ فلسطين قضيَّتَهم، ويجعلونها سبباً للمحافظة على كراسيهم وعروشهم وكلهم يراهن على هذه القضية، وأنه هو أبوها وأخوها.

فجاءت أحداث غزة فكشفت حقائق الأدعياء وفضحتهم على رؤوس الأشهاد، وخاصة من الحكام الخونة الذين انتعلهم اليهود والغرب.

أيها الإخوة: أنا لا أعرف الحديث عن السياسة، ولا أعرف التكلم فيها، ولكن أرجع إلى القرآن العظيم، لنأخذ منه الآيات الكريمة ونسقطها على أحداث غزة المنتصرة.

أولاً: قالت اليهود لسيدنا موسى عليه السلام عندما دعاهم إلى الجهاد: {فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون}. وهناك من قال للمقاومة مثل هذا الكلام: اذهبوا وقاتلوا إنا هاهنا قاعدون ننتظر، ماذا ينتظرون؟ ينتظرون أن تسلِّمهم اليهودُ قطاعَ غزة بعد القضاء على المقاومة فيها. وباؤوا بفضل الله عز

وجل بالفشل. أليس هذا نصراً؟

ثانياً: يحدثنا الله تعالى عن المنافقين الذين يُثَبِّطون هِمَمَ المجاهدين: {الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِين}. وهناك من قال للمقاومة في غزة مثل هذا الكلام، أنتم السبب في قتل الأبرياء وقتل الأطفال والنساء والشيوخ، وفي التهديم الذي حصل، إرجافٌ منهم، وهذا يذكرني بقول المنافقين لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، عندما بلغت القلوب الحناجر فقال أحدهم: (كانَ مُحَمّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَأَحَدُنَا الْيَوْمَ لا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إلَى الْغَائِطِ) رواه البيهقي. هكذا ظهرت الفتنة المنافقة التي باعت دينها بعرض من الدنيا قليل، فقالت للمقاومة مثل هذا القول. أليس هذا نصراً؟

ثالثاً: أحداث غزة فضحت أصحاب القلوب المريضة الذين هم حريصون كلَّ الحرص على كراسيهم وعلى عروشهم، فجعلوا رقابهم تحت نعال اليهود والغرب، وهذا ما أشار الله تعالى إلى مثله في قوله عز وجل: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى الله أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِين}.

قالوا لا طاقة لنا بقوة اليهود، ونخشى أن تصيبنا دائرة، خوفاً على كراسيهم وعروشهم، فوضعوا رقابهم تحت نعالهم، ونافقوا لهم، أليس هذا نصراً، حيث فُضِحَ هؤلاء الأدعياءُ الذين يتاجرون في قضية فلسطين؟

ونسي هؤلاء أن اليهود لا يرعون إلاًّ ولا ذمةً، مصلحتُهم فوق كل شيء، قد ينتعلون أحدَهم، فإذا انتهت مهمته قتلوه، وأنا لا أريد أن أذكر الأسماء، هم الذين يقتلون من نافق لهم، ويقتلون من عاداهم، قتلوا من انتهت مهمته عندهم من المنافقين لهم، ويقتلون من وقف في وجههم، فهذا ذهب بالشرف والفخار، وذاك ذهب بالخزي والعار، هذا سجَّل له التاريخ تاريخه، وذاك سجل التاريخ تاريخه، هذا تاريخه مشرقٌ ومشرِّفٌ رَبِحَ الدنيا والآخرة، وذاك تاريخه أسودٌ وعارٌ عليه خسر الدنيا والآخرة.

أيها الإخوة: هناك من يقول أن الحرب لم تكن لصالح المقاومة؟

أقول لهؤلاء المرجفين: إن لم تكن نصراً للمقاومة فأيُّ نصر كان لليهود في غزة؟ هل بقتل الأبرياء وقتل النساء والأطفال والشيوخ العزَّل وتهديم البيوت حقَّقوا نصراً؟ هؤلاء الجبناء الذين وصفهم الله تعالى بقول: {لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُون}. فعلوا ما فعلوا من خلال الطيران ومن خلال المدرعات التي حبسوا فيها أنفسهم، وفتح لهم العالم أبوابه داعماً لهم، وحوصرت المقاومة وأهلُ غزة ومُنِع عنهم لا أقول السلاح بل الطعام والشراب والدواء، ومع ذلك ولَّى اليهود أدبارهم، وما استطاعوا على المقاومة، وأوقفوا الحرب من جانبهم، أوقفوا إطلاق النار من جانبهم فقط، مع أن السلاح الذي قاتلوا فيه هؤلاء العزَّل هو سلاح لا يكون إلا في قتال جيوش مع بعضهم البعض.

وهذا يذكِّرني أيها الإخوة بموقعة أحد، التي كانت في ظاهر الأمر انتصاراً للمشركين على المسلمين، ولكن العجيب أن نرى المنتصر ولَّى دبره وبقي المهزوم في داره، وتبعهم النبي صلى الله عليه وسلم مع الذين خرجوا معه في أحد حتى وصلوا إلى حمراء الأسد، وسمع جيشُ قريش بهم فولى مدبراً، فأيُّ نصر كان لهؤلاء المشركين؟ وأيُّ نصر كان لليهود في غزة؟ والمقاومة هي المقاومة بحمد الله عز وجل، واسأل الله تعالى الثبات لهم؟

الدرس الذي يجب علينا أن نأخذه:

أيها الإخوة الدرس الذي يجب علينا أن نأخذه من أحداث غزة، وأن يأخذه قادة المسلمين والعرب مع شعوبهم، هو قوله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ}. لا بدَّ من الإعداد، وأول الإعداد هو قوَّة العقيدة، إعداد عَقَدي، إعداد إيماني بقوله تعالى: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ الله لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون}. إعداد إيماني بقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله}. إعداد إيماني بان الآخرة هي دار القرار، إعداد كما قاله سيدنا خالد رضي الله عنه لقادة الروم: (والله الذي لا إله إلا هو لأسيرنَّ إليكم بقوم يحبون الموت كحبكم الحياة) رواه ابن أبي شيبة. لا إعداد مادي فقط، لأن القوَّة بدون عقيدة لا قيمة لها، فالقوة لا تجعل حقاً، ولكن الحق هو الذي يجعل القوة.

وعلى رأس هذا الإعداد الصلةُ مع الله تعالى، والتي تتمثل بالصلاة، التي هي

صلة بين العبد وربه، فيا أيها القادة، يا أيها الحكام ، يا أيتها الشعوب، الصلاةَ الصلاة.

هذا هو الإعداد الحقيقي أولاً، ثم الإعداد المادي على قدر الاستطاعة، أما إذا ظننا أن الإعداد يكون بالقوة فقط دون الإعداد العقدي فقد أخطأنا الحساب، لأن الوصول إلى إعداد مادي كإعدادهم يحتاج إلى زمن طويل، وربما أن لا نصل إلى ما وصلوا إليه، ولكن نعدُّ على قدر الاستطاعة بعد الإعداد العقدي ونحن على يقين {وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ}.

ومن الإعداد اليوم الجهاد بالمال، فباب الجهاد بالمال مفتوح، وتذكروا أيها الإخوة قَولَ النَبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ فَقَدْ غَزَا) رواه مسلم.

باب الجهاد مفتوح لماذا لا تلِجوه؟ وماذا تنتظرون؟ هل ينتظر أحدكم أن تزهق روحه ليقول حينها: { رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}؟ هل تنتظرون أن تزهق الروح ليقول الواحد عندها: {رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِين}؟

أيها الإخوة جاهدوا بأموالكم فالباب مفتوح، وجزى الله خيراً من فتح هذا الباب في بلدنا، وإن سألتم هل يجوز أن نجعل زكاة أموالنا لإخواننا في غزة من أجل المنكوبين من أجل المقاومة؟ أقول لكم: نعم أيها الإخوة يجوز، ونص القرآن

واضح، قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيم}. والمقصود بقوله: {وَفِي سَبِيلِ الله} هو الجهاد.

ولكن أريد منكم أيها الإخوة أن تتركوا الزكاة لإخوانكم الفقراء في بلدكم، وأن تجعلوا مثل زكاة أموالكم لإخوانكم في غزة، أوما تذكرون أيها الإخوة عندما بايع النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة على النفقة في الفقر والغنى، حيث يقال: (تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمْ الْجَنَّةُ) رواه أحمد والبيهقي والحاكم وابن .

أسأل الله عز وجل أن يوفِّقنا للجهاد بالمال وبالنفس، وأن تكون أعمالُنا خالصةً لوجه الله عز وجل، وأن يرينا آثار هذا الفتح والنصر عاجلاً غير آجل. إنه سميع مجيب. أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفري

104- **خطبة الجمعة**: **مستقبلك في الآخرة متوقِّف على موقفك في الدنيا**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

في هذه الخطبة المباركة إن شاء الله تعالى في اليوم المبارك أجعل خطبتي هذه آخر الخطب عن الواقع المرير الذي تعيشه أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جُسِّد تجسيداً واضحاً في أحداث غزة الجريحة.

في هذه الخطبة أتوجَّه إلى كل كبير وصغير فينا، وإلى كل رجل وامرأة، وإلى كل قويٍّ وضعيف، وإلى كل غني وفقير، وإلى كل حاكم ومحكوم، وإلى كل طائع وعاصٍ، وإلى كلِّ مؤمن وكافر، إلى جميع شرائح المجتمع بدون استثناء من القمة إلى القاعدة، أتوجَّه إلى نفسي أولاً ثم إلى الجميع ثانياً، لأقول لنفسي ولكم جميعاً:

الموت يعمُّنا:

أولاً: أيها الإخوة الكرام: الموت يعمُّنا، والقبر يضمُّنا، والقيامة تجمعنا، والله عز وجل يفصل بيننا.

من خلال الواقع المرير الذي تعيشه الأمة أخاطب نفسي، وأخاطب الجميع، الموت لا بدَّ منه طال العمر أم قصر، كما أن الليل مهما طال فلا بدَّ من الفجر،

كذلك العمر مهما طال فلا بد من القبر، ومستقبلنا في دار البقاء متوقِّف على موقفنا في دار الفناء، فوجودنا في الدنيا له تأثير كبير وخطير على مستقبلنا الأبدي.

من أيِّ الفريقين نحن في دار البقاء؟ قال مولانا عز وجل: {فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا}. ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم قال: (عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزَّه استغناؤه عن الناس) رواه الحاكم والطبراني في الأوسط.

لذلك أذكِّر نفسي وأذكِّركم ببعض من آيات الله عز وجل، قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور}. وقال تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُون * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُون}. قال تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون}.

فمصير كل مخلوق حيٍّ إلى الموت، وهذا ما أكَّده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (عش ما شئت فإنك ميت).

ويقول الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه:

كل امرئٍ مصبِّحٌ في أهله *** والموت أدنى من شراك نعله

حال الناس عند سكرات الموت:

أيها الإخوة: الموت لا بُدَّ منه ولا يختلف في ذلك اثنان عاقلان، ولكن الناس عند الموت على أصناف منهم ضاحك مسرور مستبشر، ومنهم متحسِّر نادم يسأل الرجعة والعياذ بالله تعالى، لذلك لنسمع طرفاً من آيات الله عز وجل عن بعض الناس عند سكرات الموت التي هي المحطّة الأخيرة والأنفاس الأخيرة من هذه الحياة الدنيا

الفانية للانتقال إلى عالم البرزخ. يقول الله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}. ويقول تعالى: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيد * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيد * وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيد * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد}. أين المفرُّ أيها الإخوة وربُّنا عز وجل يقول: {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}.

ليتذكَّر الخونة الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل. وهم يشاهدون دماء الأطفال ودماء النساء ودماء الشيوخ الأبرياء، وهم يشاهدون الدَّمار الذي حلَّ بأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في غزة الحبيبة، ليتذكَّر هؤلاء الذين كانوا حريصين على كراسيهم وعروشهم ولو على حساب دينهم. قولَ الله عز وجل وهو يحدِّثنا عن هؤلاء الظالمين وهم في غمرات الموت، يقول تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُون * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ}.

أنت أيها الخائن الظالم، أنت ما ظلمت أهل غزة في عدم انتصارك لهم، بل أنت في الحقيقة ظلمت نفسك، لأن المظلوم من أهل غزة إما شهيد حيٌّ عند ربِّه يرزق، فرح بما آتاه الله إن شاء الله تعالى، وإما هو منتظر وعد الله تعالى الذي لا يُخلَف: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا}.

أنت أيها الخائن الظالم، ما ظلمت إلا نفسك، تذكَّر قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ

صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيد}.

أيها الظالم يا من يعيش في هذه الحياة الدنيا بحماية من الناس، بحراسة من الناس، برعاية من الناس، تذكَّر بأنك سترجع إلى الله وحيداً فريداً {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُون}.

عندما وُلِدت وُلِدتَ وحيداً، وعندما تموت تموتُ وحيداً، وعندما تُقبَر تُقبَرُ وحيداً، وعندما تُبعَثُ تُبعَث وحيداً، أين جيوشك؟ أين مدرَّعاتك؟ أين حُرّاسك؟ أين خُدَّامك؟ أين الذين نافقوا لك؟ أين الذين هتفوا باسمك؟

لقد شاهد جيلنا كيف يموت الرؤساء؟ وكيف يموت الحكام؟ وكيف يموت الملوك؟ وكيف يدخلون قبورهم بعد أن تبعهم مالهم وأهلهم وعملهم، فرجع اثنان وبقي واحد، كما قال صلى الله عليه وسلم: (يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ) رواه البخاري ومسلم.

تذكَّر أيها الظالم أنك ستترك ما خوَّلك الله من نعم، ستترك هذه النعم التي ما عرفت استغلالها في التقرب إلى الله تعالى، بل استغللتها لتكون حجاباً بينك وبين الله، وظننت أنك ورثتها كابراً عن كابر، كما قال ذلك الطاغية: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي}، ستترك هذه النعم، كما قال تعالى في حقِّ آل فرعون: {كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُون * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيم * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِين * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِين * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِين}.

هؤلاء الخونة ما تذكَّروا حقيقة هذه الآية، ما اعتبروا من فرعون الذي استغلَّ النعمة في معصية الله حتى قال ما قال، ثم بعد ذلك ترك ما خوَّله الله وراء ظهره

ليصل إلى غيره، ولكنَّ غيره كان أحمق منه، فتجاهل وتناسى قول الله عز وجل في حقِّ فرعون: {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُون}.

حال الناس بعد الموت:

أيها الإخوة: تذكَّروا الموت، وتذكَّروا سكرات الموت، وأسأل الله تعالى أن يهوِّن علينا سكرات الموت، ويجعلنا من الفرحين المستبشرين عندها، لا من النادمين المتحسِّرين الذين يسألون الرجعة، تذكَّروا أيها الإخوة ما بعد الموت، تذكَّروا بعض آيات من القرآن الكريم عندما تحدِّثنا عما بعد الموت، يقول الله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيد * وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيد * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد}.

ويقول تبارك وتعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُون * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُون * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُون * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُون * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّين * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُون * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُون}.

تدبَّروا أيها الإخوة قول الخونة الذين خفَّت موازينهم يوم القيامة، وخسروا أنفسهم ماذا سيقولون لربِّنا عز وجل يوم القيامة، وهم قائلون هذا وربِّ الكعبة، لأن الله أصدق القائلين، قال تعالى عنهم: {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّين * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُون}، سيعترفون في دار الجزاء، ولكن هيهات، الاعتراف والندم ينفع إذا كان في دار الفناء، أما في دار البقاء فلا، قال تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ

إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

أيها الخونة: ما زال باب التوبة مفتوحاً أمامكم، استغلُّوا أنفاسكم الأخيرة، وأصلحوا ما أفسدتم فإن الله يقبل التوبة، ألم يرسل الله عز وجل سيدنا موسى عليه السلام إلى فرعون؟ قال تعالى: {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} ووالله لو تاب فرعون وصدق في توبته لقبل الله توبته، ولكنه الإصرار والعناد، فهل أنتم على قدمه في الإصرار والعناد؟ أم يتحرَّك فيكم وازع الإيمان فتتوبوا إلى الله عز وجل قبل موتكم؟

تذكَّروا أيها الإخوة: ما هو الجواب لهؤلاء الخونة الذين إذا ماتوا على خيانتهم ولم يغفر الله لهم، عندما قالوا: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُون}ما هو الجواب؟ الجواب: {قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُون}.

حدِّد موقفك في الدنيا:

أيها الإخوة الدنيا مواقف، فمن وقف موقفاً مشرِّفاً في دار الفناء فاز في دار البقاء، والعكس بالعكس، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون * وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُون * وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِين * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاَءِ لَضَالُّون * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِين}، هذا موقفهم في دار الفناء من موقف المؤمنين فيها، فما هو الموقف في دار البقاء للفريقين؟ قال تعالى: {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُون * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُون * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُون}.

حدِّد موقفك واثبت على الحق مهما لاقيت في دار الفناء فإنما هي ظلٌّ زائل وعرَض حائل.

تذكَّروا أيها الإخوة آية من آيات الله تحدِّثنا عن بعض العباد فيما بعد الموت، قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم

مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُور * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِير}، كانوا في الحياة الدنيا يظنون أنهم خالدون فيها، فكفروا بالله وكفروا بيوم القيامة، فكانوا بعد الموت في نار جهنم وهم يصطرخون فيها، تصوَّرْ صراخ هؤلاء في نار جهنم، يا سبحان الله الجزاء من جنس العمل، كان الناس يصطرخون من نيرانهم في غزة وفي غيرها، والخونة ينظرون وينتظرون وعد الكافرين لهم بمال وجاه وسلطان وكراسي وحُكم، ولكن تناسوا قول الله عز وجل: {جَزَاء وِفَاقًا}، فإذا هم في نار جهنم يصطرخون ولا مغيث، ويأتي الجواب: {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِير}.

لا يستوون عند الله:

أيها الإخوة: تذكَّروا قول الله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُون}، وقوله تعالى: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيم * أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِين * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون}، وقوله تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَة * وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَة * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَة * وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَة * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَة * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَة * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيه * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة * فِي جَنَّةٍ عَالِيَة * قُطُوفُهَا دَانِيَة * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَة * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوه}.

هل يستوي عند الله الذي باع دينه بعرض من الدنيا قليل في سبيل كرسيه وعرشه ودنياه الفانية مع الذي باع ماله ونفسه في سبيل الله ليشتري من الله الجنة التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: (أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ) رواه الترمذي؟ هل يستوي من اشترى الدنيا بالآخرة مع الذي اشترى الآخرة بالدنيا؟ قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم}.

هؤلاء كانوا في عيشة راضية من عالم الدنيا وفي عالم البرزخ حيث هم أحياء في قبورهم، كما قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِين}، وهم في عيشة راضية في الآخرة {فِي جَنَّةٍ عَالِيَة * قُطُوفُهَا دَانِيَة * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَة}.

أما فريق الخونة فما هي نتيجتهم؟ قال تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوه}، ماذا نفعه ماله الذي كدَّسه في البنوك ولم يكن له من ماله إلا ما أكل فأفنى ولبس فأبلى؟ ماذا نفعه كرسيّه وحَرَسه؟

خاتمة أسأل الله تعالى حُسنَها:

أيها الإخوة الكرام: تذكَّروا قول الله تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُون}، وتذكَّروا قول الله تعالى: {أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى}.

أيها الإخوة: الالتزامَ الالتزامَ بكتاب الله، فالموت يعمُّنا، والخونة لا يفرِّقون بيننا، فمن نافق لهم قتلوه في نهاية المطاف، ولم يكن قتله مشرِّفاً له، ومن وقف في وجههم

قتلوه كذلك ولكن نال شرف الشهادة كالشيخ أحمد ياسين رحمه الله تعالى، هذا قتلوه وذاك قتلوه، فمن هو الرابح؟

هؤلاء الخونة قالوا: {لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} فلا تثقوا بهم.

يا رب هناك من عبادك من أقسم جهد أيمانه أنك لن تبعث من يموت كما قلت عنهم: {وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ} وإننا يا رب نقسم جهد أيماننا بأنك ستبعث من يموت، فلا تسود وجوهنا في ذلك اليوم الذي قلت فيه: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُون * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون}.

نسألك يا ربنا بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تبيِّض وجوهنا يوم القيامة، وأن تثبِّتنا في الحياة الدنيا، لأنّا على يقين بأنَّ رزقنا مقسوم، حيث أخبرَنا نبيُّنا صلى الله عليه وسلم بقوله: (وإن روح القدس نفث في روعي، وأخبرني أنها لا تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها، وإن أبطأ عنها، فيا أيها الناس، اتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدَكم استبطاءُ رزقه أن يخرج إلى ما حرم الله عليه، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته) رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة. نسألك أن تعيننا على التقوى حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.

فحدِّد موقفك في الدنيا فمصيرك يوم القيامة موقوف عليه، أقول هذا القول وأستغفر الله.

** ** **

106- **خطبة الجمعة**: (**أيها المضطرب القلق**)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

فيا عباد الله: عصرُنا الذي نعيش فيه عصرُ الاضطرابِ والقلق النفسيِّ، لا عصرُ الراحةِ والاطمئنان، الكلُّ في اضطراب إلا من رحم ربي عز وجل، الحاكم والمحكوم في اضطراب، القوي والضعيف في اضطراب، السليم والمريض في اضطراب، الغني والفقير في اضطراب.

مجتمع ساد فيه الاضطراب والقلق والفوضى، لا يعر ف الواحد منهم ماذا يريد، تراه شارد الفكر والبال، يريد الراحة ولا يجدها، يريد الاطمئنان ولا يجده، يريد السكن ولا يجده، بحث عن ذلك في المال فلم يجده، بحث عنه في الجاه فلم يجده، بحث عنه في العلاقات مع الجنس الآخر فلم يجده، بحث عنه في الغناء والطرب والليالي الحمراء فلم يجده، بحث عنه في شرب المسكرات والمخدِّرات فلم يجده.

وإني أقول للمجتمع: ابحث عن ذلك ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فلن تجد ذلك إلا في كتاب ربك، إلا في هدي ربك الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا}.

أيها المجتمع بكلِّ طبقاته: والله مهما بحثت وفتَّشت عن الاطمئنان والسكن والراحة

في غير الهدي الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلن تجده، بل لن تزدادَ إلا خوفاً وقلقاً واضطراباً، وذلك ليتحقَّق قوله تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا}. وليتحقَّق قوله تعالى: {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ}.

أيها المجتمع بكلِّ طبقاته: العاقلُ من اعتبر بغيره، العاقلُ من استفاد من خبرة غيره، العاقلُ من اتَّعظ بغيره، أيها المجتمع الحبيب: انظر إلى الغرب، لقد فتح الله عليه أبواب كل شيء. وأقول عليه لأوافق كلمات القرآن العظيم. حيث قال تعالى: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ}، وإذا فتح الله عليهم أبواب كل شيء، فهو عليهم غُرمٌ لا غُنمٌ، فهل تحقَّق لهم ما أرادوا من سَكَنٍ وطمأنينة وراحة بال وسلامة بدن؟

أيها المجتمع: اعتبر من الغرب القَلِقِ المضطربِ الفوضوي، حيث هناك المال والنساء والمخدرات والمسكرات والملهيات، وإلى جانب ذلك الأطباءُ النفسانيون الذين انتشروا في ربوع الغرب من أجل علاج القلق والاضطرابات، ومع كل هذا فالاضطرابات في ازدياد لا في نقص، وعيادات الأطباء النفسانيين بدأت بالانتشار في بلادنا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إذا أردت الاطمئنان:

أيها المجتمع الكريم: إذا أردت حياة الاطمئنان والاستقرار الداخلي الذي هو سرُّ سعادتك، بكلِّ بساطة وصراحة أقول لك آيةً واحدةً من كتاب ربك عز وجل تحقق لك هذا الذي تبحث عنه: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ}.

أيها المضطرب، أيها القلق، كن من الساجدين، كن من الراكعين، كن من المصلين، أيها الحاكم القلق المضطرب كن من الساجدين الراكعين المصلين، أيها المحكوم، أيها الغني، أيها الفقير، أيها الرجل، أيتها المرأة، أيها المضطربون القلقون كونوا من الساجدين الراكعين كونوا من المصلين.

إذا أردتم الاطمئنان وهدوء البال، وأن يكون تفكيرُكم سليماً صحيحاً فكونوا من الساجدين، إذا أردتم المسار الصحيح إلى حياةٍ طيبةٍ فكونوا من الساجدين، إذا أردتم سلامة أبدانكم فكونوا من الساجدين، إذا أردتم الخير للعباد والبلاد فكونوا من الساجدين، انخرطوا مع الكون الساجدِ كلِّه لله عز وجل كما قال تعالى: {وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا}. وقال تعالى: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَان}. ولا تشذَّ عن الكون، فمن شذَّ شذَّ في النار.

أيها الحاكم أدعوك للسجود لله عز وجل، أيها الطالب أدعوك للسجود لله عز وجل، أيها التاجر أدعوك للسجود لله عز وجل، أيها العازب أدعوك للسجود لله عز وجل، أيها الغني أدعوك للسجود لله عز وجل، أيها الفقير أدعوك للسجود لله عز وجل. أيها المريض أدعوك للسجود لله عز وجل.

حصاد السجود عاجل:

أيها الإخوة: حصاد السجود عاجل لا آجل قال تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُون * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِين}.

هذا سيدنا يونس عليه السلام يقول الله تعالى فيه: {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِين}. انتبه إلى قوله تعالى: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ}. الفاء تفيد التعقيب، فأثر السجود عاجل وليس بآجل.

وهذا سيدنا زكريا عليه السلام يقول الله تعالى فيه: {قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء * فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِين}. من اتَّصل بربه كان مستقرّاً مطمئنّاً لا يخاف إذا خاف الناس، ولا يحزن إذا حزن الناس،

من اتصل بربه كان سعيداً آمناً، وكان في حفظ الله وكنفه.

هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلقاً؟

أيها الإخوة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاقى أشدَّ مما يلاقيه الناس اليوم، حُوصِر في الشعب أعواماً، ضُيِّق عليه أشدَّ التضييق، قالوا عنه ساحر ومجنون، اتهموه في عرضه، قتلوا أصحابَه، أخرَجوه من مكة المكرمة، جَمَّعوا له الجموع، اتَّفق المشركون وأهلُ الكتاب والمنافقون عليه، وتآمروا عليه، ومع كلِّ هذا كان مطمئناً ساكناً، ولم يكن قلقاً مضطرباً، ما السرُّ في ذلك؟

السرُّ في هذا هو امتثاله لأمر ربه عز وجل القائل له: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِين}. والقائل له: {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب}. والقائل له: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّل * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً}.

كان صلى الله عليه وسلم مستقرَّ البال والفؤاد والعقل لأنَّه كان من المصلِّين لله عز وجل، من الراكعين الساجدين، لأنَّه كان يقول صلى الله عليه وسلم: (وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ) رواه أحمد. لذلك (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى) رواه أحمد وأبو داود.

كيف كانت صلاته صلى الله عليه وسلم؟

أيها الإخوة: رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مطمئناً راسخاً لأن الصلاة كانت قرَّةَ عينٍ له، فكان يقوم من الليل حتى تتورَّم قدماه، فتقول له السيدة عائشة رضي الله عنها: لِمْ تصنعُ هذا يا رسولَ اللَّهِ وقدْ غفَرَ اللَّه لَكَ مَا تقدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وما تأخَّرَ؟ فَقَالَ: (أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا) رواه مسلم.

ويحدثنا سيدنا حذيفة رضي الله عنه عن صلاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى فَقُلْتُ: يَرْكَعُ

بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ) رواه مسلم.

وفي رواية النسائي: (لا يَمُرُّ بِآيَةِ تَخْوِيفٍ أَوْ تَعْظِيمٍ لِله عَزَّ وَجَلَّ إِلا ذَكَرَهُ).

فنحن بحاجة إلى صلة مع الله تعالى؟

أيها الإخوة: نحن بحاجة إلى صلة مع الله تعالى، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فيا من يريد الاطمئنان والسكينة وراحة البال وسلامة البدن كن من الساجدين.

لا أقول حافظ على الفرائض فقط، ولكن أقول لك ما قاله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة عز وجل: (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ) رواه البخاري.

يا من يريد الطمأنينة والسكينة حافظ على سنن الرواتب، حافظ على السنن القبليَّة والبعديَّة، حافظ على صلاة الضحى وصلاة الأوابين وصلاة قيام الليل وصلاة التهجد ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، كن من الطائفة التي قال عنها مولانا عز وجل: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ}. كن مع هذه الطائفة التي سجدت لله تعالى مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكون في كنف الله عز وجل.

خاتمة نسأل الله حسنها:

عبادَ الله: علاج القلق والاضطراب هو: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ}.

فالسجود لله عز وجل هو سرُّ سعادتنا، وليست العلاقات بين الجنسين أو الغناء أو الليالي الحمراء علاجاً للقلق والاضطراب.

أيها الحاكم مُرْ بذلك شعبك، أيها المحكوم مُرْ بذلك إخوانك، أيها الأب مُرْ بذلك أبناءك، أيها الزوج مُرْ بذلك زوجتك. بسم الله الرحمن الرحيم {وَالْعَصْر * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْر * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر}.

فيا عباد الله: اصبروا على الطاعة، وعلى رأسها الصلاة وكثرة السجود، واصبروا عن المعصية، واصبروا على البلاء فهذا هو سرُّ سعادتنا، وإلا فنحن في خسارة وشقاء وقلق واضطراب.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

108- خطبة الجمعة: لماذا لا تكون سعيداً

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يجب علينا أن نعيش سعداء في هذه الحياة الدنيا، لأنَّ مولانا تبارك وتعالى خلق لنا قبل خَلْقِنَا، وأسبغ علينا نعماً لا تُعدُّ ولا تُحصى، وسخَّر لنا ما في السموات والأرض، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}.

يا عباد الله: لماذا لا يعيش الإنسان المؤمن سعيداً وهو عند الله تعالى أعظم من الكون كله؟ لماذا لا يعيش سعيداً والكون كُلُّهُ خُلِقَ من أجله؟ لماذا لا يعيش سعيداً وهو عند الله عز وجل أعظم من الكعبة المشرَّفة؟ عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: (لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة، فقال: مرحباً بك من بيت ما أعظمك، وأعظم حرمتك، وللمؤمن أعظم عند الله حرمة منك) رواه البيهقي.

نعم أيها الإخوة: نحن سعداء ولسنا بأشقياء، نحن سعداء بهذا الدين العظيم الذي منَّ الله علينا بالإيمان به، قال تعالى:{بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ}.

نحن سعداء لأنَّ الله تعالى أراد بنا خيراً عندما شرح صدورنا للإسلام، قال تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ

صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُون}.

أسباب سرِّ سعادتنا:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ من أسباب سرِّ سعادتنا:

أولاً: إننا نعلم بأنَّ الله تعالى يعاملنا برحمته وحِلمه لعلمه بحالنا وبالجِبِلَّة التي جَبَلَنا عليها، فالإنسان بشكل عام ظلومٌ كفَّار، الإنسان بشكل عام لربه كَنُود، الإنسان بشكل عام خُلق هلوعاً، إذا مسَّ الشر جزوعاً، وإذا مسَّه الخير منوعاً، الإنسان بشكل عام خُلق ضعيفاً، الإنسان بشكل عام خُلق فقيراً، الإنسان بشكل عام خُلق قتوراً، الإنسان بشكل عام إذا أنعم عليه مولانا أعرض ونأى بجانبه.

فالله تبارك وتعالى يتعامل مع خلقه من خلال ما علم من تكوينهم، فهو حليمٌ بهم رحيمٌ بهم لا يعجل ربنا عز وجل، يُمهِل ولا يُهمِل، عرَّفهم تبارك وتعالى على بعض صفاته، فقال آمراً للنبي صلى الله عليه وسلم أن ينبِّئنا بأنَّه غفور رحيم فقال تعالى: {نَبِّءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيم * وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيم}. وقال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون}. وقال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين}. وقال آمراً نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لنا جميعاً: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُون}. وقال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُون * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ}. وقال تعالى: { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ

وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيم}.

وعرَّفنا النبي صلى الله عليه وسلم على بعض صفات ربنا عز وجل، روى الإمام البخاري عَنْ سيدنا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ تَسْعَى قَدْ تَحَلَّبَ ثَدْيُهَا، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: (لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا).

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي).

وروى الإمام مسلم عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ).

أيها الإخوة: لما لا نكون سعداء والله يخاطب كلَّ فرد منا بقوله في الحديث القدسي: (يا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لأَتَيْتُكَ بِقُرابِهَا مَغْفِرَةً) رواه مسلم.

لماذا لا نكون سعداء؟ وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لما رأى إبراهيمُ عليه السلام ملكوتَ السموات والأرض أبصرَ عبداً على خطيئة فدعا عليه، ثم أبصرَ عبداً على خَطيئةٍ فدعا عليه، فأوحى الله عز وجل: يا إبراهيم، إنَّكَ عَبْدٌ مُستجابُ الدَّعوةِ، فلا تَدْعُ على أحدٍ، فإنِّي مِنْ عَبْدِي على ثلاثٍ: إمَّا أنْ أُخرجَ من صُلْبِهِ ذُرِّيَّةً يَعْبُدونَني، وإمَّا أن يتوبَ في آخرِ عُمُرِهِ فأتوبَ عليه، وإمَّا أن يَتَوَلَّى

فإنَّ جهنَّمَ من ورائِهِ) رواه البيهقي في شعب الإيمان والطبراني وابن مردويه وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه علي بن أبي عبد الله اللهبي وهو متروك.

إذاً نحن سعداء لأنَّ الله عليم بنا بأنَّنا عصاة مذنبون، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه أحمد. ونحن عالمون بأنَّ الله تعالى غافر الذنب وقابل التوب، نحن عالمون بأنَّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل كما جاء في الحديث الشريف: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) رواه مسلم.

ويقول صلى الله عليه وسلم: (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ) رواه مسلم.

ثانياً: أن جعلنا الله تعالى من أهل القرآن العظيم، قال تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرِ}. رغم أنَّك ظالم لنفسك فأنت من المصطفَين عند الله تعالى ما دُمت تُقرُّ بأنَّ الذنب ذنبٌ، ويجب تركه، وأنَّ الحسنة حسنةٌ يجب فعلها، لأنَّه يجب علينا أن نؤمن أولاً بأنَّ الحلال ما أحلَّه الله تعالى والحرام ما حرَّمه الله تعالى، وذلك لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُون}.

فإذا ظلمتَ نفسك بترك طاعة أو بفعل معصية ثم ندمت وتبت إلى الله واستغفرت الله تعالى من تركك الطاعة وفعلك المعصية فأنت من المصطفَين، لماذا لا نكون من السعداء ونحن من أهل القرآن العظيم؟ ونرجوه أن يجعلنا من السابقين بالخيرات.

ثالثاً: أن عَرَّفنا النبي صلى الله عليه وسلم بأنَّ جهة التأثير واحدة سلباً أم إيجاباً، نفعاً أم ضُراً، خفضاً أم رفعاً، عزاً أم ذُلاً، وذلك من خلال ما قاله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: (يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) رواه الترمذي.

نحن نعلم بأنَّ جهة التأثير واحدة، لذلك نقول دائماً وأبداً مخاطبين ربنا عز وجل:

لئن التجأ غيرُنا إلى غيرِك فنحن الذين لا نلتجئ إلا إليك.

ولئن اعتمد غيرُنا على غيرِك فنحن الذين لا نعتمد إلا عليك.

ولئن وثق غيرُنا بغيرِك فنحن الذين لا نثق إلا بك.

ولئن عبد غيرُنا غيرَك فنحن الذين لا نعبد سواك.

ولئن أَقْبَلَ غيرُنا على غيرِك فنحن الذين لا نُقْبِلُ إلا عليك.

ولئن أحبَّ غيرُنا غيرَك فنحن الذين لا نحبُّ سواك.

وجوب إظهار سعادتنا بهذا الدين:

أيها الإخوة: يجب علينا أن نُظْهِر سعادَتنا بهذا الدين، وأن تكون مظاهر سعادتنا ظاهرةً باديةً للآخرين، لأنَّا إذا كنا في حالة قلق واضطراب فما معنى الإيمان والعمل الصالح؟

أيها الإخوة: إذا كان حالنا الفزع والهلع والقلق والاضطراب، ثمَّ دعونا غيرَنا إلى الإسلام فلن يَقْبَلَهُ منا، لأنه سيقول: ماذا سأنتفع من الإسلام؟ إذا قلنا له: تنتفع من الإسلام بأن تكون حياتك طيبة، وذلك لقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}. فيقول لنا: أين حياتكم الطيبة؟

يقول لنا: دعوني بحالي فأنا أعيش حياة الشقاء والضنك أبحث عن سر سعادتي، فإذا لم أر أثر السعادة عليكم في دينكم فكيف أعتنق هذا الدين؟

أيها الإخوة: يجب أن نكون دعاةً إلى الله تعالى من خلال السعادة الحقيقية التي يعيشها المسلم، يجب أن نكون دعاة إلى الإسلام من خلال القول والعمل والحال، كما قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِين}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: يجب أن نكون سعداء، لأنَّ الله تعالى يعاملنا من خلال الجِبِلَّة التي جَبَلَنا عليها، ومن خلال صفة الرحمة التي اتصف بها، يجب أن نكون سعداء لأننا على يقين بأنَّ جهة التأثير واحدة، فالله هو المعطي والمانع والخافض والرافع والمعزُّ والمذلُّ، وكل ذلك بحكمة. يجب أن نكون سعداء لأنَّ الله اصطفانا وجعلنا من أهل القرآن.

يجب أن نكون سعداء وأن نُظهر سعادتنا بهذا الدين حتى نكون دعاة إليه لا منعزلين منه، لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل رجل من المسلمين على ثغر من ثغور الإسلام، اللهَ اللهَ أن يُؤتى الإسلامُ من قبلك) رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة.

أسأل الله تعالى لي ولكم عزَّ الطاعة، وسرورَ الطاعة، وفرحَ الطاعة، وأن يجعلنا وإياكم هادين مهديين. أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** *

١٠٩ خطبة الجمعة: نعمة يتمناها العبد الكافر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

خلاصة الخطبة الماضية:

ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأنه كيف لا نكون سعداء وقد منَّ الله عز وجل علينا بأعظم نعمتين، النعمة الأولى نعمة الإيمان، والنعمة الثانية نعمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أكرمنا الله به فكان سبباً للنعمة الأولى؟

فنحن سعداء بنعمة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله.

نحن سعداء لأنَّ الله تعالى يعاملنا بالحلم والرحمة لأنَّه علم ضعفنا وعجزنا والجِبِلَّة التي جَبَلنا عليها.

نحن سعداء لأنَّ الله جعلنا من أهل القرآن العظيم.

نحن سعداء لأنَّنا عرفنا بأنَّ جهة التأثير واحدة، {قُلِ اللهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}.

ماذا يتمنى الكافر عند موته؟

أيها المؤمنون: وها أنا أتابع معكم في هذه الخُطبة هذا الموضوع لأؤكد لكم بأنَّه يجب علينا أن نكون سعداء بنعمة هذا الدِّين الذي منَّ الله به علينا فحبَّبه إلينا

وزيَّنه في قلوبنا، وشرح صدرنا للإسلام، لأنَّ هذا ما يتمنَّاه العبد الكافر عند موته، فهذا فرعون في أنفاسه الأخيرة أراد أن يحقِّق لنفسه هذه السعادة فأعلن الإيمان وأظهر الإسلام ولكن بعد فوات الوقت.

لماذا قال فرعون: {آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِين}؟ لأنَّه صار على يقين بأنَّ السعادة لا تكون إلا من خلال الإيمان والإسلام، وليست السعادة بالمال والسلطان، ولسان حاله كان يقول: {يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه}. ماذا نفعه مالُه وسلطانُه الذي قال عنه: {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُون}.

أيها الإخوة الأعزاء: الكافر يتمنَّى عند سكرات الموت أن يحظى بالنعمة التي أكرمنا الله عز وجل بها، يتمنَّى أن يكون من المسلمين، قال تعالى: {الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِين * رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِين}.

هذا التمنِّي سيحدث لكل عبد كافر بدون استثناء عندما تأتي أحدَهم سكراتُ الموت، كما قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون}.

لماذا لا نكون سعداءَ أيها الإخوة ونحن قد أكرمنا الله بنعمة يتمناها كل عبد كافر عند سكرات الموت؟ نسأل الله تعالى أن يثبِّتنا بالقول الثابت.

نعم يتمنى العبد الكافر هذا، وأما المؤمن فيقول إن شاء الله تعالى عندما تأتيه سكرات الموت: واطرباه غداً ألقى الأحبَّة محمداً وصحبه.

ماذا يتمنى الكافر في أرض المحشر؟

معشر المسلمين: لماذا لا نكون سعداء ونحن قد أكرمنا الله تعالى بنعمة يتمناها العبد الكافر لنفسه في أرض المحشر؟

قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا

وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُون}. عندما عاينوا الجنة والنارَ تَمنَّوا أن يُرْجِعَهم الله تعالى إلى دار الدنيا ليقدِّروا النعمة التي كانوا يحتقرونها، تَمَنَّوا أن يرجعوا إلى الدنيا ليكونوا من أهل الإيمان والعمل الصالح.

هؤلاء عندما عاينوا النار وسمعوا لها تغيُّظاً وزفيراً تَمَنَّوا هذا، ولكن هيهات: {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}.

هذا العبد عندما يرى الجحيم كما قال تعالى: {وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى}، وعندما يُؤتى بالنار ولها سبعون ألف زمام، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا) رواه مسلم، يتمنَّى عندها لو سُلِبَت منه جميعُ النِّعَم التي لا تعدُّ ولا تحصى، وأن يكون قد أُكرِمَ بالنعمة التي رُبَّما ما عرف قدرها بعضُ المسلمين اليوم.

يا عبادَ الله: لا يضِقْ صدرُكم إذا جاءت الابتلاءات والمصائب ما دُمتم تتقلَّبون بنعمة الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأنها نعمةٌ والله لا توازيها نعمة، فجميع النِّعَم إلى زوال في الحياة الدنيا، فإما أن تفارقَك وإما أن تفارقَها بالموت، إلا نعمة الإيمان بالله ورسوله التي يتمنَّاها العبد الكافر عند سكرات الموت، وفي أرض المحشر. عظِّموا هذه النعمة التي تتقلَّبون فيها منذ أعوام عِدَّة، في زمن يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي كافراً ويصبح مؤمناً.

اللهم يا من أكرمتنا بنعمة الإيمان من غير مسألة، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلى أن تُديم علينا هذه النعمة، وخاصة عند سكرات الموت. لأن من انقلب إلى عالم البرزخ بهذه النعمة فهو مشمول إن شاء الله تعالى بقوله تعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي}.

ماذا يتمنى الكافر إذا دخل النار؟

عبادَ الله: كونوا سعداء بما أسبغ الله عليكم من نعمة الإسلام والإيمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنَّ العبد الكافر سوف يَعَضُّ يديه ندماً عندما أعرض عن النعمة العظمى التي قال فيها مولانا جل جلاله: {لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}.

قال تعالى في حق العبد الكافر: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً}. وقال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا}.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) رواه مسلم.

هذا العبدُ الكافر لو تقلَّب في جميع النعم في حياته الدنيا وهو محروم أعظمَ نعمةٍ فماذا تنفعه تلك النِّعَم يوم القيامة إذا كان مصيره إلى نار جهنمَ خالداً فيها أبداً؟ وماذا يضرُّ العبدَ المؤمنَ إذا حُرِمَ شيئاً من النِّعَم في الحياة الدنيا وهو مُتَمَتِّعٌ بأعظم نعمةٍ ألا وهي نعمة الإيمان؟

نحن سعداء إن شاء الله تعالى بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

أيها الإخوة الكرام: نحن سعداء إن شاء الله تعالى بإيماننا بهذا الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أكرمنا الله عز وجل به، وأكرمنا بالإيمان به، للأسباب التالية.

أولاً: لأن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أولى بنا من أنفسنا، قال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}. ويقول صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ) رواه أحمد. ويقول صلى الله عليه وسلم: (أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) رواه مسلم. ويقول عليه الصلاة والسلام: (مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ

فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}. فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ هَلَكَ وَتَرَكَ مَالاً فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَإِنِّي مَوْلاهُ) رواه أحمد.

ثانياً: لأن النبي صلى الله عليه وسلم حريصٌ علينا أكثرَ من حرصِنا على أنفسنا، وقد أخبرنا الله عز وجل بذلك فقال تعالى: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}.

ومن مظاهر حرصه علينا، ما أخرجه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا، قَالَ: فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ، هَلُمَّ عَنْ النَّارِ، هَلُمَّ عَنْ النَّارِ، فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا).

ثالثاً: لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سيرضيه ربنا عزَّ وجل يوم القيامة في أُمَّتِه، روى الإمام مسلم عنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلا قَوْلَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي} الآيَةَ، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}. فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: (اللهمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي) وَبَكَى، فَقَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: (يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ. وَرَبُّكَ أَعْلَمُ. فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ. وَهُوَ أَعْلَمُ.، فَقَالَ الله: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوءُكَ).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: كونوا سعداء بنعمة الإيمان بلا إله إلا الله محمد رسول الله، وأظهروا للناس سعادتكم بهذا الدين، وحافظوا على هذه النعمة من الزوال، واحمدوا

الله تعالى على ذلك، وافعلوا كما فعل الصحب الكرام رضي الله عنهم، فقد روى الإمام مسلم وأحمد والنسائي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: (مَا أَجْلَسَكُمْ)؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلامِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا [وفي رواية عن الإمام أحمد رحمه الله: وَمَنَّ عَلَيْنَا بِكَ] قَالَ: (آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلا ذَاكَ)؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلا ذَاكَ، قَالَ: (أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلائِكَةَ).

أيها الإخوة الكرام: أنتم في نعمة يتمنَّاها كلُّ عبد كافر عند سكرات الموت وما بعدها، ورحم الله تعالى من قال: (نحن على لذَّة لو علمها ملوك الأرض لجالدونا عليها بالسيوف). فحافظوا عليها من أن تزول، وزوالها يكون بالإصرار على المعصية والاستكبار، والمحافظةُ عليها تكون بكثرة الطاعات، فبالطاعات يزيد الإيمان وبالمعاصي ينقص الإيمان والعياذ بالله تعالى، فاستكثروا من الطاعات ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً، ولا تستهينوا بالذنوب ولو كانت صغيرة، فإن الله تعالى أخفى رضاه في طاعته، وأخفى سخطه في معصيته.

اللهم لا تحرمنا هذه النعمة ما أبقيتنا. آمين. أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

110- خطبة الجمعة: لماذا الفرح بسيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لماذا نفرح بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

إنه يحق لنا أن نفرح ونفخر ونرفع رؤوسنا عالية إلى السماء بأن جعلنا الله من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإني أرجوه تبارك وتعالى أن لا يخرجنا من هذه الدنيا إلا على تلك النعمة التي منَّ الله عز وجل بها علينا، نعمة الإيمان به ونعمة الإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم.

لماذا لا نفرح ونفتخر ولا نحتفل بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو حبيبنا وشفيعنا إن شاء الله يوم القيامة وهو صلى الله عليه وسلم أسوتنا وقدوتنا؟

أولاً: لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان سبباً في هدايتنا، فبه صلى الله عليه وسلم عرفنا النعمة العظمى نعمة التوحيد، به صلى الله عليه وسلم طهَّرنا الله من الضلال والشرك والكفر، ولولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عرفنا الله، فبنعمته

صلى الله عليه وسلم عرفنا النعمة العظمى، لذلك منَّ الله علينا به فقال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}. وبهذه المنة أكرمنا بالمنة الأعظم منها وهي نعمة الإيمان بالله تعالى {بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ}. وقد هدانا للإيمان به صلى الله عليه وسلم، كما قال صلى الله عليه وسلم: (يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلالاً فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمْ اللَّهُ بِي)؟ رواه مسلم. ونحن إن شاء الله على قدم الأنصار.

ثانياً: لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أولى بنا من أنفسنا، فليس هو أولى بنا من آبائنا وأمهاتنا فحسب، بل هو أولى بنا من أنفسنا، كما قال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}. ويقول صلى الله عليه وسلم: (أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالاً فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ) رواه مسلم. ويقول صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}. فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ هَلَكَ وَتَرَكَ مَالاً فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَإِنِّي مَوْلاهُ) رواه مسلم.

فالذي هو أولى بك منك كيف تعامله؟ كيف تقابل ذلك الولاء وتلك المحبة؟ لا شك العاقل يجعله مقدماً عنده على نفسه، بل يفني نفسه في طاعته ومرضاته، ويبذل الغالي قبل الرخيص في تحقيق ذلك. وهذا ما فعله الصحب الكرام رضي الله عنهم.

ثالثاً: لأن النبي صلى الله عليه وسلم حريص علينا، كما قال تعالى: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}. فكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على نجاتنا من نار جهنم، كما

جاء في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتْ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ) رواه مسلم.

ومن حرصه صلى الله عليه وسلم علينا أن خبَّأ دعوته لنا ليوم القيامة، فقال صلى الله عليه وسلم: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا) رواه مسلم.

إذاً من حقنا أن نفرح ونفتخر ونعتز بهذا الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم، تطبيقاً لقوله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُون}.

واجب على كل عاقل حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم:

أيها الإخوة: من هذا المنطلق أقول: وجب علينا حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم، بل أقول: وجب على كل عاقل في الدنيا حب النبي صلى الله عليه وسلم، لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان رحمة للعالمين كلهم، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين}.

النفوس السليمة منقادة لمحبة أهل الخير والصلاح:

أيها الإخوة: إن النفوس السليمة مجبولة ومنقادة لمحبة أهل الخير والصلاح والمنفعة والاستقامة ولو كانوا من الأمم السابقة، عندما نسمع وجود حاكم عادل صالح مستقيم يخدم أمته وينصفها ويتفانى في رفع مستواها ويسهر على راحتها، فإن النفس البشرية السوية لا ترى ذاتها إلا منقادة إلى محبة هذا الإنسان، ولذلك الغرب جعل نصباً تذكارياً لسيدنا عمر رضي الله عنه، وأطلقوا عليه (إله العدل).

فإذا كان هذا طبع النفوس السليمة فإنه واجب على كل النفوس السليمة أن تحب هذا الحبيب الأعظم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم.

ومع أن هذا الحب أمر جُبِلَ عليه الإنسان لم يدعنا النبي صلى الله عليه وسلم لجبلَّتنا ولفطرتنا، بل عَلَّمنا وأوجب علينا حبه صلى الله عليه وسلم، والله ما أوجب هذا لذاته من أجل ذاته، بل أوجب هذا علينا من أجل مصلحتنا، لأنَّ نبينا صلى الله عليه وسلم غني بالله عن العالمين جميعاً.

أسأل الله تعالى أن يسري حبه صلى الله عليه وسلم في دمنا وعروقنا وأن يجعل حبه صلى الله عليه وسلم إلى قلوبنا أحب إلينا من كل شيء.

أُمِرْنا بمحبته صلى الله عليه وسلم:

أيها الإخوة: لذلك رأينا النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا بحبه وأن يكون حبه صلى الله عليه وسلم مقدماً على محبة الوالد والولد، يقول صلى الله عليه وسلم: (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ) رواه مسلم.

وعندما عرف النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}. وعرف قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيد}. وعرف قوله تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآب}. خشي علينا أن نقدم هذا على حبه صلى الله عليه وسلم، فقال: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) رواه مسلم.

كيف فهم الأصحاب هذه الأحاديث؟

أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهموا هذه الأحاديث الشريفة فهماً صحيحاً، فأحبوا النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من الوالد والوالد والأهل والمال والناس أجمعين.

يروي الإمام البخاري عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقَالَ:

وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلا نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ)، قَالَ: فَأَنْتَ الآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الآنَ يَا عُمَرُ).

يا رب إن كنت حرمتنا رؤيته في الدنيا فلا تحرمنا رؤيته في الآخرة ولا تحرمنا شفاعته، يا رب إن كنت حرمتنا من مصافحته وتقبيل يده في الدنيا فأكرمنا يا رب بتقبيل يده ورجله في الآخرة، يا رب اسقنا بيده الشريفة من حوضه الشريف شربة لا نظمأ بعدها أبداً يا أرحم الراحمين.

فوائد من حديث سيدنا عمر رضي الله عنه:

كم هو شرف عظيم أن يمسَّ جلدك جلده، ويدك يده، وأنت مؤمن به صلى الله عليه وسلم؟ كم هو شرف عظيم أن تمسَّ يدك الخطاءة يد هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم؟ ولكن الشرف الأعظم أن يأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدك، اللهم اجعل الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم آخذاً بأيدينا إلى سبل مرضاتك يا أرحم الراحمين.

سيدنا عمر كان له هذا الشرف العظيم أخذ رسول الله بيده، وكان صادقاً مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيدنا عمر يعلِّم الدنيا يعلِّم الأجيال كيف يكون الصدق، سيدنا عمر يعلمنا أن لا ننافق لأحد، يعلمنا أن تكون أقوالنا مطابقة لما هو مستقرٌّ في قلوبنا. سيدنا عمر رضي الله عنه علَّمنا كيف نخاطب الأغنياء والأقوياء والأمراء والسادة من خلال خطابه لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلا نَفْسِي).

من هو الجريء أن يقول هذا القول لمن هو بحاجة إليه؟ لنتعلم الصدق من سيدنا عمر رضي الله عنه. إياك ثم إياك ثم إياك من الكذب والنفاق.

ولنتعلم من سيدنا عمر رضي الله عنه الإسراع لامتثال أمره صلى الله عليه

وسلم، إياك ثم إياك من التسويل والتسويف، لأنك لست ضامناً لحياتك، ربما أن ينتهي أجلك بعد لحظة.

تعلَّم من سيدنا عمر رضي الله عنه تطبيق قول الله تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين}. بمجرد أن قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ). أسرع سيدنا عمر رضي الله عنه وقال: (فَأَنْتَ الآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي).

التسويل والتسويف من نزغ الشيطان، اغتنم فرحة الإقبال وانشراح الصدر، لأن القلوب تتقلب. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك يا أرحم الراحمين.

رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أمر بذلك لمصلحتنا:

أيها الإخوة: عندما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نحبه أكثر من الوالد والولد والأهل والمال والناس أجمعين ومن أنفسنا هو في الحقيقة مبلِّغ عن ربه عز وجل، لأن الله تعالى قال له: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِين}. وقال له أيضاً: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيم}.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان داعياً لذاته لنفسه، بل جاء بأمر من الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا}.

فما أمرنا بحبه صلى الله عليه وسلم هذا الحب إلا لتعود ثمرات هذا الحب على المحب وليس على المحبوب صلى الله عليه وسلم.

فما هي ثمرات هذا الحب للحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم؟ هذا ما

سنتحدث عنه في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

**   **   **

111- خطبة الجمعة: من ثمرات محبة سيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

خلاصة الخطبة الماضية:

لقد ذكرنا في الأسبوع الماضي فريضة حبِّ النبي صلى الله عليه وسلم علينا، وقلنا بأنه لا يكمل إيمان العبد حتى يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أحبَّ إليه من نفسه التي بين جنبيه، بعد تقديم حبه صلى الله عليه وسلم على الوالد والولد والأهل والمال والناس أجمعين، كما بيَّن لنا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تحذير من الله تعالى لخلقه:

ولقد حذَّر الله عز وجل عباده المؤمنين من أن يقدِّموا محبة أيِّ مخلوق من المخلوقات ـ العاقلة وغير العاقلة، ولو كان أعزَّ شيء عند الإنسان ـ على محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء بعد التحذير الوعيد، قال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

لقد فصَّلَت الآية أكثر مما فُصِّلَ في الأحاديث الشريفة، فذكرت الآية الآباء والأبناء والإخوة والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن، فإن كانت محبة هذه الأشياء مجتمعة أو متفرقة مقدمة على محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم

فهذا دليل على الخطورة التي ستنال هذا العبد، وذلك من خلال قوله تعالى: {فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ}. تهديد ووعيد بإنزال العقوبة عاجلاً أو آجلاً، وهذا العبد فاسق.

يقول القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم: كفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم، إذ قرَّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحبَّ إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: {فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ}. ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم من ضلَّ ولم يهده الله.

وصف المؤمن الصادق:

لذلك ترى المؤمن الصادق يستسلم لأمر الله تعالى كاستسلام الفاروق رضي الله عنه، وبدون توقف ولا تردد، ولا مشاورة عندما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (يا رسول الله لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، إِلاَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَه عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: الآنَ يَا عُمَرُ) رواه البخاري.

وهذا ما بيَّنه الله تعالى في حق المؤمنين الصادقين بقوله تعالى عندما يصف حالهم وحال المشركين، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ الله أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِله جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَاب}.

فالمؤمنون الصادقون أشد حباً لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولا يقدمون على محبتهما شيئاً مهما علا وغلا وارتفع.

ثمرات محبة النبي صلى الله عليه وسلم:

يا عباد الله: إن محبة النبي صلى الله عليه وسلم فَرضٌ علينا، وما فَرَض الله علينا فرضاً، ولا أوجب واجباً إلا ليعود خيره علينا، قال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون}. وقال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى}.

ومن الهدى الذي جاءنا من الله تعالى فرض محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا، وتقديمُ حبه على كل المكونات والموجودات، فمن امتثل أمره تعالى، انتفى عنه الخوف والحزن، ولا يضل ولا يشقى.

فأول ثمرة من ثمرات محبته صلى الله عليه وسلم أن ينفي الله عز وجل عنك الهم والحزن، ويحفظك من الضلال والشقاء، وهل هناك أسعد من العبد الذي يحفظه الله تعالى من الضلال والشقاء وينفي عنه الخوف والحزن؟

ثانياً: من ثمرات محبة النبي صلى الله عليه وسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادلك حباً بحب، وذلك لقوله تعالى: {هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَان}. فرسول الله صلى الله عليه وسلم من وفائه أن يبادل الحب بالحب، حتى لو كان المحب جماداً.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنهما قَالَ: (أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ مِنْ بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَلَمَّا بَدَا لَنَا أُحُدٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ) رواه مسلم. فإذا كان الجماد أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبادله رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً بحبٍّ، فكيف بالإنسان المكرَّم عند الله عز وجل، وخاصة المؤمن إذا أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لا شك يبادله رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً بحب، وأثر المحبة سوف يكون ظاهراً على المؤمن.

فمن ثمرات محبته صلى الله عليه وسلم أن تكون محبوباً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان محبوباً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كان محبوباً عند

الله عز وجل، ومن أحبه الله تعالى لا يعذبه الله تعالى.

ويستأنس لذلك من خلال قوله تعالى عن اليهود والنصارى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِير}. فالمحبوب ذنبه مغفور بإذن الله تعالى.

ويستأنس لذلك بقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا عمر رضي الله عنه عندما قال له: (يا عمر وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) رواه النسائي.

فالمحبوب ذنبه مغفور بإذن الله تعالى .

ويستأنس لذلك بالحديث القدسي الصحيح: (فَإذا أَحبَبْتُه كُنْتُ سمعهُ الَّذي يسْمعُ به، وبَصره الذي يُبصِرُ بِهِ، ويدَهُ التي يَبْطِش بِهَا، ورِجلَهُ التي يمْشِي بها، وَإِنْ سأَلنِي أَعْطيْتَه، ولَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَّنه) رواه البخاري.

فالمحبوب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم محبوب عند الله، والمحبوب عند الله محفوظ الجوارح بإذن الله تعالى، ودعاؤه مستجاب، كل هذا من ثمرة محبة العبد المؤمن لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: من ثمرات محبته صلى الله عليه وسلم أنك تذوق حلاوة الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ، مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) رواه مسلم.

ومن ذاق حلاوة الإيمان هان عليه فعل الطاعات وصعب عليه فعل المعاصي والمنكرات، ومن ذاق حلاوة الإيمان كان شاكراً عند الرخاء صابراً عند البلاء راضياً بِمُرِّ القضاء، ومن ذاق حلاوة الإيمان علم أن كلَّ قضاء وقدر من الله تعالى هو

لمصلحة العبد، وعندها يعرف حقيقة قولِ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) رواه مسلم. وهذا هو أسعد الناس بإذن الله تعالى.

رابعاً: من ثمرات محبة النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون في معيته يوم القيامة، كما جاء في الحديث الصحيح عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: (بَيْنَمَا أَنَا وَرَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجَيْنِ مِنْ الْمَسْجِدِ فَلَقِينَا رَجُلاً عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلا صِيَامٍ وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) رواه مسلم.

وهل تعلم من هم جُلَّاسه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة؟ جلساؤه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

لذلك رأينا أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما عرفوا ثمرة هذا الحب تعلقوا به صلى الله عليه وسلم أيَّما تعلق، وأحبوه أيَّما حُبٍّ.

ثوبان مولى رسول صلى الله عليه وسلم:

أيها الإخوة: انظروا إلى واحد من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أحبَّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً صادقاً كيف كان حاله؟

جاء في سبب نزول قوله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}.

أنه كان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم محباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا لم يره في اليوم تضيق به الدنيا، فيخرج يبحث عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم في بيوتاته أو غيرها حتى يراه.

وفكر يوماً كيف يكون حاله في الآخرة، إذا دخل هو الجنة كان مع عامة المسلمين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى عليين، وإذا دخل لا قدَّر الله تعالى النار فلن يره أبداً.

وأخذ هذا التفكير من ثوبان رضي الله عنه كلَّ مأخذ، حتى ذبل واصفرَّ لونه، وضّعُف جسده، وكأنه مريض.

فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ما بك يا ثوبان؟ أبك مرض؟ فقال: لا والله يا رسول الله، ما بي من مرض، غير أني إذا لم أرك في اليوم تضيق بي الدنيا، فأخرج أبحث عنك حتى أراك، فذكرت الآخرة، فإذا دخلت الجنة كنتَ في أعلى عليين، وكنتُ مع عوام المسلمين، وإذا دخلتُ النار فلا أرك ابداً. فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}.فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أبشر فأنت مع من أحببت) رواه الطبراني في الأوسط.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: إذا عرفنا ثمرة المحبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجعل حياتنا سعادة لا شقاوة معها، ونذوقُ حلاوة الإيمان ونكونُ بمعية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، فإنه يجب علينا أن نعلم بأن الحب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يعطي هذه الثمار هو الحب الذي يظهر أثره على مدعيه، فيدفع صاحبه إلى الطاعة والامتثال، لأنه لا يتصور وجود محب غير مطيع.

ولعلنا في أسابيع قادمة نضرب أمثلة رائعة من حياة أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم.

اللهم اجعلني والحاضرين والمسلمين ممن صدق في محبته صلى الله عليه وسلم

ولا تجعلنا من الأدعياء يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم فاستغفروه يغفر لكم.

**   **

**

112- خطبة الجمعة: المحبة النافعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

خلاصة الخطبة الماضية:

فيا عباد الله: لقد عرفنا في الأسبوع الماضي ثمرة محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمحب للحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم يذوق حلاوة الإيمان، وهو حبيب عند الحبيب صلى الله عليه وسلم، وذنب المحبوب مغفور بإذن الله تعالى، وهو في معية محبوبه صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

المحبة التي تنفع صاحبها:

ولكن يا عباد الله علينا أن نعلم بأن المحبة التي تنفع صاحبها هي المحبة الشرعية، التي تظهر آثارها على مدعيها، وليست هي المحبة العاطفية التي لا أثر لها

على مدعيها.

المحبة التي تنفع صاحبها هي التي تورث الطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يتصور وجود محب غير مطيع، والزيادة من الطاعة تورث المحبة، قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيم}.

واقع بعض المسلمين:

إذا نظرنا إلى واقع بعض المسلمين نرى التباين والتناقض واضحاً، كم من مدَّعٍ لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو مرابٍ؟ وكم من مدَّعٍ لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو شارب للخمر؟ وكم من مدَّعٍ لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو آكلٌ لأموال الناس بالباطل؟ وكم من مدَّعٍ لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو آكلٌ لأموال اليتامى ظلماً؟ وكم من مدَّعٍ لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وزوجته وبناته سافرات ومختلطات مع الرجال الأجانب؟ ولو سألت الواحد منهم: أتحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أجابك على الفور: روحي فداء للنبي صلى الله عليه وسلم.

المحب ليس معصوماً:

أيها الإخوة المؤمنون: المحبة التي تعطي ثمارها في الدنيا والآخرة هي التي تورث عند المحب الطاعة التامة والاتباع التام، وهذا لا يعني أن يكون المحب معصوماً، لأنه لا عصمة لأحد بعد سيدنا صلى الله عليه وسلم، وإنما كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه ابن ماجه.

المحب ليس معصوماً، فقد تصدر منه هفوةٌ وزلةٌ ولكنه لا يُصر على ما فعل وهو يعلم، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا}. ولماذا يقول تعالى: {جَآؤُوكَ}؟ لأن حقَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا الطاعة، فإذا خالفناه فلا بد من المجيء

إليه، والاستغفار في حضرته وهو صلى الله عليه وسلم يستغفر لنا، وعندها إن شاء الله تعالى نجد الله تواباً رحيماً، أما التمادي في العصيان فإنه يخشى على صاحبه من زوال الإيمان والعياذ بالله تعالى، ألم يقل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين}؟ ألم يقل الله تعالى: {وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون}؟ ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ) رواه مسلم.

سيد المسلمين:

أيها الإخوة: لقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة في محبتهم للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم بشكل عام، وسآخذ نموذجاً واحداً من أصحابه الكرام رضي الله عنهم وأذكر بعض أحواله ليكون نموذجاً نقيس عليه أحوالنا نحن المسلمين، إنه سيد المسلمين بعد سيد الأنبياء والمرسلين، الصديق رضي الله عنه.

أولاً: انخلع من ماله مراراً:

مما لا شك فيه بأن الإنسان مفطور على حب المال: قال تعالى: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيد}. وقال تعالى: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}. وقال تعالى:{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآب}.

ولكن المؤمن المحبَّ لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدِّم حبَّ الله تعالى وحبَّ رسوله صلى الله عليه وسلم على الأهل والمال والولد والناس أجمعين، بل حتى على نفسه التي بين جنبيه. فهذا سيد المسلمين الصديق رضي الله عنه يترجم هذا الأمر ترجمة عملية، يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ

أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ)؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ)؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا) رواه أبو داود والترمذي والحاكم.

شهادة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وقد شهد الصادق المصدوق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم له بذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: (مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ) فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. رواه أحمد والترمذي.

ثانياً: تقديم نفسه فداء رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قد يبذل الإنسان ماله في سبيل محبوبه، ولكنَّ بذل النفس لا يكون إلا لصادق المحبة، فهذا سيد المسلمين الصديق رضي الله عنه يجود بنفسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان المدافع عنه صلى الله عليه وسلم، حتى نتفوا شعره وغدائره رضي الله عنه، وضربوه حتى لم يعرف له عين من أنف من شدة الضرب على وجهه، وأغمي عليه حتى ظن قومه أنه ميت، فلما صحا كان أول كلمة قالها: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وأقسم أن لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحَّ أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور، فقال: (يا أبا بكر إنا قليل). فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله

صلى الله عليه وسلم، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه.

وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة.

فرجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلَّم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لامه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ؟

فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك.

فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه.

فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك. قالت: نعم.

فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

قال: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: هذه أمك تسمع.

قال: فلا شيء عليك منها.

قالت: سالم صالح.

قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم.

قال: فإن لله على أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجْل وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه

على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله، وأكبَّ عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقَّة شديدة.

فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار.

قال: فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت.

وروى البخاري عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنه عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ}.

وأخرج أبو يَعْلى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنهم قالوا لها: ما أشد ما رأيت من المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: كان المشركون قعدوا في المسجد يتذاكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك إذ أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا إليه فأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: أدرك صاحبك. فخرج من عندنا وإنَّ له لغدائرَ أربع، وهو يقول: ويلكم {أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ

وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ}. فَلَهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر. قالت: فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمسُّ شيئاً من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام.

يوم الهجرة شاهد عظيم له رضي الله عنه:

لقد ظهرت محبة الصديق الحقيقية لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم هجرته ابتداءً من حبسه نفسه وفرحِه وبكائه عندما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بصحبته، ثم في طريق هجرته مع النبي صلى الله عليه وسلم ودخولِه الغار في جبل ثور، وكيف جنَّد أبناءه وبناتِه ومولاه رضي الله عنهم، وكيف حاله في الغار، إلى سيره في طريق الهجرة عندما كان يمشي عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يمينه وأمامه وخلفه رضي الله عنه وأرضاه.

هذا هو المحب الذي يكافأ حباً بحب، هذا هو المحب الذي ذاق حلاوة الإيمان، هذا هو المحب الذي إن كان له ذنب فذنبه مغفور، هذا هو المحب الذي يكون بمعية محبوبه صلى الله عليه وسلم.

شهادة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه:

أيها الإخوة: انظروا كيف كافأه رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلا سُدَّ إِلا بَابَ أَبِي بَكْرٍ).

وفي رواية مسلم: (لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً).

وروى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي

صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ)؟

خاتمة نسأل الله حسنها:

لنسأل أنفسنا بعد هذا النموذج الرائع من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أين نحن من هذا الحب الصادق؟ هل قدمتَ شيئاً للإسلام الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ هل اقتفيت أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أين أنا وأنتم من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دمنا نقول: أرواحنا فداءٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ اللهم ارزقنا صدق محبته صلى الله عليه وسلم. آمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

-113خطبة الجمعة: وجوب تعظيم النبي صلى اللّه عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة:

إن مما يجب علينا معرفته أن المقدسات كلّما كانت معظمة في نفوس أتباعها فإنها تبقى معظمة في نفوس الآخرين، وإذا هانت المقدسات في نفوس الأتباع هانت في نفوس الآخرين.

وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلا يُسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ) رواه أحمد في مسنده.

وجوب تعظيم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمة:

وإن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم المقدسات في نفوس أتباعه صلى الله عليه وسلم، وذلك امتثالاً لقول الله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً}.

ولقوله عز وجل: {فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

وهذا واجب على الأمة تجاه نبيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو حق لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، فيجب على الأمة نصرةُ النبي

صلى الله عليه وسلم وتقويتُه بتقوية دينه، وتأييدُه وتوقيرُه، وهو الاحترام والتعظيم له صلى الله عليه وسلم.

وهذا ما شرطه النبي صلى الله عليه وسلم على الصحابة رضي الله عنهم في بيعة العقبة، كما جاء في مسند الإمام أحمد رضي الله عنه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي الله لا تَخَافُونَ فِي الله لَوْمَةَ لائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ).

رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصحابة الكرام رضي الله عنهم:

أيها الإخوة: إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معظماً في نفوس أصحابه الكرام رضي الله عنهم أيَّما تعظيم، ومن صور هذا التعظيم:

أولاً: روى البخاري عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية الحديث طويل وفيه: (ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِهِ، قَالَ: فَوَالله مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ وَالله لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَالله إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

ثانياً: ومن مظاهر تعظيم الصحابة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفوسهم تكريمهم ما مسَّ يدَه الشريفةَ صلى الله عليه وسلم أو فمَه أو أيَّ عضو من أعضائه.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: (مَا مَسِسْتُ فَرْجِي بِيَمِينِي مُنْذُ بَايَعْتُ بِهَا رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وروى أحمد وابن ماجه عن كبشة رضي الله عنها: (أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها ، فشرب من فم قربة وهو قائم ، فقامت إليه فقطعته فأمسكته). وفي رواية تبتغي بركة فِي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويقول الإمام النووي رحمه الله تعالى: قَطْعهَا لِفَمِ الْقِرْبَة فَعَلَتْهُ لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدهمَا: أَنْ تَصُونَ مَوْضِعًا أَصَابَهُ فَم رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ يُبْتَذَل وَيَمَسّهُ كُلّ أَحَد.

وَالثَّانِي: أَنْ تَحْفَظهُ لِلتَّبَرُّكِ بِهِ وَالاسْتِشْفَاء .

ثالثاً: ومن مظاهر تعظيم الصحابة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيمهم أجزاءه المنفصلة عنه صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم حاجاته الخاصة به صلى الله عليه وسلم.

أ ـ فقد روي أن خالد بن الوليد رضي الله عنه سقطت قلنسوته يوم اليرموك وهو في الحرب، قال الواقدي: وعندما اشتدَّ القتال وإذا بخالد رضي الله عنه يقول: حي حي، فعلا البطريق (وهو النسطور من الروم) على ظهر خالد في عثرته وقد سقطت قلنسوته من رأسه، فصاح: قلنسوتي رحمكم الله، فأخذها رجل من قومه من بني مخزوم وناوله إياها، فأخذها خالد رضي الله عنه ولبسها، فقيل له فيما بعد: يا أبا سليمان أنت في مثل هذا الحال من القتال وأنت تقول قلنسوتي، فقال خالد: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه في حجة الوداع أخذت من شعره شعرات. فقال لي: ما تصنع بهؤلاء يا خالد؟ فقلت: أتبرك بها يا رسول الله وأستعين بها على القتال قتال أعدائي، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: لا تزال منصوراً ما دامت معك، فجعلتها في مقدمة قلنسوتي، فلم ألق جمعاً قط إلا انهزموا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ثم شدها بعصابة حمراء وحمل على النسطور

وضربه على عاتقه فأخرج السيف من علائقه، وانحسر من بقي من ملوكهم. ذكره الواقدي في كتاب فتوح الشام.

ب ـ وعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ قالا: (خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ حَتّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ طَوَتْهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا بُنَيّةُ مَا أَدْرِي أَرَغِبْت بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ أَمْ رَغِبْت بِهِ عَنّي؟ قَالَت: بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجِسٌ، وَلَمْ أُحِبّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَصَابَك يَا بُنَيّةُ بَعْدِي شَرّ) رواه البيهقي.

ج ـ عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً يوم أحد فقال: (مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السّيْفَ بِحَقّهِ)؟ فقمت فقلت: أنا يا رسول الله، فأعرض عني، ثم قال: (مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السّيْفَ بِحَقّهِ)؟ فقمت فقلت: أنا يا رسول الله، فأعرض عني، ثم قال : (مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السّيْفَ بِحَقّهِ)؟ فَقَامَ إلَيْهِ رِجَالٌ فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ، حَتّى قَامَ إلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ، أَخُو بَنِي سَاعِدَةَ فَقَالَ: وَمَا حَقّهُ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ: (أَنْ تضْرَبَ بِهِ الْعَدُوّ حَتّى يَنْحَنِيَ) قَالَ: أَنَا آخُذُهُ يَا رَسُولَ اللّهِ بِحَقّهِ، فَأَعْطَاهُ إيّاهُ.

وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ رَجُلاً شُجَاعًا يَخْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ إذَا كَانَتْ، وَكَانَ إذَا أَعلمَ بِعِصَابَةٍ لَهُ حَمْرَاءَ، فَاعْتَصَبَ بِهَا عَلِمَ النّاسُ أَنّهُ سَيُقَاتِلُ، فَلَمّا أَخَذَ السّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَخْرَجَ عِصَابَتَهُ تِلْكَ فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، وَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ الصّفّيْنِ، فلما رَأَى رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبَا دُجَانَةَ يَتَبَخْتَرُ قال: (إنّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللّهُ إلا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ).

فَاقْتَتَلَ النّاسُ حَتّى حَمِيَتْ الْحَرْبُ، وَقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ حَتّى أَمْعَنَ فِي النّاسِ.

فقال الزّبَيْرُ بْنُ الْعَوّامِ: وَجِدْتُ فِي نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السّيْفَ فَمَنَعْنِيهِ وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ، وَقُلْت: أَنَا ابْنُ صَفِيّةَ عَمّتَهِ، وَمِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ قُمْت إلَيْهِ فَسَأَلْته إيّاهُ قَبْلَهُ، فَأَعْطَاهُ إيّاهُ وَتَرَكَنِي، وَاَللّهِ لأَنْظُرَنّ مَا يَصْنَعُ، فَاتّبَعْتُهُ فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حَمْرَاءَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ فَقَالَتْ الأَنْصَارُ: أَخْرِجْ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ الْمَوْتِ، وَهَكَذَا كَانَتْ تَقُولُ لَهُ إذَا تَعَصّبَ بِهَا، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا الّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي *** وَنَحْنُ بِالسّفْحِ لَدَى النّخِيلِ

أَلا أَقَوْمَ الدّهْرَ فِي الْكيولِ *** أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللّهِ وَالرّسُولِ

وَيُرْوَى فِي الْكُبُول .

فَجَعَلَ لا يَلْقَى أَحَدًا إلا قَتَلَهُ. وَكَانَ فِي الْمُشْرِكِينَ رَجُلٌ لا يَدَعُ لَنَا جَرِيحًا إلا ذَفّفَ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْنُو مِنْ صَاحِبِهِ، فَدَعَوْتُ اللّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَالْتَقَيَا، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرَبَ الْمُشْرِكُ أَبَا دُجَانَةَ فَاتّقَاهُ بِدَرَقَتِهِ فَعَضّتْ بِسَيْفِهِ، وَضَرَبَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ، ثُمّ رَأَيْتُهُ قَدْ حَمَلَ السّيْفَ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَة، ثُمّ عَدَلَ السّيْفَ عَنْهَا.

قَالَ الزّبِيرُ: فَقُلْتُ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ: رَأَيْت إنْسَانًا يَخْمُشُ النّاسَ خَمْشًا شَدِيدًا، فَصَمَدْتُ لَهُ، فَلَمّا حَمَلْتُ عَلَيْهِ السّيْفَ وَلْوَلَ، فَإِذَا امْرَأَةٌ، فَأَكْرَمْت سَيْفَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: ما قلت هذا إلا لما يفعله بعض طلاب العلم من التنفير من رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية الغلو فيه كما يظنون، وكأنهم يريدون أن يجعلوا بين المؤمن ورسول الله صلى الله عليه وسلم جفوة، حتى يظن المؤمن بأن موت رسول الله صلى الله عليه وسلم مات معه كل شيء من التعظيم والتوقير والاحترام والصلة، وربما أن ترى هؤلاء يرمون المؤمن المعظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالشرك والردة والعياذ بالله تعالى.

فمع هؤلاء أقف في الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى. أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

-115 خطبة الجمعة: لن تفتن الأمة بنبيها بإذن الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

خلاصة الخطبة الماضية:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح: (إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) رواه مسلم.

وقلت: يجب علينا أن نعظِّم رسول الله صلى الله عليه وسلم حق التعظيم، وأن نوقِّره حق التوقير، وأن نعزِّره حق التعزير، لأن هذا من حقه صلى الله عليه وسلم علينا، وما شرعه الله تعالى لنا معاذ الله أن يوصلنا إلى الشرك.

وإن كان البعض يخاف على الأمة أن تشرك بالله إن عظَّمت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقول لهم: لقد أخطأتم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يخاف على الأمة أن تشرك بالله تعالى بسبب تعظيمهم له صلى الله عليه وسلم، وما يخاف عليهم أن يفتنوا به صلى الله عليه وسلم.

جمال النبي صلى الله عليه وسلم محاط بالجلال:

أيها الإخوة الكرام: لن تفتن هذه الأمة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما أعطي من جمال وكمال ظاهري وباطني، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيضَ مُشْرَباً بياضه بحمرة، وكان أسود الحدقة، أهدب الأشفار، أغرَّ، أبلج، أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خَلْقَاً وخُلُقَاً.

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه *** ثمال اليتامى عصمة الأرامل

ومع هذا فإنا لم نسمع ولم نقرأ بأن أحداً من النساء اللاتي رأينه صلى الله عليه وسلم فتنَّ به، ولا قطَّعن أيديهن، مع أنه صلى الله عليه وسلم حوى الجمال كله والكمال كله، ولم يكن في الخلق أجمل منه، ولا أكمل كما جاء في شمائله صلى الله عليه وسلم.

بينما سيدنا يوسف عليه السلام أعطي شطر الحسن، فلما رآه النسوة في قصر امرأة العزيز، ذُهلن عن أنفسهن وغبن عن إحساسهن وتهن بجماله عليه السلام {وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيم}.

لقد فتن النساء بسيدنا يوسف عليه السلام مع أنه أعطي شطر الحسن، أما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد أعطي الحسن كله وما فتن أحد به صلى الله عليه وسلم، وذلك لحفظ الله تعالى له صلى الله عليه وسلم، ولأنه تعالى كسا جماله صلى الله عليه وسلم بالجلال، ولولا ذلك لفُعل به صلى الله عليه وسلم أكثر مما فُعِل بسيدنا يوسف عليه السلام.

جمال مكسو بالجلال فما كان أحد يطيق أن ينظر إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هيبة وإجلالاً له صلى الله عليه وسلم، كما جاء في صحيح مسلم عن عَمْرَو بنَ العَاصِ رضي الله عنه قال: (وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلالاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ صلى الله عليه وسلم).

وهذا شأن الصحابة الكرام رضي الله عنهم، حيث كانوا إذا جالسوه صلى الله عليه وسلم لم يرفعوا رؤوسهم نحوه، ولم يحدُّوا النظر إليه، هيبة وإجلالاً وتعظيماً.

لذلك قلنا جماله صلى الله عليه وسلم محاط بالجلال فلن يفتن أحد به صلى الله عليه وسلم.

إحاطة معجزاته صلى الله عليه وسلم بالحفظ والأمان:

أيها الإخوة: أمر آخر نذكره، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أكرمه الله تعالى بمعجزات وخوارق ما لا تحتمله العقول، وقد رآها أصحابه الكرام رضي الله عنهم، وسمعها أتباعه إلى يومنا هذا، وهي ستنقل إلى من بعدنا إلى قيام الساعة، ومع ذلك ما سمعنا وما قرأنا بأن واحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو التابعين إلى يومنا هذا فتن به صلى الله عليه وسلم أو عبده من دون الله عز وجل، معاذ الله.

تنوَّعت معجزاته، حنَّ الجذع إليه، وانشقَّ القمر بإشارة من أصبعيه، وأخبرته الشاة المذبوحة بأنها مسمومة، وأخبرته شاة أخرى بأنها ذبحت بغير إذن أهلها، ونبع الماء فاض من بين أصابعه الشريفة، وأُسريَ به إلى المسجد الأقصى، وعُرِجَ به إلى السماوات العلى، إلى ما هنالك من المعجزات، وما أحد فتن به صلى الله عليه وسلم، وما أحد عبده من دون الله، فلما الخوف من تعظيم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

لقد أحاط الله معجزاته بسياج الحفظ والأمانة فلم يخطر ببال واحد من أصحابه أو التابعين أو تابعيهم إلى يومنا هذا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إله أو ابن إله.

أما سيدنا عيسى عليه السلام فقد أعطي من المعجزات ما هو أقل من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فعبده النصارى وادعوا أنه إله، وابن إله، وثالث ثلاثة.

حفظ الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم أن يعبده أحد:

أما الأمر الثالث الذي أقوله في هذه الخطبة هو: أن الله تعالى صان النبي صلى الله عليه وسلم أن يعبده أحد، أو أن يتخذَّه نداً لله تعالى، أو أن يدَّعي أحد أنه إله أو ابن إله أو شريك مع الله تعالى.

لأن الأمة قد رسخ في قلبها بأن النبي صلى الله عليه وسلم عبد لله تعالى، وأنه ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد، وهذا ما تحفظه الأمة من خلال القرآن الكريم الذي ركز على هذا وخاصة في أعظم معجزتين، الأولى الإسراء، والثانية المعراج، فقال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير}. وقال تعالى: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}.

وهذا ما تحفظه الأمة من خلال الأحاديث الشريفة من مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (إني عبد الله ورسوله). وقوله: (إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد) رواه البزار في مسنده. وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: (أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ) رواه ابن ماجه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

وأخيراً أيها الإخوة الكرام: فإن الأمة بإذن الله تعالى لن تشرك بالله شيئاً بعد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب تعظيمها للحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم، لأن جماله محاط بالجلال، ولأن معجزاته محاطة بالحفظ والأمان، ولأن الله تعالى صان النبي صلى الله عليه وسلم أن يعبده أحد من هذه الأمة، لأننا ما سمعنا وما قرأنا عمن شاهد النبي صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن بأنه عبده من دون الله عز وجل، أو جعله نداً لله تعالى، أو وصفه بغير صفة العبودية، لا من رجال هذه الأمة ولا من نسائها، ولن نسمع بإذن الله تعالى عن هذه الأمة في حق نبيها

صلى الله عليه وسلم إلا ما يرضي الله عز وجل.

ومع كيفية تعظيم هذا الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم في الأسبوع القادم إن أحيانا الله عز وجل.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

116- **خطبة الجمعة**: كيف تعظِّم النبيَّ المعظَّم صلى الله عليه وسلم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

اعلموا بأن الذي عظَّمه الله تعالى لا يحتاج إلى تعظيم من خلق الله عز وجل، وإذا كان الله تعالى أمرنا بتعظيمه فإن الحقيقة ما أمرنا بتعظيمه إلا لنشرُفَ بذلك ونعظُمَ بذلك.

ونحن نرى كل من أحبَّ النبي صلى الله عليه وسلم وعظَّمه ووقَّره وعزَّره فهو عظيم عندنا قريب إلى قلوبنا مُهاب بيننا، فمن عظَّم الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم عظَّمه الله تعالى، ومن أحبَّه أحبَّهُ الله تعالى، ومن نصره وأيَّده نصره الله وأيَّده، والعكس بالعكس .

تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى:

أيها الأخوة الكرام: قد يقول أحدنا: لو كنا في زمن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاهدناه عظَّمناه ووقَّرناه وعزَّرناه، ولكن أنَّى لنا هذا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى؟

الجواب على هذا نأخذه من الأمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى، صاحبِ المذهب المشهور، إمامِ دار الهجرة، المولودِ في القرن الأول من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، الذي رأى آثار الصحابة والتابعين، كما رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وفتح عينيه فوجد التقديس للمدينة وما فيها، فانطبع ذلك في نفسه، ولازم ذلك التقديس حتى توفاه الله تعالى .

نأخذ الجواب على هذا من الإمام العظيم الذي ما أفتى حتى نضج واكتمل، وشهد له سبعون من شيوخه الثقات الذين تلقى عنهم فتاوى الصحابة كابن عمر رضي الله عنهما وابن مسعود وغيرهما من فقهاءِ الصحابة .

نأخذ الجواب على هذا من الإمام العظيم الذي كان يخشى الله تعالى في فتاويه لأنه تدبر قوله تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُون} [النحل: ١١٦]، لذلك كان يتحرَّز أن يخطئ في فتاويه، وكان كثيراً ما يقول: لا أدري، وكان يعقب فتواه بقوله: {إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِين} فما ظنكم إذا أراد أن يحكم على إنسان بردة وكفر والعياذ بالله تعالى؟

الجواب على السؤال نأخذه من القصة التالية التي جرت بين الإمام مالك رحمه الله تعالى وأبي جعفر المنصور ثاني خلفاءِ العباسين .

جاء في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للقاضي عياض رحمه الله تعالى:

أن أبا جعفر المنصور ناظر الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى في مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكأنَّ صوت الخليفة ارتفع قليلاً في المسجد

الشريف، فقال له الإمام مالك الذي تربى على تعظيم المدينة ومن فيها: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدَّب قوماً فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُون} الآية، ومدح قوماً فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيم} الآية، وذم قوماً فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُون} الآية، وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عيه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفِّعه الله، قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا}.

لماذا حرمته ميتاً كحرمته حياً؟

اعتقادنا حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره:

والأدلة كثيرة جداً على حياته صلى الله عليه وسلم في قبره الشريف من القرآن العظيم ومن السنة المطهَّرة:

أولاً: قال الله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون} [آل عمران: ١٦٩]، وكلنا يعلم بأن مرتبة الشهداء أقلُّ بكثير من مرتبة الأنبياء،لأن الشهداء أتباع الأنبياء، فإذا كان الشهداء أحياء في قبورهم فإن الأنبياء من باب أولى وأولى أن يكونوا أحياء في قبورهم.

ثانياً: النبي صلى الله عليه وسلم شهيد لأنه مات صلى الله عليه وسلم وهو يجد أثر السمِّ الذي جعلته المرأة اليهودية له في الطعام، وقد ثبت أنه عندما احتضر النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ

بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ) رواه البخاري.

ثالثاً: ما رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود عن أوس بن أوس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلاتُنَا وَقَدْ أَرِمْتَ . يَعْنِي وَقَدْ بَلِيتَ .؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ).

وهل يكون العرض على ميت أم على حي؟

رابعاً: ما رواه البزار بسند رجاله رجال الصحيح، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم).

وهل العرض والاستغفار يكون من ميت أم من حي؟

خامساً: كيف لا يكون صلى الله عليه وسلم حياً يسمع في قبره الشريف، وهو صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نسلِّم على أهل القبور إذا مررنا بهم أو زرناهم، فتقول: (السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ) رواه مسلم، فهل نسلِّم على من لا يسمع؟ فلو كان سلامنا على من لا يسمع لكان التشريع هذا عبثاً، وحاشا أن يكون عبثاً، ولو كان الميت لا يسمع لطلب منا رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء لهم دون السلام.

سادساً: إذا كان عامة الموتى يسمعون في قبورهم فكيف بسيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ لقد جاء في الحديث: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ...) رواه البخاري.

ولا نسأل عن حقيقة هذه الحياة، لأنها غيب فله صلى الله عليه وسلم حياة

في قبره الشريف الله تعالى أعلم بحقيقتها.

فكيف نعظمه صلى الله عليه وسلم؟

أيها الأخوة: فاعتقادنا برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حي في قبره، وأنه يجب علينا أن نعظِّمه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى كأنه بيننا، كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى (وإنَّ حرمته صلى الله عليه وسلم ميتاً كحرمته حياً)، وذلك من خلال قراءة سيرة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وكيف كان حالهم معه صلى الله عليه وسلم؟

لقد أدبهم الله تعالى من خلال قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيم * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُون * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيم * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُون * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيم} [الحجرات: ١-٥].

صور من تعظيمه صلى الله عليه وسلم:

أولاً: عدم رفع الصوت أثناء سماع حديثه الشريف وقراءة سيرته العطرة.

وأنا أعجب أيها الإخوة من الإنسان المسلم عندما يكون حاضراً مولد النبي صلى الله عليه وسلم أو يسمع القرآن العظيم أو حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتكلَّم مع الآخرين، أو أن تراه واضعاً رِجلاً فوق رِجْلٍ، أو تراه مدخِّناً، أو تراه ماداً رجليه أو متَّكئاً بدون عذر! أين الأدب مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

لقد كان الصحب الكرام رضوان الله عليهم إذا جلسوا بين يديه صلى الله عليه وسلم كأن على رؤوسهم الطير هيبة وإجلالاً له صلى الله عليه وسلم،

واهتماماً بسماع كلامه وحديثه الشريف.

ولقد أخذوا هذا الأدب من سيدنا جبريل عليه السلام الذي جاء معلِّماً للصحابة كيف يكون الأدب مع رسول الله عليه وسلم، كما يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ) رواه مسلم.

هكذا يكون الأدب عند سماع الحديث الشريف:

أن يلبس الإنسان أحسن الثياب، وأن يتطيَّب ويتعطَّر، ويجلس جلسة الصلاة ـ إن لم يكن صاحب عذر ـ أثناء سماعه الحديث الشريف، لا أن يأتي بثياب مبتذلة، مع رائحة الدخان التي تكون في فمه، وربما أن يكون قد ألقى السيجارة على باب المسجد ودخل ليسمع ذكر الله تعالى وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: أن لا نناديه باسمه الشريف، بل نناديه كما علمنا ربنا عز وجل في القرآن العظيم فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّل} {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر}.

وخاصة عند السلام عليه صلى الله عليه وسلم، فلا تقل: السلام عليك يا محمد، بل قل: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا سيدي يا رسول الله، يا نبي الله، يا حبيب الله...

لأن الله تعالى أمرنا بقوله: {لاَ تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا} [النور: ٦٣]، ولأنه تبارك وتعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم، ولكنه لم يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة باسمه الشريف، بل خاطبه بقوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّل} {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر}.

ثالثاً: الالتزام بشرعه والاحتكام إليه.

رابعاً: الدفاع عن سنته العطرة وسيرته الشريفة.

خامساً: تعظيم آثاره الشريفة إذا ثبتت بإسناد صحيح .

فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء: عن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى قال: قَالَ قُلْتُ لِعَبِيدَةَ: عِنْدَنَا مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ، أَوْ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ أَنَسٍ. فَقَالَ: لأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعَرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. وفي رواية عند الإمام أحمد في مسنده: (لأَنْ يَكُونَ عِنْدِي مِنْهُ شَعَرَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ أَصْبَحَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ وَفِي بَطْنِهَا).

وسيدنا عَبيدة هو عَبيدة بن عمرو السَّلْماني الكوفي، تابعي كريم مخضرم، أسلم في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، وهو فقيه ثبت، وهو من رجال الكتب الستة.

يقول الإمام الذهبي مؤرخ الإسلام وإمام الجرح والتعديل:

(قلت: هذا القول من عبيدة هو معيار كمال الحب، وهو أن يؤثر شعرة نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس. ومثل هذا يقوله هذا الإمام بعد النبي صلى الله عليه وسلم، بخمسين سنة، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعض شعره بإسناد ثابت، أو شسع نعل كان له، أو قلامة ظفر، أو شقفة من إناء شرب فيه، فلو بذل الغني معظم أمواله في تحصيل شيء من ذلك عنده، أكنت تعده مبذراً أو سفيهاً؟ كلا. فابذل مالك في زورة مسجده الذي بنى فيه بيده، والسلام عليه عند حجرته في بلده، والتذَّ بالنظر إلى أُحُدِهِ وأحِبَّه، فقد كان نبيك صلى الله عليه وسلم يحبه، وتملَّا بالحلول في روضته ومقعده، فلن تكون مؤمناً حتى يكون هذا السيد أحب إليك من نفسك وولدك وأموالك والناس كلهم. وقبِّل حجراً مكرماً نزل من الجنة، وضع فمك لاثماً مكاناً قبَّله سيد البشر بيقين، فهنأك الله بما أعطاك، فما فوق ذلك مفخر. ولو ظفرنا بالمحجن الذي أشار به الرسول صلى الله عليه وسلم

إلى الحجر ثم قبل محجنه، لحقَّ لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل، ونحن ندري بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل محجنه ونعله.

وقد كان ثابت البناني رحمه الله إذا رأى أنس بن مالك رضي الله عنه أخذ يده فقبلها، ويقول: يد مسَّت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم) اهـ.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنَها:

أيها الإخوة الكرام: فالأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في عالم البرزخ إذا كنا أمام قبره الشريف أو في روضته الشريفة أو في مسجده الشريف، أو عند سماع حديثه أو سيرته أو شمائله الشريفة، هو نفس الأدب كما لو كان حياً، لأنه صلى الله عليه وسلم حيٌّ في قبره، ولأن الله تعالى يقول: {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ} [الحجرات: ٧]، ولأنه صلى الله عليه وسلم معنا في حديثه الشريف وسيرته العطرة وشريعته السامية.

عندما سمع أبو جعفر المنصور من الإمام مالك: وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً، استفتاه بقوله: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال الإمام مالك رحمه الله: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عيه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفِّعه الله، قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا}.

فمع جواب الإمام مالك رحمه الله تعالى في الأسبوع القادم إن أحيانا الله عز وجل.

اللهم لا تحرمنا الأدب مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيّاً وميتاً، وأكرمْنا بالاتباع له قولاً وفعلاً. أقول هذا القول وأستغفر الله تعالى، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

117- خطبة الجمعة: هل النبي صلى اللّه عليه وسلم حي في قبره؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

خلاصة الخطبة الماضية

فيا عباد الله: لقد ذكرنا في الخطبة الماضية المناظرة التي جرت بين أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور مع الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى في مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأثناء المناظرة ارتفع صوت أبي جعفر المنصور، فنهاه الإمام مالك وأنكر عليه، وقال له: (يا أمير المؤمنين: لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدَّب قوماً فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ} الآية، ومدح قوماً فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} الآية، وذم قوماً فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} الآية، وإن حرمته صلى الله عليه وسلم ميتاً كحرمته حياً.

سؤال وجواب:

عند ذلك توجه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بالسؤال إلى الإمام مالك وقال له: أستقبل القبلة وأدعو؟ أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال له الإمام مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفِّعه الله، قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا}.

اعتذار عن جعل هذا الموضوع خطبة الجمعة:

وسامحوني أيها الإخوة إن جعلت هذا الموضوع خطبة هذه الجمعة، لأننا أصبحنا وأمسينا نسمع من خلال أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية، وخاصة عند زيارة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في المواجهة الشريفة، حيث إذا وقف الزائر والمسلم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه من يقول له: توجه إلى القبلة ولا يجوز أن تستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدعو، هذا شرك، هذا حرام ولا يجوز، ما مستندهم في ذلك؟

مستندهم في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات وانتهى كل شيء.

قَصْرُ الجدل مع هؤلاء:

أيها الإخوة: اقصروا الجدل مع هؤلاء بسؤال يتوجه إليهم: ما هو اعتقادكم في سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى؟ هل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حي في قبره أم لا؟ هل ردت إليه روحه الشريفة أم لا؟ هل يسمعنا في قبره الشريف إذا سلمنا عليه أم لا؟ هل يرد علينا السلام من قبره الشريف أم لا؟ هل هو وسيلتنا إلى الله تعالى أم لا؟

فإذا كان جوابهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ولم ترد إليه روحه الشريفة، وأنه ليس حياً في قبره، وبالتالي فإنه لا يرانا ولا يسمعنا ولا يرد علينا السلام، فقولوا لهم: هذا شأنكم، وسوف تسألون يوم القيامة عن ذلك بين يدي الله عز وجل، لأنكم أنكرتم الكثير من الأحاديث التي وردت عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، بل والآيات الكريمة من القرآن العظيم.

الحياة البرزخية ثابتة بنص القرآن والحديث الشريف لجميع الخلق:

أيها الإخوة: اعتقادنا نحن بأن الحياة البرزخية ثابتة لجميع خلق الله عز وجل بنص القرآن الكريم، وبالأحاديث الصحيحة الشريفة.

الأدلة من القرآن العظيم على الحياة البرزخية:

أولاً: قوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء}. تثبيتهم في الحياة الدنيا هو حفظ الله تعالى لهم من الزيغ والميل إلى الضلال، وأما تثبيتهم في الآخرة حين يسألون في قبورهم، كما جاء في الصحيحين عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ فَشَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ}.

ثانياً: قوله تعالى: {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَاب * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَاب}. وهذا العرض حصراً في عالم البرزخ، لأنه ليس في عالم الدنيا قولاً واحداً، وكذلك ليس في الآخرة، وذلك لقوله تعالى: { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَاب}.

أما الأدلة من السنة المطهرة على الحياة البرزخية:

أولاً: ما رواه الشيخان عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

هل العرض هذا يكون على ميت أم حي؟ وطبعاً الحياة البرزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى.

ثانياً: روى الشيخان واللفظ للبخاري عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، قَالَ: يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالَ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا).

هل هذا السماع والسؤال والجواب والعرض هل يكون من حي أم ميت؟

ثالثاً: روى الإمام مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ). فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ)؟

فالميت يسمع كما يسمع الحي، ولكنَّ حياته في البرزخ ليست كحياتنا في

الدنيا.

هذا فضلاً عن حياة الشهداء:

أيها الإخوة: هذا الذي ذكرت فضلاً عن حياة الشهداء التي ثبتت في القرآن العظيم والسنة المطهرة، قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون}. بل نهانا الله تعالى أن نقول عنهم أمواتاً، وذلك بقوله تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُون}.

وروى الطبراني في الكبير عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُصْعَبِ بن عُمَيْرٍ حِينَ رَجَعَ مِنْ أُحُدٍ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: (أَشْهَدُ أَنَّكُمْ أَحْيَاءُ عِنْدَ اللَّهِ فَزُورُوهُمْ وَصَلُّوا عَلَيْهِمْ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ إِلا رَدُّوا عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: (مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير ، حين رجع من أحد، فوقف عليه وعلى أصحابه فقال: (أشهد أنكم أحياء عند الله، فزوروهم وسلموا عليهم، فوالذي نفس محمد بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا إلى يوم القيامة) أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية.

زيارة القبور:

أيها الإخوة: زيادة على ما ذكرنا، النبي صلى الله عليه وسلم شرع لنا زيارة القبور فقال: (إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ) رواه مسلم. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يزور الموتى كما جاء في صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقُولُ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَدًا

مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ).

فقوله صلى الله عليه وسلم: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ) لو لم يسمع الموتى السلام فما معنى هذا السلام؟ ومن الذي يسمع؟

وروى الترمذي عَنْ عبد الله ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبُورِ الْمَدِينَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: (السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالأَثَرِ).

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلامُ وَعَرَفَهُ، وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرٍ لا يَعْرِفُهُ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلامُ).

هل السيدة عائشة رضي الله عنها مبتدعة؟

أيها الإخوة: هذه أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: (كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي، فَأَضَعُ ثَوْبِي، فَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ، فَوَاللَّهِ مَا دَخَلْتُ إِلا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي، حَيَاءً مِنْ عُمَرَ) رواه الحاكم وأحمد.

فهل كانت مبتدعة؟ لماذا عندما توفي سيدنا عمر رضي الله عنه ودفن بجانب النبي صلى الله عليه وسلم صارت تشدُّ على نفسها الثياب؟ وما معنى قولها: (حَيَاءً مِنْ عُمَرَ) لو لم تكن تعتقد بأنه يراها، وما معنى قولها: (فَأَضَعُ ثَوْبِي، فَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي) لو لم تعتقد أنهما يريانها؟

اعتقادنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره:

أيها الإخوة: بعد هذا الذي ذكرت أقول: اعتقادنا بأن سيدنا رسول صلى الله عليه وسلم حي في قبره. والله تعالى أعلم بحقيقة هذه الحياة. وأنه يسمعنا ويرانا إذا كنا في المواجهة الشريفة، وأن أعمالنا تعرض على جنابه الشريف صلى

الله عليه وسلم كما جاء في الأحاديث الشريفة:

أولاً: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حي في قبره الشريف وإني أرجو الله عز وجل أن يجعل حُبَّه حياً في قلوبنا، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ) رواه مسلم.

إذا كان هذا في حق الأنبياء عليهم السلام فكيف بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ وخاصة بعد أن ثبت في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم بأنه صلى الله عليه وسلم مات من أثر السم، (فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم).

الأبهر: هو عرق مستبطن الصلب متصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه.

ألا يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم شهيداً؟ وإذا ثبت استشهاده ألم يقل الله عز وجل في حق الشهداء أنهم أحياء؟

ثانياً: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع سلام من يسلم عليه من أمته، لأنه إذا ثبت السماع لغيره كما تقدم معنا من الأحاديث فهو صلى الله عليه وسلم من باب أولى وأولى.

يقول صلى الله عليه وسلم: (حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي) رواه الطبراني. ويقول صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلا رَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ) رواه أحمد. فهو صلى الله عليه وسلم يسمع السلام ويردُّه على المسلِّم، ويقول صلى الله عليه وسلم: (من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائياً أبلغته) رواه البيهقي.

ثالثاً: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى وهو في قبره الشريف، كما تقدَّم معنا من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

رابعاً: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض عليه أعمالنا، عن عبد الله المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما كان من حسن حمدت الله عليه، وما كان من سيئ استغفرت الله لكم) رواه البزار في مسنده.

فيا أيها الزائر لجنابه الشريف صلى الله عليه وسلم!

أيها الإخوة الكرام، بعد هذا الذي ذكرنا أقول: فيا أيها الزائر لجنابه الشريف اعلم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حي في قبره يسمعك ويراك ويردُّ عليك السلام، فإذا ما قدمت إليه فاستقبل الوجه الشريف، وسلِّم عليه وادع الله تعالى وأنت في حضرته مستقبلاً الوجه الشريف، لأنه من قدم على حي لا يعطيه ظهره.

ثم توسَّل إلى الله تعالى به صلى الله عليه وسلم، وكما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى، فهو وسيلتنا إلى الله تعالى يوم القيامة كما كان وسيلتنا إلى الله تعالى في الدنيا، كم توسل به الصحب الكرام رضي الله عنهم؟ وسوف يتوسل به البشر والأنبياء يوم القيامة كما جاء في الحديث الصحيح حديث الشفاعة الذي رواه مسلم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: لَهُ اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلام فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيُؤْتَى مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلام فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيُؤْتَى عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَأُوتَى فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا**).

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال لأمته في الدنيا: (إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّه ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح،

فيقول لهم في أرض المحشر (أنا لها...) لماذا لم يقل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سلوا الله)؟

فإذا ثبت جواز التوسل في الحياة الدنيا وثبت في الحياة الآخرة، فهو ثابت في الحياة البرزخية لأنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره الشريف.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: وأخيراً قولوا لهؤلاء: ماذا تعتقدون بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبره الشريف هل هو حي حياة برزخية لا يعلمها إلا الله أم لا؟

هل رُدَّت عليه روحه الشريفة أم لا؟

هل يردُّ السلام على من يسلِّم عليه من أمته أم لا؟

هل هو وسيلتكم إلى الله تعالى أم لا؟

لا أظن أيها الإخوة: أن جوابكم يأتي بالنفي، لأنه لا مجال لإنكار الأحاديث.

فإن قالوا لكم: من آداب الدعاء استقبال القبلة، فنقول لهم: نعم، ولكن ليس في كل وقت، خطيب الجمعة عندما يدعو يدعو الله وهو مستقبل وجوه الناس، وكذلك الإمام إذا انتهى من صلاته، وكذلك كثير من الأدعية المسنونة لا يشترط فيها التوجه إلى القبلة، عندما تدعو الله عند خروجك من البيت وعند دخولك فيه، وعند دخول المسجد وعند الخروج منه.... وهكذا.

وقولوا لهم أخيراً: فنحن نعتقد كما تعتقدون بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ في قبره الشريف، فلا نملك أن نستقبل القبلة الشريفة ونحن في حضرته، لأنه صلى الله عليه وسلم أعظم عند الله من الكعبة الشريفة، فلا تنكروا علينا بدون دليل، ونحن لا ننكر على من استقبل القبلة في المواجهة الشريف.

ونقول لهم: لا تقولوا لنا هذا ما فعله الصحابة رضي الله عنهم، فنقول لهم، الترك ليس حجة في التحريم كما يعلم هذا الفقهاء والعلماء.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فيا فوز المستغفرين.

** ** **

118- خطبة الجمعة: الخلاص في سر الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

لقد كنا نسمع من مشايخنا وعلمائنا العارفين بالله المربين، الدالين على الله عز وجل، الحريصين على الأمة لإخراجها من الضيق التي هي فيه، كنا نسمع منهم: إذا أردت الخلاص فعليك بالإخلاص.

كلمات رائعة تكتب بماء من ذهب إن صحَّ التعبير، إذا أردت الخلاص فعليك بالإخلاص. هذه الكلمات خلاصة لآيات كريمة من كتاب الله عز وجل، ولأحاديث نبوية كريمة جاءتنا عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يا مريد الخلاص من الضيق والابتلاءات!

فيا مريد الخلاص من الضيق والابتلاءات عليك بالإخلاص، لأن الإخلاص هو سر الخلاص، فيا من يشكو من الضيق والكرب والمحن والشدائد والابتلاءات عليك بالإخلاص في عباداتك.

وأنا الآن أخاطبكم أيها الإخوة أنتم أيها المصلون الصائمون الحجاج المعتمرون، أنتم أصحاب الذكر، أنتم أصحاب الاستقامة، إذا كنتم تعانون من الضيق والمحن فعليكم بالإخلاص لله عز وجل في أعمالكم، أخاطب البررة في آبائهم وأمهاتهم، أخاطب أصحاب العفة الطاهرين، أخاطب أصحاب الأمانة، إذا كنتم تشعرون بشدة المحن وصعوبة الابتلاءات وأردتم الخلاص فعليكم بالإخلاص في أعمالكم لله عز وجل.

حديثي معكم يا روَّاد المساجد، يا روَّاد بيوت الله، يا من تأتون بالطاعات، يا من تتركون المعاصي والمنكرات في ظاهر الأمر، حديثي معكم، لأن طاعاتنا وعباداتنا لو كانت مقبولة عند الله عز وجل لكانت حياتنا طيبة بإذن الله تعالى، وذلك لقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون}.

ولكن عندما نرى حياتنا في شقاء ومحن قاسية جعلت عندنا الضيق. ونحن في ظاهر الأمر من أهل الطاعة. فمعنى ذلك أن عندنا مشكلة، ألا وهي فقدان الإخلاص من العبادات، لأن ربنا عز وجل يقول لنا بنص القرآن العظيم: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}. فلا بدَّ من الطاعات الظاهرة مع روحها، وروح الطاعات الإخلاص فيها، وبذلك يكون الخلاص، لأن وعد الله تعالى لا يخلف: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}.

سر الخلاص بالإخلاص:

أيها الإخوة: سِرُّ الخَلاص بالإخلاص، وها أنا أتلو على مسامعكم حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يعرِّفنا على هذه الحقيقة، فأريد أن نسمع كلنا هذا الحديث الشريف بأذان واعية، وخاصة من يعتصر قلبه الحزن اعتصاراً.

فِي الحديث المتفق عليه عن أَبِي عَبْد الرَّحْمَن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يَقُولُ:

وأنا أريد أيها الإخوة أن نسمع الحديث كما سمعه الصحابة رضي الله عنهم، أن نسمعه سماع إيمان وتصديق، لا أن نسمع حروفه فقط كأنه حديث إنسان عادي، اسمع الحديث الشريف وأنت تعرف تمام المعرفة بأن صاحب هذه الكلمات هو سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم الذي {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}. يجب أن يكون سماعاً مع إيمان مطلق لا شك فيه ولا ريب، مع إيمان لا يتزعزع، مع إيمان راسخ في القلب رسوخ الراسيات، بأنه هو الحق الذي لا يأتيه الباطل.

صورة من صور الابتلاء:

يقول أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ نفر مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجبلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا الله تعالى بصالح أَعْمَالكُمْ).

انظروا إلى شدة الابتلاء، دخلوا الغار فانحدرت صخرة عظيمة سدَّتْ عليهم باب الغار، لا يستطيعون تحويلها، ولا يستطيعون الاتصال بأحد من الخلق، فانقطعت الأسباب الظاهرة وأُغلقت أمامهم الأبوابُ كلُّها، ولم يبق لهم إلا باب واحد، ألا وهو أن يطرقوا باب الله عز وجل فطرقوا باب الله بخالص أعمالهم بالدعاء، لأن العمل الصالح لا يكون صالحاً عند الله عز وجل إلا إذا كان خالصاً لوجه الله تعالى.

فمن عمل صالحاً في ظاهر الأمر وهو لا يريد بذلك الله عز وجل فهو عمل غير صالح عند الله عز وجل، وسيُضرب بوجه صاحبه يوم القيامة، لأن الله عز

وجل أغنى الأغنياء عن الشركاء.

فلا يكن عملنا من أجل زيد وعمرو من الناس، لا يكن عَمَلُنا من أجل أن يُقال عنَّا رجال صالحون، لا أيها الإخوة هذا ليس شأن المخلصين في عبادتهم {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَة}.

الإخلاص في بِرِّ الوالدين سِرٌّ في الخلاص:

يقول صلى الله عليه وسلم: (قال رجلٌ مِنهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ، وكُنْتُ لاَ أَغبِقُ قبْلهَما أَهْلاً وَلا مالاً، فنأَى بي طَلَبُ الشَّجرِ يَوْماً فَلمْ أُرِحْ عَلَيْهمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلبْت لَهُمَا غَبُوقَهمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِميْنِ، فَكَرِهْت أَنْ أُوقظَهمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِي أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمي فَاسْتَيْقظَا فَشَربَا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذهِ الصَّخْرَة، فانْفَرَجَتْ شَيْئاً لا يَسْتَطيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ).

فكِّرْ في نفسك أيها البار، وأنا حديثي اليوم مع البار لا مع العاق لوالديه، فأقول لهذا البار: لماذا أنت بار بوالديك؟ هل أنتَ بَارٌّ بِهما من أجل حطام دنيا تناله من أيديهم؟ أم أنت بار بهما من أجل الله عز وجل الذي أمرك ببرهما؟

البار بوالديه من أجل الله عز وجل يكون باراً بهما وإن ظلماه وإن جارا عليه، لأن البارَّ يتقرَّب إلى الله تعالى ببرِّ والديه.

وبرُّ الوالدين مع الإخلاص سببٌ من أسباب الخلاص، كما حدثنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

الإخلاص في العفَّة سِرٌّ في الخلاص:

ويقول صلى الله عليه وسلم: (وقال الآخر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانتْ لِيَ ابْنَةُ عمٍّ

كانتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، ففعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالتْ: اتَّقِ الله ولا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ، فانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتركْتُ الذَّهَبَ الَّذي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فانفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا).

يا شباب هذه الأمة عليكم بالعفة، عليكم بتقوى الله في أعراض الناس، يا شباب راقبوا الله عز وجل {إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}. يا شباب اعلموا بأنَّ كل شيء يُسجَّل عليكم، قال تعالى: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}. يا شباب تذكَّروا قول الله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}. وأخيراً تذكَّروا أيها الشباب قول الله عز وجل: {جَزَاء وِفَاقًا}. واعلموا أن الجزاء من جنس العمل، أتريد أن يُنْتَهَكَ عرضُك؟ إذا رأيت فتاة ألمت بها السنون وجاءتك تطلب المال منك فما أنت فاعل؟ تذكَّرْ أنَّ لك عرضاً، تذكَّرْ أنَّ لك أماً وأختاً وعمةً وخالةً وبنتاً.

يا شباب إذا أردتم الخلاص فعليكم بالإخلاص في ترك الفواحش، إذا أردتم أن يحفظكم الله من فتنة النساء خاصة فعليكم بالإخلاص في عفَّتكم، وأنتم تتمثلون قول الله عز وجل: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ}.

وأما أنتم يا أولياء البنات فحديثي معكم في خطب قادمة بإذن الله عز وجل، يا من يضيِّق على شباب الأمة، اعلموا أنكم ستتحمَّلون قسطاً كبيراً من الوزر يوم القيامة لا قدَّر الله بسبب المغالاة في المهور وما شاكل ذلك، فحديثي معكم في خطب قادمة إن شاء الله تعالى.

الإخلاص في الأمانة سِرٌّ في الخلاص:

ويقول صلى الله عليه وسلم: (وقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجرَاءَ وَأَعْطَيْتُهمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذي لَّه وذَهَبَ، فثَمَّرْتُ أجره حتى كَثُرَتْ منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى منْ أَجْرِكَ، مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَم وَالرَّقِيق، فقال: يا عَبْدَ اللَّهِ لا تستهزئ بي، فَقُلْتُ: لاَ أَسْتَهْزِئ بك، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْه شَيْئاً، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فخرَجُوا يَمْشُونَ).

أين حفظ الأمانة عندنا؟ يا من يريد الخلاص تفقَّد الأمانة بين جوانحك هل هي موجودة أم لا؟ وإذا وجدت الأمانة بين جوانحك فهل أنت مخلص لله عز وجل في هذه الأمانة؟ هل أمانتك لله أم ليقال عنك أمين؟

كن أميناً وأنت تنظر إلى الخالق عز وجل، لا تكن ممن ينظر إلى الخلق في أمانته، فإن الخلق لا يقدِّمون ولا يؤخِّرون، لا يضرُّون ولا ينفعون، الضارُّ والنافع على الحقيقة هو الله عز وجل: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}.

كن أميناً وأنت تطلب أجرك ومكانتك عند الله عز وجل لترى الخلاص ببركة هذا الإخلاص.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام كونوا بارين بآبائكم وأمهاتكم مع الإخلاص، وكونوا عفيفين بكل صور وأشكال العفة مع الإخلاص، وكونوا أمناء على ما استأمنكم الله والخلق عليه مع الإخلاص.

فالإخلاص في عباداتنا هو سرُّ الخلاص من ضيقتنا، داؤنا معروف ودواؤنا

صار معروفاً، فهل نضع الدواء على الداء لنبرأ بإذن الله عز وجل؟

اللهم اجعلنا من عبادك المخلَصين المخلِصين، وافرج عنا ما نحن فيه بلطف وكرم منك يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

119- خطبة الجمعة: الوالد أوسط أبواب الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدِّمة الخطبة:

عندما ذكرت لكم في الأسبوع الماضي أن الخلاص في سرِّ الإخلاص، وقلت: بأنه يجب على البار لوالديه أن يكون برُّه لهما خالصاً لوجه الله عز وجل، وألا يكون معلولاً بعلة دنيوية كطمع بما في يدي والديه، أو محبة أن يقال عنه بار.

ولكن فوجئت. والحقيقة لم أفاجأ. بأن كثيراً من الآباء والأمهات تبكي قلوبهم قبل عيونهم، ويشكون إلى الله عز وجل من عقوق الأبناء بأبشع صور العقوق وأخسها.

زواج أحد الوالدين جريمة:

يا عباد الله: هل تعلمون أن من جملة أسباب العقوق زواج أحد الأبوين؟

نعم، هناك بعض الأبناء وقع في العقوق بسبب زواج أمه، إذ تزوجت بعد طلاقها أو بعد وفاة زوجها، جريمة كبرى في نظر بعض الأبناء، كيف تتزوج؟ يجب أن تبقى بدون زوج مهما كلَّف الأمر، ولو دقَّقنا في السبب لوجدناه سبباً مادياً، لأن الأم ربما أن تكون غنية، فإن تزوجت قاسمهم الزوج في التركة إن ماتت، وهذا المال في نظرهم من حقهم فقط.

أما الحديث عن زواج الأب بعد وفاة زوجته أو بعد طلاقها فحدِّث عنه بلا حرج، إن تزوَّج الأب فجريمة وأيُّ جريمة؟ إنها من أكبر الجرائم، هذا إذا كان الزواج بعد الطلاق أو بعد الوفاة، أما أن يتزوج في حياة أمهم وهي في عصمته فهيهات هيهات، لا يمكن أن يتصور الأبناء هذا، ولا يمكن أن يقبلوا هذا بشكل من الأشكال، لأن الأب ارتكب جريمة لا تغتفر إلا بطلاق هذه الزوجة التي صارت ضرة لأمهم.

أين شر ع الله فينا؟

أيها الإخوة: أين نحن من تشريع الله عز وجل لنا؟ أين نحن من قول الله عز وجل: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا}.

أيها الأبناء: ماذا تريدون من أمكن إذا طلقت أو توفي عنها زوجها؟ أتريدون أن تسلك طريق الانحراف لا قدر الله؟ أليست هي من البشر؟ أليس لها أحاسيس ومشاعر نحو رجل ليعفها عن الحرام؟

ما تريدون من أبيكم إذا توفيت أمكم أو طلقت؟ هل ترضون له الانحراف لا قدر الله؟

ماذا تريدون أيها الأبناء من آبائكم إذا شعر أحدهم بأنه بحاجة إلى أن يعدِّد في حال حياة أمِّكم؟

هل إذا تزوجت الأم بعد طلاقها أو وفاة زوجها ارتكبت إثماً؟ الجواب: ربما تركها للزواج هو الإثم.

هل إذا تزوج الأب زوجة ثانية، أو تزوج بعد طلاق زوجته أو وفاتها يرتكب إثماً؟ الجواب: ربما تركه الزواج هو عين الإثم.

أما أنت أيتها الأم التي تزرعين الحقد والضغينة في قلوب الأبناء نحو أبيهم بسبب زواجه بالثانية، فما أنت قائلة لله عز وجل؟ هل زوجك خالف أمر الله تعالى؟ هل ارتكب معصية لله عز وجل بالزواج الثاني؟ قطعاً لا.

أما أنت فقد وقعت في المعصية وأوقعت أولادك فيها، فسوف تتحملين وزرك ووزر أولادك يوم القيامة.

يا أمة الله تذكَّري قول الله عز وجل: {أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين}.

أيها الولد اعلم بأنك ستكون أباً:

أيها الأبناء: تذكَّروا أنكم في يوم من الأيام ستكونون آباء بإذن الله تعالى، وربما أن تحتاجوا إلى ما احتاجه آباؤكم، فهل ترضون أن يفعل الأبناء بكم كما تفعلون أنتم بآبائكم من العقوق والتمرد؟

وصايا للأبناء:

أيها الأبناءِ الكرام: وها أنا أقدِّم لكم هذه الوصايا لأني على ثقة بأنكم من أهل الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم، ومن أهل الإيمان بيوم القيامة، ومن أهل الإيمان بأن الجنة حق والنار حق.

أيها الأبناء الكرام: خذوا مني هذه الوصايا من كتاب الله عز وجل، ومن حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أولاً: بر الوالدين من صفات الأنبياء والمرسلين:

ألا تريد أن تتشبَّه بالأنبياء والمرسلين الذين هم صفوة الخلق عند الله عز وجل، ألا تريد أن تتشبَّه بالكُمَّل من الرجال؟

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم *** إن التشبُّه بالكرام فلاح

هذا سيدنا يحيى عليه السلام يقول الله تعالى فيه: {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا}.

وهذا سيدنا عيسى عليه السلام يقول الله تعالى فيه: {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا}.

فكن باراً بوالديك تأسياً بالأنبياء والمرسلين، وإياك والعقوق فإن العقوق مَهْلَكة لك عاجلاً أم آجلاً.

وفكِّر في نفسك أين أنت من سيدنا إسماعيل عليه السلام عندما قال له سيدنا إبراهيم عليه السلام: {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِين}.

ثانياً: برُّ الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى:

أيها الإخوة: إن بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى، كما جاء في الحديث الصحيح المتَّفق عليه، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الْعملِ أَحبُّ إلى اللَّهِ تَعالى؟ قال: «الصَّلاةُ على وقْتِهَا» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: «بِرُّ الْوَالِديْنِ» قلتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: «الجِهَادُ في سبِيلِ اللَّهِ».

حافظوا أيها الأبناء على أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى، وأولها: الصلاة على وقتها، لا تقصِّر ولا تسوِّل ولا تسوِّف إلى آخر الوقت، بل صلِّ في أول الوقت، وأن تكون صلاتك في جماعة، وأن تكون الجماعة في المسجد، وخاصة بالنسبة لصلاة الفجر والعشاء.

وثانيها: بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى، ألا تحبُّ أن تتقرب إلى الله بأحب الأعمال إليه، البر من أحب الأعمال إلى الله، كما أن العقوق من أبغض الأعمال عند الله عز وجل.

وثالثها: الجهاد في سبيل الله، الذي كاد أن يموت بين صفوف المسلمين إلا من رحم ربي عز وجل، وأول الجهاد الدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثالثاً: يد الوالد مبسوطة في مال ولده:

أيها الأبناء الأعزاء: اعلموا بأن يد الوالد مبسوطة في مال ولده يأخذ منه ما يشاء من أجل حاجته، وليس العكس، فالولد يده ليست مبسوطة في مال والده، فلا يحل للولد أن يأخذ من مال والده إلا برضاه.

واليوم حالنا معكوس، يد الولد مبسوطة في مال والده كيفما شاء، ومع ذلك ترى الولد عاقاً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها الأبناء: اسمعوا ما يقوله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخرج الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال، أَتَى أَعْرَابِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي، قَالَ: (أَنْتَ وَمَالُكَ لِوَالِدِكَ، إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَإِنَّ أَمْوَالَ أَوْلادِكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، فَكُلُوهُ هَنِيئًا).

هل سمعت يا من هو حريص على مستقبل آخرته؟ هل سمعت يا من هو

حريص على التخلص من الشدائد والمِحَن؟

رابعاً: الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أوصى ببر الوالدين:

أيها الإخوة: إن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أوصى ببر الوالدين، فهل تعمل بوصية الله عز وجل وبوصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

هل تقبل وصية الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أم لا؟

أخرج الإمام أحمد في مسنده، والإمام البخاري في الأدب المفرد عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِالأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ).

هل سمعت هذه الوصية يا من قال الله فيه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد}؟ ما أنت قائل لربك عز وجل إذا كنت عاقاً لوالديك؟

خامساً: الوالد أوسط أبواب الجنة:

أيها الإخوة: هل تعلمون أن الوالد أوسط أبواب الجنة؟ فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ لِيَ امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلاقِهَا، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ).

وفي رواية قال: كَانَ فِينَا رَجُلٌ لَمْ تَزَلْ بِهِ أُمُّهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ حَتَّى تَزَوَّجَ، ثُمَّ أَمَرَتْهُ أَنْ يُفَارِقَهَا، فَرَحَلَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ بِالشَّامِ فَقَالَ: إِنَّ أُمِّي لَمْ تَزَلْ بِي حَتَّى تَزَوَّجْتُ، ثُمَّ أَمَرَتْنِي أَنْ أُفَارِقَ، قَالَ: مَا أَنَا بِالَّذِي آمُرُكَ أَنْ تُفَارِقَ وَمَا أَنَا بِالَّذِي آمُرُكَ أَنْ تُمْسِكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ) قَالَ: فَرَجَعَ وَقَدْ فَارَقَهَا.

نعم أيها الإخوة نحن لا نأمر بالعقوق ولا نأمر بطلاق الزوجة إن طلب الأب، ولكن اسمع وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا إذا كان الأب وقّافاً عند حدود الله عز وجل يخاف الله تعالى في السر والعلن.

سادساً: لا يمكن أن تؤدي حق والديك:

أيها الإخوة: هل تعلمون أن تأدية حق الوالدين صعب جداً، ولا يمكن للواحد أن يؤديهما حقهما مهما قدَّم لهما، أخرج الإمام البخاري في الأدب المفرد، عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنه شهد ابن عمر ورجل يماني يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره، يقول:

إني لها بعيرها المذللْ *** إن أذعرت ركابها لم أذعر

ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة.

وعن سليمان بن بريدة، عن أبيه، أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني حملت أمي على عنقي فرسخين في رمضاء شديدة، لو ألقيت فيها بضعة من لحم لنضجت، فهل أديت شكرها؟ فقال: (لعله أن يكون بطلقة واحدة) رواه الطبراني في المعجم الصغير.

هل سمعت يا من تسوِّل له نفسه العقوق؟ يا من هجر أمه وأباه ساعات وأياماً وأسابيع وأشهر بل سنوات، ما أنت قائل لربك عز وجل يوم القيامة؟

أما حق الوالد:

اسمع يا من يتبرَّم من أبيه لعرَض من أعراض الدنيا، أو لكونه تزوج على أمه في حال حياتها أو بعد موتها، أو بعد طلاقها، هل تدري بأنك لن تستطيع أن تعطي والدك حقه، ولن تستطيع أن تجازيه مهما قدَّمت له، لقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إلا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ).

أيها الأبناء: لا تستطيعوا أن تكافئوا آباءكم إلا أن تجدوهم عبيداً أرقاء، فتشترونهم فتعتقونهم بعد ذلك، وهل يمكن هذا؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام، أيها الأبناء: كونوا بررة بآبائكم وأمهاتكم وخاصة إذا كان كل واحد منهما ملتزماً شرع الله عز وجل، فإن تزوج أو تزوجت فإنهما ما فعلا معصية، فعليك ببرّهما، وإياك أن تقف مع الظالم منهما، بل عليك بالنصح، فإن استجاب فبها ونعمت، وإلا فالحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع.

أيها الأبناء، فستذكرون ما أقول لكم، وإني أرجو الله عز وجل أن يجعلني وإياكم بررة بآبائنا وأمهاتنا أحياء وميتين.

أقول هذا القول وأستغفر الله.

** ** **

** ** ** 120- خطبة الجمعة: اجعل شعارك ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

لقد ذكرت لكم في الأسبوعين الماضيين بأن سر الخلاص في الإخلاص، بمعنى: يا أهل التقى، يا أهل الطاعة، يا أهل الصلاح، أخلصوا في عبادتكم حتى

يأتي الخلاص من الهموم والأحزان، وتخرجوا من الضيق والكرب الذي أنتم فيه.

ذكرت لكم حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار، ثم سألوا الله تعالى بخالص أعمالهم، ففرَّج الله عنهم، كما ذكرت لكم وجوب برِّ الوالدين مع الإخلاص فيه، لأنه سر خلاصنا.

خطاب لشبابنا:

واليوم أتوجَّه إلى شبابنا المسلم، إلى الفتية الذين آمنوا، إلى الفتية الذين يحافظون على دينهم، أتوجَّه إليهم بحديث العفة والطهارة، أتوجَّه إليهم بالحديث عن طهارة العين وطهارة اللسان، وطهارة اليد والرجل، وطهارة الفرج.

أتوجَّه إلى هؤلاء الشباب بالحديث معهم عن العفة، وخاصة في زمن كثرت فيه الفتن، وقلَّ فيه حياء النساء، وخاصة هذا فصل الصيف، وبعض النساء انطبق عليهنَّ حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا) رواه مسلم.

أتوجَّه بالخطاب لشبابنا لأنهم على يقين بأنهم مبعوثون يوم القيامة، وبأنهم مسؤولون ومحاسبون يوم القيامة.

إذا ظُلمتم فلا تظلموا:

أتوجَّه إلى الشباب قائلاً: يا أيها الشباب المؤمن، يا أيها الشباب المسلم، إذا ظُلمتم فلا تَظلموا، إذا ظلمكم المجتمع فلا تقعوا في ظلم المجتمع.

نعم أيها الشباب، لقد خاطب الله عز وجل أولياء الأمور وأولياء البنات، كما خاطب التجار والمسؤولين، وخاطب العلماء، وكلَّ من عنده المقدرة لتطبيق هذا الخطاب، فقال تعالى: {وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ

وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيم}.

نعم لقد تعامى الجميع عن هذا الخطاب إلا من رحم ربي عز وجل، مع أن الجميع يرى المجتمع، يرى السفور والتبرُّج، ويرى الإغواء والإغراء لشبابنا، إن كان في الشارع، أو في المدرسة، أو في الجامعة، أو في المحلات التجارية، أو في أجهزة الإعلام، وكأنهم ما سمعوا هذا الخطاب وهذا الأمر الإلهي: {وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ}، والأيِّم من لا زوج له من الذكور والإناث.

نعم لقد ظلمَكم المجتمع، لقد ظلمكم المسؤولون وأولياء البنات والتجار، ولكن هل يعني هذا أن تقعوا في الظلم، وأنتم الذين تحفظون قول الله عز وجل: {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُون}.

نعم لن يفلح الظالم يوم القيامة، لن يفلح من كان سبباً في غواية الشباب، لن يفلح من كان سبباً في إغراء الشباب، لن يفلح من كان سبباً في تعسير أمور الزواج على الشباب، فإذا كان هؤلاء خاسرين بسبب ظلمهم، فلا تكن أنت أيها الشاب المسلم ظالماً للمجتمع حتى لا تقع في الخسارة التي وقعوا فيها، لأن مولانا عز وجل يقول في كتابه العظيم: {وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}.

يا شبابنا: لا تقابلوا السيئة بالسيئة، ولا تقابلوا المعصية بالمعصية، فإذا كان المجتمع لم يمتثل قول الله تعالى: {وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيم}، فامتثلوا أنتم قول الله عز وجل: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ}.

يا شبابنا: لا تدنِّسوا أبصاركم بالنظر إلى السافرات المتبرِّجات، لا تدنِّسوا

أسماعكم بالسماع لحديثهنَّ، لا تدنِّسوا ألسنتكم بالحديث معهنَّ، لا تدنِّسوا أيديكم بمصافحتهنَّ، ولا أرجلكم بالسير خلفهنَّ، هذا فضلاً عن فروجكم.

اجعلوا يا شباب أبصاركم عفيفة، ومسامعكم عفيفة، وألسنتكم عفيفة، وأيديكم وأرجكم عفيفة، وفروجكم عفيفة، وبذلك تسمون على المجتمع، ويُشار إليكم بالبنان: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ}.

يا شباب إن لم تحافظوا على عفة أبصاركم فمسامعكم لن تكون عفيفة، وبعدها ألسنتكم لن تكون عفيفة، ولا أيديكم ولا أرجلكم، وبعدها تقعون لا قدر الله في الفاحشة التي عاقبتها وخيمة، قال تعالى: {وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا}.

احذر أقوال المفسدين في الأرض:

أيها الشاب: احذر قول أهل الفساد الذين يعيثون في الأرض فساداً ويقولون: كيف تطالبنا بالعفة ونحن محاصرون بالشهوات من كلِّ جانب؟ كيف تطالبنا بالعفة والفتنةُ أحاطت بنا من كلِّ جانب؟ ويقولون: أعطنا قوة كقوة سيدنا يوسف عليه السلام لنكون مثله.

قولوا أيها الشباب لهؤلاء: ومن منا وصل إلى المراودة التي حوصر بها سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام؟

وراودته التي هو في بيتها:

أيها الشباب: إياكم أن تنخدعوا بكلام هؤلاء المنحرفين، لم يصل أحد إلى هذه المراودة التي كانت من امرأة العزيز لسيدنا يوسف عليه السلام، والمراودة هي مطالبة برفق ولين في أسلوب مخادع، أين كانت تلك المراودة؟ هل كانت تلك المراودة في الشارع؟ أم في المدرسة؟ أم في الجامعة؟ أم في المحل التجاري؟ أم في المنتزهات؟ أم في النوادي الليلية؟

لقد كانت تلك المراودة في بيتها الذي تستطيع التحكم فيه، لذلك قال تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ}، وهو ما دخل بيتها بالاختيار، بل دخله بالقهر والاضطرار لأنه كان عبداً، وقال تعالى: {وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} حاصرته هي محاصرة مادية محكمة بدون اختيار منه، فسيطرت هي على المكان وأحكمته، ثم راودته وصرَّحت وقالت: {هَيْتَ لَكَ}.

هذه هي المراودة التي كانت من امرأة العزيز لسيدنا يوسف عليه السلام، ما كانت المراودة في الشارع ولا في مكان مفتوح، وما كانت في المدرسة ولا في الجامعة، ولا عن طريق الهاتف، ولا عن طريق الإنترنت، حيث يملك المرَاوَد ما يملك المرَاوِد من التحرك في المكان.

بعض الشباب يظن أنه مُحاصر، وأنهم يُرَاوَدُون عن أنفسهم، ويتوهَّمون ذلك، يمشي أحدهم خلف الفتيات، ويتصل بهنَّ بإحدى وسائل الاتصال الحديثة، ويذهب إلى البيت أو المكتب باختياره، ثم يقول: هي راودتني، يا شبابنا هؤلاء يخادعونكم، هؤلاء هم الذين يعرِّضون أنفسهم للفتن. هم أطلقوا أبصارهم أولاً، ثم تسمَّعوا ثانياً، ثم تكلَّموا ثالثاً، ثم ساروا بأقدامهم إلى مواطن الفتن باختيارهم رابعاً، ثم وقعوا في الفاحشة خامساً.

حدِّد هويَّتك:

أيها الشاب المسلم حدِّد هويتك ظاهراً وباطناً، فكن متأسِّياً بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً، راقب الله بسرِّك واجعل مظهرك الخارجي مظهر إنسان مسلم كساه الله بالهيبة والوقار.

انظروا إلى شبابنا أيها الإخوة، هم الذين يلفتون النظر إلى أنفسهم حتى يقعوا هم ويوقعوا غيرهم في الفتنة، انظروا إلى ثيابهم، وانظروا إلى شعورهم، وانظروا إلى لحاهم كيف يتفنَّنون بها، يلبسون ثياباً ملفتة للنظر، ويقصون شعورهم قصة

المخَنَّث، أو الشاب المائع، ويرسمون لحاهم رسماً يشدون الأنظار إليهم، يَفتِنون ويُفْتَنون، وأرجو الله تعالى أن لا ينطبق عليهم قول الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ}.

أيها الشاب المسلم كن في لباسك متميِّزاً، وفي قصة شعرك متميِّزاً، وفي لحيتك متميِّزاً، لا تحاكي الآخرين في لباسك وشعرك ولحيتك، كن كالشامة بين إخوانك في جمالك وأنت مبتعد عن مسالك الشباب المنحرفين.

اجعل شعارك {إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ}:

أيها الشباب: اجعلوا شعاركم {إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} قولوا بلسان الحال والمقال: نحن لا نقابل نعمة الله علينا بكفرها، نحن لا نقابل نعم الله علينا بمعصية، نحن على يقين بأن ما أعطانا الله إياه إنما هو اختبار لنشكر أم نكفر؟ فنحن شاكرون لله عز وجل على ما أسبغ علينا من نعم، نحن نريد أن نصل إلى بشارة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، **وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) رواه البخاري ومسلم. نحن لا نرتبط بأنثى إلا عن طريق شرعه الله عز وجل لنا.

واجعل شعارك {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُون}

أيها الشباب: قابلوا هذا المجتمع الذي ظلمكم بقوله تعالى: {قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُون} قولوا لهذا المجتمع: أنا لست من أولئك الذين يُراوَدون عن أنفسهم بالإغراءات، أنا لست ممن يقابل الظلم بالظلم، أنا لست ممن تستجرُّهم الأهواء والشهوات، أنا لست ممن يظلم نفسه، ولست

ممن يظلم غيره، أنا ممن يقول: {وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد}.

فإن قلت هذا، أقول لك: جاءتك البشارة التي جاءت لمؤمن آل فرعون: {فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَاب} سوف يقيك الله عز وجل من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وسوف يخرجك من الضيق كما أخرج الثلاثة الذين آواهم المبيت في الغار.

خاتمة نسأل الله حسنها:

يا شباب اعلموا بأن المعصية تذهب لذَّتُها وتبقى مرارتها، كما أن الطاعة تذهب مشقَّتها وتبقى حلاوتها.

يا شباب تذكروا قول الله تعالى: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}، فاجعلوا رصيداً لكم عند الله عز وجل من عفة السمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج، اجعلوا رصيداً من الطاعات لأنفسكم في أيام شبابكم لأيام شيخوختكم.

يا شباب والله لا أريد لكم أن تندموا في ساعة لا ينفع فيها الندم، عليكم بالعفة والطهارة {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ}.

ومع بعض أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العفة التي تبشركم يا أصحاب العفة في الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

121- خطبة الجمعة: بشائر لمن يريد العفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

فقد ذكرنا في الأسبوع الماضي بأنه يجب على شباب المسلمين أن يجعلوا شعارهم في هذه الحياة الدنيا {إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُون}، ويجب على شبابنا أن يحافظوا على نعمة الله عليهم فلا يستغلوها في معصية الله تعالى، وأن يكونوا على حذر من فتنة النساء.

ويجب على شبابنا أن يتجنبوا مواطن الفتن، وأن لا يعرضوا أنفسهم للفتن، فعليهم أن يتنبهوا إلى قصة شعورهم وأن لا يكونوا مخنَّثين، وأن يتنبهوا إلى لحاهم وألا يحاكوا بها غيرهم من الشباب المائعين، كما يجب عليهم أن يتنبهوا إلى لباسهم فلا يتشبهوا بالشباب الصائع الذي لا يعرف في حياته الدنيا إلا الشهوات، عليهم أن يتميَّزوا بكل شيء عن الشباب المنحرف، وذلك من خلال اتباعهم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى يكسوهم الله تعالى ثوب الجلال إلى نعمة الجمال.

هكذا يريدكم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وأتابع الحديث اليوم مع الشباب، لأقول لهم: إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم شباباً متميزين عن غيركم، يريدكم شباباً في ظل عرش الرحمن يوم القيامة، عندما يقف الناس في أرض المحشر على رؤوس أصابعهم ينتظرون الحساب، يريدكم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكونوا في ظل عرش الرحمن من خلال قوله صلى الله عليه وسلم: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ... وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ) رواه البخاري ومسلم، يريدكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتمتعوا بجمال

عرش الرحمن حيث يمر عليكم ذلك اليوم الذي عند ربكم مقداره خمسين ألف سنة كصلاة ركعتين خفيفتين.

سل نفسك أيها الشاب المسلم:

أيها الشاب المسلم تساءل فيما بينك وبينك نفسك الأسئلة التالية:

السؤال الأول: هل تريد الفلاح في الآخرة؟

سل نفسك هذا السؤال، وأنا على يقين بأن جوابك سيكون: نعم أريد الفلاح في الآخرة، ولكن قد تسأل ما هو السبيل إلى هذا الفلاح؟ أقول لك: السبيل لهذا الفلاح مرسوم بنص القرآن العظيم بقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُون * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُون * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُون * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُون}. إذا قضيت شهوتك بغير الزواج الشرعي فأنت تعديت حدود الله، وأعظم التعدي هو ارتكاب جريمة الزنا والعياذ بالله تعالى.

١. إياك أن تستلف الزنا:

اعلم أيها الشاب أن الزنا دين مقضي في الحياة قبل الممات، فمن أقدم عليه واستلف منه فإنه سيدفع الثمن حيث يكون الجزاء من جنس العمل، وسيكون الانتقام من أحد محارمه لا قدر الله تعالى، وأكد ذلك الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بهذه الأبيات الرائعة:

عِفُّوا تَعِفَّ نساؤُكم في المحْرَمِ ... وتجنَّبوا ما لا يليق بمسلمِ
إنَّ الزنا دينٌ فإن أقرضتَهُ ... كانَ الوفا من أهلِ بيتِكَ فاعلمِ
يا هاتكاً حُرَم الرجال وقاطعاً ... سُبُل المودَّةِ عِشْتَ غيرَ مُكرَّمِ
لو كُنْتَ حُرّاً من سُلالَةِ ماجدٍ ... ما كُنْتَ هَتَّاكاً لحُرْمَةِ مسلمِ

من يَزْنِ يُزْنَ به ولو بجداره		إنْ كُنْتَ يا هذا لبيباً فافهمِ

لذلك مولانا حذَّرنا من الزنا بقوله: {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى} ولم يقل ولا تزنوا بل قال: {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى} فكل ما يوصل إلى الزنى كن على حذر منه، فصن سمعك وبصرك ولسانك، واستحِ من الله حقَّ الحياء، فاحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، واذكر الموت والبلى.

٢. ألا تخشى الفضيحة؟

كن على حذر من الفضيحة إذا ارتكبت هذه الجريمة التي يُدعى إليها شبابنا صباحاً ومساء من خلال أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمواقع الإباحية.

نعم الغرب يركِّز على شبابنا من أجل أن يحرفوه في هذا التيار كما قال تعالى: {وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا} لأنهم فضحوا من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون.

ألا تخشى الفضيحة أيها الشاب، تصور لو أن العبد الذي يقترف جريمة الزنا ووجد الحاكم الذي يقيم عليه الحد، ما هذه الفضيحة؟ تدبَّر قول الله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِين}، هذا إذا كان الزاني غير محصن، حيث يجلد أمام طائفة من المؤمنين، ليعرف المجتمع هذا المجرم الذي يدمِّر الأسرة بجريمة الزنى وينصرف عن تحمل المسؤولية وإنجاب الأطفال.

أما إذا كان الزاني مُحصناً فحدُّه الرجم بالحجارة حتى الموت، كما جاء في

الحديث الصحيح المتفق عليه: (لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلا بِإِحْدَى ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ).

ولا تقل كيف تكون الفضيحة وقد عُطِّلت الحدود؟ أقول: الذي شرع هذه الحدود هو على كل شيء قدير، فهو قادر على أن يفضح العبد والعياذ بالله تعالى إذا شاء، واسمع كيف تكون الفضيحة إذا عُطِّلت الحدود، روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ) وعدَّ منها: (لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا).

وهذه هي الأمراض التي تفشَّت في ربوع الغرب وأرادها لنا، مرض الزهري والسيلان والإيدز، فضيحة وما أعظمها من فضيحة، فضيحة مع الأسقام والأوجاع والعياذ بالله تعالى.

٣. ألا تخشى على إيمانك؟

بل أقول لك أيها الشاب: ألا تخشى على إيمانك؟ اسمع إلى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) رواه البخاري ومسلم.

الزاني لا يكون كامل الإيمان إذا زنى وهو يعلم حرمته، أما إذا استحلَّه والعياذ بالله تعالى فإنه يكفر، لأن الزنى محرَّم في جميع الشرائع، فمن استحله فقد خلع ربقة الإسلام، ويؤكد هذا قوله تعالى: {وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا}.

فجريمة الزنى تذهب بالإيمان، فكن حريصاً على إيمانك من الضياع، فإن لذة المعصية تنقضي خلال لحظة، ومرارتها تبقى إلى قيام الساعة إذا لم تتب إلى الله تعالى منها.

٤. ألست حريصاً على محارمك؟

أيها الشاب المسلم ألست حريصاً على محارمك؟ لا شك أن الجواب: بلى حريص كل الحرص على عرضي ومحارمي، فإذا كنت حريصاً على محارمك فاتَّق الله في أعراض الناس، واستمع إلى هذا الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد في مسنده والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: (ادْنُهْ).

وأنا أقول لك أخي الشاب: ادن من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو حريص عليك أكثر من والديك، وأكثر من الناس جميعاً، بل هو حريص عليك أكثر من نفسك التي بين جنبيك، لأن الله تعالى يقول: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}، لا تبتعد عنه صلى الله عليه وسلم، فإن البعد عنه شقاء وندامة وحسرة، وتذكَّر قول الله تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً}.

قال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الفتى من قريش: (ادْنُهْ) فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: (أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ)؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ) قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ)؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ) قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ)؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ) قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ) قَالَ:

لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ) قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ)؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ) قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ) فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

السؤال الثاني: هل تريد ألا ترى النار؟

أيها الشاب المسلم ألا تريد أن لا ترى النار يوم القيامة؟ الجواب: نعم أريد أن لا أرى النار، فإذا أردت أن لا تراها فعليك بكف بصرك عن محارم الله، لأن النظر هو أول أبواب الزنى والعياذ بالله تعالى، روى الطبراني عن معاوية بن حيْدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثَلاثَةٌ لا تَرَى أَعْيُنُهُمُ النَّارَ: عَيْنٌ حَرَسَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ).

السؤال الثالث: هل تريد أن يضمن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة؟

أيها الشاب المسلم: هل تريد أن يضمن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الصادق المصدوق الذي ما ينطق عن الهوى، يضمن لك الجنة إذا ضمنت له ما طلبه منك.

روى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ).

وروى البخاري عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ).

السؤال الرابع: هل تريد أن تكون من الأوائل الذين يدخلون الجنة؟

أيها الشاب: سل نفسك هل تريد أن تكون من الأوائل الذين يدخلون الجنة؟ أنا أسألك هذا السؤال وأنت تعيش جو الامتحان إما إعدادية وإما ثانوية وإما جامعية، وتريد أن تكون من الأوائل في هذه الامتحانات، مع العلم بأنك قد تكون من الأوائل فيها، ولكن ماذا تنفعك هذه الشهادات عند سكرات الموت، إذا لم تكن من الأوائل الذين يدخلون الجنة؟

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ شَهِيدٌ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ وَعَبْدٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ وَنَصَحَ لِمَوَالِيهِ).

وأما أنت يا أختاه:

وأخيراً إذا قالت المرأة المسلمة، الفتاة المسلمة: وما لنا نحن؟

فأقول: اسمعي يا أختاه ماذا يقول لك النبي صلى الله عليه وسلم: روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ).

أنت يا أختاه تفتح لك أبواب الجنة كلها ويقال لك: ادخلي الجنة من أي باب من أبوابها ما دمت عفيفة طاهرة، ولم تكوني سبباً للغواية والفتنة.

أسأل الله تعالى أن يحفظنا ويحفظ شبابنا وشاباتنا من جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه على ما يشاء قدير.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

122- خطبة الجمعة: ثمرات الحب في الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

خلاصة الخطبة الماضية:

فيا عباد الله: لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بعض البشائر من القرآن العظيم والحديث الشريف لشبابنا الذين سلكوا طريق العفة، ولم ينحرفوا مع المنحرفين، وقلت: من سلك طريق العفة فهو من المفلحين يوم القيامة، ومن سلك طريق العفة فعيناه لا ترى النار، ومن سلك طريق العفة ضمن له سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة، ومن سلك طريق العفة فهو من أول الداخلين إلى الجنة بإذن الله تعالى.

مجتمع ظالم لشبابنا:

نعم أيها الإخوة، إن مجتمعنا ظلم الشباب ظلماً شديداً، حيث خرج النساء في الشوارع وفي الجامعات وفي الأسواق وعلى أجهزة الإعلام كاسيات عاريات لغواية شبابنا، ولكن شبابنا جعلوا شعارهم: {مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُون}، فكان لهؤلاء الشباب ما كان من البشائر التي ذكرناها إن شاء الله تعالى، أما هؤلاء النساء فما هو جزاؤهن يوم القيامة؟ اسمع ماذا يحدِّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهنَّ.

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ

الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا).

نعم هذا جزاء من أراد غوايتكم فاحذروا الفتنة والتزموا شرع الله تعالى، لأن اللذة تذهب وتبقى مرارتها، ويندم صاحبها ولا ينفعه الندم.

الصاحب الصالح خير معين لك:

أيها الشباب: من الأسباب التي تعينكم على العفة الصحبة الصالحة، فانتقوا لأنفسكم صحبة صالحة تذكِّركم بالله إذا غفلتم، وتأخذ بيدكم إذا سلكتم طريق الاستقامة، واحذروا الصحبة الفاسدة، واحذروا الجليس الفاسق، هؤلاء ضعفوا أمام نفوسهم الأمارة بالسوء، لم يستطع الواحد منهم أن يلتزم قول الله عز وجل: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِين}.

هؤلاء جرفهم التيار والشهوات فضاعوا في وديان الشهوات وتركوا الصلاة وانطبق عليهم قول الله عز وجل: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}. هؤلاء يريدون غوايتكم كما أخبرنا مولانا عز وجل بنص القرآن العظيم بقوله: {وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا}.

هؤلاء تضيق عليهم صدورهم أن يَرَوْكم جاهدتم أنفسكم وألجمتموها بلجام الشريعة لتنالوا تلك البشائر، فكونوا على حذر منهم، لأنهم حرقوا دين كثير من الشباب بسبب اقترانهم بهم، وصدق عليهم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) رواه البخاري.

بالصاحب الصالح تذوق حلاوة الإيمان:

أيها الإخوة الشباب: الصاحب الصالح سبب من أسباب تذوقك لحلاوة الإيمان التي حرمها الكثير من الشباب، ومن حُرم حلاوة الإيمان هانت عليه المعصية وصعبت عليه الطاعة، واسمع ماذا يقول الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) رواه البخاري ومسلم.

(وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ) شرط في الصحبة حتى تذوق حلاوة الإيمان، سل نفسك لماذا أنت تصاحب زيداً أو عمراً؟ هل تحبه لجلب نفع أم لدفع ضر؟ أم لجمال خَلق أم جمال خُلق؟ إذا كان حبك لصاحبك لسبب من هذه الأسباب فهو حب معلول ومنقطع بانقطاع السبب، يجب أن يكون حبك لصاحبك لله عز وجل.

قل: يا رب إني أحب هذا فيك حتى تكون راضياً عني، فإذا كان صاحبك هكذا فإنه يكون عوناً لك على فعل الطاعة وترك المعصية، فإذا لم يكن هكذا فإن خلَّتك وصداقتك له في الدنيا ستنقلب إلى عداوة يوم القيامة، قال تعالى: {الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِين}.

ثمرة الحب في الله:

أيها الشباب: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم أن تكونوا أعزة في الدنيا وأعزة في الآخرة من خلال انتقاء الجليس الصالح، كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكم: أريد لكم عزاً ما بعده عز، أريد لكم أن تكونوا يوم القيامة في ظل عرش الرحمن، أريد لكم مقاماً يغبطكم عليه الأنبياء والشهداء يوم القيامة.

يقول صلى الله عليه وسلم: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ)

وذكر منهم: (وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ) رواه البخاري ومسلم. هل أنت تحب صاحبك في الله؟ إن قلت: نعم، فأقول لك بشارة النبي صلى الله عليه وسلم: أنت في ظل عرش الرحمن.

وإلا فسوف تتبرأ من صاحبك وسوف يتبرأ منك صاحبك، وسوف يتبرأ الشيطان منكما، لأنه كان سبباً في غوايتكما، اقرأ أيها الشاب قول الله تعالى: {وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيص * وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. الكلُّ يتبرأ من الكل، وانقلبت الصداقة إلى عداوة {الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِين}، وعندها يعضُّ كل واحد منكما يديه من الندم لأنه سمع كلٌّ منكما غواية الشيطان {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً}.

تفقَّد صاحبك وتفقَّد نفسك هل أبعدك صاحبك عن الذكر؟ هل أبعدك عن مجالس العلم؟ هل زيَّن لك المعصية؟ هل كرَّهك في الطاعة؟

إذاً سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدك أن تكون في ظل عرش الرحمن من خلال صحبتك الصالحة، أن تجتمع مع أصحابك على الطاعة وأن تتفرقا على الطاعة، واسمع إلى هذه البشارة من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلِّي).

المتحابون في الله على منابر من نور:

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم أيها الشباب أن تكونوا على منابر من نور يوم القيامة، حيث يغبطكم الناس على مكانتكم عند الله تعالى.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

أتريد أن يكتب على جبينك: المتحابون في الله؟ أحبَّ صاحبك في الله.

جاء في الحديث: (إن المتحابين في الله لعلى عمود من ياقوتة حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة، إذا أشرفوا على أهل الجنة أضاء حسنهم في الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، فيقول أهل الجنة: انطلقوا فلننظر إلى المتحابين في الله، عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم: هؤلاء المتحابون في الله) رواه الحكيم الترمذي وابن أبي الدنيا وابن عساكر وابن أبي شيبة في مسنده.

المتحابون في الله يحبهم الله تعالى:

أيها الشباب اعلموا بأن المتحابين في الله يحبهم الله تعالى، ومن أحبه الله تعالى أيَّده الله وحفظه في سمعه وبصره ويده ورجله، كما جاء في الحديث الصحيح: (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ) رواه البخاري.

إذا أردت هذا فنافس صاحبك في حبك له في الله تعالى، واسمع ماذا يقول

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (ما تحاب رجلان في الله إلا كان أحبهما إلى الله عز وجل أشدهما حباً لصاحبه) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان.

وجاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ) رواه مسلم.

كلَّما توجَّهت لزيارة أخ لك سل نفسك: لماذا أنت زائر له؟ هل لتلتقي معه على طاعة أم على معصية؟

امش الخطوات لزيارة أخ لك في الله لتنال هذا الشرف.

الله تعالى يمد كل واحد ما يريده:

وأخيراً أقول لك: أخي الشاب ماذا تريد من جليسك؟ إن كنت تريد الخير هيأه الله لك، وإن كنت تريد الشر هيأه لك، وسوف تحصد نتائج فعلك في آخر الأمر، قال تعالى: {مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا} فهل تريد من جلسائك الشهوات العاجلة؟ أم تريد الآخرة من لقائك معهم.

مواصفات الجليس الصالح:

وإن سألتني أيها الشاب: ما هي مواصفات الجليس الصالح؟ أقول لك: اسمع إلى هذا الحديث الشريف.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله أي جلسائنا خير؟

قال: (من ذكركم الله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وذكركم بالآخرة عمله) رواه أبو يعلى.

خاتمة نسأل الله حسنها:

أيها الشباب: خذوا هذا الموضوع بجد لا بهزل، واعلموا نتائج الصحبة من خلال قوله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) رواه البخاري.

فالجليس الصالح هو خير معين لك على العفة بعد صبرك على المعصية، وصبرك على الطاعة، وبعد صلاتك، وذلك لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِين}، ولقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِين}.

فاللهم نسألك أن تدلَّنا على من يدلُّنا عليك، وأن توصلنا بالذي يوصلنا إليك، وأن تعرِّفنا على من يعرِّفنا عليك، ومثل ذلك لأصولنا وفروعنا يا أرحم الراحمين.

وقبل الدعاء أقول لك يا أيها الأب الكريم: لا أشك أنك تريد هذا لأبنائك، وإذا كنت كذلك فكن أنت صاحب أسوة سلوكية لأبنائك قبل توجيهك لهم.

سألتني رجل وقال لي: قلت لولدي: علي الحرام بالثلاثة إذا رأيتك في يوم من الأيام تشرب الدخان وتلعب بورق الشدة لأفعلن بك كذا وكذا، ورآه يشرب الدخان ويلعب بورق الشدة، فماذا يفعل؟

سألت هذا الأب: هل تشرب أنت الدخان؟ فقال: نعم، هل تلعب بورق الشدة؟ قال: نعم.

قلت له: لا تكن متناقضاً أنت في توجيهاتك، لأن ما تفعله هو الصواب والحق عند ولدك، هكذا يتصور الولد.

وغير تقي يأمر الناس بالتقى *** طبيب يداوي الناس وهو سقيم

يا أيها الرجل المعلِّم غيرَه *** هلاَّ لنفسك كان ذا التعليم

ما زلت تلقح بالرشاد عقولنا *** صفة وأنت من الرشاد عديم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ***كيما يصحَّ به وأنت سقيم

فابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها *** فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يُقبل إن وعظت ويُقتدى *** بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله *** عار عليك إذا فعلت عظيم

دخل مدرِّس الصف وقال للطلاب: يا أبنائي الدخان حرام، فقال له طالب: يا أستاذ ليس بحرام، فقال له: ما الدليل على أنه ليس بحرام؟ قال له: لأن والدي يدخِّن.

أيها الأب أنت القدوة، فكن قدوة صالحة لأبنائك، وإذا وقعت في معصية لا قدر الله فلتكن سراً.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

123- خطبة الجمعة: اجعل شعارك: لا... يأبى عليّ الله والإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

خلاصة الخطبة الماضية:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأنه يجب على شبابنا أن ينتقوا لأنفسهم الجليس الصالح الخليل الصالح، لأن المرء على دين جليسه وخليله، وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لنا مثلاً رائعاً في انتقاء الجليس، فقال صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) رواه البخاري.

عرفنا في الأسبوع الماضي بأن الصحبة الصالحة لها ثمرات، فبالصحبة الصالحة تذوق حلاوة الإيمان، وبالصحبة الصالحة تظل في عرش الرحمن، وبالصحبة الصالحة تبعث على منابر من نور، وبالصحبة الصالحة يكتب على جبينك: المتحابون في جلال الله، وبالصحبة الصالحة يحبك الله تعالى، وإذا أحبك أيدك بتأييد من عنده.

ثمرة الصحبة الصالحة في الدنيا:

أيها الشاب: أهم ثمرة تجنيها من صحبتك الصالحة في الدنيا هي حلاوة الإيمان، كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) رواه البخاري ومسلم.

فإذا أحببت صاحبك في الله تذوقت حلاوة الإيمان، وهل تدري ما معنى تذوقت حلاوة الإيمان؟

من ذاق حلاوة الإيمان صعبت عليه المعصية وسهلت عليه الطاعة، ومن حرم حلاوة الإيمان سهلت عليه المعصية وصعبت عليه الطاعة.

من ذاق حلاوة الإيمان إذا دعي إلى معصية أبى الاستجابة إليها أشد الإباء، لو عرضت الفتن بكل صورها وبكل أشكالها فحلاوة الإيمان التي تذوقها تأبى عليه أشد الإباء أن يستجيب لتلك الفتن.

من ذاق حلاوة الإيمان كان حارساً على نفسه حتى لا يقع في فتنة النساء، أو في فتنة المال أو الجاه أو الظهور أو الرياسة والريادة، من ذاق حلاوة الإيمان كان أمام الفتن عنيداً عليها، لأنه لا يفرط بحلاوة الإيمان التي لا يعرف قدرها إلا من ذاقها.

أيها الشباب لكم أسوة في أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

نعم أيها الشباب، يا من تذوقتم حلاوة الإيمان، لكم أسوة في أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هؤلاء الصحب الكرام الذين ذاقوا حلاوة الإيمان فاستعصوا على المعصية، وأبَوْها أشد الإباء، انظروا إلى واحد من هؤلاء الصحب الكرام، انظروا إليه قبل الإسلام، وانظروا إليه بعد الإسلام.

فَضالة بن عُمير بن المُلوَّح:

هذا واحد من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان مشركاً، لا يحل حلالاً ولا يحرم حراماً، كانت له صحبة وصداقة مع الناس، كان يجلس إلى النساء يتحدث إليهن، ويتحدثن إليه، وماذا يكون بعد الحديث؟ الله تعالى أعلم، وما هو مضمون الحديث؟ الله تعالى أعلم.

فَضالة بن عُمير كان يأبى الإيمان ويأبى الطاعة بسبب اتباعه للشهوات، ولذلك كان ينجرف من معصية إلى معصية، حتى أراد أن يقترف أكبر معصية يوم

فتح مكة، أراد أن يقتل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد أن وقف الجميع أمام الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال لهم الكلمة المشهورة: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ)؟ قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ قَالَ: (فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ {لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطّلَقَاءُ). زاد المعاد.

بعد كل هذا العطاء والخلق الكريم، أخذ فضالة يفكر في قتل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطواف هَمَّ فَضَالَةُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ الْمُلَوّحِ أَنْ يَقْتُلَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَلَمّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَفَضَالَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ فَضَالَةُ يَا رَسُولَ اللّهِ، قَالَ: مَاذَا كُنْتَ تُحَدّثُ بِهِ نَفْسَك؟ قَالَ: لا شَيْءَ كُنْتُ أَذْكُرُ اللّهَ، فَضَحِكَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: اسْتَغْفِرْ اللّهَ، ثُمّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ، وَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ: وَاَللّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتّى مَا خَلَقَ اللّهُ شَيْئًا أَحَبّ إلَيّ مِنْه.

ذاق حلاوة الإيمان، وإذ به يتغير تغيراً كلياً.

قَالَ فَضَالَةُ: فَرَجَعْتُ إلَى أَهْلِي فَمَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ كُنْتُ أَتَحَدّثُ إلَيْهَا، فَقَالَتْ: هَلُمّ إلَى الْحَدِيثِ، فَقُلْت: لا، وَانْبَعَثَ فَضَالَةُ يَقُولُ:

قَالَتْ هَلُمّ إلَى الْحَدِيثِ فَقُلْتُ لا *** يَأْبَى عَلَيْك اللّهُ وَالإِسْلامُ

لَوْ قَدْ رَأَيْتِ مُحَمّدًا وَقَبِيلَهُ *** بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكَسّرُ الأَصْنَامُ

لَرَأَيْتِ دِينَ اللّهِ أَضْحَى بَيّنًا *** وَالشّرْكُ يَغْشَى وَجْهَهُ الإِظْلامُ

رواه ابن هشام في السيرة.

ما أقبح المعصية بعد الطاعة:

أيها الإخوة الشباب: ما أقبح المعصية بعد الطاعة، وما أقبح الكفر بعد

الإيمان، وما أقبح الظلمة بعد النور، وما أقبح الضلال بعد الهدى، حافظوا على إيمانكم من أن يدنس بالمعصية، حافظوا على حلاوة الإيمان من زوالها بعد الوقوع في الفتنة.

يأبى عليَّ الله والإسلام:

أيها الشباب: اجعلوا شعاركم إذا دعيتم إلى المعصية: لا، يأبى عليَّ الله والإسلام، لأنكم أيها الشباب مرصودون من قبل الغير، وإن أمثال هذه المرأة التي دعت فضالة إلى الحديث كثيرة وكثيرة جداً في المجتمع، كم من النساء يتعرضن للشباب في الشوارع وفي الجامعات وفي مكاتب العمل وفي المحلات التجارية، وعن طريق الهواتف النقالة خاصة؟ وكل واحدة تقول: هلم إلى الحديث.

فيا أيها الشاب المسلم، يا من تذوقت حلاوة الإيمان، إذا تعرضت لمثل هذا الحال فقل كما قال من ذاق حلاوة الإيمان، قل كما قال فَضالةُ: لا، يأبى عليَّ الله والإسلام، قل هذا بملء فمك.

وإن قيل لك: لماذا تأبى الحديث مع النساء؟

أولاً: أريد أن أضحك في النهاية:

فقل: لا أريد أن أضحك في البداية وأبكي في النهاية، لا أريد أن أضحك قليلاً وأبكي كثيراً، لا أريد أن أكون مثل المجرمين الذين يضحكون بداية ويبكون نهاية، أريد أن أكون من المؤمنين الذين ذاقوا حلاوة الإيمان وضحكوا في النهاية، قل هذا بملء فيك ثم اتلُ عليهم قول الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون * وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُون * وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِين * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاَءِ لَضَالُّون * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِين * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُون * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُون * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُون}.

ربما أن يضحك منك المجرم بداية، وربما أن تضحك المجرمة منك بداية، لأنك في ظنها لا تحقِّق لنفسك متعة.

نعم إنها متعة في الدنيا الفانية، حيث يذهب أثر لذتها وتبقى مرارتها إلى يوم القيامة.

ثانياً: أريد أن آخذ كتابي بيميني:

قل أيها الشاب لدعاة الانحراف ولدعاة الضلالة: يأبى عليَّ الله والإسلام الانحراف، لأني أريد أن آخذ كتابي بيميني لا بشمالي، حتى أقول بملء فمي: هاؤم اقرؤوا كتابيه، كما قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيه * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة * فِي جَنَّةٍ عَالِيَة * قُطُوفُهَا دَانِيَة *كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَة}.

إن ثباتي على الحق والإسلام والفضيلة يشرفني ويبيض وجهي، لذا أقول بملء فمي في أرض المحشر: هاؤم اقرؤوا كتابيه.

قل لا أريد أن آخذ كتابي بشمالي، كما قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه}.

لقد ذهبت اللذة الموهومة، ذهبت الأهواء والشهوات المخالفة، يا ليتها كانت القاضية، فلا أريد الجحيم الدائم.

ثالثاً: أريد أن أكون من أصحاب الهداية:

قل أيها الشاب المسلم لمن اتبع الشهوات: أريد أن أكون من أهل الهداية إلى الطريق المستقيم، أريد الهداية من الله عز وجل للطريق الموصلة إلى الجنة التي عرضها السماوات والأرض، أريد النعيم الدائم، وذلك من خلال مجاهدتي

لنفسي، {إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}، فأنا أريد مجاهدتها ومخالفتها للوصول إلى البغية العظمى في الحياة الدنيا، ألا وهي الهداية إلى سبيل مرضاة الله عز وجل، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِين}.

لا أريد أن أكون ممن قال الله عز وجل فيهم: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}. لا أريد الغي لا أريد نار جهنم بشهوة ساعة في الدنيا.

خاتمة نسأل الله حسنها:

أيها الشباب: أخيراً أقول لكم: اجعلوا شعاركم لا، يأبى عليَّ الله والإسلام، ولا تخربوا مستقبلكم في الآخرة بشهوة ساعة في الدنيا. ولعلي أن أتابع الحديث معكم في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول وأستغفر الله تعالى لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة الكرام: قبل الدعاء، يجدر أن أقول لكم ما ألاحظه على الإخوة البائعين في المحلات التجاري للمواد الغذائية.

كانوا قديماً يقول بعضهم: إن المحل لا ينطلق بالعمل إلا إذا قمنا ببيع الدخان في المحل، لأن بيع الدخان يحرك العمل، وهذه الكلمة خطيرة جداً، يجب على قائلها التوبة والاستغفار، ويجب أن نعلم أنه لا يجوز بيع الدخان ولا شراؤه، والكسب من ورائه كسب خبيث.

والآن أمر آخر انتشر في كثير من المحلات، ألا وهو بيع البيرة، أو شراب الشعير بأسماء مختلفة، ويخدعون الناس بأنها خالية من الكحول، ويعتمدون في

ذلك على أنه مكتوب عليها خالية من الكحول، أو نسبة الكحول فيها الصفر، والبعض الآخر يعتمد على حل شربها لكونها واردة إلينا من بلدة السعودية.

هل إذا وردت إلينا من السعودية صار شربها حلالاً؟ قطعاً لا، لأنها دولة كبقية الدول، فيها الحلال وفيها الحرام، فيها أهل الطاعة وفيها أهل المعصية.

هل إذا كتب عليها خالية من الكحول حلَّ شربها؟ لقد رأينا وقرأنا على علب السردين والطون كتب عليها ذبحت على الطريقة الإسلامية، وكل هذا استخفاف في عقول البُسطاء من المسلمين.

أيها الإخوة: إن شرب هذه البيرة ـ شراب الشعير ـ بكل مسمياته المختلفة ما دامت وضعت في زجاجة شبيهة بزجاجة الخمر، فإنه يحرم شربها، ولو كانت خالية من الكحول. هذا أولاً.

ثانياً: هل تعلمون أيها الإخوة الباعة بأن شبابنا اليوم عندما يشربون هذا الشراب يتشبهون بأهل الخمر عندما يشربونها؟

هل تعلمون أيها الإخوة الباعة بأن المعامل والمصانع التي تصنع الخمر هي نفسها التي تنتج هذا المشروب؟ وهؤلاء لو كانوا يخافون الله عز وجل ما صنعوا أُمَّ الخبائث، فهل يُؤمن جانب هؤلاء.

أيها الباعة: اتقوا الله في شبابنا، ودائرة الحلال تكفيكم.

أيها الشباب: عليكم بالمشروبات التي أحلَّها الله لكم، وهي تكفيكم، لأنه ثبت بعد التحليل لهذا الشراب أن نسبة الكحول فيه مختلفة فيما بين بعضها البعض، فالبعض نسبة الكحول فيها ٢%، ومنها ٦%، وما أسكر كثيره فقليله حرام.

وعلى كل حال فشرب هذا الشراب من الشعير لا يجوز شرعاً، ولو كان خالياً من الكحول مئة بالمئة، وهذا ما أستبعده، لكونه معبأً بزجاجات الخمر.

هذا، والله تعالى أعلم.

**	**	**

-124 خطبة الجمعة: لمثل هذا فليعمل العاملون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

خلاصة الخطبة الماضية:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي أنه ينبغي على كل شاب فينا وعلى كل رجل أن يجعل شعاره بعد أن تذوق حلاوة الإيمان، وبعد أن شرح الله صدره للإسلام، أن يجعل شعاره إذا دُعي إلى معصية من المعاصي وإلى منكر من المنكرات، وخاصة في اقتراف الفاحشة جريمة الزنا، أو عندما يُدعى إلى حديث مع امرأة أجنبية، أن يجعل شعاره: لا... يأبى عليَّ الله والإسلام، متأسياً بذلك الصحابي الجليل من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو فَضالة بن عمير بن الملوح الذي ذاق حلاوة الإيمان، وبعدها دعته امرأة أجنبية إلى الحديث معها.

قل أيها الشاب المدعو إلى معصية الله: لا... يأبى عليَّ الله والإسلام، لأني أريد أن أضحك في النهاية ولا أريد أن أبكي، أريد أن آخذ كتابي بيميني لا بشمالي، أريد الهداية، ولا أريد أن أضيع ديني وأتبع الشهوات.

لمثل هذا فليعمل العاملون:

أيها الشباب، وها أنا أتابع معكم الحديث حول هذا الموضوع، وأقول مؤكداً لكم: قولوا: لا... يأبى عليَّ الله والإسلام، إذا دعيتم إلى المعصية، إلى علاقة مع نساء أجنبيات، وإن قيل لكم: لماذا؟ فقالوا لهم: لأننا نأخذ بوصية ربنا عز وجل عندما قال: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُون}، لمثل أي شيء؟

عباد الله المُخلَصين:

أيها الشباب، قولوا لهم: نريد أن نعمل عمل المخلصين حتى ننال من الله تعالى ما وعد به عباده المخلصين، وعلى رأس هؤلاء المخلصين بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو سيدنا يوسف عليه السلام، الذي دعته امرأة العزيز فأبى، وشهد الله تعالى له بأنه من عباده المخلصين {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِين}.

أيها الشباب، قولوا لهم: نريد أن نكون من المخلَصين حتى ننال ما نالوا، كما قال تعالى: {إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِين * أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُوم * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُون * فِي جَنَّاتِ النَّعِيم * عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِين * يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِين * بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِين * لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُون}.

لا نريد أن نكون من الخاسرين:

نعم الإسلام يريدكم أيها الشباب أن تكونوا من المستثنيين من الخسارة، حيث أقسم ربنا عز وجل بقوله: {وَالْعَصْر * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْر * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر}، نريد هنا الاستثناء، نريد أن نكون من المخلِصين أولاً، ثم نكون بإذن الله من المخلَصين ثانياً حتى ننال وعد الله عز وجل الذي لا يُخلف، فقولوا لدعاة الضلالة والانحراف ولدعاة الشهوات: لا نريد أن نكون من الخاسرين، بل نريد نعيماً دائماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ومرافقة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جنان الخلد، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

نريد الكرامة:

قولوا لهم: نريد الكرامة من الله تعالى في جنة عرضها السماوات والأرض، نريد الرزق الكريم المعلوم، نريد النعيم مع صحبة صالحة في جنة عالية، نريد الخمرة التي لا تذهب بالعقول ولا تضر بالأجساد، نريدها لذيذة طيبة.

لذيذة الدنيا:

لا نريد لذيذة الدنيا، هذه البيرة التي يسميها أصحابها بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، لا نريد هذه البيرة ولو كانت خالية من الكحول ما دامت توضع في زجاجة كزجاجة الخمر، لا نريدها ما دام المصنِّع لها هو مصنِّع الخمر، فكيف إذا كانت فيها نسبة من الكحول؟

نريد الحور العين:

قولوا لهم: نريد الحور العين، نريد الطاهرات، نريد قاصرات الطرف، نريد المقصورات في الخيام، كما قال تعالى: {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِين * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُون}.

من صفات الصالحات أنهنَّ قاصرات الطرف على أزواجهنَّ، وهن قد امتثلن أمر الله عز وجل: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ}.

المرأة الصالحة التي لا تنظر لغير زوجها، ولا ينظر إليها إلا زوجها ومحارمها.

أما المرأة التي تطَّلع إلى الرجال وتخون زوجها، وتخون محارمها، هذه لا تصلح أن تكون زوجة للصالحين الأتقياء، والصالحون لا يبحثون إلا عن الصالحات اللواتي كالحور العين {قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}، واللواتي لا يبدين زينتهنَّ لأحد غير المحارم والزوج، كما قال تعالى: {وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ

نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}. هؤلاء كالحور العين اللاتي قال الله عنهنَّ: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَام}.

قولوا لهم أيها الشباب: هؤلاء اللواتي يخرجن من غير حياء لا يصلحن أن يكن أمهات لتربية جيل صالح، فكيف تكون العلاقة معهن وهنَّ قد حُرِمن أن يجدن ريح الجنة إذا مِتْنَ على ذلك، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا) رواه مسلم.

حديث المُخلَصين مع بعضهم:

اسمعوا أيها الشباب إلى حديث المخلَصين مع بعضهم وهم في الجنة، جعلنا الله منهم ومعهم، قال تعالى مُخبِراً عنهم: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُون * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِين * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنْ الْمُصَدِّقِين * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُون * قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُون * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيم * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِين * وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِين * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِين * إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِين}.

بعض هؤلاء المخلَصين كان له قرين يدعوه إلى الشهوات، ويشككه في الآخرة وفي البعث والجزاء، طلب هذا المخلَص من جلسائه في الجنة أن يطلع على مصير هذا العبد الذي كان قريناً له، فاطَّلع فرآه في وسط الجحيم والعياذ بالله تعالى، فقال له: لقد كدت تهلكني بغوايتك وتوقعني في نار جهنم، ولكن رحمة الله تداركتني فأنعم عليَّ ربي عز وجل بنعمة الإيمان والهداية والطاعة، ولولاها لكنت

من المحضرين معك في العذاب.

ثم أقبل المخلَصون على بعضهم يتساءلون: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِين * إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِين}.

عندها يطمئن هؤلاء بأن نعيمهم دائم وهم فيه خالدون، لأن الموت يذبح بين الجنة والنار، كما جاء في الحديث: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} وَهَؤُلاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا {وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ}) رواه البخاري ومسلم.

هذا هو النعيم والسرور، وتلك حسرة أهل الشهوات والعياذ بالله تعالى، لذلك قولوا لهم أيها الشباب: نحن عقلاء ولسنا بمجانين، نحن عقلاء نضبط أنفسنا بضوابط الشريعة حتى نصل إلى نعيم هؤلاء المخلصين، لأن مولانا نصحنا بذلك.

لمثل هذا فليعمل العاملون:

فوصية الله تعالى لنا أيها الشباب هي واضحة في قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُون}.فمن العمل الذي يوصل إلى هذا النعيم العفة والطهارة، والحرص على سلامة الدين من الوقوع في الفتنة، وأعظم فتنة هي فتنة النساء، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ) رواه البخاري ومسلم.

خاتمة نسأل الله حسنها:

فيا شباب هذه الأمة عليكم بالتجارة الرابحة التي تنجيكم من عذاب أليم، وذلك من خلال الإيمان والعمل بمستلزمات هذا الإيمان، وكونوا على حذر من شياطين الإنس والجن، واعملوا بأعمال المخلَصين لتنالوا ما وعد الله عز وجل به هؤلاء، اللهم اجعلنا منهم. آمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

125- خطبة الجمعة: فائدتان من فوائد الإسراء والمعراج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

يقول الله تعالى في كتابه العظيم آمراً سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُور}. فالله تعالى يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يذكِّر الأمة بأيام الله عز وجل، من أجل الاتِّعاظ والعبرة.

فتذكر أيام الله يشحذ عقيدة الإنسان المؤمن ويحرِّضه على الاستقامة على شريعة الله عز وجل، ويزيد إيمانه رسوخاً، ويجعل منه متوكلاً على الله عز وجل.

الإسراء والمعراج من أيام الله:

وإن من أيام الله عز وجل يوم الإسراء والمعراج الذي أُكرم فيه حبيبنا سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم بالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير}.

ومن المسجد الأقصى إلى السموات العلى، حيث أوحى إليه مولانا ما أوحى، كما قال تعالى: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى}.

ففي أيام الله عز وجل آيات تجعل الإنسان المؤمن مرتبطاً بالله عز وجل، وتجعل منه إنساناً صبوراً على الشدائد والمحن إذا جاءت، وتجعل منه إنساناً شكوراً على النعم التي يسبغها الله تعالى عليه، وتجعل الإنسان المؤمن صبوراً عند الشدائد لينال أجر الصابرين، قال تعالى: { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَاب}. وتجعل الإنسان المؤمن عند المنح والنعم شاكراً لينال أجر الشاكرين قال تعالى: {وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِين}.

وصدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) رواه مسلم.

والمؤمن دائماً يحتاج إلى أمرين اثنين: يحتاج إلى صبرٍ على ما يؤلم، وإلى شكر على ما يُرضي، ومن اجتمع فيه الصبر والشكر كَمُل إيمانه.

أيها الإخوة الكرام: لا أريد أن أسرد إليكم حدث الإسراء والمعراج فكلُّكم سمع حديث الإسراء والمعراج، ولكن أريد أن آخذ معكم اليوم فائدتين من خلال هذا الحدث العظيم الذي أُكرم به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما الفائدة الأولى من ذكرى الإسراء والمعراج:

فهي أن تعلم بأن قدرة الله عز وجل مطلقة لا حد لها، فهو على كل شيء

قدير، كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}. وقال جلَّت قدرته: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون}. ومن عرف ربه عز وجل أنه على كل شيء قدير لم يخف إلا الله تعالى، ولم يستغرب شيئاً من قدرة الله تعالى، ومن صور قدرة الله عز وجل أنه أسرى بحبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى السموات العلى.

هل الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد؟

أيها الإخوة المؤمنون: هناك من يستغرب من هذا الحدث ويتساءل: هل كان الإسراء والمعراج بالنبي صلى الله عليه وسلم روحاً وجسداً أم بالروح فقط؟

مَنْ تدبَّر قول الله عز وجل: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ}. ووقف عند كلمة (عبده) عرف بأن الإسراء كان روحاً وجسداً، لأن كلمة العبد لا تطلق على جسد بدون روح ولا روح بدون جسد، بل تطلق على الروح والجسد مجتمعين.

ولو كان حدث الإسراء والمعراج بالروح فقط دون الجسد لما كان له تكذيب عند المشركين، أنكروا هذا لأنهم عرفوا بأن الحدث كان روحاً وجسداً، لذلك قالوا: ونحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً تزعم أنك أتيته في ليلة، واللات والعزى لا نصدقك، وما كان هذا الذي تقول قط.

لماذا هذا الاستغراب؟

وأنا أقول أيها الإخوة لماذا يستغرب البعض من أن يكون الإسراء والمعراج روحاً وجسداً؟

أليست قدرة الله مطلقة؟ أليس ربُّنا عز وجل على كل شيء قدير؟ أليس أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون؟ فلماذا الاستغراب؟

من الذي أنزل سيدنا آدم وحواء من السماء إلى الأرض؟ أليس هو القائل:

{قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً}. ومن الذي رفع سيدنا عيسى عليه السلام من الأرض إلى السماء؟ أليس هو القائل: {إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}.

فالذي أنزل سيدنا آدم وحواء من السماء إلى الأرض هو الذي أسرى بحبيبه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السموات العلى، والذي رفع سيدنا عيسى عليه السلام من الأرض إلى السماء روحاً وجسداً وما زال حياً هو الذي أكرم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بمعجزتي الإسراء والمعراج.

فهل يشك المسلم بأن الله رفع سيدنا عيسى عليه السلام روحاً وجسداً إلى السماء؟ فإذا كان لا يشك في ذلك، فلماذا يشك في هذه المعجزة؟

بل أقول أيها الإخوة: أنا أستغرب ممن ينكر حدث الإسراء والمعراج بالروح والجسد وهو مؤمن بقدرة الله عز وجل، وهو مصدق بأن الذي عنده علم من الكتاب أتى بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين بأقل من طرفة عين.

اسمع أيها المؤمن ما يقوله مولانا عز وجل عن سيدنا سليمان عندما علم بأن بلقيس وقومها يسجدون للشمس من دون الله تعالى: {قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِين * قَالَ عِفْريتٌ مِّنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِين * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}.

بالله عليك أيها المؤمن إذا كانت هذه قدرة الموهوب بأن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين بأقل من طرفة عين، فكيف بقدرة الواهب الأعلى جلَّت قدرته؟

فأين تكمن الغرابة في إسراء ومعراج النبي صلى الله عليه وسلم بالروح

والجسد؟

الفائدة الثانية من حادثة الإسراء والمعراج:

أيها الإخوة الكرام: إذا عرفنا قدرة الله عز وجل بأنها مطلقة، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ونحن نعيش في دنيا الابتلاء، كما قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ}. وقال أيضاً: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ}. هذا الابتلاء يحتاج إلى صبر، ويتطلع العبد إلى الخروج من هذه الابتلاءات على السلامة من الفتن.

فإذا رسخت العقيدة في النفوس فإن الشدائد والمحن مهما اشتدت فإن المؤمن يتطلَّع إلى الفرج العاجل القريب، لأن الله تعالى يأتي بالفرج من قلب الضيق، وباليسر من قلب العسر، وبالنور من قلب الظلام.

المؤمن يتقلب بين عسر ويسر وشدة ورخاء، فإذا ما اشتدَّ البلاء لا قدَّر الله تعالى فاعلم بأن لك رباً لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

وانظر إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي اشتدَّ بلاؤه، كما قال عليه الصلاة والسلام: (أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ) رواه البخاري. اشتد بلاؤه، وكان أول البلاء من قول عمه أبي لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ إلى يوم الطائف، وذلك بعد أن ماتت زوجته أمُّنا السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها، والتي كانت السكن له، ومات عمه أبو طالب الذي كان الحامي له من حيث السبب، بعد موتهما خرج إلى الطائف لتبليغ رسالة الله عز وجل، فاجتمع مع سادة ثقيف، فرد عليه الأول: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك!

وردَّ عليه الثاني: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك.

وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت

أعظم خطراً من أن أردَّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف.

وقد قال لهم: إذ فعلتم فاكتموا علي.

وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه.

فأقام بالطائف عشرة أيام وقيل شهراً لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاء إليه وكلَّمه، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا: يا محمد اخرج من بلدنا.

وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس.

قال ابن عقبة: وقفوا له صفين على طريقه، فلما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه.

شدة ما بعدها شدة، ولكن ما دام الرب على كل شيء قدير فلا يأس ولا قنوط، فالتجأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه بالدعاء فقال: (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملَّكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكنَّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك) رواه الطبراني.

بعد هذا الضيق جاء الفرج، وجاءت المِنَح بعد المِحَن.

المنحة الأولى: سيدنا جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال يقول صلى الله عليه وسلم: (فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ،

فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا). رواه البخاري ومسلم.

المنحة الثانية: عدَّاس، لما رآه ابنا ربيعة وما لقي تحركت له رَحِمهما، فدعوا غلاماً لهما يقال له عداس، فقالا له: خذ هذا القطف من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه.

ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له: كل.

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال: بسم الله.

ثم أكل، فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إنَّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومن أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك ؟ قال: نصراني وأنا من أهل نينوى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى.

قال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ والله لقد خرجت منها وما فيها عشرة ـ يعني من أهل نينوى ـ يعرفون ما يونس بن متى، فمن أين عرفت أنت يونس بن متى وأنت أمِّيٌّ وفي أمَّة أمِّيَّة؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي.

فأكبَّ عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبِّل رأسه ويديه وقدميه،

فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك.

فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك! ما لك تقبِّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل، لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي.

المنحة الثالثة: وهي الكبرى، حادثة الإسراء والمعراج.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة خذوا هاتين الفائدتين وأنتم تعيشون هذه الحياة الدنيا، قابلوا شدائد الدنيا بعقيدة راسخة بأن الله على كل شيء قدير، وبانتظار الفرج القريب وقولوا: لا كرب وأنت رب.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

126- خطبة الجمعة: أفضل الناس سليم القلب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

ها نحن ودعنا شهر رجب المحرم، واستقبلنا شهر شعبان المعظم الذي يغفل عنه كثير من المسلمين.

عن سيدنا أُسَامَةَ بن زيد رضي الله عنه قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ

تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنْ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ) رواه النسائي.

ودَّعنا شهر رجب المحرم الذي كان فيه حدث الإسراء والمعراج، بعد يوم الطائف الذي كان من أشدِّ الأيام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تروي السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ) رواه البخاري.

فائدة مهمة من يوم الطائف:

أيها الإخوة الكرام: أريد أن أقف معكم مع يوم الطائف، لنأخذ فائدة مهمة في حياتنا الدنيا، وخاصة ونحن نستقبل شهر شعبان المبارك الذي فيه ليلة النصف، التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أَبو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ يَطَّلِعُ عَلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُمْلِي الْكَافِرِينَ، وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ) رواه الطبراني.

أريد أن أقف معكم مع يوم الطائف لننظر من خلاله إلى قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم السليم الذي ما حمل في طياته إلا السلامة على خلق الله جميعاً بما فيهم من آذاه أشدَّ الإيذاء، فما كان فيه حقد ولا غل ولا ضغينة، ثم لننظر إلى قلوبنا ونقارن بعد ذلك ونحن نتذكر قول الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.

قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم من أنقى القلوب وأتقاها وأطهرها، وشدة

الإيذاء والابتلاء والتعدي والظلم ما عرفت طريقاً إلى قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتجعل فيه الحقد والغل والضغينة.

أمل لا ينطفئ:

أيها الإخوة : صاحب القلب السليم لا ينطفئ الأمل من قلبه في صلاح من أساء إليه، حتى إذا يئس منه فإنه لا ييئس أن يخرج الله من صلبه الصالح.

اسمعوا إلى قوله صلى الله عليه وسلم، وهو يحدثنا عن يوم الطائف، وأن الأمل ما انطفئ من قلبه الشريف وذلك لسلامته: (فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ.

قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) رواه البخاري.

إن يئس منهم فإنه ما ييئس أن يخرج الله من أصلابهم أهلَ التوحيد، لأن الله تعالى على كل شيء قدير، قال تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ}.

وبحقٍّ أخرج الله من أصلاب هؤلاء المشركين أهلَ التوحيد والإيمان، كسيدنا عكرمة رضي الله عنه أخرجه الله تعالى من صلب أبيه الذي هو فرعون هذه الأمة.

أفضلُ الناس سليم القلب:

أيها الإخوة: عندما اطمأنَّ قلبُ النبي صلى الله عليه وسلم بأنَّ ما حلَّ به ليس بسبب سخط من الله تعالى عليه، لأن الله تعالى أرسل إليه جبريل وملك الجبال عليهما السلام، وكانا بإمرته ماذا يأمر، عرف النبي صلى الله عليه وسلم أن

هذا الابتلاء لحكمة، لذلك اعتذر إلى سيدنا جبريل عليه السلام وملك الجبال بقوله: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا).

وكان بعد ذلك يعتذر إلى ربنا عز وجل عن قومه بقوله صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ) رواه البخاري.

كل هذا يعلمنا كيف تكون سلامة القلوب التي هي سر سعادتنا في الدنيا والآخرة، وذلك من خلال قوله تعالى: {يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُون * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم}.

وبسلامة القلب يكون الإنسان من أفضل الناس، ولذلك من الأسباب التي جعلت سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الإطلاق، وأفضل الأنبياء والمرسلين، بل جعلته سيد أولي العزم من الرسل، سلامة قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم على خلق الله جميعاً مؤمنهم وكافرهم.

لذلك عندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الناس، أجاب صلى الله عليه وسلم كما جاء في سنن ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ) قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: (هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لا إِثْمَ فِيهِ وَلا بَغْيَ وَلا غِلَّ وَلا حَسَدَ).

احرص على سلامة قلبك:

أيها الإخوة: تعالوا لننظر إلى قلوبنا تجاه بعضنا البعض، هل هي سليمة من الحقد والغل أم أنها مليئة بالحقد والغل؟

ما الفائدة التي خرجنا بها من ذكرى يوم الإسراء والمعراج بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف؟ وما الفائدة التي نرجوها من ليلة النصف من شعبان إن صادفناها؟

ما الفائدة التي حصلناها والتي نرجوها إذا كانت قلوبنا قلوب الحاقدين

الحاسدين؟

إذا اختلفت معك في مسألة من مسائل الفروع هل نتدابر ونتباغض ونتحاسد؟

إذا اختلفت معك في مسألة من مسائل التجارة والتعامل المادي هل نتدابر ونتباغض ونتحاسد؟ وقس على ذلك سائر الاختلافات فيما بين بعضنا البعض، أين نحن من قول الله عز وجل: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين}؟ هذا إذا أساء أحدنا لصاحبه، فكيف إذا لم تكن هناك إساءة بل اختلاف في الرأي؟ فمن باب أولى وأولى أن تكون القلوب سليمة.

يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة:

أيها الإخوة الكرام: إن سلامة القلوب سبب من أسباب الحياة الطيبة في دار الفناء، وسبب من أسباب دخول الجنة في دار البقاء، وهل يمكن أن يكون العبد في جنة عرضها السماوات والأرض وقلبه مليء بالحقد والغل والضغينة؟ لنستمع إلى هذا الحديث الشريف.

روى الإمام أحمد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ، قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ

حَتَّى يَقُومَ لِصَلاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلاثَ مِرَارٍ: (يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لا أَجِدُ فِي نَفْسِي لأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لا نُطِيقُ.

خاتمة نسأل الله حسنها:

أيها الإخوة: يا من ودَّعتهم شهر رجب المحرم، الذي ذكرتم فيه يوم الطائف، وعرفتم سلامة قلب النبي صلى الله عليه وسلم، هاأنتم تستقبلون شهر شعبان الذي فيه ليلة النصف، حيث يغفر الله عز وجل فيها لجميع خلقه إلا للمتحاقدين المتدابرين المتخاصمين، فهلا أسرعنا لامتثال أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ) رواه أحمد، وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال: (أَفْضَلُ الْفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ مَنَعَكَ، وَتَصْفَحَ عَمَّنْ شَتَمَكَ).

اللهم نسألك سلامة القلوب من كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك، ويباعدنا عن دخول جنتك يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله.

** ** **

127- خطبة الجمعة: هل تغتنم هذه الفرصة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

أنت واحد من اثنين:

الإنسان واحد من اثنين لا ثالث لهما:

الصنف الأول: عبد عرف ربه عز وجل ثم عرف نفسه وذاته، فهو عبد مؤمن بعبوديته لله تعالى، موقن بأنه مملوك لله عز وجل خاضع لسلطانه، لكن هذا العبد مشمول بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه ابن ماجه. ومشمول بقوله عز وجل: {وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا}.

هذا العبد الضعيف أثقلته الذنوب والخطايا والأهواء والشهوات بسبب ضعفه وبكونه غير معصوم، هذا العبد وقع في الذنوب والآثام في ساعة غفلة من الله عز وجل، فإذا ما فكر بالعودة إلى الله تعالى هجمت عليه الخواطر كيف ترجع إلى الله وأنت العبد المذنب الخطاء؟ أو استحيا هذا العبد من ربه كيف يرجع إلى الله تعالى؟ وهو العبد الذي ما قابل الإحسان بالإحسان، بل قابل الإحسان بالإساءة، كيف يقبل على الله تعالى الذي خلقه فسوَّاه فعدله في أي صورة ما شاء ركَّبه؟ هذا الصنف الأول.

الصنف الثاني: عبد ما عرف نفسه وما عرف ربه والعياذ بالله تعالى، ولسان حاله وقاله يقول: {إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}. هذا العبد يأكل كما تأكل الأنعام والنار مثوى له والعياذ بالله تعالى.

هذا العبد حجب عن معرفة هويته، ومن ثم حجب عن معرفة ربه عز وجل، فعاش في هذه الحياة الدنيا لا يعرف مولاه ولا يعرف خالقه، ولا يعرف من أين أتى؟ ولا إلى أين المصير؟ ولا عرف الغاية من خلقه؟

هذا العبد حجب عن الله عز وجل والعياذ بالله تعالى بعلمه، أو بماله، أو بشبابه، أو بجماله، أو بقوته، أو بسلطانه، أو بعشيرته، أو بنعمة من النعم التي أسبغها الله عز وجل عليه، انطبق عليه قول الله عز وجل: {كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}.

أقول للصنف الأول:

أيها الإخوة: أخاطب الصنف الأول من هذين الصنفين، أخاطب العبد الذي عرف الله تعالى وعرف نفسه، عرف هويته، وعرف الغاية من خلقه، وعرف بأنه محاسب يوم القيامة، عرف قوله تعالى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُون}. وعرف قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ) رواه الترمذي.

أقول لنفسي ولهذا الصنف من الناس:

هذه ليلة من الليالي التي ستقبل علينا بعد أيام، ألا وهي ليلة النصف من شعبان، إن كان لنا بقية من عمر، ستقبل علينا ليلة النصف من شعبان التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم كما يروي ابن ماجه عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: أَلا مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ؟ أَلا مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ؟ أَلا كَذَا؟ أَلا كَذَا؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ).

ويقول الله عز وجل: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن

رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم}.

ويقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}.

ويقول الله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون}.

ويقول الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين}.

ويقول تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}.

أقول أيها الإخوة للصنف الأول من العباد: يا من وقع في الذنوب والخطايا، يا من يشكو من ثقل الأوزار، يا من يشكو من الأهواء والشهوات، يا من هَيْمَنَ عليه الضعف فانساق خلف الشهوات، تعال واجعل الدواء على الداء، تعال وعالج نفسك، وذلك بحسن إقبالك على ربك، بكثرة دعائك، بكثرة تضرُّعك، بوقوفك على باب مولاك الأعزِّ الأمجد الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

قف على باب مولاك الذي ما أُغلق، قف على باب مولاك الذي يدعوك إلى جنة عرضها السموات والأرض، قال تعالى: {وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم}.

يا أيها العبد الضعيف قف على باب مولاك في ليلة النصف، يا صاحب القلب المحزون، يا صاحب القلب المنكسر قف على باب مولاك في كل ليلة، وخاصة في ليلة النصف، فالله تعالى يدعوك: (أَلا مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ؟ أَلا مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ؟ أَلا كَذَا؟ أَلا كَذَا؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ).

اغتنم هذه الليلة واجعل الدواء على دائك وأنت موقن بالإجابة، اغتنم هذه الليلة بالدعاء، وليكن دعاؤك دعاء العبد المضطر، لأن دعوة المضطر مستجابة، قال تعالى: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُون}.

ليست المشكلة في المعصية:

أيها الإخوة: ليست المشكلة في المعصية، المشكلة في الإصرار عليها، المشكلة في تبرير المعصية، المشكلة في الاستكبار على الله تعالى، المشكلة في تحليل الحرام وتحريم الحلال، ليست المشكلة في المعصية لأن ربنا عز وجل يقول: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم}.

المشكلة ألا ترى المعصية معصية، ألا ترى الإعراض عن الله جريمة كبرى، هذه هي المشكلة.

المشكلة أن تكون محجوباً عن الله عز وجل، المشكلة أن لا تنتهز الفرص، فرص الإقبال على الله تعالى، وليلة النصف من شعبان بل شهر شعبان كله من الفرص التي غفل عنها كثير من الناس، كما جاء في الحديث الشريف عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنْ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ قَالَ: (ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ) رواه الترمذي.

هذه هي المشكلة، وليست المشكلة أن تكون عاصياً بدون إصرار، جاء في الحديث الشريف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ) رواه مسلم.

فأقبلوا على الله تعالى بالدعاء والتضرُّع، وحُطُّوا رِحالكم على باب مولاكم، واصدقوا في توبتكم فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وإن الله يفرح بتوبة عبده، كما جاء في الحديث الشريف: عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ) رواه مسلم.

هل اجتماع المسلمين لا يرضي الله عز وجل؟

وهنا أقول أيها الإخوة: لا تلتفتوا إلى بعض الناس الذين يقولون إن إحياء هذه الليلة وصيام يومها من البدع ما جاء فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث صحيح.

نعم أيها الإخوة ما جاء حديث صحيح في هذه الليلة من أجل قيامها ولا صيام نهارها، نعم الحديث ضعيف، ولكن أما يعلم هؤلاء بأن الحديث الضعيف يُعمل به في فضائل الأعمال؟ أما يعلم هؤلاء بأن تسوية الحديث الضعيف بالموضوع جريمة كبرى؟

أقول لهؤلاء الإخوة الكرام الذين يشنون الغارات على المسلمين إذا ما جاءت ليلة الإسراء والمعراج أو ليلة النصف من شعبان أو ليلة المولد أو ما شاكل ذلك من هذه الليالي المباركة، يشنون على المسلمين هجمات التبديع والتضليل وربما التفسيق والتكفير، أقول لهؤلاء:

يا عباد الله اتقوا الله عز وجل في هذه الأمة.

ألا يعجبكم أن تروا هذه الأمة في بيت من بيوت الله بقضِّها وقضيضها تتضرع إلى الله تعالى بالدعاء وتلحُّ في المسألة؟

ألا يعجبكم أن تروا هذه الأمة في ليلة النصف من شعبان أو في ليلة الإسراء والمعراج أو في ليلة المولد تذكر الله تعالى وتدعوا الله عز وجل وتمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشكر الله تعالى على نعمه التي أسبغها الله عليهم؟

ألا يعجبكم أن تروا الأمة واقفة بين يدي الله عز وجل في محراب العبودية لله عز وجل وهي تظهر عجزها وفقرها وذلها لله تعالى؟

إن كان هذا لا يعجبكم فماذا يعجبكم؟

هل اجتماع الأمة في بيوت الله عز وجل لا يرضي الله عز وجل، ولا يرضي النبي صلى الله عليه وسلم؟

هل اجتماع الأمة في ليلة النصف من شعبان أو في ليلة الإسراء والمعراج أو في ليلة المولد مع الاعتقاد بعدم سنية ذلك يضر في دين الأمة؟ ألا يكون هذا اللقاء داخلاً تحت قول الله عز وجل: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}؟

ماذا يضرُّ اللقاء مع الاعتقاد بعدم وجوبه وفرضيته، بل بعدم سنيَّته، وخاصة في زمن ضعفت فيه الهمم وكثر فيه الإعراض عن الله عز وجل؟ ماذا يضرُّ هذا اللقاء مع الاعتقاد بعدم سنيته ونحن نجدد إيماننا في لقائنا مع بعضنا البعض على ذكر الله تعالى؟

هل هذا من البدع في دين الله عز وجل؟ نعم لو قلنا بأن هذا الاجتماع فرض أو واجب أو سنة بدون دليل فهذا من البدع، لأنا أقحمنا في دين الله ما ليس منه، أما لو اجتمعنا على طاعة الله وعلى ذكر الله مع الاعتقاد بأن هذا الأمر مباح وليس سنة، فما الذي يضر؟

أنا أيها الإخوة في كل أسبوع أقول لكم بعد صلاة الجمعة:

لا تنس حصة السؤال والجواب بعد صلاة السنة البعدية، هل أنا مبتدع في دين الله عز وجل؟ هل اللقاء لمدارسة العلم بدعة؟ وخاصة عندما نسمع قول الله

عز وجل: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}. هل ينكر أحد علي؟ فيقول: كيف تقول لا تنس حصة السؤال والجواب والله تعالى يقول: { فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ}؟ هل بقاؤنا بعد صلاة الجمعة ساعة من الزمن نتفقه في دين الله عز وجل من البدع؟

أقول لهؤلاء الإخوة الذين يشنون تلك الهجمات في هذه المناسبات على المسلمين: ما أنتم قائلون لله عز وجل؟ نعم ولو قلتم للناس: أيها الإخوة اجتمعوا ولكن لا تعتقدوا فرضية ولا وجوب ولا سنية هذا الأمر، فإن هذا الأمر لا يضركم، ولكن بهذا الشكل العنيف الذي نسمعه بدون قيد ولا شرط أرى فيه خطورة عليكم.

وأقول للصنف الثاني:

أيها الإخوة: أما الصنف الثاني من الناس الذين استكبروا على الله تعالى، الذين لا يرون المعصية معصية، الذين حُجبوا عن مولاهم فما عرفوا الله تعالى وما عرفوا أنفسهم، أقول لهم:

يا من وضعتم هوياتكم تحت أقدامكم، ونسيتم قول الله عز وجل: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}. أنتم سكارى تائهين عن جادة الصواب، قفوا مع أنفسكم لحظة واحدة، وأذكِّركم بقول الله عز وجل: {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا}. فكِّر في نفسك من أنت؟

أنت أوَّلك ضعفُ الطفولة، وآخرك ضعف الشيخوخة، وما بينهما مرحلة القوة، اعلم بأنها عارية مُسْتَرَدَّة، وصدق الله القائل: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِير}.

بدايتك ضعف وآخرك ضعف ومرحلة القوة لا تدوم لك.

فيا من بدايته ضعف ونهايته ضعف فكِّر من الذي ينقلك من حال إلى حال

بدون اختيار منك؟

الذي ينقلك إنما هو مولاك إن شئت وإن أبيت، وهو القائل في كتابه العظيم: {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}. فالله ينقلك من طور إلى طور رغماً عن نفسك، فهل يليق بك أن تستكبر على مولاك؟ {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}.

إذا عرفت من أنت فبها ونعمت، وإلا فأقول لك كما قال بعض الصالحين لواحد من المستكبرين: أنت أولك نُطْفَةٌ مَذِرَة، وآخرك جيفة قَذِرة، والآن تحمل العَذِرَة. وصدق الله القائل: {فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِق}.

أقول لهؤلاء: إن سمعتم نصحي ورجعتم إلى عقولكم قبل فوات الأوان فستكونون من السعداء إن شاء الله تعالى، وإلا فأنا أطلب منكم شيئاً واحداً، ألا وهو الثبات على ما أنتم عليه من الاستكبار والاستعلاء، اثبتوا على جحودكم وعنادكم إلى ساعة الموت.

اثبت على استكبارك بعلمك بجاهك بسلطانك بمالك حتى إذا جاءك ملك الموت فَرُدَّهُ باستكبارك.

اعتبر أيها المستكبر:

أيها العبد المتكبر اعتبر بغيرك، لأن العاقل من اتَّعظ بغيره، والأحمق الذي لا يعتبر إلا بنفسه، أيها العبد المستكبر أعطاك الله نموذجاً في القرآن العظيم عن بعض المستكبرين فهل أنت معتبر؟

هذا فرعون الذي قال لقومه: {مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى}. وقال لهم: {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}. وقال لسيدنا موسى وهارون: {فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى}. وقال آخر المطاف استكباراً وجحوداً: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}.

هل ثبت على ذلك عندما جاءته سكرات الموت؟ اسمع ما يحدثنا عنه مولانا عز وجل: {حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو

إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِين * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِين}.

بل أقول لك أيها المستكبر تدبر جيداً قوله تعالى: {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُون}. وقد نجاه الله ببدنه. والناس اليوم يقصدون زيارته هذا هو الذي قال ما قال. فما رأيك أيها المستكبر؟

هذا الذي استكبر كان به مولانا حليماً لأنه عبد الله إن شاء أو أبى، أرسل الله إليه موسى وهارون عليهما السلام، وقال لهما: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}. بأسلوب لطيف لأن مولاك رحيم بك، فلا تكن أحمق، وقال لسيدنا موسى: {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى}. خيَّره سيدنا موسى بأمر من ربنا عز وجل، ولكن الاستكبار أعمى قلبه والعياذ بالله، فكانت النتيجة التي عرفتَ.

وأخيراً أقول لهذا العبد المستكبر:

أنصحك بأن ترجع إلى مولاك قبل فوات الأوان، وإن أصررت على استكبارك فأنصحك أن تأخذ هذه الآية من كتاب ربك عز وجل: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيد * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيد * وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيد * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد}.

عندما يصبح بصرك حديداً وترى مقعدك من النار فسوف تقول كما قال أمثالك الذين قال فيهم مولانا: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}.

خاتمة نسأل الله حسنها:

أيها الإخوة لنغتنم الفرص التي منحنا الله إياها، والتي من جملتها ليلة النصف

من شعبان، واعلموا بأن أصنافاً ستة لا يُغفر لهم، وهم: المشركون، والمتشاحنون، وقاطعو الرحم، والمستكبرون، والعاقون لوالديهم، والمدمنون على الخمر، أعاذنا الله وإياكم من ذلك. وأقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

128- خطبة الجمعة: أخضعوا أنفسكم لمراقبة اللّه عز وجل(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأن كلَّ واحد من الناس هو واحد من اثنين: إما هو عبد عرف ربه وعرف نفسه، وحاول أن يتحقَّق بالعبودية لله عز وجل، وإما عبد جهل ربه وما عرف نفسه، فاستكبر على الله عز وجل، فهذا سيندم عاجلاً أم آجلاً.

وإني اليوم أخاطبكم أنتم لأنكم من الصنف الأول الذي عرف ربه عز وجل، وعرف نفسه أنه عبد لله عز وجل، ويحاول أن يتحقق بالعبودية لله عز وجل.

أخضع نفسك لمراقبة الله عز وجل:

يا عباد الله: يجب على كل واحد منا أن يُخضِع نفسه لمراقبة الله عز وجل ولو بعض الدقائق في كل يوم، من أجل أن يحاسب نفسه، لأن العبد إذا لم يُخضِع

نفسه لمراقبة الله عز وجل فلن يتحقَّق بالعبودية الحقة لله عز وجل.

أيها الإخوة: نحن ما وقعنا في المعاصي والمخالفات الشرعية بجميع صورها وأشكالها وعلى جميع مستوياتنا من القمة إلى القاعدة إلا بسبب غفلتنا عن الله عز وجل.

والله عز وجل يخاطب كلَّ فرد منا، كل فرد آمن بالله رباً، وآمن بيوم الحساب، خاطبه بقوله تعالى: {وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِين}، لأن العبد الغافل عن الله لا يُحِلُّ حلالاً ولا يُحرِّم حراماً، هذا فضلاً عن الوقوع في الشبهات.

لذا أرى من الواجب علينا أن نخلو كلَّ يوم مع أنفسنا ولو بعض اللحظات لنحاسب أنفسنا، ولنخضع هذه النفس لمراقبة الله عز وجل، ونحن نتذكر بعض آيات من كتاب الله عز وجل، مثل قوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد}، وقوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}، وقوله تعالى: {وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}، ومثل قوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}، وقوله تعالى: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}، وقول سيدنا عيسى عليه السلام لربنا عز وجل: {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد}.

أيها الإخوة: من الواجب علينا أن نُخضِع أنفسنا لمراقبة الله عز وجل في كل يوم لأننا على ثقة بقوله تعالى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُون}، وبقوله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون}، وبقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فيه، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

فمن أخضع نفسه لمراقبة الله عز وجل استراح وأراح، وضمن لنفسه بإذن الله تعالى حياة طيبة كريمة في الدنيا، وجنةً عرضها السماوات والأرض بفضل الله عز

وجل.

من أخضع نفسه لمراقبة الله عز وجل عمَّر دنياه بالسعادة وآخرته كذلك، وأسعده الله تعالى سعادة لا شقاوة بعدها أبداً.

أين مراقبتنا لله إذا وُجِد الدينار والدرهم؟

أيها الإخوة الكرام: نحن بأمسِّ الحاجة إلى أن نُخضِع أنفسنا لمراقبة الله عز وجل إذا وُجِد الدينار والدرهم، لأن الله عز وجل سائلنا يوم القيامة عن المال من أين اكتسبناه وفيم أنفقناه، كما جاء في الحديث: (لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فيه، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

راقب الله عز وجل وكن على حذر من أكل أموال الناس بالباطل أو إطعام الناس المال بالباطل، لا تأكل مال غيرك بالباطل ولا تطعم الآخرين المال بالباطل.

مثال رائع لمن أخضع نفسه لمراقبة الله عز وجل:

أيها الإخوة الكرام: ها أنا أسوق لنفسي ولكم هذا المثال الرائع لمن أخضع نفسه لمراقبة الله عز وجل سراً وعلانية، وخاصة عند المال الذي هو فتنة للرجال، ليكون أسوة صالحة لنا وخاصة ونحن في زمن أصبح الرجل وأمسى وهو يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، كما جاء في الحديث الشريف: (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا) رواه مسلم، وفي رواية عند الإمام أحمد: (بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا قَلِيلٍ).

هذا المثل الرائع هو حديث صحيح جاءنا عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يرويه لنا الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلاً، قَالَ: صَدَقْتَ).

دفع له المال بدون شهود وبدون توثيق وبدون رهان مقبوضة، وأنا أنصحكم أيها الإخوة بتوثيق ديونكم بالكتابة وبالشهود وبالكفلاء، وخاصة في هذا الزمن حتى لا تندموا، لأن المال شقيق الروح، وقد قلَّ من يراقب الله عز وجل في أموال الناس.

يقول صلى الله عليه وسلم: (فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلاَنًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلاً، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ).

انظروا أيها الإخوة إلى من أخضع نفسه لمراقبة الله عز وجل، إلى من جعل الله شهيداً على قرضه، وكفيلاً له على سداد دينه، انظروا إلى هذا المدين الذي رضي الدائنُ أن يقرضه لِدِينه وصلاحِه، انظروا إليه حيث لم يستغلَّ دينه وصلاحه في أكل أموال الناس بغير حق، انظروا إليه وهو يعطي الصورة الحسنة عن إيمانه بالله عز وجل، انظروا إليه كيف فعل هذا الفعل الذي تقشعرُّ له الأبدان هيبة وإجلالاً واحتراماً.

نعم لقد نقر الخشبة وأدخل فيها المال وصحيفة كأنه كتب عليها من عبد الله فلان إلى فلان، هذا دينك الذي علي.

ثم توسل إلى الله عز وجل بتلك الكلمات التي قالها: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلاَنًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلاً، فَرَضِيَ

بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ).

لقد أسلمها إلى ربٍّ على كل شيء قدير، لقد أسلمها لربٍّ يقول للشيء: كن فيكون، لقد أسلمها إلى ربٍّ بيده قلوب العباد يقلِّبها كيف يشاء ويلهمها ما يشاء، نعم لقد ألهمه الله عز وجل أن يفعل ذلك، وما دام هو الذي ألهم فهو الضامن لنتائج هذا الإلهام.

فألهم الله عز وجل المدين أن يفعل هذا، وبحقٍّ فعل هذا، وألقى الخشبة في الماء، ودعا الله عز وجل.

أما العبد الدائن فماذا فعل؟ يقول صلى الله عليه وسلم: (ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ).

نعم كذلك ألهم الله عز وجل هذا الدائن أن يأخذ تلك الخشية، وألهمه الله تعالى أن ينشرها ليرى ماله والصحيفة.

ولكن هل انتهت القصة بهذا؟ هل رجع المدين لينام بدون مبالاة؟ لا أبداً، إنه قد جعل الله شهيداً وكفيلاً على دَيْنِه، لم يهدأ له بال حتى قدِم إلى الدائن بالمال.

يقول صلى الله عليه وسلم: (ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ).

جاء المدين إلى الدائن ولم يسأله: هل وصل إليك مالك لأني بعثته إليك بالخشبة؟ لا أبداً، بل تنكَّر من ذاك الفعل الذي يعتبر في حقِّه كرامة من الكرامات، فقال له كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم: (قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟

قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ).

تنكَّر من ذاك الفعل وأصرَّ على صاحبه أن يأخذ المال منه، ولكن الدائن كان ممن يراقب الله عز وجل، ويتقي الله، كان ممن أخضع نفسه لمراقبة الله عز وجل، وكان حريصاً على أن لا يأكل أموال الناس بالباطل، فقال الدائن للمدين كما يقول صلى الله عليه وسلم: (قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا).

الله شاهدي، الله ناظري، الله معي:

أيها الإخوة الكرام: أخضعوا أنفسكم لهذه الكلمات: الله شاهدي، الله ناظري، الله معي، لا تأكلوا أموال الناس بالباطل، لا تأكلوا أموال الناس بغير حق، وخاصة وأنتم تقرؤون قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ}، صفة بعض علماء اليهود وبعض الرهبان من النصارى أنهم يأكلون أموال الناس بالباطل، فهل أنت يا أيها المسلم تتشبَّه بهؤلاء فتأكل أموال الناس بدينك؟

أيها المؤمن: الله شاهدك، الله ناظرك، الله معك، ألست أنت موقناً بذلك؟ فإذا كنت موقناً بذلك فلا تجعل الله أهون الناظرين إليك، وإذا لم توقن ـ لا قدر الله بذلك ـ فقد خرج غير الموقن من الملة والعياذ بالله تعالى.

جريمة كبرى:

أيها الإخوة الكرام: من أسباب اختيار هذا الموضوع وقوع جريمة في بيت من بيوت المسلمين، حيث جاءني من يومين أكثر من عشرة أشخاص رجال ونساء، شباب وشيبان، في قضية سرقة مال من البيت، والمبلغ كبير جداً، الكلُّ يتَّهم الكلَّ، كل واحد مدَّعٍ ولا بيِّنة عنده، وكلُّ واحد منكر، يريدون الوصول إلى حلِّ هذه المشكلة، ولم يكن أمامهم إلا اليمين، فكلُّ واحد منهم وضع يده على كتاب الله عز وجل وأقسم بالله العظيم أنه ما أخذ المال، ولم يعلم أحداً أخذه، ولا يعلم أين

هو المال؟

وانتهت القضيَّة بذلك، وتفرَّقت الأسرة وتخاصمت وتدابرت وقُطِّعت الأرحام، ومما لا شك فيه أنه يوجد كاذب بينهم، وإن لم يكن من بينهم فهو طرف ثانٍ.

أين إيمان السارق؟ إن كان السارق واحداً منهم فطامَّة كبرى، وإن كان من غيرهم وهو يراقب الموضوع عن كثب فالطامة أكبر، حيث قُطِّعت الأرحام بسبب هذه السرقة، فماذا سيقول لربه هذا العبد السارق؟ هل تفقَّد إيمانه قبل نهاية الأجل، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) رواه البخاري.

خاتمة نسأل الله حسنها:

أيها الإخوة الكرام: أخضِعوا أنفسكم لمراقبة الله عزوجل، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزِنوا أعمالكم قبل أن توزَن عليكم، اجعلوا جلسة فيما بينكم وبين أنفسكم في كل يوم ولو لبعض الدقائق، لتفوزوا بسعادة الدارين. اللهمَّ أكرمنا بذلك.

ولعلي أن أتابع معكم الحديث حول هذا الموضوع في الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

-129 خطبة الجمعة: أخضعوا أنفسكم لمراقبة اللّه عز وجل(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأنه يجب على كل فرد فينا أن يُخضِع نفسه لمراقبة الله عز وجل، لأن مولانا يقول: {إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، ولأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول: (الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) رواه البخاري ومسلم.

وإذا راقب كل واحد منا نفسه وأخضعها لمراقبة الله عز وجل صلح الفرد، وإذا صلح الفرد صلحت الأسرة، وإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع بإذن الله تعالى.

وإن الفساد الذي نراه في مجتمعنا على جميع المستويات ما سببه إلا عدم إخضاع أنفسنا لمراقبة الله عز وجل، وأقول لكل واحد فينا على جميع مستوياتنا: لنتذكر أيها الإخوة قول الله عز وجل: {إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، وقول الله تعالى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ}، وقول الله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، وقوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}.

تكلَّمنا في الأسبوع الماضي عن وجوب مراقبة الله عزو جل في الأمور المالية،

كيف يجب أن يكون الدائن والمدِين، وضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الرائع عن المدين الذي أرسل الواجب الذي عليه بالخشبة، وعن الدائن الذي قال للمدين: لقد أدى الله عنك الذي بعثت في الخشبة.

أيها البائع وأيها المشتري أخضع نفسك لمراقبة الله عز وجل، أيها المؤجر وأيها المستأجر، أيها الشريك، أيها الزوج، أيتها الزوجة، أيها المستأمن على أموال الآخرين، أيها الدائن والمدين، أخضعوا أنفسكم لمراقبة الله عز وجل حتى يصلح الله لنا أحوالنا المادية والمعاملات المالية.

منشأ الفساد في الأمور المالية كلها سببه غفلتنا عن الله عز وجل، وعدم مراقبتنا له تبارك وتعالى، وانظروا إلى الواقع الذي يصدق ذلك.

سبب فساد الأسرة:

أيها الإخوة: إن عدم مراقبتنا لله عز وجل في أمورنا المالية أدى إلى أكل الحرام والعياذ بالله تعالى، ومن أكل الحرام وشرب الحرام وغُذِّي بالحرام لن يُوَفَّق للطاعات، بل هذا الفساد سينتقل إلى الأسرة والعياذ بالله تعالى، لأن من أكل الحرام والعياذ بالله تعالى قد يخون زوجته، ومن أكلت الحرام قد تخون زوجها، لأن الغافل عن الله عز وجل ينتقل من معصية إلى معصية، ومن كبيرة إلى كبيرة.

صورة من صور الخيانة:

أيها الإخوة: القرآن العظيم يحدِّثنا عن امرأة ما أخضعت نفسها لمراقبة الله عز وجل، وكانت من الغافلين، يحدِّثنا عنها القرآن الكريم كيف كانت تنتقل من معصية إلى معصية ومن كبيرة إلى كبيرة.

أولاً: خانت زوجها:

فهذه امرأة العزيز ما كانت تراقب الله عز وجل، والمرأة إذا لم تراقب الله عز وجل تقع في جريمة الخيانة، وتجرُّ العار لزوجها ولأصولها ولفروعها، هذه المرأة

تطلَّعت إلى غير زوجها لغفلتها عن الله عز وجل، يقول الله تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ} .

لقد خانت الجميع، خانت زوجها، وخانت أصولها، وخانت فروع أصولها بسبب غفلتها عن الله عز وجل.

ما أكثر الخيانة في المجتمع من قبل بعض النساء، ونست بعض النساء شرفها وجرَّت العار على عائلتها، وهذا أدى إلى ارتكاب الجرائم في المجتمع من قتل وتشريد.

ثانياً: ووقعت في الظلم:

هذه المرأة التي خانت زوجها بسبب عدم مراقبتها لله عز وجل وقعت في معصية ثانية أشدَّ من الأولى، ألا وهي ظلم الأبرياء واتهامهم بالباطل، وما أعظمها من جريمة.

امرأة العزيز هي التي راودت سيدنا يوسف عليه السلام، وهي التي هيأت له الأجواء كلَّها لارتكاب الفاحشة، ولكن كان يراقب الله عز وجل فقال لها: {مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُون}.

عرفها ظالمة ومتعدِّية، والظالم ماذا تتوقع منه؟ يحدِّثنا عنها القرآن العظيم بقوله جلَّت قدرته: {وَاسُتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيم}.

يحلفْنَ وهُنَّ الكاذبات، ويظلمْنَ وهُنَّ الظالمات، ما هذا؟ نعم الغافل توقَّعْ منه كلَّ مخالفة.

قالت بكلِّ جرأة لزوجها: {مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيم}. مع أنها تعرف نفسها بأنها كاذبة وأنها هي الظالمة، ولكن الغفلة أمرها عجيب، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما حذَّر من الكذب

بقوله: (وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا) رواه مسلم. فبكذبها وصلت إلى ما وصلت إليه، وصلت إلى الخيانة، ووصلت إلى أن تجعل البريء متَّهماً، وتجعله في السجن بدون مبالاة.

ثالثاً: وأصرَّت على المعصية:

وهذه معصية أشدّ من أخواتها، لأنه ليست المشكلة في المعصية، ولكنَّ المشكلة في الإصرار عليها، ومن الذي يصرُّ على المعصية؟ إنه الغافل عن الله عز وجل، إنه الذي ما أخضع نفسه لمراقبة الله عز وجل، امرأة العزيز وقعت في الخيانة الزوجية، ووقعت في ظلم البريء، وأصرَّت على المعصية جهاراً نهاراً فقالت كما أخبر عنها مولانا عز وجل: {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيم * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِين}.

إصرار على المعصية مع شدَّة الظلم والإصرار على المخالفات الشرعية، سبب ذلك أن هذا العبد ما عرف الله تعالى، وما عرف نفسه، فاستكبر وتجبَّر وطغى والعياذ بالله تعالى.

اعلم أيها الغافل:

أيها الإخوة: أنا أقول لكلِّ غافل: يا أيها الغافل من الرجال أو النساء اعلم بأنك مراقَبٌ من قبل الله، أيها الغافل لست بمغفول عنك، أيها الغافل تذكَّر قول الله عز وجل: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}، وتذكَّر قول الله عز وجل: {وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا

تَعْمَلُون}، {سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُون * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِين}.

تذكَّرْ أيها الغافل قوله تعالى: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون}، وقوله تعالى: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُون}.

أيها الغافل: ربُّك ليس بغافل، ربك يُمْهِل ولا يُهْمِل، ربك رحيم حليم، وإذا أخَذَ أخَذَ أخْذَ عزيز مقتدر، فاحذر أيها الغافلُ الحليمَ إذا غضب.

أيها الغافل: الجزاء من جنس العمل، والقصاص عاجلاً أم آجلاً، والحقائق ستنجلي إما في الدنيا وإما في الآخرة، فما أنت قائل إذا انجلت الحقائق؟

إذا انجلت الحقائق في الدنيا فأمرها يسير، لأنه بإمكانك أن تصلح أحوالك، وأن تتوب إلى الله عز وجل، أما إذا خُبِّئت لك إلى يوم القيامة حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فما أنت فاعل إذا كانت الحقائق تنجلي على رؤوس الأشهاد في يوم لا تنفع فيه التوبة، ولا ينفع فيه الندم،{ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُون * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون}.

إذا انجلت الحقائق فما هو موقف الغافل؟

أيها الإخوة: خاطبوا الغافل ما هو موقفك إذا انجلت الحقائق في الدنيا أو في الآخرة، تصور هذا الموقف واعتبر منه، قال تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيم * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن

نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِين}.

انجلت هذه الحقيقة، وصرَّحت النسوة بقولهنَّ: {مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ}، وصرَّحت امرأة العزيز بقولها: {أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِين}، ماذا ينفع هذا الكلام بعد أن لبث في السجن بضع سنين؟

يا من أودع الآخرين بالسجن ظلماً وعدواناً، ما أنت قائل لربك عز وجل يوم القيامة؟ وما أنت قائل للمظلوم إذا وقفت أمامه ووقعت عينك على عينه؟ اتَّهمت الآخرين ببعض الأمور ظلماً وعدواناً فأدخلتهم السجن، فما هو موقفك إذا انجلت الحقائق؟

التوبة في الدنيا تنفع:

أيها الإخوة: التوبة في الدنيا تنفع، والاستحلال في الدنيا يبرئ الذمة بإذن الله تعالى، فأسرع بالتوبة قبل الموت، واستحلَّ ممن ظلمتَه قبل أن يدركك الموت، فالله تعالى فتح لك باب التوبة، ومهما عظمت التوبة فالله يقبلها إذا حقَّقْت شروطها، وذلك بالإقلاع عن المعصية، وبالندم على ما فعلت، وبالجزم على أن لا تعود، وبإعادة الحقوق إلى أصحابها، فإذا تبت توبة صادقة فأبشر بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}.

ثمرات المراقبة مشرِّفة:

أيها الإخوة: لقد عرفتم ثمرة الغافل إن صحَّ التعبير، وتعالوا أيها الإخوة لنعرف ثمرة العبد الذي راقب مولاه، فهذا سيدنا يوسف عليه السلام، الذي اعتصم بالله عز وجل، وقال: {مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ

الظَّالِمُون}، لأنه كان يراقب الله عز وجل، فما كانت نتيجته؟

النتيجة هي الرفعة والمكانة والسيادة والريادة، قال تعالى مخبراً عن سيدنا يوسف عليه السلام وهو يخاطب الملك: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيم * وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين}.

وهذا الذي نحتاجه لصلاح المجتمع لصلاح الأمة، نحتاج إلى رجل أخضع نفسه لمراقبة الله عز وجل، نحتاج إلى رجل ليس بغافل عن الله، نحتاج إلى رجل يحاسب نفسه قبل أن يُحاسَب.

خاتمة نسأل الله حسنها:

أيها الإخوة: أخاطب كلَّ شاب وشابة، وأقول: أيها الشاب أخضع نفسك لمراقبة الله عز وجل، واتَّق الله في أعراض الآخرين، واجعل شعارك: {إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ}، فإن النتيجة مشرِّفة ومشرقة عاجلاً وآجلاً، والمجتمع كلُّه بحاجة إليك أيها الشاب عندما تراقب الله عز وجل، لأن صلاح المجتمع لا يكون إلا بأمثالك عندما تراقب الله عز وجل.

أما أنت أيتها الشابة: اتقي الله في شباب المسلمين، واعتبري من قصة امرأة العزيز عندما كانت غافلة عن الله عز وجل، واجعلي لنفسك قدوة صالحة من بنات سيدنا شعيب عليه السلام في مشيتها وفي حديثها مع الرجال، كما يحدثنا عنها القرآن: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِير * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير * فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِين}.

{لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء} حتى لا نختلط بالرجال، {وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِير}

أي ما خرجنا من البيت إلا لعدم وجود من يقوم بشؤوننا لأن أبانا شيخ كبير، ومشيتها على استحياء لأنها تراقب الله تعالى، ولا تضرب الأرض برجلها ليعلم ما تخفي من زينتها وتميل إليها قلوب الرجال، وحديثها مع الرجال على استحياء حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض.

أسأل الله تعالى أن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظ شبابنا وشاباتنا من جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

130- خطبة الجمعة: ما هو المطلوب منك في شهر رمضان المبارك؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد شاء ربنا أن يجعل هذا اليوم المبارك هو اليوم الأخير من شهر شعبان المعظم، لكي أشرف وتتشرفون بسماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم التي خطبها على أصحابه الكرام والتي كانت في آخر يوم من شعبان، حيث ذكَّرهم الحبيب صلى الله عليه وسلم بخصوصيات هذا الشهر العظيم المبارك وسماته وصفاته، كما ذكَّرهم النبي صلى الله عليه وسلم بما هو مطلوب منهم في هذا

الشهر العظيم المبارك الذي يتنافس فيه المتنافسون، ويتسابق المسارعون إلى مغفرة الله تعالى وإلى جنة عرضها السموات والأرض.

خطبة النبي صلى الله عليه وسلم:

أيها الإخوة الكرام: لنلقي السمع إلى خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الذي أُوتِيَ جوامع الكلم، لنستمع إلى تلك الكلمات المنبثة من قلب محب رحيم بالمؤمنين حريص عليهم.

أخرج ابن خزيمة والبيهقي عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرَّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يُزاد في رزق المؤمن، من فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء». قلنا : يا رسول الله، ليس كلُّنا يجد ما يفطِّر الصائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يعطي الله هذا الثواب من فطَّر صائماً على مذقة لبن، أو تمرة، أو شربة من ماء، ومن أشبع صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفَّف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار» زاد همام في روايته : «فاستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتان ترضون بها ربكم، وخصلتان لا غنى لكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بها ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار).

وفي رواية ثانية لابن خزيمة كذلك عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أظلكم شهركم هذا بمحلوف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما مرَّ بالمسلمين شهر خير لهم منه، ولا مرَّ بالمنافقين شهرٌ شرٌّ لهم منه بمحلوف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليكتب أجره ونوافله قبل أن يدخله، ويكتب إصره وشقاءه قبل أن يدخله، وذلك أن المؤمن يعدُّ فيه القوة من النفقة للعبادة، ويعدُّ فيه المنافق اتباع غفلات المؤمنين واتباع عوراتهم، فغنم يغنمه المؤمن).

خصوصيات وسمات هذا الشهر:

أيها الإخوة: لقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشهر العظيم لصحابته الكرام، وذكَّرهم بخصوصيات هذا الشهر التي امتاز بها عن سائر الشهور فهو:

أولاً: شهر عظيم مبارك فيه ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن العظيم، وهي من أقدس الليالي، وهي خير للعبد المؤمن من ألف شهر لو صامها وقامها، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ: (قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، يُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَيُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ) رواه أحمد والنسائي.

ثانياً: تضاعف فيه الأجور، من أتى فيه بنافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أتي فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، فعمرة في رمضان كحجة، عَنْ عبد الله ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً) رواه أحمد. وأفضل الصدقة فيه كما جاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى

الله عليه وسلم: (أفضل الصدقة في رمضان) رواه الطبراني في الأوسط.

ثالثاً: يكفر الله عز وجل ما كان قبله إذا اجتُنبت الكبائر، عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قَال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَعَرَفَ حُدُودَهُ وَتَحَفَّظَ مِمَّا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَحَفَّظَ فِيهِ كَفَّرَ مَا كَانَ قَبْلَهُ) رواه أحمد. و عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) رواه البخاري.

رابعاً: أنه شفيع لمن صامه وقامه حق الصيام وحق القيام، كما جاء في الحديث الشريف عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ) رواه أحمد.

خامساً: أنه وقاية من النار، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (الصِّيَامُ جُنَّةٌ وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنْ النَّارِ) رواه أحمد.

وعَنْ جَابِرٍ بن عبد الله رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّمَا الصِّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنْ النَّارِ، هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) رواه أحمد.

سادساً: يزاد في رزق المؤمن فيه ويبارك الله تعالى في قليله.

سابعاً: يكتب لك أجر صيامه وقيامه قبل دخول العبد المؤمن فيه، إذا كان العبد عازماً على صيامه وقيامه بحق.

ثامناً: وهو أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.

نسأل الله تعالى أن يكرمنا بالرحمة والمغفرة والعتق من النيران بفضله لا بعدله، ومثل ذلك لأصولنا وفروعنا وأزواجنا وأحبابنا والمسلمين. آمين.

ما هو المطلوب منك في شهر رمضان؟

أيها الإخوة الكرام: يجب على كل واحد منا أن يعرف ما هو المطلوب منه في هذا الشهر العظيم المبارك، لأن العبد إذا لم يعرف ما هو المطلوب منه فربما أن يمضي عليه هذا الشهر كبقية الشهور، وهو محروم من خصوصيات هذا الشهر، فيا من يطمع في نيل بركات هذا الشهر وخصوصياته، عليك أن تأخذ بهدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث عرَّفنا ما هو المطلوب منا:

أولاً: صيامه وقيامه، فصيامه فريضة والفريضة بسبعين فريضة، وقيامه نافلة، والنافلة تساوي فريضة فيما سواه، فعلينا بالصيام عن الطعام والشراب والإمساك عن كل المفطرات، وأن نُصوِّم جوارحنا عن المعاصي والآثام.

وعلينا بقيامه، وذلك بالمحافظة على صلاة التراويح عشرين ركعة، وكذلك بالمحافظة على صلاة التهجد اثنتا عشر ركعة، اللهم أكرمنا بذلك، ولا تحرمنا من الإكثار من النوافل فيه يا رب العالمين.

ثانياً: الصبر بأقسامه الثلاثة، الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي، وأن لا نكون ممن قال الله فيهم: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}.

والصبر على الأذى، وذلك بضبط النفس، كما قال صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) رواه البخاري، وأن يكظم أحدنا غيظه لينال شرف صفة المتقين الذين أشار الله إليهم بقوله: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين}.

ثالثاً: المواساة، وهي معاونة الآخرين على قدر الاستطاعة، والمواساة تكون

بالمال والجاه وبالبدن وبالنصيحة وبالدعاء والاستغفار للآخرين، والمواساة على قدر الإيمان، وكلما قوي قويت، وكلما ضعُف ضعُفت، لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس مواساة لأصحابه الكرام رضي الله عنهم، نعم المواساة هي جبرُ خاطرٍ، وجبر الخاطر في جبر الخاطر.

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ).

شهر رمضان شهر المواساة، فعليك بالمواساة، حتى تكون على قدم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: (وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) رواه البخاري ومسلم.

رابعاً: تفطير الصائمين وسقايتهم، طمعاً في مغفرة الذنب وعِتقِ الرقبة من النار، وأن ينال أجرَ الصائم الذي لا يعلم قدره إلا الله تعالى، وإطعام الطعام من خلق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورغب في ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: (أَيُّهَا النَّاسُ: أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ) رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح.

ولكن احذر من الاختلاط بين الجنسين عند إطعام الطعام إذا كانوا من غير المحارم، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذَّر من الاختلاط لخطره على الأمة، وما فسد من فسد من الرجال والنساء إلا بسبب الاختلاط الذي كان سبباً في انتشار الفاحشة، حتى أصبحنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم نسمع بزنا المحارم.

أطعم الطعام، وفطِّر الصائم، واسقه بدون اختلاط مع غير المحارم، لا تُفسد

هذه القُربة بالاختلاط، اجعل مائدتين، مائدة للرجال ومائدة للنساء.

خامساً: التخفيف عن خلق الله عز وجل، طمعاً في أن يخفِّف الله عنا يوم القيامة، التشديد على الخلق في شهر رمضان ليس من خلق المسلم، خفِّف عمن استرعاك الله عليهم، خفِّف عن زوجتك، وخفِّف عن أولادك، وخفِّف عن موظَّفيك، وخفِّف عن عمالك، لا تثقل عليهم، ولا تكلِّفهم ما لا يطيقون، فإن كلَّفتهم فأعنهم.

وأنا أقول هذا لكل صاحب عمل، ولكل مدير في إدارته، وخاصة لضباط الجيش، خفِّفوا عن عباد الله وخاصة أثناء الصيام، رجاء أن يخفِّف الله عنكم، خفِّفوا عنهم لتعينوهم على الصيام والقيام، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، كونوا عوناً لهم على طاعة الله عز وجل، ومن شدَّد على صائم قائم شدَّد الله عليه عاجلاً أم آجلاً والعياذ بالله تعالى.

سادساً: الإكثار من ذكر الله تعالى، وخاصة ذكر أفضل كلمة قالها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبيون من قبله، كما جاء في الحديث: (وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) رواه الترمذي.

أكثروا من كلمة التوحيد التي بها يثبت الإيمان، وبها يحصل الأمان، أكثروا منها وخاصة في وقت الأسحار، لأن أصحاب ذكر الله تعالى يعطيهم الله تعالى أفضل ما يعطي السائلين، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: (مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ) رواه الترمذي.

ومع الذكر الاستغفار، لأنه يجعل من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ولأنه سبب في توسيع الرزق، وسبب لتطهير القلب من الأغيار، وخاصة في

الأسحار، قال تعالى في وصف المحسنين: {كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون}.

استغفر الله بعد كل معصية، لأنه لا يليق بالإنسان العاقل أن يقابل الإحسان بالإساءة، {هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَان}، استغفر الله بعد كلِّ طاعة، لأن الله تعالى يقول: {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}، بالذكر والاستغفار يرضى الله تعالى، كما جاء في الحديث: (فأما الخصلتان اللتان ترضون بها ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه).

وأخيراً: أكثر من الدعاء، وخاصة أن تسأل الله الجنة، وتعوذ به من النار، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: (وأما اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار)، أكثر من الدعاء وخاصة عند الفطر وعند السحر، ولله الحمد القائل: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون}، وهذه الآية الكريمة هي عقب آيات الصيام.

خاتمة نسأل الله حسنها:

أيها الإخوة الكرام: لقد أصبحنا على أبواب هذا الشهر العظيم المبارك، الذي خصَّه الله تعالى بما لم يخص به سائر الشهور، فهل نقوم بما هو واجب علينا؟ طوبى لعبد اغتنم الفرصة قبل أن يدركه الموت، ومن فوَّت على نفسه الفرصة لا قدَّر الله فسوف يندم عاجلاً أم آجلاً، وصدق الله القائل: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}، وصدق الله القائل: {وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِين * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ

خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون﴾.

اللهمَّ وفِّقنا لصيام هذا الشهر وقيامه حق الصيام والقيام، وأكرمنا يا ربنا يا مولانا بما أكرمت به عبادك الصالحين، فنعم الرب أنت يا ربنا ونعم الإله أنت يا إلهنا.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

131- خطبة الجمعة: لقد مضى عهد النوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدِّمة الخطبة:

لقد ذكرنا في الأسبوع الماضي ما هو المطلوب منا في شهر رمضان المبارك، وعرفنا ذلك من خلال كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً)، فصيام شهر رمضان فرض على كلِّ مسلم ومسلمة، بالغ عاقل مقيم، وقيام شهر رمضان في حقِّنا نافلة.

أما الصيام والقيام فهما فرض في حقِّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، الصيام في حقِّه فرض وذلك لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾، والقيام في حقِّه صلى الله عليه وسلم فرض، وذلك لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّل * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ

قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ}، ولقوله تعالى: {أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ}، فالتهجُّد في حقِّه صلى الله عليه وسلم فرض زائد على الصلوات الخمسة، وهذه الزيادة له وليست عليه، لذلك قال تعالى: {نَافِلَةً لَّكَ}.

لذلك علينا أن نستقبل تكليف الله عز وجل لنا بأنه مغنم لنا وليس بمغرم علينا، لأن خير الطاعة عائد علينا وليس على الله تعالى.

هل عرفت الغاية من خلقك؟

أيها الإخوة: كثير من الناس ما عرف الغاية من خلقه، فعاش في الدنيا صغيراً ومات صغيراً، دخل إلى الدنيا وهو فقير، وخرج من الدنيا وهو فقير، عاش في الدنيا يأكل ويشرب ويتمتع كالأنعام، ومآله إلى نار جهنم والعياذ بالله تعالى، كما قال تعالى في حقِّ هذا الصنف من الناس: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُون}، وقال: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُم}.

ربما أن يكون عاش دنياه مستريحاً حسب الظاهر، ولكنه ما عرف الغاية من خلقه فخسر الدنيا والآخرة، وتحسَّر وندم عند سكرات الموت، ولكنه ما نفعه ذلك الندم ولا تلك الحسرات.

والبعض الآخر عرف الغاية من خلقه، وذلك من خلال قول الله عز وجل: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون}، فأقبل على عبادة ربه عز وجل، واستغلَّ أنفاس عمره في ذلك.

هل عرفت الهدف الذي تريده؟

أيها الإخوة: وكثير من الناس كذلك ما عرف الهدف الذي يجب عليه أن

يصل إليه، فظن أن الهدف الذي ينبغي أن يصل إليه هو المال والجاه والمنصب والسلطان، هو الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث، فأقبل على هذا الهدف مسرعاً جادّاً، فلما فرح بما آتاه الله أخذه الله عز وجل أخذ عزيز مقتدر، فخسر الدنيا والآخرة، وندم وتحسَّر وما نفعه ندمه ولا حسرته.

والبعض الآخر عرف الهدف الذي يجب أن يصل إليه، وذلك من خلال قوله تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين}، فأقبل على الهدف بجدٍّ ونشاط، وسأل الله تعالى أن يصل إلى هدفه بسلام وأمان.

فمن عرف الغاية من خلقه، والهدفَ الذي يريد الوصول إليه، يعيش كبيراً ويموت كبيراً، وهذا ما ظهر في شخص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقد عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيماً ومات عظيماً.

يحكى أن الطاغية هولاكو سأل أصحابه: من الملك؟ فقالوا له: أنت الذي دوَّخت البلاد، وملكت الأرض، وطاعتك الملوك، وكان المؤذن إذ ذاك يؤذن.
فقال: لا، الملك هذا الذي له أزيد من ستمائة سنة قد مات، وهو يذكر على المآذن في كل يوم وليلة خمس مرات، يريد سيدَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الرائع:

أيها الإخوة: إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المثل الرائع لمن أراد أن يعرف الغاية من خلقه، وأن يعرف الهدف الذي يجب أن يصل إليه، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف الغاية من خلقه، وذلك من

خلال قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون}. ومن جملة عباداته صلى الله عليه وسلم: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ}، من عباداته صلى الله عليه وسلم تبليغ الرسالة للناس كافة {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}.

زاده صلى الله عليه وسلم لأداء هذه المهمة:

عندما عرف الغاية من خلقه، أرشده مولانا إلى الزاد الذي يعينه على أداء هذه المهمة، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّل * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً}.

خاطبه مولانا جلَّت قدرته من قدسه الأعلى أن يقوم الليل إلا قليلاً من أجل راحة جسده، خاطبه أن يقوم الليل للأمر العظيم الذي ينتظره: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً}.

كلماتٌ انتزعت النبي صلى الله عليه وسلم من دفء الفراش، في البيت الهادئ، لتدفعه في هذا الخِضَمِّ، ليتحمَّل العبء الكبير الذي له فيه الشرف العظيم، وصار لسان حال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يقول: (لقد مضى عهد النوم).

فما له وللراحة! وما له وللفراش الدافئ! مع أنه كان صلى الله عليه وسلم يتعبَّد الله تعالى في غار حراء الليالي ذوات العدد.

فإذا بالحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تورَّمت قدماه الشريفتين يهيئ نفسه للقول الثقيل، الثقيل في ميزان الحق، الثقيل في أثره على القلب، كما قال تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}.

قام صلى الله عليه وسلم حتى تورَّمت قدماه لتلقِّي هذا النور العظيم الذي

شرَّفه الله عز وجل به، حيث كلَّفه أن يبلِّغه للناس جميعاً، فكان زاده لأداه هذه المهمة قيام الليل.

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف الهدف الذي يجب أن يصل إليه:

أيها الإخوة: إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن عرف الغاية التي خُلِق من أجلها عرف الهدف الذي يجب أن يصل إليه، وذلك من خلال قوله تعالى: {أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}.

وكان الزاد للوصول إلى هذا الهدف هو عين الزاد للوصول إلى الغاية من خلقه، {قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً}، وقال تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ} وذلك للوصول إلى الهدف: {عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}.

لذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الليل حتى تورَّمت قدماه بركعات قليلة، قليلة في عددها كبيرة في تلاوتها، كان يقرأ في ركعة واحدة سورة البقرة وآل عمران والنساء، كما جاء في الحديث الذي يرويه الإمام مسلم عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ

الأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ).

قام هذا القيام لأداء الواجب الذي عليه، وطمعاً في الوصول إلى المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون.

هلاَّ تأسَّينا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم!

أيها الإخوة: بعد هذا أقول: هلاَّ تأسَّينا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقيام الذي يكون زادنا للوصول إلى الغاية التي خُلقنا من أجلها!

إن قيام الليل خير مُعين لنا على تحمُّل التكاليف الشرعية من فعل المأمورات وترك المحظورات، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِين}.

إن قيام الليل خير مُعين لنا للوصول إلى جنَّة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

إن المتقين في جنات وعيون:

أيها الإخوة: ربُّنا عز وجل يخبرنا عن المتقين وما أعد الله لهم، ويخبرنا عن عملهم الذي قاموا به، قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِين *كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون}.

إن الوصول إلى هذا الهدف وإلى هذه الغاية لا يكون إلا عن طريق واحد ألا وهو العبادة التي خُلِقنا من أجلها، لذلك يعطينا ربُّنا عز وجل صوراً عن أعمال هؤلاء المتقين المحسنين لنسير على سيرهم:

الصورة الأولى:

الصورة الأولى من أعمالهم: {كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون}، كما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وأصحابه الكرام، قال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ}.

هم الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام، هؤلاء هم الصالحون المحسنون المتقون الذين عرفوا الغاية من خلقهم، وعرفوا الهدف الذي يجب أن يصلوا إليه، اللهم اجعلنا منهم.

الصورة الثانية:

الصورة الثانية من أعمالهم: {وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون}، يتوجَّهون إلى الله تعالى بالاستغفار بعد الطاعات، بعد الفرائض، وبعد النوافل، وبعد القيام بالأسحار، لأنهم عرفوا قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}.

لأنهم تأسَّوا بالحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول: (اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ) رواه البخاري.

ووالله لولا أننا عرفنا هذا حديثاً عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لربما تساءلنا: من هذا الذي يدعو بهذا الدعاء؟ ما هو الجرم الذي اقترفه حتى يقول: (أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ).

نعم صدق الله عز وجل القائل: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: (أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ) رواه مسلم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: يجب علينا أن نجاهد أنفسنا حتى نصل إلى الغاية التي خُلِقنا من أجلها، وحتى نصل إلى الهدف الذي رغَّبنا فيه مولانا عز وجل بقوله:

{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}، فزاد القيام يوصلنا إلى الهدفين بإذن الله تعالى.

وأختم حديثي أيها الإخوة بكلام أحد التابعين وهو مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير رحمه الله تعالى حيث كان يقول: إني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبر القرآن، وأعر

++ض عملي على عمل أهل الجنة، فإذا أعمالهم شديدة، {كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون}، {يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا}، {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا}، فلا أراني فيهم، فأعرض نفسي على هذه الآية: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَر}، فأرى القوم المكذبين، وأمر بهذه الآية: {وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا}، فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم.

اللهمَّ إنا نسألك أن توفِّقنا لصيام هذا الشهر حقَّ الصيام، وقيام لياليه حقَّ القيام، واشرح صدورنا للإسلام برحمتك يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

132- خطبة الجمعة: لا تحمل همَّ الإجابة بل احمل همَّ الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ) رواه ابن ماجه.

هذا كلام الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، هذا الكلام الشريف تأكيداً على قوله تعالى بعد آيات الصيام حيث قال: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}.

الدعاء عبادة:

ويجب علينا أن نعلم بأن الدعاء بحدِّ ذاته عبادةٌ مقصودة، وليس هو وسيلة، وذلك لقوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}. و عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ) رواه أحمد.

فالدعاء عبادةٌ مقصودةٌ بحدِّ ذاته، إن كانت لك حاجة، وإن لم تكن لك حاجة إذا توهَّمت بأنك لست بحاجة، مع العلم بأنك فقير إلى الله تعالى بكل ذرَّاتك من فرقك إلى قدمك وفي سائر أحوالك، وهذا مصداق قول الله عز وجل {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ}.

العبادات لها شروطها وواجباتها:

وما دام الدعاء لله عز وجل عبادةً كسائر العبادات، فله شروطه وواجباته،

فلا يصحُّ الدعاء ولا يُقبل بدونها، كما أن سائر العبادات لها شروطها وواجباتها فلا تصحُّ ولا تُقبل بدونها، فإذا لم تتحقَّق شروطُ وواجباتُ كلِّ عبادة فهي غيرُ مقبولةٍ عند الله، وما دامت غيرَ مقبولة فلن يجدَ العبد ثمارَ هذه العبادات لا في الدنيا ولا في الآخرة.

فمثلاً الصلاة حتى تكون مقبولة وتُعطي ثمارها لا بد من تحقيق شروط صحتها من: الطهارة ودخول الوقت وستر العورة واستقبال القبلة.

وكذلك الصوم حتى يكون مقبولاً ويعطيَ ثماره لا بد من تحقيق شروط صحة أدائه من: النية وخلوِّه مما ينافيه من حيض و نفاس وخلوه عما يفسده، وقس على ذلك سائر العبادات والتي من جملتها الدعاء.

لا تحمل همَّ الإجابة:

أيها الإخوة الكرام: يجب على كلِّ واحد منا ونحن في شهر الصيام ـ شهرِ الدعاء ـ أن لا يحملَ همَّ الإجابة، لأن الإجابة على الله تعالى بوعده الذي لا يخلف: {أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}.

ولكن لنحمل همَّ الدعاء، لأنه عبادة، ومعنى أنه عبادة: أنه تكليف، وكلُّ عبادة كلَّفنا بها مولانا عز وجل يجب علينا أن نحقِّق شروطها وواجباتها حتى تُستجاب ونرى ثمارها، لذلك يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: (إني لا أحمل هَمَّ الإجابة، ولكن أحمل هَمَّ الدعاء، فإن أُلْهِمت الدعاء فإنَّ الإجابة معه).

شروط صحة الدعاء:

أيها الإخوة الكرام: هذا هو الفهم الصحيح من سيدنا عمر رضي الله عنه لمعنى الدعاء، لأن الكثير منا يدعو الله عز وجل ثم يقول: أنا أدعو منذ سنوات فلم أرَ إجابة لماذا؟

الجواب: هلاَّ فكَّرت في عبادة الدعاء بأنه غايةٌ وليس وسيلةً؟ وهلاَّ تعرفت

على شروط صحة الدعاء فحقَّقْتَها لترى بعد ذلك ثمراته؟

من شروط صحة الدعاء:

أولاً: أن يكون رزقك من حلال، وذلك لما رواه أبو هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (أيُّهَا النَّاسُ إنَّ اللَّه طيِّبٌ لا يقْبلُ إلاَّ طيِّباً، وَإنَّ اللَّه أمَر المؤمِنِينَ بمَا أمَر بِهِ المرْسلِينَ، فَقَال تَعَالى: {يَا أيُّها الرُّسْلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ واعملوا صَالحاً} وَقَال تَعالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا كُلُوا مِنَ طَيِّبَات مَا رزَقْنَاكُمْ}.

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَر، أشْعَثَ أغْبر، يمُدُّ يدَيْهِ إلَى السَّمَاءِ: يَا ربِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُه حرَامٌ، ومَلْبسُهُ حرامٌ، وغُذِيَ بِالْحَرامِ، فَأَنَّى يُسْتَجابُ لِذَلِكَ) رواه مسلم .

ثانياً: الدعاء في الرخاء قبل الشدائد، روى الترمذي والحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرْ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ).

ثالثاً: الدعاء بقلب حاضر لا بقلب غافل، لما رواه الإمام أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَيُّهَا النَّاسُ فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ).

رابعاً: الدعاء مع غضِّ البصر أثناء الدعاء وعدم رفعه إلى السماء، روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِهِمْ أَبْصَارَهُمْ عِنْدَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلاةِ إِلَى السَّمَاءِ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ).

خامساً: أن لا يدعوَ بإثمٍ أو قطيعة رحم، روى الترمذي عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ فَقَالَ رَجُلٌ: مِنْ الْقَوْمِ إِذًا نُكْثِرُ؟ قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ).

سادساً: **ألاَّ تتعجل الاستجابة**، لما رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ).

سابعاً: **عدم الاعتداء في الدعاء**، قال تبارك وتعالى: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِين}. وقال رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ) وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}.

ومن الاعتداء في الدعاء:

١. أن يطلب من ربنا عز وجل العونَ على فعل معصية من المعاصي، أو محرِّم من المحرَّمات.

٢. أن يطلب من ربنا عز وجل تخليداً في الدنيا.

٣. أن يطلب من ربنا عز وجل أن يرزقه مقام نبيٍّ من الأنبياء.

٤. أن يجهر بالدعاء إلى حدِّ الصياح.

٥. أن يدعو الله عز وجل على رحم من أرحامه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الصائمون: هذا هو شهر القربات، وهذا هو شهر الدعاء، فلا

تحملوا همَّ الإجابة، لأن الإجابة على ربكم الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، لأن الإجابة على ربكم الذي يقول للشيء كن فيكون، لأن الإجابة على ربكم الذي قال: {أَسْتَجِبْ لَكُمْ}. ووعدُه لا يُخلف.

ولكن لنحملْ همَّ الدعاء، الذي هو عبادةٌ بحد ذاته، وليس وسيلةً لغاية، فالعبادة غايةٌ بحد ذاتها، وصدق الله القائل: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَة}. لنحمل همَّ الدعاء، هل حقَّقنا شروطَه وواجباتِه، وأهمُّها أن يكون رزقُنا من حلال؟ اللهم أغنِنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، آمين. وأقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

-133 خطبة الجمعة: علاج الشحِّ في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

إن إسلامنا والحمد لله درَّب أتباعه على خلقين كريمين، درَّب أتباعه إن كانوا أغنياء على الجود والكرم حتى أوصلهم إلى درجة الإيثار، وإن كانوا فقراء درَّبهم على خلق العفَّة والزهد بما في أيدي الناس، حتى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفُّف.

سمة إسلامنا أنه دينٌ كامل لا يستدرك عليه أحد من الخلق، قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}، بهذا الشرع العظيم المبارك عالج نفوس الأغنياء، فجعلها سخيَّة جوادة كريمة حتى وصلت إلى درجة الإيثار، وعالج نفوس الفقراء فجعل فيها العفَّة، فالجواد سخيٌّ يحبُّه الفقير ويدعو له ويبارك له فيما آتاه الله، والفقير يحبُّه الغني، يقرِّبه منه ويدنيه إليه ويشعر بشعوره، ما أجمل هذا المجتمع بهذا الشكل إذ يكون مترابطاً.

وأما المجتمع الذي فيه: الأغنياء بخلاء، والفقراء حاقدون، الكلُّ يبغض الكلَّ، والكلُّ حذِرٌ من الكُلِّ، فبئس هذا المجتمع، وباطن الأرض خير من ظهرها، قال صلى الله عليه وسلم: (إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ، فَظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا. وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ، فَبَطْنُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا) رواه الترمذي.

كيف عالج الإسلام النفوس حتى جعلها سخية؟

وقد يتساءل البعض: كيف عالج الإسلام نفوس أتباعه حتى جعل منها نفوساً سخيَّة تعطي عطاء من لا يخشى الفقر؟ أقول وبالله التوفيق:

أولاً: رغَّبهم بالإنفاق ليلاً ونهاراً سراً وعلانية: وجعل النَّفَقة شغلهم الشاغل، لا يفرِّقون بين وقت وآخر، ولا بين حال وأخرى، يعطون في النهار كما يعطون في الليل، ويعطون جهراً كما يعطون سراً طمعاً بتحقيق أمور ثلاثة:

١. أن يكون أجرهم على الله تعالى، ومن وقع أجره على الله فقد عظم أجره.

٢. أن ينفوا عن أنفسهم الخوفَ من المستقبل، خوف الفقر، فجعلوا عقود التأمين بينهم وبين الله تعالى، لا بينهم وبين العباد، حيث هذه العقود بجميع صورها وأشكالها عقود غرر ومقامرة لا تجوز، الناس جعلوا شركات تأمين لينفوا عن أنفسهم الخوف من المستقبل، ولكن هيهات هيهات أن يحقِّقوا لأنهم هذا، بل هم موعودون

بالحق والإتلاف لأنها مبنيَّة على أساس من المقامرة.

٣. أن ينفوا عن أنفسهم الحزن في حال العطاء، لأن الآمر ضامن، فعندما آمنوا بأن الله تعالى هو الواعد الذي لا يخلف وعده، امتثلوا أمرَه في الإنفاق، لأنهم على ثقة بأنه ضامن لنتائج أوامره، ومن يقدر على ذلك إلا الله تعالى؟

لذلك حرَّضهم على الإنفاق في سائر الأزمان والأحوال، وضمن لهم النتائج، فقال: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون}.

ثانياً: حرَّضهم على الاقتصاد في النَّفَقة على أنفسهم:

الإسلام حرَّض أتباعه على الاقتصاد في الإنفاق على أنفسهم، حتى لا تذهب أموالهم كلُّها على نفوسهم، لأن من الواجب عليهم أن يُشرِكوا غيرهم فيما آتاهم الله عز وجل من فضله، وأن يجعلوا من رزق الله لهم إسعافاً لأصحاب الحاجة.

روى الإمام مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلا تُلامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى).

المسلم لا يُلام إذا عاش على الكفاف، ولكنَّه يُلام إذا بذَّر ماله، لأنه بتبذير المال يضيِّع حقوق الله تعالى وحقوق العباد، لذلك قرن الله تعالى بين هذين الأمرين: الأمر الأول: إيتاء ذوي القربى حقهم الشرعي، والأمر الثاني: النهي عن التبذير، فقال تعالى: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا}.

بل أمر الله تعالى المسلمَ إذا جاءه صاحب الحاجة وسأله ولم تكن الأمور ميسَّرة عند المسؤول، أمره أن يردَّه بميسور من القول، فقال تعالى: {وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا}.

ثالثاً: عرَّفهم ثمرات العطاء:

الإسلام عرَّف أتباعه على ثمرات هذا العطاء، ومن خلال ما علموا صاروا أسخياء كُرَماء، بل وصلوا إلى درجة الإيثار، ومن هذه الثمرات:

١. السخي قريب من الله تعالى، روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنْ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنْ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنْ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنْ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنْ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنْ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنْ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ).

٢. المال لا تنقصه الصدقة، روى الترمذي عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ).

٣. المنفِق يُنْفَق عليه، كما جاء في صحيح البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللَّهِ مَلأَى لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ).

وهذا تأكيد على قوله تعالى: {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِين}.

رابعاً: عرَّفهم بأن البخيل بالحقوق لا يأتي بخير:

الإسلام عرَّف أتباعه بأن البخل والشحَّ والضَّنَّ بالحقوق ـ حقوق الله والعباد ـ، وكنزَ المال خوفاً من الفقر على الأولاد، فإنه لا يمحو فقراً ولا يضمر غنى، ولا يقبل من صاحبه يوم القيامة عذراً، روى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نشر الله عبدين من عباده أكثرَ لهما المالَ والولد، فقال لأحدهما: أي فلان بن فلان، قال: لبيك ربِّ وسعديك، فقال: ألم أكثر لك من المال والولد؟ قال: بلى أي ربِّ، قال : وكيف صنعت فيما آتيتك؟ قال: تركته لولدي مخافة العَيْلَةِ عليهم، قال: أما إنك لو تعلم العلم لضحكت قليلاً ولبكيت كثيراً، أما إن الذي تخوَّفتَ عليهم قد أنزلتُ بهم. ويقول للآخر: أي فلان بن فلان، فيقول: لبيك أي ربِّ وسعديك، قال له: ألم أكثر لك من المال والولد؟ قال: بلى أي ربِّ، قال: فكيف صنعت فيما آتيتك؟ قال: أنفقتُ في طاعتك، ووثقت لولدي من بعدي بحسن طَوْلِك، قال: أما إنك لو تعلم العلم لضحكت كثيراً ولبكيت قليلاً ، أما إن الذي وثقتَ لهم به قد أنزلتُ بهم).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: اغتنموا شهر المواساة لصلة أرباب الحاجات، وتذكَّروا قول النبي صلى الله عليه وسلم (من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه) رواه ابن خزيمة.

أدوا زكاة أموالكم، وأدوا صدقة فطركم التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم. روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (فَرَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَةَ رَمَضَانَ عَلَى الْحُرِّ وَالْعَبْدِ وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، قَالَ: فَعَدَلَ النَّاسُ بِهِ نِصْفَ صَاعٍ مِنْ بُرٍّ).

اللهمَّ اشرح صدورنا للعطاء، وتقبَّل منا، ولا تحرمنا خير ما عندك بسوء ما عندنا يا أرحم الراحمين. أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** **

**   **   **

134- خطبة الجمعة: {وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا}

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

هذه هي الأيام الأخيرة من شهر رمضان المبارك، هذه هي شمس رمضان بدأت بالمغيب، وسيمضي هذا الشهر إما شاهداً لنا وإما شاهداً علينا.

في هذا الشهر العظيم المبارك أَرَيْنا الله عز وجل من أنفسنا استقامة، وتلاوة للقرآن العظيم، ومحافظة على الجمعة والجماعات، أَرَيْناه من أنفسنا الصدقة بعد الزكاة، أَرَيْناه حضور مجالس العلم والذكر، أَرَيْناه كثيراً من القربات والطاعات بعد ترك المحظورات والمنهيات، وإذا كنا كذلك فعلينا أن نستقيم على ذلك.

{وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا}:

ولكن أيها الإخوة علينا أن لا نكون كالمرأة الحمقاء التي تغزل وبعد غزلها تنقض غزلها، كما قال تعالى: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا}.

فإياك أن تُعرض بعد إقبال، وإياك أن تعصي بعد طاعة، وإياك أن تهجر بيوت الله بعد صلتها، وإياك أن تهجر القرآن بعد تلاوة، إياك من نقض العهد بعد أخذ العهد عليك.

المعوَّل عليه الاستقامة على الطاعة والعبادة، العبادة لله عز وجل ليست موسميَّة، العبادة لله عز وجل يجب أن تكون مستمرَّة حتى الموت، قال تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين}، وقال مخاطباً سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ}.

المعوَّل عليه الاستقامة على الطاعات ما دامت الأرواح في الأجساد، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}، لا تكن عابداً في موسم من المواسم فقط، هذه المواسم هي محطَّات لِشَحْذِ الهِمم، فالمعوَّل عليه عاقبة الأمور، المعوَّل عليه الخاتمة، قال تعالى: {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُون * وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}.

فإذا ما رأيت نفحات في شهر رمضان، وتذوَّقت حلاوة الطاعة، وتذوَّقت مرارة المعصية، فإياك أن تنقض العهد وتكون كتلك المرأة الحمقاء التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، إياك أن تعود إلى ما كنت عليه قبل شهر رمضان.

لا تترك صلاة الجمعة والجماعة بعد شهر رمضان، ولا تترك مجالس الذكر والطاعة بعد شهر رمضان، ولا تترك تلاوة القرآن بعد شهر رمضان، ولا ترجع إلى مخالطة النساء بعد شهر رمضان، ولا ترجع إلى لقمة الحرام بعد شهر رمضان، ولا ترجع إلى قرناء السوء بعد شهر رمضان.

عرفت فالزم:

إذا وجدت الخير في شهر رمضان فالزم المنهج الذي سرتَ عليه في شهر رمضان، واسمع وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أوصاها لسيدنا حارثة رضي الله عنه.

روى الطبراني والبيهقي وغيرهما عَنِ الْحَارِثِ بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: (كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ)؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ

مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ: (انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ)؟ فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لِيَلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ: (يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ)، ثَلاثًا.

يا من ذقت حلاوة الطاعة، حلاوة الإقبال على الله تعالى، دُمْ على ما أنت عليه واحذر من شياطين الإنس والجن بعد شهر رمضان، لأن شياطين الجن مكبَّلة ومقيَّدة، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ) رواه البخاري ومسلم، وشياطين الإنس كأنهم أعطوك فرصة في شهر رمضان، فاحذرهم لأنهم يريدون أن يضيِّعوا لك ما حصَّلت من خيرات في شهر رمضان.

{لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيم}:

أيها الإخوة: بمجرَّد غروب شمس آخر يوم من رمضان فإن شياطين الجن تُطلَق من قيودها وأغلالها، وترجع إلى ابن آدم لغوايته، وهذا كبيرهم يقسم لربنا عز وجل بعزَّته تبارك وتعالى فيقول: {فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِين}، وبقوله: {فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيم * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِين}.

سيأتيك الشيطان من جهاتك الأربع حتى لا تشكر الله عز وجل على ما أسبغ عليك من نعمة الإيمان حيث حبَّبه إلى قلبك، ومن نعمة الإسلام حيث شرح صدرك له، فاحذر شياطين الإنس والجن.

ثمرات الاستقامة:

أيها الإخوة الكرام: الاستقامة لها ثمرات عظيمة، وأعظم ثمراتها هي دوام الاستقامة على شرع الله تعالى، لأن الاستقامة بحدِّ ذاتها هي عين الكرامة من الله تعالى لعباده.

من ثمرات الاستقامة تنزُّل الملائكة على قلبك بالبشائر، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُون * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُون * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيم}.

من البشارات التي تتنزَّل على قلبك من الملائكة الكرام:

١. أن لا تخاف من الغيب القادم عليك ما دمتَ في حضرة مولاك، لأن الغيب بيد الله عز وجل يتصرف فيه كيفما شاء تبارك وتعالى.

٢. أن لا حزن عليك على ما فاتك من أعراض الدنيا، لأنها فانية، ولا حزن عليك من خلال ما فرَّطت في جنب الله تعالى، لأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً، قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم}، فبمغفرة الذنب ينتفي عنك الحزن إن شاء الله تعالى.

٣. البشارة بالجنة التي أُعدَّت للمتقين، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

٤. الملائكة تتولاك وتتنزَّل عليك لتثبيتك وتطمين قلبك في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

أنت بالخيار:

أيها الإخوة الكرام: الناس على قسمين: قسم تتنزَّل عليهم الملائكة، وقسم تتنزَّل عليهم الشياطين، فأهل الاستقامة تتنزَّل عليهم الملائكة، وأهل الكذب والإثم تتنزَّل عليهم الشياطين.

فأنت بالخيار إما أن تتنزَّل عليك الملائكة وذلك من خلال استقامتك على شريعة الله عز وجل، وإما أن تتنزَّل عليك الشياطين بسبب إثمك وكذبك، قال تعالى: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِين * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم * يُلْقُونَ

السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُون}. هناك من يعانق الشياطين بعد غروب شمس رمضان، هذا العبد صام وما صام، هذا العبد ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، لأنه يتطلَّع إلى آخر شهر رمضان، فهو على موعد مع شياطين الإنس والجن.

هذا العبد يصوم ويصلي وهو ينظر إلى العبادات أنها شارات وطقوس لا أكثر ولا أقل من ذلك، فإذا انتهى شهر رمضان رجع إلى ما كان عليه، وكأنه ما دخل شهر رمضان.

أما العبد الذي صام إيماناً واحتساباً، وتذوَّق حلاوة العبودية لله تعالى، فإنه لا يمكن له أن يرجع إلى معانقة شياطين الإنس والجن، كيف يرجع إلى الغفلة بعد الحضور، وإلى الإعراض بعد الإقبال، وإلى القطع بعد الصلة؟

أيها الصائم القائم: لقد تطهَّرت في شهرت رمضان، ورمضان ما سُمِّيَ رمضانَ إلا لأنه يرمض الذنوب، أي يحرقها، فلا تُلْقِ بنفسك في قاذورة المخالفات، أما نظرت إلى رجل اغتسل ولبس أجمل الثياب وأنظفها هل يلقي بنفسه في القاذورات ليلطِّخ ثيابه فيها؟ فأنت أيها الصائم القائم أولى بهذا من ذاك، لأن الله ينظر إلى قلبك، والخلق ينظرون إلى ظاهرك، فلا تلطِّخ قلبك بقاذورات المعاصي والمخالفات الشرعية.

وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أيها الإخوة الكرام: روى الإمام مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلاً لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: (قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ) وفي رواية الترمذي: (ثُمَّ اسْتَقِمْ).

الإيمان بالله عز وجل ينظِّم لك باطنك، واستقامتك على شريعة الله تنظِّم ظاهرك، فإذا نُظِّم ظاهرك وباطنك سعدت في الدنيا وسعدت في الآخرة، وذلك لقوله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون}، ومن انتفى عنه الخوف والحزن فهو السعيد.

المعول عليه الخاتمة نسأل الله حسنها:

أيها الإخوة: إن المعوَّل عليه هو العاقبة والخاتمة، وكان من دعاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) رواه الترمذي، الأمور بخواتيمها، إذا خُتِم لك على طاعة ربحت الأولى والآخرة، وإذا خُتِم لك على معصية ـ لا قدَّر الله ـ خسرت الأولى والآخرة.

أرأيتم لو أن رجلاً صام من أول النهار، حتى إذا كان قبيل الغروب بقليل أفطر فأكل وشرب، فما هو حظُّه من صيامه؟ لقد أفطر ولم يُسَمَّ صائماً، وكذلك من شرع في الطاعات ثم خُتِم له على السيِّئات ـ لا قدَّر الله ـ فماذا انتفع؟ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}.

نسأل الله عز وجل الذي شرح صدورنا للإسلام، وحبَّب إلينا الإيمان، أن يُديم علينا هذه النعمة حتى نلقاه وهو راضٍ عنا آمين.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** 135- خطبة عيد الفطر: هذا ليس من عمل الشاكرين، وليس من عمل الخائفين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

روى الطبراني في الكبير عَنْ سَعِيدِ بن أَوْسٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ وَقَفَتِ الْمَلائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الطُّرُقِ، فَنَادَوْا: اغْدُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ، يَمُنُّ بِالْخَيْرِ، ثُمَّ يُثِيبُ عَلَيْهِ الْجَزِيلَ، لَقَدْ أُمِرْتُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَقُمْتُمْ، وَأُمِرْتُمْ بِصِيَامِ النَّهَارِ فَصُمْتُمْ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ، فَاقْبِضُوا جَوَائِزَكُمْ، فَإِذَا صَلَّوْا نَادَى مُنَادٍ: أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ، فَارْجِعُوا رَاشِدِينَ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَهُوَ يَوْمُ الْجَائِزَةِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْيَوْمُ فِي السَّمَاءِ يَوْمَ الْجَائِزَةِ).

عظمة نعمة الله علينا:

أيها الإخوة: لقد عظمت نعمة الله علينا، وصدق الله القائل: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}، عظمت نعمة الله علينا وهو غفور رحيم لأننا لا نقابل هذه النعم بما هو واجب علينا، لا نقابل هذه النعم بالشكر، بل الكثير منا يقابل هذه النعم بالكفور والجحود والعياذ بالله تعالى، وصدق الله

القائل: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار}.

نَعَم أيها الإخوة، من جملة نعم الله علينا أن أنزل لنا تشريعاً فيه تشريفنا، وفيه سر سعادتنا دنيا وأخرى، وفيه صلاح ديننا ودنيانا وآخرتنا، وهو غني عنا وعن عبادتنا، ومع هذه النعمة العظمى رتَّب لنا على تلك العبادة أجراً لا يعلم قدره إلا الله تعالى، وخاصة بالنسبة للصيام والقيام.

لقد أَمَرَنا ربُّنا بالصيام، وسنَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم القيام، ورتب الله لنا على الصيام والقيام ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وهذا من فضله تبارك وتعالى، فقال الله تعالى في الحديث القدسي: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) رواه البخاري ومسلم، وقال تبارك وتعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون * فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون}، وقال صلى الله عليه وسلم: (فَإِذَا صَلَّوْا نَادَى مُنَادٍ: أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ، فَارْجِعُوا رَاشِدِينَ إِلَى رِحَالِكُمْ).

كيف نقابل هذه النعم؟

ولكن أيها الإخوة: يجب علينا أن ننظر في أنفسنا كيف نقابل هذه النعم؟ هل نقابل هذه النعم بالشكر لله عز وجل؟ أم نقابل هذه النعم بالكفر؟ لأن كل نعمة يجب علينا أن نقابلها بالشكر لا بالكفر، وسيرة الأنبياء والمرسلين والصالحين هكذا، إذا جاءتهم النعمة وقفوا أمامها، وقالوا كما قال سيدنا سليمان عليه السلام: {هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}.

من المقبول منا حتى نهنّيه؟

أيها الإخوة: كان سيدنا علي رضي الله عنه يقول: كونوا لقبول العمل أشدَّ اهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا قول الله عز وجل: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ

الْمُتَّقِين}. وكان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان: يا ليت شعري من هذا المقبول منا فنهنِّيَه، ومن هذا المحروم فنعزِّيه؟ أيها المقبول هنيئاً لك، أيها المردود جبر الله مصيبتك.

كيف يعرف العبد أنه مقبول؟

أيها الإخوة: قد يتساءل البعض كيف أعرف نفسي أني مقبول عند الله تعالى بعد الصيام أم ـ لا قدر الله ـ مردود؟

الجواب: من خلال نظرنا إلى أفعالنا بعد الصيام، فهل نحن على الاستقامة على الأفعال، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}، أم بعد الصيام رجعنا إلى ما كنا عليه؟

العبد الذي ذاق حلاوة القرب والمناجاة، وحلاوة العبادة لله عز وجل فإنه يستقيم على ذلك حتى يلقى الله تعالى، وذلك لقوله تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير}، ولقوله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين}، ولقوله صلى الله عليه وسلم لحارثة رضي الله عنه: (عَرَفْتَ فَالْزَمْ) رواه الطبراني والبيهقي.

هذا ليس عمل الشاكرين ولا عمل الخائفين:

أيها الإخوة: لو نظرنا إلى أعمالنا بعد الصيام، وفي أول يوم من أيام فِطرنا، في أول يوم من أيام العيد الذي هو يوم الجائزة، لوجدنا أعمالنا أعمالَ غير المبالين ـ إلا من رحم الله تعالى ـ أعمالنا لا تدل على عمل العبد المقبول عند الله، لا تدل على عمل العبد الشاكر، ولا تدل على عمل العبد المردود عند الله، لا تدل على عمل العبد الخائف، بل تدل على عمل العبد غير المبالي، وهذاا لعبد ربما أن يكون ممن ليس له من صيامه حظٌّ إلا الجوع والعطش لا قدر الله تعالى.

بعض الأعمال المخزية في العيد:

أيهاا لإخوة: وها أنا أذكر لكم بعض الأعمال المخزية في أيام العيد:

أولاً: اختلاط الرجال بالنساء:

لقد شاع الاختلاط وعمَّ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا الاختلاط المخزي الذي جرَّ لنا الويلات، وذلك من خلال شباب متخنِّث وشابات مغريات، شباب لو نظرت إليهم لما عرفت فيهم هوية الشاب المسلم، انظر إلى حلاقة شعر رأسه ولحيته كيف يتفنَّن بها من أجل استمالة قلوب النساء إليه، وانظر إلى لباس المرأة الضيِّق الشفاف كي تفتن الشباب، وكم وقعت الكوارث من خلال ذلك حتى أصبحنا نسمع بزنا المحارم.

عباد الله: اسمعوا ماذا يقول صلى الله عليه وسلم: (إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ) فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: (الْحَمْوُ الْمَوْتُ) رواه البخاري ومسلم.

«الْحَموُ» قَرِيبُ الزَّوْجِ كأخِيهِ، وابن أخيه، وابْنِ عمِّهِ.

هل هذا فعل العبد الشاكر أم الخائف من الله تعالى؟

ثانياً: تبرُّج النساء:

لقد شاع التبرُّج والسفور وخاصة فيما بين الأقارب، فصار الكثير من النساء مشمولات بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا) رواه مسلم.

بنات العم أمام أولاد العم، وبنات الخال أمام أولاد الخال، ونساء الإخوة أمام إخوة الزوج، وكلُّ هذا حرام، فكلُّ امرأة يحلُّ للإنسان أن يتزوج من. إن كانت غير متزوجة، أو متزوجة بعد طلاقها أو وفاة زوجها. يحرم عليه أن يرى وجهها وكفيها فضلاً عن سائر بدنها، وخاصة إذا لم تؤمن الفتنة.

ثالثاً: تطيُّب النساء:

لقد شاع التطيُّب عند النساء وخاصة عند اختلاطهنَّ بالرجال، زاعمين أنهم من الأقارب، هذا أخو الزوج، هذا ابن العم، هذا ابن العمة، هذا ابن الخال، هذا ابن الخالة، والنبي صلى الله عليه وسلم حذَّر من تطيُّب المرأة فقال صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ، وَالْمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا يَعْنِي زَانِيَةً) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

رابعاً: الإسراف في صرف الأموال:

لقد شاع عند الكثير من المسلمين صرف الأموال من غير فائدة، وهذا الإسراف الذي يضيِّع حقوق العباد، قال تعالى: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا}.

تصرف الأموال من غير فائدة، لو أرجعنا هذه الأموال إلى بعض المستحقِّين لكان خيراً لنا، ولكن ضيَّعنا الواجب الذي علينا، ووقعنا بالتبذير الذي هو محظور علينا.

ومن صور التبذير: صرف المال في شراء المفرقعات عند الشباب، وهذا لا يجوز شرعاً، لأنه فيه تضييعاً للمال بدون فائدة، وفيه توريع للمسلمين، وربما أن يصل الضرر إلى بعض الأطفال أو الأشخاص.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: تعالوا لننظر إلى أنفسنا بدقَّة، فنحن إما من المقبولين عند الله، وإما ـ لا قدر الله ـ من المردودين، فإذا كنا من المقبولين فلتكن أعمالنا أعمال الشاكرين، وإن كنا ـ لا قدر الله ـ من المردودين فلتكن أعمالنا أعمال الخائفين، ولنحذر من أن تكون أعمالنا أعمال اللامبالين.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

** **

136- خطبة الجمعة: أيها الأب كن واعظًا وإلا...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

مقدمة الخطبة:

فيا عباد الله: هذه هي أيام العيد قد انتهت بعد انتهاء شهر رمضان المبارك، ولو دقَّقنا النظر في وضع شبابنا وشاباتنا لوجدنا أثر تربية أجهزة الإعلام، التي هي اليوم موجَّهة كلُّها لفساد عقيدة المسلمين ولفساد أخلاقهم، عرف هذا من عرف وجهله من جهله، وعلى كل حال الواقع يصدِّق هذا.

لقد فسد الشباب والشابات، فرأينا المتخنثين من الرجال، والمترجلين من النساء إلا من رحم الله تعالى، كادت العقيدة أن تفسد، وكادت العبادات أن تضيع، وكادت الأخلاق الإسلامية أن تنقرض، وسبب كل هذا غياب دور الآباء في التربية، وظهور أثر أجهزة الإعلام في التربية، حتى عاد كثير من الآباء مهمته في البيت تأمين الطعام والشراب واللباس والسكن لا أكثر ولا أقل، أما دور التربية تركها لأجهزة الإعلام إلا من رحم ربي عز وجل.

الفطرة في الإنسان لن تموت بإذن الله:

أيها الإخوة الكرام: لكن بفضل الله عز وجل فطرة الإنسان التي فطره الله عز وجل عليها لن تموت بإذن الله تعالى، قال تعالى: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}. لن تموت هذه الفطرة مهما حاول أعداء هذه الأمة في القضاء عليها، وإذا أردنا مصداق هذا فإنا نأخذه من قصة فرعون عندما أدركه الغرق، نطق بالفطرة رغماً عن أنفه فقال:{آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِين}. ولكن نطق بها بعد فوات الأوان.

الفطرة لن تموت بإذن الله تعالى في نفوس هذه الأمة مهما تآمر المتآمرون وتكالب المتكالبون عليها، ومصداق هذا تراه في المقصرين من هذه الأمة في حق الله عز وجل، عندما يريد أحدهم أن يتزوَّج يصرُّ على أن يتزوَّج من صاحبة الدين، يصرُّ أن يتزوَّج من صاحبة الحجاب، مهما كان عاصياً، بل ربما كان شارب خمر فاسقاً فاجراً ومع ذلك تراه يبحث عن صاحبة الدين المتجلببَة.

عندما يريد أحدهم أن يزوِّج ابنته تراه مصرّاً على أن يبحث عن دين هذا الرجل وأخلاقه قبل أن يزوِّجه ابنته، مع أنه هو المقصِّر في حق الله قبل غيره، فلو جاءه صديق له يشرب الخمرة معه، ويقترف الفاحشة معه، وطلب منه ابنته أو أخته ليتزوَّج منها، وفي نفس الوقت جاءه صاحب دين وخلق فإنه يزوِّج ابنته أو أخته لصاحب الدين والخلق ولو لم يكن صديقاً له، ويقدمه على صديقه العاصي لله معه، لماذا؟ لأن الفطرة ما ماتت بين جوانحه.

وهكذا إذا أراد العاصي التجارة والمعاملات المالية بكلِّ صورها وأشكالها فإنه يحاول أن تكون مع صاحب الدين والخلق، لأن الأمان عنده، لأن الفطرة ما ماتت عنده.

لذلك نقول بكل صراحة ووضوح: الفطرة لن تموت في نفوس المؤمنين بإذن

الله تعالى مهما ركز أعداء هذه الأمة عليها، ولكن يجب علينا نحن أيها الإخوة أن نصحوَ من غفلتنا، وأن نرجع إلى ديننا بالاختيار قبل أن نرجع إليه بالاضطرار.

كن واعظاً في بيتك ولا تكن سجَّاناً:

أيها الإخوة الكرام: يجب على كلِّ أبٍ فينا أن يكون واعظاً في بيته لأبنائه وبناته ولزوجته، لا أن يكون سجَّاناً، لا أن يكون جلاَّداً، لا أن يكون عنيفاً، لا أن يكون فظّاً غليظ القلب، يجب أن يكون واعظاً ومربِّياً وحكيماً، يجب على كلِّ أبٍ فينا أن يتعلَّم الوعظ من سيدنا لقمان عليه السلام الذي ذكره الله تعالى لنا في القرآن العظيم قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم * وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِير * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِير * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِير}.

انتبه إلى كلمة: {وَهُوَ يَعِظُهُ}:

أيها الأب انتبه إلى كلمة: {وَهُوَ يَعِظُهُ} والموعظة لا تكون إلا من قلب رحيم شَفُوق، الموعظة لا تكون من قلبٍ فظٍّ غليظ.

إن لم تكن أيها الأب واعظاً لأبنائك وبناتك فسوف تتلقَّطهم أجهزة الإعلام الهدَّامة للدين والقيم والأخلاق.

كن واعظاً لأبنائك الذين ستسأل عنهم يوم القيامة، كن واعظاً لهم بترسيخ

الأمور التالية في نفوسهم.

الأمر الأول: العقيدة:

انظر إلى أسلوب الواعظ كيف يخاطب المربَّى بكلمة الحنان النابغة من قلب رحيم: { يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم}. ثم قال:{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِير}.

رَكِّز على العقيدة أولاً، لأن كلَّ توجيه بدون ترسيخ للعقيدة في نفس المربَّى لا يفيد، العقيدة هي الأساس الذي يُصلِح داخلَ الإنسان، لأن صلاح الظاهر دون صلاح الباطن وَهْمٌ، صلاح الباطن أولاً بالعقيدة بحيث يراقب المربَّى مولاه جل وعلا الذي هو معه أينما كان.

فكلُّ عبادة وكلُّ خلق كريم بدون عقيدة صحيحة فهي فاسدة، وسريعة الزوال، عبادة بدون عقيدة نفاق، وأخلاق بدون عقيدة هي أخلاق تجارية سرعان ما تزول.

نشِّئ أولادك على العقيدة أولاً، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يربِّي أصحابه وأهل بيته، وانظر كيف يوجِّه النبي صلى الله عليه وسلم ابنَ عمِّه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال صلى الله عليه وسلم: (يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الأمر الثاني: العبادة:

الأمر الثاني الذي يجب عليك أيها الأب نحو أولادك أن تَعِظَهم بالعبادة بعد

العقيدة، لأن العبادة بعد العقيدة الصحيحة تعين على الأخلاق الحسنة، لذلك قال الواعظُ سيدُنا لقمان عليه السلام بعد أن رسَّخ العقيدة في نفس ولده {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}.

كن واعظاً لولدك بحيث تحرِّضه على العبادة منذ نعومة أظفاره، كما قال الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) رواه أبو داود عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. مُرْهُ بالصلاة بالعبادة وهو ابن سبع سنين، واضربه عليها ضرباً غير مبرح وهو ابن عشر سنين، لأن من شبَّ على شيء شاب عليه.

الأمر الثالث: الأخلاق:

الأمر الثالث الذي يجب عليك أيها الأب نحو أولادك أن تَعِظَهم بحسن الأخلاق، كما قال تعالى عن الواعظِ سيدِنا لقمان عليه السلام وهو يعظ ولده: { وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}.

كن واعظاً وإلَّا...

أيها الأب الكريم: كن واعظاً لأبنائك وبناتك وإلَّا خسرت أولادك دنيا وأخرى، أما في الدنيا فمُلاحظ عند الجميع، عندما يكون الأب سجَّاناً أو جلَّاداً ولم يكن واعظاً، كم هو العقوق؟

العقوق انتشر انتشاراً واسعاً بسبب فقدان الموعظة في البيوت، وهذه خسارة ما بعدها خسارة في الحياة الدنيا، ما قيمة حياتك عندما ترى فلذة كبدك عاقاً لك؟

أما في الآخرة فتدبَّر قول الله تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّهِ وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه}. لماذا هذا الفرار يوم القيامة

من الأبناء؟

الجواب: لأن الأب ليس واعظاً في بيته، وليس مربياً لأولاده على الفطرة التي فطرهم الله عليها، لذلك خسرهم دنيا وأخرى، شقي بهم دنيا وأخرى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سعادة الدارين بسبب الموعظة:

أيها الإخوة: سعادة الدراين لنا بالموعظة الحسنة التي تكون منا لأبنائنا، من كان واعظاً لأبنائه في الدنيا ربح بِرَّهم في الدنيا، واجتمع معهم في الآخرة، كما قال تعالى: {سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَاب * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار}. وكما قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِين}.

فكِّروا بما تشاهدون:

أيها الإخوة: فَكِّروا بما تشاهدون من وضع الشباب والشابات، هل يرضيكم هذا؟ لقد أصبح كلُّ شاب مريداً للزواج يتعب في البحث عن صاحبة الدين والخلق، وأصبح كل وليِّ فتاة يتعب في البحث عن صاحب الدين والخلق لبناته، سرُّ هذا التعب تخلينا عن الموعظة في بيوتنا إلا من رحم الله تعالى.

فكِّروا بما تشاهدون هل يرضيكم هذا؟ لقد أصبح كل واحد منا يخشى على نفسه وعلى ذريته من هذا الوضع المتدهور الذي وصل إليه شبابنا وشاباتنا بسبب أجهزة الإعلام، وغياب دور الأب الواعظ في بيته.

فكِّروا بما تشاهدون هل يرضيكم هذا؟ لماذا انتشرت الفاحشة في المجتمع حتى بدأنا نسمع بزنا المحارم والعياذ بالله تعالى؟ السرُّ في هذا هو غياب الأب الواعظ في بيته، وترك التربية لأجهزة الإعلام التي تحاول تمزيق العقيدة والعبادة والأخلاق.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: لقد شاهدتم الذي شاهدتموه في أيام العيد من سفور وتبرُّج واختلاط بين الرجال والنساء، والمصافحة بين الرجال والنساء الأجنبيات، (من بنات عم وعمة، وخال وخالة، وزوجة أخ، وزوجة عم، وزوجة خال) ما هي نتيجة ذلك؟

ضياع عقيدة وضياع عبادة وضياع أخلاق، فهل يرضيكم هذا؟

الجواب: قطعاً لا يرضيكم، فإذا كان هذا لا يرضي العقلاء فلنرجع إذاً إلى دور الواعظ في البيت مع الأبناء والبنات والزوجات لترسيخ العقيدة ثم العبادة ثم الأخلاق.

أسأل الله تعالى لي ولكم ولأصولنا وفروعنا سلامة العقيدة وصحة العبادة وحسن الأخلاق لنحقق سعادة الدنيا والآخرة معهم، ولنفوز بقوله تعالى: {سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار}.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

137- خطبة الجمعة: أيها الأب صدِّر موعظتك بكلمة حب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

خلاصة الخطبة الماضية:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأن أثر تربية أجهزة الإعلام صار واضحاً على شبابنا وشاباتنا، لقد صار واضحاً عليهم من خلال العقيدة والعبادة والأخلاق، فكادت عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم تتلاشى لا قدَّر الله تعالى، لأننا قصَّرنا في الواجب الذي علينا.

{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن}:

أيها الإخوة: تذكروا جميعاً قول سيدنا صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ راعٍ، وَكُلُّكُمْ مسؤولٌ عنْ رعِيَّتِهِ، والإِمَامُ رَاعٍ ومسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ ومسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والمرْأَةُ راعِيةٌ في بيْتِ زَوْجِهَا ومسؤولة عنْ رعِيَّتِهَا، والخَادِمُ رَاعٍ في مالِ سيِّدِهِ ومسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فكُلُّكُمْ راعٍ ومسؤولٌ عنْ رعِيتِهِ) رواه مسلم عن ابن عمَر رضي اللَّه عنهما. فَذَكَرَ الرجلَ والمرأةَ في الحديث ليتحمَّل كل واحد منهما مسؤوليته نحو أبنائه.

نعم إن وزراء الإعلام سيتحمَّلون المسؤولية يوم القيامة عما يبثُّون في أجهزة الإعلام، وذلك لقوله عز وجل: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون}. ولقوله تعالى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُون}. ولقوله صلى الله عليه وسلم: (فكُلُّكُمْ راعٍ ومسؤولٌ عنْ رعِيتِهِ).

ومسؤولية أجهزة الإعلام ووزراء الإعلام والقائمين على الإعلام لا تعفيك عن

مسؤوليتك أيها الأب وأيتها الأم، ولتتذكروا أيها الآباء وأيتها الأمهات قول الله عز وجل: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّهِ وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه}. لماذا هذا القرار؟ هذا القرار بسبب تقصيرنا في تربية أبنائنا.

فمهمَّتنا ليست الإنجاب فقط، مهمَّتنا التربية وفق المنهج الذي رسمه لنا القرآن العظيم، والسنة النبوية المطهرة، هذا إذا أردنا أن ننتفع من أبنائنا بعد موتنا بدعوة صالحة، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) رواه مسلم عن أَبي هريرة رضي الله عنه. والولد الصالح هو الذي يقول بعد موت أبويه: {رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}. ولم يقل كما خلَّفاني، فلا تُغيِّب أيها الأب وأيتها الأم دور تربيتكما نحو أبنائكما.

أيها الأب صدِّر موعظتك بكلمة حب:

أيها الأب: لقد ذكرت لك في الأسبوع الماضي: (كن واعظاً، كن مربِّياً)، وحتى تكون موعظتك نافعة ومؤثرة في نفس ولدك، صدِّر هذه الموعظة بكلمة حب، بكلمة عطف وحنان، بكلمة تدلُّ على ارتباط ولدك بك، فقل له عند بداية الموعظة: {يَا بُنَيَّ}.

إياك أن تصدِّر الموعظة بكلمة قاسية، بكلمة تجرح الفؤاد، بكلمة نابية بكلمة لا تليق أن تصدر من إنسان مؤمن، إياك أن تصدِّر موعظتك وتربيتك بكلمة تشبِّه فيها ولدك ببعض الحيوانات.

موعظة سيدنا لقمان خير شاهد:

أيها الإخوة: هذا سيدنا لقمان عليه السلام عندما أراد أن يعظ ولده ويعلِّمه التوحيد والعبادة والأخلاق صدَّر موعظته بكلمة {يَا بُنَيَّ} التي تشعر الولد بارتباطه بوالده، نَسَبَهُ إلى نفسه، وهذا شرف عظيم للولد، وكرَّر هذه الكلمة مرات قال له: {يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم}. ثم قال له: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ

وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِير}.

ما أجملها من كلمة، ووالله إنها لتملك قلب الولد بذلك، فهل نخاطب أبناءنا بذلك عند توجيههم؟ كلُّ واحد منا يعرف كيف يخاطب ولده.

فهل الخطاب الذي نخاطب به أبناءنا ونصدِّره بكلمة، هل هذه الكلمة ترضي الله عز وجل، وتدخل إلى قلب الولد، أم أنها تُنَفِّر قلب ولدك منك، وإذا نفر قلب الولد من والده كيف ستؤثِّر الكلمة فيه تأثيراً إيجابياً؟ قال تعالى: {وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}.

مهما كان ولدك قل له: {يَا بُنَيَّ}.

أيها الإخوة الكرام: لا تتركوا كلمة {يَا بُنَيَّ}. عند تربية الأبناء مهما كان حالهم، لأنها خير كلمة تصدِّر بها موعظتك لأبنائك، لأنها ذُكرت في القرآن العظيم.

خاطب ولدك بذلك إن كان بارّاً تقيّاً صالحاً، فقل له: {يَا بُنَيَّ}. وإن كان لا قدَّر الله فاسقاً فاجراً كافراً زنديقاً صدِّر موعظتك له بـ {يَا بُنَيَّ}.

تعلَّم هذا من القرآن العظيم، حيث ذكر لنا ربنا عز وجل نموذجين من الأبناء: الأول: عبد تقي صالح نقي، والثاني: عبد فاجر كافر فاسق.

فالمربي الوالد قال لولده البار الصالح: {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى} أراد أن يشركه في أجر امتثال أمر الله عز وجل، فقال المربَّى للمربي: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِين}. ما أجمل هذا التبادل: { يَا بُنَيَّ}. {يَا أَبَتِ }.

والمربي الثاني قال لولده العاق: {يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِين * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن

رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِين}. الأسلوب واحد من كليهما، لأن أسلوب التربية الصحيح واحد.

وهذا شأن صاحب القلب الرحيم الشَّفوق، فإياك أن تدوس على شفقتك بقدميك إذا ما رأيت ولدك عاصياً، فإن الرحمة لا تُنزع إلا من شقي، فلا تغيِّر أسلوبك في الموعظة مهما كان حال ولدك، لأنك والد، ولأنه مولود لك، وأنت مسؤول عنه يوم القيامة.

أيها الإخوة: لقد حُرِم أكثر الأبناء هذه الكلمة من الآباء، لذلك رأينا البَون الشاسع بين الأبناء والآباء، ورأينا العقوق، لأننا استبدلنا كلمة يا بني بكلمة جارحة توجه للأبناء سراً وعلانية، حتى وصل البعض أن يقول لولده إذا خالفه: إني أتبرأ منك.

أيها الأب الكريم: هل وصل ولدك إلى درجة الفسق والزندقة؟ وهل وصل إلى درجة الكفر والشقاق والنفاق حتى حرمته من كلمة: يا بني؟ إن قلت: نعم، فأقول لك قول الله عز وجل: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}. وهذا سيدنا نوح عليه السلام وصل ولده إلى ما وصل إليه، وما ترك كلمة: { يَا بُنَيَّ}.

أيها الآباء: بفضل الله عز وجل أبناؤنا ما وصلوا إلى درجة الفسق والزندقة، وما وصلوا إلى درجة الكفر والشقاق والنفاق، الإيمان مازال في قلوبهم، الخير ما زال فيهم، ولكن أين المحرِّك لهذا الخير الدفين فيهم؟

أيها الآباء: لا تتخلَّوا عن تربيتهم بالموعظة المصدَّرة بكلمة العطف والحنان بكلمة النسبة إليكم، لا تتركوا أولادكم لأجهزة الإعلام الضالِّة المضِلَّة إلا ما رحم الله عز وجل.

لا تنس وصفك ووصف ولدك:

أيها الإخوة الكرام: لا يجوز أن ننسى وصفنا، ووصفُ أبنائنا من وصفنا، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)؟ رواه

ابن ماجه عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، فإذا كان هذا وصفنا فلنكن متعاونين على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وخير عون على البر والتقوى موعظة مصدَّرة بكلمة طيبة.

الخطأ من أبنائنا لا يجوز أن يدفعنا لإهمالهم وتركهم لأجهزة الإعلام الموجَّهةِ والموجِّهةِ لضياع العقيدة والعبادة والأخلاق من نفوس شبابنا وشاباتنا.

الدعوة بالموعظة الحسنة سنَّة الأنبياء والمرسلين:

أيها الإخوة: الدعوة بالموعظة الحسنة المصدَّرة بكلمة العطف والحنان هي سنة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام الذين هم قدوة البشر، الدعوة إلى الله تعالى رسم طريقها مولانا عز وجل في القرآن العظيم بقوله: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين}. وهذا ما سلكه الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام. خذوا على سبيل المثال:

أولاً: هذا سيدنا موسى عليه السلام يخاطب قومه: {يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم}. فكِّر في كلمة: {يَا قَوْمِ}. كم لها وقع في القلب.

ثانياً: هذا سيدنا هود عليه السلام يخاطب قومه: {يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُون * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِين * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِين}. انظر كيف يخاطبهم ويخاطبونه، هو يقول لهم: {يَا قَوْمِ}. وهم يقولون له: {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِين}، ومع هذا ما ترك قوله لهم: {يَا قَوْمِ}، فقال: {يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِين.

ثالثاً: هذا سيدنا صالح عليه السلام يخاطب قومه: {يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيم * وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِين * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُون * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُون * فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِين * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِين * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِين}. تدبَّر هذا الخطاب من سيدنا صالح لقومه، والأسلوب ما تغيَّر حتى جاءت الرجفة.

وهذه سيرة جميع الأنبياء والمرسلين والتي خُتمت برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال له مولانا عز وجل: {وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين}.

أيها الأب لا تكن فظّاً غليظ القلب، بل كن واعظاً رحيماً ولا تدع كلمة يا بني مهما كان حال ولدك.

وهو أسلوب الدعاة الحق:

أيها الإخوة الكرام: هذا الأسلوب هو أسلوب كلِّ داع إلى الله عز وجل، هو أسلوب كل واعظ سلك طريق النبي صلى الله عليه وسلم، خذوا على سبيل المثال:

أولاً: قول مؤمن أصحاب القرية، قال الله تعالى: {وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِين * اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُون}. انظر إلى كلمة يا قوم منه، لقد كان حريصاً على البعيد منهم، فكيف

لا تكون أنت حريصاً على القريب منك؟ حتى عندما قتله قومه قال: {يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُون * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِين}. فما ترك الرحمة بهم حتى بعد قتله.

ثانياً: قول مؤمن آل فرعون، قال تعالى فيه: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَاد * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَار * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَاب * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّار * تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّار * لاَ جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّار * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد}.

تدبَّر هذا الخطاب، تدبَّر قول هذا المؤمن: {وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّار}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: نحن بأمسِّ الحاجة إلى الأسلوب الحسن في الدعوة إلى الله تعالى، وخاصة بالنسبة لأبنائنا، فإن كان لهم في علم الله نصيب من الهداية وصل إليهم من طريقنا بحسن الموعظة وحسن الخطاب، وإن لم يكن لهم نصيب لا قدَّر الله تعالى في الهداية فإن ذمَّتنا تصبح بريئة بين يدي الله عز وجل، لأن الله تعالى كلَّفنا بوقايتهم من النار بالموعظة الحسنة، عندما قال لنا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون}.

اللهم ارزقنا الحكمة والموعظة الحسنة، واجعلنا هاديين مهديين، ومثل ذلك لأصولنا وفروعنا وأحبابنا، واحفظنا جميعاً يا أرحم الراحمين.

ولعل الحديث له صلة في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى. أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

**   **

137- خطبة الجمعة: أيها الأب صدِّر موعظتك بكلمة حب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

خلاصة الخطبة الماضية:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأن أثر تربية أجهزة الإعلام صار واضحاً على شبابنا وشاباتنا، لقد صار واضحاً عليهم من خلال العقيدة والعبادة والأخلاق، فكادت عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم تتلاشى لا قدَّر الله تعالى، لأننا قصَّرنا في الواجب الذي علينا.

{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن}:

أيها الإخوة: تذكروا جميعاً قول سيدنا صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مسؤولٌ عنْ رعِيَّتِهِ، والإِمَامُ رَاعٍ ومسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ ومسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والمرْأَةُ راعيةٌ في بيْتِ زَوْجِهَا ومسؤولة عنْ رعِيَّتِهَا، والخَادِمُ رَاعٍ في مالِ سيِّدِهِ ومسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فكُلُّكُمْ راعٍ ومسؤولٌ عنْ رعِيتِهِ) رواه مسلم عن ابن عمَر

رضي اللَّه عنهما. فَذَكَرَ الرجلَ والمرأةَ في الحديث ليتحمَّل كل واحد منهما مسؤوليته نحو أبنائه.

نعم إن وزراء الإعلام سيتحمَّلون المسؤولية يوم القيامة عما يبثُّون في أجهزة الإعلام، وذلك لقوله عز وجل: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون}. ولقوله تعالى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُون}. ولقوله صلى الله عليه وسلم: (فكُلُّكُمْ راعٍ ومسؤولٌ عنْ رعِيتِهِ).

ومسؤولية أجهزة الإعلام ووزراء الإعلام والقائمين على الإعلام لا تعفيك عن مسؤوليتك أيها الأب وأيتها الأم، ولتتذكروا أيها الآباء وأيتها الأمهات قول الله عز وجل: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّهِ وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه}. لماذا هذا القرار؟ هذا القرار بسبب تقصيرنا في تربية أبنائنا.

فمهمَّتنا ليست الإنجاب فقط، مهمَّتنا التربية وفق المنهج الذي رسمه لنا القرآن العظيم، والسنة النبوية المطهرة، هذا إذا أردنا أن ننتفع من أبنائنا بعد موتنا بدعوة صالحة، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) رواه مسلم عن أَبي هريرة رضي الله عنه. والولد الصالح هو الذي يقول بعد موت أبويه: {رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}. ولم يقل كما خلَّفاني، فلا تُغيِّب أيها الأب وأيتها الأم دور تربيتكما نحو أبنائكما.

أيها الأب صدِّر موعظتك بكلمة حب:

أيها الأب: لقد ذكرت لك في الأسبوع الماضي: (كن واعظاً، كن مربِّياً)، وحتى تكون موعظتك نافعة ومؤثرة في نفس ولدك، صدِّر هذه الموعظة بكلمة حب،

بكلمة عطف وحنان، بكلمة تدلُّ على ارتباط ولدك بك، فقل له عند بداية الموعظة: {يَا بُنَيَّ}.

إياك أن تصدِّر الموعظة بكلمة قاسية، بكلمة تجرح الفؤاد، بكلمة نابية بكلمة لا تليق أن تصدر من إنسان مؤمن، إياك أن تصدِّر موعظتك وتربيتك بكلمة تشبِّه فيها ولدك ببعض الحيوانات.

موعظة سيدنا لقمان خير شاهد:

أيها الإخوة: هذا سيدنا لقمان عليه السلام عندما أراد أن يعظ ولده ويعلِّمه التوحيد والعبادة والأخلاق صدَّر موعظته بكلمة {يَا بُنَيَّ} التي تشعر الولد بارتباطه بوالده، نَسَبَهُ إلى نفسه، وهذا شرف عظيم للولد، وكرَّر هذه الكلمة مرات قال له: {يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم}. ثم قال له: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِير}.

ما أجملها من كلمة، ووالله إنها لتملك قلب الولد بذلك، فهل نخاطب أبناءنا بذلك عند توجيههم؟ كلُّ واحد منا يعرف كيف يخاطب ولده.

فهل الخطاب الذي نخاطب به أبناءنا ونصدِّره بكلمة، هل هذه الكلمة ترضي الله عز وجل، وتدخل إلى قلب الولد، أم أنها تُنَفِّر قلب ولدك منك، وإذا نفر قلب الولد من والده كيف ستؤثِّر الكلمة فيه تأثيراً إيجابياً؟ قال تعالى: {وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}.

مهما كان ولدك قل له: {يَا بُنَيَّ}.

أيها الإخوة الكرام: لا تتركوا كلمة {يَا بُنَيَّ}. عند تربية الأبناء مهما كان حالهم، لأنها خير كلمة تصدِّر بها موعظتك لأبنائك، لأنها ذُكرت في القرآن العظيم.

خاطب ولدك بذلك إن كان باراً تقيّاً صالحاً، فقل له: {يَا بُنَيَّ}. وإن كان لا قدَّر الله فاسقاً فاجراً كافراً زنديقاً صدِّر موعظتك له بـ {يَا بُنَيَّ}.

تعلَّم هذا من القرآن العظيم، حيث ذكر لنا ربنا عز وجل نموذجين من الأبناء: الأول: عبد تقي صالح نقي، والثاني: عبد فاجر كافر فاسق.

فالمربي الوالد قال لولده البار الصالح: {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى} أراد أن يشركه في أجر امتثال أمر الله عز وجل، فقال المربَّى للمربي: {يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِين}. ما أجمل هذا التبادل: { يَا بُنَيَّ}. {يَا أَبَتِ }.

والمربي الثاني قال لولده العاق: {يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِين * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِين}. الأسلوب واحد من كليهما، لأن أسلوب التربية الصحيح واحد.

وهذا شأن صاحب القلب الرحيم الشَّفوق، فإياك أن تدوس على شفقتك بقدميك إذا ما رأيت ولدك عاصياً، فإن الرحمة لا تُنزع إلا من شقي، فلا تغيِّر أسلوبك في الموعظة مهما كان حال ولدك، لأنك والد، ولأنه مولود لك، وأنت مسؤول عنه يوم القيامة.

أيها الإخوة: لقد حُرِم أكثر الأبناء هذه الكلمة من الآباء، لذلك رأينا البَون الشاسع بين الأبناء والآباء، ورأينا العقوق، لأننا استبدلنا كلمة يا بني بكلمة جارحة توجه للأبناء سراً وعلانية، حتى وصل البعض أن يقول لولده إذا خالفه: إني أتبرأ منك.

أيها الأب الكريم: هل وصل ولدك إلى درجة الفسق والزندقة؟ وهل وصل إلى درجة الكفر والشقاق والنفاق حتى حرمته من كلمة: يا بني؟ إن قلت: نعم، فأقول لك قول الله عز وجل: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}. وهذا سيدنا نوح عليه السلام وصل ولده إلى ما وصل إليه، وما ترك كلمة: { يَا بُنَيَّ}.

أيها الآباء: بفضل الله عز وجل أبناؤنا ما وصلوا إلى درجة الفسق والزندقة، وما وصلوا إلى درجة الكفر والشقاق والنفاق، الإيمان مازال في قلوبهم، الخير ما زال فيهم، ولكن أين المحرِّك لهذا الخير الدفين فيهم؟

أيها الآباء: لا تتخلَّوا عن تربيتهم بالموعظة المصدَّرة بكلمة العطف والحنان بكلمة النسبة إليكم، لا تتركوا أولادكم لأجهزة الإعلام الضالّة المضِلَّة إلا ما رحم الله عز وجل.

لا تنس وصفك ووصف ولدك:

أيها الإخوة الكرام: لا يجوز أن ننسى وصفنا، ووصفُ أبنائنا من وصفنا، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)؟ رواه ابن ماجه عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، فإذا كان هذا وصفنا فلنكن متعاونين على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وخير عون على البر والتقوى موعظة مصدَّرة بكلمة

طيبة.

الخطأ من أبنائنا لا يجوز أن يدفعنا لإهمالهم وتركهم لأجهزة الإعلام الموجَّهةِ والموجِّهةِ لضياع العقيدة والعبادة والأخلاق من نفوس شبابنا وشاباتنا.

الدعوة بالموعظة الحسنة سنَّة الأنبياء والمرسلين:

أيها الإخوة: الدعوة بالموعظة الحسنة المصدَّرة بكلمة العطف والحنان هي سنة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام الذين هم قدوة البشر، الدعوة إلى الله تعالى رسم طريقها مولانا عز وجل في القرآن العظيم بقوله: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين}. وهذا ما سلكه الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام. خذوا على سبيل المثال:

أولاً: هذا سيدنا موسى عليه السلام يخاطب قومه: {يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم}. فكِّر في كلمة: {يَا قَوْمِ}. كم لها وقع في القلب.

ثانياً: هذا سيدنا هود عليه السلام يخاطب قومه: {يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُون * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِين * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِين}. انظر كيف يخاطبهم ويخاطبونه، هو يقول لهم: {يَا قَوْمِ}. وهم يقولون له: {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِين}، ومع هذا ما ترك قوله لهم:

{يَا قَوْمِ}، فقال: {يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِين.

ثالثاً: هذا سيدنا صالح عليه السلام يخاطب قومه: {يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيم * وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِين * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُون * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُون * فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِين * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِين * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِين}. تدبَّر هذا الخطاب من سيدنا صالح لقومه، والأسلوب ما تغيَّر حتى جاءت الرجفة.

وهذه سيرة جميع الأنبياء والمرسلين والتي خُتمت برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال له مولانا عز وجل: {وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين}.

أيها الأب لا تكن فظّاً غليظ القلب، بل كن واعظاً رحيماً ولا تدع كلمة يا بني مهما كان حال ولدك.

وهو أسلوب الدعاة الحق:

أيها الإخوة الكرام: هذا الأسلوب هو أسلوب كلِّ داع إلى الله عز وجل، هو

أسلوب كل واعظ سلك طريق النبي صلى الله عليه وسلم، خذوا على سبيل المثال:

أولاً: قول مؤمن أصحاب القرية، قال الله تعالى: {وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِين * اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُون}. انظر إلى كلمة يا قوم منه، لقد كان حريصاً على البعيد منهم، فكيف لا تكون أنت حريصاً على القريب منك؟ حتى عندما قتله قومه قال: {يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُون * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِين}. فما ترك الرحمة بهم حتى بعد قتله.

ثانياً: قول مؤمن آل فرعون، قال تعالى فيه: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَاد * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَار * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَاب * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّار * تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّار * لاَ جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّار * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد}.

تدبَّر هذا الخطاب، تدبَّر قول هذا المؤمن: {وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّار}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: نحن بأمسِّ الحاجة إلى الأسلوب الحسن في الدعوة إلى الله تعالى، وخاصة بالنسبة لأبنائنا، فإن كان لهم في علم الله نصيب من الهداية وصل إليهم من

طريقنا بحسن الموعظة وحسن الخطاب، وإن لم يكن لهم نصيب لا قدَّر الله تعالى في الهداية فإن ذمَّتنا تصبح بريئة بين يدي الله عز وجل، لأن الله تعالى كلَّفنا بوقايتهم من النار بالموعظة الحسنة، عندما قال لنا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون}.

اللهم ارزقنا الحكمة والموعظة الحسنة، واجعلنا هاديين مهديين، ومثل ذلك لأصولنا وفروعنا وأحبابنا، واحفظنا جميعاً يا أرحم الراحمين.

ولعل الحديث له صلة في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى. أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

138- خطبة الجمعة: أيها الأب! لا تكن متناقضاً في شخصيتك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع، حتى يسأل الرجل على أهل بيته) رواه النسائي. وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ) رواه البخاري.

أيها المسلم ضع هذا الحديث والسابق في أذنك، واعلم أنك مسؤول عنه أمام الله عز وجل، وأمام الأجيال، وأمام طفلك عندما يكبر.

من المسؤول عن ضياع الشباب الشابات؟

أيها الإخوة شبابنا في ضياع وشاباتنا في ضياع، وكلُّنا يعاني من ضياع الشباب والشابات، من منا لا يشكو من ولده وبنته؟ الكلُّ يشكو إلا من رحم الله عز وجل من ضياع الشباب والشابات، فمن المسؤول عن ضياعهم؟

المسؤول عن ضياعهم كلُّ أب وأم، فالأب عندما يكون مشغولاً بتجارته، مشغولاً بعمله، مشغولاً بأصدقائه، مشغولاً بسهراته مع خلانه، والأم مشغولة بجمالها، مشغولة باستقبالاتها، مشغولة بسهراتها، مشغولة بأجهزة الإعلام من مسلسل إلى مسلسل، ومن مسرحية إلى مسرحية، هما السبب في ضياع الأبناء والبنات.

ومن الذي يربي الأولاد؟ الذي يربي الأولاد أجهزةُ الإعلام، الذي يربي الأولاد أناس من غير جلدتنا، الخادمات اللواتي أقبلن من إندونيسيا وأثيوبيا، من هنا ومن هناك، لا تعرف العربية، ولا تعرف ماذا نريد لأولادنا، وهذا الأمر تفشى في المجتمع، وأسأل الله تعالى أن يحفظ هذه البلدة وسائر بلاد المسلمين من هذا الشر المستطير، وإذا أردتم أن تعرفوا حقيقة هذا الأمر فاسألوا عنه في الأحياء الراقية في محافظاتكم،

فاسألوا عنه دول الخليج، لقد صار الشباب والشابات لا يعرفون إلا الميوعة والغناء والرقص، ووالله لقد سألني بالأمس سائل عن رجل ماذا يفعل مع ابنته الشابة التي بلغت من العمر أكثر من عشرين عاماً، لها أصدقاء كثر، انحرفت عن جادة الصواب، وقعت في الفاحشة، ضيَّق عليها أبوها فهددته بالرحيل عن بيته، وفعلاً هربت من البيت أياماً عديدة حتى وصل إليها أبوها وهي خارج القطر، فعادت مستأسدة بكل وقاحة وجرأة ستبقى على ما هي عليه، وأخذت تؤثر على أختها وإخوتها، هل يجوز قتلها؟

قلت: لقد قتلها أبوها قبل أن يقتلها، لقد قتلها أبوها بسوء اختيار أمها، لأنه نسي: (فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ) رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لقد قتلها أبوها لأنه أسلمها لأجهزة الإعلام.

لقد قتلها أبوها لأنه أسلمها إلى الخادمة لتربيتها.

لقد قتلها أبوها لأنه كان حريصاً على أن يُلبسها أجمل الثياب وأحلاها من الثياب الضيقة الرقيقة القصيرة.

لقد قتلها أبوها عندما لم يدرِّبها على لباس الحشمة والوقار، عندما لم يأمرها بالصلاة وهي بنت سبع سنين، ولم يضربها عليها وهي بنت عشر سنين.

لقد قتلها أبوها عندما سمع كلام أمها وهي تقول له: إنها صغيرة لا تضيِّق عليها من أجل الصلاة، إنها صغيرة لا تضيِّق عليها من أجل الحجاب، دعها أن تتنفس لتذهب إلى المطاعم والمنتزهات من أجل التسلية.

لقد قتلها أبوها عندما أهمل تربيتها وسمع كلام أمها أن يشتري لها هاتفاً خاصاً بها .

هاتف الجوال والنقال. لأن مثيلاتها عندهن الجوالات.

نعم لقد قتلها أبوها ودمَّرها تدميراً وهي على قيد الحياة.

كن قدوة صالحة لأبنائك:

أيها الآباء الأفاضل: لقد ذكرت لكم في الأسبوعين الماضيين عن وجوب الموعظة التي أنيطت بها أعناقكم، وقلت لك أيها الأب الكريم: كن واعظاً لأبنائك، وصدِّر موعظتك بالكلمة الطيبة، بكلمة الحب والعطف والحنان، صدِّر موعظتك بكلمة (يا بني).

واليوم أقول لك: كن قدوةً صالحة وأسوة حسنة لأبنائك، لأن الإنسان بالتقليد قد يتعلَّم في يوم واحد ما لا يستطيع أن يتعلمه طوال شهر، تعلَّم هذا من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: {صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي} رَوَاهُ الإمام أَحْمَدُ عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كن مصلِّياً أمام أبنائك وبناتك، لا تكن تاركاً للصلاة.

تعلَّم من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون قدوة صالحة وأسوة حسنة لأبنائك وبناتك القائل بشأن الحج: (خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ) رواه مسلم عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما.

ما رسخ بالتقليد منذ نعومة الأظفار من أعمال وعادات وسلوك فمن العسير جداً أن يتخلَّى عنه الإنسان في كبره، ولو كانت الأعمال غيرَ صالحة، بل ولو كانت ضارة.

وإذا أردت مصداقيَّة هذا فانظر إلى المشركين، لما غلبتهم الحجة العقلية بأنَّ ما هم

فيه من شركٍ أمرٌ باطلٌ لا خيرَ فيه، ويعرِّضهم لعذاب الله تذرَّعوا لإصرارهم على الاستمرار بما هم فيه من شرك وأعمال غير صالحة بقولهم: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُون}.

نعم الولد منذ نعومة أظفاره ينظر إلى أبيه، والبنت تنظر إلى أمها، وكل منهما يحاكي والده ووالدته بأفعالهما، ولقد قلت لكم بأن مدرساً في المرحلة الابتدائية يقول لطلابه: الدخان حرام، فقال له تلميذ: لا يا أستاذ الدخان ليس بحرام، فقال له: لم؟ قال له: إن أبي يدخن، فلو كان حراماً ما دخن أبي.

كن مربِّياً بحالك قبل قالك:

أيها الأب الكريم: كن مربياً لأبنائك بحالك قبل قالك، ما يجوز أن يسمع ولدك منك كلمة نابية، ولا فعلاً ناقصاً، ولا خُلُقاً سيئاً، ولا مخالفة شرعية، لأنك قدوته إن شئت وإن أبيت، {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ}. أي على طريقة وخلق وسيرة {وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُون}. فأنت إمامه وهو مأموم، فكن على طريقة وخلق وسيرة حسنة لأنك إمام لأبنائك.

إما أن يكون لك الأجر وإما أن يكون عليك الوزر:

أيها الأب الكريم: أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ سَنَّ خَيْرًا فَاسْتُنَّ بِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ وَمِنْ أُجُورِ مَنْ يَتَّبِعُهُ غَيْرَ مُنْتَقِصٍ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ شَرًّا فَاسْتُنَّ بِهِ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ وَمِنْ أَوْزَارِ مَنْ يَتَّبِعُهُ غَيْرَ مُنْتَقِصٍ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا) رواه الإمام أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما.

أيها الأب الكريم: كن طائعاً لله في بيتك حتى تكون أسوة صالحة لأبنائك.

أيتها الأم الكريمة: كوني طائعة لله في بيتك حتى تكوني أسوة صالحة لبناتك، وإياكَ وإياكِ من معصية الله أمام الأبناء والبنات، لأنهم سيتبعونكما في الأفعال والأقوال، ومن ثَمَّ إما أن يكتب لكما الأجر، وإما أن يكتب عليكما الوزر.

لا تكن متناقضاً في شخصيتك:

أيها الأب الكريم: لا تكن متناقضاً في شخصيتك السلوكية والقولية، لتكن أفعالك مطابقة لأقوالك، فإن قلت لولدك: لا تكذب فكن أنت أولاً صادقاً، فإن قلت لولدك: لا تدخِّن فكن أنت أولاً غير مدخِّن، وإن قلت لولدك: صلِّ، فكن أنت أولاً مصلِّياً، فإن قلت لولدك: اقرأ القرآن فكن أنت أولاً قارئاً القرآن الكريم، وقس على ذلك سائر الأوامر والمنهيات.

لأن ولدك ينظر إليك ويسمع لكلامك ويجعل موازنة بينهما، وكن على ثقة بأنَّ الراجح عنده هو فعلك لا قولك، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُون}. سمة الإنسان المسلم أنَّ باطنَه كظاهره، سمة الإنسان المسلم تطابقُ فعله مع قوله، لأن الإنسان المسلم سمع قوله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُون}. وهذا شأن اليهود، وسمع قوله الله تعالى: {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ}. وهذا شأن المنافق الذي قال فيه مولانا كذلك: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَام}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الأب الكريم: أنت أمين على أولادك وبناتك أن تربيهم على منهج الله عز وجل بسلوكِكَ قبل أقوالِك، فلا تكن ممن يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن

المنكر ويأتيه، وأنتِ كذلك يا أيتها الأم الكريمة.

أسأل الله عز وجل أن يكرمنا بالاستقامة على شرعه ظاهراً وباطناً، وأن نكون أسوة صالحة لأبنائنا وبناتنا وللمسلمين، {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

139- خطبة الجمعة: كيف ينظر الإسلام إلى عقد الزواج؟ وكيف يفهمه شبابنا؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

لقد وقفت على حقيقة أسباب الخلافات الزوجية وخاصة في شبابنا وشاباتنا اليوم، فوجدت من جملة هذه الأسباب وربما أن يكون هو السبب الوحيد في هذه الخلافات، ألا وهو سوء فهم حقيقة عقد الزواج.

كيف فهم شبابنا عقد الزواج؟

أيها الإخوة: أكثر شبابنا اليوم ينظرون إلى عقد الزواج بأنه عقد مصارعة بينه وبين

زوجته، أيهما يثبت وجوده، الزوج أم الزوجة؟ ينظرون إليه بأنه عقد لإظهار الأقوى منهما هل الزوج أم الزوجة؟ ينظرون إليه بأنه عقد اختطاف، هل الزوج يستطيع أن يخطب الزوجة من أهلها، أم هي تخطف الزوج من أهله؟ ينظرون إليه بأنه عقد استرقاق وتأميم، بحيث لم يبق للمرأة وجود أمام زوجها، لا رأي لها في شخصها، ولا رأي لها في مالها، ولا رأي لها في حُليِّها، ولا رأي لها في ميراثها من أهلها، ولا رأي لها في مرتَّبها ودَخْلِها، لا رأي لها في شيء من ذلك، الرأي أولاً وآخراً للزوج، وينزلها بمنزلة الأمة الرقيقة. هكذا أكثر شبابنا اليوم ينظرون إلى عقد الزواج، وبكل أسف ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

من أين جاء هذا الفهم لعقد الزواج؟

أيها الإخوة الكرام: من أين جاء هذا الفهم لعقد الزواج في نفوس أبنائنا؟

الجواب على هذا: إن هذا التصور لعقد الزواج في أذهان شبابنا اليوم جاء من خلال ما شاهده الأبناء من حياة آبائهم وأمهاتهم، حيث شاهدوا تعامل آبائهم مع أمهاتهم، فانتقلت الصورة إلى أذهانهم أن التعامل مع الزوجة هكذا يجب أن يكون، شدة، وقسوة، وظلم، ومحو الأنا، والتبعية المطلقة، ما هي إلا أمة مملوكة عند الزوج، هي وما تملك ملك للزوج.

ويأتي أحدنا ليوجِّه الأبناء أن هذا التعامل خطأ، ولا يجوز شرعاً وهو حرام، فيأتي الجواب بكل سهولة وبساطة: هكذا كان آباؤنا وأجدادنا، ولو قلت لهم: إنهم كانوا على خطأ، وأنت مسؤول عن ذلك يوم القيامة، وبينتَ لهم الأحكام الشرعية والحقوق والواجبات التي لهم وعليهم، لقالوا لك: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى

أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُون}.

وهذا ما أكَّدته عليكم في الأسبوع الماضي، بأن التعليم بالتقليد يصعب إزالته وتغييره، لأن العبد يتعلَّم بالتقليد في زمن أقلَّ بكثير مما يتعلَّمه بالموعظة والإرشاد والنصح.

لذلك أقول: أيها الإخوة، كونوا أسوة صالحة لأبنائكم في تعاملكم مع نسائكم، واجعلوا شرع الله رائداً لكم في جميع أقوالكم وأفعالكم مع أهلكم، لأنكم قدوة للناشئة، قدوة للشباب والشابات من أبنائكم، فاحذروا أن تكونوا قدوة غير صالحة.

من المنتصر من الزوجين؟

أيها الإخوة: إذا كان شبابنا ينظرون إلى عقد الزواج على أنه عقد إثبات شخصية ووجود وانتصار في معركة، فأنا أقول لهم مطمئناً: اعلموا بأن النصر لكم، والغلبة لكم، والوجود لكم، وسوف يصفق لكم الغافلون عن الله عز وجل، لأنكم حققتم النصر على المرأة، وسوف يصفق لكم كل أب غافل عن الله، وكل أم غافلة عن الله، وكل أخ غافل عن الله، وكل أخت غافلة عن الله، وكل صديق غافل عن الله، وربما أن تأخذك نشوة النصر أنت أيها الزوج.

نعم سيتحقَّق لك النصر على الزوجة، لأن العصمة في يدك، سيتحقَّق لك النصر لأن القوامة لك، سيتحقَّق لك النصر لأن المرأة هي الضعيفة، قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ}، وقال تعالى: {وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي

الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا}. ويقول صلى الله عليه وسلم: (أَلا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً. أَلا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلا وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ولكن اسمع يا أخي الشاب المتزوِّج: لقد أعطاك الإسلام درجة القوامة، وأعطاك حقَّ التأديب، وجعل العصمة في يدك، وجعل الزوجة بمنزلة الأسيرة عندك، ولكن هل تعلم بأن الذي أعطاك هذا الحق هو القائل لك: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}، وقال لك في كتابه العظيم وهو يقسم بقوله: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون}.

فإياك أن تستعمل حقك استعمالاً تعسُّفياً خارجاً عن حدود طاعة الله عز وجل، فإن فعلت ذلك فاعلم قوله تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم}، اعلم بأنك إذا كنت منتصراً اليوم في الحياة الدنيا، إما بظلم الزوجة ومحقها، وإما بطلاقها طلاقاً تعسُّفياً، فأنت الخاسر في الآخرة، حيث توضع موازين القسط ليوم القيامة، لأن الله تعالى يقول: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِين}، فيوم القيامة هو يوم الفصل بين الظالم والمظلوم، بين الزوج وزوجته، بين الوالد وولده، بين الجميع.

من استعمل حقَّ القوامة وحقَّ التأديب وحقَّ العصمة استعمالاً تعسُّفياً فإنه سيفرُّ

يوم القيامة من أمام زوجته، قال تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّهِ وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه}.

فهل يرضيك أيها الشاب الزوج أن تكون منتصراً على زوجتك في الدنيا بسبب ظلمك وتجاوزك الحد، ثم تكون من الخاسرين يوم القيامة؟

نظرة الإسلام إلى عقد الزواج:

أيها الإخوة الكرام: ما هي نظرة الإسلام إلى عقد الزواج؟ هل هو عقد منافسة بين ذكر وأنثى، أم عقد تكامل بينهما؟

إن نظرة الإسلام إلى عقد الزواج أن عقد تكامل بين الزوجين، الرجل يكمِّل المرأة، والمرأة تكمِّل الرجل، قال تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ}.

عقد تعاون على طاعة الله عز وجل، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}.

عقد إعفاف لكلٍّ من الزوجين، ولكلٍّ وظيفته، لا تعارض ولا تضادَّ، إنما تكامل كتكامل الليل والنهار، قال تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}.

عقد مسؤولية ورعاية، قال صلى الله عليه وسلم: (أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) رواه البخاري ومسلم.

وهذا العقد عقد مقدَّس في ديننا، قال تعالى فيه: {وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}، فالمرأة أخذت على الرجل ميثاقاً غليظاً، أي قوياً وعظيماً بأن لا يظلمها إن كرهها، وأن يعاشرها بالمعروف، وأن يكرمها، لأن إكرام المرأة من وصف الكرام، كما أن الإساءة لها من وصف اللئام، كما جاء في الحديث: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب صحيح، وزاد ابن عساكر: (ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهنَّ إلا لئيم).

عقد الزواج ميثاق غليظ قطعه الرجل على نفسه أن لا يعامل زوجته إلا وفق ما يُرضي الله عز وجل، ويرضي رسوله صلى الله عليه وسلم، لذلك قال لولي الزوجة: قبلت زواجها على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

عقد الزواج ميثاق غليظ قطعه الرجل على نفسه حيث قرأ قول الله تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}.

عقد الزواج ميثاق غليظ قطعه الرجل على نفسه حيث سمع حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) رواه البخاري ومسلم.

الميثاق الغليظ ذُكِر في القرآن مرتين:

أيها الإخوة: لو تدبَّرنا القرآن العظيم فإننا نجده قد تحدَّث عن العقود بشكل عام، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ}، ولكن عندما تحدَّث عن عقد الزواج وصفه بقوله: {مِّيثَاقًا غَلِيظًا} فقال تعالى: {وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}.

وذكر الميثاق مرة ثانية بأنه غليظ أي قوي وعظيم عند أخذ العهد والميثاق على الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}.

فالميثاق بين الله ورسله وُصِف بأنه ميثاق غليظ، وكذلك الميثاق والعهد بين الرجل والمرأة وُصِف بأنه ميثاق غليظ.

فهل شبابنا حفظوا هذا الميثاق أم ضيَّعوه في حياتهم الزوجية؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: عقد الزواج عقد محبة ووئام بين الرجل والمرأة، وعقد تكافل وتكامل وتعاون، وليس عقد مصارعة وملاكمة، وليس عقد إثبات للوجود، من هو الأقوى؟

أيها الإخوة الشباب: احذروا أن تقولوا: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُون}، اجعلوا قدوتكم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في زواجكم، وانظروا كيف كان يتعامل صلى الله عليه وسلم مع نسائه، الذي أجرى

عليهنَّ العقد الذي وصفه ربنا عز وجل بقوله: {وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}.

أسأل الله تعالى أن يُخَلِّقَنا بأخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن نخرج من هذه الدنيا بسلامة، وأن نستوصي بنسائنا خيراً، امتثالاً لأمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)، سمعاً وطاعةً يا سيدي يا رسول الله.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

140 خطبة الجمعة: أيها الزوج فكر بالواجب الذي عليك أولاً!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

خلاصة الخطبة الماضية:

لقد ذكرتُ لكم في الأسبوع الماضي نظرةَ الإسلام إلى عقد الزواج، ونظرةَ شبابنا في هذا العصر إلى عقد الزواج، شبابنا ينظرون إليه على أنه دمج للزوجة ومحوها في الزوج، وأن القرار أولاً وآخراً للزوج، الوجود له لا لها، الكلمة له لا لها، ينظرون إلى الزوجة كأنها أمة رقيقة اشتراها من سوق النخاسين.

والإسلام ينظر إلى عقد الزواج أنه عقد مقدَّس، يتكامل فيه الرجل مع المرأة، وَوَصَفَهُ بالميثاق الغليظ، قال تعالى: {وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}. أي: أخذن منكم عهداً متيناً قوياً.

الغاية من الشهود في الزواج:

أيها الإخوة الكرام: الإسلام ينظر إلى عقد الزواج بأنه مقدَّس وهو ميثاق غليظ، ولا يصح هذا العقد إلا بوجود الشهود، فقال صلى الله عليه وسلم: (لا نِكَاحَ إلا بِوَلِيٍّ، وَشَاهِدَيْ عَدَلٍ) رواه ابن أبي شيبة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّه عنهُ.

وفي الغالب الأعم عقد الزواج يحضره العشرات من الرجال ليشهدوا هذا العقد، فهل تدري يا أيها الشاب الغاية من الشهود لعقد زواجك؟

من جملة الغايات في الإشهاد على عقد الزواج أن الحاضرين كلَّهم يشهدون عليك بأنك تتزوج هذه الفتاة على أن تعاملها وفق كتاب الله، وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، تُشْهِدُ الحاضرين جميعاً بأنك ستعامل هذه الزوجة معاملة شرعية، إن أَحْبَبْتَها أكرمْتَها، وإن أبغضتها ـ لا قدَّر الله ـ لم تظلمها، أَشْهَدْتَ الحاضرين على ذلك من حيث تدري أو لا تدري، إذْ قلْتَ لوليِّها أثناء العقد: قبلت زواج مُوَكِّلتك على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهل تتذكر قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ}؟ فهل أنت ممن حفظ قدسية هذا العقد، أم ممن ضيعه؟

هل أنت ممن تعلَّم من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما

يجب عليه بعد عقد الزواج؟ أم أنت ممن تعلَّم العادات والتقاليد التي يمارسها بعض الرجال على نسائهم وهم في حالة بُعْدٍ عن الله تعالى؟ هل أنت ممن يقول بعد عقد الزواج: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُون}، أم تقول: أنا أتَّبع النبي صلى الله عليه وسلم؟

أيها الإخوة: أهل الإيمان من أوصافهم الوفاء بالعهد والوعد، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُون}. أهلُ الإيمان لا يعرفون الخديعة، أهلُ الإيمان إذا قالوا صدقوا، وأنت أيها الزوج الشاب قلتَ: قبلتُ زواجها على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فكن وفياً لهذا الميثاق الغليظ الذي أُخِذَ عليك.

فكر بالواجب الذي عليك أولاً:

أيها الإخوة الكرام: ما أجمل الإنسان عندما يعرف الواجب الذي عليه، ما أجمله عندما يُلزم نفسه بما أوجبه الله تعالى عليه، ما أجمل الإنسان عندما يقوم بالذي عليه، ثم بعد ذلك يطالب بالحق الذي له بأسلوب لطيف حسن.

ما أجمل كلاً من الزوجين عندما يفكر كلٌّ واحد منهما بالواجب الذي عليه، قبل أن يفكِّر بالحق الذي له، وهذا لا يكون إلا عند المؤمن الذي عرف أنه موقوف بين يدي الله عز وجل، ومسؤول يوم القيامة عن الواجب الذي عليه، هل حفظ أم ضيَّع، هذا لا يعرفه إلا من كان يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر، هذا لا يعرفه إلا من حفظ قول الله تعالى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُون}. وحفظ قول الله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون}. وحفظ قوله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}. وحفظ قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلا يَرَى إِلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلا يَرَى إِلا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ،

فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) رواه مسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

فإذا كان كلٌّ من الزوجين يفكِّر بالواجب الذي عليه، ولا يفكِّر بالحق الذي له، فإن السعادة تغمر البيت.

حقُّكَ أيها الزوج وحقُّكِ أيتها الزوجة إن ضاع في الدنيا فلن يضيع في الآخرة، وتكون في هذا الحال مظلوماً، ومن كان مظلوماً كان الله بجانبه.

أما إذا ضيَّعت الواجب الذي عليكَ أيها الزوج، وضيَّعتِ الواجب الذي عليكِ أيتها الزوجة، صرتما بذلك ظالمين، والله تعالى يقول: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء}.

فالمسلم يستحضر دائماً الآخرة أمام عينيه، ويخاف يوم القيامة الذي توضع فيه الموازين القسط.

كيف يربَّى أبناؤنا؟

أيها الإخوة الكرام: كيف يُربَّى أبناؤنا اليوم؟ هل يُربي كلُّ واحد منا ابنه وابنته على معرفة الواجب الذي عليه؟ أم معرفة الحق الذي له؟

الواقع المشاهد أن الأبناء يُربى كلُّ واحدٍ منهم على معرفة الحق الذي له دون الواجب الذي عليه، لذلك حلَّت المشاكل الأسرية، وبدأ الصراع بين الأزواج، فكلُّ واحد يصارع الآخر لتحصيل حقٍّ من صاحبه.

وأنا أرى أن ما حلَّ بنا نحن سببُهُ، سبَبُهُ كلٌّ من الزوجين، حيث كان يبحث كل واحد عن شريك حياته من خلال منظاره لا من خلال منظار الإسلام.

الرجل يبحث عن المرأة الحسناء الحسيبة النسيبة صاحبة المال، وآخر ما يفكِّر فيه الدين، والمرأة كذلك تبحث عن الرجل الجميل الحسيب النسيب صاحب المال، وآخر ما تفكِّر فيه دينه، وإذا كان كلُّ واحد من الزوجين يبحث عن شريكه من خلال هذا المنظار فأمر طبيعي أن يفكِّر كلُّ واحد بالحق الذي له دون التفكير

بالواجب الذي عليه.

أين إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم لنا؟

أيها الإخوة: أين نحن من إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم لنا؟ قال لنا صلى الله عليه وسلم: (فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ). رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّه عنهُ.

صاحبة الدين هي التي تفكِّر بالواجب الذي عليها قبل أن تفكِّر بالحق الذي لها، لأنها مسؤولة بين يدي الله عز وجل عن الواجب الذي ألقاه الله تعالى على عاتقها.

وقال لنا كذلك صلى الله عليه وسلم: (إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ) رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّه عنهُ.

صاحب الدين والخلق يفكِّر بالواجب الذي عليه قبل أن يفكِّر بالحق الذي له، لأنه مسؤول بين يدي الله عز وجل عن الواجب الذي ألقاه الله تعالى على عاتقه.

وما أجمل بيت المسلم إذْ يفكِّر كلٌّ من الزوجين في الواجب الذي عليه.

ماذا يترتب على عقد الزواج؟

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نُعلِّم أبناءنا وبناتنا ماذا يجب على كل واحد منهما نحو الآخر بعد عقد الزواج، هذا إذا أردنا لهم سلامة الدنيا والآخرة، يجب على الولد أن يتعلَّم الواجب الذي عليه نحو زوجته، ويجب على البنت أن تتعلَّم الواجب الذي عليها نحو زوجها، وبذلك تُبْتَرُ أكثر الخلافات بين الزوجين بإذن الله تعالى.

أيها الآباء، أيتها الأمهات: لقِّنوا أبناءكم ما يجب عليهم نحو زوجاتهم بسلوككم قبل أقوالكم، لتكن المعاملة بينكم وفق كتاب الله عز وجل، ووفق سنة

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كن أسوة صالحة أيها الأب لأولادك من خلال تعاملك مع زوجتك، وكوني أسوة صالحة أيتها الأم لبناتك من خلال تعاملك مع زوجك، ليقم كلُّ واحد منكما بواجبه الشرعي نحو الآخر.

ثم لقِّنوا أبناءكم ما يجب عليهم تجاه نساءهم، علِّموا أولادكم قبل زواجهم لأنكم مسؤولون منهم، والكلُّ مسؤول يوم القيامة.

لكلِّ واحد حق:

أيها الإخوة: علموا أولادكم أن الزوجة لها حق، وأن الأم والأب لهما حق، وأن الإخوة والأخوات لهم حق، ولا يجوز أن يطغى حقٌّ على حقٍّ.

علِّم ولدك بأن لربه عليه حقاً، فليعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فلا يطغى حقُّ الزوجة على حقِّ الأم، ولا حقُّ الأم على حقِّ الزوجة، بل لا يجوز أن تطغى العبادة النافلة على حقِّ الزوجة.

تعلَّموا هذا من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أصحابه الكرام رضي الله عنهم، فهذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على السيدة عائشة رضي الله عنها في ليلتها.

عن عبيد بن عمير رضي الله عنه أنه قال لعائشة رضي الله عنها: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: (يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي) قلت: والله إني أحبُّ قربك وأحبُّ ما يسرُّك، قالت: فقام فتطهَّر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حِجْرَهُ، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدَّم وما تأخَّر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت عليَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكَّرْ فيها: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَاب}. رواه ابن حبان

في صحيحه.

هل لك أسوة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الزوج؟ هل عَلَّمت ولدك هذا قبل عقد زواجه، هل أحد أكرم المرأة كما أكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ونحن نقول بملء أفواهنا للغرب ولمن ينعق وراء الغرب: هل أعطيتم المرأة كما أعطاها الإسلام وكما أعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن السيدة عائشة رضي الله عنها ليؤدي نافلة.

وأنا أقول: يا أيها الأزواج اتقوا الله في نسائكم، أعطوا نساءكم حقهنَّ، لا تجعلوا نساءكم يتطلَّعون لغير الإسلام بسوء معاشرتكم لهنَّ، أسوتكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تجعلوا نساءكم ينفرْنَ من دين الله عز وجل، يقول صلى الله عليه وسلم: (كل رجل من المسلمين على ثغر من ثغور الإسلام، الله الله أن يؤتى الإسلام من قبلك) رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة.

سيدنا سلمان الفارسي وأبو الدرداء رضي الله عنهما:

أيها الإخوة: علِّموا أولادكم أن عقد الزواج تترتَّب عليه حقوق على كلٍّ من الزوجين، فعلِّم ولدك وعلِّم ابنتك هذا، واسمعوا إلى هذه القصة التي جرت بين سيدنا سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما.

عن أَبِي جُحَيْفَةَ وَهبِ بْنِ عبد اللَّه رضي اللَّهُ عنه قال: آخَى النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم بَيْن سَلْمَانَ وأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاء مُتَبَذِّلَةً، فقالَ: ما شَأْنُكِ؟ قالَتْ: أَخوكَ أَبُو الدَّرداءِ ليْسَ له حَاجةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدرْدَاءِ فَصَنَعَ لَه طَعَاماً، فقالَ لَهُ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قالَ: ما أَنا بآكلٍ حَتَّى تأْكلَ، فَأَكَلَ، فَلَّمَا كانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْداءِ يقُوم، فقال لَه: نَمْ، فَنَام، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُوم، فقالَ لَه: نَمْ ، فَلَمَّا كان من آخرِ اللَّيْلِ قالَ سلْمانُ: قُم الآنَ، فَصَلَّيَا جَمِيعاً، فقالَ له سَلْمَانُ: إِنَّ لرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لنَفْسِكَ عَلَيْكَ حقًّا، ولأهلِك عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم فَذَكر ذلكَ لَه،

فقالَ النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (صَدَقَ سلْمَانُ) رواه البخاري .

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: عقد الزواج مقدَّس في شرعنا، عقد الزواج تترتَّب عليه حقوق وواجبات على كلٍّ من الزوجين، علِّموا هذا لأبنائكم قبل زواجهم، وكونوا عوناً لهم على طاعة الله عز وجل، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولعلنا في الأسبوع القادم نتحدَّث عن شيء من واجبات الرجل نحو زوجته إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

-141 خطبة الجمعة: المفهوم الإسلامي لمهر الزوجة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

يقول الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ}، ومن جملة هذه العقود التي يجب علينا أن نفي بها عقد الزواج.

وكلُّ عقد يترتب عليه واجبات كما يترتب له حقوق، وكل طالب عقد يجب عليه أولاً أن يقدم الواجب الذي عليه، ثم بعد ذلك يطالب بالحق الذي له.

وإن عقد الزواج يطلبه الرجل قبل المرأة، ولذلك يسمى مريد الزواج، وهو

يبحث عن الزوجة خاطباً، والزوجة التي يريدها الزوج تسمى مخطوبة، فالرجل خاطب، والمرأة مخطوبة، والرجل طالب، والمرأة مطلوبة، لذلك وجب على الرجل أن يقوم بالواجب الذي عليه أولاً.

إذاً علينا أيها الإخوة عندما نسمع قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ}، ونحن نريد عقد الزواج، أن نعلم ما هو الواجب الذي علينا أولاً حتى نفي هذا العقد حقه.

عقد الزواج ليس عقداً مدنياً:

أيها الإخوة: إن عقد الزواج عندنا عقد شرعي، وليس عقداً مدنياً كما هو الحال في الغرب، عقد الزواج عندنا عقد شرعي مقدَّس، شرعه الله عز وجل لنا بنص القرآن الكريم بقوله تعالى: {فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء}، وبقوله: {وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ}، ويقول صلى الله عليه وسلم: (أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) رواه البخاري.

عقد الزواج عقد شرعي يترتَّب عليه الجزاء، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فإن وفيت به كما شرع الله لك أُجرتَ، وإن ضيَّعته لا قدر الله حملتَ الوزر يوم القيامة.

الزواج عبادة يتقرَّب بها الأزواج إلى الله تعالى، كما قال صلى الله عليه وسلم: (وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا) رواه مسلم.

ماذا يترتَّب على الرجل من واجبات في عقد الزواج؟

أيها الإخوة: لذلك وجب علينا أن نعلم ماذا يترتَّب على عقد الزواج من واجبات على الرجل، ويجب علينا أن نعلِّم أبناءنا هذا قبل زواجهم إذا كنا حريصين على سلامتهم دنيا وأخرى.

نعم أيها الإخوة، أكثرنا يعلَّم أولاده ماذا يجب عليه أولاً إذا كان طالباً، أو كان موظفاً، أو كان تاجراً، يعلِّمه الواجب الذي عليه من أجل سمعة طيبة في الدنيا، ومن أجل سلامته.

ولكن أكثر الناس لا يُعلِّمون أبناءهم ماذا يترتب عليهم من خلال عقد الزواج، لذلك رأينا كثرة الخلافات الزوجية التي أدَّت إلى الشقاق، ثم إلى الطلاق، وانظروا مصداقية هذا في المحاكم الشرعية.

أما في الآخرة فالله تعالى يبيِّن لنا نتيجة عدم الوفاء بالعهد والعقد، بقوله تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّهِ وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِهِ} أي زوجته، لماذا يفرُّ من زوجته؟ لأنه ضيَّع حقها الذي هو واجب عليه في الدنيا.

أيها الإخوة: أكثر شبابنا اليوم في حالة نسيان ليوم القيامة، في حالة نسيان ليوم الفصل الذي هو ميقات الجميع، كما قال تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِين * يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلاَ هُمْ يُنصَرُون * إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ}.

أيها الإخوة: علِّموا أولادكم ماذا يترتَّب عليهم نحو عقد الزواج، ثم بعد ذلك لِيُقدِموا أو لِيُحجموا، لأنه ميثاق غليظ، كما قال تعالى: {وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}.

{وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً}:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أبناءكم أن عقد الزواج يترتب عليه واجبات، وأول هذه الواجبات على الرجل: المهر، الذي قال فيه مولانا عز وجل: {وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً}، فالله تعالى يأمر الزوج أن يؤتي الزوجة المهرَ، قلَّ أو كثر ما دام مسمَّى في عقد الزواج، قال تعالى: {فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} يعني مهورهن، ومهما كان المهر كبيراً، وذلك لقوله تعالى: {وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا}.

نظرة شبابنا إلى المهر:

أيها الإخوة: ربُّنا عز وجل الذي شرع لنا عقد الزواج، وأمرنا بإعطاء المرأة حقَّها من المهر المتَّفق عليه، خاطبنا بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ} . ولكن كيف ينظر شبابنا إلى المهر اليوم؟

نظرة شبابنا اليوم إلى المهر بأنه حِبر على ورق لا قيمة له، وما يشعر أحدهم بأنه دين في ذمته سوف يُسأل عنه دنيا وأخرى، الكثير من شبابنا من يستهين بالمهر، ولا يشعر بمسؤوليته نحو هذا المهر، وخاصة بعد أن انتشر في المجتمع غلاء المهر، وجُلُّه يُسجَّل غير مقبوض.

أكثر الشباب لا يبالون الآن بالمهر مهما كثُر لأنه دَين كلُّه، فإذا ما اختلف مع زوجته وأدى الخلاف إلى طلاق الزوجة فإنه يطلِّق زوجته ولا يدفع لها شيئاً من مهرها، ويرضى بالسجن لمدة أشهر معدودة، ثم يخرج من سجنه بدون مبالاة، وربما كان الآباء والإخوة عوناً له في التهرُّب من مهر الزوجة.

اعلم أيها الزوج الذي لا يبالي بالمهر بأن الدنيا دَين ووفاء، والجزاء من جنس العمل، هل ترضى أن تُعامَل ابنتك بهذا الشكل؟ هل ترضى من زوج ابنتك أو زوج أختك أن يأكل صداق ابنتك أو أختك؟

تذكَّر قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) رواه البخاري ومسلم.

بعض الأحكام المتعلِّقة بالمهر:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أبناءكم قبل الزواج بعض الأحكام الإجمالية التي تتعلَّق بمهر الزوجة:

أولاً: يستحبُّ دفع المهر كاملاً للزوجة قبل الدخول:

وذلك لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ} يعني مهورهنَّ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي نساءه مهورهنَّ قبل الدخول، وهذا أكرم لهنَّ من تأخيره، وهو بنفس الوقت تبرئة لذمة الزوج

مباشرة.

قد يقول قائل: وما هو الضمان أن تبقى الزوجة في عصمة زوجها بعد أخذ الصداق كاملاً؟ الجواب: الضمان لك هو حسن اختيارك لزوجتك، وذلك من خلال قوله صلى الله عليه وسلم: (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ) رواه البخاري ومسلم.

فالمستحبُّ دفع المهر كاملاً عند العقد، فلا تؤخر المهر وتجعله ديناً في ذمتك لسنوات طويلة، وأنت ترى بأن القيمة الشرائية للأموال في حالة هبوط مستمرٍّ.

ومن كان مستحضراً الآخرة بين يديه يكون حريصاً على براءة ذمته أمام العباد، وخاصة حتى لا يكون مفلساً يوم القيامة لا قدر الله إذا لم تسامحه الزوجة عن طيب نفس منها.

ثانياً: المهر حقٌّ خالص للزوجة تتصرف فيه كيف تشاء:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أبناءكم بأن مهر الزوجة من مقدَّم ومؤخَّر وملبس وحليٍّ هو حقٌّ خالص للزوجة، وذلك تعظيم لشأنها، وهي حرة في هذا المال تتصرف فيه كيف تشاء في حدود طاعة الله عز وجل، والأولى في حقِّها أن تستشير زوجها في التصرف، ولكن إن تصرَّفت فيه من غير استشارة فلا تُلام على تصرُّفها.

هي حرَّة في ذهبها ومالها من مهر أو من ميراث أو من كسب، تهب منه لمن تشاء، وتعطي منه لمن تشاء، وتقرضه لمن تشاء، ولا يجوز للرجل أن يضيِّق عليها.

المهر حقٌّ خالص للزوجة إن شاءت فرشت البيت منه، وإن شاءت امتنعت، لأن النفقة أوجبها الله تعالى على الزوج، قال تعالى: {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ}، فلا تُجبَر على نفقة في بيتها ولا على فرشه إلا إذا تطوَّعت من طيب خاطرها.

علِّموا هذا لأولادكم، وحذِّروهم من أن يضيِّقوا على نسائهم إذا تصرفْنَ في أموالهنَّ من غير استشارة لأزواجهنَّ، وعلِّموا أولادكم أن هذا المهر والذهب ليس من حقِّ الرجل لأنه دخل في ملكها.

واحذروا أيها الآباء أن تعلِّموا أولادكم خلاف هذا، لأن الكثير من الآباء من يعلِّم أولاده أن هذا المال هو حقُّه وليس حقاً للزوجة.

ثالثاً: لا يجوز التضييق على الزوجة حتى تتنازل عن مهرها:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أولادكم قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ}.

هناك من يضيِّق على زوجته إذا كرهها حتى تفتدي نفسها منه بترك مهرها وذهبها أو جزء منه، وهذا ليس من شأن صاحب الدين، لأن صاحب الدين إذا أحبَّ زوجته أكرمها، وإذا كرهها لم يظلمها، فإما أن يصبر عليها، وأما أن يسرِّحها بإحسان، ومن الإحسان أن يدفع لها صداقها كاملاً، بل يزيد في صداقها متعة، كما قال تعالى: {وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِين}، والمتعة مالٌ فوق المهر الذي لا يجوز للرجل أن يأكله، وذلك لقوله تعالى: {وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}.

واحذروا أيها الآباء والأمهات أن تعلِّموا أولادكم خلاف هذا، لأن الكثير ممن يعلِّم ولده أن يضيِّق على زوجته حتى تفتدي نفسها منه بترك مهرها وذهبها أو جزء منه، {أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين}؟

رابعاً: لها نصف المهر إذا طُلِّقت قبل الدخول:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أولادكم قول الله تعالى: {وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ}.

الكثير يجري العقد على فتاة، وقد تطول فترة العقد قبل الدخول، وربما يحصل خلاف فيريد الزوج أن يطلِّقها، ويظن أنه إذا طلَّقها بعد العقد وقبل الدخول أنها لا

تستحقُّ شيئاً من المهر.

أيها الإخوة: من أراد أن يطلِّق زوجته قبل الدخول يجب عليه أن يدفع لها نصف المهر قلَّ أو كثُر، وهذا من حقِّها، ولا يجوز أن يأكل شيئاً من حقِّها إلا أن تعفو الزوجة عن شيء منه بطيب نفسٍ منها.

فحقُّ الزوجة قبل الدخول إذا طلَّقها زوجها نصف المهر بنصِّ القرآن العظيم، والكثير من الآباءِ من يعلِّم ولده خلاف هذا، فما هو قائل لربِّه يوم القيامة؟ وماذا سيقول الزوج يوم القيامة إذا لم يدفع لها نصف المهر إذا طلَّقها بعد سماعه هذه الآية الكريمة؟

خامساً: إذا مات أحد الزوجين قبل الدخول تستحقُّ المرأة مهرها كاملاً:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أولادكم بأن المرأة تستحقُّ المهر كاملاً إذا مات أحد الزوجين قبل الدخول، فمن مات عن زوجته قبل الدخول فإن المرأة تستحقُّ مهرها كاملاً بدون نقصان، وتستحقُّ إلى جانب هذا ميراثها من زوجها.

وكذلك إذا ماتت الزوجة قبل الدخول بها فإنها تستحقُّ المهر كاملاً، وطبعاً زوجها يرثها من مهرها ومن سائر مالها إن كان لها مال.

هذا فضلاً عن الدخول بها ثم طلَّقها بعد الدخول، فمن دخل بزوجته ثم طلَّقها وجب عليه أن يدفع لها صداقها كاملاً مهما كانت الأسباب التي دفعته لطلاقها.

لأن الواجب على الرجل إذا كانت زوجته سيئة الأخلاق وأراد طلاقها وهو لا يريد أن يدفع لها صداقها كاملاً أن يجعل حكماً من أهله وحكماً من أهلها، ليقضوا في مسألة المهر بسبب سوء أخلاقها.

سادساً: احذر أن تنوي عدم دفع المهر للزوجة:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أبناءكم حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: (أيما رجل تزوج امرأة بما قلَّ من المهر أو كثر، ليس في نفسه

أن يؤدي إليها حقها، خدعها، فمات ولم يؤد إليها حقها، لقي الله يوم القيامة وهو زان) رواه الطبراني ورواته ثقات.

علِّموا هذا لأبنائكم وخاصة بعد أن صار المهر كلُّه غير مقبوض، فكم وكم من الشباب من يتزوج على مهر غير مقبوض، وهو ينوي أن لا يدفع لها صداقها.

ينسى هذا العبد قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) رواه مسلم، فاحذروا أيها الأزواج من أن تكون نيَّتكم عدم دفع المهر للزوجة، واعلموا أنه دين في أعناقكم ستسألون عنه يوم القيامة إلا إذا سامحت الزوجة بذلك، فمن تزوَّج امرأة وهو ينوي أن لا يدفع لها صداقها لقي الله تعالى يوم يلقاه هو زان والعياذ بالله تعالى.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: إنه لمن العجيب أن ترى بعض الناس عندما يسمعون مثل هذا التكريم للمرأة في دين الله عز وجل ينظر إلى ذلك نظرة سخرية واستهزاء، وقد يقول: ما هذا الكلام؟

ولكنه إذا سمع ممن ينعق خلف الغرب بأنه يجب على الناس اليوم أن ينصفوا المرأة ويعطوها حقَّها صفَّق لهذا الكلام، وربَّما يتهجَّم على الإسلام ويقول بأن الإسلام ظلم المرأة ولم يعطها حقَّها.

أيها الإخوة: الذي كرَّم المرأة هو الإسلام والإسلام فقط، وما عداه فقد ظلم المرأة أي ظلم، عرف هذا من عرف وجهله من جهله، ظلم الغرب للمرأة اليوم ظلم فاضح لا مثيل له وربِّ الكعبة.

وإن المرأة الغربية اليوم تغبط المرأة المسلمة على مكانتها، وتتمنى أن يكون حظُّها كحظِّها، تتمنى أن تكون مخطوبة لا خاطبة، تتمنى أن يكون لها مهر، تتمنى أن ينفق عليها، تتمنى وتتمنى...

أيها الإخوة الكرام: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل رجل من المسلمين

على ثغر من ثغر الإسلام، الله الله أن يؤتى الإسلام من قبلك) رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة، أعطوا المرأة حقَّها بعد عقد الزواج، وأول حقٍّ لها هو المهر، واعلموا أن المهر لها تكريم لها، وهي حرَّة في هذا المهر تتصرَّف فيه كيف تشاء في حدود طاعة الله، واحذروا من أكل أموال الناس بالباطل، والتي من جملتها المهر، وذلك لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا}.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة: أناشدكم بالله أن لا تشتروا جوالات لنسائكم ولا لبناتكم فيها كاميرة تصوير، وشدِّدوا وضيِّقوا على نسائكم في هذا، لأن المسألة خطيرة وخطيرة جداً، حيث تقوم بعض النساء بتصوير بعض النساء في حفلات الأعراس، ثم ترسل مقطعاً من هذا التصوير على بعض الجوالات بدون تعيين، والآخر يرسلها لآخر، وهذا قد يؤدي إلى ارتكاب الجرائم.

شدِّدوا على هذا، ومروا نساءكم في حفلات الأعراس أن يمنعن دخول أيِّ امرأة تحمل معها جوالاً فيه كاميرة تصوير لحفل العرس، لأن الطامة كبرى، ولا أريد أن أوضِّح أكثر من هذا.

** ** **

142- خطبة الجمعة: تأمين المسكن الشرعي حقٌّ للمرأة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأنه من الواجب الشرعي على الآباء أن يعلِّموا أبناءهم الواجبات التي عليهم تجاه أزواجهم قبل الزواج.

ويجب على الآباء أن يكونوا عوناً لأبنائهم على تطبيق والتزام هذه الواجبات، لأن مصدر هذه الواجبات من عند الله عز وجل، وليست من وضع البشر، لأنها لو كانت من وضع البشر واحتال الإنسان عليها وتفلَّت منها فربما أن ينجو من مشرِّعها.

أما هذه الواجبات فهي واجبات شرعية من التزمها تقرَّب إلى الله عز وجل، وربح حياة طيبة في الدنيا، وكافأه مولانا عليها يوم القيامة، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون}.

ومن تفلَّت منها وجعلها خلف ظهره فإنه سيدفع ثمن ذلك عاجلاً أم آجلاً، قال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}، فما دام العبد نسي واجباته نحو زوجته أو تناساها فإنه سيُنسى من رحمة الله تعالى يوم القيامة إذا لم يتب إلى الله تعالى أو لم تسامحه الزوجة.

فمصدر هذه الواجبات هو الله تعالى، فهو الذي شرع هذه الواجبات، وهو جلَّ جلاله رقيب على خلقه هل التزموا هذه الواجبات أم ضيَّعوها؟ قال تعالى: {يَا

أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، فخالقك هو المشرِّع، وهو الرقيب عليك، وهو المجازي بالإحسان إحساناً وبالإساءة عقوبة وجزاءً.

هذه الواجبات ليس مصدرها البشر:

أيها الإخوة: علِّموا أبناءكم هذه الواجبات وأن مصدِّرها هو الله تعالى، ليست واجبات موضوعة من قبل الزوجات، ولا من قبل أولياء النساء، فالالتزام بها واجب شرعي متعبَّد به، الملتزم بها يسمَّى طائعاً لله تعالى، والمتفلِّت منها يسمَّى عاصياً لله عز وجل.

الآمر بهذه الواجبات من البشر يسمَّى آمراً بالمعروف، والمحارب لها والواقف ضدَّها يسمَّى آمراً بالمنكر يستحقُّ سخط الله تعالى والعياذ بالله تعالى إذا لم يتب إلى الله تعالى منها.

كيف يقف العبد من هذه الواجبات موقف المعرض عنها والمحتال على التفلُّت منها وقد أوجبها الله تعالى على الأزواج من فوق سبع سماوات؟ هل يظن أنه يُعجِز الله تعالى؟ هل يظن أنه يغيب عن نظر الله تعالى؟ قال تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون}، فهل أدَّيت الواجب الذي فرضه الله عز وجل عليك أم ضيَّعته؟

عِظَمُ عطاءِ الإسلام للمرأة:

أيها الإخوة الكرام: ربُّنا عز وجل من قدسه الأعلى جعل على الزوج واجبات تجاه زوجته، فأعطاها من الحقوق ما لم يعطها أيُّ تشريع وضعيٍّ، وجعل هضم هذه الحقوق معصية من المعاصي وكبيرة من الكبائر يحاسب عليها الزوج يوم القيامة.

لقد أعطاها الإسلام حقوقاً لم يعطها إياها أيُّ تشريع وضعي، حتى إنه لو اطَّلعت المرأة الغربية إلى حقوق المرأة على زوجها وأولادها وأبيها وإخوتها لعشقت

هذا الدين.

ولو أعطينا المرأة المسلمة حقَّها كما أمر الله عز وجل لبُهِرَت المرأة ولخرَّت ساجدة لله عز وجل على نعمة هذا التشريع الذي أتمَّه الله وأكمله حيث قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}.

ومن هذا المنطلق حذَّرنا النبي صلى الله عليه وسلم من ضياع هذه الواجبات التي أُلقيت على كواهل الأزواج حتى لا يدع أحدنا المجال لأعداء هذه الأمة أن يطعنوا في دين الله عز وجل، فقال صلى الله عليه وسلم: (كل رجل من المسلمين على ثغر من ثغر الإسلام، الله الله أن يؤتى الإسلام من قبلك) رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة.

وعندما ضيَّع بعض المسلمين هذه الواجبات التي هي حقوق للمرأة، استطاع الغرب عدوُّ الإسلام أن يدخل علينا من خلال المرأة التي هُضِمت حقوقها، فأفسدها ـ إلا من رحم الله ـ وهي بدورها أفسدت أبناءها وبناتها، وبذلك يكون فساد المجتمع والعياذ بالله تعالى.

السكنى حقٌّ للزوجة في ديننا:

أيها الإخوة: لقد ذكرت لكم في الخطبة الماضية الواجب الأول على الزوج الذي يجب عليه أن يعلمه، ألا وهو المهر، الذي هو حقٌّ خالص للمرأة، تتصرَّف فيه كيف تشاء، وليس من حقِّ أحد أن يتدخَّل في تصرُّفها ما دامت تتصرَّف فيه ضمن دائرة الشريعة. وعرفنا أنه ليس حبراً على ورق، بل هو دَين في ذمة الزوج إن كان غير مقبوض.

أما الحقُّ الثاني للزوجة الذي هو واجب شرعي على الزوج أن يقدِّمه لزوجته فهو المسكن الشرعي، الذي قال فيه مولانا عز وجل: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ}.

أيها الإخوة: السكنى للزوجة على زوجها واجبة شرعاً، وهذا لا خلاف فيه

بين الفقهاء، لأن الله تعالى جعل للمطلَّقة حقَّ السكن على زوجها بقوله تعالى: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ}، فإذا كان هذا في حقِّ المطلَّقة، فمن باب أولى وأولى أن يكون لها هذا الحق إذا كانت في عصمة الرجل، لأن السكن الشرعي هو من المعاشرة بالمعروف بين الأزواج، كما قال تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}.

شروط المسكن الشرعي:

أيها الإخوة: علِّموا أولادكم قبل الزواج ماذا يترتَّب عليهم بعد عقد الزواج، اجعلوا أبناءكم على بصيرة من أمرهم قبل زواجهم، لأن هذه الواجبات كما قلت هي واجبات شرعية.

ذكِّروهم بحديث س

143- خطبة الجمعة: واجب الزوج نحو زوجته لسلامة آخرتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

لقد ذكرت لكم في الأسبوعين الماضيين واجبين من الواجبات الشرعية التي كلف الله عز وجل بها الرجال نحو نسائهم، أما الواجب الأول فهو المهر، والثاني

هو تأمين السكن لها.

وإذا تحقَّق للمرأة المال والسكن فإنها تضمن بإذن الله حياة طيبة في حياتها الدنيوية، حيث تتمتع بالمال وبالسكن، وتأخذ فيه راحتها وحريتها الشرعية، وبذلك تجد السكن الذي فيه طمأنينة وراحة نفسية.

واجب الزوج نحو زوجته لسلامة آخرتها:

أيها الإخوة: واليوم أتكلم لكم عن واجب الزوج نحو زوجته من أجل سلامة آخرتها، فكما هو مسؤول عن تأمين سلامة دنياها فهو مسؤول عن تأمين سلامة آخرتها، وذلك لقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون}.

ومن أسباب وقايتها من نار جهنم أن يأمرها بالحجاب الذي أمر الله عز وجل به نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر به نساءه وبناته ونساءَ المؤمنين، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ}.

فهذا واجب على الزوج كما هو يجب عليه المهر والسكن لزوجته، واجب عليه أن يقيها من نار وقودها الناس والحجارة، وذلك من خلال أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، ومن جملة ذلك الأمر بالحجاب.

لأن المرأة إذا لم تحتجب ولم تُلْقِ على نفسها الجلباب وخرجت إلى الشارع واختلطت مع الرجال كانت فتنة للرجال، وإذا كانت فتنة للرجال وأصرَّت على ذلك ولم تتب إلى الله تعالى، فإن مصيرها إلى نار جهنم والعياذ بالله تعالى، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيق}.

لذلك وجب على الرجل أن يُحجِّب زوجته، وأن يحجبها عن أنظار الرجال

وخاصة الرجال الفاسقين، ويجعل زوجته كالحور العين اللواتي وصفهنَّ الله تعالى بقوله: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}، وذلك من خلال قول الله عز وجل: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى}، هذا القرار في البيوت يحجبها عن أنظار الرجال الأجانب، فإذا ما خرجت لأمر ضروري خرجت متحجِّبة حتى لا تكون فتنة للرجال.

أيها الإخوة: مسألة أمر الرجال لنسائهم بالحجاب فرض عليهم وواجب شرعي سيُسألون عنه يوم القيامة، ولكن قبل الحديث عن هذا الموضوع موضوع الحجاب الذي كثر الحديث عنه من خلال أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية، ومن خلال الكتب والمجلات والصحف، قبل الحديث عنه أجعل هذه الخطبة مقدِّمة لهذا الموضوع الهامِّ والخطير.

حرص الإسلام على طهارة المجتمع:

أيها الإخوة الكرام: جاء الإسلام ليصون الأعراض والمجتمع من الرذيلة، ومن كل ناقصة تدنِّس الشرف والعرض، جاء الإسلام ليجعل المجتمع مجتمعاً مثالياً، شبابه صالحون، وشاباته صالحات.

جاء الإسلام ليصون الشباب من الفسق والشابات من الطغيان، لأن الشباب إذا فسقوا والشابات إذا طغوا فسد المجتمع، وبفساده يخسر المجتمع الدنيا والآخرة.

روى الطبراني وأبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كَيْفَ بِكُمْ إِذَا فَسَقَ شَبَابُكُمْ، وَطَغَى نِسَاؤُكُمْ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ذَلِكَ لَكَائِنٌ؟ قَالَ: وَشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ سَيَكُونُ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟).

فسق الشباب لا يكون إلا بسبب طغيان النساء، ومن طغيانهنَّ تجاوزهنَّ حدود الله تعالى في مسألة الحجاب.

أيها الإخوة: الحجاب من المعروف والسفور من المنكر، ولكن بكلِّ أسف

هناك من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، وهناك من يستجيب لذلك من بعض النساء حتى عمَّت البلوى، وأصبح البعض يرى الحجاب من المنكرات التي يجب محاربتها، والتبرُّج من المعروف الذي يجب الأمر به، وبذلك فسد المجتمع إلا من رحم الله تعالى.

أولاً: {وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ}:

أيها الإخوة الكرام: لقد جاء الإسلام ليصون أعراضنا وشرفنا من أن تدنس بنظرة فاسق، أو بفعل محرَّم، فقال تعالى: {وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ}، لا يجوز للمرأة أن تضرب الأرض برجلها في مشيتها ليعلم الرجال ما تُخفي من زينتها، لأن في ذلك مظنة للفتنة والفساد ولفت الأنظار وإثارة الشهوة، وإساءة الظن بأنها من أهل الفساد والفسوق، فإسماع صوت الزينة كإبدائها وأشد.

فالإسلام علَّمها كيف تمشي في الطريق صيانة لشرفها وعزَّتها وكرامتها من أصحاب القلوب المريضة، لأن بضربها الأرض برجلها تستميل القلوب المريضة، وبذلك يكون فساد المجتمع.

ثانياً: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى}:

أيها الإخوة الكرام: من أجل سلامة الأعراض وطهارة المجتمع من الرذيلة خاطب الله النساء بقوله: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى}، لأن خروج المرأة من بيتها ضياع لوظيفتها التي وُكِلَت إليها، فإذا ضيَّعت وظيفتها فسدت، وإذا فسدت أفسدت، والمسؤول عن ذلك الرجل.

أيها الإخوة: مروا نساءكم بعدم الخروج من البيت إلا لضرورة، لأن الله أمر المرأة بذلك، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وفي رواية لابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والطبراني في الكبير والأوسط: (الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ، وَإِنَّهَا أَقْرَبُ مَا يَكُونُ إِلَى اللَّهِ وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا). وفي رواية

للطبراني في الكبير: (إِنَّ الْمَرْأَةَ عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ فَتَقُولُ: مَا رَآنِي أَحَدٌ إِلا أَعْجَبْتُهُ، وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَى اللَّهِ إِذَا كَانَتْ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا).

يجب على المرأة أن تلازم بيتها لتقوم بدورها الحقيقي في تربية المجتمع، ملازمة بيتها ليس سجناً لها، ومن يقول إن ملازمة المرأة لبيتها سجن لها؟

تلازم بيتها ولا تخرج إلا لضرورة لأن مهمتها صعبة وصعبة جداً، ألا وهو تربية الأبناء، أما دُرِّسْنا أيام زمان:

الأم مدرسةٌ إذا أعددتَها *** أعددتَ شعباً طيب الأعراق

دورها في بناء المجتمع كبير أيها الإخوة، وعملها في بيتها لا خارج بيتها، وعندما خرجت ضاعت وضيَّعت، وستتحمَّل مسؤولية هذا الضياع، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لهما: (وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ). هذا هو مكان رعايتها، ومن لم يرع المكان الذي وُكِل إليه ضيَّعه، وأول من يتحمَّل نتائج هذا الضياع هو المضيِّع، وبالتالي نتائج الفساد حاطت بالمرأة أيَّما إحاطة، والواقع يصدِّق هذا.

ثالثاً: (أيُّما امرأة استعطرت):

أيها الإخوة الكرام: من حِرصِ الإسلام على سلامة أعراضنا وسلامة المجتمع من الرذيلة، حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم المرأة التي خرجت من بيتها لضرورة من أن تستعطر، أو أن تجعل زينة لها رائحة تفوح منها، أجمل زينة المرأة ما ظهر لونه وخفي ريحه، وأجمل زينة الرجل ما ظهر ريحه وخفي لونه.

حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم المرأة من الخروج بيتها مستعطرة، فقال صلى

الله عليه وسلم: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

لأن خروج المرأة من بيتها بهذا الشكل فتنة للرجال، وسببٌ للفساد في المجتمع، لذلك حرَّم الإسلام عليها الخروج مستعطرة.

الإسلام يعالج المشاكل من جذورها، ولا يستخفُّ بعقول الآخرين، الإسلام أغلق جميع الأبواب أمام الفاحشة، الإسلام لا يجعل لافتات ودعايات يكتب عليها: احذر الإيدز من خلال لقاء عابر، وهو يفتح أبواب الفواحش على مصاريعها!!

هذه الدعايات التي تكتب في شوارع المسلمين من التحذير من مرض الإيدز مع فتح أبواب الفواحش هو نوع من أنواع الاستخفاف بعقول الناس، الإسلام عالج هذه الأمور بالوقاية منها قبل وقوعها، وذلك بإغلاق جميع السبل الموصلة إلى هذه الفاحشة، حرَّم إبداء الزينة، وحرَّم ضرب الأرجل بالأرجل ليعلم ما تُخفي المرأة من زينتها، أمر المرأة بعدم الخروج من بيتها إلا لأمر ضروري، وإذا خرجت خرجت بالحجاب الشرعي الذي سنتكلم عنه في الأسبوع القادم إن شاء الله، كما حرَّم عليها الطيب إذا خرجت من بيتها.

رابعاً: (نساء كاسيات عاريات):

أيها الإخوة الكرام: الأمر الرابع الذي فرضه الله على نسائنا من أجل سلامة المجتمع من الرذيلة والفاحشة هو عدم خروج النساء كاسيات عاريات متبرِّجات، وذلك بقوله تعالى: {وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى}. ومن هذا التبرُّج خروج النساء كاسيات عاريات، كاسيات حسب الظاهر من ثياب ضيِّقة تجسِّد جسد المرأة، أو ثياب رقيقة قصيرة تكشف العورة، فهي كاسية عارية، وهذه المرأة فتنة للرجال، لذلك حرَّم الله عليها الجنة وريحها حتى تتوب إلى الله تعالى.

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)..

هلاَّ فكَّر المسلم بهذا الحديث الشريف، ونظر بعد ذلك في أهله من زوجة وبنت ما هو لباسها؟ هل هو ضيِّق يجسِّد العورة؟ أم هو رقيق يشف ما تحته؟ أم هو سميك فضفاض؟

فإن كان ضيِّقاً أو رقيقاً هل يرضى لزوجته وبنت هذا؟ أن تُحرَم من دخول الجنة لا قدر الله وتُحرَم من ريحها، وذلك باستحلال هذه الثياب التي فيها تقليد للنساء العاهرات الفاجرات اللواتي لا يخفن الله تعالى؟

أيها الإخوة الكرام: {قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا}، فهذه الثياب الضيِّقة الرقيقة التي تلبسها المرأة تجعلها كاسية عارية، ومن كانت هذا وصفُها يحرم عليها دخول الجنة إذا استحلَّت هذا الأمر والعياذ بالله تعالى.

سلوا هؤلاء النسوة: ما الغاية من خروجها أمام الرجال الأجانب بهذه الثياب؟ ومن الذي يدفع ثمن هذا التبرُّج؟ أول دافع لثمن هذا التبرُّج هو المرأة الكاسية العارية بحدِّ ذاتها، بحيث يُعتدى عليها، وكم من بيوت خُرِّبت بسبب هذا؟ وكم من امرأة طُلِّقت بسبب هذا؟ وكم من خيانة وقعت بسبب هذا؟

هؤلاء النسوة هنَّ مصدر فسق الشباب، وعندما طغت المرأة وفسق الشباب بسببها فهي التي تتحمَّل وزرها ووزر من فتنته من الشباب والعياذ بالله تعالى.

خامساً: (إذاً تنكشف أقدامهنَّ):

أيها الإخوة الكرام: ليسمع من يختصم مع الآخرين: هل الوجه عورة أم ليس بعورة؟ هل يجب ستره أم لا؟

اسمعوا وأسمعوا هؤلاء حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه

الإمام أحمد والنسائي والترمذي وقال عنه: حديث حسن صحيح، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: (يُرْخِينَ شِبْرًا) فَقَالَتْ: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ. قَالَ: (فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لا يَزِدْنَ عَلَيْهِ).

احذروا أيها الإخوة مخالفة أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم سببٌ للفتنة وسببٌ للعذاب الأليم، قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}.

ولا أدري أيُّها الإخوة هل الفتنة أصابت المجتمع أم لا؟

أيها الإخوة الكرام: إذا كانت المرأة المسلمة في زمن الطُّهر والعفاف حريصة على تغطية قدمها، أفلا تكون حريصة على تغطية وجهها؟ وهل الفتنة في القدم أم في الوجه؟ وخاصة في هذا الزمن.

من خالف فليتحمَّل نتائج المخالفة، ومن نتائج المخالفة دخول الفتنة إلى البيوت.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنَها:

أيها الإخوة الكرام: أُذكِّر نفسي وإياكم بقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}، كن حريصاً أيُّها المسلم على محارمك، وذلك بأمرها بالحجاب، بأمرها بأن لا تضرب الأرض برجلها، وأن لا تمشي مشية الاستمالة لقلوب الرجال، بأمرها أن تقرَّ في بيتها، وأن لا تخرج إلا لضرورة، وإذا خرجت أن تخرج بجلباب يسترها من فرقها إلى قدمها، وأن لا تكون متعطِّرة.

وحديثنا مع قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ} في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **

144- خطبة الجمعة: ما هي نتيجة هذا القرار؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله من خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) رواه مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه.

من خلال هذا الحديث الشريف الذي هو أصل من أصول ديننا، أتوجَّه بالنصح لأئمَّتنا ولعامَّتنا، لأننا جميعاً بحاجة إلى النصيحة، والنصيحة لا تكون إلا من قلب شفوق رحيم محبٍّ، فمن منطلق الحب لأئمتنا وعامتنا أتوجَّه بالنصيحة بعد صدور قرار من الجهات المختصة بمصادرة الدراجات النارية في القطر كله.

أيها الإخوة أصحاب القرار:

أيها الإخوة الكرام: أتوجَّه أولاً للإخوة أصحاب القرار الذين أصدروا قرار مصادرة الدراجات النارية في القطر لأقول لهم:

أولاً: نحن حريصون على سلامة العلاقة فيما بين أفراد هذا الوطن قادة وشعباً، ولا نريد إحداث جفوة ولا فجوة بين أفراد الوطن من خلال إصدار قرار قد يكون فيه تعجُّل.

ثانياً: كلُّنا حريص على الوطن وسلامته، كلُّنا حريص على قدسية هذا الوطن، فأنتم لستم بأحرص منا عليه، ولا نحن بأحرص منكم عليه، لأن الوطن

للجميع وليس مقصوراً على فئة دون فئة ولا شريحة دون شريحة.

ثالثاً: أنتم منا ونحن منكم، ونحن لسنا بأعداء لبعضنا البعض فعدونا واحد ومعروف، عدونا هو عدو الإسلام والمسلمين، ونحن جميعاً لسنا بأعداء للإسلام ولا للمسلمين، بل لسنا بأعداء لكل من يقول: لا إله إلا الله في مشارق الأرض ومغاربها، فضلاً عمن يعيش في هذا البلد الحبيب.

رابعاً: من اللائق قبل إصدار قرار عام في القطر كلِّه أن ينظر إلى أثر هذا القرار في القطر كله، أن ينظر إلى أثر هذا القرار على المحافظات، وإلى أثره في المناطق، وأثره في القرى، هل أثره سلبي أم إيجابي؟

خامساً: ينبغي قبل صدور قرار المنع أو الحجز أن نضع البديل، فربما أن يكون البديل متوفراً في المحافظات، ولكن هل هو متوفر في المناطق وجميع القرى؟ ما هي وسائط النقل الداخلي في أكثر المناطق وجميع القرى؟ وما هي وسائط النقل بين القرى والمناطق المجاورة لها حيث يوجد الطلاب والموظفون وأصحاب الحاجة في القرى، فما هو البديل عندهم؟

سادساً: إن صدور قرارٍ عام بمصادرة جميع الدراجات بدون تمييز بين الدراجة النظامية وغيرها فيه جَورٌ وظلم، لو طُلب من الجميع تعديل وضع الدراجات النظامية والمهرَّبة، وأُعطي الناس مهلة، ثم بعد ذلك يعاقَب المخالف فلا حرج عليكم في ذلك أبداً، لأن الدراجات المهرَّبة والله ما نزلت من السماء ولا شُقَّت عنها الأرض فنبعت منها، لقد دخلت الدراجاتُ المهربةُ القطرَ من الرشاوي والذين يأخذون الرشوة، علاج هذا الموضوع يكون من الحدود قبل معالجته من الداخل.

أيها الإخوة أعضاء مجلس الشعب:

أيها الإخوة الكرام: إني أتوجَّه إلى الإخوة أعضاء مجلس الشعب الذين أقسموا الأيمان المغلظة على أن يكونوا السفراء بين أفراد الأمة وقاداتها، لأنه لا يسع المسؤول

أن يستقبل الجميع ليسمع منهم مشاكلهم ويقضي حوائجهم.

إن أعضاء مجلس الشعب هم صوت الشعب أمام الإخوة المسؤولين أصحاب القرار، ينقلون إليهم حوائجهم ومشاكلهم لمعالجتها، فأين هؤلاء الإخوة وأين وعودهم التي قطعوها على أنفسهم أمام الشعب قبل الانتخابات؟

هل رأيتم أيها الإخوة أعضاء مجلس الشعب وهم يلقون السمع لأفراد هذه الأمة، وخاصة في المناطق والقرى، لينقلوا إلى أصحاب القرار أثر هذا القرار؟ أم أنَّ هؤلاء الإخوة أغلقوا الأبواب على أنفسهم بعد أن تصدَّروا كراسيهم في مجلس الأمة، ولا يراهم أحد إلا عن طريق ضرب المندل؟!

أيها الإخوة أعضاء مجلس الشعب: انقلوا لأصحاب القرار أثر هذا القرار على المناطق والقرى، لقد شُلَّت حركة المناطق والقرى، اسمعوا للأمة وانقلوا حديثها للقادة وأجركم على الله تعالى، وتذكَّروا بأنكم ستُسألون يوم القيامة بين يدي الله عز وجل.

أيها الإخوة المسؤولون في المناطق والقرى:

أيها الإخوة الكرام: إني أتوجه إلى الإخوة المسؤولين في المناطق والقرى ما هو دوركم أنتم حيال هذا القرار؟

أنتم مسؤولون أمام الحكومة، ومسؤولون أمام الله تعالى عن رعيتكم، فهلَّا تحدثتم مع قيادتكم عن أثر هذا القرار في المناطق والقرى، هل تذكرون قول الله تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِين * يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى * شَيْئًا وَلاَ هُمْ يُنصَرُون * إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم * إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم * طَعَامُ الأَثِيم *كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُون *كَغَلْيِ الْحَمِيم * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيم * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيم * ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيم}. ما أنتم قائلون لله تعالى يوم القيامة؟

أيها الإخوة المنفذون لقرار الحجز:

أيها الإخوة الكرام: إني أتوجَّه إلى الإخوة الذين ينفذون قرار حجز الدراجات النارية، اعلموا أنكم لستم بأعداء لنا، ونحن لسنا بأعداء لكم، أنتم منا ونحن منكم، نحن كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. عندما تريدون تنفيذ قرار الحجز كونوا حُكَماء رُحَماء بالأمة، انطلقوا لذلك من منطلق الشفقة والرحمة لا من منطلق الحقد، لأنه لا خلاف بيننا وبينكم، ولا تجعلوا من تطبيق هذا القرار سبباً للحقد فيما بين بعضنا البعض.

هل من المعقول أن تأخذ الدراجة النارية من رجل عجوز مسنٍّ لا يستطيع المشي على رجليه؟ هل من المعقول أن تأخذ الدراجة النارية من رجل حمل زوجته إلى المستشفى لعلاجها أو لوضع حملها؟ هل من المعقول أن تأخذ الدراجة النارية من رجل حمل زوجته وأولاده الصغار وهو يريد الانتقال من مكان لآخر لقضاء حاجة أو حوائج أهل بيته؟

هل من المعقول أن تلاحق رجلاً هرب منك ودخل في الشوارع الضيقة للتخلُّص منك، وأظهر عجزه وضعفه أمامك؟

أذكرك يا منفِّذ قرار الحجز بحديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما أمر برجم الزاني الذي أقرَّ واعترف بجريمته، فَهَرَبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَهَلاَّ تَرَكْتُمُوهُ) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عامر.

الصحابة ينفِّذون أمر من؟ إنهم ينفذون أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينفِّذون أمراً صدر عن المعصوم الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقال لهم: (فَهَلاَّ تَرَكْتُمُوهُ). أما أنت فتنفِّذ أمر مخلوق هو عرضةٌ للصواب والخطأ.

هلَّا انطلقت من منطلق الرحمة، وتصوَّرت الرجل الذي تأخذ منه الدراجة النارية هو أبوك أو أخوك أو عمُّك أو ولدك، كيف تعامله؟

يا منفذ القرار: إن أهل المنطقة والقرية فيهم المريض وذو الحاجة والمسنُّ

والشيخ الفاني والمرأة المريضة والطفل المريض، وفيهم الضعيف الذي لا يستطيع حمل حوائجه لبيته ماذا يفعل هؤلاء؟ ما هو البديل عن الدراجة النارية؟

يا منفذ القرار: نحن وإيَّاك ملتزمون بقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}. فأمر أولي الأمر في غير معصية لله عز وجل على الرأس ثم العينين محمول، ولكن نطبق هذا من خلال الشفقة والرحمة على عيال الله تعالى.

يا منفذ القرار: الله عز وجل أمر ونهى بنص القرآن الكريم، ثم قال: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}. وقال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا}. وقال:{ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}.

رويدك يا منفذ القرار أثناء التنفيذ، وتذكَّر: الراحمون يرحمهم الرحمن، ولا تُنزَع الرحمة إلا من شقي.

أما قولي للعامة وأنا واحد منهم:

أيها الإخوة الكرام: هذا الكلام أتوجَّه به إلى الإخوة الأئمة والقادة والمسؤولين عنا، أما للعامة ـ وأنا واحد منهم ـ فأقول:

أولاً: هذا الذي حدث نحن سببه من حيث الحقيقة، وذلك لقوله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}. هذا الذي حدث أثر من آثار أكُفِّنا، وهذه هي الحقيقة، وأنا أقولها ولو كانت مُرَّة، لأنه يجب عليَّ أن أكون ناصحاً أميناً.

كم هي الجرائم التي وقعت من خلال قيادة الدراجات النارية؟ كم سرقة حصلت من خلال قيادة الدراجات النارية؟ كم حادث سير حصل بسبب السرعة

الجنونية على الدراجات النارية؟ كم حادثة كسور وتحطيم وقعت بسبب الدراجات النارية؟ كم حادثة اعتداء على النساء وقعت بسبب الدراجات النارية؟ كم حادثة اختطاف وقعت بسبب الدراجات النارية؟

ثانياً: أين أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر عندما نرى الذي نراه من خلال قيادة الدراجات النارية؟ كلٌّ واحد يتخلَّى عن النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ربما أنك ترى ولدي على الدراجة النارية وقع في المخالفات الشرعية أو القانونية، وأنت لا تنصحه ولا تُعْلِمُني بذلك، وأنا أرى ولدك كذلك ولا أبلِّغك ولا أنصحك، وربنا عز وجل يقول: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}.

ثالثاً: عندما نسمع فتاوى بعدم جواز التعامل مع البضائع المهَرَّبة الكثيرُ يتضايق من هذا، لماذا التضايق؟ لماذا نعرِّض أنفسنا للمخالفات القانونية، ونحن نعلم بأن طاعة ولي الأمر في غير معصية الله مطلوبة منا شرعاً؟ لماذا نُذِلُّ أنفسنا في هذه المخالفات؟ من أرغمك على المخالفات القانونية؟ ما الذي يضرنا لو تركنا البضائع المهَرَّبة؟

رابعاً: يجب علينا التعاون مع الإخوة المسؤولين في غير معصية الله تعالى من أجل سلامة الوطن وأهله، وطاعته فرض علينا في غير المعصية، فإذا حذَّرَنا من البضائع المهَرَّبة فلماذا نخالف أمره؟

أيها الإخوة الكرام: هل بوسعنا أن نتوب إلى الله تعالى من تقصيرنا، وخاصة في توجيه شبابنا نحو سلوك الطريق الأمثل في التعامل مع الآخرين؟

هل بوسعنا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر حتى لا تعَّمنا الفتنة؟ اللهم أعنا على ذلك.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: حياتنا ليست طيبة، حياتنا شقاء وضنك إلا من رحم الله تعالى، والسرُّ في هذا هو الخلل إما في الإيمان وإما في العمل الصالح، وذلك لقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون}. وهذا وعد من الله تعالى، والله تعالى لا يخلف الميعاد.

فإذا لم نَرَ حياةً طيبة فالخلل إذاً إما في الإيمان لا قدَّر الله، وإما في العمل الصالح، فعلينا بالتصحيح.

أيها الإخوة الكرام: هذه هي الأيام العشر التي رغَّبنا فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل الصالح فقال: (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ . يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ . قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلا رَجُلاً خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ) رواه البخاري وأحمد واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فأكثروا من العمل الصالح إذا أردتم الحياة الطيبة والابتعاد عن حياة الشقاء والضنك، وإلا فلا يلومنَّ أحد إلا نفسه، قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}. ومن جملة آيات الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ}. فعليكم بطاعة ولي الأمر في غير معصية الله تعالى، وعليه بالشفقة والرحمة على خلق الله حتى يُرحم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

145-خطبة عيد الأضحى ١٤٣٠هـ: حقيقة العيد شكر للّه تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فيا عباد الله:

مقدِّمة الخطبة:

إن يوم العيد في الحقيقة هو يوم شكر لله عز وجل على ما أولانا من النعم، قال تعالى: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

أيها الإخوة: لو تدبَّرنا متى يكون العيد في شرع الله عز وجل؟ فإننا نجد أن أعظم الأعياد هما عيد الفطر والأضحى، وهذان العيدان ما جاءا إلا بعد أداء ركنين من أعظم أركان الدين، عيد الفطر جاء بعد ركن الصيام، وعيد الأضحى جاء بعد ركن الحج، وهما ركنان عظيمان بني عليهما الإسلام مع بقية الأركان، كما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) رواه البخاري ومسلم.

العيد لمن؟

أيها الإخوة العيد لمن أطاع الله تعالى، العيد لمن قال لأوامر الله عز وجل: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}. العيد لمن قال: {رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}. العيد لمن شرح الله صدره للإسلام، وحبَّب إلى قلبه الإيمان، العيد لمن صلى وصام وزكَّى وحجَّ واعتمر، العيد لمن قال لأوامر الله

تعالى: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لا شَرِيكَ لَكَ).

العيد لهذه الشريحة من الناس التي عرفت نعمة الله عليها، حيث وفَّقها لأداء أركان الإسلام، لأنه لو تساءلنا مع أنفسنا من الذي شرح صدورنا للإسلام؟ لقلنا: الله. من الذي وفَّقنا لشهود صلاة الفجر في جماعة، ووفقنا لصلاة العيد؟ لقلنا: الله.

فإذا قلنا هذا، فالله تعالى يقول: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}. هذا هو العيد، وهؤلاء هم أهل العيد بحق، حيث يشعرون بتوفيق الله لهم لأداء الطاعات.

ليس العيد لمن ترك الصلاة والصيام والزكاة والحج، ولو عاش في ظاهر الأمر أيام العيد وشارك الناس في أعيادهم، لأنه والله لو كشفت على قلبه لرأيته محتقراً نفسه، أيُّ عيد عنده وهو تارك دين الله عز وجل؟ إن قلبه يتحسَّر ويحترق لأنه ما يشعر بلذة العيد التي يشعر بها المؤمن الطائع لربه عز وجل، فلله الحمد والفضل والمنة على نعمة توفيقه لنا، ونسأل الله تعالى أن يثبِّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

العيد له مضمون لا يجوز تفريغه منه:

أيها الإخوة: مضمون العيد شكر لله تعالى على توفيقه لأهل الطاعة لطاعتهم، لذلك ترى أهل الطاعة حريصين كل الحرص على المحافظة على هذا العيد من أن يفرغ من مضمونه ألا وهو طاعة الله عز وجل.

أهل الطاعة من صيام وحجٍّ لا يفرِّغون العيد من مضمونه، فهم يواصلون الطاعات بعد الصيام والحج، فالصائم في شهر رمضان يتابع الصيام، والحاج وغيره في أيام عيد النحر يتابع طاعته في يوم النحر وأيام التشريق.

أولاً: ترى أهل العيد الحقيقي يتابعون الطاعات في أيام العيد، وأهمُّ طاعة لله

عز وجل في يوم النحر هي نحر الأضاحي، كما جاء في الحديث الشريف عنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ، إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلافِهَا، وَأَنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنْ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنْ الأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا) رواه الترمذي. فالنحر طاعة لله عز وجل يتابعها الطائع في يوم النحر.

ثانياً: ترى أهل العيد الحقيقي يتابعون الطاعات في أيام العيد، ومن أهم الطاعات ذكر الله تعالى، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا}. ومن ذكر الله تعالى التكبير، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (زَيِّنُوا أَعْيَادَكُمْ بِالتَّكْبِيرِ) رواه الطبراني.

ثالثاً: ترى أهل العيد الحقيقي يتابعون الطاعات في أيام العيد، ومن أهم الطاعات صلة الأرحام، قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ}. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ أَضْحَى: (مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، أَفْضَلَ مِنْ دَمٍ يُهَرَاقُ، إلا أَنْ يَكُونَ رَحِمًا مَقْطُوعَةً تُوصَلُ) رواه الطبراني.

رابعاً: ترى أهل العيد الحقيقي يتابعون الطاعات في أيام العيد، ومن أهم الطاعات صلة من قطعهم، فهم يتسابقون في ذلك لينالوا بركة قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ صَاحِبَهُ بِالسَّلَامِ) رواه مسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه.

خامساً: ترى أهل العيد الحقيقي يتابعون الطاعات في أيام العيد، ومن أهم هذه الطاعات المحافظة على جوارحهم من معصية الله تعالى، فهم يحفظون الرأس وما وعى والبطن وما حوى، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ

حَقَّ الْحَيَاءِ). قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: (لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) رواه الترمذي.

حقيقة العيد بحفظ الجوارح من المعاصي:

أيها الإخوة الكرام: هناك من يجعل أيام العيد أيام معاصٍ ومنكرات، فهم يغرقون فيها وذلك من خلال تلاقيهم مع إخوانهم في أيام العيد.

لذلك أقول أيها الإخوة: احذروا المعاصي أيام العيد، فاحذروا:

أولاً: من الغيبة التي هي كبيرة من الكبائر، يقول صلى الله عليه وسلم: (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ) رواه أحمد عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه. ويقول صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) رواه البخاري. وفي رواية: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لا يُرِيدُ بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ) رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

حافظ على لسانك في أيام العيد من أيِّ معصية من معاصي اللسان، واسمع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معاذ كُفَّ علَيْكَ هذا) قُلْتُ: يا رسُولَ اللَّهِ وإنَّا لمؤَاخَذون بمَا نَتَكلَّمُ بِهِ؟ فقَال: (ثَكِلتْكَ أُمُّكَ، وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وَجُوهِهِم إلاَّ حصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) رواه الترمذي عن معاذ رضي الله عنه.

فلا نجعل من أيام العيد محطة لزيادة المعاصي والمنكرات، بل لنجعلها أيام زيادة في الطاعات والقربات، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى.

ثانياً: من الاختلاط بالنساء، وما أكثر الاختلاط بين الجنسين في أيام العيد، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم حذَّرنا من ذلك بقوله: (إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ) رواه مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه. احذروا الاختلاط مع نساء الإخوة، مع زوجات الأعمام، مع زوجات الأخوال، مع بنات العم والعمة والخال والخالة، فضلاً عن الأجنبيات الأباعد.

ثالثاً: من إطلاق البصر إلى ما لا يحلُّ لك النظر إليه من النساء، قال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}. وقال أيضاً: { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ}. وتذكَّر قول الله تعالى: { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا }.

رابعاً: من سماع ما لا يحلُّ لك سماعه من ذكر الآخرين بما يكرهون، ومن سماع الغناء، ومن سماع الاستهزاء والسخرية بالآخرين، لأن نعمة السمع التي أكرمنا الله عز وجل بها يجب علينا أن نوظِّفها في سماع ما يرضي الله عز وجل، من سماع تلاوة القرآن وذكر الله، وسماع الكلام الحسن والموعظة الحسنة.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: عود إلى بدء، فيوم العيد هو يوم شكر لله تعالى على أن وفَّقنا لطاعته، فلنحافظ على هذه الطاعات من الضياع بسبب بعض المخالفات الشرعية.

العيد ليس لأهل المعاصي ولأهل الغفلة عن الله عز وجل، لأن العبد الغافل سوف يندم يوم القيامة ـ لا قدَّر الله تعالى ـ إذا أصرَّ على غفلته عن الله، وسوف يقول عند الفزع الأكبر: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}. سوف يقول هذا الكلام عندما يقف الناس للعرض والحساب على الله تعالى وقد جيء بجهنم، كما قال تعالى:

{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ}.

لنكن حريصين أيها الإخوة على أن نكون ممن يخاطبهم المولى عز وجل بقوله يوم القيامة: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي}. وهذا لا يكون إلا لعبد جعل من أيام العيد أيام استمرار على طاعة الله عز وجل، حيث هذه الأيام تكون في الغالب الأعمِّ عند بعض الناس أيام غفلة من الله عز وجل.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل ذكره وشكره، وممن أقبلوا عليه فأقبل عليهم. اللهم آمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

146- خطبة الجمعة: حافظ على عبادتك من الضياع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

لقد ذكرت لكم في صبيحة هذا اليوم المبارك في خطبة عيد الأضحى المبارك، هذا اليوم العظيم الذي فيه لله تعالى عتقاء من النار لا يعلم عددهم إلا الله، هذا اليوم العظيم المبارك الذي يباهي فيه مولانا عز وجل بأهل الأرض أهل السماء فيقول: (انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم) رواه ابن خزيمة، هذا اليوم العظيم المبارك الذي تعمُّ فيه المغفرة جميع أهل الأرض من التائبين الذين حفظوا ألسنتهم وجوارحهم من المعاصي، وأسأل الله تعالى أن نكون ممن شملتهم رحمة الله وعمَّهم فضله الواسع، لقد ذكرت لكم أيها الإخوة بأن العيد هو يوم شكر لله تعالى الذي وفَّقنا للعبادات والطاعات والمبرات.

العبادة سبب فلاحنا:

أيها الإخوة: العبادة هي سبب وسرُّ سعادتنا ونجاحنا وفلاحنا، بها نحيا حياة طيبة في الدنيا، وبها يكون القبر روضة من رياض الجنة، وبها ندخل جنة عرضها السموات والأرض، العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج هي من أجل مصلحتنا الدنيوية والأخروية، فجدير بالمؤمن العاقل أن يحافظ عليها، قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُون * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُون * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُون * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا

مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُون * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُون * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُون * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُون}.

العيد بعد عبادتين:

أيها الإخوة، ولو نظرنا نظرة إمعان فإننا نجد العيد جاء بعد عبادتين من العبادات التي بني الإسلام عليها، جاء بعد ركنين عظيمين من أركان الإسلام الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والملاحظ أيها الإخوة بأن العيد جاء بعد عبادة الصيام وعبادة الحج، ولم يأت بعد الصلاة ولا بعد الزكاة، والسر في هذا والله تعالى أعلم هو أن الصيام تميَّز عن سائر العبادات بقول الله عز وجل في الحديث القدسي: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فأجر الصائم لا يعلمه إلا الله تعالى، لذلك كانت للصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، لذلك كان العيد من وراء الصيام، فالعيد الأول للصائمين الذين لهم من الأجر ما لا يعلمه إلا الله تعالى ببركة هذا الصيام.

أما بالنسبة للحج فكان من ورائه عيد، لأن الحاج يرجع بعد أداء حجه بإذن الله تعالى كيوم ولدته أمه، كما جاء في الحديث الشريف عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) رواه البخاري.

وعيد لنا وإن كنا لم نذهب إلى الحج لأنا أقمنا على عذر وعن قدر، ولكن لنا حظٌّ وافر من حجاج بيت الله الحرام، من وفد الله عز وجل، الذين إذا سألوا الله

تعالى أعطاهم، وهم شملونا بالدعاء إن شاء الله تعالى، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم اغفر للحاج ، ولمن استغفر له الحاج) رواه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لماذا لا يكون من وراء الصيام والحج عيد والله تعالى يقول: {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُون}؟ فالعيد لأهل الطاعة والعبادة، وخاصة عبادة لا يعلم أجرها إلا الله، وعبادة يرجع صاحبها من بعدها كيوم ولدته أمه.

حافظ على العبادة بحسن الأخلاق:

أيها الإخوة: العبادة من أجل سلامتنا في الآخرة، فلنحافظ عليها من الضياع بسبب سوء الأخلاق، لأن هناك كثيراً من المسلمين من يضيِّع هذه العبادات بسبب سوء أخلاقه، كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من حاج ليس له من حجه إلا التعب والنصب وذلك بسبب سوء الأخلاق.

فالعبادة من أجل سلامتنا، والأخلاق من أجل سلامة عباداتنا، ولينظر كل واحد منا إلى أخلاقه أين هي من أخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

الأخلاق إذا ساءت لا قدَّر الله ضاعت العبادة، وإذا ضاعت العبادة خسر صاحب الخلق السيئ الدنيا والآخرة، كما جاء في الحديث الشريف عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) رواه مسلم.

صل من قطعك:

أيها الإخوة الكرام: من الخلق الحسن الذي به تحافظ على عبادتك أن لا تقابل السيئة بالسيئة، بل تعفو وتصفح، لأن العابد بحقٍّ لا يفرِّق بين أمر وأمر، العابد بحقٍّ متَّبع وممتثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول صلى الله عليه وسلم: (صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ) رواه الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه. وهذا يشمل القريب والبعيد، القاصي والداني، يشمل الزوجة إن أساءت، والولد إن أساء، والأجير إن أساء، والشريك إن أساء.

وإنه لمن العجيب أن ترى عابداً كأنه لا يريد أن يسمع مثل هذا الحديث الشريف، يريد العابد أن ينتصر لنفسه.

أيها العابد: أُذكِّر نفسي وإياك بقول الله عز وجل: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}. رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أن تصل من قطعك وأن تعفو عمن ظلمك وأن تحسن لمن أساء إليك، فأين أنا وأنت من امتثال هذا الأمر؟

ما أجمل الأسرة والعائلة والبلدة والمجتمع إذا تحلَّى كل واحد منهم بهذا الخلق السامي العالي، بخلق العفو والصفح ووصل من أساء، حتى نكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. وصدق الله القائل: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم}.

لن تؤمنوا حتى تَرحموا:

أيها الإخوة الكرام: من الخلق الحسن الذي به تحافظ على عبادتك هو الرحمة، لقد أمر الإسلام بالتراحم العام، وجعله من دلائل الإيمان الكامل، فالمسلم قلبه مجبول على رحمة خلق الله جميعاً. يقول صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا، قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم. قال: إنه ليس برحمة أحدكم، ولكن رحمة العامة رحمة العامة) رواه الحاكم عن أبي موسى الأشعري ،

رضي الله عنه.

ويقول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ لا يَرْحَمْ النَّاسَ لا يَرْحَمْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) رواه مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه. ويقول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ لاَ يَغْفِرْ لاَ يُغْفَرْ لَهُ) رواه البخاري في الأدب المفرد عن جابر رضي الله عنه.

وإنني أخاطب من هذا المنبر كل فرد من المسلمين حاكماً أو محكوماً، من المسؤولين ومن الرعية، وأقول لنفسي وللجميع: تراحموا يا عباد فيما بينكم، يا أيها الراعي ارحم رعيتك، يا أيتها الرعية ارحمي الراعي، يا أيها الأزواج ارحموا الزوجات، يا أيتها الزوجات ارحموا الأزواج، يا أيها الأغنياء ارحموا الفقراء، يا أيها الفقراء ارحموا الأغنياء.

تراحموا يا عباد الله لأن القسوة ليست من صفات المؤمنين إنما هي من صفات الفاسقين، قال تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُون}.

يا عباد الله: الرحمةَ الرحمة، لا تجعلوها ميتة في قلوبكم، وتذكَّروا بأن امرأة بغيّاً رحمت كلباً عَطِشاً فغفر الله تعالى لها، كما جاء في الحديث الشريف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنْ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا) رواه مسلم.

ارحموا يا أصحاب القرارات الأمة إذا أصدرتم القرارات، وارحموا الأمة يا منفِّذي القرار إذا نفَّذتم القرارات، ارحموا العاجز والشيخ الفاني، ارحموا الرجال والنساء والأطفال، ارحموا أصحاب الحاجة، فالرحيم يُرحم، والقاسي يطرد من رحمة الله عز وجل والعياذ بالله تعالى.

أيها العابدون: توّجوا عباداتكم بالأخلاق الحسنة والتي من جملتها الرحمة، وتذكَّروا مدح الله عز وجل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان عابداً

صوَّاماً قوَّاماً مجاهداً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، عندما أراد أن يمدحَهُ مَدَحَهُ بقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم}. وذكّره بقول الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: حافظوا على عباداتكم من خلال الأخلاق الحسنة، وامتثلوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به حتى تفوزوا بثمرة العبادات ألا وهي دخول الجنة، قال صلى الله عليه وسلم (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلا مَنْ أَبَى، قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى) رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الإخوة: صِلُوا من قَطَعَكم، واعفوا عمَّن ظلمكم، وأحسنوا لمن أساء إليكم، وكونوا متراحمين فيما بينكم، وتخلَّقوا بأخلاق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.

إذا وصلت من وصلك فأنت لست بواصل، وإذا أحسنت لمن أحسن إليك فأنت لست بمحسن، بل أنت مكافئ، قابلت الإحسان بالإحسان والوصل بالوصل، ولكن الواصل الحقيقي من إذا قُطِع وصل، والمحسن الحقيقي من إذا أُسيء إليه أحسن. قال صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمكَافِىء، وَلكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا) رواه البخاري.

أيها الإخوة: تراحموا لتُرحموا من قبل مولاكم، لأنه من لا يرحم لا يُرحم، ونحن بأمسِّ الحاجة إلى رحمة الله تعالى.

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تعذِّبْنا فإنَّك علينا قادر، اللهم اجعل هذا الكلام حجة للقائل والسامع ولا تجعله حجة علينا يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

147- خطبة الجمعة: المؤمن متوكل مستريح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

إن شعور وإحساس المؤمن بأن زمام العالم من أعلاه إلى أسفله في قبضة الله عز وجل، ولن يفلت من يده تبارك وتعالى، يجعل في قلب المؤمن الطمأنينة والارتياح.

فمن خلال هذا الشعور يعلم المؤمن بأن الأحداث مهما اضطربت والأحوال مهما تقلَّبت فلن تَبُتَّ فيها إلا مشيئة رب الأشياء كلِّها، قال تعالى: {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}. وقال: {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}.

المؤمن متوكِّل مستريح:

أيها الإخوة المؤمنون: من خلال هذا المنطلق فإنا نرى الإنسان المؤمن متوكلاً على الله تعالى. وطبعاً الفارق كبير بين المتوكِّل والمتواكل. يقوم بما أوجبه عليه الشرع ويؤديه على النحو الذي طُلِب منه، ثم يركن إلى قضاء الله تعالى وقدره، ويستريح

قلبه إلى ما يقضي الله عز وجل به ويقدِّر، لأن المؤمن يعلم:

أولاً: بأن الله رحيم به، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}. فكلُّ قضاء وقدر من الله تعالى في حقِّ المؤمن هو خير، ولذلك يقول ابن عطاء الله الإسكندري رحمه الله تعالى في بعض حكمه: (من ظنَّ انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره).

ويجسِّد هذا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (عَجَباً لأمْرِ الْمُؤْمِنِ، إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأحَدٍ إلاَّ للْمُؤْمِن: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْراً لَهُ) رواه مسلم عَن صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثانياً: بأن الله يعلم والعبد لا يعلم، قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}. فرُبَّ شيء يحبُّه العبد وهو شر له، ورُبَّ شيء يكرهه العبد وهو خير له، والله تعالى يعلم ما يصلح هذا العبد المؤمن.

وربنا عز وجل أعطانا أمثلة في القرآن العظيم حتى يطمئن قلب العبد المؤمن لهذا، من جملة هذه الأمثلة، قصة سيدنا موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر عليه السلام، عندما خرق السفينة قال له سيدنا موسى عليه السلام: {أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا}. وكان خرق السفينة في الظاهر شراً.

وعندما قتل الغلام قال له سيدنا موسى عليه السلام: {أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا}. وكان قتل الغلام في ظاهر الأمر شراً.

وعندما بنى الجدار قال له سيدنا موسى عليه السلام: {لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا}. وكان بناء الجدار لأهل قرية أشحاء بخلاء في غير محله، حيث وصل أهل القرية إلى درجة من الشحِّ والبخل بأنهم ما أطعموا ابن السبيل، قال تعالى: {اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا}.

عِلْمُ الإنسان القاصر يرى هذه الأمور شراً لا خير فيها، ولكن عندما اطلع الإنسان على نتائجها وجد الخير في ذلك، والشرَّ فيما كان يظنه خيراً.

نعم بخرق السفينة سَلِمت السفينة من يد الظالم، قال تعالى: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}. وبِقتل الغلام سَلِمَ الأبوان من الطغيان والكفر، قال تعالى: {وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا}. وببناء الجدار سَلِمَ الكنز من أيدي الأشحاء البخلاء، قال تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ}.

وطبعاً فعلُ سيدنا الخضر عليه السلام ما هو إلا بوحي من عند الله تعالى.

ثالثاً: بأن ما يصيب المؤمن مَغْنَم وليس بمَغْرَم: قال تعالى: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا}. فالمؤمن المتوكِّل مستريح القلب مطمئن الفؤاد بأن نتائج الأمور لصالحه، وهي مغنم له وليست بمغرم، فهو ليس بِعَجُول، لأنَّ كل قضاء وقدر له أجل، ولكلٍّ أجل كتاب.

ولا أدلَّ على ذلك من حادثة صلح الحديبية التي كانت فيها الشروط قاسية وقاسية جداً على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه الكرام، حتى أذهلت سيدنا عمر رضي الله عنه وقال لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي) رواه مسلم.

وبعد الصلح نزلت سورة الفتح التي قال الله تعالى فيها: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا}. وتلاها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة وعلى سيدنا عمر رضي الله عنه فكانت بنود صلح الحديبية مغنماً للمسلمين في نهاية المطاف وليست مغرماً، حيث كانت تبدو للمسلمين في أول الأمر مغنماً للمشركين ومغرماً

للمسلمين، فصدق الله القائل: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا}.

فالمؤمن متوكل مستريح الفؤاد ومطمئن القلب لأن الله تعالى رحيم به، فيدع علمه لعلم الله تعالى، ويعلم العبد بأن المصائب له وليست عليه، فلا معنى لتوتر الأعصاب وشدة القلق نحو أمور خارجة عن نطاق إرادتنا.

ورحم الله القائل:

لا تدبر لك أمراً *** فذوو التدبير هلكى

سلِّم الأمر إلينا *** نحن أولى بك منك

أما غير المؤمن:

أيها الإخوة الكرام: هذا هو شأن الإنسان المؤمن بالله تعالى، أما غير المؤمن الذي فرغت نفسه من الله تعالى فيرى الأشياء هي الفاعلة، ويراها كأنها آلهة والعياذ بالله تعالى، فهذا العبد ينظر إلى الأحداث كأنها مَوج يتدفَّق يغرق فيها من يغرق وينجو منها من ينجو، فهو يعيش بفؤاد هواءِ تلعب به الأحداث والظنون، فهو في حالة خوف وقلق واضطراب وإثم، إن كان في نعمة فهو في حالة قلق من زوالها، وإن ضمن عدم زوالها فهو في قلق لأنه سيزول عنها، أما إذا كان في نقمة فحدِّث ولا حرج في ذلك.

من أين الطمأنينة؟

أيها الإخوة الكرام: ليسأل أحدنا من أين نأتي بهذه الطمأنينة حتى يرتاح القلب والفؤاد؟ لأن الخوف مسيطر على أكثر الناس، الخوف من المستقبل، الخوف من الغيب، الخوف من المخاطر التي لا يعلم عددها إلا الله تعالى.

أيها الإخوة: هذه الطمأنينة لا تأتي إلا من الإيمان بالله تعالى وكثرة ذكره جلت قدرته، قال الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب}.

أهل الإيمان وأهل الذكر هم أهل الاطمئنان، وصاحب القلب المطمئن هو

السعيد، فالإيمان وكثرة ذكر الله تطمئن القلب، فالإيمان والذكر يجعلان حياة الإنسان المؤمن في سعادة في جميع مراحلها.

مطمئن في دنياه:

العبد المؤمن الذاكر مطمئن في دنياه لقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}. والله قادر على جعل حياة الإنسان طيبة مع الشدائد، لأن الرضا محله القلب، فهو على يقين من قوله تعالى: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا}.

مطمئن عند سكرات الموت:

العبد المؤمن الذاكر مطمئن عند سكرات الموت ، وذلك لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُون * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ }.

مطمئن عند الحشر:

العبد المؤمن الذاكر مطمئن عند الحشر، وذلك لقول الله تعالى: {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُون}.

مطمئن عند دخول الجنة:

العبد المؤمن الذاكر مطمئن عند دخول الجنة، وذلك لسماعه قول الله تعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: من أراد أن يحيا حياة طيبة مطمئنة يستقبل أحداث الدنيا بيقين وشجاعة فعليه بزيادة الإيمان وبكثرة ذكر الله تعالى، والإيمان يزيد بفعل الطاعات وينقص بفعل المعاصي والمنكرات.

فلنحاول الإكثار من الطاعات لله عز وجل ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وأن

نترك المعاصي الظاهرة والباطنة، وأن نكثر من ذكر الله تعالى حتى نكون من أهل قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب}. اللهم اجعلنا منهم. آمين. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فيا فوز المستغفرين.

** ** **

148- خطبة الجمعة: ضعف الإيمان أنتج شركات التأمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

خلاصة الخطبة الماضية:

لقد ذكرت لكم في الخطبة الماضية بأن الإنسان المؤمن مطمئنُّ القلب، مرتاح الفؤاد، لأنه يعلم بأن أحداث الكون كلِّه لا تتحرَّك إلا بإذن من المشيئة العليا، قال تعالى: {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}. وقال: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُون}. وقال: {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

فعقيدة المؤمن: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، واعتقاده بأنَّ زمامَ أمورِ الكون كله بيد الله تعالى، لا يتحرَّك متحرِّك، ولا يسكن ساكن إلا بالمشيئة العليا، هذا الاعتقاد وهذا الإيمان وهذا الشعور يجعل في نفس المؤمن طمأنينة وراحة ورضاً

بقضاء الله وقدره، وخاصة بعد معرفته بقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}.

فالمؤمن لا يخاف إذا خاف الناس، ولا يحزن إذا حزن الناس، لا يعرف القلق ولا الخوف من المستقبل، لأن المستقبل بيد الله، لأن المستقبل بيد الله عز وجل فربما أن يأتيه المستقبل وربما أن لا يأتيه.

المؤمن منطلق في هذا الكون من خلال قوله تعالى: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم}.

أما غير المؤمن فهو قَلِق مضطرب، يخاف إذا خاف الناس، ويحزن إذا حزن الناس، غير المؤمن يُؤَلِّه الأسباب، ويعتقد أنها تضرُّ وتنفع من دون الله عز وجل، وينظر إلى الأحداث كأنها أمواج إن لم يهلك بهذه الموجة فسوف يهلك في الثانية.

ضعف الإيمان أنتج شركات التأمين:

أيها الإخوة الكرام: من خلال ضعف الإيمان الذي أنتج عند الناس الخوف والقلق، استطاع الغرب الذي لا يؤمن إلا بالمادة، وكاد أن يعبد المادة، ويعبد الدينار والدرهم، استطاع الغرب من خلال ضعف الإيمان في قلوب بعض الناس أن يستغلَّ هذا الضعف، وأنشأ شركات ومؤسسات يقال عنها: شركات التأمين، واللهِ ليس حرصاً منه على سلامة الناس وأمنهم، بل من منطلق حرصه على المادة، وأن يَمُصَّ دماء الآخرين من خلال خوفهم من المستقبل.

في لندن شركة يقال لها: شركة (لويد) هي من أشهر شركات التأمين في العالم، ربحت الملايين من خلال استغلالها خوف الإنسان من المستقبل، وبقيت هذه الشركة تعمل بنجاح أكثر من مئتي سنة.

سرُّ قيام شركات التأمين:

أيها الإخوة الكرام: إن سرَّ قيام شركات التأمين هو الفزع من المستقبل المجهول، وتوقُّع الخسائر الفادحة، والشعور بالضعف والخَوَر والوَهَن عن تحمُّل

المصائب الموهومة، هذا السرُّ جعل لشركات التأمين رواجاً وتغلغلاً في شتى صور الحياة.

تأمين صحي، وتأمين ضد الأخطار، وتأمين ضد الحريق، وتأمين ضد الزلازل، وتأمين ضد السرقات، وتأمين على الحياة، وتأمين شامل لجميع صور المخاطر.

قناطير مقنطرة لصالح شركات التأمين:

أيها الإخوة: هل تتوقَّعون أن الدافع لشركات التأمين هو محبَّة الآخرين؟ هل تتوقَّعون أن شركات التأمين تأسَّست من منطلق الرحمة بخلق الله تعالى؟ هل تتوقَّعون أن شركات التأمين أُسِّست من منطلق الحرص والسلامة على الآخرين؟

إنَّ مؤسسات وشركات التأمين ما أُسِّست إلا لتجمع القناطير المقنطرة من الذهب والفضة من دماء الناس وعرَقهم وجُهدهم على بارد الماء، وذلك من خلال الفرق بين ما يقع من المخاطر فعلاً وبين ما يتوقعه الناس وهماً وخوفاً وقلقاً، فيدفعون الأموال الطائلة لشركات التأمين.

من هنا تستغلُّ شركات التأمين خوف الخائفين، وقلق القلقين على أعمارهم، وعلى أموالهم، وعلى مصانعهم، وعلى سياراتهم، وعلى صحتهم بسحب الأموال منهم.

شركات التأمين تعلِّم الناس التواكل لا التوكُّل:

أيها الإخوة: إن شركات التأمين تعلِّم غير المؤمن الملتزم التواكل، وتنسيه حقيقة التوكُّل على الله تعالى، فترى المؤمَّن من غير المؤمنين أو من المؤمنين غير الملتزمين لا يبالي بالأخذ بالأسباب على النحو الذي يجب عليه أخذه شرعاً، وهذه طامة كبرى تجعل الفوضى بين الناس.

كم حادث حصل معك؟

سألني بعضهم عن حكم التأمين الشامل، وهو يريد أن يجعل تأميناً شاملاً على سيارته، فقلت له: منذ كم تملك السيارة؟ قال: منذ أكثر من عشرين عاماً،

قلت له: كم حادث حصل معك؟ قال: شيء لا يذكر، قلت له: فلماذا تدفع الأموال الطائلة لشركة التأمين؟ قال: خوفاً من المستقبل. يا سبحان الله أين عقول هؤلاء الناس!

كن متوكِّلاً لا متواكلاً:

أيها الإخوة الكرام: إسلامنا علَّمَنا أن نكون متوكِّلين لا متواكلين، عَلَّمَنا أن نأخذ بالأسباب على أتمِّها وعلى أحسن ما طُلب منا، قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله تبارك وتعالى يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتْقِنَهُ) رواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها.

خذ بالأسباب وكن فَطِناً وكن يَقِظاً، وكن على بيِّنة من أمرك، وبعد الأخذ بالأسباب توكَّلْ على الله تعالى: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين}.

إياك أن تعتقد أن الأسباب شريكة مع الله تعالى، إياك أن تعتقد بأن الأسباب تعطي النتائج، الأسباب ليست خالقة للنتائج، خالق النتائج إنما هو الله تعالى: {للّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}.

خذ بالأسباب وانظر بعد ذلك إلى نتائج القدر، انظر إلى النتائج التي تأتي من الله تعالى الذي يعلم ما يُصلحك وما يُفسدك.

وتذكَّر قول سيدنا إبراهيم عليه السلام، كما قال تعالى مخبراً عنه: {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِين * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِين * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِين * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِين}.

متى تنشط شركات التأمين؟

أيها الإخوة الكرام: كلَّما ضعف الإيمان نشطت شركات التأمين، وكلما قوي الإيمان عُطِّلت شركات التأمين التي تمصُّ دماء الآخرين.

كونوا على يقظة من أمركم، وحصِّنوا أموالكم بالزكاة، واجعلوا عقود التأمين

مع الله تعالى من خلال دفع زكواتكم وكثرة صدقاتكم، فما خاب من تعامل مع الله تعالى.

الإيمان بالقضاء والقدر:

أيها الإخوة المؤمنون: ما دام ضعف الإيمان يسيطر على القلوب فإنه سيجعل من ذلك العبد رجلاً خائفاً من المستقبل، ولن تَقرَّ نفسه إلا إذا خالطها الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالقضاء والقدر، والرضا بما يقدِّره الله تعالى.

من هذا المنطلق أوصى الإسلام بذلك صراحة وإشارة:

١. قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب}. وإذا اطمئنَّ القلب ذهب الخوف من المستقبل، وذهب الحزن عما مضى من زمن.

٢. روى الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ). فكمال إيمانك يكون بالإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك.

الذي يصيبك هو مصوَّب إليك من الله تعالى، ومستحيل وألف مستحيل أن لا يصيبك ما وُجِّه إليك من الله تعالى، كذلك إذا أخطأك فما أخطأك عن خطأ في التقدير، ولكن بتقدير العزيز العليم.

٣. روى الترمذي عَنْ سَعْدٍ رضيَ اللَّه عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ لَهُ).

هذا الشعور والإحساس والإيمان بالقضاء والقدر يجعل عندك سعادة، هذه السعادة التي يبحث الناس عنها فلم يجدوها، بحثوا عنها في المال والنساء والجاه والرياسة والريادة، فما زادتهم هذه الأمور إلا هماً إلى همومهم.

السعادة هي رضاك بقضاء الله تعالى وقدره، وشقاوة الإنسان بسخطه عما قضى الله تعالى وقدَّر، وبتركه الاستخارة التي هجرها الكثير من الناس، وفي أحسن أحوالهم يوكِّلون فيها عبداً صالحاً أو عالماً، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلِّم أصحابه الاستخارة في أمورهم كلها، كما يعلِّمهم السورة من القرآن العظيم.

الإيمان بالقدر لا يعني تواكلاً:

أيها الإخوة: إن الإيمان بالقضاء والقدر لا يعني أن يكون الإنسان متواكلاً، ولا يعني أن يترك الأخذ بالأسباب، الإيمان بالقضاء والقدر يعني أن تبلغ بإرادتك مداها، وبعد ذلك تَدَعُ الأمور للمدير الأعلى يفعل ما يشاء، فإذا جاءت الأمور وفق ما تريد فلا تطغى بالعطاء، وإذا جاءت على خلاف ما تريد فلا يجوز لك أن تقلق وتضجر وتسحق إرادتك.

كن معتدلاً في سائر أحوالك:

أيها الإخوة: إنَّ أصحاب الإيمان دائماً وأبداً في حالة اعتدال في جميع شؤونهم، فلا يفرحون فرحاً يطغيهم عند العطاء، ولا يحزنون حزناً يسحقهم ويسحق إرادتهم عند المنع، فهم يذكرون دائماً قول الله تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِير * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور}.

المؤمن يبصر ببصيرته عمل الله تعالى القائل: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون}. فلا يتخبَّط في سائر أحواله، بل يلوذ بالاعتدال ويسيطر على أعصابه في حال الفرح وفي حال الحزن، فلا يسترسل في أفراحه ولا في أحزانه، لأنه من المحال دوام الحال، فلا أفراح الدنيا تدوم ولا أحزانها.

سيدنا يعقوب عليه السلام مثل رائع:

أيها الإخوة الأحبَّة: سيدنا يعقوب عليه السلام مثل رائع في الإيمان بالقضاء والقدر، هؤلاء هم أبناؤه جاؤوه يبكون على فقد يوسف عليه السلام الذي أكله

الذئب كما قالوا، قال تعالى: {وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُون * قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِين}.

ما موقف سيدنا يعقوب من هذا الخطب العظيم؟ موقفه كما قال تعالى مخبراً عنه: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُون}. ولكنه تعلَّق برحمة الله عز وجل عسى أن يُرجع إليه ولده الحبيب الذي ما عرفه بين الأحياء أم الأموات؟ ومرَّت السنوات الطويلة وهو ينتظر، ولكنه بدل عودة ولده الحبيب سيدنا يوسف عليه السلام يفاجأ بفقد ولده الآخر الذي به يجرح الجرح القديم، ففقد ولده الثاني.

فما هو موقفه؟ هنا أيها الإخوة يتجلَّى الإيمان بالقضاء والقدر الذي يضبط النفوس، فإذا سيدنا يعقوب عليه السلام قابل المصاب الثاني بما قابل به المصاب الأول، فقال كما أخبر عنه تعالى: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم}. ما انقطع رجاؤه من الله تعالى، ولم تزعزعه الأحداث، ولم تطفئ من فؤاد شعاع الرجاء من الله تعالى، فقال لأبنائه: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُون}. نعم أيها الإخوة انتظار الفرج عبادة.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: لا يجوز أن نيأس من رحمة الله تعالى، فالله تعالى رحيم بنا، فإذا جاءت الأقدار على خلاف ما نريد. بعد الأخذ بالأسباب على النحو الذي طُلِب منا شرعاً. فلنعلم بأن الخير في ذلك، ونذكر قول الله تعالى: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}.

إن طمأنينة القلب سرُّ سعادتنا، وهذه لا تأتي إلا من الإيمان، وبعد الإيمان كثرة ذكر الله تعالى، وعلى رأس الذكر تلاوة القرآن العظيم، ثم التسبيح والتحميد

والتهليل والإكثار من الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومصاحبة الأخيار والصالحين، وحضور مجالس العلم والعلماء، والذكرِ والذاكرين.

نسأل الله تعالى أن يزيد في إيماننا حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، ونسأله لساناً وقلباً شاكراً وعيناً دامعةً وعملاً متقبَّلاً، وأن يجعلنا من الشاكرين عند الرخاء، ومن الصابرين عند البلاء، ومن الراضين بمرِّ القضاء. آمين. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

149- خطبة الجمعة: أين يفرُّ أصحاب الرعونات؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

لقد ودَّعنا بالأمس عاماً هجرياً أدبر وانقضى من حياتنا، واليوم استقبلنا عاماً هجرياً جديداً، لا ندري أيدوم أم لا؟ لا ندري هل تقوم الساعة فيه، أم تنتهي آجالنا فيه؟

لقد ودَّعنا عاماً هجرياً وهو يحمل في طياته أعمالنا الصالحة وغير الصالحة، وطوي سجل هذا العام ولا يفتح إلى يوم القيامة، في هذا العام المنصرم هناك من صلى وصام وحج واعتمر وزكى وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وفعل الطاعات، وهناك من عصى واستكبر وأكل الربا والرشوة وأموال الناس بالباطل وعقَّ والديه

وقطع الرحم، طُوِيت صحائف هذا العام، وفُتِحت صحائف جديدة لعام جديد، والله تعالى أعلم بنوايانا ونحن نستقبل العام الجديد، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد}. فلتكن نيتنا صالحة.

دعاء نرجو الله تعالى قبوله:

أيها الإخوة الكرام: لقد ودَّعنا العام المنصرم بما يحمل من أعمال، ونحن نقول لربنا: يا رب تقبَّل منا ما لا ينفعك، واغفر لنا ما لا يضرُّك، تقبَّل منا الطاعات واجعلها أضعافاً مضاعفة في ميزان حسناتنا، واصفح عنا يا رب وتجاوز عن معاصينا التي اقترفناها ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية، تجاوز عن معاصينا الصغيرة والكبيرة، تجاوز يا رب عمَّا تعمَّدناه وعمَّا أخطأناه.

يا ربنا أقول باسمي وباسم هؤلاء الإخوة الحاضرين وباسم أصولنا وفروعنا وأزواجنا: يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، لك الحمد يا ربنا على نعمة الإسلام والإيمان والإحسان، ونعمة بعثة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، لك الحمد على نعمة القرآن، يا ربنا لقد أكرمتنا بهذه النعم من غير مسألة، فنسألك يا ربنا بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تديم علينا نعمة الإيمان، وأن تثبِّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأن توفِّقنا لفعل الطاعات وترك المنكرات.

نسألك يا ربنا أن تجعل في انقضاء عمرنا عاماً إثر عام ما يزيدنا أنساً بالقرب منك وبالقرب من لقائك، واستبشاراً بالارتحال من دار الفناء إلى دار البقاء.

عفو عمن أساء إلينا:

يا رب أقول باسمي وباسم الإخوة الحاضرين ومن يلوذ بي . إن وافقوا على ذلك .: لقد قلت لنا في كتابك العظيم آمراً لنا: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}. وها نحن نقول في هذه الساعة المباركة: نشهدك يا ربنا بأنا قد عفونا

وصفحنا عمن أساء إلينا طول عمرنا رجاء أن تغفر لنا، فنسألك وعدك الذي لا يُخلف يا ربنا، نسألك أن تجعلنا محلاً لهذا الوعد يا أرحم الراحمين. آمين آمين آمين.

انقضاء عام يعني الدنوَّ من آجالنا:

أيها الإخوة الكرام: كلَّما ودعنا عاماً مدبراً جديداً كلما دنونا من آجالنا، وقربت المسافة بيننا وبين يوم القيامة، وقربت المسافة بيننا وبين قبورنا.

وهناك من يستبشر ـ كلما مضى عام وجاء عام جديد ـ بلقاء الله عز وجل، يستبشر بأن لقاءه مع الله أزف أو كاد، فيكون في سرور، وهناك على النقيض من ذلك والعياذ بالله تعالى، هناك فئة من الناس كلما مضى عام وجاء عام جديد ضاق صدره، واسودَّت الدنيا في وجهه، لأنه شعر بنهاية أجله المحتوم، وشعر بقرب موته، فغدا يكره الموت ويكره لقاء الله تعالى والعياذ بالله تعالى.

ولقد جسَّد لنا هذا الأمر بوضوح سيدُنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ) رواه البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

فنسأل الله تعالى أن نكن ممن أحبَّ لقاء الله فأحبَّ الله لقاءه، وأن لا نكون ممن كره لقاء الله فكره الله لقاءه.

ثمرة من ثمار الهجرة:

أيها الإخوة: في هذا اليوم المبارك أقف معكم مع ثمرة واحدة من ثمار هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وخاصة ونحن نعيش في زمن تكالب فيه الغرب والشرق، وأذناب هؤلاء من الخونة والمنافقين على الإسلام والمسلمين، حيث يدبِّرون ويمكرون بالإسلام والمسلمين سراً وعلانية، أقف معكم على ثمرة واحدة من ثمار الهجرة، ونحن بأمسِّ الحاجة للتنبيه إليها، هذه الثمرة نأخذها من خلال قول الله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين}. ومن خلال قوله تعالى: {أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُون * أَمْ يَحْسَبُونَ

أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُون}. لقد مكروا وخطَّطوا للقضاء على الإسلام وهو في مهده الأول، حيث لا أنصار له ولا أتباع إلا الضعفاء من الناس، الأرقاء والفقراء، خطَّطوا ومكروا وأبرموا الأمر للقضاء على الرحمة المهداة للإنسانية عامة، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين}.

خطَّط الزعماء والرؤساء والأغنياء

والأقوياء من أجل القضاء على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى دعوته في أيامها الأولى، فماذا كانت النتيجة؟

لقد باءت خططهم ومكرهم وإبرامهم الأمورَ بالفشل، وأنفذ الله حكمه وقضاءه، لأنه صاحب المشيئة العليا والإرادة المطلقة، لأن الأمور كلَّها بيده، وصدق وعدُ الله الذي لا يخلف: {وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين}. وصدق قوله: {أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُون}. وتعلمون ما هي النتيجة لهذا المكر ولتلك الخطط ولذلك الإبرام.

وهذا يذكِّرنا كذلك بالكيد والمكر والإبرام للأمور في حق سيدنا إبراهيم عليه السلام، حيث قالوا: {حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِين}. وجاء الأمر المبرم من الله تعالى: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيم}. فأي القولين ينفذ؟

لا شك ولا ريب بأن أمر الله هو النافذ، وأن قوله هو النافذ، وأن مكر الله هو الداحض لمكر هؤلاء.

أين يفرُّ أصحاب الرعونات؟

أيها الإخوة المؤمنون: من الذي يرتاب ومن الذي يشك في قول الله تعالى: {وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيط}؟ أين يفرُّ أصحاب الرعونات؟ أين يفرُّ أصحاب الطغيان والاستكبار؟ أين يفرُّ الذين يخططون للقضاء على الإسلام والمسلمين؟ أين يفرُّ هؤلاء من الله المحيط بهم؟

من الذي ينسى قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَاد * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَاد * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَد * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَاد * وَفِرْعَوْنَ

ذِي الأَوْتَاد * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَد * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَاب * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد}؟ فربُّنا بالمرصاد لأصحاب الرعونات أينما وجدوا وحيثما وجدوا، فربنا محيط بهم، وربنا بالمرصاد لهم، وربنا يُمهل ولا يُهمل.

نعم لقد مكر الغرب وخطَّط وأبرم أمراً قبل الحج في هذا العام، على أن يجعل المسلمين ينفضُّون عن بيت الله الحرام في شهر رمضان وفي شهر الحج، وأن لا يذهبوا إلى عمرة في رمضان ولا إلى حج.

فشيَّعوا بانتشار مرض يقال عنه: أنفلونزا الخنازير، حذَّروا من الاجتماعات، وأوجبوا أخذ الاحتياطات لهذا المرض الخطير، وذلك عن طريق أخذ جرعات وقائية هم صنَّعوها، ونشروا الرعب في قلوب الناس من هذا المرض الخطير الفتَّاك.

وأخذ بعض حكّام المسلمين والعرب يفكِّرون في منع الناس من الذهاب إلى بيت الله الحرام خشية العدوى من هذا المرض {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين}.

فما كانت النتيجة لوفود الرحمن؟

أيها الإخوة المؤمنون: فما كانت نتيجة هذه المؤامرة وهذا الكيد؟ نعم: لقد أصدر بعض الحكام المسلمين والعرب أمراً بمنع الحجاج من الذهاب إلى بيت الله الحرام خشية العدوى من هذا المرض، وكانت النتيجة أن أصابه الله تعالى بالمرض وهو في عرشه وسلطانه.

أيها الإخوة: أقبل الحجاج والعمَّار وفد الرحمن وضيوفه إلى بيت الله من كلِّ فجٍّ عميق، معتمدين على الله تعالى ومتوكِّلين عليه، لأن إيمانهم بالله تعالى لا يتزعزع.

وقبل الوقوف بأرض عرفة، قبل الوقوف بيوم واحد هطلت الأمطار في بلاد الحجاز والناس مُحرِمون، وأنتم تعلمون حرَّ تلك البلاد، جاءت الأمطار، ومع تبدُّل الجوِّ توقَّع الناس أن يكون هذا الجو صار مهيَّأً لقبول الأمراض ولانتشار الزكام وما

شاكل ذلك.

ولكن عناية الله ولطف الله تعالى بخلقه حفظ الحجاج ورعاهم بعين عناية ورحمة، وكان الحج في هذا العام حجاً متميِّزاً عن سائر الأعوام بقلة الأمراض والزكام، فضلاً عن المرض الخطير الذي شَيَّع له أعداء الله، وسلوا حجاج بيت الله الحرام عن هذا.

{وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ}.

أيها الإخوة المؤمنون: لا يجوز أن ننسى قول الله تعالى: {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}. فأمر الله غالب وليس بمغلوب، واللهِ مستحيل وألف مستحيل أن تفوز وتتغلَّب خطط أعداء الإسلام والمسلمين، لأن الله تعالى يقول: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}. ويقول: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}. ومن ارتاب أو شكَّ في ذلك فليرجع إلى سيرة الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في يوم الهجرة وفي صلح الحديبية، لينظر إلى المقدمات ولينظر إلى النتائج.

في يوم الهجرة: أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نفضوا أيديهم عن الدنيا وزخارفها، ولم يبيعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، ولسان حالهم يقول: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}. فكانت النتيجة:

أولاً: عادت إليهم أرضهم وديارهم التي سلبت منهم ومعها أوطان كثيرة، قال تعالى: {وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا}.

ثانياً: أما بالنسبة للأموال التي سُلِبت منهم، بل التي تركوها وراءهم عادت إليهم ومعها كنوز قيصر وكسرى.

ثالثاً: شعَّ نور الإسلام كشعاع الشمس في الأرض فامتدَّ يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً، وصدقت بشارة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: (لَيَبْلُغَنَّ

هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ، وَلا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ) رواه الإمام أحمد عن تميم الداري رضي الله عنه. وقال: (إِنَّ اللَّه زَوَى لِي مَشَارِق الأَرْض وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَبْلُغُ مُلْك أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا) رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه.

وأما صلح الحديبية: فالكل يعلم الشروط القاسية التي جعلها المشركون على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت في ظاهرها لصالح المشركين ضدَّ المسلمين، فكانت النتيجة على العكس من ذلك تماماً، حتى أسماها ربنا عز وجل فتحاً قال تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: إذا عرفنا هذه الحقيقة فيجب على كل عاقل في الدنيا أن يكون جندياً من جنود الحق، من جنود سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، وأن يكون ملتزماً هذا الشرع الشريف سلوكاً وداعياً إليه قولاً، قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}. هذا أولاً.

ثانياً: أن لا يتضايق الإنسان المؤمن من مكر الماكرين وخادع الخادعين وكيد الكائدين، لأن الله تعالى يقول: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ}.

فمهما مكر الماكرون وكاد الكائدون ودبَّر المتآمرون فلن يضرَّ المؤمنين مكرُهم شيئاً إذا تحققوا بالتقوى والصبر، قال تعالى: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}. مهما عظم المكر والخديعة، كما قال الله تعالى: {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ}.

فطوبى لعبد كان جندياً من جنود الحق، وصبر على الحق حتى يلقى الله تعالى.

اللهم ثبّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة اللهم آمين. أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

150- خطبة الجمعة: آية الحجاب لمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

فقد ذكَّرني بعض الحضور بأني تكلَّمت قبل عيد الأضحى المبارك عن بعض الواجبات على الزوج نحو زوجته من وجوب المهر ووجوب تأمين السكن الشرعي لها، وعن وجوب رعاية الزوجة وذلك من أجل سلامتها يوم القيامة، لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}. ولقوله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ). وعدَّ منها: (وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ). رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ومن هذا الرعاية لها من أجل سلامة آخرتها أن يأمرها بالحجاب الذي أمر الله عز وجل به النبي صلى الله عليه وسلم أن يأمر به نساءه وبناته ونساء المؤمنين، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ}.

وقلت: بأن مسألة أمرِ الرجال لنسائهم بالحجاب فرضٌ عليهم وواجبٌ شرعي

سيسألون عنه يوم القيامة، وجعلت مقدمة لهذا الموضوع خطبة كاملة عن رعاية الإسلام لمجتمعنا حتى يبقى طاهراً من الرذيلة، وسليماً من انتشار الفاحشة.

نساؤنا لمن تقلِّد؟

أيها الإخوة المؤمنون: جاء الأمر من الله تعالى صريحاً بنص القرآن بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ}.

العجيب من البعض عندما يقول صراحة على أجهزة الإعلام: هذا الأمر خاصٌّ بزوجات النبي صلى الله عليه وسلم وليس عاماً لنساء المؤمنين. وأنا أقول: لو سَلَّمْنا جدلاً لصاحب هذا القول مقولته: نساؤنا وبناتنا ومحارمنا على قدم من يَسِرْنَ؟ أليس من اللائق بِهِنَّ والشرف لهنَّ أن يَسِرْنَ على خُطا أمهاتنا أمهات المؤمنين اللواتي هنَّ أطهر خلق الله وأقدس خلق الله من النساء؟

والمرأة التي لا تعتبر هذا شرفاً لها لا خير فيها، ولا تصلح أن تكون أمَّاً مربِّية صالحة لأبنائنا ما دامت تتطلَّع لغير الكاملات من أزواج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين، وما أظنُّ أن امرأة مؤمنة لا تعتزُّ ولا تفتخر بأمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، كيف لا تعتز المرأة بأمهات المؤمنين وهنَّ زوجات نبيها وحبيبها المصطفى صلى الله عليه وسلم؟

الأمر واحد، والمأمور ثلاثة أصناف:

أيها الإخوة المؤمنون: لنرجع إلى الآية الكريمة: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ}. ولنتدبر الآية جيداً، الأمر في الآية واحد ألا وهو: {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ}. والمأمور ثلاثة شرائح من النساء.

الشريحة الأولى: زوجات النبي صلى الله عليه وسلم.

الشريحة الثانية: بنات النبي صلى الله عليه وسلم.

الشريحة الثالثة: نساء المؤمنين.

فالمأمور بإدناء الجلباب عليهن، نساءُ النبي صلى الله عليه وسلم وبناتهُ ونساءُ المؤمنين، فكيف أخرج البعض نساء المؤمنين من الآية وجعلها مقصورة على نساء النبي صلى الله عليه وسلم لا أدري؟ والأمر أوضح من نار على علم.

هل نساء النبي صلى الله عليه وسلم غَطَّينَ وجوهَهُنَّ؟

أيها الإخوة: تعالوا لنتساءل هل نساء النبي صلى الله عليه وسلم غَطَّينَ وجوهَهُنَّ بعد نزول آية الحجاب أم لا؟

الجواب: . بالاتفاق وبدون نكير . نعم غَطَّينَ وجوهَهُنَّ، ولا أحد يستطيع أن ينكر هذا إلا رجل عنده الجرأة على تكذيب أصدق كتاب بعد كتاب الله عز وجل ألا وهو كتاب صحيح البخاري رحمه الله، ومن ورائه كتب الصحاح.

أولاً: أخرج البخاري ومسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها وهي تحدث حادثة الإفك قالت: (فَبَيْنَما أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي).

أيها الإخوة: تنبَّهوا إلى كلام أُمِّنا السيدة عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث: (وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ) وقولها: (فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي). ألا نفهم من كلامها رضي الله عنها بأن آية الحجاب تعني ستر الوجه؟

ثانياً: روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقي عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٌ فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَإِذَا

جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ).

وأنتم تعلمون بأن إحرام المرأة أثناء الحج والعمرة هو كشف وجهها وكفيها فقط، ولو كان الوجه والكفان مكشوفين قبل الإحرام فماذا يعني الإحرام بالنسبة لها إذاً؟

فأمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كنَّ يَسْدُلن على وجوهِهِنَّ وهنَّ محرماتٌ إذا حاذاهم الرجال، فإذا جاوزوهنَّ كشفْنَ عن وجوههنَّ، ويا حبذا لو أنَّ المسلمات المعتمرات والحاجَّات يَتَأَسَّينَ بأمهات المؤمنين بذلك، وخاصة إذا كانت إحداهُنَّ شابةً.

أما نساء الصحابة نساء المؤمنين رضي الله عنهن:

أيها الإخوة الكرام: أما نساء الصحابة رضي الله عنهنَّ، فقد روى الإمام الحاكم عن أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما قالت: (كنا نغطي وجوهنا من الرجال). **هذا أولاً**.

ثانياً: أخرج أبو داود في سننه عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (لَمَّا نَزَلَتْ: { يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ}. خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ الْغِرْبَانَ مِنْ الْأَكْسِيَةِ).

ثالثاً: والأعجب من هذا ما رواه أبو داود في سننه عن ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: (جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، يُقَالُ لَهَا: أُمُّ خَلاَّدٍ، وَهِيَ مُتَنَقِّبَةٌ، تَسْأَلُ عَنِ ابْنِهَا وَهُوَ مَقْتُولٌ، فَقَالَ لَهَا بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: جِئْتِ تَسْأَلِينَ عَنِ ابْنِكِ وَأَنْتِ مُتَنَقِّبَةٌ؟ فَقَالَتْ: إِنْ أُرْزَأَ ابْنِي فَلَنْ أُرْزَأَ حَيَائِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ابْنُكِ لَهُ أَجْرُ شَهِيدَيْنِ، قَالَتْ: وَلِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لأَنَّهُ قَتَلَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ). ومعنى قولها: (إِنْ أُرْزَأَ ابْنِي فَلَنْ أُرْزَأَ حَيَائِي). أي: إن أُصِبْتُ بابني وفقدته فلن أُصَب بحيائي.

هكذا كان نساء المؤمنين في الصدر الأول من الإسلام، هكذا كان نساء المؤمنين في أطهر العصور وأطهر القرون بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم، كما جاء في الحديث الشريف: (إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) رواه البخاري ومسلم.

الآية طُبِّقت في خير القرون:

أيها الإخوة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ}. طبِّق في خير القرون من قبل نساءِ وبناتِ النبي صلى الله عليه وسلم، ومن قبل نساءِ المؤمنين اللواتي رَبَّيْنَ رجالاً فتحوا الدنيا من أقصاها إلى أقصاها، رَبُّوْا رجالاً تفتخر الدنيا بهم إلى قيام الساعة، لأنهنَّ امتثلن قول الله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى}. من أجل تربية الجيل، فإذا خرجن لبعض حوائجهن خرجن بالحجابِ مُسْدِلاتٍ على وجوهِهِنَّ، وما منعهنَّ الحجابُ من العلم والعمل، وانظروا إلى التاريخ فإنكم تجدون مصداق ما أقول.

أما اليوم:

أيها الإخوة الكرام: أما اليوم فقد خُدِعت المرأةُ المسلمة فخرجت من البيت، واختلطت بالرجال، وكشفت عن وجهها، وأبدت زينتها، ومشت مع ركب الحضارة مع ركب التقدم والرقي كما يقال لها، فماذا كانت النتيجة؟

ضاع الجيل، وفسد المجتمع، وانتشرت الرذيلة، وانتشرت الفاحشة، وكثر الزنى، وكثر اللُّقَطاء، وكثر الطلاق، وكثرت الخيانة، حتى بدأ الناس يسمعون بزنى المحارم والعياذ بالله تعالى.

اليوم مجتمعنا يدفع ثمن هذا التفلُّت من دين الله عز وجل، ومع أن ذلك معلومٌ عند الجميع، فلا نزال نسمع بمن يقول: الحجاب خاصٌّ بأمهات المؤمنين، وممن يقول: تغطية وجوه النساء ليست من الدين، والبعض الآخر يقول: لا يجوز تغطية

الوجه، والبعض الآخر يقول: الحجاب عادة وليس بعبادة، والبعض الآخر يتحدَّى علماء المسلمين بأن يعطوه دليلاً على وجوب ستر الوجه، مع أن جميع الفقهاء قالوا: إذا خُشِيَتْ الفتنة فيجب على المرأة سترُ وجهها، ولا أدري أيها الإخوة هل الفتنة موجودة اليوم أم لا؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: أذكِّر نفسي وإياكم بقوله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ). وعدَّ منها: (وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ). رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما. فمن الواجب على الزوج تجاه زوجته أن يأمر زوجته بالحجاب وبعدم إبداء الزينة، وأجمل شيء في المرأة وجهها، فيجب عليها أن تستر وجهها وخاصة في زمن قلَّ فيه حياء الكثير من الرجال، في زمن لم يُمتثلُ فيه قول الله تعالى: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}.

أيها الإخوة: يجب ستر وجه المرأة حتى لا تكون فتنةً لشباب المسلمين، وحتى لا يكونوا هم فتنة لها كذلك، وذلك لقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيق}.

اللهم استر أعراضنا، وآمن روعاتنا، واختم بالباقيات الصالحات آجالنا وأعمالنا آمين. آمين. آمين. أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

151- خطبة الجمعة: طاعة الزوجة لزوجها فريضة شرعي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسابيع الماضية بأن عقد الزواج هو عقد مسؤولية على كلٍّ من الزوجين، حيث يخاطب كلٌّ واحدٍ صاحبه بعبارة: زوَّجتُك على كتاب الله، وقبلتُ الزواج على كتاب الله عز وجل.

والشيء الجميل الحسن في كلٍّ من الزوجين أن يفكِّر كل واحد منهما بالواجب الذي عليه تجاه الطرف الآخر، ومن عرف الواجب الذي عليه وقام به فقد أدَّى حقَّ الطرف الثاني، وهذا منتهى السعادة في الحياة الزوجية.

وقد تكلَّمنا في الخطب الماضية عن بعض الواجبات التي يجب على الزوج أن يَعْلَمَها قبل زواجه، وواجب على الآباء أن يُعلِّموا أبناءهم هذا.

وحديثنا اليوم وفي الأسابيع القادمة إن شاء الله تعالى عن بعض الواجبات التي يجب على المرأة أن تَعْلَمَها قبل زواجها، وواجب على الآباء والأمهات أن يُعلِّموها لبناتهم.

طاعة الزوجة لزوجها فريضة شرعية:

أيها الإخوة الكرام: أهمُّ الواجبات التي يجب على المرأة أن تَعْلَمها هي وجوب طاعة الزوج، وهي فريضة شرعية عليها، وهذا الوجوب جاء من خلال القرآن العظيم، قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ}.

لأن نظام الأسرة الناجح يقتضي خضوع الأفراد لواحد، وأولى أفراد الأسرة بالخضوع له هو الزوج، وأوَّل من يخضع له الزوجة، ومن الطبيعي أن هذا الخضوع ليس خضوع رقٍّ واستعباد معاذ الله تعالى، بل هو نظامٌ ومسؤوليةٌ، ومن حرص الإسلام على النظام في المجتمع كله، قال صلى الله عليه وسلم: (إِذَا كَانَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ) رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على أن لا يسير ثلاثةٌ في طريق إلا بعد أن يُؤَمِّروا واحداً عليهم، فهو أشدُّ حرصاً على الأسرة أن لا تمرَّ عليها ساعة من زمان إلا ولها أمير يرعى شؤونها ويدير أمورها.

فطاعة الزوجة لزوجها نظام قِوامةٍ ورعايةٍ وإدارةٍ، وليست طاعةَ هيمنةٍ وتسلُّطٍ ودكتاتوريةٍ من قبل الرجل، فالرجل المسلم في أسرته ليس فرعوناً يقول: {مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى}. وليست قِوامته عنواناً على أفضليته عند الله عز وجل تميَّز بها على المرأة ، إنما هي قوامة مسؤولية سيُسأل عنها يوم القيامة.

فطاعة الزوجة لزوجها هي فريضة شرعية سوف تُسألُ عنها المرأة يوم القيامة، أحفظتِ الأمرَ الإلهي والأمرَ النبويَّ أم ضيَّعته؟ يقول صلى الله عليه وسلم: (وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا) رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما.

طاعة المرأة لزوجها يعدل الجهاد في سبيل الله:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نربي بناتنا على أن طاعة المرأة لزوجها يَعْدِلُ الجهاد في سبيل الله، وأن تَعْلَمَ البنتُ قبل زواجها هذه الثمرة التي هي من ثمرات طاعتها لزوجها، وذلك من أجل تحقيق الهدف السامي من الزواج، ولنَسْمَع هذا الحديث الشريف ولِنُسْمِعَه لبناتنا ونسائنا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أنا وافدةُ النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على

الرجال، فإن يصيبوا أُجِروا، وإن قُتِلوا كانوا أحياءً عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يَعْدِلُ ذلك، وقليل منكنَّ من يفعله) رواه البزار.

ولا تنسى المرأةُ بأن الإسلام اعتنى بالزوج قبل زواجه وربَّاه من خلال قوله تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}. ومن خلال قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. ومن خلال قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ) رواه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها.

هذا هو الرجل الآمر والناهي في البيت، صاحب الخلق السامي الرفيع الذي يخاف الله رب العالمين.

طاعة المرأة لزوجها سبب لدخول الجنة:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نُرَبِّيَ بناتنا على أنَّ طاعةَ المرأة لزوجها سببٌ لدخول الجنة، ولْنَسْمَع ولْنُسْمِع بناتنا هذا الحديث الشريف عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ) رواه الإمام أحمد.

ولا ننسى بأنَّ الزوج الذي نختاره لبناتنا هو صاحب الدين والخلق، الذي أَمَرَنا النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن نزوِّجه من بناتنا، وإلا فيجب علينا أن ندفع ثمن المخالفة، قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}.

الزوج هو جنَّة ونار المرأة:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نربِّي بناتنا على أن الزوج هو جنَّةُ ونارُ

المرأة، ولنَسْمَع هذا الحديث ولِنُسْمِع لبناتنا، كما روى الإمام أحمد في مسنده: (أَنَّ عَمَّةَ الْحُصَيْنِ بْنِ مِحْصَنٍ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ فَفَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟ قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ، قَالَ: فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ).

ولا ننسى بأن الزوج الذي نختاره لبناتنا هو الذي يتَّقي الله تعالى في النساء، بناءً على أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله. وإلا فلنذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم (إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الغُنْمُ بالغُرْم:

أيها الإخوة الكرام: كلُّنا يعلم بأنَّ الغُنْمَ بالغُرْمِ، وما دام الإسلام رتَّب الثواب العظيم للمرأة بسبب طاعتها لزوجها، كذلك رتَّب الإثم العظيم على مخالفتها لأمر الزوج، واسْمعوا أيها الإخوة وأَسْمِعوا حديث النبي صلى الله عليه وسلم لبناتكم ونسائكم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ رَجُل يَدْعُو اِمْرَأَته إِلَى فِرَاشهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاء سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا) رواه مسلم.

وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا بَاتَتْ المرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعنتْهَا الملائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ) رواه البخاري.

حقُّ الزوج على الزوجة عظيم في ديننا، وأجره للمرأة أعظم:

أيها الإخوة الكرام: واجب الزوجة نحو زوجها عظيم في ديننا، ويجب على بناتنا أن يَعْلَمْنَ هذا الواجب، روى أبو داود عن قيس بن سعد رضي اللَّهُ عنه، عن

النبي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قال : (لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لأَزْوَاجِهِنَّ، لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ الْحَقِّ). وروى الحاكم عَنْ السيدة عَائِشَة رضي الله عنها قَالَتْ: (سَأَلْت النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاس أَعْظَم حَقًّا عَلَى الْمَرْأَة؟ قَالَ: زَوْجهَا).

ولكنَّ أجرَها عند الله أعظمُ، كما حدَّثنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، روى الترمذي عن أُمّ سَلَمَة رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَيّمَا اِمْرَأَة مَاتَتْ وَزَوْجهَا رَاضٍ عَنْهَا دَخَلَتْ الْجَنَّة).

كن حريصاً يا أخي المسلم على تربية بناتك على ذلك قبل زواجهنَّ، حتى تَضْمَنَ لهنَّ بإذن الله تعالى جنة الدنيا بحياة زوجيَّة مع رجلٍ مسلمٍ ملتزمٍ دينَ الله عز وجل، وتضمن لهنَّ كذلك بإذن الله جنة الآخرة بحياة فيها ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ولكن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق:

أيها الإخوة الكرام: لكن يجب علينا أن نعلَم وأن نعلِّم بناتنا بأنَّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ) رواه مسلم عن نافع بن عمر.

فطاعة المخلوقين ممن تجب طاعتهم مقيَّدة بأن لا تكون في معصية لله عز وجل، روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: (أَنَّ امْرَأَةً مِنْ الأَنْصَارِ زَوَّجَتْ ابْنَتَهَا فَتَمَعَّطَ شَعَرُ رَأْسِهَا، فَجَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجَهَا أَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ فِي شَعَرِهَا، فَقَالَ: لا، إِنَّهُ قَدْ لُعِنَ الْمُوصِلاتُ). فلا طاعة لزوج في وصل شعر، ولا طاعة لزوج يريد أن يأتي أهله في حيضها أو نفاسها أو في مكانٍ غير محلِّ الحرث.

من هذا الحديث الشريف يجب علينا أن نُعَلِّم بناتنا ونساءنا بأن وصل الشعر

لا يجوز شرعاً، ووضع الباروكات لا يجوز شرعاً، لقوله صلى الله عليه وسلم: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ) رواه البخاري عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والعجيب في بعض النساء إن كان شعرها طويلاً تريد قصَّه والتشبُّه بالرجال، وبعد قَصِّهِ تريد أن تصل شعرها، ما هذه الفوضى في حياة النساء؟

إذاً درِّب ابنتك على طاعة زوجها في غير معصية لله عز وجل، فإنْ أمرها بمعصية ـ لا قدَّر الله ـ فعليها أن تتلطَّف إليه بالاعتذار، وأن تذكِّره بالكلمات التي قالها عند عقد الزواج: (قبلت زواجها على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم).

فإن أصرَّ على طلب المعصية فعليها أن تُصِرَّ على الرفض؛ لأن طاعة الله تعالى مقدَّمة على طاعته، ولو أدَّى الأمر إلى طلاقها ـ لا قدَّر الله تعالى ـ لأنَّ الزوج الذي يصرُّ على طلب المعصية من زوجته لا يصلح أن يكون زوجاً لامرأة مسلمة ملتزمة، لأن أمثال هؤلاء الرجال الذين تتطلَّع عيونهم إلى امرأة الشارع السافرة المتبرِّجة الكاسية العارية، وتتطلَّع عيونهم إلى أجهزة الإعلام والقنوات الفضائية الإباحية لا يمكن أن ترضيهم نساؤهم.

لذلك أؤكد على وجوب اختيار صاحب الدين والخلق الذي يبحث عن الزواج ليغضَّ من بصره، والذي سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ) رواه مسلم عن عبد الله رضي الله عنه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: بناتنا أمانة في أعناقنا، يجب علينا أن نعلمهنَّ أمور دينهنَّ، ومن أمور دينهنَّ طاعة الزوج في غير معصيةٍ لله عز وجل، وحقُّ الزوج على المرأة مقدَّم على حقِّ الأبوين، وخاصة الرجل الذي كان صاحب دين وخلق، والذي

عرف الواجب الذي عليه قبل أن يعرف الحق الذي له. ومع تتمة بعض الواجبات التي على الزوجة نحو زوجها في الأسبوع القادم إن أحيانا الله عز وجل . أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

152- خطبة الجمعة: لا تُؤَدِّي حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأنَّه يجب على أولياء أمور البنات أن يعلِّموا بناتهم الواجب الذي عليهنَّ قِبَل أزواجهنَّ، لأنَّ الزواج في نظر الإسلام مسؤولية، وهو بحدِّ ذاته عبادة بالنية الصالحة.

وقلت: بأن أول واجب على المرأة تجاه زوجها هو الطاعة، وهي طاعة مطلقة في غير معصية لله عز وجل، وطاعة الزوج مقدَّمة على طاعة الوالدين.

ولكن لا ننسى نحن أولياء أمور البنات بأنَّ الواجب الذي علينا هو أن نختار صاحب الدين والخلق لبناتنا، ومن خالف هذا الأمر فهو يتحمَّل نتائج هذه المخالفة، كما قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ) رواه

الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه. وصاحب الدين والخلق يعرف الواجب الذي عليه تجاه زوجته، وبقي علينا أن نعرِّف بناتنا على الواجبات الذي عليهنَّ تجاه أزواجهن.

قلت في الأسبوع الماضي بأن الواجب الأول الذي على المرأة هو الطاعة في غير معصية، وطاعتها لزوجها فريضة شرعية، ويعدل الجهاد في سبيل الله، وسبب لدخول المرأة الجنة بإذن الله تعالى.

واجب الإحصان والعفة:

أيها الإخوة الكرام: يجب على أولياء البنات أن يعلِّموا بناتهم الغاية الأساسية من هذا الزواج ألا وهو الإعفاف والإحصان للزوج، إعفافه عن الحرام، وإحصانه حتى لا يرتكب الفاحشة، كما أنها تعفُّ وتحصن نفسها عن الحرام وارتكاب الفاحشة.

وحذِّر ابنتك من مخالفة أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، لأن مخالفتها لأمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرِّضها للفتنة أو العذاب الأليم عاجلاً أو آجلاً، قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}.

حذِّر ابنتك من أن تقصِّر في هذا الواجب، وألَّا تتخذ من تركه سبباً لإغاظة الزوج وسلاحاً تشهره في وجهه، لأنها قد تدفعه إلى ارتكاب الفاحشة والعياذ بالله تعالى.

أيها الإخوة الكرام: اسمَعوا وأَسْمِعوا توجيهات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك، وخاصة قد أصبحنا نعيش عصراً بضغطة زر يدخل فيه الإنسان العالم، حيث التوجيه الإباحي والعياذ بالله تعالى الذي نتيجته دمار آخر معقِل للمسلمين ألا وهو الأسرة.

وجِّهوا بناتكم بتوجيهات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واعلموا بأنكم

مسؤولون يوم القيامة، فإن قصَّرنا في التوجيه عرَّضنا أنفسنا للفتنة أو العذاب الأليم لا قدَّر الله.

توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع:

أيها الإخوة الكرام: تعالوا لنسمع توجيهات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع ثم لنوجه بناتنا إلى ذلك:

أولاً: المرأة لا تؤدي حقَّ ربها حتى تؤدي حق زوجها:

أخرج ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ: (لَمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ مِنْ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ، فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَلا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ).

فوائد هذا الحديث الشريف:

١. لا تتعجل بالحكم على المخالف بأنه كافر ومرتد، فهذا سيدنا معاذ رضي الله عنه عندما سجد للنبي صلى الله عليه وسلم، سأله رسول الله ما هذا؟ وعندما أخبره عن سبب هذا السجود قال له: لا تفعل.

ما نهاه إلا بعد معرفة الدافع والغاية من الفعل، فهو سجد للنبي سجود تعظيم لا سجود عبادة قطعاً، وإذا كان السجود للتعظيم دون العبادة فليس شركاً، ولكنه معصية وكبيرة من الكبائر.

٢. إذا كان أهل الضلال يحترمون علماءهم، فهذه الأمة من باب أولى وأولى أن تحترم علماءها، وخاصة نحن نعلم بأن هناك من يسيء إلى العلماء ويعطي

الصورة المستقبحة وهم بريئون من ذلك.

٣. والأمر الذي يهمُّنا في موضوعنا أن نعلِّم بناتنا بأنَّ المرأة لا تؤدي حقَّ ربها حتى تؤديَ حقَّ زوجها، عباداتها لا تُرفع، وطاعاتها لا تُقبل، حتى تؤدي حقَّ زوجها في غير معصية لله عز وجل.

ومن حقِّ الزوج على زوجته أن لا تمنعه نفسها ولو كانت على ظهر جمل، لأن الغاية من الزواج العفَّة والإحصان، وربما أن تكون حاجة الرجل للمرأة أعظمَ من حاجة المرأة إلى الرجل، فلا يجوز أن تمنعه نفسها في أيِّ حال من الأحوال، إلا في حال حيضها ونفاسها.

ثانياً: حذِّرها من اللعنة إذا قصَّرت:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نعلِّم بناتنا بأنَّ الواحدة منهنَّ إن قصَّرت في إعفاف زوجها وإحصانه وخاصة إذا دعاها إلى فراشه فالملائكة تلعنها، روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ). وفي رواية الإمام مسلم: (إِذَا بَاتَتْ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ).

علِّموا بناتكم هذا الواجب الذي عليهنَّ قبل الزواج، وحذِّروهنَّ من المخالفة حتى لا تُصَبَّ عليها اللعنة من الملائكة الكرام، لأن اللعنة إذا صُبَّت على المرأة لا قدَّر الله تعالى فكيف تجد السعادة؟

ثالثاً: حذِّرها من سخط الذي في السماء:

أيها الإخوة الكرام: حذِّروا بناتكم من التقصير في هذا الواجب، وانظروا إلى أهميته من خلال هذا التحذير النبوي الشريف، حيث يُقسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بأن التي تأبى على زوجها في مسألة الإعفاف والإحصان يسخط عليها من في السماء.

يروى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا).

رابعاً: لا تُرفع لها صلاة حتى يرضى زوجها:

أيها الإخوة الكرام: أمر آخر يجب على المرأة أن تعلمه قبل زواجها هو أن لا تبيت ليلة إلا وزوجها راض عنها، لأن المرأة التي تبيت وزوجها عليها ساخط لا تُرفع صلاتها إلى الله تعالى.

روى ابن ماجه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ثَلاثَةٌ لا تَرْتَفِعُ صَلاتُهُمْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ شِبْرًا: رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَأَخَوَانِ مُتَصَارِمَان).

وفي الغالب الأعم لا يبيت الزوج ساخطاً على زوجته إلا إذا قصَّرت في حقِّه ولم تُعفَّه عن الحرام.

ولا تنسى أن تذكِّرها بأنك قد اخترت لها صاحب الدين والخلق الذي إذا أحبَّ المرأة أكرمها وإذا كرهها لم يظلمها، لذلك وجب عليها أن لا تبيت ليلة إلا وزوجُها راضٍ عنها.

خامساً: لا تصوم نافلة إلا بإذنه:

أيها الإخوة الكرام: علِّموا بناتكم بأنه لا يجوز للمرأة أن تصوم نافلة إذا كان زوجها حاضراً إلا بإذنه، كما جاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلا بِإِذْنِهِ، وَلا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلا بِإِذْنِهِ، وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُؤَدَّى إِلَيْهِ شَطْرُهُ).

بل ذكر الفقهاء بأن المرأة لا تشرع في قضاء ما أفطرته في شهر رمضان إلا بإذن زوجها إلا إذا ضاق الوقت عليها، بحيث جاء شهر رمضان الآخر عند ذلك

تقضي ما عليها قبل دخول رمضان الثاني في شهر شعبان.

وحتى ذكر بعض الفقهاء بأنه لا يجوز للمرأة أن تؤدي فريضة الحج إلا بإذن زوجها، لأن الحج يجب على التراخي عند بعض الفقهاء، وأما حقُّ الزوج فيجب على الفور. أما حج النافلة وعُمرة النافلة فقطعاً لا تذهب المرأة إلا بإذن زوجها، لأنَّ حقَّه مُقدَّم.

كلُّ هذا من أجل إعفاف الزوج وإحصانه، كما هو إعفاف لها وإحصان.

سادساً: دعاء الحور العين:

أيها الإخوة الكرام: أسمِعوا بناتكم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يرويه الإمام الترمذي عن معاذِ بنِ جبلٍ رضي اللَّهُ عنه، عن النبي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قال : (لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا في الدُّنْيا إلاَّ قالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ الْعِينِ: لا تُؤْذِيه قَاتلَكِ اللَّه، فَإِنَّمَا هُو عِنْدَكِ دخِيلٌ يُوْشِكُ أَنْ يُفارِقَكِ إِلَينا).

وأعظم أذية من المرأة لزوجها عدم إعفافه عن الحرام، لأن الرجل المسلم يغضُّ بصره ويحفظ فرجه إلا من امرأته، فإذا آذته في ترك فراشه فماذا يفعل هذا الرجل؟ لذلك تدعو عليها زوجته من الحور العين.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: قد تقول المرأة: لماذا كلُّ هذا، لا تؤدي حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، وتلعنها الملائكة، ويسخط عليها من في السماء، ولا تُرفع لها صلاة، ولا تصوم نافلة إلا بإذنه، وتدعو عليها الحور العين إذا قصَّرت في حق زوجها ولم تعفَّه عن الحرام؟ الجواب عن ذلك في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

153- خطبة الجمعة: لا تؤدِّي حقَّ ربِّهَا حَتَّى تؤدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الخطبة الماضية:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأنه يجب علينا أن نُعلِّم بناتنا الواجبات التي عليهنَّ تجاه أزواجهنَّ قبل الزواج، وقلت لكم بأنه يجب علينا أن نعلِّمهنَّ الواجب الثاني الذي عليهنَّ وهو واجب إعفاف وإحصان الزوج عن الحرام.

وقد حذَّرها النبي صلى الله عليه وسلم من التقصير في هذا الجانب، وبيَّن لنا النبي صلى الله عليه وسلم أموراً ستة إذا قَصَّرت المرأة في حق زوجها من هذا الجانب.

أولاً: لا تُؤَدِّي حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا.

ثانياً: تلعنها ملائكة الرحمن إذا أبت على زوجها.

ثالثاً: ويكون الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها.

رابعاً: لا ترتفع لها صلاة حتى يرضى عنها زوجها.

خامساً: لا تصوم نافلة إلا بإذنه إذا كان حاضراً.

سادساً: تدعُو الحور العين عليها إذا آذت زوجها.

يجب علينا أن نعلِّم البنت هذه الأمور الستة قبل زواجها، وأما التي تزوَّجت فيجب علينا أن ننقل لها هذه الأحاديث الشريفة لتنقذ نفسها من سخط الله عز وجل.

هذا الموضوع خاصٌّ بالمرأة المؤمنة الملتزمة:

أيها الكرام: حديثنا هذا متوجِّه إلى المرأة المسلمة الملتزمة بدين الله عز وجل، إلى المرأة المؤمنة بالله تعالى وباليوم الآخر، إلى المرأة المؤمنة التي وصفها الله عز وجل: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}. إلى المرأة التي عرفت بأن الزواج مسؤولية دنيوية وأخروية، إلى المرأة التي عرفت بأنها آيبة إلى الله تعالى.

هذا الموضوع ليس متوجِّهاً إلى المرأة المسلمة اسماً، ليس إلى المرأة التي ما عرفت من الإسلام إلا اسمه ورسمه، ليس إلى المرأة التي تتطلَّع إلى المرأة الغربية، ليس إلى المرأة التي تسير خلف كل ناعق يقول بأن الإسلام ظلم المرأة.

هذه المرأة التي تتطلَّع إلى المرأة الغربية، وتسمع لكل ناعق من الغرب ومن أذنابه من أبناء المسلمين بأن الإسلام ظلمها، والله ـ وهذا قسم شرعي ـ ما هي إلا امرأة حمقاء.

هي حمقاء تريد أن تكون ذليلة كما هو شأن المرأة الغربية، حيث المرأة في الغرب إذا دخلت سنَّ الرشد والتمييز وجب عليها أن تعمل لتعيش، لتلبس، لتسكن، لأن النفقة واجبة عليها لا على أبيها أو أخيها، وإن تزوَّجت فيجب عليها أن تعمل لتأكل، لأن النفقة لا تجب على الزوج، أما إذا دخلت سنَّ الكهولة أو الشيخوخة صار أنيسها الوحيد هو كلبها الوفي، لا أب يرعاها، ولا زوج يرعاها، ولا ابن يرعاها، ولا أخ يرعاها، وهي في نهاية المطاف إما هي في بيتها الصغير، أو في دار من دور العجزة تنتظر موتها، وبعد موتها إلى جهنم وبئس المصير، إن كانت كافرة بدين الله عز وجل.

أليست المرأة المسلمة التي تتطلَّع إلى الغرب، وتريد أن تسير على خطى الغرب حمقاء؟ لذلك أقول: حديثي مع المرأة المؤمنة التي ترجو الله واليوم الآخر، وليس مع هذه المرأة المخدوعة ببريق الغرب وهي متجاهلة بداية ونهاية المرأة الغربية عندهم.

لماذا هذا الترهيب للمرأة إذا قصَّرت في إحصان زوجها؟

أيها الإخوة: قد يتساءل البعض، أو تتساءل بعض النساء: لماذا هذا الترهيب إذا قصَّرت المرأة في إحصان زوجها؟ لماذا تلعنها الملائكة، ويسخط عليها الذي في السماء، ولا ترفع لها صلاة، ولا تؤدي حقَّ ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولا تصوم نافلة إلا بإذنه، وتدعو عليها زوجة زوجها من الحور العين؟

الجواب على ذلك أيها الإخوة الكرام هو:

أن الإسلام ينظر إلى الزواج بأنه بناء أسرة، والأسرة هي نواة المجتمع، فإذا باءت الأسرة بالفشل فشل المجتمع كله، الإسلام ينظر إلى الزواج بأن إعفاف وإحصان لكلٍّ من الزوجين من أجل بناء جيل مترابط فيما بين بعضه البعض، فإذا قصَّرت المرأة في حقِّ زوجها دفعته للتطلع إلى خارج البيت، وربما أن يؤدي هذا الأمر إلى ارتكاب الفاحشة والعياذ بالله تعالى.

وما انتشار الزنى واللواطة والخيانات الزوجية إلا بسبب التقصير من جهة الزوجات نحو أزواجهنَّ في الغالب الأعم، لذلك رهَّبَ النبي صلى الله عليه وسلم المرأة، وحذَّرها من أن تُقَصِّر في حق زوجها عليها ليضمن لها الأمور التالية:

أولاً: حتى تكون جنةً وسكناً لزوجها:

أيها الإخوة: عرِّفوا بناتكم بأن الزوجة الصالحة هي جَنَّةُ الرجل في الدنيا وسَكَنُه، يعيش معها حتى يرجع إلى الجنة والمسكن الخالد يوم القيامة في جنة عرضها السموات والأرض.

علِّموها هذه المقارنة اللطيفة، الجنة في الآخرة رحمة وسكن، قال تعالى: {يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}. فالجنة سكن لهما، والجنة رحمة قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ}. أي جنته.

فإذا كانت الجنة سكناً ورحمة، فكذلك الزوجة المؤمنة للرجل المؤمن سكن ورحمة، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}. فهي سَكَنٌ، {وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}. والرحمة بين الزوجين جَنَّةٌ.

فإذا قصَّرت المرأة في حقِّ زوجها قَلَبَت حياتَها الزوجية إلى جحيم والعياذ بالله تعالى، ومن هذا المنطلق جاء الترهيب من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة المقصِّرة في حق زوجها، وخاصة في إعفافه وإحصانه.

ثانياً: حتى لا تُخْفِقَ في حياتها الزوجية:

أيها الإخوة الكرام: علِّموا بناتكم هذا الواجب الذي عليهنَّ وعلِّموهنَّ هذا الترهيب الذي جاء على لسان الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حتى لا تُخْفِقَ المرأة في حياتها الزوجية.

أيها الإخوة الكرام: من خلال اطِّلاعي على بعض الخلافات الزوجية التي أدَّت إلى الطلاق فإني رأيت أن ٧٠% من أسباب الطلاق هو تقصير المرأة في حقِّ زوجها من حيث إعفافه عن الحرام.

الرجل المسلم الذي يغضُّ بصره، ويحفظ فرجه إلا من زوجته إذا لم تعفه زوجته عن الحرام فماذا يفعل؟

الذي يفعله أنه يُلبِس هذا الموضوع خلافاً من الخلافات بينه وبين زوجته، وربما أن يكون تافهاً وربما أن يكون بسيطاً، فيجعل منه سبباً للشقاق بينهما حتى يؤدي إلى طلاق الزوجة.

يأتي ويشكو زوجته بأنها لا تحترمه، بأنها لا تُقَدِّر أمه، بأنها لا تستقبل أخواته فهو يريد طلاقها، فإن سألت هذا الرجل عن علاقته من زوجته من حيث المعاشرة والقيام بواجبها نحوه لرأيت هذا الرجل يتنهَّد ويقول لك: هذا هو بيت القصيد. ولكن حياءه يمنعه أن يتحدَّث عن هذا الموضوع.

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا عندما نعالج مشكلة أسرية بين زوجين أن ننتبَّه إلى هذا الجانب، كما يجب على أولياء البنات أن يركِّزوا على ذلك في حديثهم مع بناتهم، وإلا فحياتهم الأسرية في ضياع وفشل عاجلاً أم آجلاً.

ثالثاً حتى تحافظ على معقِل الأسرة:

أيها الإخوة الكرام: الإسلام جاء ليحافظ على معقِل الأسرة من التفتُّت والضياع، جاء ليجعل من الزوجين روضة من رياض الجنة، لينشأ فيها الطفل ويشبَّ على الإسلام، ليكون هذا الشاب في ظل عرش الرحمن، كما قال صلى الله عليه وسلم: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ) وعدَّ منهم: (وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. فإن لم يكن البيت جنَّة فكيف يشبُّ الشابُّ على طاعة الله عز وجل؟

لذلك رهَّب النبي صلى الله عليه وسلم المرأة وحذَّرها من التقصير في حقِّ زوجها من أجل سلامتها وسلامة ذرِّيَّتها، وسلامة المجتمع كلِّه بإذن الله تعالى.

والغرب اليوم يلاحقنا في المعقِل الأخير، يريد دمار الأسرة، يريد أن يصوِّر للمرأة بأن الإسلام ظلمها وما عرف قَدْرها ومِقْدَارها، يريد أن يُحلِّل هذه الأسرة من سائر القيود الشرعية التي تحافظ على الأسرة من الشتات والضياع، لأنه هو في ضياع، وصدق الله القائل: {وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا}.

الإسلام جاء ليجعل من الأسرة جنة تترابط أفرادها مع بعضها البعض من البداية على النهاية، قال تعالى: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}. خدمة ودعاء وطلب رضا.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: لقد عرفتم لماذا شدَّد الإسلام على المرأة إذا قصَّرت في حق زوجها، كل ذلك من أجل سلامتها دنيا وأخرى، ومن أجل سلامة أسرتها، ومن أجل سلامة المجتمع.

أيها الإخوة: كما حذَّر الإسلام المرأة من التقصير في حقِّ زوجها من حيث الإعفاف والإحصان، كذلك حرَّض الرجل على إعفاف المرأة وإحصانها، وهذا موضوع خطبتنا القادمة إن شاء الله تعالى. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فيا

فوز المستغفرين.

**   **   **

154- خطبة الجمعة: ولهنَّ مثل الذي عليهنَّ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي والذي قبله ما يجب على المرأة نحو زوجها من وجوب الإحصان والإعفاف، وقد حذَّرها النبي صلى الله عليه وسلم ورهَّبها من التقصير في هذا الجانب، وما هذا التحذير والترهيب إلا من أجل ضمان الآخرة، هذا للمرأة أولاً، وثانياً حتى لا تخفق في حياتها الزوجية وتكون فاشلة، وثالثاً: حتى تحافظ على معقل الأسرة من التفكك والضياع، لأن الأسرة هي نواة المجتمع، بصلاحها يكون صلاح المجتمع، وبفسادها يكون فساد المجتمع.

ولهنَّ مثل الذي عليهنَّ:

أيها الإخوة: يجب علينا أن نعلم نحن كذلك بأن الواجب الذي على المرأة نحو زوجها، هو حقٌّ لها عند زوجها، وذلك لقوله تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}. فإن كان من الواجب على المرأة أن تُحَصِّن زوجها، فإنه كذلك من الواجب على الزوج أن يُحَصِّن زوجته، قال تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ

لَّهُنَّ}. كل واحد منهما يصون الآخر ويُعفَّه ويحصِّنه ويستره عن الحرام.

وإن إعفاف الزوج لزوجته من المعاشرة بالمعروف التي أمره الله عز وجل بها، بقوله: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}.

فإن كان يحرم على الزوجة أن تُقصِّر في حقِّ زوجها، فإنه كذلك يحرم على الزوج أن يُقَصِّر في حق زوجته، لأن تقصير أحدِهما في حقِّ الآخر إضرار به، وليس من المعاشرة بالمعروف.

في بُضع أحدكم صدقة:

أيها الإخوة الكرام: إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم بَيَّن للمرأة بأن حُسن تبعُّلها وإعفافها وتحصينها لزوجها يعدل الجهاد في سبيل الله من حيث الأجر، فكذلك بَيَّن النبي صلى الله عليه وسلم للرجل بأن إحصانه لزوجته وإعفافَه لها صدقةٌ من الصدقات التي يتقرب بها إلى الله تعالى، وحسنةٌ من الحسنات التي يؤجر عليها يوم القيامة.

روى الإمام مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْر).

انظروا أيها الإخوة الأحبة إلى حرص الإسلام على الأسرة، وكيف هو حريص على سلامة العلاقة بين الزوجين، فلا يجوز للمرأة أن تُقَصِّر في حقِّ زوجها، كما لا يجوز للرجل أن يُقَصِّر في حق زوجته، وكما أن لها أجراً في إعفاف زوجها كذلك له أجر في إعفاف زوجته.

{وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا}:

أيها الإخوة الكرام: يقول الله تعالى في سورة النور: {وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا}. يقول الفقهاء: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب،

هذه الآية الكريمة يجب على كلِّ أبٍ أن يقف عندها وقفة المتدبِّر لها، وكذلك على كل زوج.

أما أنت أيها الأب الكريم:

يحرم عليك شرعاً أن تعضل ابنتك وتضيِّق عليها عندما تريد الزواج، لا تغالي بالمهر، ولا ترهق الخاطب بكثرة الطلبات، وخاصة إذا كانت ابنتك البالغة العاقلة الراشدة ترضى باليسير، لأنها تريد إحصان نفسها، فإن شدَّدت وضيَّقت على الخاطب فإنك قد تُلجئ وتُكره ابنتَك لا قدَّر الله على البغاء.

بعض النساء انحرفن عن جادة الصواب بسبب تضييق الرجال عليهن وعلى الخُطَّاب بكثرة الطلبات، والمرأة تريد التيسير لإعفاف نفسها، ولكن أكرهها أبوها من حيث يشعر أو لا يشعر، من حيث يعلم أو لا يعلم على البغاء.

أما أنت أيها الزوج الكريم:

يحرم عليك شرعاً أن تُقَصِّر في حقِّ إعفاف زوجتك، لأن تقصيرك في حقها قد يفسدها ويجعلها تتطلَّع تحت ضغط الحاجة الفطرية إلى غيرك لا قدَّر الله تعالى، وخاصة إذا كانت قليلةَ المراقبة لله عز وجل، وكانت ضعيفةً في تقواها، في زمن كثر فيه الفساد والإفساد من خلال أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية.

الزوجة تريد الإحصان وتريد الإعفاف فلماذا التقصير من الزوج والله تعالى يقول: {وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا}؟

كما قلت أيها الإخوة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا تكره زوجتك على البغاء من حيث تشعر أو لا تشعر، من حيث تعلم أو لا تعلم.

احذر من التقصير في حقِّ إعفاف زوجتك حتى لا تنحرف لا قدَّر الله تعالى.

فوالله لولا الله أني أراقبه:

أيها الإخوة الكرام: (خرج سيدنا عمر رضي الله عنه ليلة يتفقد أحوال الرعية بنفسه، فمرَّ بجانب بيت فإذا به يسمع صوت امرأة وهي تقول:

تطاول هذا الليل واخضلَّ جانبه *** وأرَّقني إذ لا خليل ألاعبه
فلولا حذار الله لا شيء مثله *** لَزُعْزِعَ من هذا السرير جوانبه

فقال عمر: فما لك؟ قالت: أغربت زوجي منذ أربعة أشهر، وقد اشتقت إليه، فقال: أردتِ سوءاً، قالت: معاذ الله، قال: فاملكي على نفسك، فإنما هو البريد إليه، فبعث إليه، ثم دخل على حفصة فقال: إني سائلك عن أمر قد أهمَّني فأفرجيه عني، كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت رأسها، فاستحيت، فقال: فإن الله لا يستحيي من الحق، فأشارت ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة، فكتب عمر ألا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر. رواه عبد الرزاق والبيهقي.

رحمك الله يا سيدنا عمر، وجزاك الله عن الأمة خير الجزاء، لقد أتعبت من جاء من بعدك من الأمراء والمسؤولين.

كم هو الفارق بين من يعتبر الإمارة مَغْنَماً، وبين من يعتبرها مَغْرَماً، من اعتبرها مغرماً أتعبته لأنه يشعر بأنه مسؤول عن رعيته أمام الله تعالى.

وكم هو حسن في كل مسؤول أن يعتبر من سيدنا عمر رضي الله عنه ويتأسَّى به، وأن يرعى هذا الجانب في حقِّ كل رجل استرعاه الله عز وجل عليه، وأن يكون هذا المسؤول حريصاً على سلامة المجتمع وذلك بعدم إبعاد الزوج عن زوجته مدة طويلة.

من قصَّر في حقِّ زوجته فإنه يكون قد ظلمها، وهل يقع العبد في الظلم مع قوة إيمانه؟ الإيمان عندما يزيد في قلب المؤمن فإنه يعطي لكلِّ ذي حق حقه، ولكن إذا ضعف الإيمان في القلب ظلم، ولا أعجب من إنسان يظلم نفسه، هل ينسى الزوج قول الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}. هي جزء منك فكيف لا تعتني بشأنها؟ كيف لا ترحمها؟ كيف لا تعفُّها عن الحرام؟

(وإن لأهلك عليك حقاً):

أيها الإخوة الأحبة: هناك من يظن نفسه بأنه عابد لله عز وجل، زاهد في الدنيا، يريد أن يتقرَّب إلى الله تعالى بكثرة النوافل، يحيي ليله بالقيام وتلاوة القرآن، ويقضي نهاره بالصيام، فهو صائم بالنهار قائم في الليل، يريد ظناً منه أن يطبِّق قول الله تعالى في الحديث القدسي: (وما يَزالُ عبدي يتقرَّبُ إلى بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّه) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. ويكون كل هذا على حساب زوجته، فهل هذا العبد على صواب؟

الجواب نسمعه ونأخذه من الحديث الذي رواه الترمذي في سننه عن أَبِي جُحَيْفَةَ وَهبِ بْنِ عبد اللَّه رضي اللَّهُ عنه قال: (آخَى النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم بَيْن سَلْمَانَ وأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاء مُتبَذِّلَةً، فقالَ: ما شَأْنُكِ؟ قالَتْ: أَخْوكَ أَبُو الدَّرداءِ ليْسَ له حَاجةٌ في الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدرْدَاءِ فَصَنَعَ لَه طَعَاماً، فقالَ لَهُ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قالَ: ما أَنا بآكلٍ حَتَّى تأْكلَ، فَأَكلَ، فَلَّمَا كانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْداءِ يقُوم فقال لَه: نَمْ فَنَام، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُوم فقالَ لَه: نَمْ، فَلَمَّا كان من آخرِ اللَّيْلِ قالَ سلْمانُ: قُم الآنَ، فَصَلَّيَا جَمِيعاً، فقالَ له سَلْمَانُ: إِنَّ لرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لنَفْسِكَ عَلَيْكَ حقًّا، ولأهلِك عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم فَذَكر ذلكَ لَه، فقالَ النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: صَدَقَ سلْمَانُ) رواه البخاري. نعم صدق سلمان وصدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة: الإنسان عندما يريد أن يعبد الله عز وجل فإنه يجب عليه أن يعبده وفق ما شرع الله عز وجل له، لا وفق أهوائه ورغباته، وكلُّنا يعلم حديث النبي صلى الله عليه وسلم (جاءَ ثَلاثةُ رهْطِ إِلَى بُيُوتِ أَزْواجِ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يسْأَلُونَ عنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم، فَلَمَّا أُخبِروا كأَنَّهُمْ تَقَالُّوْها، وقالُوا: أَين نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَدْ غُفِر لَهُ ما تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ؟ قالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فأُصلِّي الليل أَبداً، وقال الآخَرُ: وَأَنا أَصُومُ الدَّهْرَ أبداً ولا أُفْطِرُ،

وقالَ الآخرُ: وأَنا اعْتَزِلُ النِّساءَ فلا أَتَزَوَّجُ أَبداً، فَجاءَ رسول اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم إِلَيْهِمْ فقال: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كذا وكذَا؟ أَما واللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للَّهِ وَأَتْقَاكُم له، لكِنِي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصلِّي وَأَرْقُد، وَأَتَزَوّجُ النِّسَاءَ، فمنْ رغِب عن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه.

فلا يجوز أن يقول العبد: أنا منصرف إلى الله تعالى ولا أعبأ بأحد، يا هذا انظر إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل شغلته النبوة والرسالة والدعوة والصيام والقيام عن حقِّ نسائه؟

رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم إنسان خلقه الله تعالى، أعطى لكل ذي حق حقه، ثم قال لنا صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) أخرجه الحسن بن سفيان وغيره، وقال ابن حجر: ورجاله ثقات، وصححه النووي في الأربعين.

أتأذنين لي يا عائشة؟

أيها الإخوة الكرام: تعالوا واسمعوا هذا الحديث الذي رواه ابن حبان عن عطاء قال: (دخلت على عائشة فقلت لها: أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكت وقالت: وأيُّ شأنه لم يكن عجباً؟ أتاني ليلة فدخل معي في فراشي ـ أو قالت في لحافي ـ حتى مسَّ جلدي جلده، ثم قال: يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبَّد لربي، فقالت: قلت: إني أحبُّ قربك، لكنِّي أوثر هواك، فأذنت له، فقام إلى قربة ماءٍ فتوضأ، فلم يُكثر صَبَّ الماء، ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً، ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى علي: {إن في خلق السموات والأرض} الآية).

يا أهل السهر بالليل:

أيها الإخوة: هل سمع أهل السهر بالليل هذا الحديث الشريف؟ هؤلاء الذين يسهرون الليلَ أو نصفه أو أكثر ربما في غفلة عن الله عز وجل، وربما في اللعب بورق الشدة أو الطاولة، وربما على شاشات التلفاز هل سمعوا هذا الحديثَ وحديثَ سيدنا سلمان.

إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رضي لك أن تقضي وقت الليل في القيام على حساب زوجتك، فكيف تقضيه في الشيء الذي تعرف أنت بأي شيء تقضيه، اتقوا الله في نسائكم كما تحبون أن تتقي الله نساؤكم فيكم، ولا يجوز أن يكون الإنسان سبباً في انحراف زوجته لا قدَّر الله بسبب طول سهره وتقصيره في حقها، كما يحرم على المرأة أن تكون سبباً في انحراف زوجها بسبب تقصيرها في حقِّ زوجها.

أيها الإخوة الكرام: اجعلوا الله تعالى بينكم وبين نسائكم، اتق الله في زوجتك، ولتتق الله زوجتك فيك، وليعط كلٌّ واحد لصاحبه حقه، اللهم وفِّقنا لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم بأقوالنا وأفعالنا يا أرحم الراحمين. أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

-155 خطبة الجمعة: أي بنيّة: احذري صاحب القلب المريض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن لين القول والكلمة الطيبة الحسنة الممزوجة بالعاطفة والمحبة والإخلاص لها أثر كبير في قلب السامع، ومن هذا المنطلق قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}.

الكلمة لها تأثير في القلوب حباً أو كراهية، فكلما لانت الكلمة وطابت جذبت قلبَ السامع للمتكلِّم وأصغى إليه القول، ومن هذا المنطلق قال تعالى لسيدنا موسى ولأخيه هارون عليهما السلام: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}.

الكلمة الطيبة الممزوجة باللطف والحنان لها تأثير كبير في نفس السامع بحيث يتمكَّن المتكلم من السامع ويوجِّهه حيث يشاء، ومن هذا المنطلق خاطب الله عز وجل الأزواج بقوله: {وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ}. والموعظة لا شك أنها كلمة لطف وطيب وحنان تؤثر في قلب السامع.

لذلك قالوا: من لانت كلمته وجبت محبته، والمحب أسير لمحبوبه.

{فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ}:

أيها الإخوة المؤمنون: من هذا المنطلق يجب على وليِّ الفتاة قبل أن يُزوِّج ابنته وبعد زواجها أن يذكِّرها بقول الله تعالى: {فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ

مَرَضٌ}. والخضوع بالقول هو لين الكلام مع الرجل الأجنبي، قل لها: أي بنيَّة هذا النهي من الله تعالى ليس اتهاماً لك، إنما هو خشية عليك من أصحاب القلوب المريضة، وأنت لا تعلمين المخاطَب هل هو مريض القلب أم لا؟

قل لها: أي بنية، هذا توجيه من الله تعالى الذي خلق الإنسان، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}. فالذي يعلم ما في الصدور إنما هو الله تعالى وحده، لذلك يجب عليكِ أن تأخذي بالأحوط لدينك عند الحديث مع الرجال الأجانب.

لمن يكون لين القول؟

أيها الإخوة الكرام: إن لين القول يكون من الرجل للرجال، ومن الرجل لمحارمه، ومن الرجل لزوجته، كما يكون من المرأة للنساء، ومن المرأة لمحارمها، ومن المرأة لزوجها.

أما لين القول من الرجل للمرأة الأجنبية، ومن المرأة للرجل الأجنبي فهو مفسدة لدين الرجال والنساء.

لين القول من الرجل للمرأة الأجنبية عنه قد يُفسِد عليها حياتها الزوجية، ويؤدي الأمر إلى طلاقها، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا) رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكم من رجل لان بقوله مع المرأة الأجنبية، فأفسد عليها حياتها الزوجية، فوقعت إمَّا في خيانة زوجية، وإمَّا في الطلاق ثم تزوَّجها هذا الرجل.

وكم من امرأة لانت بقولها مع الرجل الأجنبي فاستدرجها لأنه كان صاحب قلب مريض فوقعت في شباكه وخدعها، فإن كانت متزوِّجة خانت زوجها، وإن كانت بكراً جرَّت العار لأهلها والعياذ بالله تعالى.

لذلك يجب علينا أن نعلِّم أبناءنا بأن لين القول يجب أن يكون من الرجل إلى محارمه ونسائه لا مع النساء الأجنبيات عنه. هذا إذا أردنا طهارة المجتمع.

حرص الإسلام على طهارة البيوت:

أيها الإخوة: من هذا المنطلق كان الإسلام حريصاً على سلامة البيوت، وكان حريصاً على سلامة الحياة الزوجية، وكان بالمرصاد لأصحاب القلوب المريضة، فحذَّر المرأة من الخضوع بالقول مع الرجل الأجنبي، فقال: {فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ}.

مريض القلب لا يخاف الله تعالى، مريض القلب لا يرعي حرمات الناس، مريض القلب لا يبالي بالنتائج مهما كانت، مريض القلب لا يتقي الله في نساء المؤمنين، مريض القلب همه شهوته ووطره، مريض القلب فاسد ومفسد في المجتمع. لذلك حرَّم الإسلام على المرأة الخضوع بالقول مع الرجال الأجانب خشية عليها من أصحاب القلوب المريضة، الذين يمزقون الحياة الأسرية، وما أكثر الحوادث من هذا النوع. كم من امرأة طُلِّقت من زوجها بهذا السبب؟ كم من طفل عاش بعيداً عن أمه بهذا السبب؟ كم من امرأة قُتِلت بهذا السبب؟

لذلك يجب علينا أن نحذِّر بناتنا من الخضوع بالقول مع الرجال الأجانب من أجل سلامتها وسلامة أسرتها، وسلامة شرفها، وخاصة في زمن ركَّزت فيه أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية على خضوع القول من المرأة مع الرجال الأجانب.

أجهزة الإعلام تركِّز على خضوع القول من المرأة مع الرجل الأجنبي، والفظاظةِ والغلاظةِ مع زوجها ومحارمها، كما تُعلِّم الرجلَ لينَ القول مع المرأة الأجنبية، والفظاظةَ والغلاظةَ مع زوجته ومحارمه، فهل تنبَّه الناس إلى هذا؟ هل عرف الناس ماذا تريد أجهزة الإعلام من الأسرة المسلمة؟

إنهم يريدون أن تعيش الأسرة المسلمة كما تعيش الأسرة الغربية حيث التحلُّل من القيم والأخلاق وفساد الضمائر والقلوب وفساد الحياة الزوجية.

هذا تشريعُ الذي يعلم السر وأخفى:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نعلم ونُعلِّم أبناءنا بأن هذا التشريع من

أوامر ونواهٍ إنما هو تشريعُ الذي يعلم السر وأخفى، تشريع ربٍ يقول: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُور}. فتشريعه لنا هو سرُّ سعادتنا.

يا من يريد سعادة الدنيا والآخرة لنفسه ولزوجه ولمحارمه أَلْزِمْ أهلك هذه الآية: {فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ}. والتزم قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ}. واعلم بأن هذه الأحكام من أجل سلامة المرأة من كيد أصحاب القلوب المريضة، ومن أجل طهارة قلوب الرجال والنساء.

احذر وحذِّر محارمك من المغالطات:

أيها الإخوة: هناك من يغالط الناس بهذه الآيات الكريمة، فيقول هذه الآية: {فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ}. والآية: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ}. إنها آيات خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم وليست عامة لكلِّ المسلمات.

غباءٌ ما بعده غباء إذا صدَّق أحد هذا القول، لأن صاحب هذا القول كأنه يقول: لا حرج من لين القول من المرأة للرجل الأجنبي، ولو طمع فيها صاحب القلب المريض، ولا حرج من سؤال المرأة الأجنبية بدون حجاب.

طبعاً صاحب هذا القول لا يريد طهارة القلوب، ولا يريد سلامة البيوت، بل يريد قضاء الوطر من النساء.

إذا كان الحق عز وجل حذَّر نساء النبي صلى الله عليه وسلم من الخضوع بالقول مع الرجل الأجنبي حتى لا يطمع فيهنَّ صاحب القلب المريض، مع أنهنَّ أمهات المؤمنين، فهل من المعقول أن يُباح خضوع القول من عامة نساء المؤمنين مع الرجال الأجانب، وخاصة في زمن كثر فيه أصحاب القلوب المريضة؟

وإذا كان الحقُّ عز وجل حذَّر الرجال من سؤال أمهات المؤمنين إلا من وراء حجاب لأن ذلك أطهر لقلوب الفريقين، فهل من المعقول أن يباح هذا لغير

أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع عامة النساء؟

أيُّ مجنون يقول هذا القول؟ احذروا أيها الإخوة من هذه المغالطات، فقدوتنا أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقدوة نسائنا أمهات المؤمنين، اللهم اجعلنا كذلك.

إن أبي يدعوك:

أيها الإخوة: ذكِّروا بناتكم بالآية الكريمة التي وُجِّهت لنساء النبي صلى الله عليه وسلم: {فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا}. علِّمها كيف يكون أسلوب الكلام مع الرجل الأجنبيِّ، لا لين فيه ولا خضوع، ولا هذر ولا هزل ولا مزاح، ولا كلام لا يرضي الله تعالى، وعلمها كيف يكون الموضوع، يجب أن يكون موضوع الحديث موضوعاً شرعياً يجيزه الشرع ولا ينكره، وعلِّمها سيرة بنت سيدنا شعيب عليه السلام؟ كما قال تعالى عنها: {فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء}. مشيتها على استحياء {عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا}.

مشية المرأة المسلمة على استحياء، وحديثها مع الرجل الأجنبي على استحياء، وباختصار، ومنضبط بضوابط شرعية، حيث لا يمكن لعقل وفكر المخاطب أن يشرد يمنةً أو يسرةً: {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا}. ما قالت: تفضل إلى البيت ليجزيك والدي أجر ما سقيت لنا، قطعت الخاطر على الرجل الأجنبي من بدايته، وبأسلوب مختصر مأخوذ بكل وسائل الحيطة من أجل سلامة القلوب.

{إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نتدرب على مراقبة الله عز وجل، وأن ندرِّب أبناءنا على ذلك، وأن نذكِّرهم بقول الله عز وجل: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}. ونذكِّرهم بقوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}. ونذكِّرهم بقول الله عز

وجل: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}. ونذكِّرهم بقوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

يا أختاه تذكَّري هذه الآيات وراقبي الله عز وجل، وتذكَّر يا أخي الكريم هذه الآيات، فإذا قلَّ حياء المرأة وخضعت بالقول معك تذكَّرْ بأن الله رقيب عليك وعليها، فقلَّة حيائها لا يبيح لك قلَّة الحياء، وعدم خشيتها من الله تعالى لا تبيح لك قلة الخشية من الله تعالى. لنحذر الله جميعاً: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: إذا أردنا حياة زوجية سعيدة لبناتنا فلنذكِّرْهُنَّ بهذه الآية: {فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا}. ليكن لين القول وكلمةُ اللطف والحنان والحبِّ منها لزوجها لا للرجل الأجنبي عنها، حتى لا يطمع فيها فيفسد عليها دنياها وآخرتها، وأن لا تكون كلمتها قاسية جافَّة لزوجها.

وكذلك أنتم يا معشر الرجال لتكن كلمة اللين وكلمة اللطف والحنان والحبِّ منكم لنسائكم لا لمرأة أجنبية، لا أن تكون الكلمة القاسية الجافَّة لنسائكم.

اجعلوا كلامكم الليِّن الحسن في الحلال، ولا تجعلوه في الحرام إذا أردتم سعادة الدنيا والآخرة. اللهم اجعلنا كذلك آمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

156- خطبة الجمعة: وقرن في بيوتكنَّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: لقد ذكرت لكم في الأسابيع الماضية ما يجب علينا نحو بناتنا قبل أزواجهن، وقلت بأنه يجب على المرأة قبل زواجها أن تعلم ما هو واجبها نحو زوجها، وما هي الغاية من الزواج، وعرفنا بأن الغاية الأساسية من الزواج هي واجب إعفاف كل من الزوجين للآخر.

وعرفنا في الأسبوع الماضي بأنه يحرم على المرأة أن تخضع بالقول أمام الرجال الأجانب حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض، وأن يكون لين كلامها مع زوجها، كما يجب أن يكون لين كلام الرجل مع زوجته لا مع النساء الأجنبيات عنه.

النساء مأمورات بلزوم البيت:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا وعلى كلِّ وليٍّ فتاة أن يعلِّم ابنته الواجب الذي أوجبه الشرع عليها، **من هذه الواجبات وجوبُ ملازمة البيت**، وألا تخرج من البيت إلا لأمر ضروري، قال تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}. وقال تعالى: {لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ}. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقال تعالى آمراً الرجال: {أَسْكِنُوهُنَّ}. والأمر بالإسكان نهي عن الخروج.

يقول الإمام القرطبي عن هذه الآية: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}. (الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي " فقد دخل غيرهنَّ فيه بالمعنى، هذا لو لم يرد دليل يخصُّ جميع النساء، فكيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن، والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة).

لماذا قرار المرأة في بيتها؟

أيها الإخوة الكرام: قد تسأل المرأة: لماذا القرار في البيت؟ وقد يعترض المعترضون على هذا القرار، ويتساءلون لما تقرُّ المرأة في بيتها؟

الجواب على ذلك:

أولاً: للتحقق بالعبودية لله عز وجل:

أيها الإخوة إن قرار المرأة في بيتها هو تحقيق لعبوديتها لله عز وجل، قال تعالى: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}. ولا يسع العبدَ إلا طاعةُ المعبود، ما دام المعبود أمر، فلا بدَّ من السمع والطاعة، لأنه تبارك وتعالى تفضَّل على خلقه بالأجر العظيم إن هم أطاعوه.

ونحن ما خُلقنا إلا للعبادة، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون}. والعبادة يجب أن تكون مطلقة من قبل العابد نحو المعبود، ولا يمكن للعبد أن يناقش سيده ومعبوده فيما أمر.

لذلك من الخطأ بمكان أن تناقش إنساناً لا يؤمن بالله واليوم الآخر في فروع الشريعة، لأنَّ هذه التكاليف يقبلها من رضيَ بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً.

فإذاً يجب على المرأة المؤمنة أن لا تناقش هذا الأمر على الإطلاق، وإلا فقد ضلَّت ضلالاً بعيداً والعياذ بالله تعالى، قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا}. فلتكن المرأة المؤمنة على حذر من ضلال وإضلال الآخرين، وذلك من خلال أجهزة الإعلام، حيث يحرِّضون المرأة على الخروج من البيت وعدم القرار فيه، وهذا أمر طبيعي عند المرأة الغربية لأنها لا صلة لها بالسماء.

أما المرأة المسلمة فعزُّها وكرامتُها وافتخارُها بامتثال أمر ربها، لأنها تطمع برحمة ربها ودخولِ جنته.

بلزوم البيت تدرك عمل المجاهدين:

أيها الإخوة المؤمنون: حديثنا مع المرأة المؤمنة التي عرفت الغاية من خلقها، وطمعت بجنة الله تعالى، وليس حديثنا مع غير المؤمنة لأنها لا تفكِّر بالدار الآخرة.

وهذا ما فقهته المرأة المؤمنة، أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان وأبو يعلى والبزار عن أنس رضي الله عنه قال: (جئن النساء إلى رسول الله " ، قلن: يا رسول الله، ذهب الرجال بالفضل بالجهاد في سبيل الله، أفما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله؟ قال: قال رسول الله ": مهنة إحداكنَّ في بيتها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله).

فما دام العبد يطمع بالجنة فلينظر ماذا كلَّفه المعبود الذي وعده بالجنة، كلَّف الله الرجال بالجهاد فقالوا: سمعنا وأطعنا، وكلَّف المرأة بالقرار بالبيوت فيجب عليها أن تقول: سمعت وأطعت.

فإذاً الغاية من قرار النساء في البيوت هو امتثال أمر الله تعالى أولاً، ولو لم يكن من ذلك فائدة إلا طاعة المعبود لكفى.

ثانياً: لتحقيق السكن الذي أراده الله تعالى:

إن سُئِلت المرأة المسلمة لماذا القرار في البيت؟ لكان جوابها حتى أحقِّق السكن الذي أراده الله تعالى للزوج، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}.

المرأة التي تكثر الخروج من البيت لا يمكنها أن تحقِّق السكن لزوجها كما أراده الله تعالى، لأنَّ خروجها من البيت للعمل سوف يُرهق المرأة ويُتعبها، فإذا رجعت إلى بيتها رجعت وهي تريد السكن والراحة، والرجل أمر طبيعي أن يخرج من البيت، فإذا رجع إلى البيت رجع وهو يبحث عن السكن والراحة، فمن الذي يحقق السكن والراحة للآخر؟

لذلك من العبث في الحياة أن يخرج الرجل وأن تخرج المرأة من البيت، الإسلام

دين نظام متكامل، فهو أمر الرجل بالخروج للعمل والكسب، وأمر المرأة بالقرار لتهيئ الجو والسكن لزوجها إذا رجع، وإلا حلَّت الفوضى وهذا واقعنا يصدِّق هذا المبدأ.

انظروا إلى الرجل وإلى المرأة إذا خرجا للعمل سوية كيف تكون حياتهما؟ ويجب أن يكون الجواب بصدق لا بالتعليلات التي لا معنى لها.

حجَّة واهية لا قيمة لها:

أيها الإخوة المؤمنون: نسمع بين الحين والآخر حجَّة من بعض النساء اللواتي يردن الخروج من البيت بقصد العمل، وتقول هذه المرأة: نحن نخاف من غدر الزمان، نحن نريد أن نضمن مستقبلنا، نحن نخاف من الطلاق، نحن نخاف من الضياع، فلا بدَّ من الخروج للعمل.

أيها الإخوة: مثل هذا الكلام إذا صدر من المرأة الغربية فهو أمر طبيعي، أما أن يصدر من امرأة مؤمنة فهذا لا يليق بها، لأن الآمر لها بالقرار في البيوت هو الذي ضمن لها النفقة، فأوجبها الإسلام على الأب أولاً، ثم على الزوج ثانياً، ثم على الولد ثالثاً.

الغرب عبيد للمادة، والمسلم عبد لله تعالى، ما خُلق المسلم في الحياة الدنيا لجمع الدينار والدرهم، الدينار والدرهم عنده وسيلة وليست غاية، أما عند الغرب فهي معبود وغاية، لذلك هم يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم.

لذلك لا يجوز للمرأة المسلمة أن تتقدَّم بهذه الحجة الواهية ما دامت اختارت صاحب الدين والخلق، (إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وصاحب الدين والخلق يعرف بأن النفقة واجبة عليه، ولكن عندما نخالف أمر سيدنا رسول الله " فأمر طبيعي أن نرى العواقب الوخيمة: (إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي

الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ). وصدق الله القائل: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}.

كثرة خروج المرأة مفسدة:

أيها الإخوة المؤمنون: إن ملازمة المرأة لبيتها هو الأصل، وخروجها حالة طارئة استثنائية، فمن أكثرت الخروج من بيتها فقد أفسدت حياتها الزوجية، بسبب شياطين الإنس والجن، أما إذا لازمت بيتها فإنها تكون في رحمة الله عز وجل.

أخرج الترمذي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ قال رسول الله ": (إِنَّ الْمَرْأَةَ عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ فَتَقُولُ: مَا رَآنِي أَحَدٌ إِلا أَعْجَبْتُهُ، وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَى اللَّهِ إِذَا كَانَتْ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا).

كثرة خروجها مفسدة وخاصة في هذا الزمان، لأن هذا الخروج يفضي إلى الاختلاط بالرجال، وخاصة بين رجال ما عرفوا قوله تعالى: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُون}.

من كثرة خروجها من بيتها أفسدت دينها، وإذا فسد دينها فسدت العلاقة بينها وبين زوجها، وإذا فسدت العلاقة الزوجية بينهما طمع أصحاب القلوب المريضة بهذه البيوت الفاسدة.

ثالثاً: للقيام بتربية الأبناء:

أيها الإخوة: إن سئلت المرأة المؤمنة لماذا القرار في البيت؟ لكان جوابها: حتى أقوم بالواجب الذي عليَّ نحو أولادي، فأنا مسؤولة عن البيت ورعايته، يقول ": (وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا) رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما.

مسؤولية تربية الأبناء مسؤولية عظيمة تحتاج إلى تفرُّغ كبير من أجل رعاية الأطفال بعد تحقيق السكن لزوجها.

المرأة التي تخرج من بيتها وتُكثر الخروج منه بقصد العمل أو غيره، من الذي

يحتضن هؤلاء الأطفال؟ إما أمُّ الزوج أو أمُّ الزوجة، وإما أخت الزوج أو أخت الزوجة، وإما الحاضنات والمربيات والخادمات.

يضيع هؤلاء الأطفال بين جدة وجدة، وبين عمة وعمة، وخالة وخالة، وخادمة وحاضنة، هؤلاء الأطفال لا يشعرون بحنان الأم ولا بعاطفتها، على حساب من؟ على حساب خروج المرأة من بيتها، لأن الغرب هكذا يريد لنسائنا.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: إن قرار المرأة في مكان عملها لا ينكره إلا فاقد عقل، وإلا مريد الفساد للمرأة، لأننا ما سمعنا ولا أحد سمع بأنه يُنكر على مسؤول أو ضابط أو تاجر عندما يلازم مكان عمله، بل على العكس من ذلك تماماً مَنْ يُلازم مكان عمله فهو كبير في أعين الناس، حتى سمعنا بأن كثيراً من الوزراء والمسؤولين عندهم غرف خاصة بهم في مكاتبهم من أجل النوم فيها، فهل أحد ينكر عليهم هذا؟ أبداً لا، إذاً فلماذا الإنكار على المرأة إذا أُلزمت مكان عملها؟

قل يا ولي الفتاة لابنتك: أَيْ بُنَيَّة لا تكوني كبعض النساء اللواتي لا تستطيع الحياة بدون خروجها من البيت، البعض يرى خروجها من البيت في كل يوم حتماً مقضياً، أي بنية إنَّ كثرة خروج المرأة من البيت، سبب لفسادها وفساد الأسرة، سبب من أسباب الطلاق الذي كثر في هذه الأيام.

قل لها: أي بنية عليكِ أن تعشقي تكليف الله تعالى لك، والذي من جملته: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}. واحذري من كراهية ما أنزل الله تعالى، لأن هناك من كره ما أنزل الله من الفسقة الفجرة، هؤلاء الذين قال الله تعالى عنهم: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}.

اللهم استر أعراضنا، وآمن روعاتنا، واختم بالباقيات الصالحات آجالنا وأعمالنا يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فيا فوز المستغفرين.

** ** **

157- خطبة الجمعة: هل ثيابك ثياب تقو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مقدمة الخطبة:

ما زال حديثنا عن واجباتنا نحو بناتنا من حيث التربية، وأنه يجب على المرأة أن يكون بيتها هو مقرها ومكان عملها، وإذا أرادت المرأة أن تكون ناجحة في عملها فعليها بالقرار في بيتها. لذلك ألزم الله تعالى النساء بالقرار في البيوت، قال تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}.

ويجب على المرأة أن تعلم بأن الفرار يوم القيامة من الأولاد سببه التقصير في الواجب الذي على المرأة نحو أبنائها، قال تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّهِ وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه}.

فالمرأة التي تكثر الخروج من البيت فإنه يكون على حساب عملها في بيتها، وبذلك تَفْسُد وتُفْسِد. لذلك وجب عليها القرار، وإلا ندمت دنيا وأخرى لا قدر الله تعالى.

ومن الطبيعي أن هناك فئة من الناس لا ترضى بهذا الكلام، ولا تحبُّه، وتكره قرار المرأة في بيتها، فهذا القسم من الناس لا يهمُّنا، ليرضَ من شاء، وليسخطْ من شاء، نحن عبيد لله عز وجل، والعبد من الرجال والنساء لا يسعه إلا أن يقول: سمعت وأطعت، فنحن عبيد، قال تعالى: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}.

نحن لا علاقة لنا مع غير المؤمن، لا علاقة لنا مع الذي يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، لا علاقة لنا مع الذي لا يرجو لقاء الله واليوم الآخر، لأن الحديث مع هؤلاء يجب أن يكون مركَّزاً أولاً على جوانب الإيمان بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، فإن آمن وآمنت فعند ذلك يقرؤون قول الله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا}.

ما رآني أحد إلا أعجبته:

أيها الإخوة المؤمنون: الأصل في المرأة هو قرارها في بيتها، ولا تخرج إلا لأمر ضروري، وما ذاك إلا للتحقُّق بالعبودية لله عز وجل، وللقيام بواجبها نحو زوجها وأولادها.

فإذا أرادت الخروج من البيت لأمر ضروري فعلِّمها هذا الحديث الشريف: (إِنَّ الْمَرْأَةَ عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ، فَتَقُولُ: مَا رَآنِي أَحَدٌ إِلا أَعْجَبْتُهُ، وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَى اللَّهِ إِذَا كَانَتْ فِي قَعْرِ بَيْتِهَ) رواه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه.

علِّم هذا الحديث لزوجتك ولبناتك ولأخواتك ولمحارمك، وقل لها: أيتها الزوجة الكريمة، أي بنية، يا أختاه، تذكَّري هذا الحديث الشريف قبل خروجك من البيت، واعلمي بأن الله مطَّلع على خفايا نفسك، يعلم السر وأخفى، احذري عند خروجك من البيت حديثَ النفس الأمارة بالسوء: (مَا رَآنِي أَحَدٌ إِلا أَعْجَبْتُهُ).

هذا حديث بعض النساء مع أنفسهنَّ عندما تخرج الواحدة منهنَّ من بيتها وتمشي في الشارع، ونفسها تحدِّثها: (مَا رَآنِي أَحَدٌ إِلا أَعْجَبْتُهُ)، إذا دخلت مكانَ عملها ووظيفتها هذا حديث نفسها، ومن أكثرت من ذكر هذا الحديث

النفسي فسدت وأفسدت والعياذ بالله تعالى.

قل: أي بنية، أيتها الزوجة الكريمة، أيتها الأخت الغالية: لقد حدَّثنا الصادق المصدوق بأن المرأة قد يخطر ببالها هذا الخاطر: (مَا رَآنِي أَحَدٌ إِلا أَعْجَبْتُهُ)، فراقبي الله عز وجل واعلمي قوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

لباس المرأة المسلمة:

أيها الإخوة الكرام: يجب على المرأة أن لا تخرج من بيتها إلا لضرورة، وأن يكون خروجها للدراسة أو العمل مدروساً دراسة صحيحة، بحيث أن لا تكون الفترة طويلة، وأن لا يكون هناك اختلاط مع الرجال الأجانب، وأن يكون الطريق مأموناً من الرجال مرضى القلوب، وأن تخرج باللباس الشرعي لباس التقوى.

أيها الإخوة: علِّموا بناتكم ونساءكم ومحارمكم هذه الآية الكريمة: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُون}.

لماذا قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ}:

أيها الإخوة: يجب علينا أن نقرأ القرآن الكريم بتدبُّر، لماذا قال مولانا: {يَا بَنِي آدَمَ} ولم يقل يا أيها الناس؟

الجواب ـ والله تعالى أعلم ـ: حتى يتذكَّر كلُّ واحد منا وخاصة المرأة بأن العداوة بيننا وبين إبليس هي عداوة قديمة من زمن سيدنا آدم عليه السلام، حيث وسوس إبليس لسيدنا آدم ولزوجه وسوسة بها أخرجهما من الجنة، ونزع عنهما لباسهما، وبدت سوآتهما، وهذه العداوة مستمرة إلى أن تخرج أرواحنا من أجسادنا، وقد علَّمنا ربُّنا عز وجل قصة هذه العداوة بقوله تعالى مخبراً عن إبليس: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيم * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِين}.

{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِين}. اللهمَّ اجعلنا من المخلَصين.

وسوسة الشيطان لابن آدم، وسماع ابن آدم لتلك الوسوسة سبب للغواية، ومن جملة هذه الغواية نزع اللباس وكشف العورة.

ربُّنا عز وجل أنزل علينا لباساً يواري سوآتنا، وطلب منا ستر العورة، وعورة الرجل من السرة إلى الركبة، والمرأة كلُّها عورة أمام الرجال الأجانب، وجاء دور الشيطان ليوسوس لنا، فمن أصغى لتلك الوسوسة وعمل بها نزع اللباس وكشف العورة من الرجال والنساء. والعياذ بالله تعالى ..

هناك بعض الرجال يكشف عن عورته في الشارع، وفي بيته أمام أبنائه وبناته، وهناك بعض النساء كشفت عن عورتها أمام الرجال الأجانب، بدأت المرأة بكشف وجهها، ثم عن شعرها، ثم عن عورتها التي يجب عليها سترها أمام النساء. وهي من السرة إلى الركبة. فكشفت عن هذه العورة أمام الرجال الأجانب، ونسيت هذه المرأة عداوة إبليس لها ولأبيها وأمها حواء منذ أن خلق الله تعالى آدم وحواء، ففسدت المرأة وأفسدت، وهذا ما يريده إبليس اللعين {فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين}، وهل هناك غواية أكثر من هذه الغواية؟ وهذه الغواية هي التي يريدها شياطين الإنس الذي تعلَّموا هذه الغواية من أستاذهم إبليس.

لذلك ربُّنا عز وجل يقول: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُون}، تذكَّر أيها الرجل وأيتها المرأة عداوة إبليس لنا، تذكروا بأنه يجب علينا رجالاً ونساء ستر العورة.

فيا أخي الكريم: خاطب ابنتك وزوجتك ومحارمك بهذه الآية، وركِّز لهنَّ على قوله تعالى: {وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ}.

هل ثيابك ثياب تقوى؟

أيها الإخوة الكرام: ركِّزوا على قول الله تعالى: {لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ}. ليس كلُّ لباس ساتر للعورة هو لباس تقوى، قد يكون اللباس الساتر للعورة لباس فجور، لأن بعض النساء قد تتوهم بأن لبس البنطال وإن كان ضيِّقاً هو ساتر لعورتها، والبعض الآخر تلبس الثياب الرقيقة وهي تظن نفسها بأنها ساترة لعورتها.

أيها الإخوة: يجب أن يكون اللباس الساتر للعورة هو لباس تقوى بحيث لا يصف ولا يشفَّ، يجب أن يكون عريضاً سميكاً، وأن لا يكون بحدِّ ذاته زينة.

ولتسمع المرأة حديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا) رواه مسلم.

كاسيات في الظاهر عاريات في الحقيقة لضيقها أو لرقَّتها، هذا هو لباس الفجور، وليس لباس تقوى.

لذلك قل لنسائك: عليكنَّ بلباس التقوى لا بلباس الفجور، وقل لهنَّ: تساءلن مع أنفسكنَّ: هل لباسك لباس تقوى أم لباس فجور؟

المؤمنة التقيَّة يجب أن يدلَّ مظهرها على مخبرها، ظاهرها يدل على باطنها بأنها امرأة ترجو الله واليوم الآخر، يجب أن يسطع نور الإيمان من كلِّ تصرُّفاتها وأحوالها، فتعرف أنها من أهل القرآن حتى لا تؤذى من أصحاب القلوب المريضة.

المرأة المسلمة يجب أن تكون متميِّزة عن غيرها، تتنبَّه إلى جلبابها في الشارع أن لا يكون ضيِّقاً، وأن لا يكون رقيقاً، وأن لا يكون مزركشاً، بل يكون لباس

وجلباب تقوى، وهذا يدلُّ على أن هذه المرأة لا تحدِّث نفسها عند خروجها من بيتها بحديث المرأة غير الملتزمة: (مَا رَآنِي أَحَدٌ إِلا أَعْجَبْتُهُ).

المرأة المسلمة حريصة على نفسها من شرِّ الذئاب البشرية الذين يظنون أنَّ كلَّ امرأة صيد لهم، فلباس التقوى لا يجعل فيها طمعاً من قبل الفاسقين، على العكس من لباس الفجور الذي يجعل مطمعاً في النفوس المريضة والعياذ بالله تعالى.

أي بنيَّة سلي نفسك هذا السؤال:

أيها الإخوة: هناك من هي حريصة على لباس الثياب الضيِّقة والرقيقة والقصيرة، ليسأل الرجل هذه البنت وهذه الزوجة وهذه الأخت: ما هي الغاية من هذا اللباس؟ وليقل لها: أي بنيَّة سلي نفسك هذا السؤال: ما هي الغاية من لبس هذه الثياب الضيِّقة أو الشفافة أو الرقيقة، أو العباءة الرقيقة أو المزركشة؟ إن لم تجب على هذا السؤال، فقل لها: كوني على حذر من حديث النفس: (مَا رَآنِي أَحَدٌ إِلا أَعْجَبْتُهُ)، قل لها: لا تكوني ضحيَّة لهؤلاء الذئاب البشرية. قل لها: هذه ليست ثياب تقوى إنما هي ثياب فجور ذهب ضحيَّتها الكثير من النساء، فهناك من ذهبت ضحيةَ هذه الثياب مع أخيها، أو مع خالها، أو عمِّها، والعياذ بالله تعالى، فضلاً عمَّن ذهبت ضحيَّة هذه الثياب مع الرجال الأجانب.

من المسؤول؟

أيها الإخوة: من المسؤول عن لبس النساء هذه الثياب؟ هل الشرق أم الغرب؟ أم شياطين الإنس الذين يقولون: اجعل هذا في رقبتنا؟ أم المرأة التي تقول: أنا مسؤولة عن ذلك يوم القيامة؟

المسؤول هو كلُّ راع، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ

وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ) رواه البخاري ومسلم.

فمن قصَّر في هذه المسؤولية سوف يفرُّ يوم القيامة أمام صاحبه كما قال تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّهِ وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه}.

تابعوا نساءكم وبناتكم وأخواتكم، راقبوا لباسهنَّ، وحرِّضوهنَّ على لباس التقوى، ورحم الله القائل:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى *** تقلَّب عرياناً وإن كان كاسياً

وخير لباس المرء طاعة ربه *** ولا خير فيمن كان لله عاصياً

هل لباس نسائنا لباس تقوى؟ انظر إلى محارمك وزوجتك، هل تقف أمام المرآة قبل خروجها من بيتها وهي تنظر إلى عباءتها وجلبابها وتهتمُّ بشكله ولونه وضيقه؟ ذكِّروهن بقوله تعالى: {قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: إن المرأة الصالحة هي التي تلبس ثياب التقوى لا ثياب الفجور، ولا خير في امرأة تلبس ثياب الفجور إذا لم تتب إلى الله تعالى.

المرأة التي تصرُّ على لبس ثياب الفجور والعياذ بالله تعالى، من ثياب ضيِّقة أو رقيقة أو قصيرة، هي في الحقيقة عبدة لثيابها، وهذه مدعوٌّ عليها من قبل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ) رواه البخاري. عبد الخميصة: هو عبد الثياب.

المرأة التي تصرُّ على ثياب الفجور لا تصلح أن تكون زوجة صالحة، ولن تكون أماً تربي أبناءها على الكتاب والسنة بحيث ترى ثمرة تربيتها من خلال قوله تعالى: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ

وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}.

هذه الأم لن ترى هذا النتيجة، بل سترى نتيجة هذا الأمر كالذي تراه الأم الغربية والعياذ بالله تعالى، حيث تكون في نهاية عمرها في دار العجزة.

أيها الإخوة: صلاح الأمة لن يكون إلا من خلال الالتزام بكتاب الله عز وجل رجالاً ونساء، وإذا رأينا أكثر الناس هلكى لا قدَّر الله تعالى فعلينا بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}، لنكن من القليل الذين قال الله عنهم: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور}، ولا نكن من الكثيرين الهلكى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُون}.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

158- خطبة الجمعة: من الذي يقول بأن المولد عبادة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، لقد كنا نتحدَّث في الأسابيع الماضية عن نظام الأسرة في الإسلام الذي أكرمنا الله عز وجل به، ولكن عندما أطلَّ علينا شهر ربيع الأول، شهر مولد النبي صلى الله عليه وسلم، رأيتنا ملتفتين إلى ذكرى المولد والاستعداد لاستقباله، ولإحياء هذه الذكرى العطرة المحبوبة عند المسلمين عامة، لذلك كان لزاماً علينا أن نلتفت إلى هذه الذكرى العطرة التي تجدِّد في المسلمين الإيمانَ والصلةَ بهذا الحبيب صلى الله عليه وسلم، وخاصة بعد أن عرفنا قول الله تعالى: {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ}. ولا شكَّ بأن يوم المولد هو يوم من أيام الله تعالى الذي أكرم الله تعالى البشرية فيه بهذا الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم، حيث كانت البشرية بانتظاره، وخاصة بالنسبة لأهل الكتاب، عندما كانوا يقولون: لقد أطلَّ زمن ظهور نبي هذه الأمة، فكانوا يترقَّبون ظهوره صلى الله عليه وسلم.

هجوم ودفاع:

أيها الإخوة الكرام: كلما أطلَّ شهر ربيع الأول شهر مولد النبي صلى الله عليه وسلم، رأيت بعض المسلمين وبكلِّ أسف ينقسمون إلى قسمين، قسم مهاجم وقسم مدافع.

القسم الأول: يهاجمُ كلَّ مسلم يتكلَّم بالمولد وعن المولد ويحتفل بذكرى المولد، ويرميه بالفسق والتبديع والتضليل وربما بالتكفير، هذا القسم يقوم ولا يقعد بهجوم شديد على أهل المولد كلما جاء شهر ربيع، ومن الطبيعي أن يقوم القسم

الآخر بالردِّ على هذا الهجوم ليسوق الأدلة على جواز الاحتفال بذكرى المولد، وبكلِّ أسف أن ترى هذا على أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية التي تبثُّ للعالم أجمع، فيراها المؤمن والكافر.

ومما يزيد الأمر حسرة وتأسفاً وندامة بأن كلاً من الفريقين يعلمون علم اليقين بأن الغرب الصليبي المتهوِّد مع أذنابه من أبناء جلدتنا يحاولون تهديم وتقويض الإسلام من جذوره، ومع هذا ترى هذه الظاهرة من الهجوم على من أقام حفلاً بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم، بالله عليكم من هو المستفيد من هذا الهجوم؟ ومن هو الرابح أو الخاسر منهما؟ لا شكَّ أن الخسارة على كلٍّ من الطرفين، لأنهما صارا ورقة رابحة بأيدي أعداء هذه الأمة.

حيث يتراشق المسلمون فيما بين بعضهم البعض بسهام التفسيق والتبديع والتضليل.

أيها الإخوة: نحن لا نشكُّ بأن هذا الدين محفوظ من التحريف والتبديل والضياع مهما تكالب عليه أعداؤه، فهم أحقر وأذلُّ وأصغر من أن يطفئوا نور هذا الدين، وذلك لقوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون}. ولقوله تعالى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون}.

الكلُّ حريص على الدين من أن يبتدع فيه:

أيها الإخوة الكرام: مما لا شكَّ فيه بأن كل مسلم ذكراً كان أم أنثى ممن عشق هذا الدين هو حريص على دين الله تعالى من الضياع أو التحريف، حريص على دين الله من أن يُبتدع فيه ما ليس منه، كيف يجترئ عاشق الدين ومحبُّه على البدعة في دين الله عز وجل، وقد سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ)؟ رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها.

كيف يجترئ على ذلك وقد سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أَلا وَإِيَّاكُمْ

وَمُحْدِثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ شَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، أَلا لا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ) رواه ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؟ معاذ الله أن ترى مسلماً صادقاً في دين الله يجترئ على الابتداع في دين الله عز وجل، هذا فضلاً عن العلماء الراسخين في العلم.

من الذي يقول: بأن المولد عبادة؟

أيها الإخوة الكرام: من الذي يقول بأن المولد عبادة؟ من الذي يقول بأن المولد بالصورة التي تعارفها الناس اليوم بأنه فرض أو واجب أو سنة؟ هل سمعتم من العلماء أو من طلبة العلم ممن يحتفلون بذكرى المولد بأن الاحتفال بذكرى المولد فرض أو واجب أو سنة؟

قطعاً الجواب: لا، لأنه لا يجترئ أحد أن يقول هذا، لأن من قال بالفرضية أو الوجوب أو السنية فإنه يطالب بالدليل، ولكنَّ جميع العلماء متَّفقون على أنَّ هذا الأمر مباح، فمن شاء فعله ومن شاء تركه، ولا يُلام فاعله كما لا يُلام تاركه، هذا هو الحق الذي لا ريب فيه ولا شك.

مفردات المولد لها دليل من الكتاب والسنة:

أيها الإخوة المؤمنون: إضافة إلى هذا الذي ذكرته فإني أقول: بأننا لو نظرنا إلى مفردات المولد التي اعتادها المسلمون اليوم فإننا نجد لها أصلاً من كتاب الله تعالى ومن سنة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ما هي مفردات المولد؟ مفردات المولد هي:

١. تلاوة القرآن الكريم.

٢. مديح للنبي صلى الله عليه وسلم .

٣. قراءة سيرته العطرة وتذكير الأمة بشيء من شمائله وصفاته التي يجب على الأمة اتباعها.

أيها الإخوة: أما حرَّضنا القرآن الكريم على تلاوة القرآن؟ أما حرَّضنا النبي

صلى الله عليه وسلم على مدارسة القرآن الكريم في بيوت الله عز وجل؟

أما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجعل لحسان بن ثابت منبراً ليدافع وليناقح عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد؟ أما دخل بعض رجال من الحبشة مسجدَ النبي صلى الله عليه وسلم وهم يمدحون النبي صلى الله عليه وسلم وهم يقولون: محمد عبد صالح؟

أما أوجب علينا ربُّنا عز وجل معرفةَ النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم؟ أما أمرنا ربنا عز وجل بتعظيم وتوقير النبي صلى الله عليه وسلم؟ أما أمرنا ربنا عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم بكثرة ذكر الله تعالى؟ إن الأدلة طافحة في كتاب الله عز وجل وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك.

فإذا جمعنا هذه المفردات التي طلبها شرعنا الشريف منا في ساعة من الزمن، مع الاعتقاد بعدم وجوبها بهذا الشكل، وبعدم سنيتها بهذا الشكل، أين تكمن المشكلة؟ لذلك لا يجوز أن نحمِّل الأمر ما لا يحتمله، ولا يجوز أن يفسِّق بعضنا البعض ما دمنا نجول في أمور مباحة، مع معرفة التكاليف الشرعية في كلِّ مفردة من مفردات المولد.

قصص الأنبياء والمرسلين فيها تثبيت للفؤاد:

أيها الإخوة الأحبة: إن سرد قصص الأنبياء والمرسلين بشكل عام فيه تثبيت للفؤاد، وهذا أمر لا نزاع فيه، لأن الله تبارك وتعالى يقول لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِين}.

فإذا كان الحق جل وعلا يقصُّ على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قصص الأنبياء والمرسلين من أجل تثبيت فؤاده الشريف، وخاصة في ساعات الشدة والابتلاء، فنحن بحاجة أكثر إلى تثبيت فؤادنا، وخاصة في هذا الزمن العصيب الذي كثرت فيه الابتلاءات والشدائد والمحن، وهل هناك أمر أعظم من سيرة النبي

صلى الله عليه وسلم لتثبيت أفئدتنا؟

أيها الإخوة: نحن بأمسِّ الحاجة إلى العلماء العاملين الربانيين الذين يقصون علينا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لتثبيت أفئدتنا، نحن بحاجة إلى من يذكِّرنا بأيام الله، نحن بحاجة إلى من يذكِّرنا في كلِّ مناسبة بهذا الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم، ومن هذه المناسبات ذكرى مولده الشريف صلى الله عليه وسلم.

أما أنتم يا أهل المولد:

أيها الإخوة الأحبة: إلى جانب هذا الذي ذكرته، فإني أُذَكِّر إخوتي الأحبة من أهل الموالد بعد أن أُذَكِّر نفسي، بأن الحبيب الأعظم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ليس بحاجة إلى المدح والثناء والتبجيل والتوقير منا، بل نحن بحاجة إلى شرعه وسنته وهديه.

أيُّ مدح يكون للحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم بعد أن مدحه ربنا عز وجل في كتابه العظيم جملة وتفصيلاً؟

ألم يقل ربنا عز وجل عنه في القرآن العظيم: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى}؟ وهذا تزكية للسانه الشريف.

ألم يقل عن شرعه: {إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}؟ وهذا تزكية لشرعه الشريف.

ألم يقل عن جليسه وهو سيدنا جبريل عليه السلام: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}؟ وهذا تزكية لجليسه عليه السلام.

ألم يقل عن فؤاده: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}؟ وهذا تزكية لفؤاده الشريف.

ألم يقل عن بصره: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}؟ وهذا تزكية لبصره الشريف.

ألم يقل عنه: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم}؟ وهذه تزكية لأخلاقه الكريمة.

إذا كان الله تعالى هو الذي قال عنه هذا، فهل هو صلى الله عليه وسلم بحاجة إلى أمثالنا ليمدحه؟ قطعاً لا. لكن نحن بحاجة إلى أن نشرِّف ألسنتنا ومسامعنا بذكره صلى الله عليه وسلم، نحن بحاجة إلى شرعه الشريف، نحن بحاجة

إلى تحليل الحلال وتحريم الحرام.

ماذا ينفع المدح والثناء والمولد إذا كان المحتفل آكلاً للربا، أو آكلاً للرشوة، أو قاطعاً للرحم، أو عاقّاً لوالديه، أو آكلاً لأموال الناس بالباطل، أو مخلفاً لوعده، أو حاقداً حاسداً، أو كانت زوجته سافرة متبرِّجة مع بناتها؟ ماذا ينفع المولد إذا كان المحتفل مصرَّاً على ذلك ـ لا قدَّر الله تعالى ـ؟ مع علم هذا المحتفل بأن عمله يُعرَض على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ المحتفل بالمولد مع إصراره على هذه المخالفات وإقامته عليها ـ لا قدَّر الله تعالى ـ هو مسيء وليس بمحسن، هو منَفِّر عن دين الله عز وجل، والعياذ بالله تعالى.

أيها الإخوة الأحبة: إن الغاية من الاحتفال بالمولد هي تحصيل العلم، والغاية من العلم العمل، وإلا كان الاحتفال حجة علينا لا لنا، فيا أهل الموالد جسِّدوا احتفالاتكم سلوكاً وعملاً وأخلاقاً.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: ختاماً أقول لنتق الله في أنفسنا، لنكن وقَّافين عند حدود الشرع الشريف، وكفانا عصبيَّة عمياء، كفانا تمزُّقاً، الأصول تجمعنا، والاختلاف في الفروع لا يفرِّقنا، لقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم ليجعلنا وليجمعنا كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

كفانا تفسيقاً وتبديعاً وتضليلاً، فالمولد أمر مباح فمن شاء أقامه ومن شاء تركه، المهم هو الالتزام بالكتاب والسنة، ماذا ينفعك المولد إن لم تكن ملتزماً محللاً الحلال ومحرماً الحرام؟

وماذا ينفعك علمك إذا لم تعرف كيف توظِّفه، ولم تجعله وسيلة لجمع شمل الأمة؟

أيها الغيور على دين الله اتق الله في أهل المولد ولا تكن سبباً في الطعن في دين الله تعالى، وأيها المحتفل بذكرى المولد اتق الله في نفسك ولا تكن سبباً للطعن

في دين الله، اللهم لا تفرِّق جمعنا ولا تشتِّت شملنا ولا تجعل دائرة السوء علينا يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

159- خطبة الجمعة: صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم صاحب ودٍّ فهل الودُّ موجود فينا؟

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الخطبة الماضية:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: فقد ذكرنا في الخطبة الماضية بأن الاحتفال بالمولد أمر مباح من شاء فعله ومن شاء تركه، ولا يجوز لمسلم أن ينكر على فاعله كما لا يجوز له أن ينكر على تاركه، وعرفنا بأنه ليس من البدع المحرمة كما يزعم البعض، لأنه لا أحد يقول بفرضيته ولا بوجوبه ولا بسنيَّته.

كما عرفنا بأن مفردات المولد مطلوبة منا شرعاً، وبأن الاحتفال الحقيقي بالمولد إنما هو الاقتداء والاتباع لصاحب الذكرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

لكلِّ حق حقيقة:

يا عباد الله: إن محبَّة النبي صلى الله عليه وسلم يجب علينا أن نجسِّدها تجسيداً عملياً، لا أن يكون حبنا للنبي صلى الله عليه وسلم مجرد دعوى بدون برهان، لأنه

لكلِّ حقٍّ حقيقة، وحقيقة المحبة هي الاتباع في الأقوال والأفعال والأحوال، أما من قَصَرَ المحبة على المظاهر فقط دون السلوك فهذا مدَّعي المحبة.

أيها الإخوة: من ادَّعى ما ليس فيه كشفته شواهد الامتحان، المنافقون فُضِحوا عند الأمر والنهي، هم ادعوا أنهم آمنوا كما قال تعالى: {إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُون}. فالأمر والنهي فضحهم، كما قال تعالى: {فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}.

المنافق كلامه سهل منمَّق وحلو، كما قال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون}. ولكنَّ مشكلته في العمل، المنافق يقول ولا يعمل؛ لأن باطنه خلافُ ظاهره، أما المؤمن فظاهره وباطنه واحد، المؤمن إذا قال قولاً جاء فعله مطابقاً لقوله.

صورة من صور الحب الصادقة:

أيها الإخوة الكرام: المحبُّ متَّبع، المحبُّ يصون سمعة محبوبه، المحبُّ يفدي محبوبه بكلِّ شيء، المحبُّ لا يكون سبباً في الطعن في محبوبه، المحبُّ يلفت أنظار الآخرين إلى صدق محبته حتى يشهدوا له، وانظروا إلى صورة من صور الحب الصادقة من أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، سيدُنا زَيْدُ بْنُ الدّثِنّة عندما ابْتَاعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ أُمَيّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَبَعَثَ بِهِ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ مَعَ مَوْلًى لَهُ يُقَالُ لَهُ: (نِسْطَاسُ) إلَى التّنْعِيمِ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ. وَاجْتَمَعَ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ قَدِمَ لِيُقْتَلَ: أَنْشُدُك اللّهَ يَا زَيْدُ أَتُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا عِنْدَنَا الآنَ فِي مَكَانِك نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنّك فِي أَهْلِك؟ قَالَ: وَاَللّهِ مَا أُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا الآنَ فِي مَكَانِهِ الّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ، وَأَنّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي. قَالَ: يَقولُ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْت مِنْ النّاسِ أَحَدًا يُحِبّ

أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمّدٍ مُحَمّدًا. ثُمّ قَتَلَهُ نِسْطَاسُ يَرْحَمُهُ اللّهُ.

ثناء الله تعالى على الصحابة رضي الله عنهم في ذلك:

يا عباد الله: انظروا في أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المحبين الصادقين في محبتهم كيف انصهرت شخصياتهم في شخصه الشريف صلى الله عليه وسلم، حتى شهد الله عز وجل لهم في ذلك، قال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}.

وَصْفُ المحب والمحبوب صار واحداً، {أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ}. هذا هو الحبُّ الحقيقي انصهارٌ في المحبوب حتى صار وَصْفُ المحب كالمحبوب من حيث الاتباع والاقتداء لا من حيث الرتبة والارتفاع.

لا تناقض بين المحبِّ والمحبوب، إن نظرت إلى المحبِّ كأنك ترى المحبوب من خلال سلوك المحبِّ.

أدعياء المحبة كثيرون:

أيها الإخوة الكرام: أدعياء المحبة كثيرون، أدعياء المحبة يقولون ما لا يفعلون، أدعياء المحبة إذا جاءهم أمر من الله تعالى جعلوه خلف أظهرهم، إذا جاءهم أمر من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلوه خلف أظهرهم، أدعياء المحبة تناقضت أقوالهم مع أفعالهم، هؤلاء يسيئون لمحبوبهم، ويكونون سبباً في الطعن في محبوبهم، (كل رجل من المسلمين على ثغر من ثغر الإسلام، الله الله أن يؤتى الإسلام من قبلك) أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة.

إن حضرة الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يريد من أتباعه

أن يكونوا حَمَلة رسالة، يريد من أتباعه أن يبلِّغوا رسالة الله تعالى للخلق جميعاً من حيث السلوك والعمل، لا من حيث القول المناقض للأفعال، وهذه سنَّة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فهذا سيدنا زكريا عليه السلام يدعوا ربه عز وجل بقوله: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}. وهل يكون رضيَّاً إذا تناقضت أقواله مع أفعاله؟ المرضي عند الله تعالى هو صادق الأقوال والأعمال.

فيا أهل المولد يا أحباب المصطفى صلى الله عليه وسلم جسِّدوا سيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم فيكم تجسيداً عملياً، شُدُّوا الأنظار إليكم من حيث السلوك لا من حيث الكلام، قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِين}.

صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم صاحب وُدٍّ:

أحباب الحبيب صلى الله عليه وسلم: إن صاحبَ المولد صاحبَ الذكرى هو صاحب وُدٍّ، فهل الوُدُّ موجودٌ فينا؟ هل الوُدُّ موجود في الأسرة الواحدة؟ هل الوُدُّ موجودٌ بين الزوجين؟ هل الوُدُّ موجودٌ بين أهل البلدة؟

انظروا إلى وُدِّ الحبيب صلى الله عليه وسلم لزوجته السيدة خديجة رضي الله عنها لا في حال حياتها بل بعد انتقالها إلى الرفيق الأعلى. عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَت: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِين قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا؟ قَالَ: مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّساء) رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له. حفظ لها المعروف وحفظ لها إحسانها، وهذا شان أصحاب الوُدِّ.

أين وُدُّك لزوجتك؟ هل نسيت معروفها وإحسانها؟ هل نسيت أنها أعفَّتك عن الحرام؟ هل نسيت أنها أمٌّ لأبنائك؟ هل نسيت أنها غاسلة لثيابك وطابخة لطعامك؟ هل نسيت أنها حفظتك في نفسها ومالك؟

احفظ وُدَّ زوجتك وإن قصَّرت، لأن قول الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (أَلا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ) رواه أبو داود وابن ماجه. لا يعني أنها صارت معصومة عن الخطأ، تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه ابن ماجه.

وما يدريك يا عمر لعلَّ الله قد اطلع على أهل بدر:

أيها الإخوة: إن الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم علَّمنا كيف يكون حفظ الوداد، علَّمنا بأن السيئة لا تمحو الحسنات، علَّمنا بأن الحسنات تمحو السيئات، علَّمنا أن لا ننسى إحسان الآخرين إلينا. واسمعوا أيها الإخوة إلى هذا الموقف عام فتح مكة.

أخرج الإمام البخاري ومسلم عن سيدنا علي رضي الله عنه قال: (بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ،

فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلا ارْتِدَادًا وَلا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ صَدَقَكُمْ، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ).

تدبَّروا قول الحبيب صلى الله عليه وسلم: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ). أهل بدر هم أهل النصرة والنجدة، هم أهل الصدق مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كانت هذه أول غزوة قام بها النبي صلى الله عليه وسلم، كان عددهم قليلاً أمام عدو عدده كبير، كانوا قلة ولكنهم قالوا قولاً أثلج صدر الحبيب صلى الله عليه وسلم: (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ}، وَلَكِنْ امْضِ وَنَحْنُ مَعَكَ) رواه البخاري. حفظ لهم هذا الموقف، بل قل ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: في ذكرى مولد الحبيب صلى الله عليه وسلم تعلَّموا من صاحب الذكرى كيف يكون الوُدُّ؟ وكيف تحافظون على هذا الوُدِّ؟ تعلَّموا بأن السيئة لا تمحو الحسنات، بل الحسنة تمحو السيئات.

أيها الإخوة: نحن بأمسِّ الحاجة إلى التخلُّق بأخلاق صاحب الذكرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يريده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منا، اللهمَّ وفِّقنا لذلك برحمتك يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

160- خطبة الجمعة: صاحب الذكرى ما كان متميِّزاً بين أصحابه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد شاهدنا في هذا الأسبوع مظاهر الاحتفال بمولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، من زينة وتوزيع حلوى، واحتفالات في المساجد وفي البيوت، وفرق الإنشاد والمديح للنبي صلى الله عليه وسلم، وجعل الولائم وما شاكل ذلك، كل هذا شيء حسن، لأن كلَّ واحد يعبِّر عن فرحه بمولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنَّ الحسن والأكمل والأفضل هو أن يترجم هذا المحب الفرحَ بمولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاتباع لصاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم، أن يترجم هذا الحبَّ ترجمةَ سلوكٍ وعمل، لأن الله تعالى طالب أدعياء المحبة بالاتباع لهذا الحبيب صلى الله عليه وسلم، فقال: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

أيها الإخوة الأحبة: إن السؤال يوم القيامة عن العمل، قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}. حبٌّ بدون اتباع لا قيمة له، حبٌّ بدون اقتداء وهمٌ في وهم، حبٌّ بدون تأسي بالمحبوب سراب في سراب، إن كنت صادقاً في محبتك فليرَ الناس منك شخصية من تحب في سلوكك وأخلاقك، لِيَرَ الناس بأبصارهم

فيك شخصية محبوبك قبل أن يسمعوا كلامك بأنك محب، قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِين}.

شاب مخنَّث يدَّعي المحبة، امرأة سافرة تدَّعي المحبة، هذا الشاب الذي تخنَّث صدق في محبة المخنثين فتشبَّه بهم، وهذه المرأة السافرة صدقت في محبة السافرات فتشبَّهت بهنَّ، فكيف يدَّعي كل واحد منهما أنَّه محبٌّ لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة الكرام: الإسلام ليس شارات ولا طقوساً ولا مناسبات بين الحين والآخر، الإسلام دين اعتقاد وسلوك وعبادة ومعاملة منضبطة بضوابط الشريعة، فإذا قَصَرنا الإسلام على الطقوس والشارات والمناسبات فاعلموا بأن الغرب يرضى عنا، لأنه يريد منا إسلاماً بالكلام دون السلوك والعمل، لا يريد أن يرى الإسلام مجسَّداً في أتباعه، يريده نظريات فقط.

ولو أنَّ المسلمين اليوم التزموا بحكم من أحكام الله وطبَّقوه تطبيقاً عملياً لأرعبوا الغرب، لو حرَّموا على أنفسهم الربا الذي حرَّمه الله عليهم لأرعبوا الغرب، ولو حجَّبوا نساءهم بالحجاب الشرعي لأرعبوا الغرب، لو دعوا إلى الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى ولنصرة هذا الدين لأرعبوا الغرب.

لا تميِّز نفسك على أقرانك:

أيها الإخوة: لعلنا في ذكرى المولد أن نأخذ جانباً من جوانب هذه الشخصية العظيمة ونطبِّقها على أنفسنا تطبيقاً عملياً، لعلَّنا في هذه الذكرى أن نأخذ من أخلاقه صلى الله عليه وسلم خلق التواضع وعدم التميُّز على الأقران.

لقد كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يكره التميُّز على أصحابه، وفي ذلك درس بليغ للأمة على جميع مستوياتها في أن لا يجعلوا بما فضَّلهم الله عز وجل به تمييزاً على أقرانهم، لأنَّ الله تعالى عندما رفع الناس بعضهم على بعض بيَّن لهم الغاية من هذا الرفع فقال: {وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا

آتَاكُمْ}. هذا الرفع الذي رفعك الله إياه هو اختبار لك، فكن على حذر من أن تجعل من نعمة الله عليك سبباً للتميُّز على أقرانك بالكبر والاستعلاء.

الذي يميِّز نفسه على أقرانه هو في الحقيقة إنسان غافل عن الحقيقة التي أشار إليها الله تعالى إليها في القرآن بقوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}. هو غافل عن قوله تعالى: {وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}.

{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ}:

أيها الإخوة الكرام: تفكَّروا في قول الله تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ}. هذه الآية الكريمة تتحدَّث عن الرسل لا عن الأنبياء، لأنَّ الرسل اختصهم الله بالرسالة عن الأنبياء، فكلُّ رسولٍ نبيٌّ، ولا عكس، فالرسل أفضل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

فسادة الأنبياء الرسل، وفيهم يقول الله تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ}. من هذا التفضيل: {مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ}. وهو سيدنا موسى عليه السلام، ومنهم: {وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ}. وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم سيدنا عيسى عليه السلام: {وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ}.

أيها الإخوة الكرام: لننظر في شخصية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ماذا قال ربنا عز وجل عنه في التفضيل؟ {وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ}. لم يقل ربنا عز وجل درجة، بل قال: درجات، وعلى من رفعه الله تعالى؟ لقد رفعه على الرسل والأنبياء جميعاً، فما أحد منهم نال مقامه الشريف.

كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الرفع؟ لننظر إليه صلى الله

عليه وسلم، ولننظر إلى أنفسنا عندما رفع الله الرجل على المرأة درجة واحدة لا درجات، كيف حالنا؟ ربنا عز وجل قال: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}. سكرنا بهذه الدرجة، حتى البعض وصل إلى درجة الفرعونية على زوجته بهذه الدرجة، ونسينا قوله تعالى: {وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ}.

أيها الإخوة الكرام: لننظر إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رفعه الله تعالى على الرسل جميعاً درجات، حتى قال عن ذاته الشريفة: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه. ولننظر إلى أنفسنا ولنجعل المقارنة إن صحَّت المقارنة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم، وعذراً يا سيدي يا رسول الله إن قلت لنجعل المقارنة.

بأيِّ شيء رفعك الله على أقرانك؟ واحد رفعه الله بالمال، والآخر رفعه الله بالعلم، وآخر رفعه الله بالجاه، وآخر رفعه الله بالرياسة والريادة، وآخر وآخر.....

كل صور الرفع رفعٌ بعرض من أعراض الدنيا، فإذا بهذا المرفوع بعرض من أعراض الدنيا يجعل من نفسه شخصية متميِّزة على أقرانه، مع علمه بأن هذه النعم التي خصَّه الله بها على غيره هي ظلٌّ زائل وعرض حائل، ومع ذلك سكر بها وجعل من نفسه شخصية متميِّزة على أقرانه.

(أيُّكم محمد)؟

أيها الإخوة: لنسمع ما يحدثنا به سيدنا نس رضي الله عنه قال: (بيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ.

فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ.

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ!

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ أَجَبْتُكَ.

فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ.

فَقَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ.

فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟

فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟

قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنْ السَّنَةِ؟

قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ) رواه البخاري.

فكِّروا في بعض كلمات هذا الحديث:

أيها الإخوة الأحبة: فكِّروا في بعض كلمات هذا الحديث الشريف:

أولاً: الأعرابي يسأل الصحب الكرام: (أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ)؟ يا سبحان الله، أ لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم متميِّزاً بين أصحابه؟ الجواب: قطعاً لا، لم يكن له مكان مخصوص في المجلس، فكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل مجلساً جلس حيث ينتهي به المجلس، لأن المكان لا يجعل مكانة، الإنسان هو الذي يجعل مكانة للمكان.

لم يكن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم متميزاً بين أصحابه مع أن الله تعالى رفعه على جميع الرسل درجات.

هلَّا فكرت في هذا أيها الطبيب، أيها التاجر، أيها العالم، أيها المسؤول، أيها الحاكم؟

لا تكن مغروراً بما آتاك الله، واعلم بأن محبتك لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب أن تجعل منك شخصية متَّبعة لا مبتدعة، واعلم بأن مآلك إلى حفرة ضيقة، ورحم الله من قال: الموت يعمُّنا، والقبر يضمُّنا، والقيامة تجمعنا، والله يفصل بيننا.

ثانياً: فكِّروا في قول الأعرابي: (ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) هذا الرجل يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) ما خاطبه باسمه الشريف، مع أن الله تعالى حذَّر الأمة من أن تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم باسمه الشريف، فقال: {لاَ تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}. بل إنَّ ربنا عز وجل خاطب أولي العزم من الرسل بأسمائهم إلا الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم فقال: يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى، فضلاً عن الأنبياء حيث خاطبهم بأسمائهم كذلك فقال: يا زكريا، يا يحيى، يا داود... وهكذا.

أما حبيبنا صلى الله عليه وسلم فخاطبه بوصف النبوة وبوصف الرسالة، فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}. وقال: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ}. وخاطبه بالحال الذي هو فيه صلى الله عليه وسلم: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّل} {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر}. وكلُّ هذا لعلوِّ قدره صلى الله عليه وسلم.

هذا الرجل يخاطب النبيَّ صلى الله عليه وسلم بقوله: (يا بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) هل تغيَّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل تضايق من خطابه؟ لا وربِّ

الكعبة فما بالنا نحن إن خاطبَنا أحد بأسمائنا؟ نعم إنه العُجب وإنه الغرور، وما هذا إلا لغفلة العبد عن ربه عز وجل.

ثالثاً: انظر إلى هذا الخُلُق السامي الرفيع من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما قال له الرجل: (إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ) وإلى قوله: (أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ..). هل تغيَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الأعرابي مع مقامه السامي العالي العظيم القدر؟

فما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متميِّزاً على أصحابه، وكان صلى الله عليه وسلم قمَّة في التواضع مع جلالة قدره ومكانته المرفوعة عند الله عز وجل.

وعليَّ جمع الحطب:

أيها الإخوة: لنأخذ هذا الخلق السامي الرفيع من سيرته العطرة في ذكرى مولده الشريف صلى الله عليه وسلم، ما يميِّز نفسه على أحد من أصحابه الكرام، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (خدمته نحواً من عشر سنين، فو الله ما صحبته في حضر ولا سفر إلا كانت خدمته لي أكثر من خدمتي له. وما قال لي أفٍّ قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلت كذا؟ ولا قال لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟ وكان صلّى الله عليه وسلّم في سفر، فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول الله، عليّ ذبحها، وقال آخر: عليَّ سلخها، وقال آخر: عليّ طبخها. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: وعليّ جمع الحطب! فقالوا: يا رسول الله، نحن نكفيك، فقال: قد علمت أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميَّز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميِّزاً بين أصحابه، وقام فجمع الحطب) رواه الطبري.

كان صلى الله عليه وسلم في مهنة أهله:

أيها الإخوة: بل لم يكن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم متميزاً حتى في بيته مع أهله الكرام رضي الله عنهن، فكان من شمائله وسيرته العطرة في بيته أنَّه كان صلى الله عليه وسلم في مهنة أهله، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف

نعله، ويخدم نفسه، ويعلف ناضحه، ويعقل البعير، ويأكل مع الخادم ويحمل بضاعته إلى السوق، وسُئلت السيدة عائشةُ رضي الله عنها: (مَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قالت: كَانَ يَكُون فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ يعني – خِدمَة أهلِه – فإذا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ، خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ) رواه البخاري.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الأحبة: لقد رفع الله بعضنا على بعض اختباراً وابتلاءً، وأمرنا بمحوِ الأنا من بيننا، فلا يجوز لأحدنا أن يميِّز نفسه على الآخرين بما وهبه الله تعالى من النعم، لأن التميُّز مزَّق الأمة وفرَّق شملها.

ما أنت فيه من نعمة حافظ عليها بخلق التواضع، وتذكر قوله تعالى: {إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً}. وتذكر بأن الإنسان أوَّله نطفة مَذِرَة وآخره جيفة قَذِرة والآن يحمل العذِرة، ورحم الله من قال: أيها الشامخ الذي لا يرام نحن من طينة عليك السلام.

أنت سيِّد في مكانك وفي عملك، فإذا ما خرجت إلى الناس فأنت واحد منهم، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وكان بعضهم إذا دخل المسجد قال لإخوانه: تعالوا لنخلِّف أقدارنا مع أحذيتنا، كلُّنا عبيد الله تعالى.

أسأل الله تعالى أن يخلِّقنا بأخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سائر أحوالنا، وأن يجعل إيماننا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة لنا لا علينا. إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله العظيم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

161- خطبة الجمعة: صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم
ما كان يكمُّ الأفواه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأن حضرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد رفعه الله تعالى على الناس كلهم، بل رفعه على خاصة الخاصة من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وكان رفعه عليهم درجات كما قال تعالى: {وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ}.

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم عرف بأن هذا الرفع هو في الحقيقة ابتلاء واختبار، لأن الله تبارك وتعالى يقول: {وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ}. وهذا ما أكَّده سيدنا سليمان عليه السلام عندما رأى عرش بلقيس بين يديه، فقال: {هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}.

لذلك كانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مليئة بتواضعه الشريف لخلق الله جميعاً، مهما كان العبد في الدركات، وحضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدرجات، فما عرف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر ولا الاستكبار ولا الاستعلاء على أحد من خلق الله تعالى، وكان الرجل يدخل إلى مجلس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: (أيُّكم محمد)؟

كمُّ الأفواه شأن الرجل الفاشل:

أيها الإخوة الأحبة: إني من خلال هذا الحديث اليوم، لأخاطب قادة الأمة على كل المستويات: إذا أردنا الفلاح والنجاح فلا تستغلوا يا قادة الأمة رفع الله لكم على الآخرين بكَمِّ الأفواه، لأن كَمَّ الأفواه شأن الرجل الفاشل في قيادته، شأنُ الرجل الذي لا يستطيع أن يقارع الحجة بالحجة، شأنُ أهل الباطل.

يا قادة الأمة من حكام وعلماء، يا أيها المسؤولون، وكلُّ واحد فينا مسؤول لقوله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) رواه البخاري ومسلم. يا أيها الزوج يا أيها المدير يا من رفعك الله تعالى على الآخرين درجة لا تقل: ما أريكم إلا ما أرى، لأن هذا شأن الرجل الفاشل، شأن الفراعنة الذين يقولون كما قال أستاذهم لسيدنا موسى عليه السلام: {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِين}.

يا قادة الأمة من حكام وعلماء ومسؤولين، إن كَمَّ الأفواه يجعل مجالاً لشياطين الإنس والجن أن يلعبوا بين التابع والمتبوع، وبين الحاكم والمحكوم، وبين الزوج وزوجته، وبين التلميذ وأستاذه، إنَّ كمَّ الأفواه يجعل التابع منافقاً للمتبوع، وإذا كان التابع منافقاً للمتبوع فإن المجتمع يكون فاشلاً ولو كانت الأبدان مجتمعة، قال تعالى: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}.

كثرت فيهم المقالة:

أيها الإخوة الكرام: لنسمع شيئاً من سيرة هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم الذي رفعه الله درجات، لنسمع سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ما كمَّ الأفواه، لنسمع سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم يرض لأصحابه النفاق له. حاشاه من ذلك..

ليسمع كلُّ حاكم وكلُّ مسؤول وكلُّ زوج وكلُّ عالم إذا أراد أن يكون ناجحاً في قيادته، ليسمع إلى هذا الحديث الذي يرويه الإمام أحمد عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى

مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ).

أمر طبيعي أن تحدِّثك نفسك أحياناً بسوء ظنٍ وباعتراضٍ على متبوعك، لأننا ما خرجنا عن طبيعتنا البشرية، ولكلٍّ واحد منا شيطان يوسوس له، ولم يسلم أحد من وسوسته إلا من رحم الله، فالأنصار رضي الله عنهم وجدوا في أنفسهم شيئاً على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأين أنت من ذلك يا سعد؟

أيها الإخوة الكرام: إنَّ الصحب الكرام يعلمون عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ، ويعلمون أنه مؤيَّد بالوحي من عند الله عز وجل، ويعلمون بأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولكن ما وجدوا تبريراً وتأويلاً لهذا الفعل، فوجدوا في أنفسهم شيئاً، ومهمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تزكية النفوس كما قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ}. فالمزكِّي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمزكَّى هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا بدَّ للمزكى أن يكون صادقاً مع المزكِّي، وإلا ما استفاد من صحبته، وفتح مجالاً للشيطان أن يلعب به، وما دام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقٍّ ومنه ينبع الحق فلا شكَّ في وجود مبرر لما فعله صلى الله عليه وسلم.

دخل سيدنا سعد بن عبادة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الأَنْصَارِ شَيْءٌ).

سمع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة سعد رضي الله عنه، فنظر

إليه وسأله السؤال المحرج، فقال له: (فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ)؟ فجاء الجواب من سيدنا سعد رضي الله عنه بكلِّ صراحة ووضوح وصدق فقال: (يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي).

هكذا نريد أن يكون المجتمع، التابع صادق مع المتبوع، والمتبوعُ متواضع فاتحٌ صدره للتابع، ليقطع الطريق على شياطين الإنس والجن من التدخل بينهما.

ما قالة بلغتني عنكم؟

أيها الإخوة الأحبة: انظروا إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يعالج المواقف، ما عالجها بقوله: ما أريكم إلا ما أرى، حاشاه من ذلك، فالرفيع وعظيم القدر يعالج الأمور بحكمة ورويَّة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا سعد بن عبادة رضي الله عنه: (فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ).

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الأَنْصَارِ.

قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ: (يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلالاً فَهَدَاكُمْ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ)؟

قَالُوا: بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ.

ذكَّرهم أولاً بفضل الله عز وجل عليهم حيث كان هو السبب، ثم نظر إليهم صلى الله عليه وسلم فقال: (أَلا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ)؟

أيها الإخوة: أيُّ متبوع يلقِّن تابعه بالرد عليه؟ إنه المتبوع الذي لا يريد الدنيا، هو الذي يريد وجه الله تعالى، هو الذي علم بأن الرفع على الآخرين ابتلاء واختبار له، لقد لقَّنهم النبي صلى الله عليه وسلم الرد، وهو ردٌّ حقيقي لا من نسج الخيال،

هو ردٌّ قد يجول في خاطر الأنصار.

قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ.

قَالَ: (أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلاً فَأَغْنَيْنَاكَ).

عظمة ما بعدها عظمة من المخلوقين، اعتراف بالفضل واعتراف بالمعروف، ما نسي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف الأنصار عندما جاءهم مهاجراً، كيف ينسى هذا الفضل منهم، والله تعالى يقول: {وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}؟

يا قادة الأمة لا تنسوا فضل الأمة عليكم، يا أيها المرفوع على غيره لا تنس فضل الذي رفعك الله عليه، يا علماء الأمة لا تنسوا فضل الأمة عليكم، يا أيها الأزواج لا تنسوا فضل الزوجات عليكم.

مقارنة لطيفة:

أيها الإخوة الأحبة: انظروا ختام هذا الموقف بين المتبوع والتابع، بين المحبوب والمحب، بين المرفوع والمرفوع عليهم، نظر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأوضح لهم المبرر لما فعله، فقال: (أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلامِكُمْ)؟ كلمة حق وكلمة صدق، ولفتة نظر كريمة من سيد العالم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وأعقب ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بمقارنة لطيفة ـ بأبي وأمي أنت يا سيدي يا رسول الله ـ فقال: (أَفَلا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ).

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا،

ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقْنَا.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا قادة الأمة من حكام وعلماء، يا أيها المسؤولون كلٌّ على حسب مستواه، هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل بإمكاننا أن نجسِّد سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا سلوكاً وعملاً.

يا قادة الأمة على كلِّ مستوياتكم إنَّ كمَّ الأفواه ليس من شأن أهل الحق، إن كمَّ الأفواه شأن أهل الباطل، الذين لا يملكون الحجة والبرهان، فلله الحمد القائل: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}. لأن الإكراه على أمر دليل على ضعفِ المكرِه.

أسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لمتابعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقوالنا وأفعالنا إنه على ما يشاء قدير.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

162 خطبة الجمعة: صاحب الذكرى لا ينسى فضل أهل الفضل عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الخطبة الماضية:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى

آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رفعه الله درجات على الناس كلهم؟، بل على خاصة الخاصة من الأنبياء والمرسلين، وبيَّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ ـ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ ـ إِلا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلا فَخْرَ) رواه الترمذي.

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استغلَّ هذا الرفع في كَمِّ الأفواه، وهو درس عملي لحكامنا وعلمائنا ومسؤولينا الذين رفعهم الله ـ لا أقول على الناس كلهم بل ـ على شريحة من شرائح المجتمع في أن لا يستغلوا هذا الرفع والقوة في كَمِّ الأفواه ومحو الغير.

لا تنسَ فضل أهل الفضل عليك:

أيها الإخوة الكرام: بعد فتح مكة وغزوة حنين دانت الجزيرة العربية لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغ أعلى درجة في القوة، بلغ إلى ذروتها، في هذه الحالة اعترض بعض الأنصار على تقسيم الفيء بعد غزوة حنين، ووجدوا في أنفسهم وقالوا ما قالوا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم المرفوع على أولي العزم من الرسل، ورسول الله بلغ أعلى درجة من القوة فما كان موقفه صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الأنصار؟

هل ألغى وجودهم بهذا الاعتراض؟ هل سحقهم بسبب هذا الاعتراض؟ هل عاتبهم عتاباً شديداً وقاسياً لصالحه؟ هل أهملهم وازدراهم؟ هل تناساهم وكأنه لا وجود لهم؟ هل تركهم يتمزَّقون من دواخلهم؟ هل وبَّخهم على فعلهم وقولهم واعتراضهم؟

معاذ الله تعالى، إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسى الفضل لأهل الفضل، ولا ينسى الإحسان لأهل الإحسان حتى في ساعة الشدة.

قد لا ينسى الإنسان فضل الآخرين عليه وإحسانهم في ساعة الرخاء، في ساعة الوُدَّ، ولكن هل يستطيع الإنسان أن لا ينسى فضل أهل الفضل وإحسان أهل الإحسان في ساعة الشدة وفي ساعة الغضب، وخاصة إذا كان هو في ذروة القوة؟

أيها الإخوة: إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلِّمنا درساً عملياً في غزوة حنين أن لا ننسى فضل أهل الفضل وإحسان أهل الإحسان في ساعات الشدة، ومهما بلغنا الدرجات العالية من القوة.

لأن الإنسان إذا بلغ الذروة من القوة قد ينسى فضل الآخرين عليه وخاصة إذا صدرت من أحدهم إساءة، انظروا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كيف كان موقفه من الأنصار بعد غزوة حنين عندما قالوا الذي قالوا، لقد تذكر النبي صلى الله عليه وسلم فضل الأنصار وتذكر بيعة الأنصار رضي الله عنهم عندما قال له الأنصار رضي الله عنهم: عَلامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: (تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمْ الْجَنَّةُ).

فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالاً وَإِنَّا قَاطِعُوهَا ـ يَعْنِي الْعُهُودَ ـ فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: (بَلْ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ) رواه الإمام أحمد وغيره.

لقد تذكَّر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البيعة، تذكَّر فضل الأنصار وهو في ذروة القوة فقال لهم في تلك الساعة ـ ساعة الاعتراض عليه ـ كلمات يجب على قادة الأمة ومسؤوليها أن يحفظوها لتكون درساً عملياً لهم.

لقد ذكَّرهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضلهم عليه، فقال لهم بل صراحة ووضوح، لا بالإشارة ولا بالتلويح، وهذا شأن الرجال الذين يحفظون الود لأهل الود والإحسان لأهل الإحسان، فقال لهم صلى الله عليه وسلم: (أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلاً فَأَغْنَيْنَاكَ).

من عنده الجرأة عندما يكون قوياً أن يذكر من كان سبباً في قوته ـ إن أساء إليه ـ أن يذكِّره بفضله عليه؟ هذا لا يكون إلا عند أهل الفضل، لأنه لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه.

كن جريئاً إذا أصبحت قوياً واعترضَ عليك معترض من أهل الفضل عليك أن تذكِّره بفضله عليك، واحذر من أن تسحقه وتنسى فضله، أو أن تهمله.

إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين:

أيها الإخوة الأحبة: إن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم كان يحفظ الود لأهل الود، ويقابل الإحسان بإحسان أعظم، والإكرام بإكرام أفضل.

روى البيهقي عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه قال: (قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم، فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. قال: «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم»).

لقد حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم إكرام النجاشي لأصحابه الكرام

عندما هاجروا إليه إلى الحبشة وأكرمهم النجاشي رضي الله عنه، فقابل هذا الإكرام بإكرام أعظم، حيث قام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخدمتهم بذاته الشريفة، وما رضي صلى الله عليه وسلم أن يقوم بذلك أصحابه الكرام رضي الله عنهم، وهذا من وُدَّه ووفائه لأهل الفضل، جزاه الله تعالى عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

(اللهم جمِّله):

أحبابَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيِّع الإحسان، وما كنا ينكر الجميل والمعروف لإنسان مهما كان الإحسان والجميل دقيقاً.

روى الطبراني وأحمد في مسنده عن عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: (اسْتَسْقَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاءً فَأَتَيْتُهُ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَكَانَتْ فِيهِ شَعَرَةٌ فَأَخَذْتُهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ). قال الراوي: فرأيت عمراً وهو ابن تسعين سنة، وليس في لحيته شعرة بيضاء.

معروف بسيط، أتاه عمرو بكوب من الماء، كانت فيه شعرة فأزالها من الكوب، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء.

من يفعل هذا مع أهل بيته من زوجة أو بنت أو ولد، من يفعل هذا مع من هو أصغر منه سناً ومكانةً؟

(نزع الله عنك ما تكره):

أيها الإخوة الكرام: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يضيِّع إحسان محسن أبداً، روى الطبراني عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَسَقَطَتْ عَلَى لِحْيَتِهِ رِيشَةٌ، فَابْتَدَرَ إِلَيْهِ أَبُو أَيُّوبَ فَأَخَذَهَا مِنْ لِحْيَتِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَزَعَ اللَّهُ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ).

هكذا كان المتبوع مع التابع، هكذا كان المحبوب مع المحبِّ، يحفظ فضل أهل الفضل، وما كان يستغل التابعَ المحبَّ، أين نحن من هذا الخلق العظيم السامي مع التابعين المحبين؟

(أسألك مرافقتك في الجنة):

أيها الإخوة المؤمنون: خادم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له: ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه، يقول كما يروي الإمام مسلم: (كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: سَلْ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ).

وفي رواية الطبراني، قال ربيعة بن كعب: (كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَارِي، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَوَيْتُ إِلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبِتُّ عِنْدَهُ، فَلا أَزَالُ أَسْمَعُهُ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ رَبِّي، حَتَّى أَمَلَّ أَوْ تَغْلِبَنِي عَيْنِي فَأَنَامُ، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: يَا رَبِيعَةُ سَلْنِي فَأُعْطِيَكَ، قُلْتُ: أَنْظِرْنِي حَتَّى أَنْظُرَ، وتَذَكَرْتُ أَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ مُنْقَطِعَةٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَدْعُوَ اللَّهَ أَنْ يُجَنِّبَنِي مِنَ النَّارِ وَيُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قُلْتُ: مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنِّي عَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ فَانِيَةٌ، وَأَنْتَ مِنَ اللَّهِ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ، أَحْبَبْتُ أَنْ تَدْعُوَ اللَّهَ، قَالَ: إِنِّي فَاعِلٌ، فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ).

(لا تنكر المعروف):

أيها الإخوة الكرام: من خلال هذا أتوجَّه إلى كل زوج وإلى كل زوجة، وإلى كل عامل وإلى كل رب عمل، وإلى كل حاكم وإلى كل محكوم، لأقول لهم ولنفسي: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، لا تنكروا معروف بعضكم لبعض.

أولاً: لا تنكر فضل أبوي زوجتك:

أيها الإخوة الكرام: قولوا لكلِّ زوج: لا تنكر فضل أبوي زوجتك عليك، لماذا تمسكنت بداية أمام والدي الزوجة حتى إذا تمكَّنت وحقَّقت ما تريد قابلت الإحسان بالإساءة؟

أيها الزوج: لا تَتَفَرْعَنْ على أبوي زوجتك بعد الزواج، لأن هذا من شأن اللئام وليس من شأن الكرام، أتتفرعن عليهما لأنَّ عِرضهما صار عندك؟ أتتفرعن عليهما لأنك أصبحت أقوى منهما بحيث تهدِّدهما بطلاق ابنتهما؟ الكرام يقابلون الإساءة بالإحسان، واللئام يقابلون الإحسان بالإساءة، فلنكن كرماء.

لا تنس فضل زوجتك وتتعجَّل بطلاقها:

أيها الزوج الكريم: لا تنس فضل زوجتك في ساعة الشدة وتتعجَّل في طلاقها، كن حليماً عليها، كن ذَكوراً لفضلها، هذا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما غضب من نسائه ونزلت آية التخيير بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا}.

انظروا إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ساعة الغضب، وينزل الأمر من الله تعالى في أن يخيِّر نساءه، ماذا فعل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ بدأ بالسيدة عائشة رضي الله عنها فقال لها: (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ) متفق عليه. لماذا في ساعة الغضب من زوجتك تتعجَّل وتنسى فضل زوجتك وتتلفَّظ بكلمة الطلاق، وربما أن يكون الطلاق بالثلاث فتبين منك زوجتك بينونة كبرى فلا تحل لك حتى تتزوج غيرك، هل هذا من الوفاء للزوجة؟ هل هذا من حفظ الوُدِّ لها؟

لا تنس فضل رب العمل:

وأما أنت أيها العامل: لماذا تنسى فضل ربِّ العمل عليك؟ لقد تعاقدت معه

على أجر معلوم، وبقيت معه سنوات طويلة والأمور على أحسن حال، فإذا رأى إنهاء عملك في يوم من الأيام لظرف من الظروف لماذا تنقضُّ عليه انقضاض الإنسان اللئيم على عدوٍّ له؟ لماذا ترفع عليه دعوى طلب تعويض؟ أيُّ تعويض تطالب به ما دمت اتفقت معه على أجر معلوم، ولم يسجل اسمك في التأمينات؟

اعلم بأنك إذا احتكمت لغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذت مالاً غير الذي اتفقت عليه مع صاحب العمل فإنك تأخذ قطعة من النار.

هل رفع الدعوى على ربِّ العمل من الوفاء له بعد إحسانه لك سنوات؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الأحبة: قابلوا الإحسان بالإحسان، ولا تنسوا الفضل بينكم، قابلوا الإكرام بإكرام ولا تنكروا المعروف بينكم، بل تعالوا لنرتفع إلى مستوىً أعلى من ذلك فلنقابل الإساءة بإحسان، ونكران المعروف بمعروف أكبر، ولنجسِّد قول النبي صلى الله عليه وسلم: (صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ) رواه أحمد. تجسيداً عملياً.

اللهم وفِّقنا لذلك يا أرحم الراحمين، أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

163- خطبة الجمعة: هل هذا من الحياء؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن لكلِّ دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء، هكذا يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يروي الإمام مالك رحمه الله تعالى عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

ولما كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خُلُقه القرآن كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن أخلاقة الشريفة، رأينا سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم كلَّها مجبولةً على خلق الحياء.

روى الإمام مسلم عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ).

وكان من شدَّة حيائه صلى الله عليه وسلم لأنه لا يرى من زوجاته رضي الله عنهن عوراتهن، ولا يكشف صلى الله عليه وسلم أمامهنَّ عورته، وفي هذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (ما رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رآه مني) تعني الفرج. رواه أبو يعلى.

ومن حيائه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن فاحشاً ولا متفحِّشاً ولا صخَّاباً في الأسواق، روى الترمذي عن السيدة عائشة رضي الله عها قالت: (لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا وَلا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ).

الحَيِيُّ يخاف من مظاهر النقص:

أيها الإخوة الكرام: الحياء ظاهرة تُعبِّر عن الخوف من الظهور بمظاهر النقص، وتُعبِّر عن عُلوِّ الهمة نحو مظاهر الكمال، لأن الإنسان لا يستحي من الكمال إذا

ظهر منه واتصف بصفاته، وإنما يستحي مما فيه نقص.

ومن المسلَّم فيه عند المؤمن أن الكمالَ هو ما وصفه الشرع بالكمال، والنقصَ ما وصفه الشرع بالنقص، والمنصفُ من الناس إذا كان عاقلاً لا يرى إلا ما يراه الشرع كمالاً أو نقصاً.

المنصفُ من الناس يرى المعروفَ هو عين المعروف الذي حدَّده الشرع، والمنكرَ هو عين المنكر الذي حدَّده الشرع.

العاقل من الناس ـ ولو كان كافراً ـ لا يقول عن شيء أمر به الشرع ليته لم يأمر به، ولا عن شيء نهى الشرع عنه ليته لم ينه عنه.

تلازم الحياء والإيمان:

أيها المؤمنون: إن ظاهرة قلَّة الحياء عند بعض الرجال وبعض النساء بدأت تظهر في المجتمع، وهذا مؤشر خطير لأن الحياء له تلازم تام مع الإيمان، لا ينفك الحياء عن الإيمان، ولا الإيمان عن الحياء، فإذا وُجد الحياء وُجد الإيمان، وإذا وُجد الإيمان وُجد الحياء، والعكس بالعكس إذا فُقد الحياء فُقد الإيمان، وإذا فُقد الإيمان فُقد الحياء.

وهذا ما أكده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر). وفي رواية: (فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر). شعب الإيمان للبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ومن أكرمه الله تعالى بالحياء فقد أكرمه بالإيمان، وهو في الجنة إن شاء الله تعالى، روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْحَيَاءُ مِنْ الإِيمَانِ وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنْ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ).

أيها الإخوة الأحبة: وما دام الحياء والإيمان متلازمين فإن الحياء لا يأتي إلا بخير في الدنيا والآخرة، وإنه لمن العجيب أن يُلامَ الإنسان على الحياء.

جاء الصحيحين عن ابْنِ عُمَرَ رضي اللَّه عنهما أَنَّ رسولَ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رسُولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (دَعْهُ فإِنَّ الحياءَ مِنَ الإِيمانِ). وفي رواية أخرى كذلك في الصحيحين قال: (الْحَيَاءُ لا يَأْتِي إِلا بِخَيْرٍ). فالحياء من الإيمان ولا يأتي إلا بخير. اللهم لا تحرمنا نعمة الحياء.

تحذير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلة الحياء:

أيها الإخوة الكرام: عندما كان الحياء والإيمان متلازمين حذَّر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلة الحياء حفاظاً منه صلى الله عليه وسلم على إيمان العبد، فقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يَسْرِقُ سَارِقٌ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَزْنِي زَانٍ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الشَّارِبُ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ يَعْنِي الْخَمْرَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ وَلا يَنْتَهِبُ أَحَدُكُمْ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ **يَرْفَعُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ أَعْيُنَهُمْ فِيهَا** وَهُوَ حِينَ يَنْتَهِبُهَا مُؤْمِنٌ، وَلا يَغِلُّ أَحَدُكُمْ حِينَ يَغِلُّ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَإِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ). رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إذا فُقد الحياء فُقد الإيمان، وإذا فُقد الإيمان حلَّت الطامة في المجتمع، حيث ينتشر فيه السرقة والزنا وشرب الخمور والنهب والغلول، وعندها لا تنفع موعظة واعظ، ولا إرشاد مرشد، ولا نصيحة ناصح.

مَنْ فَقدَ الحياء فَقدَ الإيمان، ومن فَقدَ الإيمان عاث في المجتمع إفساداً لأنه لا يُحلُّ حلالاً ولا يحرم حراماً، فيصنع ما يشاء بدون قيد ولا ضابط فيصبح هذا العبد وبالاً على المجتمع.

روى البُخَاريُّ عَنْ أبي مسْعُودٍ الأنْصَارِيِّ رضي اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (إنَّ مِمَّا أدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأولَى: إذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنعْ مَا شِئْتَ).

الحَيِيُّ معافى يوم القيامة إن شاء الله تعالى:

أيها الإخوة الكرام: إن الرجل الحَيِيَّ معافى يوم القيامة بإذن الله تعالى، لا لكونه معصوماً لا أبداً، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه. بل لكونه حييَّاً.

هناك فارق كبير بين عاصٍ وعاصٍ، هناك عاصٍ يرتكب المعصية سراً، حياءً من الناس، غيرَ مبرِّر للمعصية وغيرَ معاند، ولكن لضعفه يقع في المعصية ويتوب ويستغفر كلما وقع فيها.

وهناك عاصٍ مستكبرٌ يرتكب المعصية جهاراً نهاراً، لا يستحي من الله تعالى، ولا يستحي من الخلق، يستخفُّ بأوامر الله عز وجل وبأوامر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالأول عاصٍ مستحيٍ، والآخر عاصٍ مستكبر، يقول فيهما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ المجاهرينَ). رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. فالمعافى هو صاحب الحياء الذي إذا وقع في المعصية وقع فيها سراً وبدون إصرار وعناد، ولم يكن قدوة سيئة لغيره.

وغير المعافى هو المجاهر بالمعصية الذي قلَّ حياؤه لقلة إيمانه، فهذا المجاهر المِصِرُّ المعاند يستحقُّ غضب الله تعالى إذا مات على ذلك. لا قدَّر الله تعالى ..

غير المعافى هو الذي يفتخر بمعصيته ويحدث الناس عنها كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وإِنَّ مِن المجاهرةِ أَن يعمَلَ الرَّجُلُ بالليلِ عمَلاً، ثُمَّ يُصْبحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّه عَلَيْهِ فَيَقُولُ: يَا فلانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرهُ ربُّهُ، ويُصْبحُ يَكْشفُ سِتْرَ اللَّه).

المعافى هو صاحب الحياء الذي إذا وقع في المعصية وقع فيها سراً، وإذا وقع فيها تاب وحقَّق شروط التوبة، فهذا عندما سيكلِّمه ربنا عز وجل وعندما يحاسبه فإنه يدنيه من حضرته ويُسدل عليه ستره، لأنه كان حيياً إذا وقع في المعصية وقع فيها سراً، ويُقرِّره ربنا بذنوبه فيُقرُّ بها، كما جاء في الحديث الشريف عن ابن عمَر

رضي اللَّه عنهما قال: سمِعتُ رسولَ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يقول: (يُدْنَى المؤْمِنُ يَومَ القِيَامَةِ مِنُ رَبِّهِ حتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيهِ، فَيُقَرِّرَهُ بِذُنُوبِه، فيقولُ: أَتَعرفُ ذنبَ كَذا؟ أَتَعرفُ ذَنبَ كَذَا ؟ فيقول: رَبِّ أَعْرِفُ، قال: فَإِنِّ قَد سَتَرتُهَا عَلَيكَ فِي الدُّنيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَومَ، فَيُعطَى صَحِيفَةَ حسَنَاته) متفق عليه.

هذا العبد يخرج بعد الحساب . بعد ستر الله تعالى له في الدنيا والآخرة . يخرج إلى أهل المحشر ويقول: {هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه} .

فثمرة الحياء هي المعافاة، وثمرة المجاهرة والعياذ بالله تعالى هي سخط الله تعالى وغضبه عليه إذا مات على ذلك، أجارنا الله من ذلك.

أين خُلُقُ الحياء في الأمة؟

يا عباد الله: إن المسلمين يتابعون احتفالاتهم بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الثاني، وهذا شيء حسن، ولكن السؤال الذي يُطرح: أين خُلُقُ الحياء في الأمة؟ أين خُلُقُ الحياء في كثير من الرجال؟ وأين خُلُقُ الحياء في كثير من النساء؟

أين من يحفظ الرأس وما وعى؟ وأين من يحفظ البطن وما حوى؟ أين من يذكر الموت والبلى؟ لأن الحياء يَتطلَّبُ هذا؟

جاء في الحديث الصحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) رواه الترمذي.

هل هذا من الحياء؟

أيها الإخوة الكرام: هذا فصل الربيع قد أقبل، ومن ورائه فصل الصيف،

ولننظر إلى الواقع المرير الذي تعاني منه الأمة، هل خلق الحياء في الأمة؟

أولاً: انظروا في شباب الأمة:

أين خلق الحياء في أكثر شباب الأمة؟ هل ثياب هؤلاء الشباب الضيِّقة التي تجسِّد العورة من خلق الحياء؟ وإنه لمن العجيب أن ترى هؤلاء الشباب من روَّاد المساجد، ممن يحافظون على الجمعة والجماعة، وإني أتساءل معهم: لماذا هذه الثياب الضيقة، وخاصة أنتم في ريعان الشباب، وكلُّ واحد فيكم كأنه قطعة من قمر، أليست هذه الثياب ثياب فتنة؟

ثياب ضيِّقة جسَّدت العورة والفتنة قائمة والعياذ بالله تعالى، حتى صار الشذوذ عند البعض، فأصبح يقع في جريمة اللواطة، اتقوا الله في أنفسكم وفي غيركم أيها الشباب، وعليكم بالحياء فإن الحياء من الإيمان، وإنه لا يأتي إلا بخير، والإيمان في الجنة.

ثانياً: انظروا في فتيات الأمة:

أين خلق الحياء في فتيات الأمة؟ هل ثيابهنَّ الضيقة التي تجسِّد العورة، أو القصيرة التي ما سترت العورة، أو الرقيقة التي كشفت العورة، هل هذا من خلق الحياء؟

قلَّ حياء بعض النساء فلبست الثياب الضيقة أو القصيرة أو الرقيقة أمام النساء وأمام محارمها، والبعض منهنَّ قلَّ حياؤها أكثر فخرجت بتلك الثياب أمام الرجال الأجانب، هل هذا من خلق الحياء الذي لا يأتي إلا بخير؟

أم هذا من المجاهرة بالمعصية التي تطيح بالإيمان ـ لا قدَّر الله تعالى ـ والتي تحرم المرأة من دخول الجنة، وتحرمها من المعافاة التي أكرم الله بها أهل الحياء؟

تناقض عجيب:

أيها الإخوة الكرام: إنه من التناقض العجيب أن ترى بعض النساء قلَّ حياؤها فلبست الثياب الضيقة أو الرقيقة أو القصيرة أمام محارمها أو أمام الرجال الأجانب،

وتراها صائمة مصلية.

ترى هذه المرأة إذا أرادت الصلاة أسرعت إلى حجاب الصلاة السميك الفضفاض الذي لا يصف العورة ولا يجسِّدها، فتقف بين يدي الله عز وجل بالحجاب الشرعي للصلاة، فإذا ما انتهت من صلاتها نزعت حجاب الصلاة وعادت إلى ما كانت عليه.

هل هذه المرأة تخادع الله تعالى أم تخادع نفسها؟ إن الذي أمرها بالحجاب الشرعي للصلاة هو الذي أمرها بترك التبرج، هو الذي أمرها بالحجاب الشرعي أمام محارمها وأمام الرجال الأجانب، فلماذا التناقض في حياة هؤلاء الفتيات المؤمنات؟

ما هو حديثك مع جلسائك؟

أيها الإخوة الكرام: ليتساءل كلٌّ واحد منا مع نفسه عندما يجالس الآخرين، وكذلك النساء عندما تجالس غيرها من النساء، هل الحديث الذي يدور بين الجلساء هو حديث مكسوٌّ بالحياء؟

لنراقب الله تعالى في أحاديثنا، وليكن عندنا الحياء إذا قلنا، وليكن عندنا الحياء إذا فعلنا، ولنحذر من أحاديث الشهوات وأحاديث النساء في مجالسنا، ولتحذر المرأة من أحاديث الشهوة وأحاديث الرجال في مجالسها.

هل دخول الحمامات من الحياء؟

أيها الإخوة الكرام: إن دخول الحمامات العامة مع كشف العورات هل هو من الحياء الذي جاء به الإسلام، والذي لا يأتي إلا بخير؟

أم هو نوع من أنواع المجاهرة بالمعصية، وصاحبها غير معافى يوم القيامة؟

هل الرياضة تتطلب قلَّة الحياء؟

يا عباد الله: كلُّنا يحب الرياضة من أجل سلامة البدن، والكثير ممن يحافظ على الرياضة من أجل سلامة جسده، لأنه يخاف من زيادة الوزن، يخاف من تصلب الشرايين، يخاف من الأمراض المزمنة.

نعم هذا شيء حسن، ولكن أقول:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته *** أتطلب الربح مما فيه خسران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها *** فأنت بالقلب لا بالجسم إنسان

أيها الحريص على سلامة البدن كن حريصاً على سلامة دينك إذا كنت صادقاً في حرصك على بدنك.

كن صاحب حياء عند ممارسة الرياضة ـ جرياً أو سباحةً، أو على الدراجات الرياضية ـ واعلم بأنَّ الحياء عند العقلاء أهمُّ من سلامة البدن، لأن الرياضة مع قلة الحياء قد تحفظ الجسد، لكنها تذهب بالإيمان، فأيهما أحبُّ إليك؟

رأيت شاباً على دراجة رياضية كشف عورته، ودهن جسده بالزيت، فاستوقفته وقلت له ما هذا؟ فقال: الرياضة تتطلب هذا، فذكَّرته بالله، وقلت له: إن الرياضة لا تتطلب قلَّة الحياء، وإن كشف العورة من قلَّة الحياء، وقلَّة الحياء تذهب بالإيمان لا قدَّر الله تعالى.

أيها الإخوة: الرياضة لا تتطلب قلَّة الحياء مهما كان نوعها وشكلها، لأن الكثير ممن يمارس الرياضة مع حرصه على حيائه الذي يدلُّ على إيمانه، الكثير يمارس الرياضة ـ سباحةً وجرياً وعلى الدراجات الرياضية وما شاكل ذلك ـ وهو حريص كلَّ الحرص على حيائه.

الحياة الزوجية تتطلب الحياء:

أيها الإخوة الأحبة: الحياء لا يأتي إلا بخير لأنه من الإيمان، أما المعصية فمن قلَّة الحياء، فليكن الحياء حيَّاً في الأمة حتى في الحياة الزوجية، لأنَّ قلَّة الحياء قد تدخل على الحياة الزوجية وذلك من خلال المواقع الإباحية ومن خلال أجهزة الإعلام الفاسدة، حيث تُزيِّن لكلٍّ من الزوجين جريمة اللواطة، فيأتي الرجل أهله من دبرها، فهل هذا من الحياء الذي لا يأتي إلا بخير، والذي هو من الإيمان؟ وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا) رواه الإمام أحمد.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الأحبة يا أحباب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: راقبوا الله في أقوالكم، وراقبوا الله تعالى في لباسكم، وراقبوا الله تعالى في أفعالكم، وليكن الحياء رائدَنا.

تفقَّدوا ثيابكم وأقوالكم وأفعالكم أولاً، ثم أبناءكم وبناتكم، لأن قلَّة الحياء تنتشر شيئاً فشيئاً، وكلُّ شيء له ثمن، وثمن قلَّة الحياء انتشار الفاحشة والعياذ بالله تعالى.

تفقَّدوا الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، واذكروا الموت والبلى، وتذكَّروا قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون}.

اللهم لا تسوِّد وجوهنا يوم القيامة، اللهم لا تسوِّد وجوهنا يوم القيامة، واجعل هذا الكلام حجة لنا لا علينا. آمين آمين آمين. اللهم اشهد أني قد بلَّغت ونصحت.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

164- خطبة الجمعة: هل هذا من الحبِّ النافع؟ أم من الحبِّ الأرعن؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

المحبة قسمان: محبة عاقلة نافعة معمِّرة لدنيا المحبوب وآخرته، ومحبة رعناء جاهلة ضارَّة حمقاء مدمِّرة لدنيا المحبوب وآخرته.

المحبة العاقلة النافعة هي التي تريد الخير للمحبوب ولو ذلك يسيئه ويخالف هواه، أما المحبة الرعناء الجاهلة الضارة فهي التي تسعى لإرضاء المحبوب في كل ما يشتهي ويهوى، ولو كان ذلك سيجلب له ولغيره شراً كبيراً، وضراً عظيماً، وعذاباً أليماً في الدنيا والآخرة.

محبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته محبة نافعة:

أيها الإخوة المؤمنون: وما دمنا نعيش في شهر ربيع الثاني عقب شهر ربيع الأول شهر مولد الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنا نقول: بأنَّ محبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأهله ولأمته بشقيها أمة الدعوة وأمة الاستجابة هي المحبة العاقلة النافعة، هي محبة الحريص على من أحب، كما قال تعالى: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم} فهو حريص على هداية الأمة كلِّها بشقيها أمة الدعوة وأمة الاستجابة فضلاً عن أهله وعشيرته.

لقد كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على إنقاذ الجميع من المهالك الدنيوية والأخروية، وهذه هي المحبة النافعة، هذه هي المحبة الصادقة التي نبعت من قلب المحب تجاه المحبوب.

وقد تجسَّد هذا الحب الصادق من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو أمته من خلال هذا الحديث الشريف، عن جابرٍ رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلّم : (مَثَلِي ـ وفي رواية: ومثل أمتي ـ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ

يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا، قَالَ: فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ، هَلُمَّ عَنْ النَّارِ، هَلُمَّ عَنْ النَّارِ، فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا) رواه مسلمٌ.

حرصه صلى الله عليه وسلم على هداية قومه ولو كان ذلك يسيئهم:

أيها الإخوة الكرام: المحبة النافعة أن تُلزم من تحب بما ينفعه في الدنيا والآخرة ولو كان ذلك يسيئه ويزعجه، وهكذا كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، فمن مظاهر رحمته النابعة عن المحبة الصادقة العاقلة النافعة أنه كان يذكِّر قومه ويلحُّ عليهم أن يقولوا كلمة التوحيد، وما ذاك إلا لسلامة دنياهم وآخرتهم، وكان القوم يتضايقون من ذلك، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم صابر على سوء أخلاقهم لأنه صلى الله عليه وسلم صادق في محبتهم وحريص على هدايتهم.

وبلغ من ضيق القوم أنهم كلَّموا عمه أبا طالب في أن يكفَّ عن هذا الأمر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (يَا عَمَّاهُ، والله لَو وَضَعُوا الشَّمْسَ في يَمِينِّي وَالقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أنْ أَتْرُكَ هذا الأمْرَ) أَمْرَ التبليغ أَمْرَ الهداية أَمْرَ النصح (مَا تَرَكْتُه حتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أو أهْلَكَ فِيه) رواه البيهقي في دلائل النبوة.

وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم لعمه بأنه يريد لهم خيري الدنيا والآخرة، وكل هذا من صدق محبته لقومه ومن حرصه عليهم فقال له: (يا عم أريدهم على كلمة يدين لهم العرب وتؤدى إليهم العجم الجزية، قال: ما هي؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، فقاموا وقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً) رواه البيهقي. هذا لدنياهم، أما لآخرتهم فبيَّنها صلى الله عليه وسلم بقوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ تُفْلِحُوا) رواه أحمد.

إرشاد الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

أيها الإخوة الأحبة: لقد بلغت محبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه وأهله وعشيرته الذروة، وتملكت قلبه الشريف حتى جعلته يتحرَّق ألماً عليهم

لأنَّهم رفضوا الاستجابة له صلى الله عليه وسلم، وهو يعلم أنَّ إسلامهم هو سبيل سعادتهم دنيا وأخرى، وأن عنادهم وإصرارهم على الكفر هو سبيل شقاوتهم الأبدية، فكان صلى الله عليه وسلم مثله كمثل الأب الرحيم العاقل إذ يرى ولده الذي يحبه ويريد له الخير يقذف نفسه في المهالك الدنيوية والأخروية.

ولما زادت هذه المشاعر الكريمة النابعة من أخلاقه صلى الله عليه وسلم ومن صدق محبته لقومه، أرشده الله تعالى إلى التخفيف منها حتى لا تؤثر عليه صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: {فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُون}. وقال له: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}.

هكذا تكون المحبة النافعة العاقلة:

أيها الإخوة الكرام: إن المحبة النافعة الصادقة تدفع المحب نحو محبوبه اندفاع غيرة وشفقة وحرص، والمحب الصادق لا يمشي مع محبوبه في مخالفة بل ربما يقسو عليه.

هذا حبيبنا صلى الله عليه وسلم الذي أحب أهله الكرام المحبة النافعة الصادقة الكاملة يتخذ موقفاً من السيدة عائشة رضي الله عنها عندما ذكرت السيدة صفية رضي الله عنها، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (بعَثَتْ صَفِيَّةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَعَامٍ قَدْ صَنَعَتْهُ لَهُ وَهُوَ عِنْدِي، فَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَارِيَةَ أَخَذَتْنِي رِعْدَةٌ، حَتَّى اسْتَقَلَّنِي أَفْكَلُ فَضَرَبْتُ الْقَصْعَةَ فَرَمَيْتُ بِهَا، قَالَتْ: فَنَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَرَفْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَلْعَنَنِي الْيَوْمَ، قَالَتْ: قَالَ: أَوْلَى، قَالَتْ: قُلْتُ: وَمَا كَفَّارَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: طَعَامٌ كَطَعَامِهَا وَإِنَاءٌ كَإِنَائِهَا) رواه الإمام أحمد.

لقد علَّم النبي صلى الله عليه وسلم البشرية جمعاء بأن صدق المحبة للمحبوب أن تمنعه مما يضره في الدنيا والآخرة، وتجسَّد هذا الأمر من خلال حديث المرأة

المخزومية التي سرقت في عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (أن قَرَيشاً أَهَمَّهُمْ شَأنُ المرأَةِ المخزومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ ، فقالوا : مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا : مَنْ يَجْتَرِئ عَلَيْهِ إلا أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟) سيدنا أسامة حبيب وابن حبيب، غالٍ وابن غالٍ عند سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، (فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ). نظر المحب إلى المحبوب، ونظر المحبوب إلى المحب وقال له: (أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله)؟ ولم يكتفِ بذلك النبي صلى الله عليه وسلم (ثُمَّ قامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إنَّمَا أهْلَك مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ). وهذه هي المحبة الحمقاء الرعناء الضارَّة التي تجرُّ الوبال على نفس المحبوب الذي انساق خلف شهواته ليصبح عضواً فاسداً في المجتمع، مع ضياع مستقبله في الآخرة، (وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ الله، لَوْ أَنَّ فَاطمَةَ بِنْتَ مُحمّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعتُ يَدَهَا). إنَّ بغضهم للضعيف وعدمَ محبتهم له جعلت من الضعيف مستقيماً، وربما بذلك سَلِمَ على دنياه وآخرتِه، أما محبتهم الحمقاء لمن أحبوه فكانت سبباً لدمار من أحبوه دنيا وأخرى.

ما نوع محبتك لولدك؟

أيها الإخوة الكرام: من خلال ما تقدَّم أتوجَّه إلى كلِّ أب وأم، إلى كلِّ زوج، إلى من أكرمه الله تعالى بنسمة، إلى من أكرمه الله تعالى بذرية، لِأقول له: ما نوع محبتك لولدك؟

هل محبة الوالدين لأبنائهما هي محبة عاقلة نافعة معمِّرة لدنياهم وآخرتهم؟ أم هي محبة رعناء ضارة جاهلة مؤذية مدمِّرة لدنياهم وآخرتهم؟

الملاحظ أيها الإخوة الكرام: أن محبة الكثير من الآباء والأمهات لأبنائهم هي محبة رعناء جاهلة مدمرة، لأن مظاهر الفساد التي نراها في شبابنا وشاباتنا ما هي إلا ثمرة من ثمار ما نقول.

شراء الهاتف النقَّال للأبناء:

أيها الإخوة الكرام: اسمحوا لي أن أقول لكم: إن شراء الهاتف النقَّال للأبناء إن كانوا في المرحلة الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية لا أراه إلا من الحبِّ الأرعن.

لأننا جميعاً نعلم بأن هذا الجهاز سلاح ذو حدين، يُستخدم في الخير ويستخدم في الشر، وإن استخدامه عند الكثير من الشباب المراهقين في الغالب الأعمِّ استخدام في الشر.

وإذا أردتم مصداق هذا الكلام أقول لكم: سلوا مدراء المدارس في المراحل الثلاث، وسلوا المدرسين ماذا يشاهدون على الجوالات عند هؤلاء الشباب؟ والله شيء يندى له جبين الأحرار.

زوروا المحلات التي تباع فيها الجوالات وتنزَّل عليها البرامج والنغمات والصور وسلوا أصحابها ما هي طلبات الشباب والشابات من تنزيل صور ومقاطع فيديو؟

أيها الإخوة الكرام: إن مرحلة المراهقة هي من أخطر المراحل التي يمرُّ فيها شبابنا وشاباتنا، فلا تنقادوا وراء الحب العاطفي المدمِّر في شراء الهواتف النقَّالة.

الكل يعلم إلى أي شيء يُوجَّه شبابنا وشاباتنا وذلك من خلال القنوات الفضائية ومن خلال أجهزة الإعلام، والكلُّ يعلم أن الكثير من الآباء مشغولون بتجاراتهم عن أبنائهم، والكثير من الأمهات مشغولات عن أبنائهم بزياراتهنَّ أو بعملهنَّ أو بأنفسهنَّ.

تناقض عند بعض الآباء والأمهات:

أيها الإخوة الكرام: والشيء العجيب أن ترى بعض الآباء والأمهات في حالة تناقض في محبتهم لأبنائهم، إذا دخل الأبناء سنَّ التكليف وطلبوا من آبائهم الزواج جاء الرفض مباشرة وبدون توقف مع الحزم على أن لا يفتح هذا الموضوع مرة ثانية، لأنه لا زواج إلا بعد إتمام الدراسة الجامعية ثم مرحلة التخصص، ثم مرحلة الخدمة الإلزامية، ثم تأمين السكن، ثم، ثم، ....

لا أدري أيها الإخوة: هل هذا الموقف تجاه الأبناء في هذا الحال من الحب الصادق النافع أم من الحبِّ الأرعن؟

ولكن إذا طلب الولد أو طلبت البنت الهاتف النقَّال مع العلم بخطورته فإن تنفيذ الطلب لا يستغرق دقائق، ما هذا التناقض العجيب؟

حجاب الفتيات المراهقات:

أيها الإخوة: إن من صور الحب الأرعن الأحمق أن يهمل الآباء حجاب البنات وخاصة إذا صارت قريبة من سن التكليف.

كم اختلف الرجال مع نسائهم حول هذا الموضوع؟ الأم مُصِرَّة على عدم حجاب ابنتها لأنها صغيرة، دخلت المرحلة الإعدادية ما زالت صغيرة، دخلت المرحلة الثانوية ما زالت صغيرة، ولما اشتدَّ عودها وطلب منها الأبوان الحجاب اعتذرت الفتاة وقالت: إن لا أحب الحجاب، إني لن أتحجب حتى أقتنع بالحجاب، من المسؤول عن هذا؟

إن الحب الصادق النافع أن تدرِّب أولادك منذ نعومة أظفارهم على الالتزام بأوامر الله عز وجل، كما قال عليه الصلاة والسلام: (وشاب نشأ في طاعة الله) رواه البخاري ومسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: (مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب رضي الله عنه.

حفلات الأعراس:

أيها الإخوة الكرام: إن من صور الحب الأرعن الأحمق أن يسمح الرجل لبناته ونسائه بالذهاب إلى حفلات الأعراس حيث الغناء والموسيقا وكشف العورات ودخول العريس على عروسه مع وجود التصوير على أجهزة الهواتف النقَّالة، وكم من كارثة حلَّت من وراء هذه الأعراس؟

أين الحب العاقل النافع في حفلات الأعراس حيث نؤسِّس الحياة الزوجية على

أساس من الكتاب والسنة والانضباط بضوابط الشريعة؟

هل الإذن بدخول الرجل ليلة زفافه على عروسه في حفل النساء من الحب النافع العاقل أم من الحب الأرعن؟ والنبي صلى الله عليه وسلم: (إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ) رواه البخاري عن عقبة بن عامر رضي الله عنه. والله تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}.

سفر المرأة بدون محرم:

أيها الإخوة الكرام: من صور الحب الأرعن الأحمق أن يأذن الرجل لنسائه ومحارمه بالسفر بدون محرم، وخاصة هذا الصيف قد أقبل والرحلات المدرسية والجامعية قد أقبلت معه.

رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحذِّر من سفر المرأة بدون محرم أو زوج فيقول: (لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ ثَلاثِ لَيَالٍ إِلا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ) رواه البخاري عن عبد الله بن عمر. وكلُّ ذلك من الحب الصادق النافع الحريص على أعراضنا، والبعض يأذن بالسفر لنسائه ومحارمه بدون محرم، والاختلاط قائم بين الرجال والنساء، والفتن منتشرة، والجوالات بما تحتويه كافية للغواية والعياذ بالله تعالى.

من الحب الصادق النافع أن لا تأذن لنسائك ولا لمحارمك بالسفر بدون محرم أو زوج ولو للحج والعمرة، وبكلِّ أسف حتى رأينا السفارة السعودية تأذن بالسفر للديار المقدسة بدون محرم، لأن الغرب وأمريكا هكذا يريدون لنسائنا أن تسافر بدون محرم.

وإن سافرت إلى الحج بدون محرم أو زوج مع وجود فتوى تجيز لها ذلك وسَّعت المرأة دائرة هذه الفتوى وأخذت تسافر شرقاً وغرباً قياساً على هذه الفتوى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: علينا بالحب العاقل النافع المفيد المعمِّر لأبنائنا، وإياكم من الحب الأرعن الضار المدمِّر لأبنائنا دنيا وأخرى، وذلك من خلال قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}.

وهذا ما أحب الله تعالى لنا، وذلك من خلال قوله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ}. ومن خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ليكن حبُّنا لفروعنا وأزواجنا حباً نافعاً عاقلاً لا أرعن حتى لا نفر منهم يوم القيامة، قال تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّهِ وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه}. كل هذا بسبب الحب الأرعن الضار المدمِّر، أما الحب النافع العاقل المعمِّر فهو الذي يجمعنا يوم القيامة في جنات عدن، قال تعالى: { أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالملاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَاب * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار}.

عليكم أيها الشباب بالصبر والمصابرة وخاصة في أيام المراهقة، واحذروا الجوالات والمخالفات الشرعية، عليكم بالصبر والمصابرة أمام هذه المغريات، لأنها والله ما تريد منكم إلا الضلال بعد الهدى.

عليكم أيها الآباء والأمهات بالصبر والمصابرة حيال أبنائكم في توجيههم إلى جادة الصواب بالحكمة والموعظة الحسنة.

اللهم أكرمنا بذلك واحفظنا وأصولنا وفروعنا. آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

165- خطبة الجمعة: رسالة شكر وبشائر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن من أجلِّ النعم وأعظمها أن جعلنا الله تعالى من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أن جعلنا من أهل القرآن العظيم الذين قال فيهم مولانا عز وجل: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}. فلله الحمد والشكر أن جعلنا من المصطفَيْن الذين ورثوا هذا القرآن العظيم عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونسأل الله تعالى أن يثبِّتنا على ديننا وإيماننا وأن يزيدنا من فضله.

الحمد لله الذي جعلنا من أهل القرآن الذي هو حبل الله المتين، الذي جمع الله عز وجل به شمل هذه الأمة فجعلهم أخوة من خلال إيمانهم بالقرآن العظيم، كما قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}.

تعميق الوحدة بين المؤمنين:

أيها الإخوة المؤمنون: لقد جاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعميق الوحدة بين الإخوة المؤمنين ليكونوا كالبنيان يشدُّ بعضهم بعضاً، كما يروي ذلك الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا).

وكما جاء في الحديث المتفق عليه عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ

وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى).

وكما جاء في صحيح مسلم عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ).

أيها الإخوة المؤمنون: لقد جاء الإسلام ليجعلنا كالبنيان الذي يشدُّ بعضه بعضاً فلا يمكن لأحد خرقه، جاء الإسلام ليجعلنا كالجسد الواحد، الجميع يفرحون لفرح أخيهم، ويحزنون لحزن أخيهم، الجميع يحسُّ بآلام ولذَّات الجميع، جاء الإسلام ليجعل الأمة كلها كرجل واحد كما قال صلى الله عليه وسلم.

من لم يشكر الناس لم يشكر الله:

أيها الإخوة الكرام: من خلال هذه المقدمة، ومن خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أتوجَّه بالشكر لأهل هذه البلدة الأوفياء، لأهل هذه البلدة الخُلَّص، وإلى كلِّ أخ كريم من غير هذه البلدة ممن شاركنا في عزائنا في مصابنا، أشكر أهل هذه البلدة عامة، وكلَّ أخ خاصة من أهل هذه البلدة ومن غيرها على ما تفضَّلوا به علينا في العزاء، ولله الحمد والمنة بأنَّ الرابط بيني وبين أهل هذه البلدة وبين كلِّ أخ كريم من غير أهل هذه البلدة هو رابط الحب في الله تعالى، لأنني ما اجتمعت مع أهل هذه البلدة الكرام الأوفياء ولا مع غيرهم من إخواني وأحبائي من غير هذه البلدة على رَحِمٍ بيننا، ولا على تجارة نتعاطاها، إنَّ الذي جمع بيني وبينهم إنما هو الحب في الله تعالى، وإني أرجو الله تبارك وتعالى أن يجمعني وإياكم يا أهل هذه البلدة ويا سائر الإخوة الأحبة تحت لواء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، وأن نشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً، وأن يحشرنا جميعاً في

الفردوس الأعلى مكتوب على جباهنا المتحابون فيَّ . اللهم آمين.

بشائر من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أيها الإخوة الكرام: بعد الشكر لكم ولكلِّ أخ كريم شاركنا في عزائنا ولكلِّ مسلم، أزفُّ إليكم هذه البشائر من جناب المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لتكن لنا نبراساً نسير من خلاله في حياتنا الاجتماعية لنكون كالجسد الواحد وكالبنيان المرصوص، ولنكون كرجل واحد.

أولاً: بشائر للمغسِّل والمكفِّن ولحافر القبر:

أيها الإخوة الأحبة: أولاً أتوجه إلى كلِّ أخٍ كريم مغسِّلٍ للموتى من الرجال والنساء، وإلى كلِّ مُكفِّنٍ للموتى من الرجال والنساء، وإلى حافر قبر لميِّت من الرجال والنساء. ولا شك بأنَّ أهلي هي من جملة الموتى، وليست هي الوحيدة رحمها الله تعالى، آنسها الله، وسائرَ موتى المسلمين، ونحن سائرون على هذا الطريق ونرجو الله جميعاً حسن الختام. أقول لكل مغسِّلٍ ومُكفِّنٍ وحافر قبر: اسمع هذه البشائر من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١. روى الطبراني عن أَبِي رَافِعٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا، فَكَتَمَ عَلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ أَرْبَعِينَ كَبِيرَةً، وَمَنْ حَفَرَ لأَخِيهِ قَبْرًا حَتَّى يَجُنَّهُ فَكَأَنَّمَا أَسْكَنَهُ مَسْكَنًا مَرَّةً حَتَّى يُبْعَثَ).

٢. وروى الحاكم عن أبي رافع رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من غسل ميتاً فكتم عليه غُفر له أربعين مرة) يعني أربعين كبيرة من الكبائر (ومن كفَّن ميِّتاً كساه الله من سندس وإستبرق الجنة، ومن حفر لميِّتٍ قبراً وأَجنَّهُ فيه أُجرِيَ له من الأجر كأجر مسكن إلى يوم القيامة).

يا رب لك الحمد على ما شرعت، يا رب لك الحمد على نعمة هذا الدين الذي علَّمنا أن نحترم الإنسان حيَّاً وميِّتاً، ذكراً وأنثى، كبيراً وصغيراً، فلك الحمد يا رب على ذلك.

هنيئاً لك أيها المغسِّل والمغسِّلة لموتى المسلمين، فبكلِّ تغسيل ميِّت يكفِّر الله عنكم أربعين كبيرة من الكبائر إن وُجدت لا قدَّر الله تعالى، وهنيئاً لك أيها المكفِّن وأيتها المكفِّنة حيث سَتُكْسَوْن يوم القيامة إن شاء الله تعالى من سندس وإستبرق. أي الحرير الناعم والخشن. يوم القيامة.

أما أنت يا حافر القبور فهنيئاً لك إن شاء الله تعالى، لأنَّك كلَّما حفرت قبراً وسترت فيه ميِّتاً كتب الله لك من الأجر كأنَّما أسكنت إنساناً مسكناً في الحياة الدنيا إلى يوم القيامة.

أيُّها الإخوة الكرام: كم لهم من الفضل علينا هؤلاء الكرام من مُغسِّلين ومُكفِّنين وحافرين للقبور؟ إيَّاكم ثم إيَّاكم أن تنظروا إلى هؤلاء بغير نظرة الاحترام والتقدير، لأن الكل بحاجة إليهم، الجميع كبيرنا وصغيرنا، حاكمنا ومحكومنا، قويُّنا وضعيفنا، بحاجة إلى المغسِّل والمكفِّن وحافر القبر.

فجزاكم الله تعالى عنا خير الجزاء يا مغسلي الموتى، ويا مكفنيهم، ويا حافري القبور، ونسأل الله تعالى أن تكون قبورنا روضة من رياض الجنة. آمين.

ثانياً: بشائر للمشيِّعين والمصلين على الجنائز:

أيها الإخوة الكرام الأحبة: ثانياً أتوجَّه إلى كلِّ أخ كريم شيَّع أهل بيتي وصلَّى عليها، وإلى كلِّ من يشيِّع جنازة ويصلِّي عليها، لأنه كما قلت: إنَّ أهلي ليست هي أوَّل من مات، وليست هي آخر من مات.

أيُّها المشيع والمصلي على الجنازة اسمع هذه البشائر من الصادق المصدوق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

١. أخرج الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ). وفي رواية مسلم: (أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ).

٢. ويروي الإمام البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رسول اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قال : (من اتَّبعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إيمَاناً واحْتِسَاباً، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّي عَلَيها ويَفْرُغَ من دَفنِها، فَإِنَّهُ يَرْجعُ مِنَ الأَجرِ بقِيراطَين كُلُّ قيرَاط مِثلُ أُحُدٍ، ومَنْ صَلَّى عَلَيهَا ثم رَجَعَ قبل أَن تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يرجعُ بقِيرَاط).

أيها الإخوة الكرام الأحبة: يا من شيَّعتم أهل بيتي وصلَّيتم عليها إيماناً واحتساباً . إيماناً بأن الموت حقٌّ والصلاة على الموتى حقٌّ، واحتساباً أي تطلبون الأجر من الله تعالى . أسأل الله تعالى العلي القدير أن يكتب لكم من الأجر قيراطين كل واحد منهما كجبل أحد، وأن يكون ذلك في ميزان حسناتكم المقبولة عند الله عز وجل.

٣. روى الإمام مسلم عن عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ كَانَ قَاعِدًا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ إِذْ طَلَعَ خَبَّابٌ صَاحِبُ الْمَقْصُورَةِ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَلا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا وَصَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ تَبِعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ، كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ مِنْ أَجْرٍ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ كَانَ لَهُ مِنْ الأَجْرِ مِثْلُ أُحُدٍ).

فَأَرْسَلَ ابْنُ عُمَرَ خَبَّابًا إِلَى عَائِشَةَ يَسْأَلُهَا عَنْ قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فَيُخْبِرُهُ مَا قَالَتْ، وَأَخَذَ ابْنُ عُمَرَ قَبْضَةً مِنْ حَصْبَاءِ الْمَسْجِدِ يُقَلِّبُهَا فِي يَدِهِ، حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ فَقَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: صَدَقَ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَضَرَبَ ابْنُ عُمَرَ بِالْحَصَى الَّذِي كَانَ فِي يَدِهِ الأَرْضَ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ فَرَّطْنَا فِي قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ.

أيها الإخوة الكرام: فلنحافظ على أجر تشييع الموتى والصلاة عليهم على قدر الاستطاعة طمعاً في هذا الأجر العظيم، وتحقيقاً للترابط الاجتماعي فيما بين بعضنا البعض.

ثالثاً: بشائر للمعزِّين:

أيها الإخوة الكرام الأحبة: هناك من تعذَّر عليه تشييع الجنازة والصلاة عليها ولكنَّه شارك في العزاء، فأقول لكل من عزَّانا في مصابنا ولكل من يعزي مصاباً في مصابه. وكما قلت وأؤكد بأنَّ أهلي رحمها الله تعالى ليست هي الميِّتة الوحيدة فقط بل هي من جملة الموتى. فيا أيُّها المعزي أخاه في مصابه، ويا أيَّتها المعزية أختها في مصابها، اسمعوا بشارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١. أخرج الإمام الترمذي في سننه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ عَزَّى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ).

٢. وأخرج ابن ماجه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ إلا كَسَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

أيها الإخوة الكرام: كلُّنا يعلم أجر المصاب عند الله عز وجل إذا صبر على مصيبته، وذلك من خلال قوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعون * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون}.

فالصابر على مصيبته أجره عند الله تعالى بغير حساب، كما قال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَاب}. أجره عند الله تعالى: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون}. صلوات ورحمة وهداية وأجر بغير حساب لمن صبر على مصابه، فإذا عزَّى أحدٌ أخاه في مصابه كُتِبَ الله له من الأجر مثل ما كُتِبَ لصاحب المصاب من الأجر.

وإني أسأل الله تعالى أن يجعلني وإيَّاكم من الشاكرين عند الرخاء، ومن الصابرين عند البلاء، ومن الراضين بِمُرِّ القضاء، وأن يكتب لنا أجر الصابرين، ومثل ذلك لكلِّ من عزَّانا في مصابنا ولكلِّ من عزَّى مصاباً في مصابه.

حمد وشكر وثناء:

أيها الإخوة المؤمنون: إني أتوجه إلى الله تبارك تعالى أولاً بالحمد والثناء لأنَّه تبارك وتعالى هو صاحب النعمة، هو القائل: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ}.

فأقول متوجِّهاً إلى الله تعالى: يا رب لك الحمد بجميع محامدك كلِّها ما علمت منها وما لم أعلم، على جميع نعمك كلِّها ما علمت منها وما لم أعلم، يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، يا رب لك الحمد على السرَّاء، ولك الحمد على الضرَّاء، يا رب اجعلني والحاضرين وكل أحبابي والمسلمين من الشاكرين عند الرخاء، ومن الصابرين عند البلاء، ومن الراضين بِمُرِّ القضاء.

وإني أتوجه من هذا المكان الطاهر المبارك إلى سيدي وحبيبي وقرَّة عيني سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقول:

يا سيدي يا رسول الله جزاك الله تعالى عنا وعن الأمة خير ما جزى نبياً عن أمته وعن أتباعه وعن أصحابه، ونسأل الله تعالى أن يحيينا على سنتك وأن يميتنا على ملَّتك، وأن يجعلنا في شفاعتك يوم القيامة.

سيدي يا رسول الله، لقد قال الله تعالى لنا في كتابه العظيم: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا}. وإني يا سيدي يا رسول الله أستغفر الله تعالى من ذنبي، وأستغفر الله لزوجتي وأهل بيتي، وأستغفر الله تعالى لكلِّ صاحب فضَّل عليَّ وعلى أهل بيتي، ولكلِّ من شاركني في مصابي، فاستغفر لنا يا سيدي يا رسول الله عند ربك، فجزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، بأبي وأمي أنت يا سيدي يا رسول الله.

وأخيراً أتوجَّه لأهل هذه البلدة ولكلِّ من شاركنا في مصابنا.

أقول لكم ولهم جميعاً باسمي وباسم عائلتي وعائلة زوجتي: جزاكم الله تعالى عنا خير ما جزى أخاً عن أخيه، ونفوِّض أمركم إلى الله تعالى، لأنا عاجزون عن ردِّ

الجميل إليكم، ويقول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صنَع إِلَيْكُمْ معْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ به، فَادَعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ) رواهُ أَبُو داود عَن ابْن عُمَرَ رضِيَ اللَّه عنْهُما.

فأسأل الله تعالى لي ولكم جميعاً سعادة الدنيا والآخرة وأن يجزيكم عنا خير الجزاء، وأن يجعل قبر أهلي وقبور أمواتنا جميعاً وقبورنا روضة من رياض الجنة لا حفرة من حفر النيران. آمين آمين آمين.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة الكرام: قبل الدعاء أدعوكم للعودة إلى تلاوة القرآن الكريم أيام العزاء، بغضِّ النظر عن وصول ثواب التلاوة للمتوفى أم لا، وذلك من أجل إملاء الفراغ في طاعة الله عز وجل، استغلوا وقت الفراغ في تلاوة القرآن الكريم، لأن أجر التلاوة عظيم، روى الترمذي عن ابن مسعودٍ رضيَ اللَّه عنهُ قالَ: قال رسولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (منْ قرأَ حرْفاً مِنْ كتاب اللَّهِ فلَهُ حسنَةٌ، والحسنَةُ بِعشرِ أَمْثَالِهَا لا أَقول: الم حَرفٌ، وَلكِن: أَلِفٌ حرْفٌ، ولامٌ حرْفٌ ، ومِيَمٌ حرْفٌ).

وبعد التلاوة فمن شاء أهدى ثواب التلاوة للمتوفى ومن شاء فلا، وعلى كلِّ حال إذا كانت التلاوة بسبب المتوفى فالرجاء من الله تعالى أن يجعل له من الأجر مثل أجر التالي.

أيها الإخوة أنفاس أعمارنا جوهرة لا عوض عنها، فلا تضيِّعوا وقت العزاء بدون فائدة، املؤوا هذا الوقت بتلاوة القرآن الكريم، أو بالصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بالذكر والتسبيح، حتى تجدوا ذلك في صحائف أعمالكم يوم القيامة. اللهم وفِّقنا لذلك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لحيِّنا وميِّتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفَّيته منا فتوفَّه على الإيمان.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

166-خطبة الجمعة: من مواقف أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الّله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

موقف من شخصية الفاروق سيدنا عمر رضي الله عنه سجَّله التاريخ له، أسوقه لكم ليكون نبراساً لنا، وليأخذ كل واحد منا حظه من هذا الموقف، وخاصة وقد ورد في الحديث الشريف: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ الْهَادِينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ) رواه الترمذي عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْباضِ بْنِ سَارِيَة رضي اللَّه عنه.

أسوق هذا الموقف لمن أراد أن يسير سير الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، لمن كان حريصاً على رضا الله تعالى، لمن أراد أن يلحقه الله تعالى بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم مولانا عز وجل: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم}. لمن أراد أن يُحشر مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

من خاف الموت خشي الفوت:

أيها الإخوة الكرام: مرَّ سيدنا عمر رضي الله عنه أيام خلافته على السيدة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها والناس معه على حمار فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت: (هيهاً يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تروِّع الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سُمِّيت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سُمِّيت أمير المؤمنين! فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت)، وهو واقف يسمع كلامها.

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز؟ فقال: ويلك تدري من هي؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها: {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله}. [المجادلة: ١]. والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ثم أرجع إليها.

فقال لها رجل: قد أكثرتِ أيتها المرأة على أمير المؤمنين. فقال عمر: دعها، أما تعرفها؟ فهذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فعمر والله أحقُّ أن يسمع لها.

أوردها الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب، والحافظ ابن حجر في الإصابة.

الفوائد من هذا الموقف:

أيها الإخوة الكرام: هذا موقف سجَّله التاريخ لسيدنا عمر رضي الله عنه، وهو محفوظ له عند الله تعالى القائل: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}.

هذا أثر من آثار سيدنا عمر رضي الله عنه يستفيد منه كل عاقل وعلى كل مستويات الناس، يستفيد منه الحاكم والمحكوم، القوي والضعيف، وخاصة من كان حريصاً على آخرته.

الفائدة الأولى هي خُلُقُ التواضع:

أيها الإخوة الكرام: الفائدة الأولى التي نستفيدها من هذا الموقف هي خلق التواضع الذي نحن بأمسِّ الحاجة إليه، لأن صفة الاستكبار ليست من شأن العقلاء، بأي شيء يتكبَّر الإنسان؟ النعمة التي يتكبَّر بها الإنسان هي نعمة مؤقتة إلى الزوال نهايتُها، وهذه النعمة مصدرها الله تعالى، فجدير بالإنسان أن يستحي من الله تعالى فلا يترفع على أحد من الخلق.

سيدنا عمر رضي الله عنه مع جلالة قدره وعلوِّ منزلته كان يركب الحمار، ويوقفه الصغير والكبير، الرجال والنساء وهو أمير المؤمنين، وهو المبشَّر بالجنة، وهو الذي جعل الله الحق في قلبه وعلى لسانه، وهو الذي إذا رآه الشيطان سالكاً فجاً سلك فجاً غيره.

قال صلى الله عليه وسلم: (أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ...) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وقال صلى الله عليه وسلم: (إِيهًا يَا بْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ) رواه البخاري ومسلم.

مع علوِّ قدره، ركب الحمار، ووقف مع هذه المرأة العجوز يسمع لقولها، فأين نحن من هذا الخلق السامي؟

ثانياً: أن يكون لك ناصحٌ مذكِّر:

الفائدة الثانية التي نستفيدها من هذا الموقف هي البحث عن الأخ الناصح المذكِّر لنا إن شردنا أو إن نسينا أو وقعنا في الخطأ.

ليسأل كل واحد منا نفسه: هل له ناصح مذكِّر له؟ هل يجترئ أحد على نصحه؟ لأن عنوان سعادتك أن تجد ناصحاً لك ومذكِّراً بدون خوف منك، ومن حُرِمَ الناصح لا قدَّر الله تعالى فهذا عنوان شقاوته في الدنيا والآخرة إذا لم يتدارك

نفسه لا قدَّر الله تعالى.

ابحث عن الأخ الناصح الذي يخلِّصك من عيوبك، ورحم الله تعالى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان يقول: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي. رواه الدارمي.

فإن وجدت الناصح لك فكن حريصاً عليه، ولا تكن حريصاً على المادح، لأن المادح يقصم الظهر من حيث يدري ومن حيث لا يدري.

داؤنا اليوم المدح الممزوج بالكذب والنفاق، ودواؤنا النصح لبعضنا البعض، وأن لا تأخذنا في الله لومة لائمة، وقد جاء في الحديث عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) رواه مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه.

فمن كان حريصاً على دينه ودنياه وآخرته فليبحث عن الناصح وليلقِ له السمع، هذا خير له من المدح الذي يقصم الظهور.

هذا سيدنا عمر رضي الله عنه مع شدة قربه من الله تعالى، ومع وقوفه عند حدود الله تعالى، ومع التزامه بكتاب الله وهدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، تذكِّره هذه المرأة العجوز رضي الله عنها، وتقول له: اتق الله يا عمر.

وهو التقي رضي الله عنه، وهذا من باب قول الله تعالى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ}. وهو صلى الله عليه وسلم سيد الأتقياء.

سل نفسك ولأسأل نفسي: هل يجترئ أحد أن يقول لواحد منا: اتق الله، وخاصة إذا رآه مقيماً على معصية الله عز وجل؟ أم يخشى بعضنا البعض لأنه قد تأخذ البعض العزَّة بالإثم، كما قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَاد}.

اللهم لا تحرمنا الأخ الناصح الشفوق الرحيم يا رب العالمين.

ثالثاً: أن تكون حريصاً على وقتك:

أيها الإخوة الكرام: الفائدة الثالثة التي تستفيدها من هذا الموقف هي حرصنا على الوقت، لأن الوقت كالإناء الذي نجعل فيه زادنا إلى الآخرة.

من منا حريص على وقته؟ من منا حريص على أنفاس عمره ألا تمر عليه لحظة إلا وهو في طاعة الله عز وجل؟ لأن هذا العمر سوف نسأل عنه يوم القيامة كما جاء في الحديث الشريف: (لا تَزُولُ قَدمَا عبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيم فَعَلَ فِيهِ، وعَنْ مالِهِ منْ أَيْنَ اكْتَسبهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَن جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ). رواه الترمذي عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه.

أنفاس العمر جوهرة لا عوض عنها، وهي أنفاس معدودة ولا بدَّ للمعدود من نهاية، فهل نستغلُّ هذا العمر في طاعة الله عز وجل قبل أن يفوت الأوان، وأن نكون ممن اغتنم هذا العمر في الإقبال على الله تعالى، وذلك من خلال نصح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

اعتقادنا جميعاً بأن الموت يعمُّنا ولكن أين الحريص على وقته؟

أين الذي يستغل هذا الوقت قبل حلول الأجل المخفي عنا؟ أين الذي يسابق بالخيرات؟ أين الذي يسمع قول الله تعالى في الحديث القدسي: (إنَّ اللَّه تعالى قال: ما تقرَّبَ إِلَيَ عبْدِي بِشْيءٍ أَحبَّ إِلَيَ مِمَّا افْتَرَضْت عليْهِ، وما يَزالُ عبدي يتقرَّبُ إِلى بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّه) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه؟

أين الذي أيقن الموت فتدارك نفسه بكثرة الطاعات قبل الموت؟ ألم يخبرنا ربنا عز وجل بقوله عن هذا العبد الذي ضيَّع وقته بدون فائدة بقوله عنه: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}؟

رحم الله تعالى الإمام الحسن البصري رضي الله عنه الذي كان يقول: ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من يقين الناس بالموت.

لنغتنم الوقت إذا أيقنَّا الموت بالعمل الذي يبيِّض الوجه يوم القيامة، لأن أعمالنا محصيَّة علينا ويوم القيامة سوف نجدها.

لذلك ذكَّرت السيدة خولة رضي الله عنها سيدنا عمر بهذه الحقيقة فقالت له: من خاف الموت خشي الفوت، وهو رضي الله عنه حريص كلَّ الحرص على وقته في ازدياد القرب من الله تعالى، ووالله نحن بأمسِّ الحاجة إلى من يذكِّرنا بذلك أكثر من حاجة سيدنا عمر رضي الله عنه إلى ذلك.

كما قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَاد}.

أمر آخر أيها الإخوة الكرام: من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، وهذا من كلام السيدة خولة رضي الله عنها لسيدنا عمر رضي الله عنه.

نعم من أيقن أنه سيحاسب يوم القيامة خاف العذاب إن عصى الله تعالى، كما قال تعالى في كتابه العظيم مخبراً عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: {قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم}.

لأن يوم القيامة ينتظرنا للعرض والحساب، كما قال تعالى: {وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ}. فلا بدَّ من الحساب، ومن أيقن الحساب خاف الوقوع في المخالفة حتى لا يقع في العذاب يوم القيامة.

كلُّنا على يقين بأننا سنحاسب يوم القيامة، ولكنَّ العجيب فينا وقوعنا في المخالفات مع اليقين بالحساب يوم القيامة.

أيها الإخوة الكرام: كلما زاد الإيمان كلما كثرت الطاعات وقلَّت المعاصي والمنكرات، كما جاء في الحديث الشريف: (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا

يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الإخوة: ما أجمل هذا النصح من هذه المرأة العجوز رضي الله عنها لهذا الأمير المحبوب الحاضر مع الله تعالى: من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، وإننا والله بحاجة إلى هذا التذكير أكثر من سيدنا عمر رضي الله عنه.

رابعاً: احذر من أن يشكوك أحد إلى الله تعالى:

أيها الإخوة الكرام: الفائدة الأخيرة التي نستفيدها من هذا الموقف هي الحذر من أن يشكونا أحد إلى الله تعالى، لأن سيدنا عمر رضي الله عنه قال لأصحابه: أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر؟

ما هو قول هذه السيدة الجليلة وما هي شكايتها إلى الله تعالى؟ لقد ذكرها ربنا عز وجل في القرآن الكريم: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِير}.

أيها الإخوة الكرام : ليكن كل واحد منا على حذر من الوقوع في الظلم وخاصة في ظلم المرأة، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة.

لقد كثر الظلم في المجتمع وخاصة للنساء، من كثرة الطلاق لهنَّ، وأكل ميراثهنَّ إلا من رحم الله تعالى، وصور الظلم كثيرة وكثيرة جداً، وعين الظالم تنام ولكن عين المظلوم ساهرة تدعو الله عز وجل على من ظلمها.

نسي الظالم بأن الله تعالى هو رب الجميع، ويسمع كلام الجميع، يسمع للرجال وللنساء، يسمع صوت كل داع وشاكٍ، وهو الذي أقسم بنصرة المظلوم: (وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ) رواه الترمذي عن أبي هريرة.

أيها الإخوة الكرام: أسأل الله تعالى لي ولكم خلق التواضع، وأن يهيئ لي ولكم الأخَ الناصحَ الشفوق الرحيم فينا، الذي يذكِّرنا بالله تعالى، وأن لا يحرمنا منه

ما دامت أرواحنا في أجسادنا، وأن يوفِّقنا لاغتنام أوقاتنا في طاعة الله عز وجل بامتثال أمره واجتناب نهيه، كما أسأله تعالى أن يجنِّبنا الظلم لأنفسنا والظلم لغيرنا، إنه أكرم مسؤول.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

167- خطبة الجمعة: عند الخلاف الزوجي استحضر أموراً أربعة(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

كلُّنا يعلم بأن الأسرة هي النواة الأولى لبناء المجتمع، وأنها الأمل المنشود التي يتطلع إليها المجتمع، وبصلاحها صلاح المجتمع وبفسادها فساد المجتمع، بها يتكامل المجتمع ويولد الأمل، ومنها يحدث الثقب في سفينة المجتمع.

وهناك أسباب تؤدي إلى الخلاف بين الزوجين، أو تؤدي إلى تصدُّع الحياة الزوجية وتهديم هذه اللَّبِنة التي هي في جدار المجتمع وصرحه.

وقد يشتد الخلاف حتى يصل إلى الطلاق، فما هو مصير هذه العلاقة بين الزوجين؟ وما هو مصير الأبناء كذلك؟

الأمر الأول: رابطة الإيمان قبل رابطة الزواج:

أيها الإخوة الكرام: قبل أن أتحدث عن الأسباب التي تؤدي إلى الخلاف بين الزوجين وإلى تصدُّع الحياة الزوجية، فإني أود أن ألفت النظر بدايةً إلى أمرين، الأمر الأول: أن رابطة الزواج التي تربط بين الرجل والمرأة والتي أسماها مولانا عز وجل بالميثاق الغليظ، قال تعالى: {وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}. هذه الرابطة ليست هي الرابطة الأولى بين الزوجين.

فهناك قبل هذه الرابطة رابطة أخرى هي رابطة الإسلام والإيمان، وهذه الرابطة هي بجعل الله تعالى وباختياره، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}. وهذه الرابطة لا يمكن للمؤمن أن يتبرَّأ منها، أو يتنكر لها، ولا يمكن الخروج عنها.

أما الرابطة الزوجية فهي باختيار الزوجين، وربما تنحل عرى هذه الرابطة . لا قدَّر الله تعالى ..

حقوق رابطة الإيمان:

أيها الإخوة الكرام: إن رابطة الإيمان لها حقوق كما أن رابطة الزواج لها حقوق، ومن أهم حقوق رابطة الإيمان:

أولاً: عدم الظلم لأخيك المؤمن:

الظلم ظلمات، وحذَّر الله تعالى من الظلم بقوله: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}. وبقوله تعالى في الحديث القدسي: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن الله تعالى أنه قال: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا) رواه مسلم.

ويقول صلى الله عليه وسلم: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ وَلا يَخْذُلُهُ وَلا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ) رواه مسلم عن

أبي هريرة رضي الله عنه.

ثانياً: وجوب إصلاح ذات البين:

ومن حقوق المؤمنين بسبب بركة هذه الرابطة وجوب إصلاح ذات البين قال تعالى: {وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ}. وقال تعالى: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}. وقال تعالى: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}.

ثالثاً: وجوب الستر وعدم الفضيحة:

ومن الحقوق العامة لرابطة الإيمان بين المؤمنين وجوب ستر بعضهم البعض وعدم الفضيحة مع وجوب النصح سراً، وقد رغَّب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: (لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

رابعاً: اجتناب كل ما يسبب الخلاف والفرقة:

ومن حقوق المؤمنين فيما بين بعضهم البعض ببركة رابطة الإيمان وجوب اجتناب كل ما يسبب الخلاف والفرقة والبغضاء بين المؤمنين، قال تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيم}.

حقوق رابطة الزواج:

أيها الإخوة المؤمنون: يجب علينا أن نعلم حقوق رابطة الإيمان فيما بين بعضنا البعض، وسوف نسأل عنها يوم القيامة، فإذا أضفنا إلى رابطة الإيمان رابطة الزواج بين الرجل والمرأة، وجب على كلٍّ من الزوجين أن يعلما بأن حقوق رابطة الإيمان

يجب أن يلتزم كل واحد منهما بها، وإضافة إلى ذلك حقوق رابطة الزواج، وأهم حقوق رابطة الزواج:

أولاً: المعاشرة بالمعروف:

المعاشرة بالمعروف واجبة على كلِّ واحد من الزوجين إضافة للحقوق العامة بين المؤمنين، وذلك لقوله تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}. ولقوله تعالى: {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ}.

وقال العلماء: الصاحب بالجنب هو كلُّ واحد من الزوجين.

ثانياً: استمتاع كل من الزوجين بالآخر:

ومن حقوق رابطة الزواج بين الرجل والمرأة استمتاع كلٍّ من الزوجين بالآخر، وذلك لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين}. ولقوله صلى الله عليه وسلم: (احْفَظْ عَوْرَتَكَ إلا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَإِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَرَاهَا أَحَدٌ فَلا يَرَيَنَّهَا، قُلْتُ: فَإِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ) رواه الإمام أحمد عن بهز رضي الله عنه.

ولقوله صلى الله عليه وسلم: (اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ الله) رواه أبو داود عن جابر رضي الله عنه.

ثالثاً: توارث كلٍّ من الزوجين:

من الحقوق المشتركة بين الزوجين إضافةً إلى حقوق رابطة الإيمان التوارث، فيرث الزوج زوجته، كما ترث الزوجة زوجها متى توافرت الشروط.

رابعاً: حرمة المصاهرة:

من الحقوق المشتركة بين الزوجين إضافة إلى حقوق رابطة الإيمان حرمة المصاهرة، فبمجرد عقد الزواج بين الرجل والمرأة تحرم الزوجة على آباء الزوج وإن علو، وعلى أبنائه وفروع أبنائه وبناته وإن نزلوا.

ويحرم على الزوج أم الزوجة وجدَّاتها وإن علون، وبناتها وبنات أبنائها وإن نزلن، كما يحرم على الزوج أن يجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها.

أيها الإخوة الكرام: يجب على كلٍّ من الزوجين أن يعلما حقوق الإخوة العامة قبل الزواج، وأن يعلما حقوق كلٍّ من الزوجين قبل عقد الزواج، وأنَّ كلاً منهما مسؤول يوم القيامة عن هذه الحقوق هل حفظها أم ضيَّعها لا قدَّر الله تعالى.

{وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}:

يا عباد الله: قولوا لكلٍّ من الزوجين المؤمنين: إذا حصل خلاف بينكما واشتد الخلاف لا قدَّر الله تعالى فاعلما بأن إخوة الإسلام تجمع بينكما، ولو لم يبق شيء مشترك يجمع بينكما في الحياة الزوجية، فهناك حقوق مشتركة بينكما. وهي سابقة على حقوق الزواج. يجب أن تراعى تلك الحقوق بدقة مهما اشتد الخلاف، حتى وإن أدى الخلاف إلى الطلاق وانفصمت عروة الحياة الزوجية.

هذا كلام مهم جداً يجب أن لا يغيب عن بال أيٍّ من الزوجين، وإلا فإن أيَّ خلاف ينشأ بينهما قد يصل بهما أن يتعاملا تعامل من لا يربطه بالآخر شيء، وكأنه لم تكن بينهما مودة ولا رحمة، وربنا عز وجل يقول: {وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}.

يا عباد الله لا يجوز أن ننسى حقوق رابطة الإيمان كما لا يجوز أن ننسى حقوق رابطة الزواج، ولا يجوز أن ينسى أحد منا فضل الآخر عليه، لأنه ما منا من أحد إلا وهو متفضِّل على غيره وغيره متفضِّل عليه، فكيف يُنسى الفضلُ عند أهل الفضل؟ بل كيف ينسى المؤمن وزوجتُه. وإن تفرقا. قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُشَمِّتُهُ إِذَا

عَطَسَ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَشْهَدُ جِنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الأمر الثاني: الحياة الزوجية نعمة من نعم الله الكبرى:

أيها الإخوة الكرام: أما الأمر الثاني الذي أشير إليه قبل الشروع في أسباب تصدُّع الحياة الزوجية، فهو أن تعلم بأن الحياة الزوجية نعمة من نعم الله تعالى الكبرى على الزوجين، بالزواج يتقرب الزوجان إلى الله تعالى، بالزواج يحييان سنة من سنة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، بالزواج يتحقَّق السكن بين الزوجين، ووالله لن يتحقق سكن بين الرجل والمرأة إلا من خلال الزواج الشرعي، لأن الزواج آية من آيات الله الكبرى، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون}.

بالزواج الشرعي يُلقي الله تعالى المودة والرحمة بين الزوجين، وبالزواج الشرعي يبنى المجتمع الإنساني بناءً صحيحاً.

فالزواج نعمة لأنه يحقق سكناً وأمناً ومودة ورحمة، بل هو عبادة لله عز وجل، والعبادة من أعظم نعم الله تعالى على عبده، فالزواج مصدر من مصادر التقرب إلى الله تعالى، يقول صلى الله عليه وسلم: (دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: عالجوا الخلافات الزوجية وأنتم تستحضرون هذين الأمرين، الأمر الأول رابطة الإخوة الإيمانية مع حقوقها، ورابطة الزوجية وحقوقها، عالجوا الخلافات الزوجية وأنتم تستحضرون قوله تعالى: {وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}.

.شاء الله تعالى ولعل الحديث له صلة في الأسبوع القادم إن

هو الغفور الرحيم أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه.

** ** **

168- خطبة الجمعة: عند الخلاف الزوجي استحضر أموراً أربعة(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الخطبة الماضية:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي أنه يجب على كلٍّ من الزوجين عند حصول خلاف بينهما أن يتذكرا بأن هناك رابطة أسبق من رابطة الزواج، ألا وهي رابطة الإيمان، ولكل رابطة من هاتين الرابطتين حقوق، فإذا أرادا أن يعالجا المشكلة التي بينهما عالجاها مع استحضار حقوق كلٍّ من الرابطتين، مع تذكر قول الله عز وجل: {وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}.

فما أجمل المسلم والمسلمة عندما يعالجان المشكلة الأسرية من خلال هذا المنطلق، لأن استحضار هاتين الرابطتين سيكون سبباً لحلِّ الخلاف وإنهائه بالإمساك بالمعروف إن شاء الله تعالى.

الأمر الثالث: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا}:

أيها الإخوة الكرام: إضافة لما ذكرته لكم في الأسبوع الماضي أقول: تذكر أيها الزوج وأيتها الزوجة عند حصول خلاف أسري بينكما تذكرا قول الله تعالى: {إِنَّ

الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا}، هذا خَبَرٌ من الله وتكليفٌ، والخبر من الله تعالى لا يقبل النسخ، والتكليف يجب الانضباط فيه، أما الخبر فهو قوله تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ}، وهذا خبر غير قابل للنسخ، وأما التكليف فهو قوله تعالى: {فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا}، وما دام الخبر والتكليف في آية واحدة متلازمين فإن التكليف في هذه الآية لا يُنسَخُ، كما أن الخبر لا ينسخ بشكل عام.

أيها الإخوة الكرام: يجب على كلٍّ من الزوجين أن يتذكرا هذه الآية الكريمة، وأن يعلما عداوة الشيطان لهما، وخاصة عند وجود النزاع والخلاف، وأن يعلما كذلك بأن لكلٍّ من الزوجين شيطاناً، كما جاء في الحديث الشريف: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلا يَأْمُرُنِي إِلا بِخَيْرٍ) رواه مسلم. وفي رواية: (فأسلمُ).

والمهم في هذا الحديث الشريف أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم محفوظٌ من وسوسة الشيطان، إما لإسلام شيطانه، وإما لسلامته من وسوسة الشيطان.

كما يجب على كلٍّ من الزوجين أن يعلما أن الشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدم، كما في الحديث الشريف: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ) رواه البخاري ومسلم.

فالشيطان عدوٌّ للإنسان، وكل إنسان له شيطان، ويجري هذا الشيطان في الإنسان مجرى الدم، ومهمة الشيطان بيَّنها لنا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ) رواه مسلم.

فوظيفة الشيطان التحريش بين المؤمنين لإشعال نار الفتن والعداوة والبغضاء بشكل عام، وبين الزوجين بشكل خاص، وقد أكَّد لنا سيدنا رسول الله صلى الله

عليه وسلم ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ) رواه مسلم.

أيها الزوج أيتها الزوجة: اعلما هذه الحقيقة التي يحدِّثنا عنها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاصة عند وجود نزاع وخلاف بينكما.

أولاً: إبليس له جنوده وله أتباعه، وفي كل يوم يكلفهم بمهمة التحريش والإفساد وإيقاع الفتن بين الناس.

ثانياً: يريد الشيطان أن يقع العبد في المعاصي كلِّها، يريده أن يقع في الفحشاء، وأن يأكلَ الحرام ويشربَ الحرام، ويأكلَ أموال الناس بالباطل، ولكنَّ غليلَ الشيطان لا يشفى إلا بإيقاع الفتنة بين الرجل وزوجته، لأنه يعلم بأن الأسرة هي نواة المجتمع، صلاحها صلاح المجتمع، وفسادها فساد المجتمع، فإذا استطاع بعض أتباع الشيطان أن يوقع العداوة بين الرجل وزوجته فإنه يدنيه منه، لأنه حقَّق مهمة عظيمة ألا وهي فساد نواة المجتمع الذي بفساده يفسد المجتمع.

لا يرضى الشيطان من أتباعه اقتراف الفواحش والمخالفات مع صلاح وسلامة الأسرة، لأن الأسرة الصالحة تعني مجتمعاً صالحاً، والمجتمع الصالح يقوِّمُ فساد الأفراد، أما إذا فسدت الأسرة فقد حقَّق الشيطان لنفسه ما أراد.

لذلك أقول أيها الزوج أيتها الزوجة: استحضرا عند الخلافات الزوجية رابطة الإيمان وحقوقها، ورابطة الزوجية وحقوقها، واستحضرا قول الله تعالى: {وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}، وأضيفا إلى ذلك بأنَّ لكما عدواً يجري فيكما مجرى الدم، يريد إيقاع الفتنة بينكما فلا تحقِّقا له ما أراد، ولا تُدْخِلا الفرحة إلى قلبه من خلال وقوع الفتنة بينكما، بل أدخلا الفرحة والسرور إلى قلب الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك من خلال اتباع هديه الشريف صلى الله عليه وسلم.

الأمر الرابع: لا يخلو بيت من مشكلة:

أيها الإخوة الكرام: الأمر الرابع والأخير الذي يجب على كلٍّ من الزوجين أن يتذكراه عند حلِّ الخلافات الزوجية بينهما أنه ما من بيت من البيوت على وجه البسيطة إلا وفيه بعض الخلافات، وما خلا بيت من البيوت من مشكلة، حتى بيوت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل فيها بعض المشكلات.

لا تجعل الخلافات معول هدم للأسرة:

أيها الإخوة الكرام: يجب على كلٍّ من الزوجين أن يجعلا من الخلاف بينهما أداة بناء لا معول هدم، أن يجعلا من الخلاف عامل تجديد للمودة والرحمة والمحبة بينهما، لا معول هدم في صرح المسلمين، لا معول هدم للبيوت العامرة بالمودة والرحمة والسكن.

تذكر أيها الزوج تذكري أيتها الزوجة: أنه لا عصمة إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالكلُّ خطَّاء، كما جاء في الحديث الشريف: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه الترمذي وغيره، أيها الزوج ما تزوجتَ معصومةً، أيتها الزوجة ما تزوجتِ معصوماً، فلا تجعلا من عدم العصمة سبباً لتهديم البيوت العامرة بسبب الخلاف، بل اجعلا الخلاف سبباً لتجديد الحب بينكما.

حطِّموا العادات والتقاليد:

أيها الإخوة الكرام: كما قلت لكم: بيوت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلت من مشكلة، فلماذا نستبعد المشاكل من بيوتنا؟

فالمشاكل في كل البيوت، ولكن الفارق بيننا وبين سلف هذه الأمة هو أن سلف الأمة كانوا يُرْجِعونَ خلافاتهم إلى كتاب الله تعالى، وإلى هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبذلك ينتهي الخلاف بأقصر مدة.

أما اليوم فالناس يُرجعون خلافاتهم إلى العادات والتقاليد، يُرجعون خلافاتهم إلى قول قائلهم: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُون}.

عند حلِّ الخلافات الأسرية كلٌّ من الزوجين يُرجع خلافاته إلى العادات والتقاليد، وبذلك تزداد الهوة والشقة بين الزوجين، والإسلام جاء ليهدم قول القائل: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُون}.

فالمسلم عندما يريد حلَّ الخلافات الزوجية فإنه يُرجع الخلافات إلى كتاب الله وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ذاك إلاَّ لأن الله تعالى يقول: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا}، وما ذاك إلاَّ لأن الله تعالى يقول: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}.

أيها الإخوة الكرام: إن العادة صارت مستحكمةً عند كثير من الناس إلا من رحم الله تعالى، والبعض يقدِّس العادات أكثر من تقديسه لشرع الله تعالى والعياذ بالله تعالى، والبعض يرجِّح العادات على الأحكام الشرعية، وبذلك تقع الطامة.

أيها الزوج أيتها الزوجة: حطِّما العادات والتقاليد، واجعلاها تحت أقدامكما عند تعارضها مع الشرع الشريف، وحكِّما كتاب الله بينكما، وتذكَّرا صيغة عقد الزواج عندما تمَّ تبادل ألفاظ الإيجاب والقبول أنَّ كلاًّ منكما سيحكِّم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته الزوجية.

(ما أهجر إلا اسمك):

أيها الإخوة: يجب على كلٍّ من الزوجين أن يتذكرا بأن الخلافات الزوجية أمر طبيعي في حياة الناس، وهذا كان في بيوت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى البخاري ومسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قُلْتِ: لا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، قَالَتْ:

قُلْتُ: أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلا اسْمَكَ).

أيها الإخوة: تعلَّموا من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعلَّموا من أمهات المؤمنين.

أولاً: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في حياته الزوجية المثل الرائع لكلِّ الأزواج، حيث كان ينتبه إلى كلام نسائه رضي الله عنهنَّ، ويدقِّق فيه بحيث يجعل من الكلام ميزاناً لرضى الزوجة وغضبها، لا تهمل يا أخي كلام زوجتك، وكن فطناً وتلطَّف لزوجتك.

ثانياً: السيدة عائشة رضي الله عنها ضربت أروع مثل في وُدِّها في حياتها الزوجية، حتى ولو حصل خلاف، فإنها كانت تهجر الاسم الشريف، أما قلبُها فإنه منجذب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كانت تجعل من الخلاف سبباً لنفور القلب.

ثالثاً: هذا هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أكرم المرأة أيَّ إكرام حتى جعل من نسائه في حالة الغضب تهجر الاسم دون المسمى، فالقلب منجذب له، لما شاهدت من فضل وعطاء، هذا هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عظَّم المرأة هذا التعظيم، وليخسأ الغرب الذي يطعن في شخص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: إنه ما أعطى المرأة حقَّها.

أشركاني في سِلمكما:

أيها الإخوة: ليسمع كلٌّ من الزوجين هذا الحديث الشريف، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: (اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًا، وفي رواية: (فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم)، فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا، وَقَالَ: أَلا أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَحْجِزُهُ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ:

كَيْفَ رَأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنْ الرَّجُلِ، قَالَ: فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَوَجَدَهُمَا قَدْ اصْطَلَحَا، فَقَالَ لَهُمَا: أَدْخِلَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: قَدْ فَعَلْنَا، قَدْ فَعَلْنَا) رواه أحمد وأبو داود.

ما هذه الأخلاق السامية العالية في شخص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ سيدُنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المرفوعُ على الأنبياء والمرسلين درجاتٍ، يُرفع صوتُ السيدة عائشة رضي الله عنها في حضرته، ونحن رُفعنا درجة واحدة على نسائنا فالبعض صار دكتاتورياً فرعونياً في بيته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: ليعالج كلٌّ من الزوجين الخلافات الزوجية وهو مستحضر الأمور الأربعة:

١. أن رابطة الإسلام والإيمان قبل رابطة الزواج، ولكلٍّ واحدة منهما حقوقها، فلا يستخفَّ بشيء منها.

٢. الحياة الزوجية نعمة من نعم الله الكبرى، فلا ينسيا هذه النعمة عند حصول خلاف زوجي.

٣. عداوة الشيطان للإنسان قديمة ومستحكمة، فلا يجوز أن تغيب هذه الحقيقة عن كلٍّ من الزوجين، وهو يريد أن يوقع العداوة والبغضاء والتفرقة بينهما.

٤. ما من بيت من البيوت إلا وفيه خلافات، ولا غرابة في وجود الخلافات في بيوتنا.

أما عن المشاكل وحلولها، وما هي المشاكل التي يكون الزوج فيها سبباً، والمشاكل التي تكون الزوجة فيها سبباً، فسوف نتحدث عنها في الأسابيع القادمة إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

169- خطبة الجمعة: مشاكل أسرية يكون الزوج فيها سبباً(١) منة الرجل على زوجته

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الخطبة الماضية:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الخطبتين الماضيتين عناية الإسلام بالأسرة، حيث هي النواة الأولى لبناء الأسرة الإنسانية، وقد أحاط الإسلامُ الحياةَ الزوجية بكلِّ عناية ورعاية، فلم يترك جانباً من جوانبها إلا وتعرَّض إليه، وبيَّن لكلٍّ من الزوجين ما له وما عليه، والغاية من ذلك القضاء على كل ما يهدِّد الحياة الزوجية بالفشل وتشتت الأسرة.

لقد علَّم الإسلام كلاًّ من الزوجين كيف يكون حلُّ المشاكل الأسرية، فقال تعالى: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}. وما هذا إلا حرصاً على الأسرة أن تصل إلى أبغض الحلال إلى الله، ألا وهو الطلاق.

وقلت لكم أيها الإخوة الكرام: استحضروا بين يدي حلِّ الخلافات الزوجية

أموراً أربعة:

١. أن رابطة الإيمان قبل رابطة الزواج، ولكلٍّ واحدة منهما حقوقها، فلا يستخفَّ بشيء منها.

٢. أن الزواج نعمة من نعم الله الكبرى، فلا تنسوا هذه النعمة عند حصول خلاف زوجي.

٣. أن لكلٍّ واحد منا شيطاناً وهو عدو لنا، قال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}.

٤. أنه ما من بيت من البيوت إلا وفيه بعض المشاكل.

استحضروا هذه الأمور الأربعة عند حلِّ الخلافات الزوجية حتى تصلوا إلى النتائج الإيجابية وذلك من خلال قوله تعالى: {فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون}.

كن عادلاً ولو على نفسك:

أيها الإخوة الكرام: يجب على كلٍّ من الزوجين عند وجود خلاف بينهما أن يستحضر كلُّ واحد منهما قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ}.

فقل أيها الزوج الحق ولو كان على نفسك، وقولي أيتها الزوجة الحق ولو كان على نفسك، وما أجمل الإنسان عندما يكون منصفاً ويقول الحق ولو كان على نفسه.

أيها الإخوة: إن مشاكل الحياة الزوجية ليست المرأة هي المصدر الوحيد فيها، فكما أن المرأة تكون سبباً في ذلك، فقد يكون الرجل سبباً في وجود المشكلة، لذلك يجب على كلٍّ من الزوجين استحضار هذه الآية الكريمة: {كُونُواْ قَوَّامِينَ

بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ}. وأن يعالجا السبب في المشكلة بداية.

مشاكل أسرية يكون الزوج فيها سبباً:

أيها الإخوة الكرام: سأبدأ بالحديث عن المشاكل الأسرية التي يكون الزوج فيها سبباً، حتى يتَّقي الأزواجُ اللهَ في نسائهم.

أولاً: عدم الاهتمام بالزوجة وكأنها لا قيمة لها:

أيها المؤمنون: هناك بعض الرجال من ينظر إلى المرأة نظرة ازدراء واحتقار، وكأنها لا حقَّ لها في الحياة الزوجية، فلا يلقِي لها بالاً، ولا يهتم بشعورها وعاطفتها، ويعتبر كأنها سلعة قد اشتراها، كأنها أَمَةٌ رقيقة عنده، له حقوق عليها ولا حق لها، إن احتاج إليها أقبل، وإلا فهو مدبر ومعرض.

وهذه النظرة للمرأة طامَّة كبرى، وهي من أكبر الأسباب في وجود المشاكل في الحياة الزوجية التي تؤدي إلى تصدُّع الأسرة وخراب البيت.

المرأة لها حقٌّ عند زوجها كما لزوجها حقٌّ عندها، ويجب على الزوج أن يعطي الزوجة حقها، وعلى الزوج أن يعلم بأنَّ الإسلام ما رخَّص له أن يشتغل عن الزوجة بعبادة النافلة، لأن إعطاء المرأة حقها هو بحدِّ ذاته عبادة لله عز وجل، فمن أراد أن يتقرَّب إلى الله تعالى فليتقرَّب إلى الله تعالى من خلال إعطاء الزوجة حقها، ألم يقل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ) رواه مسلم.

وأنا أتوجَّه إلى الشباب خاصة الذين ضيَّعوا حق الزوجة بسبب الاشتغال عنها بالطاعات، لأقول لهم اسمعوا هذا الحديث الشريف الذي يرويه لنا الإمام البخاري في صحيحه، عن أَبِي جُحَيْفَةَ وَهبِ بْنِ عبد اللَّه رضي اللَّهُ عنه قال: (آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم بَيْن سَلْمَانَ وأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً فقالَ: ما شَأْنُكِ؟ قالَتْ: أَخْوكَ أَبُو الدَّرداءِ لَيْسَ له حَاجةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدرْدَاءِ فَصَنَعَ لَه طَعَاماً، فقالَ لَهُ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قالَ: ما أَنا بآكلٍ حَتَّى تأْكلَ، فَأَكَلَ، فَلَّما كانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْداءِ يقُوم فقال لَه: نَمْ، فَنَام، ثُمَّ ذَهَبَ

يَقُوم فقالَ لَه: نَمْ ، فَلَمَّا كان من آخرِ اللَّيْلِ قالَ سلْمانُ: قُم الآنَ، فَصَلَّيَا جَمِيعاً، فقالَ له سَلْمَانُ: إِنَّ لرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لنَفْسِكَ عَلَيْكَ حقًّا، ولأهلِك عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم فَذَكر ذلكَ لَه، فقالَ النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: صَدَقَ سلْمَانُ).

الفوائد من هذا الحديث الشريف:

أولاً: هذا الحديث الشريف كان قبل نزول آية الحجاب، ونتعلم منه وجوب الاهتمام ببعضنا البعض، وسؤالنا عن أحوالنا للنصح نحو الأفضل، وهذا ما فعله سيدنا سلمان مع أبي الدرداء رضي الله عنهما.

ثانياً: أدب المرأة عندما تشكو زوجها للرجل الأجنبي عنها، إنَّ أمَّ الدرداء شكت زوجها لسيدنا سلمان بمدحها له بكثرة الطاعة، وهي تريد شكايته بعدم إعطائه حقها.

ثالثاً: التقرب إلى الله تعالى لا يكون بإهدار حقوق الآخرين، وخاصة بالنسبة للزوجة، فكما يتقرب العبد إلى الله تعالى بالنوافل فإنه يتقرب إلى الله تعالى بإعطاء الزوجة حقها.

رابعاً: وجوب التناصح بين أفراد الأمة، فكلُّ عبد مسؤول يوم القيامة عن أخيه ولو صاحبه ساعة واحدة، هل تناصحا أم لا؟

فسيدنا أبو الدرداء ظنَّ أن التقرب إلى الله تعالى بالصيام والقيام ولو على حساب الزوجة، فردَّه صاحبه سيدنا سلمان إلى جانب الصواب، وأقرَّه على ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال لأبي الدرداء: (صَدَقَ سلْمَانُ).

أيها الإخوة: إن إهمال الزوجة وعدمَ إعطائها حقها سبب كبير من أسباب وجود الخلافات الزوجية، فهلَّا تأسينا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان إذا أوى إلى منزله يجزِّئ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً

لنفسه. رواه الترمذي في الشمائل والبيهقي في الشعب والدلائل.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يتقرَّب إلى الله تعالى بالصلاة في جوف الليل على حساب حق نسائه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته في ذلك.

روى ابن حبان في صحيحه عن عبيد بن عمير أنه قال للسيدة عائشة رضي الله عنها: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: (يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي)، قلت: والله إني أحب قربك، وأحب ما يسرك (وفي رواية: ولكني أوثر هواك)، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره، قالت: وكان جالساً، فلم يزل يبكي صلى الله عليه وسلم حتى بلَّ لحيته، قالت: ثم بكى حتى بلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: (أفلا أكون عبداً شكوراً)

هل سمعتم هذا يا معشر الشباب، يا من يحي جلَّ الليل في السهر الذي لا يعود بالنفع على صاحبه لا في الدنيا ولا في الآخرة، سهر في غفلة ـ إن لم يكن في معصية ـ على حساب الزوجة، ثم يريد الزوج أن لا تكون هناك مشكلة في بيته، فاتقوا الله أيها الأزواج في نسائكم، واعلموا أن للمرأة حقاً عليكم وأنكم ستسألون عنه يوم القيامة.

ثانياً: مِنَّة الرجل على زوجته عندما يؤديها حقها:

أيها الإخوة الأحبة: ومن الأسباب التي تؤدي إلى الخلافات في الحياة الزوجية ويكون الرجل سبباً فيها، وهي مِنَّة الرجل على زوجته عندما يؤديها حقها، إذا قدَّم لها المهر والمسكن والملبس والمطعم والمشرب والذهب فإنه يمنُّ عليها بذلك، ويرى نفسه أنه متفضِّل عليها بذلك.

اعلم أيها الزوج: أن مهر الزوجة واجب عليك، والنفقة عليها واجب عليك بإيجاب الشرع، وذلك من خلال قوله صلى الله عليه وسلم: (اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) رواه أبو داود عن جابر رضي الله عنه.

ويقول الله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ}. فالنفقة واجبة عليك وأنت مسؤول عن هذا الواجب حفظته أم ضيَّعته؟ يقول صلى الله عليه وسلم: (إن الله سائل كل راع عما استرعاه ، أحفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته) رواه ابن حبان عن أنس رضي الله عنه.

كيف تمنُّ على زوجتك بما هو واجب عليك، وأنت على يقين بأن مِنَّة الرجل على زوجته في الواجب الذي عليه سبب للشقاق بينهما، هذا فضلاً عن إحباط العمل يوم القيامة.

اعلموا أيها الأزواج أن النفقة على الزوجة عبادة لله تعالى، فلا تُحبطوا هذه العبادة بالمن والأذى، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى}. فأنفق على زوجتك بنية العبادة، فإن أفضل ما تتقرَّب به على الله تعالى هو إنفاقك على زوجتك، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ في سبيلِ اللَّه، وَدِينَارٌ أَنْفَقتَهُ في رقَبَةٍ، ودِينَارٌ تصدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفقْتَهُ على أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذي أَنْفَقْتَهُ علَى أَهْلِكَ) رواه مسلم.

أيها الزوج أنفق على زوجتك لأن النفقة واجبة عليك شرعاً، واحذر المنة عليها لأنها حقها عليك بإيجاب الشرع، ولا تكن سبباً في الخلاف بينك وبينها بسبب المنة عليها.

ثالثاً: تهديد الزوجة بالطلاق أو الزواج عليها:

أيها الإخوة الكرام: من أسباب المشاكل في الحياة الزوجية تهديد الرجل زوجته بالطلاق لأتفه الأمور، أو بالزواج عليها، والرجل على يقين بأنَّ تهديد المرأة بالطلاق سبب من أسباب إغاظتها، كما أنَّ تهديدها بالزواج مرة ثانية سبب من أسباب إغاظتها.

أيها الزوج: إن معالجة المشاكل الأسرية لا يكون بتهديد الزوجة بطلاقها ولا بالزواج عليها، لأنَّ هذا الأمر يغيظها، وإغاظة المرأة بذلك لا يجوز شرعاً.

إن معالجة المشكلة لا يكون بتهديدها بذلك، بل كما قال تعالى: {وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا}. وقد عرفنا سابقاً كيف يكون هجر التأديب وضرب التأديب.

أبعد كلمة الطلاق عن لسانك، واحذر أن تُسْمِعَها هذه الكلمة ولو تهديداً، لأنَّ هذه الكلمة تغيظها، وكذلك تهديدها بالزواج عليها، فالمرأة تغار كثيراً، وتكاد أن تفقد رشدها إذا سمعت زوجها يهدِّدها بالطلاق أو الزواج عليها، وخاصة إذا كانت الأمور تافهة، فلا تكن سبباً في إغاظتها، وبالتالي تكون سبباً في وجود المشاكل الأسرية.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: عود على بدء، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ}. فلا تكن أيها الزوج سبباً في وجود المشاكل الأسرية، فأعطِ الزوجة حقها، واحذر من المنَّة عليها بما تقدمه لها من واجب عليك، واحترم شعورها ولا تغظها بتهديدك إياها بالطلاق أو الزواج عليها.

ولعل الحديث له صلة في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

170- خطبة الجمعة: مشاكل أسرية يكون الزوج فيها سبباً(٢) عدم الاهتمام برأيها

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الخطبة الماضية:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأنه يجب على كلٍّ من الزوجين عند وجود خلاف بينهما أن يستحضرا قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ}.

وقد بدأت معكم في الأسبوع الماضي عن المشاكل الأسرية التي يكون الزوج فيها سبباً، وذكرت منها:

أولاً: عدم الاهتمام بالزوجة وكأنه لا قيمة لها.

ثانياً: مِنَّة الرجل على زوجته عندما يؤديها حقها.

ثالثاً: تهديد الزوجة بالطلاق أو الزواج عليها.

رابعاً: عدم غضِّ الطرف عن بعض الزلات والهفوات.

أيها الإخوة الكرام: وها أنا أتابع الحديث في هذا اليوم عن المشاكل الأسرية والتي يكون الزوج فيها سبباً للمشكلة، فمن أسباب المشاكل في الحياة الزوجية عدم غض طرف الزوج عن بعض زلات وهفوات المرأة.

ترى الزوج يدقِّق على الشاردة والواردة، على الصغيرة والكبيرة في الشؤون الدنيوية، كأنَّه سجَّان وكأنَّها سجينة، يدقِّق على الصغيرة من الأمور الدنيوية خشية أن تقع في الأمور الكبيرة، وكأنه يظن أن المرأة يجب أن تكون معصومة، ولا يجوز أن تقع في مخالفة من المخالفات، وإذا أراد محاسبتها شدَّد عليها المحاسبة.

أيها الإخوة الكرام: الزوج العاقل هو الذي يتغافل عن بعض الزلات والهفوات الدنيوية التي لا تقدح في دين المرأة، وإذا أراد محاسبتها غضَّ طرفه عن الهفوات والزلات، وتأسى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أخبرنا ربنا عز وجل عنه، فقال تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ}.

هذا هو الخلق السامي أن تحاسب على بعض الأمور وتغضَّ الطرف عن البعض الآخر، مع كامل الرفق واللين وخاصة في الأمور الدنيوية وحقوقك الشخصية، لأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يغضب لنفسه وما ينتقم لنفسه، بل كان يعفو ويصفح، وأما إذا انتُهِكت حرمات الله فما كان يقوم في وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم.

لقد قلتِ كلمةً لو مزجت بماء البحر لمزجته:

يا عباد الله: انظروا إلى هذا الموقف في حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ: (قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ) رواه الترمذي.

أين نحن من هذا الخلق النبوي الشريف السامي العالي؟ هل الزوج حريص على دين زوجته إن قصَّرت، أم أنَّه حريص على حقوقه الدنيوية المادية المحضة؟ تراه يشدِّد على زوجته في هذا الجانب، وقد أهمل جانب الدين، لا يدقِّق على صلاتها ولا على صومها ولا على حجابها، ولا على اختلاطها بالرجال الأجانب، مع أنه مسؤول

عن كل ذلك يوم القيامة.

أيها الزوج الكريم: غُضَّ الطرف عن بعض الهفوات والزلات المتعلقة بالحياة الدنيوية، ولا تدقِّق ولا تُشدِّد، لأنَّ هذا التدقيق مصدر كبير من مصادر الخلافات بينك وبين زوجتك، فلا تكن سبباً في وجود المشاكل من خلال التدقيق الشديد وخاصة على الأمور الدنيوية التافهة، وكن شدّيداً على مراقبة دينها مع كل اللطف، وأنت تتذكر قول الله تعالى: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}.

أيها الزوج الكريم: عالج نفسك قبل معالجة نشوز زوجتك، وخاصة إذا كنت أنت مصدر المشكلة، وتذكر قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ}.

خامساً: عدم الاهتمام برأيها وعدم مشاورتها:

أيها الإخوة الكرام: من أسباب وجود الخلافات الزوجية عدم اهتمام الزوج برأي زوجته وعدم مشاورتها، لأن شعار بعض الرجال في حياته الزوجية وعلاقته مع زوجته: شاوروهنَّ وخالفوهن.

إن الرجل الذي لا يبالي برأي زوجته ولا يستشيرها فإنه يمحقها محقاً، ولم يجعل لها وجوداً، مع كونها إنسانة عاقلة وليست بمجنونة.

لماذا الاستخفاف برأيها؟ هل جانَبَها الصواب دائماً؟ لماذا لا تصغي لقولها؟ لماذا لا تستشيرها؟ ألا تعتبر زوجتك شريكة حياتك؟ أما اخترتها على أساس من الدين والخلق لتكون مربية لأبنائك؟ هل تظن بأنَّ مشاورة الرجل لزوجته عار عليه؟

بكلِّ أسف نرى كثيراً من الشباب يستخفون برأي نسائهم، ويعتبرون مشاورة الرجل لزوجته نقصاً وعاراً، وإن سألت هؤلاء الشباب لماذا هذه النظرة لجاء الجواب: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُون}.

أيها الإخوة الكرام: كلام هؤلاء الشباب مرفوض في ديننا، ألم يقل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَمِّرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ)؟ رواه الإمام أحمد عن ابن

عمر رضي الله عنهما. بمعنى شاوروا النساء في بناتهن.

أيُّ رجل يشاور زوجته في زواج ابنته؟ الكثير يرفض مشاورة الزوجة في ابنتها، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بذلك.

نعم القرار لك أيها الزوج، نعم أنت بيدك القوامة، نعم أنت بيدك العصمة، ولكن تذكر يا أخي الكريم أمر الله تعالى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ}. مع كونه صلى الله عليه وسلم معصوماً، مع أنَّ الله تعالى بيَّن لنا بأن طاعتنا لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هي عين طاعتنا لله عز وجل، قال تعالى: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ}.

فإذا كان الحبيب صلى الله عليه وسلم وهو المتبوع يشاور أتباعه فنحن من باب أولى وأولى، ولكن الأنا الفرعونية الموجودة في كثير من الناس، والكبر والعجب، هو الذي يحول بين الرجال والنساء في مسألة المشاورة، وهذا لا يليق بالرجل العاقل الذي ينظر إلى المرأة بأنها شريكة حياته.

مشاورة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للسيدة أم سلمة رضي الله عنها:

أيها الإخوة المؤمنون: يقول الله تبارك وتعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}. انظروا إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم صلح الحديبية بعد أن تمَّ توقيع الصلح بينه وبين قريش، أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحب الكرام وقال لهم: (قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ قَامَ فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَقَامَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ هَدْيَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا) رواه الإمام أحمد.

أيها الإخوة الكرام: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على السيدة أم سلمة وهو مغضب، فسألته السيدة أم سلمة رضي الله عنها عن سبب الغضب، تصوَّر يا أخي الكريم إن كنت في حالة غضب وسألتك زوجتك عن سرِّ وسبب غضبك، ما هو موقفك؟

لماذا تصنع مشكلة بسبب سؤال زوجتك لك؟ أليس ألمك ألمها؟ أليس سرورك سرورها؟ لماذا الغضب إن سألتك عن سبب وسرِّ غضبك؟

لقد شاء الله تبارك وتعالى أن يجعل حلَّ موقف الصحابة رضي الله عنهم على لسان السيدة أم سلمة رضي الله عنها، مع أنه تبارك وتعالى قادر على أن يلهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الخاطر الذي أدلت به السيدة أم سلمة رضي الله عنها، ولكن شاء الله تعالى أن يعطي درساً للرجال بأن المرأة لها عقل نيِّر، وأنَّ على الرجل أن يصغي للمرأة لأنها قد تدلي برأي سديد وأنت بأمسِّ الحاجة إليه.

يسمع لها ربُّ عمر ولا يسمع لها عمر:

أيها الإخوة الأحبة: موقف حصل مع سيدنا عمر رضي الله عنه يعطينا درساً في هذه القضية.

مرَّ سيدنا عمر رضي الله عنه أيام خلافته على السيدة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها والناس معه على حمار فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت: (هيهاً يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تروِّع الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سُمِّيت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سُمِّيت أمير المؤمنين! فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت)، وهو واقف يسمع كلامها.

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز؟ فقال: ويلك تدري من هي؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت

ثعلبة التي أنزل الله فيها: {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله}. [المجادلة: ١]. والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ثم أرجع إليها.

فقال لها رجل: قد أكثرتِ أيتها المرأة على أمير المؤمنين. فقال عمر: دعها، أما تعرفها؟ **فهذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فعمر والله أحقُّ أن يسمع لها.**

أوردها الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب، والحافظ ابن حجر في الإصابة.

ما المانع من السماع لرأيها، ألم تقرأ قول الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم}.

أيها الزوج الكريم: لا تهمل رأي زوجتك، شاور زوجتك وخاصة في حياتك الزوجية، ولا تكن سبباً في جعل المشكلة في بيتك، لا تكن فرعونياً، لا تقل كما قال فرعون: {مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى}. هذا ليس من دين الله في شيء.

سادساً: منع الزوجة من مشاركة أهلها في أفراحهم وأتراحهم:

أيها الإخوة الكرام: من الأسباب التي تجعل المشاكل في الحياة الزوجية منعُ الزوجة من مشاركة أهلها في أفراحهم وأتراحهم، وهذه ظاهرة في المجتمع، حيث يتسلَّط الزوج على زوجته فيمنعها من مشاركة أهلها في أفراحهم وأتراحهم، وهذا له أثر كبير في جعل المشاكل بين الأزواج.

أيها الإخوة: الكثير من الأزواج يعيش في تناقض في حياته السلوكية، يمنع البعض نساءهم من مشاركتهنَّ في أفراح وأتراح أهلهنَّ زاعمين وجود المنكرات هناك، فإذا ما جاءت مناسبة عند أهل الزوج رأيت الزوج يأذن للزوجة بل يلزم الزوجة بالمشاركة في أفراح وأتراح أهله ولو مع وجود المنكرات، زاعماً أنه يريد أن يكون باراً في أهله، هذا الزوج نسي قول الله تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِين * الَّذِينَ إِذَا

اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُون}.

الذهاب لعند أهلها للمشاركة في الأفراح حرام لوجود المنكرات، هذا شيء حسن، ولكن كن آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر بأسلوب حسن لطيف، واجعل الأمر واحداً، سواء أكان هذا في بيت أهلها أم في بيت أهلك، ولا تكن سبباً في قطيعة رحمها، وتذكر قول الله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم}.

أيها الزوج الكريم: لا تكن سبباً في خلق المشاكل في حياتك الزوجية من خلال منعها من مشاركة أهلها في أفراحهم وأتراحهم، وتذكر قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقَيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام، أيها الأزواج الأعزاء: اتقوا الله في نسائكم ولاتكونوا سبباً في خلق المشاكل بينكم وبين نسائكم من خلال عدم الاهتمام بالزوجة أولاً، ومن خلال المنَّة على الزوجة عند الإنفاق عليها ثانياً، ومن خلال تهديدها بالطلاق أو الزواج عليها ثالثاً، ومن خلال التدقيق عليها في الشاردة والواردة من الزلات والهفوات رابعاً، ومن خلال إهمال رأيها خامساً، ومن خلال منعها من مشاركة أهلها في أفراحهم وأتراحهم سادساً.

وتذكَّر أيها الزوج الكريم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) رواه أبو داود.

ولعل الحديث له صلة في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

-171 خطبة الجمعة: مشاكل أسرية يكون الزوج فيها سبباً(٣) احتقار الزوجة أمام أولادها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فيا عباد الله:

خلاصة الخطبة الماضية:

لقد ذكرت في الأسابيع الماضية بأن الحياة الزوجية لا تخلو من بعض الخلافات والمشاكل، وذلك لحكمة يريدها الله تعالى، قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}، يريدنا الله تعالى أن نتنافس في حسن العمل، ويريد منا أن يتسابق كلٌّ من الزوجين أيُّهما يكون الأحسن عند الله تعالى.

وقال تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ}، يريد منا ربنا عز وجل أن نتحلى بخلق الصبر فيما بين بعضنا البعض وخاصة بين الأزواج.

وذكرت أيها الإخوة أن المرأة ليس شرطاً أن تكون دائماً وأبداً هي السبب في الخلافات الزوجية، فكما تكون الزوجة سبباً في الخلافات، كذلك يكون الزوج سبباً في الخلافات الزوجية، وما دمنا آمنا بالله تعالى رباً وبالقيامة مآلاً ونهاية فلا بدَّ من استحضار قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ}.

وذكرت في الأسبوعين الماضيين أموراً ستة يكون الزوج فيها سبباً في الخلافات الزوجية.

الأمر الأول: عدم الاهتمام بالزوجة وكأنها لا قيمة لها.

الأمر الثاني: منَّة الرجل على زوجته عندما يؤديها حقها.

الأمر الثالث: تهديد الزوجة بالطلاق أو الزواج عليها.

الأمر الرابع: عدم غضِّ الطرف عن بعض زلات الزوجة.

الأمر الخامس: عدم الاهتمام برأيها وعدمُ مشاورتها.

الأمر السادس: منع الزوجة من مشاركة أهلها في أفراحهم وأتراحهم.

بلغ الذي عليك نحو زوجتك:

يا عباد الله: وها أنا أتابع الحديث في هذا الأسبوع عن الأمور التي يكون الزوج فيها سبباً للخلافات الزوجية، وأنا أتمنى عليكم أيها الإخوة الكرام أن تنقلوا إلى نسائكم الأسباب التي يكون الزوج فيها سبباً للخلافات الزوجية حتى تعرف النساء بأن لهنَّ حقوقاً على الأزواج، وحتى يعلمن بأن الزوج قد يخطئ كما تخطئ المرأة.

انقل لأهلك هذه المواضيع حتى تعرف الواجب الذي عليك لتذكرك وتطالبك به، وحتى تبرأ ذمتك بيقين بين يدي الله عز وجل، ألم يقل مولانا عز وجل في كتابه العظيم: {وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ}. اتق الله في زوجتك وأعلمها بالحق الذي عليك نحوها حتى تعشق هذا الإسلام الذي أعطى لكلِّ ذي حقٍّ حقَّه.

أيها الإخوة: بعض النساء صارت تكره الإسلام والعياذ بالله تعالى لأن الزوج لا ينقل لها من الإسلام إلا الذي عليها، إلا الحق الذي للزوج على زوجته، لا ينقل إليها إلا قول الله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء} لا ينقل إليها إلا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ثَلاثَةٌ لا تُجَاوِزُ صَلاتُهُمْ آذَانَهُمْ: الْعَبْدُ الآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ،

وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَإِمَامُ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ) رواه الترمذي، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنَ امْرَأَةٍ يَطْلُبُ مِنْهَا زَوْجُهَا حَاجَةً، فَتَأْبَى فَيَبِيتُ، وَهُوَ عَلَيْهَا غَضْبَانُ، إلا بَاتَتْ تَلْعَنُهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ) رواه الطبراني.

أيها الأزواج: انقلوا لنسائكم الذي لكم والذي عليكم، عرفوا الأزواج ما لهنَّ وما عليهنَّ، ألم يقل مولانا عز وجل: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ} وقدَّمَ الذي لهنَّ على الذي عليهنَّ.

لا يجوز أن ننقل من دين الله الذي يوافق هوانا والذي يكون حقاً لنا، وننسى أن ننقل الذي علينا، ونتناسى الواجب الذي علينا، بل البعض يحذر المرأة أن تشير إليه بالواجب الذي عليه. اتقوا الله في النساء فإنهنَّ عوان عندكم.

٧. احتقار الزوجة أمام أولادها أو أهل الزوج:

أيها الإخوة الكرام: من الأسباب التي يكون الزوج فيها سبباً للخلافات الزوجية هو احتقار الزوجة أمام أولادها أو أمام أهل الزوج، وذلك بالكلمات النابية الجارحة للشعور، ظناً من الزوج أنه يريد أن يؤدِّبها ويوقفها عند حدِّها، والأسوأ من ذلك أن يكون التوبيخ والاحتقار للزوجة أمام أهل الزوجة، والكلَّ يعلم بأن أهل الزوجة ضعفاء أمام الزوج، لأنهم يخافون على ابنتهم من الطلاق، فهم يتحمَّلون الأسى والإساءة من أجل سلامة العلاقة بين ابنتهم وزوجها.

أين نحن من المبدأ الذي أرساه سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللّهُ، وَالْقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الْحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللّهُ) أورده الطبري في تاريخه، وابن هشام وابن كثير في السيرة.

هل هذا التحقير والإذلال وخاصة أمام الأبناء أو أهل الزوج أو أهل الزوجة من دين الله في شيء؟

إذا أردت أن تكون مؤدِّباً ناجحاً فعليك بما يلي:

أيها الإخوة الكرام: من أراد أن يكون مؤدِّباً ناجحاً فعليه بالأمور التالية:

أولاً: حقق شروط النصيحة التي شرعها الإسلام لك، ومن شروط النصيحة أن تكون سرّاً، وأن تكون بلطف من الناصح، وأن تكون بدون استعلاء من الناصح على المنصوح.

فانصح أيها الزوج زوجتك بدون استكبار عليها، وانصحها سرّاً وبلطف.

ثانياً: صدِّر نصيحتك لزوجتك بالكلمة الطيبة الحسنة، وتكلَّم بعد ذلك بالقول الحسن، كما قال تعالى: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}.

احذر أن تصدِّر نصيحتك بالكلمة النابية، واحذر أن تتكلَّم معها كلاماً فظاً غليظاً، لأن الإسلام أراد منّا أن نكون كالجسد الواحد.

ثالثاً: خاطب المنصوح وخاصة الزوجة بأحبِّ الأسماء والصفات إليها، هذا إذا أردت أن تنفذ النصيحة إلى قلبها، وتعلم هذا الأسلوب من القرآن العظيم عندما يحدِّثنا عن سادة المؤدِّبين من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كيف كانوا يخاطبون من أرادوا تأديبهم.

هذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يخاطب ولده سيدنا إسماعيل عليه السلام، ويصدِّر خطابه بقوله: {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى}، وهذا سيدنا لقمان عليه السلام يخاطب ولده، ويصدر خطابه بقوله: {يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم}.

ولا يقولنَّ قائل: هؤلاء أبناء بررة يستحقُّون هذا الخطاب، أنت لا تنظر إلى المؤدَّب، بل انظر إلى نفسك أنت أيها المؤدِّب، وظيفتك أن تؤدِّب بأسلوب حَسَن بغضِّ النظر عن المؤدَّب، فهذا سيدنا نوح عليه السلام يخاطب ولده الكافر الملحد المادي الذي لا يؤمن إلا بالطبيعة، فيقول له سيدنا نوح عليه السلام: {يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِين}.

بل تعلَّمْ أدب التأديب من القرآن الكريم، حيث نجد في القرآن العظيم عندما يريد الله تعالى أن يؤدب عباده فإنه يصدِّر التأديب بلفظ الإيمان الذي هو أقدس وأجمل وصف يعتزُّ به المؤمن، فيقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُون}، ويقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ}.

هذا أسلوب القرآن، هذا هو توجيه الله الخالق الأعلى لعباده، فنحن من باب أولى أن نصدِّر الخطاب في المؤدَّب بأحبِّ وأجمل الألفاظ إليه حتى نستميل قلبه إلينا وليسمع ما نملي عليه.

رابعاً: لا تكن فظاً غليظ القلب أثناء تأديب الزوجة:

تذكَّر أيها المؤدب والناصح، تذكر أيها الزوج، قولَ الله تعالى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم: {وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}، هذا في حق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم، فكيف في حقنا؟ من باب أولى وأولى، الإسلام يريد من التأديب جمع الشمل وتماسك الأسرة، وبالفظاظة والغلظة تتفكَّك الأسرة، وقد يؤدي الأمر إلى الطلاق وشتات الأولاد.

خامساً: لا تقابل الزوجة بما تكره:

تذكَّر أيها الزوج بأن من سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ما كان يقابل أحداً بما يكره، إنما كان يعرِّض تعريضاً فيقول: (مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا) رواه مسلم.

وهذا الحبيب صلى الله عليه وسلم عندما أراد أن يؤدِّب ويواجه مهاجر أم قيس ما قابله بما يكره، بل لوَّح له تلويحاً وعرَّض تعريضاً، فقال صلى الله عليه وسلم: (إنَّما الأَعمالُ بالنِّيَّات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امرِئٍ مَا نَوَى، فمنْ كانَتْ هجْرَتُهُ إِلَى الله ورَسُولِهِ فهجرتُه إلى الله ورسُولِهِ، ومنْ كانَت هجْرَتُه لدُنْيا يُصيبُها، أَو امرَأَةٍ يَنْكحُها، فهْجْرَتُهُ إلى ما هَاجَر إليْهِ) متفق عليه.

سادساً: إياك والتشهير في حق الزوجة:

أيها الإخوة: إياكم والتشهير في حق الزوجة إن أساءت، لأن التشهير فيها يزيدها نفوراً، وتدبَّر قول الله تعالى: {وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ} ولم يقل: واهجروهن في البيوت، مع أن الله تعالى ذكر البيت في القرآن الكريم فقال: {لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ}.

التأديب بالهجر في المضجع حتى لا يعلم الأولاد بالمشكلة، هذا فضلاً عن أهلك وأهلها، وفضلاً عن الأباعد.

الهجر والتأديب في الفراش حتى لا يتدخَّل أحد بينكما، لأنه كلما ضاقت دائرة الخلاف سهل حلُّها، وكلما اتسعت صعب حلُّها.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام، أيها الأزواج الأفاضل، لا يكن أحدنا سبباً في وجود الخلاف في حياتنا الزوجية، والتي من جملتها احتقار الزوجة أمام أولادها أو أمام أهل الزوج أو أمام أهلها، لأن احتقارها أمام هؤلاء يسقط هيبتها أمام أبنائها.

تذكَّر أيها الزوج بأن الزوجة أمٌّ مربية راعية و مسؤولة عن رعيتها، فاحذر من احتقارها أمام أحد حتى لا تسقط هيبتها، لأنها إن سقطت هيبتها فلن يهابها الولد المؤدَّب الذي هو بأمسِّ الحاجة إلى الأم المربِّية.

ولنعلم جميعاً بأن احتقار الزوجة أمام أبنائها أو أمام أهل زوجها أو أمام أهلها يسبب وجود الخلاف في الحياة الزوجية، فلنحذر من هذا يا عباد الله.

ولعل الحديث له صلة في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى، أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله.

** ** **

172-خطبة الجمعة: مشاكل أسرية يكون الزوج فيها سبباً(٤) عدم التثبت من الأخبار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فيا عباد الله:

إن عظمة الإسلام تتجلى في تشريعاته التي أنزلها الله تعالى على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والتي من جملتها أن جعل سياجاً حول حقوق الناس عامة، وحول حقوق الزوجة خاصة.

فلا يؤخذ أحد بظنٍّ، ولا يحكم بريبةٍ، ولا يصبح الظن أساساً لمحاكمتهم، بل لا يصح أن يكون أساساً للتحقيق معهم ولا للتحقيق حولهم.

ولا يوجد مبرِّر لانتهاك حرمات الأنفس والبيوت والأسرار والعورات، فالناس على ظواهرهم، ليس لأحد أن يتعقَّب بواطنهم، وليس لأحد أن يظن أو يتوقع أو حتى يعرف أنهم يقترفون المخالفات في خفاء فيتجسس عليهم.

من أجل سلامة الأسرة شرع الإسلام:

أيها الإخوة الكرام: من أجل سلامة المجتمع ومن أجل سلامة الأسرة، وحتى تبقى الأسرة والمجتمع في تماسك، قال تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}.

من هذا المنطلق يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأَنَاةُ مِنْ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنْ الشَّيْطَانِ) رواه الترمذي عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

من هذا المنطلق يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرِهَا) رواه الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عه.

من هذا المنطلق يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةٌ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا) رواه أبو داود عن معاوية رضي الله عنه.

من هذا المنطلق يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

من هذا المنطلق يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثَلاثٌ لازِمَاتٌ لأُمَّتِي: الطِّيَرَةُ، وَالْحَسَدُ، وَسُوءُ الظَّنِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا يُذْهِبُهُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّنْ هُوَ فِيهِ؟ قَالَ: إِذَا حَسَدْتَ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلا تُحَقِّقْ، وَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَامْضِ) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن حارثة بن النعمان رضي الله عنه.

أيها الإخوة الكرام: الإسلام جعل هذا السياج من أجل سلامة حقوق العباد فيما بين بعضهم البعض، وأمرهم بالتعامل فيما بينهم بالظاهر، والله عز وجل هو الذي يتولى السرائر.

الإسلام حرم الحكم على الآخرين بناء على نقل الكلام بدون تثبُّت، لأنه يفسد علاقة أفراد الأسرة فيما بين بعضهم البعض، ويفسد علاقة المجتمع، ويجعل نار العداوة بينهم.

سماع الزوج عن زوجته خبراً بدون تثبُّت:

أيها الإخوة الكرام: ما زال حديثي عن الخلافات الزوجية والتي يكون الزوج فيها سبباً، من جملة هذه الأسباب، سماع الزوج عن زوجته نبأً وخبراً، ومن خلاله

يتعامل مع زوجته بدون أن يتثبَّت من النبأ الذي نقل إليه.

وإنه لمن العجب أن ترى الزوج حياته مستقرة مع زوجته مطمئنة لا إشكال فيها، فإذا به تنقلب حياته إلى جحيم وشقاء من خلال ذاك النبأ الذي نقل إليه ولم يتثبت من صحته، وهذه طامَّة كبرى.

ربنا عز وجل يخاطبنا بآية صريحة لا تحتاج إلى تأويل ولا إلى شرح وتوضيح يقول فيها مولانا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين}. آية محكمة واضحة يأمر الله تعالى المؤمن أن يتثبَّت من النبأ الذي يصل إليه، وخاصة إذا كان النبأ سيترك أثراً في نفسه.

هنالك أنباء تجعل الشك مكان اليقين، وتجعل البغض مكان المحبة، وتجعل القطيعة مكان الوصل، وتجعل الغل والكراهية مكان سلامة الصدر، وتجعل التدابر مكان التواصل، وتجعل النار مكان النور، وتجعل الطلاق مكان الزواج.

ناقل النبأ ليس معصوماً:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نكون على يقين بأن ناقل الأنباء لنا ليس معصوماً مهما كان، لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه.

فالأب والأم والأخ والأخت ليسوا بمعصومين، فمن نقل لك نبأً عن زوجتك من أب أو أم أو أخ أو أخت وكان النبأ له أثر في نفسك، وجب عليك أن تتثبت لأن الناقل ليس معصوماً.

لقد زُوِّجتَ أيها الرجل على أساس من الدين والخلق، حيث كان ولي أمر زوجتك سمع قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه. وصاحب الدين والخلق يتمثل قول الله تعالى:

{إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين}.

قد يفتري الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت على زوجة الإنسان، ولا غرابة في هذا وخاصة في هذا العصر، وربنا عز وجل يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقَيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا}.

ناقل النبأ عاصٍ:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نكون على بيِّنة من أمرنا، ومن الواجب علينا أن نعلم بأن ناقل الأنباء السلبية التي تؤثر على العلاقات تأثيراً سلبياً هو عاصٍ لله عز وجل.

الناقل هو واحد من اثنين، إما أن يكون نمّاماً وإما أن يكون مغتاباً، والله تعالى يقول في حق النمَّام ذامَّاً له: {هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيم * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيم * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيم}. ويقول الله تعالى في حق المغتاب: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيم}. والغيبة أن تقول الحق في أخيك وهو كاره له، يقول صلى الله عليه وسلم: (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فناقل الأنباء عاصٍ في سائر أحواله، بغضِّ النظر عن القائل وعن درجة قرابته للمنقول له.

لماذا تصدِّق الناقل وتكذِّب المنقول عنه؟

أيها الإخوة الكرام: قولوا لكلِّ زوج جعل مشكلة في حياته الزوجية بناء على

نقل الأخبار بدون تثبت: لماذا تصدِّق الناقل ولا تصدِّق المنقول عنه؟

على أيِّ أساس صدَّقت وكذَّبت؟ أترضى أن يحكم عليك إنسان بناء على أمر نقل إليه عنك؟ الجواب: قطعاً لا أرضى بذلك، وتعتبر ذلك ظلماً، وتسرع لتلاوة الآية الكريمة: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}.

لماذا أبوك وأمك وأقاربك كلهم صادقون، وزوجتك كاذبة؟

أيها الزوج! لو نقلت لك زوجتك نبأ عن أمك أو أبيك أو أحد من أقاربك، هل تصدقها مباشرة أم تتثبت من صحة نقلها؟ تذكر يا أخي قول الله تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِين * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُون}. اجعل مكيالاً واحداً ألا وهو قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين}. مهما كان الناقل إذا كنت متأثراً، وإلا فلا تتثبت وكن سليم الصدر.

وأنا أقسم يميناً أيها الإخوة بأن جُلَّ المشاكل الأسرية أساسها نقل الكلام بدون تثبُّت، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ) رواه مسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

لأن القيل والقال بدون تثبت دمار للأسرة والمجتمع.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: إذا أردنا حياة طيبة كريمة لأنفسنا ولغيرنا فعلينا بالالتزام بالكتاب والسنة، ومن الالتزام بالكتاب والسنة أقول لناقلي الأنباء والأخبار: تذكروا أيها الإخوة قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيم}.

وأقول للمنقول إليه النبأ: تذكر قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين}.

كم من امرأة طُلِّقت من وراء نبأ كاذب تبيَّن للزوج كذبه بعد الطلاق؟ وكم من امرأة قُتلت من وراء نبأ كاذب تبيَّن للقاتل كذبه بعد القتل؟

أيها الزوج! لا تكن سبباً في الخلاف الزوجي بحيث تكون أذناً صاغية لكلِّ ما يقال عن زوجتك، تثبَّتْ وتبيَّنْ حتى لا تندم لا في الدنيا ولا في الآخرة.

اللهم اجعلنا وقَّافين عند حدود شريعتك. آمين.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

-173 خطبة الجمعة: مشاكل أسرية يكون الزوج فيها سبباً(٥) انحراف الزوج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فيا عباد الله:

من سعادة الإنسان أن يجد الناصح الذي يستر ولا يفضح، من سعادة الإنسان أن يجد من يذكره بالله تعالى ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر.

والشقي من حرم الناصح، الشقي الذي لا يجترئ أحد على نصحه؛ إما لإعجابه بنفسه، وإما لاستكباره عن الحق.

فإذا رأى العبد ناصحاً له ساتراً عليه، آمراً له بالمعروف وناهياً عن المنكر،

فليشكر الله عز وجل على هذه النعمة، وليعلم بأن الله عز وجل أراد به خيراً، لأن الحق جلَّ جلاله إذا أراد أمراً هيأ أسبابه.

عندما يسلك الزوج طريق الانحراف وخاصة مع النساء:

أيها الإخوة الكرام: أتابع الحديث معكم في هذا الأسبوع من هذا المنطلق وأنا أتحدث إليكم عن المشاكل الأسرية التي يكون الزوج فيها سبباً.

من جملة ذلك: عندما يسلك الزوج طريق الانحراف ـ لا قدَّر الله تعالى ـ وخاصة مع النساء، وذلك من خلال صلته معهن عن طريق غير مشروع، إما بإرسال رسائل وذلك من خلال الهواتف النقالة، وإما بإرسال صور، أو إرسال مقاطع فيديو، أو بالعلاقة معهنَّ مباشرة بارتكاب الفاحشة والعياذ بالله تعالى.

وهذا الأمر من أكبر الأسباب في وجود المشاكل بين الزوجين، وخاصة إذا اطَّلعت المرأة على هذا.

لا تلتفت إلى نية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

أيها الإخوة الكرام: قد يبتلى الرجل بذلك، وإذا أصرَّ على هذه المخالفة الشرعية والعياذ بالله تعالى تبدأ فضيحته، وقد تطلع المرأة على ذلك، فتتدخل المرأة آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر ـ بغضِّ النظر عن الأسلوب ـ وتذكِّر زوجها بالله تعالى، وتذكِّره بالعواقب الوخيمة من جرَّاء ذلك إما في الحياة الدنيا وإما في الآخرة.

فإذا بالزوج يرفض الاستماع والنصح والتذكير من زوجته، متذرِّعاً بأن المرأة لا تفعل ذلك إلا من منطلق الغيرة، وليس قصدها من ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأنا أقول لهذا الزوج: يا أخي الكريم كن عاقلاً، ولا تلتفت إلى نية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، هل فعله لله تعالى أم لنفسه؟ لأنك لست مسؤولاً عن نيَّته يوم القيامة، بل أنت مسؤول هل وصلك التذكير بالله أم لم يصلك؟

ورحم الله تعالى الإمام ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه عندما قال: إنما

أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً. لا تلتفت إلى نية زوجتك ولكن التفت إلى كلامها هل هو حق أم باطل؟

أيها الزوج! كن على يقين بأن الله تعالى أراد بك خيراً عندما سلَّط عليك زوجتك لتأمرك بالمعروف وتنهاك عن المنكر وتذكِّرك بالله، وتذكِّرك بالعواقب الوخيمة في الدنيا قبل الآخرة، فلا تكن لآيات الله عنيداً.

الزوجة تستحقُّ الشكر:

أيها الإخوة الكرام: عندما تطَّلع الزوجة على معصية الزوج وتنصحه فإذا به يقابل هذه النصيحة بإيجاد مشكلة لزوجته عوضاً عن شكرها، وينسى قول الله تعالى: {هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَان}.

يا أيها الزوج الكريم: إن زوجتك تستحقُّ الشكر على نصحها لك، ولا تستحقُّ إيجاد مشكلة لها تجعل حياتها مع حياتك شقاءً وجحيماً، أيها الزوج: لماذا هذه العصبية الحمقاء، هل نسيت قول الله عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَاد}. قابل يا أخي الكريم زوجتك بالشكر والدعاء لها بظهر الغيب لأنها أرادت بك خيراً.

أيها الإخوة المؤمنون: الزوج عندما يكون غافلاً عن الله عز وجل يقابل نصح زوجته بكلمات جارحة، فيقول لها: أنت لا علاقة لك بذلك، ومن الذي كلفك بهذا؟ أنت لست مسؤولة عني يوم القيامة، أنت لن تدخلي قبري، هذا ليس من شأنك وليس من خصوصياتك، والأشدُّ من هذا أن يقول لها حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

ويُصعِّد الرجل المشكلة بينه وبين زوجته حتى يهدِّدها بالطلاق والفراق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها الإخوة الكرام: من الذي جعل المشكلة في الأسرة؟ هل انحراف الزوج أم

الزوجة بنصحها؟ الأمر واضح لكلِّ عاقل، الزوج هو الذي جعل المشكلة في حياته الزوجية، وتذرَّع لذلك بأنه يجب على زوجته أن لا تتدخل في ذلك لأن هذا من خصوصياته.

كلمة حقٍّ أُريد بها باطل:

أيها الإخوة الكرام: إن قول الزوج لزوجته: لن تحاسبي عني، ولن تدخلي في قبري، ولا تزر وازرة وزر أخرى، كلمات حق، ولكن أُريد بها باطل.

لأني أقول لهذا الزوج: كلماتك هذه كلمات حق، وبالمقابل أنت لن تدخل قبرها، ولن تحاسب عنها، ولن تتحمَّل وزرها، ولكن هل ترضى لها الانحراف وتسكت عن انحرافها؟ تذكر قول الله تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِين * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُون * أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين}.

أيها الإخوة الكرام: أين عقول هؤلاء الرجال الذين يقولون هذا الكلام؟ هؤلاء يقولون: المرأة لا يُلتَفَتُ إلى قولها لأنها ناقصة عقل ودين.

بالله عليكم: هذه المرأة ناقصة العقل والدين تقدِّم نصحاً وتذكِّر بالله تعالى، وتذكِّر بالعواقب الوخيمة للمخالفات الشرعية، ويأتي الردُّ من الرجل الذي يزعم كمال عقله، بالله عليكم هل ترون لهذا الرجل عقلاً عندما يردُّ هذا الردَّ على زوجته؟ أذكِّر هذا الرجل بقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِير}.

من الذي كلَّف المرأة بالأمر بالمعروف؟

يا عباد الله: إنه لمن العجيب أن تسمع من بعض الرجال في مثل هذه المشكلات من يقول لزوجته: من كلَّفكِ بهذا؟

يا أيها الزوج الكريم: إن الذي كلَّف المرأة بذلك هو الله تعالى، الذي كلَّفها بذلك هو نبينا صلى الله عليه وسلم، الذي كلَّفها بذلك هو إسلامها.

ألم يقل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ رَأَى مِنْكُم مُنْكراً فَلْيغيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطعْ فبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبقَلبِهِ، وَذَلَكَ أَضْعَفُ الإِيمانِ) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؟ أليست المرأة مشمولة بهذا الأمر؟ أليست هي مأمورة بتغيير المنكر إذا شاهدت على جوالك بعض الصور أو الرسائل التي لا ترضي الله تعالى؟ أليست مأمورة بتغيير المنكر عندما تراك تتحدث مع امرأة أجنبية كلاماً لا يرضي الله تعالى؟ مع العلم بأنه لا يجوز للمرأة أن تتجسَّس على أحد من الناس، بما فيه زوجها.

فالمرأة مأمورة بتغيير المنكر إذا شاهدته، وإن لم تغيِّر وكانت راضية بذلك، فهي آثمة مع صاحب المنكر، قال صلى الله عليه وسلم: (إِذَا عُمِلَتْ الْخَطِيئَةُ فِي الأَرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا) رواه أبو داود، وفي رواية لأبي يعلى: (من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهده).

كيف لا تأمر الزوجة بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

أيها الإخوة الكرام: كيف يقول الزوج لزوجته لا علاقة لك بهذا الموضوع؟ كيف لا تأمر الزوجة بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

أولاً: هي لا ترضى أن تصاب بهذه الفتنة:

ألم يقل مولانا عز وجل في كتابه العظيم: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}؟ كيف لا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهي تقرأ هذه الآية؟ إنها تخاف على نفسها وولدها من هذا المنكر إذا لم تنه عنه، لأن رشاش هذا المنكر سوف يصيبها ويصيب أولادها، فكيف لا علاقة لها بذلك؟ ومن الذي جعل المشكلة في الحياة الزوجية، الزوجة أم الزوج؟

ثانياً: هي لا ترضى أن تسوء سمعتها بين الناس:

أيها الزوج! أنت القدوة، وأنت المتبوع، وهي التابعة والمأمومة، كيف لا تأمر

بالمعروف وتنهى عن المنكر إذا اشتهر أمرك بين الناس بهذه العلاقات غير المشروعة، وهذا يسيء إلى سمعتها بين الناس؟

الزوجة وليَّة زوجها والزوج وليُّ زوجته، وذلك لقوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم}. لزاماً عليها أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بأسلوب لطيف، كما قال تعالى لسيدنا موسى وأخيه هارون: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}.

ثالثاً: هي لا ترضى أن ينتقل لها الداء الفاضح:

كيف لا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهي تسمع الآن بالداء الفاضح لمرتكبي الفواحش، حيث انتشر داء الإيدز في ربوع الغرب وبدأ ينتشر في ديار المسلمين؟

نعم يجب أن تكون حريصة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بداية الداء، من رسالة غير شرعية، إلى صورة غير شرعية، خشية الوصول إلى الفاحشة الكبيرة الفاضحة، فمن حقِّ المرأة أن تنهى عن المنكر الذي تراه من زوجها.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: من رأى زوجته غيورة عليه، ناصحة له، ساترة عليه، فليحمد الله عز وجل على هذه النعمة، ولا يليق به أن يكون أحمقَ يقابل الإحسان بالإساءة، فيُصعِّد معصيته من الصغيرة إلى الكبيرة، حتى يصل إلى الفاحشة التي قد تؤدي إلى فضيحته في الدنيا قبل الآخرة، لأنَّ العقوبة في الآخرة أشدُّ، وذلك لقوله تعالى: {وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}.

تذكَّر أيها الزوج الكريم يا من ابتليت بقرين سوء زيَّن لك المعصية، أو بامرأة

فاسقة فاجرة أرادت أن تدمر مستقبلك في الدنيا والآخرة، بأن زوجتك ما اختارتك إلا على أساس من الدين والخلق، وصاحب الدين والخلق هو الذي يقبل النصيحة ويشكر عليها، ولا يجعل منها سبباً لوجود المشاكل في حياته الزوجية.

أسأل الله تعالى أن لا يحرمنا الناصح، وأسأل الله تعالى الذي سترنا فيما مضى من أعمارنا أن يسترنا فيما بقي منها، وأسأل الله تعالى أن يجعلنا من الوقَّافين عند حدود الله تعالى، وأن لا نجعل من كلمة الحق مشكلة في حياتنا الزوجية، حتى لا ينطبق علينا قول الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَاد}.

اتقوا الله في نسائكم يا عباد الله، ولا تكونوا سبباً في وجود الخلافات بينكم وبين أزواجكم من خلال المخالفات الشرعية. أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

174- خطبة الجمعة: شهر رجب يذكِّر بالمِحَن والمِنَح

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسابيع الماضية الأسباب التي يكون الزوج فيها سبباً في وجود المشاكل الزوجية، وعالجنا هذه الأسباب، وبالمقابل قد تكون الزوجة سبباً في وجود المشاكل الزوجية، فما هي الأسباب التي تكون الزوجة فيها سبباً في وجود المشاكل؟

أيها الإخوة: سوف أرجئ الجواب عن هذا إلى ما بعد شهر رمضان المبارك إن أحيانا الله تعالى، لأنه كلما أطلَّ رجب المحرَّم نقول: اللهم كما بلَّغتنا شهر رجب بلِّغنا شهر شعبان وشهر رمضان لنزداد وقرباً منك، لنتعرَّض لنفحات الله تعالى في شهر رجب المحرَّم، وفي شهر شعبان الذي يغفل عنه كثير من الناس، ولنتعرَّض لنفحات الله في شهر رمضان المبارك.

شهر رجب يذكِّر بالمِحَن والمِنَح:

أيها الإخوة المؤمنون: كلَّما هلَّ هلال شهر رجب المحرَّم فإنه يذكِّرنا بالمِحَن والمِنَح التي لاقاها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يذكِّرنا هذا الشهر بحادثة الإسراء والمعراج التي كانت مِنْحة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المحنة العظيمة التي عانى منها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد وفاة عمه أبي طالب، وبعد وفاة السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها، عندما هاجر إلى

الطائف ليدعوَ ثقيفاً إلى الله تعالى.

والذكريات هي محطَّة لتقوية إيمان الأمة، وخاصة ونحن نعيش في زمن الابتلاءات والمِحَن والمصائب والشدائد.

لأنه وبكلِّ أسف قد يصدر من بعض الناس سؤال يقول فيه السائل: لماذا هذه المِحَن والشدائد والمصائب والابتلاءات؟

اسمحوا لي أيها الإخوة أن أقول وبكلِّ وضوح: هذا السؤال لا يصدر إلا من إنسان غافل لا صلة له مع القرآن العظيم، ولا صلة له مع حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا صلة له مع سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لأن صاحب الصلة مع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل مثل هذا السؤال أبداً، كيف يسأل هذا السؤال وهو يقرأ قول الله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ}.

كيف يسأل هذا السؤال وهو يقرأ قول الله تعالى: {الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين}.

الملتصق بكتاب الله عز وجل لا يسأل هذا السؤال، لأنه يقرأ قول الله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور}، فالعبد ما خُلق في هذه الحياة الدنيا إلا للاختبار والابتلاء والمِحَن.

والملتصق بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل هذا السؤال، لأنه يسمع حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: (مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ) رواه البخاري. وكيف يسأل هذا السؤال وهو يقرأ سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت مليئة بالابتلاءات والمِحَن؟

ما هي الحكمة من الابتلاءات؟

أيها الإخوة الكرام: قد يتساءل البعض: ما هي الحكمة من هذه الابتلاءات والمِحَن والمصائب؟

أولاً: تعرِّف العبد على حقيقة نفسه:

الجواب على ذلك يا أيها الإخوة الكرام: كلُّنا يعلم بأن نعم الله تعالى علينا لا تُعدُّ ولا تُحصى، كما قال تعالى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار}.

والإنسان إذا رأى النعمة بدون منغِّصات نسي المنعم والعياذ بالله تعالى، فربما أن يتفرعن، وقد يدَّعي الألوهية والربوبية كما فعل فرعون، وصدق الله القائل: {كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}.

فأراد الله جل جلاله أن يُشعر الإنسان بحقيقته المشار إليها بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد}، لذلك سلَّط عليه الابتلاءات والمِحَن والمصائب حتى يعرف نفسه أنه فقير عاجز، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه، كما قال بعض العارفين بالله تعالى، فالابتلاءات توقف العبد على حقيقة نفسه وتدفعه لمعرفة ربه عز وجل.

ثانياً: تذيقه حلاوة الإيمان:

أيها الإخوة الكرام: إن الابتلاءات والمحن والمصائب تذيق صاحبها حلاوة الإيمان بالله تعالى الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وذلك عندما يسوق الابتلاءات ليعرِّف الإنسان نفسه، فإذا عرف نفسه ودعا ربه عز وجل وكشف عنه البلاء أقبل على ربه محباً له بكلِّ ذراته، وكما قال صلى الله عليه وسلم عليه وسلم: (أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ) رواه الترمذي، ومن نعمة الله الابتلاءات، ومن نعم الله كشف هذه الابتلاءات.

ثالثاً: توقفه على باب مولاه مناجياً ربه:

أيها الإخوة الكرام: من حِكم الابتلاءات والمصائب أنها تجعل العبد يقف

على باب مولاه لمناجاته، حيث يرى العبد المبتلى المصاب توجَّه إلى الله تعالى بكلِّ ذراته، وشَرُف بمناجاته لمولاه، ولولا المصائب والمحن لما وقف العباد على باب مولاهم إلا إذا كانوا من أهل الوداد وكانوا من أولي الألباب.

فصارت الابتلاءات والمحن والمصائب سبباً للمناجاة، والمناجاة شرف عظيم ومنصب من الكرام جسيم.

والفارق كبير بين من يدعو الله تعالى بقلب حاضر، وبين من يدعوه بلسانه، وقلبُه غافل عن ربه عز وجل، الفارق كبير بين دعاء صاحب العطاء إذا كان غافلاً عن الله عز وجل بسبب النعمة، وبين صاحب المنع الذي ابتلاه الله تعالى بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، فهذا يدعو الله تعالى بقلب رقيق حزين منكسر، مع دمعة من العين صادقة، وذلك يتحرَّك لسانه، وقلبه ملتفت إلى النعمة دون المنعم، إلا من رحم الله تعالى.

رابعاً: ليعطيه أجراً بغير حساب:

أيها الإخوة الكرام: ربُّنا عز وجل رحيم بخلقه يريد أن يعطيهم من خزائن رحمته من غير حساب، أن يعطيهم بلا حدٍّ ولا عدٍّ، وهذا الأمر قد يجعل له سبباً، ومن الأسباب لنيل هذا الأجر بغير حساب الابتلاءات، كما قال تعالى:
{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعون * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون}.

فبهذه الابتلاءات يعطيك، ورحم الله من قال: إن الله تعالى أعطاك ليعطيك إن كنت شاكراً، ومنعك ليعطيك إن كنت صابراً.

بالابتلاءات يعطيك أجراً بغير حساب، كما قال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَاب}.

خامساً: ليرغِّبه في الآخرة التي قد يزهد فيها بعض الناس:

وأخيراً أيها الإخوة الكرام: يبتلي الله تعالى خلقه ليرغِّبهم في الآخرة إن زهدوا فيها، لأنه كما قلت بداية: إذا رأى العبد النعم بدون منغِّصات فإنه يطمئنُّ إليها ويركن إليها، وقد يزهد في الآخرة ولا يريد الخروج من الدنيا، فإذا جاءت الابتلاءات والمِحَن والمصائب ترى هذا العبد يتطلَّع إلى يوم اللقاء، يتطلَّع إلى يوم الخروج من الدنيا، من دنيا التكليف إلى الآخرة حيث فيها التشريف والعطاء بدون منغِّصات.

لذلك شاء ربُّنا عز وجل أن يجعل هذه الحياة مليئة بالمنغِّصات من أجل الزهد فيها، وعدم الركون إليها، لأن هذه الحقيقة يجب أن لا تغيب عن الأذهان: {وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}. فمن رحمته تبارك وتعالى جعل فيها المنغِّصات، حتى إذا ما جاءت سكرات الموت رأيت المؤمن يعشق الخروج من الدنيا، ولولا المنغِّصات ربما أن يموت الإنسان الموتات عند سكرات الموت بسبب مفارقته لهذه الدنيا المليئة بالنعم.

نِعَم الدنيا لا تدوم، وإذا دامت فالعبد لا يدوم لها، لذا من حكمة الله في الابتلاءات أن يرغِّبنا في الآخرة ويزهِّدنا في الدنيا.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: هذا هو شهر رجب المحرَّم الذي يذكِّرنا بحادثة الإسراء والمعراج التي كانت من وراء مِحنة عظيمة كانت لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، نتعلَّم من خلالها أنه من المحال دوام الحال، ونتعلَّم من خلالها أن المِحَن وراءها مِنَح، وكلُّ مِنْحة وراءها مِحنة، فالعبد يتقلَّب بين محنة ومنحة ليكون صابراً شاكراً.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

175- خطبة الجمعة: هل تريد إسراء ومعراجاً في ظل إسراء ومعراج الحبيب صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فيا عباد الله:

إنه مما لا شك فيه بأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم يُغبط على ما أكرمه الله تعالى به من نعم، وخاصة بنعمة الإسراء والمعراج بعد نعمة النبوة والرسالة.

وكذلك مما لا شك فيه بأن كل مؤمن صادق في إيمانه يتمنى أن يكرمه الله تعالى بإسراء ومعراج روحاً في ظل إسراء ومعراج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان روحاً وجسداً كما عليه جماهير الفقهاء والعلماء.

معراج المؤمن روحاً:

أيها الإخوة الكرام: لقد أكرم الله تعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالإسراء والمعراج روحاً وجسداً فرأى من آيات ربه الكبرى، والذي أكرم الحبيب صلى الله عليه وسلم هذا الإكرام هو الذي يكرم العبد المؤمن الذي يسير خلف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسراء ومعراج روحاً في ظل إسراء ومعراج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لا غرابة في ذلك، فهذا سيدنا حارثة رضي الله عنه، يراه النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله: (كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ: انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟ فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي

عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لِيَلِي، وَأظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ: (يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ) ثَلاثًا. رواه الطبراني والبيهقي وابن أبي شيبة.

كل شيء له ثمن:

أيها الإخوة الكرام: نعم كما قلتُ بأن الحبيب الأعظم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم يُغبَط على ما أكرمه الله تعالى به من نعم، وخاصة نعمة الإسراء والمعراج، ولكن علينا أن نعلم بأن كل شيء له ثمن في هذه الحياة الدنيا، وإن المنح التي ينالها العبد من ربه عز وجل تكون من وراء المحن التي يختبر بها خلقه.

وإن منحة الإسراء والمعراج كانت من وراء محن كثيرة كانت بدايتها عند قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين}، وردَّ عليه عمه أبو لهب بقوله: (تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا) رواه البخاري، ونهايتها عند هجرته إلى الطائف وعودته منها ومنع قريش له من دخول مكة، حتى دخل في جوار رجل مشرك.

وهذه سنة الله في خلقه ماضية، تعلمون أيها الإخوة بأن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان خليلَ الرحمن، وجعله الله تعالى إماماً للناس، ولكن هذه المنحة ما كانت إلا بعد محن متوالية، كما أخبر تبارك وتعالى عنه بقوله: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}.

هل تريد إسراء ومعراجاً في ظل إسراء ومعراج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

أيها الإخوة الكرام: لنتساءل فيما بين بعضنا البعض: هل نريد إسراء ومعراجاً في ظل إسراء ومعراج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ الجواب: واضح ولا شك فيه، نعم نريد إسراء ومعراجاً بروحنا في ظل إسراء ومعراج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

علينا بالاتباع إن كنا صادقين:

فيا أيها الصادق في هذا الطلب تعال وانظر إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحقِّق الاقتداء بهذا الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم الذي قال لنا فيه مولانا عز وجل: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}.

أولاً: التحقُّق بالعبودية لله عز وجل:

أيها الإخوة الكرام: إن الحبيب الأعظم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم صاحب ذكرى الإسراء والمعراج، كان متحقِّقاً بالعبودية لله عز وجل، فلنتحقَّق نحن بالعبودية لله عز وجل.

نعم لقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الإسراء والمعراج متحقِّقاً بالعبودية لله عز وجل في عباداته، وفي معاملاته، وفي حِلِّه، وفي ترحاله، وفي قوته، وفي ضعفه، وفي صحته، وفي مرضه، وفي أفراحه، وفي أحزانه، ما خرج عن دائرة العبودية لله عز وجل.

العطاء ما أخرجه عن دائرة العبودية لله تعالى، وكذلك المنع، عندما شدَّ على بطنه الشريف الحجر والحجرين من شدة الجوع كان متحقِّقاً بالعبودية لله عز وجل، وعندما فُتحت له الفتوحات وجاءته الغنائم ما خرج عن دائرة العبودية لله عز وجل.

وقد شهد الله عز وجل له بذلك عندما قال عنه: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً}، فوصفه بأعلى مقام ألا وهو مقام العبودية لله عز وجل.

وقد أخبر عن حقيقة هذه العبودية في ذاته. وهو الصادق المصدوق، الذي شهد الله تعالى بصدقه، وشهد له أعداؤه بذلك قبل أوليائه وأحبابه، وقالوا: ما جربنا عليك إلا صدقاً. أخبر الصادق المصدوق عن ذاته بقوله صلى الله عليه وسلم: (آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، فإنما أنا عبد) رواه عبد الرزاق والطبراني والبيهقي.

صاحب الإسراء والمعراج تحقَّق بالعبودية لله تعالى في سائر أحواله، فأكرمه ربنا

عز وجل بما أكرمه به، أين نحن من هذه العبودية في أفراحنا وأتراحنا، وفي منشطنا ومكرهنا؟ أين عبوديتنا لله تعالى، البعض قد تلبث بالأنا الفرعونية والعياذ بالله تعالى، فهل في مثل هذا الحال يمكن للعبد أن يسري ويعرج بروحه في ظل إسراء ومعراج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

ثانياً: التحقق بسلامة القلب وطهارته:

أيها الإخوة الكرام: إن الحبيب الأعظم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم كان متحقِّقاً بسلامة القلب وطهارته، فما عرف الحق ولا الغل ولا الحسد ولا البغضاء، فلنتحقق بسلامة القلب وطهارته من كل صفات النقص.

نعم لقد كان صاحب الإسراء والمعراج صاحب قلب سليم فما عرف قلبه قلبه الشريف الحقد ولا الغل ولا الاستكبار ولا البغي، وقد اتفقت كلمة الأعداء والأوفياء الأولياء على أنه ما رأت عين صاحب خلق حسن وقلبٍ سليم مثل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد شهد الله عز وجل له بذلك فقال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم}، قال مولانا هذه الشهادة في حقِّ صاحب الإسراء والمعراج بعد القسم بقوله: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُون * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون * وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُون}.

وتجلت سلامة قلبه الشريف عندما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، وذلك بعد وفاة عمه أبي طالب الذي كان يدافع عنه في مكة ويرد عنه المشركين، وكذلك بعد وفاة زوجته السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها التي كانت وزيرة صدق لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي جنَّدت نفسها ومالها في خدمته صلى الله عليه وسلم، حيث ضيَّق عليه المشركون سبل الدعوة إلى الله تعالى.

خرج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بلدة الطائف ليدعو ثقيفاً إلى الله تعالى، وما ذاك إلا تحقُّقاً بالعبودية لله عز وجل القائل له: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ}، ولكن ثقيفاً ردَّت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

شر ردٍّ، وسلَّطوا عليه السفهاء والصبيان والمجانين، مما اضطره أن يخرج من الطائف ويأوي تحت ظل شجرة بجوار بستان ابن ربيعة، ودعاء الدعاء الذي تعرفونه: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني، إلى عدو يتجهمني، أو إلى قريب ملَّكته أمري، إن لم تكن غضبان عليَّ فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك) رواه الطبراني.

أيها الإخوة الكرام: بعد هذه الدعوات الحزينة التي تؤلم قلب المؤمن يأتيه سيدنا جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال، فقال له سيدنا جبريل عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) رواه البخاري ومسلم.

هل عرفت الدنيا قلباً سليماً كقلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ اعتذر لسيدنا جبريل رغم ما فعلت ثقيف معه، ورجا من الله تعالى أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله تعالى، إن يئس منهم فلن ييئس الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ولقد أخرج الله تعالى من العبد الكافر الميت أبي جهل ولده الصالح الصحابي الجليل سيدنا عكرمة رضي الله عنه.

هكذا تكون القلوب سليمة لا حقد فيها ولا غل ولا بغي ولا إثم، نعم لقد تحقق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعبودية لله تعالى، وتحقَّق بسلامة القلب وطهارته، فأكرمه الله تعالى بمعجزة الإسراء والمعراج، روحاً وجسداً، كانت

هذه المنحة وراء تلك المحنة.

خاتمة نسأل تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: يا من تريدون إسراءً ومعراجاً في ظل إسراء ومعراج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا جميعاً بالتحقق بالعبودية لله عز وجل في سائر أحوالنا، وعلينا بسلامة القلب وطهارته من كل وصف يبعدنا عن الله عز وجل، عسى ربنا أن يكرمنا بالمعراج روحاً في صلاتنا وفي سائر أحوالنا. اللهم أكرمنا بذلك. آمين.

أقول هذا القول، وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

176- خطبة الجمعة: من ثمرات الإسراء والمعراج: الأقصى أمانة في عنق الأمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأن حضرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد أكرمه الله تعالى بالإسراء والمعراج روحاً وجسداً، وكان هذا بعد أن تحقَّق بأعلى مراتب العبودية لله عز وجل وأسماها، وبعد أن تحقَّق بالأخلاق الفاضلة حتى

نال أسمى وأعلى درجات الأخلاق التي شهد الله عز وجل له بها بقوله تعالى: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُون * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون * وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُون * وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم}.

وقلت: بأن الذي يريد أن يسري ويعرج روحاً في ظل إسراء ومعراج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعليه أن يتحقَّق بالعبودية لله عز وجل في سائر أحواله، وأن يتحقَّق بصفاء قلبه وروحه وسره، كما كان الحبيب صلى الله عليه وسلم الذي شهد له بذلك الأعداء قبل الأولياء والأصفياء، الذي يريد العروج بروحه في صلاته، لأن الصلاة معراج المؤمن، فعليه بالاقتداء بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تصديق حدث الإسراء والمعراج يحتاج إلى إيمان:

أيها الإخوة المؤمنون: الإسراء والمعراج له فوائد جليلة وثمرات يانعة، والإيمان والتصديق بها يحتاج إلى إيمان بالذي أسرى بحبيبه صلى الله عليه وسلم، وكلما عظم الإيمان عظم التصديق بما أخبر به الحبيب صلى الله عليه وسلم، وحدث الإسراء والمعراج أظهر إيمان الصديق رضي الله عنه أنه أقوى إيمان الصحابة رضي الله عنهم، وذلك عندما أخبره المشركون عن إسراء ومعراج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم ، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء في غدوة أو روحة ، فلذلك سمي أبو بكر الصديق رضي الله عنه. رواه عبد الرزاق والحاكم.

إقامة الحجة على منكري الإسراء:

أيها الإخوة الكرام: إن الصدع بالحق أمام أهل العناد يحتاج إلى حكمة بالغة، ولذلك كانت من حكمة النبي صلى الله عليه وسلم أن يحدِّثهم عن الإسراء أولاً، دون المعراج، لأنهم إن صدَّقوها صدَّقوا ما بعدها، وإن كذَّبوها فتكذيب المعراج من

باب أولى.

عند ذلك قال له القوم: صف لنا بيت المقدس، كيف بناؤه وكيف هيئته؟ وكيف قربه من الجبل ؟ وفي القوم من سافر إليه. فذهب ينعت لهم بناءه كذا وهيئته كذا، وقربه من الجبل كذا، فما زال ينعته لهم حتى التبس عليه النعت، فكرب كرباً ما كرب مثله، فجيء بالمسجد وهو ينظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال، فقالوا: كم للمسجد من باب؟ ولم يكن عدها، فجعل ينظر إليه ويعدها باباً باباً، ويعلمهم، وأبو بكر يقول: صدقت صدقت، أشهد أنك رسول الله.

فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب. ولذا قال بعضهم:

يا واصف الأقصى أتيت بوصفه *** فكأنك الرسام والبنَّاء

ثم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرنا عن عيرنا.

فقال: أتيت على عير بني فلان بالروحاء قد أضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها، فانتهيت إلى رحالهم ليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء فشربت منه.

ثم انتهيت إلى عير بني فلان فنفرت مني الإبل، وبرك منها جمل أحمر عليه جوالق مخطط ببياض لا أدري أكسر البعير أم لا؟

ثم انتهيت إلى عير بني فلان في التنعيم يقدمها جمل أورق وها هي ذه تطلع عليكم من الثنية.

قالوا: فمتى تجيء ؟ قال: يوم الأربعاء.

فلما كان ذلك اليوم، انصرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار، ولم تجئ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم، فزيد له في النهار ساعة، وحُبست عليه الشمس، حتى دخلت العير، فاستقبلوا الليل.

فقالوا: هل ضل لكم بعير؟ قالوا: نعم.

فسألوا العير الأخر فقالوا: هل انكسر لكم ناقة حمراء؟ قالوا: نعم.

قالوا: فهل كان عندكم قصعة من ماء؟ فقال رجل: أنا والله وضعتها فما

شربها أحد، متأولاً أهريقت في الأرض.

تأكد المشركون من ذلك فوجدوه صحيحاً، وكانت هذه الأدلة مفحمة لهم لا يستطيعون ردَّها.

من ثمرات الإسراء والمعراج:

أيها الإخوة الكرام: إن من ثمرات الإسراء والمعراج أن تعلم الأمة علم اليقين وجوب الربط بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام، وأن تعلم الأمة أن المسجد الأقصى هو مسرى نبيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عليه وسلم، ومعراجه إلى السماوات العلى، وأنه كان قبلة المسلمين الأولى خلال الفترة المكية.

من ثمرات الإسراء والمعراج وجوب تحمل مسؤولية المسجد الأقصى، ومسؤولية تحريره من رجس المشركين، ولذلك أدرك الصحابة رضوان الله عليهم ما للمسجد الأقصى من أهمية وهو يقع أسيراً تحت حكم الرومان، فقام سيدنا عمر رضي الله عنه بتحريره ودام محرَّراً ينعم بالأمن والأمان خمسة قرون من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

التسلُّط على الأمة بسبب ضعف التزامها:

أيها الإخوة الكرام: كلما التزمت الأمة كتاب ربِّها عز وجل وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم مكَّنها الله تعالى في الأرض وأعزَّها، وكلَّما ابتعدت عن منهج ربها سلَّط الله تعالى عليها عدوَّها، وهذا ما يؤكده الواقع.

سيدنا عمر رضي الله عنه سلَّم الأمة المسجد الأقصى محرَّراً، وعندما بقيت الأمة ملتزمة كان عزُّها قائماً، ولكن عندما ابتعدت عن نهج ربها تمكَّن منها عدوُّها وعادوا إلى الأقصى ثانية، ومكثوا فيه قرابة قرن يعيثون فيه فساداً.

عادت الأمة إلى رشدها وصوابها، وعادت إلى الالتزام بكتاب ربها، وجاء سيدنا صلاح الدين رضي الله عنه فكان به صلاح دين الأمة، فحرَّره رضي الله عنه من رجس الصليبيين.

وعادت النكسة للأمة في دينها، فعاد اليهود واحتلوا القدس الشريف، ولن تتخلص الأمة من رجس هؤلاء إلا بالعودة إلى كتاب الله وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الأقصى أمانة في عنق الأمة:

أيها الإخوة الكرام: إن المسجد الأقصى أمانة في عنق الأمة بقضِّها وقضيضها، أمانة في عنق الأمة من القاعدة إلى القمة، كلٌّ على قدر مسؤوليته وتحمُّله، الأمة ـ حكاماً ومحكومين ـ مسؤولة عن المسجد الأقصى ما دامت أنها آمنت بمن أسرى بالحبيب صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

ويجب أن يعلم الجميع ـ وخاصة حكام العرب والمسلمين ـ أن تهديد المسجد الأقصى يعني تهديداً للمسجد الحرام ومسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن النيل من المسجد الأقصى هو نيل من المسجد الحرام، فالمسجد الأقصى هو بوابة الطريق إلى المسجد الحرام.

هذه رئيسة مجلس وزراء اليهود جولدا ماثير تقول بعد احتلال القدس: إني أشم رائحة أجدادي في المدينة والحجاز، وهي بلادنا سوف نسترجعها. ألا لعنة الله عليها وعلى أجدادها.

أيها الإخوة: لنكن على بصيرة من أمرنا، وخاصة عندما نقرأ سورة الإسراء، يجب أن تلفت سورة الإسراء نظرنا إلى آياتها، سورة الإسراء بكاملها ما تحدثت عن الإسراء إلا بآية واحدة، ثم جاء من بعدها الحديث عن اليهود وفسادهم وإفسادهم، ارجعوا إلى سورة الإسراء، وتدبَّروا ذلك، قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير * وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلا * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا *

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا}.

ماذا يجب علينا؟

أيها الإخوة: قد يقول أحدنا وأنا واحد منكم: ماذا نفعل نحو القدس، والأمر ليس بيدنا، إنما هو بيد أولياء الأمر؟

هذا حقٌّ أيها الإخوة من جانب، ومن جانب آخر ليس حقاً، لأن الواجب نحو الأقصى يتحمَّله الكل من أدناهم إلى أعلاهم، وكلُّ واحد يتحمَّل بمقدار ما حمَّله الله إياه، وأعظم من يتحمَّل هذا هم أولياء الأمر.

ولكن أيها الإخوة يجب علينا أن نعلم بأن شعورنا إن كان صادقاً نحو الأقصى مسرى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجُه، فإن هذا الشعور يدفعنا للالتزام بكتاب الله تعالى وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاصة فيما يتعلَّق بنسائنا.

لأن النساء اليوم أصبحن معول هدم لا معول بناء في جسم الأمة الإسلامية، لأن العدوَّ تمكن من إفساد النساء، وخاصة فيما يتعلق بالسفور والتبرُّج والاختلاط.

أيها الإخوة: أناشدكم الله تعالى أن يهتمَّ كلُّ واحد منا في محارمه، من زوجة وبنت وأم وأخت، أن يقنعهنَّ في الابتعاد عن السفور والتبرج والاختلاط.

السفور والتبرج والاختلاط هو سبب فساد الشباب، وإذا فسد الشباب ـ وهم مستقبل الأمة ـ فلا خير يرجى، لأن الشباب إذا اتَّبعوا الأهواء والشهوات ضيَّعوا الأرض والعرض والعياذ بالله تعالى.

الذي يجب علينا ونحن نعيش ظلال الإسراء والمعراج هو العودة إلى كتاب الله

وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنحلُّ حلاله ونحرِّم حرامه، ونقف عند حدوده.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: الأقصى يناشدنا العودة إلى كتاب الله وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة، لأن وعد الله تعالى لا يُخلف، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

اللهم ردَّنا إليك رداً جميلاً، ومع ثمرات الإسراء والمعراج في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى. أقول هذا القول، وكلٌّ ما يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

177- خطبة الجمعة: من ثمرات الإسراء والمعراج: رؤية الحقائق الإيمانية رؤية بصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى

آله وصحبه أجمعين. أما بعد فيا عباد الله:

لقد وقفنا في الأسبوع الماضي مع ثمرة من ثمرات الإسراء والمعراج ألا وهي أهمية الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وأن المسجد الأقصى هو أمانة في أعناق المسلمين حكاماً ومحكومين، وأن الجميع سوف يسأل عن المسجد الأقصى، وماذا قدَّم للمسجد الأقصى من حماية ورعاية؟ وماذا بذل لتحرير المسجد الأقصى؟

حدث الإسراء والمعراج علَّم الأمة الإسلامية بأن المسجد الأقصى دخل في ميراث أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويجب عليهم رعايته كرعاية المسجد الحرام، ولهذا تفطَّن الصحب الكرام لهذه المسألة، وقد أكرم الله تعالى سيدنا عمر رضي الله عنه بتحرير المسجد الأقصى من الرومان.

من ثمرات الإسراء والمعراج رؤية الحقائق الإيمانية رؤية بصر:

أيها الإخوة الكرام: إن من ثمرات الإسراء والمعراج الذي كان لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم روحاً وجسماً رؤيتُهُ الحقائق الإيمانية رؤية بصر بعد أن كانت رؤية بصيرة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لقد رأى الحقائق الإيمانية رؤية عين فصار علمه فيها عين اليقين بعد أن كانت علم اليقين.

كلنا يعلم أركان الإيمان الستة، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى.

في ليلة إسرائه ومعراجه رأى الحقائق الإيمانية رؤية بصر بعد أن كانت رؤية بصيرة، أما بالنسبة للمؤمن فما زالت في دائرة رؤية البصيرة، كما كان يقول أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (نُكونُ عِنْدكَ تُذَكِّرُنَا بالنَّارِ والجْنَةِ كَأَنَّا رأْيَ العَيْنِ) رواه مسلم. ويقول بعضهم: (فَبِتُّ وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا) رواه الطبراني والبيهقي، حتى نخرج من الدنيا فتصبح الحقائق الإيمانية رؤية بصر، وعلى رأس ذلك كلِّه رؤية الله تعالى بدون كيف ولا حصر، كما قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة}.

ماذا رأى من الحقائق الإيمانية رؤية بصر؟

أيها الإخوة المؤمنون: إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ليلة إسرائه ومعراجه الأنبياء والمرسلين رؤية بصر، وصلى فيهم إماماً يقظة لا مناماً، ورأى الملائكة الكرام، ورأى الجنة ورأى النار، ورأى عرش الرحمن، ورأى من آيات ربه الكبرى، وصدق الله القائل: {لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير}. وصدق الله القائل: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}. فما رآه فؤاده هو حق، وما رآه بصره هو حق، وصار بالنسبة له هو عين اليقين.

الحكمة من رؤية الحقائق الإيمانية:

أيها الإخوة الكرام: إن رؤية الحقائق الإيمانية بالنسبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤية بصر لم تكن لزيادة إيمانه واطمئناناً لقلبه. والله تعالى أعلم. بل كانت لتطمين قلوب الأمة التي عرفت صدق نبينا صلى الله عليه وسلم.

النبي صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق الذي شهد له أعداؤه قبل أوليائه بقولهم: (ما جرَّجنا عليك إلا صدقاً) رواه البخاري. رأى الحقائق الإيمانية رؤية بصيرة وبصر ليحدِّث الأمة التي صدَّقته وما جرَّبت عليه إلا الصدق عن هذه الحقائق الإيمانية، لأنه صلى الله عليه وسلم هو الصادق المصدوق الحريص على هداية الأمة وإنقاذها من الضلال إلى الهدى ومن المعصية إلى الطاعة، كما قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيم}.

عاد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحدث الأمة عن الجنة وعن النار، وعن موجبات دخول الجنة ودخول النار والعياذ بالله تعالى.

من جملة ما رآه:

أولاً: عقوبة المغتابين:

أيها الإخوة الكرام: من جملة ما رآه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء من الحقائق الإيمانية: (رأى أقواماً يَأْكُلُونَ الْجِيَفَ، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ) رواه الإمام أحمد.

لعل الذي وقع في جريمة الغيبة يسمع هذا الحديث بعد أن سمع قوله تعالى: {وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيم}.

لعله يسمع هذا الحديث بعد أن سمع قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ) رواه الإمام أحمد عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

لعل المغتاب من الرجل والمغتابة من النساء تسمع هذه الآية وهذه الأحاديث ويتصوَّر كل واحد منهما عندما يجلس ليأكل لحماً، ولكن أيَّ لحم؟ ليس لحم الأنعام المذكَّاة، بل سيأكل لحماً ميتاً، وياليته كان من لحم الأنعام، إنه من لحم أخيه الإنسان وهو ميت.

ثانياً: عقوبة أكل أموال اليتامى ظلماً:

أيها الإخوة الكرام: من جملة ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج من الحقائق الإيمانية، وعاد ليحدث الأمة عنها: (رِجَالًا لَهُمْ مَشَافِرُ كَمَشَافِرِ الْإِبِلِ ـ أي كشفاه الإبل ـ فِي أَيْدِيهِمْ قِطَعٌ مِنْ نَارٍ كَالْأَفْهَارِ، يَقْذِفُونَهَا فِي أَفْوَاهِهِمْ فَتَخْرُجُ مِنْ أَدْبَارِهِمْ . فَقُلْت: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ أَكَلَةُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا) رواه ابن هشام في السيرة وابن عساكر والبيهقي في دلائل النبوة.

لعل هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً يسمعون هذا بعد أن سمعوا قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}.

قولوا لآكل أموال اليتامى ظلماً: ما أنت قائل لربك غداً يوم القيامة بعد أن سمعت الآية الكريمة وحديث النبي صلى الله عليه وسلم؟

قولوا لآكل أموال اليتامى ظلماً: هل استبدلت القرب من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ يَعْنِي السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى) رواه الترمذي عن سهل بن سعد رضي الله عنه. استبدلت هذا بِعَرَضٍ من الدنيا قليل عندما أكلتَ أموال اليتامى ظلماً، لتكون نتيجتك في نار جهنم يوم القيامة؟

ثالثاً: عقوبة آكل الربا:

أيها الإخوة الكرام: لقد عاد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن رأى الحقائق الإيمانية رؤية بصر بعد رؤيته البصيرة ليحدِّث الأمة عن (أقوام بُطُونُهُمْ كَالْبُيُوتِ فِيهَا الْحَيَّاتُ تُرَى مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِمْ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ليسمع آكل الربا ومطعم الربا وشاهد عقد الربا وكاتب عقد الربا وكفيل مطعم الربا هذا الحديث بعد أن سمع قول الله عز وجل: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون * يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيم}.

ليسمع آكل وموكل وشاهد وكفيل وكاتب عقد الربا مهما كان وضعه ومهما كان حاله ومهما كان شأنه ومهما كانت مكانته ومنزلته ليسمع قول الله عز وجل بعد سماع هذا الحديث حيث يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين}.

إن كان عند هؤلاء ذرة إيمان ليتركوا الربا أكلاً وإطعاماً، بل ليتركوا كتابة عقد

الربا وشهادة عقد الربا، وليتركوا كفالة مطعم الربا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أشرك الجميع في الإثم بقوله صلى الله عليه وسلم: (لَعَنَ اللَّهِ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

أيها الإخوة الكرام: الدنيا فانية وموقوتة والآخرة باقية ومتجددة، والله تبارك وتعالى خلقنا في الدنيا للابتلاء فجعل الناس أقساماً فمنهم الغني ومنهم الفقير، وإنه والله لا شكَّ بأن الأغنياء سوف يُسألون عن الفقراء عن أغنوهم عن المسألة أم لا؟ وسوف يُسأل كذلك الفقراء هل صبروا على الفقر أم تجاوزوا حدود الشريعة الغرَّاء فمدوا أيديهم إلى الربا؟

قولوا أيها الإخوة لمن استقرض قرضاً ربوياً من أجل الزواج، واستقرض قرضاً ربوياً من أجل السكن، واستقرض قرضاً ربوياً من أجل الاستثمار، واستقرض قرضاً ربوياً لفتح عيادة .... قولوا لهؤلاء وأمثالهم: اسمعوا هذه الآيات وهذه الأحاديث ووطِّنوا أنفسكم لهذه المواقف يوم القيامة، وليصدِّق من شاء منهم أن يصدِّق وليكذِّب منهم من شاء أن يكذِّب، وكلُّ آتٍ قريب، وإنَّ غداً لناظره قريب.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: إن الحقائق الإيمانية التي كُلِّفنا بالإيمان بها دون أن نراها، لقد رآها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤية بصر وبصيرة وحدَّث عنها الأمة ـ وهو الصادق المصدوق عندها ـ من أجل أن تطمئن قلوبهم.

فيا من آمن وصدَّق رسول الله صلى الله عليه وسلم! كفَّ لسانك عن الغيبة، ويا من آمن وصدَّق رسول الله صلى الله عليه وسلم! احذر من أكل أموال اليتامى ظلماً، ويا من آمن وصدَّق رسول الله صلى الله عليه وسلم! احذر الربا أكلاً وإطعاماً وكتابةً وشهادة وكفالة، قبل أن تندم ولا ينفعك الندم.

ولعل الحديث له صلة في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

178-خطبة الجمعة: من أين جاءت عظمة شهر رمضان؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

هذا شهر عظيم مبارك، قد أظلَّ هذه الأمة المحمدية، قال فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما جاء عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال: (يا أيها الناس، قد أظلَّكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر).

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا ليلفت أنظار الأمة إلى هذا الشهر العظيم الذي جعله تعالى موسماً من المواسم يتقرَّب فيها العباد من الله تعالى.

من أين جاءت عظمة شهر رمضان؟

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نقف وقفة المتأمل في حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصف شهر رمضان بأنه عظيم مبارك.

فمن أين جاءت عظمة هذا الشهر؟ ومن أين جاءت بركته؟

أيها الإخوة: نحن نعلم بأن الأزمنة كلها واحدة، ولكن قيمة كلِّ زمن بأحداثه، وإن شهر رمضان المبارك العظيم جاءت عظمته من خلال القرآن العظيم الذي أُنزل على قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. قال تبارك

وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}، وقال تبارك وتعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}.

فشهر رمضان المبارك شَرُف بليلة القدر، وليلة القدر شَرُفت بنزول القرآن فيها، والقرآن الكريم عظيم، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيم}، وقال تعالى: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيم * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُون}، فالقرآن عظيم، والقرآن مبارك، قال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ}، وقال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ}.

فبركة هذا الشهر بالقرآن المبارك، وعظمته بالقرآن العظيم، ولذلك كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيماً مباركاً، لأن القرآن العظيم المبارك نزل على قلبه الشريف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كما قال الله تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين * عَلَى قَلْبِكَ}.

هل تريد أن تكون عظيماً مباركاً؟

أيها الإخوة الكرام: إذا عرفنا هذا فإنا نقول: هل تريد أن تكون عظيماً مباركاً؟

الجواب: قطعاً كلُّ واحد فينا يريد أن يكون عظيماً مباركاً، فمن أراد ذلك فعليه بالقرآن العظيم، عليه بتلاوة القرآن العظيم المبارك صباحاً ومساء، عليه بالتدبُّر لآيات الذكر الحكيم، عليه بالعمل بأحكام القرآن العظيم المبارك، فبمقدار تلاوة القرآن وتدبر آياته والعمل به بمقدار ما يكون الإنسان عظيماً مباركاً ببركة هذا القرآن العظيم المبارك، ومن خلال هذا كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أعظم إنسان وأبرك إنسان، كما قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عن ذاته الشريفة: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ) رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلا فَخْرَ،

وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ ـ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ ـ إلا تَحْتَ لِوَائِي...) رواه الترمذي.

صلة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالقرآن:

أيها الإخوة الكرام: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عظيم مبارك ببركة هذا القرآن العظيم المبارك، حيث كان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يلازم تلاوة القرآن العظيم، ويتدارسه مع سيدنا جبريل عليه السلام، روى الإمام البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ).

وسئلت أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ) رواه الإمام أحمد وغيره.

فقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ملتزماً كتاب ربِّه عز وجل في سائر أحواله.

أين صلتنا بالقرآن العظيم؟

أيها الإخوة الكرام: نحن نفرح ونبتهج بشهر الصيام شهر القرآن العظيم، ولكن أين صلتنا بكتاب ربنا عز وجل؟ أين تدبُّرنا لآيات الله عز وجل؟

إن الإيمان بالقرآن العظيم بأنه كلام الله تعالى، المنزَّل على قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام، بدون عمل والتزام لا يكفي، لأن القرآن العظيم إما أن يكون حجة لنا أو حجة علينا، إما أن يكون قائداً للعبد إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وإما قائداً ـ والعياذ بالله ـ إلى نار جهنم وبئس المصير.

القرآن العظيم المبارك يا أمة القرآن ما أنزله الله تعالى للإيمان به فقط دون عمل، فالله تعالى يقول: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}.

القرآن نزل ليجعل منا عظماء مباركين، ليجعل منا أمة مباركة لتكون خير أمة أخرجت للناس، ليجعل منا سعداء موفَّقين للخيرات والمبرات في الدنيا، ويجعل منا سعداء مسرورين في الآخرة.

هجر الأمة للقرآن العظيم:

أيها الإخوة الكرام: الكثير من الناس من هجر القرآن العظيم المبارك، وظن أن صلته بالقرآن العظيم هي صلة تبرُّك فقط، فجعل نسخاً من القرآن العظيم في بيته وفي محلِّه وفي سيارته للتبرك فيه وللحفظ من مصارع السوء ببركته، ثم هجر تلاوته، وهجر تدبُّره، وهجر العمل به، وهجر الاحتكام إليه، وهذا الصنف يكاد أن ينطبق عليه قول الله تعالى حكاية عن لسان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}.

بيوتنا صارت هاجرة لكتاب الله عز وجل إلا من رحم الله تعالى، بيوت الكثير من المسلمين صارت عامرة بالأفلام والمسلسلات التي تعرض على القنوات الفضائية، بيوتٌ خَرِبةٌ لا يُقرأ فيها القرآن العظيم، لذلك حُرمنا البركة من كل شيء إلا من رحم الله تعالى.

روى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن كمثل البيت الخرب الذي لا عامر له).

أيها الإخوة: لنجعل من بيوتنا بيت الأرقم بن أبي الأرقم، حيث تلاوة القرآن الكريم صباحاً ومساءً، قراءة وإقراءً، تعلُّماً وتعليماً، وخاصة في شهر القرآن شهر الصيام، لأن أعداء هذه الأمة يحاولون أن يفرِّغوا صيامنا من مضمونه من خلال ما يبث على الشاشات التلفزيونية.

هل تنبَّه المسلمون لهذا أم لا؟

القرآن سرُّ سعادتنا:

أيها الإخوة الكرام: هذا شهر الصيام، هذا شهر القرآن، لنجعل صلتنا مع كتاب الله تعالى تلاوة وتدبُّراً وعملاً، وبذلك نحقِّق السعادة لأنفسنا، لأنه بهذا القرآن العظيم ينتفي عنا الخوف والحزن، والضلال والشقاء، وذلك لقوله تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون}، ولقوله تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى}، ولا سعادة أعظم من سعادة إنسان لا يخاف من المستقبل، ولا يحزن على الماضي، ولا يضل في عقله، ولا يشقى في حياته.

القرآن العظيم هو سرُّ هدايتنا، ألم يقل مولانا عز وجل: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: اجعلوا شهر رمضان شهر تلاوة للقرآن العظيم، شهر مدارسة للقرآن العظيم، شهر تعلُّم وتعليم للقرآن العظيم، وتذكَّروا قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) رواه البخاري.

أيها الإخوة الكرام: عظمة وبركة رمضان بسرِّ القرآن العظيم، فمن أراد هذا السر فعليه بالقرآن العظيم ليلاً ونهاراً، صحة ومرضاً، سفراً وإقامة.

اللهمَّ وفِّقنا لتلاوته والعمل به آناء الليل وأطراف النهار، لعلك ترضى عنا يا ربنا آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

179- خطبة الجمعة: من صور هجر القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا أيها الإخوة الصائمون لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأن عظمة شهر رمضان وبركته جاءت من عظمة ليلة القدر التي قال فيها مولانا عز وجل: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}. وليلة القدر هي في شهر رمضان، وذلك لقوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}.

وقلنا: يجب علينا أن نتفقد أحوالنا في هذا الشهر العظيم المبارك، ونتفقد صلتنا مع كتاب ربنا عز وجل حتى لا نقع تحت الوعيد لمن هجر القرآن العظيم: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}.

أسوأ أنواع الهجر للقرآن:

يا عباد الله إن أسوأ أنواع الهجر لكتاب الله عز وجل هو هجر الاحتكام إليه، لأن في ذلك خطورة على إيمان العبد، قال تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}. فربنا عز وجل أقسم بعمر سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بأن الذي لا يحتكم لشرع الله تعالى فقد عرَّض إيمانه للضياع والعياذ بالله تعالى.

ومن الذي يجترئ على هجر الاحتكام للقرآن الكريم إلا من كانت عنده الجرأة على هجره تلاوةً وتدبراً؟

أقبل على القرآن قلباً وقالباً:

أيها الإخوة الكرام: إن السعيد حقاً هو من أقبل على كتاب الله عز وجل قلباً وقالباً، تلاوة وتدبراً وعملاً، لأن كتاب الله عز وجل ما أنزله الله تبارك وتعالى من أجل التبرُّك بتلاوته فقط، ومن أجل نيل الحسنات بتلاوته فقط، حيث يكتب الله تعالى لمن يقرأ حرفاً من كتاب الله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها.

كتاب الله تعالى أنزله مولانا لتلاوته تعبُّداً، وللعمل به تعبُّداً كذلك، ورتَّب على ذلك أمرين اثنين:

الأمر الأول: السعادة لمن اتبع القرآن، والأمر الثاني: الشقاوة لمن أعرض عن القرآن سلوكاً وعملاً، قال تعالى: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}.

أيها الإخوة الكرام: إن المعرض عن كتاب الله تلاوةً وعملاً هو إنسان أحمق لا عقل عنده وربِّ الكعبة، مهما كان هذا الإنسان، ومهما كان يراه الناس عاقلاً، لأن العاقل هو الذي أقبل على كتاب ربه عز وجل قلباً وقالباً، لذلك هذا المعرض سوف يقول يوم القيامة ـ والندم يمزق فؤاده ـ: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}.

سوف يعضُّ على يديه من الندم، ولكن هيهات هيهات أن ينفعه ذلك، قال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً}.

كيف ينال الإنسان ثمرات القرآن:

أيها الإخوة الكرام: قد يسأل البعض: كيف ينال الإنسان ثمرات هذا القرآن العظيم، من نفي الخوف والحزن والضلال والشقاء عنه؟

الجواب على ذلك: من أراد أن ينال هذه الثمرات من القرآن الكريم فعليه أن

يُقبل على القرآن الكريم قلباً وقالباً، من أراد أن ينال أسرار القرآن العظيم فعليه بالإقبال على كتاب الله عز وجل، عليه أن يترك العناد والاستكبار، عليه أن يتذكَّر أنه عبدٌ لله عز وجل، عليه أن يعلم أنَّ مبدأه ومنتهاه من الله وإلى الله تعالى، عليه أن يعرف حدَّه، وأن يعرف وصفه، وإلا فالعبد الناسي الساهي اللاهي محروم من أسرار القرآن وثمراته.

إسلام سيدنا عمر رضي الله عنه متى كان؟

أيها الإخوة الكرام: انظروا إلى إسلام سيدنا عمر رضي الله عنه متى كان؟ عندما كان مستكبراً ساهياً لاهياً مغروراً بنفسه كان محجوباً عن القرآن وأسراره وكان من الأشقياء، ولكن عندما تخلى عن استكباره، ووقف مع نفسه وقفة الرجل المنصف نال الذي ناله من أسرار القرآن العظيم.

روى البزار والبيهقي في دلائل النبوة عن سيدنا عمر رضي الله عنه قال: كنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينا أنا في يوم شديد الحر في بعض طرق مكة إذ رآني رجل من قريش فقال: أين تذهب يا بن الخطاب؟

قلت : أريد هذا الرجل.

فقال: يا بن الخطاب قد دخل عليك هذا الأمر في منزلك وأنت تقول هكذا.

فقلت: وما ذاك؟

فقال: إن أختك قد ذهبت إليه.

قال: فرجعت مغتضباً حتى قرعت عليها الباب، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسلم بعض من لا شيء له ضمَّ الرجل والرجلين إلى الرجل ينفق عليه، قال: وكان ضم رجلين من أصحابه إلى زوج أختي، قال: فقرعت الباب.

فقيل لي: من هذا؟

قلت: أنا عمر بن الخطاب، وقد كانوا يقرؤون كتاباً في أيديهم، فلما سمعوا صوتي قاموا حتى اختبئوا في مكان وتركوا الكتاب.

فلما فتحت لي أختي الباب قلت: أيا عدوة نفسها أصبوت؟ قال: وأرفع شيئاً فأضرب به على رأسها.

فبكت المرأة وقالت لي: يا بن الخطاب، اصنع ما كنت صانعاً فقد أسلمت، فذهبت فجلست على السرير، فإذا بصحيفة وسط الباب.

فقلت: ما هذه الصحيفة ها هنا؟

فقالت لي: دعها عنك يا بن الخطاب، فإنك لا تغتسل من الجنابة، ولا تتطهر، وهذا لا يمسه إلا المطهرون، فما زلتُ بها حتى أعطتنيها، فإذا فيها: {بسم الله الرحمن الرحيم} فلما قرأت: {الرحمن الرحيم} تذكرت من أين اشتق، ثم رجعت إلى نفسي فقرأت في الصحيفة: {سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم} فكلما مررت باسم من أسماء الله ذكرت الله، فألقيت الصحيفة من يدي، قال: ثم أرجع إلى نفسي فأقرأ فيها: {سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم} حتى بلغ: {آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه}.

قال: قلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

فخرج القوم مبادرين فكبروا استبشاراً بذلك، ثم قالوا لي: أبشر يا بن الخطاب، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال: (اللهم أعزَّ الدين بأحبِّ هذين الرجلين إليك، إما عمر بن الخطاب، وإما أبو جهل بن هشام)، وأنا أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك.

فقلت: دلوني على رسول الله صلى الله عليه وسلم أين هو؟

فلما عرفوا الصدق مني دلوني عليه في المنزل الذي هو فيه، فجئت حتى قرعت الباب.

فقال: من هذا؟

فقلت: عمر بن الخطاب. وقد علموا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا بإسلامي. فما اجترأ أحد منهم أن يفتح لي، حتى قال لهم رسول

الله صلى الله عليه وسلم: «افتحوا له فإن يرد الله به خيراً يهده».

قال: ففتح لي الباب، فأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسلوه» فأرسلوني، فجلست بين يديه فأخذ بمجامع قميصي ثم قال: «أسلم يا بن الخطاب، اللهم اهده».

فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

قال : فكبر المسلمون تكبيرة سُمعت في طرق مكة.

نعم لقد انجذب قلبه إلى صاحب الرسالة، إلى القلب الذي نزل القرآن فيه، إلى قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، انجذب قلبه عندما ترك العناد.

بإسلامه رضي الله عنه صار الرجل المبشر بالجنة على لسان الصادق المصدوق، صار شياطين الإنس والجن يهابونه، روى الإمام مسلم عن سعد بن وقاص رضي الله عنه قال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسيدنا عمر رضي الله عنه: (مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ). صار أول أمير للمؤمنين بعد حضرة سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

نعم أقبل سيدنا عمر رضي الله عنه على كتاب الله تعالى قلباً وقالباً فأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه، وجاء في وصفه أنه كان وقَّافاً عند آيات الله عز وجل.

كم نسخة من القرآن الكريم في بيوتنا؟

أيها الإخوة الصائمون: أصحاب سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما أقبلوا على القرآن العظيم قلباً وقالباً، وجعلوا القرآن العظيم في صدورهم ولم يجعلوه في السطور سادوا الدنيا وكانوا خيرة الرجال رضي الله عنهم.

في زمن الصحابة رضي الله عنهم كانت نسخ من القرآن قليلة وقليلة جداً،

لأنه كما قلت كان في صدورهم.

أما نحن اليوم: فنسخ القرآن الكريم ربما أن تفوق عدد المسلمين، في كل بيت واحد منا أكثر من نسخة من القرآن العظيم، ولكن مع كثرة نسخ القرآن الكريم فإنَّ القرآن العظيم مهجور في كثير من بيوتات المسلمين، مهجور تلاوة وعملاً، إلا من رحم الله تعالى، وأرجو الله تعالى أن نكون من المرحومين.

انتهينا ربنا انتهينا:

أيها الإخوة الكرام: إن المقبل على القرآن الكريم تلاوة وعملاً لا يسعه إلا الانقياد لأوامر الله تعالى بدون توقُّف أو تردد، فهؤلاء هم أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما نزلت آية تحريم الخمر بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُون}. فقال الصحابة رضي الله عنهم: انتهينا ربنا انتهينا، حتى من كان في فيه شيء منه مجه مباشرة.

ما وصل أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلى ما وصلوا إليه إلا بعد إقبالهم على كتاب الله تعالى قلباً وقالباً، لذلك أحلُّوا حلاله وحرَّموا حرامه بدون توقُّف أو تردُّد.

أين نحن من الامتثال؟

أيها الإخوة الأحبة: نحن أمة القرآن ولله الحمد، نحن ممن اصطفاهم الله تعالى لوراثة هذا القرآن العظيم، قال تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}. ولكن أين نحن من الامتثال لأوامر الله تعالى مع كثرة وجود نسخ القرآن في بيوتنا كما قلت؟

أيها الإخوة الكرام: خذوا على سبيل المثال هذه الأوامر والنواهي من كتاب

الله تعالى، ثم لننظر لأنفسنا أين نحن منها من حيث الالتزام.

أولاً: يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين}. أين أثر تحريم الربا فينا؟ وهل الربا يزداد بين المؤمنين أم ينقص؟

ثانياً: يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}. أين الحجاب في الأمة؟ وهل السفور يزداد بين المؤمنين أم ينقص؟

ثالثاً: يقول الله تبارك وتعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}. ويقول: {وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا}. ومن جملة ما قال لنا النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ) رواه الإمام مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ. أين نحن من تحريم الاختلاط بين الرجال والنساء الأجانب؟ وهل الاختلاط يزداد في صفوف المؤمنين أم ينقص، وخاصة في شهر رمضان المبارك، حيث الاختلاط قائم عند الإفطار وعند ساعة استجابة الدعاء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: عودةً إلى كتاب الله تعالى، عودةً إلى القرآن الكريم، عودةً إليه قلباً وقالباً، فهو سرُّ سعادتنا، وسرُّ حفظ وجودنا، فمن أراد الحفظ من كل سوء ومكروه فليتمسَّك بالمحفوظ، ألم يقل مولانا عز وجل: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون}. فمن تمسَّك بالمحفوظ صار محفوظاً بإذن الله تعالى.

من أراد حفظ ماله وعرضه وأرضه ووطنه وجميع ما أسبغ الله عليه من نعمه فليتمسَّك بكتاب الله عز وجل، وليُقبل عليه تلاوةً وعملاً.

اللهم وفِّقنا لتلاوة القرآن العظيم آناء الليل وأطراف النهار مع العمل به، واجعله قائداً لنا إلى جناتك جنات النعيم مع الذين أنعمت عليهم. آمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

180- خطبة الجمعة: لماذا نصوم حرَّ هذه الأيام؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا أيها الإخوة الصائمون كلُّكم يعلم ويحفظ قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون}. كلُّنا يصوم مع طول النهار وشدة الحر. ونسأل الله تعالى أن يخفف الحرَّ عن أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. كلُّنا يصوم مع الجهد والمشقة ومع شدة العطش. ونسأل الله تعالى أن يجيرنا من حرِّ نار جهنم. كلُّنا يصوم ولله الحمد، ولكن يجب علينا أن نتدبَّر هذه الآية الكريمة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون}. ماذا نتقي بهذا الصوم؟

أولاً: نتقي بهذا الصوم حرَّ نار جهنم:

أيها الإخوة الكرام: إذا سُئلت هذا السؤال: لماذا تصوم حرَّ هذا اليوم مع طوله؟ وماذا تتقي بهذا الصوم؟ قل بكلِّ صراحة ووضوح: أصوم حرَّ هذا اليوم مع طوله امتثالاً لأمر الله تعالى الخالق، الذي أنا في قبضته وإليه مآلي، أصوم لأن ربي أمرني بالصيام فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ}. فأنا مؤمن،

وشرفي عظيم عندما يأمرني مولاي بهذا الأمر، وأنا أعلم علم اليقين بأن خير هذا الأمر عائد علي لا على الذي أمرني.

قل: أنا أصوم هذا اليوم لأن الله تعالى أمرني بصيامه، وحتى أتقي بهذا الصوم حرَّ نار جهنم، لأن الله أمرني أن أتقي حر النار وأن آمر أهلي، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون}.

أصوم حرَّ هذا اليوم لأتقي حرَّ نار جهنم التي حدثنا عنها الصادق المصدوق بقوله صلى الله عليه وسلم: (أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ) رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وفي شعب الإيمان للبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: (قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}. فقال: أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت، وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة لا يطفأ لهبها، قال: وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل أسود يهتف بالبكاء، فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، من هذا الباكي بين يديك؟ قال: رجل من الحبشة وأثنى عليه معروفاً، قال: فإن الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي، لا تبكي عين عبد في الدنيا من مخافتي، إلا أكثرت ضحكه معي في الجنة).

أصوم حرَّ هذا اليوم لأتقي حرَّ نار جهنم التي أذن لها أن تتنفس نفسين، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا وَقَالَتْ: أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَجَعَلَ لَهَا نَفَسَيْنِ، نَفَسًا فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسًا فِي الصَّيْفِ، فَأَمَّا نَفَسُهَا فِي الشِّتَاءِ فَزَمْهَرِيرٌ، وَأَمَّا نَفَسُهَا فِي الصَّيْفِ فَسَمُومٌ) رواه الترمذي.

اللهم أجرنا من حرِّ نار جهنم، لا إله إلا الله، ما أشدَّ حرَّ هذا اليوم، فنسألك يا ربنا أن تصرف عنا حرَّ ولهيب وزمهرير جهنم برحمتك يا أرحم الراحمين.

ثانياً: نتَّقي بهذا الصوم حرَّ الموقف يوم القيامة:

أيها الإخوة الكرام: إن سُئلتم لماذا تصومون حرَّ هذه الأيام مع شدَّة طولها مع الجهد والتعب، مع شدَّة العطش؟ قولوا لمن سأل: نصوم حرَّ هذه الأيام حتى نتَّقي حرَّ الموقف يوم القيامة حيث تُدنى الشمس من رؤوس الخلائق بمقدار ميل، كما جاء في الحديث الشريف الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن الْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ. قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ أَمَسَافَةَ الأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ. قَالَ: فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ).

أيها الإخوة نصوم حرَّ هذه الأيام لنتَّقي حرَّ ذاك اليوم، مع العلم بأنَّ حرَّ هذه الأيام يمكن أن نتَّقيه بالمراوح والمكيفات وفي الظل الظليل، نتَّقي حرَّ هذه الأيام بسكب الماء على أجسادنا بالوضوء إلى ما هنالك من أسباب الوقاية.

أما حرُّ الموقف في أرض المحشر فلا وقاية منه إلا في ظل عرش الرحمن، ولا صرف للعطش بسبب شدَّة الحرِّ والعرق إلا من حوض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ...... وعد منهم: وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ).

فيا أيها الشباب: عليكم بطاعة الله، عليكم بالمحافظة على الصيام مع شدَّة الحرِّ، لأن من شبَّ على شيء شاب عليه، وطوبى لمن شبَّ وشاب في طاعة الله

عز وجل.

فنحن نصوم حرَّ هذه الأيام لنتَّقي حرَّ ذاك اليوم بظلِّ عرش الرحمن، نسأل الله تعالى أن يظلنا جميعاً تحت ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه.

نصوم حرَّ هذه الأيام مع شدَّة العطش طمعاً في أن نشرب من حوض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة إن شاء الله تعالى.

أيها الإخوة الصائمون: كم هو شرف عظيم وأنت في أرض المحشر، والناس يخوضون في عرقهم، وأنت تتقدَّم من حوض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والملائكة ترحِّب بك وتتلقاك، ويستقبلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسقيك بيده الشريفة من حوضه الشريف، هل هناك شرف أعظم من هذا الشرف؟ وهل هناك كرامة أعظم من هذه الكرامة؟ وهل هناك سرور أعظم من هذا السرور؟

كم هي حسرة هؤلاء الذين أفطروا في شهر رمضان من غير عذر ولا رخصة؟ كم هي حسرة هؤلاء في أرض المحشر؟ كم هي حسرة هؤلاء عندما تردُّهم الملائكة عن حوض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ كم هي حسرة هؤلاء عندما يشفع لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال له: (إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، فيقول صلى الله عليه وسلم عليه وسلم: سُحْقًا سُحْقًا)؟ كم هي حسرة هؤلاء عندما يتمنَّى أحدهم لو أنه سلك طريق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ كم هي حسرة هؤلاء عندما يعضُّون على أيديهم كما قال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً}.

ثالثاً: نتقي بهذا الصوم سخط الله تبارك وتعالى:

أيها الإخوة الصائمون: إن سئلتم لماذا تصومون حرَّ هذه الأيام فقولوا لهم: حتى نتَّقي سخط الله عز وجل، حتى يغفر الله عز وجل لنا، لأن الشقي المحروم هو الذي أدرك شهر رمضان ولم يغفر الله عز وجل له.

روى الحاكم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احضروا المنبر»، فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال: «آمين»، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: «آمين» فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: «آمين»، فلما نزل قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه، قال: «إن جبريل عليه الصلاة والسلام عرض لي فقال: بعداً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له، قلت: آمين، فلما رقيت الثانية قال: بعداً لمن ذُكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك، قلت: آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعداً لمن أدرك أبواه الكبر عنده أو أحدُهما فلم يُدخلاه الجنة، قلت: آمين».

نعم نصوم حرَّ هذه الأيام لنفوز بمغفرة الله عز وجل، ومغفرة الله تعالى لها ثمن، وثمنُها غال، وفي سبيلها يرخص الغالي والرخيص، ويُبذل في سبيلها النفيس فضلاً عن الخسيس، كما جاء في الحديث الشريف: عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، ألا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَاليةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ) رواه الترمذي.

أيها الإخوة الكرام: الحمد لله الذي جعلنا على بصيرة من أمرنا، الحمد لله الذي عرَّفنا الغاية من خلقنا، الحمد لله الذي عرفنا الهدف الذي ينبغي أن نصل إليه.

نعم لقد خُلقنا للعبادة، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون}. وعرَّفنا الهدف الذي نصبو إليه، وهو جنة عرضها السموات والأرض، قال تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الصائمون: قولوا لمن حُرم هذه النعمة العظيمة: نحن نصوم امتثالاً لأمر الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ}. نصوم ولو كان الحر شديداً لعلنا بهذا الصوم نتَّقي سخط الله تعالى، ونتَّقي حرَّ الموقف يوم القيامة،

ونتَّقي حرَّ نار جهنم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون}. نسأل الله تعالى أن يمنَّ علينا بعتق رقابنا من النار مع أصولنا وفروعنا وأزواجنا والمسلمين من النار. آمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

181- خطبة الجمعة: أيها الصائم حافظ على أعظم نعمتين أنعم الله بهما عليك

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

صدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار}، وإن من أعظم نعم الله عز وجل علينا بعد نعمة الإيجاد نعمة الإيمان ونعمة الإسلام.

أما نعمة الإيمان: فقد قال الله تعالى فيها: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ}، فلله الحمد والمنة بأن أذن لنا بالإيمان به تبارك وتعالى، ومنَّ علينا حيث حبَّب إلينا هذه النعمة العظيمة، قال تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُون}.

حيث بهذه النعمة لا يخلد العبد في نار جهنم إن دخلها لا قدر الله، وربما

ببركة هذا الإيمان لا يدخل النار أبداً إلا تحلة القسم، وذلك لقوله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}، ولكن إن دخلها فببركة الإيمان تقول له النار: جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي، فقد روى الطبراني عَنْ يَعْلِي بن مُنْيَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: جُزْ يَا مُؤْمِنُ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي).

أما نعمة الإسلام: فقد قال الله تبارك وتعالى: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُون}، وشرح الصدر للإسلام يعني توفيق العبد لفعل أركان الإسلام من الشهادتين والصلاة والصيام والزكاة والحج.

فمن شرح الله صدره للإسلام ووفَّقه للصلاة والصيام بعد نعمة الإيمان فقد عظمت نعمة الله عليه، فلله الحمد الذي وفَّقنا لصيام هذا الشهر مع طول نهاره وشدة حره، ووالله لولا شرح الله لصدورنا لذلك لما وُفِّقْنا لذلك، لأن هناك من ضاق صدره من الصيام في شدة الحر وطول النهار فترك هذا الركن العظيم والعياذ بالله تعالى، فحرم نعمة الصوم، والنعم التي رتبها الله تعالى على عبادة الصوم.

نعم الله تعالى على الصائم:

أيها الإخوة الصائمون: شرح الله صدورنا للإسلام وتوفيقه لنا للصيام نعمة من أعظم نعم الله علينا، ولكن نعم الله تترى على خلقه، وينقلهم من نعمة إلى نعمة، ومن عطاء إلى عطاء، ولقد شاء الله تعالى أن يكرم العبد الصائم بعطاءات أخرى . بعد شرح الصدر للإسلام . منها:

أولاً: لا يعلم أجر الصائم إلا الله تعالى، فقد جاء في الحديث القدسي: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) رواه البخاري ومسلم.

ثانياً: مضاعفة الأجر والثواب على العبادات التي يقوم بها الصائم في شهر رمضان المبارك، فإن أدى فريضة فيه ضوعفت إلى سبعين، ومن أدى فيه نافلة كتبت

له بأجر الفريضة، كما جاء في الحديث الشريف: (من تقرَّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه) رواه ابن خزيمة.

ثالثاً: دعاء الصائم مستجاب حتى يفطر وعند فطره، فمن نعمة الله تعالى على عبده الصائم أن جعل دعاءه مستجاباً ما دام صائماً، جعل له دعوة مستجابة عند فطره، كما جاء في الحديث الشريف: (ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ) رواه الإمام أحمد والترمذي.

ويقول صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ) رواه ابن ماجه.

رابعاً: جعل الله تعالى للصائم فرحتين، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، الأولى يفرح عند فطره حيث وفَّقه الله لصيام ليوم كاملاً، ولصيام الشهر كاملاً، ويأكل عند فطره من رزق الله الحلال، أما الثانية فهي عند لقاء ربه، حيث يكرمه ربُّنا عز وجل بالنظر إلى وجهه الكريم، كما قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة}.

فالصائم له فرحتان، كما جاء في الحديث الشريف: (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ) رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

كم هي نعمة الله عليك عظيمة، شرح صدرك للإسلام، وغيرك ضاق صدره فحرم من نعمة الصيام، ومن النعم التي رتَّبها الله تعالى لعبده الصائم؟

كم هي فرحتك يا أيها الصائم عندما يكرمك الله تعالى بدخول الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟

أيها الصائم! أنت السعيد إن شاء الله تعالى لأنك سارعت إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، وإن لم يكن الصائم بحقٍّ تقياً فمن هو التقي؟

حافظ على أعظم نعمتين أسبغهما الله عليك:

أيها الأخ الصائم الكريم: حافظ على أعظم نعمتين أسبغهما الله عليك، وهما نعمة الإيمان ونعمة الإسلام، أيها العبد الصائم حافظ عليهما من الضياع، يا من حضرت الجمعة، وسمعت قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}، كم هي نعمة الله عليك عظيمة حيث حُرم الكثير منها، ومن جملتها نعمة شهود الجمعة والجماعة.

أقول لك يا أيها الأخ الصائم الكريم المنعَم عليه من قبل الله تعالى: حافظ على هذه النعم من الضياع، واعتبر ممن أسبغ الله عليه نعمة المال كيف يحافظ عليها، يحافظ على نعمة المال من أن تسرق أو تحرق أو تضيع، وربما سارع هذا العبدُ المنْعَم عليه بنعمة المال فوضع ماله الذي هو من نعمة الله عليه في البنوك الربوية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أسرع هذا العبد ووضع ماله في مكان أعلن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الحرب عليه، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُون}.

أيها الصائم الكريم: والله أنت في نعمة عظيمة، أنت في نعمة الإسلام والإيمان، فلا تحتقر هذه النعمة لو حرمت لا قدر الله من نعمة المال.

هب لو أن الله عز وجل أعطاك مال قارون، وحكم فرعون، وملك نمروذ، مع حرمانك من نعمة الإسلام والإيمان، ما هي هذا العطاء؟

ولكن لو أعطاك نعمة الإسلام والإيمان، ولو حرمك من نعمة المال. لا قدر الله. فما الذي يضرك وأنت على يقين بأن رزقك مقسوم وواصل إليك، وأنك لن تموت حتى تستكمل رزقك وأجلك، كما جاء في الحديث الشريف: (أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ

عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ) رواه ابن ماجه.

وفي رواية لابن أبي شيبة: (ما تركت شيئاً يقرِّبكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا قد بيَّنته لكم، وإن روح القدس نفث في روعي، وأخبرني أنها لا تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها، وإن أبطأ عنها، فيا أيها الناس! اتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّ أحدَكم استبطاءُ رزقه أن يخرج إلى ما حرم الله عليه، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته)؟

فإن أُكرمت بهاتين النعمتين فأنت الرابح ولو خسرت الدنيا بما فيها، إن حُرمتهما لا قدر الله فأنت الخاسر ولو ملكت الدنيا بما فيها.

قل: إني صائم:

أيها الإخوة الكرام: إن كان أهل الدنيا حريصين على سلامة نعمة المال من الضياع، فيجب علينا أن نكون أكثر حرصاً منهم على سلامة نعمة الإيمان والإسلام، وقد جاء الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليرشدنا للحفاظ على هذه النعمة من الضياع، وخاصة في شهر رمضان، هذا الشهر الذي فُتحت فيه أبواب الجِنان، وغُلِّقت فيه أبواب النيران، وصُفِّدت الشياطين، ونادى منادٍ: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصِر، جاء الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ليرشدنا للمحافظة على هذه النعمة وخاصة في شهر رمضان، فقال صلى الله عليه وسلم: (الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَجْهَلْ، وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، مَرَّتَيْنِ) رواه البخاري ومسلم.

أيها الصائم الكريم: قل: إني عاقل فلا أضيع هذه النعمة بلحظة غضب، قل لمن خاصمك وشتمك: إني صائم، اضبط نفسك وكن رجلاً شديداً، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) رواه البخاري ومسلم.

لماذا أقول: إني صائم؟

أيها الإخوة الكرام: لماذا أقول في ساعة الشدة وفي ساعة الغضب إني صائم؟

الجواب: إني أخاف أن يحبط عملي في ساعة الغضب، لأننا نرى أن بعض المسلمين في ساعة الغضب يخرج عن طوره ورشده، ولا يضبط نفسه بضوابط الشريعة، ولا يقول كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ)، فإذا به يتلفظ بأسوأ كلمة والعياذ بالله تعالى، ألا وهي سبُّ الله تعالى، أو سبُّ النبي صلى الله عليه وسلم، أو سبُّ الدين.

ماذا يترتب على من سبَّ الله تعالى والعياذ بالله تعالى؟

أيها الإخوة الصائمون: هل تعلمون ماذا يترتب على من تلفظ بكلمة الكفر والعياذ بالله تعالى؟

أولاً: من تلفظ بكلمة الكفر ـ والعياذ بالله تعالى ـ فقد حبط عمله، كما قال تعالى: {وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين}، بعد أن ارتدَّ عن الإسلام والعياذ بالله تعالى.

ثانياً: إن كان حاجّاً بطل حجه، ووجب عليه إعادة الحج.

ثالثاً: يجب عليه إعادة آخر صلاة صلاها قبل خروج وقتها.

رابعاً: إن كان صائماً بطل صومه، ويجب عليه قضاء ذلك اليوم.

خامساً: إن ذبح ذبيحة قبل أن يجدِّد إسلامه فذبيحته لا تؤكل.

سادساً: إن كان متزوجاً فسخ العقد بينه وبين زوجته، ووجب عليه أن يجدِّد العقد عليها.

سابعاً: إن مات قبل أن يجدِّد إسلامه، فلا يغسَّل ولا يكفَّن ولا يصلَّى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين والعياذ بالله تعالى.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الصائمون: لنحافظ على هاتين النعمتين من الضياع، نعمة الإيمان ونعمة الإسلام، لنحافظ عليهما وخاصة في ساعة الغضب، فإن سابَّك أحد أو

قاتلك فقل: إني صائم إني صائم.

صونوا ألسنتكم وخاصة في ساعة الغضب من كلمات تسخط الرب والعياذ بالله تعالى، وخاصة كلمات الكفر بكل صورها وأشكالها، وراقبوا أبناءكم من أن تزل أقدامهم في هذا المنزلق الخطير والعياذ بالله تعالى.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاك، واحفظنا وأصولنا وفروعنا وأزواجنا من كل الفتن ما ظهر منها وما بطن. آمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

182- خطبة الجمعة: الاستغفار بعد الطاعة مطلب شرعي

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الخطبة الماضية:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأن الله أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأعظم هذه النعم هي الإيمان ونعمة الإسلام، وقلت: بأنه يجب علينا رعاية هذه النعم والحفاظُ عليها من التبدُّل والزوال، لأن الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حدَّثنا بأن العباد على أصناف أربعة، حيث قال: (أَلا إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى، فَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، وَمِنْهُمْ

مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا) رواه الإمام أحمد والترمذي.

نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا للحفاظ على نعمة الإسلام والإيمان، وأن نرعاها وخاصة في ساعة الشدة والغضب، حيث قد لا يملك الإنسان نفسه عند الغضب، فيتلفظ بكلمة الكفر والعياذ بالله تعالى، وبذلك يخسر نعمة الإسلام والإيمان حتى يتوب إلى الله تعالى ويجدِّد إسلامه.

كل ذي نعمة في الناس محسود:

أيها الإخوة الكرام الصائمون، وها أنا أتابع حديثي عن وجوب المحافظة على هذه النعم من الزوال، حتى ننتقل إلى نعيم عظيم مقيم في الآخرة، رتَّبه الله تعالى لعباده المتقين في الجنة، حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وحيث يتوَّج هذا النعيم بنعمة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم، قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة} اللهم أكرمنا بهذه النعمة برحمة منك يا أرحم الراحمين.

أيها الإخوة الصائمون: كلُّنا يعلم بأن صاحب النعمة محسود، والمجتمع مليء بالحاقدين الحاسدين، الذين يتمنَّون زوال النعمة عن العبد المنعَم عليه، وخاصة نعمة الإيمان والاستقامة، قال تعالى: {وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا}، هؤلاء هم شياطين الإنس الذين يوحي إليهم أمثالهم من شياطين الجن، قال تعالى: {شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}.

تنبَّه لنفسك بعد الطاعة:

أيها الأخ الكريم الصائم: تنبَّه إلى نفسك بعد إحداث الطاعة، لأن شياطين الإنس والجن يريدون صرفك عن الطاعة، فإن عجزوا ورأوك فعلت الطاعة وسوس لك شيطانك وحدَّثتك نفسك الأمارة بالسوء حديثاً بحيث تعجب بنفسك بعد الطاعة، والإعجاب بالنفس بعد الطاعة يحبط العمل، ورحم الله سيدي ابن عطاء

الله الإسكندري الذي كان يقول: (ربَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً).

الاستكبار بعد الطاعة شيء خطير قد يحبط العمل، لذلك أقول لك: إذا رأيت نفسك موفَّقاً للطاعة ومشروح الصدر لها، وغيرك لا قدر الله مشروح الصدر للمعصية وتيسرت له أسباب المعصية، فاشكر الله تعالى الذي جعلك مشروح الصدر للإسلام، كما قال تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ}، وسل الله العافية لمن حُرِم هذه النعمة، حيث كان صدره ضيِّقاً حرجاً إذا أقبل على الطاعة، كما قال تعالى: {وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء}.

احذر الاستعلاء على أهل المعصية، أنكر المنكر، وسل الله لك ولهم العافية، واحذر من نفسك وشيطانك لأنهما لا ييئسان منك بعد العمل، يريدان أن يحبط هذا العمل بالاستكبار والاستعلاء.

إذا رأيت مفطراً في شهر رمضان، وأنت صائم وموفَّق للصيام والقيام وتلاوة القرآن والاعتكاف، ولصلاة التراويح، وموفَّق للقمة الحلال وغيرك مغموس لا قدر الله بالحرام من مال ربوي أو رشوة أو سرقة، فاحمد الله تعالى على هذه النعمة، وسل الله العافية لك ولغيرك، وكن على حذر كما قلت لك من الاستكبار والاستعلاء.

الاستغفار بعد الطاعة مطلب شرعي:

أيها الإخوة الكرام الصائمون: آيات في كتاب الله تعالى تلفت نظر العقلاء إلى عبادة يغفل عنها كثير من الناس، ألا وهي عبادة الاستغفار بعد صدور الطاعات من الطائعين.

أولاً: استغفار سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بعد التبليغ:

قال تعالى: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}.

ربُّنا عز وجل يطلب منه الاستغفار والتسبيح إذا رأى هذه الآية، كما جاء في الحديث عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} فَتْحُ مَكَّةَ {وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}) رواه مسلم. وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم: (مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ نَزَلَ عَلَيْهِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ يُصَلِّي صَلاةً إِلا دَعَا أَوْ قَالَ فِيهَا: سُبْحَانَكَ رَبِّي وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي).

لقد قام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بتبليغ الرسالة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فأكثر من التسبيح والاستغفار بعد رؤية هذه النعمة التي وفَّقه الله عز وجل وأكرمه بها.

أيها الإخوة المؤمنون: إذا كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يؤمر بالتسبيح والاستغفار بعد رؤية ثمرة طاعته وعبادته، وهو المعصوم المحفوظ من الشيطان، كما جاء في الحديث: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلا يَأْمُرُنِي إِلا بِخَيْرٍ) رواه مسلم، إذا كان هذا مطلوباً من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فنحن من باب أولى وأولى مطلوب منا، بل نحن بحاجة إلى الاستغفار أكثر من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ثانياً: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان

يستغفر بعد الصلاة:

كما جاء في الحديث: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ) رواه مسلم، وأيُّ صلاة كان يستغفر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بعدها؟ هي صلاة الخاشعين، بل صلاة سيد الخاشعين.

كان يستغفر بعد صلاته لأنه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان يتدبَّر قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}. فإذا كان الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يستغفر بعد صلاته، فماذا يجب علينا أن نفعل نحن بعد صلاتنا؟ وماذا يقول ويفعل تارك الصلاة؟

ثالثاً: الاستغفار بعد الإفاضة من عرفات:

أيها الإخوة الكرام: ربُّنا عز وجل يأمر عباده المؤمنين الذين أدوا فريضة الحج أن يستغفر الله تعالى بعد الإفاضة من عرفات، قال تعالى: {ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيم}.

نِعم هذا العبد المؤمن الذي يستغفر بعد الطاعات لأنه قد يوجد فيها بعض الخلل من حيث لا يشعر، يستغفر بعد الطاعة لأنه خائف هل قبل الله عز وجل طاعته أم لا، وقد وصف الله تعالى هؤلاء المتقين بقوله: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُون}.

نعم يطلب الاستغفار بعد الطاعة خشية دخول النفس على الطائع من عجب وغرور واستكبار.

فإذا طُلب هذا من أهل الطاعة فما هو المطلوب من أهل المعصية؟

لذلك أقول: ارحموا أهل المعاصي والذنوب، هؤلاء لو عرفوا الله تعالى ما اجترؤوا على المعصية، بل كانوا مستغفرين بعد الطاعات والقربات.

رابعاً: الاستغفار بعد صلاة التهجد:

يا عباد الله، تدبَّروا قول الله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِين *كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون}.

هؤلاء العباد الذين كانوا من أهل الإحسان، هؤلاء الذين لم يقتصروا على الفرائض، بل زادوا في النوافل من صلاة وصدقة وتهجد، وبعد كل ذلك يستغفرون، خشية دخول النفس والإعجاب والاستكبار على من حُرم تلك النعمة، لأن عرفوا بأن التوفيق من الله تعالى، قال تعالى: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ}.

فارحم تارك الصلاة والصيام، وارحم المعرِض عن الله تعالى، بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الاستعاذة بعد التلاوة:

أيها الإخوة الكرام: عند قول الله عز وجل: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم}، استنبط بعض العلماء بأن الاستعاذة مطلوبة قبل التلاوة حتى لا يصرفك الشيطان عن التلاوة، ومطلوبة منك بعد التلاوة حتى لا يوسوس لك فتقع في العجب والغرور بعد التلاوة، حيث غيرك حرم تلك التلاوة.

اهتموا بقبول العمل أكثر من العمل:

يا عباد الله: اجعلوا اهتمامكم بقبول العمل أكثر من اهتمامكم بالعمل، وذلك لقول الله تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِين} اللهم اجعلنا منهم.

اجعلوا شغلكم الشاغل كثرة الاستغفار في الأيام الأخيرة من شهر رمضان، اجعلوه همَّكم وأنتم تودِّعون شهر رمضان.

هذا سيدنا علي رضي الله عنه كان يقول: كونوا لقبول العمل أشدَّ اهتماماً منكم بالعمل، ألم تسمعوا قول الله عز وجل: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِين}.

وكان ينادي في آخر ليلة من رمضان: يا ليت شعري من هذا المقبول منا فنهنيه، ومن هذا المحروم فنعزِّيه، أيها المقبول هنيئاً لك، وأيها المردود جبر الله

مصيبتك.

المعرض عن الله تعالى يتشبَّه بالمقبل على الله تعالى:

أيها الإخوة الصائمون: ألا ترون معي بأن المعرِض عن الله تعالى في شهر رمضان يتشبَّه بالمقبلين على الله تعالى من حيث تناول الفطور، ترى شوارع المسلمين خاوية عند أذان المغرب، أين الجميع؟ على موائد الإفطار، مع العلم بأن هناك مفطرين بغير عذر، الكلُّ على مائدة الإفطار.

ولكن واحدٌ في حالة فرح وسرور، والآخر في حالة قلق وحزن وألم ولو لم يظهره، الأول فرح فرحته الأولى عند فطره، وهو ينتظر الفرحة الثانية عند لقاء ربه، كما جاء في الحديث: (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ) رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

أما الثاني فهو في الحزن الأول، وينتظره الحزن الثاني لا قدر الله إذا لم يبادر إلى التوبة، فهو في حزن في الدنيا عندما يرى غيره موفقاً للطاعة وهو محروم منها، وأما الحزن الثاني الذي ينتظره عند الموت إذ يتمنى العودة إلى الدنيا من أجل العمل الصالح بعد الإيمان، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}.

والحزن ينتظره عند الموقف في أرض المحشر، حيث يرى ما يرى ويسمع ما يسمع، فيتمنى العودة للدنيا من أجل العمل الصالح، قال تعالى حكاية عنهم: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُون}.

والحزن ينتظره في نار جهنم، حيث يذوق ما يذوقه من العذاب الأليم، فيتمنى العودة إلى الدنيا من أجل العمل الصالح، قال تعالى: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ}، وقال تعالى عنهم: {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ

عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّين * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُون}.

التمسوا ليلة القدر:

أما أنتم أيها الإخوة الصائمون، فدوموا على ما أنتم عليه من الاستقامة، ودوموا على ما أنتم عليه في مسابقة الخيرات، ودوموا على اغتنام الفرص، وهذه ليلة السابع والعشرين قد أقبلت علينا، فالتمسوها عسى أن تكون هي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فمن قامها إيماناً واحتساباً غُفر له، كما جاء في الحديث: (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) رواه البخاري ومسلم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، حافظوا على نعمة الإيمان والعمل الصالح من الزوال، وذلك بكثرة الاستغفار بعد الإيمان والعمل الصالح، لأن هذا هو مظهر العبودية لله تعالى، وسلوا الله أن يعتق رقابنا جميعاً من النار، فالموت لا بدَّ منه، ولكنَّ المهم ما بعد الموت، قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور}.

اللهمَّ أعتق رقابنا ورقاب أصولنا وفروعنا وأزواجنا وأحبابنا والمسلمين من النار يا أرحم الرحمين، أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

183- **خطبة عيد الفطر لعام ١٤٣١هـ: الناس فريقان**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

لقد انقضى شهر رمضان، وطُويَت صحائف الأعمال فيه، ورُفِعت إلى الله تعالى، انقضى هذا الشهر العظيم وهو شاهد لبعض العباد وشاهد على بعضهم الآخر.

شهر رمضان العظيم المبارك الذي انقضى انقسم فيه الناس إلى قسمين:

القسم الأول: هم الذين عظَّموا هذه الشعيرة المعلومة من الدين بالضرورة، عظَّموها حقَّ التعظيم، لأنهم سمعوا قول الله عز وجل: {وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب}.

عظَّموا هذه الشعيرة بلسان الحال والمقال عندما سمعوا قول الله عز وجل وهو يناديهم بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون}. فقالوا لهذا النداء: لبيك اللهم لبيك، فصاموا وقاموا امتثالاً لأمر الله تعالى الذي شرح صدورهم للإسلام، كما قال تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ}. امتثلوا أمر الله تعالى لأنهم سمعوا منادي الإيمان ينادي للإيمان فآمنوا، كما قال تعالى عنهم: {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَار}.

آمنوا بالله تعالى أولاً، واستجابوا لأمر الله عز وجل ثانياً، وقالوا للأوامر والنواهي: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير}. هؤلاء صاموا حقَّ الصيام، وقاموا حقَّ القيام.

القسم الثاني: أما القسم الثاني ـ نسأل الله تعالى لنا ولهم العفو والعافية ـ فهؤلاء الذين كانت صدورهم ضيقة حرجة عندما جاءهم أمر الله تعالى بالصيام، هؤلاء أضلوا أنفسهم فجعل الله تعالى صدورهم ضيقة حرجة، كما قال تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُون}.

هؤلاء قالوا بلسان الحال والمقال: {سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا}. هؤلاء الذين استحبوا العمى على الهدى كما قال تعالى عن أمثالهم: {فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}.

هؤلاء نظروا إلى هذه الشعيرة نظرة ازدراء واستخفاف فأفطروا شهر رمضان جهاراً نهاراً من غير عذر ولا رخصة شرعية، واستخفوا بهذه الشعيرة والعياذ بالله تعالى.

أيها الإخوة الكرام: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب الفريقين بقوله: (عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من أحببت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به) رواه الحاكم عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

تذكر يا أخي الكريم هذه الحقيقة، إن كنت من الفريق الأول أو الثاني (عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من أحببت فإنك مفارقه). ولكن تذكَّر الحقيقة التالية: (واعمل ما شئت فإنك مجزي به)، تذكَّرْ قول الله تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه}.

فلكلٍّ من الفريقين جاء الخطاب من الله تعالى ومن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورتَّب ربنا عز وجل لمعظِّم الشعائر وعداً، وللمستخفِّ بالشعائر وعيداً والعياذ بالله تعالى.

الوعد لمن عظَّم شعائر الله تعالى:

أيها الإخوة الكرام: لقد رتَّب الله تعالى لمن عظَّم شعائره وعداً لا يُخلف، فيا من وُفِّقتَ للصيام والقيام قل: اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم

سلطانك، لك الحمد يا من وفَّقتنا لذلك ورتَّبت لنا على ذلك أجراً عظيماً.

عباد الله: اسمعوا بشارة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لمن عظَّم شعائر الله تعالى، وخاصة عبادة الصوم، يقول صلى الله عليه وسلم: (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الفرحة الأولى:

أيها الإخوة الكرام: الفرحة الأولى للصائم في دار الفناء، الفرحة الأولى عندما يفطر كلَّ يوم على رزق الله، حيث كان ينجح في كل يوم من أيام رمضان، والفرحة الكبرى في الحياة الدنيا تكون له في يوم العيد، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الطبراني عَنْ سَعِيدِ بن أَوْسٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ وَقَفَتِ الْمَلائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الطُّرُقِ، فَنَادَوْا: اغْدُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ، يَمُنُّ بِالْخَيْرِ، ثُمَّ يُثِيبُ عَلَيْهِ الْجَزِيلَ، لَقَدْ أُمِرْتُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَقُمْتُمْ، وَأُمِرْتُمْ بِصِيَامِ النَّهَارِ فَصُمْتُمْ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ، فَاقْبِضُوا جَوَائِزَكُمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، نَادَى مُنَادٍ: أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ، فَارْجِعُوا رَاشِدِينَ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَهُوَ يَوْمُ الْجَائِزَةِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْيَوْمُ فِي السَّمَاءِ يَوْمَ الْجَائِزَةِ).

فرحة ما بعدها فرحة بتنزُّل الملائكة لهؤلاء الصائمين القائمين بالبشارة بمغفرة الله عز وجل لهم وبالهداية والرشد، فرحة كبرى عندما شاهدوا فضل الله عليهم حيث وفقهم للصيام مع طول النهار وشدة الحر، هؤلاء فرحتهم عظمى بفضل الله عز وجل عليهم، كما قال تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُون}.

الفرحة الثانية: أما الفرحة الثانية فهي دار البقاء، حيث لا يعقب هذه الفرحة حزن ولا كدر ببشارة الملائكة الكرام: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُون}.

هؤلاء فرحتهم الثانية عند لقاء الله عز وجل، حيث أعدَّ لهم ما لا عين رأت

ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما قال تعالى في وعده لهم: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون}. وقال: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَاب * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار}.

ما أجمل هذا الوعد {سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار}. صبرتم على الصيام والقيام طال النهار أم قصر، اشتدَّ الحر أو خفَّ، صبرتم على القيام طال الليل أم قَصُر.

وعدٌ من الله تعالى لهذا الفريق، حيث يجمع الله تعالى بينهم وبين أصولهم وفروعهم وأزواجهم، اللهمَّ اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين.

الفرحة الثانية في دار البقاء لمن عظَّم شعائر الله تعالى، حيث وعدهم الله تعالى بالحسنى وزيادة، كما قال تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون}. وقال العلماء: الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، كما قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة}.

هذا وعد الله تعالى الذي لا يُخلَف، لعباده الذين قالوا: {فَآمَنَّا}. للذين قالوا: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}. للذين عظموا شعائر الله تعالى.

فهنيئاً لك أخي الصائم فرحتك الأولى في دار الفناء، وأسأل الله تعالى أن يتمِّم الفرحة الثانية لك عند لقاء الله تعالى، وعندما تنادي في أرض المحشر عندما تأخذ كتابك بيمينك: (هاؤم اقرؤوا كتابيه)، كما قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيه}.

الوعيد لمن استخفَّ بشعائر الله تعالى:

يا عباد الله، أما الفريق الثاني فهم الذين استخفوا بشعائر الله ولم يقيموا لها وزناً، وكانوا يسخرون من الفريق الأول الذين عظَّموا شعائر الله تعالى، كما قال

تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون * وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُون * وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِين * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاَءِ لَضَالُّون * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِين * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُون * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُون * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُون}.

حسرته الأولى في دار الفناء:

هذا الفريق الثاني يعيش في تناقض مع ذاته، انظروا إلى هذا الفريق في أيام العيد، هو يشارك الصائمين القائمين فرحتهم في أيام العيد، لبس الجديد، وأكل الحلوى وأطايب الطعام، وهو يظنُّ أنه يشارك الآخرين بهجتهم أيام العيد، وأنا أقسم بالله العظيم بأن هذا الفريق الثاني يشارك الآخرين بهجتهم في أيام العيد صورة وشكلاً، أما ضمناً فهو يتمزَّق داخله إن بقيت فيه بقيَّة إيمان، حيث يتشبَّه هو بأهل السعادة شكلاً دون الحقيقة، يتمزَّق داخله لأنه كان محروماً طاعةَ ربه عز وجل، لأنه يرى أن فرحةَ الفريق الأول حقيقيةٌ وليست صوريةً وهمية، وهذه هي حسرته الأولى في الحياة الفانية.

حسرته في دار البقاء:

أما حسرته في دار البقاء فهي الحسرة التي ما بعدها حسرة، وتبدأ هذه الحسرة عند سكرات الموت حيث يسأل الله تعالى الرجعة ليعمل العمل الصالح الذي كان يعمله الفريق الأول، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}.

حسرته في أرض المحشر:

أما حسرته في أرض المحشر فنتصوَّرها من خلال قول الله عز وجل: {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَد * وَلاَ يُوثِقُ

وَثَاقَهُ أَحَد}. حسرة ما بعدها حسرة، وخاصة عندما يرى الفريق الأول يخاطبهم ربنا عز وجل بقوله: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي}. حسرته في أرض المحشر عندما ينكِّس رأسه ويسأل الرجعة، كما قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُون}.

حسرته في أرض المحشر عندما يتمنَّى أن يكون اتَّخذ مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلاً، كما قال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً}. وكما قال جلَّت قدرته: {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا}.

حسرته في أرض المحشر حيث يتمنَّى أن يفتدي نفسه من عذاب يوم القيامة بكلِّ ما يملك، وبكلِّ من يتَّصل بهم في حياته الدنيا، كما قال تعالى: {يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيه * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيه * وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيه * كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى}.

حسرته في أرض المحشر عندما يأخذ كتابه بشماله، كما قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه}.

حسرته وهو في النار والعياذ بالله تعالى:

أما حسرته وهو في نار جهنم والعياذ بالله تعالى فيقول الله تعالى عنهم: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ}. ويقول تبارك وتعالى مخبراً عن قولهم: {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّين * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُون * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُون}.

حسرتهم وهم في نار جهنم عندما يسألون مالكاً أن يقضي عليهم ربهم

فيموتوا، قال تعالى: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُون * لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُون * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِين * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُون}. حسرة ما بعدها حسرة لهذا الفريق الثاني الذي لا يعقل.

باب التوبة مفتوح ولله الحمد:

أيها الإخوة الكرام: نقول لهؤلاء الذين أجرموا، نقول لهؤلاء الفريق الثاني: باب التوبة مفتوح، ولن يُغلق بابُه حتى يقع العبد في الغرغرة، أو تطلع الشمس من مغربها، تعالوا واصطلحوا مع الله تعالى حتى لا تقعوا في الحسرة التي ما بعدها حسرة.

لا تقولوا لقد انقضى شهر رمضان بسماته، حيث صُفِّدت الشياطين وفتحت أبواب الجنان، لا تقولوا هذا الكلام، فإن خرج شهرُ رمضان فإن الله تعالى حيٌّ باقٍ، وهو ينادي خلقه بقوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}.

يا من قلت: سمعت وعصيت، تُبْ إلى الله تعالى قبل أن تقع روحك في الغرغرة، إن صدقت في توبتك فالله تعالى يقبلك، تُبْ إلى الله تعالى واقض الأيام التي أفطرتها، وكفِّر عن ذلك بصيام شهرين متتابعين، وأبشر بتوبة الله عز وجل عليك، واحذر العناد فإنَّ عواقبه وخيمة.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام، أقول أخيراً: كونوا ربَّانيِّين لا رمضانيِّين، كونوا ممن أقبل على الله تعالى وعاهده على الاستقامة حتى نهاية الأجل، كما قال تعالى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين}.

قيل لبشر الحافي: إن قوماً يتعبَّدون ويجتهدون في رمضان، فقال: بئس القوم قوم لا يعرفون الله حقاً إلا في شهر رمضان، إن الصالح الذي يتعبَّد ويجتهد السنة

كلها.

بئس العبد الذي يكون رمضانياً فحسب، بحيث يرجع بعد رمضان إلى ما كان عليه قبل رمضان من مخالفات شرعية، العبد الحق هو الذي يقول: ربي الله، ثم يستقيم حتى يأتيه الموت، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}.

اللهم ثبّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأكرمنا بالاستقامة حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا. آمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

184- خطبة الجمعة: الغاية من صلة الأرحام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

العيد نعمة من نعم الله تعالى أسبغها على عباده المؤمنين، وذلك بعد أداء عبادتين عظيمتين، عبادة الصوم وعبادة الحج، وأنت في الحقيقة في عيد عندما تكون لله عز وجل طائعاً، لأن الطاعات تولِّد فرحاً وسروراً عند الطائع، كما قال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}. إذا انتفى عنك الخوف والحزن فأنت في فرح وسرور.

فمن جاءه شهر رمضان فصامه حقَّ الصيام وقامه حقَّ القيام فإنه يستحقُّ أن يعيش في اليوم الأول من شهر شوال يوم عيدٍ مبارك عليه، حيث يُدخل الله تعالى الفرحة في قلبه، وآثار هذه الفرحة ينقلها للآخرين عندما يلتقي بهم يوم العيد.

صلة الأرحام مظهر من مظاهر العيد:

أيها الإخوة الكرام: إن من أعظم مظاهر العيد السعيد صلةَ الأرحام التي تكون بين المؤمنين، لأن العبد الذي خرج من شهر رمضان المبارك بعد صيامٍ وقيامٍ وقربٍ من الله تعالى، يسرع لامتثال أمر الله تعالى وخاصةً في صلة الأرحام، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ}.

وقد حذَّر الله تعالى من قطيعة الرحم بقوله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُم * أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}.

الواصل ليس هو المكافئ:

أيها الإخوة المؤمنون: يجب علينا أنْ نعلم بأنَّ صلةَ الرحم واجبةٌ علينا، وصلة الرحم تعني أن نصل من قطعنا، وأن نُحسن إلى من أساء إلينا، وأن نحلُم على من جهل علينا، لأنَّ واصل الرحم التي تصله لا يسمى واصلاً لها، إنما هو المكافئ، وذلك لقوله تعالى: {هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَان}.

لذلك بيَّن لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هذا الفارق بين الواصل والمكافئ بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ مَنْ إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

وهذا ما يجب على المسلم الملتزم أن يجسِّده سلوكاً وعملاً، بحيث يعامل الآخرين بالفضل لا بالعدل، وخاصة الرحم.

تعامل مع رحمك بالفضل، فَصِلْهم إذا قطعوك، وأحسن إليهم إذا أساؤوا

إليك، واحلم عليهم إذا جهلوا عليك، فإن فعلت ذلك فأنت الواصل للرحم حقيقةً، وأنت المؤَيَّد من الله تعالى، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ، وَلا يَزَالُ مَعَكَ مِنْ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ).

يا عباد الله لنصل أرحامنا مكافأة، ولنصل أرحامنا إذا قطعوا، لنكون من المتنافسين في العمل الأحسن، قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}.

يا عباد الله: إن كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ) رواه مسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

إن كان هذا في حقِّ العامة من المؤمنين فهو يتأكَّد أكثر في حق الرحم المؤمن، لأن هذا له حقُّ الرحم وحقُّ أخوة الإيمان، فكونوا خيراً من رحمكم إذا أساؤوا ـ لا قدَّر الله تعالى ـ فإذا عصى رَحِمُك اللهَ فيك، فأساؤوا إليك وجهلوا عليك وقطعوك، فلا تعصِ الله عز وجل فيهم، يكفي وجود عاصٍ واحد، لا يكن العصاة متعددين، وخير ما تكافئ به العاصي أن تطيع الله تعالى أنت فيه.

تذكَّروا يا عباد الله قول الله تعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}. فاعفوا واصفحوا عن أرحامكم إذا أساؤوا، وتذكروا قول الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ}.

الغاية من صلة الأرحام:

أيها الإخوة المؤمنون: ربُّنا عز وجل عندما أمرنا بصلة الرحم أمر بذلك لغاية،

ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح فيما بين الأرحام، قال تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين}.

أمر بذلك لكي نكون متناصحين، كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) رواه الإمام مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه. وقال تعالى : {وَالْعَصْر * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْر * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر}.

فلا نجعل من صلتنا للأرحام مجالس غفلة عن الله عز وجل، مجالس لهو ولغو، لأننا سوف نُسأل يوم القيامة عن ذلك، وربما أن يتحسَّر الإنسان يوم القيامة على تلك المجالس التي كانت مليئة باللهو والغفلة واللغو، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ إِلا كَأَنَّمَا تَفَرَّقُوا عَنْ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً).

ولنعلم جميعاً ونحن نزور الأرحام قول الله تعالى عندما يصف عباده المفلحين: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُون * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُون}. وكما وصف ربنا عز وجل عباد الرحمن بقوله: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}.

المخالفات الشرعية عند زيارة الأرحام:

أيها الإخوة الكرام: ربنا عز وجل ما شرع لنا الطاعات لتكون سبباً للوقوع في المخالفات، ربنا عز وجل عندما شرع لنا زيارة الأرحام حذَّرنا من الوقوع في المخالفات والمحظورات أثناء زيارة الأرحام، من جملة ذلك:

أولاً: الدخول على النساء من غير المحارم:

يا عباد الله، كثيرٌ من الناس الذين يقومون بصلة الأرحام يقعون في بعض

المخالفات الشرعية، والتي من جملتها الاختلاط بالنساء من غير المحارم، بحيث يدخل الرجل على زوجة عمه وخاله، يدخل على بنت خاله وخالته، وبنت عمه وعمته، وكلُّ هذا حرام لا يجوز شرعاً، وذلك لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ) يعني غير المحارم، (فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ) رواه الإمام مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

ويتأكَّد هذا التحريم إذا صارت هناك خلوة بهؤلاء النساء اللواتي يحلُّ للرجل الزواج منهنَّ، حيث يلعب الشيطان بين الرجل والمرأة، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الطبراني عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالْخَلْوَةَ بِالنِّسَاءِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا خَلا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ إِلا دَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا، وَلَيَزْحَمُ رَجُلٌ خِنْزِيرًا مُتَلَطِّخًا بِطِينٍ، أَوْ حَمْأَةٍ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَزْحَمَ مَنْكِبِهِ مَنْكِبَ امْرَأَةٍ لا تَحِلُّ لَهُ).

وكم سمعنا من ارتكاب الفواحش بسبب هذا الاختلاط، كم من رجل خان أخاه في زوجته، وكم من رجل خان عمه في زوجته أو ابنته، وكم من رجل خان خاله في زوجته أو ابنته وهكذا... فاحذروا عباد الله الدخول على النساء الأجنبيات خشية الوقوع في المخالفات، ودرءُ المفاسد مقدَّم على جلب المصالح.

ثانياً: الغيبة والنميمة:

أيها الإخوة المؤمنون: كثيرٌ من الناس عندما يقومون بصلة الأرحام يقعون في كبيرة من الكبائر وهم لا يشعرون، والتي من جملتها الغيبة والنميمة وتتبُّع العورات، وكلُّنا يعلم حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ، قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ) رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

أما حديث تتبُّع العورات فالكل يعلمه، وذلك عندما يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ) رواه الإمام أحمد عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

احذروا يا عباد الله الغيبة وتتبع العورات أثناء زيارات الأرحام، فلا تجعلوا من الطاعة سبباً للمعصية، ودرءُ المفاسد مقدَّم على جلب المصالح.

ثالثاً: كشف العورات:

يا عباد الله، الكثير من النساء يتساهلْنَ في كشف العورة إما بالثياب الضيِّقة، وإما بالثياب الرقيقة، وإما بالثياب القصيرة، وربما يدخل الرجل على بعض أرحامه ويرى هذا بعينه، وهو من جملة المنكرات ولا يتغيَّر وجهه لله تعالى، يرى كشف العورات وهو ساكت، والساكت عن الحق شيطان أخرس.

يا عباد الله، احذروا هذه المعصية أثناء زيارة الأرحام، ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وذكِّروا محارمكم بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا) رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

احذروا هذه المنكرات التي نتائجها وخيمة، ولقد سمعنا عن زنا المحارم الشيء الكثير، ودرءُ المفاسد مقدَّم على جلب المصالح.

استغلوا زيارة الأرحام بالتبليغ عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وتذكَّروا قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) رواه البخاري.

ثمرات صلة الأرحام:

أحباب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، احذروا المخالفات الشرعية أثناء صلة الأرحام، لأنه من تمام فضل الله عز وجل علينا أنه رتَّب لنا على صلة الأرحام ثمرات منها:

أولاً: الله تبارك وتعالى يصل واصل الرحم:

أعظم ثمرة من ثمرات صلة الأرحام هي أن الله عز وجل يصل واصل الرحم، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتْ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنْ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكِ لَكِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}.

ثانياً: واصل الرحم يبارك الله تعالى في عمره ورزقه:

عباد الله: إن واصل الرحم يكرمه الله تعالى بالبركة في عمره والبركة في رزقه، كما جاء في الحديث الشريف عن أَنسٍ رضي اللهُ عنه أَن رسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قال: (مَنْ أَحبَّ أَنْ يُبْسَطَ له في رِزقِهِ، ويُنْسأَ لَهُ في أَثرِهِ، فَلْيصِلْ رحِمهُ) رواه البخاري.

ثالثاً: واصل الرحم لا يخزيه الله تعالى:

أيها الإخوة الكرام: إن واصل الرحم لا يخزيه الله تعالى، وكيف يخزي الله عبداً يعامل الناس بالفضل لا بالعدل، وهذا ما أكَّدته أمُّنا السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها، عندما رجع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من

غار حراء في المرة الأولى وفؤاده الشريف ترتجف، وقال لأمِّنا السيدة خديجة رضي الله عنها: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: أَيْ خَدِيجَةُ مَا لِي، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلا، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ) رواه مسلم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

عباد الله: لنكن من الواصلين لأرحامنا وإن قطعت وأساءت وجهلت، لنكن واصلين لأرحامنا مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لنحذر الاختلاط بالنساء والخلوةَ بهنَّ، لنحذر الغيبة وتتبُّع العورات، ولنبلِّغ الأحكام الشرعية عند زيارتنا للأرحام، راجين المولى عز وجل أن يكرمنا بثمرات صلة الأرحام، نسأل الله تعالى أن يصلنا برحمته ويبارك لنا في أعمارنا وأرزاقنا. آمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

185- خطبة الجمعة: كُنْ مصلحًا لا صالحًا فقط

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، الإنسان اجتماعي بطبعه، ولا يستغني عن احتكاكه بالآخرين، وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بيَّن لنا طبيعة الإنسان ـ ما عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ـ بقوله: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه ابن ماجه عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه.

وعلى الإنسان المؤمن الصالح أن يكون صبوراً عند معاشرته للآخرين، وأن يتحمَّل أذاهم ويصبر عليهم ويغفر لهم زلاتهم، وذلك لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الَّذِي لا يُخَالِطُهُمْ وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ) رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنه.

كما يبين لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بأن خير العباد من يصبر على أذى الآخرين ويبدؤهم بالسلام إن هجروه، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ) رواه مسلم عن أبي أيوب الأنصاري. وهذا الأمر يحتاج إلى أن يكون العبد صابراً صبوراً، بل صبَّاراً.

كن مُصلحاً لا صالحاً فقط:

أيها الإخوة الكرام: إسلامنا العظيم ما أراد من أتباعه أن يكونوا صالحين فقط، بل كلَّفهم بالإصلاح بين الآخرين، وحمَّل العبد الصالح الصبور هذه المهمة، فقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون}. وقال جلَّت قدرته: {فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ}.

كما كلَّف ربُّنا عز وجل العبد الصالح أن يُصلح بين الأزواج إذا حصل نشوز بينهما، فقال تبارك وتعالى: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}. فبيَّن ربنا عز وجل أن الصُّلح بكلِّ صُوره وأشكاله خير ما دام مبنياً على أساس من الكتاب والسنة.

وبيَّن لنا ربنا عز وجل بأنه لا خير في أحاديث النجوى إلا إذا كانت بإرادة خير ومعروف وإصلاح بين الناس، فقال تبارك وتعالى: {لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ}.

فيا أيها العبد المؤمن الصالح الصابر المتحمل أذى الآخرين لا تقتصر على صلاحك بل كن مصلحاً بين عباد الله تعالى حتى تكون صمام أمان لأهل بلدتك، وتذكر قول الله تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُون}.

وقد روى البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الأوسط عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها، قال: فقال: يا رب إن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين، قال: فقال: اقلبها عليه وعليهم، فإنَّ وجهه لم يتمعَّر فيَّ ساعة قط».

وفي رواية للبيهقي أيضاً عن مالك بن دينار رضي الله عنه قال: «إن الله عز وجل أمر بقرية أن تُعذَّب، فضجت الملائكة، قالت: إن فيهم عبدك فلاناً، قال: أسمعوني ضجيجه، فإنَّ وجهه لم يتمعَّر غضباً لمحارمي».

لذلك يا عباد الله الصالحين لا تقتصروا على صلاح أنفسكم فقط بل كونوا

مصلحين في المجتمع، آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

صفات العبد المصلح:

يا عباد الله: إن العبد المصلح في المجتمع لا يكون مصلحاً إلا إذا كان مصطلحاً هو مع الله تعالى، وإلا إذا كانت صلته مع الله تعالى ممزَّقة فهذا عبد فاسد، والعبد الفاسد لا يكون مُصلحاً، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

لذلك فالعبد الصالح هو من أصلح الحال فيما بينه وبين الله تعالى، ثم أصلح فيما بينه وبين خلق الله تعالى، حتى لا يكون متناقضاً مع ذاته، كيف يُقدِم على الإصلاح بين الآخرين وهو متصارم متدابر متقاطع مع الآخرين؟

الذي لا يُصلح فيما بينه وبين الآخرين لا يستطيع أن يُصلح بين الآخرين، لأن الناس ينظرون إلى سلوكه قبل أقواله، فإذا شاهدوا فيه التناقض سخروا منه، لأن الله تبارك وتعالى يقول: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُون}. ويقول جلَّ جلاله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُون * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُون}. فالمصلح صلته مع الله تعالى جيدة، وصلته مع الآخرين جيدة، المصلح أصلح الحال بينه وبين الله تعالى، وأصلح الحال بينه وبين الآخرين حتى صار أهلاً للإصلاح بين الآخرين، فالمصلح منسجم مع ذاته لا تتناقض أقواله مع أفعاله.

درجة المصلح عند الله تعالى:

أيها الإخوة الكرام: إذا كان العبد صالحاً بذاته ولم يكن مُصلحاً في مجتمعه فهذا خيره لازم لنفسه، والإسلام يريد من العبد الصالح أن يكون خيره متعدياً للآخرين، لا أن يكون خيره لازماً لنفسه فقط، لأن من تمام الخير نقل الخير للغير.

من هذا المنطلق كانت درجة المصلح بين الناس أعلى من درجة الصائم المصلي المتصدِّق، كما بيَّن ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى،

قَالَ: صَلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ). قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ وَيُرْوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ) رواه الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

الكذب حرام إلا في الإصلاح:

أيها الإخوة الأحبة: نحن على يقين بأن الإسلام أمرنا بالصدق وحضَّنا عليه، وحذَّرنا من الكذب، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا) رواه مسلم عن عبد الله رضي الله عنه.

ولكن هل تعلمون يا عباد الله بأن الله عز وجل رخَّص بالكذب من أجل الإصلاح بين العباد ما لم يترتب على ذلك ضياع حقوق؟

أخرج الإمام البخاري عن أُمِّ كُلْثُومٍ بنتِ عُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْطٍ رضي اللهُ عنها قالت : سمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يَقُولُ: (لَيْسَ الكَذَّابُ الذي يُصْلحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمي خَيْراً، أَوْ يَقُولُ خَيْراً).

ويقول بعض العلماء: إن الله عز وجل أحبَّ الكذب في الإصلاح، وأبغض الصدق في الفساد.

واقعنا المرير:

أيها الإخوة الكرام: إن واقعنا مرير جداً حيث نرى الفساد والإفساد قائماً بين العباد إلا من رحم الله تعالى، هناك من يفسد بين الأزواج، وبين الآباء والأبناء، وبين الإخوة والأخوات، وبين الشركاء، وبين الجيران، وبين الأحباب والأصدقاء، وبين الحكَّام والمحكومين.

ويا حبذا لو أن الفاسد اقتصر على فساده، ولكن أبى إلا أن يكون مُفسداً لغيره والعياذ بالله تعالى، لذلك لزم علينا أن نكون صالحين مُصلحين، وكلما عظم الإيمان في قلب المؤمن ازداد حرصاً على إصلاح الآخرين، وكلما عظم الفساد في قلب الفاسد ازداد حرصاً على إفساد الآخرين.

الله تبارك وتعالى يُصلح بين عباده يوم القيامة:

أيها الإخوة الكرام: اسمعوا وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما يقول: (اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالى يصلح بين المسلمين) رواه الحاكم عن أنس رضي الله عنه.

فإذا كان الحق جلَّ جلاله يصلح بين عباده يوم القيامة، فعلينا أن نكون من المصلحين، واسمعوا إلى ما يحدثنا به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في الحديث الذي رواه الحاكم عن أنس رضي الله عنه يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي).

أيها الإخوة الكرام: قولوا للعبد الظالم تذكَّرْ قول الله عز وجل: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}. تذكَّرْ قول الله عز وجل: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}. تذكَّرْ قول الله عز وجل: {فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}.

قولوا للعبد الظالم والمظلوم: هذه الحياة الدنيا دار عمل لا جزاء، والآخرة دار جزاء لا عمل، فاصبر أيها المظلوم، يقول الله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء}.

يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (رجلان من

أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تبارك وتعالى للطالب: فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب فليحمل من أوزاري، قال: وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء، ثم قال: إن ذاك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يُحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك فانظر في الجنان فرفع رأسه، فقال: يا ربِّ أرى مدائن من ذهب وقصوراً من ذهب مكلَّلة باللؤلؤ، لأيِّ نبيٍّ هذا؟ أو لأيِّ صِدِّيقٍ هذا؟ أو لأيِّ شهيدٍ هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن، قال : يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه، قال الله عز وجل: فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالى يُصلح بين المسلمين) رواه الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: كلَّما عظُم الإيمان في قلب العبد ازداد صلاحاً وإصلاحاً وكلما عظم الفساد في قلب العبد ازداد فساداً وإفساداً، فكونوا يا عباد الله صالحين مصلحين، لأن مجتمعنا بحاجة إلى الصالحين المصلحين، لأن الصالح إذا لم يصلح ذات البين فإن فساد المفسدين قد يناله.

عبادَ الله: إن المجتمع اليوم كاد أن يصبح الكلُّ عدواً للكلِّ ـ إلا من رحم الله تعالى ـ بسبب إفساد المفسدين، فكونوا صالحين مُصلِحين، أصلحوا بين الأزواج، وبين الآباء والأبناء، وبين الإخوة والأخوات، وبين الشركاء والأصحاب والأصدقاء، وأصلحوا بين الحكَّام والمحكومين، أصلحوا ذات البين حتى يكون المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وإن لم نكن صالحين مصلحين فإن فساد المفسدين قد ينالنا لا قدَّر الله تعالى.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

186- خطبة الجمعة: وما تخفي صدورهم أكبر

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الخطبة الماضية:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد قلت لكم في الأسبوع الماضي بأن الإسلام أوجب علينا أن نكون مُصلحين لا صالحين فقط، لأن العبدَ الصالحَ الحريصَ على دينه وعرضه وماله ووطنه يحاول جاهداً أن يكون مُصلحاً في المجتمع، يحاول جاهداً أن يكون المجتمع كالجسد الواحد بل كرجل واحد، لأن خير تماسك المجتمع يعود عليه، كما أن فساد ذات البين شره عائد عليه، وذلك لقوله تعالى: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}.

والعبد الصالح لا يكون مُصلحاً إلا إذا أصلح فيما بينه وبين الله تعالى، وفيما بينه وبين العبد، وإلا فهو ليس أهلاً للإصلاح، فالمصلح عبد صالح يمتثل أمر الله تعالى القائل: {وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بِيْنِكُمْ}. والقائل: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.

العبد الصالح علم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ:

صَلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَيُرْوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ) رواه الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

إفساد ذات البين صفة المنافق:

أيها الإخوة الكرام: العبد المؤمن الصالح إذا رأى حسنة أشاعها، وإذا رأى سيئة دفنها، وعنده حسن الظن بعباد الله أجمعين، ويحاول أن يجد تبريراً لمخالفة الآخرين إن حصلت، وإن وجد لها باباً من الخير أدخلها فيه.

أما العبد المنافق الفاسد المفسد فإذا رأى حسنة دفنها، وإذا رأى سيئة أشاعها، وعنده سوء الظن بالعباد جميعاً ويحاول إشعال نار الفتنة بين الناس لأن قلبه يتميَّز غيظاً، وخاصة إذا رأى المسلمين بخير وتكاد أن تجتمع كلمتهم على الكتاب والسنة.

المنافق يفسد ذات البين، المنافق لا يقتصر على فساده بل يحاول أن يفسد الآخرين، كما قال تعالى عنه: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون *أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُون}.

المفسد بين العباد يحلق دينه إن بقي عنده شيء منه، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (فَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ).

ففساد ذات البين يحلق دين العبد، وخاصة إذا كان الإفساد منطلقاً من الكذب والافتراء والبهتان، لأن المفسد لا يشيع الفاحشة فقط إذا رآها، بل يفتري ويكذب للإفساد والعياذ بالله تعالى.

كل بني آدم خطَّاء:

عباد الله: مما لا شك فيه بأن الإنسان غير معصوم، يجري عليه الخطأ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه ابن ماجه عَنْ أَنَسٍ رضي الله تعالى عنه قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ). فالمؤمن إذا رأى سيئة صدرت من أخيه سترها عليه وقدَّم له النصيحة سراً حتى يكون هو و أخوه من الفالحين، وإلا فهو من الخاسرين، قال تعالى: {وَالْعَصْر * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْر * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر}.

فالمؤمن صالح مصلح ناصح سِتِّير يخشى الفضيحة، لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ) رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه.

أما المنافق فإذا رأى سيئة أشاعها وفضح الفاعل، بل يتتبَّع العورات والعياذ بالله تعالى، ويتلقط العثرات ويُروِّج لها بُغية الفساد والإفساد، ويحاول جاهداً بثَّ الحقد والحسد والبغضاء بين العباد، وما ذاك إلا لكراهية الحق وأهل الحق.

تربية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم للصحابة رضي الله عنهم:

أيها الإخوة المؤمنون: تعالوا لننظر إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كيف كان يربي الصحابة الكرام، وذلك لأجل سلامة المجتمع من التفكُّك، ومن أجل سلامة القلوب، لأن الفلاح يوم القيامة متوقِّف على سلامة القلوب، قال تعالى: {يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُون * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم}.

يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا يُبَلِّغْني أحدٌ من أصْحابي عنْ أحَدٍ شَيْئاً، فَإِنِّي أُحِبُّ أنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وأنا سليمُ الصَّدْرِ) رواه أبو داود عن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنهُ.

عباد الله: إذا كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صاحب الصدر السليم، صاحب القلب التقي النقي، حيث لا أصفى ولا أنقى ولا أتقى من قلبه الشريف يقول هذا الكلام، فكيف بقلب كقلوبنا؟

إن تتبُّع العورات وإشاعة الزلات قد تجعل في القلوب الغلَّ والحقد والحسد، وهذه الصفات تؤذي القلب وتمرضه، والله تعالى يقول: {يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُون * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم}.

وصاحب القلب الحقود الحسود إذا لم يتب إلى الله تعالى في الحياة الدنيا وإذا لم يتب الله عز وجل عليه فسوف يطهِّره الله تعالى في نار جهنم والعياذ بالله تعالى.

وما تخفي صدورهم أكبر:

عباد الله: لقد ظهرت في الآونة الأخيرة ثلَّة من أهل النفاق من أهل الحقد والحسد، من المفسدين الذي يريدون إشعال نار الفتن الطائفية، طالت ألسنتهم على أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وعلى أمنا الطاهرة الصادقة الصديقة بنت الصديق المبرَّأة من فوق سبع سموات، زوجة وحبيبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، طالت ألسنتهم بالافتراء والكذب عليهم ليفسدوا في الأرض، ويشعلوا نار الفتن، وما ذاك إلا للبغضاء التي سكنت قلوبهم، وظهرت آثارها على ألسنتهم، وما تخفي صدورهم أكبر.

هؤلاء لو سكن الإيمان بالله واليوم الآخر في صدورهم لكانوا صالحين مصلحين، ولكن فسادهم وإفسادهم ما هو إلا دليل على نفاقهم، لذلك شرعوا في الطعن في سلف الأمة وخاصة في أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وفي حقِّ أمِّنا الصِّدِّيقة رضي الله عنها.

لو تساءلنا ما هي الغاية من هذه الافتراءات والكذب على أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ هل يريدون بذلك إصلاحاً أم إفساداً؟

أما سمع هؤلاء أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم التي يقول فيها:

أولاً: روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مغفَّل المزني رضي الله عنه قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ).

ثانياً: روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ).

ثالثاً: روى الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ، وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ).

عباد الله: والله ما أحبَّ أصحابَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلا من أحبَّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وما أبغضهم إلا من أبغض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فلولا بغضهم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لما أبغضوا صحبه الكرام، ولما أبغضوا زوجات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

نعم لا يستطيعون أن يُظهروا بغضهم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، لأنهم إن فعلوا ذلك فقد صرَّحوا بكفرهم.

أقسام المجتمع الإيماني:

يا عباد الله: إن الطعن في أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ليس من شأن التابعين لسلف الأمة الذين قال الله تعالى فيهم: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم}.

إن الطعن في سلف الأمة هو من شأن أهل النفاق والفساد والإفساد الذين يريدون إفساد ذات البين، هذا ليس من شأن أهل الصلاح والإصلاح الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العظيم، حيث صنَّف ربنا عز وجل المجتمع الإيماني ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: المهاجرون:

قال تعالى فيهم: {لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون}. هذه شهادة الله تعالى في المهاجرين بأنهم صادقون، على رأس هؤلاء المهاجرين بعد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الصِّدِّيق والفاروق وذو النورين وأبو الحسنين رضي الله تعالى عنهم.

الصنف الثاني: الأنصار:

قال تعالى فيهم: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}. هذه شهادة الله تعالى في الأنصار بأنهم مفلحون.

الصنف الثالث: الذين جاؤوا من بعد المهاجرين والأنصار:

أيها الإخوة المؤمنون: انظروا إلى صفات الذين رضي الله عنهم بعد المهاجرين الصادقين وبعد الأنصار المفلحين بشهادة الله عز وجل، يقول الله تعالى في وصف الصنف الثالث من الأمة الصالحة المصلحة: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم}.

الذين جاؤوا من بعد المهاجرين والأنصار لهم صفتان:

الصفة الأولى: الدعاء لسلف الأمة: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ}. هؤلاء هم أصحاب القلوب السليمة، هم الذين يدعون لسلف الأمة، فمن لعن أول هذه الأمة فهو الملعون، من لعن السلف فهو الملعون.

الصفة الثانية: يسألون الله تعالى سلامة قلوبهم نحو الأمة وخاصة لسلفها: {وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}.

هذا وصف المؤمنين الذين هم خير خلف لخير سلف، كما جاء في الحديث الذي رواه ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: (قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لا إِثْمَ فِيهِ وَلا بَغْيَ وَلا غِلَّ وَلا حَسَدَ).

هؤلاء الذين يطعنون في سلف الأمة لا خير فيهم، لأن قلوبهم قلوب ملئت حقداً وحسداً، ومن مُلئ قلبه حقداً وحسداً على سلف الأمة هل تتوقَّعون منه الخير؟

خاتمة نسال الله تعالى حسنها:

يا عباد الله كونوا صالحين مصلحين، واحذروا من الفاسدين المفسدين، ووالله لا خير فيمن طعن في سلف هذه الأمة، لأن من طعن فيها فهو فاسد مفسد لا يريد إلا الإفساد، لا يريد إلا إظهار الفتن وإشعال نار العداوة والبغضاء بين المسلمين.

عباد الله: لنكن مصلحين فيما بين بعضنا البعض، لنلتزم صفة الذين جاؤوا بعد الصحابة الكرام الذين قال تعالى مخبراً عنهم: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}.

والصالح المصلح المحبُّ لسلف الأمة الذين نقلوا لنا الدين العظيم، اللهم إنا نشهدك في هذه الساعة المباركة بأنا نحبُّ أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وصحبه وسلم جملة وتفصيلاً، ونحبُّ آل بيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ونحبُّ أمهاتنا أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهم.

نسألك يا ربنا بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تجمعنا مع أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم مع آل بيته ومع أمهاتنا والصديقين والشهداء والصالحين.

نسألك يا ربنا أن تكفينا شرَّ الأشرار وكيد الفجار الذين يطعنون في سلف هذه الأمة، الذين يريدون الفساد والإفساد لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم أمتنا على كمال الإيمان، وعلى سلامة الصدر حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا يا أرحم الراحمين. آمين.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

187- خطبة الجمعة: ماذا يريد منا دعاة التقارب؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، لقد ذكرت لكم في الأسبوعين الماضيين بأن الإسلام جاء

ليجمع الأمة لا ليفرقها، جاء الإسلام ليعلم الناس الأدب فيما بين بعضهم البعض، سواء كانوا مؤمنين أم غير مؤمنين.

جاء الإسلام ليعلمنا أدبَ الحديث، وأدبَ المحادثة، وأدبَ المحاورة، جاء لينظف الألسن من السب والشتم واللعن، جاء ليطهر القلوب من الغل والإثم والبغي والحسد والاستعلاء.

ولقد أكرم الله عز وجل سلف هذه الأمة بهذا الأدب، من حيث سلامة اللقب واللسان، فكانوا كالجسد الواحد.

هل نحن من الصنف الثالث؟

أيها الإخوة الكرام: إن المجتمع الإيماني قسمه الله تعالى إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قسمُ المهاجرين من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله: {لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون}. ونحن قطعاً لسنا منهم، ولكن نرجو الله تعالى أن نكون على قدمهم.

القسم الثاني: قسمُ الأنصار من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}. ونحن قطعاً لسنا منهم، ولكن نرجو الله عز وجل أن نكون على قدمهم.

القسم الثالث: هو القسمُ الذي جاء من بعد المهاجرين والأنصار، حيث وصفهم الله تعالى بوصفين: الدعاء للسلف، والدعاء لأنفسهم من أجل سلامة

قلوبهم، قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم}.

هذا القسم الذي جاء من بعد المهاجرين والأنصار يدعون للسلف الصالح حملة الرسالة بالمغفرة، ويدعون الله أن يطهر قلوبهم من الغل على المؤمنين سلفهم وخلفهم.

فمن دعا للسلف وكان قلبه طاهراً نحو السلف والخلف فهو من المرضيين عند الله عز وجل، قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم}.

أما من دعا على السلف وامتلأ قلبه غيظاً وغلاً على السلف والخلف، فهذا ليس على النهج السوي المرضي عند الله تعالى، وربما عرَّض نفسه لسخط الله تعالى، بسبب سوء أدبه مع السلف والخلف، وربما أن يدخل تحت قول الله عز وجل: {لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}.يعني من وجد في قلبه غيظاً على الأصحاب الكرام فهو الكافر بنص القرآن كما استنبط ذلك الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

علامة الفرقة الناجية:

أيها الإخوة الكرام: إذا أردتم أن تعرفوا الفرقة الناجية من الفرقة الهالكة، انظروا إلى أقوالهم أفعالهم، فمن تأدب مع السلف ودعا الله لهم بالمغفرة، وكان قلبه طاهراً نقياً فهو من الفرقة الناجية بإذن الله تعالى.

أما الذين يطعنون في السلف والخلف، وامتلأت قلوبهم غيظاً على السلف والخلف، ويحاولون إشعال نار الفتنة بين المسلمين فاعرفوهم بأنهم من الفرق الهالكة.

تربية الإسلام للفرقة الناجية:

يا عباد الله: لقد ربَّانا الإسلام بفضل الله عز وجل على الأدب بكل صوره وأشكاله ومع سائر المخلوقات، ربَّانا الإسلام:

أولاً: على العدل ولو وُجد البغض في قلوبنا على أحد من خلق الله تعالى، قال تعالى: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون}.

حذَّرك الله تعالى من الوقوع في الجرم بسبب عدم العدل ولو مع من أبغضته، بغضك لأحد لا يبيح لك أن تجور عليه وتهضم حقه.

ربَّانا الإسلام إنْ وَجَدْنا الغلَّ في قلوبنا على أحد أن لا يتجاوز هذا الغلُ القلبَ، بل تنضبط الجوارح بتعاليم الله عز وجل.

بل أراد منا الإسلام الأكثر من هذا، أراد أن تكون القلوبُ سليمةً فقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لسيدنا أنس رضي الله عنه: (يا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ) رواه الترمذي.

فمن سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم سلامة القلب، ومن أحيا هذه السنة فقد أحب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومن أماتها فهذا دليل على بغضه لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وصدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما قال: (اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مغفل المزني.

فلولا بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لما أبغضوا أصحابه، ولما أرادوا من الأمة البغض لأصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ثانياً: ربَّانا الإسلام على نظافة اللسان من السب والشتم واللعن، فقال

تعالى: {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}. ربَّانا على قوله تعالى: {لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا}. ربَّانا على قوله تعالى: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}.

ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فالسب والشتم واللعن ليس من خلق المسلم، بل هو وصف المنافق، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ). ومن الفجور السب والشتم واللعن.

نعم هذا إذا كان السب والشتم واللعن في حق المسلمين مع بعضهم البعض فكيف إذا كان لسلف الأمة ولخلفها والعياذ بالله تعالى؟

ثالثاً: ربَّانا الإسلام على أن نجادل الآخرين بالأدب، فقال تعالى: {وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}. والجدل بالتي هي أحسن هو جدل أهل الأدب والاحترام، بدون أن يمس الآخرين بكلمة سوء، بل يقول المؤمن للآخرين {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِين}. أدب ما بعده أدب.

ربَّانا الإسلام على هذا الجدل، وأن يكون في دوائر ضيِّقة، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيد}. لأن الجدل في الملأ وأمام الجماهير هو جدل غوغائي لا يصل فيه المتجادلون إلى الصواب، لأن ضغط الجماهير له أثر كبير، وكم يمنع الضغط الجماهيري عن التراجع من الخطأ إلى الصواب؟

ربَّانا الإسلام على جدل نظيف حتى مع أهل الكتاب، قال تعالى: {وَلاَ

تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}. لأن الغاية من الجدل الوصول إلى الحق عن طريق الدليل والبرهان، قال تعالى: {قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين}.

رابعاً: ربَّانا الإسلام على القسط وعدم الجور، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقَيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}. والسر في ذلك اتباع الحق، لأن الحق أحق أن يتبع، لا يُنْظر إلى أصل ولا إلى فرع ولا إلى نسب بل ينظر إلى الحق، ويقف الإنسان مع الحق حيث كان، لا عصبية في الإسلام إلا للحق، فالمسلم يدور مع الحق حيث دار مع كامل الأدب مع الآخرين.

صورة رائعة من حياة السلف:

أيها الإخوة الكرام: صورة رائعة من صور السلف الذين رباهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، هذا سيدنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يرسله النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلى يهود خيبر، وما أدراك ما يهود خيبر، يهود خيبر منهم تلك المرأة التي وضعت السم في ذراع الشاة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تريد قتله، هذا حال نساء خيبر فكيف برجالهم؟

روى الإمام أحمد عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: (أَفَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقَرَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا كَانُوا، وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فَخَرَصَهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ أَنْتُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَبْتُمْ عَلَى اللَّهِ، وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، قَدْ خَرَصْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلِي، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَدْ أَخَذْنَا فَاخْرُجُوا عَنَّا).

وفي رواية البيهقي: (كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَأْتِيهِمْ فِي كُلِّ عَامٍ فَيَخْرُصُهَا عَلَيْهِمْ ثُمَّ يُضَمِّنُهُمْ الشَّطْرَ، فَشَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِدَّةَ خَرْصِهِ وَأَرَادُوا أَنْ يَرْشُوهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: تُطْعِمُونِي السُّحْتَ، وَاللَّهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَأَنْتُمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنْ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ، وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَنْ لَا أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ).

نعم هكذا ربَّا الإسلام سلف الأئمة الذين يُطْعَنون اليومَ من شرذمةٍ قليلةٍ تدَّعي محبة آل بيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وآل البيت الأطهار منهم أبرياء لسوء أدب هؤلاء مع أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ولسوء أدبهم مع أمهات المؤمنين.

ماذا يريد منا دعاة التقارب؟

أيها الإخوة الكرام: ماذا يريد منا دعاة التقارب، نحن لسنا بحاجة إلى توجيه أحد، لأننا استغنينا بالإسلام الذي ربَّانا على طهارة اللسان والقلب، هل سمعتم أحداً من أهل السنة والجماعة يطعن في آل بيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ أو يطعن في سلف الأمة؟

أهل السنة والجماعة هم الذين يتقربون إلى الله تعالى بحبهم لآل البيت وعلى رأسهم بعد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد أمنا السيدة فاطمة رضي الله عنها سيدُنا عليٍ رضي الله عنه.

لا يُقال لأمثالنا لنتقارب مع الآخرين، ولكن يُقال لمن يطعن في سلف الأمة وخلفها، ويلعن الصحب الكرام ويتهم أمهات المؤمنين وخاصة السيدة عائشة بعد أن برأها الله من فوق سبع سموات، يقال لأمثال هؤلاء: اتقوا الله في سلف الأمة وخلفها، ووالله لا خير فيمن يطعن في سلف الأمة، وأي خير يكمن في الخلف إذا طعن في السلف؟

يُقال لهؤلاء: التزموا الأدب، وإذا أردتم أن تحاكموا أحداً فحاكموا الأحياء لا الأموات، لقد خرج سلفنا من الدنيا كل واحد منهم مجتهد فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد، والوزر على من لعن السلف، حيث حكم حكماً غيابياً.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: الأدبَ الأدبَ الذي ربَّانا عليه الإسلام، نعم، لقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، ولكن صدق الله القائل: {لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}.

اعرفوا الفرقة الناجية من الهالكة من خلال اللسان، لأن المرء تحت طي لسانه، فصاحب القلب الحقود لا يعرف إلا السب والشتم واللعن، وصاحب القلب التقي النقي لا يعرف إلا أن يقول: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم}. اللهم اجعلنا منهم. آمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

188- خطبة الجمعة: يا صاحب الجوال! ماذا ستقول لربك غداً؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فأستفتح بالذي هو خير:

يقول مولانا في كتابه العظيم: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيد * وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيد * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد * وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيد * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيب * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيد * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيد * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيد}. صدق الله العظيم.

يا عباد الله: إن العبد لا يقع في معصيةٍ لله عز وجل، ولا يترك طاعةً لله عز وجل إلا إذا غابت الآخرة عن فكره وقلبه وعقله، لأن المستحضر الآخرة عند كل قول أو فعل أو حركة أو سَكَنة يكون منضبطاً بضوابط ذلك، وذلك خشيةً من ربه عز وجل.

خطورة يوم القيامة:

أيها الإخوة الكرام: يوم القيامة يوم خطير وخطير جداً، لأن ذاك اليوم له بداية وليس له نهاية، على عكس يوم الدنيا الذي له بداية ونهاية.

يوم القيامة يوم خطير وخطير جداً، لأن الله تعالى قسم عباده فيه إلى فريقين،

قال تعالى: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}. والحياة فيهما حياة خالدة لا فناء فيها.

ولخطورة ذاك اليوم شاء ربنا عز وجل أن يذكِّرنا بذاك صراحةً وإشارةً مرات عديدة، حتى لا تكاد صفحة من كتاب الله عز وجل تخلو من ذكر يوم القيامة.

الآخرة عالم مشاهد للمؤمن:

أيها الإخوة الكرام: شاء ربنا عز وجل أن يذكر لنا الآخرة وأحداثها، ونعيمها وعذابها في كتابه العظيم حتى تصبح كأنها مشاهدة عند الإنسان المؤمن، من صورها التي ذكرها ربنا عز وجل في القرآن العظيم:

أولاً: النفخ في الصور، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ}. وهذه هي النفخة الثانية، حيث يخرج الناس من أحداثهم. قبورهم. حُفاةً عُراةً غُرْلاً، كما حدَّثنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ثانياً: يخرج كلُّ إنسان من قبره فإذا بجانبه سائق وشهيد، قال تعالى: {وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيد}. ما من أحد خلقه الله تعالى من زمن سيدنا آدم عليه السلام إلى آخر مولود يولد في الدنيا إلا وينشق عنه القبر ويجد السائق والشهيد، وهما اللذان أشار الله تعالى إليها بقول: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد}. السائق كاتب الحسنات، والشهيد كاتب السيئات.

المؤمن مشتاق لذاك اليوم:

أيها الإخوة الكرام: أمر طبيعي بالنسبة للإنسان المؤمن بأنه لن يفاجأ بأحداث يوم القيامة، لأنه على بصيرة من أمره، بل هو يوم يتطلَّع إليه بشوق، لأنه عشق النعيم الذي وعده الله إياه، حيث ما لا عين رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، حيث يساق إليها سوق تكريم، وتُزْلَف إليه الجنة، كما قال تعالى:

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيد}.

فالمؤمن يشتاق الآخرة، ويعيش معها في حياته الدنيا، ويسأل عن يومها، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَأُقِيمَتْ الصَّلاةُ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: هَا أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا فَإِنَّهَا قَائِمَةٌ؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ عَمَلٍ، غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ).

اسمعوها يا شباب هذه الأمة: غير أني رجل أحبُّ الله ورسوله، لمن حُبُّكَ في الدنيا؟ اعلم بأنك تُبعث يوم القيامة مع من أحببت، فانظر إلى حبيبك في الدنيا وأنت تتذكر قول الله تعالى: {الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِين}.

هذا الرجل حافظ على الفرائض واجتنب النواهي، وقصَّر في صلاة وصيام النافلة، إما لشيخوخة أو لعجز أو لمرض أو لأمر (ما) إلا أن قلبه مُفْعَمٌ بحبِّ الله تعالى ورسوله، فلا يراه الله تعالى حيث نهاه.

المؤمن لا يفاجأ يوم القيامة بأحداثها لأنه صدق الله فيما قال، وأما غير المؤمن الذي كان يقول في حياته الدنيا: {إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين}. فهذا العبد سوف يندم ولا ينفعه الندم، ويبدأ ندمه عند سكرات الموت كما قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}.

فكِّروا في ذلك يا شباب وشابَّات الأمة، فكِّروا في ذلك أيها الحكام، أيها الرجال، أيها النساء، أيها الأغنياء، أيها الفقراء، فكِّروا في ذلك في حياتكم الدنيا حتى تستقيموا ولا تندموا.

ثالثاً: كلُّ إنسان له قرينان، وهذه حقيقة يعلمها العبد المؤمن لذلك لا يفاجأ يوم القيامة بذلك، أما غير المؤمن فإنه يفاجأ بأنَّ له قريناً من الملائكة وقريناً من

الجن، يقول الله تعالى عن قرين الملائكة: {وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد}. أي هذه صحيفة أعماله حاضرة، كما قال تعالى: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}. وكما قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَاد}. المؤمن عندما يرى عمله الحسن يقول: {هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيه}. وغير المؤمن يقول: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة}.

أما قرين الجن فيقول الله تعالى مخبراً عنه: {قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيد}. تبرَّأ المتبوع من التابع، كما يتبرَّأ المتبوع من الإنس من أتباعه، قال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَاب * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّار}.

يا صاحب الهاتف الجوال:

أيها الإخوة المؤمنون: من خلال ما تقدَّم أقول لكلِّ واحد فينا عنده هاتف جوال: هاتفك معك جوَّالٌ، أينما حللت وأينما نزلت هو معك، في حلِّك وترحالك، في خلوتك وجلوتك، وهذا الهاتف من أعظم نعم الله عز وجل علينا، إن استخدمناه في طاعة الله أُجِرنا، وإن استخدمه العبد في معصية الله فقد كفر بنعمة الله عز وجل.

والملاحظ أيها الإخوة بانَّ هذه النعمة نعمة الجوَّال استُخدِمت في معصية الله كثيراً، حتى أفسدت الكثير من الشباب والشابات، وهدَّمت البيوت، فكم من امرأة طُلِّقت بسبب الهاتف الجوَّال؟ وكم من رجل انحرف بسبب الهاتف الجوال؟ وكم من شباب وشابات انحرفوا بسبب الهاتف الجوَّال؟ وذلك من خلال الرسائل والصور

ومقاطع الفيديو.

أيها الإخوة الكرام: كم من قلوب أُدميت بعد دمع العيون من آباء وأمهات حريصون كل الحرص على تربية أولادهم التربية الصالحة، حريصون كلَّ الحرص على تنشئة أبنائهم في ظلال القرآن العظيم وهدي النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

نعم لقد أُدميت القلوب ودمعت العيون من قلوب الصالحين والصالحات عندما شاهدوا أولادهم وبناتهم انحرفوا بسبب إجرام أصحاب المحلات التي تسجل وتنزل على الهواتف النقَّالة من رسائل وصور ومقاطع فيديو يندى لها جبين البهائم والحيوانات فضلاً عن جبين الأحرار، هؤلاء أصحاب المحلات، هؤلاء العابثون الذين يرسلون الرسائل والصور، هؤلاء المجرمون الذين يضحكون من المؤمنين، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون}. هؤلاء الذين أجرموا في حقِّ أنفسهم أولاً، ثم في حقِّ شباب هذه الأمة، نقول لهؤلاء: يا هؤلاء اتقوا الله في أنفسكم، اتقوا الله في أعراضكم، اتقوا الله في شباب وشابات الأمة، ولا تحسبوا بأن الله غافل عنكم، ولكنه يُمْهِل ولا يُهْمِل.

وإني أتوجَّه إلى كلِّ أخ مسؤول غيور على دينه وعرضه وسلامة وطنه لأقول له: تابعوا ولاحقوا ودقِّقوا خلف أصحاب هذه المحلات التي عاثت في الأرض فساداً، فإن محلاتهم معلومة عندكم، هؤلاء يدعون إلى الفسق والفجور جهاراً نهاراً.

لقد ضاع الكثير من الشباب والشابات وضيَّعوا دينهم، وخرَّبوا دنياهم وآخرتهم بسبب اتباع الشهوات، بسبب الفساد الذي لحقهم من خلال الهواتف الجوَّالة.

ماذا ستقول لربك غداً يوم القيامة يا صاحب الجوال؟

أيها الإخوة الكرام: إني أتوجِّه إلى كلِّ واحد فيكم وهو حامل الهاتف الجوال لأقول له: استحضر وقوفك بين يدي الله عز وجل يوم القيامة، استحضر الموقف

في أرض المحشر، عندما يقول القرين من الملائكة: {هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد}. ويقول القرين من الجن: {رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيد}. استحضر قول الله تعالى: {فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}.

أخي الكريم: ارجع إلى جوالك وانظر ماذا يوجد فيه من صور ورسائل ومقاطع فيديو، هل ما يوجد فيه يبيِّض الوجه أم يسوِّد الوجه؟ فماذا ستقول لربك يوم القيامة إذا كان فيه ما يسوِّد الوجه؟

يا صاحب الجوَّال: هل جعلت هذا الهاتف سبباً في زيادة الحسنات أم السيئات؟ رسالة واحدة يُكتب لك أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة، ورسالة واحدة يُكتب عليك وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

تذكر يا صاحب الجوَّال حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ) رواه الإمام مسلم عن جرير رضي الله عنه.

خاتمة نسال الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: ختاماً أتوجَّه إلى كلِّ أب غيور وإلى كلِّ أمٍّ غيورة: راقبوا جوالاتكم أنتم أولاً، ثم راقبوا جوالات أبنائكم، ثم تساءلوا فيما بينكم وبين أنفسكم: ما هي الغاية والفائدة من حمل هؤلاء الشباب الجوالات؟ لماذا الجوال للشباب في المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية؟

الجوالات ضيَّعت الشباب والشابات، وضيَّعوا دراستهم بسببها، امنعوا هذه الجوالات عن أبنائكم ـ في سنِّ المراهقة خاصة ـ من أجل سلامة دينهم، والله إني لكم ناصح أمين.

وأما انتم يا أصحاب الجوَّالات تذكَّروا الآيات التي افتتحتُ بها خطبة الجمعة، واجعلوا هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة حاضراً أمام أعينكم، احفظوا جيداً قول الله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيد * وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيد * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد * وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيد}.

اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا، واحفظ أصولنا وفروعنا وأزواجنا كذلك يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

189- **خطبة الجمعة**: **وصايا للشباب**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي صورة مشهد من مشاهد يوم القيامة، ألا وهو النفخ في الصور، وسوق كل نفس إلى أرض المحشر، وشهادة الملك، وتبرؤ الشيطان من الإنسان.

لكل إنسان قرينان:

أيها الإخوة الكرام: كلٌّ واحد منا له قرينان، قرين من الملائكة، وقرين من الجن، قال تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد}، وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلا يَأْمُرُنِي إِلا بِخَيْرٍ) رواه مسلم. وفي رواية للترمذي: (وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمُ يَعْنِي أَسْلَمُ أَنَا مِنْهُ). فإما أن شيطانَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أسلمَ، وإما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يسلمُ منه.

أيها الإخوة المؤمنون: في أرض المحشر يقول قرين الإنسان من الملائكة: {هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد}، هذا سجل أعماله من المخالفات والمعاصي والمنكرات حاضر، ولا مجال لإنكاره، لأن الملك كاتبٌ كريمٌ، كما قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِين * كِرَامًا كَاتِبِين * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُون}.

وإضافة إلى ذلك تشهد جوارح العبد الكافر الفاسق الفاجر عليه، كما قال تعالى: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون}، وكما قال سبحانه: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُون * حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُون}.

ويشهد عليه كذلك الأرض التي تُقلُّه، قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا}.

عند ذلك يريد العبد الكافر الفاسق الفاجر أن يجعل الأمر في رقبة قرينه من الجن، فيقول كما يخبرنا المولى جل جلاله عنهم بقولهم: {رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ}، ولكنَّ قرين الجن يقول لربنا عز وجل: {رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيد}، فيحسم ربُّنا هذه الخصومة فيقول لهما: {لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيد * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيد}.

ونتيجة الموقف يتوجَّه الخطاب للملائكة الكرام في حقِّ هذا المجرم الكافر الفاسق الفاجر: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيد * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيب * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيد}.

أيها الإخوة الكرام: تصوَّروا هذا المشهد الذي يخبرنا الله عز وجل عنه، عندما يدخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ، ويقضى الأمر، يقف الشيطان ليتبرأ من أتباعه، فيقول الله تعالى مخبراً عنه: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}.

هذه حقيقة يجب أن لا تغيب عنا، {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي}، ليس له سلطان قوة، ولا سلطان حجة، إلا الدعوة إلى الفسق والفجور، فإذا بهذا العبد يترك داعي الله ويتبع داعي الشيطان، الله تعالى يدعو إلى دار السلام، كما قال تعالى: {وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ}، والشيطان يدعو للنار، كما قال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}.

تأكيد على أصحاب الجوالات:

عباد الله: أرجع فأركز على الهواتف الجوالة، اتقوا الله تعالى في هذه النعمة، وإياكم ومعصية الله تعالى فيها، انظروا إلى رسائلكم والصور التي فيها، ومقاطع الفيديو هل تبيض وجه العبد يوم القيامة، أم تسوِّد الوجه لا قدر الله؟

وأؤكد على أصحاب المحلات أن يتقوا الله في أنفسهم وفي أعراضهم، لأن الفساد إذا حلَّ سوف ينالهم لا محالة والله تعالى أعلم، وليعلم أصحاب هذه المحلات أن كسبهم من حرام إذا كانوا ينزلون على الهواتف ما يسخط الرب عز وجل، راقبوا الله يا عباد الله، واستحضروا الوقوف بين يدي الله عز وجل، ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر.

المعين لك على الاستقامة هي الصحبة الصالحة:

أيها الإخوة الأحبة: لقد أصبحنا في زمن قلَّ فيه النُّصَّاح، وقلَّ فيه المذكِّرون بالله تعالى، كثر في الفساد والمفسدون، فعليكم يا شباب هذه الأمة بالصحبة الصالحة، لأنها المعين على الاستقامة، فانظر إلى جليسك وخليلك وصاحبك في المدرسة، وفي الجامعة، وفي الشارع، وفي مكان عملك، هل هو من الصالحين أم من الأشرار الفجار الفساق؟

تذكَّروا يا شباب هذه الأمة وصايا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو يحثُّكم على الصحبة الصالحة:

أولاً: يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي.

ثانياً: يقول الله تبارك وتعالى: {الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِين}، سوف يتبرأ كلُّ متبوع بغير حقٍّ من تابعه يوم القيامة، كما قال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَاب * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّار}، لذلك سوف تنقلب الخُلَّة إلى عداوة بسبب هذا التبرؤ.

ثالثاً: يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً) رواه البخاري ومسلم. هذا ضرب مثل من الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي هو أولى بنا من أنفسنا، فهل يصدِّق العبد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أم لا؟

العجيب في شبابنا اليوم أنك ترى الواحد منهم حريصاً على طهارة ونظافة ثوبه، وحريصاً على اللقمة النظيفة السليمة، وكلُّ ذلك من أجل سلامة جسده، وتراه حريصاً على الابتعاد عن المرضى الذين أصيبوا بمرض مُعدٍ، ولا تراه حريصاً على الصحبة الصالحة، بل ربما أن يلقي بنفسه وباختيار منه في صحبة الأشرار، ولو ضيَّع دينه وخرَّب مستقبله في الآخرة، وتراه غير مبالٍ في هذا الجانب، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا من رحم الله تعالى.

يا شباب هذه الأمة! كونوا حذِرين من الضالِّين المضلِّين من الفاسدين المفسدين، من الذين يحدِّثونكم عن النساء وعن الأهواء والشهوات، لأن الله تعالى يقول: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ

غَيًّا * إِلاَّ مَن تَابَ}، قولوا لهؤلاء: إنا نخاف الله رب العالمين، ودوموا على طهارتكم الحسية والمعنوية.

رابعاً: يقول الله تعالى: {وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا * وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً}،هذا العبد لا يعض أصبعه ولا أصابعه ولا يده، بل يديه من شدَّة الحسرة، عندما يرى جهنم، كما قال تعالى: {وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى}، وقال: {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}.

تشتد حسرة هذا العبد عندما يرى أصحاب اليمين يساقون إلى الجنة سوقَ تكريم، كما قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا}، وعندما يرى الجنة وهي تزلف لأهلها، كما قال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيد * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيب * ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُود}.

وصايا للشباب:

أيها الأحبة ! يا أحباب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: أتوجَّه إلى شباب هذه الأمة ببعض الوصايا حيث عزَّ وجود الناصح الأمين إلا من رحم ربي عز وجل:

أولاً: صونوا أسماعكم وأبصاركم وأيديكم وأرجلكم وفروجكم عن معصية الله عز وجل، فوالله ما هذه الدنيا إلا ساعة، فاجعلوها طاعة لله عز وجل، فاصبروا يا شباب وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، واحذروا فسق الفساق وفجور الفاجرين وفساد المفسدين، لقد عمَّ الفساد وطمَّ إلا من رحم الله تعالى. وفي يوم القيامة سوف يتبرأ المتبوع من التابع، كما قال تعالى: {وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن

شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيص﴾.

ثانياً: يا شباب عليكم بالصحبة الصالحة التي تذكِّركم إذا غفلتم، وتشحذ من هممكم إذا فترتم، لأن سرَّ سعادتنا أن تدوم صحبتنا وصداقتنا من الدنيا إلى أرض المحشر، وحتى نكون ممن قال فيهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ) وعدَّ منهم: (وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ) رواه البخاري ومسلم.

من سرِّ سعادتنا أن لا يتبرأ المتبوع مِنَّا يوم القيامة، وهذا لا يكون إلا باقتدائنا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، من سرِّ سعادتنا الصحبة الصالحة، لأن الصاحب الصالح له شفاعة يوم القيامة. اللهم أكرمنا بشفاعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ثالثاً: أكثروا يا شباب هذه الأمة من الدعاء في كلِّ يوم وليلة، قولوا في دعائكم: اللهم اجعلنا عند سكرات الموت فرحين مسرورين ضاحكين مستبشرين قائلين: واطرباه غداً نلقى الأحبة محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وصحبَه.

اللهمَّ لا تجعلنا من النادمين المتحسِّرين الذين يسألون الرجعة عند سكرات الموت، فيقول أحدهم: ﴿رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون﴾، ولا تجعلنا يا رب من القائلين عند سكرات الموت: ﴿رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِين﴾. آمين.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الأحبة الكرام: لنستحضر أحداث يوم القيامة، ولنكثر من ذكر الموت، كما أمرنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: (أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ) رواه الإمام أحمد والترمذي.

لنراقب الله عز وجل الذي هو رقيب علينا، قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، وعلينا بالصحبة الصالحة التي تُصلح لنا ديننا ودنيانا وآخرتنا، اللهمَّ أكرمنا بذلك. آمين.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

-190 خطبة الجمعة: اعتبروا يا دعاة الضلالة من فرعون

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: يقول الله تعالى: {ألم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين}. كلُّنا يعلم هذه الآية ويحفظها، وكلُّنا يذكر حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : (إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) رواه الإمام أحمد عن أبي عبيدة رضي الله عنه. وقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ البَلاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ) رواه الإمام أحمد عن مصعب بن سعد رضي الله عنه.

فيا أيها المؤمن أنت في هذه الحياة الدنيا مبتلى ومختبر، فلا تغفل عن هذه الحقيقة، ولقد بيَّن الله عز وجل الغاية من هذا الابتلاء والفتنة فقال: {فَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين}. وقال: {لِيَمِيزَ الله الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون}.

فبالابتلاء يُظهر الله تعالى به صدق إيمان المؤمن، ليكون حجةً على غيره، ويكون قدوةً صالحةً للناس جميعاً.

النعمة ابتلاء:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نعلم بأن النعمة ابتلاء واختبار لك، فهل تشكر الله من خلال النعمة، أم يكفر العبد بالنعمة فيستخدمها في معصية الله عز وجل؟

كما قال تعالى في قصة سيدنا سليمان عليه السلام، عندما رأى سيدُنا سليمان عليه السلام عرشَ بلقيس أمامه قال: {هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيم}.

ولقد قلت لكم في الأسبوعين الماضيين بأن نعمة الهاتف الجوال من أعظم نعم الله تعالى على العبد إذا استخدمها في طاعة الله، ولكن وبكلِّ أسف صار نقمةً على بعض الشباب والشابات، بحيث انحرفوا عن جادة الصواب، وانتُهكت الأعراض، وفسدت العلاقة بين الأزواج، وخانَ الرجل زوجته، وخانت الزوجة زوجها إلا من رحم الله تعالى، وما ذاك إلا من خلال صور ورسائل ومقاطع فيديو.

البعض باع دينه بعرض من الدنيا قليل بسببه، مع العلم أنه نعمة، ولكن العبد حوَّله إلى نقمة والعياذ بالله تعالى، البعض لم يثبت أمام صورة خليعة، لم يثبت أمام رسالة فاجرة فانزلقت قدمه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونسال الله تعالى أن يحفظنا والمسلمين جميعاً.

يا عباد الله: استحضروا قول الله عز وجل: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِير}.

واعلموا بأنَّ لكلِّ دارٍ أهلها، فاثبت على دينك في حياتك الدنيا، واعلم بأنَّك مُختَبَر، ولا تغترَّ بفسق الفاسقين ولا بفجور الفاجرين.

{فَالله خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين}:

يا عباد الله: إذا كان أحدنا يتضايق من شدة الفتن والمحن والابتلاءات فليتذكر قول الله تعالى: {فَالله خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين}. وليتذكر قول الله تعالى: {الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون}. وليتذكر قول الله عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّ الله مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُم}.

ومن كان الله عز وجل مولاه فهو الحافظ والناصر والمعين والمؤيد له، وهو الغالب وليس بمغلوب، وهو المحفوف بألطاف الله عز وجل، وهو الذي يتولى اللهُ عز وجل جوارحَه، يتولى سمعَه وبصرَه ويدَه ورجلَه، وجوارحَه الظاهرة والباطنة.

ومن أراد هذه الولاية والعناية من الله تعالى فليسمع قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (احْفَظْ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظْ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَلْ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

فمن حفظ جوارحه كما أمر الله تعالى فإن الله تعالى يحفظه من نار الفتن الظاهرة والباطنة، مهما كادَ له الفُسَّاق والفُجَّار والمنافقون، ومهما حاول المنافقون فِتنته فالله حافظٌ له، وصدق الله القائل: {فَالله خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين}. ووعدُ الله تعالى لا يخلف.

صور من عناية الله بأحبابه:

أيها الإخوة المؤمنون: لقد أعطانا الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم نماذجَ عن صور حفظه وعنايته بأوليائه وأحبابه، جسَّد لنا في القرآن العظيم حقيقة قوله:

{ذَلِكَ بِأَنَّ الله مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُم}. وجسَّد حقيقة قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (احفظ الله يحفظك).

من هذه النماذج:

أولاً: عناية الله تعالى بسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

اسمع يا عبدَ الله المبْتَلى إذا أردت أن يحفظك الله تعالى من الفتن والابتلاءات، هذا سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو قومه إلى الله تعالى، وأقام عليهم الحجة حتى نكسوا رؤوسهم أمام حُجَجِه، ولكنَّ الكفر والعناد دفعهم لارتكاب جريمة في حقِّ سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم فقالوا: كما أخبرنا الله عز وجل عنهم: {قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِين * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيم * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُون * قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيم * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُون * فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُون * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاَءِ يَنطِقُون * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلاَ يَضُرُّكُم * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُون * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِين}. هكذا قالوا انتصاراً لآلهتهم، ولكن الله تعالى يحفظ من حفظ حدوده، فجاء الردُّ عليهم من الله تعالى: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيم * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِين}. فأيُّ القولين سيكون النافذ؟

لا شكَّ ولا ريب بأنَّ صاحب المشيئة العليا قوله هو النافذ، لأنه هو القائل: {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء الله رَبُّ الْعَالَمِين}. لا شكَّ ولا ريب بأنَّ الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء قوله هو النافذ، وهذا ما أكَّده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ

يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

أما صارت النار برداً وسلاماً على سيدنا إبراهيم عليه السلام؟ أما جعل الله تعالى كيدهم في ضلال؟

فيا عباد الله: اثبتوا أمام الفتن واحفظوا جوارحكم من المخالفات الشرعية، فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين وربِّ الكعبة، واحذروا من الابتعاد عن دين الله تعالى، واحذروا أن تنقادوا خلف الفتن والشهوات، فمن انقاد إليها وقع في حبائل الشيطان وخرج من النور إلى الظلمات، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون}.

سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام نموذج من نماذج وعد الله الذي لا يخلف، وتحقيق لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (احْفَظ الله يَحْفَظْكَ).

ثانياً: عناية الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام:

يا عباد الله: الفتن كثيرة والابتلاءات عظيمة ولا ملجأ ولا منجى منها إلا بالله تعالى، فمن جعل ولايته لله عز وجل تولاه الله، وحفظه بما يحفظ به عباده الصالحين، ولنسمع إلى هذا النموذج من حفظ الله تعالى لأوليائه وأحبابه.

فرعون أصدر أمراً فرعونياً بأن يقتل الأبرياء من الأبناء من بني إسرائيل خوفاً على ملكه من الزوال، لأن سَحَرَته وكَهَنَته قالوا له: هلاكك وزوال ملكك على يد غلام من بني إسرائيل، وولد سيدنا موسى وخافت عليه أمه من هلاكه على يد فرعون، ولكن:

وإذا العناية لاحظتك عيونها *** نم فالمخاوف كلهنَّ أمانُ

لنسمع أيها الإخوة، كيف تكون عناية الله تعالى بأحبابه، قال تعالى:

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِين} .

نعم الآمر ضامن، هو الذي أمر بإلقائه في اليم، واليمُّ يُلقِيهِ بالساحل، ومن الساحل يأخذْه عدوٌّ لله وعدوٌّ له، أخذه فرعون وعرف أنه غلام من بني إسرائيل فأراد قتله، ولكن هيهات هيهات أن يجري في الدنيا أمر من غير مشيئة الله عز وجل، قال تعالى في حق سيدنا موسى عليه السلام: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} .

عندما أمر فرعون بقتله قالت زوجته: {لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} . وصدق الله القائل: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} . وصدق الله القائل: {فَالله خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين} . أراد فرعون قتله فربَّاه الله تعالى في قصر فرعون، وجعل هلاك فرعون على يَدِ سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام.

لا تخشى الفتن ما دام الله موجوداً، وكنتَ ملتزماً شرع الله عز وجل، ملتزماً هدي الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

يا شباب: الناس يكيدون لكم فاحذروهم:

أيها الإخوة الكرام: يا شباب هذه الأمة، كونوا على ثقةٍ بأنَّ الشرق والغرب وأذنابهم من المنافقين يكيدون لكم كيداً من أجل فتنتكم في دين الله عز وجل، وجعلوا السلاح ضدكم النساءَ السافرات المتبرجات، فأنتم ترون النساء المتبرجات في كل مكان، في الطرقات وفي الأسواق وفي الدوائر وفي المؤسسات، وعلى أجهزة الإعلام بأنواعها، وضيَّقوا عليكم أسباب الزواج فما أنتم فاعلون؟ هل تنزلق أقدامكم من خلال رسالةٍ أو صورةٍ أو مقطع فيديو تُرسَل إلى جوالاتكم؟ أم تعتصمون بالله تعالى وتطلبون منه الحفظ والعناية كما حفظ عباده الصالحين؟

تذكروا يا شباب حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (احْفَظْ الله يَحْفَظْكَ). فمن أراد الحفظ من الفتن الظاهرة والباطنة فليكن مع

الله تعالى يحفظ حدوده وشريعته.

يا شباب إذا اشتدَّت الفتن والمحن عليكم فازدادوا صبراً، لأنه كلما صبرتم زاد أجركم، وأما أصحاب الفتن فتزيد آثامهم وأوزارهم، كلما صبرتم زدتم قرباً من الله عز وجل وقرباً من الجنة، وهم ازدادوا بعداً عن الله تعالى وقرباً من وسط جهنم والعياذ بالله تعالى.

واجعلوا يا شباب هذه الأمة الفارق بينكم وبين دعاة الضلالة سكرات الموت، حيث تكونون ببركة الصبر عن المعاصي من أهل الولاية والعناية في عالم الدنيا، وتكونون عند سكرات الموت ضاحكين مستبشرين بإذن الله تعالى، وفي عالم البرزخ يكون قبركم روضة من رياض الجنة، وفي أرض المحشر تكونون في ظل عرش الرحمن، ثم في جنةٍ عرضها السموات الأرض أعدَّت للمتقين، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

أما دعاة الفتنة أهل الفساد والإفساد فلا مولى لهم، فحياتهم في الدنيا حياةُ شقاءٍ وضنك . وربِّ الكعبة . ولا تغترُّوا بظواهرهم، وعند سكرات الموت سَيَسأَلون الرجعة، وأما في عالم البرزخ فقبرهم حفرةٌ من حُفَرِ النيران والعياذ بالله تعالى، وأما في أرض المحشر فتحت الشمس التي تدنو من الرؤوس بمقدار ميل، ثم إلى جهنم وبئس المصير حيث وقودها الناس والحجارة.

اعتبروا يا دعاةَ الضلالة من فرعون:

يا عباد الله: قولوا لدعاة الضلالة: يا دعاةَ الضلالة اعتبروا من فرعون، حيث كان رأساً في الضلالة والإضلال، حيث قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}. وقال: {يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}. وقال: {مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَاد}. وقال في حقه وحق قومه مولانا عز وجل: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَاد * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَد * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد}.

قولوا لدعاة الضلالة الذين يريدون الفساد في الأرض: هذا الطاغية لقد أرسل

إليكم رسالة عندما وقع سياق الموت، فهل تنبَّهتم لها؟ رسالته أرسلها إلى كلِّ طاغية من بعده، فقال عندما أدركه الغرق: {آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِين}.

تذكروا يا دعاة الضلالة بأنَّ التوبة لا تنفع عندما يقع أحدكم في سكرات الموت، وذلك لقوله تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

يا دعاةَ الضلالة اعلموا بأنَّ الطاغية فرعون عندما قال عند سكرات الموت: {آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِين}. جاءه الردُّ صريحاً واضحاً: {آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِين}؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا أحباب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، يا شباب هذه الأمة، حياتنا قصيرة، وأيامنا في الحياة الدنيا معدودة، فطوبى لعبدٍ حفظ جوارحه من المعاصي حتى يحفظه الله تعالى من الفتن، وحتى يحفظه الله تعالى في عالم البرزخ، وحتى يحفظه الله تعالى في أرض المحشر، وحتى يُدخله الله تعالى الجنة.

أيها الإخوة: أقول لنفسي ولكلِّ واحد فيكم: لا تضيِّع حظك في الآخرة بشهوة ساعةٍ في الدنيا، فالشهوة المحرَّمة في الدنيا تذهب لذَّتها وتبقى مرارتها.

نسألك يا ربنا أن تحفظنا من جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن. آمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

191- خطبة الجمعة: {وأنذرهم يوم الحسرة}

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يقول الله تعالى في كتابه العظيم: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون}.

أيها الإخوة المؤمنون: لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأنه يجب على دعاة الضلالة والفسق والفجور، وأهل الفساد والإفساد، والضلال والإضلال، أن يعتبروا من فرعون الذي عاث في الأرض فساداً، وعندما أدركه الغرق قال: {آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِين}. فكان الجواب له: {آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِين}.

أيها الإخوة الكرام: والله الذي لا إله غيره لو أنَّ دُعاة الضلالة والفساد في رؤوسهم ذرةٌ من عقل لكانوا من دعاة الهدى والصلاح، ولكن لا بدَّ من أن يتحقَّق قول الله عز وجل: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِير * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِير}.

ما حقُّ الأمة على رسولها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سلم؟

يا عباد الله: إن حقَّ الأمة ـ بشقَّيها أمة الدعوة وأمة الاستجابة ـ على رسولها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن ينصحها وأن يبشِّرها وأن ينذرها وأن يعلِّمها، لأن هذا ينفع الأمة ما دامت في دار الدنيا، دار العمل، وما دامت

الشمس لم تطلع من مغربها، وما دامت الروح لم تقع في الغرغرة.

ولقد جاء الأمر من الله تعالى صراحةً لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بذلك، وخاصة في الإنذار، فقال تبارك وتعالى: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ}.

والمقصود بيوم الحسرة هو يوم الدين، يوم الجزاء، يوم القيامة، لأن الحسرة الحقيقية في ذاك اليوم لا في الدنيا، في عالم الدنيا لا توجد حسرة ما دامت الشمس لم تطلع من مغربها، وما دام العبد ما وقع في سياق الموت، لأن الله تبارك وتعالى ينادي على عباده بقوله: {وَتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}. وهو تبارك وتعالى يبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا).

فلا حسرة في الدنيا ما دُمتَ على قيد الحياة. مهما كانت ذنوبك. إذا تبت إلى الله تعالى، قال تعالى: {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ الله غَفُورًا رَّحِيمًا}.

إذاً الحسرة الحقيقية هي في الآخرة، حيث الجزاء على الأعمال، الحسرة يوم الدين، لأنه في ذلك اليوم ينقطع العمل وتُطوى الصحف، ويُفصل بين أهل الجنة والنار، ويُقال: {وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُون}. في ذلك اليوم تنقطع الآمال، وينسد باب الخلاص من الأهوال، حيث لا شفاعة لأحد إلا بإذن الله تعالى، ولا ينفع في ذلك اليوم إيمان، ولا ينفع اعتراف وإقرار، النتيجة في ذلك اليوم من خلال ما قدَّمت في هذا اليوم.

يا عباد الله: لقد جاء الأمر من الله تعالى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون}. فأنذر النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم امتثالاً لأمر الله تعالى القائل: له: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ}. أنذر النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الأمةَ بشقيها، أمة الدعوة وأمة الاستجابة، فهل يا ترى يكون لنا الشرف في أن نبلِّغ عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هذه الآية، وخاصة بعد أن قال: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) روه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه. فهل نبلِّغهذه الآية للناس؟

أيها الإخوة الكرام: بلِّغوا هذه الآية الكريمة للإخوة الذين تجالسوهم، بلِّغوها لمن سلك طريق الفساد والضلال والانحراف، بلَّغوها لمن سوَّلت له نفسه محاربة الإسلام والمسلمين، بلِّغوها لمن أساءَ لسلف هذه الأمة من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومن أهل بيته الكرام رضوان الله عليهم جميعاً.

{إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ}:

يا عباد الله: لقد أمر الله تعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سلم بقوله: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ}. ومعنى قُضِيَ الأمر: يعني إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، ودخل أهل النارِ النارَ، وقف الشيطان خطيباً في أتباعه من شياطين الإنس والجن، ولعلَّ كلَّ فاسقٍ فاجرٍ داعٍ للضلالة وناشر للفساد، أن يسمع الآن خطبة الشيطان في أتباعه قبل أن يسمعها لا قدَّر الله تعالى حقيقةً من الشيطان يوم الحسرة وهو في نار جهنم، قال تعالى مخبراً عن قول الشيطان لأتباعه يوم الحسرة وهو في نار جهنم: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي

كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}. ليُصدِّق دعاة الضلالة هذا الأمر أو ليُكذِّبوه، فالحمد لله تعالى نحن على بصيرة من أمرنا، ونسال الله تعالى أن يجعلنا ممن يدعو إلى الهدى.

في يوم الحسرة وبعد أن يُقضى الأمر سيتبرَّأ أهلُ الضلالة والفسق والفجور من أتباعهم، وسيتحسَّر الأتباع في يوم الحسرة، قال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَاب * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ الله أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّار}.

قولوا لهؤلاء: ستندمون وربِّ الكعبة إذا لم تتوبوا إلى الله تعالى في هذه الحياة الدنيا، وإن الغدَ لناظره قريب.

كيف أنذر النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الأمة؟

أيها الإخوة الكرام: عندما نزل قوله تعالى: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون}. وقف النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ليقول للأمة جميعاً كما جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ).

لا تستغربوا هذا الأمر، ولا يقولنَّ قائل: الموتُ غير محسوس كيف يصبح على صورة كبش؟ لا يقولنَّ أحدٌ هذا القول ما دام يعتقد قول الله تعالى: {وَمَا كَانَ الله لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}. فالله على كل شيء قدير.

(يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا

الْمَوْتُ).

تصوَّروا يا عباد الله هذا الموقف الرهيب، أهلُ الجنة ألقى الله تعالى في قلوبهم معرفة هذا الكبش على أنه الموت، وألقى الله ذلك في قلوب أهل النار كذلك، أهلُ الجنة يتنعَّمون في جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأهل النار يُعذَّبون عذاباً لا يعلمه إلا الله تعالى، الكلُّ ينظر إلى الموت ماذا يعني؟

هل سيموت أهل الجنة وينقطع عنهم النعيم؟ هل سيموت أهل النار ويخلصون من عذاب الجحيم؟ أهل النار يقولون لخازن النار: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُون}. إنه لموقف رهيب، الكلُّ ينظر إلى الموت، ماذا يؤمر بهم، أم ماذا يؤمر بالموت؟ أهل الإيمان على بصيرةٍ من أمرهم ولله الحمد، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ).

بعد أن يُذبح الموت بين الجنة والنار، يعني يموت الموت الذي خلقه الله تعالى،لأن الموت مخلوق كما قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ}. بعد موت الموت، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ}. وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا).

عبادَ الله: عندما يُذبح الموت وينادى على أهل الجنة وأهل النار: خلودٌ فلا موت، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ) رواه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

هذا هو يوم الحسرة، وقد أنذر النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ونحن على ذلك من الشاهدين، ونحن نُبلِّغ هذا عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم اشهد أنَّا قد بلَّغنا عن حبيبنا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها الإخوة الكرام: ليُصنِّف كل واحد منا نفسه، هو من أيِّ الفريقين؟ فمن كان من دُعاة الهدى والصلاح والإصلاح فهو إن شاء الله تعالى من أهل الجنة، وأما إذا كان العبد من دعاة الضلال والفساد فهو من أهل النار إن لم يتب إلى الله تعالى، وصدق الله القائل: {بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}.

وصدق الله القائل: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين}.

فيا عباد الله كونوا من دعاة الصلاح، من دعاة الحق، من دعاة الإسلام، ولا تكونوا من دعاة الضلالة والفساد، لأن دعاة الضلالة والفساد خاسرون وربِّ الكعبة، متحسِّرون وربِّ الكعبة، نادمون وربِّ الكعبة عاجلاً أم آجلاً.

الكلُّ سيندم وسيتحسَّر:

أيها الإخوة الكرام: يوم القيامة الكلُّ سيندم ويتحسر، ولكن شتَّان ما بين نادم ونادم، وما بين متحسِّر ومتحسِّر، روى الإمام الترمذي في سننه عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلا نَدِمَ، قَالُوا: وَمَا نَدَامَتُهُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لا يَكُونَ ازْدَادَ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لا يَكُونَ نَزَعَ).

ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا الله فِيهَا) رواه الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

أهل الجنة يندمون ويتحسَّرون لو أنهم زادوا في الطاعات والقربات، ولذلك رغَّبنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: (اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك

قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه.

وأهل النار يندمون ويتحسَّرون لو أنهم نزعوا وتابوا إلى الله تعالى، ولكن فات الأوان، فهل يستوي أصحاب الجنة وأصحاب النار؟ قطعاً كما قال تعالى: {لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُون}. اللهم اجعلنا منهم.

كن ممن يزداد شكراً يوم القيامة:

يا عباد الله: ما زال الأمل موجوداً وباب التوبة مفتوحاً، وفرصة التنافس في فعل الطاعات متاحة، فلتكن ممن يزداد شكراً يوم القيامة، ولا تكن ممن يزاد حسرة والعياذ بالله تعالى.

روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لا يَدْخُلُ أَحَدٌ النَّارَ إِلا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً، وَلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ لِيَزْدَادَ شُكْرًا). اللهم اجعلنا من أهل الجنة لنزداد شكراً.

إلهي لستُ للفردوس أهلاً *** ولا أقوى على نار الجحيم

فهب لي توبةً واغفر ذنوبي *** فإنك غافر الذنب العظيم

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: إن أعظم الحسرات هي حسراتُ يوم القيامة، فليت العقول تعي هذه الحقيقة، وتعمل لها وهي ما تزال في سَعَة الدنيا.

فيا أهل الطاعات! استغلوا أنفاس أعماركم بالقرب من الله تعالى، كونوا من أهل القرآن تلاوةً وعملاً وتعلُّماً وتعليماً، كونوا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، كونوا من عباد الله الصالحين المصلحين وتنافسوا في ذلك.

ويا أهل الضلالة يا أهل الفسق والفجور، يا أهل الفساد! تعالوا وبادروا بالتوبة لله عز وجل فباب التوبة مفتوح، يا من يريد الفساد للأمة، يا من يريد تمزيق الأمة

بالفتن وإشعال نار الشهوات والعداوات، يا من يحارب الإسلام والمسلمين! بادر بالتوبة قبل يوم الحسرة، حيث ستندم ولا ينفعك الندم، وتذكَّر قول الله تعالى: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُون}. ولكن هيهات هيهات. اللهم لا تجعلنا من النادمين المتحسَّرين يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

192- خطبة الجمعة: اغتنم أنفاس عمرك في هذه الأيام المباركة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فأستفتح بالذي هو خير:

أخرج الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي في سننهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ. يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلا رَجُلاً خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ).

يا عباد الله: نِعم الله تعالى لا تعدُّ ولا تحصى، قال تعالى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ

اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا}، ومن جملة هذه النعم مواسم الخيرات التي جعلها الله تعالى فيكل عام، حتى يتنافس فيها المتنافسون، ويتقرب فيها إلى الله تعالى المتقرِّبون، ومن هذه النعم في المواسم نعمة أيام عشر ذي الحجة.

خصوصيات الأيام العشر:

أيها الإخوة الكرام: أيام عشر ذي الحجة موسم من المواسم العظيمة، جعل فيها مولانا عز وجل خصوصيات لم تكن في غيرها، من خصوصيات أيام عشر ذي الحجة:

أولاً: أقسم الله عز وجل بها، وربُّنا عز وجل لا يُقسم إلا بعظيم، فقال تبارك وتعالى: {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ}، وما دامت عظيمة عند الله تعالى، ففيها أسرار وخصوصيات يُكرم الله تعالى بها من شاء من عباده.

ثانياً: هذه الأيام سماها الله تعالى في كتابه العظيم بالأيام المعلومات، قال تعالى: {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ}، فطلب ربُّنا عز وجل من عباده أن يذكروا الله تعالى في هذه الأيام المعلومات، وهي أيام عشر ذي الحجة.

ثالثاً: العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله تعالى منه في غيرها،كما جاء في الحديث الشريف: (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ، وَلا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنْ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ) رواه الإمام أحمد.

رابعاً: في هذه الأيام العشر، يوم التروية، وهو اليوم الثامن منها، حيث تبدأ أعمال الحج، وذلك بالتوجُّه إلى منى، ومن منى إلى عرفات.

خامساً: في هذه الأيام العشر يوم عرفة، وهو يوم عظيم مبارك، لله في عتقاء من النار، ويباهي الله فيه بالحجاج الملائكةَ الكرام، كما جاء في الحديث الشريف: (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ المِلائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلاءِ) رواه مسلم.

ودِّع عامك الهجري بالطاعات:

أيها الإخوة الكرام: إن عقلاء هذه الأمة يغتنمون هذه الأيام بالأعمال الصالحة، حيث افتتحوا عامهم الهجريَّ بالصيام، لأن أفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرَّم، كما جاء في الحديث الشريف: (أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلاةُ اللَّيْلِ) رواه مسلم.

نعم العباد العقلاء افتتحوا عامهم الهجري بالطاعات، وختموه بالطاعات والأعمال الصالحة في أيام العشر من ذي الحجة، وطوبى لعبد افتتح عامه بالطاعات وختمه بالطاعة، وإن شاء الله تعالى يُغفر له ما كان بين البداية والنهاية.

نعم أيها الإخوة الكرام: العباد العُقلاء يغتنمون المواسم، ولا يسوِّلون ولا يسوفون، لأن الواحد منهم لا يدري متى ينتهي أجله، فهم حريصون كلَّ الحرص على أن تكون نهاياتهم في طاعة الله عز وجل، ليحققوا قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}.

يا عباد الله: لقد أخفى الله عز وجل عنا الموت زماناً ومكاناً وسبباً، حتى نستعد للقاء الله في كل زمان ومكان وعند كل سبب، فليغتنم أحدنا هذه الأيام بالأعمال الصالحة فإنها محبوبة إلى الله تعالى أكثر منها في غيرها.

بعض الأعمال الصالحة التي ينبغي علينا أن نحافظ عليها:

أيها الإخوة الكرام: الأعمال الصالحة كثيرة ومتنوعة، فأكثروا منها على قدر استطاعتكم، وخاصة من:

أولاً: تلاوة القرآن العظيم، حيث إن بعض المسلمين هجر تلاوة القرآن العظيم، فكن أنت يا أخي الكريم ممن حافظ على تلاوة القرآن العظيم، وخاصة في هذه الأيام.

لأن تلاوة القرآن العظيم تزيد في الإيمان.

ولأن تلاوة القرآن العظيم تجعل السكينة في القلب.

ولأن تلاوة القرآن العظيم تجعلك من أهل الله وخاصته من خلقه.

ولأن تلاوة القرآن العظيم تزيد في حسناتك بكل حرف منه عشر حسنات.

ولأن تلاوة القرآن العظيم تجعل حياتك طيبة كريمة.

ولأن تلاوة القرآن العظيم تجعلك سعيداً في الدنيا والآخرة.

ولأن تلاوة القرآن العظيم تقربك من الله تعالى.

ولأن تلاوة القرآن العظيم تجعلك على بصيرة من أمرك.

يا عباد الله، لنحافظ على تلاوة القرآن العظيم، حتى لا نكون مشمولين بقوله تعالى: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}.

ولنجزم ولنعزم على قراءة ختمة من القرآن العظيم في هذه الأيام العشر، ووالله لن نندم إذا تفرَّغنا لتلاوة كتاب الله عز وجل، ولكن قد نندم ونتحسَّر إذا ضاعت أوقاتنا في اللهو والغفلة عن الله تعالى. لا قدر الله..

<u>ثانياً: من الأعمال الصالحية صيام الأيام التسعة منها</u>، حيث صيام يوم منها يعدل صيام سنة، كما جاء في الحديث الشريف: (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ، وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ) رواه الترمذي. وقد جاءت هذه الأيام العشر في فصل الشتاء الذي هو ربيع المؤمن، كما جاء في الحديث الشريف: (الشِّتَاءُ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ) رواه الإمام أحمد، وفي رواية للبيهقي: (الشتاء ربيع المؤمن، قَصُرَ نهاره فصام، وطال ليله فقام). فلنحافظ على صيام هذه الأيام.

ثالثاً: من الأعمال الصالحة إحياء ليالي العشر، وأقلُّ الإحياء فيها صلاةُ العشاء والفجر في جماعة، كما جاء في الحديث الشريف: (مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ) رواه مسلم.

علينا بإحياء هذه الليالي لنكون ممن كانوا من المحسنين، قال تعالى: {إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِين * كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون}، لنكون ممن قال الله فيهم: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون * فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون}.

لنجعل لنا حظاً من تلاوة القرآن العظيم، وخاصة في السحر، ونحن نتذكر قول الله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}.

يا عباد الله: تعرَّفوا على الله في الرخاء يعرفكم في الشدة، لأن التعرف على الله في الشدائد أمر لا محالة منه، لأن العبد مهما كان عنيداً فإن الشدائد تلينه، وهذا فرعون العنيد، قال عند سكرات الموت: { آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِين} فجاءه الجواب: {آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِين}، لنتعرف إلى الله في الرخاء قبل أن تأتي الشدائد، وخاصة شدائد سكرات الموت حيث يندم العبد ولا ينفعه الندم.

رابعاً: من الأعمال الصالحة في هذه الأيام الصدقة:

أيها الإخوة الكرام: من الأعمال الصالحة التي يحبها الله تعالى وخاصة في هذه الأيام الصدقة، ولنكن على ثقة بأن الصدقة لا تنقص مالاً قط، وبأنها تطفئ غضب الرب عز وجل، وأن الذي يقدِّم الصدقة صانع معروف، وصانع المعروف لا يقع، وإذا وقع وجد متكأً، وأن الذي يقدم الصدقة يقدِّمها لنفسه، قال الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ}، وأن الذي يقدِّم الصدقة يقرض ربَّه عز وجل، قال الله تعالى: {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون}.

تفقَّدوا الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى، وخاصة المرضى من الفقراء، والصدقة ليست مقصورة على دفع المال، فأنواع الصدقات كثيرة، فقد روى الإمام

مسلم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالَ: قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ، قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: يُمْسِكُ عَنْ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ).

خامساً: صلاة الفجر في جماعة من الأعمال الصالحة:

يا عباد الله: إن كنا حُرمنا من زيارة الحرمين الشريفين في هذا الموسم، وحُرمنا من أداء هذا الركن العظيم ركن الحج، وإن شاء الله تعالى لنا في ذلك عذر مقبول عند الله تعالى، إن كنا حُرمنا أجرَ الحج فلا نحرم أنفسنا من صلاة الفجر في جماعة، والجلوس بعد ذلك إلى طلوع الشمس، ثم صلاة الضحى، فإن فعلنا ذلك كتب الله لنا أجر حجة وعمرة تامة، كما جاء في الحديث الشريف: (مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

علينا بصلاة الفجر في جماعة، ثم بذكر الله تعالى، من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير، وصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وحضور مجالس العلم والذكر، حتى تطلع الشمس، ثم نصلي الضحى اثني عشرة ركعة إن شاء الله تعالى، لننال الوعد الذي لا يُخلف إن شاء الله وهو أجر حجة وعمرة تامة تامة.

كن على حذر من ضياع الفرصة:

أيها الإخوة المؤمنون: مع انتشار الخير ووصوله إلى أصقاع الدنيا بفضل الله عز وجل وبما سخر من وسائل الإعلام، إلا أنه تبقى طائفة من المسلمين في جهل كبير عن حقيقة هذه المواسم.

والواجب علينا التبليغ والنصح، لأنه من دلَّ على هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيء، فلنذكر أنفسنا وغيرنا ولنحذر من ضياع فرص الخير التي وهبنا الله إياها، وأن لا نضيع هذه الأوقات في الأمور المباحة التي لا فائدة منها، وخاصة كلنا يعلم بأن القنوات الفضائية أخذت جُلَّ الأوقات من شباب وشابات هذه الأمة، ترى الواحد منهم يجلس إلى شاشات التلفاز الساعات الطويلة، وإذا دعوته إلى اغتنام هذه المواسم بالطاعات تعلَّل ببعض الواجبات.

أيها الإخوة: لنكن على حذر من ضياع هذه الفرصة، فربما أن لا تعوَّض، كونوا على حذر من ضياع الوقت على شاشات التلفاز، ولو كانت في أمور مباحة، ويحرم عليكم ضياع الوقت في الأمور المحرَّمة، فهي أيام معدودات، نسأل الله أن يوفِّقنا لاغتنامها.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: كم من مستقبل يوماً لا يستكمله؟ وكم من منتظر غداً لا يبلغه؟ يا صاحب الأمل الطويل: إن أمر حياتك وموتك ليس بيدك، وإنما هو بيد الله تعالى، فاغتنم أنفاس عمرك في طاعة الله قبل نهاية الأجل، وخاصة في هذه الأيام المباركة، كم تعرف ممن عاش في صحة وعافية خطفه الموت على حين غرة؟ فاحمد الله أنك بلغت هذا الموسم، فعليك بتلاوة ختمة من القرآن فيها، وعليك بصيامها وقيام لياليها، وحافظ على صلاة الفجر في جماعة، وأكثر من ذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس وتصلي الضحى، وعليك بكثرة الصدقة بصورها كلِّها. اللهمَّ وفِّقنا لذلك. آمين.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

193- خطبة الجمعة: التكليف دائماً بعد العطاء {إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر}

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}.

أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأن هذه الأيام هي أيام عشر ذي الحجة، وهي أيام عظيمة، ومن عظمتها عند الله تعالى أقسم بها مولانا عز وجل بقوله: {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}، وبين لنا النبي الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حقيقة هذه الأيام من حيث الأعمال عند الله عز وجل، فقال: (ما مِنْ أَيامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيها أَحَبُّ إِلى اللَّهِ مِنْ هذِهِ الأَيَّامِ، يعني: أَيامَ العشرِ، قالوا: يا رسول اللَّهِ وَلا الجهادُ في سبيلِ الله؟ قالَ: ولا الجهادُ في سبيلِ الله، إلاَّ رَجُلٌ خَرجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَم يَرجِعْ مِنْ ذلك بِشَيءٍ) رواه البخاري.

من الأعمال الصالحة في هذه الأيام:

أيها الإخوة الكرام: لقد ذكرت لكم من الأعمال الصالحة صيام الأيام التسعة منها، لأن صيام يوم واحد منها يعدل سنة، وقيام ليلة منها. وأقل القيام صلاة العشاء والفجر في جماعة. يعدل قيام ليلة القدر.

الأضحية خير الأعمال في اليوم العاشر من ذي الحجة:

يا عباد الله: العمل الصالح في هذه الأيام محبوب عند الله عز وجل أكثر منه في غيرها، وأحب الأعمال إلى الله تعالى في العاشر منها بعد صلاة الفجر في جماعة، وبعد صلاة العيد، هي الأضحية، حيث يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ) رواه الترمذي.

هل نحتال على الالتزام أم على التفلُّت؟

أيها الإخوة الكرام: كلما جاءت الأيام العشر، وجاء وقت الأضاحي بدأت الأسئلة تتكرر من بعض المؤمنين: هل الأضحية واجبة أم سنة مؤكدة؟ هل تجب على كل فرد من أفراد الأسرة أم على رب الأسرة فقط؟ هل تجب الأضحية في كل عام أم في العمر مرة واحدة؟ هل تجب على الزوج والزوجة والأولاد ذكوراً وإناثاً أم يكفي أن يقوم بها واحد من أفراد الأسرة، ولو كان كل واحد منهم مالكاً للنصاب؟ هل يجوز أن نأكل الأضحية كاملة أم نوزع ثلثها؟ أسئلة كثيرة.

تكثر الأسئلة عن الأضحية ولا أدري، هل كثرة الأسئلة حول هذه الأضحية من أجل الالتزام بها أم من أجل التفلت منها؟

بعض الناس يكثر السؤال بقصد التفلت من الالتزام بها، والسر في ذلك هو ضعف الإيمان، لأن الإيمان يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار.

نعم أيها الإخوة الكرام: إن الذي ربا الإيمان في قلبه، وزاد ببركة الطاعات، تراه يبحث عن الالتزام، لا أقول عن الالتزام بالفرض أو الواجب أو السنة المؤكدة وغير المؤكدة، بل يبحث عن المندوب والمستحب ليتقرَّب إلى الله تعالى، لأنه يرى في ذلك مغنماً، ولأنه علم أنه ما خُلق إلا للعبادة، وعلم أن الحياة الدنيا مزرعة للآخرة، فلا يترك باباً من أبواب الخير إلا ويلجه تقرُّباً إلى الله تعالى.

التكليف دائماً بعد العطاء:

أيها الإخوة المؤمنون: التكليف من الله تعالى دائماً وأبداً لا يكون إلا بعد العطاء، ويكون التكليف ضمن دائرة الوُسع، قال تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا}، فما من تكليف إلا بوسعنا ولا يكون هذا التكليف إلا بعد العطاء.

ودليل ذلك:

أولاً: سورة الكوثر: قال تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر}، فما كلَّف بالنحر إلا بعد العطاء.

ثانياً: يقول الله تعالى في سورة قريش: {لإِيلاَفِ قُرَيْش * إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْف * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْت * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْف}، ما كلَّفهم بالعبادة إلا بعد إطعامهم من جوع وتأمينهم من خوف.

ثالثاً: يقول الله تعالى في سورة البقرة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُون}.

أيها الإخوة: والتكليف من الله تعالى ليس مقصوراً على الرجال دون النساء، وليس مقصوراً على الآباء والأمهات دون الأبناء والبنات، فكلٌّ من أعطاه الله عز وجل وملَك نصاباً وجبت عليه الأضحية.

ما هو الكوثر؟

أيها الإخوة الكرام: من تمام فضل الله عز وجل علينا أنه يعطي ثم يكلِّف، ولا يكلِّف إلا بما هو في وسعنا، فالله تعالى يقول: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر}، فما هو الكوثر الذي أعطيه سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

هناك فئة من الناس من أهل الشطط خرجوا عن دائرة الصواب، وفسَّروا القرآن

العظيم من منطلق الأهواء والعصبيات التي مزّقت جسد هذه الأمة، فقالوا: الكوثر هو السيدة فاطمة رضي الله عنها.

ونحن نقول: خير ما يفسر القرآنَ القرآنُ، وخير ما يفسر القرآنَ بعد القرآنِ حديثُ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ولنسمع إلى تفسير الكوثر من حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ} ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ).

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال: (بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ).

هذان الحديثان رواهما الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما، وهما أصدق الكتب بعد كتاب الله عز وجل، ونحن نعلم بأن هناك فئة من الناس تحاول الطعن في السنة المطهرة، وخاصة في الصحيحين لحاجة في نفوسهم، فأمرهم إلى الله تعالى، وإنا لنرجو الله عز وجل أن نلقى الحبيب الأعظم سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو يبتسم لنا في أرض المحشر، ونرجو الله أن لا يعبس في وجهنا الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وأن نكون من أهل الاتباع لا من

أهل الابتداع، وأن نكون ممن عاهدوا الله وصدقوا في عهدهم، وما بدلوا تبديلاً.

فأجمل ما في الإنسان أن يلتزم الأدب، وأن لا يقول في القرآن العظيم برأيه، ولا يفسر الآيات من منطلق الأهواء والعصبيات، فالكوثر هو الخير الكثير الذي أُعطيه سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كما يقول ذلك ابن عباس رضي الله عنهما.

روى الإمام البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الْكَوْثَرُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. قَالَ أَبُو بِشْرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أُنَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهَرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنْ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ.

نعم لقد أُعطي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الخير الكثير، لقد أعطاه الله النبوة والرسالة وجوامع الكَلِم والكوثر والسيدة فاطمة التي منها نسل آل بيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الأضحية واجبة على كلِّ من ملك النصاب:

أيها الإخوة الكرام: فالأضحية واجبة على كلِّ من ملك النصاب من الرجال والنساء، وهذا الوجوب ما كان إلا بعد العطاء، وعلينا جميعاً أن نحرِّض بعضنا بعضاً على التقرب إلى الله عز وجل بالأضاحي، الزوج يرغِّب زوجته، والزوجة ترغِّب زوجها، والوالدان يرغِّبان الأبناء والبنات وهكذا، وأن تطيب نفوسنا بذلك.

تروي أمُّنا الطاهرة المطهَّرة الصدِّيقة بنت الصدِّيق، حبيبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، المبرَّأة من فوق سبع سماوات، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ، إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلافِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنْ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنْ الأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا) رواه الترمذي.

حرِّضوا كلَّ من ملك النصاب أن يتقرَّب إلى الله تعالى في ذلك حتى لا يندم واحد منا يوم القيامة، قال تعالى: {وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِين * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون}.

ليكن كلُّ واحد منا حريصاً على ميزان حسناته أن يكون مثقلاً بالطاعات والقربات، ومن جملة ذلك الأضاحي، كما يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلافِهَا).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: هناك كثير من الناس من أهل الغفلة ينفقون أموالهم في سبيل الأهواء والشهوات، وفي سبيل شياطين الإنس والجن، ينفقون بدون حساب، وإذا ما أراد أحدهم أن ينفق في سبيل الطاعات والقربات تراه شحيحاً على نفسه، وربُّنا عز وجل يقول: {وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ}.

يا عباد الله: العمل الصالح يحبه الله تعالى، وخاصة في هذه الأيام، وأحبُّ الأعمال إلى الله في العاشر من هذه الأيام هي الأضحية، فتقرَّبوا إلى الله تعالى بالأضاحي وطِيبوا بها نفساً.

اللهم إنا نسألك الاتباع لحضرة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا. آمين.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

-194خطبة عيد الأضحى المبارك لعام ١٤٣١هـ: أدلة من قال بوجوب الأضحية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، لقد أصبحنا في زمن رأينا فيه بعض من يدَّعي العلم يحاول الطعن في سلف الأمة، ويعتبر نفسه أنه أفقه منهم، وأنه أفقه من أصحاب المذاهب الأربعة الذين قيَّضهم الله تعالى لحفظ هذا الدين، والذين كانوا في القرن الأول، الذين شهد لهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالخيريَّة.

أصبحنا في زمنٍ يُشكِّكُ فيه بعضُ الناس بسلف الأمة وباجتهاداتهم، ويحاول النيل منهم بأسلوب أو بآخر، وما ذاك إلا لقِصَرِ نظره، وعُجْبِهِ وغُروره، حيث حفظ بعض الآيات والأحاديث، وبدأ يستنبط لنفسه الأحكام الشرعية.

اتصلَ بي بعض طلبة العلم ليقول لي: لقد قرأت الأحاديث التي تتعلَّق بالأضحية فوجدتُها أحاديث ضعيفة، فكيف أوجبها الفقهاء على الأمة، أو جعلوها سُنَّة مؤكدة، مع أنَّ الواجب والسنة المؤكدة لا يثبتان إلا من طريق القرآن الكريم أو السنة الصحيحة.

أيها الإخوة الكرام:

أولاً: أقول لهذا الأخ الكريم وأمثاله: كُن على ثقةٍ تامَّة بأنَّ الأئمة الأعلام من سلفنا الصالح هم أحرص على دين الله عز وجل منا، لأنهم هم الأعلم والأفقه

والأتقى والأحرص والأخلص في علمهم وعملهم، والأكثر أدباً مع من سبقهم وعاصرهم، وقد شهد الواقع لهم بذلك.

ثانياً: أقول لهذا الأخ الكريم: يحرم علينا أن نُشكِّك الأمةَ في سَلَفِها، لأنه لا خيرَ في أمةٍ لا تحترم سلفها، ولقد أخبرنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بأنَّ من علامات قيام الساعة أن يلعن خلف هذه الأمة سلفها، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : (احفظوني في أصحابي، فإن من أشراط الساعة أن يلعن آخرُ هذه الأمة أولَها، وعند ذلك يقع المقت على الأرض وأهلها) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء.

اطمئن أيها الأخ الكريم لما قاله السلف الصالح رضوان الله عليهم من حيث وجوب الأضحية أو من حيث سنيَّتها، وتعالَ واستمع إلى أدلَّة بعض من قال بوجوبها فضلاً عمَّن قال بسنيتها:

أولاً: يقول الله تبارك وتعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر}.

قوله تعالى: {انْحَر}. هو أمر، والأمر يقتضي الوجوب ما لم يصرفه صارف عن الوجوب، وما ثبت وجود صارف عن الوجوب، بل على العكس من ذلك وردت أحاديثٌ صحيحةٌ بتأكيد الوجوب، من جملتها:

١. يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ كَانَ لَهُ سَعَةٌ، وَلَمْ يُضَحِّ، فَلا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا) رواه ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وصححه الحاكم وأقرَّه الذهبي، وهذه العبارة يعرف معناها طُلاب العلم.

فهذا الوعيد من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما يَرِدُ إلا على تركِ واجب أو سنَّةٍ مؤكدة، فلو لم تكن الأضحية واجبة أو سنة مؤكدة ما جاء هذا الوعيد من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

٢. روى الإمام البخاري ومسلم عنْ جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ رضي الله عنه قَالَ:

(شَهِدْتُ الأَضْحَى مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ بِالنَّاسِ نَظَرَ إِلَى غَنَمٍ قَدْ ذُبِحَتْ، فَقَالَ: مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلاةِ فَلْيَذْبَحْ شَاةً مَكَانَهَا، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَبَحَ فَلْيَذْبَحْ عَلَى اسْمِ الله).

وقال العلماء: هذا دليل على وجوب الأضحية، فلو لم تكن واجبة لما أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بذبح شاةٍ أخرى عوضاً عن الشاة التي ذُبحت قبل صلاة العيد، وما أمر من لم يذبح أن يذبح.

ثانياً: يقول الله تبارك وتعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}. فالاتباع لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يدور بين الوجوب والسنة، ولقد ثبت في الأحاديث الصحيحة بأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ضحَّى بكبشين، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمامان البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: (ضَحَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا).

الأحاديث التي تدل على ثمرات الأضحية:

بعد معرفة هذا نقول: نعم لقد وردت أحاديث عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تبين لنا ثمار الأضحية وإن كان فيها ضعف في سندها، وهذا لا يضر في ثبوت وجوبها أو سُنيَّتها، من هذه الأحاديث:

١. ما رواه الطبراني عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ أَضْحَى: (مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، أَفْضَلَ مِنْ دَمٍ يُهَرَاقُ، إِلا أَنْ يَكُونَ رَحِمًا مَقْطُوعَةً تُوصَلُ).

٢. وروى كذلك عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا أُنْفِقَتُ الْوَرِقُ فِي شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى الله مِنْ نَحِيرٍ يُنْحَرُ فِي يَوْمِ عِيدٍ).

ولقد ذكرت لكم بعض الأحاديث في ثمار الأضحية في خطبة الجمعة الماضية.

خاتمة نسال الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ الأضحية واجبة على كلِّ من ملك النصاب من رجل وامرأة، من زوج وزوجة، من أب وأم وولد وبنت، وذلك لقوله تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر}. ولقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.

فأحيوا سنَّة نبيكم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وطيبوا بها نفساً، واغتنموا فرصة الحياة والمال قبل الممات أو الفقر، ووالله لن يندم المضحي المخلِصُ في أضحيته، وقد يندم تاركُ الأضحية إذا كان قادراً عليها.

اللهم وفِّقني والحاضرين والمسلمين لإحياء سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ووفِّقنا يا ربنا لمتابعته في الأقوال والأفعال، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير. والحمد لله رب العالمين.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

195- خطبة الجمعة: غمسةٌ في نعيم الجنة تنسيك بؤسك

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى

آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، من خلال اللقاء مع الناس في مناسبة العيد وفي غيرها من المناسبات وجدنا دموعاً تذرف من العيون على الوجنات، ووجدنا هموماً وأحزاناً مُلئ بها القلب، عرفنا ذلك من خلال الظاهر، لأن الظاهر مرآةٌ للباطن.

البعض يكاد أن يختنق بسبب الشدائد والابتلاءات، وربما أن يكون هذا مع وجود الاستقامة، وربما أن تتولَّد عنده الحيرة، فيقول: لماذا هكذا تكون الحياة مع وجود الاستقامة؟ وهل حياة العبد الصالح يجب أن تكون هكذا؟

الطريق إلى الله تعالى ليس مفروشاً بالورود:

أيها الإخوة الكرام: لقد تركَنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم على المحَجَّة البيضاء، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: (وَعَظَنَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلا هَالِكٌ).

نعم أيها الإخوة الكرام: إنَّ الطريق إلى الله تعالى والموصل إلى الجنة ليس مفروشاً بالورود والرياحين والزهور، بل هو محفوف بالمكارِه والشدائد والمِحن.

إن الطريق المستقيم الذي أُمرنا باتباعه، من خلال قول الله عز وجل: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون}. هذا الصراط والطريق الموصل إلى الجنة، طريقٌ محفوف بالشدائد والمصاعب، لأن سلعةَ الله غالية، وسلعةُ الله الجنة.

من عرف الغاية هانت عليه الوسيلة، من عرف الجنة بأنَّ فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأن أعظم نعيمٍ فيها هو رؤية العابدِ معبودَهُ، قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة}. من عرف هذا هانت

عليه الشدائد والمحن المحفوفة بهذا الطريق.

ولقد بيَّن لنا مولانا عز وجل هذا في القرآن العظيم، فقال تبارك وتعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعون * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون}. هذا **أولاً**.

ثانياً: روى الطبراني عَنْ عَبْدِ الله بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ (إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانَ صَبْرٍ، لِلمُتَمَسِّكِ فِيهِ أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ:مِنْكُمْ).

فلا بدَّ من الصبر والمصابرة حتى يفلح العبد بهذا الأجر العظيم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}.

فيا من يريد أجراً عظيماً، يا من يريد أجرَ خمسين شهيداً من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، عليك بالصبر على الطاعةِ والصبر عن المعصية، حتى تلقى الله عز وجل.

ثالثاً: روى الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ).

هل رأيت رجلاً قابضاً بيده جمرةً من النار، وكيف يصبر عليها؟ نعم إن زمنَ الفتن والمحن والشدائد، وزمنَ بيع الدين بعَرَضٍ من الدنيا قليلٍ، يحتاجُ فيه مريدُ الاستقامةِ إلى الصبر والمصابرة ، حتى لا يُغيِّر ولا يُبدل، لينال بعد ذلك وعد الله الذي لا يُخلف، وحتى يكون من الرجال الذين قال فيهم مولانا عز وجل: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}.

يا عباد الله علينا بالالتزام والاتباع، ولنحذر الابتداع في دين الله، ولنحذر

الفتنة، ولنحذر المعصيةَ وتركَ الطاعةِ لله عز وجل، حتى نلقى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم على الحوض، لأن من غيَّر وبدَّل، وفُتِنَ في دينه، وباع دينه بعَرَضٍ من الدنيا قليل ومات على ذلك لا قدَّر الله، فإنه سيطرد عن الحوض يوم القيامة، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ، قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ، فَلا يَصِلُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ هَؤُلاءِ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ)؟

يا عباد الله، علينا بالالتزام والاتباع، فإنَّ أرزاقنا مضمونةٌ بإذن الله تعالى، قال تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون}. وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّكم استبطاءُ الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يُدرَك ما عند الله إلا بطاعته) رواه البيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

غمسةٌ في نعيم الجنة تنسيك بؤسك:

أيها الإخوة المؤمنون: طريق الجنة محفوف بالمكاره والشدائد، فعلينا بمجاهدة أنفسنا، قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِين}.

وإذا عرفنا الطريق إلى الله تعالى بأنَّه محفوف بالشدائد والمحن، وليس مفروشاً بالورود والزهور والرياحين، فقد عرفنا بأنَّ النعيم الذي ينتظر المتقين سوف ينسيهم البؤس الذي كانوا يعانونه في حياتهم الدنيا.

وإذا عرفنا هذا، وجب علينا أن لا نغترَّ بما عليه أهلُ المعاصي والمنكرات،

وأهلُ الفسق والفجور والكفر والعصيان، مِنْ تَقَلُّبٍ في النعم الدنيوية، قال تعالى: {لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَد * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَاد}.

لا تحزن على ما أنت عليه، ولا تغترَّ بما هم عليه، لأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بيَّن مآل الفريقين.

روى الإمام مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا بْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَالله يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا بْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَالله يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ). هل عرفت نهاية كُلٍّ من الفريقين؟ العقلاء من الناس لا ينظرون إلى البدايات بل ينظرون إلى النهايات، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون * وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُون * وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِين * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاَء لَضَالُّون * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِين * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُون * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُون * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُون}.

حُفَّت الجنَّة بالمكاره:

يا عباد الله، قولوا لأصحاب البؤس ولكلِّ مظلومٍ ومقهورٍ في هذه الحياة الدنيا: إنَّ الجنة حُفَّت بالمكاره، وإن النار حُفَّت بالشهوات، فكونوا على حذر من كل ناعقٍ يدعوكم إلى معصية الله عز وجل، كونوا على حذرٍ من دُعاة الضلالة، الله يريد لنا الجنة، ويريد أن يتوب علينا، ويريد أهل الشهوات أن نميلَ ميلاً عظيماً، قال تعالى: {وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا}.

قولوا لهم: اسمعوا إلى حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سلم : (لَمَّا خَلَقَ الله عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ يَا رَبِّ: وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ، فَنَظَرَ فَقَالَ: يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا خَلَقَ النَّارَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَبْقَى أَحَدٌ إِلا دَخَلَهَا).

إذاً فالطريق إلى الله تعالى الموصل إلى الجنة ليس مفروشاً بالرياحين، بل بالمكاره والشدائد، ونسأل الله تعالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: ما خلَقَنا الله عز وجل إلا للابتلاء، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون}. وبيَّن لنا بأنَّا سوف نُبتلى . نسأل الله تعالى العفو والعافية . فقال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ}. وقال: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ}. وطلب منا الصبر والمصابرة، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِين}.

وبيَّن لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم مآل أهل الاستقامة ومآل أهل النار، بيَّن لنا مآل أهل الدنيا وأهلِ الدين، فقال لسيدنا عمر رضي الله عنه: (لهم الدنيا ولنا الآخرة) وذلك عندما دخل عليه سيدنا عمر رضي الله عنه فرأى أَثَرَ الحصير في جنْبِهِ، فبكَى. فقال: (ما يُبكيك؟ فقلتُ: يا رسولَ الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسولُ الله؟! فقال: أَما ترضى أَن تكونَ

لهم الدنيا، ولنا الآخرة؟!) رواه الطبراني في الأوسط.

فيا أصحاب الابتلاءات والمحن والشدائد اثبتوا على ما أنتم عليه من الاستقامة حتى تلقوا الله عز وجل، فإنَّ نعيم الجنة ينتظركم، وأما أنتم يا دعاة الضلالة، فتوبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وإلا فإن نار جهنم تنتظركم وسوف تندمون ولا ينفعكم الندم لا قدَّر الله.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

-196 خطبة الجمعة: هل تعلم لمن تستقبل؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

منذ أيام ودَّعنا إخوة لنا وأحبَّة، قصدوا زيارة الحرمين الشريفين، لأداء ركن عظيم من أركان هذا الدين، ألا وهو الحج.

ودَّعنا هؤلاء الوفود ليكونوا نائبين عنا في مكة وعرفة وفي المزدلفة ومنى، لقد اختارهم الله عز وجل ليكونوا ضيوفاً عنده في مكة المكرَّمة عند الكعبة المشرَّفة، التي قال عنها مولانا عز وجل: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا}.

هؤلاء الإخوة الوفود سمعوا قول الله عز وجل: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} فقالوا: سمعنا وأطعنا، وسمعوا قول الله عز وجل: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيق} فقالوا: لبيك اللهم لبيك.

ونحن أقمنا على عذر وعن قدر، نحن حبسنا العذر مع وجود النية إن أقدرنا الله على الذهاب ذهبنا، ولكنَّ الله غالب على أمره، فأقمنا على عذر وعن قدر، ومن أقام على عذر وعند قدَر فله من الأجر إن شاء الله تعالى مثل أجور من لبَّى.

هل تعلم لمن تستقبل؟

أيها الإخوة الكرام: اليوم نستقبل هذه الوفود التي شرَّفها الله عز وجل وكرَّمها بزيارة الحرمين الشريفين، ولكن كيف نستقبلهم؟

أيها الإخوة الكرام: لنستقبل هؤلاء الحجاج من خلال أحاديث وردت عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهي تحدِّثنا عن ثمرات الحج التي يكرم الله عز وجل بها عباده الذين حجوا واعتمروا.

ما ينبغي علينا أيها الإخوة أن نستقبل هؤلاء الحجاج بأبصارنا فلا نرى إلا ظواهرهم، ولكن علينا أن نستقبل هؤلاء الحجاج والعمَّار ونحن ننظر ببصائرنا إلى المنح والعطايا التي أكرمهم الله عز وجل بها.

هل تعلم لمن تستقبل؟

أولاً: هم رجال طاهرون أنقياء من الذنوب:

يا عباد الله: نحن نستقبل رجالاً طاهرين أنقياء من الذنوب، رجعوا كيوم ولدتهم أمَّهاتهم لا ذنب عليهم إن شاء الله تعالى، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) رواه البخاري ومسلم، نستقبل رجالاً أتقياء أولياء أحباباً لله عز وجل، ولا نتألى على الله تعالى.

ثانياً: هم وفد الرحمن:

أيها الإخوة الكرام: نحن نستقبل وفود الرحمن، الذين كانوا ضيوفاً عند الله عز وجل، كما جاء في الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ، إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِنْ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ). وفي رواية له عن ابن عمر رضي الله عنهما: (الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْحَاجُّ، وَالْمُعْتَمِرُ، وَفْدُ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ).

انظروا أيها الإخوة إلى هذا التبادل بين الرب عز وجل وعباده، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم، ألم يقل مولانا عز وجل: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي}؟

هؤلاء الحجاج والعمَّار استجابوا لله عندما دعاهم على لسان سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، حيث قال ربُّنا عز وجل: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيق}، فإذا بكلِّ واحد منهم يقول: (لبَّيك اللهمَّ لبَّيك)، لأن الداعي هو الله تعالى، لم يقولوا: لبَّيك يا إبراهيم لبَّيك.

وما دام هؤلاء استجابوا لدعاء الله تعالى استجاب الله تعالى لدعائهم، لأنه ما جزاء من يحِبُّ إلا أن يُحَب، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان، وما جزاء من يستجيب إلا أن يُستجاب له.

وطِّنوا أنفسكم لاستقبال الحجاج من هذا المنطلق، أما رأيتم رجلاً استضافه ملك أو رئيس عندما يرجع من ضيافة هذه الشخصية كيف يستقبله الناس؟ . ولله المثل الأعلى ..

ثالثاً: هم ضامنون على الله تعالى:

أيها الإخوة المؤمنون: استقبلوا حجَّاج بيت الله الحرام على أنهم ضامنون على

الله تعالى، روى الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (هذا البيت دعامة من دعائم الإسلام، فمن حج البيت أو اعتمر فهو ضامن على الله، فإن مات أدخله الجنة، وإن ردَّه إلى أهله ردَّه بأجر وغنيمة).

هؤلاء الحجاج والعمَّار من مات منهم هناك أدخله الله الجنة إن شاء الله تعالى، وإن رجع رجع بأجر وغنيمة.

رابعاً: هم عتقاء الله من النار:

أيها الإخوة: وطِّنوا أنفسكم لاستقبال الحجاج والعمار على أنهم عتقاء الله تعالى من النار، جاء في صحيح مسلم عن أمنا السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق، الطاهرة البتول، المبرَّأة من فوق سبع سماوات، حبيبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ المَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلاءِ)؟

وفي رواية يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إذا كان يوم عرفة إن الله ينزل إلى السماء فيباهي بهم الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم، فتقول له الملائكة: أي رب فيهم فلان يزهو وفلان وفلان، قال: يقول الله: قد غفرت لهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فما من يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة) رواه ابن خزيمة.

احذر الإساءة لوفد الرحمن:

أيها الإخوة الكرام: هذا الحاج الذي نستقبله هو حاج طاهر نقي ومن وفد الرحمن، ومضمون على الله عز وجل، ومن عتقاء الله تعالى من النار، فاحذر أن تدنِّس هذا الحاج بمعصية لله عز وجل، فالله رقيب على الحاج وعلى من يستقبل

الحاج، قال الله تعالى: {إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

يا عباد الله، لا تلطِّخوا وفد الرحمن بمعصية الله عز وجل، لأن المنكرات في استقبال الحجاج كثيرة، ومن هذه المنكرات:

أولاً: اختلاط الرجال بالنساء، وخاصة السافرات.

أيها الإخوة الكرام: احذروا هذا المنكر، ألا وهو اختلاط الرجال بالنساء، كيف يستقبل الحاج الطاهر صاحب الدعوة المستجابة كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ، وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ) رواه البيهقي والطبراني والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

كيف تستقبله بهذه الكبيرة من الكبائر ألا وهي الاختلاط بالنساء، والأسوأ من ذلك عندما توقع هذا الحاج بمعصية المصافحة مع النساء الأجنبيات من بنت عم وعمة، وبنت خال وخالة، ومن زوجة أخ وأخت زوجة، وما شاكل ذلك.

لتجلس المرأة في بيتها، ولتمتثل قول الله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى}، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان إذا قدم من سفر استقبله الرجال والصبيان من أهل بيته، أما النساء فلا، لا من نسائه ولا من نساء غيره صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وإذا خرجت المرأة في استقبال الحاج وخاصة إذا كانت سافرة متبرِّجة فقد عصت الله تعالى، وأوقعت غيرها في معصية الله عز وجل، فلا تلطِّخوا حجاج بيت الله الحرام بهذه المعصية.

ثانياً: الإسراف في الاستقبال، وخاصة من جملة المنكرات حيث يكون الإسراف في استقبالهم بكثرة السيارات، والإسراف في الزينة، واحذروا أن تقطعوا من الأشجار أغصانها لتجعلوها زينة على أبواب الحجاج، وخاصة إذا كانت الأشجار عائدة ملكيتها للصالح العام.

ثالثاً: احذر إيذاء المسلمين بمزامير السيارات، وخاصة في جوف الليل،

لأن إيذاء المسلم حرام وكبيرة من الكبائر، لأن في المسلمين المريض والنائم والطفل والطالب، فاحذر إيذاء المسلمين بأصوات مزامير السيارات، واستخدام المفرقعات التي يحرم شرعاً شراؤها واستخدامها، لما فيها من ترويع للمسلمين، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حذر من ذلك فقال: (لا تروعوا المسلم، فإن روعة المسلم ظلم عظيم) رواه البزار والطبراني. وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا). وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ أَخَافَ مُؤْمِنًا بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُؤَمِّنَهُ مِنْ أَفْزَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) رواه الطبراني.

رابعاً: احذر أن تقدِّم ضيافة الدخان لحجاج بيت الله الحرام، لأن التدخين حرام لما فيه من ضرر على المدخِّن وعلى من يجالسه، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ) رواه الإمام مالك وأحمد وابن ماجه والحاكم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: استقبلوا حجاج بيت الله الحرام وأنتم تحيون سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومن هذه السنن المهجورة صلاة ركعتين عند العودة من سفر، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان إذا كاد من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، روى البخاري ومسلم عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ إِلا نَهَارًا فِي الضُّحَى، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ). لأن بيت الله أقدس من بيوتنا، فليبدأ الحاج ببيت الله تعالى شاكراً ربه عز وجل على نعمة السفر والعودة بالسلامة إلى وطنه وأهله.

وبعد ذلك ليتوجَّه الحاج إلى بيته فإذا رأى أهل بيته بخير وصحة وعافية ونعمة وأمن وأمان فليقل ما علَّمنا إياه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

وسلم: (توباً توباً، لربنا أوباً، لا يغادر حَوباً) رواه ابن السني.

ليدخل إلى بيته ليقول بلسان الحال والمقال: توباً توباً، أي توبة بعد توبة، لربِّنا أوباً، لربنا نرجع ونعود إليه بالتوبة والندم والاستغفار، حتى لا يُبقي علينا حوباً أي إثماً.

وإذا جلستم مع حجاج بيت الله الحرام فاطلبوا منهم أن يحدِّثوكم عن المشاعر المقدَّسة، يحدِّثوكم عن بيت الله العتيق، عن عرفات، عن مزدلفة، عن منى، عن الحرمين الشريفين، عن زيارتهم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

واطلبوا منهم أخيراً أن يستغفروا لكم، فإن استغفارهم مقبول عند الله عز وجل إن شاء الله تعالى ببركة دعاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أسأل الله تعالى أن يرحمنا ببركة حجاج بيت الله الحرام، وأن يُشرِكنا في صالح دعواتهم، إنه خير مسؤول وخير مأمول.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

197- **خطبة الجمعة**: **لا تكن سبباً في القحط**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى

آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد جاء في الحديث الصحيح عن أمنا الطاهرة المطهَّرة البتول، الصدِّيقة بنت الصديق، المبرأة من فوق سبع سماوات، حبيبة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، قالت: (شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ [يعني عند طلوع الشمس، لأن صلاة الاستسقاء تكون في وقت صلاة الضحى كما قال بعض الفقهاء] فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَكَبَّرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلاغًا إِلَى حِينٍ.

ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبِطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ وَقَلَبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ.

فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتْ السُّيُولُ. لأن صلاة الاستسقاء صلَّاها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سلم في المصلى. فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ [يعني إلى مساكنهم] ضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ) رواه أبو داود. ونحن نشهد بأن الله تعالى على كل شيءٍ قدير، وأن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله.

أيها الإخوة الكرام: وجاء في حديث آخر عن سيدنا أنس رضي الله عنه، أَنَّ النَّاسَ قَدْ قَحَطُوا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ بَابِ

الْمَسْجِدِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتْ الْمَوَاشِي وَخَشِينَا الْهَلَاكَ عَلَى أَنْفُسِنَا، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا هَنِيئًا مَرِيئًا غَدَقًا مُغْدِقًا عَاجِلاً غَيْرَ رَائِثٍ.

قَالَ الرَّاوِي: مَا كَانَ فِي السَّمَاءِ قَزَعَةٌ، فَارْتَفَعَتْ السَّحَابُ مِنْ هَاهُنَا وَمِنْ هَاهُنَا حَتَّى صَارَتْ رُكَامًا، ثُمَّ مَطَرَتْ سَبْعًا مِنْ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، ثُمَّ دَخَلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ وَالسَّمَاءُ تَسْكُبُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهَدَّمَ الْبُنْيَانُ وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُمْسِكَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَلالَةِ ابْنِ آدَمَ .

قَالَ الرَّاوِي: وَاَللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ خَضِرًا، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، فَانْجَابَتْ السَّحَابَةُ عَنْ الْمَدِينَةِ حَتَّى صَارَتْ حَوْلَهَا كَالإِكْلِيلِ. الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

الأمر بصلاة الاستسقاء:

يا عباد الله: إننا اليوم نشكو إلى الله تعالى الجدب وتأخر المطر منذ فترة، وأخيراً أُرسل إلينا أن نصلي صلاة الاستسقاء من قِبَل ولي الأمر، لأن صلاة الاستسقاء لا تكون إلا بأمر ولي الأمر .كما قال بعض الفقهاء . وما ذاك إلا ليعلم وليُّ الأمر قبل رعيته، وأن تعلم الرعية بعده بأننا جميعاً فقراء إلى الله تعالى، حاكمنا ومحكومنا، رئيسنا ومرؤوسنا، غنينا وفقيرنا، قويّنا وضعيفنا، رجالنا ونساؤنا، ليعلم الجميع بأننا جميعاً فقراء إلى الله تعالى، وهذا مصداق قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد}.

هذه الآية الكريمة حقيقة لا مجال لإنكارها وربِّ الكعبة، وقد شملت الحاكم والمحكوم، والقوي والضعيف، والغني والفقير، والسليم والمريض، والرئيس والمرؤوس،

والرجال والنساء، الكل فقير إلى الله تعالى.

إن أردت أن يستجيب الله لك فاستجب أنت له:

أيها الإخوة الكرام: لقد طُلب منا أن نصلي صلاة الاستسقاء، وهو شيء حسن، ولكن يا حبذا لو طُلب منا أن يذكر بعضنا بعضاً بأن نستجيب نحن لله أولاً، لأن الله تعالى القائل في كتابه العظيم: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} هو الذي شرط استجابتنا له أولاً، فقال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون}.

لنستجب نحن لله تعالى أولاً، حتى يستجيب الله تعالى لنا، يجب على الحاكم والمحكوم، وعلى الرئيس والمرؤوس، وعلى الغني والفقير، وعلى القوي والضعيف، وعلى الرجال والنساء، أن يستجيبوا لله تعالى، ثم بعد ذلك ليدعو الله تعالى جميعاً، ووعد الله تعالى لا يخلف في استجابة الدعاء.

لا تكن سبباً في القحط:

يا عباد الله: لا شك بأن القحط لا يكون إلا بسبب ارتكاب المعاصي والموبقات ومنع الزكاة، لأن الله تعالى يقول: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}، والقحط إذا نزل شمل الجميع، وخاصة إذا لم يكن هناك أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، يقول الله تبارك وتعالى: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً}.

فويل وويل وويل لمن كان سبباً في القحط، فأضرَّ بذلك الصالحين والأطفال والرضع والبهائم الرتَّع، وويل وويل لمن كان سبباً في سخط الله تعالى، وويل وويل وويل لأهل المنكرات وأهل الفسق والفجور، ولمن يحارب الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إن لم يتوبوا إلى الله عز وجل.

قال مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: {وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُون} قال: دوابُّ الأرض تلعنهم، يقولون: يمنع القطر بخطاياهم.

ونحن أيها الإخوة سوف ندعو الله عز وجل، لأنه لا غنى لنا عن مولانا، فنحن خلق من خلقه، وليس لنا رب سواه، سوف ندعو الله عز وجل بعد أن نبرأ إلى الله تعالى من كل منكر ظهر في المجتمع، ونقول: اللهم إنا لا نرضى بهذه المنكرات، ولا نقدر على ردِّها، فعاملنا يا مولانا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك، عاملنا بالإحسان ولا تعاملنا بالميزان يا أرحم الراحمين.

واخجلتاه منك يا ربنا:

يا رب نحن الفقراء إليك وأنت الغني عنا، سندعوك يا ربنا، ولكن واخجلتاه منك يا رب.

الربا ينتشر في مجتمعنا ويُدعا إليه صباحاً ومساءً جهاراً نهاراً، وأنت القائل في كتابك العظيم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين}، واخجلتاه منك يا رب، لقد انتشر الربا، ونحن نبرأ إليك منه يا مولانا، ووالله لا نرضى به، ونسألك أن تحفظنا من شره.

واخجلتاه منك يا رب وأنت الذي قلت في كتابك العظيم: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}، واخجلتاه منك يا رب والبعض يحتكم لغير كتابك ولغير هدي نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ونحن الفقراء إليك ونتوسل إليك في أن تغيثنا.

واخجلتاه منك يا رب والبعض يُحِلّ ما حرَّمت، يحلُّ اختلاط الرجال بالنساء، ويُحرِّم حجاب المرأة، ونحن الفقراء إليك، ونسألك يا ربنا أن تغيثنا، اللهم إنا نبرأ إليك من ذلك.

واخجلتاه منك يا ربنا يا مولانا من انتشار الرشوة في صفوف المسلمين، وكلنا يعلم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ) رواه الإمام أحمد وغيره، وإنا نبرأ إليك يا ربنا من الرشوة.

واخجلتاه منك يا ربنا يا مولانا من انتشار السفور والتبرج والاختلاط والدعوة إليه، وكلُّنا يعلم قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ}، ويعلم قول الله تعالى: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ}. ويعلم قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ) فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ) رواه البخاري ومسلم. اللهم إنا نبرأ إليك من السفور والتبرج والاختلاط، ووالله لا نرضى بذلك ولا نقدر على رده.

واخجلتاه منك يا رب من منع الزكاة، وكلنا يعلم قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيم * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُون}، وإنا يا ربنا نبرأ إليك من منع الزكاة.

واخجلتاه منك يا رب مِنْ فَقْدِ الرحمة فيما بين بعضنا البعض، وكلُّنا يعلم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. لقد انتشر الظلم في صفوف المسلمين، وكلُّنا يعلم الحديث القدسي: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا) رواه مسلم. وإنا نبرأ إليك يا ربَّنا من الظلم الذي تفشى بين الناس.

واخجلتاه منك يا ربنا يا مولانا من أكل أموال الناس بالباطل، وكلُّنا يعلم قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}. ولقد انتشر أكل أموال الناس بالباطل، وخاصة عند الفلاحين الذي أخذوا أراضي غيرهم بغير حق باسم الإصلاح الزراعي، اللهم إنا نبرأ إليك من هذا المنكر.

يا رب إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن رزقك:

يا عباد الله: لنقل كما قالت نملة لربِّنا عز وجل: اللهمَّ إنا خلق من خلقك، ليس بنا غنى عن رزقك، فلقد روي عن سيدنا سليمان عليه السلام أنه خرج يستسقي، فرأى نملة مستلقية، وهي تقول: (اللهمَّ إنا خلق من خلقك، ليس بنا غنى عن رزقك) فقال: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم. رواه ابن أبي شيبة عن أبي الصديق الناجي.

يا عباد الله: ما ينبغي أن تكون النملة أعقل من بني آدم، النملة تسأل ربها عز وجل، فهل نسأل ربَّ عز وجل بقلوب صادقة؟

الدعاء:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله، لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين.

اللهم إنك أمرتنا بالدعاء ووعدتنا بالاستجابة، وقد دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا إنك لا تخلف الميعاد.

اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا.

اللهم امنن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك في سقيانا وسعة أرزاقنا.

اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، هنيئاً مريئاً، مُرِيعاً غَدَقاً، مجلِّلاً سَحّاً، طَبَقاً دائماً، نافعاً غير ضارٍّ، عاجلاً غير رائث.

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين.

اللهم إن العباد والبلاد والخلق من اللأواء والجَهد والضنك ما لا نشكو إلا إليك.

اللهم أنبت لنا الزرع، وأدرَّ لنا الضرع، واسقنا من بركات السماء، وأنبت لنا من بركات الأرض، الله ارفع عنا الجهد والعري والجوع، واكشف عنا من البلاء ما لا

يكشفه غيرك.

اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً، فأرسل السماء علينا مدراراً.

[غيثاً: أي مطراً. مغيثاً: منقذاً من الشدة. مريئاً: محمود العاقبة. مريعاً: هو الذي يأتي بالرَّيع وهو الزيادة، مأخوذ من المراعة وهي الخصب. غدقاً: الغَدَق هو الماء الكثير، أي كبير القطر. مجلِّلاً: أي يجلِّل البلاد والعباد نفعُه ويتغشاهم بخيره. سحاً: دائم الصب والهطل بالعطاء. طبقاً: مالئاً للأرض ومغطياً لها، يقال: غيث طَبَق أي عام واسع. غير رائث: الريث الإبطاء، أي غير مبطئ].

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

198- خطبة الجمعة: أمسك عنا المطر لننيب إليه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

في الكون ثوابت ومتغيرات:

فمن أسماء الله تعالى الحكيم، والحكيم هو الذي يضع الشيء المناسب في المكان المناسب، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل في الكون ثابتاً وتغيراً، فعندما ننظر إلى الأفلاك وحركتها نرى فيها ثباتاً، فمثلاً الشمس لها حركة ثابتةٌ في الشروق والغروب لا تتغير إلا عندما يأمرها الله فتخرج من المغرب بدلاً من المشرق، والقمر كذلك له حركةٌ ثابتة، والأرض كذلك.

وجعل الله تعالى أموراً متغيرةً منها الماء، فهو متغير من حيث المكان، ولكنه ثابت من حيث الكمية، فالماء الهاطل من السماء ثابت في الكمية في كل عام لا يختلف عن عام آخر ولا مقدار ملمتر واحد، ولكن المتغير هو مكان نزول هذا المطر، ومن أراد الوقوف على هذا فلينظر إلى الواقع، فبينما نحن نشكو قلة الماء والجدب، نجد أن بعض البلاد الأخرى تغرق بفيضانات تُزهَق فيها أرواح.

هذا الأمر الأول: الماء ثابت في الكمية متغيِّر في المكان.

ما يقال عن انعدام المياه كلام فارغ:

أما الأمر الثاني: فما يشاع ويقال عن مشاكل التصحر وانعدام المياه وعدم كفايتها لأهل الأرض فهذا كلام فارغ، حتى عند الماديين، إذ إن العلماء قد اكتشفوا سحابةً في الفضاء الخارجي تملأ بما تحمله من مياه محيطات الكرة الأرضية

ستين مرة، فهل يُخشى بعد هذا عدم كفاية المياه؟ ولكن ما الذي ينبغي للمسلم أن يتنبه له؟ وقد علمنا أن الله حكيم فلا بدَّ لتقنينه من حكمة، لأن الحكيم يضع المناسب في المناسب.

قد نجد بلداً تقلُّ فيه الطاقة الكهربائية فينقطع التيار الكهربائي لمدة في كل يوم بقصد التقنين، ولكن هذا التقنين تقنين عجز وضعف.

أمسك عنا المطر لننيب إليه:

أما تقنين الله تعالى ـ الذي ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ـ فتقنين تأديبٍ وتأنيب، وهذه الحكمة رحمةً بالعباد، لأنه تعالى يقنِّن عليك لتقف على بابه، ولترجع وتؤوب إليه.

ألم تسمع قول الله ممتدحاً سيدنا إبراهيم عليه السلام: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيب}. وقوله تعالى: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُون}. وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيب}.

الإنابة إلى الله تعالى وأقسامها:

ما هي الإنابة؟ الإنابة هي المسارعة إلى الشيء والرجوع إليه، فلا يسمى العبد منيباً إلا إذا رجع إلى ربه مسرعاً.

والإنابة قسمان: إنابة اضطرار وإنابة اختيار.

إنابة الاضطرار: وهي التي يفعلها جُلُّ الناس عند الشدائد، كما قال الله عز وجل: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُون}.

والكمال للمؤمن أن يكون منيباً إلى الله اختياراً ساعة الرخاء إنابة المحبة والرضا والاختيار.

واسمعوا قصص المنيبين كالفُضَيل بن عياضٍ الذي كان يُعرف بالاعتداء على

أموال الآخرين، فما أن طرقت أذنه آيةً من كتاب الله، وهي قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُون}.

حتى قال: بلى قد آن بلى قد آن. وصار ممن يُذكر بالترحم والترضي عنه.

وللإنابة كذلك معنيان: إنابة الترك وإنابة الفعل.

إنابة الترك للذنوب التي ما حُبِسَ قطر السماء إلا بها، وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سلم: (لَمْ يَمْنَعَ قومٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا) رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمر.

قال بعض أهل الحديث: إذا سُقِيَ الإنسان القطر من السماء بالبهائم فإن البهائم خير من هذا الإنسان الذي سُقِيَ بها، كما في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن سهل بن معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سلم قال: (فَرُبَّ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا وَأَكْثَرُ ذِكْرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ).

المعاصي يا عباد الله ومن منا لم يعصِ: فهذا الذي منع زكاته، وهذا الذي لا يتورَّع عن أكل الربا والرشوة، وهذا الذي أكل ميراث أخواته، وهذا الذي امتلأ قلبه بالحقد والحسد، وهذا الذي يؤذي الآخرين بلسانه غيبةً ونميمةً وشتماً، وذاك الذي يأكل السحت ويطعمه لأولاده.....

إنابة الترك للذنوب يا عباد الله كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سلم قال: (اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ). عندها : إذا رفعت كفيك إلى الله داعياً نوديت: لبيك عبدي لبيك عبدي.

وبعد إنابة الترك لا بدَّ من إنابة الفعل، أي فعل الصالحات، وأولها الفرائض وبعدها نوافل الطاعات من تلاوة للقرآن وذكر لله وإدخال السرور على المسلمين، وصلة الأرحام والصدقة وغيرها، والله تعالى يقول: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي

خُسْر * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر}.

إن أنبنا إلى الله تعالى بالترك وبالفعل واستجبنا له فلا بد أن يستجيب الله تعالى دعاءنا، فالله حييٌّ كريم يستحي إذا رفع العبد إليه كفيه أن يردَّهما صفراً خائبتين.

ولكن لا بدَّ من الرجعة والأوبة، لا بد أن نقف على الحكمة من منع القطر ولا نكون كالبعير الذي عَقَلَهُ أهله ثم أطلقوه، فلم يدرِ لمِ عقلوه، ولم يدرِ لم أطلقوه، حتى لا يكون الخسران كبيراً.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أما النقطة الأخيرة فهي أن العبد إذا صلى الاستسقاء ثم خرج وبعد أيام لم يرَ مطراً أو غيثاً فلا تحدثنا أنفسنا فتقول: أين فائدة الصلاة؟ أو لم تكن للصلاة فائدة، لا، فنحن عبيد على باب الله، ونفعل ما أمرنا به ربُّنا وخالقنا، فنحن نصلي وندعو ونتوب ونترك المظالم، فإن تفضَّل الله ورفع الكرب وأغاثنا فهذا محض فضل من الله، وإن لم يمطرنا فلا بدَّ من أن نرجع إلى أنفسنا ونتلمَّس النقص مع إدامة قرع باب الله تعالى، فالأمة إن رجعت إلى الله وأنابت إليه وقرعت بابه فالله جاعل لنا من كلِّ ضيق فرجاً ومخرجاً، وآتانا الغيث من سماء رحمته.

اللهم رُدَّنا إلى دينك ردّاً جميلاً وارزقنا الإنابة وأكرمنا بالغيث يا رب العالمين.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله العظيم، فيا فوز المستغفرين، والحمد لله رب العالمين.

** ** **

199- خطبة الجمعة: الشكر يتلخص في ثلاثة أمور

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، إن من كرم الله تعالى ورحمته أنه لا يعامل عباده على شاكلتهم بل يعاملهم على شاكلته سبحانه ولولا ذلك لرأينا نعم الله منا مسلوبة ولكنه تعالى عامل خلقه من الأزل على شاكلة الرحمة والجود والصفح

والله من أسمائه (الكبير) ولله المثل الأعلى : لو أن كبيرا من البشر أساء إليه إنسان وأراد أن يبطش به وهو قادر على ذلك لقيل له يا فلان : أنت كبير والفضل منك أن تتركه وتعفو عنه.

وما أكرمنا الله تعالى به من غيث . نرجو الله المزيد منه . لا بد أن ينطق لسان كل منا بما أمرنا به صلى الله عليه وسلم (مُطرنا بفضل الله ورحمته) لا بِنَوءٍ كذا ولا كذا، والله أعلم ببركة من أغاثنا الله تعالى.

ما هو الواجب الذي علينا بعد أن مُطرنا؟

العبد مع الله تعالى يا عباد الله: لا بد أن يعرف كيف يتعامل معه فإن ملوك الأرض لو أراد أحد الدخول عليهم لرأى حاشية الملك توجهه إلى الآداب التي ينبغي أن يعامل بها الملك ، ولله المثل الأعلى وقد أكرمنا الله بالغيث وهو ملك الملوك فما ينبغي على الواحد منا أن يفعل ؟

الله تعالى يقول (واشكروا لي ولا تكفرون) والكفر هنا ليس الخروج عن

الإسلام بل هو كفران النعمة، ومنه الحديث الذي رواه البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ).

فكفران العشير هنا هو جحود فضله، والكفران في الآية هو جحود فضله كأن لا تنسب النعمة إلى الله تعالى، بأن تنسبها إلى المناخ أو إلى المنخفضات الجوية وتنسى المنعم الفعال وهو الله تعالى .

والله تعالى يقول: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد}. ويقول صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الحاكم في المستدرك وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والترمذي في جامعه قال صلى الله عليه وسلم (للطاعم الشاكر منزلة الصائم الصابر عند الله عز وجل).

ما هي حقيقة الشكر؟

أيها الإخوة: ما هو الشكر الذي ذكره الله في الآية ورسوله صلى الله عليه وسلم في الحديث ؟

إنه يتلخص في ثلاثة أمور :

أولها: أن تعلم حال النعمة والمنعم بأن مصدر النعم كلها هو الله {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ}. وهذا يكون بقلبك وحالك .

ثانياً: أن تفرح بالنعمة والمنعم : بأن تعلم أن الله يغدق عليك من عطائه فأنت لا تزال في عين الله سبحانه ورعايته.

ثالثاً: لا بد أن تسخر النعم فيما أمر به المنعم، سواء الجوارح كالسمع والبصر واللسان وحتى الماء، فلا معنى لقولك: اللهم أغثنا، وبعد الغيث تقول: الحمد لله بلسانك، ومن ثم تعصي الله بنعمة الماء كأن تضعه مثلا فيما يسمى (

النرجيلة).

لنذكر يا عباد الله دائما قول الله {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد}.

ولكم يحز في نفس المؤمن ما نراه وقت النداء لصلاة الجمعة في هذا الزمن من غفلة كثير من الناس عن إجابة هذا النداء فبتنا نرى رجلاً جالساً أمام محله وآخر خلف مقوده وثالث يتسكع مع لفافة التبغ، والمنادي ينادي لصلاة الجمعة: حيَّ على الصلاة حي على الفلاح، نحن نتكلم عن صلاة الجمعة لا الجماعة يا عباد الله، هذا مشهد ما كنا نراه من قبل. لا بد حتى تكون شاكراً أن تقبل على أوامر الله بكليتك وتسخر نعمه في أمرك.

فالشكر الشكر يا عباد الله ، والرجعة الرجعة ، والاستغفار الاستغفار ، والوقوف على باب الله الغفار، عله أن يزيدنا من رحماته وبركات سمائه .

وليتيقن كل مسلم أن الأمر بيد الله فإن شاء نزول الغيث نزل ، وإن لم يشأ نزوله فلن تنزل قطرة واحدة ولو اجتمع لذلك أهل الأرض أجمعين .

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

وتأكيداً لذلك: أُسِّسَ مركزٌ في بلادنا منذ سنوات وكلف المليارات وكان مركزاً على مستوى الشرق الأوسط ـ كما قالوا ـ وكانت مهمته أن يرسل إشعاعات إلى الغيوم لتفرغ حمولتها من الأمطار. ولكن الذي حدث أن السحابة كانت تمر وظروفها المناخية مهيأة للإمطار، وترسل لها الإشعاعات أيضا، ولكن قطرة واحدة لم تنزل ...؟! ما السبب؟ الله لم يشأ، ولو شاء لنزل.

علق قلبك بمن إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، بمن هو فعَّالٌ لما يريد، بمن لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

اللهم إنا نسألك مزيداً من غيثك ومزيداً من رحمتك ومزيداً من عطائك، وأن تعاملنا على شاكلتك لا على شاكلتنا، فشاكلتك العفو والرحمة والصفح الجميل،

وشاكلتنا الذنوب والتقصير يا أرحم الراحمين .

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

200-خطبة الجمعة: ورِّث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لورثتك

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: مما لا شكَّ فيه بأنَّ كل مؤمن ومؤمنة حريص على أن يكون من المفلحين يوم القيامة، ولولا ذاك لما كان كل واحد منهما مؤمناً بالاختيار.

والعبد إذا أراد أن يصل إلى الغاية التي ينشدها فإنه يجب عليه شرعاً أن يسلك الطريق الموصل إلى غايته التي يريد من فلاح ونجاح في الدنيا والآخرة، والذي يرشدنا إلى هذا السبيل ويضمن لنا الوصول إلى تلك الغاية هو القرآن العظيم، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل من سبل الفلاح:

أيها الإخوة الكرام: تعالوا لننظر في كتاب الله عز وجل لنتعرف من خلاله على السبل التي توصلنا إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، من هذه السبل سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى في كتابه العظيم: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ

إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}.

ربنا عز وجل يبين لنا في هذه الآية الكريمة بأن سبيل الفلاح يكون في دعوة الناس إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن صدق في طلب الفلاح فعليه بهذه الآية الكريمة.

وصف المؤمن أنه آمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر:

أيها الإخوة المؤمنون: بل بيَّن لنا ربنا عز وجل بنص القرآن الكريم بأنَّ المؤمن الحق آمرٌ بالمعروف وناهٍ عن المنكر، فقال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}.

ربنا عز وجل أخَّر وصف الإيمان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لنعلم بأنَّ هناك من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولكن ليس من منطلق الإيمان، بل لغاية في نفسه، فإذا كان هناك من يفعل ذلك لغاية في نفسه فالمؤمن من باب أولى وأولى أن يكون هو السبَّاق لذلك، فإذا كان أصحاب الغاية الدنيوية قد يفعلون ذلك فكيف لا يفعل ذلك المؤمن الذي يريد الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة؟

أيها الإخوة الأحبة: ربنا عز وجل قدَّم ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان لأنهما أَدَلُّ وصفٍ وأصدق دليل على صحة إيمان العبد، وبذلك تكون الخيرية، فأصدق دليل على إيمان العبد هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الإنسان في خسر إلَّا:

يا عباد الله، المؤمن الحق هو على يقين بأنَّ الإنسان جنس الإنسان في خسارة إلا من استثناهم ربنا عز وجل في القرآن العظيم في قوله: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

ربنا عز وجل أقسم بأنَّ الإنسان جنس الإنسان في خسارة لآخرته ودنياه إلا من تحقق بصفات أربع، الإيمان أولاً ثم العمل الصالح، ثم التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وما التواصي بالحق وبالصبر إلا صورة من صور الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر.

ورِّث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لورثتك:

أيها الإخوة الكرام: الإسلام لم يرضَ منا أن نكون آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر فقط، بل حرَّضنا على أن نورِّث ذلك لورثتنا من بعدنا، وورثتنا لمن بعدهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وحتى يتحقق قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ) رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه.

الإسلام حرَّضنا على توريث ذلك لذريتنا حتى يكون ذلك امتداداً لنا لعد موتنا، كما أنَّ وُرَّاثَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم امتداداً لحضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأنبِياءِ) رواه الترمذي عن قيس بن كثير رضي الله عنه.

لا تفرح يا أخي أن تكون آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر فقط، بل ليكن فرحك بأن تورث ذلك لورثتك من بعدك، وهذا خير ميراثٍ لهم منك، وبذلك يكون امتداداً لك، لا يكن أحدنا أبتراً لا عقب له، فهذا سيدنا زكريا عليه السلام يخبرنا عنه مولانا عز وجل بقوله: {وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}. أراد العقب له ليحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من بعده.

احرص على أن تورث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لورثتك، وتعلم ذلك من قصة سيدنا لقمان الحكيم رضي الله عنه الذي ورَّث ذلك لولده، قال تعالى مخبراً عنه: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}.

فإذا ورَّثنا ذلك لأبنائنا كانوا بإذن الله تعالى من الصالحين وتحقق لنا الامتداد لأعمالنا كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ليكن فهمنا صحيحاً للقرآن العظيم:

أيها الإخوة المؤمنون: يجب علينا أن نفهم القرآن العظيم فهماً صحيحاً، وأن نحذر الفهم الخاطئ، وذلك بالسؤال لأهل العلم، وذلك لقوله تعالى: {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}.

كم من مهتدي عندما تذكره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول لك: مالي ومال الناس، كل واحد مسؤول عن نفسه، لا أريد أن أجعل عداوة بيني وبين أحد من الناس، كل واحد ينزل في قبره لوحده، كل واحد مسؤول عن نفسه لا عن غيره، من هذه الكلامات الكثير الكثير، وإن سألته على أي أساس تتكلم هذا، يقول لك من خلال قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}.

هذا فهم خاطئ لهذه الآية، تعالوا لنسمع ما أخرجه الإمام الترمذي عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ }.

أيها الإخوة الكرام: كأنَّ أبا أمية وقع في إشكال بين هذه الآية الكريمة وقوله تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}. وقوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}.

آية تأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآية تقول: {عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ}.

ماذا فعل أبو أمية؟

لقد سأل عنها أهل العلم، لذلك قال له أبو ثعلبة: (أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (بَلْ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: وَزَادَنِي غَيْرُ عُتْبَةَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ قَالَ بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا، هذه وظيفة العبد المؤمن، ليس عليه خلق الهداية، لأن خلق الهداية على الله تعالى، قال تعالى: {إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين}. هذا من حيث خلق الهداية، أما من حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم}. فإذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر بعد ذلك عليك بقوله تعالى: {عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}.ودع عنك أمر العامة، كما قال الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الأمة:

أيها الإخوة المؤمنون: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الأمة، بقضِّها وقضيضها، واجب على الحاكم والمحكوم، على الرجال والنساء، وليس مقصورا على طلبة العلم الشرعي، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) رواه مسلم عن طارق بن شهاب رضي الله عنه.

هذا الحديث الشريف يشمل الأمة كلها إذا رأى فرداً من أفرادها المنكر، ولا يعفي أحد نفسه من هذا الأمر، وذلك لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى

آله وصحبه وسلم(كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) رواه مسلم عن نافع بن عمر رضي الله عنه.

إياكم والتقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أيها الإخوة الكرام: إذا لم تأمر الأمة بالمعروف وتنهى عن المنكر ربما أن تعرِّض نفسها لسخط الله عز وجل، ولقد ذكر لنا مولانا عز وجل بني إسرائيل حيث استوجبوا اللعنة بسبب تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُون}.

وفي هذا إشارة واضحة لأصحاب العقول النيِّرة ولأولي الألباب أن يصلوا إلى ما وصل إليه هؤلاء.

أيها الإخوة: المعاصي في مجتمعنا كثيرة، ومن أعظمها انتشاراً الربا والرشوة والسفور والاختلاط، فأين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟

لا أقلَّ أيها الإخوة أن يكون الإنسان مذكراً وآمراً وناهياً في دائرة بيته وأسرته وعائلته.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، لنترجم عن صحة إيماننا وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأسلوب الذي علمنا إياه مولانا عز وجل في كتابه العظيم، من خلال قوله تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين}.

وطوبى لعبد تشرَّف فقام مقام الأنبياء والمرسلين، ومقام الأولياء والصالحين، والعلماء المرشدين من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يشرِّفنا في ذلك، وأن نورِّث فروعنا وأحبابنا هذا الأمر والشرف العظيم.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

-201 خطبة الجمعة: {واتقوا فتنةً لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة}

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الخطبة الماضية:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأنَّ من سُبل الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه من الواجب على المؤمن أن يُورِّث هذا الأمر لذريته من بعده، وأن لا يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أبتراً.

لنعتبر من الأمم السابقة:

أيها الإخوة المؤمنون: ربنا عز وجل ذكر لنا بني إسرائيل في القرآن العظيم بأنَّهم لُعنوا بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن

بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُون}.

وما ذكر ربنا عز وجل لنا ذلك إلا لنعتبر منهم، وأن نتجنب الطريق الذي سلكوه، وهذا واجب على الأمة أن تتنبه إليه، لأننا اليوم نرى بعض الأفراد والجماعات اتبعوا غير المسلمين في كثير من الأمر، وتحقق فيهم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ)؟ رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لنكون على حذرٍ من ذلك حتى لا نصل إلى ما وصلوا إليه، ولقد بيَّن لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بداية الطريق الذي سلكه بنو إسرائيل حتى استحقُّوا اللعنة والطرد عن رحمة الله تعالى، روى أبو داود في سننه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ الله وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنْ الْغَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ الله قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَالَ: { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِلَى قَوْلِهِ فَاسِقُونَ}.

أيها الإخوة الكرام: علينا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا أصرَّ العبد على المنكر يحرم علينا البقاء في ذلك المجلس، لأن البقاء في مجلس فيه منكرات فيه إقرار لذاك المنكر، ومن فعل ذلك عرَّض نفسه لا قدَّر الله لسخط الله تعالى، ولقد ضرب الله تعالى قلوب بني إسرائيل بعضها ببعض لهذا السبب، وبعدها صُبَّت عليهم اللعنة، و إنا نخشى أن نصل إلى ما وصل إليه بنو إسرائيل، لأننا نرى اليوم القلوب متضاربة بين بعضها البعض، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

{وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً}:

أيها الإخوة الكرام: لقد جعل الله تعالى لنا سنناً في هذه الحياة، وبيَّنها لنا في القرآن العظيم، من هذه السنن قوله تعالى: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَاب}.

علينا بمتابعة العصاة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، علينا بمتابعة الظالم لنفسه ولغيره وأن نأخذ على يده خشية أن يصيبنا شيء من آثار ظلمه ومعصيته، وهذا ما أرشدنا إليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً، فقَالَ رَجُلٌ: يَا رسول الله أَنْصرهُ إِذَا كَانَ مَظلُوماً أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِماً كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟ قال: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذلِك نَصْرُهْ) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه.

لماذا يجب علينا أن نأخذ على يد الظالم؟ حتى لا تصيبنا آثاره، لأنَّ ربنا عز وجل ليس بغافل عن الظالم، قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الله غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}. ومن سكت عن الظالم وهو قادر على ردِّه ومنعه أصابه بعض الذي يصيب الظالم والعياذ بالله تعالى، كما قال تعالى: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَاب}.

مثال رائع لكل إنسان عاقل:

يا عباد الله، هذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يعطينا مثلاً رائعاً لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا نهلك مع الهالكين.

أخرج الإمام البخاري عن النعْمانِ بنِ بَشيرٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قال: (مَثَلُ القَائِمِ في حُدودِ الله، والْوَاقِعِ فيها كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا على سفينةٍ فصارَ بعضُهم أعلاهَا وبعضُهم أسفلَها وكانَ الذينَ في أسفلها إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ

الماءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا في نَصَيبِنا خَرْقاً وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرادُوا هَلكُوا جَمِيعاً، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِم نَجَوْا ونجوْا جَمِيعاً).

من خلال هذا الحديث الشريف أيها الإخوة الكرام يجب علينا أن نعلم بأنه من الواجب علينا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلَّا لا قدَّر الله تعالى سنهلك كما يهلك العاصي، ولهذا أوجب علينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (منْ رَأَى مِنْكُم مُنْكراً فَلْيغيِّرْهُ بِيَدهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطعْ فبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبقَلبهِ وَذَلَكَ أَضْعَفُ الإِيمانِ) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لا تصدقوا أيها الإخوة كلام هؤلاء العصاة عندما يقولون: نحن أحرار، ولن تُسألون عنا يوم القيامة، صحيح لن نُسأل عنهم يوم القيامة، وهم ليسوا بأحرار ما دمنا نعيش سوياً، لأن معاصيهم جهاراً نهاراً تجرُّ البلاء والوباء على الأمة كلها، وما حال هؤلاء إلا كحال أصحاب السفينة الذي أصابوا أسفلها، فلو تركوهم الذين هم في أعلاها لهلكوا جميعاً، وكذلك لو تركنا أصحاب المنكرات دون الأخذ على أيديهم لهلكنا جميعاً، مروا أيها الإخوة الكرام بالمعروف وانهوا عن المنكر، وأقل ما يمكن أن لا تجالسوا أهل المنكرات والفسق والفجور، وتبرؤوا إلى الله تعالى من هذه المنكرات، وقولوا: اللهم إن هذه منكرات لا نرضى بها ولا نقدر على ردها.

هذه ليلة أرجو الله تعالى أن لا تكون شؤماً علينا:

أيها الإخوة المؤمنون: من خلال ما ذكرت في الأسبوع الماضي وفي هذا اليوم أرجو الله تعالى أن لا تكون هذه الليلة ليلة شؤمٍ علينا، من خلال ما يفعله بعض المسلمين تشبهاً بالنصارى، من إحياء ليلة السنة الميلادية في معصية الله عز وجل.

أيها المؤمنون المحبون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إن

النصارى يحتفلون هذه الليلة ليلة رأس السنة الميلادية، وهم يزعمون بأنَّ سيدنا عيسى عليه السلام ابن الله والعياذ بالله تعالى.

هؤلاء أيها الإخوة قال تعالى فيهم: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}. هؤلاء الذين آذوا الله تعالى في قولهم هذا، وآذوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بكفرهم به لعنهم الله تعالى، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا}.

هؤلاء مع كفرهم يحتفلون هذه الليلة في شرب الخمر واللعب بالميسر مع الاختلاط وارتكاب الفواحش، فهل يليق بالمسلم أن يتشبه بهم؟

أيها الإخوة الكرام: (من كثَّر سواد قومٍ حُشر معهم) كما جاء في الأثر، هؤلاء يجب علينا أن ندعوهم كما علَّمنا الله تعالى في كتابه العظيم بقوله: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُون}.

هؤلاء يجب علينا أن نجالسهم ونحاورهم في إثبات وحدانية الله عز وجل، من خلال قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد * اللهُ الصَّمَد * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: احذروا من اتباع هؤلاء في معاصيهم، وراقبوا بيوتكم حذِّروهم من الاستماع إلى الغناء ومن الاختلاط، ومن اللعب بالورق والطاولة، والمقامرة، فضلاً عن شرب الخمر والمخدرات، حذِّروهم من الذهاب إلى النوادي والمقاهي

والمطاعم المختلطة.

وأكثروا من الدعاء في هذه الليلة لأنفسكم وللعصاة من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وقولوا: ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا واعف عنا، اللهم إن هذه منكرات لا نرضى بها ولا نقدر على ردها.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

202- خطبة الجمعة: ليكن فعلك مطابقًا لقولك

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، لقد ذكرت لكم في خطب ماضية عن دور الرجل في وجود المشاكل الأسرية، وأنه هو الذي يتحمَّل مسؤولية ذلك يوم القيامة بين يدي الله عز وجل.

وأريد أن أتابع الحديث في الأسابيع القادمة عن هذا الموضوع، وسأذكر دور

المرأة في وجود المشاكل الأسرية.

أصل عقد الزواج:

أيها الإخوة الكرام: قبل الشروع في هذا الموضوع، فإني أريد أن أذكر نفسي وأذكر كلَّ واحد فينا بأصل عقد الزواج بأنه: تبادل ألفاظ بين الزوج ووكيل الزوجة، حيث يقول وكيل الزوجة للزوج: زوَّجتك ابنتي على كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فيقول الزوج: قبلت زواجها على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الكلمة مقدَّسة في ديننا:

يا عباد الله، أناشدكم الله تعالى، وخاصة الشباب منكم، علينا أن نعلم بأن الكلمة التي نلقيها سوف نُسأل عنها يوم القيامة، لذلك يجب علينا أن تتطابق أقوالنا مع أفعالنا، لأن السامع لكلامنا سينظر إلى أفعالنا، فإذا تعارضت الأقوال مع الأفعال سقطت قيمة الكلمة.

المنافق هو المتناقض:

أيها الإخوة الكرام: عندما تتباين أقوال العبد مع أفعاله فإنه يكون منافقاً حتى يتوب إلى الله تعالى.

ألم يقل مولانا عز وجل في وصف المنافقين: {إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُون}؟

لماذا شهد الله تعالى عليهم بالكذب؟ لأن أفعالهم تباينت وتناقضت مع أقوالهم، ومن كان هذا وصفه والعياذ بالله تعالى، ومات وهو مصرٌّ على ذلك، فإن مصيره في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً}.

عذاب المنافق الاعتقادي أشدُّ من عذاب الكافر، لأن الكافر أفصح عن كفره، فكانت أقواله متطابقة مع أفعاله من حيث الكفر والعياذ بالله تعالى، أما هذا

المنافق فكان يبطن الكفر ويظهر الإيمان، وهذا الوصف للمنافق لا يليق أن يتصف به العبد المؤمن، لذلك يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فانظر يا أخي الزوج وانظري يا أختي المتزوجة، هل تتطابق الأفعال مع الأقوال التي صرَّحنا بها أمام الشهود، زوَّجتُك وتزوجتُ على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

عقد الزواج ميثاق غليظ:

أجاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: إن عقد الزواج هو في الحقيقة تبادل ألفاظ بين شخصين يجب أن يكونا صادقين في قولهما، لأن الله عز وجل سمَّى هذا العقد ميثاقاً غليظاً.

قال تعالى: {وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِينا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}.

تنبَّهوا يا عباد الله إلى هذه الآية الكريمة، يا من تسوِّل له نفسه طلاق زوجته، يا من يتلفَّظ بكلمة الطلاق؛ اعلم قبل أن تتلفظ بهذه الكلمة ماذا يترتب عليك بعدها؟

يترتب عليك دفع صداق المرأة كاملاً من غير نقصان بالغاً ما بلغ، وإن لم تدفع صداقها بعد الطلاق ففكِّر في الجواب إن سُئلت يوم القيامة عن كلمة عقد الزواج، هل كنت صادقاً فيها أم غير صادق؟ وماذا ستقول لربك عز وجل بعد سماعك لهذه الآية الكريمة: {وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِينا}. فكِّر جيداً في قوله تعالى: {أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِينا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ }.

عليك رقيب عتيد:

أيها الإخوة الكرام: من قداسة الكلمة في ديننا جعل الله ملكين موكَّلين بإحصاء تلك الكلمات علينا، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد}. عتيد أي: حاضر وملازم لك لا تغيب عنه كلمة.

وبعد الكلمة يحصي عليك الملك أفعالك، وبعدها ترفع إلى الله تعالى، ويُساق العبد يوم القيامة في أرض المحشر للعرض والحساب، ويقول الملك الذي أحصى الأقوال والأفعال على العبد لربنا عز وجل: {هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد}. هذه أقواله وهذه أفعاله.

أيها الإخوة: طوبى لعبد تطابقت أقواله مع أفعاله الموافقة لشرع الله عز وجل، وهنيئاً له حيث سيكون إن شاء الله تعالى مع الذين أنعم الله عليهم، لأنه أطاع الله تعالى وأطاع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وتطابقت أقواله مع أفعاله، قال تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}.

أيها الإخوة الكرام: الحسرة والندامة على العبد الذي تباينت أفعاله عن أقواله، وأقواله عن أفعاله، حيث كان وصفه وصف العبد المنافق، وهذا سوف يفرُّ من سائر الخلق في أرض المحشر لأنه ضيَّع الحقوق بسبب تباين الأفعال عن الأقوال، والأقوال عن الأفعال، قال تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّهِ وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه}.

الكلمة لها أثر عظيم:

أيها الإخوة الكرام: من قداسة الكلمة في ديننا رتَّب ربنا عز وجل عليها آثاراً عظيمة، فعلى سبيل المثال: كلمة الزواج رتَّب عليها ربنا عز وجل آثاراً كبيرة، حيث

جعل من خلالها الحرام حلالاً، والحلال حراماً.

قبل تبادل ألفاظ الزواج بين الزوج وولي الزوجة، تكون المرأة حلالاً لأيِّ رجل ما عدا محارمها ـ في الحرمة الدائمة أو المؤقتة ـ يحلُّ لأب الخاطب أن يتزوَّج منها كما تحلُّ لولده، وكذلك أمها تحل له ولأبيه إذا كانت مطلقة أو متوفى عنها زوجها، ولكن بمجرد العقد على الفتاة، حرمت أمها على الزوج وحرِّمت جدتها وهكذا في أصول الزوج وفروعه.

قبل عقد الزواج كان يحرم على الرجل الأجنبي أن يرى ظفرها، ولكن بعد عقد الزواج صار الرجل ينظر منها ما لا ينظر إليه أحد سواه.

نعم أيها الإخوة، الكلمة لها أثر في تحليل الحرام وتحريم الحلال، فإن كانت كلمة الزواج تحلِّل الحرام الذي كان بين الرجل والمرأة، كذلك كلمة الطلاق تحرِّم الحلال الذي كان بين الزوجين، وخاصة إذا كان الطلاق بالثلاث فإن الزوجة لا تحل لزوجها المطلِّق حتى تنكح زوجاً غيره.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: اجعلوا الأفعال مطابقة للأقوال على ضوء من الكتاب والسنة، واحذروا من تباين الأفعال مع الأقوال؛ لأن هذا من وصف المنافقين.

تذكَّروا يا عباد الله ألفاظ الزواج دائماً وأبداً في حياتكم الزوجية، واحفظوا ما يترتب على تلك الكلمة وعلى كلمة الطلاق من آثار.

تذكَّروا حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فإن تكلَّمت بكلمة فاصدق بها، وترجم عن صدقك فيها بالسلوك العمل، وإن وعدت فَفِ بوعدك، وإن اؤتمنت فاحذر الخيانة، وطبِّق ذلك في حياتك الزوجية.

أيها الإخوة: لا تنظروا إلى النساء والرجال الذين لا يعرفون للكلمة قيمتها، هؤلاء والله لو كانوا يعقلون قيمة الكلمة لما تباينت أقوالهم عن أفعالهم.

تذكروا أيها الإخوة أخيراً: بكلمة واحدة لا يخلد العبد في النار، وبكلمة واحدة لا يدخل العبد الجنة والعياذ بالله تعالى.

بكلمة لا إله إلا الله لا يخلد صاحبها في النار، وبكلمة لا إله والحياة مادة لا يدخل صاحبها الجنة.

من هذا المنطلق سأتحدث إليكم عن دور المرأة في وجود المشاكل الأسرية في الأسابيع القادمة إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

-203خطبة الجمعة: مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(١) عدم الإحسان لوالدي الزوج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى

آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي بأنه يجب على كلٍّ من الزوجين أن يعلما مضمون عقد الزواج عندما يتمُّ تبادل ألفاظ العقد.

ويجب على كلٍّ من الزوجين أن يعلما بأن الكلمة التي تُقال عند عقد الزواج سوف يُسأل عنها صاحبها يوم القيامة، فإن تطابقت الأفعال مع الأقوال فهذا شأن المؤمن، وإن تباينت واختلفت لا قدر الله تعالى فهذا وصف المنافق.

وجوب اتباع الهدى:

أيها الإخوة الكرام: من مستلزمات عقد الزواج الانضباط بالهدى الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من عند ربه عز وجل، فمن التزمه سلوكاً وعملاً سعد بإذن الله تعالى في الدنيا والآخرة، ومن هجره وأعرض عنه عرَّض نفسه لحياة الشقاء والضنك. قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون}. وقال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}. فمن نسي الهدى نسيان هجر والعياذ بالله تعالى فإنه عرَّض نفسه لأن يُنسى ـ لا قدَّر الله تعالى ـ في نار جهنم.

خلف كلِّ مشكلة واحد:

أيها الإخوة الكرام: ذكرت لكم في أسابيع ماضية بعض المشاكل الأسرية التي يكون الزوج فيها سبباً، لأنه من الطبيعي أن يكون خلف كلِّ مشكلة واحد، فإما أن يكون الزوج، وإما أن تكون الزوجة.

وعرفنا بأن الزوج هو الذي سيتحمَّل المسؤولية يوم القيامة كما يتحمَّلها في الحياة الدنيا، وكذلك قد تكون الزوجة سبباً في وجود الخلاف في الحياة الأسرية،

وهي ستتحمَّل مسؤولية ذلك في الدنيا والآخرة، إذا لم تتب إلى الله تعالى من ذلك.

عدم الإحسان إلى والدي الزوج:

أيها الإخوة المؤمنون: قد تكون الزوجة سبباً في وجود الخلاف في حياتها الزوجية، والأسباب كثيرة جداً، من هذه الأسباب التي تكون المرأة فيها سبباً في وجود المشاكل في البيت، عدمُ الإحسان إلى والدي الزوج بل الإساءة إليهما.

فكم من امرأة أساءت لوالدي زوجها ولم تُحسن إليهما، وكانت حريصة على إبعاد زوجها عن والديه، وإبعاد الوالدين عن ولدهما؟

لن تدخل الزوجة الجنَّة إلا برضا زوجها عنها:

يا عباد الله، قبل معالجة هذه المشكلة أقول: يجب على المرأة أن تعلم بأنها لن تدخل الجنة إلا برضا زوجها عنها، وطبعاً المقصود بالزوج هنا هو صاحب الدين والخلق، الذي تطابقت أقواله مع أفعاله، والذي تزوَّجته المرأة من خلال إرشاد النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لها بقوله: (إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ) رواه الترمذي.

نعم المرأة لا تدخل الجنة إلا برضا زوجها عنها، لأنه صاحب دين وخُلق، لا يقول ولا يفعل، ولا يأمر ولا ينهى، إلا وفق ما أمر الله تعالى به، وأمر به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فإن كان الزوج كذلك فلتعلم الزوجة بأنها لن تدخل الجنة إلا برضا زوجها عنها. هذا أولاً.

ثانياً: يجب على المرأة المسلمة أن تعلم بأن زوجها لن يدخل الجنة إلا برضا والديه عنه، كما جاء في الحديث الشريف: (رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ) رواه الترمذي والحاكم وابن حبان.

فمن كانت حريصة على دخول الجنة فعليها بطاعة زوجها في غير معصية لله عز وجل، وأن تُحسن لوالدي زوجها استدراراً لعطفهما عليه حتى يدخل الجنة، ومن سعادة العبد في الآخرة أن يجتمع مع أصوله وفروعه وزوجته في الجنة، قال تعالى:

{أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَاب * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار}.

اعلمي أيتها الزوجة الأمورَ التالية:

أيها الإخوة الكرام: إذا أرادت المرأة أن تعالج هذه المشكلة ـ مشكلة عدم الإحسان لوالدي الزوج ـ فعليها أن تعلم الأمور التالية:

أولاً: ما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب، على المرأة أن تعلم هذا، فإذا كان من الواجب على الرجل أن يبرَّ والديه، فإنه يجب على المرأة المسلمة أن تكون عوناً لزوجها على برِّهما، وهذا لمصلحتها، لأن رضى الوالدين على الولد سرُّ سعادته، وإذا سعد الولد نقل تلك السعادة إلى بيته.

يجب على المرأة أن تكون عوناً لزوجها على برِّ والديه؛ لأن الله تعالى يقول: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}.

ولتحذر المرأة من الإساءة لوالدي زوجها أو التحريض لزوجها على عدم الإحسان إليهما، فإن عاقبة ذلك وخيمة جداً، ولتحذر من متابعة بعض النساء اللواتي هذا وصفهنَّ بحيث يجعلن الحياة الزوجية جحيماً بسبب إحسان الولد لوالديه.

ثانياً: يجب على المرأة أن تعلم قول الله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}، وقوله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم}. وقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) رواه الإمام أحمد والترمذي.

إذا كان هذا في الناس عامة فكيف يجب أن يكون مع والدي الزوج؟ فمن باب أولى وأولى أن تحسن المرأة إلى والدي زوجها.

ولأن المرأة كلَّما أحسنت لوالدي زوجها فإن زوجها صاحب الدين والخلق سوف يزيد في الإحسان إليها، لأنها حقَّقت له ما يبتغيه في هذه الحياة الدنيا من رضى والديه.

ثالثاً: يجب على المرأة أن تعلم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ) رواه الإمام أحمد وغيره.

ومن الإجلال والاحترام والتقدير للكبير أن تخصَّ بذلك والدي زوجها؛ لأنهما بمنزلة أبويها، فإن فعلت الزوجة هذا فإنها في الحقيقة تصنعه لنفسها وتزرع لمستقبلها، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ}.

هي تفعل هذا الإجلال والاحترام والتقدير لوالدي زوجها لأنها أم لولد، وهي تريد في المستقبل من حليلة ولدها الإجلال والاحترام والتقدير، والحياة كما يقولون: دَين ووفاء، فمن زرع خيراً حصد خيراً، ومن زرع شراً حصد شراً، قال تعالى: {جَزَاء وِفَاقًا}، وجزاء الإحسان الإحسان.

فمن كانت حريصة على مستقبلها مع حلائل أبنائها فعليها بالبر والإحسان والإجلال والاحترام والتقدير لوالدي زوجها، ولتذكر هذه الزوجة حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ) رواه الترمذي، وقالوا: (صانع المعروف لا يقع، وإذا وقع وجد متكأً).

رابعاً: يجب على المرأة أن تعلم حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ) رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن.

من خلال هذا الحديث الشريف يجب على المرأة أن تعلم بأنه يجب عليها أن تشكر والدي زوجها؛ لأنهما سبب في وجوده في هذه الحياة الدنيا، بهما نُقل من

العدم إلى الوجود.

يجب عليها أن تشكرهما لأنهما ربَّياه وعلَّماه وأدَّباه ورعياه حتى صار رجلاً صاحب دين وخُلق.

يجب عليها أن تشكرهما لأنهما اختاراها زوجة لولدهما الحبيب إلى قلبيهما.

من لم يشكر السبب لم يشكر المسبِّب، ألا يستحقان شكراً واحتراماً وتقديراً بعد الجهد الذي قدَّماه لولدهما؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، انقلوا هذا إلى نسائكم وبناتكم وأخواتكم ومحارمكم، علِّموا من أرادت الزواج وعلِّموا المتزوِّجة وجوب احترام والدي الزوج لتكون بذلك عوناً لزوجها على برِّ والديه، ولتكون بذلك من أهل الإحسان والفضل، ولتكون بذلك ممن اهتدين بهدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ولتكون بذلك شاكرة لله عز وجل على نعمة الزوج، ومن كان سبباً في وجوده وتربيته. اللهم وفِّقنا لما تحب وترضى يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

204-خطبة الجمعة: مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٢) الاستعلاء على الزوج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

المرأة إذا غفلت عن الله عز وجل، وابتعدت عن منهج الله تعالى عرَّضت نفسها لحياة الشقاء والضنك، وتصبح أداة ووسيلة لحياة الشقاء والضنك في حياتها الزوجية.

وكما أن الرجل قد يكون سبباً في وجود المشاكل، فكذلك المرأة تكون سبباً في وجود المشاكل، من الأسباب التي تجعل حياة الأسرة شقاء استعلاء المرأة واستكبارها على زوجها بما أسبغ الله عليها من نعمة الجمال أو المال أو الحسب أو العلم، أو بأيِّ نعمة من النعم.

ومن الطبيعي أن يأبى الزوج أشدَّ الإباء استعلاء الزوجة عليه، وذلك لقوله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ}.

فإن استعلت المرأة على زوجها ببعض هذه النعم فمن الطبيعي أن تنقلب الحياة الزوجية إلى شقاء وجحيم.

هذا ما جنته يداك:

أيها الإخوة الكرام: قبل أن أعالج مشكلة استعلاء الزوجة على زوجها بما

أسبغ الله عليها من نعم وهي في حالة غفلة عن الله عز وجل، أقول للزوج: هذا ما جنته يداك.

نعم، لقد دعاك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لاختيار صاحبة الدين والخلق، ولكن أبيتَ إلا أن تختار صاحبة الجمال، أو صاحبة المال، أو صاحبة النسب، أو صاحبة العلم، مع غضِّ الطرْف عن دينها.

وقد حذَّرك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من مخالفة أمره بقوله: (تَرِبَتْ يَدَاكَ) رواه البخاري ومسلم، وحذَّرك الله تعالى بقوله: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}.

فعندما خالفت أمره صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وجب عليك أن تتحمَّل النتائج، لأن المرأة الحسناء أو صاحبة المال أو صاحبة النسب أو صاحبة العلم بدون دين يجعل منها امرأة مستكبرة مستعلية على الناس، حتى على زوجها.

أيها الإخوة الكرام: لقد حذَّرنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من الاختيار الخاطئ، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (من تزوَّج امرأة لعزِّها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوَّجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوَّجها لحَسَبِها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوَّج امرأة لم يتزوَّجها إلا ليغضَّ بصره أو ليحصِّن فرجه، أو يصل رحمه، بارك الله له فيها، وبارك لها فيه) رواه الطبراني في الأوسط.

إنها امرأة حمقاء:

أيها الإخوة الكرام: إن المرأة عندما تستعلي على زوجها صاحب الدين والخلق وتتكبر عليه هي في الحقيقة امرأة حمقاء، لأن المرأة المسلمة لا تدخل الجنة إلا برضا زوجها صاحب الدين والخلق عنها، فإن استعلت واستكبرت عليه، وجعلت حياته شقاء وجحيماً فقد عرضت نفسها لفقد أعظم نعمة عليها ـ لا قدَّر الله تعالى ـ ألا وهي نعمة دخول الجنة.

يجب على المرأة المسلمة أن تفكِّر فيما يلي:

يا عباد الله: يجب على المرأة المسلمة التي تسوِّل لها نفسها أن تستعلي وأن تستكبر على زوجها بسبب نعمة من النعم التي أسبغها الله عليها، من نعمة جمال أو مال أو حسب أو علم، يجب عليها أن تفكِّر بما يلي، لعلها تتوب إلى الله تعالى قبل موتها:

أولاً: النعمة لا تدوم:

أيها الإخوة الكرام: يجب على المرأة التي أسبغ الله عليها شيئاً من النعم أن تعلم بأن هذه النعم لا تدوم لها، وإن دامت لها فلن تدوم هي لها.

هذه النعم التي أسبغها الله عليها توجب الشكر عليها، وإن لم تشكر الله على هذه النعم عرَّضتها للزوال، قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد}، وبكفر النعم ـ والعياذ بالله ـ تعرَّضها المرأة للزوال، ومن صور الكفر بالنعم الاستعلاء والاستكبار على الزوج.

على المرأة أن تفكِّر في بدايتها ونهايتها ولا تغترَّ بما بينهما، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً}، لتنظر المرأة إلى بدايتها وهي فقيرة ضعيفة جاهلة، ولتنظر إلى نهايتها من خلال نظرها إلى من انطبق عليها قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً}. لو فكرت المرأة ببدايتها ونهايتها لخفضت جناحها لزوجها، والتزمت الأدب معه، لأن نعمة الجمال والمال والعلم لا تدوم، فما هي إلا عارية مستردَّة، فطوبى لمن كان لله تعالى شاكراً على نعمه.

ثانياً: المستكبر لا يدخل الجنة:

يا عباد الله: يجب على المرأة المسلمة التي تُسَوِّل لها نفسها الاستكبار والاستعلاء على أحد من الخلق ـ وخاصة على زوجها ـ أن تفكِّر في حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ) رواه مسلم.

إذا كان هذا في حقِّ الخلق جميعاً، فكيف بمن تستكبر على زوجها الذي لا تدخل الجنة إلا برضاه عنها؟

ثالثاً: المستكبر يعذَّب في باطن الأرض:

أيها الإخوة الكرام: لتسمع المرأة التي سوَّلت لها نفسها الاستكبار والاستعلاء على زوجها بجمالها أو بمالها أو بعلمها أو بثيابها، لتسمع قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) رواه البخاري ومسلم.

كم من امرأة اختالت واستكبرت واستعلت بثيابها، وكانت عبدة للخميصة، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ) رواه البخاري.

أيها الإخوة: الحقُّ علينا، كلُّنا مقصِّر ـ إلا من رحم الله تعالى ـ في تهذيب البنات قبل الزواج على ما أدَّبنا عليه الإسلام.

رابعاً: المستكبر في نار جهنم:

أيها الإخوة الكرام: لتسمع هذه المرأة التي استكبرت واستعلت على زوجها بنعم الله عليها بأنها تعدَّت على صفة من صفات الله عز وجل، وتجاوزت حدَّها وقدرها، ونسيت نفسها.

لتسمع هذه المرأة قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كما جاء في الحديث القدسي: (الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ) رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه.

خامساً: المستكبر يحشر في أرض الموقف على صور الذَّرِّ:

يا عباد الله: يجب على هذه المرأة المسكينة المغرورة بجمالها أو بمالها أو بعلمها

أو بحسَبها، والتي استعلت على زوجها وجعلت حياته بؤساً وشقاء بسبب هذا الاستكبار، أن تسمع حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ) رواه الترمذي.

نعوذ بالله تعالى من سوء الخاتمة، ونعوذ بالله من العجب والغرور والاستعلاء والاستكبار، ورحم الله عبداً عرف حدَّه فوقف عنده.

سادساً: الاستكبار مهلك للعبد:

أيها الإخوة: لتسمع المرأة المسلمة الحريصة على نجاتها في الدنيا والآخرة إلى حديث الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (ثلاث مهلكات: شُحٌّ مُطاع، وهوى مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه) رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان.

سابعاً: الاستكبار سبب لطرد العبد من رحمة الله تعالى:

يا عباد الله: يجب على المرأة أن تعلم سبب طرد إبليس من رحمة الله تعالى، ولعله أن يكون ذلك درساً لها إن سوَّلت لها نفسها الاستكبار والاستعلاء.

إبليس ما طُرد من رحمة الله تعالى إلا عندما استكبر على سيدنا آدم عليه السلام، وقال لربنا عز وجل: {أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}.

يجب على المرأة أن تكون على حذر من الاستكبار والاستعلاء ـ وخاصة على الزوج ـ بسبب نعمة من نعم الله تعالى عليها، وإلا عرَّضت نفسها ـ لا قدر الله ـ للطرد من رحمة الله تعالى.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة المؤمنون: لتسمع المرأة المسلمة قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لا يَبْغِيَ أَحَدٌ

عَلَى أَحَدٍ، وَلا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) رواه أبو داود.

يا أختاه، يا صاحبة النعمة، يا صاحبة الجمال والمال والنسب والعلم! اعلمي بأنك في اختبار وابتلاء، وتذكَّري قول الله تعالى: {وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ}، وتذكَّري قول الله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور}.

واحذري يا أختاه من أن تجعلي من النعمة سبباً للاستعلاء والاستكبار على زوجك إن كان دونك.

تذكَّري يا أختاه تلك القصة التي يتحدثُّ بها الناس: أن امرأة حسناء تزوَّجت من رجل دميم، فقالت له يوماً: أنت وأنا في الجنة إن شاء الله تعالى. قال: لمَ؟ قالت: إن نظرتَ إليَّ شكرت الله تعالى على ما أسبغ عليك من نعمة، وإن نظرتُ إليك صبرت، والشاكر والصابر في الجنة.

أسأل الله تعالى أن يردَّنا إلى دينه ردّاً جميلاً. آمين. أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

-205خطبة الجمعة: مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٣) كثرة خروج المرأة من البيت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: إن الإعراضَ عن دين الله عز وجل، والإعراضَ عن المنهج الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم سببٌ لحياة الشقاء والضنك للرجل وللمرأة، للأسرة وللمجتمع، وذلك لقوله تعالى: {يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}.

وإن المشاكل في الحياة الزوجية مصدرها الوحيد هو الإعراض عن هذا الشرع الشريف؛ إنْ من الزوج، وإنْ من الزوجة، وإنْ من كليهما.

كثرة خروج المرأة من البيت مشكلةٌ كبيرة:

أيها الإخوة الكرام: إن كثرة خروج المرأة من بيتها سببٌ كبير من أسباب المشاكل في الحياة الزوجية.

فعندما تُكثر المرأة الخروجَ من بيتها بالليل والنهار، بسبب وبغير سبب، لضرورة ولغير ضرورة، فإنها تكون سبباً في وجود الخلل في الحياة الزوجية، والذي يؤدي إلى خلاف وشقاق بين الزوجين، وقد يصل الأمر إلى أبغض الحلال عند الله

ألا وهو الطلاق.

يا عباد الله، بخروج المرأة من البيت لضرورة ولغير ضرورة تضيع الواجب الذي عليها من حق الزوج ومن حق الولد، وإذا ضاعت الحقوق حلَّت المشاكل.

قياسات باطلة:

يا عباد الله، إن من أوجب الواجبات التي فرضها علينا ربنا عز وجل تعليم نسائنا وبناتنا ومحارِمنا الهدي الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، والذي من جملته، قوله تعالى للنساء: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}.

وقرار المرأة في بيتها هو شعار المرأة المسلمة التي عرفت دين الله عز وجل، لأنها عرفت المهمة والواجب الذي عليها من خلال دين الله عز وجل.

والمرأة إذا ابتعدت عن نهج الله عز وجل وقعت في الضياع، وبدأت تقيس قياسات باطلة، فَضَلَّت وأضلَّت، من هذه القياسات الضالَّة المضِلَّة:

أولاً: قياس المرأة المسلمة على المرأة الغربية:

أيها الإخوة الكرام: يحرم على المرأة المسلمة أن تجعل المرأة الغربية والمنهج الغربي مقياساً لها، يحرم عليها أن تجعل من المرأة التي لا تدين بدين سماوي، أو التي تدين بدين اليهودية أو النصرانية المزيَّفة، أن تجعلها نبراساً لها، وتسير خلفها.

يا عباد الله: علِّموا نساءكم وبناتكم، بأنَّ المرأة الغربية إذا لم تخرج جاعت وعريت ولن تجد لها مأوى، لأنها لا نفقة لها، لا على الزوج ولا على الأهل ولا على فرع، ولا من مال الخزينة العامة.

أما المرأة المسلمة التي كلفها الله تعالى بالقرار في البيت فقد ضمن لها النفقة الكافية، من أبيها ومن زوجها ومن ابنها ومن أخيها، فإن لم يكن لها أصل حي، أو فرع، أو زوج فالنفقة واجبة لها في بيت مال المسلمين، لأن الإسلام أوصى بها بنتاً وأوصى بها زوجةً، وأوصى بها أماً، وأوصى بها أختاً.

أما المرأة الغربية فهي امرأة مظلومة متهوِّرة، لا تنظروا إليها وهي في سن

الشباب والصبا، بل انظروا إليها في سن الشيخوخة، حيث تجدوها إما في مصحٍّ عقلي، وإما في دار من دور العجزة، وإما في كوخ صغير، تأوي إليه.

أين زوجها . إذا كان على قيد الحياة .؟ فإنه لا يتعرَّف عليها.

أين أصولها إن كانوا على قيد الحياة؟ فإنهم لا يتعرَّفون عليها.

أين فروعها إن كانوا على قيد الحياة، فإنهم لا يتعرَّفون عليها إلا في يوم واحد من أيام السنة وهو عيد الأم حيث يأتيها ولدها بهدية، ويجلس عندها ساعة من الزمن كأنه ضيف، ثم ينصرف.

هذه المرأة العجوز الهرِمَة فقدت أصولها وفروعها وفروع أصولها، وفقدت زوجها، فلم تجد لها وفياً إلا الكلب، فهو معها إذا خرجت لشراء طعامها، وهو جليسها في الحديقة العامة وفي بيتها.

فهل يُعقَل من المرأة المسلمة أن تتَّخذ هذه المرأة قدوةً ومثالاً ونبراساً لها حتى تقلِّدها؟

ثانياً: قياس القرار على السجن:

يا عباد الله، علِّموا محارمكم ونساءكم أن القرار في البيت ليس سجناً لها، كما يصوِّرها الغرب لها حيث يقول لها: أنت حرَّة، أنت طليقة، لماذا القرار في البيت؟

أيها الإخوة الكرام: هذا الكلام نفثة شيطان إنسي أو جني يريد أن يجعل حياة المرأة شقاءً وضنكاً.

إن قرار المرأة في بيتها ليس سجناً لها، بل بيتها هو محلُّ عملها التي كُلِّفت به من قبل مولانا عز وجل، وربنا جلَّت قدرته عندما كلَّف عباده كلَّف الجميع، وجعل لكلٍّ عمله وحدَّد له مكانه، فقال تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}. فعمل الرجل غير عمل المرأة، ومكان عمله غير مكان عملها، قال تعالى في حقِّ الرجال: {يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ}.

فالرجل يجب عليه أن يعمل بحيث يضرب الأرض شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، يبحث عن الرزق، رزقه ورزق عياله.

والمرأة يجب عليها أن تعمل بما كُلِّفت به من تحقيق سكن لزوجها، وتربية لأبنائها، وهذا لا يكون إلا إذا كانت في قعر بيتها، قال تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}.

فإذا أخلَّ الرجل أو أخلَّتِ المرأة فيما كُلِّفَ كلٌّ منهما به وقع الخلل، وحلَّت الفوضى وكثرت المشاكل.

أيها الإخوة الكرام: تصوَّروا لو أن الرجل جلس في بيته، وجعل بيته مقرّاً له بدون عمل، كيف يحقق ما كُلِّف به من حيث الإنفاق على نفسه وعلى من يعول؟

هذا الرجل سوف يتطلَّع إلى مال زوجته ويجعل يده السفلى ويد زوجته هي العليا، وبذلك تنقلب الموازين وتضطرب الحياة الزوجية.

وكذلك تصوَّروا لو أن المرأة أكثرت الخروج من البيت كيف تحقِّق السكن لزوجها؟ وكيف تربي أولادها؟

فإذا جلس الرجل في البيت فسد وأفسد، وإذا أكثرت المرأة الخروج من البيت فسدت وأفسدت، لذلك يحرم على المرأة أن تنظر إلى القرار في بيتها أنه سجن لها، بل يجب عليها أن تعلم أن سرَّ نجاحها في حياتها الزوجية هو قرارها في بيتها.

انظري يا أختاه إلى أصحاب الأعمال الكبيرة والخطيرة كيف يلازم كلُّ واحد مكان عمله إذا أراد أن يكون ناجحاً فيه، وكلُّ من أراد النجاح في عمله قَرَّ في مكان عمله، حتى رأينا أصحاب الأعمال الكبيرة والخطيرة يجعل على بابه حاجباً حتى لا يدخل عليه كلُّ أحد، ويجعل مقسماً للهاتف حتى لا يتكلَّم مع كلِّ أحد، وما ذاك إلا ليكون ناجحاً في عمله، وكذلك شأن المرأة التي تريد أن تكون ناجحة فيما كلفها به مولانا عز وجل.

مهمة المرأة كبيرة:

أيها الإخوة الكرام: إن معالجة مشكلة كثرة خروج المرأة من بيتها لن يكون إلا إذا عرفت المرأة ما هي مهمتها في هذه الحياة؟

وإنَّ مهمة المرأة في الحياة تستمدُّها المرأة المسلمة من كتاب الله عز وجل.

أولاً: تحقيق السكن لزوجها، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}. هذه مهمة المرأة المسلمة، أن تحقِّق السكن لزوجها الذي يضرب في الأرض يبتغي من فضل الله، لينفق على نفسه وعلى من يعول.

يجب على المرأة أن تحقِّق له السكن من خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ) رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما. بهذه الأمور يتحقَّق السكن لهذا الزوج.

ثانياً: تربية الأبناء، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ) رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. فالمرأة هي المسؤولة عن تربية أبنائها وخاصة في المرحلة الأولى من حياتها، المرأة هي المسؤولة عن تربية الأبناء وتنشئتهم على قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجلَّ) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

المرأة مسؤولة عن تربية الأبناء على قوله تعالى: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا}. فسأل الولد اللهَ الرحمة للأبوين لأنهما ربَّياه.

فإذا أكثرت المرأة الخروج ضيَّعت تربية الأبناء، وبه ضيَّعت أمر الله تعالى الذي كلَّفها به من حيث تربية الأبناء.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: قرار المرأة في بيتها سرُّ سعادتها في الحياة الزوجية، وكثرة

خروجها من بيتها سبب لحياة الشقاء في حياتها الزوجية، وخاصة إذا كانت تخرج وتهتمُّ بخروجها من أجل النظر إليها، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الطبراني عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (إِنَّ الْمَرْأَةَ عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ فَتَقُولُ: مَا رَآنِي أَحَدٌ إِلا أَعْجَبْتُهُ).

وهذا مُشاهَد وواقع، اهتمام المرأة بلباسها عند خروجها من بيتها أكثر من اهتمامها بلباسها داخل بيتها لتحقيق السكن لزوجها.

يا أختاه: اتقِي الله، ولا تكثري الخروج من البيت لتحققي السكن لزوجك، ولتقومي بتربية أبناءك، وإلا فالنتائج غير محمودة.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

206-خطبة الجمعة: مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٤) كثرة الكلام على الهاتف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، إن من أعظم نعم الله تعالى علينا نعمة اللسان، فهو صغير في جِرمه، عظيمٌ في طاعته وجُرمه، ليس له مؤونة إذا أراد العبد أن يحركه، ولا يتعب ولا يكلُّ ولا يملُّ في كثرة حركته.

هذا اللسان وسيلة وآلة في يد الشيطان إذا كان العبد غافلاً عن الله عز وجل، ويورده المهالك، ويسلك به في كل ميدان، حتى يوقفه على شفا جُرُفٍ هار، فانهار به في جهنم، ولا يَكبُّ الناسَ في النار على وجوههم ومناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم.

هذا اللسان الذي نُطلق له العنان، لنعلم أننا سوف نُسأل يوم القيامة عن كل كلمة وكل حرف ننطق بها بهذه الجارحة.

اللسان سبب وجود المشاكل:

أيها الإخوة الكرام: ما زلنا في الحديث عن المشاكل في الحياة الزوجية والتي تكون المرأة فيها سبباً.

من أسباب الخلافات في الحياة الزوجية كثرة كلام المرأة على الهاتف الثابت والنقَّال، على سبيل المثال: يتصل الرجل بأهله على الهاتف فيجد الهاتف مشغولاً،

وينتظر دقائق بل ربع ساعة، وربما نصف ساعة، وقد يتجاوز ذلك إلى الساعة، والهاتف مشغول، يتوجه إلى البيت مسرعاً وهو في حالة من الغضب الشديد، ليجد الزوجة تتحدث مع أهلها أو مع أحمائها، أو مع صديقاتها كلاماً بدون فائدة، وبذلك تحصل المشادَّة بينه وبين زوجته لهذا السبب، وقد يصل به الأمر إلى حلف يمين بالطلاق.

عارٌ على الزوج كثرة أيمان الطلاق:

أيها الإخوة الكرام: بهذه المناسبة أقول: عارٌ على الرجل أن يؤدِّب زوجته بأيمان الطلاق، عارٌ عليه أن يهدِّدها بالطلاق عند وجود أي خلاف، عارٌ على الزوج الذي يعلِّق طلاق زوجته على فعل أمر أو تركه، إن تأديب الزوجة لا يكون بكثرة أيمان الطلاق؛ لأن الطلاق دواء لداء استعصى حله.

اسمعي يا أختاه إلى ما يقوله مولانا عز وجل:

يا عباد الله، من خلال ما أطَّلع عليه من كثرة الخلافات الزوجية، ومن أيمان الطلاق بسبب حديث المرأة على الهاتف أقول:

اسمعي يا أختاه إلى ما يقوله مولانا عز وجل في كتابه العظيم:

أولاً: يقول الله تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد}. كلُّ كلمة وكلُّ حرف مسجل علينا في صحائف أعمالنا من قبل ملائكةٍ كرام، الكلام محصيٌ علينا، قال تعالى: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}.

وما دام الأمر كذلك فالعاقل هو الذي يقلِّل كلامه، وقالوا: من عدَّ كلامه من أفعاله قَلَّ كلامه، فكثرة الكلام توقع العبد في الإثم والعدوان، والزلل والخطيئة.

تذكري يا أختاه بأن هذا اللسان الصغيرَ في جِرمه كبيرٌ في جُرمه، لأن أكثر الناس يُكبُّون في نار جهنم بسببه.

ثانياً: يقول الله تعالى: {لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}.

يا أختاه، فكِّري هل حديثك مع الآخرين على الهاتف أو غيره من خلال هذه الآية الكريمة، هل تأمرين بصدقة، أو تأمرين بمعروف وتنهين عن المنكر، أو تصلحين بين الناس؟ إن كان حديثك ضمن هذه الأمور الثلاثة فهو خير لك في الدنيا والآخرة.

أما إذا كان الحديث عن الطعام والشراب، وعلاقة المرأة مع زوجها، ومع أحمائها، ومع صديقاتها، فلا خير فيه، والمصيبة الأكبر إذا كان الحديث غيبة أو نميمة أو إفساداً بين زوجين أو بين متحابين.

تذكَّري يا أختاه، يا من تكثرين الحديث عن طريق الهاتف خاصة، أنك مسؤولة عن هذا الكلام وأنه لا خير في الكلام إلا إذا كان في مرضاة الله، وتذكَّري أن هذا الكلام تُدفع قيمته لمؤسسة الهاتف، قليلاً كان أم كثيراً، وسوف تسألين عن هذا يوم القيامة، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الترمذي عن أبي بَرْزَة الأسلمي رضي اللَّه عنه، قال: قال رسولُ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم : (لا تَزُولُ قَدمَا عبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيم فَعَلَ فِيهِ، وعَنْ مالِهِ منْ أَيْنَ اكْتَسبهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَن جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ). يُسأل العبد عن المال إن كان قليلاً أو كثيراً.

واسمعي يا أختاه إلى أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

أولاً: روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ).

فيا أختاه تنبَّهي إلى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

وسلم: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ).

العبد الذي آمن بالله القائل: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم}.

وآمن باليوم الآخر وما فيه من نعيم وجحيم، يقول خيراً أو يصمت، لأنه سيحاسب على كلِّ كلمة قالها، فإن كانت خيراً حصد خيراً، وإن كانت غير ذلك حصد شراً.

ثانياً: روى الطبراني عن الحارث بن هشام رضي الله عنه قال: (قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَخْبِرْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: امْلِكْ هَذَا، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ).

فيا أختاه إذا أردت الاعتصام بأمر من أجل سلامة الآخرة فاملكي لسانك، ولا تقولي به إلا خيراً، وعُدِّي كلامك من أفعالك التي ستُسألين عنها يوم القيامة.

ومن ملك لسانه عُصِمَ عن الزلل بإذن الله تعالى، ومن عُصِمَ عن الزلل أَمِنَ يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: روى الطبراني عنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، أَنَّهُ ارْتَقَى الصَّفَا فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: (يَا لِسَانُ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ).

وهل تريدين يا أختاه أن يكثُرَ خطؤك يوم القيامة، ومن أعظم الأخطاء الوقوع في الكبائر، والتي من جملتها الغيبة والنميمة والسخرية وتتبُّع عورات الناس، فاتقي الله يا أختاه عند الحديث مع الآخرين على الهاتف وغير الهاتف.

رابعاً: روى الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال له: (ألا أُخْبِرُكَ بِرأسِ الأمْرِ، وعمودِهِ، وذِرْوةِ سَنامِهِ؟ قُلتُ: بَلى يا رسول اللهِ، قَالَ: رأْسُ الأمْرِ الإسْلامُ، وعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وذروةُ سنامِهِ الجِهَادُ. ثُمَّ قال: ألا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذلكَ كله؟ قُلْتُ: بَلى يا رسُولَ اللَّهِ. فَأَخذَ بِلِسَانِهِ

قالَ: كُفَّ علَيْكَ هذا، قُلْتُ: يا رسُولَ اللَّهِ وإنَّا لمؤَاخَذون بمَا نَتَكلَّمُ بِهِ؟ فقَال: ثَكِلتْكَ أُمُّكَ، وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وَجُوهِهِم إلاَّ حصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)؟

يا أختاه نحن مؤاخذون بما نقول، وأكثر أهل النار دخلوها بسبب هذا اللسان الذي لا يتوقف عن الكلام بمعروف وبغير معروف عند عامة الناس إلا من رحم الله تعالى، والله تعالى يقول: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}. ويقول تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون}. وعمل اللسان القول.

خامساً: روى الطبراني عن الأَسْوَدُ بن أَصْرَمَ الْمُحَارِبِيُّ رضي الله عنه، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَوْصِنِي، قَالَ: تَمْلِكُ يَدَكَ، قُلْتُ: فَمَاذَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ يَدِي؟ قَالَ: تَمْلِكُ لِسَانَكَ، قَالَ: فَمَاذَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ لِسَانِي؟ قَالَ: لا تَبْسُطْ يَدَكَ إِلا إِلَى خَيْرٍ، وَلا تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلا مَعْرُوفًا).

يا أختاه: راقبي الله تعالى في جارحة اللسان، ولا تقولي إلا خيراً، والخير في الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس، لا على عكس ذلك.

سادساً: روى الترمذي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ).

يا أختاه: قلِّلي من الكلام، وقَرِّي في البيت، وحاسبي نفسك قبل أن تُحاسبي يوم القيامة.

سابعاً: وروى الترمذي عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: (كُلُّ كَلامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لا لَهُ، إِلا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذِكْرُ اللَّهِ).

يا أختاه: تعلَّمي قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الصادق المصدوق، الذي قال عنه تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}. فيبين لنا بقوله الشريف بأن كل كلامٍ يكون على العبد، أي مَغْرَماً.

ثامناً: وروى الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تُكْثِرُوا الكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي).

يا أختاه كوني حريصة على رقَّة القلب بكثرة ذكر الله تعالى، واحذري قسوة القلب بكثرة الكلام.

خاتمة نسال الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ حديث المرأة على الهاتف كثير وكثير جداً، وعالجوا هذا الموضوع مع نسائكم وبناتكم ومحارمكم بالحكمة والموعظة الحسنة، وبتذكيرهنَّ بالآيات الكريمة التي قلناها، وبالأحاديث الشريفة التي ذكرناها وقبل كلٍّ هذا أن نكون نحن الرجال أولاً قدوةً لهنَّ بقلة الكلام من غير فائدة.

واحذروا يا عباد الله من معالجة هذا الأمر بأيمان الطلاق أو بالحرام، لأن هذا ليس من شان العقلاء.

ذكِّر نساءك ومحارمك بالمال الذي يُدفع على الكلام من خلال فواتير الهاتف، والذي سنُسأل عنه يوم القيامة.

وذكِّر نفسك ومن استرعاك الله عليه بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ صَمَتَ نَجَا) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

207-خطبة الجمعة: مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٥) عدم الاهتمام بالنظافة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن طاعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فرضٌ علينا، وهي سرُّ سعادتنا في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}. وهل العبد الذي ينعم الله عليه في الآخرة بهذه المعية لا يكون منعماً في الحياة الدنيا؟

ومخالفة أمره صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هي سبب للفتنة والعذاب الأليم، قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}.

أيها الإخوة الكرام: إن واقعنا مرير من حيث الأسرة، حيث لا يجد الكثير من الناس السكن، بل الشقاء والخلاف الذي يوصل في كثير من الأحيان إلى أيمان الطلاق والحرام.

سبب الشقاء سوء الاختيار:

أيها الإخوة الكرام: إن الشقاء الذي يكون في الأسرة بسبب الزوجة يتحمَّل الزوجُ جزءاً كبيراً منه، لأنه ما سمع أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

وسلم الذي وجَّهه لحسن اختيار الزوجة، جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ).

نعم لُصِقَت يدك بالتراب حسرة وندامة لأنَّك ما ظفرت بصاحبة الدين، لقد كنت حريصاً على الحسناء ولو بدون دين، حريصاً على الغنية ولو بدون دين.

المرأة غير الملتزمة لن تحقِّق لك السكن، ولن تجد عندها المودة والرحمة، لأنها لا صلة لها مع كتاب ربها عز وجل القائل: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ}. ولا صلة لها مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم القائل لابن عباس رضي الله عنهما: (ألا أُخْبرك بخير ما يَكْنِزُ المرءُ؟ المرأة الصالحة؛ إذا نظر إليها سَرَّتْهُ، وإذا أَمَرَهَا أطاعتْه، وإذا غاب عنها حفظتْه) رواه أبو داود.

الكثير من النساء اليوم صلتها بالدين اسماً، وأما السلوك فهو تقليد لشرقٍ أو لغرب ممن لا صلة له بدين ولا أدب ولا قيم ولا أخلاق.

يا أخي الكريم: كن حريصاً على الزوجة صاحبة الدين والخلق، التي تؤمن بالله واليوم الآخر، كن حريصاً على هذه المرأة التي التزمت قول الله تعالى: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ}. فهي تخاف الله عز وجل فيك، وتحقق لك السكن، لأن الله تعالى رقيب عليها وسيحاسبها إن قصَّرت، وهي التي تسرك إذا نظرت إليها.

من أسباب الشقاق والخلاف عدم الاهتمام بالنظافة:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ من أسباب الخلاف في الحياة الزوجية هو تقصير المرأة في النظافة، وهذا أمر ملاحظ وبكلِّ أسف، فكم من رجل يشكو إلى الله تعالى تقصير زوجته في النظافة، إن كان في جسدها، وإن كان في ثيابها ورائحتها، وإن كان في بيتها.

مع أننا نعلم جميعاً بأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ربَّى الأمة رجالاً ونساءً على النظافة بكلِّ ميادينها، ولكن وبكلِّ أسف صارت النظافة شعاراً وعنواناً لغير المسلمين.

واقعنا مرير في مسألة النظافة، انظروا إلى شوارع المسلمين في مسألة النظافة، انظروا إلى شوارع المسلمين وإلى أسواقهم ومحلاتهم التجارية، وانظروا إلى بيوتاتهم ـ إلا من رحم الله تعالى ـ لا تجد فيها النظافة، وإن دلَّ هذا على أمر، فإنه يدلُّ على قلة الإيمان وضعفه، ألم يقل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ) رواه مسلم عم أبي هريرة رضي الله عنه.

الاهتمام بنظافة الجسد بشكل عام:

أيها الإخوة الكرام: اسمعوا وأسمعوا نساءكم ومحارمكم حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي يرويه الإمام البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (حَقٌّ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ).

يا عباد الله، وإن كان ظاهر الحديث يخاطب المسلم فقط، بل هو في الحقيقة يخاطب المرأة كما يخاطب الرجل، لأن حال المرأة في ديننا مبنيٌّ على الستر، فكما يقول الله تعالى في القرآن العظيم مخاطباً الرجال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ}. فهو شامل المرأة كذلك، وهكذا في هذا الحديث الشريف.

يا أختاه، إن كان الرجل مأموراً بالاغتسال في كل أسبوع مرَّة فأنتِ من باب أولى وأولى، لأن الله تعالى وصف المرأة بقوله: {أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ}.

يا أختاه: إن الاهتمام بنظافة الجسد بشكل عام، سبب كبير من أسباب

سرور الزوج، وبذلك يتحقَّق قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إذا نظر إليها سَرَّتْهُ). ومن أدخلت السرور إلى قلب زوجها لا شكَّ ولا ريب بأنه سيُدخل السرور إلى قلبها، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

فأولاً: الاهتمام بنظافة الجسد.

ثانياً: الاهتمام بنظافة الثياب والشعر:

يقول تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُون}. وأخرج الإمام أبو داود في سننه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: (أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى رَجُلاً شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ، فَقَالَ: أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ، وَرَأَى رَجُلاً آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ: أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ).

اسمعي أيتها الزوجة الصالحة إلى توجيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم للاهتمام بنظافة الشعر والثياب، فالإسلام هو دين النظافة، وبكون الإنسان ينظر إلى ظاهر الإنسان فيجب عليه الاهتمام بنظافة ثوبه وشعره حتى لا يكون منفِّراً، فكيف بالزوجة أمام زوجها؟ فهي من باب أولى وأولى يجب عليها أن تهتمَّ بنظافة ثوبها وشعرها، وإلا نفَّرت زوجها منها.

المرأة الصالحة إذا نظر إليها زوجها سرته، ومن دواعي سرور الرجل أن يرى زوجته مهتمة بنظافة ثيابها وشعرها، وهذا ما أكَّده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: (مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ) رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الإخوة الكرام: كثير من النساء تهتمُّ بنظافة ثيابها وترتيب شعرها إذا أرادت الخروج من البيت، أما داخل البيت أمام زوجها فتراها مقصِّرة في هذا الجانب، وهذا ما يجعل خلافاً شديداً بينها وبين زوجها، بحيث لا تحقِّق المرأة لزوجها السكن النفسي من خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

وسلم: (إذا نظر إليها سَرَّتْهُ).

فاتقي الله يا أختاه بزوجك، واعلمي بأن الزوجة الصالحة هي التي تهتمُّ بنظافة ثيابها وترتيب شعرها لتحقِّق السكن النفسي لزوجها، ولتعفَّه عن الحرام، واعلمي يا أختاه بأن المرأة الصالحة هي التي تطيع ربها عز وجل من خلال اهتمامها بنظافتها في ثيابها وترتيب شعرها لزوجها.

ثالثاً: الاهتمام بنظافة الفم والأسنان:

أخرج الإمام أحمد عن جَعْفَرُ بْنُ تَمَّامِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أُتِيَ فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكُمْ تَأْتُونِي قُلْحًا، اسْتَاكُوا لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضْتُ عَلَيْهِمْ السِّوَاكَ كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْهِمْ الْوُضُوءَ). القلح: الذي يسبب رائحة كريهة في الفم، فكيف لا تهتم المرأة المسلمة بنظافة فمها وأسنانها حتى لا يجد زوجها منها إلا الرائحة الطيبة؟

كم من مشكلة حصلت في البيت بين الزوجة وزوجها بسبب عدم اهتمام الزوجة بفمها وأسنانها، وربما دفع الزوج للنفور من زوجته وكراهيته لها؟

فاتق الله يا أختاه في الزوج من خلال الاهتمام بنظافة الفم والأسنان، فأنت مسؤولة أمام الله عز وجل، وحافظي على السواك الذي هو مطهرة للفم ومرضاةٌ للرب عز وجل.

رابعاً: الاهتمام بنظافة البيت:

أخرج الإمام عن سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ رضي الله عنه قال: (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ).

يا أختاه اسمعي وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، واسمعي أمره، وهو يقول: (فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ). واحذري من التقصير في هذا الجانب، ولا تتشبَّهي باليهود، واعلمي بأن الله تعالى يحبُّ

النظافة، لأن النظافة راحة للإنسان، وإن اهتمامك بنظافة البيت يحقِّق السكن للزوج الذي ينشده من خلال حياته الزوجية، فلا تقصِّري في نظافة البيت حتى لا يكون سبباً للخلاف في حياتك الزوجية.

خامساً: التجمُّل بشكل عام:

اسمعي يا أختاه إلى ما رواه الإمام الترمذي في سننه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، وَلا يَدْخُلُ النَّارَ يَعْنِي مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي حَسَنًا وَنَعْلِي حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ وَغَمَصَ النَّاسَ).

يا أختاه شأن المرأة المسلمة هي التي تحبُّ الجمال والتجمُّل، لأن الله تعالى يحبُّ الجمال، ولكن اجعلي هذا لزوجك حتى تصونيه عن الحرام.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، انقلوا هذا الحديث لنسائكم وبناتكم ومحارمكم، أخرج الإمام الترمذي عن عمرو بن شُعْيبٍ عن أَبيه عَنْ جدِّهِ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رسُولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (إِن اللَّه يُحِبُّ أَنْ يُرى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلى عبْده).

ومن آثار النعمة التي يحبُّ مولانا أن يراها النظافة بكلِّ صورها وأشكالها، ومسؤولية هذا الأمر تقع على الرجال، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (والرَّجُلُ رَاعٍ في أهلِهِ وَمسؤولٌ عنْ رَعِيَّتِهِ) رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما. فمن رعايتك لأسرتك أن تعلِّمهم ما سمعت، قولاً وسلوكاً، وخاصة قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إذا نظر إليها سَرَّتْهُ).

أيها الإخوة الكرام: عالجوا هذا الموضوع مع نسائكم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا تعالجوه من خلال أيمان الطلاق والحرام إذا قصَّرت المرأة في النظافة

بشكل عام، عالجوا هذا الموضوع بالتعليم لنسائكم ولا تعالجوه بالضرب والشتم واللعن والقسوة والإهانة والتحقير.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

208-خطبة الجمعة: مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٦) تقصير الزوجة في حقِّ زوجها من حيث الفراش

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الخطبة الماضية:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

ما زال حديثنا عن المشاكل الأسرية التي تكون الزوجة فيها سبباً، وذكرنا في الأسبوع الماضي سبباً من الأسباب التي تجعل مشكلة في بيت الزوجية، وهو تقصير المرأة في حق زوجها من حيث الفراش.

وقلت لكم: صاحب الدين والخلُق والملتزم بدين الله لا يقضي شهوته في طريق غير مشروع، وذلك لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُون}.

التعدُّد جريمة لا تغتفر:

أيها الإخوة الكرام: إذا قصَّرت المرأة في حق زوجها من حيث الفراش، وأراد الرجل أن يتزوَّج بزوجة ثانية ليعفَّ نفسه عن الحرام، فإن القائمة تقوم ولا تقعد أبداً، فإن تزوج ثانية حلَّت الطامة، وانقلب المظلوم إلى ظالم، وصار مجرماً، وجريمته لا تغتفر، وصار القاصي والداني، والكبير والصغير، والرجال والنساء، يلومون هذا الرجل المجرم الذي تزوج ثانية على زوجته، ووقف أصولها وفروعها وأقاربها في وجه هذا المجرم الذي تزوَّج بثانية.

خطورة على الإيمان من الضياع:

يا عباد الله: إن الحديث اليوم عن تعدُّد الزوجات جريمة كبرى لا تغتفر، وهمجية ورجعية يستحيا منها أمام الشعوب المتحضِّرة، بل لا يجوز أن يخطر في بال الزوج خاطر التعدُّد، وكيف يخطر في باله هذا الخاطر وهو يعيش في عصر التقدم والحضارة والدفاع عن حقوق المرأة؟

نعم، يقول المجتمع المتحضر المتمدِّن الذي يدافع عن حقوق المرأة: لا مانع من اتِّخاذ صديقة وخليلة، لا مانع من ارتكاب جريمة الزنى ما دام بالتفاهم مع المرأة، أما أن يتزوَّج بزوجة ثانية بطريق مشروع، فهذه جريمة لا يمكن أن تتصوَّرها المرأة ولا أصولها ولا فروعها.

وليوطِّن الرجل نفسه إن تكلَّم في تعدُّد الزوجات أن ترفع عليه قضية من قبل الاتحاد النسائي، وليحاكم هذا الرجل بارتكابه هذه الجريمة إذ يتحدَّث بها جهاراً نهاراً في الملأ.

أيها الإخوة الكرام المؤمنون: تساءلوا مع أنفسكم: من الذي شرع تعدُّد الزوجات؟

الجواب على ذلك: إن الذي شرع تعدُّد الزوجات هو القائل: {أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير}؟ الذي شرع تعدُّد الزوجات هو الذي حرَّم السفاح

واللواطة بين الرجال والسحاق بين النساء، وذلك ضماناً لسلامة المجتمع وطهارته وحفظاً للأنساب. الذي شرع تعدُّد الزوجات هو القائل: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}. الذي شرع تعدُّد الزوجات هو الإله الذي يملك سرَّ سعادتك في الدنيا والآخرة.

أيها الإخوة الكرام: لقد أصبح اليوم ما شرعه الله تعالى جريمة منكرة، ولا تغتفر في قانون القوم، وفي ذلك خطورة على إيمان المرأة وعلى إيمان من يحاب فكرة التعدُّد، وذلك لقوله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}، ولقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا}.

أصبح بعض الناس ينظرون إلى الالتزام بدين الله جريمة كبرى، وأما فعل الكبائر والموبقات من زنا ولواطة وسحاق فلا حرج فيه، وهذا فيه خطر على إيمان المؤمن من الضياع، إذ يحرِّم ما أحلَّ الله تعالى، ويحلُّ ما حرَّم الله تعالى، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

أيها الإخوة الكرام: لقد حذَّرنا ربُّنا عز وجل في القرآن الكريم من أن يلوم إنسان آخر إذا عدَّد الزوجات، فقال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين}، لا يلام من التزم ما أحل الله، ولكن يلام من تعدَّى حدود الله تعالى بارتكاب جريمة الزنى والعياذ بالله تعالى، وكيف يلوم المؤمنُ المؤمنَ وهو يقرأ قول الله تعالى: {فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ}؟

ما هو السرُّ في نفور القوم من التعدُّد؟

أيها الإخوة الكرام: تعالوا لنبحث عن السر في نفور القوم من مسألة تعدُّد الزوجات:

أولاً: ضعف الإيمان بالله هو السبب الأول في نفور بعض الناس من مسألة تعدُّد الزوجات، وذلك بسبب تأثُّرهم من أعداء هذا الدين من خلال الأفلام والمسلسلات التي تشوِّه جمال هذه الحقيقة، والتي تدعو إلى الرذيلة وارتكاب الفاحشة.

ثانياً: من أسباب من نفور القوم من التعدد الجهلُ بالأحكام الشرعية، والجهل بالحكمة من هذه الأحكام.

الإسلام هو الذي أباح التعدُّد، وذلك لحكم متعدِّدة، من جملتها:

١. لا يريد الإسلام أن تبقى امرأة عانساً بدون زوج.

٢. لا يريد الإسلام أن تبقى امرأة أيِّماً بدون زوج.

٣. لا يريد الإسلام أن تبقى امرأة مطلَّقة بدون زوج.

٤. الإسلام يريد المرأة أن تكون زوجة شرعاً، وأماً لأولاد شرعيين.

ثالثاً: من أسباب نفور القوم من التعدد سوء تعامل الزوج مع زوجاته، وذلك من خلال الظلم والجَور الذي يقع على المرأة، وهذا الذي دفع المرأة لكراهية فكرة التعدُّد، وفي ذلك خطورة على الرجل المسلم، حيث يفضح حاله يوم القيامة بأن يأتي شقه مائلاً، كما جاء في الحديث الشريف: (إِذَا كَانَ عِنْدَ الرَّجُلِ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ سَاقِطٌ) رواه الترمذي والحاكم.

رابعاً: من أسباب نفور القوم من التعدد تصور التعدُّد بأنه لصالح الرجل وليس لصالح المرأة، وهذا توهُّم، لأن التعدُّد هو في الحقيقة لصالح المرأة قبل أن يكون لصالح الرجل، وذلك لتحمل المسؤولية من قبل الرجل.

ولذلك ما كان هذا النفور في سلف الأمة، بل هو في خلفها الآن بسبب الهجمة الشرسة على دين الله تعالى، والطمع في زيادة الفسق والفجور، وعدم رغبة

الغرب ببقاء حصن الأسرة قائماً بالشكل المشروع.

يا أختاه احذري الخداع:

أمة الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: يجب على المرأة أن تحذر من خداع دعاة الفساد والضلال الذين يريدون الشهوات، ويريدون أن تكون المرأة ألعوبة في يد الرجال، وأن تكون فريسة لهم، لأنهم لا يريدون تحمل مسؤولية الزواج.

هؤلاء حاقدون على الإسلام، هؤلاء لا ينظرون إلا للساعة التي هم فيها، يريدون المرأة لقضاء الشهوة، دون تفكير في شيخوختها وما تؤول إليه عند كبر سنِّها.

يا أختاه: المرأة عند الغرب إذا شاخت وهرمت وانقطع مطمع الرجال فيها هجروها، وصار الوفي الوحيد لها هو الكلب، هل ترضين هذا لنفسك يا أختاه؟

أنت تعلمين يا أختاه حال المرأة المسلمة إذا شاخت في دين الله تعالى حيث تصبح بركة البيت، ويطلب منها الدعاء، والكل يحاول إرضاءها.

يا أختاه: إن التعدُّد ضرورة اجتماعية، ورحمة بالمرأة، ورعاية لها، لأن الإسلام حريص على عفَّتها وطهارة ذيلها، ومن هذا المنطلق ضمن الإنفاق عليك وأنت بنت، وأنت زوجة، وأنت أم، حتى لا تحتاجي إلى الخروج من المنزل.

يا أختاه: أنت لا تعرفين مكر الرجال الفساق، ولا مكر أهل الفجور، ولذلك قيَّد الإسلام عقد زواجك بوجود ولي أمر لك، والله ليس انتقاصاً لقدرك، بل من أجل سلامتك من كيد الرجال الفساق، لذلك قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا نِكَاحَ إِلا بِوَلِيٍّ) رواه الترمذي. وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا، فَإِنْ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ لَهُ) رواه الترمذي. وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، وَلا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الزَّانِيَةَ هِيَ الَّتِي تُزَوِّجُ

نَفْسَهَا) رواه ابن ماجه.

يا أختاه: سلي هؤلاء الذين يحاربون تعدُّد الزوجات: ما هو البديل عن التعدُّد؟ فإن أعطوك البديل الذي يجعلك زوجة شرعية أو أماً لأولاد شرعيين فأخبرينا. سلي هؤلاء ما هو البديل. والمرأة بحاجة إلى رجل.؟ لقد خدعوك وربِّ الكعبة.

وصايا لمن عدَّد أو أراد التعدُّد:

أيها الإخوة الكرام: تذكَّروا حديث الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كل رجل من المسلمين على ثغر من ثغر الإسلام، اللهَ اللهَ أن يؤتى الإسلام من قبلك) رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة.

فيا أيها المسلم الذي تزوَّج أكثر من واحدة، أو يريد التعدُّد، اسمع لهذه النصائح حتى لا تكون سبباً في الإنكار على دين الله عز وجل:

أولاً: المساواة التامة والعدل بين الزوجات، وهذا واجب شرعاً على الزوج، وليس من باب التفضُّل. ويجب أن يكون العدل في المنشط والمكره، وفي الرضا وفي الغضب، وإلا وقع في الظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة، قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}.

ثانياً: عدم نقل الحديث عما يحدث بينه وبين إحدى زوجاته للثانية، لأن هذا يغيظها.

ثالثاً: الدفاع عن زوجته إذا ذكرتها ضرَّتها، وليعلمها أنه لا يسمح لها بذكر ضرَّتها، كما لا يسمح لضرَّتها بذكرها في غيبتها.

رابعاً: أن لا يؤدب إحدى زوجاته أمام ضرَّتها.

خامساً: أن يعالج الأمور بين نسائه بحكمة. ورائده في ذلك حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: علِّموا بناتكم قبل الزواج، ونساءكم، أن تتقي المرأة ربَّها عز وجل في زوجها، وأن لا تدفعه إلى الزواج بثانية، بسبب تقصيرها في حق زوجها من حيث الفراش.

وإن تزوَّج الرجل فيحرم على الزوجة أن تلومه، وكذلك يحرم على أصولها وفروعها هذا، لأن الله تعالى قال: {فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ}.

وأخيراً أذكر لكم حكمين شرعيين في هذا الموضوع:

الأول: إن رفع دعوى على الزوج من قبل الزوجة لتثبيت عقد زواجها عند القاضي، وفي الحقيقة ما تمَّ العقد بينهما، هو تثبيت باطل شرعاً لا أثر له ديانة، وإن ثبت في القضاء أنهما زوجان.

الثاني: تزويج المرأة لنفسها بغير إذن وليِّها هو زواج باطل، وإن كان ولا بدَّ من إجراء العقد بدون ولي لسبب مبرر ومقبول فليكن هذا العقد عند القاضي الشرعي، لأنه ولي من لا ولي له.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

209-خطبة الجمعة: مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٧) اعتراض المرأة على تعدد الزوجات

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الخطبة الماضية:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

ما زال حديثنا عن المشاكل الأسرية التي تكون الزوجة فيها سبباً، وذكرنا في الأسبوع الماضي سبباً من الأسباب التي تجعل مشكلة في بيت الزوجية، وهو تقصير المرأة في حق زوجها من حيث الفراش.

وقلت لكم: صاحب الدين والخُلُق والملتزم بدين الله لا يقضي شهوته في طريق غير مشروع، وذلك لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُون}.

التعدُّد جريمة لا تغتفر:

أيها الإخوة الكرام: إذا قصَّرت المرأة في حق زوجها من حيث الفراش، وأراد الرجل أن يتزوَّج بزوجة ثانية ليعفَّ نفسه عن الحرام، فإن القائمة تقوم ولا تقعد أبداً، فإن تزوج ثانية حلَّت الطامة، وانقلب المظلوم إلى ظالم، وصار مجرماً، وجريمته لا تغتفر، وصار القاصي والداني، والكبير والصغير، والرجال والنساء، يلومون هذا الرجل المجرم الذي تزوج ثانية على زوجته، ووقف أصولها وفروعها وأقاربها في وجه هذا المجرم الذي تزوَّج بثانية.

خطورة على الإيمان من الضياع:

يا عباد الله: إن الحديث اليوم عن تعدُّد الزوجات جريمة كبرى لا تغتفر، وهمجية ورجعية يستحيا منها أمام الشعوب المتحضِّرة، بل لا يجوز أن يخطر في بال الزوج خاطر التعدُّد، وكيف يخطر في باله هذا الخاطر وهو يعيش في عصر التقدم والحضارة والدفاع عن حقوق المرأة؟

نعم، يقول المجتمع المتحضر المتمدِّن الذي يدافع عن حقوق المرأة: لا مانع من اتِّخاذ صديقة وخليلة، لا مانع من ارتكاب جريمة الزنى ما دام بالتفاهم مع المرأة، أما أن يتزوَّج بزوجة ثانية بطريق مشروع، فهذه جريمة لا يمكن أن تتصوَّرها المرأة ولا أصولها ولا فروعها.

وليوطِّن الرجل نفسه إن تكلَّم في تعدُّد الزوجات أن ترفع عليه قضية من قبل الاتحاد النسائي، وليحاكم هذا الرجل بارتكابه هذه الجريمة إذ يتحدَّث بها جهاراً نهاراً في الملأ.

أيها الإخوة الكرام المؤمنون: تساءلوا مع أنفسكم: من الذي شرع تعدُّد الزوجات؟

الجواب على ذلك: إن الذي شرع تعدُّد الزوجات هو القائل: {أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير}؟ الذي شرع تعدُّد الزوجات هو الذي حرَّم السفاح واللواطة بين الرجال والسحاق بين النساء، وذلك ضماناً لسلامة المجتمع وطهارته وحفظاً للأنساب. الذي شرع تعدُّد الزوجات هو القائل: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}. الذي شرع تعدُّد الزوجات هو الإله الذي يملك سرَّ سعادتك في الدنيا والآخرة.

أيها الإخوة الكرام: لقد أصبح اليوم ما شرعه الله تعالى جريمة منكرة، ولا

تغتفر في قانون القوم، وفي ذلك خطورة على إيمان المرأة وعلى إيمان من يحاب فكرة التعدُّد، وذلك لقوله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}، ولقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا}.

أصبح بعض الناس ينظرون إلى الالتزام بدين الله جريمة كبرى، وأما فعل الكبائر والموبقات من زنا ولواطة وسحاق فلا حرج فيه، وهذا فيه خطر على إيمان المؤمن من الضياع، إذ يحرِّم ما أحلَّ الله تعالى، ويحلُّ ما حرَّم الله تعالى، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

أيها الإخوة الكرام: لقد حذَّرنا ربُّنا عز وجل في القرآن الكريم من أن يلوم إنسان آخر إذا عدَّد الزوجات، فقال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين}، لا يلام من التزم ما أحل الله، ولكن يلام من تعدَّى حدود الله تعالى بارتكاب جريمة الزنى والعياذ بالله تعالى، وكيف يلوم المؤمنُ المؤمنَ وهو يقرأ قول الله تعالى: {فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ}؟

ما هو السرُّ في نفور القوم من التعدُّد؟

أيها الإخوة الكرام: تعالوا لنبحث عن السر في نفور القوم من مسألة تعدُّد الزوجات:

أولاً: ضعف الإيمان بالله هو السبب الأول في نفور بعض الناس من مسألة تعدُّد الزوجات، وذلك بسبب تأثُّرهم من أعداء هذا الدين من خلال الأفلام والمسلسلات التي تشوِّه جمال هذه الحقيقة، والتي تدعو إلى الرذيلة وارتكاب الفاحشة.

ثانياً: من أسباب من نفور القوم من التعدد الجهلُ بالأحكام الشرعية، والجهل

بالحكمة من هذه الأحكام.

الإسلام هو الذي أباح التعدُّد، وذلك لحكم متعدِّدة، من جملتها:

١. لا يريد الإسلام أن تبقى امرأة عانساً بدون زوج.

٢. لا يريد الإسلام أن تبقى امرأة أيِّماً بدون زوج.

٣. لا يريد الإسلام أن تبقى امرأة مطلَّقة بدون زوج.

٤. الإسلام يريد المرأة أن تكون زوجة شرعاً، وأماً لأولاد شرعيين.

ثالثاً: من أسباب نفور القوم من التعدد سوء تعامل الزوج مع زوجاته، وذلك من خلال الظلم والجَور الذي يقع على المرأة، وهذا الذي دفع المرأة لكراهية فكرة التعدُّد، وفي ذلك خطورة على الرجل المسلم، حيث يفضح حاله يوم القيامة بأن يأتي شقه مائلاً، كما جاء في الحديث الشريف: (إِذَا كَانَ عِنْدَ الرَّجُلِ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ سَاقِطٌ) رواه الترمذي والحاكم.

رابعاً: من أسباب نفور القوم من التعدد تصور التعدُّد بأنه لصالح الرجل وليس لصالح المرأة، وهذا توهُّم، لأن التعدُّد هو في الحقيقة لصالح المرأة قبل أن يكون لصالح الرجل، وذلك لتحمل المسؤولية من قبل الرجل.

ولذلك ما كان هذا النفور في سلف الأمة، بل هو في خلفها الآن بسبب الهجمة الشرسة على دين الله تعالى، والطمع في زيادة الفسق والفجور، وعدم رغبة الغرب ببقاء حصن الأسرة قائماً بالشكل المشروع.

يا أختاه احذري الخداع:

أمة الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: يجب على المرأة أن تحذر من خداع دعاة الفساد والضلال الذين يريدون الشهوات، ويريدون أن تكون المرأة ألعوبة في يد الرجال، وأن تكون فريسة لهم، لأنهم لا يريدون تحمل مسؤولية الزواج.

هؤلاء حاقدون على الإسلام، هؤلاء لا ينظرون إلا للساعة التي هم فيها، يريدون المرأة لقضاء الشهوة، دون تفكير في شيخوختها وما تؤول إليه عند كبر

سنِّها.

يا أختاه: المرأة عند الغرب إذا شاخت وهرمت وانقطع مطمع الرجال فيها هجروها، وصار الوفي الوحيد لها هو الكلب، هل ترضين هذا لنفسك يا أختاه؟

أنت تعلمين يا أختاه حال المرأة المسلمة إذا شاخت في دين الله تعالى حيث تصبح بركة البيت، ويطلب منها الدعاء، والكل يحاول إرضاءها.

يا أختاه: إن التعدُّد ضرورة اجتماعية، ورحمة بالمرأة، ورعاية لها، لأن الإسلام حريص على عفَّتها وطهارة ذيلها، ومن هذا المنطلق ضمن الإنفاق عليك وأنت بنت، وأنت زوجة، وأنت أم، حتى لا تحتاجي إلى الخروج من المنزل.

يا أختاه: أنت لا تعرفين مكر الرجال الفساق، ولا مكر أهل الفجور، ولذلك قيَّد الإسلام عقد زواجك بوجود ولي أمر لك، والله ليس انتقاصاً لقدرك، بل من أجل سلامتك من كيد الرجال الفساق، لذلك قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا نِكَاحَ إِلا بِوَلِيٍّ) رواه الترمذي. وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا، فَإِنْ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ لَهُ) رواه الترمذي. وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، وَلا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الزَّانِيَةَ هِيَ الَّتِي تُزَوِّجُ نَفْسَهَا) رواه ابن ماجه.

يا أختاه: سلي هؤلاء الذين يحاربون تعدُّد الزوجات: ما هو البديل عن التعدُّد؟ فإن أعطوك البديل الذي يجعلك زوجة شرعية أو أماً لأولاد شرعيين فأخبرينا. سلي هؤلاء ما هو البديل. والمرأة بحاجة إلى رجل.؟ لقد خدعوك وربِّ الكعبة.

وصايا لمن عدَّد أو أراد التعدُّد:

أيها الإخوة الكرام: تذكَّروا حديث الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كل رجل من المسلمين على ثغر من ثغر الإسلام، اللهَ اللهَ أن يؤتى الإسلام من قبلك) رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة.

فيا أيها المسلم الذي تزوَّج أكثر من واحدة، أو يريد التعدُّد، اسمع لهذه النصائح حتى لا تكون سبباً في الإنكار على دين الله عز وجل:

أولاً: المساواة التامة والعدل بين الزوجات، وهذا واجب شرعاً على الزوج، وليس من باب التفضُّل. ويجب أن يكون العدل في المنشط والمكره، وفي الرضا وفي الغضب، وإلا وقع في الظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة، قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}.

ثانياً: عدم نقل الحديث عما يحدث بينه وبين إحدى زوجاته للثانية، لأن هذا يغيظها.

ثالثاً: الدفاع عن زوجته إذا ذكرتها ضرَّتها، وليعلمها أنه لا يسمح لها بذكر ضرَّتها، كما لا يسمح لضرَّتها بذكرها في غيبتها.

رابعاً: أن لا يؤدب إحدى زوجاته أمام ضرَّتها.

خامساً: أن يعالج الأمور بين نسائه بحكمة. ورائده في ذلك حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: علِّموا بناتكم قبل الزواج، ونساءكم، أن تتقي المرأة ربَّها عز وجل في زوجها، وأن لا تدفعه إلى الزواج بثانية، بسبب تقصيرها في حق زوجها من حيث الفراش.

وإن تزوَّج الرجل فيحرم على الزوجة أن تلومه، وكذلك يحرم على أصولها وفروعها هذا، لأن الله تعالى قال: {فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين}.

وأخيراً أذكر لكم حكمين شرعيين في هذا الموضوع:

الأول: إن رفع دعوى على الزوج من قبل الزوجة لتثبيت عقد زواجها عند القاضي، وفي الحقيقة ما تمَّ العقد بينهما، هو تثبيت باطل شرعاً لا أثر له ديانة، وإن ثبت في القضاء أنهما زوجان.

الثاني: تزويج المرأة لنفسها بغير إذن وليِّها هو زواج باطل، وإن كان ولا بدَّ من إجراء العقد بدون ولي لسبب مبرر ومقبول فليكن هذا العقد عند القاضي الشرعي، لأنه ولي من لا ولي له.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

210ـ خطبة الجمعة: مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٨) طلب طلاقها أو طلاق ضرَّتها

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الخطبة الماضية:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، لقد ذكرت لكم في الأسبوع الماضي سبباً من أسباب الخلافات الأسرية، والتي تكون الزوجة فيها سبباً، وهو إذا تزوج الرجل زوجة ثانية على زوجته، حيث تقوم قائمة الزوجة مع أصولها وفروعها ومن يلوذ بها، وفي هذا الاعتراض خطر على إيمانها وإيمان كلِّ من يعترض على مسألة التعدد، لأن الله تعالى يقول: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا}. ومن جملة ما قضى الله ربنا قوله تعالى: {فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا}.

احذروا مداخل الشيطان:

أيها الإخوة الكرام: عندما تعترض الزوجة على مسألة التعدد، ويعترض أصولها على ذلك، وتحدث المشاكل من خلال هذا، أقول لولي الزوجة الذي اتخذ الموقف من زوج ابنته: هل تذكر صيغة عقد الزواج التي كانت بينك وبينه؟ هل تذكر أنك زوَّجته على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ هل خالف زوج ابنتك كتاب الله تعالى في تعدُّده؟ أم ابنتك هي التي خالفت؟ أيُّهما

الظالم الذي يؤخذ على يديه؟ وأيُّهما المظلوم الذي يجب أن نقف معه؟

يا عباد الله: إن الاعتراض على حكم من أحكام الشريعة يجعل للشيطان مدخلاً وسبيلاً على المعترض، قال تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُون}. فالشيطان سلطانه على أهل المعاصي وخاصة على المعترضين على الأحكام الشرعية.

وإنَّ أقصى ما يتمناه الشيطان هو التفريق بين الأزواج، لأن التفريق بين الأزواج هو التفريق بين الأمة كلِّها، لأن الأسرة هي نواة المجتمع، وهذا ما أكَّده لنا النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: (إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وإذا تدخَّل الشيطان في هذه القضية حرَّك إخوانه من شياطين الإنس، قال تعالى: {شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُون}.

وإني أقول لهؤلاء الذين يعترضون على مسألة التعدُّد من عالم الإنس: اسمعوا يا من يحرِّض المرأة على الشقاق إذا تزوَّج زوجها عليها، ماذا يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللهِ الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، البَاغُونَ البُرَآءَ العَنَتَ) رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن غنم رضي الله عنه.

هل سمع هذا النمَّام المفرِّق بين الأحبة حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ هل سمع هذا الذي يحرِّض المرأة على الشقاق وطلب

الطلاق هذا الحديثَ الشريف؟ وهل يرضى أن يكون هذا وصفه؟

المعصية تجرُّ أخرى:

أيها الإخوة الكرام: اعلموا بأن المعصية تجرُّ للعبد معصية أخرى، كما أن الطاعة تجرُّ للعبد طاعة أخرى، عندما تعترض الزوجة ومن معها على مسألة التعدد، فإن هذا الاعتراض معصية يجرُّ إليهم معصية أخرى ألا وهي مسألة طلب الطلاق، إما طلاق الزوجة الأولى أو طلاق الزوجة الثانية.

طلب الطلاق من غير بأس معصية:

أيها الإخوة المؤمنون: إن الجهل في دين الله عز وجل يوقع العبد في المعاصي من حيث يدري ومن حيث لا يدري، ومن جملة الجهلِ الجهلُ في أحكام الطلاق، يجب علينا أن نعلم الأمور التالية:

أولاً: الطلاق حلال، ولكنه ليس محبوباً عند الله تعالى إذا كان من غير مبرِّر شرعي مقبول، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَبْغَضُ الحَلالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى الطَّلاقُ) رواه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنه.

هذا إذا استُخدِم في غير محل، لأن الطلاق الذي شرعه الله تعالى هو في الحقيقة شُرع لداء استعصى حلُّه على الزوجين، وإن التعدُّد ليس بداء، بل هو دواء.

ثانياً: الحياة الزوجية لا تخلو من منغِّصات، لأن الرجل ما تزوَّج معصومة، والمرأة ما تزوَّجت معصوماً، وهذا ما أكَّده النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه الإمام الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

فإذا تزوَّج الرجل ثانية فيجب على المرأة أن لا تقع في خطأ جسيم وكبير، ألا وهو طلب الطلاق من زوجها، لأن هذا لا يجوز شرعاً، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا

رَائِحَةُ الْجَنَّةِ) رواه الترمذي عن ثوبان رضي الله عنه، وفي رواية الحاكم في المستدرك عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس، حرم الله عليها أن تريح رائحة الجنة). من يرضى هذا الحرمان لنفسه أو من يلوذ به؟

وروى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْمُخْتَلِعَاتُ وَالْمُنْتَزِعَاتُ هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ). وفي رواية الإمام البيهقي: (إن المختلعات هنَّ المنافقات). يعني هذا من أفعال المنافقين الذين تباينت أقوالهم عن أفعالهم، أما المؤمن فلا، المؤمن والمؤمنة تطابقت أقوالهم مع أفعالهم، ولا يخرجون عن حدود الشريعة قيد أنملة، وإنَّ طلب الطلاق بسبب التعدُّد لا يجوز شرعاً، المؤمن والمؤمنة يقولان للأحكام الشرعية سمعنا وأطعنا، أما المنافق والمنافقة فيقولان: سمعنا وعصينا.

طلب طلاق الضرَّة حرام شرعاً:

أيها الإخوة الكرام: من الجهل في أحكام الطلاق، أن تطلب المرأة أو من يلوذ بها أن يطلِّق الزوج ضرة زوجته، وهذا حرام شرعاً، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا تَسْأَلْ الْمَرْأَةُ طَلاقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا، وَلْتَنْكِحْ فَإِنَّ لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي رواية أخرى للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلاقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا).

العلة في هذا:

أيها الإخوة الكرام: الإسلام حريص كلَّ الحرص على سلامة المجتمع وطهارته، الإسلام لا يريد أن تبقى امرأةٌ عانساً، ولا امرأةٌ أرملةً، ولا امرأةٌ مطلقةً، وإلا عاث الفساد في المجتمع، ولا يسع المرأة إلا ما شرعه الله تعالى، وإنَّ بقاءها في عصمة

زوجها إذا عدَّد خير لها من الطلاق، والواقع أكبر شاهد على ذلك.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: لنعلِّم نساءنا وبناتنا أن التعدُّد هو لصالح المرأة قبل أن يكون لصالح الرجل، والمرأة التي تَضِيقُ ذرعاً من مسألة التعدد، لتنظر إلى أمهاتنا أمهات المؤمنين، فلقد تزوَّج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعدَّد نساءه، ألا يكفي المرأة شرفاً أن تكون أمهات المؤمنين أسوةً صالحة لها؟ وعارٌ على المرأة المسلمة أن تجعل من المرأة الغربية أو الشرقية غير المسلمة قدوة لها.

يا عباد الله: إن الإسلام حذَّر المرأة أن تطلب طلاق نفسها إذا عدَّد زوجُها النساء، كما يحرم عليها طلب طلاق ضرَّتها، وإلا فلا تشمُّ رائحة الجنة، إذا كان طلب طلاقها من غير مبرِّر.

أما إذا كان الرجل لم يعدل بين نسائه، وأخذت المرأة تتضرَّر بسبب جَوْرِ زوجها وظلمه لها، ولم تبق عندها المقدرة على الصبر، وخشيت على نفسها من الوقوع في عقوق زوجها، أو خشيت على نفسها من الفتنة في دينها لا قدَّر الله تعالى، فلا حرج عند ذلك من طلب الطلاق والله تعالى أعلم.

أسأل الله تعالى أن يبصِّرنا بأحكام ديننا، وأن يجعلنا من الوقَّافين عند حدود الله تعالى، وأن لا يحمِّلنا ما لا طاقة لنا به، إنه خير مسؤول وخير مأمول.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله العظيم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

211ـ خطبة الجمعة: مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٩) تدخل الزوجة في شؤون زوجها المالية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد فطر الله عز وجل الإنسان على حبِّ المال، فقال تعالى: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيد}. وقال جلَّت قدرته: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}. وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلاَّ الْمُصَلِّين}.

ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ لابْتَغَى إِلَيْهِمَا آخَرَ، وَلا يَمْلأُ بَطْنَ ابْنِ آدَمَ إِلا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ) رواه الإمام أحمد عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

وقال بعضهم: المال شقيق الروح، وكأن هذا مشتقٌّ من قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. الإنسان يحبُّ المال ويعشقه بالفطرة، وهذا النوع من أنواع الاختبار والابتلاء له، ويجب عليه أن يطهِّر قلبه من حبِّ الدنيا بكلِّ صورها، والتي من جملتها حبُّ المال، وأن لا يكون هو الشاغل له.

تدخُّل الزوجة في شؤون زوجها المالية:

أيها الإخوة الكرام: من خلال هذه المقدمة، أقول: إن من أسباب الشقاق والخلاف في الحياة الزوجية تدخُّل المرأة في شؤون زوجها المالية، وكم من مشكلة

وقعت في الأسرة لهذا السبب، وبعض المشاكل وصلت إلى طلاق المرأة، وتهديم الأسرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

صور تدخُّل الزوجة في شؤون زوجها المالية:

يا عباد الله، بعض النساء إذا شعرت وعلمت بأنَّ زوجها ينفق من ماله على والديه صلة ومحبة، وينفق على إخوته وأخواته تقرُّباً إلى الله تعالى، فإن قائمة هذه الزوجة تقوم ولا تقعد، وتعترض أشد الاعتراض، وتُحدث المشاكل بينها وبين زوجها لهذا السبب، وتتذرَّع بالأمور التالية:

أ. نحن بحاجة إلى جمع المال من أجل تأمين السكن وتوسيعه.

ب. نحن بحاجة إلى جمع المال من أجل تغيير أثاث البيت.

ج. نحن بحاجة إلى جمع المال من أجل تأمين مستقبل أولادنا.

د. نحن بحاجة إلى جمع المال من أجل تزويج أبنائنا وبناتنا.

هـ. نحن بحاجة إلى جمع المال من أجل أن تشتري لي بيتاً وسيارة.

تحاول هذه المرأة جاهدة أن تصرف زوجها عن النفقة على والديه وإخوته وأخواته.

أقول لهذه المرأة: يا أختاه، تذكَّري أساس عقد الزواج، أن العقد كان على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فهل هذا التدخُّل بإذن من الله تعالى ومن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ هل هذا التدخُّل يرضي الله عز وجل ويرضي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ أما تحفظين قول ابن عطاء الله السكندري رحمه الله: من علامات النُّجح في النهايات، الرجوع إلى الله في البدايات؟ ومن لم يرجع إلى الله في بداياته، كان خاسراً في نهاياته.

يا أختاه: هل تذكرين حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

وصحبه وسلم: (مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إن إعطاء الرجل لأبويه أو لإخوته هذا أمر خاصٌّ به، وهو مسؤول عنه يوم القيامة، بشرط أن لا يكون هذا العطاء على حساب الواجب الذي ألقاه الله تعالى على عاتقه نحو الزوجة وأولاده.

يا أختاه: أما تعلمين بأنَّه من الواجب على الولد أن يكون باراًّ بوالديه، وأن يصل رحمه، ومن البرِّ والصلة العطاء، وخاصة إذا كانوا بحاجة؟

الإسلام ربَّى الأبناء على برِّ الوالدين والإحسان إليهما، كما ربَّى على صلة الأرحام، والمرأة السعيدة هي التي تكون عوناً لزوجها على برِّ الوالدين، وصلة أرحامه، والشقيَّة ـ لا قدَّر الله تعالى ـ هي التي تحرِّض على عقوق الوالدين وقطيعة الرحم.

يا أختاه: تذكَّري أنك ستكونين أماً لأولاد، وسوف تزوِّجي أبناءك، فهل ترضين أن تُعامَلي من قبل أبنائك ونسائهم، كما أنت تطلبين من زوجك أن يتعامل مع والديه؟ وهل ترضين أن يتعامل أبناؤك مع بعضهم البعض، كما تطلبين من زوجك أن يتعامل مع إخوته؟

كوني على حذر أن يكون عندك مكيالان، مكيال لأبوي زوجك، ولإخوته، ومكيال لنفسك ولأبنائك، تذكَّري قول الله تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِين * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُون * أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين}.

حرِّضي يا أختاه زوجك على برِّ والديه والصلة لهما، وحرِّضيه على صلته للأرحام، وخاصة الإخوة والأخوات، وحرضيه على الإنفاق عليهما وعليهم من غير مضرَّة لك ولأبنائك.

وتذكَّري وذكِّريه بقوله تعالى: {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ

الرَّازِقِين}. وبقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَا نَقَصَ مَالُ عَبدٍ مِن صَدَقَةٍ) رواه الترمذي عن أبي كبشة وقال: حسن صحيح.

أخذ المرأة من مال زوجها بدون علمه:

أيها الإخوة الكرام: بعض النساء تتعدَّى على حقوق الزوج في أموره المالية، فتأخذ منه بدون علمه، وهذا نوع من أنواع الخيانة الزوجية. إلا في حالات استثنائية ذكرها الفقهاء.

هذه المرأة، هل نسيَتْ قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله) رواه أبو داود وابن ماجه؟

والأسوأ من ذلك، عندما تأخذ المرأة من بيت زوجها لتدفع ذلك لأهلها بدون علم زوجها، وهذا نوع من أنواع السرقة، وأكل أموال الناس بالباطل، وكيف يرضى أهلها بذلك، وهم يذكرون قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ}؟

أنسيَتْ هذه الزوجة وأهلها حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّهُ لا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ) رواه الترمذي؟ وهذا الأخذ من مال الزوج بدون علمه هو أمر غير مشروع، وهو يؤدي إلى خلاف أسري.

طلبها من زوجها المال بغير حق:

أيها الإخوة الكرام: من الأسباب التي تجعل الخلاف بين الزوجين طلب الزوجة المال من زوجها بغير حقِّها، متذرِّعة بتأمين مستقبلها، وكأنها تضمن لنفسها الحياة بعد زوجها، مع العلم بأن حقَّ المرأة على زوجها طعامها وشرابها ولباسها وسكنها، وهذا الأمر يؤدي إلى نشوب الخلاف بين الزوجين، والمرأة ليس لها مستند شرعي في ذلك.

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نعلِّم نساءنا وبناتنا هذه الأحكام الشرعية،

لنضمن لأنفسنا سعادة الدنيا والآخرة.

كن على حذر من التدخل في شؤون زوجتك المالية:

أيها الإخوة الكرام: كما أنه لا يحقُّ للزوجة أن تتدخَّل في شؤون زوجها المالية، كذلك لا يحقُّ للرجل أن يتدخَّل في شؤون زوجته المالية.

هناك من الأزواج من يتدخَّل في شؤون زوجته المالية من تركة أو مرتَّب أو ذهب، ويغضب إن تصرَّفت في مالها، وخاصة إذا أعطت لأهلها منه شيئاً.

يا أخي الكريم، إذا كنت تغضب من تصرُّف زوجتك في مالها الخاص بها، فلا تستغرب أن تغضب زوجتك في تصرُّفاتك الماليَّة الخاصَّة بك.

وهناك من الأزواج من يتلفَّظ بأيمان الطلاق والحرام ليقيد زوجته في أمورها المالية.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: كونوا قدوة صالحة لنسائكم، ولا تتدخَّلوا في أمورهنَّ الخاصَّة بهنَّ، وخاصة المالية، وتلطَّفوا إليهنَّ إذا تدخَّلن في شؤونكم، ولنحفظ جميعاً قول الله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور}.

وختاماً يا أختاه اتقي الله في زوجك، فهو جنتك ونارك، ولا تتدخَّلي في أموره المالية، وكوني صاحبة خلق حسن، فالخلق الحسن ما وجد في شيءٍ إلا زانه، وما فقد من شيءٍ إلا شانه.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله العظيم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

212ـ خطبة الجمعة: مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(١٠) سوء الظن بزوجها

بسم الله الرحمن الرحي

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن أشدَّ الآفات فتكاً في الأسرة والمجتمع سوء الظن، بسوء الظن يُقضى على روح الألفة، وتُقطع المودَّة، وتتولَّد الشحناء والبغضاء، وتنقلب الأسرة والمجتمع إلى جحيم وشقاء.

سوء الظن لا يصدر إلا من مرضى القلوب، الذين لا ينظرون إلا بمنظار أسود، الكلُّ عندهم مُدان ومتَّهم، وكما قالوا: يظنون بالآخرين كما يظنون بأنفسهم.

هؤلاء أسوتهم ذاك الرجل الذي بلغ به سوء الظن إلى أن يظنَّ بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ظناً سيئاً، عندما قال بعد تقسيم الغنائم: (وَاللَّهِ إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله) رواه البخاري عن عبد الله رضي الله عنه.

هذا شأن وحال مرضى القلوب، أما القلوب السليمة الصافية النقيَّة هي التي تُحسن الظنَّ، وتلتمس الأعذار لغيرها، كما قال بعضهم: إني لألتمس لأخي المعاذير من عُذرٍ إلى سبعين، ثم أقول: لعلَّ له عذراً لا أعرفه.

حسن الظن من شيم الكرام، من شيم أصحاب القلوب النقيَّة، أما سوء الظن فهو من شيم اللئام، من شيم أصحاب القلوب المريضة التي ابتدأت بسوء الظن

بالله، حتى وصلت إلى سوء الظن بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، والأخطر من هذا كلِّه سوء الظن بالله تعالى، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

سوء ظن الزوجة بزوجها:

أيها الإخوة الكرام: ما زال حديثنا عن المشاكل الأسرية التي تكون المرأة فيها سبباً.

من أسباب الشقاق والخلاف بين الزوجين سوء ظنِّ الزوجة بزوجها، إن تأخَّر الزوج عن البيت قليلاً أساءت الظنَّ به، إن رأته يتحدَّث على الهاتف بصوت منخفض أساءت الظن به، إن رأته متطيِّباً متعطِّراً أساءت الظن به، إن رأته شارداً بذهنه أساءت الظن به، إن سافر مع صديق له أساءت الظن به، إن ذهب بنزهة أساءت الظن به، وهكذا...

وعندما يكون هكذا حالها، فإنها تجعل المشاكل في الأسرة، بل تقلب الحياة الأسرية إلى شقاء وجحيم، وربما أن يصل الأمر إلى الطلاق، ويتيتم الأطفال بعد أن تُرَمِّل نفسها.

النساء أمانة في أعناقنا:

أيها الإخوة الكرام: إن النساء أمانة في أعناقنا، يجب علينا أن نتعلَّم الكتاب والسنة، وأن نعلِّم هذا لبناتنا وأخواتنا، ونسائنا ومحارمنا، روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) وعدَّ منهم: (وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).

جهل نسائنا طامَّة عليهنَّ وعلينا، وربنا عز وجل يقول: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً}.

أيتها الزوجة الكريمة:

أيها الإخوة الكرام، خاطبوا نساءكم، وقولوا للواحدة منهنَّ، أيتها الزوجة

الكريمة، تعالي واسمعي كلام الله تعالى وكلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

أولاً: يقول الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}. اتركوا الظن الكثير حتى لا تقعوا في الظن السيئ الذي يوقعكم في الإثم.

ثانياً: يقول تبارك وتعالى: {وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}. لا يجوز للمسلم ولا للمسلمة أن يبني قراراته وأحكامه على أساس من الظن السيئ، كم من امرأة حكمت واتخذت القرار السيئ بناء على ظنٍ سيئ؟

ثالثاً: روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلا تَحَسَّسُوا وَلا تَجَسَّسُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَلا تَدَابَرُوا وَلا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا).

سوء الظن يفسد العلاقة الزوجية، ويفسد علاقة الآباء بالأبناء، ويفسد علاقة الإخوة بالأخوات، ويفسد علاقة الأفراد بالأفراد.

رابعاً: يا أختاه الإسلام جاء ليعلِّمنا حسن الظن، لأن فيه سلامتنا دنيا وأخرى، روى البخاري ومسلم عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلامًا أَسْوَدَ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ: قَالَ: فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ، قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ).

انظروا أيها الإخوة كيف عالج الإسلام هذه المشكلة، لأنَّ كلام الرجل هذا كلامٌ مُبَطَّنٌ، فيه اتهام للزوجة بطريق غير مباشر، ولا دليل عنده ولا برهان.

لقد ردَّه النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلى حسن الظن الذي فيه سلامة دينه وآخرته، وذلك بضرب المثل الواقعي، ولا غرابة أن يكون هذا السواد الذي أصاب الولد هو من أصول أبيه، أو أصول أمه.

سوء الظن كبيرة من الكبائر:

أيها الإخوة الكرام: علِّموا نسائكم ومحارمكم أنَّ سوء الظن بشكل عام، وبالزوج خاصةً من قبل الزوجة، كبيرةٌ من الكبائر، وهذه الكبيرة توقع المرأة في كبائر أخرى، منها:

أولاً: بسوء الظن تحتقر المرأة زوجها والعياذ بالله تعالى، واحتقار المسلمين بشكل عام لا يجوز، فكيف بالمرأة التي تحتقر زوجها، وهي تعلم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَوْ كُنْتُ آمِرًا بَشَرًا يَسْجُدُ لِبَشَرٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا) رواه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

ثانياً: بسوء الظن تقصِّر المرأة في واجباتها نحو زوجها، وهذا ما يفسد العلاقة بينهما، وكم من امرأة قصَّرت في حق زوجها بسبب سوء ظنها، فبات زوجها عليها غضبان، وبذلك تلعنها الملائكة ومن في السماء؟

ثالثاً: بسوء الظن يطول لسان الزوجة على زوجها بالإيذاء له، وكلُّنا يعلم حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، عندما ذُكرت عنده المرأةُ التي تُكثر من الصلاة والصيام، إلا أنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (هي في النار) رواه الإمام أحمد.

هذا إذا كان في حق جيران المرأة، فكيف بمن تؤذي زوجها بلسانها؟

رابعاً: بسوء الظن تقع المرأة في التجسُّس على زوجها، وتتبُّع عوراته، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حذَّر من هذه الكبيرة بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لا

تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ) رواه الإمام أحمد عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

انظروا أيها الإخوة الكرام، إلى هذه الكبيرة التي جرَّت من ورائها كبائر وموبقات ومهلكات، وقد يؤدي هذا إلى إفلاس العبد يوم القيامة.

لو أحسنت المرأة ظنها لكان خيراً لها، لأن حسن الظن تؤجر عليه يوم القيامة، وإن كانت الحقيقة خلاف ذلك، أما سوء الظن فقد يوقعها في الإثم يوم القيامة إذا كانت الحقيقة خلاف ذلك، وصدق الله القائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: طوبى للمرأة لو اشتغلت بعيوب نفسها فأقبلت على إصلاحها، ورحم الله من قال: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الآخرين.

طوبى للمرأة التي تقرأ القرآن بتدبُّر، وكذلك أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم التي تحضُّ على حسن الظن بالآخرين، وطوبى للمرأة التي استحضرت الوقوف بين يدي الله عز وجل، وهي تتذكَّر قول الله تعالى: {أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين }.

وإذا وقعت المرأة في سوء الظن نحو زوجها فعليها أن تتفكَّر في هذه الكلمات التي ذكرناها، فإن لم تستطع على حسن الظن فلا أقل في أن لا تعمل بسوء الظن، وذلك باتخاذ القرارات وإصدار الأحكام على زوجها، حتى لا تقع في الإثم الذي يجعلها لا قدَّر الله تعالى في نار جهنم إذا لم يسامحها زوجها، ولم يغفر لها ربنا عز وجل.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يرزقنا حسن الظن بالله تعالى، وحسن الظن بالناس.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله العظيم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

213ـ خطبة الجمعة: كيفية معالجة نشوز المرأة(١(

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد جاءنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بشرع يعلَّمنا من خلاله الإحسان بين الزوجين، والمعاشرة بالمعروف بينهما، ويحذر من التسرُّع في الطلاق، لأنه كارثة على الأسرة، به تنهار البيوت على من فيها، فيعيش الأبناء كأنهم يتامى، وتعيش المرأة كأنها أرملة، ولأنه يؤدي إلى شقاق وخلاف لا بين الزوجين فقط، بل بين العائلتين المتصاهرتين.

جاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ليعلِّم الأمة.

ورجالها خاصة. كيف يكون علاج نشوز المرأة، وجعل الطلاق آخر علاج، وذلك إذا استعصت الأمور، وجعل للطلاق آداباً وشروطاً.

اعلم قبل الشروع في معالجة النشوز:

أيها الإخوة الكرام: يجب على الرجل قبل أن يعالج المشاكل الأسرية، وقبل أن يعالج نشوز المرأة عليه، أن يتذكر قول الله تعالى في سورة النساء: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ}.

أيها الرجل، أيها الزوج الكريم، تدبَّر هذه الآية تدبُّراً جيداً، لقد رفعك الله تعالى على الزوجة درجة، فجعلك القائد والأمير، وجعلك سيداً في بيتك، بما فضلك الله تعالى من قوة في العقل والجسد، وقيام بالنفقة.

ولكن يجب عليك أن تعلم بأن هذا الرفع هو رفع تكليف لا رفع تشريف وتكريم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}، فالأكرم والأشرف والأفضل هو الأتقى.

هذا الرفع على المرأة هو في الحقيقة نوع من أنواع الابتلاء، قال تعالى: {وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ}، وقال: {وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}.

هذا الرفع لا من أجل أن يكون الرجل فرعونياً في بيته ظالماً جباراً، هذا الرفع اختبار وابتلاء، وقد جسد ذلك سيدنا سليمان عليه السلام بقوله: {هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}.

النساء على قسمين:

أيها الإخوة الكرام: يجب على هذا الرجل الذي رفعه الله تعالى درجة، أن يعلم بأن الله تعالى قسم النساء في القرآن العظيم على قسمين، وعرف الرجل كيف يتعامل مع كل قسم منهن.

القسم الأول: النساء الصالحات الطائعات:

قال الله تعالى: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ}. هذا القسم من النساء هنَّ العاملات بالخير، المراعيات حق الله تعالى، ثم حق الأزواج، هنَّ اللواتي أصلحن العلاقة فيما بينهنَّ وبين الله عز وجل، وبينهنَّ وبين أزواجهنَّ.

هنَّ القانتات الطائعات لأمر الله تعالى، ولأمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ثم لأمر أزواجهنَّ في غير معصية لله تعالى.

هنَّ الحافظات لحدود الشرع في الغيبة والحضور، في السر والعلن، والحافظات لأسرار البيوت، فلا يفشينه لأقرب الناس إليهنَّ، والحافظات لأعراضهنَّ في غياب الزوج، وكذلك لماله.

هذا القسم هنَّ خير النساء اللواتي قال عنهنَّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَلا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ) رواه أبو داود. وفي رواية لابن ماجه: (مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ).

أيها الزوج الكريم: تعامل مع هذا القسم من النساء من خلال قول الله تعالى: {هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَان}، ومن خلال قوله تعالى: {وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}.

تعامل مع هذا القسم بالفضل لا بالعدل، أعطها أكثر من حقها، أحسن إليها في كل شيء، تكريماً لها وتودُّداً ووفاء ومكافأة.

القسم الثاني: النساء الناشزات العاصيات المتمرِّدات:

والمرأة الناشز هي التي ارتفعت واستعلت على زوجها بجمالها أو مالها أو حسبها أو علمها، أو بأي نعمة من النعم التي أسبغها الله تعالى عليها.

وإني أقول لهذه المرأة: يا أختاه، ما حباك الله تعالى إياه من نعم هو في الحقيقة اختبار، كما كان الرفع للرجل على المرأة درجةً اختباراً وابتلاء.

تذكري يا أختاه قول الله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}، فلا تجعلي نعمة الله تعالى عليك سبباً للاستكبار والاستعلاء، وخاصة على الزوج الذي هو جنتك ونارك.

يا أختاه: النشوز كبيرة من الكبائر، ومعصية لله عز وجل، وهو حرام على المرأة المسلمة، لأنه يولد الشحناء والبغضاء، ويوجب النفور بين الزوجين، ويُلحق البلاء بالزوجين، ويؤدي إلى ضياع الأولاد، ووجود الأسوة السيئة بينهم.

كيف يعالج نشوز المرأة؟

أيها الإخوة الكرام: لقد رسم لنا ربُّنا عز وجل، الذي يعلم طبيعة الرجل والمرأة، طريق معالجة نشوز المرأة، فقال تبارك وتعالى: {وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً}.

أيها الزوج الكريم: قالوا: درهم وقاية خير من قنطار علاج، عالج نشوز المرأة قبل وقوعه، لأن الله تعالى قال: {وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ}، عليك بمراقبة الزوجة، فإذا رأيت منها بوادر الاستعلاء والتمرد، وبوادر العصيان ومخالفة الأمر، فعالج ذلك بالطريق الذي رسمه الله تعالى لك، ألا وهو الموعظة الحسنة.

عالج نشوز المرأة بالطريق الذي رسمه الله لك لتضمن سلامة الدنيا والآخرة، لأن الكل مرجعه إلى الله تعالى، قال تبارك وتعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم}.

احذر أن تعالج نشوز المرأة من غير هذا الطريق الذي أوضحه الله عز وجل لك، لأن في ذلك خسارة لدنياك وآخرتك.

عالج نشوز المرأة بالموعظة الحسنة، والموعظة الحسنة هي التي تنبع من قلب

شفوق رحيم، بأسلوب حسن لطيف، كما أرشد الله عز وجل إلى ذلك سيدنا موسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما إلى فرعون، فقال تعالى: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}.

لأن الأسلوب الفظ الغليظ مرفوض، وهو سبب من أسباب النفور، قال تعالى: {وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}.

لتكن موعظتك بليغة تنفذ إلى القلوب وتحرِّكها، ويظهر أثر ذلك على العين حين تذرف خوفاً وخجلاً وحباً وتقديراً.

وهذا بعض أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ) رواه الترمذي.

ومن صور الموعظة الحسنة:

١. ذكِّرها بآيات الله تعالى في القرآن العظيم، وبأحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم التي تحرِّضها على القيام بواجباتها نحو زوجها.

٢. ذكِّرها بثمرة الوفاق بينك وبينها، وذلك من خلال تربية الأبناء الذين يكونون ذخراً لكم في الدنيا والآخرة.

٣. ذكِّرها بالوقوف بين يدي الله عز وجل، الذي يعلم السر وأخفى، وبأن الله تعالى سائل كلاً من الزوجين عن حق صاحبه.

٤. ذكِّرها بأن الطلاق دمار للأسرة، وتيتيم للأطفال، وإفساد للأسرة التي هي نواة المجتمع، فبصلاحها صلاح الأسرة وبفسادها فساد الأسرة.

هذه الأسرة أمانة في عنق الزوجين، فدرِّب نفسك أيها الزوج الكريم على القول الحسن، على القول بالمعروف، على القول الذي يرضي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

درِّب نفسك على قول لا تندم من بعده، ولا يلجئك إلى الاعتذار.

أسأل الله تعالى أن يحفظ الجميع من جميع الفتن، وأن يصلح أحوال بيوت المسلمين.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

214ـ خطبة الجمعة: كيفية معالجة نشوز المرأة(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

من خلال قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} نعلم بأن الله تبارك وتعالى خلق الزوجين الذكر والأنثى، وربط بينهما برباط شرعي ألا وهو الزواج الذي سنه لنا النبي صلى

الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كما سنَّه الأنبياء والمرسلون من قبل.

شرع ربنا عز وجل الزواج، وأراد بذلك تحقيق السكن للزوجين، وهدوء الأعصاب، وطمأنينة للروح، وراحة للجسد، ثم جعله ستراً وإحصاناً وصيانة، ثم مزرعة للنسل، وامتداداً لحياة الزوجين، فقال تبارك وتعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون}. وقال سبحانه: {هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ}.

القوامة للرجل بأمر الله تعالى:

أيها الإخوة الكرام: ربنا عزو جل الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، ويعلم ظاهره وباطنه لم يجعله معصوماً، بل جعل العصمة للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فقط، وما عداهم خطاء، كما جاء في الحديث الشريف: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه الإمام أحمد والترمذي.

وصيانة للأسرة من التفكك والضياع جعل القوامة بيد الرجل قوامة تكليف لا تشريف، فقال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ}، وجعل حقَّ تأديب الزوجة الناشز لزوجها، فقال تعالى: {وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً}، وهذا من أجل سلامة الأسرة التي هي نواة المجتمع، ومن أجل سلامة دين المرأة ودنياها وآخرتها.

ربنا عز وجل شرع حقَّ التأديب كإجراء وقائي عند خوف نشوز المرأة للمبادرة بالإصلاح، لا لزيادة إفساد القلوب، وملئها بالبغض والحقد والحنق.

حق التأديب ليس معركة بين طرفين:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ حقَّ التأديب الذي أعطاه ربنا عز وجل للرجل ليس من أجل إنشاء معركةٍ بين الرجل والمرأة، يُراد من خلال هذا الحق تحطيم رأس المرأة حين تهمُّ بالنشوز، لا أبداً، لأنَّ المرأة مكرَّمة في دين الله عز وجل، وما بين الرجل

والمرأة هو تكامل لا تنافر وتباين، الرجل يكمِّل المرأة، والمرأة تكمِّل الرجل.

المراد من هذا التأديب بشروطه أن ترجع المرأة إلى جادَّة الصواب، من أجل سلامة دينها ودنياها وآخرتها، وطبعاً هذا لا يفقهه من الرجال إلا من فهم دين الله عز وجل، أما الذي لا يفقه دين الله تعالى، فقد يظنُّ أنَّ الله تعالى أعطاه حق التأديب، من أجل أن يحطِّم رأس المرأة وأن يذلَّها، والعياذ بالله تعالى.

كيف يعالج نشوز المرأة:

أيها الإخوة المؤمنون: ذكرنا في الخطبة الماضية بأنَّ أول طريق لمعالجة نشوز المرأة هو الموعظة، وأن تكون هذه الموعظة من خلال قوله تبارك وتعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}. وتأديب المرأة الناشز هو نوع من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من أجل سلامة دين المرأة، ومن أجل سلامة دنياها وآخرتها.

والموعظة يجب أن تتحقق فيها شروط النصيحة، وهي:

أولاً: أن تكون النصيحة والموعظة سراً.

ثانياً: أن تكون بلطف من الناصح والواعظ للمنصوح.

ثالثاً: أن تكون بدون استعلاء من الواعظ الناصح على المنصوح.

ولكن قد لا تنفع الموعظة لأن هناك هوىً غالباً، أو انفعالاً جامحاً، أو استعلاءً بجمال، أو بمال، أو بمركز عائلي، أو بقيمة من القيم، تنسي الزوجة أنها شريكة لزوجها في هذه الأسرة، وليست ندّاً له في صراع ومقاومة، وإثبات وجود، عند ذلك ينتقل الزوج إلى الطريق الثاني من طرق التأديب.

الهجر في المضجع وشروطه:

أيها الإخوة الكرام: يقول تبارك وتعالى: {وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ}.

والمضجع: هو موضع الإغراء والجاذبية الذي تبلغ المرأة فيه قمة سلطانها، ومن خلاله تتحكَّم بزوجها.

وإذا لم تتعظ بالموعظة ولم تنفعها ينتقل الزوج إلى الهجر في المضجع.

وهذا يعني أنَّ الزوج يهجر زوجته في الفراش فقط لا في البيت، ولا في الحجرة الخاصَّة به وبزوجته، ينام بجانبها ويوليها ظهره.

لماذا الهجر في المضجع فقط:

أولاً: حتى لا تفضح ما بينك وبين زوجتك للآخرين، ولو كانوا من أقرب الناس إليك.

ثانياً: حتى لا تزيد في عنادها، لأنَّك إن هجرت في البيت فضحتها، وإذا علم من حولك أنَّك تنام لوحدك، فقد ينظر إليها نظرة احتقار، وهذا يدفعها لمزيد من العناد والموقف الصلب ظنَّاً منها أنها تدافع عن كرامتها.

ولن ينفعها الهجر هذا بعد فضيحتها، وكيف ينفعها الهجر مع فضيحتها أمام أهلك أو أهلها وأقاربكما، وهي لم تتعظ بالموعظة الحسنة التي ذكرناها بشروطها؟

ثالثاً: حتى لا تخرج الخلافات خارج البيت، لأنَّ الخلافات إذا وصلت لأهل الزوج، أو أهل الزوجة، أو الأقارب والأصدقاء، تعسَّر حلُّ هذه الخلافات، لأنه تتدخَّل الأهواء والآراء والمختلفة، ويكون الزوجان هما الضحيَّة.

رابعاً: الزوجة عندما ترى زوجها ضيَّقَ الخلاف بينها وبينه حتى جعلها في المضجع فقط دون أن يعلم أحد ولو من أقرب المقربين إليها، فإنَّ العاطفة تتحرَّك نحو زوجها، وبذلك تنتهي الخلافات بينهما.

اعلم هذه الأحكام أيُّها الزوج المُؤَدِّبْ:

أيها الإخوة الكرام: يجب على كلِّ زوج يريد أن يُؤدِّب زوجته الناشز، أن يتعلَّم طرق التأديب، وآداب تلك الطرق، حتى لا يقع في المخالفات الشرعية، وهو يمارس حقه الذي منحه الله تعالى إياه، فمن آداب هجر الزوجة:

أولاً: أن لا يهجر الزوج زوجته أكثر من ثلاثة أيام، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ) رواه

البخاري عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

ثانياً: أن يكون هجره في الظاهر فقط، وأن يكون قلبه منكسراً على زوجته الناشز، وهذا من كمال الشفقة والرحمة، يهجرها ظاهراً ويَدْعُو الله عزَّ وجل سرّاً؛ لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، كما جاء في الحديث الشريف: (إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ) رواه الترمذي، فقلبك وقلبها بيد الله تعالى، فليكن هجرك في الظاهر، والقلب منكسر لله تعالى من أجل إصلاح ما فسد.

أما إذا امتلأ القلب غيظاً وحقداً وبغضاً فإن هذا يؤجج النار، نار الخلافات ولا يطفئها.

أيها الإخوة الكرام: عندما هجر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم نساءه شهراً كاملاً، كان هجره في الظاهر فقط، والقلب الشريف هو القلب الشفوق الرحيم، حتى رأينا عندما نزل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا}، ماذا قال للسيدة عائشة رضي الله عنها ولكلِّ واحدة منهنَّ؟

قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (يَا عَائِشَةُ إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلا عَلَيْكِ أَنْ لا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ الآيَةَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ . حَتَّى بَلَغَ . أَجْرًا عَظِيمًا}. قَالَتْ عَائِشَةُ: قَدْ عَلِمَ وَاللَّهِ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَوَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ) رواه البخاري ومسلم.

هذا الموقف يدلُّ على ما قلناه بأن الهجر كان ظاهراً لا باطناً.

ثالثاً: لا يجوز للزوج أن يتحدَّث لأحد عن الخلافات بينه وبين زوجته، ولا عن نشوزها إلا لمن يعلم أنَّه قادر على التدخُّل للإصلاح بينهما، وإلا فهو نوع من

أنواع الغيبة المحرَّمة شرعاً، ونوع من أنواع التشهير في الزوجة التي حرَّمها الإسلام.

ليتساءل الزوج إذا تحدَّث عن نشوز زوجته لأمه وأبيه أو لأخيه أو أخته، أو لأقاربه ما الغاية من ذلك؟

تذكَّر أيها الزوج الذي يتكلَّم عن نشوز زوجته، أن زوجتك شريكة حياتك، وأنها أم لأولادك، فكيف ترضى هذا لنفسك؟

حديثك عن زوجتك أمام أولادها وأهلك وأقاربك يورِّث في نفوسهم الفساد والكراهية والبغضاء، إما لك وإما لها، وهذا يثير كرامة الزوجة فتزداد نشوزاً وعناداً، وهذا ليس من مصلحة الأسرة المسلمة.

أسأل الله تعالى أن يردَّنا إلى دينه رداً جميلاً، وأن يجعلنا ممن انضبط بضوابط الشريعة ظاهراً وباطناً في سائر أحوالنا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

** ** **

-215خطبة الجمعة: كيفية معالجة نشوز المرأة(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

ما زال حديثنا عن الأسرة ومشاكلها، وقد طال الحديث عنها، وربَّما البعض تضايق من ذلك، وقال في نفسه أو لإخوانه: إلى متى هذا الحديث والعالم اليوم يتطلَّع إلى الصلاح والإصلاح؟

أيها الإخوة الكرام: أنا فردٌ من أفراد هذا المجتمع، وأتطلَّع إلى الصلاح والإصلاح كما يتطلَّع الآخرون، ولكن تعلمون بأنَّ الأسرة هي نواة المجتمع، صلاحُها صلاحُ المجتمع وفسادُها فسادُ المجتمع، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، وإذا صلح المجتمع صلح الحكام، لأنَّ الحكام هم من هذا المجتمع، أما إذا فسدت الأسرة فقد فسد المجتمع، وإذا فسد المجتمع فسد الحكام.

تدبَّروا يا عباد الله جيداً قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا}. فصلاح الأعمال بالتقوى وبالقول السديد، وإذا صَلَحَت الأعمال صَلَحَ الحكام، جاء في الحديث الشريف الذي رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كَمَا تَكُونُوا كذلك يؤمَّر عَلَيْكُم).

فيا مريدي الصلاح والإصلاح عليكم بالتقوى والقول السديد، ففيهما الصلاح، صلاحُ الأوضاع وصلاحُ الحكام، ومن التقوى قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}. فالصادق في الصلاح والإصلاح عليه أن يهتمَّ بالأسرة، هذه الأسرة التي تكالب عليها الشرق والغرب لتقويضها.

علاج المرأة الناشز:

أيها الإخوة المؤمنون: لقد رسم لنا ربُّنا عز وجل في كتابه العظيم السبيل الواضح لعلاج المرأة الناشز، قال تعالى: {وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً}. وقد ذكرنا في الخطبتين الماضيتين كيف يكون الوعظ والهجر الذي شرَّعه الله تعالى لتأديب المرأة الناشز، واتفق جمهور الفقهاء على وجوب الترتيب في التأديب، فأولاً الوعظ بشروطه، فإن بقيت المرأة ناشزاً انتقل إلى الهجر في الفراش بشروطه، فإن بقيت ناشزاً انتقل إلى المرحلة الثالثة وهي الضرب كذلك بشروطه التي سنذكرها.

قوله تعالى: {وَاضْرِبُوهُنَّ}:

يا عباد الله: بعض الناس الذين انتعلهم الشرق أو الغرب، عندما يمرُّ على هذه الآية الكريمة يعضُّ على شفتيه ويُنَكِّسُ رأسه أمام الناس، ويرجو من الآخرين أن لا تُذكر هذه الآية، لأنَّه يعتبر هذا عاراً على المسلمين، ومطعناً في دين الله تعالى، ويقول: هل من المعقول ونحن في هذا العصر أن يتكلَّم أحد بضرب المرأة؟

يقول: الزمنُ زمنُ التقدُّم والحضارة والرقي، زمنٌ تُرعى فيه حقوق الإنسان، ومن الحقوق التي يجب أن تُرعى: عدم ضرب المرأة، بل عدم التعرُّض لذِكرِ هذا الموضوع، لأنَّ فيه طعناً في دين الله عز وجل.

من هو الآمر بالضرب:

أيها الإخوة الكرام: قولوا لهؤلاء بدايةً: هل تعلمون من هو المشرِّع لهذا

القانون؟ الذي شرَّع الضرب هو الله عز وجل القائل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى}. المشرِّع للضرب هو الخالق عز وجل القائل في كتابه العظيم: {أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ}.

هذا القرار من الله تعالى، وما دام العبد المؤمن آمن بالله تعالى ربّاً فلا يَسَعُ هذا العبد إلا الاستسلام لما شرَّعه الربُّ عز وجل، الذي يربِّي عباده بما شرَّع لهم، وبما رسم لهم من منهجٍ ليسلكوه، قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا}.

يا عباد الله، ارفعوا رؤوسكم عالياً، وأعلنوا هذا القرار الإلهي في تأديب المرأة الناشز: {وَاضْرِبُوهُنَّ}. وإياك من الاستحياء فيما شرَّعه الله تعالى.

أيها الإخوة الكرام: بعض المسلمين البُسَطاء يتحرَّجون من ذكر هذه الآية ظنّاً منهم بأنَّ هذا يخدش الإسلام والمسلمين، ينسى هؤلاء البسطاء من المسلمين بأنَّ الشرق والغرب الذي اتفقت كلمتهم على محاربة الإسلام، عندما يتخذون قراراً، ويقولون: لقد صدر قرار من مجلس الأمن بضرب دولة من دول المسلمين، وذلك من أجل تأديب طاغية من الطغاة، فيضربون الأمة، وأيُّ ضربٍ يضربونها؟ يضربون ضرباً يحرق الأخضر واليابس، ويقتلون الرجال والنساء والأطفال، ولا يُميِّزون بين طالحٍ وصالحٍ، ولا بين شابٍ وشيخ فانٍ.

عندما يصدر قرار من مجلس الأمن بالضرب بالأسلحة المدمِّرة والفتَّاكة، وعندما يصدر قرار من مجلس من مجالس الغرب، الذين نصَّبوا أنفسهم أوصياء على العالم كله بالضرب لدولة مسلمة، يُصفِّق لهم الناس، ويقولون: هذا لا بدَّ منه من أجل القضاء على الدكتاتورية في العالم، وعندما يأتي الحديث عن قوله تعالى: {وَاضْرِبُوهُنَّ}. لتأديب المرأة الناشز يتحرَّجون في ذلك، ما هذه البساطة عند هؤلاء الذين غُشِّيت أبصارهم؟

كيف تُضْرَبُ المرأة الناشز:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ الذين يحاولون الطعن في الإسلام في مشروعية ضرب المرأة الناشز نقول لهم: لا تأخذوا كلمة الله تعالى: {وَاضْرِبُوهُنَّ}. بدون معرفة كيفية الضرب وشروطه، وتجعلوها سبباً للطعن في دين الله عز وجل.

عباد الله: كما قلت: لقد شرع الله تعالى تأديب المرأة الناشز على مراحل:

الأولى: الوعظ بشروطه.

الثانية: الهجر بشروطه، فإذا بقيت المرأة ناشزاً فماذا يفعل الرجل؟

هل نترك هذه الأسرة لتتحطم، ويقع الطلاق، ويعيش الأولاد في حكم اليتامى، والزوجة في حكم الأرملة؟ هل نضحي بالأسرة بهدمها؟ أم ننتقل إلى علاج آخر هو أشدُّ وأعنف من المرحلتين السابقتين؟ أما يجب على العقلاء أن يأخذوا بأخفِّ الضررين، ألا وهو الضرب؟

أما قالوا في المثل: عند العمى يُستحسن العَوَرَ؟ لا شَكَّ بأنَّ العاقل يرتكب أخفَّ الضررين، ألا وهو الضرب بالشروط التالية:

أولاً: أن لا يكون الضرب مبرِّحاً، فيجب على الزوج أن يتَّقي الوجه، وأن لا يخدش لحماً، وأن لا يكون مؤلماً، ولا يشين جارحة، لأنَّه ضربٌ للتأديب وليس للإيلام والإذلال والتحقير.

ثانياً: أن يكون الضرب نابعاً من قلب شفوقٍ رحيم، لا من قلبٍ حقودٍ، أن يكون ضربه ضربَ الوالدِ لولده، وضربَ الأستاذِ لتلميذه، وليسَ ضربَ عدوٍّ لعدوه، فالرجل ليس جلاداً ولا سجَّاناً، لأنَّ المرأة ليست رقيقة، بل هي شقيقة الرجل، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ).

ثالثاً: أن يكون الضربُ سراً، لأنَّه إذا كانت الموعظة سراً، والهجر سراً، فمن باب أولى وأولى أن يكون الضرب سراً، لأنَّ الزوج المؤَدِّب مثله مثل الطبيب الذي يجري عمليةً جراحيةً لمريض فيها شيء من الإيلام، ألا تكون العملية سراً؟ فكذلك الضرب غير المبرِّح يجب أن يكون سراً.

رابعاً: أن يغلب على ظنِّ الرجل بأنَّ الضرب غير المبرِّح يؤدِّبُ الزوجة الناشز، أما إذا علم أنَّ الضرب غير المبرِّح لا يؤدِّبُها فيحرم عليه ضربها، وكذلك إذا علم الزوج بأنَّ الضرب المبرِّح يُؤدِّب الزوجة الناشز فإنَّه يحرم عليه ضربها، لأنَّ الإسلام لم يبح له ذلك.

وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

أيها الإخوة الكرام: اسمعوا إلى وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في ذلك:

أولاً: روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ).

ثانياً: روى الترمذي عن عَمْرو بنِ الأَحْوَصِ الجُشميِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سمِعَ النبي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم في حَجَّةِ الْوَداع يقُولُ بعد أَنْ حَمِدَ الله تعالى، وَأَثْنَى علَيْهِ وذكَّر ووعظَ، ثُمَّ قال: (أَلا واسْتَوْصوا بِالنِّساءِ خَيْراً، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوانٍ عَنْدَكُمْ، لَيْس تمْلكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غيْرَ ذلِكَ إِلاَّ أَنْ يأْتِينَ بِفَاحشةٍ مُبيِّنةٍ، فإِنْ فعلْنَ فَاهْجُروهُنَّ في المضَاجعِ، واضْربُوهنَّ ضَرْباً غيْر مُبرِّحٍ، فإِنْ أَطعنَكُمْ فَلا تبْغُوا عَلَيْهِنَّ سبيلاً، أَلا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسائِكُمْ حَقًّا، ولِنِسائِكُمْ عَلَيْكُم حقًّا، فَحَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَن لا يُوطِئْنَ فُرُشكمْ منْ تَكْرهونَ، وَلا يأْذَنَّ في بُيُوتكمْ لِمن تكْرهونَ، أَلا وحقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَن

تُحْسنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطعامهنَّ).

ثالثاً: روى أبو داود والنسائي عن إِياس بنِ عبدِ الله بنِ أبي ذُباب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (لاَ تَضْرِبُوا إِمَاءَ الله، فَجاءَ عُمَرُ رضي الله عنه إلى رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم، فَقَالَ: ذَئِرْنَ النِّساءُ عَلَى أَزْواجهنَّ، فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ، فَأَطاف بِآلِ رسولِ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم نِساءٌ كَثِيرٌ يَشْكونَ أَزْواجهُنَّ، فقال رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: لَقَدْ أَطَافَ بآلِ بَيْت مُحَمَّدٍ نِساءٌ كَثيرٍ يشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، لَيْسَ أُولِئك بخيارِكُمْ).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: وفي الختام: لقد شرع الإسلام للرجل في تأديب المرأة الناشز أن يضربها ضرباً غير مبرِّح، وقال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في حق من يضرب المرأة: (لَيْسَ أُولِئك بخيارِكُمْ).

على الرجل أن يعاشر الزوجة بالمعروف وأن يصبر على أذاها، وأن يؤدبها بالطرق التي شرعها الله تعالى مع مراعاة الأدب والشروط، فإن اتَّعظت الزوجة فبها ونعمت، وإلا انتقل إلى مرحلة رابعة، وذلك من خلال قوله تعالى: {فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا}.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعاً سعادة الدنيا والآخرة، وأن يوفِّقنا للالتزام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. إنه نعم المجيب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

216ـ خطبة الجمعة: كلمة حق أيام الفتن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، من خلال الأمانة التي أنيطت في عنق الإنسان، بقوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ}. ومن خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (ما من عبد يخطب خطبة إلا الله عز وجل سائله عنها ـ أظنه قال ـ ما أراد بها) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي مرسلاً بإسناد جيد.

من هذا المنطلق، ومن خلال الفتنة التي تمرُّ فيها الأمة العربية والإسلامية يجب علينا أن نقول كلمة الحق، والتي نبتغي منها مرضاة الله عز وجل، ولكن بين يدي هذه الكلمة لا بدَّ أن أذكر بعض الحقائق التي يجب أن لا تغيب عن أذهاننا.

لا تنسوا هذه الحقائق:

أولاً: مهمَّة العالم ـ فضلاً عن طلاب العلم ـ النصيحة بالكلمة الطيبة، والتي لا يملك طالب العلم والعالم غيرها، وفي الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ). هذا الذي يملكه العالم وطالب العلم، وينبغي أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى.

ثانياً: اليهود والنصارى ـ الصليبية الحاقدة ـ لا ترضى عن هذه الأمة إلا

بالتهوُّد أو التنصُّر، قال تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}. هذا إذا كان في حق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فكيف بالأمة الإسلامية؟

ثالثاً: الدنيا خلقها الله تعالى للإنسان، وليس العكس، قال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ}، فالإنسان أكرم عند الله تعالى من الدنيا بما فيها الكعبة المشرَّفة، كما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أنه نَظَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ)، وعندما كان المؤمن أعظم حرمة من الكعبة قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ) رواه الترمذي.

رابعاً: أعداء هذه الأمة يتربَّصون بها الدوائر، ويريدون تشتيت الأمة وتقسيمها، ويجعلون خارطة للشرق الأوسط جديدة، وذلك من خلال المكائد التي يكيدونها لهذه الأمة، ومن خلال إشعال نيران الفتن من أجل تفريقها، على مبدأ: (فرِّق تسد).

كلُّ هذا من أجل سلب خيرات هذه الأمة، بعد أن تهدم هذه الأمة بيوتها بأيديها وأيديهم، وهذا ما نراه في العراق وفي فلسطين وفي ليبيا وفي اليمن، وهذا ما يُراد لسوريا وبقية الدول الإسلامية والعربية.

خامساً: أجهزة الإعلام أغلبها مسيَّس لصالح اليهود والصليبية الحاقدة، لذلك فهي حريصة كلَّ الحرص على نقل ما يثير الفتن ويشعل النيران.

وجوب اتِّباع ورَّاث النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

أيها الإخوة الكرام: بعد أن ذكرت لكم هذه الحقائق التي يجب أن لا تغيب عنا وخاصة أيام الفتنة، أقول:

يجب على الأمة أيام الفتنة خاصة أن ترجع إلى ما إن تمسَّكت به لن تضلَّ

أبداً، ألا وهو كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، والتمسُّك بالكتاب والسنة لا يكون إلا بالأخذ عن وراث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

فالعلماء العاملون ورَّاث الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هم المتبوعون، والأمة هي التابعة لهم، ولا يصحُّ أن يكون العلماء تابعين للأمة.

ولهذا أقول: من العار على الأمة أن ترمي العلماء العاملين وراثَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالنفاق والمداهنة، وأنهم باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، فإذا رمي العلماء العاملون بذلك فكيف يكون حال العامة من الناس؟

أيها الإخوة الكرام: أقول وبكلِّ صراحة العلماء العاملون هم طبقة بين الحكام وشعوبهم، وفي الغالب الأعمِّ عند الفتن لا هؤلاء راضون عنهم ولا هؤلاء، لأنَّ كلمة الحقِّ مرَّة، وأكثر الناس لا يقبلونها، وإذا ابتعد هؤلاء وهؤلاء عن نصيحة العلماء العاملين وخاصة أيام الفتن، فإن نيران الفتن ستحرق الأخضر واليابس، وسوف يحصد الجميع الحسرة والندامة ـ لا قدر الله تعالى ـ.

أيها الإخوة المؤمنون: في أيام الفتن قد يتَّهم الناس بعضهم بعضاً بالكذب والنفاق، وقد يرمي بعضهم بعضاً بالتهم وبيعِ الدين بعرض من الدنيا قليل، ولكن لا يشك أحد من المؤمنين بكلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

من هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أيام الفتن:

أيها الإخوة الكرام: لقد أصبحنا نعيش فتناً تجعل الحليم حيران، لذلك لا يسعنا إلا أن نتوجه إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لنأخذ شيئاً من هديه الشريف في أيام الفتنة، وذلك من أجل سلامة ديننا ودنيانا وآخرتنا.

روى أبو داود في سننه عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ، يَعْنِي عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ).

نعم يا عباد الله، وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أيام الفتن أن نكون قاعدين فيها لا قائمين، فضلاً عن أن نكون ماشين إليها وساعين.

وصية الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في الفتنة أن نعطِّل السلاح الموجود عندنا، لأن الأصل فيه أن يكون على عدوِّنا لا على بعضنا البعض، فإن دخلت الفتنة علينا ـ لا قدَّر الله ـ فليكن العبد المؤمن المقتول لا القاتل، كما أرشدنا إلى ذلك الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: (فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ) الذي أشار الله تبارك وتعالى إليه بقوله: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِين * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِين * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِين * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِين}.

يا عباد الله: كونوا على حذر من إراقة دم مؤمن، ولا تنسوا بأن أعداء هذه الأمة يصدرون السلاح للطرفين المتخاصمين من الحكومات والشعوب من أجل أن يغرقوهم بالدماء، ثم يغرقوا من سلم من القتل بالديون. يا سبحان الله، هل وصلنا إلى هذا الحدِّ من الغفلة عن عدوِّنا؟!

كيف يطالب الإنسان بحقِّه؟

يا عباد الله، إن مطالبة الإنسان بحقِّه أمر مشروع، ويجب على الطرف الآخر أن يسمع له، وأن ينصفه بإعطائه حقه، ولكن أقول: ما دام أصحاب الشأن قد فتحوا المجال للأمة أن بسماع مطالبهم، ووصلت جميع المطالب إلى أصحاب الشأن فيها، ففيم الخروج للشارع؟

قلت لكم: إن أجهزة الإعلام مسيَّسة لصالح الصليبية الحاقدة، هل يرضينا أن ننشر خلافاتنا أمام العالم؟ هل يرضنا أن يتدخل الغرب في حلِّ مشاكلنا؟ هل نريد أن تصدر الأوامر من مجلس الأمن من أجل إنصافنا من الطرف الثاني؟

أيها الإخوة الكرام: أقول وبكلِّ صراحة: جور حكامنا ولا عدلهم المكذوب، هؤلاء والله ما عرفوا الإنسانية، وما عرفوا العدل ولا الإنصاف، لقد رأينا ما فعلوا في العراق وفي فلسطين وما يفعلون اليوم في ليبيا واليمن، وسائر بلاد العرب والمسلمين، أين عدلهم المزعوم؟

يا عباد الله: يجب على من يطالب بحقِّه ـ وهذا من حقِّه كما قلت ـ أن يطالب به بالأدب الذي علَّمنا إياه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لسيدنا عمر في قصة زيد بن سعنة: (يَا عُمَرُ، أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ) رواه الطبراني والبيهقي.

طالب بحقِّك بالأسلوب الهيِّن الليِّن، لأن الله تعالى عندما أرسل سيدنا موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون قال لهما: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}، فكيف إذا كان الطلب أدنى من ذلك بكثير؟

أيها الإخوة الكرام: احفظوا جيداً قول الله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون}، صاحب هذه الإرادة هو الله تعالى وحده، هو الذي إذا قال لشيء كن كان، أما البشر فلا، البشر يحتاجون إلى وقت وأسباب، فيجب على أصحاب الحق من الأمة أن يعطوا المجال لأصحاب الشأن حتى يتمكَّنوا من دراسة

طلباتهم وإخراجها قيد التنفيذ.

بعد أن رفعت طلبات الأمة لأصحاب الشأن، ووعدوا بإنجازها لماذا التظاهر بعد ذلك؟ يجب أن لا ننسى بأن هناك من لا يريد حلَّ الأمور بسلام، بل يريد إشعال نار الفتن، لذلك كثرت التظاهرات قبل حلول المواعيد، وذلك من أجل إيقاد نار الفتن، وسفك الدماء والعياذ بالله تعالى.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: مما لا شك فيه ولا ريب بأن هذا الوطن وأرضه وممتلكاته أمانة في أعناق الأمة ستسأل عنها، فلا تدَعوا المجال لأعداء هذه الأمة أن يبرروا دخولهم بلادنا من أجل سفك الدماء وسلب الخيرات، وإشعال نار الطائفية بيننا، هل يرضينا ما يجري في العالم حولنا؟

عباد الله: وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في أيام الهرج والمرج هي العبادة، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ) رواه مسلم.

أكثروا من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن العظيم وصلاة التهجد والدعاء والتضرع إلى الله تعالى في أن يصرف الله البلاء عن هذه الأمة، وأن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من جميع الفتن.

أيها الإخوة: أكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وخاصة في هذا اليوم يوم الجمعة، صلوا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة، وفي كل يوم مئة مرة على الأقل، لعله ببركة الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تنكشف الغمة.

اللهم احفظ العباد والبلاد من جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

217ـ خطبة الجمعة: جبناء أم عقلاء؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، إنَّ العلماء العاملين وُرَّاث النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما كانوا في يوم من الأيام يبيعون دينهم بعَرَضٍ من الدنيا قليل، وما كانوا في يومٍ من الأيام يخشون أحداً إلا الله تعالى، وما كانوا في لحظةٍ من لحظات عمرهم يحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه، وأسأل الله تعالى أن يحفظ لنا العلماء العاملين الذي يرشدون الناس إلى سلامة دينهم ودنياهم وآخرتهم.

العلماء العاملون في هذا البلد يدعون الأمة للمطالبة بحقها، وهذا من حقها، ويدعون الحكومة لإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، ويدعون إلى حقنِ الدماء، وصيانةِ الأعراض، والحفاظِ على الأموال العامة والخاصة.

وهناك من الناس من يدعو إلى التظاهر ولو أدَّى الأمر إلى إراقة الدماء، وقتل الأبرياء، ولو أدَّى الأمر إلى التدخُّل الأجنبي في شؤون المسلمين، فهل اعتبر هؤلاء مما فعل الغرب والصليبية الحاقدة في بلاد المسلمين من فلسطين إلى العراق، إلى مصر، إلى تونس، إلى ليبيا إلى غيرها من الدول العربية والإسلامية؟

اعتبروا يا عباد الله:

يا عباد الله، والله إنَّ العلماء الربَّانيين في هذا البلد يريدون أن يطالب الناس بحقوقهم بدون تردُّد، ويريدون من الحكام أن يقدِّموا للأمة حقوقها بدون تباطؤ،

ويريدون من الناس أن لا يتهوَّروا عند مطالبتهم بحقوقهم، لأنَّ هناك من يستغلُّ الفرص ويصطادُ في الماء العَكِر، علماءُ بلدنا في سوريا يريدون الاعتبار مما يجري حولنا، ولا يريدون لهذه الأمة أن تستغيث بالخلق حيث لا مغيث، الآن يستغيث الشعب في اليمن وفي ليبيا ولا مغيث، ووالله عارٌ على الأمة العربية المسلمة أن تستغيث بالصليبية الحاقدة، لأنَّ تلك الشعوب وتلك القوى لا تعرف الإنسانية ولا تعرف القيم، لا تعرف إلا مصالحها، ومن مصالحها أن يتهوَّد المسلمون أو يتنصَّروا لا قدَّر الله تعالى.

الانضباط بالأحكام الشرعية:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ الذي يدعو الأمة للانضباط بالأحكام الشرعية يكون جباناً أم عاقلاً؟

أنا أناشد شباب هذه الأمة من على منبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وأناشد الحكومة وكلَّ مسؤول في هذا البلد، فأقول:

أولاً: أناشدكم الله جميعاً لا تكونوا سبباً في إراقة قطرة دم واحدة، فمن كان سبباً في إراقتها فهو آثم مع القاتل، واسمعوا يا عباد الله إلى قوله تعالى: {وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}. وإلى قوله تعالى: {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}.

تدبَّروا جيداً هذه الآية الكريمة: {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ}. هل يقتل الإنسان نفسه؟ قطعاً الإنسان لا يقتل نفسه، ولكن من قتل أخاه المسلم فكأنَّما قتل نفسه، ولهذا يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ) رواه مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وليَسْمَع القاتلُ أخاه المسلم قول الله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}. لِيَسْمَع القاتلُ

أخاه المسلم إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما عندما سأله سائل: (يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، هَلْ لِلْقَاتِلِ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَالْمُتَعَجِّبِ مِنْ شَأْنِهِ: مَاذَا تَقُولُ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ؟ سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَأْتِي الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا رَأْسَهُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ، مُتَلَبِّبًا قَاتِلَهُ بِيَدِهِ الأُخْرَى، يَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا، حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ الْعَرْشَ، فَيَقُولُ الْمَقْتُولُ لِلَّهِ: رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْقَاتِلِ: تَعِسْتَ، وُيَذْهَبُ بِهِ إِلَى النَّارِ) رواه الطبراني.

أيها الإخوة الكرام: أناشدكم الله عز وجل لا تكونوا سبباً في قتل مؤمن، وأنا أخاطب بهذا الجميع حُكَّاماً ومحكومين.

ثانياً: أناشدكم الله جميعاً حُكَّاماً ومحكومين، لا تكونوا سبباً في ترويع المسلمين، وخاصة للأطفال والنساء والضعفاء، تذكَّروا جميعاً قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا تروِّعوا المسلم، فإنَّ رَوعة المسلم ظلمٌ عظيم) رواه البزار والطبراني عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه.

وهل تعلمون يا عباد الله كم من أناس تركوا صلاة الجمعة بسبب الخوف الذي أخذ ينتابهم يوم الجمعة في وقت صلاة الجمعة؟

ثالثاً: أناشدكم الله يا أيها الإخوة المسؤولون، تعجَّلوا في قضاءِ حوائج الناس، وتلبية مطالبهم المشروعة التي أقررتم بها، ولا تتأخَّروا في إنجازها، وأنتم قادرون على إنجازها مباشرة.

تذَّكروا أيها الإخوة المسؤولون حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. لا تماطلوا في إعطاء الحقِّ لأصحابه، فإن ماطلتم بذلك وأنتم قادرون على إنفاذ الحقوق لأصحابها تكونون ظَلَمَة .

اسمعوا يا عباد الله ماذا يقول الله تعالى في حق كلِّ ظالم: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ

غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}. واسمعوا إلى قوله تعالى: {يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيه}. أناشدكم الله في الإسراع لقضاء حوائج الأمة، واقطعوا الطريق على من يحاول إشعال نار الفتن في بلدنا هذا.

يا من يدعو الأمة إلى التظاهر:

أيها الإخوة الكرام: إني أتوجَّه إلى الإخوة الذين يدعون الناس إلى التظاهر، أسأل كلَّ واحد فيهم: هل أنت داعٍ للتظاهر، أم أنت مدعوٌّ؟

إن كنت داعياً للتظاهر أقول لك:

أولاً: لا تستغلَّ يوم الجمعة ووقت صلاة الجمعة خاصَّة لدعوة الناس إلى التظاهر، حتى لا تكون سبباً في ترك صلاة الجمعة، وهذا الأمر أصبح ظاهراً وملموساً، فكم وكم مِمَّنْ ترك صلاة الجمعة لهذا السبب؟ فمن هو المسؤول عن ذلك؟ أناشدك الله يا أخي: لا تكن سبباً في ترك بعض المسلمين لصلاة الجمعة، لأنَّ هناك من لا يصلي إلا صلاة الجمعة.

ثانياً: إذا كنت داعياً إلى التظاهر أنت، فأقنع أصولك وفروعك وإخوتك وعشيرتك بذلك، وتظاهر أنت وعشيرتك فالعدد يكون كافياً للتظاهر إن أقنعتهم، أما إذا لم تستطع إقناع أحد من أصولك وفروعك وعشيرتك، فأقول لك: يا أخي احترم يوم الجمعة الذي هو يوم عيدٍ للمسلمين، والذي هو يوم سعيٍ لصلاة الجمعة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}. ولا تكن يا أخي سبباً في ترك صلاة الجمعة، ولا تشوِّش على الآخرين يوم الجمعة، ولا تجعل أعصابهم متوتِّرة في يوم راحتهم.

ثالثاً: يا من يريد التظاهر طلباً للحرية وهو طلب حق، ويجب على الطرف الآخر أن لا يَكُمَّ الأفواه، ولكن سَلْ نفسك هل أنت ملتزم بهذا المطلب؟ كيف

حالك مع زوجتك وأولادك؟ هل حالك: {مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى}؟ أم أنك تفسح المجال أمام زوجتك وأولادك ومن استرعاك الله تعالى عليهم؟

رابعاً: يا من يريد التظاهر من أجل محاربة الفساد، والله هذا من صلب ديننا، وما صارت هذه الأمة خير الأمم إلا من خلال هذا، قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}.

وهذا الأمر واجب على الأمة كلِّها، وعلى كلِّ مسؤول في هذه الأمة، وكلُّ واحد فينا مسؤول، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) رواه البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يا من يتظاهر من أجل محاربة الفساد، سل نفسك هذه الأسئلة:

١. هل أنت تحارب الفساد إذا كان في بيتك، وفي بيت من استرعاك الله عليه، وفي بيوت من تلوذ بهم ويلوذون بك؟ هل زوجتك وأولادك وبناتك ملتزمون بالصلاح والإصلاح؟ ولا أريد أن أذكر صور فساد الأسرة والعوائل.

٢. هل أنت تدعو إلى محاربة الفساد إذا كان بعض أصولك أو فروعك أو إخوتك أو عشيرتك في مقام المسؤولية، وكان فاسداً ومفسداً، بل ربما كان محارباً لدين الله عز وجل ـ لا قدَّر الله تعالى ـ أم يكون ظلاً لك وللعائلة والعشيرة تستظلُّون بظلِّه؟

٣. يا من يدعو إلى محاربة الفساد، لو أنَّ أحداً من أصولك أو فروعك أو إخوتك أو عشيرتك أُخِذَ من قبل القضاء لمحاسبته من أجل فسادٍ ارتكبه ـ لا قدَّر

الله تعالى. هل تُسرع إلى القضاء من أجل إقامة الحدِّ عليه، أم تسرع لتخليصه من الحكم عليه؟

انظروا أيها الإخوة في المحاكم، لا شكَّ ولا ريب هناك ظالمٌ ومظلوم، هناك المفسد والمسيء، ولكن الكلَّ له محامٍ ومدافعٌ، أين نحن من قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه.

أيها الإخوة الكرام: لا تنسوا قول الله عز وجل: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِين * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُون * أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين}. يجب علينا أن ندعو إلى محاربة الفساد، وأن نكون أول الملتزمين بالصلاح والإصلاح، ولنذكر قول الله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُون}.

٤. يا من يدعو إلى محاربة الفساد، لا شكَّ ولا ريب أنَّ أكل أموال الناس بالباطل كبيرةٌ من الكبائر، ولكن سَلْ نفسك وكن صادقاً معها: هل أنت وزَّعت ميراث مورِّثك توزيعاً شرعياً؟ هل أدَّيت زوجتك حقَّها في الأمور المالية؟ هل تأخذ مرتَّبها ومالها وميراثها أم هي حرَّة التصرف فيه؟ أليس التعدِّي على حقوق الأخوات والأمهات والنساء من الفساد؟

٥. يا من يدعو إلى محاربة الفساد، لا شكَّ ولا ريب بأنَّ عقوقَ الوالدين وقطيعةَ الرحم من الفساد العظيم، ولكن سَلْ نفسك هل أنت عاقٌّ لوالديك أم بارٌّ بهما؟ هل أنت واصل للرحم أم قاطع لها؟

٦. يا من يدعو إلى محاربة الفساد، أليست الرشوة من الفساد؟ أليس الربا من الفساد؟ أليس النفاق من الفساد؟ أسئلة كثيرة وكثيرة جداً، فهل أنت واقع في ذلك.

لا قدَّر الله تعالى . أم لا؟

خامساً: إذا كنت داعياً للتظاهر من أجل المطالبة بحقوقك وهذا حقٌّ مشروع لك، لماذا أنت حريصٌ على تصوير تلك التظاهرة وإرسالها إلى القنوات الفضائية؟ والله الذي لا إله غيره سوف تُسأل عن ذلك يوم القيامة ماذا أردت من ذلك؟ وأنت الذي تعلم علماً يقينياً بأنَّ تلك القنوات الفضائية تريد إشعال نار الفتن لأنَّها مُسَيَّسَةٌ، وإن إرسال صور التظاهرات إلى الفضائيات يستدعي الغرب والدول الصليبية للتدخُّل تحت عنوان (رعاية حقوق الإنسان)، وهي التي وضعت حقوق الإنسان تحت أقدامها، وهذا الأمر لا يغيب عن عاقل.

وأخيراً أقول لك يا أخي الكريم:

أما إذا كنت مدعوّاً للتظاهر، سَلْ نفسك من هذا الذي يدعوك إلى التظاهر؟ الذي يدعوك إلى التظاهر ذاك الرجل الذي يعيش في ربوع الغرب، أو في أيِّ بقعة من العالم في ظلالٍ وارفة، ويجمع الدينار والدرهم، فبالله عليك كن عاقلاً ولا تكن متهوِّراً.

أيها الإخوة الكرام: نحن نطالب بحقِّنا، ونطالب الحكومة بالإسراع في إنجاز ما وعدت، ولنقطع الطريق على من أراد الخراب لبلادنا، ونؤكِّد على حقن دماء المسلمين، والحفاظ على ممتلكاتهم، والدفاع عن أعراضهم، ولا نكون سبباً في التدخُّل الأجنبي في بلادنا، فهل إذا دعونا إلى ذلك نكون جبناء أم عقلاء؟ أسأل الله أن يحفظ العباد والبلاد من شرِّ الأشرار وكيد الفجار، وأن ينصر من نصر هذا الدين، وأن يخذل من خذل المسلمين. آمين. أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله العظيم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

218ـ خطبة الجمعة: ليس لها من دون اللّه كاشفة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يقول الله تبارك وتعالى: {لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ}.

إن ما تمرُّ به الأمة العربية والإسلامية من شدَّة وضيق وسفك للدماء وفوضى شيء عظيم، ولا يكشف هذا عن الأمة إلا الله تعالى القائل: {لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ}، ولا شك بأن كلام الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً}.

علينا بالتوبة نحن أولاً:

أيها الإخوة الكرام: ما دام يقيننا بأن الذي يكشف عن الأمة ما هي فيه هو الله، فلا بد من أن نتوب إلى الله تعالى نحن أولاً، نحن الذين نعيش هذا الضنك والضيق وحياة الشقاء.

يجب علينا أن نطالب أنفسنا بالتوبة إلى الله من الفساد، بعد أن طالبنا الحكومة بحقوقنا وبمحاربة الفساد، يجب علينا أن نتوب نحن أولاً من الفساد قبل أن نأمر الآخرين بذلك، لأن الله تعالى يقول: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ

وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُون}.

يجب علينا أن نتوب إلى الله من الفساد الذي لا يحتاج إلى صدور مرسوم ولا قرار من الحكومة فيه، لأنه بوسعنا جميعاً.

أولاً: أخاطب الإخوة المزارعين:

أيها الإخوة المزارعون توبوا إلى الله تعالى من الفساد الربوي الذي سبب غور الماء في الأرض، وحبس قطر السماء، ألم يقل مولانا عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ}؟

ومن صور حرب الله تعالى أن يجعل الماء يغور في الأرض، ويحبس قطر السماء، فهل من تائب إلى الله تعالى من القروض الربوية، عسى أن يكشف الله عنا ما نحن فيه؟

ومن صور القروض الربوية ما يفعله أهل سوق الهال من قروض يقدِّمونها للمزارعين بشرط إنزال البضائع عندهم، وكلُّ قرض جرَّ نفعاً فهو رباً، فهل من تائب من ذلك، عسى الله أن يكشف عنا ما نحن فيه؟

أيها الإخوة المزارعون: إن أراضي الإصلاح ليست ملكاً شرعياً لكم، لأنها ما كانت ملكاً لآبائكم ولا لأجدادكم، ولكن أُخذت عنوة من يد أصحابها وأعطيت للأجداد، ومن الأجداد إلى الأبناء، وهكذا، أراضي الإصلاح التي تحت أيديكم هي ليست ملكاً لكم، هي أراضٍ مغتصبة، فهل من تائب إلى الله تعالى من ذلك عسى الله أن يكشف عنا ما نحن فيه؟

أيها الإخوة المزارعون: وزِّعوا الأراضي التي تملكونها ملكاً شرعياً على مستحقيها من الوارثين إذا مات مورث لكم، لماذا تحرمون النساء من حقوقهنَّ من تركة مورِّثهنَّ؟ فهل من تائب إلى الله تعالى من ذلك عسى الله أن يكشف عنا ما نحن فيه؟

ثانياً: أخاطب الإخوة التجار:

أيها الإخوة التجار . وخاصة أصحاب الملابس النسائية . توبوا إلى الله تعالى من عرض الملابس النسائية على الأصنام والتماثيل، وخاصة الألبسة الداخلية، واعلموا بأن الرزق بيد الله عز وجل، وكونوا على يقين بأن عرض الملابس على هذه الأصنام لن يزيد في رزقكم، وعدم عرضها لن ينقص من رزقكم، وتذكروا قول الله تعالى: {قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، وتذكَّروا قول الله تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِين}.

أيها الإخوة التجار: عرض صور النساء على أبواب محلاتكم ما هي الغاية منه؟ إن تمزيق هذه الصور، وتحطيم هذه الأصنام لا يحتاج إلى صدور قرار من الحكومة، أليس هذا العرض من الفساد في المجتمع؟ فهل من تائب إلى الله عز وجل من ذلك عسى الله أن يكشف عنا ما نحن فيه؟

أخاطب أولياء البنات:

أيها الإخوة الكرام، يا أولياء أمور البنات والنساء، توبوا إلى الله تعالى من تقصيركم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بتوتكم، وأنتم تشاهدون المخالفات الشرعية في البيوت.

أيها الإخوة: شوارع المسلمين وأسواق المسلمين والحدائق العامة مليئة بالنساء السافرات المتبرِّجات، هؤلاء النسوة بنات من؟ زوجات من؟ أليس هذا من الفساد؟ فهل من تائب إلى الله تعالى من ذلك عسى الله أن يكشف عنا ما نحن فيه؟

أخاطب الجميع:

أيها الإخوة الكرام: أخاطب كلَّ فرد فينا بقوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}، فهل من تائب إلى الله تعالى من الخمر؟ وهل من تائب إلى الله تعالى من الميسر؟ وهل من تائب إلى الله تعالى من أكل الحرام؟ وهل

من تائب إلى الله تعالى من عقوق الوالدين؟ وهل من تائب إلى الله تعالى من قطيعة الرحم؟ وهل من تائب إلى الله تعالى من الحقد والحسد والبغضاء؟

يا عباد الله، إن هذه الذنوب والمخالفات الشرعية سببٌ عظيم في دمار الأمة، قال تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}.

يا عباد الله: إن وعد الله تعالى لا يخلف، مستحيل وألف مستحيل أن يخلف وعد الله، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون}، فإذا لم نر استخلافاً وتمكيناً وأمناً فمعنى ذلك هناك خلل إما في الإيمان وإما في العمل الصالح.

الله ينادينا:

يا عباد الله، عقيدتنا بأن الله تعالى هو المعطي المانع، هو الخافض الرافع، هو المعزُّ المذل، هو الذي أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

يا عباد الله، الله ينادينا كلَّ ليلة في الثلث الأخير منها: ألا من مسترزق فأرزقه، ألا من مبتلى فأعافيه، ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر.

هلا اتفقت هذه الأمة على الاستيقاظ في السحر تدعو ربَّها عز وجل الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وتنزل حوائجها في باله، بعد الاصطلاح معه، في تحليل الحلال وتحريم الحرام؟

أناشدكم الله تعالى يا عباد الله بكثرة الالتجاء إلى الله تعالى، ولا تكونوا سبباً في إراقة الدماء، وتذكَّروا قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، تذكَّروا جميعاً حكَّاماً ومحكومين بأن الموتَ يعمُّنا، والقبرَ يضمُّنا، والقيامةَ تجمعنا، واللهَ تعالى يفصل بيننا، هناك تُصفى الأمور بالعدل.

تعالوا يا عباد الله جميعاً حكاماً ومحكومين أن نكون صادقين مع الله تعالى في حسن الإقبال عليه، وفي إعطاء كل ذي حق حقه. اللهم وفِّقنا لذلك. آمين. أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٢١٩ـ خطبة الجمعة: حقيقة يوم الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن يوم الجمعة يومُ عيد المسلمين، أكرم الله عز وجل به أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، بعد أن أضلَّ عنه اليهود والنصارى، جاء في

صحيح مسلم عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَضَلَّ اللَّهُ عَنْ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الخَلَائِقِ) رواه مسلم. وفي رواية عند ابن ماجه: (أَضَلَّ اللَّهُ عَنْ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، كَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَالأَحَدُ لِلنَّصَارَى، فَهُمْ لَنَا تَبَعٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالأَوَّلُونَ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الخَلائِقِ).

يا عباد الله: تفكَّروا في قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (فَهُمْ لَنَا تَبَعٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، هذه حقيقة يجب أن تعمل الأمة من أجلها، هذه الأمة عندما تلتزم بكتاب الله تعالى وبهدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تكون متبوعة لسائر الأمم، ولن تكون تابعة لأمة من الأمم، وخاصة من ضربت عليهم الذلَّة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، لن تكون تابعة لأمة لعنت على لسان داود وعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، كما قال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُون}.

ولن تكون هذه الأمة متبوعة إلا بعودتها إلى كتاب الله تعالى والعمل به، لأن الله تعالى شهد لها بالخيريَّة عندما كانت ملتزمة، قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}.

يا عباد الله: كونوا على بصيرة من أمركم، ولا تغترُّوا بالغرب الذي يزعم أنه يدافع عن حقوق الإنسان، والله الذي لا إله غيره ما هي إلا حرب على الإسلام والمسلمين، ما هي إلا حرب صليبية، وربُّنا عز وجل بيَّن لنا ببيان واضح في القرآن بقوله تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى

اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِير}.

عليكم يا عباد الله أن تنضبطوا بضوابط الشريعة، واحذروا الهوى، واسمعوا إلى ورَّاث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، اسمعوا للعلماء الربَّانيِّين، العاملين بما علموا، الذين لا يخشون في الله لومة لائم، الذين جعلوا هدفهم: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي، اسمعوا لعلمائكم الذين يحرصون على سلامة دينكم ودنياكم، فالله تعالى أمرنا جميعاً بقوله: {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}.

عظِّموا ورَّاث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، واحذروا ممن يطعن فيهم، لأن الناس إذا انفضوا عن علمائهم اتخذوا رؤوساً جهالاً فضلُّوا وأضلُّوا.

ميزات يوم الجمعة:

أيها الإخوة الكرام: هذا اليوم العظيم الذي أكرمنا الله عز وجل به له ميزات ربما أن يكون الكثير من المسلمين في حالة غفلة عنها، من ميزات يوم الجمعة:

أولاً: يوم الجمعة هو خير الأيام، روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ).

ثانياً: يوم الجمعة هو يوم المغفرة، روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ اغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَفَضْلُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ).

وروى الإمام البخاري عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى).

ثالثاً: يوم الجمعة يومٌ عظيم أجره، روى الإمام أحمد وأبو داود عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنْ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا).

رابعاً: يوم الجمعة هو يوم الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، روى الإمام أحمد وأبو داود في سننه عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ - يَقُولُونَ بَلِيتَ -؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ).

خامساً: يوم الجمعة فيه ساعة الاستجابة، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: (فِيهِ سَاعَةٌ لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ).

سادساً: يوم الجمعة هو اليوم الذي يُشفق منه كلُّ مخلوق ما عدا الثقلين، روى الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ، فِيهِ خَمْسُ خِلالٍ:

خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لا يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلا أَعْطَاهُ، مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلا سَمَاءٍ وَلا أَرْضٍ وَلا رِيَاحٍ وَلا جِبَالٍ وَلا بَحْرٍ إِلا وَهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ). وفي رواية: (إلا الثقلين: الجن والإنس).

ففي يوم الجمعة تقوم الساعة التي وصفها ربُّنا عز وجل بقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيم * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد}.

والعجيب أن جميع المخلوقات غير المكلَّفة تخاف من أهوال يوم القيامة الذي يكون يومَ الجمعة، كما أخبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلا الإنس والجن، وهم المكلَّفون والمحاسبون يوم القيامة!

إلى أيِّ شيء تحوَّل يوم الجمعة؟

يا عباد الله، هذا هو يوم الجمعة كما يعرِّفنا عليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، هذا هو يوم الجمعة في ديننا، يوم الجمعة يومُ عيد، ويومُ أنس وفرحة للأسرة، ويومُ راحة واستجمام، يومٌ يجتمع فيه أفراد الأسرة، ويومُ إقبال على الله تعالى، ويومُ أمنٍ وأمان، ويومُ صلاة وسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ويومٌ ينادي فيه المنادي: {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون}، يومٌ ليلته زهراء، ويومه أغرُّ.

لذلك كان من الواجب على الأمة أن تعظِّم هذا اليوم المعظَّم عند الله، قال تعالى: {وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب}.

ولكن ما الذي حصل؟

لقد جُعل يوم الجمعة وخاصة عند صلاة الجمعة يومَ رعب وخوف واضطراب، لقد دخل الرعب والخوف إلى قلوب النساء والأطفال والرجال العقلاء، خوفاً من

سفك الدماء، خوفاً من تيتُّم الأطفال وترميل النساء، خوفاً من الفوضى، خوفاً من الأشرار والفجار الذين يستغلون هذه الأوقات للفساد والإفساد.

لقد تحوَّل يوم الخير والبركة والسعادة والطمأنينة إلى خوف ورعب وخشية من سفك الدماء، بالله عليكم هل هذا يرضي ربَّنا عز وجل؟

ماذا سنقول لربِّنا عز وجل إذا كان الواحد منا سبباً لترك صلاة الجمعة من قبل بعض المسلمين؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، أناشدكم الله تعالى، ارجعوا إلى كتاب ربِّكم عز وجل، وإلى هدي نبيِّكم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وضعوا أموركم كلَّها في ميزان الإسلام، فإن أبيتم لا قدر الله ـ بسبب سوء الظن بالعلماء العاملين بأنهم باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل ـ فلا أقلَّ أن تضعوا أموركم في ميزان العقل السليم الذي يبحث عن الخير والسعادة والحرية والكرامة والوصول إلى الحق، وأن يقدِّر المفسدة والمصلحة تقديراً صحيحاً سليماً، وبعدها يرجِّح المصلحة على المفسدة.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

220ـ خطبة الجمعة: ماذا يكون إذا فقدت نعمة الأمن؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

من أعظم نعم الله تعالى على العبد بعد نعمة الإيمان نعمة الأمن، وإذا رأينا أمة أو قوماً أكرمهم الله تعالى بنعمة الأمن فإنهم يُحسدون حسد غبطة، ولا عجب في ذلك، فقد قال الله تعالى: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ}.

وجاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام الترمذي في سننه، عن عُبَيد اللَّه بن مِحْصَنٍ الأَنْصارِيِّ الخَطْمِيِّ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (مَنْ أَصبح مِنكُمْ آمِناً في سِرْبِهِ، معافى في جَسدِه، عِندهُ قُوتُ يَومِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا).

فالعبد إذا أكرمه الله تعالى بنعمة الأمن أولاً، ثم بنعمة العافية ثانياً، ثم بنعمة لقمة العيش ثالثاً، فكأنه حيزت له الدنيا بحذافيرها.

فنعمة الأمن عند جميع العقلاء هي مقدَّمة على لقمة العيش، وهي أول دعوة دعاها سيدنا إبراهيم عليه السلام، فقال: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ}. فقدَّم نعمة الأمن على نعمة الرزق، لعِظَمها وخطورة زوالها.

كل شيء يحلو في ظلال الأمن:

أيها الإخوة الكرام، إن نعمة الأمن نعمةٌ عظيمة نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا منها، ولا يحرم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها منها، لأنه بنعمة الأمن وفي ظلاله يحلو كلُّ شيء.

أولاً: العبادة تحلو وتصفو في ظلال الأمن، بحيث يمارس العابد عبادته وهو مطمئن البال مرتاح، ويمارس عبادته بالشكل الصحيح، وكم هو الفارق بين صلاة الخوف التي شرعها الإسلام، وصلاة الطمأنينة التي تكون تحت ظلال الأمن، هل تستوي الصلاتان من حيث الأداء؟

ثانياً: بنعمة الأمن يصبح النوم سباتاً، والطعام هنيئاً، والشراب مريئاً، وصدق الله القائل: {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا}. فكم هو الفارق بين النوم في ظلال الأمن، والنوم في ساعات الخوف؟

ثالثاً: بنعمة الأمن يأمن الناس على أموالهم ومحارمهم وأعراضهم، وهذا ما يتمنَّاه كلُّ عاقل.

رابعاً: بنعمة الأمن تعمُّ الطمأنينةُ النفوسَ، ويسود الهدوء، وتؤدى الواجبات والحقوق بين العباد، وبين العباد وخالقهم جلَّت قدرته.

نعمةٌ لا يُعرف قدرها إلا بزوالها . لا قدَّر الله تعالى .:

أمةَ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: إن نعمة الأمن نعمة عظيمة، وإذا ألفها الإنسان حيناً من الدهر، ربما أن لا يعرف قدرها، ولذلك قالوا: النعم لا يُعرف قدرها إلا بزوالها، وأسأل الله تعالى أن لا يحرمنا نعمة الإيمان ولا

نعمة الأمن والأمان.

نحن نرى مَن حولنا قد سلبت منهم الآن نعمة الأمن والعياذ بالله تعالى، ونسأله تبارك وتعالى أن يعيد نعمة الأمن لبلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

كم يعاني أهل فلسطين والعراق واليمن وليبيا وكثير من بلاد المسلمين عندما فقدوا نعمة الأمن، حتى في مصر وتونس، وسلوا أهل مصر وتونس عن المعاناة التي يمرُّون بها عندما فقدوا نعمة الأمن في أوطانهم، وإن حقَّقوا بعض الأمور بتلك الثورات، إلا أنهم فقدوا نعمة الأمن الآن، أسأل الله تعالى أن لا يحرمنا منها، وأن يعيدها إليهم وإلى سائر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

يا عباد الله: ما قيمة المال إذا فقدنا نعمة الأمن؟

وما قيمة العيش إذا فقدنا نعمة الأمن؟

وكيف تنتعش البلاد والعباد إذا فقدنا نعمة الأمن؟

وكيف يكون التعامل بين أفراد الأمة إذا فقدنا الأمن؟

يا عباد الله: إذا لم يُحَكِّم الناسُ شرعَ الله تعالى فيهم في الساعات العصيبة فعليهم أن يحكِّموا عقولهم وأن ينظروا بالمنظار البعيد، وليكن أخفُّ الضررين.

ماذا يكون إذا فُقِدت نعمة الأمن؟

أيها الإخوة الكرام: إن نعمة الأمن نعمة كبرى، ومنَّةٌ عظمى من الله تعالى، فإذا اختلَّت أو فُقِدت ـ لا قدَّر الله تعالى ـ ، ترتَّب عليها ما لا تُحمد عقباه، من هذه الأمور:

أولاً: تفسد الحياة، ولا يهنأ أحد براحة البال، وتسوء الأحوال.

ثانياً: إذا فُقِدت نعمة الأمن تُعاق سبل الدعوة إلى الله تعالى، وتتعطَّل مجالس العلم والذكر، وبذلك يشقى العباد.

ثالثاً: إذا فُقِدت نعمة الأمن تتغيَّر النعم بأضدادها، فيكون الخوف بدل الأمن، والجوع بدل رغد العيش، والفوضى بدل اجتماع الكلمة، والعدوان بدل العدل، والقسوة بدل الرحمة، والتدابر بدل التواصل.

رابعاً: إذا فُقِدت نعمة الأمن يئن المريض فلا دواء ولا طبيب، وهذه مصيبة كبرى على المريض وأهله.

خامساً: إذا فُقِدت نعمة الأمن تبور التجارة، ويتعسَّر طلب الرزق، وتتعطَّل مرافق الحياة.

سادساً: إذا فُقِدت نعمة الأمن تُهجر الديار، وتُفارق الأوطان، وتتفرَّق الأُسَر.

سابعاً: إذا فُقِدت نعمة الأمن، تُقتل النفوس البريئة، وتُرمَّل النساء، وييتم الأطفال.

ثامناً: إذا فُقِدت نعمة الأمن يُشاع الظلم، وتُستلب الممتلكات، ويذوق المجتمع لباس الفقر والجوع.

تاسعاً: إذا فُقِدت نعمة الأمن لا يأمن الناس على أعراضهم ومحارمهم.

عاشراً: إذا فُقِدت نعمة الأمن وخاصة في يوم الجمعة تعطَّلت أقدس شعيرة من شعائر ديننا، ألا وهي صلاة الجمعة، التي فيها تتعلَّم الأمة أمور دينها، وهي محطَّة لتقوية إيمان الأمة.

ومن الملاحظ أن التظاهرات خُصِّصت يوم الجمعة، لماذا هذا يا عباد الله، هل يريد المتظاهرون تعطيل صلاة الجمعة؟ أم يريد استغلال تجمع الناس وقت العبادة؟

يا عباد الله، لقد انصرف الكثير عن صلاة الجمعة بسبب فقد الأمن يوم الجمعة، حيث صار يوم خوف ورعب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حرص الإسلام على نعمة الأمن:

أيها الإخوة المؤمنون: جاء الإسلام ليصون الدماء والأموال والأعراض والنفوس والدين أولاً، جاء الإسلام ليحقق للناس الأمن والأمان، جاء الإسلام ليحذِّر الناس من أن يروِّع أحدٌ أحداً، لأن في المجتمع النساء والأطفال والشيوخ والمرضى وأصحاب الحاجة، لأنَّ في المجتمع الطلاب الذين يدرسون ويحتاجون إلى جوٍّ آمن.

يا من يروِّع الآمنين اسمع إلى بعض أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

أولاً: روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرٍ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَزِعَ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: مَا يُضْحِكُكُمْ؟ فَقَالُوا: لا، إلا أَنَّا أَخَذْنَا نَبْلَ هَذَا فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا).

ثانياً: وروى الطبراني عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (لا تروعوا المسلم، فإن روعة المسلم ظلمٌ عظيم).

ثالثاً: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لم يرضَ أن يروَّع حيوان، أخرج أبو داود في سننه عن ابنِ مسْعُودٍ رضي اللَّه عنْهُ قَال: (كُنَّا مع رسُولِ اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم في سفَر، فَانْطَلَقَ لحَاجتِهِ، فَرأَيْنَا حُمَّرَةً معَهَا فَرْخَانِ، فَأَخذْنَا فَرْخيْها، فَجَاءتْ الحُمَّرَةُ تَعْرِشُ، فجاءَ النبي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم فقال: منْ فَجع هذِهِ بِولَدِهَا ؟ رُدُّوا وَلَدهَا إليْهَا).

لا تروِّعوا بعضكم:

يا عباد الله، إن ترويع المسلم ظلم عظيم، فلا تروِّعوا بعضكم بعضاً، ولا تروِّعوا أصولكم ولا فروعكم ولا أزواجكم بفقدكم، اتقوا الله في أنفسكم وفي

أصولكم وفروعكم وأزواجكم، واسمعوا إلى هدي نبيكم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حيث يقول: (لا تروعوا المسلم ، فإن روعة المسلم ظلمٌ عظيم).

روى الإمام البخاري عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ).

وفي رواية أخرى لابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: (أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي جِئْتُ أُرِيدُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَقَدْ أَتَيْتُ وَإِنَّ وَالِدَيَّ لَيَبْكِيَانِ، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: قولوا لشبابنا وشبابكم: لا تروعوا أصولكم وفروعكم وأزواجكم في التظاهرات، كم من أب يبكي على ولده؟ وكم من أم تبكي على ولدها؟ وكم من زوجة تبكي على زوجها؟

يا شباب هذه الأمة، إن لم تجعلوا أموركم في ميزان الشرع، فاجعلوها في ميزان العقل، وانظروا إلى الفتنة التي تكون من وراء هذه التظاهرات، وعلى رأس هذه الفتن حرمان نعمة الأمن في الأوطان والديار، وعلى رأس هذه الفتن الخوف على الأعراض والمحارم.

تذكَّروا يا شبابُ قول الله تعالى: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}.

وأخيراً أقول يا عباد الله: {فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد}.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

221ـ خطبة الجمعة: أيها الفاسد المفسد أمامك خياران

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فأستفتح بالذي هو خير:

يقول مولانا عز وجل: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين} [القصص: ٨٣].

صنِّف نفسك أيها الإنسان من أيِّ الصنفين أنت؟ هل أنت من أهل التقوى، أم من أهل العلوِّ والفساد؟ وتذكَّر قول الله تعالى: {بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةَ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَه} [القيامة: ١٤-١٥].

أيها الإنسان: أنت أدرى بنفسك من غيرك، إن كنت من أهل التقوى فلا يضرك شيء، ولو اجتمعت أهل الأرض عليك وقالوا عنك: أنت فاسد، فإنهم لا يغيرون وصفك.

وإذا كان الإنسان من أهل العلوِّ في الأرض والفساد، فلا ينفعه شيء، ولو اجتمعت عليه أهل الأرض وقالوا عنه: أنه صالح، فإنهم لا يغيِّرون من وصفه شيئاً.

العاقبة للمتقين:

يا عباد الله: الموت يعمُّنا، والقبر يضمُّنا، والقيامة تجمعنا، والله يفصل بيننا، فيا من آمن بذلك كن من أهل التقوى، ولا تكن ممن أراد علواً في الأرض وفساداً، لأن العاقبة لك وربِّ الكعبة، طال الزمن أم قصر، لأن أصدق القائلين الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء يقول: {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين}.

هذه حقيقة لو اجتمع أهل الأرض على تبديلها لعجزوا، فيا أيها المتقي اصبر وصابر، وانضبط بضوابط الشريعة، وإياك والخروج عن حدود الشريعة، إياك والانفعال، ولا تخرج عن طورك، فالعاقبة لك بوعد الله الذي لا يخلف.

أيها الفاسد المفسد أمامك خياران:

يا عباد الله، إني أتوجَّه إلى الفاسد المفسد الذي أراد علواً في الأرض وفساداً، وأقول له: أيها الفاسد المفسد أمامك خياران لا ثالث لهما:

الأول: أن تتوب إلى الله تعالى من العلوِّ في الأرض والفساد قبل أن تقع في سياق الموت.

الثاني: أن تصرَّ على العلوِّ والفساد.

فإن اخترت الخيار الأول فهنيئاً لك، وهذا الذي نتمنَّاه لك، وإن صدقت في توبتك لله تعالى، وحقَّقت شروطها، فأبشر بأمور ثلاثة:

الأمر الأول: أنت ستكون من المفلحين يوم القيامة بإذن الله تعالى، قال تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون} [النور: ٣١].

الأمر الثاني: أنت ستكون من المحبوبين عند الله تعالى بإذن الله تعالى، قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِين} [البقرة: ٢٢٢].

الأمر الثالث: توبتك خير لك، لأن خير التوبة يعود على التائب لا على الله تعالى، قال تعالى: {فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ} [التوبة: ٧٤].

يا عباد الله: لقد ظهر الفساد في البرِّ والبحر، وعمَّ وطمَّ، وجلب الشقاء وحياة الضنك للأمة على كلِّ مستوياتها بدون استثناء من القاعدة إلى القمة.

وأنا أتوجَّه إلى كلِّ فاسد ومفسد في هذا المجتمع لأقول له: هل رأيت آثار الفساد بين العباد والبلاد أم لا؟ كل هذه الآثار ستتحمل نتائجها يوم القيامة إذا لم تسرع إلى التوبة قبل موتك، لأن توبتك لا تنفع إذا وقعت روحك في الآخرة، قال تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ} [النساء: ١٨].

واعتبر أيها الفاسد المفسد من قصة فرعون الذي فسد وأفسد وعلا في الأرض، حتى قال ما قال، انظر إليه عندما وقع في سياق الموت، ووقعت روحه في الغرغرة قال: {آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس: ٩٠] لكن جاءه الجواب من الله تعالى: {آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٩١].

اسمع أيها الفاسد إن كنت مصرّاً على الفساد:

أيها الفاسد المفسد، يا من يريد علواً في الأرض وفساداً، اسمع مهما كانت منزلتك، ومهما كان وصفك، وأينما كنت، تب إلى الله تعالى من فسادك.

أيها الفاسد المفسد إن كنت من الشعب أو من الحكومة، تب إلى الله تعالى، أيها الموظف، أيها المدير، أيها المسؤول، أيها الضابط، أيها الطبيب، أيها المهندس، أيها المدرِّس، أيها المتعهِّد، أيها الإنسان المفسد مهما كان وصفك، صغيراً كنت أم كبيراً، حاكماً كنت أم محكوماً، رجلاً كنت أم امرأة، تب إلى الله تعالى قبل موتك، وإلا فأنت من الخاسرين وربِّ الكعبة.

عاقبة المصرِّ على الفساد:

أيها الفاسد المفسد، إذا اخترت الإصرار على العلوِّ والفساد فاسمع مهما كانت منزلتك ومكانتك، فاسمع إن كنت من الشعب أو الحكومة والمسؤولين، اسمع إلى عاقبة المصرِّ على الفساد:

أولاً: المفسد المصرُّ مجرَّد من صفة التقوى، قال تعالى في حقِّ المتَّقين ووصفهم:

{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُون} [آل عمران: ١٣٥]، ومن جُرِّد من صفة التقوى بسبب الإصرار على الفساد هو من الخاسرين.

ثانياً: المفسد المصرُّ مبشَّر بالعذاب الأليم، قال تعالى: {وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيم} [الجاثية: ٨.٧].

ثالثاً: المفسد المصرُّ من أصحاب الشمال، قال تعالى: {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَال * فِي سَمُومٍ وَحَمِيم * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُوم * لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيم * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِين * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيم} [الواقعة: ٤٦.٤١].

تفكَّر أيها الفاسد المفسد في النتائج يوم القيامة، قال تعالى في أهل الشمال من المفسدين المصرين: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوه} [الحاقة: ٣٢.٢٥].

هل عرفت هذا أيها الفاسد المفسد؟ هل عرفت هذا أيها المرابي؟ هل عرفت هذا أيها الراشي والمرتشي والرائش؟ هل سمعت هذا يا شارب الخمر ومرتكب الفاحشة؟ هل سمعت هذا يا من يأمر من تحت يده بترك الصلاة؟ هل سمعت هذا يا من تركت المأمورات وفعلت المحظورات؟

رابعاً: المفسد المصرُّ سيُلقى في نار جهنم، قال تعالى: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيد} [ق: ٢٤]، أناشدك الله يا من كان عنيداً ومصرّاً على الفساد أن تتوب إلى الله تعالى، فأنا لك ناصح أمين إن شاء الله تعالى.

خامساً: المفسد المصرُّ سيرهق صعوداً، قال تعالى: {كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا} [المدَّثر: ١٧.١٦]، وهذا سيكون في سقر، قال تعالى:

{سَأُصْلِيهِ سَقَر * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر * لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَر * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَر * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَر} [المدثر: ٢٦.٣٠].

أيها المفسد لا تكن عنيداً لآيات الله تعالى، اترك قطيعة الرحم وعقوق الوالدين، اترك الغيبة والنميمة، اترك الفساد بين الشعب والحكومة، كن همزة وصل لا همزة قطع، لا تكن سبباً في إبعاد الأبناء عن الآباء، وفي إبعاد الأزواج عن الزوجات، ولا تكن سبباً في إدخال عبدٍ السجن بغير حق.

سادساً: اسمع أيها الفاسد المفسد المصرُّ، إلى بعض أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

١. يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرْ اللَّهُ لَكُمْ، وَيْلٌ لأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) رواه الإمام أحمد. فلا تكن مصراً على الفساد، سواء كنت من الشعب أو من الحكومة.

٢. يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنْ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، فَيَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ ادَّعَى مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَالْمُصَوِّرِينَ) رواه الإمام أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ارحم نفسك، فوالله إنك لا تطيق نار جهنم.

٣. يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا) رواه أبو داود. فلا تكن عنيداً مصراً على الفساد والإفساد.

الإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة:

يا عباد الله، قولوا لهذا الفاسد المفسد مهما كان وضعه، ومهما كانت منزلته: إن الإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة، يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى: (الإصرار على الذنوب يجعل صغيرها كبيراً في الحكم والإثم، فما

الظن بالإصرار على كبيرها).

يا عباد الله، إن الله تعالى أخفى رضاه في طاعته، وسخطه في معصيته، فلا تستهينوا بالذنوب صغيرها وكبيرها.

لا تغترَّ أيها المُسامح:

يا عباد الله، هناك الكثير من المفسدين وقعوا في الغرور، وظنوا أنهم مُسَامحون، ونسوا قول الله تعالى: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ} [المجادلة: ٦].

يقول أبو الفرج بن الجوزي: (لا ينبغي أن يغترّ مسامَح فالجزاء قد يتأخّر، ومن أقبح الذّنوب الّتي قد أعدّ لها الجزاء العظيم، الإصرار على الذّنب).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة المؤمنون: أتوجَّه بنصيحتي إلى كلِّ مفسد من المسؤولين ومن الشعب، أتوجَّه إلى نفسي أولاً وإلى كلِّ واحد منكم وأقول:

أخي الكريم لا تكن مصرّاً على الفساد وعلى الإفساد، وتُب إلى الله تعالى قبل أن تندم، ولا ينفعك الندم، واسمع إلى حديث دُلف.

عن دلف بن أبي دلف قال: «رأيت كأنّ آتيا أتى بعد موت أبي فقال: أجب الأمير. فقمت معه فأدخلني دار وحشة وعرة سوداء الحيطان، مقلّعة السّقوف والأبواب، ثمّ أصعدني درجاً فيها، ثمّ أدخلني غرفة، فإذا في حيطانها أثر النّيران، وإذا في أرضها أثر الرّماد، وإذا أبي عريان واضعاً رأسه بين ركبتيه، فقال لي كالمستفهم: دلف؟ قلت: نعم- أصلح اللّه الأمير- فأنشأ يقول:

أبلغن أهلنا ولا تُخْفِ عنهم *** ما لقينا في البرزخ الخفّاق

قد سُئلنا عن كلّ ما قد فعلنا *** فارحموا وحشتي وما قد ألاقي

أفهمت؟ قلت: نعم.

يا عباد الله، احفظوا قول الله عز وجل في حقِّ آل فرعون الذي طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا

آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَاب} [غافر: ٤٦].

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

222ـ خطبة الجمعة: الكلُّ خطَّاءٌ والسعيد هو التوَّاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

العبدُ الفَاسِدُ المفْسِدُ في هذا المجتمع أمامه طريقان لا ثالث لهما:

الأول: هو التوبة لله عز وجل، ومن أكرمه الله تعالى بذلك فهو السعيد.

والثاني: هو الإصرار على الفساد والإفساد، وهذا عنوان الشقاء له في الدنيا والآخرة، وسوف يندم ولا ينفعه الندم، قال تعالى: {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}.

لعل الفَاسِد المفْسِد، إنْ كان من الحكومة أو من الشعب، يتدبَّر هذه الآية جيداً: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}. حسرة ما بعدها حسرة، ولكن لا تنفع لأنَّ الله تبارك وتعالى أعقبها بقوله جلَّت قدرته: {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَد * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَد}. هذا في حق الفَاسِد المفْسِد.

أما الصالح المصلح، الذي كان مقهوراً مظلوماً، وكان منضبطاً بضوابط الشريعة، فليسمع ماذا قال مولانا عز وجل بعد بيان مصير الفَاسِد المفْسِد، قال تعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي}.

أيها الإخوة الكرام: ليسمع كلا الطرفين من أهل الصلاح والفساد إلى بيان الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون * وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُون * وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِين * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاَء لَضَالُّون * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِين * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُون * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُون * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُون}.

فيا أهل الصلاح والإصلاح من أهل التقوى، العاقبة لكم وربِّ الكعبة، ويا أهل الفساد والإفساد، العاقبة وخيمةٌ بحقِّكم إذا دمتم على الفساد والإفساد ولم تتوبوا إلى الله عز وجل.

الكلُّ خطَّاءٌ:

معشر المسلمين: كلُّ إنسانٍ خطَّاء، حاشا الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام، لأنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

فالفساد كما هو موجود في بعض الشعب هو في بعض المسؤولين من الحكومة، وعارٌ على الشعب أن يُبرِّئ نفسه ويتَّهم الحكومة والمسؤولين، وعارٌ على الحكومة والمسؤولين أن يبرِّؤوا أنفسهم ويتَّهموا الشعب.

يجب على الجميع أن يحاسبوا أنفسهم، فمن كان فاسداً مفسداً خطَّاءً فعليه أن يُسرع إلى الخير قبل أن يفوته بموته، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (وخير الخطَّائين التوابون). فكن أيها الخطَّاء من خير الخطَّائين، وذلك

بتوبتك الصادقة لله عز وجل.

استحضر أيها الفَاسِدُ المُفْسِدُ هذه الحقائق:

أيها الإخوة الكرام: أتوجَّه إلى كلِّ فاسدٍ ومُفْسِد، بل لكلِّ واحد منَّا لأقول له: استحضر هذه الحقائق دائماً وأبداً، لعلها تكون سبباً في توبتك إلى الله تعالى.

الحقيقة الأولى:

اعلم أيها الفَاسِد المفْسِد إنْ كنت من الحكومة أو من الشعب، الحقيقة الأولى، ألا وهي أننا جميعاً في قبضة الله عز وجل حُكَّاماً ومحكومين، أقوياءَ وضعفاءَ، طائعينَ وعاصينَ، فَمِنَ الله تعالى بدايتنا، وإليه جلَّت قدرته نهايتنا، ولا يملك أحد مهما كان وضعه مع قدرة الله تعالى شيئاً.

اعلم أيها الفَاسِد المفْسِد أنَّك في قبضة الله عز وجل، ولن تفلت من قبضته، وأنك راجع إليه إن شئت وإن أبيت، ولن تكون كالعبد الصالح يوم القيامة، واسمع إلى هذه الآيات الكريمة:

أولاً: يقول الله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُون}. والله لن تكون حياتك كحياة الصالح المصلح، حياتك شقاءٌ وضنك، وحياته طيبة، ومماتك إن بقيت مصرّاً على فسادك ليس كمماته، فشتَّان بين من يقول: {رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ}. وبين من يقول: واطرباه غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه.

ثانياً: يقول الله تعالى: {أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُون * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُون * وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ

الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون}. فكِّر قليلاً أيها العبد الفَاسِدُ المفْسِدُ المغرورُ، فكِّر في خاتمة المؤمن الذي يعمل الصالحات وما أعدَّ الله تعالى له، وفي خاتمة العبد الفَاسِد المفْسِد الذي فسق عن أمر ربه، وما أعدَّ الله تعالى له.

ثالثاً: يقول الله تعالى: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِين * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون}. ويقول تعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّار}. من صفات الله عز وجل العدل، وحاشا لربنا أن يجعل المسلمين كالمجرمين في دار البقاء، وإن إصرار العبد على الفساد والإفساد هو إجرام في حقِّ نفسه، لأنَّه سيخسر الدنيا والآخرة وربِّ الكعبة.

الحقيقة الثانية:

اعلم أيها الفَاسِد المفْسِد إنْ كنت من الحكومة أو من الشعب الحقيقة الثانية ألا وهي قول الله عز وجل: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور}. تذكَّر أن الموت ينتظرك طال الزمن أم قَصُرْ، تذكَّر قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (عِشْ ما شئت فإنك ميِّتْ) رواه الطبراني والحاكم. تذكر بأنَّ أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين، وقليل من يتجاوز ذلك، كما في الحديث الشريف الذي رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ).

تذكَّر أيها الفَاسِد المفْسِد أنك ستنتقل من قصرٍ إلى قبرٍ، وستترك الأهل والمال والولد والزوجة، وستترك الجاه والمنصب والإدارة، وستترك منزلتك الدنيوية مهما كانت، ستترك جميع النعم التي أسبغها الله عليك، والتي كنت مبتلىً فيها وأنت لا تشعر، {لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}.

تفكَّر بأنَّ جميع هذه النعم سوف تتركها بموتك، سوف تترك الجاه والصحة

والعافية والرياسة والريادة والسيادة بموتك، قال تعالى: {كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُون * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيم * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِين}.

وقد تتحوَّل تلك النعم عنك وأنت على قيد الحياة، قال تعالى: {وَضَرَبَ اللّه مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّه لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُون}.

تذكر أيها الفَاسِد المفْسِد مهما كنت، بأنك ستُحْمَلُ في النعش إلى قبرك، وسيكشف الغطاء عن النعش وتُحْمَلُ من النعش إلى قبرك، أين قوتك؟ أين مالك؟ أين جاهك؟ أين إرادتك؟ أين رتبتك؟

ستوضع في القبر، وتوضع الحجارة فوقك، ثمَّ يُهال عليك التراب، وتبقى وحيداً في قبرك، ذهب الكل وبقيتَ أنت مع عملك، وسيأتيك ملكان من قِبَلِ الرحمن، فهنيئاً للعبد إذا تطابقت أقواله مع أفعاله، حيث يكون قبره روضة من رياض الجنة، أما إذا تباينت الأفعال عن الأقوال فإنَّ القبر حفرةٌ من حفر النار والعياذ بالله تعالى.

الحقيقة الثالثة:

اعلم أيها العبد الفَاسِد المفْسِد مهما كنت، ومهما كان وضعك، بأنَّ السفر سفران، سفرٌ من الدنيا وسفرٌ في الدنيا، أما سفرك في الدنيا فكثيرٌ وكثيرٌ جداً، كم جُبْتَ الأرض شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، جواً وبراً وبحراً؟ كم تزوّدت لهذا السفر؟ وهذا السفر كان باختيارك.

أما سفرك من الدنيا فهو مرة واحدة، وليس باختيارك، بل رغماً عن أنفك، والله لو اجتمعت أهل الأرض والسماء على أن يدفعوا عنك هذا السفر ويمنعوك منه فإنهم عاجزون عن ذلك، قال تعالى: {كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي * وَقِيلَ مَنْ رَاق * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاق * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاق * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاق * فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى * وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ

أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى}.

نعم لقد أقسموا جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت، ونحن نقسم جهد أيماننا بأنَّ الله سيبعث من يموت.

نعم لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من الدنيا، وخرج أبو جهل، خرج سيدنا موسى عليه السلام وخرج فرعون، خرج سيدنا إبراهيم عليه السلام وخرج نمروذ، قال تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُون * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُون}.

الحقيقة الرابعة:

يا عباد الله: إن أكثر الناس لا يعرفون قدر التوبة، ولا حقيقتها، فضلاً عن القيام بها علماً وعملاً وحالاً وسلوكاً، ربنا عز وجل يقول: {إِنَّ الله يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِين}. فهل عرفنا معنى: {يُحِبُّ التَّوَّابِينَ}. إنَّ المحبة من الله تعالى تكون للخواصِّ من خلقه، هؤلاء الخواص عرفوا معنى محبة الله لعبده، من خلال الحديث القدسي الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ تعالى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ).

حقيقةً ما عرف حقيقة التوبة وقدرها إلا الخُلَّص من عباد الله تعالى، فهذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يكثر من الاستغفار والتوبة، كما جاء في صحيح البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً). نعم كان يُكثر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من الاستغفار والتوبة لأنه عرف حقيقة قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ}.

وأخرج أبو داود عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: (إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).

اسمع أيها الفَاسِد المفْسِد ـ مهما كنت ـ نداءَ الله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}. باب التوبة مفتوح أمامك، لا يغلق إلا إذا وقعت روحك في الغرغرة.

الحقيقة الخامسة:

معشر المسلمين، التوبة لله تعالى مطلوبة من العبد، ومن سعادة العبد أن يوفَّق للتوبة، والتوبة لها أنواع:

أولاً: توبة الإنابة: وهي أن تخاف الله من أجل قدرته عليك، تذكَّر أيها العبد الفَاسِد المفْسِد أنه مقدور عليك مهما كنت قادراً، ومهما أوتيت من دهاءٍ وذكاءٍ ومكرٍ وحيلةٍ، وأيمانٍ كاذبة مغلَّظة، تذكَّر أنَّك في قبضة الله تعالى، فإذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكَّرْ قدرة الله عليك.

ثانياً: توبة استجابة: وهي أن تستحي من الله تعالى لقربه منك، قال تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد}. أما تستحي أيها الفَاسِد المفْسِد من ربك {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَك * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَك}.

تُبْ إلى الله تعالى من الفساد، لأنَّ فسادك قد يكون سبباً لدمار الأمة، قال تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}. فاستجب لنداء الله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}.

ثالثاً: توبة صحيحة: وهي أن تتوب إلى الله تعالى بصدق في الحال.

رابعاً: توبة نصوح: وهي عزمٌ على عدم العود إلى الذنب ثانية.

خامساً: توبة فاسدة: وهذه توبة بعض الناس، وهي توبة اللسان، ولكن صاحبها مُصِرٌّ على ذنبه، والتائب من ذنبه بغير إقلاع كالمستهزئ بربه، كما في الحديث: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

أيها الفَاسِد المفْسِد: إن كنت تعتقد بأنَّ الله لا يراك فهذا خلل في إيمانك، وإن كنت تعتقد أنه يراك فلا تجعله أهون الناظرين إليك.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: أتوجَّه إلى كلِّ فاسدٍ مُفسدٍ، إن كان من الحكومة أو الشعب، بنصيحة فأقول له:

كن حريصاً على نفسك حتى لا تكون من النادمين المفلسين يوم القيامة، اترك الفساد، وأعد الحقوق لأصحابها، واستحللهم قبل موتك، واسمع الحديث الذي يرويه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ).

هل سمعت هذا الحديث الشريف أيها المرتشي، أيها المدير، أيها المسؤول، أيها الضابط؟ هل سمعت هذا الحديث يا من أفسدت بين الحكومة والشعب، وأدخلت أناساً في السجون ظلماً وعدواناً؟ أعد الحقوق لأصحابها ، واستحلل من أربابها قبل أن تندم ولا ينفعك الندم.

وأخيراً يا عباد الله، ليمسك كلٌّ واحد منا يده ولسانه في أيام الفتن، لأنها فتنٌ عمياء، ومن ظنَّ أنَّه ليس هناك تآمر على المسلمين من الخارج فقد أخطأ الظن، والله إنها حربٌ صليبيةٌ على الأمة، تذكَّروا قول الله تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ}.

لذلك أتوجَّه إلى الحكومة والشعب، وأقول: يا عباد الله، يا عباد الله، يا عباد الله، اقطعوا الطريق على المتآمرين، ولتكن صدوركم واسعة، وليؤدِّ كلٌّ واحدٍ حقَّ الآخر، فإني لكم ناصحٌ أمينٌ إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

223ـ خطبة الجمعة: وأنذرهم يوم الحسرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تبارك وتعالى آمراً سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون}.

والإنذار هو الوعيد بالعقاب قبل نزوله، وهذا من رحمة الله عز وجل بخلقه، ومن مظاهر هذه الرحمة إرسال الرسل مبشِّرين ومنذرين للعباد، لأن منهم من استجاب لأمر الله تعالى، ومنهم من أعرض، والله تعالى ما أرسل الرسل مبشرين ومنذرين إلا ليسلم العباد من نار جهنم، لأن الله تعالى لا يريد أن يعذِّب خلقه، قال تعالى: {مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا}.

بلِّغوا عني ولو آية:

يا عباد الله، لقد أمر الله تعالى حبيبه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله تعالى: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون}. وأنا امتثالاً لأمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم القائل: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) رواه البخاري أبلِّغ قول الله تعالى: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون} لكلِّ فاسد ومفسد، ولكلِّ طاغ ومتجبِّر، ولكلِّ من عاث في الأرض فساداً من الحكومة والشعب، ولكلِّ آكل رباً، بل لكلِّ مؤكل له، ولكلِّ مرتش، بل ولكلِّ راشٍ ورائش، ولكلِّ شارب خمر، بل

ولكلٍّ من أذن ببيع الخمر، ولكلٍّ سافرة، بل ولكلٍّ من أمر بالسفور، ولكلٍّ من سفك الدماء، بل ولكلٍّ من كان سبباً في سفك الدماء.

أقول لكلِّ هؤلاء، ولكلِّ من عاث في الأرض فساداً من الحكومة والشعب: يا هذا إن من ورائك يومَ حسرة حيث لا تنفعك الحسرة، فكن عاقلاً، وبادر بالتوبة لله عز وجل من كلِّ فساد وإفساد، واحفظ قول الله تعالى: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون}.

علينا البلاغ، ووالله لا خير فينا إذا لم نبلِّغ، ولا خير في الحكومة ولا في الشعب إذا لم يسمع كلام الله تعالى، فيا من عاث في الأرض فساداً، ويا من كان وسيكون سبباً لدمار الأمة كما قال تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} يا من كان فاسقاً، يا من كان فاجراً، اعلم أن وراءك يوم الحسرة.

ما هو يوم الحسرة؟

يا عباد الله، إن يوم الحسرة هو يوم القيامة، وحياة العبد في الدنيا لها بداية ولها نهاية، وأعمارهم فيها قصيرة، والقليل منهم من يتجاوز السبعين، أما عمر العباد في الآخرة فله بداية وليس له نهاية، فلتكن حياتك في الآخرة حياة السعداء، ولا تجعل يوم القيامة يوم حسرة وشؤم عليك.

اسمع إلى حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو يحدِّثك عن يوم الحسرة، أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ

النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} وَهَؤُلاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا {وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ}).

أيُّ حسرة أعظم من فوات رضى الله وجنَّته؟ وأيُّ حسرة أعظم إذا حل سخط الله تعالى على عبده، وجعله ربُّنا عز وجل من الخالدين في نار جهنم، على وجه لا يتمكن من الرجوع إلى الدنيا ليستأنف العمل؟

قال تعالى: {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِين * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُون}.

أنت عبد فاسمع وصية سيدك:

اسمع أيها الفاسد المفسد المتكبر المعاند: أنت عبد لله عز وجل رغماً عن أنفك مهما كنت، إن كنت كبيراً أو صغيراً، قوياً أو ضعيفاً، غنياً أو فقيراً، حاكماً أو محكوماً، واسمع إلى بيان الله تعالى الذي ليس بوسعك أن تنكره، قال تعالى: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}.

اسمع أيها الفاسد المفسد من الحكومة أو من الشعب: أنت آتٍ مولاك فرداً، لوحدك لا نصير لك، تنظر أيمن منك فلا ترى إلا ما قدَّمت، وتنظر أشأم منك فلا ترى إلا ما قدمت، وتنظر تلقاء وجهك فلا ترى إلا النار، فاحذرها بصدق توبتك لله عز وجل، واسمع إلى وصية مولاك وسيدك إذ يقول آمر خلقه جميعاً: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُون * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُون * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِين * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِين * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِين * بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِين

* وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِين}.

يتمنَّى الفاسد أن يفدي نفسه من عذاب الله تعالى يوم الحسرة:

أيها الإخوة الكرام: إني أتوجَّه إلى كلِّ فاسد لأقول له: يا هذا إن من ورائك يوم حسرة، حيث يتمنى العبد الفاسد فيه أن يفدي نفسه من العذاب بماله وأصوله وفروعه وزوجه، بل بمن في الأرض جميعاً، قال تعالى: {يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيه * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيه * وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيه * كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى}.

نعم إنه يوم حسرة وندم، حيث يتمنى الفاسد أن يفدي نفسه من عذاب الله تعالى في ذاك اليوم بكلِّ شيء، وهو في الحقيقة طلب منه في الدنيا أقل من ذلك بكثير.

روى البخاري عن سيدنا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلا أَنْ تُشْرِكَ بِي).

تفكَّر أيها العبد الفاسد المفسد في هذا الحديث الشريف، إذا كان أهون الناس عذاباً يتمنى هذا، فكيف إذا كان العذاب مضاعفاً؟

لماذا أنت معرض عن دين الله تعالى؟ لماذا لا تحلُّ الحلال وتحرم الحرام؟ لماذا لا تعطي صاحب الحق حقه؟ لماذا الظلم؟ لماذا الاحتكام لغير ما أنزل الله تعالى؟ {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ}.

يتمنى العبد الفاسد يوم الحسرة لو قدم لحياته:

يا عباد الله، إني أتوجَّه إلى العبد الفاسد الذي ما زال في الحياة الدنيا، التي هي دار عمل، قبل أن ينتقل إلى دار الجزاء، لأقول له: إن من ورائك يوم حسرة،

عندما يؤتى بجهنم إلى أرض المحشر، فسوف تتمنى أنك لو قدَّمت عملاً صالحاً لذاك اليوم، قال تعالى: {كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}.

ندمك لا ينفعك في يوم الحسرة، وأنت ترى جهنم وهي تُجرُّ إلى أرض المحشر، كما جاء في الحديث الشريف: (يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا) رواه مسلم.

أيها الفاسد ظلمك للآخرين عائد عليك:

أيها الفاسد المفسد: والله إن ظلمك للآخرين هو في الحقيقة ظلم لنفسك، لأنه بظلمك للآخرين رفعتهم عند الله عز وجل، وعرَّضت نفسك لسخط الله تعالى، حيث أصبحت في ظلمات يوم القيامة، كما جاء في الحديث الشريف: (الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه البخاري ومسلم، والله تبارك وتعالى ليس بغافل عنك يمهلك ولا يهملك، قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}، فظلمك للآخرين مردُّه عليك، قال تعالى: {إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا}.

يتمنى العبد الفاسد يوم الحسرة لو اتبع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

يا عباد الله، والله كونوا على ثقة بأن العبد الفاسد المفسد المجرم الذي يعيث في الأرض فساداً، وسلك طريقاً غير طريق النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، سوف يندم يوم الحسرة ويعض على يديه ويقول: {يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً}.

يا هذا إن أردت عزاً لا يزول، فعليك بالاتباع لسيد الخلق وحبيب الحق سيدنا

محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، لأن الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال لعمِّه أبي طالب: (يَا عَمِّ أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدِّي الْعَجَمُ إِلَيْهِمْ الْجِزْيَةَ) رواه الإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أيها الفاسد المفسد: عزُّك في الدنيا وفي الآخرة كامنٌ في الاتباع لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وإلا فالذلُّ ينتظرك عاجلاً أم آجلاً.

يتبرَّأ الفاسد المتبوع من الفاسد التابع يوم الحسرة:

أيها الإخوة الكرام: كونوا على يقين بأن العبد الفاسد المفسد المتبوع سوف يتبرَّأ من أتباعه الفاسدين يوم الحسرة، ويلعن بعضهم بعضاً، قال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَاب * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّار}، وقال جلَّت قدرته: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا}.

الحسرة الكبيرة يوم الحسرة:

معشر المسلمين: إني أتوجَّه إلى كلِّ فاسد ومفسد في هذه الحياة الدنيا، سواء كان من الحكومة أو من الشعب لأقول له: والله أنا ناصح لك، لا تغترَّ بجاه، ولا مال، ولا قوة، ولا عشيرة، ولا أتباع، ولا برياسة وريادة وسيادة، لأن وراءك يوم حسرة، فكن على حذر من شياطين الإنس والجن، لأن مولاك قال: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِين}.

ففي يوم الحسرة سيقف الشيطان خطيباً في أتباعه في نار جهنم قائلاً: {إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ

بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}.

لعلك أن تسمع هذه الخطبة في دار العمل قبل أن تسمعها لا قدر الله في دار الجزاء في يوم الحسرة في نار جهنم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: عوداً على بدء، أقول لكلِّ فاسد ومفسد: إن من ورائك يوم الحسرة، وقد أمر الله تعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن ينذرك هذا اليوم، فقال: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون}، وقد وصلك إنذار يوم الحسرة، فهل أنت تائب إلى الله تعالى؟ اللهمَّ وفِّقنا للتوبة الصادقة النصوح. آمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**	**	**

224ـ خطبة الجمعة: وصية من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تغضب)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فأستفتح بالذي هو خير:

روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: (لا تَغْضَبْ) فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: (لا تَغْضَبْ).

وفي رواية للإمام أحمد رحمه الله تعالى عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: (لا تَغْضَبْ). قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ.

وروى الإمام البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ).

ويقول سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه: الغضب مفتاح كلِّ شر.

ونقل عن ذي القرنين الذي ذكر مولانا قصته في القرآن العظيم في سورة الكهف، أنه لقي ملكاً من الملائكة، فقال: علمني علماً أزداد به إيماناً ويقيناً، قال: لا تغضب، فإن ا لشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، فردَّ الغضب بالكظم، وسكِّنه بالتّؤدة، وإيّاك والعجلة، فإنّك إذا عجلت أخطأت حظَّك، وكن سهلاً ليّناً للقريب والبعيد، ولا تكن جبّاراً عنيداً.

وقال مجاهد رحمه الله تعالى: قال إبليس لعنه الله تعالى: ما أعجزني بنو آدم، فلن يعجزوني في ثلاث:

١. إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته، فقدناه حيث شئنا، وعمل لنا بما أحببنا.

٢. وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم.

٣. ونبخّله بما في يديه ونمنّيه بما لا يقدر عليه.

صفةُ الإنسان الغضبُ:

أيها الإخوة الكرام: وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم للأمة كلِّها من خلال هذا الصحابي الجليل: (لا تغضب).

الغضب صفة ملازمة للإنسان، وهو مجبول عليها، وهي صفة ضرورية في الإنسان، ولكن الناس يتفاوتون في قوة الغضب، فهناك من فقد قوة الغضب، فلا يغار على دين، ولا على عرض، فهذا لا حمية له، ويقول عنه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: من استغضب ولم يغضب فهو حمار.

وهناك من يغضب ويخرج عن طوره، فلا يضبطه عقل ولا دين، ولا يبقى معه بصر ولا فكر ولا اختيار، وهذان الصنفان من الناس مذمومان.

وأما الصنف الثالث فهم أصحاب الغضب المحمود، الذين يغضبون لله تعالى حمية، ويغضبون لحرمات الله تعالى إذا انتهكت، ولكنهم يضبطون هذا الغضب بضوابط الشريعة أولاً، ثم بضوابط العقل.

كن منضبطاً في ساعة الغضب:

يا عباد الله، يجب على العبد المؤمن في ساعة الغضب أن يضبط نفسه بضوابط الشريعة، وخاصة لسانه ويده، فكم من امرأة طُلِّقت؟ وكم من بيوت هُدِّمت؟ وكم من دماء سُفكت في ساعة الغضب؟ وكم من أموال ضُيِّعت في ساعة الغضب؟ وكم من حقوق أتلفت بسبب الغضب؟ وكم من أناس ارتدُّوا عن دين الله تعالى في ساعة الغضب بسبب كفرهم والعياذ بالله تعالى؟ وكم من أناس سيصبحون مفلسين يوم القيامة بسبب الغضب غير المنضبط بضوابط الشريعة؟ كم من سبٍّ وشتم وقذف يصدر من الإنسان في ساعة الغضب؟ وكم وكم يندم الإنسان بسبب قول أو فعل في ساعة الغضب؟

الغضب غير المنضبط بضوابط الشريعة قد يفسد إيمان العبد، كما قال بعضهم: اتقوا الغضب، فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل. الغضب غير المنضبط بضوابط الشريعة يجعل العبد في ذلِّ الاعتذار، كما قال بعضهم: إياك والغضب، فإنه يصيرك إلى ذِلة الاعتذار.

يا عباد الله: اضبطوا أنفسكم في ساعات الغضب بضوابط الشريعة، فإن أبيتم إلا اتباع الهوى ـ لا قدر الله ـ في ساعة الغضب، فلا أقلَّ من أن تفكِّروا بعقولكم في نتائج الغضب غير المنضبط بضوابط الشريعة، ما هي نتائجه عليكم وعلى الأمة؟ ومن هو الرابح والخاسر في ساعة الغضب غير المنضبط بضوابط الشريعة؟

علاج الغضب:

أيها الإخوة المؤمنون: إن الغضب يجب أن يكون منضبطاً، وإذا شعر الإنسان بنفسه بأنه لن ينضبط بضوابط الشريعة في ساعة الغضب فعليه أن يأخذ بتوجيهات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في ساعة الغضب، حتى يكون غضبه محموداً.

من توجيهات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في ساعة الغضب:

أولاً: الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم، لأن الشيطان يلعب بابن آدم ساعة الغضب كما يلعب الأولاد بالكرة. جاء في صحيح البخاري ومسلم عن سليمان بن صُرَد رضي الله عنه قال: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجُلانِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ) فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ؟

ثانياً: من هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في

ساعة الغضب أن يتوضأ الإنسان ولو كان متوضئاً، روى الإمام أحمد وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (إِنَّ الْغَضَبَ مِنْ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنْ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ).

ثالثاً: من هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في ساعة الغضب أن يسكت الإنسان ويملك لسانه، روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال: (عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ). اسكت في ساعة الغضب، حتى إذا ما زالت موجة الغضب فتكلم بالكلام الذي لا تندم عليه، ولا يدفعك للاعتذار منه.

رابعاً: من هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في ساعة الغضب أن يجلس العبد أو يضطجع، روى الإمام أحمد وأبو داود عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا: (إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلا فَلْيَضْطَجِعْ).

غيِّر الحالة التي أنت عليها في ساعة الغضب حتى يتحوَّل عنك الغضب، وإلا فالكلُّ خاسر في ساعة الغضب، والذي يضحك من العبد في ساعة الغضب هو شيطان الإنس أو الجن.

تذكَّر عبوديَّتك في ساعة الغضب:

يا عباد الله: إذا اشتدَّ غضب الإنسان فعليه أن يفكِّر في تلك الساعة بأنه عبدٌ لله، وما خرج عن طور العبودية لله تعالى، قال تعالى: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}.

أنت عبدٌ لله تعالى، وأنت راجع إلى الله تعالى يوم القيامة، وعند الله تجتمع الخصوم، فاضبط نفسك في ساعة الغضب بضوابط الشريعة، وإن دعتك قدرتك

على ظلم الآخرين في ساعة الغضب فتذكَّر قدرة الله تعالى عليك، لأن الله تعالى إذا غضب على العبد الظالم وبقي العبد مصراً على ظلمه يمحقه الله تعالى عاجلاً غير آجل، ويقول الإمام الماوردي رحمه الله تعالى: (مكتوب في التوراة: يا بن آدم اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق).

اذكر يا عبد الله في ساعة الغضب أنك راجع إلى الله تعالى يوم القيامة، وهناك تجتمع عند الله الخصوم، فإن تذكُّرك واستحضارك يومَ القيامة يجعلك منضبطاً بضوابط الشريعة، ورضي الله تعالى عن أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها حيث كانت تقول: لله درُّ التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء.

ويقول فاروق الأمة سيدنا عمر رضي الله عنه: من خاف الله عز وجل لم يشف غيظه، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد، ولولا القيامة لكان غير ما ترون.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، احفظوا وصيَّة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا تغضب)، يعني غضباً يخرجك عن طور الشريعة، فإن الغضب غير المنضبط بضوابط الشريعة كلُّه شر، والشر لا يجلب إلا الحسرة والندامة في الدنيا والآخرة.

لا تتعجَّلوا في الغضب من أجل سلامة دينكم ودنياكم، ومن أجل سلامة دين ودنيا الآخرين، وفكِّروا بأن العبد في ساعة الغضب هو الخاسر، والرابح في ساعة الغضب غير المنضبط بضوابط الشريعة هو شيطان الإنس وشيطان الجن.

اللهم لا تشمت أعداءنا بدائنا، وأصلح لنا أحوالنا، ووفِّقنا لكظم الغيظ، وتحكيم الشرع في ساعة الغضب برحمتك يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٢٢٥ـ خطبة الجمعة: من وصايا سيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (لا تغتروا)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فأستفتح بالذي هو خير:

أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن ابنَ أَبَانَ رضي الله عنه قَالَ: (أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ بِطَهُورٍ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْمَقَاعِدِ، فَتَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ وَهُوَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تَغْتَرُّوا).

خطاب من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم للأمة كلها، كلمة واحدة (لا تغتروا) كلمة واحدة من جوامع كَلِمِ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

يا عباد الله: نحن في عصر بأمسِّ الحاجة فيه إلى هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، لأنه عندما أعرضت الأمة عن هدي نبيها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ذاقت الفتنة والعذاب الأليم، لأن مولانا عز وجل قال: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}.

ومن خالف أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم جهاراً نهاراً، ولم يكن هناك من يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر فإن وبال هذا المخالف سيعود على الأمة كلها، قال تعالى: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}.

الغرور صفة قبيحة في الإنسان:

أيها الإخوة الكرام: صفة الغرور صفةٌ قبيحةٌ في الإنسان، يتَّصف بها أصحاب النفوس المريضة، وهذه الصفة وبالٌ على الإنسان، لأنَّه بها:

أولاً: يستجلب سخط الله عز وجل عليه، وعلى من حوله إذا كانوا راضين بذلك، ويحرم نفسه من رضا الله تعالى.

ثانياً: بصفة الغرور يفقد الإنسان احترام الناس، ويكون مزدرى في أعين الناس.

ثالثاً: بصفة الغرور يستجلب العبد لنفسه المذلَّة والخزيَ في الدنيا وفي الآخرة.

لا تنسَ نفسك يا عبد الله:

يا عباد الله: الطامَّة الكبرى في حياة الإنسان أن ينسى نفسه، وأن ينسى أنه عبدٌ ضعيفٌ فقير، لا يملك لنفسه حولاً ولا قوة، وأن ينسى بأنَّ الله تعالى قد أسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة من أجل القيام بوظيفة العبودية لله تعالى.

الطامَّة الكبرى في حياة الإنسان، أن يستغلَّ تلك النعم التي أسبغها الله عليه في الاستعلاء على الآخرين، وفي احتقارهم، وفي ظلمهم، وفي هضم حقوقهم.

وأن ينسى أن تلك النعم في الحياة الدنيا لن تدوم له، ولو دامت له فلن يدوم لها، فهي ظلٌّ زائل، وعَرَضٌ حائل، منحه الله تعالى إيّاها اختباراً وابتلاءً، {لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ}؟

ومن حماقة العبد أن يغترَّ بنعمةٍ لا تدوم له، ومن حماقته أن يغترَّ بماله أو بعلمه، أو بقوته، أو بسيادته وريادته وقيادته، فالمنعَم عليه في الحياة الدنيا راجعٌ إلى الله تعالى للعرض وللحساب، هل شكر أم كفر؟

{أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم}:

أيها الإخوة الكرام: إذا غابت الآخرة عن ناظر الإنسان فإنه يعيث في الأرض فساداً بالنعم التي أسبغها الله تعالى عليه، وينقلب هذا الإنسان من إنسان صالح ومصلح إلى إنسان فاسد ومفسد، ومولانا عز وجل يقول في كتابه العظيم: {أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين}؟

إذا غاب الجزاء عن ناظر الإنسان صار وحشاً في ظاهر إنسان، حيث يستغلُّ النعم في النقم على خلق الله تعالى، وينسى قوله تعالى: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}. وينسى قوله تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَاد}.

قال العبد المغرور:

معشر المسلمين: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (لا تغتروا) والعبد المغرور قال:

أولاً: النقد خير من النسيئة، فالدنيا نقد والآخرة نسيئة، فهي إذاً خير منها، فلا بدَّ من إيثارها، خلل في الإيمان بيوم القيامة، ولولا الخلل بالإيمان لما وقع العبد في الغرور.

ثانياً: يقول العبد المغرور: اليقين خير من الشك، ولذَّات الدنيا يقين ولذَّات الآخرة شك، فلا نترك اليقين بالشك، خلل في الإيمان بيوم القيامة.

أما العبد المؤمن فهو على يقين بأنَّ لذَّات الدنيا هي الشك، ولذَّات الآخرة هي اليقين، لأنَّ وعد الله تعالى لعباده المؤمنين لا يخلف، فكم من عبد جمع المال في الحياة الدنيا وحرمه الله تعالى من الانتفاع به بسبب مرضٍ أو غيره؟ وكم من عبد وصل إلى ما يريد في الحياة الدنيا، ولكن الله تعالى حرمه من التلذذ بما وصل إليه؟ أما نعيم الآخرة لأهل التقوى فهو اليقين، قال تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين}.

المغرور كالسكران:

أيها الإخوة الكرام: إن العبد المغرور الذي لم يسمع وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (لا تغتروا) هو كالسكران الذي شرب الخمر وغاب عقله، وبدأ يتكلَّم كلام المجانين.

العبد المغرور سكر بنعمة المال أو بنعمة الجاه، وظنَّ أن ما آتاه الله تعالى إياه هو مستحقه، وإذا به يتكلَّم كلام المجانين، وإذا ما صحا من غفلته وغروره ندم، ولكن لن ينفعه الندم.

هل من معتبر؟

أيها الإخوة الكرام: يذكر الله تعالى لنا في القرآن العظيم صوراً عن بعض العباد الذين وقعوا في الغرور بسبب نعمة من النعم التي أسبغها الله عليهم، فهل من معتبر بذلك؟

الصورة الأولى:

عبد آتاه الله مالاً كثيراً، ولكنه كفر بنعمة الله تعالى ولم يشكر الله تعالى على تلك النعمة، ووقع في الغرور والعُجبِ والاستعلاء على الآخرين، ولكن كانت عاقبة أمره خسراً.

قال تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا}.

عباد الله: هذا العبد آتاه الله نعمة المال، فقال: (أنا)، لقد ظنَّ أنه هو صاحب النعمة، وأنَّها لن تبيد، فوقع هذا العبد بالعنا، لأنه من قال أنا من غير رصيد حقيقي فسيذوق العنا، ولن يذوق طعم الهنا، لقد ظنَّ هذا العبد بأنَّ ماله سيخلده فقال بملء فيه: {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا}. وقال: {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا}. غرور ما بعده غرور.

نسي صاحب الجنة بأنَّ جنَّته ما صارت إلا بقطر السماء الذي لا يملكه، أو بمياه الآبار التي لا يملكها، ولو حبس الله تعالى قطر السماء، وأغار مياه الآبار فما قيمة جنَّته؟

نسي صاحب المال المغرور قول الله تعالى: {وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} فكم من فقير صار غنياً؟ وكم من غني صار فقيراً؟

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (لا تغتروا) لأن عاقبة المغرور خسراً، لذلك هذا العبد الذي قال: {مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً} وقع في الحسرة والندامة في نهاية المطاف: {فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} ولكن ماذا ينفع الندم بعد وقوع القدر؟

فاسمعوا يا أصحاب المال وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا تغتروا). اجعلوا المال مطيَّة للآخرية، فاعرفوا حق الله في المال، وصلوا به أرحامكم، واحذروا الغرور.

الصورة الثانية:

عبد آتاه الله الملك، ولكن كفر بنعمة الله تعالى، ولم يشكر الله تعالى على هذه النعمة، ووقع في العجب والغرور والاستعلاء وظلم الآخرين وهضم حقوقهم، فكانت عاقبة أمره خسراً.

ظن هذا العبد المسكين المغرور بنعمة الملك بأن لن يقدر عليه، فسكر بها، ونسي أن أولها ملامةٌ، وأوسطها ندامة، وآخرَها حساب يوم القيامة.

قال تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِين * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُون * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِين * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنصَرُون * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِين}.

هذا العبد آتاه الله نعمة الملك، لأن الله تعالى هو القائل: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}، آتاه الله نعمة الملك اختباراً وابتلاء، ولكنه لم يشكر الله تعالى على هذه النعمة، بل وقع في الغرور الذي دفعه إلى الكفر، فقال: {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}، وقال: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}، وقال: {مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى}.

وقع في الغرور وظن أن لن يُقدَر عليه، ولكن نبذه الله تعالى في اليم مع جنوده، وأتبعهم في الحياة الدنيا لعنة ـ أي طرداً من رحمة الله تعالى ـ ويوم القيامة هم من المقبوحين.

نعم يا عباد الله، هذه هي عاقبة المغرورين الظالمين، كما قال تعالى: {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِين}.

يا صاحب النعمة من مال وجاه وسيادة وريادة، احذر الغرور الذي يوقعك في الظلم، فالظلم ظلمات يوم القيامة، وخاصة إذا كان ظلمك لمن لم يجد ناصراً سوى الله تعالى، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (يقول الله تعالى: «اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري») رواه الطبراني في الصغير.

يا أيها العبد المغرور بالنعمة لا تظلم، لأن الله تعالى يقول: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}، واسمع إلى وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا تغتروا).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: لنعلم جميعاً بأن جميع النعم التي أسبغها الله تعالى علينا هي في الحقيقة اختبار لنا وابتلاء، ولنسمع وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا تغتروا)، لأن عاقبة المغرور خسراً، فاجعلوا نعم الله تعالى عليكم مطية لكم لتصلوا بها إلى مرضاة الله تعالى، ولا تجعلوا سبباً للغرور.

اللهم أيقظنا من غفلتنا، وألهمنا الرشد في كلِّ أمورنا. أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

226ـ خطبة الجمعة: حادثة الإسراء والمعراج درس عمليٌّ لكلِّ ظالم ومظلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

هذه ذكرى الإسراء والمعراج قد أطلَّت على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أطلَّت هذه الذكرى على الأمة لتذكِّرها بأنه بعد كلِّ مِحنة مِنحة، وكلَّما عظمت المحنة عظمت المنحة، هذه هي سنة الله تعالى في عباده المؤمنين: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}.

نعم كلَّما عظمت المحنة عظمت المنحة، ولكن بشرط التحقُّق بالعبودية لله عز وجل، لأن مولانا عزَّ وجل عندما ذكر هذه المنحة العظيمة منحة الإسراء والمعراج التي كانت بعد مِحن قاسية لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكان آخرها قبل حادثة الإسراء والمعراج حادثة الطائف، عندما ذكر ربُّنا عز وجل هذه المنحة قال: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ}.

قفوا يا عباد الله مع قوله تعالى: {بِعَبْدِهِ}، لقد أكرم الله عز وجل سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بهذه المنحة بعد تلك المحن عندما كان متحقِّقاً بالعبودية لله عز وجل في ساعة المحن، فالمحن القاسية ما أخرجت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عن دائرة الشرع الشريف.

وحاشاه من الخروج عنها ـ وشدَّة المحن وصلابتها ما غيَّرت شيئاً من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، لا بأقواله، ولا بأفعاله، فجميع أقواله وأفعاله مرضيَّة عند الله تعالى في العسر واليسر، لهذا كانت هذه المنحة العظمى من الله تعالى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بعد تلك المحن، فقال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ}، جاءت هذه المنحة منحة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومنه إلى السماوات العلى إلى مكان سمع فيه صريف الأقلام.

محنتنا قاسية:

يا عباد الله: إننا نعيش في محنة قاسية وقاسية جداً، نسأل الله تعالى اللطف والعافية، قال تبارك وتعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون}.

ما تعيشه الأمة اليوم هو اختبار وابتلاء لعلَّ الأمة ترجع إلى الله تعالى، فإن رجعت إلى الله تعالى، واصطلحت الأمَّة مع ربِّها، وعادت إلى رشدها، وتمسَّكت بهدي نبيها سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وتحقَّقت بالعبودية لله تعالى، فإن المنحة عظيمة وكبيرة إن شاء الله تعالى.

وأما إذا بقيت الأمة ـ لا قدر الله ـ على ما هو عليه حالها اليوم من الفساد، فربَّما ـ والله تعالى أعلم ـ لا ترى فرجاً، وأرجو الله عز وجل أن لا ينطبق عليها قول الله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون}.

فإذا أردنا المنحة بعد المحنة، فلا يسعنا إلا التحقُّق بالعبودية لله عز وجل، كما تحقَّق بها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فالمنح بعد

المحن لمن كان منضبطاً بهدي الحبيب الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الدروس من حادثة الإسراء والمعراج لكلِّ ظالم ومظلوم:

يا عباد الله! يقول مولانا في كتابه العظيم: {وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ}، ومن أيام الله حادثة الإسراء والمعراج التي أعطت دروساً عملية لكلِّ ظالم ومظلوم، أعطت دروساً عملية للظالم لعله يرتدع عن ظلمه، وأعطت دروساً عملية للمظلوم لعله يصبر ويحتسب.

درس لكلِّ ظالم:

أيها الإخوة الكرام: إن حادثة الإسراء والمعراج أعطت درساً عملياً لكلِّ ظالم:

أولاً: أن الظالم لن يفلح وإن طال زمن ظلمه، قال تعالى: {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُون} ما دام مصراً على ظلمه ومعانداً للحق، فإنه لن يفلح لا في الدنيا لا في الآخرة، وهذه هي قريش ظلمت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ظلماً شديداً، لأنه يقول: ربي الله، ولأنه يدعو الناس إلى كلمة التوحيد، فما هي عاقبتهم؟ ما أفلحوا وربِّ الكعبة، قتلوا شرَّ قتلة، وذُلُّوا بعد عِزٍّ، ومن مات منهم على ظلمه خاب وخسر.

ثانياً: إن حادثة الإسراء والمعراج أعطت درساً عملياً لكلِّ ظالم بأن بغيه ومكره ونكثه للعهد هو على نفسه، كما قال بعضهم: ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البغي، والمكر، والنكث.

قال تعالى للظالم الباغي: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم}.

وقال تعالى للظالم الماكر: {وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ}.

وقال تعالى للظالم الناكث في عهده: {فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ}.

أين بغي قريش ومكرها ونكثها في العهد مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ لقد كان بغيها ومكرها ونكثها للعهد عائداً عليها.

لقد أعطت حادثة الإسراء والمعراج درساً لكلِّ ظالم بأن عاقبته وخيمة، واقرؤوا القرآن العظيم، وسيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لتعرفوا هذه الحقيقة.

درس لكلِّ مظلوم:

معشر المسلمين: إن حادثة الإسراءِ والمعراج أعطت درساً عملياً لكلِّ مظلوم:

أولاً: المظلوم هو المنصور ولو طال الزمن، روى الإمام الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ).

فما من عبد مظلوم ولا أمة مظلومة، إلا آتيها النصر من الله تعالى ما دامت منضبطة بضوابط الشريعة، ولم تخرج عن دائرة الشرع حالة ظلمها، لأن الله تعالى يقول: (وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ).

وقد يتساءل البعض: لماذا يتأخر النصر؟ هذا ليس من شأن المؤمن، لأن الأمر لله تعالى من قبل ومن بعد، ويقول الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ}،

لذلك لا يسع العبد إلا قول الله تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}.

ثانياً: إن خصم المظلوم محروم من شفاعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومن حُرم شفاعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقد خسر الدنيا والآخرة.

ليسمع كل مظلوم، إن كان فرداً، أو كان أمة، بأن ظالمه محروم من شفاعة الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إذا مات وهو مصرٌّ على ظلمه، روى الطبراني عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لا تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي: سُلْطَانٌ ظَلُومٌ غَشُومٌ، وغَالٍ فِي الدِّينِ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ فَيَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ)؛ ولو صام هذا الظالم وصلى، ألا يكفي العبدَ المظلوم والأمةَ المظلومة أن خصمه من الظالمين قد حُرم شفاعة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومن حُرم هذه الشفاعة والعياذ بالله تعالى، فمن سيكون شفيعه يوم القيامة؟ {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين}.

ثالثاً: المظلومُ المنضبطُ بضوابط الشريعة سيزيده الله تعالى عزاً رغماً عن أنف ظالمه، وهذا ما أكَّده الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ. قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، **وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا**، وَلا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ) رواه الإمام أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

نعم العبد المظلوم الملتزم دين الله تعالى حالة ظلمه لا يزيده الله تعالى إلا عزاً، ولقد ظُلم سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أيَّما ظلم، وما

زاده الله تعالى إلا عزاً، فهو أعز مخلوق على الله تعالى في السماء والأرض.

رابعاً: المظلوم دعوته مستجابة عند الله عز وجل، وترفع إلى السماء دعواته كأنها شرار، روى الإمام الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ).

وروى الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اتقوا دعوات المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار).

الظالم لن يفلت من قبضة الله تعالى:

يا عباد الله: إن الظلم ظلمات، إن الله تعالى حرَّم الظلم على نفسه، وجعله محرَّماً بين الناس، فاحذروا الظلم؛ لأن الله تعالى يُمهل الظالم لعله يتوب، وإلا فيأخذه أخذ عزيز مقتدر.

اسمعوا يا عباد الله ما يقوله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}) رواه مسلم. فاحذروا الظلم يا عباد الله.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: المظلوم الصابر المنضبط بالكتاب والسنة هو كخير ابني آدم، وله من الله تعالى ظهير ومعين، والعاقبة له، ولن يخذله الله تعالى، ولن يُسلمه، وهو

ينتظر النصر والمثوبة، وظالمه ينتظر الهزيمة والعقوبة، لأن الناس ما تنازعوا في أنَّ عاقبة الظالم وخيمة، وعاقبة المظلوم كريمة.

يا عباد الله: استعيذوا بالله من الظلم، واهتدوا بهدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما كان يخرج من بيته يقول: (بسم اللَّهِ، توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ أنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أوْ أُزلَّ ، أوْ أظلِمَ أوْ أُظلَم ، أوْ أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ) رواه أبو داود وغيره.

نعم إن حادثة الإسراء والمعراج أعطت دروساً عملية لكلِّ ظالم ومظلوم، لعل الظالم يتوب ويؤوب، ولعل المظلوم يصبر ويحتسب وينضبط، لأن العاقبة له.

اللهمَّ لا تسلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يخشاك ولا يرحمنا.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

٢٢٧ـ خطبة الجمعة: وصية الله تعالى لعباده

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

وصيةٌ من الله تعالى في القرآن العظيم لعباده، ووصية من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم للأمة من الحديث الشريف، من التزم بهذه الوصية، واتصف بها كان فخوراً عزيزاً.

إن اتصف بها العالم كان فرحاً فخوراً عزيزاً بها، وإن اتصف بها التاجر كان فرحاً فخوراً عزيزاً بها، وإن اتصف بها الحاكم كان فرحاً فخوراً عزيزاً بها، وإن اتصف بها أيُّ فرد من أفراد الأمة كان فرحاً فخوراً عزيزاً بها، وإن اتصفت بها الحكومة كانت فرحة فخورة عزيزة بها، وإن اتصف بها الشعب كان فرحاً فخوراً عزيزاً بها.

هذه الوصية من الله تعالى في كتابه العظيم قد يمر عليها القارئ ـ لا قدَّر الله تعالى ـ مرور الكرام، يقول الله تعالى موصياً عباده: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ}.

ووصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هي تأكيد على وصية الله تعالى لعباده، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ) رواهُ التِّرْمذيُّ عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه.

خير الوصية عائد علينا:

أيها الإخوة المؤمنون: قد أوصيك بوصية، وقد توصيني وصية، ولكن قد يتَّهم بعضُنا بعضاً، لأنها عُرضَةٌ للخطأ، وقد يكون لي أو لك غرض خاص من تلك الوصية.

أما إذا جاءت الوصية من الله تعالى، فلا شكَّ بأنها لمصلحتنا، وأنَّ خيرَ هذه الوصية ـ إن عملنا بها ـ راجعٌ إلينا، لأن الله تبارك وتعالى غنيٌّ عن خلقه جميعاً، والكلُّ فقراء إليه، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد}.

وكذلك الوصية من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فلا يشكُّ المؤمن بأن خيرها عائد إليه، لأن الله تعالى يقول في حق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}. ولأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم غنيٌّ بالله عنا.

لذلك لا يسع العبدَ المؤمنَ إذا جاءته الوصية من الله تعالى، ومن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلا أن يقول: { سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير}.

احذر من الاستكبار إن قيل لك: اتق الله:

يا عباد الله، إن وصية الله تعالى لعباده السابقين واللاحقين لم يستثن منها أحداً من الخلق مهما كانت مرتبته ومكانته، فعندما خاطب الله تعالى عباده بقوله: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ}. توجَّه الخطاب لسيد الخلق ولحبيب الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ}.

وهذا الخطاب لا يعني أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لم يكن تقياً، حاشاه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من ذلك، بل هو أمر للاستمرارية بالتقوى، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ}. يعني استمروا على الإيمان، والله تعالى أعلم.

فيا عبدَ الله، إذا قيل لك: اتق الله، كن على حذر أن تأخذك العزَّة بالإثم، مهما كان وصفك، ومهما كانت مرتبتك، سواءً كنت رئيساً أو مرؤوساً، سواءً كنت حاكماً أو محكوماً، سواءً كنت أباً أو ابناً، سواء كنت زوجاً أو زوجة.

إذا قيل لك: اتق الله فيجب عليك أن تقف مع نفسك وتحاسبها حساباً شديداً؛ لأن هذا لمصلحتك في الدنيا والآخرة، وإلا فالعاقبة وخيمة عليك لا قدَّر الله تعالى في الدنيا والآخرة، يقول مولانا عز وجل في كتابه العظيم: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَام * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَاد * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَاد}.

كيف تأخذك العزة بالإثم إذا قيل لك: اتق الله، وقد خاطب الله تعالى سيدنا ومولانا رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ}؟ أنا وأنت أولى بهذا الخطاب، أنا وأنت بحاجة في كلِّ وقت إلى من يذكِّرنا بقوله: اتق الله.

أيتها الأمة من القاعدة إلى القُمَّةِ، هذا سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، وهو أمير المؤمنين، والذي جعل الله تعالى الحق في قلبه وعلى لسانه كان يُقال له: (اتق الله يا

عمر، فإنَّه من أيقن الموت خَشِيَ الفَوْتَ، ومن أيقن الحساب خشي العذاب)

فلماذا لا يقول بعضنا لبعض اتق الله؟

بالتقوى نخرج من هذه الأزمة:

معشر المسلمين: نحن نعيش في أزمة شديدة، نعيش في اضطراب وقلق وفوضى، نعيش في حالة خوف من التدخُّل الأجنبي، والكلُّ يقول: هناك تآمر خارجيٌّ علينا، الحكومة تقول هذا، والشعب يقول هذا، والكلُّ على حذر من التدخُّل الأجنبي، لأننا جميعاً حكومةً وشعباً عرفنا ما حصل في العراق، وما يحصل في ليبيا، وما يجري في مصر واليمن، وفي سائر أصقاع الدنيا، الكلُّ يعلم بأن التدخُّل الأجنبي هو دمار للأمة، هو سفكٌ للدماء، هو هتكٌ للأعراض، هو تخريبٌ للبلاد، هو تدميرٌ للسلاح، هو إغراقٌ للأمة في الديون لها، هو استعمار للعباد والبلاد.

يا عباد الله، إنَّ الخروج من هذه الأزمة، ومن هذا الاضطراب، ومن هذا القلق، ومن هذه الفوضى، لا يكون إلا بالتقوى لله عز وجل، لا يكون إلا أن يتوجَّه الحاكم للأمة بقوله: يا أيتها الأمَّة اتقي الله، وأن تتوجَّه الأمَّة للحاكم فتقول له: اتق الله، ولا خير في الأمة إذا لم تقل هذا، ولا خير في الحاكم إذا لم يقل هذا.

وعندما تقول الأمة للحاكم: اتق الله، يجب عليها أن تتقي الله هي أولاً، عندما يقول الحاكم للأمة: اتقِ الله، يجب عليه أن يتقي الله هو أولاً.

يا عباد الله، والله الذي لا إله غيره، إن اتقينا الله جميعاً حكومةً وشعباً، حُكَّاماً ومحكومين، فإن الخروج من هذه الأزمة ومن هذا الاضطراب، ومن هذا القلق، ومن هذه الفوضى، ومن هذا الفساد، أمرٌ يسير بإذن الله تعالى، لأنَّ وعدَ الله تعالى لا

يُخلف، ألم يقُلْ الله تعالى في كتابه العظيم: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ}؟

الأمر بيد الله عز وجل، والكلُّ على علم بقوله تعالى: {لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَة}. والكلُّ على علم بقوله تعالى: { إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.

أيتها الحكومة: إن كنتِ صادقة في طلب الخروج من هذه الأزمة والفوضى والاضطراب والقلق والفساد فعليك بتقوى الله عز وجل في نفسك وفي الأمة.

ويا أيها الشعب: إن كنتَ صادقاً في طلب الخروج من هذه الأزمة والفوضى والاضطراب والقلق والفساد فعليك بتقوى الله تعالى في نفسك وفي الحكومة، فنحن جميعاً حكومةً وشعباً بحاجة إلى التقوى.

ثمار التقوى:

أيها الإخوة الكرام: إن تقوى الله تعالى لها ثمار دنيوية وأخروية يجنيها العبد من خلال وعد الله الذي لا يُخلف، من ثمار التقوى:

أولاً: العاقبة للمتقي، اسمعي أيتها الحكومة، واسمع أيها الشعب، إذا أردتم أن تكون العاقبة لكم فعليكم بتقوى الله عز وجل، قال تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين}.

ثانياً: الخروج من الضيق، اسمعي أيتها الحكومة، واسمع أيها الشعب، إذا أردتم الخروج من هذا الضيق ومن هذه الأزمة فعليكم بتقوى الله عز وجل، قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ}.

ثالثاً: الفلاح في الدنيا والآخرة، اسمعي أيتها الحكومة، واسمع أيها الشعب، إذا أردتم الفلاح في الدنيا والآخرة بتقوى الله عز وجل، قال تعالى: {وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}.

رابعاً: الحفظ من كيد الكائدين، اسمعي أيتها الحكومة، واسمع أيها الشعب، إذا أردتم الحفظ من كيد الكائدين، ومن تآمر المتآمرين من الداخل أو من الخارج فعليكم بتقوى الله عز وجل، قال تعالى: {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط}.

والله إن اتقينا الله جميعاً فإنَّ كيد الكائدين لا يضرُّنا، مهما خططوا في ظلام، ومهما مكروا بالليل والنهار، لأننا إن صبرنا واتقينا فالله تعالى معنا، وهو محيطٌ بهم.

خامساً: المدد من الله تعالى، اسمعي أيتها الحكومة، واسمع أيها الشعب، إذا أردتم المدد من الله تعالى فعليكم بتقوى الله عز وجل، قال تعالى: {بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِين}.

سادساً: المحبة من الله تعالى للمتقين، اسمعي أيتها الحكومة، واسمع أيها الشعب، إذا أردتم أن تكونوا محبوبين عند الله عز وجل فعليكم بالتقوى، قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِين}.

سابعاً: المعيَّة من الله تعالى، اسمعي أيتها الحكومة، واسمع أيها الشعب، إذا أردتم المعيَّة الخاصة من الله تعالى فعليكم بتقوى الله عز وجل، قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُون}.

ثامناً: الفوز في الدنيا والآخرة، اسمعي أيتها الحكومة، واسمع أيها الشعب، إذا أردتم الفوز في الدنيا والآخرة فعليكم بالتقوى، قال تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُون}.

تاسعاً: النجاة من مكر الماكرين، اسمعي أيتها الحكومة، واسمع أيها الشعب، إذا أردتم النجاة من مكر الماكرين فعليكم بتقوى الله عز وجل، قال تعالى: {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِين * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُون * وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُون}.

عاشراً: لا يمسُّك السوء ولا تحزن، اسمعي أيتها الحكومة، واسمع أيها الشعب، إذا أردتم أن لا يمسَّكم السوء، ولا تحزنوا، فعليكم بتقوى الله عز وجل، قال تعالى: {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون}.

الحادي عشر: المغفرة والأجر العظيم، اسمعي أيتها الحكومة، واسمع أيها الشعب، إذا أردتم المغفرة والأجر العظيم فعليكم بتقوى الله عز وجل، قال تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيم}.

الثاني عشر: القرب من الحضرة الإلهية، اسمعي أيتها الحكومة، واسمع أيها الشعب، إذا أردتم الأعظم من هذا كله، ألا وهو القرب من الحضرة الإلهية، فعليكم بتقوى الله عز وجل، قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَر * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِر}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أمةَ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، نحن بحاجة إلى تقوى الله عز وجل حكومةً وشعباً، لأن سبب هذه الفوضى والاضطراب والقلق وحياة الشقاء

والضنك هو إعراضنا عن آيات الله عز وجل، لأن الله تعالى يقول: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}.

يا عباد الله: احفظوا وصية الله عز وجل: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ}. واحفظوا وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ). والتزموا التقوى، فيا أيتها الحكومة اتقي الله في الأمة، ويا أيتها الأمة اتقي الله في الحكومة، فتقوى الله سرُّ سعادتنا في الدنيا والآخرة. اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٢٢٨ـ خطبة الجمعة: ما هي حقيقة التقوى؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن السبيل للخروج من هذه الأزمة التي تمرُّ بها هذه الأمة هو تقوى الله عز وجل، وهذه التقوى هي وصية الله عز وجل للأولين والآخرين، قال تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ}.

أين نحن من هذه التقوى حكّاماً ومحكومين؟ لقد جعل الكثير من الحكام والمحكومين هذه التقوى خلف أظهرهم، وإن ذُكِّروا بها تجمَّلوا بها تجمُّلاً دون سلوك ولا عمل.

ربُّنا عز وجل لا يُخدع، ربُّنا عز وجل لا يريد منّا التقوى كلاماً، بل يريدها سلوكاً وعملاً، وإياك أن تخدع إذا وصفك أحد بالتقوى، وأنت لست متحقِّقاً بها، قال تعالى: {بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَة * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَه}.

فيا من يطلب الخروج من هذه الأزمة من الحكومة والشعب عليك بتقوى الله عز وجل، لأن الله تعالى أخبر بنصِّ القرآن الكريم بأن التقوى هي السبيل للخروج من الأزمات، وخبرُ الله تعالى لا يقبل النسخ ولا التبديل، قال تعالى: {لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ}، فالتقوى هي السبيل الوحيد للخروج من هذه الأزمة، قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ}.

ما هي حقيقة التقوى؟

أيها الإخوة الكرام: كثير من الناس من يتساءل عن حقيقة التقوى، لقد سأل رجل سيدنا أبا هريرة رضي الله عنه: ما التقوى؟ قال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشَّوك عدلتُ عنه أو جاوزته أو قصرت عنه، قال: ذاك التّقوى.

نعم، إن التقوى أن نكفَّ أنفسنا وجوارحنا عن معصية الله عز وجل، وأن لا نسترسل خلف أهوائنا وشهواتنا، وأن لا نسير خلف كلِّ ناعق لا ندري إلى أيِّ شيء يدعونا، التقوى هي ضبط النفس بضوابط الشريعة ولو كرهت، لأن الجنة حُفَّت بالمكاره، والنارَ حُفَّت بالشهوات.

عن مالك بن أنس رضي الله عنه قال: بلغني أنَّ رجلاً من بعض الفقهاء كتب إلى ابن الزّبير رضي الله عنهما يقول: ألا إنَّ لأهل التَّقوى علامات يعرفون بها، ويعرفونها من أنفسهم: من رضي بالقضاء، وصبر على البلاء، وشكر على النَّعماء، وصدق في اللسان، ووفى بالوعد والعهد، وتلا لأحكام القرآن، وإنما الإمام سوق من الأسواق، فإن كان من أهل الحقِّ حمل إليه أهل الحقِّ حقَّهم، وإن كان من أهل الباطل حمل إليه أهل الباطل باطلهم.

فالتقوى لها علامات، فإياك أن تخدع نفسك، إذا قال لك أحد: أنت تقي، فانظر في نفسك، وابحث عن صفات التقوى، وتحقَّق بها.

من صفات المتقين:

يا عباد الله: إن صفات المتقين كثيرة، ذكرها مولانا عز وجل في كتابه العظيم، فمن صفات المتقين:

أولاً: المتقون تتجافى جنوبهم عن المضاجع:

قال تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا}، أين تجافي الجنوب عن المضاجع؟ أيها الراعي، أيتها الرعية، أيها الحاكم، أيتها الأمة المحكومة، هل أنتم جادُّون في البحث عن سبيل للخروج من هذه الأزمة؟ إن السبيل للخروج منها أن تتجافى الجنوب عن المضاجع، داعين الله تعالى خوفاً من سخطه، وطمعاً في عفوه ورحمته وفضله.

انظر أيها الحاكم وأيها المحكوم إلى نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، الذي قال له مولانا عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ}، وانظر إلى أصحابه وأتباعه الذين قال لهم نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) رواه الترمذي، انظر إليهم من خلال وصف الله عز وجل لهم: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ}، وقال جلَّت قدرته: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ}.

نعم، لقد قام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وتجافى جنبه عن المضجع، وقام معه الصحب الكرام رضوان الله عليهم، وبذلك نعلم أن صلاحَ الإمام صلاحُ المأموم، وصلاحَ الراعي صلاحُ الرعية، فطوبى للإمام وللحاكم عندما يكون قدوة لرعيَّته في إظهار عبوديته لله عز وجل من خلال سجوده بين يدي الله عز وجل، وكثرة دعائه لله عز وجل، لأنه إن كان قدوة صالحة لرعيَّته كان عمل

رعيَّته في صحيفته، وأما إن كان من أهل الفسق والفجور ـ لا قدر الله ـ كان أسوة سيئة لرعيَّته، وكان عملُ الرعية السيئ في صحيفة أعماله.

إذا أردنا الخروج من الأزمة فعلينا بقيام الليل، وكثرة الدعاء لله عز وجل، علينا أن نجعل من الليل خلوة بيننا وبين الله تعالى، نناجي فيه مولانا عز وجل، نضع حوائجنا ببابه، نشكو إليه ما حلَّ بنا، مع الأخذ بالأسباب، نتوكَّل عليه ولا نتواكل.

كان بعض الصالحين لا ينام من الليل إلا قليلاً، فقالت له أمه: ألا تريح نفسك؟ فقال: راحتَها أريد.

يا عباد الله، إن الخروج من هذه الأزمة يكون بتجافي الجنوب عن المضاجع، يكون بكثرة الدعاء لله تعالى، ولا يكون بقضاء الليل في الشهوات واتباع الهوى، من خلال القنوات الفضائية الفاسدة المفسدة، هذه القنوات التي أفسدت على الأمة دينها إلا من رحم الله تعالى.

نعم إن الراحة التي نبحث عنها نجدها في وقت السحر، بالوقوف بين يدي الله عز وجل، كما قال هذا العبد الصالح لأمه: راحتَها أريد. إنَّ راحتَنا بذلك، وليس في دولة علمانية لبرالية كما يقولون: نحن نريد دولة علمانية لبرالية، ينفصل فيها الدين عن الدولة، يأخذ المسجد دوره، وتأخذ الكنيسة دورها.

لا يا عباد الله، إن الخروج من هذه الأزمة لن يكون في هذه الدولة المنشودة، بل يكون من خلال قوله تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى

* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}.

اسمعوا هذا القرار من الله تعالى يا أيها الحكام ويا أيها الشعب، واعلموا بأن حياة الشقاء والضنكِ والأزمةِ التي تمرُّ بها الأمة سببُها الإعراض عن دين الله عز وجل، فهل من عودة إلى الهدى الذي جاء به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من ربنا؟ أم ما زلنا نفكِّر في دولة علمانية ليبرالية تفصل الدين عن الدولة، وتقول: الدين لله والوطن للجميع؟

ثانياً: المتقون يتوبون إلى الله تعالى وينيبون إليه إذا مسَّهم طائف من الشيطان:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُون}، وقال تعالى في صفات المتقين: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُون}.

يا عباد الله: الحاكم ليس معصوماً، والشعب ليس معصوماً، والشيطان عدون لابن آدم، وكما أن الشيطان يلعب بالشعب كذلك يلعب بالحكومة، وذلك من أجل إشعال نار العداوة والبغضاء بين الفريقين، قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُون}؟

يا عباد الله: إن أهل التقوى إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكَّروا عداوته بأنه يدعوهم ليكونوا لأن يكونوا من أصحاب السعير، إذا مسَّهم طائف من الشيطان

تذكَّروا قول الله تعالى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُون}، فإذا بأهل التقوى يرجعون إلى هدي مولاهم، يرجعون إلى الطاعة ويحذرون المعصية.

يا عباد الله: إن شياطين الإنس والجن يلعبون بين الحاكم والمحكوم، وبين الحكومة والشعب، أما آن للحكومة والحاكم أن يتنبَّه إلى شياطين الإنس والجن؟ أما آن للشعب أن يتنبَّه إلى شياطين الإنس والجن؟ لقد أوقعوا نار العداوة والبغضاء بينهم حتى سالت الدماء، وهتكت الأعراض، وضُيعت الأموال، وحلَّ بالأمة ما حلَّ بها.

أما آن للأمة حكومة وشعباً أن تتقي الله عز وجل؟ أما آن للحكومة أن تتقي الله في الأمة؟ أما آن للشعب أن يتقي الله في الحكومة؟ أما آن لكلٍّ من الطرفين أن يفكِّر من هو الرابح في نهاية المطاف في هذا النزاع؟ إن الرابح من هذا النزاع، ومن هذه الفوضى، هم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}.

أما آن لكلٍّ من الطرفين أن يحكِّموا شرع الله تعالى فيهم؟ أما آن لكلٍّ من الطرفين أن يعملوا بقوله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}.

يا عباد الله: إن الشيطان مسَّ الأمةَ حكاماً ومحكومين، وأوقع نار العداوة والبغضاء بينهم، فهل من عودة لكتاب الله عز وجل؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: أعود إلى ما بدأت به، إن السبيل الوحيد للخروج من هذه الأزمة هو التقوى، ومن مظاهر التقوى تجافي الأتقياء عن المضاجع، وكثرة الدعاء لله تعالى، ومن مظاهر التقوى الحذر من شياطين الإنس والجن الذين يشعلون نار العداوات

بين الحكومة والشعب، ومن مظاهر التقوى تحكيم شرع الله عز وجل عند الشجار.
اللهمَّ ردَّنا إلى دينك ردّاً جميلاً. آمين. أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه الغفور الرحيم.

** ** **

229ـ خطبة الجمعة: درس عملي لكل حاكم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

وصية الله تعالى لجميع خلقه التقوى، قال تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ}، والتقوى: هي أن تجعل بينك وبين سخط الله وغضبه وقاية، وهذا لا يكون إلا بالالتزام بالهدى الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

والعاقل هو الذي يبحث بين جنبات نفسه هل يجد فيها صفات التقوى أم لا؟ ولو صدقنا مع أنفسنا لوجدنا أنفسنا بعيدين عن صفات المتقين إلا من رحم الله تعالى، وهؤلاء قلة، وصدق الله القائل: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور}، أسأل الله تعالى أن يزيد أهل التقوى، وأن يكرمنا بحقِّ التقوى.

من صفات المتقين كظم الغيظ:

يا عباد الله، صفات المتقين التي ذكرها ربنا عز وجل في كتابه العظيم كثيرة جداً، من

هذه الصفات كظم الغيظ عند الغضب، قال تبارك وتعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين}.

أيها الإخوة الكرام: طبيعة الإنسان خطاء، وخير الخطائين التوابون، وربنا عز وجل ابتلى بعضنا ببعض اختباراً وابتلاء، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا}، وقال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}.

ليفكر كلُّ واحد منا في نفسه، إذا أساء إليك أحد من الناس، هل تقابل الإساءة بالإحسان أم بالإساءة؟ إن قابل الإساءة بالإساءة فهذه بتلك، أما إذا قابل الإساءة بالإحسان، فهذا هو الرابح دنيا وأخرى بسبب كظمه لغيظه، وعفوه عن المسيء، والإحسان إليه.

أما إذا لم يكظم غيظه، وأنفذ غيظه، ولم ينضبط بضوابط الشريعة أثناء إنفاذ غيظه، فهذا العبد ينقلب من مظلوم إلى ظالم، وبذلك تَحُلُّ العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، وتتمزق أواصر المودة والرحمة بين الناس.

فكم من رجل في ساعة الغضب يطلق يده ولسانه انتقاماً ممن أساء إليه، وربما أن يرتكب عند ذلك جريمة القتل، أو سب الله تعالى والعياذ بالله تعالى، وبذلك يخسر الكثير، ويندم ولا ينفعه الندم.

ثمار كظم الغيظ:

أيها الإخوة الكرام: كل تكليف من الله تعالى خيره عائد على العبد المكلَّف، وليس

على الله تعالى، لأن الله تعالى غني عن العالمين، وعندما يشرع الله تعالى لخلقه كظم الغيظ، بقوله تعالى: {وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيم}، فإن خير هذا التكليف راجع على من التزمه، لأن الله تعالى قال في نتيجة هذا التكليف: {فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم}.

ولقد رغَّب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الأمةَ بكظم الغيظ، ونبَّه إلى ثمار كظم الغيظ، من ثماره:

أولاً: يملأ الله تعالى قلب كاظم الغيظ رجاءً، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وإذا امتلأ قلب العبد رجاء يوم القيامة لا شك بأن الله تعالى لا يخيب رجاء هذا العبد، ما دام خافه في الدنيا، والتزم هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كما جاء في الحديث الشريف: (إن الله تبارك وتعالى يقول: وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أبداً أمنين ولا خوفين؛ إن هو أمنني في الدنيا، أخفته يوم أجمع فيه عبادي؛ وإن هو خافني في الدنيا، أمنته يوم أجمع فيه عبادي) رواه الطبراني.

ثانياً: كظم الغيظ أجره يوم القيامة من أعظم الأجور، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه ابن ماجه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ

كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ).

اكظم غيظك في ساعة الغضب، مع التنبُّه إلى الإخلاص، لأن كظم الغيظ عبادة لله عز وجل، وربُّنا يقول: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}، ولا يكن كظم غيظك ليقال عنك: حليم.

ثالثاً: يزوج الله تعالى كاظم غيظه من الحور العين ما شاء، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ، دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ).

رابعاً: يملأ الله تعالى جوف كاظم غيظه إيماناً، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَأَوْمَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِيَدِهِ إِلَى الأَرْضِ: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، وَقَاهُ اللَّهُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، أَلا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثَلاثًا، أَلا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُقِيَ الْفِتَنَ، وَمَا مِنْ جَرْعَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا عَبْدٌ، مَا كَظَمَهَا عَبْدٌ لِلَّهِ إِلا مَلأَ اللَّهُ جَوْفَهُ إِيمَانًا).

كن أيام الفتن قاعداً فيها، ولا تكن قائماً، وإن أبيت فكن قائماً فيها ولا تكن ساعياً فيها، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (وَالسَّعِيدُ مَنْ وُقِيَ الْفِتَنَ)، وفي أيام الفتن اكظم غيظك حتى يزيد الله تعالى في إيمانك، ومن زاد الله تعالى في إيمانه استراح قلبه، وعلم قوله تعالى: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ

لَنَا﴾.

كظم الغيظ يحتاج إلى خوف من الله تعالى:

يا عباد الله: إن كظم الغيظ لا يستطيعه كل واحد، إلا من كان تقياً لله تعالى خائفاً منه، لأنه على موعد يوم القيامة مع الله تعالى، ولهذا يقول سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله تعالى لم يفعل ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون. اهـ.

كيف يشفي العبد غيظه، وربُّنا عز وجل رغَّب كاظم الغيظ بجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين؟ أم كيف يفعل العبد ما يريد بدون قيد ولا شرط إذا كان يخاف الله تعالى؟

درس عمليٌّ لكل حاكم:

أيها الإخوة الكرام: لقد ربَّى الإسلام أتباعه على خلق كظم الغيظ، وتجلى هذا في حياة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وفي حياة التابعين لهم، فهذا سيدنا عمر رضي الله عنه يضرب أروع الأمثلة في فضيلة كظم الغيظ، وهذا الموقف درس عمليٌّ لكل حاكم.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنْ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا بْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ

قَالَ: هِيْ يَا بْنَ الْخَطَّابِ! فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: {خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ} وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ الله.

وقفة مع هذا الموقف:

معشر المسلمين: يجب علينا أن نقف مع هذا الموقف من سيدنا عمر رضي الله عنه، وخاصة بالنسبة للحاكم:

أولاً: ما أجمل الأمة حكومة وشعباً عندما تتحلى بخلق كظم الغيظ، وأن تكون وقافة عند حدود الشريعة في ساعة الرضا والغضب.

ثانياً: ما أجمل الحاكم عندما تكون بطانته صالحة تخاف الله تعالى، ولها صلة مع كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم! ما أجمل الحاكم عندما يكون وزراؤه من أهل التقوى، وأهل الصلاح، حيث يذكِّرونه إذا غفل، ويعينونه على إحقاق الحق وإبطال الباطل، ويعينونه على العدل، عسى أن يكون في ظل عرش الرحمن يوم القيامة.

أما عندما تكون بطانة الحاكم فاسدة، ولا علاقة لها بكتاب الله تعالى، ولا بهدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فإنه تؤذيه وتؤذي رعيَّته، وبذلك يكون الخسران المبين.

ثالثاً: على الحاكم الذي رضي أن يحمل هذا العبء الثقيل، عبء مسؤولية الأمة

كلها، أن يوطِّن نفسه لتحمُّل أذى الآخرين، وأن يكون صدره واسعاً، حتى يسمع من القاصي والداني، ومن المحب ومن المبغض، هذا إذا كان ينظر إلى الإمارة أنها مغرم، أما إذا كان ينظر إلى الإمارة أنها مغنم فقد خاب وخسر.

رابعاً: على الحاكم أن يوطِّن نفسه لسماع النصح والتذكير من الرعية، وأن يمكِّن الرعيَّة ـ وبطانته خاصة ـ أن تقول له: اتق الله، ما دام الله تعالى يقول لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ}.

خامساً: على الحاكم أن يسعى جاهداً للحكم بين الناس بالعدل، وأن يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، وخاصة إذا كان مقراً بحقوق رعيَّته، ومقراً بأنه كان مقصِّراً معها سابقاً، وهذه الأمور تحتاج إلى خلق كظم الغيظ.

وليسمع كلُّ حاكم إلى ما ذكره ابن كثير في سيرة سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، أن رجلاً كلَّمه يوماً حتى أغضبه، فهمَّ به عمر، ثم أمسك نفسه، ثم قال للرجل: أردت أن يستفزَّني الشيطان بعزَّة السلطان، فأنال منك ما تناله مني غداً؟ قم عافاك الله، لا حاجة لنا في مقاولتك.

أيها الحاكم: احذر أن يستفزَّك الشيطان بعزَّة السلطان، فتنال من رعيَّتك ما تنالُه منك يوم القيامة، كن كما قال الله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، إنَّ خلق كظم الغيظ دليل على قوة النفس وقهر شهوة الغضب، دليل على تقوى الله تعالى وإيثار وعده بالجنة، كاظم الغيظ محبوب عند الخلق، يتقرَّبون منه ولا يتحاشونه، كظم الغيظ يشيع بين الناس جو الصفاء والمحبة والرحمة، وهو

دليل على قوة شخصية العبد المؤمن.

جاء غلام لأبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه، وقد كسر رجل شاة له، فقال له: من كسر رجل هذه؟ قال: أنا فعلته عمداً لأغيظك فتضربني فتأثم. فقال: لأغيظنَّ من حرَّضك على غيظي، فأعتقه.

وأما العبد الواشي النمَّام الذي ينقل الكلام لإشعال نار الفتن بين الناس، فليعلم أنه بريد الشيطان، الذي قال فيه مولانا عز وجل: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء}.

وهل تجدون عاقلاً يرضى أن يكون بريداً للشيطان، يرضى أن يكون جندياً من جنود الشيطان الذي يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير؟

قال رجل لوهب بن منبِّه رحمه الله تعالى: إن فلاناً شتمك، فقال: ما وجد الشيطان بريداً غيرك؟!

هل ترضى يا أيها الواشي، يا أيها النمام، أن تسمع مثل هذا الكلام؟

وهلا تنبَّهت يا أيها المؤمن إلى كلِّ واشٍ ومفسد يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بينك وبين الآخرين، وعرفته أنه شيطان من شياطين الإنس.

أسأل الله تعالى أن يكرمنا بكظم الغيظ، والعفو عن الناس، وأن يجعلنا من المحسنين لكلِّ من أساءَ إلينا، وأن يجنِّبنا الإساءة للآخرين. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

230ـ خطبة الجمعة: من هو الصادق؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن وصية الله تعالى لجميع خلقه أولِهم وآخرِهم هي تقوى الله تعالى، قال تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ}.

والتقوى لها ثمار دنيوية وأخروية، وعلى رأس ثمارها الدنيوية أن يخرج الله تعالى عباده المتقين من ضيقهم وكربهم وبلائهم، قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا}.

وأنا عندما أتوجَّه بهذا الحديث أتوجَّه إلى الإخوة المؤمنين، الذين آمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وآمنوا بالقرآن العظيم، وآمنوا وصدَّقوا بوعد الله تعالى ووعيده، أتوجَّه بهذا الحديث إلى كلِّ من يدَّعي الإيمان من حاكم ومحكوم، وأقول: يا من يريد من الحكومة والشعب الحياةَ الطيبة، والسعادة الحقيقية في الحياة الدنيا، والخروجَ من الأزمة التي تمرُّ بها الأمة، عليك بتقوى الله، وكن على ثقة بأن وعد الله لا يُخلَف، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ

مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون}، وقال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ}.

ونحن يا عباد الله فقدنا الحياة الطيبة، وبدأنا نعيش حياة الشقاء والضنك، ولا شك بأن السرَّ في هذا هو الخلل إما في الإيمان ـ لا قدر الله تعالى ـ وإما في العمل الصالح، لأن الله تعالى يقول: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}، ومن جملة ما نسيه الكثير من الحكومة والشعب قول الله تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ}.

الصدق هو وصف المتقين:

معشر المسلمين: الكلُّ يفتخر إذا وصف بصفة التقوى، ولكن العاقل هو الذي لا يقبل هذا الوصف إلا إذا كان متحقِّقاً به، وإلا كان مغروراً، ومن صفات المتقين الصدق، قال تعالى: {وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُون}.

اسمع هذا أيها الحاكم والمحكوم، واعلم بأن صفة المتقين هي الصدق، فإن كنت تقياً كنت صادقاً، والصادق هو الذي آمن بما جاء به الصادق الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من عند مولانا عز وجل.

ومن حُرِم نعمة الإيمان بالله تعالى، وبسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فهو لا يعرف الصدق أبداً، ولا يعرف التقوى، ومن فَقَدَ التقوى فَقَدَ الصدق، ومن فقد الصدق كان منافقاً.

فالصليبية لا تعرف الصدق، والعلمانية لا تعرف الصدق، والليبرالية لا تعرف الصدق، والمدنية لا تعرف الصدق، ومن أراد الخروج من الأزمات عن طريق الصليبية أو العلمانية أو الليبرالية أو المدنية فلن يزداد إلا غرقاً في الأزمات وحياة الشقاء والضنك، لأن قرار الله تعالى واضح وبيِّن، قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}، ومن هدي الله تعالى التقوى التي هي رمز الحياة الطيبة، وهي السبيل للخروج من الأزمات.

فيا أيتها الأمة من القاعدة إلى القمة، عليك بالتقوى لله عز وجل، ومن صفات المتقين الصدق، والصدق هو الالتزام بكتاب الله تعالى وبسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، الصدق هو نصرة الله تعالى ونصرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وهذا ما جَلاَّه ربُّنا عز وجل في القرآن العظيم عندما وصف أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقال تعالى: {لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون}.

الصادق هو من نصر الله تعالى:

أيها الإخوة الكرام: ليسأل كلُّ واحد منا نفسه: هل أنا صادق؟ أيها الحاكم سل نفسك هذا السؤال، أيها المحكوم سل نفسك هذا السؤال، فإن قلتَ: نعم، فأقول لنفسي ولك: إن دليل الصدق هو نصرة الله تعالى، ونصرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فأين نصرتك لله تعالى؟ وأين نصرتك لسيدنا

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

ونصرة الله تعالى تكون بتحليل الحلال وتحريم الحرام، ونصرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تكون بالالتزام بهديه، لأن الله تعالى قال: {وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون}.

فيا مدَّعي الصدق! أين نصرة الله تعالى؟ وأين نصرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ إذا ادَّعيتَ الصدقَ وأنت لا تحلُّ الحلال ولا تحرِّم الحرام فاعلم بأنك لستَ صادقاً، إذا ادعيتَ الصدق وأنت لا تلتزم هديَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فاعلم بأنك لستَ صادقاً، إذا ادعيتَ الصدقَ وأنت تأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف فاعلم بأنك لست صادقاً، الصادق هو من نصر الله تعالى، ونصر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

هكذا ربَّى الإسلام أتباعه:

يا عباد الله: الإسلام ربَّى أتباعه على الصدق، ربَّاهم على الصدق قولاً وعملاً، فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم شهد له أعداؤه قبل أصحابه بقولهم: (مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلا صِدْقًا) رواه البخاري.

فالصادق الأمين ربَّى أتباعه على الصدق بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا؛ وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ

الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا) رواه مسلم.

أنا على يقين بأن هذا الحديث الشريف عرفه القاصي والداني، وعرفه الحاكم والمحكوم، وهذا الحديث الشريف إما أن يكون حجة لك أو عليك، فأين نحن من الصدق في أقوالنا وأفعالنا وأحوالنا على جميع مستوياتنا؟

فيا أيها الحاكم، كن صادقاً مع رعيَّتك، ويا أيتها الرعية كوني صادقة مع الراعي، ويا أجهزة الإعلام كوني صادقة مع الأمة، لأن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، والصدق لا يكون إلا بنصرة الله تعالى، ونصرة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

واحذروا يا عباد الله جميعاً الكذب، لأن الكذب يهدي إلى الفجور، وإذا عمَّ الفجور في الأمة ـ لا قدر الله تعالى ـ فأيُّ سعادة تنشدها الأمة؟ إذا كذب الحاكم على المحكوم، والمحكوم على الحاكم، فأيُّ حياة طيبة تنشدها الأمة؟

وصيَّة سيدنا علي رضي الله عنه:

أيها الإخوة المؤمنون: وصية من وصايا سيدنا علي رضي الله عنه أتوجَّه بها إلى نفسي وإلى كلِّ واحد فينا، وإلى الحاكم خاصة، يقول رضي الله عنه: من كانت له عند الناس ثلاث، وجبت له عليهم ثلاث:

١. من إذا حدَّثهم صدقهم.

٢. وإذا ائتمنوه لم يخنهم.

٣. وإذا وعد وفى لهم.

وجب له عليهم:

١. أن تحبَّه قلوبهم.

٢. وتنطقَ بالثناء عليه ألسنتهم.

٣. وتظهرَ له معونتهم.

أيها الحاكم، أيها المؤمن مهما كان مستواك، ومهما كانت منزلتك: إذا أردت أن تحبَّك القلوب، وتنطقَ الألسنُ بالثناء عليك، وتظهرَ معونةُ الناس لك، فاصدق إذا حدثت، واحذر الخيانة إذا ائتمنت، وأوف بالوعد.

ومن حُرم هذه الأمور الثلاثة فوالله إن القلوب لا تحبه، وإن نطقت الألسن بالثناء عليه، فهو كذب ونفاق منهم له، ولن يجد عوناً حقيقياً منهم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، من صفات المتقين الصدق، والصدق يعني نصرةَ الله تعالى، ونصرةَ رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وإذا تحقَّقت الأمة حكَّاماً ومحكومين بالصدق، فإن سبيلها إلى حياة طيبة في الدنيا والآخرة، وإلا فحياةُ الشقاء والضنك في الدنيا، والعذابُ في الآخرة.

لنصدق نحن أولاً، ثم لنأمر الآخرين بالصدق ثانياً، حتى لا ينطبق علينا قول الله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُون}.

اللهمَّ أكرمنا جميعاً بالتقوى، وحقِّقنا بصفات المتقين، وخاصة بصفة الصدق، فنعم من يُسأل ربُّنا، ونعم المجيبُ مولانا.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

231ـ خطبة الجمعة: أثر شهر الصيام في عالم السماء والأرض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

هذا شهر رمضان المبارك قد أطلَّ على الأمة الإسلامية، هذا الشهر العظيم المبارك كلما أطلَّ على الدنيا كان له أثر في السماء وفي الأرض، وأثره في السماء والأرض من أجل مصلحة ابن آدم الخطاء، كان له أثر في السماء والأرض ليكون عوناً لنا على الاستقامة والاصطلاح مع الله تعالى، ليكون عوناً لنا على سلوك الطريق الذي يوصلنا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، ليكون عوناً لنا على الاصطلاح فيما بين بعضنا البعض.

أخرج الإمام الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ).

فكلما أطلَّ هذا الشهر على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم جعل أثراً في السماء، حيث تفتح أبواب الجنان وتغلق أبواب النيران، وجعل

أثراً في الأرض حيث تصفد الشياطين ومردة الجن، وبعد ذلك نادى المنادي: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.

عداوة الشيطان للإنسان محكمة:

معشر المسلمين: الشيطان عدو للإنسان، وعداوته محكمة لا تتحول ولا تزول، وقد أخبرنا مولانا عز وجل عن عداوته لنا بقوله: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا}.

يقول العلماء في هذه الآية الكريمة: إنها تضمَّنت خبراً وأمراً، فأما الخبر فهو قوله تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ}، وهذا الخبر من الله تعالى لا يقبل النسخ ولا التغيير ولا التبديل، وأما الأمر فهو قوله تعالى: {فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا}، ولا يليق بالإنسان المؤمن أن يتخذه لنفسه ولياً، أو أن يصغي إليه، لأن الله تبارك وتعالى عاتب عباده عتاب لطف فقال: {إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً}، ويقول تبارك وتعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِين * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيم}.

كن يا عبد الله ممتثلاً أمر ربك عز وجل، واحذر امتثال أمر الشيطان، لأن الشيطان يريد إلقاء العداوة والبغضاء بين العباد، وقد أخبرنا الله عز وجل عن هذه الحقيقة بقوله: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء}، وإذا وقعت العداوة والبغضاء بين العباد ارتكبوا الموبقات من قتل نفس، وإزهاق أرواح، وهضم للحقوق، وإشعال لنار الفتن بين الناس، وبذلك يتحقَّق للشيطان ما يريد، حيث يكون هؤلاء من أصحاب السعير، لأن الشيطان يريد هذا لابن آدم، قال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}.

هل عرفت الأمة هذه الحقيقة؟

أيها الإخوة الكرام: هل عرفت الأمة هذه الحقيقة؟ هل عرف الراعي والرعية هذه الحقيقة؟ هل عرف الحاكم والمحكوم هذه الحقيقة؟ حقيقة لا مجال لإنكارها {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء}.

وعندما غفلت الأمة عن هذه الحقيقة أوقع الشيطان نار العداوة بين الناس، وخاصة بين الحاكم والمحكوم، بين الراعي والرعية، ووقعت الآثام، وسفكت الدماء، وهتكت الأعراض، وضيعت الحقوق.

يا عباد الله: ما من عبد خلقه الله تعالى إلا وله شيطان، كما أخبر بذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلا يَأْمُرُنِي إِلا بِخَيْرٍ) رواه مسلم.

هل سمعت هذا أيها الحاكم والمحكوم؟ كل واحد منا له شيطان، فهل وافقناه أم خالفناه؟ نعم لقد سلطت علينا شياطين الإنس والجن، وأوقعوا نار العداوة والبغضاء، ولعبوا دورهم بين الناس، وأشعلوا نار الفتن، حتى سفكت الدماء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عون من الله تعالى لنا:

يا عباد الله: هذا شهر رمضان المبارك قد أظلنا، وهذه معونة من الله تعالى لنا لإطفاء نار الفتنة، حيث صفدت الشياطين ومردة الجن، وفتحت أبواب الجنان، وغلقت أبواب النيران، ونادى المنادي للجميع من حاكم ومحكوم: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، لقد فتح الله تعالى لنا جميعاً باب التوبة، ونادى العباد جميعاً حكاماً ومحكومين بقوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}.

يا من يريد الصلاح والإصلاح، ويا من يريد إعطاء كلِّ ذي حق حقه، هذا هو المنادي يناديك في شهر رمضان (يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ) أقبل على الله تعالى عابداً راكعاً ساجداً، ومتى نرى هذا المشهد يا عباد الله؟ متى نرى الحاكم والمحكوم وضعوا جباههم على الأرض سجداً لله تعالى، يبتغون فضلاً من الله تعالى ورضواناً؟

العزة والسيادة والريادة بالإيمان:

أيها الإخوة المؤمنون: إذا أردنا العزة والسيادة والريادة فعلينا بالإيمان، علينا بالإقبال على الله تعالى، وأن نقصر عن الشر، علينا بكلمة لا إله إلا الله، عقيدة والتزاماً، وتذكروا يا عباد الله حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، عندما اجتمعت قريش على عمه أبي طالب وشكوا إليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وقالوا: إنه يسبُّ آلهتنا ويسفه أحلامنا، ويذكر أن آباءنا في النار، فدعا أبو طالب النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وقال: يا بن أخي، هؤلاء قومك جاؤوا يشكونك ويذكرون كذا وكذا، فماذا تطلب منهم؟ قال: أطلب منهم كلمة واحدة، إن قالوها دانت لهم العرب، وأدت إليهم العجم الجزية، فقال القوم: نحن نقول عشر كلمات، فماذا تريد؟ فقال: قولوا: (لا إله إلا الله)، فنفروا وقاموا وقالوا: لا نقولها أبداً، وجعل بعضهم يقول لبعض: امشوا واصبروا على آلهتكم.

هذا هو قرار الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، اسمع هذا القرار يا من أردت التمكين في الأرض حكومة وشعباً، وصدق الله تعالى القائل: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون}.

نعم عندما سمعت الأمة كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم دانت لهم العرب، ودفعت لهم الجزية الأعاجم، من كان يصدق هذا أيها الإخوة؟ لقد كانت فارس والروم تنظر إلى العرب كنظرة الغرب إلى العرب اليوم، ولكن بسرِّ كلمة: (لا إله إلا الله)، وبالعمل بمضمونها، تحقَّقت لهم بشارة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

حكِّموا شرع الله فيكم:

يا عباد الله، هذا شهر رمضان المبارك الذي جعل أثراً في السماء وفي الأرض، ونادى المنادي بقوله: (يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر)، فهل حكَّمتم شرع الله فيكم؟ وهل تذكرتم قول الله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}؟

اسمعوا هذا يا عباد الله، وحكِّموا دين الله فيكم حكّاماً ومحكومين.

هذا شهر رمضان المبارك الذي تصفد فيه الشياطين ومردة الجن، فهل جعلناه شهر انتصار على أنفسنا وشياطين الإنس الذين يريدون إشعال نار الطائفية والعشائرية بيننا؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، لنسمع وصية سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وصية المعصوم، وصية الناصح الأمين، وصية النذير العريان، وهو يخاطب الأمة كلَّها من القاعدة إلى القمة حتى تغتنم فرصة هذا الشهر العظيم المبارك، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (قال الله: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) رواه البخاري ومسلم.

اسمعي أيتها الأمة المباركة لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحطُّ الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا اللهَ من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حُرم فيه رحمة الله عز وجل) رواه الطبراني، أروا الله خيراً في هذا الشهر المبارك يا عباد الله، والشقي من حُرم في هذا الشهر رحمة الله تعالى.

أسأل الله تعالى أن لا يحرمنا الرحمة، وأن يجمع شمل هذه الأمة، وأن يستر أعراضنا، وأن يؤمِّن روعاتنا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

232ـ خطبة الجمعة: كن حريصاً على صيامك أيها الصائم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد أطلَّ شهر رمضان المبارك على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ليكون فرصة للأمة الشاردة عن دين الله تعالى أن تؤوب وترجع إلى رشدها لتصطلح مع الله تعالى.

جاء هذا الشهر العظيم المبارك، والعون من الله تعالى فيه واضح للعباد حتى يرجعوا إلى عبوديَّتهم الحقة، فصفَّد الله تعالى لهم الشياطين ومردة الجن، وفتح أبواب الجنان، وغلَّق أبواب النيران، ونادى المنادي: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، وضوعف أجر العمل، الفريضة فيه بسبعين، والنافلة فيه كفريضة فيما سواه، وجعل ربُّنا عزَّ وجل أوَّله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتقاً من النار.

كيف استقبلت الأمة هذا الشهر؟

يا عباد الله، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال عن هذا الشهر: (أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة ويحطُّ الخطايا ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل) رواه الطبراني.

لقد طلب منا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن نتنافس في الخيرات والقربات في هذا الشهر، قال تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُون}، ليكون هذا الشهر شاهداً لنا لا علينا، طلب منا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن نريه من أنفسنا خيراً في هذا الشهر خاصة، ولكن وبكلِّ أسف كيف استقبلت الأمة هذا الشهر العظيم المبارك؟

لقد استقبلت الأمة هذا الشهر بسفك الدماء، التي قال الله تعالى فيها: {مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا}، لقد استقبلت الأمة هذا الشهر بموبقة من الموبقات، وبكبيرة من الكبائر، ألا وهي قتل النفوس بغير حق، بل بالظلم والعدوان، وإنا نبرأ إلى الله تعالى من كلِّ قطرة دم وقعت على الأرض بغير حقٍّ أياً كان الفاعل، وليسمع القاتل بغير حقٍّ قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا

لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا) رواه البخاري، وليسمع من يشترك في القتل بغير حقٍّ إلى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق) رواه ابن ماجه بإسناد حسن، ورواه البيهقي والأصبهاني وزاد فيه: (ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله النار). وليسمع المعين على القتل ولو بشطر كلمة حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) رواه ابن ماجه.

هكذا استقبلت الأمة شهر رمضان المبارك، كما استقبلته بالتشويش على المصلين في صلاة العشاء والقيام خاصة، عندما يتجمع الناس على أبواب المساجد أثناء صلاة القيام.

هل هذا من الخير الذي يرضي ربَّنا عز وجل؟ هل هذا من الطاعات التي يتنافس فيها المتنافسون؟

كن حريصاً على صيامك:

أيها الإخوة الكرام: لماذا لا تسمع الأمة وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ هل نسيت الأمة قول الله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}؟

لقد أوصى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الأمةَ بضبط النفس بشكل عام، فقال: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) رواه البخاري ومسلم، وفي شهر رمضان المبارك بشكل خاص، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) رواه البخاري

ومسلم.

نعم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حريص على أن لا يضيع الصائم أجر صيامه الذي لا يعلم قدره إلى الله تعالى، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي) رواه مسلم.

أجر صيام يوم واحد من رمضان لا يعلم قدره إلا الله تعالى، وإذا أردنا أن نعرف حقيقة هذا فلنسمع إلى حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

وصحبه وسلم: (مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ وَلا مَرَضٍ لَمْ يَقْضِ عَنْهُ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ) رواه الترمذي. لو صام العبد الدهر كله نافلة ليحصل أجر صيام يوم واحد من رمضان أفطره بغير عذر ولا رخصة شرعية لا يحصله.

يا عباد الله، نرى أهل الدنيا إذا أكرمهم الله تعالى بشيء من حطامها من مال وجاه وسلطان وريادة وسيادة تراهم حريصين كلَّ الحرص عليها من ضياعها، وهم على يقين بأنه لا بد من فراق هذه النعم الدنيوية المادية، وهم على يقين بأن النعم لو دامت لهم فلن يدوموا لها، ومع ذلك تراهم حريصين عليها هذا الحرص الشديد.

أليس المؤمن أولى بالحرص على صيامه من الضياع من حرص هؤلاء على دنياهم؟

يا عباد الله، لقد أنعم الله تعالى علينا فشرح صدورنا للإسلام، ووفَّقنا لصيام هذه الأيام مع شدَّة حرِّها وطول نهارها، ونرى غيرنا حرمهم الله تعالى هذه النعمة، أليس الجدير بنا أن نحافظ على هذه النعمة حتى لا نحبطها؟

أيها الصائم امتثل الأمر:

يا عباد الله، يجب على الصائم أن يمتثل أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى

آله وصحبه وسلم الذي يقول: (فَإِنْ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ) رواه البخاري ومسلم، هو بدأك بالسب والشتم واللعن، هو بدأك بالقتال، ليكن الرد عليه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنِّي صَائِمٌ) حتى لا تضيع الأجر الذي أنت على موعد معه عند الله عز وجل حيث يقول سبحانه: (إِلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)، والعطاء على قدر المعطي، لا على قدر المعطى له.

كن أيها الصائم حريصاً على عطاء الله لك، وخاصة إذا كان العطاء في دار البقاء، حيث يكون العطاء بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، قوة الإنسان تتجلى بضبط النفس في ساعة الغضب بشكل عام، وبشكل خاص في شهر رمضان المبارك، حتى لا يضيع العابد أجر عبادته، لأن الإساءات للآخرين تودي بالحسنات، كما جاء في الحديث الشريف يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) رواه مسلم.

يا عباد الله: السعيد من أرى اللهَ تعالى من نفسه خيراً في هذا الشهر، السعيد الذي ضبط نفسه بضوابط الشريعة في ساعة الغضب، كما ضبطها في ساعة الرضى، السعيد الذي نال وعد الله تعالى لعباده الصائمين: (إِلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي

وَأَنَا أَجْزِي بِهِ).

أسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لصيام هذا الشهر حقَّ الصيام، وقيامه حقَّ القيام، وأن نريَ اللّهَ تعالى من أنفسنا خيراً، وأن يطفئ نار هذه الفتنة، وأن يجعل كيد الكائدين وحقد الحاقدين عائداً عليهم، إنه على كلِّ شيء قدير. أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

233ـ خطبة الجمعة: ما هي وظيفة العلماء في هذه الظروف؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

روى الإمام البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا؛ فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا).

الأمة في حالة غرق:

يا عباد الله، من خلال الحديث الشريف نرى الأمة في حالة غرق ـ لا قدر الله ـ وهذا الغرق سيشمل الجميع بدون استثناء، إذا لم نقم بالواجب الذي علينا تجاه هذه الأمة وعلى جميع المستويات، يجب على العلماء والحكَّام والعقلاء، وعلى كلِّ فرد من أفراد الأمة أن ينقذ الأمة من الغرق، على قدر جهده وحسب مكانته،

كما يجب على الأمة أن ترجع إلى كتاب الله تعالى لتعرف مَنْ هو عدوُّها الحقيقي، قال تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}، وقال تعالى: {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ}.

واجب على الأمة كلِّها أن تضافر جهودها لإخراج الأمة من هذه الأزمة التي تمرُّ عليها، وإلا فسيندم الجميع لا قدر الله تعالى، والعاقل من اتَّعظ بغيره.

مسؤولية العلماء أكبر المسؤوليات:

معشر المسلمين! كما قلت: المسؤولية تقع على الجميع، ولكنها على العلماء أكبر، لأن الله تعالى أكرمهم بما لم يُكرم به الحكَّام والأمراء والأغنياء، أكرمهم الله تعالى بما لم يكرم به سائر الناس، حيث جعلهم الله تعالى ورَّاثاً لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وجعلهم على بصيرة من أمرهم، وعرَّفهم على الحقِّ من خلال القرآن العظيم المحفوظ الذي {لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيد}، عرَّفهم على الحقِّ من خلال القرآن العظيم الذي لو اجتمع أهل الأرض على تغيير حرف منه لعجزوا، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون}.

والسعيد هو الذي عرف الحقَّ والتزمه، ولو أنَّ حكَّامنا التزموا الحقَّ من خلال القرآن العظيم لاستقرَّت أحوالهم وأحوال بلادهم، ولقد جرَّبت البشرية، وجرَّب العرب غيرَ الإسلام من أفكار ومبادئ وأحزاب وقوانين، ولكنَّهم باؤوا بالفشل،

وانتشرت الفوضى، وكثر الهرج، وضاعت الحقوق، وانتشر الظلم، ودُمِّرت البلاد، حتى أصبحنا لا نرى دولة من الدول إلا والقتل مستحرٌّ فيها. والعياذ بالله تعالى.
فهلاَّ جرَّبنا الإسلام الذي أعطى لكلِّ ذي حقٍّ حقَّه؟!

ما هي وظيفة العلماء في هذا الظرف؟

أيها الإخوة الكرام: الكثير يتساءل: ما هي وظيفة العلماء في هذه الظروف؟ وما هو الواجب عليهم تجاه هذه الأزمة؟

أيها الإخوة: إن الواجب على العلماء في هذا الظرف، وفي كلِّ ظرف يمرُّ على الأمة، أن يبلِّغوا رسالة الله تعالى، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، متأسِّين بسيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي قال له مولانا عزَّ وجل: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}، وقال له: {قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}.

وقد حذَّر اللهُ تعالى العلماءَ من كتم الحقِّ والحقيقة، إذا كانوا قادرين على قولها ولم يقولوها، فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُون}، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}.

العلماء والأمراء:

أيها الإخوة الكرام: لو نظرنا إلى صدر الإسلام الأول لوجدنا الحكام والأمراء هم العلماء، وجدنا الأمير في قصر الإمارة، ووجدناه في المحراب إماماً للمسلمين في دينهم ودنياهم، وجدنا الأمراءَ علماءَ متمكِّنين في دين الله عز وجل، يأمرون بما أمر به الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وينهون عما نهى عنه

الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد فترة من الزمن ـ ولحكمة أرادها الله تعالى ـ انفصلت الإمارة عن العلماء، ولكن بقي الأمير على باب العلماء يستفتيهم، فكان العالم مفتياً، والأمير مستفتياً ملتزماً، وفي هذا الحال كان الخير في الأمراء، حيث جعلوا العلماء أمراء على الأمراء، لأن الأمير كان حريصاً على آخرته على قدر الاستطاعة، وكان متأثِّراً بالعلماء الربَّانيِّين.

وبعد فترة أخرى من الزمن انقطع الأمراء والحكام عن العلماء، واستغنوا بدنياهم وحاشيتهم عن العلماء الربَّانيِّين، واقتصر العلماء على أنفسهم وعلى من أراد العلم منهم، وكانوا يصدعون بكلمة الحق على قدر استطاعتهم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهم يتمثَّلون حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ) رواه مسلم.

اتَّق الله في العلماء:

يا عباد الله، العلماء الربَّانيُّون على بصيرة من أمرهم، يتكلَّمون بحكمة، ويسكتون بحكمة، ولا يجوز للإنسان أن يحكم على عالم من العلماء بأنه منافق أو جبان، لأنه ما تكلَّم في ساعة من الساعات! وكيف يحكم عليه بذلك ورسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، **فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ**، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)؟! فهلاَّ عذرنا العلماء إذا لم يتكلَّموا في ساعة من الساعات!

يا عباد الله: لا تحمِّلوا العلماء ما لم يحمِّلهم إياه الشرعُ الشريف، واتَّقوا الله في علماء الأمة، والكلُّ راجع إلى الله تعالى ومسؤول عن أقواله وأفعاله.

لقد صدع العلماء بكلمة الحق:

أيها الإخوة الكرام: إن العلماء الربَّانيِّين في هذا البلد صدعوا بكلمة الحقِّ من الساعة الأولى أمام أصحاب الشأن، من أعلى سلطة إلى أدناها، عرف هذا من عرف، وجهل هذا من جهل، وتجاهل من تجاهل، لقد صدعوا بكلمة الحق من بداية خرق السفينة، أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وحذَّروا من العواقب غير الحميدة للبلد كلِّه.

وقد أظهر العلماء البيان الأخير للناس بعد أن قالوا مضمونه لأصحاب الشأن مرات عدة.

أناشد المسؤولين:

أيها الإخوة الكرام: وها أنا أناشد المسؤولين وأقول لهم: أنتم مسؤولون عن عناصركم وأتباعكم قبل أن تكونوا مسؤولين عن الأمة كلِّها، فهذه الإساءات التي تصدر من عناصركم من سفك للدماء البريئة، وإيذاء للناس الأبرياء، وإتلاف للأموال بكلِّ صورها وأشكالها، وسجن للأبرياء، أنتم المسؤولون عن ذلك، ويجب عليكم أن تضربوا بيد من حديد على أيدي عناصركم، وأن تعيدوا الحقَّ لأصحابه، وأن تعيدوا الكرامة لأصحابها، لأن الاعتذار للأبرياء بعد الإساءات لا يقدِّم ولا يؤخِّر، وإنَّ سكوتكم عن إساءات عناصركم هو إقرار لهم على تلك الإساءات.

ولا نريد أن نسمع منكم كلمة: أنا لا أستطيع على هؤلاء العناصر، وأنا لا أعرف المسيء من غير المسيء، لأن هذه الكلمة ليست كلمةَ حقٍّ، لأن الذي يكون عاجزاً عن ضبط عناصره فهو من باب أولى وأولى يكون عاجزاً عن ضبط غيرهم من الأمة.

يجب عليكم أيها المسؤولون محاسبة الفاسدين من عناصركم قبل محاسبة الفاسدين من غيرهم، وإلا فإن الفساد يزداد يوماً بعد يوم ـ لا قدر الله تعالى ـ ومن كان منكم عاجزاً بحقٍّ عن محاسبة الفاسدين من العناصر فعليه أن يعزل نفسه ويجلس

في بيته، وليبرئ ذمَّته أمام الله تعالى، لأنَّ عجزه هذا، مع بقائه في مكان عمله، ومع وجود الإساءات من عناصره، لا ينقذه من الحساب بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

أناشد الوجهاء والعقلاء:

يا عباد الله: إني أتوجَّه إلى الوجهاء والعقلاء بعد أن توجَّهت إلى المسؤولين أقول لهم: يجب عليكم أن تأخذوا على أيدي شبابكم إذا قصدوا سفكَ الدماء وإتلافَ الأموال العامة، لأن الأموال العامة ليست ملكاً لرئيس ولا لمسؤول، بل هي ملك للأمة، لماذا تُحرَق الأموال العامة وتدمَّر مبانيها؟

يجب عليكم أيها الوجهاء والعقلاء أن توجِّهوا أبناءكم وأتباعكم إلى المطالبة بالحقِّ بدون فساد وإفساد، بكلِّ صوره وأشكاله، لأن محاربة الفساد والإفساد لا تكون بالفساد والإفساد، إن محاربة الفساد تكون بالصلاح والإصلاح، حذِّروهم من سفك دماء الأبرياء، ومن إتلاف الأموال العامة، لأنها أموال الجميع.

وإذا قلتم أيها الوجهاء والعقلاء: نحن عاجزون عن كفِّ أيدي الشباب عن الفساد والإفساد، أقول: هذا ليس بصدق، لأنكم تتابعون من يقع من هؤلاء الشباب، وتحاولون إنقاذه، تذكَّروا قول الله تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}.

لا يهمُّنا من يحكمنا، بل يهمُّنا كيف نُحكَم:

أيها الإخوة الكرام: نحن لا يهمُّنا من يحكمنا، بل يهمُّنا كيف نُحكَم؟ يهمُّنا أن نُحكَم بالعدل، ولا عدلَ إلا في الإسلام، يهمُّنا أن نمارس حقوقنا وحريَّتنا المنضبطة بالضوابط التي تضمن حقوق الآخرين وحريَّتهم، ولا يضمن حقوقنا وحقوق الآخرين إلا الإسلام، يهمُّنا أن يصل كلُّ صاحب حقٍّ إلى حقِّه، ولا يوصَلُ الحقُّ إلى صاحبه إلا بالإسلام.

يهمُّنا أن يُرفع الظلم عن العباد والبلاد، مهما كان العباد، وفي أيِّ بلد كانوا، لأن الظلم ظلمات، والظلم لا يأتي بخير.

يهمُّنا أن لا يشمت أعداؤنا بدائنا، لأن أعداءنا يتربَّصون بنا الدوائر على كافة المستويات، يحاولون أن ندمِّر بلادنا بأيدينا، يحاولون أن نستهلك أسلحتنا على بعضنا البعض، يحاولون أن نُتلِف أموالنا بأيدينا، ثم بعد ذلك يريدون التدخُّل لرفع الظلم.

يا عباد الله، الظالم لا يرفع الظلم عن الآخرين، والغرب وأمريكا ظُلاَّم للعرب والمسلمين، ووالله لا يريدون الخير للعرب والمسلمين، عرفناهم في فلسطين، عرفناهم في العراق، وها نحن نرى آثارهم في مصر وتونس، أما عن ليبيا فحدِّث بدون حرج.

اللهم اكفنا شرَّهم بما شئت وكيف شئت، يا أرحم الراحمين.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: إذا لم يقم المسؤولون بواجبهم نحو عناصرهم، وبمحاسبة المسيء منهم حساباً شديداً، وإذا لم يقم الوجهاء والعقلاء بواجبهم نحو المسيئين من شبابهم بالأخذ على أيديهم، فإن الخطر سيعمُّ الجميع لا قدر الله تعالى.

يا عباد الله: الوطن وطن الجميع، والمال مال الجميع، والعِرض عِرض الجميع، فلنكن حريصين على وطننا وأموالنا ومقدَّساتنا وأعراضنا، ويجب على كلِّ واحد أن يقوم بالواجب الذي عليه، حتى نصل إلى برِّ الأمان.

يا عباد الله: إذا لم يلتفت الحكَّام والأمراء والوجهاء والعقلاء إلى كلام العلماء، واتَّبع كلٌّ واحد هواه، فإن الفتنة ستشمل الجميع في الحياة الدنيا، والكلُّ يُبعث يوم القيامة على نيَّته، وصدق الله القائل: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}.

يا عباد الله: أعيد على مسامعكم حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا؛ فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا).

حافظوا على سفينة حياتكم، حافظوا على مجتمعكم، حافظوا على أموالكم، حافظوا على مقدَّساتكم، بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

334ـ خطبة الجمعة: السبيل الحقيقي للخروج من الأزمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

شدائد الدنيا لا تدوم وإن طالت، ستنتهي الشدائد، ولكن على أية صورة وأية حالة؟ الله تعالى أعلم، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى.

نحن في شهر رمضان المبارك، الشهر الذي أنزل الله تعالى فيه القرآن العظيم، هل تساءلنا مع أنفسنا: ما الغاية من إنزال القرآن العظيم؟ هل أنزله الله تعالى للتلاوة فقط؟ هل أنزله لنأخذ الأجر على تلاوته فقط؟ هل أنزله الله تعالى للتبرك فيه ولقراءته على الموتى فقط؟ حاشا أن تكون الغاية من إنزال القرآن العظيم هذه فقط.

نعم لقد رغَّبنا ربُّنا عز وجل بقراءة القرآن، ووعد بالأجر العظيم عليه، ولكن ليست الغاية هذه فقط، بل الغاية أن تقرأ هذا القرآن العظيم بتدبر حتى يصبح عندك الالتزام بما جاء به القرآن العظيم. قال تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن...}.

سبب هلاك الأمم:

معشر المسلمين: لا بدَّ من تدبُّر الآيات الكريمة، وخاصة قول الله تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}.

من الذي يهلك القرى؟ من الذي يهلك الأمم؟ من الذي يهلك الشعوب؟ الذي يهلكهم هو الله تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً} المتكلِّم هو الله تعالى، فهلاك الأمم من الله تعالى بسبب فسقهم، وكيف يكون هلاكهم، وعلى يد من؟ الله تعالى أعلم، لأنه القائل: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ}.

نعم هلاك الأمم، وهلاك القرى والبلاد بسبب المعاصي والمنكرات، وصدق الله القائل: {وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}، لقد صبَّ الله تعالى العذاب على أمم سابقة بسبب الذنوب، قال تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَاد * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَد * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَاب * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد}.

ربُّنا بالمرصاد للعباد، وهو الخبير البصير بعباده، يمهل ولا يهمل، لعلَّ العباد يتوبوا

إلى الله تعالى، فإن أصروا لا قدر الله تعالى صبَّ عليهم سوط عذاب، لأنه بالمرصاد لهم جميعاً.

من الأمم التي أهلكها الله تعالى:

يا عباد الله، يجب علينا أن نتدبر القرآن العظيم، وننظر مصداق قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد}، كم من شعوب قائمة، وأمم ماضية هلكوا بذنوبهم؟ من هذه الأمم:

أولاً: قوم سيدنا نوح عليه السلام، ما الذي أغرقهم؟ وما الذي جعل الأمواج فوقهم كالجبال؟ وما الذي أوصل إليهم العذاب؟ إلا المعاصي والذنوب وإسخاط علام الغيوب، قال تعالى: {وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا}.

ثانياً: قوم سيدنا هود عليه السلام، ما الذي أهلكهم بالريح العقيم؟ ما الذي أهلكهم بريح صرصر عاتية، ما الذي أصابهم بالعذاب الأليم فلا ترى لهم باقية؟ إلا المعاصي والآثام، فصاروا عبرة لأولي الأفهام، قال تعالى: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ}؟

المعاصي هي سبب النكبات والأزمات، المعاصي هي سبب الشقاء والدمار، المعاصي هي سبب سفك الدماء وهتك الأعراض والعياذ بالله تعالى. إن شؤم المعاصي جرَّ علينا الأزمة تلو الأزمة، حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثالثاً: قوم سيدنا صالح عليه السلام، ما الذي أهلكهم بالصيحة فأفنتهم عن بكرة أبيهم، فكانوا كهشيم المحتظر إلا المعاصي؟ فهل من مدَّكر، قال تعالى: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِين *كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ

كَفرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُود}.

رابعاً: قوم سيدنا لوط عليه السلام، ما الذي رفع قراهم إلى السماء، ثم قلبها، وجعل عاليها سافلها، وأتبعهم بحجارة من سجيل، إلا المعاصي والآثام، ووقوعهم في الفواحش والإجرام، قال تعالى: {فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُود * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيد}.

عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أيها الإخوة الكرام: إن المعاصي والمنكرات لها أثر كبير في تحول النعم، لها أثر كبير في جعل النعمة نقمة. والعياذ بالله تعالى. إن كثرت المعاصي والمنكرات، وتركُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لصبِّ اللعنة على الناس. لا قدر الله تعالى..

تدبَّروا يا عباد الله قوله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُون *كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُون}.

أين الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، الكثير من الناس من يتصور أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي مهمة العلماء وطلاب العلم فقط، نعم إن مهمة العلماء وطلاب العلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن الأمر ليس مقصوراً عليهم، لأن مولانا عز وجل أقسم في كتابه العظيم بأن الإنسان في خسر، إذا لم يأمر وينهى، قال تعالى: {وَالْعَصْر * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْر * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر}، فمن لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو قادر على ذلك، فهو في خسر.

لمن قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ

مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ) رواه مسلم؟ لقد خاطب الأمة كلها بذلك.

ألم يقل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) رواه البخاري ومسلم؟

أيها الإمام أنت مسؤول عن رعيَّتك وعن عناصرك وموظفيك خاصة، أيها الرجل أنت مسؤول عن رعيتك، أيتها المرأة أنت مسؤولة عن رعيتك، يجب على الجميع مراقبة الجميع، يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الجميع، ألم يقل النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) رواه مسلم؟ وهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يخرج عن دائرة النصح الذي هو واجب على الجميع نحو الجميع؟

لا يكون الخروج الحقيقي من الأزمة إلا بالالتزام:

معشر المسلمين: نحن نعيش في أزمة كبيرة وعظيمة، وتكاد أن تفرق الأمة بالدم ـ والعياذ بالله تعالى ـ وسببها كثرة المعاصي والمنكرات، ولو تتبَّعنا المعاصي والمنكرات التي انتشرت في مجتمعنا لوجدناها كثيرة وكثيرة جداً، لقد انتشر الربا والسفور وأكل الرشاوي، وتطفيف الكيل والميزان، ومخالفة أوامر الله تعالى صراحة جهاراً نهاراً إلا من رحم الله تعالى.

وللخروج الحقيقي من هذه الأزمة لن يكون بتشكيل دولة مدنية علمانية ليبرالية، بل الخروج الحقيقي من هذه الأزمة يكون بالاصطلاح مع الله تعالى، وإذا خرجت

الأمة من هذه الأزمة ـ من أزمة سفك الدماء، وقتل الأبرياء، وإتلاف الأموال ـ مع إصرارها على الذنوب، فإنه قد يكون ذلك استدراجاً لها لما هو أعظم من هذا البلاء لا قدر الله تعالى، قال تعالى: {سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُون}، وقال تعالى: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون}.

بذنب واحد حصل الذي حصل:

يا عباد الله، انظروا في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لتجدوا أن سبعين صحابياً قتلوا في معركة واحدة بسبب ذنب واحد قد تجد له تبريراً، وذلك عندما خالف الرماة أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اجتهاداً منهم بأن المعركة انتهت.

وانظروا إلى سيدنا آدم عليه السلام، بذنب واحد عن غير عمد ولا إصرار أخرجه الله تعالى من الجنة.

أيها الإخوة الكرام: اليوم ترى المساجد يرتادها الكثير من الرجال، والكثير من النساء، ولكن بكل أسف ترى بعض النساء اللواتي يرتدن المساجد كأنهنَّ لا علاقة لهنَّ بالإسلام إلا رسماً وشكلاً، ربما أن ترى بعضهنَّ سافرة متبرِّجة، حتى إذا وصلت إلى المسجد أخرجت حجاب صلاتها، وصلَّت، وبعد انتهاء الصلاة عادت إلى ما كانت عليه، هل هذا صواب؟

نعم نساء النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ونساء الصحابة كنَّ إذا ذهبن المسجد، كأنهنَّ الغربان السود، لا يُرى منهنَّ شيء، لأن المرأة كلَّها عورة، أين الاقتداء والاتباع؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، ذنوبنا كثيرة إلا من رحم الله تعالى، فهل من مصطلح مع ربه، عز

وجل، وخاصة في هذه الأيام المتبقية من شهر رمضان المبارك؟ ما زال الداعي يقول: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، أين من أقبل على الخير وقصر عن الشر؟

يا عباد الله، المعاصي شؤمها كبير وعظيم، وهي سبب دمار العباد والبلاد، أرجو الله تعالى أن لا نكون سبباً في هلاك العباد والبلاد بشؤم معاصينا. آمين.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

الخطبة الثانية:

قبل الدعاء أقول للإخوة المسؤولين: تعلَّموا من قصة سيدنا سليمان عليه السلام عندما جاءه الهدهد بنبأ من سبأ، فقال له: {إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيم * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُون * أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُون * اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم}، فماذا قال له سيدنا سليمان عليه السلام: {قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِين}.

هلا تعلمتم هذا من سيدنا سليمان عليه السلام، وقلتم لمن يكتب لكم بكتاب بحقِّ زيد وعمرو: سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين؟ وهلا عاقبتم الكاذب منهم جهاراً نهاراً حتى يطمئن الناس؟

إن الاعتذار بعد التعذيب والتنكيل لرجل بريء لا يقدِّم ولا يؤخِّر، بل يملأ القلب غيظاً ونقمة عليكم طال الزمن أم قصر.

هلا طبَّقتم قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين} في حقِّ من أوصل إليكم

كتاباً بحقِّ زيد أو عمرو، هو فاسق حتى يتبيَّن لكم صدقه من كذبه.

أسأل الله تعالى أن يحفظ العباد والبلاد من جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن.

آمين.

**   **   **

235ـ خطبة الجمعة: رعاية الإسلام لحق الحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن مقياس تقدم الدول ورقيِّها في هذه الأيام وفي هذه الآونة هو بمقدار ما تراعي حقوق الإنسان، الذي أعلنت عنه الدول الغربية في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

كلما راعت الدول هذه الحقوق وصفت بالتقدم والرقي والحضارة، وترى الدول العربية تسعى جاهدة أمام العالم لإظهار التزامها بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وكأن الإسلام خالٍ من هذه الحقوق.

هذا الإعلان العالمي لا يتجاوز عمره نصف قرن من الزمن، في حين أن الإسلام أقرَّ حقوقاً للإنسان ما سبق إليها أحد من المتقدمين أو المتأخرين، هذه الحقوق التي أقرها الإسلام للإنسان قبل ألف وأربعمئة عام، جعلها بعض المسلمين خلف ظهره، وصار يلهث خلف ما وضعه الغرب لحقوق الإنسان.

إن حقوق الإنسان التي أعلن عنها الغرب هي في الحقيقة سلاح بيد الدول المستكبرة العاتية الظالمة الغاشمة، تستغله ضد العالم العربي الإسلامي، وتجعله سلاحاً فتاكاً ضد الإنسان، ومع هذا ترى الدول العربية الإسلامية تتسارع لإرضاء الغرب زاعمة أنها ترعى حقوق الإنسان، وتركت ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من رعاية للإنسان، حيث ما عرفت البشرية سابقاً ولا لاحقاً رعاية لحقوق الإنسان كما رعاها الإسلام.

الإسلام هو الذي حافظ على العرب:

أيها الإخوة الكرام: الإسلام الذي حافظ على العرب من الضياع والاندثار، ولولاه لما بقي لهم كيان، أعرض عنه الكثير، ونظروا إليه أنه سبب للتخلفِ وعدمِ مجاراة الحضارة، وخاصة في رعاية حقوق الإنسان، وتسارعوا لإرضاء أصحاب الشعارات البراقة من أعداء هذه الأمة، ورفضوا حقوق الإنسان التي شرعها الله تعالى، وأخذ تشريع البشر الذي لم يمضِ عليه نصف قرن.

نعم لقد جنت الأمة على نفسها، حتى صارت مضرب مثل للاضطهاد والقهر، بعدما أن كانت خير أخرجت للناس، ورضي الله تعالى عن فاروق هذه الأمة عندما قال: (إنا كنا أذلَّ قوم فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّ بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله) رواه الحاكم وابن أبي شيبة.

حقيقة حقوق الإنسان عند الغرب:

يا عباد الله: الأمة تعيش اليوم في ذلٍّ وهوان، والغرب ما زال يتبجَّح في أنه راعٍ لحقوق الإنسان أينما كان، وكلُّنا يعلم أنه كاذب فيما يقول، وأنه مُفْتَرٍ في ادِّعائه، وأنه مخادع ماكر، لقد رأينا رعايته لحقوق الإنسان في فلسطين، ورأينا رعايته لحقوق الإنسان في العراق وليبيا، وفي الدول الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها العربية وغير العربية.

الغرب عنده مكيالان، مكيال لنفسه، ومكيال لغيره من العرب والمسلمين، أما مكياله للعرب والمسلمين في رعاية حقوق الإنسان فواضح من خلال قوله تعالى عنهم إذ قالوا: {لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ}.

ألا لعنة الله على الظالمين الذين جعلوا مكيالين لرعاية حقوق الإنسان، وصدق الله القائل: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِين * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُون * أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين}، نعم لو كان عند هؤلاء ظن في بعثهم يوم القيامة لما كان هذا حالهم في حق العرب والمسلمين عامة.

الجريمة جريمتنا بترك دين الله عز وجل، بترك التشريع الذي صان الإنسان ورعى حقوقه أيما رعاية.

رعاية الإسلام لحقوق الإنسان:

معشر المسلمين: تعالوا لننظر إلى الإسلام الذي رعى حقوق الإنسان قبل ألف وأربعمئة عام، انظروا إلى رعايته للإنسان من خلال هذا التدرج:

أولاً: الإسلام رعى حقوق الإنسان وهو جنين في بطن أمه، حرَّم الإسلام الإجهاض، وخاصة إذا كان عمر الجنين أربعة أشهر، وجعل التعدِّي عليه جريمة، فأوجب على قاتل الجنين بعد نفخ الروح فيه غرة، وهي نصف عشر دية الرجل، ودية الرجل المقتول خطأً مئة ناقة، وألزم الجاني بالكفارة، وهي صيام شهرين متتابعين، فهل هناك في الغرب مثل هذه الرعاية للجنين وهو في بطن أمه؟

ثانياً: الإسلام حرم على الإنسان أن يتمنى الموت، وذلك من أجل رعاية حق الحياة التي وهبها الله تعالى إياه، الإسلام رعاك قبل أن ترعى غيرك، وصان حياتك وأمر بصيانتها قبل صيانة الآخرين، ونهاك عن تمني الموت لنفسك، فهل هذا يعرفه الغرب الراعي لحقوق الإنسان؟

روى الإمام أحمد عن أم الفضل رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ يَشْتَكِي، فَتَمَنَّى الْمَوْتَ، فَقَالَ: يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ، لا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ، إِنْ كُنْتَ مُحْسِنًا تَزْدَادُ إِحْسَانًا إِلَى إِحْسَانِكَ خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئًا فَإِنْ تُؤَخَّرْ تَسْتَعْتِبْ خَيْرٌ لَكَ، فَلا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ).

وهذا ليس خاصاً بالعباس عم النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، بل هو عام في حقِّ كل إنسان، روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي).

ثالثاً: الإسلام حرَّم الانتحار، وهو أن يقتل الإنسان نفسه، لأن الإنسان ليس حراً، بل هو عبد لله تعالى، وهو مستأمَن على حياته، فإن قتل نفسه خسر الدنيا والآخرة.

روى البخاري عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ).

وروى كذلك البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ، وَالَّذِي يَطْعُنُهَا يَطْعُنُهَا فِي النَّارِ).

هل يعرف الغرب الذي راعى حقوق الإنسان هذا الحق؟ الغرب عنده الانتحار مباح، وأعلى نسب للانتحار في العالم هي في دول التقدم والرقي التي ترعى حقوق الإنسان، وهذا لا نراه في بلاد المسلمين إلا نادراً.

فإذا كان الإسلام حرَّم على الإنسان أن يقتل نفسه، فهل يبيح قتل الآخرين بغير

حق؟ لا وربِّ الكعبة، بل جعل الإسلام قتل نفس بريئة بمنزلة قتل الناس جميعاً، فقال تعالى: {مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}.

رابعاً: الإسلام حرم قتل المعاهد، وهو الرجل الكتابي، ولو كان يقول: عيسى ابن الله، ولو كان يقول: عزير ابن الله، ولو كان يقول: إن الله فقير ونحن أغنياء.

ليسمع هذا حكامنا، ولتسمع هذا البشرية جمعاء بكل مستوياتها، وليسمع الغرب الذي يزعم أنه يرعى حقوق الإنسان، وليسمع الجميع قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) رواه البخاري.

يا عباد الله، هل سمعتم هذا الحديث الشريف في حقِّ المعاهد، الذي منحه المسلمون الرعاية ولو كان كافراً؟ يا عباد الله، كفانا سفكاً للدماء، أما بقي بقيَّة إيمان بالله واليوم الآخر؟ إذا كان قتل معاهد بغير حق لا يشمُّ القاتل ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً، فكيف بسفك دم رجل مؤمن بغير حقٍّ من أي جهة كان؟

خامساً: الإسلام حرَّم قتل المؤمن بغير حقٍّ، وهذا من الطبيعي في تشريع يرعى حقوق الإنسان، بدءاً من الجنين وانتهاء إلى الذمي المعاهد، ليسمع قاتل المسلم بغير حق، ليسمع قاتل الأبرياء من المسلمين، ليسمع كلُّ قاتل الحديث الذي رواه الإمامان البخاري ومسلم عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه أنه قال: (أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنْ الْكُفَّارِ فَقَاتَلَنِي فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ فَقَالَ: أَسْلَمْتُ للهِ، أَفَأَقْتُلُهُ يا رَسُولَ اللهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تَقْتُلْهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ قَدْ قَطَعَ يَدِي، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَطَعَهَا، أَفَأَقْتُلُهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا

تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ).

نعم أيها الإخوة، قد يتبادر إلى الذهن بأن هذا الكافر ما قال كلمة الشهادة إلا خوفاً من القتل، نعم حتى لو قالها نفاقاً لا يجوز قتله، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ)؟ رواه مسلم، ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (يا عُمَرُ دَعْهُ لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

تدبَّر يا قاتل المسلم بغير حق قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ).

نعم صار قتل المسلم اليوم كقتل عصفور، استحرَّ القتل في المسلمين، فأين الغرب الذي يرعى حقوق الإنسان؟ هلا صحت الأمة من غفلتها، وعرفت حقيقة الغرب الماكر الكاذب؟!

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، من رعاية الإسلام لحقوق الإنسان أنه حذَّر من القتل عمداً بغير حق، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا، أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) رواه أبو داود، ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا فَاعْتَبَطَ بِقَتْلِهِ لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلاً) رواه أبو داود. لماذا هذا التشديد من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ لأن الله تعالى يقول: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}.

ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلا

كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا . وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: مِنْ دَمِهَا . لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلاً) رواه البخاري. كلُّ مقتول بغير حق يتحمَّل قابيل جزءاً من الوزر، لأنه سنَّ القتل.

أيها الإخوة الصائمون المصلُّون المزكُّون، يا أهل القرآن، حافظوا على حقِّ الحياة الذي شرعه لنا ربنا عز وجل، احذروا من الاعتداء على أنفسكم بتمني الموت، أو بالانتحار، أو بقتل نفس من غير حق ولو كان كافراً.

تذكروا قول الله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}، تذكَّروا قول الله تعالى: {مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}، تذكروا قول الله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}.

أناشد الأمة حكاماً ومحكومين، كفانا سفكاً لدماء الأبرياء، ما أنتم قائلون لله عز وجل يوم القيامة، لنرجع إلى رشدنا، لنرجع إلى كتاب ربِّنا عز وجل، لقد استقبلنا شهر رمضان بسفك الدماء، فهو نودِّعه بالتوبة الصادقة ليكون شاهداً لنا لا علينا؟ الأمور بخواتيمها، وصدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إذ يقول: (المؤمن واهٍ راقِع، فسعيدٌ من هلك على رَقْعِهِ) رواه الطبراني والبيهقي. معنى واهٍ: مُذْنِب، وراقع يعني: تائب مستغفر. يعني: طوبى لمن مات على توبة.

اللهم اجعلنا من التائبين الصادقين. آمين. أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

236ـ خطبة عيد الفطر ١٤٣٢ هـ الجزاء من جنس العمل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

إن الأمة اليوم تعيش في أزمة كبيرة، كانت نتائجها أن مُزِّقت الأمة، وسُفِكت الدماء، وانتُهِكت الأعراض، وتُعُدِّيَ على المقدسات.

في هذه الأزمة التي تمر على الأمة وفيها الظالم والمظلوم، وفيها القوي والضعيف، وفيها الحاكم والمحكوم، وفيها الصالح والطالح، وفيها الصادق والكاذب، فإني أتوجه إلى الأمة في يوم عيد الفطر لأقول لها جميعاً من رأس الهرم إلى أسفله:

إن الله تعالى أودع في الكون سنناً ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، والعاقل من يساير سنن الله تعالى ولا يصادمها، ومن هذه القواعد والسنن التي لا تجد فيها تبديلاً ولا تحويلاً:

أن الجزاء من جنس العمل إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، قال تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه}.

الجزاء من جنس العمل:

يا عباد الله، لتسمع الأمة كلها من حاكمها إلى محكومها، ومن قويها إلى ضعيفها، ومن ظالمها إلى مظلومها، بأنَّ الجزاء من جنس العمل، ولتحفظ قول الله تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا * يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا *

وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلْطَّاغِينَ مَآبًا * لاَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلاَ شَرَابًا * إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا}. لماذا يوم القيامة وما أعد الله تعالى فيه من أهوال، وخاصة جهنم ـ أجارنا الله تعالى منها ـ حيث فيها من العذاب الخالد المقيم الذي لا يعلمه إلا الله تعالى؟ الجواب: يأتي في القرآن العظيم بقوله تعالى: {جَزَاء وِفَاقًا}.

يا عباد الله: ربنا عز وجل ما خلقنا عبثاً، {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُون}. ربنا خلقنا في الحياة الدنيا للاختبار والابتلاء، {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}. وأعطانا شيئاً من الاختيار، ليختار الواحد طريق أهل الطاعة أو طريق أهل المعصية، فاختر أي الطريقين، ولكن بشرط أن لا تنسى قول سيدنا ر سول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اعمل ما شئت فإنَّك مجزيٌ به) رواه الحاكم عن سهل بن محمد رضي الله عنه. وأن لا تنسى قانون الجزاء، (الجزاء من جنس العمل) قال تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه}. ربنا عز وجل أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، فلن يجعل المسلمين كالمجرمين، قال تعالى: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِين * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون}.

لا يجتنى من الشوك العنب:

ولو وضعنا هذه السنة الإلهية التي جعلها الله عز وجل لزجرتنا عن كثير من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، لأن الشرَّ لا يأتي بخير، والخير لا يأتي بشر كما جاء في الحديث الشريف الذي أخرجه أبو نعيم في الحلية عن يزيد بن مرثد مرسلاً قال: (كما لا يجتنى من الشوك العنب، كذلك لا ينزل الفجار منازل الأبرار، فاسلكوا أي طريق شئتم ، فأي طريق سلكتم وردتم على أهله).

اسلك أي طريق شئت، فإنَّ الطريق الذي تسلكه سوف يوصلك إلى أصحابه، إن

سلكت طريق الأبرار وصلت إليهم، قال تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}. وإن سلك العبد طريق الفجار وصل إليهم، قال تعالى: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا}. وقال: {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَاد * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّار}.

إلا قَتَلَكَ الله مثلها:

إنَّ العِلْمَ بهذه القاعدة ـ الجزاء من جنس العمل ـ يدفع الإنسان والأمة إلى الأعمال الصالحة، وينهى عن الظلم، ويزجر الظالمين إن بقيت عندهم بقية من إيمان، ويواسي المظلومين.

لو استحضر العبد الظالم الطاغي الباغي الذي لا يرعى إلاًّ ولا ذمةً في العباد، بأنَّ الله تعالى سوف يسقيه من نفس الإناء عاجلاً أم آجلاً، لكفَّ عن الظلم، وتاب وأناب إلى الله تعالى، وهذا ما أكَّده سيدنا سعيد بن جبير رضي الله عنه للحجاج، عندما قال له الحجاج: ويلك يا سعيد، قال له: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

قال: اختر لنفسك أيَّ قِتْلَةٍ تُريد أن أقتلك؟ فقال: بلاختر أنت لنفسك يا حجاج؛ فوالله لا تقتلني قِتْلَةً إلا قَتَلَكَ الله مثلها يوم القيامة.

فيا من يهدم بنيان الله عز وجل بغير حق، يا من يقتل الأبرياء، تدبر الحكمة التي تقول: بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين، وإن لم يكن حديثاً، تذكر وتدبر قول الله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}. اقتل كيف تشاء، وبأي صورة من صور القتل تشاء، ولكن احفظ، الجزاء من جنس العمل، وبأنَّ الله قاتلك نفس القِتْلَة، ألم يقل النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في حق قاتل نفسه: (مَنْ تَرَدَّى

مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه؟ هذا إذا كان في حق نفسه، فبحق الآخرين من باب أولى، احفظ قول سعيد بن جبير للحجاج:

(بل اختر أنت لنفسك يا حجاج؛ فوالله لا تقتلني قِتْلَةً إلا قَتَلَكَ الله مثلها يوم القيامة).

أبشر أيها القاتل ظلماً وعدواناً للأبرياء، أبشر يا من يُكسِّر الرؤوس والأيادي ويُسَيِّلُ الدماءَ، أبشر يا من يتلف الأموال العامة والخاصة بغير حق، أبشر بأنَّ جزاءك يوم القيامة إن لم يكن في الدنيا من جنس العمل.

الجزاء من جنس العمل كما جاء به القرآن الكريم:

يا عباد الله: الجزاء من جنس العمل، وهذه سنة من سنن الله في خلقه، ولن تجد لسنته تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً، تدبر هذه السنة من خلال الآيات الكريمة:

أولاً: قول الله تعالى: {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِالْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}.

هل سمعت هذا يا من يعيش في الأماني والأحلام، ويا من يتوهم بأنَّ الانتماء للإسلام وحده يكفي؟ والله لو كانت الأمور بالتمني لكان اليهود من أهل الجنة، ولكانت النصارى من أهل الجنة، قال الله تعالى عنهم: {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين}.

الأمور ليست بالأماني بل بالأعمال، قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ

مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَاد}.

ثانياً: قول الله تعالى: {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُالْمَاكِرِينَ}. الجزاء من جنس العمل.

وقوله تعالى: {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}. الجزاء من جنس العمل.

الجزاء من جنس العمل كما جاء في الحديث الشريف:

يا عباد الله: الجزاء من جنس العمل، وهذا ما أكده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالأحاديث الشريفة:

أولاً: يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

ثانياً: يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اعمل ما شئت فإنك مجزي به) رواه الحاكم عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

ثالثاً: يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) رواه الإمام أحمد عن مسلم بن مخلد رضي الله عنه.

رابعاً: ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ) رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

خامساً: يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ) رواه مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

هل عرفت هذا أيها الظالم؟ احفظ جيداً الجزاء من جنس العمل، وهل عرفت هذا أيها المظلوم؟ فاحفظ بأنك منصور ولو بعد حين، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أمثلة لهذه السنة الإلهية:

يا عباد الله، إن سنة الله تعالى في خلقه: {جَزَاء وِفَاقًا}. ظاهرةٌ جليةٌ، وقد ذكر الله تعالى بعض هذه الأمثلة في القرآن العظيم، لتكون دروساً للظالم حتى يرتدع، ودروساً للمظلوم حتى يطمئن، من هذه الأمثلة:

سيدنا إبراهيم عليه السلام، الذي حاور الذي آتاه الله الملك، هذا العبد الغافل المغرور بملكه، الذي حجبه ملكه عن خالقه، حتى صار فرعوناً من الفراعنة، قال تعالى في حقه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}.

حُجِبَ بالنعمة، وظنَّ أنه على كل شيء قدير، ونسي بأنَّ الله يؤتي الملك من يشاء، حُجِبَ عن المنعم وينزع الملك ممن يشاء، حتى وصل إلى درجة أن يقول: أنا أحيي وأميت، ادعى الألوهية، وأراد أن يلقن درساً لسيدنا إبراهيم حسب ظنه، فجرَّده من ثيابه وألقاه في النار، فكانت المكافأة من الله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام أنه يُكسى أول الخلائق يوم القيامة، كما قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ) رواه البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وأما بالنسبة لنمروذ الذي شمخ بأنفه إلى أعلى، وقال الذي قال، سلَّط الله عليه بعوضةً دخلت في أنفه ـ والأنف رمز العزة والشموخ ـ ثم تسللت إلى دماغه فسببت

له وجعاً كان لا يشعر براحة إلا إذا ضربه من حوله بالنعال والمطارق على رأسه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

معشر المسلمين: لا تنسوا هذه القاعدة وهذه السنة الإلهية ـ جَزَاء وِفَاقًا ـ الجزاء من جنس العمل، وأخص بذلك الحكام فأقول لهم: اتقوا الله في الناس، اتقوا الله في الأمة، اتقوا الله في المقدسات، اتقوا الله في الضعفاء، اتقوا الله في النساء، اتقوا الله في الأطفال، اتقوا الله في أموال العباد وممتلكات الناس، اتقوا الله في رعيتكم، واعلموا بأنَّ الجزاء من جنس العمل، فمن شقَّ منكم على رعيته شقَّ الله عليه، ومن رفق الله بهم رفق الله به.

يا عباد الله، لقد استقبلنا شهر رمضان بسفك الدماء، وودعناه بسفك الدماء، فكان شاهداً على الأمة، فما هي قائلة لله عز وجل القائل: {أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين}؟. أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

237ـ خطبة الجمعة: من سمات تشريعنا الإنصاف(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

ربُّنا عز وجل أنزل القرآن العظيم على قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى

آله وصحبه وسلم، ليكون دستوراً للبشرية جمعاء، و ليحقِّق لهم سعادة الدنيا والآخرة.

ومن سمات هذا التشريع الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الإنصاف والعدل بين أتباعه وغيرهم، ولم يكن في يوم من الأيام منصفاً في تشريعه بين أتباعه، وجائراً على غيرهم، قال تبارك وتعالى لتأصيل هذه السمة والصفة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون}، وقال جلَّت قدرته: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}.

ومن هذا المنطلق يقول سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما: ثلاث من جمعهنَّ فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام لِلْعَاْلَمِ، والإنفاق من الإقتار.

بالعدل قامت السماوات والأرض:

يا عباد الله، الإسلام ربَّى أتباعه على الإنصاف والعدل، لأنه بالعدل قامت السماوات والأرض، كما قال ذلك اليهود لسيدنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: أَفَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقَرَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا كَانُوا وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فَخَرَصَهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ أَنْتُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ، قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَبْتُمْ عَلَى اللَّهِ، **وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ**، قَدْ خَرَصْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلِي. فَقَالُوا: **بِهَذَا قَامَت السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**، قَدْ أَخَذْنَا

فَاخْرُجُوا عَنَّا.

ألا يظنُّ أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم؟

أيها الإخوة الكرام: إن الأمة الإسلامية تعيش اليوم في أزمة كبيرة، حيث استحرَّ فيها القتل، وكثر فيها الظلم والتعدي على الحرمات والمقدسات، تعيش في أزمة جعلت فيها الحليم حيران، فيجب على الأمة التي آمنت بالله تعالى رباً، وبيوم القيامة مرجعاً ومآلاً للعرض على الله تعالى والحساب، يجب أن تتحلى بصفة الإنصاف حتى مع الذي أبغضته، لقوله تعالى: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}.

أيها الإخوة: العبد إذا لم يكن منصفاً كان ظالماً، وإن كان ظالماً فلا يحقُّ له أن يَعتِبَ على ظالمٍ مِثْلِه، والظالم لو استحضر وقوفه بين يدي الله عز وجل لما تجَرَّأَ على ظلم الآخرين، أما الذي استحضر وقوفه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة فإنه يكون منصفاً حتى مع عدوِّه الذي ظلمه، لأن الله تعالى يقول: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِين * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُون * أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين}.

يجب أن تظهر قبح الظلم بإنصافك لمن ظلمك، فكن منصفاً في أيام الشدائد والمحن، كن منصفاً مع من أبغضت ولو وجدت ثقلاً على نفسك، فالله تعالى خلقنا في هذه الحياة الدنيا اختباراً وابتلاء، وقال: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا}، ومن الصبر على من ظلم أن تنصفه من نفسك، لأن تصفية الأمور سوف تكون يوم القيامة، وتكون النتيجة إما إلى جنة، وإما إلى نار، خالداً فيها، كما قال تعالى: {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِير}.

ولا تكن للخائنين خصيماً:

معشر المسلمين: لقد أعطانا القرآنُ العظيم درساً في الإنصاف تربيةً لنا، ووالله لا يُقدِّمُه إلا الإسلامُ، ولا يَقْدِرُ عليه إلا المسلمون الملتزمون، إنه درس في التطبيق العملي للإنصاف الإلهي والعدل الرباني الذي لم تعرفه أمةٌ في التاريخ، إلا الأمة التي رباها الإسلام.

فقد ذكر الواحدي في أسباب النزول عند قوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا}. إلى قوله تعالى: {وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا}. أنزلت كلها في قصة واحدة: وذلك أن رجلاً من الأنصار يقال له: طعمة بن أبيرق، أحد بني ظفر بن الحارث، سرق درعاً من جار له يقال له: قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له: زيد بن السمين، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده، وحلف لهم: والله ما أخذها، وما له به من علم، فقال أصحاب الدرع: بلى والله قد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره فرأينا أثر الدقيق، فلما أن حلف تركوهواتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي، فأخذوه، فقال: دفعها إليَّ طعمة بن أبيرق، وشهد له أناس من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة: انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكلِّموه في ذلك، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي، فهمَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يفعل، وكان هواه معهم، وأن يعاقب اليهودي، حتى أنزل الله تعالى: إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا}.

يا لله! ما هذه العظمة! تسع آيات من القرآن العظيم تنزل على قلب سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لتبرئ ساحة رجل يهودي، وهل هناك أعدى من اليهود لأمة القرآن العظيم؟ ألم يقل مولانا عز وجل في حقِّ اليهود: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ}؟ ألم يقل مولانا عز وجل في حقهم: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}؟ ألم يقل عنهم ربُّنا عز وجل: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء}؟

تسع آيات من الذكر الحكيم برَّأتِ اليهوديَّ، وفضحت من انتمى إلى الإسلام انتماء أراد أن يستغله في ظلم الآخرين. الإسلام ما جاء ليتستَّر على انحرافات البشرية أو يتسامح مع شيء منها، ولو كانوا من أتباعه، وما جاء ليظلم البريء ولو كان عدواً لدوداً، لقد جاء الإسلام لينشئ الرجل الصالح والأمة الصالحة التي تعرف الإنصاف.

الإسلام يهمُّه الإنصاف والعدل، ويجب على أتباعه أن يقولوا الحقَّ ولو على أنفسهم، فإذا أخطأ المسلم مع غير المسلمين فيجب عليه أن يكون صريحاً واضحاً، هذه هي عظمة الإسلام، وهذا هو عدل الإسلام، وسطية واعتدال، يعطي صاحب الحق حقه ولو كان من ألدِّ أعدائه، وصدق الله القائل: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}.

نعم قد ترى الإنصاف والعدل بين أقاربك وأرحامك، وبين أبناء دينك وتنصفهم من نفسك، ولكن العظمة أن تنصف الآخرين من نفسك إذا كانوا من ألدِّ الأعداء إليك، وهذا ما ربَّى عليه الإسلام أتباعه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: لنتحلَّ بصفة الإنصاف مع من نحب ومع من نكره، كن منصفاً إذا أحببت، وكن منصفاً إذا أبغضت، كن منصفاً إذا كنت حاكماً، وكن

منصفاً إذا كنت محكوماً، وأيُّ إنصاف أعظم للعباد من أنَّ الله تعالى جعل الإنسان حسيباً على نفسه، فقال تعالى: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}.

أيها الإخوة الكرام: لنرجع إلى إسلامنا وديننا، ولننصف الآخرين من أنفسنا، ولنأخذ الدرس العملي من القرآن العظيم عندما حدَّثنا عن الإنصاف مع ألدِّ الإعداء إلينا، فقال تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: {وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً} أي مدافعاً، ولو كان في ظاهر الأمر من أتباعك، لأن الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبع.

كن منصفاً يا عبد الله، وقُلِ الحقَّ ولو على نفسك، لأنك إذا برَّأت نفسك، والطرف الآخر برَّأ نفسه، والكلُّ يتَّهم الآخر، مع العلم بأنه يظلم الآخر، فاعلم بأن الطرفين ظالمان، والظالم على باطل، والصراع بين باطلين يدوم ويستمر ولن ينتهي.

فيا أيتها الحكومة أنصفي الشعب قولاً وعملاً، ويا أيها الشعب أنصف الحكومة قولاً وعملاً، لأنه بالإنصاف يتحقَّق العدل والأمان والاطمئنان.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الخطبة الثانية:

تعليق على نبأ وفاة الشيخ إبراهيم سلقيني رحمه الله تعالى.

أيها الإخوة الكرام: لقد بلغكم نبأ وفاةِ شيخنا وأستاذنا مربي الأجيال، وصاحبِ اليد البيضاء، العالمِ العاملِ، صاحبِ الخلق السامي، فضيلة الدكتور الشيخ إبراهيم سلقيني رحمه الله تعالى.

ولكن وبكلِّ أسف لقد حاول البعض أن يستغلَّ نبأ وفاة الشيخ رحمه الله تعالى ليرسل إلى بعض القنوات الفضائية، وخاصة التي تريد أن تؤجج نار الفتن بين المسلمين، بأنه تمَّ اغتيال الشيخ الدكتور إبراهيم سلقيني رحمه الله تعالى من قبل الدولة.

وفعلاً تمَّ نشر هذا النبأ بأنه تمَّ اغتيال الشيخ من قبل الحكومة، ومعلوم عندنا جميعاً بأنَّ هذا النبأ يحرِّك مشاعر المسلمين عامة.

أيها الإخوة: ليس عتبنا على القنوات الفضائية، وخاصة الجزيرة والعربية، لأن جميع القنوات الفضائية بدون استثناء الكَذِبُ فيها قائمٌ على قدمٍ وساقٍ، ولكن عتبنا على قنوات تدَّعي الإسلام، كيف تنشر هذا النبأ، وبإمكانها قبل نشر الخبر أن تتثبت من ذوي الشيخ رحمه الله؟ لماذا نشرت النبأ قبل التثبت، والله تبارك وتعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين}؟

وهل تتراجع هذه القنوات عن هذا النبأ لتبث ما ثبت عندها بيقين؟

أيها الإخوة الكرام: حَدَثٌ عايشناه وعاينَّاه، وتبيَّن لنا الكذب من بعض القنوات الفضائية التي نشرت نبأ وفاته بأنه تمَّ اغتياله، فكيف بأحداث لم نعايشها ولم نعاينها؟

ولقد سألني بعضهم: كيف تمَّ اغتيال الشيخ؟ فقلت له: يا أخي إن الشيخ حصل معه نزيف في الدماغ، ثم دخل في غيبوبة حتى توفاه الله تعالى، وأنا ممن كنت أتابع حالة الشيخ مع الأطباء الذين يشرفون عليه، فقال لي: لا، بل قد قتلته الدولة، وخاصة بعد صدور بيان علماء حلب، وسوف يتمُّ تصفية هؤلاء الموقِّعين على البيان، فقلت له: من قال هذا الكلام؟ قال: هذه هي الحقيقة.

يا عباد الله: تذكَّروا قول الله تعالى: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ

اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}. الدولة فيها ظُلمٌ كثير، وهَضمٌ لحقوق الآخرين، وحَصَلَ منها سفكٌ للدماء، وقتلٌ للأبرياء، ولكنَّ هذا الأمر لا يبيح لنا السكوت عن إظهار الحقيقة، لأن هناك من أراد أن يجعل من وفاة الشيخ رحمه الله تعالى كقميص سيدنا عثمان رضي الله عنه، لزيادة نار الفتنة، لا يا عباد الله، المسلم ينصف الآخرين ولو ظلموا، لأن الله تعالى ليس بغافل عما يعمل الظالمون.

يا عباد الله، إن الحرب الإعلامية قائمة على قدم وساق لتأجيج نار الفتن، فيجب علينا أن نكون على حذر، وإلا فسنندم عاجلاً آم آجلاً!

نسأل الله تعالى أن لا يُخرجَنا بُغضُنا للظالمين والظلمِ عن جادة الصواب والإنصاف، كما نسأله أن لا يُخرجَنا حُبُنا لنصرة المظلومين ورفعِ الظلم عنهم عن جادة الصواب والإنصاف. آمين.

** ** **

238ـ خطبة الجمعة: من سمات تشريعنا الإنصاف(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

من سمات هذا الدين الحنيف الإنصاف، ولقد علَّم النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أتباعَهُ الإنصافَ فيما بين بعضهم البعض، وفيما بينهم وبين الآخرين، ولو كانوا من أبناءِ القردة والخنازير.

عباد الله: إنَّ غيرَ المنصف ظالمٌ، والظالمُ لو استحضر الجزاء يوم القيامة لكان منصفاً، لأن الله تعالى يقول: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون}.

ضع نفسك مكان خصمك:

أيها الإخوة الكرام: مما يعين الإنسان على الإنصاف هو أن يضع الإنسان نفسه مكان خصمه، ثم ليتساءل فيما بينه وبين نفسه: كيف يريد أن يعامله خصمه؟ لا شك أنه يريد أن يعامله بالإنصاف، كما جاء في الأثر: عامل الناس كما تحبُّ أن يعاملوك، وفي الحديث الشريف الذي رواه البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).

المنصف ملتمس للأعذار:

يا عباد الله، إن العبد المنصف هو الذي يلتمس الأعذار للآخرين، ويحاول أن يوجد التبرير لأخطائهم، ويبتعد عن سوء الظن المقيت، لأن الظنَّ في كثير من الأمور مذموم، قال تعالى: {وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُون}. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}.

المنصف إذا رأى من أخيه حسنة أشاعها، وإذا رأى سيئة حاول أن يجد لها تبريراً شرعياً، وإلا نصحه ثم دفنها، أما غير المنصف فإنه إذا رأى حسنة دفنها وأعلَّها، وإذا رأى سيئة أذاعها ونشرها.

نعم يا عباد الله، المنصف هو الملتمس للأعذار، هو المحسن ظنه في الآخرين، لأن المخطئ في حسن الظن خير من المصيب في سوء الظن.

المنصف يقول الحق ولو على نفسه:

معشر المسلمين: الإسلام ربَّى أتباعه على إنصاف الآخرين، وعلى قول الحق ولو على أنفسهم أو على أحد من أصولهم أو فروعهم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقَيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}.فالإنصاف وقول الحق على نفسك أو من يلوذ بك من أصول أو فروع أو حواش هو دليل على اتباع الحق، فالحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع.

هذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما رُفع إليه شأن المرأة المخزومية التي سرقت، قال بعض الصحابة: من يكلِّم فيها رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حتى لا يقيم عليها الحد؟ وهذا من عدم الإنصاف. لأنها شفاعة لمكانتها. لأن الإنصاف أن يُقام الحدُّ على الكبير والصغير، وعلى القوي والضعيف، وعلى السيد والمسود، وعلى الحاكم والمحكوم إذا ارتكب حداً من الحدود، وهذا يحقِّق الأمن والأمان للمجتمع.

روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟! ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِم الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا).

هذا هو الإنصاف الذي يعطي القوة والأمان للأمة.

مكيالان عند غير المنصف:

أيها الإخوة الكرام، عند غير المنصف مكيالان، مكيال لمن أحبَّ، ومكيال لمن أبغض، وهذا مندرج تحت قول الله تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِين * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُون * أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين}. غير المنصف يحرق خصمَه ويحرق معه أصوله وفروعه وحواشيه، ويحرق من يأتي من نسله ولو بعد عشرات السنين، لأن غيرَ المنصف حاقد حاسد لا يرى إلا نفسه ومصلحته، وهذا ليس من الإسلام في شيء، لأن ربَّ العباد الذي خلقهم، والذي لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، إذا حجب محبته عن عبد من عباده لخيانته أو لكفره أو لظلمه، فإنه لا يتجاوز العبد المسيء لغيره، ولو كان من ألصق الناس به.

هذا فرعون، ذاك العبد الذي حُجِبَ عن محبة الله تعالى بسبب قوله: {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}. وبسبب قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}. بسبب قوله: {يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَاب * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَاب}. وبسبب قتله للأبرياء، وبسبب إفساده في الأرض، تأتي زوجته السيدة آسية رضي الله عنها لتقول لربنا عز وجل: {رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ}. ويلبي ربُّنا عز وجل طلبها، لأنه هو القائل في كتابه العظيم: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخْرَى}. هذا هو الإنصاف والعدل الذي يجعل العباد في قوة وأمان.

المنصف يذكر حسنات الآخرين:

يا عباد الله، إن العبد المنصف هو الذي يذكر حسنات الآخر ولا ينساها ولو كان في أحلك الظروف، يذكر حسنات المسيء لتكون حسناته شفيعاً لسيئاته.

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد *** جاءت محاسنه بألف شفيع

يا عباد الله، انظروا في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

لتتعلموا ولتتبعوا هديَ حبيبكم المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، تعلَّموا منه كيف يكون الإنصاف، لأن الإنصاف يولِّد المحبة بين الناس، ويجعلهم متماسكين متآلفين متحابِّين، ويكون الإنصاف عوناً للمسيء على ترك الإساءة.

أيها الإخوة الكرام: عندما كان الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يجهز الصحابة الكرام لفتح مكة المكرمة، فإذا بواحد من أصحابه الكرام يقع بكبيرة من الكبائر . ولا عصمة إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام . حيث قام بكتابة كتاب لقريش يحذِّر فيها قريشاً من غارة المسلمين عليهم، وهذا الأمر في اصطلاح الناس اليوم خيانة عسكرية تستوجب القتل.

أطلع اللهُ عز وجل نبيَّه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم على هذا الأمر، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم سيدنا علياً والمقداد والزبير لإحضار هذا الكتاب، ولما صار الكتاب بين يديه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم استدعى كاتبه، وكان اسمه حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (يا حاطب ما هذا)؟ سبحان الله، ما هذه العظمة؟ وما هذا الحلم والأناة؟ وما هذا الإنصاف؟ لم يتعجَّل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالحكم عليه،

وحاشاه من العجلة، لعلَّ حاطباً عنده عذر في ذلك، وكيف لا يسأله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو الذي علَّم الأمة بأنَّ ربَّ العباد عندما يقرِّر العبد يوم القيامة على أفعاله يسأله ربنا عز وجل، وهو العليم بحاله: (أفلك عذر؟) رواه الترمذي عن عمر بن العاص رضي الله عنه.

يا عباد الله! الإنصافَ الإنصاف، واحذروا العجلة والحكم على الآخرين بدون تثبُّت ولا روية، والتمسوا الأعذار للآخرين حتى تتثبَّتوا، لأن العبد المنصف يحبُّه الله تعالى: {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين}. وغير المقسط وغير المنصف لا يحبه الله تعالى، كونوا شديدين على أنفسكم رحماء بالآخرين، لأن الراحمين يرحمهم الله تعالى، ومن الرحمة الإنصاف.

معشر المسلمين: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يسأل حاطباً: (يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلا ارْتِدَادًا وَلا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلامِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ صَدَقَكُمْ،

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ!

قَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ). فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ إِلَى قَوْلِهِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}. رواه البخاري عن علي رضي الله عنه.

هذه هي عظمة الدين التي تعلِّم المسلمين الحلم والأناة، وأن يذكروا الحسنات إذا

صدرت السيئات من إخوانهم، وأن يلتمسوا الأعذار، وهذا هو القرآن العظيم يعلِّم الأمة أن لا يتعجَّلوا في الأحكام، وأن لا يُخرِجوا إخوانهم عن دائرة الإيمان ولو وقعت منهم كبيرة من الكبائر، لعلهم معذورون فيما فعلوا.

فربُّنا عز وجل ما أخرج حاطباً عن دائرة الإيمان، بل وجَّهه إلى الصواب في الأفعال، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء}. هذه هي القوة، وهذا هو الإنصاف والعدل، وهذا هو الصراط المستقيم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، لقد أكرمنا الله تعالى بتشريع عظيم نفخر به على الناس جميعاً، وندعو الناس جميعاً إليه، من سمات هذا التشريع الإنصاف مع الآخرين، لأن الإنصاف سبيل من سبل الدعوة إلى الله تعالى، ولأن الإنصاف سبب للتآلف والتحابب بين العباد، ولأن الإنصاف يقطع الطريق على من يعيثون في الأرض فساداً، ولأن الإنصاف يقطع الطريق على شياطين الإنس والجن الذين يريدون أن يوقعوا العداوة والبغضاء فيما بيننا، ولأن الإنصاف يعطينا القوة ولا يفرِّق الكلمة، ولأن الإنصاف يجعل الأمة كالجسد الواحد، ومن منا لا يحب أن ينصفه الآخرون؟ فيا من يحب أن ينصفه الآخرون أنصف الناس من نفسك، والتمس الأعذار للآخرين، وأحسن الظن بهم، لتكون من الرابحين يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

239ـ خطبة الجمعة: من سمات تشريعنا الصراحة

والوضوح(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

لقد أكرمنا الله تعالى بهذا الدين الحنيف العظيم القوي الواضح المتين، الذي لا يأتيه الباطل، هذا الدين الذي هدانا الله إليه له سمات وميزات لم تكن في تشريع من التشريعات السابقة، فضلاً عن التشريعات الوضعية.

من سمات هذا الدين الصراحة والوضوح، لأن الصراحة فيها الراحة والطمأنينة، لأن الصراحة تعلِّم على الصدق والأمانة، وتبعد الإنسان عن الكذب والنفاق والمداهنة.

ربَّى الإسلام أتباعه على الصراحة؛ لأنَّ الإسلام حقٌّ وواضحٌ وقويُّ الحجة، لذلك ما أُكره أحد على الدخول فيه، قال تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}، وقال تعالى: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}. ومن وضوحه وقوَّته قال تعالى معلِّماً نبينا سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن يقول لمخالفيه: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ}.

الإسلام ربَّى أتباعه على استواء الظاهر والباطن، وعلى استقامة اللسان مع الجَنان، فالمسلم ليس له ظاهر يناقض الباطن، باطنه وظاهره سواء، بل سريرته أصلح وأفضل من علانيته.

غياب الصراحة موجب للبغضاء:

أيها الإخوة الكرام: إذا حلَّت الصراحة أسرة من الأسر، ومجتمعاً من المجتمعات، رأيت أفراد الأسرة والمجتمع متماسكين متحابِّين متعاونين، أما إذا غابت الصراحة في أحاديث الناس مع بعضهم البعض، إن كان على مستوى الأسرة، أو المؤسسة، أو الأمة، فلا تتعجب عندما ترى البغضاء قد انتشرت أوصالها بين الناس، وكثر التنافر وضَرَبَ بجذوره في العلاقات الإنسانية.

فالإسلام ربَّى أتباعه على الصراحة، ربَّى الأسرة على ذلك، وربَّى الأمة على جميع مستوياتها على ذلك، لأن كمَّ الأفواه ومنع الكلام ليس من عادة الأقوياء في حجَّتهم، بل من شأن الضعفاء أصحاب القوة العاتية بدون حجة ولا برهان، بل هو شأن الفراعنة الذين يعيشون على حساب الناس بقوَّتهم الباغية، لذلك ترى منطلق الفراعنة من خلال قول قائلهم: {مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ}، ليس عنده الاستعداد لسماع كلام غير كلامه، لأنه خائف على سلطانه وجاهه ودنياه.

أصحاب الهمم العالية:

يا عباد الله، إن أصحاب النفوس الكبيرة، وأصحاب الهمم العالية، والشخصيات القوية هم المؤهَّلون لتحمُّل صراحة محدِّثيهم معهم، ويقدِّرون ذلك جيداً، فلا يغضبون، ولا تتغير وجوههم فيحملهم ذلك على معاداتهم، أو خصامهم، أو مقاطعتهم وتحدِّيهم، أو مقابلة صراحتهم بالتهكُّم عليهم والإساءة لهم، فضلاً عن الضرب والقتل والتشريد وسفك الدماء.

أصحاب النفوس الكبيرة والهمم العالية يجعلون من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قدوة لهم، لأن الله تعالى قال لهم: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}، لأن

حبيبهم ونبيَّهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال لهم: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) أخرجه الحسن بن سفيان وغيره وصححه النووي في الأربعين.

أصحاب الهمم العالية لا يأبهون أين موقع نفوسهم، ولا ينظرون إلى مكانتهم الاجتماعية، لأنهم يعلمون أن مواقعهم ومكانتهم هي عمل وظيفي إن أحسنوا وأتقنوا عملهم كانوا محبوبين عند الله تعالى، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إن الله عز وجل يحبُّ إذا عمل أحدُكم عملاً أن يُتْقِنَهُ) أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب. الأصل عند هؤلاء أن يكونوا على سنة نبيِّهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في تقبُّل الصراحة من الآخرين.

النموذج الرائع لتقبُّل الصراحة:

معشر المسلمين، لقد جعل الله تعالى لنا نموذجاً رائعاً لتقبل الصراحة من الآخرين، لقد جعل لنا نموذجاً ليس له مثيل قبله ولا بعده، لقد جعل الله تعالى لنا نموذجاً هو سيد ولد آدم عليه السلام، بل هو سيد الأنبياء والمرسلين، بل هو سيد أولي العزم من الرسل، بل هو سيد المخلوقات العلوية والسفلية على الإطلاق، هذا النموذج هو سيدنا وحبيبنا وقرةُ أعيننا سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

هذا النموذج ضرب أروع الأمثلة لتقبل الصراحة من جميع الخلق، مع سموِّ قدره وعلوِّ شأنه، مع أن الله تعالى قال فيه: {وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِير}.

هذه الشخصية العظيمة مع جلالة قدرها وعظم هيبتها ما كانت لتمنع أصحابها من قول الصراحة في قول الأمور كلِّها صغيرها وكبيرها، كانت هذه الشخصية تقبل صراحة الآخرين، ولا تكمُّ أفواههم، مع أن الله تعالى هو مولاه وجبريل

وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير.

فيا من يريد أن يكون ناجحاً في بيته إن كان ربَّ أسرة، ويا من يريد أن يكون ناجحاً في مؤسسة إن كان صاحبَ مؤسسة، ويا من يريد أن يكون ناجحاً في ملكه ورئاسته إن كان صاحبَ ملك ورئاسة، عليك أن تقبل صراحة الآخرين، وانظر إلى حبيبك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إن كان حبيباً إلى قلبك.

أولاً: بل نسيت يا رسول الله:

يا عباد الله، أخرج الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى خَشَبَةٍ فِي مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، وَفِي الْقَوْمِ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ، وَخَرَجَ سَرَعَانُ النَّاسِ فَقَالُوا: قَصُرَتْ الصَّلَاةُ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُ ذَا الْيَدَيْنِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنَسِيتَ أَمْ قَصُرَتْ؟ فَقَالَ: لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تَقْصُرْ، قَالُوا: بَلْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ، ثُمَّ وَضَعَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ.

يا عباد الله، انظروا إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في هذا الموقف، لم يغضب، وما زجر، بل أيَّد ما قاله الصحابة، رغم أنه قال لهم: (لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تَقْصُرْ)، فما دامت الصلاة لم تقصر، قالوا: (بَلْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ) ما أجملها من صراحة مع كمال الأدب.

ثانياً: لأنت أحبُّ إليَّ من كلِّ شيء إلا من نفسي:

يا عباد الله، لقد أصبحنا في هذا العصر لا نعرف الصراحة. إلا من رحم الله. لقد فقد الناس الطريق إلى الصراحة، وسلكوا طريقاً آخر، طريق الكذب والنفاق،

يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وإذا كان المجتمع هكذا فأيُّ خير يرتجى؟ أيُّ خير يرتجى من مجتمع متفكِّك لا يستطيع فيه الواحد أن يقول ما بداخله صراحة؟ يا عباد الله، تعلَّموا الصراحة وعلِّموها للآخرين بحالكم قبل قالكم، أيها الآباء علِّموا الصراحة لأبنائهم! أيها الأزواج علِّموا الصراحة لنسائكم! أيها المدراء علِّموا الصراحة لموظَّفيكم! أيها الحكام علِّموا الصراحة لمحكوميكم! واسمعوا:

أخرجه الإمام البخاري عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلا مِنْ نَفْسِي!

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ)!

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي!

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الآنَ يَا عُمَرُ).

ما هذه العظمة في الصراحة؟

أولاً: صراحة سيدنا عمر رضي الله عنه: (يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلا مِنْ نَفْسِي)، صدق وصراحة، لا كذب ونفاق، اليوم هناك من يبالغ في المجاملات، وخاصة مع الشخصيات الكبيرة أصحاب المراكز العليا، وتزداد المجاملة وضوحاً وظهوراً إذا كانت لا تتجاوز حَيِّزَ الكلمات والأقوال، وتقل كلما دخلت دائرة الأداء العملي.

النفاق ما كان يعرف طريقاً إلى قلوب الصحابة رضي الله عنهم.

ثانياً: صراحة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، هي صراحة المتبوع للتابع، وإلا كيف يتعلَّم التابع الصراحة مع المتبوع، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال لسيدنا عمر رضي الله عنه: (لا

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ).

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما كان حريصاً على محبة الناس له انطلاقاً من نفسه الشريفة، بل كان حريصاً على ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى، لأن الله تعالى قال: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِين}.

يجب أن يكون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أحبَّ إلينا من أنفسنا، لأن الله تعالى يقول: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}، فإذا كان أولى بنا من أنفسنا فيجب علينا أن نحبَّه أكثر من أنفسنا، لذلك قال لسيدنا عمر هذا الكلام: (حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ).

يا عباد الله، هل تجدون هذه الصراحة بين التابع والمتبوع على كلِّ المستويات في مجتمعنا؟ إذا كنا فقدنا هذا، فاعلموا بأن السبب في ذلك هو أننا ما وضعنا يدنا بيد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

هذا سيدنا عمر رضي الله عنه أخذ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بيده حساً ومعنى حتى أدخله الجنة، حيث كان من المبشرين بالجنة وهو في حياته الدنيا، فهل ينظر كلُّ واحد منا إلى نفسه لينظر من هو الذي آخذ بيده؟ وعلى خطى من يسير؟

سل نفسك يا أخي: الذي آخذٌ بيدك هل يوصلك إلى جنة عرضها السماوات والأرض؟ هل يوصلك إلى أن تقول عند سكرات الموت: واطرباه غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه؟ أم لا قدر الله يوصلك إلى أن تقول عند سكرات الموت: {رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ}، وفي الآخرة تقول: {يَا لَيْتَنِي

اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً} !

ثالثاً: ترجع إلى قومك وتدعنا:

أيها الإخوة الكرام: لقد ربَّى الإسلام أتباعه على الصراحة والوضوح والاستيثاق، أخرج الإمام أحمد في مسنده، في بيعة العقبة قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ).

قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ ـ وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالاً، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا ـ يَعْنِي الْعُهُودَ ـ فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ، أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا، قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: (بَلْ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ).

صراحة من التابع: (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالاً، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا ـ يَعْنِي الْعُهُودَ ـ فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ، أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا).

وصراحة من المتبوع: (بَلْ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، بالصراحة كان المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وبغير الصراحة كان المجتمع متفكِّكاً متمزِّقاً، تظهر فيه علامات النفاق، فهل رجعنا إلى دين الله تعالى على كلِّ المستويات وكنا صريحين، ونحب الصراحة من الآخرين؟

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

240ـ خطبة الجمعة: من سمات تشريعنا الصراحة والوضوح(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

إن أساس العلاقات الناجحة بين أفراد الأسرة، وأبناء المجتمع على كلِّ المستويات، هو الصراحة، فبها تطمئنُّ القلوب، وترتاح النفوس، وهي مفتاح لحلِّ أكثر المشاكل.

الصراحة والوضوح من شيم أصحاب النفوس الكبيرة التي تحترم نفسها، وتأبى عليها إلا القول بالحقيقة والبعد عن الغموض، ويرفضون النفاق بكلِّ أشكاله وألوانه، ولا يستخدمون التقية ولا التورية في أحاديثهم.

أهل الصراحة هم أهل الإيمان:

يا عباد الله، الصراحة والوضوح من صفات وأخلاق المؤمنين، لأن الإيمان لا يستقيم في القلب إلا إذا صدق اللسان، أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ).

فإذا أردت استقامة الإيمان فعليك باستقامة القلب، واستقامة القلب لا تكون إلا باستقامة اللسان، ومن استقامة اللسان الصراحة.

كن صريحاً، وخاصة إذا كنت قدوة، فالأبَوان قدوة للأبناء، والمدراء قدوة للموظفين، والضباط قدوة للمجنَّدين، والحاكم قدوة للمحكومين، فيا أيها القدوة كن صريحاً مع متبوعيك، وحرِّضهم على الصراحة معك، لأن الصراحة سبب من أسباب تماسك أفراد الأسرةِ الصغيرة، وهي البيت، والأسرةِ الكبيرة، وهي المجتمع.

أهل الإيمان هم الذين يحبُّون الصراحة من غيرهم:

يا عباد الله، إذا كانت الصراحة من صفات وأخلاق المؤمنين، ولا يقولون إلا ما تختلج به نفوسهم، كذلك هم الذين يحبون الصراحة من غيرهم، ويكرهون النفاق لهم، على العكس تماماً من أهل الدنيا الذين ضعف الإيمان في قلوبهم، فلا يحبون

الصريح معهم، بل يحبُّون من يكذب عليهم وينافق لهم، ويتظاهر لهم بأنه يَصدُقُهم القول.

علامَ نُعطي الدَّنِيَّةَ في ديننا:

أيها الإخوة الكرام: انظروا إلى الصراحة التي ربَّى عليها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صحابته الكرام، التي تعطي للإنسان الراحة، وتدفعه لأن ينطق بلسانه ما يجول في خاطره.

فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن معه من الصحابة الكرام هم أسوتنا وقدوتنا في كل شيء، ومنها الصراحة، قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم}.

اسمعوا يا عباد الله:

روى الإمامان البخاري ومسلم عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: (قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يَوْمَ صِفِّينَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالاً لَقَاتَلْنَا. وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ. فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟

قَالَ: بَلَى.

قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلاهُمْ فِي النَّارِ؟

قَالَ: بَلَى.

قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟

فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا.

قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟

قَالَ: بَلَى.

قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلاهُمْ فِي النَّارِ؟

قَالَ: بَلَى.

قَالَ: فَعَلامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟

فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا.

قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ).

أيها الإخوة الكرام: لقد أراد سهل بقوله: (أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ) تصبيرَ الناس على الصلح يوم صفين، وإعلامَهم بما يُرجى بعده من الخير، وإن كان ظاهره في الابتداء مما تكرهه النفوس، كما كان الشأن في صلح الحُدَيْبية.

فسيدنا عمر رضي الله عنه ما كان شاكّاً فيما يفعله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما قال: (فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟) يعني: النقيصة، بل كان طالباً كشف ما خفي عليه، لأن شروط الصلح كانت قاسية وشديدة على المسلمين يوم الحديبية، ولا شك بأن الصحابة رضي الله عنهم عندما سمعوا تلك

الشروط القاسية جال في خواطرهم بعضُ الأمور، والتي من جملتها ما صرَّح به سيدنا عمر رضي الله عنه.

ما أجمل الصراحة بين القائد والمقود، بين الحاكم والمحكوم، بين الرئيس والمرؤوس، فهذا سيدنا عمر رضي الله عنه يريد إزالة الإشكال الذي ساوره، وأراد أن تُكشف له الحقيقة، فقال: (فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟) إن ذهب مسلم مرتد إلى مكة لا تردُّه مكة، وإن جاء مسلم من مكة إلى المدينة ردَّته المدينة، إلى غير ذلك من الشروط القاسية.

هل تضايق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من صراحة سيدنا عمر؟ حاشاه، بل عندما نزلت سورة الفتح، استدعاه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وتلا عليه سورة الفتح.

إنه قد بلغني أنك تريد قتل عبد الله:

أيها الإخوة الكرام: لا يفقد الصراحة إلا من كان ضعيفَ الإيمان، ولا يكره الصراحة إلا من كان في إيمانه خللٌ، أو كان متلبِّساً بالأنا الفرعونية، والإسلام لا يقرُّ هذا ولا ذاك.

اسمعوا يا عباد الله إلى قصة عبد الله بن عبد الله بن أبي؛ عبدُ الله بن عبد الله بن أبي صحابي قريب من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وأبوه رأسُ النفاق والمنافقين بعيدٌ عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، هذا المنافق قال في بعض الغزوات التي كان فيها مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (قد ثاورونا في بلادنا، والله ما عزنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك) رواه البيهقي في الدلائل، وقال

أيضاً: ({لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا}، وَقَالَ أَيْضًا: {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ}) رواه البخاري. وقال في حقِّ أمِّنا السيدة عائشة رضي الله عنها ما قال.

سمع الابن الصحابي الجليل هذا، فأتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقال: (يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي، فإن كنت فاعلاً فأمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبرَّ بوالده مني، ولكني أخشى أن تأمر به رجلاً مسلماً فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله يمشي في الأرض حياً حتى أقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بل نحسن صحبته ونترفَّق به ما صحبنا») رواه البيهقي في الدلائل.

يا الله، ما هذه العظمة في شخص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، لقد تجسَّد قول الله تعالى: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}! في هذه القضيَّة، الولد صحابي حبيب، والوالد كافر فاسق فاجر منافق، فما أثَّر نفاق الوالد على الولد، وما أثَّرت الإساءة من الوالد في حقِّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم على الولد. واحد مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والآخر في الدرك الأسفل من النار.

وما هذه العظمة في صراحة التابع مع المتبوع: (ولكني أخشى أن تأمر به رجلاً مسلماً فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله يمشي في الأرض حياً حتى أقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار).

وما هذه العظمة في شخص الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله

وصحبه وسلم عندما قال: «بل نحسن صحبته ونترفَّق به ما صحبنا».

يا عباد الله، نحن بأمسِّ الحاجة إلى هذه الصراحة، وخاصة صراحة الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «بل نحسن صحبته ونترفَّق به ما صحبنا»، وقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لسيدنا عمر عندما أراد قتل عبد الله بن أبي: (دَعْهُ، لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) رواه البخاري. اللهمَّ لا تشمت بدائنا أعداءنا.

إن كانوا قد نصحوك فقد غشوك:

معشر المسلمين: هكذا ربَّى النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أتباعه، فما كانوا يعرفون المداهنة والنفاق والكذب فيما بين بعضهم البعض، ولو كان الواحد منهم أميراً.

روى البيهقي في السنن الكبرى عن الحسن قال: إن عمر رضي الله عنه بلغه أن امرأة بغيَّة يدخل عليها الرجال، فبعث إليها رسولاً، فأتاها الرسول فقال: أجيبي أمير المؤمنين، ففزعت فزعة وقعت الفزعة في رحمها، فتحرك ولدها فخرجت فأخذها المخاض، فألقت غلاماً جنيناً، فأتى عمر بذلك، فأرسل إلى المهاجرين فقصَّ عليهم أمرها، فقال: ما ترون؟ فقالوا: ما نرى عليك شيئاً يا أمير المؤمنين، إنما أنت معلِّم ومؤدِّب، وفي القوم عليٌّ، وعليٌّ ساكت، قال: فما تقول أنت يا أبا الحسن؟ قال: أقول: إن كانوا قاربوك في الهوى فقد أثموا، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطؤوا، وأرى عليك الدية يا أمير المؤمنين، قال: صدقت، اذهب فاقسمها على قومك.
وفي رواية قال علي: عليك الدية، عزمت عليك أن لا تجلس حتى تضربها على قومك. وقد روي أنه قال له: (إن كانوا قد نصحوك فقد غشوك، ويوم القيامة لن

ينفعوك).

اسمعوا هذا يا عباد الله: (إن كانوا قاربوك في الهوى فقد أثموا، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطؤوا)، هلاَّ سمعتم هذا يا عباد الله، لقد خاف سيدنا عمر رضي الله عنه من الجنين الذي أسقطته المرأة بسبب هيبته، أن يسأله الله تعالى عنه يوم القيامة، واستشار الصحابة الكرام هل وجبت عليه الغرة أم لا؟ والغرة هي دية الجنين، والتي تبلغ نصف عشر الدية، والدية مئة ناقة.

هلاَّ سمع هذا حكَّامنا، هلاَّ فكَّروا في قوله تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّهِ وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه}، وصدق سيدنا علي رضي الله عنه: (ويوم القيامة لن ينفعوك).

لقد خاف سيدنا عمر رضي الله عنه أن يُسأل عن جنين سقط من رحم أمه، فكيف بمن سيُسأل عن دماء سُفِكت بغير حق، فما هو قائل لله عز وجل يوم القيامة؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، لقد وصف الله تعالى المجتمع الإيماني بقوله: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}، والذي كان من سماته الصراحة الصراحة بين التابع والمتبوع، بين الحاكم والمحكوم، بين الآباء والأبناء، وبين الأزواج، وبين أفراد المجتمع.

فهلاَّ انطلقنا بالصراحة من دائرة الأسرة الصغيرة حتى نصل إلى دائرة الأسرة الكبيرة؟ الصراحة راحة، ومن حُرِم الصراحة حُرِم الراحة.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

241ـ خطبة الجمعة: أكبر شيء فقده المسلمون الرحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

إنَّ أكبر شيء فقده المسلمون اليوم في حياتهم السلوكيَّة هو الرحمة، هذه الرحمة التي إذا فُقدت ونُزعت من صدور العباد حُرِموا رحمةَ الله عز وجل، وحُرِموا نصرَ الله تعالى وتأييده وحِفظه.

من هم الضعفاء؟

يا عباد الله، سيدُنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يوجِّه الأمَّة

إلى الرحمة التي هي مصدر النصر والرزق، فيقول: (هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلا بِضُعَفَائِكُمْ) رواه البخاري، وفي رواية لأبي داود وغيره: (ابْغونِي في الضُّعَفَاءَ، فَإِنَّمَا تُنْصرُونَ وتُرْزقون بضُعفائِكُمْ).

والضعفاء ليسوا هم الشيوخ الكبار، والأطفال الصغار فقط، هؤلاء من الضعفاء، ولكن الضعفاء أصنافهم كثيرة في المجتمع، فالمريض ضعيف أمام الطبيب، والولد ضعيف أمام والديه، والزوجة ضعيفة أمام زوجها، والجاهل ضعيف أمام العالم، والفقير ضعيف أمام الغني، والمِسُود ضعيف أمام السَّيِّد، والمرؤوس ضعيف أمام الرئيس، والمحكوم ضعيف أمام الحاكم.

فإذا لم يرحم الطبيب المريض، والوالدان الولد، والزوج الزوجة، والعالم الجاهل، والغني الفقير، والسيد المِسود، والرئيس المرؤوس، والحاكم المحكوم، فقد حُرِم رحمة الله تعالى.

وإنَّ أعظم شيء فقده المسلمون اليوم هو الرحمة، وابحثوا عن الرحمة في الأصناف الذين ذكرناهم، فهل تجدون لها أثراً؟

شرعُنا كلُّه رحمة:

يا عباد الله! إن شرعَنا الحنيفَ الذي أكرمنا الله عز وجل به كُلُّه ـ جملةً وتفصيلاً ـ مبنيٌّ على أساس الرحمة، فالرحمةُ في أصول الشريعة وفروعها، وفي جميع الأوامر والنواهي، وفي سائر الحقوق التي شرعها الله تعالى لنفسه أو لعباده، ظاهرةٌ جليةٌ، فالله تعالى لا يكلِّف نفساً إلا وُسعها، وهذه هي عين الرحمة.

تشريعنا من عبادات ومعاملات وأخلاق كلُّه مبنيٌّ على أساس من الرحمة، تدبَّروا

ما شرع الله تعالى في المعاملات، وفي الحقوق الزوجية، وحقوق الوالدين والجيران، وسائر المعاملات، فإنكم تجدون الرحمة في هذا التشريع.

لذلك نرى المسلم الملتزم هو الرحيم، فإن كان طبيباً فهو الرحيم، وإن كان والداً فهو الرحيم، وإن كان زوجاً فهو الرحيم، وإن كان عالماً فهو الرحيم، وإن كان غنياً فهو الرحيم،و إن كان سيداً فهو الرحيم، وإن كان رئيساً فهو الرحيم، وإن كان حاكماً فهو الرحيم.

ومن تراه نُزِعت الرحمة منه تراه بعيداً عن النهج الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكيف لا يكون رحيماً من كان ملتزماً بالشرع الذي قام على الرحمة؟

تربية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الأمةَ على خلق الرحمة:

أيها الإخوة الكرام: لقد جاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ليربي الأمةَ على خلق الرحمة بقوله وحاله. أما قوله:

أولاً: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

تنبَّهوا إلى قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ) ما قال: ارحموا المسلمين، بل قال: (ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ) ارحموا جميع الناس؛ لأنَّ

نبيَّكم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم نبيُّ الرحمة، كما قال تعالى في حقِّه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين} لجميع العوالم، وقال عن ذاته الشريفة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ) رواه الحاكم والبيهقي والدارمي.

ثانياً: أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلا مِنْ شَقِيٍّ).

فتِّش نفسَك يا عبد الله، هل نُزِعت الرحمة من قلبك؟ فتِّش عنها أيها الحاكم والمحكوم، أيها العبد مهما كانت منزلتك، هل نُزِعت من قلبك؟ فإن فقدتَ الرحمةَ بين جوانحك فاعلم بأنك شقي، فبادر للتوبة قبل الموت.

ثالثاً: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لن تؤمنوا حتى تحابُّوا، أفلا أدلكم على ما تحابُّوا عليه؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أفشوا السلام بينكم تحابُّوا؛ والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا، قالوا: يا رسول الله كلُّنا رحيم، قال: إنه ليس برحمة أحدكم، ولكن رحمة العامة رحمة العامة) أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

فكمال إيمانك بعموم رحمتك، فكلما عظمت الرحمة في قلبك على خلق الله تعالى كلَّما عظم الإيمان في قلبك، فلا تقصر الرحمة على من أحببت، وعلى من كان من أصولك أو فروعك، بل عمِّم الرحمة على الجميع حتى يكمل إيمانك.

أما تربية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الأمةَ على خلق

الرحمة بحاله وسلوكه، فاسمع:

أولاً: أخرج الإمام البخاري عن أبي قتادة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال: (إِنِّي لأَقُومُ فِي الصَّلاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ). وفي رواية للبخاري عن أنس رضي الله عنه: (إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ).

ذاك هو القول، وهذا هو العمل والسلوك، لأن القول بدون عمل لا ينفع، وليس من وصف المؤمنين، بل هو وصف المنافقين، الذي يجعلون الكلام المعسول في وادٍ، والعمل المرُّ القاسي هو منهجهم في الحياة، قال تعالى في وصف المنافقين: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون}.

ثانياً: أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ! قَالَ: إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً).

هذا كان في يوم أُحُد، حيث قُتِل مَنْ قُتِل من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ووصل من الأذى ما وصل إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، نعم لقد جسَّد قول الرحمة سلوكاً وعملاً.

ثالثاً: أما رحمته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يوم فتح مكة فحدِّث عنها بلا حرج، هذه قريش بقضِّها وقضيضها بين يدي الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، في مظهر الضعف، وهو في مظهر القوي المنتصر، هذه

قريش التي فعلت ما فعلت، من قتل لأصحابه الكرام، ومن إخراجهم من ديارهم وأموالهم بغير حق، ومن تآمر عليه وتجميع الجموع لقتاله، ماذا فعل بهم؟

مع العلم بأن إشارة منه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تجعل رؤوس هؤلاء تحت الأقدام، ويصبحون خبراً بعد عين، اسمعوا يا ناس، اسمعوا يا حكَّام، اسمعوا يا أقوياء ويا أغنياء، اسمعوا يا عباد الله:

قال لهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (ما تظنون أني فاعل بكم)؟ قالوا: خيراً، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريم. فقال: (أقول كما قال أخي يوسف: {لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين} اذهبوا فأنتم الطلقاء) أخرجه الطبري في التاريخ وابن هشام في السيرة.

هل كذَّبهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ هل وصفهم بالكذب والنفاق، لأنهم قالوها في ساعة الضعف؟ لا وربِّ الكعبة، بل قَبِلَها منهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وقال لهم: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، إنَّها الرحمة العمليَّة التي نحن بأمسِّ الحاجة إليها.

الرحمة صفة الأنبياء والمرسلين:

أيها الإخوة الكرام: إن صفة الرحمة، وخلق الرحمة، من صفات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وخاصة في شخص سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، قال تعالى في حقِّ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ

إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين}.

عباد الله! الرحيم محبٌّ، الرحيم صاحب خُلُق سام ورفيع، الرحيم صاحب قلب رقيق، الرحيم مُحسِن، لا يقابل السيئة بالسيئة، بل يعفو ويصفح، الرحيم تجتمع عليه القلوب.

فيا أيها الأب إذا أردت أن لا ينفضَّ عنك أولادك فكن رحيماً، ويا أيها الزوج إذا أردت أن لا تنفضَّ عنك زوجتك فكن رحيماً، أيها الطبيب، أيها التاجر، أيها المهندس، أيها الغني، إذا أردتم أن لا ينفضَّ الناس عنكم فكونوا رحماء، أيها الحاكم إذا أردت أن لا ينفضَّ الناسُ عنك فكن رحيماً.

يا عبدَ الله! لا تكن فظاً غليظ القلب، حتى لا ينفضَّ الناس عنك، والناس لا ينفضُّون إلا عن الشقي، والشقي هو من نُزِعت الرحمة من قلبه.

يا عباد الله، لقد وصف الله تعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيم} فهل نحن على قدم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

أما سمعنا يا عباد الله قولَ الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}؟ أوما سمعنا قول الله تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيم}؟ فعلينا يا عباد الله بالرحمة، لأن الرجولة أن يثني الناس عليك في غيبتك لا في حضورك، الأقوياء يثني الناس عليهم في حضورهم، أما الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام فيثني الناس عليهم في حضورهم وغيابهم.

يا عباد الله، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ربَّى المجتمع على خُلُق وصفة الرحمة سلوكاً وعملاً بعد القول، حتى كان المجتمع كالجسد الواحد، كما جاء في الحديث الشريف: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، بالرحمة رُحِم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، بالرحمة رُحِمت الأمة الإسلامية حتى سادت الدنيا من أقصاها إلى أقصاها، بالرحمة خضعت فارس والروم لهذه الأمة ودفعت لها الجزية، بالرحمة نُصِرت الأمة ورُزِقت.

وإذا أردنا أن يرحمنا الله تعالى، وأن يكشف عنا الغمَّة، فلنتراحم، أيها الزوج ارحم الزوجة، أيها الأب ارحم الولد، أيها الأغنياء وأولياء أمور البنات ارحموا الشباب الأعزاب، زوِّجوهم، يسِّروا لهم أسباب الزواج، أيها الحاكم ارحم شعبك وأمَّتك، وإذا دَعَتْكَ يا عبدَ الله قدرتُك على ظلم الآخرين فتذكَّرْ قدرةَ الله عليك.

يا ناس ارحموا الضعفاء بكلِّ صورهم وأصنافهم، إذا أردتم الرحمة، وإذا أردتم النصر والرزق، تراحموا يا ناس، لأنا فقدنا الرحمة، ومن فُقِدَ الرحمة فَقَدَ الرحمة، وإذا أردنا الرحمة فلنرحم، وصدق الله القائل: {وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا}.

اللهم لا تنزع الرحمة من قلوبنا، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يخشاك ولا يرحمنا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٢٤٢ـ خطبة الجمعة: من سمات تشريعنا السماحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

السماحة هي ملَّتنا ونهجنا وشرعنا، هي ديننا ومبدؤنا، وبها بُعث سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلينا، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (بُعِثْتُ بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ) رواه الإمام أحمد والطبراني.

السماحة التي جاء بها ديننا وعلَّمها للبشرية جمعاء هي فوق مفهوم الإنسانية الذي رفعته مؤسسات وجمعيات خيرية ـ جاهلية ـ معاصرة، خدعت به شعوباً وأمماً وأقواماً بُسَطاء، بهذا الشعار البرَّاق الذي رفعه الغرب اليوم، خُدع الناس، وقُتل به الأبرياء، وسُفكت به الدماء، وهُتكت به الأعراض، وسُلبت به الأموال، وهُتكت به الحرمات، واغتُصبت به الأرض، وقُسِّم به المقسَّم من البلاد، وجُزِّئ به المجزَّأ، واستُعبِد به الناس، وغُيِّب به الناس في السجون.

مفهوم السماحة فوق مفهوم الإنسانية:

يا عباد الله: إن مفهوم السماحة الذي جاء به شرعنا الحنيف هو فوق مفهوم الإنسانية وحقوقِ الإنسان الذي رفعه الغرب في هذا العصر الجاهلي المتحضِّر، وقد جسَّد ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله، كما يحدِّثنا شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) رواه مسلم.

السماحة يا عباد الله هي طيب في النفس، وانشراح في الصدر، ولين في الجانب، وبشاشة في الوجه، وذلة على المؤمنين، وصدق في التعامل، ورحمة بجميع خلق الله تعالى مما يعقل ومما لا يعقل.

أما الفظاظة والغلاظة والشدة والقسوة في التعامل فليست من ديننا في شيء، وإن الجفاء الذي نراه في واقعنا حالة طارئة يجب أن يغيَّب وأن يزول، وأن يظهر خلق السماحة على جميع جوارحنا، وأن يظهر في جميع حركاتنا وسكناتنا.

خلق السماحة في التعامل المادي:

أيها الإخوة الكرام: إن خلق السماحة يجب أن يظهر في تعاملنا، وخاصة في الدينار والدرهم، ويتأكد هذا عندما تشحن النفوس بحبِّ الدنيا وطلب المزيد منها.

ربُّنا عز وجل فطر الإنسان على حبِّ المال والدنيا، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيد}، وقال: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}، وقال: {إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا

مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا}، وطلب ربُّنا عز وجل من الإنسان أن يجاهد نفسه أثناء تعامله مع الدنيا التي زيَّنها له وفطره على محبَّتها، وأن يجعلها في يده لا في قلبه.

وقد بيَّن لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حقيقة هذه الدنيا بقوله: (لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَا لِي وَ لِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) رواه البخاري.

ولو قرأنا سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لوجدناه قد جعل الدينار والدرهم همزة وصل بين العباد، لا همزة قطع، وجعل المال وسيلة للوصول إلى الآخرة، ولم يجعله هدفاً وغاية يصل إليها الإنسان.

من هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في السماحة المالية:

معشر المسلمين، لنسمع إلى هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو يحرِّضنا على السماحة في الأمور المالية والتعامل بها:

أولاً: أخرج الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى).

أين الذي يبحث عن رحمة الله تعالى؟ أين الذي يريد أن ينال دعاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا...)؟ يا من كان حريصاً على أن ينال الرحمة من الله ببركة الدعاء الشريف، عليك بالسماحة أثناء تعاملك بالدينار والدرهم، كن سمحاً عند البيع، وكن سمحاً عند الشراء، وكن سمحاً عند القضاء، وكن سمحاً عند الاقتضاء.

ثانياً: أخرج الإمام أحمد عن عطاء بن فروخ، أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشْتَرَى مِنْ رَجُلٍ أَرْضًا فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَقِيَهُ.

فَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ مِنْ قَبْضِ مَالِكَ؟

قَالَ: إِنَّكَ غَبَنْتَنِي، فَمَا أَلْقَى مِن النَّاسِ أَحَدًا إِلا وَهُوَ يَلُومُنِي.

قَالَ: أَوَ ذَلِكَ يَمْنَعُكَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَاخْتَرْ بَيْنَ أَرْضِكَ وَمَالِكَ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الجَنَّةَ رَجُلاً كَانَ سَهْلاً مُشْتَرِيًا وَبَائِعًا وَقَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا).

أين من يقيل النادم في المعاملات المادية؟ أين من يسمع حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه؟ وفي رواية لابن حبان: (من أقال نادماً بيعته أقال الله عثرته يوم القيامة).

هذه هي السماحة التي جاء بها الإسلام، وهذه هي آثار عبادة العابدين من صلاة

وصيام وزكاة وحج وعمرة، وتلاوة للقرآن العظيم، يجب أن تظهر آثار العابدة أثناء التعامل بالدينار والدرهم، وأن تظهر السماحة عند التعامل التجاري.

عبادَ الله: المسلم أثناء تعامله التجاري يستحضر الآخرة، لأن استحضار الآخرة يجعله سمحاً في التعامل بيعاً وشراء وقضاءً، لأن الدنيا مهما زُيِّنت في العين فهي فانية، أما الآخرة فهي الباقية، فالمؤمن من تعلَّق قلبه بدار البقاء لا بدار الفناء، وتعامل مع أبناء جنسه في دار الفناء بخلق التسامح.

ثالثاً: جاء في المستدرك على الصحيحين للحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال: (من كان هيِّناً ليِّناً قريباً حرَّمه الله على النار).

أين من يريد أن يعتق نفسه من النار؟ أين من يريد أن يحرِّم الله جسده على النار؟ من أراد ذلك فليكن هيِّناً ليِّناً في بيعه وشرائه وقضائه واقتضائه.

أيها الإخوة الكرام: لقد أصبحنا بعيدين عن هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، لقد أصبح همُّ بعض الناس الدينار والدرهم، فلا تراه هيِّناً ليِّناً في بيعه وشرائه، بل ولا ترى منه شفقة ولا رحمة أثناء التعامل التجاري.

أيها الإخوة الكرام: عندما صدر قرار بمنع الاستيراد، مباشرة وبدون توقُّف ولا تردُّد رفع التجار الأسعار، لماذا هذا يا عباد الله؟ لماذا هذه الشدَّة والقسوة؟ أين الشفقة والرحمة على عباد الله؟ وخاصة وأنتم ترون الفقر يزداد يوماً بعد يوم.

يا عباد الله: نحن نناشد غيرنا بالرحمة وبالسماحة، ونحن الذين فقدنا الرحمة والسماحة ـ وخاصة في المعاملات التجارية ـ إلا من رحم الله تعالى، وكأن القوم

تناسوا حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ) رواه البخاري ومسلم. وفي رواية لمسلم: (مَنْ لا يَرْحَمْ النَّاسَ لا يَرْحَمْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ).

أيها التجار، يا أرباب الأموال: ارحموا عبادَ الله، ارحموا الضعفاء، ارحموا أصحاب الحاجة لعلكم تُرحمون، واسمعوا حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ) رواه الإمام أحمد، كونوا سمحين في معاملاتكم التجارية.

رابعاً: من خلق السماحة في المعاملات التجارية إنظارُ المعْسِر والتيسيرُ عليه.

روى الإمام مسلم عن عبد الله بن أبي قتادة، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ.

فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ.

فَقَالَ: آللهِ؟

قَالَ: اللهِ!

قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يَقُولُ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ).

نعم، هذه هي سماحة الإسلام التي هي فوق مبدأ حقوق الإنسان الذي رفعه الغرب كذباً وخداعاً، فهو يعيش في الجاهلية الثانية التي لا تعرف شفقة ولا رحمة على العباد، وخاصة في الأمور المالية.

جاء الإسلام وقضى على الجاهلية الأولى، التي كان من مظاهرها التعامل بالربا،

بحيث لو تأخر المدِين بسداد دينه أرهقه الدائن بالزيادة عليه، وهذه هي الإنسانية المتحضِّرة التي ترعى حقوق الإنسان تُرجع الناس إلى الجاهلية الأولى بتعاملها بيعاً وشراء، وقضاء واقتضاء.

نعم يا عباد الله، الإسلام جاء بالسماحة في المعاملات التجارية، جاء بالسماحة في القرض والاستقراض، وظهر هذا من خلال قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُون * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون}.

لقد أعلن الله الحرب على المرابي، وطلب من الدائن أن يستردَّ رأس ماله فقط، وأن يُنظِر المعْسِر، أو أن يتصدَّق عليه، وهذا هو الخير من إنظاره، هذه هي السماحة التي ما عرفها الغرب في معاملاته التجارية، ولكن وبكلِّ أسف ما زال بعض المسلمين مخدوعاً بالغرب وبدعوته لرعاية حقوق الإنسان، وهو يرهق الناس بالديون، وهو الذي يخرب البلاد بالأسلحة الفتاكة، ويغرقها بالديون الربوية.

خامساً: أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ). وفي رواية عَنْ أَبِي مسْعُودٍ البدْرِيِّ رضي اللَّه عنْهُ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «حُوسب رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قبلكم فَلَمْ يُوجدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيءٌ، إلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاس، وَكَانَ مُوسِراً، وَكَانَ يأْمُرُ غِلْمَانَه أن يَتَجَاوَزُوا عن المعْسِر. قال اللَّه عزَّ وجَلَّ: نَحْنُ أحقُّ بِذَلكَ مِنْهُ، تَجاوَزُوا عَنْهُ» رواه مسلم. الجزاء

من جنس العمل.

يا عباد الله: تجاوزوا عن المعسر ولا تضيِّقوا عليه، لعلَّ الله تعالى أن يتجاوز عنا، كونوا رُحَماء في معاملاتكم التجارية لعلَّ الله يرحمنا، لا تكونوا حريصين على أموالكم ولو بإزهاق أرواح الآخرين.

هناك من الدائنين من يسأل: هل يجوز أن أحوِّل ديني الذي لي، من العملة المحليَّة إلى العملة الأجنبية؟ لماذا؟ لأن العملة المحليَّة في هبوط، أسأل هذا الدائن: لو أن العملة المحليَّة في ارتفاع هل تُسقط شيئاً من ديونك عن المدين؟

يا عباد الله: عاملوا الآخرين كما تحبون أن تُعامَلوا، ارحموا تُرْحَموا، تجاوزوا لعلَّ الله أن يتجاوز عنا.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: اجعلوا من الدنيا الفانية مطيَّة لآخرتكم الباقية، تعلَّموا خُلُق السماحة في البيع والشراء، وفي أداء ما عليكم، وفي المطالبة بما لكم عند الآخرين.

يا عباد الله: إن الشدَّة والقسوة في المعاملات التجارية واضحة، فهل من راغب بنيل دعاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى)؟!

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

243ـ خطبة الجمعة: أيها المدين المؤتمن!

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

لقد أكرمنا الله تعالى بشريعة كلُّها خيرٌ ورحمةٌ ومنفعةٌ للبشرية في دنياهم وآخرتهم، لمن قَبِلَها وآمن بها والتزمها، هذه الشريعة تدعو المؤمن لأن يكون متخلِّقاً بالسماحة في معاملته مع خلق الله تعالى، لأن السماحة تقوي الأيمان، وتُضاعف الثوابَ عند الله تعالى، وتشدُّ أزر العباد، وتجعل المحبةَ بين الأفراد، والمودةَ والرحمةَ في قلوب العباد.

نعم، لقد أكرمنا الله تعالى بهذا الدين الحنيف الذي قال فيه الحبيب صلى الله عليه

وعلى آله وصحبه وسلم: (أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ) رواه البخاري، وقد دعانا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلى التسامح في المعاملات التجارية، فقال: (أفضل المؤمنين رجل سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء، سمح الاقتضاء) رواه الطبراني في الأوسط.

وثِّق معاملاتك التجارية:

أيها الإخوة الكرام: البيع تبادل منافع بين الأفراد، هذا يبذل سلعته، وهذا يبذل قيمتها، وقد حرص الإسلام على سلامة العلاقة بين العباد، لذلك شرع لهم توثيق المعاملات فيما بين بعضهم البعض، وخاصة في مسألة المداينة.

يا عباد الله: إن أطول آية في كتاب الله تعالى هي آية المداينة، حيث ذكر الله تعالى فيها طرق توثيق الدَّين.

الطريق الأول: وثِّق دَينك بالكتابة، قال تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ}.

الطريق الثاني: إذا لم توثِّق دَينك بالكتابة، وثِّقه بالشهود، وذلك لقوله تعالى: {وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ}.

الطريق الثالث: إذا لم تكتب ولم تُشهد فخذ رهناً مقبوضاً، قال تعالى: {وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ}.

وإذا أردت أن لا توثِّق معاملاتك التجارية وديونك فلا حرج عليك، وهذا دليل على حسن ظنِّك وسماحتك، قال تعالى: {فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ}. فإما أن توثِّق وإما أن تثق، فلك الخيار.

فإن وثَّقت دَينك بالكتابة أو بالشهود أو بالرهان المقبوضة فلا حرج عليك، وإن وثِقْتَ بدين وتقوى وصلاح من تعامله فلا حرج عليك.

أيها المَدين المؤتمن:

معشر المسلمين: أتوجَّه إلى المؤتمنِ المدِينِ الذي وَثِقَ به الدائنُ، فأحسن الظن به، واستحيا منه أن يكتب عليه كتاباً يوثِّق به دَينه، استحيا منه أن يُشهد عليه، استحيا منه أن يطلب رهاناً مقبوضة، استحيا منه لظاهر صلاحه وتقواه، كيف يوثِّق دَينه وهو الذي يراه من حيث الظاهر تقياً نقياً صالحاً، من روَّاد المساجد، محافظاً على الجمعة والجماعة، من أهل الذكر، من أهل تلاوة القرآن، ممن صاحب العلماء والأتقياء والصلحاء؟ كيف لا يأمنه؟

أتوجَّه إلى المؤتمن المدِين وأقول له: يا عبد الله، لقد توسَّم الدائنُ بك خيراً، فاعتمد على ظاهر صلاحك، أناشدك الله أن لا تخيِّب ظنَّه، أناشدك الله أن تكون أهلاً لحمل الأمانة، أناشدك الله أن تكون تقياً نقياً حقيقةً، وأذكِّرك يا أيها المؤتمن المدِين بما يلي:

أولاً: لا تنس قول الله تعالى: {فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ}، كن أهلاً لتحمُّل الأمانة وأدائها، استحضر الآخرة، واحذر الخيانة، لأن الخيانة سبب لضياع الدين، فلا تكن ممن باع دينه بعرض من الدنيا قليل، واسمع ما يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ) رواه الإمام أحمد.

وكن حذِراً من أن يكون فيك وصف المنافقين، فرسول الله صلى الله عليه وعلى

آله وصحبه وسلم يقول في وصفهم: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) رواه البخاري ومسلم. تذَّكر قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُون}.

ثانياً: تذكَّر أيها المؤتمنُ المدين قول الله خلقك فسوَّاك فعدلك، في أيِّ صورة ما شاء ركَّبك، إذ يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ}.

تذكَّر بأنَّ الدائنَ اعتمد على صلاحك فلم يكتب عليك كتاباً، ولم يُشهد عليك، ولم يطلب منك رهاناً مقبوضة، فاحذر أن تأكل ماله بالباطل، ومن صور أكل المال بالباطل:

١. المماطلة بسداد الدَّين مع القدرة على سداده، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ) رواه البخاري ومسلم، ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَيُّ الوَاجِدِ يُحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعِرْضَهُ) رواه البخاري.

٢. جحود الحقِّ الذي عليك، لأن الدائن ما كتب وما أشهد وما أخذ رهناً فلا بيِّنة عنده، فالجحود صورة من صور أكل أموال الناس بالباطل، وخاصة إذا أكَّد الجاحد جحوده بيمين كاذبة. والعياذ بالله تعالى ..

٣. اللحن في الحجة، كم وكم من أناس أكلوا أموال الناس بالباطل بلحنهم بحجتهم، ليسمع هذا الصنف من الناس ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن رافع عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جَاءَ رَجُلانِ مِنْ الأَنْصَارِ يَخْتَصِمَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوَارِيثَ بَيْنَهُمَا قَدْ دُرِسَتْ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيِّنَةٌ، فَقَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ ـ أَوْ قَدْ قَالَ لِحُجَّتِهِ ـ مِنْ بَعْضٍ، فَإِنِّي أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ، يَأْتِي بِهَا إِسْطَامًا فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، فَبَكَى الرَّجُلانِ وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: حَقِّي لأَخِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَمَا إِذْ قُلْتُمَا فَاذْهَبَا فَاقْتَسِمَا، ثُمَّ تَوَخَّيَا الْحَقَّ، ثُمَّ اسْتَهِمَا، ثُمَّ لِيَحْلِلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ).

معنى إسطاماً: هي الحديدة التي تحرك بها النار وتسعَّر، أي أقطع له ما يُسْعر به النار على نفسه ويُشعلها.

احذر يا أخي أكلَ أموال الناس بالباطل بلحنك بحجَّتك، ولو قضى لك القاضي بذلك، لأنك أدرى بنفسك من القاضي، وقضاء القاضي لا يُحلُّ لك الحرام، هذا إذا قضى القاضي بالحق الذي ظهر له، فكيف إذا تواطأت معه؟

ليسمع القضاة المرتشون الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويجعلون الحلال حراماً، والحرام حلالاً، ليسمع هؤلاء حديثَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ، رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ الْحَقِّ فَعَلِمَ ذَاكَ فَذَاكَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ لا يَعْلَمُ فَأَهْلَكَ حُقُوقَ النَّاسِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِالْحَقِّ فَذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ) رواه أبو داود والترمذي.

أيها القضاة! كلوا ما شئتم من الحرام، واقلبوا الحقائق كما شئتم، وخذوا الرشوة، وعسِّروا الأمور على أصحاب الحق، وماطلوهم في إصدار الحكم، ولكن تذكَّروا قول الله تعالى: {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَد * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ

أَحَد}.

٤. التضييق على الدائن حتى يضع من دينه، وكم من مَدين ضَيَّق على دائنه حتى ألجأه إلى أن يضع عنه من دينه، وهذا من أكل أموال الناس بالباطل.

ثالثاً: تذكَّر أيها المؤتمَنُ المدينُ بأن الأصل في أموال الآخرين الحرمة، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا) رواه البخاري ومسلم. فإذا أكلت أموال الآخرين بالباطل فتذكر قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كلُّ لحمٍ نَبَتَ منْ سُحْتٍ فالنارُ أولى به) رواه الطبراني.

رابعاً: تذكر أيها المؤتمنُ المدينُ قولَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ هَمَّهُ قَضَاؤُهُ، أَوْ هَمَّ بِقَضَائِهِ، لَمْ يَزَلْ مَعَهُ مِنْ اللَّهِ حَارِسٌ) رواه الإمام أحمد، وتذكر قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ يَنْوِي قَضَاءَهُ، فَمَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ وَفَاءً، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى صَاحِبَ الدِّينِ بِمَا شَاءَ، وَعِنْدَ اللَّهِ رِضَاهُ) رواه الطبراني، وتذكَّر قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ) رواه البخاري.

خامساً: تذكَّر أيها المؤتمنُ المدينُ يوم القيامة بأنه ليس فيه دينار ولا درهم، بل هي الحسنات والسيئات، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ قُضِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ) رواه ابن ماجه والطبراني، ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَيُّمَا رَجُلٍ يَدِينُ دَيْنًا،

وَهُوَ مُجْمِعٌ أَنْ لا يُوَفِّيَهُ إِيَّاهُ، لَقِيَ اللَّهَ سَارِقًا) رواه ابن ماجه والطبراني.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: ضيق الدنيا أهون من ضيق الآخرة، والصبر على ألم الدنيا أهون من الصبر على نار جهنم، وخسارة الدنيا خير من خسارة الدين، فيا أيها المؤتمنُ المِدين! يا من وَثِقَ الدائن بأمانتك وبصلاحك وبلحيتك وبأيمانك وبوعدك! تذكَّر قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون}.

اعتبروا يا عباد الله ممن مات وهو ظالم قد عاث في الأرض فساداً، وسفك الدماء، وأكل أموال الناس بالباطل، وانتهك حرمات الله، ومنع الناس حقوقَهم، انظروا إلى خاتمتهم، انظروا إلى الذُّلِّ بعد العِزِّ، وتذكَّروا قول الله تعالى: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم * طَعَامُ الأَثِيم *كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُون *كَغَلْيِ الْحَمِيم * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيم * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيم * ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيم}.

نعوذ بالله من الذلِّ بعد العِزِّ، ونعوذ بالله من المعصية بعد الطاعة، ونعوذ بالله من أن نردَّ إلى أرذل العمر. أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

244ـ خطبة الجمعة: أفضل أيام الدنيا أيام العشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

إن المشكلة الكبرى التي يعاني منها المسلمون اليوم هي أنهم متعاطفون مع الإسلام بمشاعرهم، متناقضون مع تعاليمه بسلوكهم، لذلك لا يقطفون ثماره اليانعة النافعة.

إن عظمة الإسلام لا تكون في الحديث عنه ولا به، بل عظمته تكون في تطبيقه سلوكاً وعملاً، والبرهان على الانتماء لهذا الدين هو العمل الصالح بعد الإيمان.

أيها الإخوة الكرام: إن الإيمان والإسلام ليس بالتمني ولا بالتحلي، بل بما وقر في الصدر، وصدَّقه العمل، ولو كان الأمر بالتمني لكان الكلُّ ناجياً يوم القيامة، ولكن قال تعالى: {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ

وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا}، فالمؤمن لا يتمنَّى، بل يرجو، ومن كان راجياً كان عاملاً، قال تعالى: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

أيام مباركات زاكيات:

معشر المسلمين: هذا هو اليوم الأول من أيام عشر ذي الحجة، هذه الأيام والليالي العظيمة التي أقسم الله تعالى بها بقوله: {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ}، وربُّنا عز وجل لا يُقسم إلا بعظيم، والمؤمن لا يعظِّم إلا ما عظَّمه الله تعالى.

هذه الأيام التي ستمر علينا إن كان لنا عمر هي أيام مباركات زاكيات، تُضاعَف فيها الحسنات، وتُفتح فيها أبواب الرحمات، وتُقال فيها العثرات، يغفر الله فيها للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويقضي حوائج المحتاجين.

هذه الأيام هي أفضل أيام الدنيا، كما جاء في الحديث الشريف عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (أفضل أيام الدنيا أيام العشر، يعني عشر ذي الحجة، قيل: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: ولا مثلهنَّ في سبيل الله، إلا رجل عفر وجهه بالتراب) رواه البزار بإسناد حسن.

العمل الصالح يحبه الله تعالى في هذه الأيام:

أيها الإخوة الكرام: العمل الصالح يحبُّه الله تعالى، ولكن حبَّه لها في هذه الأيام أكثر، لما رواه الإمام البخاري وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ، يَعْنِي أَيَّامَ العَشْرِ، قَالُوا: يَا

رَسُولَ اللَّهِ وَلا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ).

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ، يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ، وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ القَدْرِ).

اغتنموا هذه الأيام:

يا عباد الله، إن الموفقين يرون هذه الأيام فرصة من فرص العمر لا يضيِّعونها، ويسمعون قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (افْعَلُوا الخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ) رواه الطبراني والبيهقي.

الموفَّقون يغتنمون هذه الأيام بالأعمال الصالحة، لأنهم يرون أعمارهم القصيرة في الحياة الدنيا هي مزرعتهم للآخرة، فيبادرون بالأعمال الصالحة، ويسارعون إليها، قال تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}، وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (بادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعاً، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إلاَّ فَقراً مُنسياً، أَوْ غِنىً مُطغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفسِداً، أَوْ هَرَماً مُفْنداً، أَوْ مَوتاً مُجْهزاً، أَوْ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ فالسَّاعَةُ أدهَى وَأَمَرُّ) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الموفَّقون يغتنمون النفحات الإلهية، وخاصة الأزمنة المعظَّمة التي أقسم الله تعالى بها، فيكثرون من الأعمال الصالحة، والتي من جملتها الصيام والقيام، فصيام يوم منها بصيام سنة، وقيام ليلة منها بقيام ليلة القدر، وأقلُّ القيام أن تحافظ على صلاة الفجر والعشاء في جماعة.

ولقد روى الإمام أحمد والنسائي وأبو داود عن أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما قالت: (أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صِيَامَ عَاشُورَاءَ، وَالعَشْرَ، وَثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَالرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ).

وأخرج النسائي وأبو داود عن حفصة رضي الله عنها قالت: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الحِجَّةِ، وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنْ الشَّهْرِ وَالخَمِيسَ).

يا عباد الله، هناك من يقول بأن هذا الحديث عن السيدة حفصة هو حديث ضعيف، وقد ثبت في الصحيح عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَائِمًا فِي العَشْرِ قَطُّ) رواه مسلم، ويحاول أن ينفي حديث السيدة حفصة رضي الله عنها.

أقول لهؤلاء الإخوة الكرام: الخلاف العملي لا يؤثر على التشريع العملي، لأن الفقهاء اتفقوا على استحباب صيام العشر إلا يوم العيد، وعلى ذلك إجماع العلماء، وقد وفق علماء الحديث بين حديث السيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهما بأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان يخفي ذلك عن السيدة عائشة رضي الله عنها، أو أنه لم يصمها لعارض مرض أو سفر أو غيرها.

ثمرات العمل الصالح:

أيها الإخوة الكرام: أكثروا من العمل الصالح في هذه الأيام، واعلموا بأن الأعمال الصالحة لها آثار في حياة المؤمن، منها:

أولاً: العمل الصالح يورث طيب النفس، ورغد الحياة، وزيادة الأجر والثواب، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون}، فإذا أردنا الحياة الطيبة فعلينا بالعمل الصالح، وخاصة في هذه الأيام.

ثانياً: العمل الصالح يورث الودَّ في قلوب العباد، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}.

يا عباد الله، إذا أراد الواحد منا أن يجعل الله له وداً في قلوب عباده المتقين فعليه بالعمل الصالح بعد الإيمان، ونحن عندما نرى أنفسنا متحاسدين متدابرين متقاطعين، يحقد البعض على البعض، ويكره البعض البعض، فلنعلم بأن السرَّ في هذا هو بعدنا عن العمل الصالح المرضيِّ عند الله تعالى، وأننا رضينا من الإسلام اسمه، فالمؤمن الحقُّ الذي عمل الصالحات لا يعرف إلا الودَّ للآخرين، ومن لم يعرف إلا الودَّ للآخرين فإن الله يكرمه بالجزاء من نفس عمله، فيجعل له وداً في قلوب عباده.

ثالثاً: العمل الصالح يورث الاستخلاف والتمكين في الأرض والأمن، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن

بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا}.

معشر المسلمين: إذا لم نرَ استخلافاً في الأرض، ولا تمكيناً في ديننا، ولا أمناً، فلنعلم بأننا قد قصَّرنا في العمل الصالح، ولا يليق بالمؤمن الذي لا يرى استخلافاً ولا تمكيناً ولا أمناً أن يحوِّل الأمر على الآخرين، لأن وعدَ الله تعالى لا يُخلَف، فمن حقَّق الإيمان والعمل الصالح في نفسه حقَّق الله تعالى له ما وعده به.

رابعاً: العمل الصالح يحفظ الأهل والمال والعيال، قال تعالى في سورة الكهف: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ}، وقال تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا}. فيا أيها الحريص على ذريَّته، وعلى عرضه، وعلى ماله، عليك بالعمل الصالح، وخاصة في هذه الأيام.

يا عباد الله: لا تظنُّوا أن العمل الصالح مقصور على الصلاة والصيام والزكاة والحج بعد النطق بالشهادتين، هذه الأمور الخمسة هي أركان الإسلام التي بُنِيَ عليها الإسلام، فالعمل الصالح يشمل العبد المؤمن من فرقه إلى قدمه، ومن ظاهره إلى باطنه، ومن حركاته إلى سكناته، ومن أقواله إلى أفعاله، فأين العمل الصالح فينا؟

أيام الهرج والمرج، التي كثر فيها القتل للنفوس البريئة، وبكلِّ أسف كثُر القتل في الأشهر الحُرُم، وفي أشهر الحج، وفي أفضل أيام الدنيا أيام عشر ذي الحجة، كثُر سفك الدماء وهتك الأعراض، وأكل أموال الناس بالباطل، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يدعونا إلى كثرة العبادة في هذه الأيام بقوله: (العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ) رواه مسلم.

نحن في أيام الهرج والمرج كثُر فينا القيل والقال، وقلَّ العمل الصالح، مع أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم نهانا عن القيل والقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ودعانا إلى العبادة، فهل من عودة إلى هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

معشر المسلمين: لنغتنم هذه الأيام بالعمل الصالح، وعلى رأس الأعمال الصالحة التوبة الصادقة النصوح، فطوبى لمن كفَّ يده عن ظلم الآخرين، وطوبى لمن كفَّ يده عن سفك دماء الأبرياء، وطوبى لمن ستر الأعراض وأمَّن الروعات، وطوبى لمن أعطى لكلِّ ذي حقٍّ حقَّه، وطوبى لمن كفَّ عن الفساد والإفساد، وطوبى لمن اعتبر بالظالمين، وطوبى لمن رجع إلى الله تعالى.

يا عباد الله، لقد مرَّت علينا أعوام كثيرة حملت لنا في طيَّاتها هذه الأيام المباركات، ربما ضيَّعها الكثير منا، فهل اغتنمنا هذه الأيام بالعمل الصالح لأنه ربما أن لا تعود علينا بعد هذا العام؟ لنسمع جميعاً يا عباد الله قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُون * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}. اللهمَّ وفِّقنا لذلك يا أرحم الراحمين. أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور

الرحيم.

**   **   **

145- خطبة عيد الأضحى ١٤٣٠هـ: حقيقة العيد شكر للّه تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فيا عباد الله:

مقدِّمة الخطبة:

إن يوم العيد في الحقيقة هو يوم شكر لله عز وجل على ما أولانا من النعم، قال تعالى: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

أيها الإخوة: لو تدبَّرنا متى يكون العيد في شرع الله عز وجل؟ فإننا نجد أن أعظم الأعياد هما عيد الفطر والأضحى، وهذان العيدان ما جاءا إلا بعد أداء ركنين من أعظم أركان الدين، عيد الفطر جاء بعد ركن الصيام، وعيد الأضحى جاء بعد ركن الحج، وهما ركنان عظيمان بني عليهما الإسلام مع بقية الأركان، كما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا

إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) رواه البخاري ومسلم.

العيد لمن؟

أيها الإخوة العيد لمن أطاع الله تعالى، العيد لمن قال لأوامر الله عز وجل: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}. العيد لمن قال: {رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}. العيد لمن شرح الله صدره للإسلام، وحبَّب إلى قلبه الإيمان، العيد لمن صلى وصام وزكّى وحجَّ واعتمر، العيد لمن قال لأوامر الله تعالى: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لا شَرِيكَ لَكَ).

العيد لهذه الشريحة من الناس التي عرفت نعمة الله عليها، حيث وفَّقها لأداء أركان الإسلام، لأنه لو تساءلنا مع أنفسنا من الذي شرح صدورنا للإسلام؟ لقلنا: الله. من الذي وفَّقنا لشهود صلاة الفجر في جماعة، ووفقنا لصلاة العيد؟ لقلنا: الله.

فإذا قلنا هذا، فالله تعالى يقول: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}. هذا هو العيد، وهؤلاء هم أهل العيد بحق، حيث يشعرون بتوفيق الله لهم لأداء الطاعات.

ليس العيد لمن ترك الصلاة والصيام والزكاة والحج، ولو عاش في ظاهر الأمر أيام العيد وشارك الناس في أعيادهم، لأنه والله لو كشفت على قلبه لرأيته محتقراً نفسه، أيُّ عيد عنده وهو تارك دين الله عز وجل؟ إن قلبه يتحسَّر ويحترق لأنه

ما يشعر بلذة العيد التي يشعر بها المؤمن الطائع لربه عز وجل، فلله الحمد والفضل والمنة على نعمة توفيقه لنا، ونسأل الله تعالى أن يثبِّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

العيد له مضمون لا يجوز تفريغه منه:

أيها الإخوة: مضمون العيد شكر لله تعالى على توفيقه لأهل الطاعة لطاعتهم، لذلك ترى أهل الطاعة حريصين كل الحرص على المحافظة على هذا العيد من أن يفرغ من مضمونه ألا وهو طاعة الله عز وجل.

أهل الطاعة من صيام وحجٍّ لا يفرِّغون العيد من مضمونه، فهم يواصلون الطاعات بعد الصيام والحج، فالصائم في شهر رمضان يتابع الصيام، والحاج وغيره في أيام عيد النحر يتابع طاعته في يوم النحر وأيام التشريق.

أولاً: ترى أهل العيد الحقيقي يتابعون الطاعات في أيام العيد، وأهمُّ طاعة لله عز وجل في يوم النحر هي نحر الأضاحي، كما جاء في الحديث الشريف عنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ، إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلافِهَا، وَأَنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنْ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنْ الأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا) رواه الترمذي. فالنحر طاعة لله عز وجل يتابعها الطائع في يوم النحر.

ثانياً: ترى أهل العيد الحقيقي يتابعون الطاعات في أيام العيد، ومن أهم الطاعات ذكر الله تعالى، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا

كَثِيرًا}. ومن ذكر الله تعالى التكبير، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (زَيِّنُوا أَعْيَادَكُمْ بِالتَّكْبِيرِ) رواه الطبراني.

ثالثاً: ترى أهل العيد الحقيقي يتابعون الطاعات في أيام العيد، ومن أهم الطاعات صلة الأرحام، قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ}. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ أَضْحَى: (مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، أَفْضَلَ مِنْ دَمٍ يُهَرَاقُ، إِلا أَنْ يَكُونَ رَحِمًا مَقْطُوعَةً تُوصَلُ) رواه الطبراني.

رابعاً: ترى أهل العيد الحقيقي يتابعون الطاعات في أيام العيد، ومن أهم الطاعات صلة من قطعهم، فهم يتسابقون في ذلك لينالوا بركة قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ صَاحِبَهُ بِالسَّلَامِ) رواه مسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه.

خامساً: ترى أهل العيد الحقيقي يتابعون الطاعات في أيام العيد، ومن أهم هذه الطاعات المحافظة على جوارحهم من معصية الله تعالى، فهم يحفظون الرأس وما وعى والبطن وما حوى، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ). قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: (لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) رواه الترمذي.

حقيقة العيد بحفظ الجوارح من المعاصي:

أيها الإخوة الكرام: هناك من يجعل أيام العيد أيام معاصٍ ومنكرات، فهم يغرقون فيها وذلك من خلال تلاقيهم مع إخوانهم في أيام العيد.

لذلك أقول أيها الإخوة: احذروا المعاصي أيام العيد، فاحذروا:

أولاً: من الغيبة التي هي كبيرة من الكبائر، يقول صلى الله عليه وسلم: (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ) رواه أحمد عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه. ويقول صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) رواه البخاري. وفي رواية: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لا يُرِيدُ بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ) رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

حافظ على لسانك في أيام العيد من أيِّ معصية من معاصي اللسان، واسمع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معاذ كُفَّ عَلَيْكَ هذا) قُلْتُ: يا رسُولَ اللَّهِ وإنَّا لمؤَاخَذون بمَا نَتَكلَّمُ بِهِ؟ فقَال: (ثَكِلتْكَ أُمُّكَ، وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وَجُوهِهِم إلاَّ حصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) رواه الترمذي عن معاذ رضي الله عنه.

فلا نجعل من أيام العيد محطة لزيادة المعاصي والمنكرات، بل لنجعلها أيام زيادة في الطاعات والقربات، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلاوة القرآن

وذكر الله تعالى.

ثانياً: من الاختلاط بالنساء، وما أكثر الاختلاط بين الجنسين في أيام العيد، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم حذَّرنا من ذلك بقوله: (إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ) رواه مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه. احذروا الاختلاط مع نساء الإخوة، مع زوجات الأعمام، مع زوجات الأخوال، مع بنات العم والعمة والخال والخالة، فضلاً عن الأجنبيات الأباعد.

ثالثاً: من إطلاق البصر إلى ما لا يحلُّ لك النظر إليه من النساء، قال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}. وقال أيضاً: { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ}. وتذكَّر قول الله تعالى: { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا }.

رابعاً: من سماع ما لا يحلُّ لك سماعه من ذكر الآخرين بما يكرهون، ومن سماع الغناء، ومن سماع الاستهزاء والسخرية بالآخرين، لأن نعمة السمع التي أكرمنا الله عز وجل بها يجب علينا أن نوظِّفها في سماع ما يرضي الله عز وجل، من سماع تلاوة القرآن وذكر الله، وسماع الكلام الحسن والموعظة الحسنة.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: عود إلى بدء، فيوم العيد هو يوم شكر لله تعالى على أن وفَّقنا لطاعته، فلنحافظ على هذه الطاعات من الضياع بسبب بعض المخالفات الشرعية.

العيد ليس لأهل المعاصي ولأهل الغفلة عن الله عز وجل، لأن العبد الغافل سوف يندم يوم القيامة ـ لا قدَّر الله تعالى ـ إذا أصرَّ على غفلته عن الله، وسوف يقول عند الفزع الأكبر: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}. سوف يقول هذا الكلام عندما يقف الناس للعرض والحساب على الله تعالى وقد جيء بجهنم، كما قال تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ}.

لنكن حريصين أيها الإخوة على أن نكون ممن يخاطبهم المولى عز وجل بقوله يوم القيامة: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي}. وهذا لا يكون إلا لعبد جعل من أيام العيد أيام استمرار على طاعة الله عز وجل، حيث هذه الأيام تكون في الغالب الأعمِّ عند بعض الناس أيام غفلة من الله عز وجل.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل ذكره وشكره، وممن أقبلوا عليه فأقبل عليهم. اللهم آمين.

أقول هذا القول وكل منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

246ـ خطبة عيد الأضحى المبارك ١٤٣٢هـ: أعظم النعم هي نعمة الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

نِعَمُ الله تعالى على خلقه كثيرة لا تعدُّ ولا تُحصى ولا تنقطع، منها ما هو ظاهر جليٌّ، ومنها ما هو خفيٌّ جاء بثوب مصيبة، وصدق الله تعالى القائل: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار}.

ولكن المشكلة في العبد المنعَم عليه، حيث قابل تلك النعم بالجحود والكفران، قال تعالى: {إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار}.

أعظم النعم هي نعمة الإيمان:

يا عباد الله، إن أعظم نعمة أسبغها الله تعالى علينا هي نعمةُ الإسلام والإيمان،

ونرجو الله تعالى أن نخرج بها من هذه الحياة الدنيا، هذه النعمة العظيمة عرف قَدْرَهَا من عرف، وجهل قَدْرَها من جهل.

بعض المسلمين اليوم تجاهلوا قَدْرَ هذه النعمة فعرَّضوها للزوال ـ لا قدَّر الله تعالى ـ بكثرة الذنوب والمعاصي، لأنَّ الإيمان يزيد بالطاعات حتى يُدخِلَ صاحبه الجنة، وينقص بالمعاصي حتى يُدْخِلَ صاحبه النار.

أهل الكتاب يحسدوننا على هذه النعمة:

أيها الإخوة الكرام: إن نعمة الإسلام والإيمان يحسدنا عليها أهلُ الكتاب من يهود ونصارى، يحسدونا على نعمة القرآن الكريم، وعلى نعمة بعثة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكلُّ ذي نعمة في الناس محسود.

يحسدوننا على هذا الدين الذي أتمَّه الله وأكمله، وحفظه من الضياع، كما قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}. وقال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون}.

يا عباد الله، اسمعوا إلى هذا الحديث الذي يرويه الإمام مسلم عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ رضي الله عنه قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَؤُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا نَزَلَتْ مَعْشَرَ الْيَهُودِ لاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلَامَ دِينًا}. فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ " بِعَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ).

هل عرفتم هذا يا من طلع عليكم فجر يوم النحر، بعد يوم عرفة؟ هل عرفتم أن

هذه الآية نزلت على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يوم عرفة؟ لقد نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو يقول لأصحابه: (خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا) رواه البيهقي عن جابر رضي الله عنه.

لقد تمَّت الرسالة وكملت، وعَظُمَت النعمة على هذه الأمة، حيث جعل الله تعالى الإسلامَ السبيلَ الوحيد لدخول جنة الله تعالى يوم القيامة، فمن أعرض عنه فقد أخطأ الطريق، ولن يدخل الجنة ولو كان كتابياً، لأنه ما آمن بحبيبنا سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّة}.

فهذه الأمة، هي خير البرية عندما التزمت الإيمان والإسلام، وصدق الله القائل: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُون}.

فالكلُّ محرومٌ من دخول الجنة بعد بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حتى يؤمن به وبالذي أرسل به، روى الإمام مسلم عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ " أَنَّهُ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ).

قيمة كلِّ النعم بقيمة الإيمان:

أيها الإخوة الكرام: لا قيمة للنعم كلِّها الظاهرة والباطنة إذا حُرِمَ العبد نعمة

الإسلام والإيمان، ووالله لو ذَهَبَتْ جميعُ النعم من العبد وبَقِيَتْ نعمة الإسلام والإيمان له، فهو الفائز، أما ـ لا قدَّر الله ـ لو ذَهَبَتْ نعمة الإيمان والإسلام والله لا قيمة لجميع النعم ولو بقيت مع العبد إلى آخر حياته، لأنه في خسران.

يا عباد الله: إن الخروج من الدنيا محقَّق، والموت حقٌّ، كما جاء في الحديث الشريف عن أبي بن كعب رضي اللَّهُ عنه قال: كانَ رَسولُ اللَّهِ " إذا ذَهَبَ ثُلثُ اللَّيْلِ، قامَ فقالَ: (يا أَيها النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّه جَاءَتِ الرَاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جاءَ المؤْتُ بما فِيهِ، جاءَ المؤْتُ بما فِيهِ).

قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ}. حاكمٌ ومحكومٌ، قويٌّ وضعيف، طائعٌ وعاصٍ، ظالمٌ ومظلومٌ، فالسعيد من خرج من الدنيا بنعمة الإسلام والإيمان.

عزُّنا بالإسلام:

معشر المسلمين: هلَّا حافظنا على هذه النعمة ـ نعمة الإسلام والإيمان ـ وذلك بفعل الطاعات وترك المعاصي والمنكرات؟ لأنَّ عزَّنا به، كما يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: (إنا كنا أذلَّ قوم فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّة بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله) رواه الحاكم عن طارق بن شهاب.

يا عباد الله: إنا اليوم نعاني من الذلِّ الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وما ذاك إلا بسبب إعراضنا عن هذا الدين، اليوم يتحكَّمُ فينا أذلُّ خلق الله تعالى ممن ضُرِبَت عليهم الذلَّةُ والمسكنة، بسبب هجرنا لدين الله تعالى ـ إلا من رحم الله تعالى ـ لقد تحكَّم هؤلاء الأقزام بالناس حكَّاماً ومحكومين إلا من رحم الله تعالى.

يا عباد الله: لنسمع ما يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى: لن يصلح آخر هذه

الأمة إلا بما صلح به أولها. فإذا أردنا الصلاح والإصلاح فعلينا بكتاب الله تعالى وبسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

اليوم يوم إراقة الدماء:

يا أمة الإسلام: ها أنتم تعيشون اليوم العاشر من خير أيام الدنيا، التي قال عنها النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أفضل أيام الدنيا أيام العشر) رواه البزار من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. تعيشون هذا اليوم الذي ندبنا فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلى إراقة الدماء، ولكن أيُّ دماء؟ إنها دماء الأضاحي التي بها تغفر الذنوب بأول قطرة تقطر من دمها، لا الدماء التي يحمل صاحبها وزراً لا يعلمه إلا الله تعالى.

يا عباد الله: اليوم يوم إراقة دماء الأضاحي، لا دماء بعضنا البعض، لماذا يقتل بعضنا بعضاً؟ هل نسي المسلمون قول الله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}؟

يا عباد الله، الكلُّ سيموت، والكلُّ سيرجع إلى الله تعالى، فأريقوا دماً يغفر الله به لكم ذنوبكم، وكفُّوا أيديكم عن إراقة دم قد يوجب الخلود في نار جهنم، مع صبِّ اللعنة عليه والعذاب العظيم.

يا صاحب القلب الحزين المجروح:

معشر المسلمين: إن القلوب حزينة ومجروحة ومتألمة لما يجري في عالمنا الإسلامي عامة، وفي بلدنا خاصة، اسمعوا يا عباد الله إلى قرار الله تعالى الذي يقول فيه: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون * فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْمُشْرِكِين * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِين * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ إِلهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُون}.

واسمعوا إلى العلاج يا أصحاب القلوب الحزينة، اسمعوا قول الله تعالى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُون * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِين * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين}.

علينا يا عباد الله بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة حتى يأتينا الموت ونحن على هذه الحالة، لأنها حالة شريفة مرضية عند الله تعالى، قال تعالى: {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُون}.

حافظوا على نعمة الإسلام والإيمان مهما تحولت النعم عنكم، لأنكم الراشدون المهديُّون، وتذكَّروا قول الله تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُون}. تذكروا قول الله تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُون}.

يا عباد الله، من حُرِم نعمة الإسلام والإيمان، فهو الخاسرُ المتحسِّرُ عند سكرات الموت وما بعده، وانظروا إلى فرعون الذي جعله الله تعالى عبرة لمن أراد أن يتذكَّر أو يعتبر، آتاه الله الملك ونِعَماً لا يعلمها إلا الله، قال تعالى: {كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُون * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيم * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِين}. وقال عن وزير من وزرائه: {وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ

قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِين}. ولكن ما هي النتيجة؟

أولاً: صَبَّ عليهم ربُّكَ سَوْطَ عذاب، قال تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَاد * الَّذِينَ طَغَوْا فِي البِلاَد * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَاب * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَاد}.

ثانياً: أما في عالم البرزخ: فيقول الله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}.

ثالثاً: وأما في الآخرة، فيقول الله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَاب}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، حافظوا على نعمة الإسلام والإيمان مهما كلَّف ذلك من ثمن، لأنه بنعمة الإسلام والإيمان تكون حياتنا طيبة بإذن الله تعالى، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون}.

بنعمة الإسلام والإيمان يكون عالمُ البرزخ لنا إن شاء الله تعالى روضةً من رياض الجنة، كما جاء في الحديث الذي رواه البيهقي وابن أبي الدنيا عن ابن عمر مرفوعاً: (القبر حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة).

وبهذه النعمة يقول العبد عند سكرات الموت: واطرباه غداً نلقى الأحبة محمداً وصَحْبَه.

وبنعمة الإسلام والإيمان نكون مع الذين أنعم الله عليهم يوم القيامة، قال تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ

وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}.

اللهم اجعلنا ممن قلت فيهم: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَاب * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار}.

فاصبروا يا عباد الله على الطاعات، واصبروا عن المعاصي، واصبروا على البلاء، حتى تفوزوا بسعادة الدارين. اللهم اجعلنا وأصولنا وفروعنا وأزواجنا منهم. آمين آمين آمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين.

** ** **

247ـ خطبة الجمعة: خطورة تكفير المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لما كانت الكلمة لها أثر في حياة الإنسان سلباً أو إيجاباً، ولها أثر في دنياه وآخرته، اهتم الإسلام في تربية أتباعه على أن يفكِّروا بالكلمة قبل إلقائها إن كانت خيراً

أو كانت شراً، واعتبر الكلمة ذات حدَّين، وأعلمهم ربُّنا عز وجل بأنَّ الكلمة التي يتفوَّهُ بها الرجل محصيَّةٌ عليه، وسوف يُسأل عنها يوم القيامة، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد}.

وبيَّن لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم خطورتها في مصير العبد يوم القيامة، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الكلمة لها أثر في نفس القائل والمجتمع:

معشر المسلمين: إن الكلمة لها أثر في نفس القائل، ولها أثر في المجتمع كله.

بالكلمة يدخل العبد الإسلام، وبها يخرج منه.

بالكلمة لا يخلد العبد في النار، وبها لا يدخل الجنة أبداً.

بالكلمة يُحلُّ الله تعالى ما كان حراماً، وبها يُحرِّم ما كان حلالاً.

بالكلمة تجتمع كلمة الأسرة وتتماسك، وبها تتمزَّق وتتباين.

بالكلمة تُسفك الدماء البريئة، وبها تُحقن الدماء.

بالكلمة يُسْعَد حزين، وبها يُحْزَن سعيد.

بالكلمة يُذبح شريف، وتُرمى عفيفة، وبها تُبرأ ساحته وساحتها.

بالكلمة تبكي العيون وتلين الجلود، وبها تخشع القلوب وتنشرح الصدور.

فكم من شمل ممزَّق جمعت بينه كلمةٌ طيبة؟ وكم من جماعة مزَّقتهم كلمة خبيثة؟ كم من بيتٍ عُمِّرَ بالكلمة الطيبة؟ وكم من بيتٍ خُرِّب بالكلمة الفاسدة.

ظاهرة التكفير:

أيها الإخوة الكرام: إننا اليوم نعيش في أزمة شديدة قاسية جعلت الحليم حيراناً، كما أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (فتنة تدع الحليم حيران) رواه الطبراني والبيهقي، فإذا كانت هذه الفتن تجعل الحليم حيران، فكيف بغير الحليم؟

الكثير من المسلمين ـ في هذه الفتنة العمياء الدهماء ـ لا يُلقي بالاً عندما يتكلَّم بالكلمة، ولا يفكِّر بأثر هذه الكلمة على دينه ودنياه، ولا يفكِّر بأثرها على الأمة، ولا يفكِّر بأثرها عليه يوم القيامة بين يدي الله عز وجل.

ومن أخطر الكلمات التي يتلفَّظ بها العبد دون أن يلقي لها بالاً، كلمة التكفير للآخرين، لأنه ما وافق هواه، ولأنه ما وافق فكره ومبدأه.

يا عباد الله: اعلموا بأن الإسلام الذي أكرمنا الله تعالى به، حيث أتمَّ النعمة علينا، فأكمل لنا الدين ورضي الإسلام لنا ديناً، كما قال تعالى: {اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ}. جاء هذا الدين ليجمع الشمل لا ليفرِّقه، وجاء بالأسباب التي تجمع شمل الأمة، وحذَّر من الأسباب التي تفرِّق شمل الأمة، ما حذَّر منه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يوم عرفة في حجة الوداع، حيث كان يودِّع الأمة بقوله: (خذوا عني

مناسككم، فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا) رواه البيهقي عن جابر رضي الله عنه. فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ) رواه البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه.

يا أمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هل سمعتم هذا الحديث من الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ فإذا كان الإسلام حرَّم علينا دماءنا وأموالنا وأعراضنا، وحرَّم علينا ما دون التكفير بكثير، حيث قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيم}.

يا أمة الإسلام: الكلمة ذات حدين، إما أن تُدخل الفرح إلى القلب، وإما أن يُدخل الحزن فيه، إما أن تجمع وإما أن تفرِّق، وأخطر كلمة تفرِّق الأمة هي كلمة التكفير، فهل بوسع الأمة اليوم أن تسمع كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهي في حالة الغليان مما يجري؟ هل بوسعها أن تسمع كلام الصادق المصدوق في حالة الغضب الذي يعتريها حتى تسلم على دينها ودنياها وآخرتها؟

أولاً: يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا) وفي رواية (إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلا رَجَعَتْ عَلَيْهِ) رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

يا عباد الله: إن مسألة التكفير عظيمة، وأمرها ليس بالهيِّن، فلا يجوز الكلام في هذا الموضوع من غير علم، ويحرم التسرُّع في إطلاقه، وخاصة إذا كان الأمر يتعلَّق بشخص معين من المسلمين.

معشر المسلمين: إن تكفير المؤمن خطر عظيم، والسكوت عن التكفير لا خطر فيه، والمبادرة إلى التكفير إنما هي من طبع الجاهل بدين الله تعالى، والجاهل بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

معشر المسلمين: إن الحكم بالتكفير على شخص معين ليس لنا ولا لأمثالنا، بل هو لله تعالى، ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فهو من الأحكام الشرعية التي لا يقدر عليها إلا كبار العلماء الذي يخشون الله تعالى.

لا تسرعوا يا عباد الله في تفكير إنسان بعينه لفعل من الأفعال، ولا لقول من الأقوال، واجعلوا مردَّ ذلك لأهل الذكر، كما قال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}.

ثانياً: يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (وَلَعْنُ المؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ) رواه البخاري ومسلم. وكلُّنا يعلم جزاء من قتل مؤمناً عمداً بغير حقٍّ، قال تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}، وإذا كان رميه بالكفر كقتله،

فهذا إيذاء للمؤمن وأيما إيذاء، والله تعالى يقول في كتابه العظيم: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا}.

ثالثاً: يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بِالكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إلا حَارَ عَلَيْهِ) رواه مسلم.

وما أيسر ما يقال: فلان عدوُّ الله تعالى، وخاصة في الأزمات، وخاصة في أيام الفتن، أيام الهرج والمرج.

رابعاً: يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، لا تُكَفِّرُوهُمْ بِذَنْبٍ، فَمَنْ أَكْفَرَ أَهْلَ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ فَهُوَ إِلَى الكُفْرِ أَقْرَبُ) رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

أيها الإخوة الكرام: لو أخطأ أحدنا في عدم التكفير فهذا خير له من الإصابة في التكفير، والله تعالى أعلم.

خامساً: تعلمون يا عباد الله حديث سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما حيث قال: (بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلاً فَقَالَ: لا إِلَهَ إلا اللهُ فَطَعَنْتُهُ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقَالَ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِن السِّلاحِ، قَالَ: أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ) رواه مسلم.

يا عباد الله: لنا الظاهر، والله يتولى السرائر، صونوا ألسنتكم عن كلام يحبط العمل

لا قدر الله تعالى، صونوا ألسنتكم عن تكفير أهل لا إله إلا الله.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: احفظوا قول الله تعالى: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}.

وتذكَّروا كلام سيدنا علي رضي الله عنه: أعلم الناس بالله أشدُّهم حباً وتعظيماً لأهل لا إله إلا الله.

وتذكَّروا كلام ابن عربي: إياك ومعاداةَ أهل لا إله إلا الله، فإنَّ لهم من الله الولايةَ العامة، فهم أولياء الله، ولو جاؤوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله تعالى لقيهم الله تعالى بمثلها مغفرة. اهـ.

احذروا يا عباد الله من تكفير مؤمن، لأن تكفيره يُخرج زوجته عن عصمته، ويرفع عنه ولايته على أولاده، ويُحرِّم الإرث بينه وبين ورثته، ويُهدر دمه وماله.

يا عباد الله، المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، المسلم يسمع قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في أيام الفتن: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

أسأل الله تعالى أن يجمع شمل الأمة على الكتاب والسنة، وأن يرفع الظلم عن المظلومين، وأن يدحر أعداءَ هذا الدين الذين يتربَّصون بالإسلام الدوائر، اللهم لا تُشمت أعداءَنا بدائنا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

248ـ خطبة الجمعة: أثر القول السديد في المجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

الكلمة التي يتفوَّهُ بها الإنسان ذات حدَّين، إما أن تُعمِّر البيوت وإما أن تهدمها، وإما أن تَسْفِكَ الدماء وإما أن تحقنها، الكلمة ذات حدَّين، إما أن تجمع وإما أن تفرِّق، إما أن تزرع المودَّة والرحمة، وإما أن تزرع الحقد والبغضاء.

الكلمة إما أن تُورِدَنا المهالك وتُحبطَ العمل، وإما أن تُوصِلَنا إلى جنَّةٍ عرضها

السموات والأرض.

توجيه الله تعالى من أجل الكلمة:

يا عباد الله، لخطورة الكلمة ولِعِظَمِ أثرها يأتي توجيهُ الله تعالى لنا، وخاصة عندما نتكلَّم مع الآخرين من أبناء جنسنا:

أولاً: يقول الله تعالى آمراً لنا: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}. دقِّقُوا على أمر الله تعالى: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ}. ما قال: وقولوا للمؤمنين، ما قال: وقولوا لمن تحبون، ما قال: وقولوا لمن وافقكم، ما قال: وقولوا للصالحين، بل قال: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ}. جميع الناس، مؤمنهم وكافرهم، طائعهم وعاصيهم، الموافق منهم والمخالف، قولوا للناس جميعاً حُسناً، لأنَّ المؤمن يجب أن لا يجري على لسانه إلا القولُ الحسن، وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ) رواهُ التِّرْمذيُّ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وقال: حديثٌ حسنٌ. ومن الخلق الحسن القولُ الحسن.

يا عباد الله: لننظر إلى ألسنتنا هل نقول للناس حُسناً في حال مَكْرَهِنَا كحال مَنْشَطِنا؟ هل نقول للناس حسناً، في حالة الغضب كما في حالة الرضا؟ هل نقول للناس حسناً، في حالة الشِدَّة كما في حالة الرخاء والسعة؟

يا عباد الله: لقد تمزَّقت الأسرة الواحدة بسبب الكلمة المجانبة للقول الحسن، هذا مؤيِّدٌ وهذا معارضٌ، وكلُّ واحدٍ يجرح الآخر بالكلمة، لقد تحاسدنا وتدابرنا وتباغضنا بسبب الكلمة، أين نحن ـ أبناءَ الأسرة الواحدة، أبناءَ هذا الدين الواحد ـ

من قوله تعالى: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}؟

ثانياً: يقول الله تعالى آمراً لنا أن نقول القول المعروف: {وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا}. فهل كلمتنا من القول المعروف، أم من القول المنكر؟

ثالثاً: يقول الله تعالى آمراً لنا أن نقول القول الميسور: {فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا}. فهل كلمتنا من القول الميسور الهيِّن اللَّين، أم من القول الصعب القاسي؟

رابعاً: يرشدنا ربنا عز وجل إلى أنَّ الحسنة لا تستوي مع السيئة، قال تعالى: {وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم}. الكلمة الحسنة تجعل صديقاً، كما أنَّ الكلمة السيئة تجعل خصماً وعدواً.

خامساً: يرشدنا الله تعالى إلى الموعظة الحسنة عندما نتحدَّث مع الآخرين، والموعظة الحسنة هي الكلمة الطيبة، قال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين}.

سادساً: يبيِّنُ لنا مولانا عز وجل بأنَّ القولَ المعروف خيرٌ من العطاء الذي يتبعه المنُّ والأذى، قال تعالى: {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيم}.

سابعاً: يضرب الله تعالى مثلاً عن الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة، فيقول تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون * وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَار}. فهل كلمتُنا طيبة تُؤتِي أُكُلَها بجمع الشمل والكلمة أم ـ لا قدَّر الله ـ خَبيثة تفرِّق الجمع والشمل وتريق الدماء؟

أثر القول السديد في المجتمع:

أيها الإخوة الكرام: اهتموا بالكلمة الطيبة، اهتموا بالقول السديد، اهتموا بالكلمة التي لا تورِّثكم ندامة، ولا تدفعكم للاعتذار، اهتموا بالقول السديد المحْكَمِ لأنَّ له أثراً إيجابياً في حياتنا، ولهذا أمرنا الله تعالى بالقول السديد، وَضَمِنَ لنا نتائجه التي نبحث عنها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

يا عباد الله: الآمر يجب أن يكون ضامناً، ولن يكون هذا إلا لله تعالى، فهو الآمر بحقٍّ لأنه إِلَهٌ خالق، وهو الضامنُ للنتائج لأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولأنه على كلِّ شيء قدير.

الله تعالى أمرنا بالتقوى وبالقول السديد، والقول السديد هو قول الحق بأسلوبٍ طيبٍ حسنٍ معروفٍ ميسورٍ كريمٍ حكيمٍ، وَوَعَدَنا بما تهفو إليه نفوسنا، وَوَعَدَنا بالشيء الذي نبحث عنه، وعدنا بالشيء الذي نَقْتَتِلُ من أجله، لقد وعدنا الله تعالى بأمورٍ ثلاثة إن تحقَّقنا بالتقوى والقول السديد:

أولاً: وعدنا الله تعالى بالإصلاح، قال تعالى: {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}. فيا من ينشد الصلاح والإصلاح قُلْ قولاً سديداً، قُلْ كلمة طيبة.

ثانياً: وعدنا الله تعالى بالمغفرة لذنوبنا، قال تعالى: {وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}.

ثالثاً: وعدنا بالفوز العظيم، قال تعالى: {وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

اسمع يا من ينشد الصلاح والإصلاح إلى هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، حيث يقول: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قُلْ خيراً إن كنت صادقاً في طلب الإصلاح، وإن عجزت عن قول الخير فاصمت، لأن صمتك يُصلح أكثر من قول غير الخير.

كلمة الشرِّ مزَّقت الأمة، ومزَّقت الأسرة، ووالله لا خيرَ في كلمة الشرِّ أبداً، والخير كلُّ الخير في الكلمة الطيبة الخيِّرَة.

عدونا أشعل نار الفتنة بالكلمة:

يا عباد الله: إنَّ عَدُوَّنا غزانا من خلال الكلمة، أشعل نار الفتن بيننا بالكلمة، سفك دماءنا على أيدي بعضنا البعض بالكلمة، جزَّأ المجزَّأ بالكلمة، غزانا عدُوُّنا بالكلمة عن طريق أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، لقد حرَّشَ بيننا، ونحن في غفلةٍ عنه.

يا عباد الله، أفْسِدُوا مخططات شياطين الإنس والجن بالقول الحسن، وتذكَّروا واحفظوا قول الله تعالى: {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا}.

شياطين الإنس والجن ينزغون بيننا، اليهود والصليبية الحاقدة ينزغون بيننا، أفْسِدُوا

عليهم مُخَططاتهم، واللهِ بُغضُهم لنا لا يعلمه إلا الله تعالى، قال تعالى: {قَدْ بَدَتِ البَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ}.

أفْسِدُوا عليه ما أرادوه لنا، قال تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاء}. أفْسِدُوا عليهم هذا بالكلمة الحسنة، بالكلمة الطيبة بيننا، لا تتراشقوا باللعنات، ولا بالسبِّ والشتم، فهذا ليس من خُلُقِ المسلم.

أزمة المازوت والغاز والكهرباء:

يا عباد الله: نحن نمرُّ في أزمة ضمن أزمة، نمرُّ في شدَّةٍ ضمن شدة، نحن مع الأزمة التي نعيشها اليوم من إراقة الدماء البريئة، نعيش في أزمة قِلَّةِ المحروقات من مازوت وغاز، وفي أزمة الكهرباء، علينا في هذه الأزمة بضبط اللسان، من خلال قوله تعالى: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}. ومن خلال قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يا عباد الله، نحن بحاجة إلى ضبط اللسان فيما بيننا مع وجود الشدائد، نطالب بحقوقنا من خلال القول الذي يرضي ربنا عز وجل، ونقول للحكومة: اتقي الله في الناس، اتقي الله في الأمة، ولا تزيدي الطين بلَّةً كما يُقال في المثل العامي، ولا تزيدي النار المؤججةَ تأجيجاً، لا تقولي: إن هذه المادة تُهرَّب، لا تَسْتَخِفِّي بعقول الناس، اضبطي الحدود إذا كانت تُهرَّب.

الكلمة الحسنة تطفئ نار العداوة:

أيها الإخوة الكرام: إن الكلمة الحسنةُ تُطفئ نار العداوة، فهل استخدمناها في

أيام الشِدَّة والأزمات، هناك من يريد استفزازنا، هناك من يريد أن تُسفك الدماء أكثر من ذلك، هناك من يُريد أن يُستهلك سلاحُنا، وأن يُمزَّقَ شملُنا.

رجلٌ يهودي معه كلب، يمرُّ على إبراهيم بنِ أدهم ـ الرجلِ الصالحِ ـ وأراد أن يستفزَّهُ وأن يوقدَ ناراً، وهذا شأن اليهود، فقال لإبراهيم: ألحيتك يا إبراهيم أطهر من ذنب هذا الكلب، أم ذنب الكلب أطهر من لحيتك؟

هل يُشعل نار الفتنة من جرَّاء هذه الكلمة التي قالها اليهودي؟ هل يُستَفزُّ بهذه الكلمة، وربنا يقول: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}؟

فأجابه العارف بالله، الذي امتثل أمر الله تعالى: {وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا}. فقال: إن كانت ـ يعني لحيته ـ في الجنة لَهِيَ أطهر من ذنب كلبك، وإن كانت في النار، لذنب كلبك أطهر منها.

فما ملك اليهوديُّ إلا أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، والله ما هذه إلا أخلاق الأنبياء.

هذا هو أثر الكلمة التي كلَّفنا الله تعالى بقولها، هيَ عزٌّ لنا في الدنيا، وذخرٌ لنا في الآخرة.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: القولُ الحسنُ السديدُ هو شعار المسلم، فالمسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، المسلم يلتزم تكليف الله تعالى، ويثق بما وعد الله تعالى به على الكلمة الطيبة.

يا عباد الله، تحاوروا وتناقشوا وطالبوا بالذي تريدون، وليكن كلامكم تحت قوله

تعالى: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}. وتحت قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ).

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

249ـ خطبة الجمعة: أين مصير الظالم يوم القيامة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لنفكِّر في أنفسنا فنحن أحقُّ مَنْ تَفَكَّر، هل ينفعنا من الله مالٌ أو جاهٌ أو معشرٌ؟ لنفكِّر في الوقوف بين يدي الله عز وجل الذي أسبَغَ علينا النِّعم الظاهرة والباطنة، وتفضَّل علينا وأعطانا، ومنَّ علينا بالسمع والفؤاد والبصر، كيف تكون حُجَّتُنا إذا سألَنا ربُّنا عز وجل عن شكر نعمته علينا يوم الفزع الأكبر؟

لنفكِّر في يوم القيامة عند جوازنا على الصراط، وينادي الله تعالى خلقَه، كما جاء في الأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (أنَا اللهُ، أنَا الملكُ، أنا الدَّيَّان، وعِزَّتِي وجلالي لا يغادرُ هذا الصراطَ واحدٌ من الظالمين، ثم ينادِي ملَك من قِبَل الله تعالى فيقول: أينَ الظلَمَة؟ أين أعوانُ الظلَمَة؟ أين مَن برى لهم قلمًا؟ أين مَن ناولهم دَواةً؟ ثم تنادي جهنَّمُ على المؤمنين فتقول: يا مؤمِن أسرعْ بالمرور عليَّ فإنَّ نورَك أطفأَ ناري).

أحوال العباد على الصراط:

يا عباد الله: الإنسان المؤمن هو أولى من يفكِّر بيوم القيامة، وبجوازه على الصراط المستقيم، هو أولى من يفكِّر في نفسه هل هو من الناجين أم من الهالكين. لا قدَّر الله تعالى.؟

الناسُ على الصراط أقسامٌ:

الأوَّل منهم: السالمُ الناجي الذي لا يناله شيءٌ أبداً.

والثاني منهم: المخدوش الممَزَّق، ثمَّ يرسلُ فَيَخْلُص.

والثالث منهم: المكدوسُ، حيث يُلقى بعضهم فوق بعض في نار جهنم.

جاء في الحديث الشريف: (فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يا عباد الله، يقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (وَلِجَهَنَّمَ جِسْرٌ أَدَقُّ مِنْ الشَّعْرِ، وَأَحَدُّ مِنْ السَّيْفِ، عَلَيْهِ كَلالِيبُ وَحَسَكٌ، يَأْخُذُونَ مَنْ شَاءَ الله، وَالنَّاسُ عَلَيْهِ كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ،

وَالْمَلائِكَةُ يَقُولُونَ: رَبِّ سَلِّمْ، رَبِّ سَلِّمْ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُسَلَّمٌ، وَمُكَوَّرٌ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ) رواه الإمام أحمد، عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

هذا العالم عالمٌ غيبيٌّ، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، من شاء فليصدِّق، ومن شاء فليكذِّب، المهِمُّ أن تعلم بأنَّك على موعدٍ مع الصراط، ومن أيِّ الأصنافِ أنت؟

يا عباد الله، إنَّ العبد المؤمن الذي التزم الإيمان اعتقاداً، والإسلام سلوكاً وعملاً، وتابع النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، هو مِمَّن لا يُخزيه الله تعالى يوم القيامة، لأنَّه بمعيَّة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم على الصراط، قال تعالى: {يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}. وقال تعالى: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم}.

أين مصير الظالم يوم القيامة؟

يا عباد الله: الواجب على كلِّ عاقلٍ أن يفكِّر في المآل والمآبِ الذي ينتظره، هل هو بمعيِّة الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أم مع الظالمين؟

أين مصير الظالم؟ وإلى أين سيذهب؟ فكِّروا في مصير الظَلَمَة، وما أكثرَهم في هذه الأيام، اسمعوا يا عباد الله لقوله تعالى، وهو يصف مآل الظالمين: {أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا * فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ

لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا * وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}.

ليسمع العبد الظالم أيّاً كان، إن كان حاكماً أو محكوماً، إن كان قوياً أو ضعيفاً، إن كان سيِّداً أو مَسُوداً، إن كان تابعاً أو متبوعاً، ليسمع كلُّ ظالمٍ، والظالم يعرف نفسه أنَّه ظالم، قال تعالى: {بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}.

ليسمع كلُّ ظالمٍ يسفك الدماء البريئة، ليسمع كلُّ ظالمٍ يأكل حقوق الآخرين، ليسمع كلُّ ظالمٍ للآخرين:

أولاً: ليسمع كلُّ ظالم قوله تعالى: {أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}.

ارجع أيُّها الظالم إلى الوراء قليلاً، ارجع إلى سنواتٍ بسيطة مرَّت عليك، لقد كنتَ عَدَماً، ولم تكُ شيئاً مذكوراً، وصدق الله القائل: {هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}.

يا عباد الله، قبل مئة سنة وأقلّ، ما كان أحدٌ منَّا، فخلَقَنا الله تعالى، ورزقَنا وأعطانا، أصبحنا شيئاً مذكوراً، جعلَنا نَرْأَسُ ونَرْبَعُ، كما جاء في الحديث القدسي نالذي رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا بْنَ آدَمَ حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالإِبِلِ، وَزَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبَعُ وَتَرْأَسُ، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ). فهل كان العبد شاكراً

أم كفوراً؟

ثانياً: ليسمع كلُّ ظالمٍ قول الله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ}.

اِعلم أيُّها الظالم أنَّك محشورٌ مع شياطين الإنس والجن، سواءً كنت تابعاً لهم، أم كانوا تابعين لك، أنت محشورٌ مع شياطين الإنس والجن، حيث يتبرَّأ كلُّ واحدٍ منكما من صاحبه، قال تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. وقال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَاب * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّار}.

ثالثاً: ليسمع كلُّ ظالمٍ قول الله تعالى: {ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا}.

اِعلم أيُّها العبد الظالم أنَّكَ مُحْضَرٌ حول جهنَّمَ جاثياً على ركبتيك جلسةَ العبدِ الذليل المهان، جلسةَ صَغار؛ جهنَّم التي تُساقُ إلى أرض المحشر، ولها سبعون ألف زمام، وعلى كلِّ زمامٍ سبعون ألف ملك يجرُّونها إلى أرض المحشر، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا). ويقول الله تعالى: {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي *

فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَد * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَد}.

تصوَّر أيُّها العبدُ الظالمُ حالَكَ وأنتَ جاثٍ على رُكبتيك حولَ جهنَّم، لا حول لك ولا قوة، أيرضيك هذا الحال؟ تُبْ إلى الله تعالى قبل موتك.

رابعاً: ليسمع كلُّ ظالمٍ قول الله تعالى: {ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا}.

أيُّها الظالم لنفسه المعاند لآيات ربه، تصوَّر هذا النزع من بين أصحابك وشيعتك وأتباعك لتُلقى في نار جهنم، كما جاء في الحديث الشريف عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ يَذْكُرُ الحَبِيبُ حَبِيبَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ؟

قَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَمَّا عِنْدَ ثَلاثٍ فَلا:

أَمَّا عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَثْقُلَ أَوْ يَخِفَّ فَلا.

وَأَمَّا عِنْدَ تَطَايُرِ الكُتُبِ فَإِمَّا أَنْ يُعْطَى بِيَمِينِهِ أَوْ يُعْطَى بِشِمَالِهِ فَلا.

وَحِينَ يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنْ النَّارِ فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ وَيَتَغَيَّظُ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُ ذَلِكَ العُنُقُ: وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ، وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ: وُكِّلْتُ بِمَنْ ادَّعَى مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَوُكِّلْتُ بِمَنْ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِسَابِ، وَوُكِّلْتُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) رواه الإمام أحمد.

النَّزْعُ هو خلع الشيء من أصله بشِدَّة، ولا يقال نَزَعَ إلا إذا كان المنزوعُ متماسكاً مع المنزوعِ منه، وفي ذلك قوله تعالى: {قُلِ اللهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}. سوف تُنْزَعُ أيُّها الظالمُ من شيعتك نَزْعاً شديداً، ثم تُلقى في

نارِ جهنم العياذ بالله تعالى، أيرضيك هذا؟ تُبْ إلى الله تعالى قبل موتك.

يا عباد الله، تدبَّروا قول الله تعالى: {ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا}. ينزع الله تعالى أولاً الرأس من الجسد، رأسَ الفتنة، رأسَ الضلال، رأسَ الكفر، رأسَ الظلم، ليرميه ربُّنا عز وجل في نار جهنَّم ليكون وقوداً لها، ما دام أنَّه رأسٌ في الظلم، رأسٌ في سفك الدماء البريئة، رأسٌ في أكل أموال الناس بالباطل، رأسٌ في الفساد والإفساد في الحياة الدنيا، وما دام أنَّه متبوعٌ في ذلك بالدنيا، فليكن متبوعاً في الآخرة إلى نار جهنَّم والعياذ بالله تعالى، كما قال تعالى عن فرعون: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُود}.

خامساً: ليسمع كلُّ ظالمٍ قول الله تعالى: {ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا}.

نعم، ربُّك أعلم بمن هو أولى بدخول نار جهنَّم أولاً، فالداخل الأول هو المتبوع، ثمَّ التابع، والتابع يلعن المتبوع، والمتبوع يلعن التابع، قال تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا}. وقال تعالى مخبراً عن التابع ما يقول: {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا}.

يا سبحان الله! كم هو الفارق بين متبوعٍ وتابع، وبين متبوعٍ وتابع، هذا عبدٌ ظالمٌ كان رأساً في الظلم، وله أتباعه، فهذا مصيره.

أما سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فهو أوَّل مَن يدخل الجنَّة، ومن ورائه أتباعه، اللهم اجعلنا منهم، لأنَّه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان إماماً في الصلاح والإصلاح، كان إماماً في العدل والإنصاف، كان

إماماً في الكمالات كلِّها، فهو إمامٌ في الإمامة الصغرى والكبرى كما أراد الله تعالى، لذلك هو أوَّل الداخلين جنَّةَ الله تعالى، ومن ورائهِ أتباعه، قال تعالى: {يَوْمَ لاَ يُخْزِي الله النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}.

سادساً: ليسمع كلُّ ظالمٍ قول الله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}.

يا عباد الله، الكلُّ واردٌ إلى نار جهنَّم، حاكمٌ ومحكوم، ظالمٌ ومظلوم، الكلُّ واردٌ لحكمةٍ يريدها الله تعالى، الظالم عندما يَرِدُ نارَ جهنَّم وهو جاثٍ على ركبتيه فيها، سوف يرى المظلومَ الذي وَرَدَ نارَ جهنَّم، ونارُ جهنَّم تقول له: جُزْ يا مؤمن فإنَّ نوركَ أطفأ لهبي، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الطبراني عَنْ يَعْلِي بن مُنْيَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ: جُزْ يَا مُؤْمِنُ، فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي). كم هيَ حسرة هذا الظالم.

أمَّا المظلوم فإنَّه عندما يَرِدُ النار ويتجاوزُها، ويرى الظالمين فيها، يحمد الله تعالى ويشكُرُهُ بأنَّهُ كان مظلوماً ولم يكن ظالماً، قال تعالى: {قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُون * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيم * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِين * وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِين}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: لنتَّقِ الله في أنفسنا، ربُّنا عز وجل الذي لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون، يقول: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا،

فَلا تَظَالَمُوا) رواه الإمام مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه. وسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

يا عباد الله، إنَّ سفكَ الدماء البريئة ظلمٌ وأيُّ ظلمٍ، وإنَّ أكلَ أموال الناس بالباطل ظلمٌ وأيُّ ظلمٍ، وإنَّ مَنْعَ الآخرين حقوقَهم ظلمٌ وأيُّ ظلمٍ، وإن انتهاك المقدَّساتِ وبيوتِ الله تعالى ظلمٌ وأيُّ ظلمٍ.

ولكن لنعلم كذلك بأنَّ الاحتكار للأمور الضرورية ظلمٌ وأيُّ ظلمٍ، احتكار المحروقات من مادتي الغاز والمازوت ظلمٌ وأيُّ ظلمٍ، لماذا هذا الظلم يا أصحاب المحطات، ومراكز بيع الغاز؟ لو دفع الإنسان السعرَ أكثر من سِعْرِهِ النظامي لوجدَ ما شاء من مادة المازوت والغاز، أما بسِعْرِهِ النظامي فلا يجده إلا بعد أيامٍ إن لم تكن شهراً.

يا عباد الله، لا تزيدوا الفساد فساداً، ولا تزيدوا الإجرام إجراماً، بل تراحموا فيما بينكم، يا أصحاب المحطات ومراكز بيع الغاز تذكَّروا قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) رواه أبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

يا تُجَّار تراحموا، من لا يَرْحَم لا يُرْحَم.

عبادَ الله، من أراد أن يكون على الصراط المستقيم مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومع مَنْ معه، فليتب إلى الله تعالى توبةً صادقة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ

عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. اللهم اجعلنا منهم. آمين آمين آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

250ـ خطبة الجمعة: اسمع يا من كنت سبباً في غلاء الأسعار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

من المعلوم والمقرَّر عند العلماء أنَّه ما نزلَ بلاءٌ إلا بذنب، ولا يُرفع إلا بتوبةٍ صادقةٍ، فإذا نزلَ البلاءُ بفردٍ فليعلم أنَّه ما نزلَ إلا بذنبه، فعليه بالتوبة حتى يُرفع هذا البلاء، وإذا نزلَ البلاءُ بأمةٍ فلتعلم أنَّه ما نزلَ إلا بذنوبها، فعليها بالتوبة حتى يُرفع هذا البلاء.

يا عباد الله: مع اشتعالِ نارِ الفتنةِ وشدَّتها، اشتعلت نار الأسعار، واكتَوَى بها

الصغير والكبير، وأُرْهِق المحتاجون والضعفاء والفقراء، وظهر جَشَعُ وطمعُ كثيرٍ من التجار، هذا الطمعُ والجشعُ الذي يُمَزِّقُ كيان الأمة.

الإسلام جاء ليوَحِّدنا:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ الإسلام الذي أكرمنا الله تعالى به من سماته أن يجمع ولا يفرِّق، يجعل الأمة كالجسد الواحد، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ المؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى).

بل جاءَ الإسلام ليجعلنا كرجلٍ واحدٍ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم أيضاً عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (المسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ).

زيادة الأسعار وَبَالُها كبير:

يا عباد الله، لقد حذَّر الإسلام من تَفَكُّكِ المجتمع، كما حذَّر الُمسْلِمَ من أن يكون سبباً في تمزُّق المجتمع وتحاسده وتدابره، ومن الأسباب التي تمزِّق المجتمع غلاءُ الأسعار.

لأنَّ غلاءَ الأسعارِ يُرْهِقُ الضعفاءَ والمحتاجينَ وأصحابَ الحاجةِ، ويُورِثُ الضغينةَ والبعدَ عن الناس، وهو سببٌ في اضطراب الشعوب وعدمِ استقرارها، وسببٌ في انتشارِ الحقدِ والكراهيةِ بين أفراد الأمة، وسببٌ لدفعِ ضِعافِ النفوسِ إلى سلوكِ الطرقِ غيرِ المشروعةِ للحصولِ على المال.

اسمع يا من كنت سبباً في غلاءِ الأسعار:

يا عباد الله: لقد حذَّر سيدُنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الأمةَ من أن تكون سبباً في غلاءِ الأسعارِ، فعن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ المسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ، كانَ حَقًّا عَلَى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِن النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ) رواه الحاكم والإمام أحمد.

بِعُظْمٍ مِنْ النَّار: يعني بمكان عظيم من النار.

ليسمعْ كلُّ مَنْ كانَ سبباً في غلاءِ الأسعار وارتفاعِها هذا الحديثَ، وليُوَطِّنْ نفسه إلى هذا المصير، إذا لم يتب إلى الله تعالى.

لتسمع الحكومة هذا الحديث الشريف إذا كانت هي سبباً في ارتفاع الأسعار، وليُوَطِّنْ كلُّ مسؤول نفسه إلى هذا المصير: (كانَ حَقًّا عَلَى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ).

ولتسمع الجامعة العربية هذا الحديث الشريف، إذا كانت هي سبباً في ارتفاع الأسعار ولتُوَطِّن نفسها إلى هذا المصير: (كانَ حَقًّا عَلَى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ).

ولتسمع الدول المجاورة هذا الحديث الشريف، إذا كانت هي سبباً في ارتفاع الأسعار، ولتُوَطِّنْ نفسها إلى هذا المصير: (كانَ حَقًّا عَلَى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ).

وليسمعْ كلُّ من يحوِّل العملة المحليَّة إلى عملة أجنبية، إذا كان هذا التحويل يسبِّب

ارتفاعاً في الأسعار، وليُوَطِّنْ نفسه إلى هذا المصير: (كانَ حَقًّا عَلَى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِن النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ).

وليسمعْ كلُّ من يحتكر، هذا الحديثَ الشريف، وليُوَطِّنْ نفسه إلى هذا المصير: (كانَ حَقًّا عَلَى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ). لأنَّ الاحتكار سببٌ في ارتفاعِ الأسعار.

وليسمعْ أصحابُ المحطاتِ ـ محطات الوقود ـ ومراكزِ بيع الغاز، وكلُّ تاجرٍ محتكر، وكلُّ من كان سبباً في ارتفاعِ الأسعار هذا الحديث الشريف، وليُوَطِّنْ نفسه إلى هذا المصير: (كانَ حَقًّا عَلَى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ).

كلُّنا يلوم الدولة في ظُلمها وهَضمها للحقوق، ولكن لماذا يظلم بعضنا بعضاً؟ يا أصحاب المحطات ويا أصحاب مراكز الغاز، ويا تجار، لماذا الجشعُ والطمعُ، وأنتم الذين تلومون الحكومة والدولة على ظُلمها وجَورِها، فلماذا هذا الظلم منكم كذلك؟ ما أنتم قائلون لله تعالى يوم القيامة؟ وما هو حالكم عندما يُؤتى بجهنَّم يوم القيامة، كما قال تعالى: {وَجَاء رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}؟

التحذير من الاحتكار:

يا عباد الله، اسمعوا إلى تحذير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من الاحتكار الذي هو سببٌ عظيمٌ من أسباب غلاءِ الأسعار:

أولاً: أخرج الإمام مسلم عَنْ مَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لا يَحْتَكِرُ إِلا خَاطِئٌ). والخاطئ هو الآثم المصرُّ على الذنب والمتعمِّدُ له، والذي صار عادةً عنده، وربُّنا عز وجل أعطانا صورةً عن الخاطئين بقوله تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}. فهل يرضى العبد المؤمن الموحِّدُ أن يكون من الخاطئين؟ هل يرضى أن يُحْشَرَ مع هؤلاء الذين تعمَّدوا الإثم والعدوان والبغي والظلم لخلق الله تعالى؟

ثانياً: روى الإمام ابن ماجه عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ احْتَكَرَ عَلَى المسْلِمِينَ طَعَامًا، ضَرَبَهُ اللهُ بِالجُذَامِ وَالإِفْلاسِ). الجُذام: هو الدَّاء المعروف يصيب الجلد والأعصاب، وقد تتساقط منه الأطراف.

هل عند العبد الضعيف مقدرةٌ أن يتحمَّلَ هذه الضربة من الله تعالى؟ ربُّنا عز وجل يضرب المحْتَكِرَ بالمرض والإفلاس، وربُّنا عز وجل على كلِّ شيءٍ قدير.

ثالثاً: روى الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (مَنْ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِئَ مِنْ اللهِ تَعَالَى وَبَرِئَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمْ امْرُؤٌ جَائِعٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللهِ تَعَالَى). هل يرضى المحتكر أن يبرأ من اللهِ تعالى وأن يبرأ اللهُ تعالى منه؟ هل يرضى أصحاب المحطات هذا عندما يبرد الطفل الصغير، والمرأة، وصاحب الشيخوخة؟ هل يرضى التجار هذا إذا جاعت الأمة؟

رابعاً: روى الإمام الطبراني عَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الاحْتِكَارِ مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا سَمِعَ بِرُخْصٍ سَاءَهُ، وَإِذَا سَمِعَ بِغَلاءٍ فَرِحَ بِهِ، بِئْسَ العَبْدُ المحْتَكِرُ، إِنْ أَرْخَصَ اللهُ الأَسْعَارَ حَزِنَ، وَإِنْ أَغْلاهَا

اللهُ فَرِحَ).

هل يرضى العبد المحتكر الذي يكون سبباً في رفع الأسعار بهذا الوصف الذي وصفه إياه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟.

روى الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي صِرْمَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ ضَارَّ أَضَرَّ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ).

هل يرضى العبد المحتكر الذي يكون سبباً في ارتفاع الأسعار أن تناله دعوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

نصيحة إلى الحكَّام والتُجَّار:

معشر المسلمين: طلابُ العلمِ والعلماءُ لا يملكون إلا النُصحَ للناس، لا يملكون إلا ألسنتهم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والدين النصيحة، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: لِله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ).

وأنا أتوجَّهُ إلى الحكَّام وإلى التُجَّار وأصحاب الشأن وأقول لهم:

اسمعوا حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي رواه الإمام البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ). أَحِبُّوا للآخرين ما تحبُّونه لأنفسكم، أحبُّوا حبّاً لا أَثَرَةَ فيه، ولا استغلالَ ولا ابتزازَ ولا تدليسَ ولا احتكارَ.

واسمعوا حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي

يرويه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالله فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ).

واسمعوا حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي يرويه الإمام الترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ).

وأقول للناس جميعاً قول الله تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}. واعلموا بأنَّ الجزاء من جنس العمل، ومَنْ ضيَّق على الأمة ضيَّق الله عليه، ومن أحسن إليها أحسن الله إليه، ومن شقَّ عليها شقَّ الله عليه، ومن يسَّر عليها يسَّر الله عليه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

فيا عباد الله، عود على بِدْءٍ، ما نزل بلاءٌ إلا بذنب، ولا يُرفَعَ إلا بتوبة، فهل نسمع نداءَ الله تعالى لنا جميعاً: {وَتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}؟

هلَّا تُبْنَا إلى الله تعالى من كل سببٍ يكون سبباً في رفع الأسعار، لا تحوِّلوا العملة المحليَّة لعملة أجنبية، لأنها تضرُّ بعامَّةِ المسلمين وذلك بارتفاع الأسعار، فطوبى

لعبدٍ كانَ سبباً في تفريجِ الكُرَبِ عن المكروبين، وأسأل الله تعالى أن يُصْلِحَ أحوالنا، وأن لا يُشَمِّتَ أعداءنا بدائِنا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

251ـ خطبة الجمعة: الأثرة ظلم وأي ظلم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

ربُّنا عز وجل أمرنا بالعدل، ورغَّبنا بالفضل، وحذَّرنا من الظلم، فقال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ}. وقال تعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا}. وقال تعالى في الحديث القدسي: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلا تَظَالَمُوا) رواه الإمام مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

وجاء سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بهذا المبدأ، فأمرَ بالعدل:

روى الإمام مسلم عن عبد اللهِ بنِ عمرو بن العاص رضي اللَّهُ عنهما قال: قال

رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آَلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (إنَّ المقسِطينَ عِنْدَ اللهِ عَلى مَنابِرَ مِنْ نورٍ: الَّذِينَ يعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهليهِمْ وما وُلُّوا).

ورغَّب بالفضل، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آَلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ) رواه الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

وحذَّر من الظلم، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آَلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ) رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

سمةُ الصحابة رضي الله عنهم:

أيها الإخوة الكرام: لقد ربَّى سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آَلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أصحابَهُ الكرام على الفضل، وجعلهم من أهل الإيثار، وهذا ما أثبته الله تعالى لهم في القرآن العظيم بقوله: {لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}.

الفقراء من الصحابة أهلُ عِفَّةٍ، كما قال تعالى عنهم: {يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ}.

وأهل الغنى أهل إيثارٍ لا أَثَرَةٍ، كما قال تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}.

أيها الإخوة الكرام: الإيثار والأَثَرَةُ لهما علاقةٌ بالإيمان، فكلَّما عظُمَ الإيمان، كلَّما سما صاحبه إلى مقام الإيثار، وكلَّما نقُصَ الإيمان، كلَّما هبطَ صاحبه إلى درَكَةِ الأَثَرَةِ، وهي تقديم الذات على حساب الآخرين.

فالإيثار فضلٌ، والأَثَرة ظلمٌ وعدوانٌ، فسمةُ المجتمع الإسلامي الإيثار، لا الأَثَرَةُ.

سمةُ المجتمع اليوم:

أيها الإخوة الكرام: لقد كان وصف مجتمع الصحابة الكرام رضي الله عنهم ـ وخاصةً في ساعات الشدَّة ـ الإيثار، أمَّا وصف مجتمعنا في ساعة الشدَّةِ، وخاصةً في هذه الأيام أيامِ الفتنة، فهو الأَثَرَةُ لا الإيثارُ، إلا من رحم الله تعالى.

لقد نَسِيَ الكثير من الناس العدلَ فضلاً عن الفضل، ووقعوا في الظلمِ، وقعوا في الأَثَرَةِ، هَمُّ الواحدِ منهم نفسه وماله ـ إلا من رحم الله تعالى ـ.

وبهذه الأَثَرَةِ انحلَّت عقدة المجتمع وانفصمت عُراه، وتمزَّق المجتمع، فذهبت قوَّته، وفشل الناس في حياتهم، وقد حذَّرَنا الله تعالى من ذلك بقوله: {وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}. تنازعنا بسبب الأَثَرَة، بسبب الظلم، بسبب هضم الحقوق.

يا عباد الله: بالأَثَرَةِ تحلُّ النِقَم وتذهب النِعَم، وهي دليلٌ على دناءة النفس وخِسَّتِها، وهي مِعْوَلٌ هدَّامٌ للمجتمع الإنساني، وتُؤدي إلى نفيِ الإيمانِ الكامل عن صاحبها، لأنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آَلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقول: (لا يُؤْمِنُ

أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه، بالأَثَرَةِ يضيع العدل، وتذهب الأخلاق، وتنتفي الأسوة الحسنة، وتصير المنفعةُ الشخصيةُ باعثَ الحركة في الحياة.

توجيه الإسلام لمن وقعت عليه الأَثَرَة:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي ربَّى أصحابه الكرامَ على الإيثار، وجَّه المسلمين الذين تقع عليهم الأَثَرَة، ويقع عليهم الظلم، وتضيع حقوقُهم، إلى أمورٍ ثلاثة:

أولاً: أداءُ ما عليهم، وأن يسألوا الله حقَّهم:

روى الإمام البخاري عَن عَبْدَ اللَّهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ).

هذا أمرُ سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فيا من وقعت عليه الأَثَرَةُ، أدِّ الذي عليك، وإياك من التقصير في الواجب الذي ألزمك الشرع الشريف إيَّاهُ، ثمَّ طالب بحقِّك من العباد، مع كثرة الدعاء لله تعالى أن يرفعَ الله عنك الظلم، لأنَّ قلوبَ العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه ابن ماجه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: (إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا).

قلوب العباد جميعاً بِيَدِ الله تعالى، فطالب أيُّها المظلومُ، يا من هُضِمَتْ حقوقُك، طالب بالذي لك، وقُم بالواجب الذي عليك، وادعُ الله تعالى في أن يرفع الله عنك الظلم، قلوب الجميع بيده، كما جاء في الحديث القدسي الذي رواه الطبراني عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا، مَالِكُ الْمُلُوكِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ فِي يَدِي، وَإِنَّ العِبَادَ إِذَا أَطَاعُونِي حَوَّلْتُ قُلُوبَ مُلُوكِهِمْ عَلَيْهِمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَإِنَّ العِبَادَ إِذَا عَصَوْنِي حَوَّلْتُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْهِمْ بِالسَّخْطَةِ وَالنِّقْمَةِ فَسَامُوهُمْ سُوءَ العَذَابِ، فَلا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالدُّعَاءِ عَلَى المُلُوكِ، وَلَكِنِ اشْتَغِلُوا بِالذِّكْرِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيَّ أَكْفِكُمْ مُلُوكَكُمْ).

ثانياً: الصبر حتى يَلْقَوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على الحوض:

روى الإمام البخاري عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ قَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلاناً؟ قَالَ: سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ).

فيا من وقعت عليه الأَثَرَةُ، ووقعَ عليه الظلم، وضاعَ حقُّهُ، طالب بالَّذي لك، ثمَّ اصبر حتى تلقى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على الحوض، وما أعظمها من بشارة، عندما يخوضُ الناس في عرقهم ويشتدُّ بهم العطش، ولا يجدون إلا حوضَ سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فمنهم من يشرب بيده الشريفة بسبب صبره عندما وقعت عليه الأَثَرَةُ، ومنهم من يُردُّ عن الحوض ويذادُ عنه لأنَّه وقع في الظلم والعياذ بالله تعالى.

ثالثاً: العمل الصالح في أيامِ الأَثَرَةِ:

روى الإمام الترمذي وأبو داود وابن ماجه عن أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيَّ فَقُلْتُ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ }. قَالَ: سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (بَلِ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنْ المُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أَمْرًا لا يَدَانِ لَكَ بِهِ، فَعَلَيْكَ خُوَيْصَةَ نَفْسِكَ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ عَلَى مِثْلِ قَبْضٍ عَلَى الجَمْرِ، لِلعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ).

يا من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأدَّى الذي عليه، وحُرِمَ الذي له، طالب بالذي لك، واصبر وصابر، وأَكْثِر من العمل الصالح إذا وقعت عليك الأَثَرَةُ، وتذكَّر حديث سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ) رواه الإمام مسلم عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

وفي أيام الهرج تقع الأَثَرَةُ، يقع الظلم، تضيع الحقوق، اصبروا يا عباد الله، وصبركم كالقابض على جمرٍ من نار، ولكن اعلموا بأنَّ أجركم مضاعفٌ عند الله تعالى.

المنافع قد تنقلب إلى مهالك:

يا عباد الله: إسلامنا يأمُرُ بالعدل، ويُرَغِّبُ بالفضل، ويُحَذِّرُ من الظلم، ومن الظلمِ الأَثَرَةُ، و الأَثَرَةُ إذا شاعت في مجتمعٍ من المجتمعات ظُلِمَ أصحابُ الحقوقِ، وحقيقةُ الظلم ظلمٌ للنفس، فالأَثَرَةُ ظلمٌ للآخرين، وظلمٌ لذوي الأَثَرَةِ الذين

يهضمون حقوق الآخرين.

ظلمٌ لذوي الأَثَرَةِ لأنَّه من المحالِ دوامُ الحال، وربُّنا عز وجل يقول: {وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}. فيا من سَفَكَ الدماءَ البريئةَ، ويا من هضم حقوق الآخرين، ويا من وقع في الظلمِ والأَثَرَة {لاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}.

أنت ظالمٌ يا صاحب الأَثَرَة، وربُّنا ليس بغافل، هلَّا اعتبرت من غيرك؟ أما رأيت صاحب أَثَرَةٍ صار ذليلاً بعد عزٍّ، صار سجيناً بعد أن كان سجَّاناً؟

أما رأيت الذي عاشَ على حساب الآخرين وكان صاحب أَثَرَةٍ، وكان ظالماً، كيف انقلبت المنافع إلى مهالك هَوَت به في قاع السجون، {وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، كونوا على حَذَرٍ من الأَثَرَة، لا تُقدِّموا حقَّ أنفسكم على حساب حقوق الآخرين، فإنَّ الأَثَرَةَ ظلمٌ، ولا تزيدوا المظلومين ظلماً برفع الأسعار، ولا تكونوا سبباً في رفع الأسعار، لأنَّ رفع الأسعار، وتحويل العُمُلاتِ المحليَّة إلى عُمُلاتٍ أجنبيَّة من الأَثَرَة، وإنَّ تحويل العُملة المحليَّة إلى ذهبٍ من الأَثَرَة، وإنَّ الاحتكار من الأَثَرَة، و الأَثَرَةُ ظلمٌ، والظلم ظلماتٌ، وربُّنا ليس بغافل عمَّا يعمل الظالمون.

أمَّا أنت يا من وقعت عليه الأَثَرَةُ، وضاعت حقوقُهُ، طالب بها مع الالتزام بما كُلِّفتَ به شرعاً، وأَكْثِرْ من الدعاء لله تعالى، واصبِر وصابر حتى تلقى سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على الحوض، وأَكْثِرْ من العبادة

في هذه الأيام فإنَّ الأجر مضاعفٌ إن شاء الله تعالى، وتذكَّر قوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

252ـ خطبة الجمعة: اعرف نفسك هل أنت ظالم أم مظلوم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّه لمن العَجيب أن ترى العبدَ المخلوقَ الضعيفَ الفقيرَ إلى الله تعالى يتجرَّأ على الظلم، وخاصَّةً إذا كان يدَّعي الإيمان، وكيف يتجرَّأ هذا العبد على الظلم، وربُّه الذي خلقه، والذي لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون، قد حرَّم الظلم على نفسه بقوله تعالى في الحديث القدسي: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا) رواه الإمام مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه؟

إنَّه لمن العجيب أن ترى من آمن بقوله تعالى: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُون}. وبقوله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون}. وبقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا تَزُولُ قَدمَا عبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيم فَعَلَ فِيهِ، وعَنْ مالِهِ منْ أَيْنَ اكْتَسبهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَن جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ). رواه الترمذي عن أبي برزة رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح. يجترئ على الظلم!

ومن صور الظلم الأَثَرَة، بحيث يُقدِّم العبدُ نفسَه على الآخرين، ويَجترئ على هضم حقوقهم، ولو أدَّى الأمر إلى إزهاقِ أرواحهم، وإتلافِ أموالهم، وهتكِ أعراضهم، وهضمِ حقوقهم، والإساءةِ لمقدَّساتهم.

اعرف نفسك هل أنت ظالمٌ أم مظلومٌ؟

يا عباد الله، المشكلة التي نعاني منها في مجتمعنا أنَّ الظالم لا يُقرُّ بظلمه، فلو قلتَ للحاكمِ: أنت ظالم، نفى هذا عن نفسه وبرَّرَ جميع أفعاله. وإن قلتَ للمحكومِ:

أنت ظالم، نفى هذا عن نفسه وبرَّرَ جميع أفعاله. فمن هو الظالم، ومن هو المظلوم، إذا كان الكلُّ ينفي عن نفسه الظلمَ ويُبرِّئُ نفسه؟

أيها الإخوة الكرام: ما دام الكلُّ ينفي عن نفسه الظلم ويُبرِّئُ نفسه من ذلك، فإني أقول للحاكم والمحكوم: إذا أردت أن تعرف نفسك ظالماً أم مظلوماً، فاسمع حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، واحكم على نفسك مَنْ أنت.

أخرج الإمام البخاري عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: (أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ: مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا المسْتَرِيحُ وَالمسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: العَبْدُ المؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ الله، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ).

أيُّها الحاكم والمحكوم: تصوَّر نفسك أنَّك مُتَّ، فهل موتك راحةٌ لك؟ فإن كان موتك راحةً لك فأنت المظلوم، وبموتك استرحتَ من نَصَبِ الدنيا وأذاها إلى رحمةِ الله تعالى، حيث يُقال لك عند سكرات الموت: (انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِن النَّارِ أَبْدَلَكَ الله بِهِ مَقْعَدًا مِن الجَنَّةِ) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه.

أم موتك راحةٌ منك، حيث يستريح منكَ العبادُ، والبلادُ، والشجرُ، والدوابُّ؟ فإذا كان موتك راحةً منك فأنت الظالم، وبظلمك يتضرَّر العباد والبلاد حتى الدواب.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه (كَادَ الجَعْلُ أَنْ يُعَذَّبَ فِي جُحْرِهِ بِذُنُوبِ بَنِي آدَمَ لَمَّا قَرَأَ: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ}) رواه

البيهقي في شعب الإيمان.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: (إِنَّ الظَّالِمَ لا يَضُرُّ إِلا نَفْسَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: بَلَى وَاللهِ، حَتَّى الحُبَارَى لَتَمُوتُ فِي وَكْرِهَا هُزَالاً لظُلْمِ الظَّالِمِ) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كاد الضبُّ أن يموت في جحره هولاً من ظلم ابن آدم).

يا أيُّها الظالم: بموتك يرتاح الوجود منك، ترتاح منك الأرضُ التي تُقِلُّك، ويرتاح منك مكانُ صعود عملك في السماء، وتتلقاك ملائكة العذاب، ويُقال لك عند سكرات الموت: (انْظُر إِلَى مَقْعَدِكَ مِن الجَنَّةِ أَبْدَلَكَ الله بِهِ مَقْعَدًا مِن النَّارِ).

أيُّها الحاكم والمحكوم: واللهِ أنت تعرف نفسك هل أنت ظالم أم مظلوم من خلال هذا الحديث الشريف (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ)، ألا تعرف مَوتَك هل هو راحةٌ لكَ أم راحةٌ منكَ؟

<u>اسمع أيُّها الظالم مهما كنت:</u>

معشر المسلمين: واجبنا نحو الظالم أن نذكِّره بآياتٍ من كتاب الله تعالى، ما دام أنَّه مؤمنٌ بالله تعالى، فاسمع أيُّها الظالم:

<u>أولاً: أنت في ضلال</u>، ولن يُثبِّتك الله تعالى في الحياة الدنيا ولا في الآخرة إذا أصررت على ظلمك، واسمع قول الله تعالى: {يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ}.

أيُّها الظالم: لقد خَرَّبْتَ العباد والبلاد أنت ومن معك، فاعلم بأنَّ الجزاء من جنس العمل، فدارُ البوار تنتظرك، قال تعالى: {وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ}.

ثانياً: أنت على موعدٍ مع الله تعالى بإهلاككواستئصالك ما دمتَ مُصِرّاً على الظلم، قال تعالى: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِين}. وقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِين * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيد}.

يا عباد الله، لا شكَّ بأنَّ الأنبياء هم دُعاة الفضلِ والعدلِ وتحريمِ الظلم، وأتباعهم كذلك، وغيرُهم هم الظَّلَمَةُ، الذين يتوعَّدون أهلَ الفضل والعدل.

فيا أيُّها الظالم، سيأخذك الله بغتةً، ويقطع دابرَكَ، ويُهلكك، ويُسكِنُ الأرضَ من بعدك المظلومَ ما دام يخاف مقامَ الله تعالى ووعيدَهُ.

ثالثاً: أنت على موعدٍ مع الله تعالى أن يُدخلك جهنم، ولن تُفَتَّحَ لك أبواب السماء، ولن تدخل الجنة إذا متَّ مُصرّاً على ظلمك، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِين * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِين}.

رابعاً: أنت على موعد مع ملائكة العذاب عند سكرات الموت، قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ

أَنفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُون * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ}.

يا عباد الله: نحن جميعاً لا نرى الملائكة في الحياة الدنيا، ولكن سوف نراهم قريباً جميعاً، ولكن هناك من يرى ملائكة الرحمة، وهناك من يرى ملائكة العذاب، ولا شكَّ بأنَّ المؤمنَ المظلومَ سيرى ملائكةَ الرحمةِ، قال تعالى: {لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُون}.

أما العبد الظالم فسيرى ملائكةَ العذابِ، قال تعالى: {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا}.

أيُّها العبد الظالم: تذكر أنَّك راجعٌ إلى الله تعالى كما خلقك أوَّل مرة، تذكر بأنَّك عندما خرجت من بطن أمِّكَ كنت فقيراً ضعيفاً جاهلاً لا حول لك ولا قوة، فسوف ترجعُ إلى ربك وحدك، وتتركُ ما أسبغ الله عليك من النعم وراءك، وتُحاسب عليها.

خامساً: أنت على موعدٍ مع الله تعالى بأن يَصُبَّ عليك اللعنة، وهي الطردُ من رحمة الله تعالى، وذلك عندما يناديك المظلوم وهو في الجنة، وأنت في النار، قال تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِين}.

سادساً: أنت على موعدٍ مع الله تعالى حيث تندمُ بين يديه ولن ينفعك الندم،

قال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً}.

سابعاً: لا تنس بأنَّ عينك تنام وعين المظلوم لا تنام ويدعو عليك، وربُّنا عز وجل أقسم بذاته بأنَّه ناصرٌ للمظلوم في الوقت الذي يشاؤه مولانا عز وجل، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا الله فَوْقَ الغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ).

يُذكر أنه لما حُبِسَ خالد بن برمك وولده قال: يا أَبَتِ بعد العزِّ صرنا في القيد والحبس، فقال: يا بني دعوة المظلومسَرَتْ بليلٍ غفلنا عنها، ولم يغفل الله عنها.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، ليسمع من كان ظالماً ـ من حاكمٍ ومحكومٍ ـ والظالم يعرف نفسه، ليسمع قول الله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء * وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَال}.

لِيَسْمع الظالم هذا ولعلَّه أن يتوبَ إلى الله تعالى قبل أن يخرج من دار التكليف إلى

دار الجزاء، لأنَّه بوسعه أن يعلن توبته لله تعالى، والله يقبل التوبة عن عباده، قال تعالى: {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}. هذه التوبة في دار العمل، أما إذا أصرَّ واستكبر استكباراً فسوف يقول حيث لا ينفعه القول: {رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَال}.

وسوف يقول حيث لا ينفعه القول: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُون}. وسوف يقول حيث لا ينفعه القول: {رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}.

فيا أيُّها الحاكم، إذا كنت تعتقد بأنَّك مظلومٌ ولستَ بظالم، وأنت مؤمنٌ ملتزمٌ بالكتاب والسنة، فاذكر حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ) رواه الإمام البخاري عَن عَبْدَ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه. فأدِّ الذي عليك نحو محكومك، وسَلِ الله حقَّكَ، واصبر حتى تلقى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم على الحوض.

وإِنْ كنت أيُّها المحكوم تعتقد بأنَّك مظلومٌ ولستَ بظالم، وأنت مؤمنٌ ملتزمٌ بالكتاب والسنة، فاذكر الحديث الشريف، وأدِّ الحقَّ الذي عليك، وسَلِ الله حقك، واصبر حتى تلقى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

على الحوض.

وأمَّا أنت أيُّها الظالم تُبْ إلى الله تعالى من ظلمك، وإلَّا فحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم، نعم المولى ونعم النصير، ونسأل الله تعالى أن يُرِيَنَا فيكَ عجائبَ قدرته. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

253ـ خطبة الجمعة: (وُلّيت علَيكُمْ ولَسْت بِخَيْرِكُمْ) درسٌ لكلِّ عاقل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

أريد أن أقفَ معكم في هذا الأسبوع مع كلمات قالها سيدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، عندما تولَّى الخلافة، لتكون هذه الكلمات نبراساً لكلِّ راعٍ استرعاه الله تعالى على رعيَّةٍ، سواء كانت صغيرةً كالأسرة وما شاكلها، أو كانت كبيرةً

كرعية الأمَّةِ والولايةِ العامة.

هذه الكلمات درسٌ لكلِّ راعٍ نحو رعيَّته، ولكلِّ حاكمٍ نحو محكومه، ولكلِّ رئيسٍ نحو مرؤوسه، ولكلِّ ملك نحو أمَّته وشعبه.

خطبة الصدِّيق رضي الله عنه:

يا عباد الله: لما وُلِّيَ سيدنا أبو بكرٍ الصدِّيق رضي الله عنه الخلافة وقف خطيباً في أمَّته وشعبه، حَمِدَ الله تعالى وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال:

(أَيّهَا النّاسُ! فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي؛ وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي.

الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ.

وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللهُ، وَالقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللهُ.

لا يَدَعُ قَوْمٌ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ إلا ضَرَبَهُمْ اللّهُ بِالذّلّ.

وَلا تَشِيعُ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ إلا عَمّهُمْ اللّهُ بِالبَلَاءِ.

أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَلا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ .

قُومُوا إلَى صَلاتِكُمْ يَرْحَمُكُمْ الله).

أين تربَّى الصدِّيقُ رضي الله عنه:

يا عباد الله، لنتساءل أين تربَّى سيدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه؟ في أيِّ دولةٍ أو في أيِّ مؤسسةٍ تربَّى هذه التربية؟ يقيناً ما تربَّى هذه التربية في دولةٍ علمانية، ولا

في دولةٍ مدنية، ولا في دولةٍ ليبرالية، ولا في دولةٍ رأسمالية، ولا في دولةٍ اشتراكية، لقد تربَّى هذه التربية في مدرسة الإسلام، في دولة الإسلام، لقد تربَّاها على يَدَي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

لقد تربَّى على خلق التواضع ومَحْوِ الأنا، تربَّى على مَحْوِ الذات، تربَّى على مراقبة النفس، تربَّى على قوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}. تربَّى على ذلك في دولة الإسلام،،تربَّى على ذلك بالقول الذي سمعه من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبالذي رآهُ في شخص الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، تربَّى على العبوديَّة لله تعالى حيث لا فَرْقَ بين حاكمٍ ومحكومٍ، ولا بين سيِّدٍ وعبدٍ، ولا بين أميرٍ ومأمورٍ، الكلُّ سواسية، الكلُّ عبيدٌ لله تعالى، الكلُّ مسؤولٌ بين يدي الله تعالى، الكلُّ راجعٌ إلى الله تعالى، يقول تعالى: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}.

تربية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

أيها الإخوة الكرام: أوَّل كلمة قالها الصدِّيق: (أَيّهَا النّاسُ فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ) تواضعٌ وعدم تمييز بينه وبين أفراد الأمة، لأنَّ المسؤولية تكليفٌ وليست تشريفاً، وما أجمل الحاكمَ والأميرَ والملكَ والرئيسَ والراعيَ إذا كان متواضعاً، وما أقبحه عندما يكون مستكبراً.

إنَّ الصدِّيق رضي الله عنه، سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو يُرَبِّي الأمَّةَ كُلَّها على خُلُقِ التواضع بأقواله، منها:

أولاً: روى الإمام مسلم عن عِيَاضِ بنِ حِمَارٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (إن اللَّه أَوحَى إِليَّ أَنْ تَواضَعُوا حتى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلى أَحدٍ، ولا يَبغِيَ أَحَدٌ على أَحَدٍ).

ثانياً: روى الطبراني والبزار عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (ما من آدميٍّ إلا وفي رأسه حَكَمَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، فإذا تَوَاضَعَ قِيْلَ لِلْمَلَكِ: ارفع حَكَمَتَهُ، وإذا تَكَبَّر قِيْلَ لِلْمَلَكِ: ضَعْ حَكَمَتَهُ). والحَكَمَةُ هي: حديدة توضع على أنف الفرس وحنكه تمنعه من مخالفة راكبه.

نعم يا عباد الله، من تواضع لله رفعه الله، ومن استكبر أذلَّهُ الله تعالى، وصدق الله تعالى إذ يقول: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}.

يا عباد الله: لقد ربَّى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الأمة على خُلُقِ التواضع قولاً وعملاً، وهذا ما سمعه الصدِّيق ورآه، حتى ظهر على لسانه وحاله عندما تسلَّم الخلافة وقال: (أَيّهَا النّاسُ فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ).

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم متواضعاً سلوكاً وعملاً، كما جاء في سيرته العَطِرَة:

أولاً: أخرج البخاري عَن البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، حَتَّى أَغْمَرَ بَطْنَهُ أَوْ اغْبَرَّ بَطْنُهُ، يَقُولُ:

وَاللَّهِ لَوْلا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا *** وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا *** وَثَبِّتْ الأَقْدَامَ إِنْ لاقَيْنَا

إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا *** إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ أَبَيْنَا أَبَيْنَا).

ثانياً: روى أبو يعلى عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد) .

ثالثاً: بل حذَّر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الأمَّة أن تطريه كما أطرت النصارى سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، كما يروي ذلك الإمام البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ).

فالصدِّيق رضي الله عنه سَمِعَ من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أحاديثَ التواضع، ورأى منه خُلُقَ التواضع، فتأسَّى بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وظَهَرَ أثرُ هذا التأسِّي يومَ توليهِ الخلافة، من خلال خُطبتِهِ رضي الله عنه.

خطورة الاستكبار وعقوبة المستكبرين:

أيها الإخوة الكرام: هذه الكلمة التي صدرت من الصدِّيق رضي الله عنه يوم خلافته كانت نتيجةً لتربية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم له، ونتيجةً لقراءته القرآن العظيم، حيث عَلِمَ الصدِّيق رضي الله عنه، أنَّ أوَّلَ المستكبرين هو إبليس، قال تعالى: {إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

الْكَافِرِين}.

وعَلِمَ كذلك عاقبة المستكبرين في الأرض بغير حقٍّ من خلال القرآن العظيم، فعاقبة المستكبر على رعيَّته وخيمةٌ عاجلاً أم آجلاً في الدنيا والآخرة. من العواقب الوخيمة للمستكبر على رعيَّته:

أولاً: أنَّه يُصْرَفُ عن آيات الله تعالى، فلا يُحلُّ حلالاً ولا يُحرِّمُ حراماً، ولا يَقِفُ عندَ حدٍّ من حدود الله تعالى، قال تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِين}. فالمستكبر يتَّخذ سبيل الغيِّ سبيلاً له، ولو كان يوصله إلى نار جهنَّم والعياذ بالله تعالى.

ثانياً: أنَّه لا بشرى له يوم القيامة، وعمله الصالح يُصبح هباءً منثوراً، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا * وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا}.

ثالثاً: أنَّ الله تعالى يأخذه أخذَ عزيزٍ مقتدر، طالَ الزمانُ أم قَصُر، قال تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِين * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُون * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِين}.

وقال تعالى: {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُون * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُون}.

رابعاً: أنَّ مآل المستكبر على رعيَّته، وعلى من استرعاه الله تعالى عليهم، إلى جهنَّم وبئسَ المصير، قال تعالى: {قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِين}.

وقال تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُون}.

يا عباد الله، لقد عَلِمَ الصدِّيقُ رضي الله عنه مآلَ العبدِ المستكبر على رعيَّته في الدنيا والآخرة، فأقبل على نفسه وروَّضها وهذَّبها، حتى قال رضي الله عنه يوم بويع على الخلافة: (أَيّهَا النّاسُ فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، هذا هو الصدِّيق رضي الله عنه الذي أعطى درساً لكلِّ راعٍ ولكلِّ حاكمٍ، كيف يكون الراعي والحاكم مع رعيَّته وأمَّته، هذا هو الصدِّيق رضي الله عنه الذي تربَّى في مدرسة الإسلامِ الذي يصفه الغرب اليوم بأنَّه دين إرهاب.

الإسلام ليس دينَ إرهاب، ولا يصفه بهذا الوصف إلا فئةٌ من المستكبرين الذين يريدون أن يعيشوا فوق الناس، وعلى حساب الناس، ولو على حساب دمائهم

وأعراضهم، الإسلام لا يُوصَفُ بالإرهاب من قِبَلِ الشعوبِ والأممِ، ولا يُوصَفُ بالإرهاب من قِبَلِ الرعيَّة والمحكومين، بل يُوصَفُ بذلك من قِبَل الحكَّام والرؤساء والأمراء الذين ما رضوا إلا بالاستعلاء على الآخرين، لذلك تراهم ينادون بالعلمانيَّةِ تارةً، وبالمدنيَّةِ تارةً، وبالليبراليةِ تارةً، وبالرأسمالية وبالاشتراكيَّة وهكذا، ولا ينادون بالإسلام، لأنَّ الإسلام يمحو الفوارق بين الحاكم والمحكوم، ولا خيريَّة ولا أفضليَّة إلا بالعمل والتقوى وبمحوِ الأنا، ورضي الله تعالى عن الصدِّيق الذي قال مقولته: (أَيّهَا النّاسُ فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ). لقد أتعب كلَّ راعْ وكلَّ حاكمٍ وكلَّ ملكِ وكلُّ رئيسٍ من بعده رضي الله عنه.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

254ـ خطبة الجمعة: (فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي؛ وَإِنْ أَسأْت فَقَوِّمُونِي)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

عندما وُلِّيَ سيدُنا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه الخلافةَ، قامَ خطيباً فَحَمِدَ الله تعالى وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: (فَإِنِّي قَدْ وُلِّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي؛ وَإِنْ أَسَأْت فَقَوِّمُونِي).

كلماتٌ هي درسٌ لكلِّ عاقلٍ من الرعاة، والكلُّ راعٍ، والكلُّ مسؤولٌ عن رعيَّته، هي درسٌ لكلِّ حاكمٍ ورئيسٍ وملكٍ وأميرٍ.

حقيقتان وَضَعَهُمَا الصدِّيق رضي الله عنه:

أيها الإخوة الكرام: سيدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه وضعنا أمامَ حقيقتينِ، يجب على كلِّ عاقلٍ أن لا ينساهما، وخاصةً إذا كان راعياً استرعاه الله تعالى على عباده.

الحقيقة الأولى: الخيريَّة لا يعلمها إلا الله تعالى:

الحقيقةُ الأولى نأخذها من كلام سيدنا أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه: (فَإِنِّي قَدْ وُلِّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ)، حيث عرفنا أنَّ الراعي لا يُشْتَرَط أن يكون أَصْلَحَ الرعيَّة، فقد يكون في الرعية من هو أَصْلَحُ من الراعي، أَمَا يقول الله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ}؟ فقد يكون الراعي هو الأكرمَ عند الله تعالى، وقد يكون فرد من أفراد الرعية هو الأكرمَ عند الله تعالى.

أَمَا يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّ الله لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه؟ فالمعَوَّل عليه هو صَلا حُ القلب، فقد يكون قَلْبُ الراعي أَصْلَحَ القلوبِ، وقد يكون قلبُ فردٍ من أفراد الأمة هو الأصلح.

أَمَا يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (رُبَّ أَشْعثَ أغبرَ، مدْفُوعٍ بالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ) رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه؟

هذه الحقيقةُ الأولى التي لقَّنها الصدِّيق وُلاة الأمور. والتي يجب أن يعتقدوها اعتقاداً جازماً.

الحقيقةُ الثانية: لا عصمةَ لأحدٍ بعد الأنبياء:

أمَّا الحقيقةُ الثانية التي أشار إليها الصدِّيق رضي الله عنه بقوله: (فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي؛ وَإِنْ أَسَأْت فَقَوِّمُونِي). فهيَ أنَّه لا عصمةَ لأحدٍ بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالكلُّ يجري عليه الخطأ، كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) رواه

ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه.

فالراعي ليس معصوماً، ولا يستمدُّ سلطته من أيِّ امتيازٍ شخصيٍّ يجعل له أفضليَّةً على غيره، فَعَهْدُ العصمةِ قد انتهى بخروج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من الدنيا.

الإمارةُ مغنمٌ أم مغرمٌ؟

أيُّها الإخوة الكرام: يجب على كلِّ راعٍ أن يعلم بأنَّه ليسَ خيراً من رعيته، وبأنَّه ليسَ معصوماً، وبأنَّه يجب عليه أن يطلب العونَ من رعيَّته إن أحسن، والتقويمَ إن أساء، وهذا شأن الراعي المؤمنِ الذي أيقن بأنَّه مسؤولٌ بين يدي الله تعالى القائل: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُون}.

هذا هو شأن الذي نظرَ إلى الإمارةِ والملكِ والرياسةِ بأنَّها مغرمٌ وليست مغنماً، لأنَّه سَيُسأل يوم القيامة عن رعيَّته.

أمَّا الراعي الذي ينظر إلى الإمارةِ والملكِ والرياسةِ على أنَّها مغنمٌ، فإنَّه يعتقدُ أنَّه خيرٌ من رعيَّتِهِ، وأنَّهُ معصومٌ، كما أخبر ربُّنا عز وجل عن فرعون بقوله: {يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُون * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِين}. وبقوله: {مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَاد}.

إذا عَرَفَ الراعي حَدَّه أَصْلَحَ الله له رعيَّته:

يا عباد الله، لقد جَرَتْ سنَّة الله تعالى في خلقه، أنه إذا عَرَفَ الراعي حدَّه، هيَّأ له بطانةً صالحةً، وأصلح له رعيَّته؛ إذا عرف بدايَتَهُ ونهايَتَهُ، كما قال ذاك العبد

الصالح لبعض وزراء الحجاج: (أَوَّلُك نطفةٌ مذرة، وآخرك جيفةٌ قَذِرَة، والآن تَحْمِلُ العَذِرَة) فإنه لا يُفَكِّرُ نفسَه بأنَّه خيرُ رعيَّتِهِ.

أيُّها الإخوة الكرام: لما تولَّى الصدِّيقُ رضي الله عنه الخلافةَ، ولَّى سيدَنا عمر رضي الله عنهما القضاءَ، وبعد فترةٍ يسيرةٍ جاءه مقدِّماً استقالته وطلب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه إعفاءه من هذا المنصب، فقال أبو بكر: أَمِنْ مَشَقَّةِ القضاءِ تطلبُ الإعفاءَ يا عمر؟ فقال عمر رضي الله عنه: لا يا خليفة رسول الله، ولكن لا حاجةَ بي عند قومٍ مؤمنين، عرفَ كلُّ واحدٍ منهم حقَّه، فلم يطلب أكثر منه، وما عليه من واجبٍ فلم يُقَصِّر عن أداءه، وأحبَّ كلُّ واحدٍ منهم لأخيه ما يحبُّ لنفسهِ. إذا غابَ أحدهم تفقَّدوه، وإذا مرضَ عادوه، وإذا افتقرَ أعانوه، وإذا احتاجَ ساعدوه، وإذا أُصِيبَ واسوه، دينُهمُ النصيحة، وخُلُقُهُمُ الأمرُ بالمعروف، والنهيُ عن المنكر، ففيمَ يختصمون؟

الوالي العدْل لا يكمُّ الأفواه:

أيُّها الإخوة الكرام: سيدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه الذي قال: (وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي). هو الذي عَلِمَ بأنَّ العصمةَ انتهت بعد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومعنى هذا أنَّه يجري عليه الخطأ كما يجري على غيره، لا فرق في هذا الأمر بين الراعي والرعيَّة، لذلك طَلَبَ الإِعَانَةَ إنْ أحسنَ، والتقويمَ إنْ أساءَ، لأنَّه لا كمَّ للأفواه عند العقلاء من الأمراء، وأنَّ هيبةَ المِلكِ والرئاسةِ يجب أن لا يستغلَّها الملكُ والرئيسُ في كمِّ أفواهِ الرعيَّة.

فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي كساه الله تعالى

هيبةَ النبوَّةِ والرسالةِ مع العصمة التي منحه الله تعالى إيَّاها، ما كان يَكمُّ أفواه المؤمنين، الذين آمنوا بنبوَّتهِ وبرسالتهِ وبعصمتهِ، بل كان فاتحاً المجال لمن وقع عنده إشكالٌ أو استفسارٌ أن يسأل عنه، وأن لا تمنعه هيبةُ النبوَّةِ والرسالةِ من الاستيضاح.

وأكبرُ شاهدٍ على ذلك يوم صلح الحديبية، عندما جاءه سهيل بن عمرو ليكتب كتاباً بينه وبين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكان الكاتب سيدنا علي رضي الله عنه، روى البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال في صلح الحديبية لسيدنا علي رضي الله عنه: (اُكْتُبْ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ. قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ المسْلِمُونَ: وَاللهِ لا نَكْتُبُهَا إِلا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ البَيْتِ وَلا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ).

وفي رواية للإمام مسلم: (فَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَمْحُوهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: لا وَاللهِ لا أَمْحُوها، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرِنِي مَكَانَهَا، فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا).

(فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِن العَامِ المقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، قَالَ المسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى المشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ

مُسْلِمًا).

وفي رواية للإمام مسلم: (والتَفَتُوا إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يَسْأَلُونَهُ: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَنَكْتُبُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا).

وفي الصحيحين: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ الله حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ الله وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ الله حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَالله إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ، فَمَا هُوَ إلا أَن نَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ: عُمَرُ يَا رَسُولَ الله أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجِع).

فهيبةُ النبوَّة ما منعته من الاستفسارِ والاستيضاح من المعصوم الذي إذا شاهده أحدٌ ارتعدت فرائصه من هيبةِ النبوّة والرسالة، قال له النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ القَدِيدَ)

رواه ابن ماجه عن أبي مسعود رضي الله عنه. وكان يقول: (إنَّما أنا عبدٌ، آكلُ كما يأكلُ العبد ، وأجلسُ كما يجلسُ العبد) رواه البيهقي عن ابن سعد رضي الله عنه.

فهل سمع وُلاة الأمور هذا الحدَث الذي جرى بين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم مع بعض أصحابه؟ فهم والله من باب أولى وأولى أن يسمعوا لرعيَّتِهم، لأنَّهم غيرُ معصومين.

سعادة الحاكم تكون بالبطانة الصالحة:

أيُّها الإخوة الكرام: من سعادةِ الحاكمِ والراعِي والمسؤولِ والرئيسِ أن يُهَيِّئَ له ربُّنا عز وجل البطانةَ الصالحةَ التي تعينه إن استقامَ وأحسنَ، وأن تقوِّمَه إن أساءَ وانحرفَ، وهذا ما صرَّح به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في الأحاديث الشريفة، منها:

أولاً: أخرج أبو داود في سننه عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالأَمِيرِ خَيْراً، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ).

ثانياً: أخرج النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ والٍ إلا وَلَهُ بِطَانتان: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمعروف، وتَنْهَاهُ عن المنكرِ، وبِطَانَةٌ لا تَأْلُوهُ خَبَالاً، فَمَن وُقِيَ شَرَّهَا فقد وُقيَ وهو مِنَ التي تَغْلِبُ عليه منهما). ومعنى قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا تَأْلُوهُ خَبَالاً) أي: لا تُقَصِّرُ في إفساد أمره وإفساده، فهم عونٌ له على الفساد

والإفساد، وأيُّ بطانةٍ تغلبه فهو منها.

ثالثاً: أخرج الإمام البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إِلا لَهُ بِطَانَتَانِ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، العاقل هو الذي يحب النُصْحَ والناصحين، والأحمق هو الذي يحب المدح والمادحين، فلنكن من العقلاء، ولنسمع كلام الصديق رضي الله عنه: (فَإِنِّي قَدْ وُلِّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي؛ وَإِنْ أَسَأْت فَقَوِّمُونِي).

كلامُ الصدِّيق رضي الله عنه يشمل الأمراء والحكام والرؤساء، وهو في الحقيقة يشمل كلَّ مسؤول، وكلُّنا مسؤول، ويشمل كلَّ راعٍ، وكلُّنا راعٍ.

أمَّا من عَشِقَ المدح وكَرِهَ النُصْحَ، فَلْيَسْمَعَ قَسَمَ الله تعالى في القرآن الكريم: {وَالْعَصْر * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْر * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْر}. فهل يريد الخسارة الدنيوية والأخروية؟ ما أظنُّ عاقلاً يحبُّ خسارة الدين والدنيا والآخرة.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**　　**　　**

255ـ خطبة الجمعة: (الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

كلماتٌ قالها الصدِّيقُ رضي الله عنه يوم استلم الخلافة، كانت نبراساً وضياءً لمن أراد أن يهتدي بها من الرعاةِ والحكامِ والرؤساءِ، كلماتٌ عرَّفَ من خلالها حقيقةَ الراعي، بأنَّه ليس خيراً من رعيَّته، وليس معصوماً، بل يجري عليه الخطأ، ويحتاج إلى عونٍ ونصحٍ وتقويمٍ، فقال رضي الله عنه: (أَيّهَا النّاسُ! فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي؛ وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي).

الصدقُ أمانةٌ:

يا عباد الله، بعد أن قال هذه الكلمات، توجَّه إلى الأمة ليذكِّرها بقاعدةٍ عظيمةٍ ليقوم المجتمع على أساسها، فقال: (الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ).

فالمجتمع لا يكون متماسكاً من قاعدته إلى قِمَّتِهِ إلا على أساسٍ من الصدق، فيجب على الراعي أن يتحلَّى بالصدق، كما يجب على الرعيَّة أن تتحلَّى بالصدق، ولن يحافظ على الصدق من الراعي والرعيَّة إلا إذا كان متحلِّياً بخُلُقِ الأمانة.

أمَّا المجتمع الذي يكذب فيه الراعي على رعيَّته، والرعيَّة تكذب على راعيها، فهو مجتمعٌ مُمَزَّقٌ، لأنَّ الكلَّ يخون الكلَّ . إلا من رحم الله تعالى ..

إمامُ الصادقين:

معشرَ المسلمين، لقد كانت حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أفضلَ مثالٍ للإنسان الكامل الذي اتَّخَذَ من الصدقِ في القولِ، والأمانةِ في المعاملةِ، خطَّاً ثابتاً لا يحيدُ عنه قَيْدَ أُنْمُلَةٍ.

لقد كانت سيرةُ الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قبلَ الرسالةِ وبعدَ الرسالةِ مدرسةً عظيمةً للصدِّيق رضي الله عنه، ولمن سار على هديه، لقد اشتُهِرَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالصدق قبلَ الرسالة، وهذا ما شَهِدَتْ بِهِ أُمَّتُهُ، عندما نزل عليه قوله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين} جمع أهله، وسألهم عن نظرتهم فيه إذا أخبرهم عن أمرٍ من الأمور، فأجابوه بما عرفوا عنه قائلين: (مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلا صِدْقاً) رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما. **هذا أولاً**.

ثانياً: أما بعد بعثته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقد شَهِدَ له بصدقه مَنْ كان مِنْ ألدِّ أعدائه قبل إسلامه، فهذا أبو سفيان يلقاه هرقلُ عظيمُ الروم ليسأله عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فقال ملك الروم: (إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَن الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَايْمُ اللَّهِ لَوْلا مَخَافَةُ أَنْ يُؤْثَرَ عَلَيَّ الكَذِبُ لَكَذَبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ: كَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ:

لا) رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

سبحان الله، رجلٌ كانَ مشركاً في جاهليَّته يأبى الكذب، لأنَّه يعتبرُ هذه الصفةَ صفةً قبيحةً في الإنسان، وخاصَّةً إذا كان يُنْسَبُ للعرب.

فسأله هرقلُ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لا. فهذه شهادة من ألدِّ الأعداء قبل إسلامه.

ثالثاً: عندما قَدِمَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم المدينةَ يقول عبد الله بن سلام رضي الله عنه: (لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسلَّمَ المدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَكُنْتُ فِيمَن انْجَفَلَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ) رواه الإمام أحمد. وهذه شهادةُ حَبْرٍ من أحبار اليهود.

تربية الأمَّة على الصدق:

أيها الإخوة الكرام: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ربَّى الأمَّة على الصدق، وبيَّن لها بأنَّ المؤمنَ قد يقع في كثيرٍ من المخالفات الشرعية إلا الخيانة والكذب، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (يُطْبَعُ المؤْمِنُ عَلَى الخِلالِ كُلِّهَا، إلا الخِيَانَةَ وَالكَذِبَ) رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه.

ورغَّبَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في الصدق لمن كان حريصاً على دخول الجنة يوم القيامة، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

(اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُم الجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) رواه الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

وحذَّر من الكذب بشكلٍ عام لجميع أفراد الأمة ولكلِّ الرعية، وخاصَّةً للراعي، وعرَّف الجميع بأنَّ الكذَّاب إذا لم يتب إلى الله تعالى، لا ينظر الله إليه ولا يكلِّمه، وله عذابٌ عظيمٌ، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:(ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمْ الله يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلا يُزَكِّيهِمْ، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ) رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. الكذب قبيحٌ في الرعية، ولكن في الراعي أقبح.

توجيه الصديق رضي الله عنه:

أيُّها الإخوة الكرام: الصِدِّيقُ رضي الله عنه تربَّى في مدرسة الصادق الأمين، لقد شاهد نبيَّه وحبيبه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صادقاً، وسمع منه الأمرَ بالصدقِ، والتحذيرَ من الكذبِ، فالتزم ذلك حتى صارَ صِدِّيقاً رضي الله عنه.

وعندما تسلَّم الخلافة أمر الأمَّة بذلك فقال: (الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ). وهذه هي مهمَّة وليِّ الأمر أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر، بعد أن يتحلَّى بالكمالات.

فالصِدِّيقُ رضي الله عنه بيَّن بهذه الكلمات بأنَّ الصِدْقَ أمانةٌ، فمن فَقَدَ الصدقَ فَقَدَ الأمانةَ، ومن فَقَدَ الأمانةَ فَقَدَ دينَه كلَّه، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ) رواه الإمام

أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنهما. فالصِدِّيقُ رضي الله عنه جَعَلَ الصدقَ أمانةً، فمن فَقَدَهُ فَقَدَ كلَّ شيءٍ.

كما بيَّن رضي الله عنه بأنَّ الكذبَ خيانةٌ، وسواءٌ في ذلك الراعيَ والرعيةَ، فإذا كذبَ الراعي فقد خان رعيَّته، وإذا كَذَبَتِ الرعيةُ فقد خانتِ الراعي، وأعظمُ الخيانة من الراعي أن يكذبَ على رعيَّته، إذا كانت تصدِّقه، والعكس بالعكس، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ، وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ) رواه الإمام أبو داود عن سفيان بن أسيد الحضرمي.

فاحذر أيُّها الراعي، أيُّها الحاكمُ، الكذبَ إذا كانت رعيَّتك تُصَدِّقُك، وليحذرِ المحكومُ الكذبَ إذا كان الحاكمُ يصدِّقهُ، وإلا فَأَعْظِمْ بها من خيانةٍ، وهذا ليس من وصفِ المؤمنِ، بل من وصفِ المنافقِ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسلَّمَ أنه قَالَ: (آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ).

يا عباد الله، الصدق حَسَنٌ وكمالٌ إذا تحلَّت به الرعية، ولكنَّه أحلى وأكمل وأحسن إذا تحلَّى به الراعي، لأنَّ صلاحَهُ صلاحُ الأمة، وفسادَه فسادُ الأمة، كما أنَّ الكذبَ وصفٌ قبيحٌ في الرعية ولكنَّه في الراعي أقبحُ.

تحذيرُ ولاةِ الأمورِ من الكذب:

أيُّها الإخوة الكرام: لما كانت مهَّمة الراعي والمسؤول والحاكم عظيمة، حذَّر سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كلَّ راعٍ وكلَّ حاكمٍ وكلَّ مسؤولٍ من الغدرِ لأمته، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلانِ بْنِ فُلانٍ) رواه الإمام مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما. ولا غدْرَ أعظَمَ من الكذب.

كما حذَّرهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من الغشِّ لرعيَّتهم، والكذبُ من أعظم أنواع الغش، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ) رواه الإمام مسلم عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

وبيَّن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لولاةِ الأمور بأنَّهم سيندمون يوم لا ينفع فيه الندم، إذا غدروا وغشُّوا رعيَّتهم، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (وَيْلٌ لِلأُمَرَاءِ، وَيْلٌ لِلْعُرَفَاءِ، وَيْلٌ لِلأُمَنَاءِ، لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَّ ذَوَائِبَهُمْ كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِالثُّرَيَّا، يَتَذَبْذَبُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَلَمْ يَكُونُوا عَمِلُوا عَلَى شَيْءٍ) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

من هذا المنطلق وجَّه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الأمة كلَّها من راعيها إلى رعيَّتها، ومن حاكمها وإلى محكومها إلى الصدق، فقال: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا) رواه الإمام مسلم عن

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، أتوجَّه إلى كلِّ راعٍ وحاكمٍ ومسؤولٍ وأقول له: عليك بالصدق مع رعيَّتك، فإن صَدَقْتَهَا صَدَقَتْكَ، وإن كَذَبْتَهَا كَذَبَتْكَ، فأنت القدوة والإمام، صَلاحُكَ صَلاحُهَا، وفَسادُكَ فَسادُهَا، فإن وجدت الرعية تكذب عليك فاعلم بأنَّها اسْتَقَتْ ذلك منك.

أيها الإخوة: نِعْمَ المجتمع مجتمعٌ كان فيه الراعي والرعيَّةُ، والحاكمُ والمحكومُ، من أهل الصدق، وبئس المجتمع مجتمعٌ كان فيه الراعي والرعيَّةُ، والحاكمُ والمحكومُ، من أهل الكذب.

يا عباد الله: الصدق أمانةٌ والكذب خيانةٌ، فعلينا بالصدق حكَّاماً ومحكومين، وإيَّانا والكذب حكَّاماً ومحكومين. أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

256ـ خطبة الجمعة: (الضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي، وَالقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لما تسلَّم سيدنا أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه زِمامَ الخلافةِ وأمورَ أمَّة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وَقَفَ في اليومِ الأوَّل من خلافتِهِ ليعطيَ درساً لكلِّ خليفةٍ وراعٍ وحاكمٍ إلى قيام الساعة، كيف تكون الإمارة.

أولاً: الأميرُ والراعي ليسَ هو خير رعيَّته، فَلَرُبَّما كان في الرعيَّة من هو خيرٌ منه.

ثانياً: بيَّن للأمَّة بأنَّ الراعي والحاكم هو فردٌ من أفرادِ هذه الأمة، يجري عليه الخطأ كما يجري على أفراد رعيَّته، لأنَّه مشمولٌ بالحديث الشريف الذي رواه الحاكم والترمذي عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم: (كل بني آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون).

ثالثاً: أساسُ قيامِ المجتمعِ المتماسكِ هو الصدقُ من الراعي أولاً نحو رعيَّته، ثمَّ الصدقُ من الرعيَّة نحو راعيها، فقال رضي الله عنه مبيَّناً هذه الأمور الثلاثة بقوله: (أَيّهَا النّاسُ! فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي؛ وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي، الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ).

إقرار مبدأ العدل بين الناس:

أيها الإخوة الكرام: الصدِّيقُ رضي الله عنه عندما قال: (الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ). قال بصدقٍ لرعيَّته: (وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللّهُ، وَالقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللّهُ).

لقد بيَّن الصدِّيقُ رضي الله عنه في خطبته هذه، بأنَّ مُهمَّةَ الحاكمِ والراعي والمسؤولِ أن يوصلَ الحقَّ لصاحبه، سواءً كان ضعيفاً أم قوياً، فقيراً أم غنياً، مَسُوداً أم سيِّداً، وإلا فما هي وظيفته؟

أيها الإخوة الكرام: إنَّ إقامةَ العدلِ بين الناسِ أفراداً وجماعاتٍ ودولاً ليست من الأمور التطوُّعية التي تُتْرَكُ لمزاجِ الحاكم والأمير، بل إقامةُ العدلِ من أهمِّ الواجباتِ وأَقْدَسِهَا، لذلك وَجَبَ على الحاكِمِ أن يقيمَ العدلَ بين أفرادِ رعيَّته دون النظرِ إلى اللسان أو العِرْق، أو المنزلةِ الاجتماعية، يَجَبَ عليه أن يعدلَ بين المتخاصِمِينَ،

ويحكُمَ بالحق، ولا يهمُّهُ شأنُ المحكومِ له أو عليه، وذلك لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقَيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}. ولقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون}.

تعرَّف على حقيقةِ الإمارة:

يا عبادَ الله: الناسُ يقتَتِلون على الإمارة لأنَّهم لا يعرفون ماهيَّتها، ولقد بيَّنَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حقيقةَ الإمارة وماهيَّتها:

أولاً: روى البزار والطبراني عَنْ عَوْفِ بن مَالِكٍ رَضِيَ الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْتُكُمْ عَنِ الإِمَارَةِ وَمَا هِيَ؟ فَقُمْتُ فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي ثَلاثَ مَرَّاتٍ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَوَّلُهَا مَلامَةٌ، وَثَانِيهَا نَدَامَةٌ، وثَالِثُهَا عَذَابٌ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلا مَنْ عَدَلَ).

يا عبادَ الله، هل رأيتم عاقلاً يَحْسِدُ أميراً على إمارته؟ وحاكماً على حُكمه؟ وراعياً على رعيَّته؟ إذا لم يعدل الراعي والحاكم بين أفرادِ رعيَّته، فإنَّ إمارته أوَّلُها ملامةٌ، وثانيها ندامةٌ، وثالثُها عذابٌ يوم القيامة.

فيا أيُّها الحاكم والراعي إذا أردت السلامة من الملامةِ والندامةِ والعذابِ يومَ القيامةِ، فاعدِل.

ثانياً: روي الإمام أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ الله عنه، عَن النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ

وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، إِلا أَتَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَغْلُولاً يَوْمَ القِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَكَّهُ بِرُّهُ، أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ، أَوَّلُهَا مَلامَةٌ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ القِيَامَةِ).

هل سَمِعَ هذا الحديث كلُّ راعٍ من الدائرة الضيِّقةِ إلى الدائرةِ الواسعةِ؟ هل سَمِعَ هذا الحديث كلُّ من ولَّاه الله تعالى على رعيَّة من خلقه من أصغرِ دائرةٍ إلى أوسعِهَا؟ هل سَمِعَ هذا الحديث كلُّ مسؤولٍ يريدُ سلامته يوم القيامة من نارِ جهنَّم؟

يا من استرعاه الله تعالى على أمرِ هذه الأمة، اِعلم بأنَّك ستأتي يوم القيامة ويَدُكَ مغلولةٌ إلى عنقك، فإمَّا أن يَفُكَّكَ بِرُّكَ، وإما أن يُوْثِقَكَ جَوْرُكَ، ويُخْزيكَ الله تعالى يوم القيامة.

بالعدلِ تُقَدَّسُ الأُمَّةَ:

أيها الإخوة الكرام: الإمارة مسؤوليَّةٌ كبرى، لأنَّ الأمة كلَّها في عنق الإمام، يُقَدِّسُ اللهُ تعالى الأمَّةَ إذا عَدَلَ الإمامُ في رعيَّته، روى الطبراني عَنْ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفيانَ رَضِيَ الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (لا تُقَدَّسُ أُمَّةٌ لا يُقْضَى فِيهَا بِالْحَقِّ، وَيَأْخُذُ الضَّعِيفُ حَقَّهُ مِنَ القَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ).

فيا مَنْ يريدُ القداسَةَ لأمتهِ وشعبهِ، عليك بالعدلِ بين أفرادِ رعيَّتك، وإيَّاك والجورَ والظلمَ، فإنَّ الجورَ والظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة.

لا تتوهَّم أيُّها الحاكم:

يا عباد الله، من تربَّى في مدرسة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

وسلم فإنَّه يكونُ على بصيرةٍ من أمره، وإلا فهو مطموسُ البصيرةِ، مغرورٌ بإمهالِ الله تعالى له إن كانَ جائراً وظالماً.

وأنا أقول لكلِّ ظالمٍ من المسؤولين والحُكَّام: لا تتوهَّم بأنَّ الله تعالى لن يقتصَّ منك إذا لم تعدل بين أفرادِ رعيَّتك، لا تتوهَّم إنْ أمهلكَ الله تعالى، فالله تعالى لكَ بالمرصاد إنْ لم تعدل، وليسَ بغافلٍ عنكَ، كيف لا يَقْتَصُّ الله تعالى منك إنْ كنتَ جائراً ظالماً لعباده؟ كيفَ لا يَقْتَصُّ منكَ، وهو الذي يَقْتَصُّ للحيوانات من بعضها البعض يوم القيامة؟ اسمع أيُّها الموْهُوم:

أولاً: روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه: أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ رَأَى شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ: هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانِ؟) قَالَ: لا، قَالَ: (لَكِنَّ الله يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا). فإذا كان يقضي بين شاتين تنتطحان، فكيف لا يقضي ربُّنا بالعدلِ بين الظالمِ والمظلومِ؟

ثانياً: روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِن الشَّاةِ القَرْنَاءِ). فأدِّ الذي عليكَ أيها الراعي، واعدِلْ بين أفراد رعيَّتك.

الظلمُ خرابٌ للبلاد:

يا عباد الله، بالعدلِ يُعمِّرُ اللهُ تعالى البلاد، وبالظلم تُخرَّبُ البلادُ، بالعدلِ يُعَمِّرُ الله تعالى البلاد ولو كانت فقيرةً، وبالظلم تُخرَّبُ البلادُ ولو كانت غنيَّةً، وليسْمَع كلُّ راعٍ إلى هذه المراسلة بين سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبعضِ عُمَّاله:

كَتَبَ بَعْضُ عُمَّالِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ مَدِينَتَنَا قَدْ خَرِبَتْ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُقْطِعَ لَنَا مَالاً نَرُمُّهَا بِهِ.

فَوَقَّعَ فِي كِتَابِهِ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَحَصِّنْهَا بِالْعَدْلِ، وَنَقِّ طُرُقَهَا مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّهُ مَرَمَّتُهَا. وَالسَّلامُ.

فيا من يريد عمارةَ بلاده، حَصِّنْ بَلَدَكَ بالعدلِ بين أفرادِ رعيَّتك، ونقِّ الطُرُقَ من الظلم، فَصَلاحُها لا يكونُ بالمال، بل صلاحُها بالعدل، وقل لرعيَّتك كما قال الصدِّيقُ رضي الله عنه لرعيته: (الضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللّهُ، وَالقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللّهُ).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

فيا أيُّها الراعي الحاكمُ المسؤولُ:

إذا أردت الأمنَ والأمانَ في دنياكَ وآخرتكَ التي إليها معادُكَ، فعليكَ بالعدل.

وإذا أردت دوامَ الملك لك، وعَدَمَ زوالهِ حتى موتك، فعليك بالعدل.

وإذا أردت رِضَى الله تعالى عنك، ثمَّ رِضَى الخلقِ، فعليكَ بالعدلِ.

وإذا أردتَ سلامتكَ يوم القيامة بين يدي الله تعالى أعدلِ العادلين، فعليكَ بالعدل.

وإذا أردتَ عاقبةً حميدةً في الدنيا والآخرة، فعليكَ بالعدلِ.

وإذا أردتَ ذِكْراً صالحاً بين الناسِ بعدَ موتِكَ، فعليكَ بالعدلِ.

وإذا أردتَ أن لا يُسَوِّدَ اللهُ وجهكَ في الدنيا والآخرة، فعليكَ بالعدل

وإذا أردت أن لا تندمَ في الدنيا والآخرة، فعليكَ بالعدلِ.

وإلا:

فَسَتَتَخَبَّطُ في الظُلُماتِ دُنْيَا وأُخرى، قال تعالى: {وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّور}.

وسوف تكونُ من أهلِ النارِ يومَ القيامة، وسَيَأْخُذُكَ الله تعالى أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ عاجلاً أم آجلاً.

وسيُبْغِضُكَ الله تعالى، ويُلقي في قلوبِ عبادِهِ بُغْضَكَ.

وسَتُحْرَمُ من شفاعةِ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبموتِك يستريحُ العبادُ والبلادُ والحجرُ والشجرُ حتى الدوابُّ.

يا عباد الله، أُؤَكِّدُ على نفسي وعليكم أن لا نُخْرِجَ أنفسنا من هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، لأنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) رواه الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. فلا تَقْصِرُوا هذا على الحاكم فقط، فالكلُّ مسؤولٌ عن العدلِ، فكن عادلاً مع زوجتكَ وأولادكَ وشركائكَ، ومع مَن تتعامل معهم، واحذرِ الظُّلْمَ فإنَّ الظُّلْمَ ظُلماتٌ يوم القيامة.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**　　**　　**

257ـ خطبة الجمعة: (هلاك الأمة بالجَوْرِ والظلمِ)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد أرسى الصدِّيق رضي الله عنه مبدأ العدل والمساواة بين أفراد رعيَّته، فقال: (وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللّهُ، وَالقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللّهُ) رواه ابن هشام في السيرة.

العدلُ يجمعُ كلمةَ الأمةِ، ويوحِّدُ صفَّها، ويجعلُها كالبنيان المرصوص، والجَوْرُ والظلمُ يُفرِّقُ الكلمةَ، ويمزِّقُ الصفَّ، ويُشتِّتُ شملَ الأمة.

جاءَ الصدِّيق رضي الله عنه ليُرْسِيَ مبدأ العدل الذي تربَّى عليه في مدرسة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ولِيُعلِّمَ الأمة أنَّ إقامةَ العدلِ ليسَت مقصورةً على زمن المعصوم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، بل هي فرضٌ وواجبٌ على كلِّ حاكمٍ وراعٍ ومسؤولٍ ورئيسٍ جاء بعد سيِّدِ الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلى قيام الساعة.

لقد أطلَّ الصدِّيقُ رضي الله عنه على الأمة عندما تسلَّم زِمامَ الخلافةِ، وقالَ، وهو الصادق في قوله: (وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللّهُ،

وَالقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللهُ).

قال هذه الكلمات بصدقٍ، ولم يقلها تجمُّلاً، ولم يقلها كذباً ونفاقاً حاشاه من ذلك، قال هذه الكلمة أمام الرعيَّة، وصدَّقَ قولَه بالعملِ والسلوكِ.

هلاك الأمة بالجَوْرِ والظلم:

يا عباد الله، الإسلام جاء ليُرْسِيَ قواعدَ العدل، لأنَّه بالعدل يصلُحُ حالُ الدنيا، وتعمرُ البلاد، وتنمو الأموال، ويأمنُ به السلطانُ، وليس شيء أسرعَ من خراب الأرض، ولا أفسدَ لضمائر الخلق من الجَوْرِ، لأنَّه ليس يقفُ على حدٍّ، ولا ينتهي إلى غايةٍ.

العدل ميزانُ الله تعالى الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق، والذي يعين على إقامة العدل، قلَّةُ الطمع، وكَثْرَةُ الورع.

فمن ترك العدل من الحكام والملوك والأمراء والرؤساء جارَ وظلمَ، وبذلك يمزِّقُ أمَّته بيده، ويشتِّتُ شمل رعيَّته بإرادته، ولا يستغرب بعد ذلك من سفكِ الدماءِ، ودمارِ البلادِ، لأنَّ الجَوْرَ والظلمَ سببٌ لهلاك الأمة، وهذا ما أكَّده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا).

هل سمع هذا حكَّامُنا وحكَّامُ العرب والمسلمين؟ فهلاكُ الأمة بالجَوْرِ والظلمِ

والتمييزِ بين قريبٍ وبعيدٍ، ومسؤولٍ وغير مسؤولٍ.

الحاكم أمام القضاء:

يا عباد الله، العدل في الإسلام ليس نظريَّاً، بل واقعٌ وحقيقةٌ، الكلُّ أمامَ شرعِ الله تعالى واحدٌ، سواءً كان حاكماً أم محكوماً، مسلماً أم كافراً، العدل في الإسلام جمع الأمة من شتات، وأحياها من مَوَاتٍ، وبه صارت الأمة شيئاً مذكوراً بين الأمم، بل كانت خيرَ أمَّةٍ أُخرجت للناس.

يا عباد الله، سيدنا عليٌّ رضي الله عنه افْتَقَدَ درعًا له، أصاب الدرع في يد يهودي يبيعها في السوق، فقال له: يا يهودي، هذا الدرع درعي، لم أبعِ ولم أهَبَ.

فقال اليهودي: درعي وفي يدي.

فقال علي رضي الله عنه: نصيرُ إلى القاضي، فتقدما إلى شُرَيْح، فجلس علي رضي الله عنه إلى جنب شُرَيْح، وجلس اليهودي بين يديه.

فقال شُرَيْحٌ: قل يا أمير المؤمنين.

فقال: نعم، أقول: إنَّ هذه الدرعَ التي في يدِ اليهودي درعي، لم أَبِعِ ولم أَهَبَ.

فقال شُرَيْحٌ: يا أمير المؤمنين بَيِّنَة.

قال: نعم، قنبر والحسن والحسين يشهدون أن الدرع درعي.

قال: شهادة الابن لا تجوز للأب.

فقال: رجلٌ من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ) رواه الإمام

أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدَّمني إلى قاضيهِ، وقاضيهِ قضى عليه؟ أشهد أن هذا الحق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الدرعَ درعُك، كنتَ راكباً على جملك الأَوْرَقِ وأنت مُتَوَجِّهٌ إلى صِفِّيْن، فوقعت منك ليلاً، فأخذتها قال: أما إذا قلتها فهي لك، وحمله على فرسٍ . رواه البيهقي في السنن الكبرى.

أيُّها الإخوة الكرام: الإمام العادل لا يُخيفُ رعيَّته من حيث سلطتُه وقوتُه، بل يخيفهم بعدله، الإمام العادل لا يكمُّ الأفواه، ولا يقول لرعيَّته: {مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى} .

الإمام العادل جميع أفراد رعيَّته تتكلَّم معه بدون تعتعةٍ وبدون خوفٍ، أمَّا الجائر الظالم فلا يستطيع أحدٌ أن يقول كلمة الحق إلا من كان موصوفاً بقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ) رواه الترمذي عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه. وبقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (سيِّد الشهداء حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ، ورجلٌ قامَ إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) رواه الحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

الإمام العادل هو الذي يقول لخصمٍ من خصومه من أفراد رعيَّته ولو كان كافراً: (نصيرُ إلى القاضي).

الإمام العادل هو الذي لا يُرْعِبُ قاضيه، ويجعلُهُ يقول كلمة الحق كما قال شُرَيْحٌ:(شهادة الابن لا تجوز للأب). ولو كان الأب والولد مُبَشَّرَيْنِ بالجنة.

هذا هو الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، هذا هو العدل في الإسلام الذي هابه الغربُ والشرقُ والحُكَّام، هذا هو العدلُ الذي لن نَجِدَهُ لا في دولةٍ علمانيَّةٍ ولا مدنيَّةٍ ولا ليبراليَّةٍ، العدل الذي يجعل الحاكمَ والمحكومَ سواء لن يكون إلا في الإسلام.

فمن أراد الصلاحَ والإصلاحَ لأمَّته ولشعبه ولرعيَّته فعليه بالعدل، وإيَّاه والجَوْرَ والظلمَ.

العدل في الإسلام لا يُمَيِّزُ بين ملكٍ وأعرابيٍّ:

أيُّها الإخوة الكرام: العدل الذي جاء به الإسلام وربَّى عليه أتباعه، لا يُفرِّقُ بين حاكمٍ ومحكوم، ولا بين ملكٍ وأعرابيٍّ، الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع، لأنَّ المحاباة مَفْسَدَةٌ للدين والدنيا.

يا عباد الله، تذكرُ لنا كتب السيرة جَبَلَةَ بنَ الأيهم آخرَ أمراءِ الغساسنةِ، بدا له أن يدخل في الإسلام، فأسلم، وأسلم معه ذووه، وكتب إلى الفاروق يستأذنه بالقدوم إلى المدينة.

ففرح الفاروق بإسلامه وقدومه، فجاءَ إلى المدينة وأقام بها زمناً، والفاروق يرعاه ويرحب به، ثم بدا له أن يخرج إلى الحج، وفي أثناء طوافه بالبيت الحرام وطِئَ إزارَه رجلٌ من بني فزارة فحلَّهُ، وغَضِبَ الأمير الغساني لذلك. وهو حديث عهدٍ بالإسلام. فلطمَه لطمةً قاسيةً هشَّمَت أَنْفَه، وأسرع الفزاري إلى أميرِ المؤمنين يشكو إليه ما حلَّ به، وأرسل الفاروق إلى جبلة يدعوه إليه، ثم سأله فأقرَّ بما حدث، فقال له عمر: ماذا دعاك يا جبلة لأَن تظلمَ أخاكَ هذا فتهشِّمَ أَنْفَه؟

فأجاب: بأنَّه قد ترفَّق كثيراً بهذا البدوي، وأنه لولا حرمة البيت الحرام لأخذتُ الذي فيه عيناه.

فقال له عمر: لقد أقرَرْتَ، فإما أن تُرْضِيَ الرجلَ وإما أن أقْتَصَّ له منك.

وزادت دهشةُ جبلةِ بنِ الأيهمِ لكلِّ هذا الذي يجري، وقال: وكيف ذلك وهو سُوْقَةٌ وأنا ملكٌ؟

فقال عمر: إنَّ الإسلام قد سوَّى بينكما.

فقال الأمير الغساني: لقد ظَنَنْتُ يا أميرَ المؤمنين أن أكونَ في الإسلامِ أعزَّ مني في الجاهلية.

فقال الفاروق: دع عنك هذا، فإنك إن لم تُرْضِ الرجل اقتصصتُ له منك.

فقال جبلة: إذاً أَتَنَصَّرُ.

فقال عمر: إن تَنَصَّرْتَ ضربتُ عنقك، لأنَّك أسلمت، فإن ارْتَدَدْتَ قَتَلْتُكَ.

وهنا أدرك جبلة أن الجدال لا فائدة منه، وأن المراوغةَ مع الفاروق لن تجدي، فطلب من الفاروق أن يمهله ليفكِّر في الأمر، فأذن له عمر بالانصراف، وفكَّر جبلةُ بنُ الأيهم ووصلَ إلى قرارٍ، وكان غير موفَّق في قراره، فقد آثر أن يغادر مكة هو وقومُه في جنح الظلام، وفرَّ إلى القسطنطينية. رواه ابن عساكر.

أيُّها الإخوة الكرام: هل حَزِنَ سيدنا عمر رضي الله عنه على فراقِ جبلة؟ لأنَّه خَسِرَ ملِكاً أو أميراً؟ إن خسره فقد رَبِحَ الأمة بأسرها، حيث جعلها متماسكة، ولو تساهل الفاروق في هذا الموقف لأفسد رعيَّته.

بهذا الموقف ضرب الفاروق أروع الأمثلة لمن أراد أن يُرمَّ بلده من الخراب والدمار، ولمن أراد أن يحقن دماء المسلمين، ولمن أراد أن يجعل أمته وشعبه كالجسد الواحد.

ووالله لو قُدِّمَ القَتَلَةُ والظَّلَمَةُ ومَن عاثوا في الأرض فساداً في هذه الفتنة إلى القضاء العادل، وحُكِمَ عليهم بما حَكَمَ عليهم الشرعُ الشريفُ، لحُقِنَت الدماء، وأُطْفِئت نارُ الفتنة.

سوف تعلمُ يا غُدَرُ:

يا عباد الله، لا يقيم العدلَ بين العباد إلا من استحضر وقوفه بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وإلا فعنده مكيالان، يُحاسِبُ الشريفَ بما لا يُحاسِبُ به الضعيفَ، و يُحاسِبُ القريبَ بما لا يُحاسِبُ به البعيد، و يُحاسِبُ المحسوب بما لا يُحاسِبُ به غير المحسوبِ.

لِيَسْمَعِ الغافل عن يوم القيامة قول الله تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِين * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُون * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُون * أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين}.

وليسْمَع من ظَلَمَ مَنْ لم يجد ناصراً غيرَ الله تعالى الحديثَ الشريف الذي رواه ابن ماجه عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنهما قَالَ: (لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم مُهَاجِرَةُ البَحْرِ، قَالَ: أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ؟

قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ

بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا، فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ الله الكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَت الأَيْدِي وَالأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا.

قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم: صَدَقَتْ، صَدَقَتْ، كَيْفَ يُقَدِّسُ الله أُمَّةً لا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ).

اِسمع يا من قَتَلَ بدون حق، يا من سَفَكَ دماء الأبرياء، يا من روَّع المسلمين، يا من روَّع النساء والأطفال، يا من يتَّمَ الأطفال، ورمَّل النساء، يا من هَدَرَ الأموال، يا من أخذ ما لا يحلُّ له، اسمع كلام هذه المرأة: (سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ الله الكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَت الأَيْدِي وَالأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، بالعدل قامت السموات والأرَضين، بالعدل تُحْقَنُ الدماء، بالعدل تُحفَظُ الأموال، بالعدل يعيشُ الناسُ بالأمن والأمان، وبالعدل تُقدَّسُ الأمة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم القائل: (كَيْفَ يُقَدِّسُ الله أُمَّةً لا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ).

فيا حُكَّام العرب والمسلمين، إذا أردتم أن يقدِّس اللهُ أمَّتَكم وشعبَكم فاعدلوا، وإيَّاكم والجَوْرَ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

258 ـ خطبة الجمعة: (لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ سَلَفَ هذه الأمَّة قد أتعبَ خَلَفَها، وإنَّ خلفاءَ هذهِ الأمَّة من سلفها قد أتعبوا جميعَ الخلفاءِ والأمراءِ والملوكِ والرؤساءِ، حيث نظروا إلى الإمارةِ أنَّها مغرمٌ وليست مغنماً، والكثير من الخلفِ نظروا إليها أنَّها مغنمٌ وليست مغرماً.

لقد أتعبَ الصِّدِّيق رضي الله عنه جميع ولاةِ الأمور إلى قيام الساعة، ساعةَ أن أطلَّ على رعيَّتِهِ وأمَّتِهِ وعرَّفهم على أنَّ الواليَ والأميرَ والخليفةَ والحاكمَ ليس أفضلَ من رعيَّته، وأنَّه ليس بمعصومٍ عن الخطأ، فقال: (أَيّهَا النّاسُ! فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي؛ وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي).

وعرَّفهم بأنَّ الراعيَ والخليفةَ والأميرَ يجب أن يكونَ صادقاً مع رعيَّتِهِ قبل أن تكونَ الرعيَّةُ صادقةً معه، فقال: (الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ).

وعرَّفهم بأنَّ مهمَّةَ الراعي العدلُ في رعيَّتِهِ، فالقويُّ فيهم ضعيفٌ عنده، والضعيفُ فيهم قويٌّ عنده، حتى يأخذَ كلُّ صاحبِ حقٍّ حقَّه، فقال: (وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللّهُ، وَالقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الحَقَّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللّهُ).

مهمَّةُ وليِّ الأمر:

يا عباد الله، لقد بيَّن الصِّدِّيق رضي الله عنه أنَّ مهمَّةَ وليِّ الأمرِ الجهادُ في سبيل الله تعالى، فقال: (لا يَدَعُ قَوْمٌ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ إلا ضَرَبَهُم اللهُ بِالذُّلِّ).

هذا الجهادُ الذي ألزم الله تعالى به أولياءَ الأمورِ من أجل ضمانِ الكُلِّيَّات الخمس التي تحدَّث عنها الفقهاء والعلماء، أو الضروريَّاتِ الخمس:

الأولى: حفظُ الدينِ، فيجب على الحاكمِ أن يكونَ أميناً على دين الله تعالى، وأن يكونَ حارساً للقرآن العظيم، والسنَّةِ النبويَّةِ الشريفةِ، وأن يذودَ عن هذا الدين. هذه هي مهمَّتهُ الأولى.

الثانية: حفظُ النفسِ، فيجب على الحاكمِ أن يكونَ أميناً على حياة أمَّته ورعيَّته، فالنفس مقدَّسةٌ في دين الله تعالى، فمن أحياها فقد أحيا الناس جميعاً، ومن قتلها فقد قَتَلَ الناس جميعاً.

الثالثة: حفظُ العقلِ، فيجب على الحاكمِ أن يكونَ أميناً على عقول الأمَّة، من حيث العلومُ النافعةُ في الدين والدنيا، ومن حيث سلامتُها بمراقبة أفراد الرعيَّة من تناول المسْكِرات.

الرابعة: حفظُ النسلِ والنسبِ، فيجب على الحاكمِ أن يكونَ أميناً وحارساً لنسل

الأمَّة ونسبها، وذلك بمحاربةِ الفاحشةِ والسُّبُلِ الموصلةِ إليها، لأنَّ انتشار الفاحشةِ في المجتمع يُضَيِّع الأنسابَ والنسلَ.

الخامسة: حفظُ المالِ، فيجب على الحاكم أن يكون أميناً وحارساً للأموال العامَّة والخاصَّة، وأن يُقيمَ حدودَ الله تعالى من أجل المحافظة على الكُلِّيَّات الخمس أو الضروريَّات الخمس.

يا عباد الله، يجب على الخليفة والراعي والمسؤول أن يرعى هذه الضروريَّات الخمس، فإن اعتُدِيَ على دينِ الأمَّة، أو على حياة أفرادها، أو على عقولها، أو على نسلها ونَسَبِها، أو على مالها، وَجَبَ عليهِ أن يُعْلِنَ الجهادَ على المعتدي، وإن تَرَكَ الجهادَ ضُرِبَ بالذُّل، وكان سبباً في ضربِ أمَّتِهِ بالذُّل، وهذا ما أَكَّده الصِّدِّيق رضي الله عنه بقوله: (لا يَدَعُ قَوْمٌ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله إلا ضَرَبَهُم اللهُ بِالذُّلِّ).

الصِّدِّيق رضي الله عنه فَهِمَ هذا من حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُم الجِهَادَ، سَلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلاً لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ) رواه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما.

فالأمَّة لا تُصاب بالذُّلِّ والهوانِ إلا إذا تركت الجهادَ في سبيل الله تعالى، لذلك وجَّه الصِّدِّيق رضي الله عنه تلك الكلمةَ للأمَّة، وأتعب قادتها بعد ذلك إلى قيام الساعة، إلا أن يرجعوا إلى دينهم.

اِعلم أيُّها الراعي الحاكم المسؤول ما يلي:

يا عباد الله: من كلمة الصِّدِّيق رضي الله عنه: (لا يَدَعُ قَوْمٌ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ إلا

ضَرَبَهُم اللهُ بِالذُّلِّ).

يجب على الراعي الحاكم المسؤول الذي تولى زِمامَ أمورِ الأمَّة أن يَعْلَمَ من خلال هذه الكلمة الأمورَ التالية:

أولاً: الجهاد في سبيل الله فريضةٌ ماضيةٌ إلى قيام الساعة: سواءً كان جهاداً للنفس، أو جهاداً للشيطان، أو جهاداً للكفار، أو جهاداً للمنافقين، ولكلِّ نوعٍ من أنواع هذا الجهاد حكمةُ وفقههُ، ولا بدَّ للمسلم أن يعرف كلَّ ما يتعلَّقُ بالجهاد من أحكام.

فالجهاد في سبيل الله هو ذروةُ سَنَامِ الإسلام، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أنَّ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: (أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ).

وهو أفضلُ الأعمالِ الصالحةِ، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (الإِيمَانُ بِالله، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ).

بل حذَّر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الأمَّة من حاكمِها إلى محكومِها من تركِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ فقال: (مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ) رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ثالثاً: لن يَصْلُحَ حال هذه الأمَّة إلا بما صَلُحَ به أوَّلُها: وهذا ما أكَّده الإمام مالك رحمه الله تعالى عندما قال: (لن يصلحَ آخر هذه الأمَّة إلا بما صَلُحَ به أوَّلها). وما صَلُحَت هذه الأمَّة إلا بهذا الدين الذي جمعها من شَتاتٍ، وأحياها من مَوَاتٍ، فصارت به شيئاً مذكوراً بين الأمم، فَهَابَهَا القاصي والداني، حتى دفعت لها الجزيةَ الأعاجم، قال تعالى: {وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون}. وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوص}. وذروة سَنَام هذا الدين الجهادُ في سبيل الله.

ثالثاً: التفريط في الأحكام الشرعية سبب الذُّلِّ والهوان: ما يصيبُ هذه الأمَّةَ من ذُلٍّ وهوانٍ هو بسبب تقصيرها في الأحكام الشرعية، والتي من جملتها ما قاله الصِّدِّيق رضي الله عنه للأمة: (لا يَدَعُ قَوْمٌ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله إلا ضَرَبَهُم الله بِالذِّلّ).

فهل يليقُ بالمسلمين اليوم بعددهم وعُدَّتِهم وخيراتهم وثرواتهم وممتلكاتهم أن تتهافت عليهم الدول كتهافت الفراش على النار؟ هل يليق بالمسلمين اليوم أن تتداعى عليهم الصليبيَّةُ الحاقدة واليهودُ وأذنابُهم كما تتداعى الأَكَلَةُ على قصعتها؟ لقد صَدَقَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو يصف حال هذه الأمَّة، كما يروي الإمام أحمد وأبو داود عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُم الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ، كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ الله: أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ، قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ

تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ المَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُم الوَهْنَ، قَالَ: قُلْنَا وَمَا الوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الحَيَاةِ، وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ).

يا عباد الله: لقد تَدَاعَتِ الأُمَمُ علينا سابقاً حتى احتُلَّتِ البلادُ، واسْتُبِيْحَتِ الأعراضُ، وسُلِبَتِ الخيراتُ والأموالُ، حتى أكرمنا اللهُ تعالى بانجلائها عنَّا، ولكن من العجيبِ أن نسمع اليومَ من يدعو هؤلاء المجرمين الذين فعلوا الأعاجيبَ بالمسلمين في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها مَن يدعوهم للتدخُلِ في شؤوننا.

يا عباد الله: صلاحُنا وإصلاحُنا لا يكونُ إلا بالتزامِ دينِ اللهِ تعالى حُكَّاماً ومحكومين، ولا يكونُ إلا بالاصطلاحِ مع الله تعالى، وإلا فيكونُ حالُنا كحالِ المستجيرِ من الرمضاءِ بالنارِ ـ لا قدَّر الله تعالى ـ إذا تدخَّلَت الصليبيةُ الحاقدةُ في شؤوننا.

لقد أصبحَ المسلمونَ اليوم طُعمةً للكافرين، ونُهبةً للجائرين، بسبب هوانِ أوامرِ الله تعالى عندهم، وعندما هانت أوامرُ اللهِ تعالى عندهم هانوا على الله، فسلَّط الله عليهم عدوَّهم.

نصيحتي لأولياءِ الأمورِ:

يا عباد الله، أقدِّم نصيحتي لأولياءِ الأمورِ إذا أرادوا سعادةَ الدنيا والآخرة فأقول:

أولاً: اتخذوا بِطانةً صالحةً تُذَكِّرُكم بالله تعالى، تُذَكِّرُكم بالحقائق التي قالها الصِّدِّيق رضي الله عنه: (وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي؛ وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي. الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ. وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللهُ، وَالقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ

اللهُ. لا يَدَعُ قَوْمٌ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله إلا ضَرَبَهُمْ الله بِالذّلّ).

وتَذَكَّروا حديثَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قَالَ: (مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلا خَلِيفَةٍ إِلا وَلَهُ بِطَانَتَانِ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ المُنْكَرِ، وَبِطَانَةٌ لا تَأْلُوهُ خَبَالًا، وَمَنْ وُقِيَ شَرَّ بِطَانَةِ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ. يَقُولُهَا ثَلاثًا. وَهُوَ مَعَ الْغَالِبَةِ عَلَيْهِ مِنْهُمَا).

ثانياً: لا تَسْتَنْطِقُوا الرُوَيْبِضَة أو الفُوَيْسِقَةَ من الناس في أمورِ الأمَّة وأحداثِها الهامة، وخذوا بوصيَّةِ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ).

يا أولياءَ الأمورِ: لا تَسْتَنْطِقُوا السفهاءَ في أمورِ العامَّة، بَلِ اسْتَنْطِقُوا واستَشِيرُوا أهلَ العلمِ والفضلِ، أهلَ الرأيِ السديدِ الذينَ يخافونَ الله تعالى، استَنْطِقُوا من يعرف الكُلِّيَّاتِ والضروريَّاتِ الخمس، استَنْطِقُوا من يعرفُ قيمة الدين، ويغارُ على الأنفس والنسلِ والنسب، ويحترمُ عقولَ الآخرين، ويكون حريصاً على مال الآخرين.

يا عباد الله، السَّفيهُ يُحْجَرُ عليه ويُمْنَعُ من تصرفاتِهِ الخاصَّةِ به، فكيفَ يُسْتَنْطَقُ ويُسْتَشارُ في الأمورِ العامَّةِ للأمَّة؟

ثالثاً: قدِّموا مقتضيات العقيدة، وموجبات الشريعة، ومصلحةَ الدين، وحبَّ اللهِ ورسولِهِ، والجهادَ في سبيل الله والحرصَ ورعايةَ الضروريَّات الخمس على كلِّ أواصر

القربى، ومناصبِ الدنيا ولذائذها، وكونوا على يقينٍ أن ذلك هو سبيل الصلاحِ والإصلاحِ، واستمعوا إلى هذا التحذيرِ والوعيدِ الذي تتَّقدُ منه الضلوعُ، والتهديدِ الذي تموتُ له القلوبُ وتسيلُ له الدموعُ، قال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

رابعاً: أعيدوا صياغةَ الحياةِ في بلادكم وفقَ رسالةِ الإسلام، أعيدوا الإصلاحَ الشاملَ الكاملَ عقدياً وأخلاقيَّاً وسلوكيَّاً واجتماعيَّاً واقتصاديَّاً، وتذكَّروا قول الله تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: لن يُصْلِحَ أمرَ هذه الأمَّة إلا العودةُ إلى كتابِ الله تعالى، حكَّاماً ومحكومين، وأن نرعى الكلِّيَّاتِ الخمس، فلنحافظ على ديننا وأعراضنا ونسلنا وعقولنا وأموالنا وِفْقَ المنهج الذي رسمه لنا ربنا عز وجل في القرآن العظيم. نسأل الله تعالى أن يردَّنا إلى دينه ردَّاً جميلاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

259ـ خطبة الجمعة: (وَلا تَشِيعُ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ إلا عَمّهُمْ اللّهُ بِالبلَاءِ)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

عندما تسلَّمَ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه زِمامَ الأمَّة، وذلك بعد وفاةِ الحبيبِ الأعظمِ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وعَلِمَ أنَّه صارَ مسؤولاً عن الأمَّةِ يوم القيامة، أطلَّ على الأمَّةِ، وخاطبها بكلماتٍ صارت درساً لكلِّ وليِّ أمرٍ، فقال ممَّا قال: (وَلا تَشِيعُ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ إلا عَمّهُمْ اللّهُ بِالبَلَاءِ).

والمقصود بالفاحشةِ الزنى، وذلك لقوله تعالى: {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً

وَسَاء سَبِيلاً}.

كيف تُصانُ الضروريَّاتُ الخمسُ؟

يا عباد الله، يجب على الأمَّة أن تصونَ الضروريَّاتِ الخمس، أو الكلِّيَّاتِ الخمس، وهي حفظُ الدينِ، وحفظُ الحياةِ، وحفظُ العقلِ، وحفظُ النسبِ، وحفظُ المالِ، ولن تُصانَ هذه الكلِّيَّات الخمس إلا بأمرين اثنين:

الأمر الأول: ربطُ الأمَّة بالله تعالى، وهذه من مهمَّات الحاكم، حيث يجب عليه أن يُذَكِّر الأمَّةَ باللهِ تعالى، وأن يحذِّرَهَا من مخالفةِ أمرِهِ.

الأمر الثاني: إقامةُ الحدودِ، لأنَّ هذه الكلِّيَّات الخمس لا تُصانُ إلا إذا شُرِّعت لها الحدود، فَشَرَّع الله تعالى حدَّ الردَّةِ، وحدَّ القتلِ، وحدَّ الخمرِ، وحدَّ الزنى والقذفِ، وحدَّ السرقةِ. وإقامةُ الحدودِ هي من مهمَّةِ وليِّ الأمر.

والاقتصارُ على أمرٍ دونَ الآخرِ لا يكفي، وذلك لتفاوتِ الناسِ في الإيمانِ.

ووليُّ الأمرِ لا يستطيعُ أن يقومَ بهذينِ الأمرينِ إلا إذا كان وليُّهُ اللهَ تعالى، وأما إذا كان وليُّهُ الشيطانَ فإنَّه يُعطِّلُ الأمرين الاثنين، قال تعالى: {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون}.

فمن كان اللهُ وليَّهُ فإنَّه يجعل الشرعَ الشريفَ هو المصدرَ الوحيدَ لتوجيه الأمَّة من أجل الحفاظ على الكلِّيَّات الخمس أو الضروريَّات الخمس، أما إذا كان الشيطانُ وليَّهُ فإنَّه يعطِّلُ الحدودَ ويجعلُ تشريعاً وضعيَّاً خاصَّاً بهِ، ويُعْرِضُ عن شرعِ الله تعالى، وبذلك يتخبَّطُ في الظُّلُمات في حياته الدنيا، ثمَّ يكون مصيرهُ إلى نارِ

جهنَّمَ وبئسَ المصيرِ.

سيدنا أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه كان الله وليَّاً له من دون الناس، فأقامَ الحدودَ، وربطَ الأمَّةَ باللهِ تعالى، وحذَّرهم من أن يعمَّهم الله تعالى بالبلاء، إذا فَشَا فيهم الزنى، فكان على نورٍ من ربِّهِ، وجعل الأمَّةَ على نورٍ من أَمْرِهَا.

وهذا ما تعلَّمه من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، الذي أقامَ الحدودَ، وربطَ الأمَّة بالله تعالى، حتى إذا وقعَ أحدٌ من الناس في ارتكابِ حدٍّ من الحدود، جاءَ مسرعاً إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قائلاً: يا رسول الله طهِّرني، فإني ارتكبت حدَّاً من حدود الله تعالى.

أيُّها الإخوة الكرام: عندما ابتعدَ الحكَّامُ وولاةُ الأمورِ عن دينِ الله تعالى تخبَّطوا في الظلماتِ، قال تعالى: {وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّور}. وأوقعوا رعيَّتهم في الظُلُمات، وعندما عطَّلوا حدودَ اللهِ تعالى، وحاولوا قطعَ صلة العباد بربِّهم عزَّ وجل انتشرت الفاحشةُ بلِ الفواحشُ في جميعِ صورها، حتى أحلُّوا بأنفسهم وبرعيَّتهم البلاءَ العظيمَ.

حاولوا أن يجعلوا سُلطَةً تشريعيَّةً من دون شرع الله تعالى فباؤوا بالفشلِ، أمَّا الصِّدِّيق رضي الله عنه فجَعَلَ السلطةَ التشريعيَّةَ هي كتابَ الله وسنةَ رسولهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبيَّنَ للناس من هوَ، وما هوَ، فقال: (أَيّهَا النّاسُ! فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي؛ وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي.

الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ.

وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللّهُ، وَالقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللّهُ.

لا يَدَعُ قَوْمٌ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ إلا ضَرَبَهُمْ اللهُ بِالذّلّ).

ثمَّ حذَّرَ الأمَّة من أن يُنزِلَ اللهُ تعالى بها البلاءَ العظيم، فقال: (وَلا تَشِيعُ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ إلا عَمّهُمْ اللهُ بِالبَلَاءِ).

من أين اسْتَقَى الصِّدِّيق هذا؟

معشرَ المسلمين: من أين اسْتَقَى الصِّدِّيقُ: (وَلا تَشِيعُ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ إلا عَمّهُمْ اللهُ بِالبَلَاءِ)؟

لقد عرفَ هذه الحقيقةَ واستقاها من أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، من الصادقِ المصدوق، من الذي قال الله جلَّ وعلا فيه: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}. من هذه الأحاديث الشريفة:

أولاً: أخرج الإمام أحمد عَنْ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَى، فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَى، فَيُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِقَابٍ).

وهل يفشو الزنى إلا بتعطيلِ حدِّ الزنى، وبقطعِ صلةِ العباد مع الله تعالى؟

ثانياً: أخرج الإمام مالك في الموطأ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: (مَا ظَهَرَ الغُلُولُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلا أُلْقِيَ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبُ، وَلا فَشَا الزِّنَى فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلا كَثُرَ فِيهِم الموْتُ، وَلا نَقَصَ قَوْمٌ المِكْيَالَ وَالميزَانَ إِلا قُطِعَ عَنْهُم الرِّزْقُ، وَلا حَكَمَ قَوْمٌ بِغَيْرِ الحَقِّ إِلا فَشَا فِيهِمْ الدَّمُ، وَلا خَتَرَ قَوْمٌ بِالعَهْدِ إِلا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِم العَدُوَّ).

نعم: لقد أُلقيَ الرعبُ في القلوب بسبب الغلول ـ وهي السرقة من الغنائم والأموال العامة ـ وكثُرَ الموتُ بسبب انتشارِ الزنى، وضاقَ الرِزقُ بسبب تطفيفِ الكيلِ والميزانِ، وكَثُرَ القتلُ بسبب الحكمِ بغيرِ الحقِّ، وسلَّط الله تعالى العدوَّ على الأمَّة بسببِ نقض العهد.

ثالثاً: أخرج الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَال: (إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَى).

وهذه الأمورُ الأربعةُ نراها في المجتمع، والمحفوظُ من حفظه الله تعالى.

رابعاً: أخرج الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُم الله يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلا يُزَكِّيهِمْ، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ).

وهل اجْتَرَأَ الرجلُ الكبيرُ الفاني على الزنى إلا بسببِ تعطيلِ الحدود من قِبَلِ الملك؟

خامساً: أخرج الإمام الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (مَن زَنَى وَشَرِبَ الخَمْرَ، نَزَعَ اللهُ مِنْهُ

الإِيمَانَ كَمَا يَخْلَعُ الإِنْسَانُ القَمِيصَ مِن رَأْسِهِ).

سادساً: أخرج ابن ماجه عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: مَتَى نَتْرُكُ الأَمْرَ بِالمعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَن المنْكَرِ؟ قَالَ: (إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ)، قُلْنَا يَا رَسُولَ الله: وَمَا ظَهَرَ فِي الأُمَمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: (المُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ).

وانظروا هل ترونَ في المجتمع ما حدَّثَ به النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أم لا؟

سابعاً: أخرج ابن ماجه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهما قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (يَا مَعْشَرَ المهَاجِرِينَ! خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ:

لَمْ تَظْهَر الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلا فَشَا فِيهِم الطَّاعُونُ، وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِم الَّذِينَ مَضَوْا.

وَلَمْ يَنْقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ، إِلا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ المؤُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ.

وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلا مُنِعُوا القَطْرَ مِن السَّمَاءِ، وَلَوْلا البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا.

وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلا سَلَّطَ الله عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.

وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ الله، إِلا جَعَلَ الله بَأْسَهُمْ

بَيْنَهُمْ).

يا عباد الله، هل عرفتم سَبَبَ الطاعونِ والأوجاعِ التي لم تكن في السلف، لماذا نزلت بالعباد؟

وهل عَرَفْتُم لماذا أُخِذَ الناسُ بالسنينَ وشدَّةِ المؤُونة، وجورِ السلطانِ؟

وهل عَرَفْتُم لماذا مُنِعَ الناسُ القَطْرَ؟ وإذا أُمْطِرُوا فبسببِ البهائم.

وهل عَرَفْتُم لماذا أخذَ عدوُّنا خيراتِنا وأموالَنا؟

وهل عَرَفْتُم لماذا جعلَ اللهُ البأسَ بيننا شديداً؟

يا عباد الله، لقد انتشرت الفاحشةُ في المجتمع، وكان لأجهزة الإعلام المسموعةِ والمرئيَّة الدورُ الكبيرُ في انتشارها، لأنَّ الصورَ الإباحيَّةَ والأفلامَ الإباحيَّةَ تُبَثُّ ليلاً ونهاراً بدون حياءٍ، حتى بدأ الأطفال يُنَشَّؤُون على ذلك من خلالِ أجهزةِ الإعلامِ والبرامجِ الخاصَّةِ بهم.

إنَّ المسؤولين عن الإعلامِ لا يراقبون الله تعالى في الأمَّة، فكانوا سبباً في انتشار الفاحشة، حتى أصبح الناس يسمعون بزنى المحارم والعياذ بالله تعالى.

والمسؤولُ عن المسؤولينَ عطَّلَ الحدودَ، وانقطعت صلةُ الكثيرِ من الناسِ بالله تعالى، حتى عمَّ البلاءُ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، ليسمع مَن عَطَّلَ حدودَ الله تعالى، وليسمع القائمون على أجهزة الإعلام، وليسمع الذين يحبون أن تشيعَ الفاحشةُ في المجتمعاتِ الإسلاميَّةِ، ليسمع

الجميعُ قولَ الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالله يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}.

بتعطيل الحدود شُيِّعَتِ الفاحشةُ، وبِبَثِّ الأفلامِ والصورِ الإباحيَّةِ شُيِّعَتِ الفاحشةُ، وبسبب شُيُوعِ الفاحشة عمَّ العذابُ الأليمُ.

وليسمع التُّجَّار أصحابُ المحلاتِ الذين يَعْرِضُونَ الألبسةَ النسائيةَ على الأصنامِ، ويَعْرِضُونَ الصور على أبواب محلَّاتهم: إنَّ هذا العرضَ من أسبابِ انتشارِ الفاحشةِ، وليسمعوا قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالله يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}.

أيُّها الحاكم اتَّقِ الله، وأقمِ الحدود على من تعدَّى على إحدى الكُلِّيَّاتِ الخمس، ووَجِّهِ الأمَّة إلى الله تعالى.

أيُّها المسؤول عن أجهزة الإعلام، اتَّقِ الله، ولا تكن سبباً في نشرِ الرذيلةِ فإنَّكَ راجعٌ إلى ربِّكَ، قال تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم}.

أيُّها التاجر اتَّقِ الله، ونظِّف محلَّكَ من الأصنامِ والصورِ الداعيةِ للفاحشةِ من حيث تدري ومن حيث لا تدري.

وإذا تعاونَ الحاكمُ مع المسؤولِ عن أجهزة الإعلام، مع التُّجَّار، على نشر الفاحشةِ، فليتحمَّلِ الجميعُ نتائجَ قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالله يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

260ـ خطبة الجمعة: ﴿أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

العطاءُ من اللهِ ابتلاءٌ، كما أنَّ المنعَ ابتلاءٌ، والخلافةُ والإمارةُ من الابتلاءِ الشديدِ لمن مُنِحَها، ولقد ابتلى اللهُ تعالى الصِّدِّيقَ رضي الله تعالى عنه بالخلافةِ، ولكن كان بفضلِ الله تعالى عليه ناجحاً في هذا الابتلاءِ.

والسرُّ في نجاحِهِ بعدَ توفيقِ اللهِ تعالى له أنَّه عَرَفَ نَفسَهُ، فلم تُغيِّرْهُ الخلافةُ، بل خَطَبَ في الأمَّةِ خطاباً رائعاً، جُعِلَ منه دستورٌ عمليٌّ لكلِّ أميرٍ وخليفةٍ إذا أرادَ النجاحَ في الابتلاءِ.

قال الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: (أَيّهَا النّاسُ! فَإِنّي قَدْ وُلّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْت بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْت فَأَعِينُونِي؛ وَإِنْ أَسَأْت فَقَوّمُونِي.

الصّدْقُ أَمَانَةٌ وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ.

وَالضّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيّ عِنْدِي حَتّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقّهُ إنْ شَاءَ اللّهُ، وَالقَوِيّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتّى آخُذَ الحَقّ مِنْهُ إنْ شَاءَ اللّهُ.

لا يَدَعُ قَوْمٌ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ إلا ضَرَبَهُمْ الله بِالذُّلِّ.

وَلا تَشِيعُ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطّ إلا عَمّهُمْ اللّهُ بِالبَلَاءِ). ثمَّ بعد ذلك أراد أن يفتح أعينَ وأسماعَ الناس عليه فقال: (أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَلا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ).

ما أعظمها من كلمة، لقد تدبَّر الصِّدِّيقُ رضي الله تعالى عنه قولَ الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ}. وعرَّفَ الأمَّةَ بأنَّ طاعةَ وليِّ الأمرِ ليست طاعةً عمياءَ، بل هي طاعةٌ مقيَّدةٌ بطاعةِ اللهِ، وبطاعةِ سيدنا رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فإذا أطاعَ الراعي اللهَ ورسولَهُ فعلى الرعيَّةِ الطاعةُ، وإلا فلا.

العاقل من الوُلاة هو من عرف نفسه:

يا عباد الله، سيدنا أبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه عَرَفَ حدَّهُ فوَقَفَ عنده، الخلافةُ ما غيَّرتهُ، بل هوَ على ما هوَ عليه، من معرفةِ ذاتهِ بأنَّه مأمورٌ وليسَ بآمرٍ، وأنَّهُ محكومٌ وليسَ بحاكمٍ، وأنَّهُ تابعٌ وليسَ بمتبوعٍ، لأنَّ المتبوعَ هو كتابُ اللهِ تعالى، وسيدُنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وصَدَقَ اللهُ تعالى القائل: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا}.

العاقلُ من وُلاةِ الأمورِ هو الذي لا يَتَعدَّى أوامرَ اللهِ تعالى، ولا أوامرَ سيدنا رسولِ

اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كيف يجترئُ على التَّعدِّي واللهُ تعالى يقول: {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا}؟

العاقلُ من وُلاةِ الأمورِ هو الذي يصرِّح تصريحاً واضحاً لرعيَّتِهِ بدونِ توريةٍ وبدونِ تعريضٍ، أنَّه يجبُ على الرعيَّةِ أن تطيعَهُ ما أطاعَ اللهَ ورسولَهُ، وإلا فلا طاعةَ لهُ عليهم، وهذا الصِّدِّيقُ الخليفةُ الأوَّلُ بعد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يصرِّحُ لرعيَّتِهِ بذلك، فيقول: (أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ).

العاقلُ من وُلاةِ الأمورِ هو الذي لا يريد من رعيَّتِهِ كذباً عليه، ولا نفاقاً له، ولا محاباةً، لأنَّ الكلَّ راجعٌ إلى اللهِ تعالى، الكلُّ عبيدٌ للهِ تعالى، وصَدَقَ اللهُ تعالى القائل: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}.

العاقلُ من وُلاةِ الأمورِ هو الذي يكون حريصاً على أن لا يتحسَّرَ يومَ القيامة، ويكونُ حريصاً على أن لا يكونَ مِمَّن قال اللهُ تعالى فيهم: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه}. لأنَّ هذه الحسرةَ لا تنفعُ يومَ القيامةِ، بل يُقالُ له بعد قوله: { مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه}: {خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوه}.

العاقلُ من وُلاةِ الأمورِ هو الذي يَستَحضِرُ مَوقِفَهُ ومَوقِفَ رعيَّتِهِ بين يديِ اللهِ تعالى، فما هوَ قائلٌ للهِ تعالى عندما أمرَ رعيَّتَهُ بمعصيةِ اللهِ تعالى؟

حقيقةُ الطاعةِ لوليِّ الأمرِ:

نعم يا عباد الله، لقد قال اللهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ}. ولكن يجب التنبيهُ إلى الآية الكريمةِ، قال أولاً: {أَطِيعُواْ اللّهَ}. طاعةً مطلقةً لا حدودَ لها، لأنَّه خالقٌ وَمُوجِدٌ، ثمَّ قال ثانياً: {وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ}. كذلك طاعةً مطلقةً لا حدودَ لها لأنَّه معصومٌ، وشَهِدَ الله تعالى له بقوله: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}. لذا قال في آيةٍ أخرى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا}.

ثمَّ قال ثالثاً: {وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ}. ما قال: وأطيعوا أولي الأمر منكم، حتى نعلم بأنَّ طاعتَهم مقيَّدةٌ في غيرِ معصيةِ اللهِ ورسولِهِ، فالطاعةُ لهم في مَعروفٍ.

وهذا ما أكَّده ربُّنا عزَّ وجل عندَ تمامِ الآيةِ بقوله: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ}. يعني إذا تنازَعَ الراعي مع رعيَّتِهِ وَجَبَ ردُّ هذا التنازعِ إلى اللهِ ورسولِهِ، لا إلى من أعلنوا حربَهم على الله تعالى بقولهم: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا}. وبقولهم: {عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ}. وبقولهم: {يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ}. لا إلى من قال الله تعالى فيهم: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}. ولا يُردُّ إلى الدولِ المستعمرةِ التي نَهَبَت خيراتِ العربِ والمسلمين.

ولكن مَن الذي يَرُدُّ التنازعَ للهِ ولرسولِهِ؟ الذي يَرُدُّ التنازعَ للهِ ولرسولِهِ، هو الذي آمن بالله تعالى واليومِ الآخر، كما قال تعالى في خِتامِ الآية: {إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}.

لا يَهُمُّنِي من يحكُمُنِي، بل يَهُمُّنِي كيف أُحْكَم:

يا عباد الله، قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ) رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنهما. والزبيبة هي حبَّةُ العِنَبِ الجافَّةِ.

من خلالِ هذا الحديثِ الشريفِ نقولُ: لا يهمُّنا من يحكُمُنَا، بل يهمُّنا كيف نُحكَم؟ لا يَهمُّنا اللِّسانُ، ولا الشَّكلُ، يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ) رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. يَهمُّنا كيف نُحكَم؟ وبأيِّ شيءٍ نُحكَم؟

نحنُ نسمعُ ونُطيعُ لمن يَتَبَصَّرُ الحقَّ، ولمن يسيرُ على الرشدِ، لا لمن يسيرُ وراءَ عقلهِ الذي قَصَرَهُ عن كتابِ اللهِ تعالى، وعن هديِ سيدنا رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، لأنَّ العاقلَ الحقَّ هو الذي قيَّد نفسَهُ بالكتابِ والسنةِ.

ليسَ في دِيننا طاعةٌ عمياءٌ:

أيُّها الإخوة الكرام: ليس في إسلامنا جهةٌ لها حقُّ الطاعةِ العمياءِ على الناسِ مهما كانت الجهةُ، سواءٌ أكانت من الحُكَّامِ، أو من الآباءِ، أو من الأزواجِ، المسلمُ يجبُ أن يكونَ على بصيرةٍ من أمرِهِ، فلا طاعةَ لوليِّ الأمرِ في معصيةٍ، ولا طاعةَ للأبوينِ في معصيةٍ، ولا طاعةَ للزوجِ في معصيةٍ، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِين}.

فالرعيةُ ليست مستعبَدةً للراعي والحُكَّام، والأبناءُ ليسوا مستعبَدين للآباءِ والأمهاتِ، والزوجاتُ لَسنَ مستعبَداتٍ للأزواجِ، فالراعي والرعيَّةُ والآباءُ والأمهاتُ

والأبناءُ والأزواجُ والزوجاتُ كلُّهم عبيدٌ لله تعالى.

الرعيَّةُ تسمعُ للراعي، والأبناءُ يسمعونَ للآباءِ والأمهاتِ، والزوجاتُ يسمعنَ للأزواجِ، ثمَّ يُخضِعونَ ما سمعوا إلى الكتابِ والسنةِ، ويتَّبِعونَ ما يُرضِي اللهَ تعالى، قال تعالى: {فَبَشِّرْ عِبَاد * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ}.

فلا طاعةَ عمياءَ، ولا طاعةَ ضريرةً لا بَصَرَ لها، ولا اتباعَ بلا دليلٍ، ولا انقيادَ بلا برهانٍ.

عاقبةُ من أطاعَ في معصيةٍ:

يا عباد الله، لِيَسمَعَ مَن أطاعَ في معصيةٍ لله عز وجل، لِتَسمَعِ الرعيَّةُ إن أطاعت الراعي في معصيةٍ، ولِيَسمَعِ الأبناءُ إذا أطاعوا الآباءَ في معصيةٍ، ولِتَسمَعِ الزوجاتُ إذا أطعنَ أزواجهنَّ في معصيةٍ، قال تعالى: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا}.

ثمَّ يتبرَّأُ المتبوعُ من التابعِ، ويتحسَّرُ التابعُ، قال تعالى: {وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَاب * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَاب * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّار}.

لا تغترَّ أيُّها المَتبوعُ:

أيُّها الإخوة الكرام: هناكَ من المتبوعينَ المغرورينَ، الذين يَحُثُّونَ أتباعهم على السيرِ

خلفَهم، ويَعِدُونَهم بتحمُّلِ المسؤوليَّةِ عنهم يومَ القيامةِ، لِيَسمَعِ التابعُ المخدوعُ بقولِ المتبوعِ، قول الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُون * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُون}.

عبادَ الله، لقد قَصَّرنَا في تربيةِ أبنائِنَا، لقد قَصَّرنَا في تعليمِ أبنائِنَا بأنَّهُ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالِقِ، حتى رأينا أبناءَنا من يقولُ لهم: لا تُصلِّ، فيتركَ الصلاةَ ظنَّاً منه أنه يمتثلُ أمرَ وليِّ الأمرِ، يقول له: لا تُطلِق لحِيَتَكَ، فيحلِقُ لحِيَتَهُ، يقولُ له: اقتُل، فيرتكِبُ جريمةَ القتلِ ظنَّاً منه بأنَّ طاعةَ وليِّ الأمرِ واجبةٌ على الإطلاقِ، لا، بل هيَ مقيَّدةٌ، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ) رواه البخاري ومسلم عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، تدبَّروا جيداً قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}. تدبَّروا جيداً قول الله تعالى: {وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}. فإذا كانَ هذا في حقِّ المعصومِ، فما بالكم في غيرِ المعصومِ؟

لذلك الصِّدِّيق رضي الله عنه عَرَفَ حدَّهُ فقال لرعيته: (أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ).

ونحن يا عباد الله: نبرأُ إلى اللهِ تعالى من سفكِ الدماءِ البريئةِ، ومن القتلِ بغيرِ حقٍّ، ومن سلبِ الأموالِ، وهتكِ الأعراضِ، ومن جميعِ المنكراتِ، ونقول: اللهمَّ إنَّ هذا

منكر لا نرضى به، ولا نقدِرُ على ردِّهِ. اللهم اجعلنا على بصيرةٍ من أمرنا، ورُدَّنا إلى دينكَ ردَّاً جميلاً.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

261ـ خطبة الجمعة: هلَّا عرفت قيمة الإنسان؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

الإنسان خَلْقُ اللهِ تعالى وصنعتُهُ، وما عرفَ قيمةَ الإنسانِ إلا المسلمُ الملتزمُ بدينِ الله تعالى، الذي له صلةٌ بالقرآنِ العظيمِ، أمَّا مَن قَطَعَ صلَتَهُ بالله تعالى، وقَطَعَ صلَتَهُ بالقرآنِ العظيمِ، فإنَّه لا يعرف قيمةَ الإنسانِ، ويكونُ جاهلاً بِهِ، ومن الطبيعي أن يكونَ الإنسانُ عدواً لما يجهل.

القرآنُ العظيمُ هو الذي عرَّف المسلمينَ قيمةَ الإنسانِ، وذلك من خلال قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا}. آيةٌ من كتابِ الله تعالى توضِّح بأنَّ

الإنسان مُكَرَّمٌ، والذي كرَّمه هو الله تعالى.

من صور تكريم الله تعالى للإنسان:

يا عباد الله، صورُ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسان كثيرةٌ وكثيرةٌ جداً، ومن أرادَ أن يعرفَ صورَ التكريمِ لهذا الإنسانِ عليه أن يرجعَ للقرآنِ العظيمِ، ولِسُنَّةِ الحبيبِ المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فمن صورِ تكريمِ الله تعالى للإنسان:

أولاً: خَلَقَ اللهُ تعالى الإنسانَ بيديه:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أنَّ الله تعالى خلقه بيديهِ، كما قال تعالى: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}.

ثانياً: نفخَ فيه من روحهِ وأسجدَ له ملائكته:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أنَّ الله تعالى نفخَ فيه من روحِهِ، وأسجدَ له ملائكته، قال تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِين}.

بعد أن نفخَ الله تعالى في الإنسانِ روحَهُ، أَمَرَ الملائكةَ التي خَلَقَها الله تعالى من نور، والتي لا تعصي الله فيما أمر، أن تسجدَ لهذا الإنسانِ سجودَ تعظيمٍ.

ثالثاً: تولَّى الله تعالى تعليمه:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أنَّ الله تعالى علَّمهُ، قال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِين * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم}. وقال تعالى: {الرَّحْمَن * عَلَّمَ الْقُرْآن * خَلَقَ الإِنسَان * عَلَّمَهُ الْبَيَان}.

رابعاً:سخَّر له ما في السموات و الأرض:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ له الكونَ من سماواتٍ وأرضٍ قبل خلقه، ثمَّ جعلها مسخَّرةً له، قال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون}.

خامساً: جَعَلَهُ اللهُ تعالى خليفةً له في الأرض:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أنْ جعلهُ الله تعالى خليفةً له في الأرض، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}.

سادساً: حرَّم الاعتداءَ على الجنين:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أنَّه حرَّمَ الاعتداءَ عليه وهو جنينٌ في بطنِ أمهِ، وفرضَ عقوبةً على عاقلةِ القاتِلِ وكفارةً عليهِ، فجعل غُرَّةً على عاقلةِ من قَتَلهُ، وهي نصفُ عُشرِ الدية، أي ما يعادلُ قيمةَ خمسةِ جمالٍ، وصيامُ شهرينِ كفارةٌ على جنايتهِ.

سابعاً: حرَّم على الإنسان قَتلَ نفسهِ:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أنَّه حرَّم على الإنسانِ أن يقتلَ نفسه، لأنَّ نفسه ليست مِلكاً له بل هي مِلكٌ لله تعالى، فمن قَتَلَ نفسه حرَّم الله تعالى عليه الجنة، وجعلهُ في نارِ جهنَّم خالداً مخلَّداً فيها . هذا إذا استحلَّ الانتحار . روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ

جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا).

ثامناً: حرَّم على الإنسان أن يدعوَ على نفسهِ:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أنَّه حرَّم على الإنسانِ أن يدعو على نفسه لضُرٍّ مسَّه، روى الإمام البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ (لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُم الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فَاعِلاً، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَت الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَت الوَفَاةُ خَيْرًا لِي).

تاسعاً: أخَّرَ إقامةَ الحدِّ على الجاني كرامةً للجنين:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أنَّه أخَّرَ إقامةَ الحدِّ على جانٍ، رعايةً لحقِّ الغيرِ، كما جاء في صحيح الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال:
(جَاءَت الغَامِدِيَّةُ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا، فَلَمَّا كَانَ الغَدُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَاللهِ إِنِّي لَحُبْلَى، قَالَ: إِمَّا لا فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي، فَلَمَّا وَلَدَتْ، أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ: اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِن المسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا، فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَى رَأْسَهَا، فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: مَهْلاً يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ تَابَتْ

تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ).

يا عباد الله، لقد أخَّرَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إقامةَ الحدِّ على المرأةِ الغامدية، بعد أن ردَّها، وذلك رعايةً للجنينِ الذي حملت به من سفاحٍ، فالإسلام يرعى الإنسان ولو كانَ الحملُ من حرامٍ، لأنَّه صنعةُ الله تعالى وخَلْقُهُ.

هذا هو إرهابُ الإسلامِ، الذي جعلهُ الغربُ وأذنابُهُ من حكام المسلمين والعرب ذريعةً لمحاربةِ الإسلامِ وأهلهِ.

هذا هو الإسلامُ الذي عرَفَ قيمةَ الإنسانِ، وخاصَّةً إذا لم تقترف يدهُ جريمةً، وهذا هو الإسلام الذي قَبِلَ التائبَ فجعَلَهُ كمن لا ذنبَ له، حيث صلَّى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم على من أقامَ عليها الحدَّ، وأنتم تعلمون أَثَرَ صلاةِ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حيث قال تعالى: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ}.

عاشراً: توعَّدَ اللهُ تعالى القاتلَ بغير حقٍّ بأمورٍ خمسةٍ:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أنَّه توعَّد القاتلَ لغيرِهِ بغيرِ حقٍّ بأمورٍ خمسةٍ، قال تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}. هل سمعَ قاتلُ العمدِ بغيرِ حقٍّ هذا الوعيدَ من اللهِ تعالى؟ يا من يقتلُ الأطفالَ والنساءَ والأبرياءَ بغير حقٍّ، هل سمعتَ هذه الآيةَ الكريمةَ؟ يا من يسفكُ الدماءَ البريئةَ بدونِ شفقةٍ ولا رحمةٍ، هل سمعتَ هذا الإنذارَ من الله تعالى؟ أَمَا بقيت ذرَّةُ إيمانٍ في القلبِ تردعُكَ عن قَتلِ الأبرياءِ؟ ما أنتَ قائلٌ لربكَ يومَ القيامةِ؟

الحادي عشر: توعَّدَ اللهُ تعالى من أعان على القتلِ ولو بشطرِ كلمةٍ:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أنَّه توعَّد من أعانَ على قتلٍ بغيرِ حقٍّ ولو بشطرِ كلمةٍ، روى ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ، لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ). لو قال رجلٌ لآخر: (أُقْ) ولم يكمل الكلمة (أُقتل) لقِيَ اللهَ تعالى وهو آيِسٌ من رحمة الله تعالى، هذا حالُ المعينِ بشطرِ كلمةٍ، فما ظنُّك بالقاتلِ. والعياذُ بالله تعالى .؟

بل يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ، لأَكَبَّهُمْ اللهُ فِي النَّارِ) رواه الإمام الترمذي عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنهُما. هل عَرَفتُم قيمةَ الإنسانِ المؤمنِ، ومكانَتَهُ عندَ اللهِ تعالى؟

الثاني عشر: لا يُغفَرُ ذنبُ القاتلِ المُصِرِّ:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أن جَعَلَ اللهُ تعالى بعد جريمةِ الشِركِ جريمةَ القتلِ، وأنَّ ذنبَ القاتلِ المصِرِّ لا يُغفَرُ، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلا الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا، أَوْ الرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا) رواه الإمام أحمد عن معاوية رضي الله تعالى عنه.

الثالث عشر: رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بريءٌ من القاتلِ بغيرِ حقٍّ:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أنَّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

وصحبه وسلم تبرَّأَ من قاتِلِ العمدِ بغيرِ حقٍّ، ولو كان المقتولُ كافراً، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ أَمَّنَ رَجُلاً عَلَى دَمِهِ، فَقَتَلَهُ، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ القَاتِلِ، وَإِنْ كَانَ المقْتُولُ كَافِرًا) رواه الطبراني عَنْ عَمْرِو بن الْحَمِقِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. هذا هو الإسلامُ الإرهابيُّ الذي يتحدَّثُ عنه الغربُ وأذنابُهُ.

الرابع عشر: أوَّلُ ما يُقضى بين العبادِ في الدماءُ:

من صورِ تكريمِ اللهِ تعالى للإنسانِ، أنَّ أوَّلَ ما يُقضى به بين العبادِ في الدماء، وأنتم تعلمونَ أنَّ حقوقَ العبادِ مبنيَّةٌ على المشاحَّة، وحقوقَ اللهِ تعالى مبنيَّةٌ على المسامحة، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ) رواه الإمام البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنهُ. ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ الصَّلاةُ) رواه الإمام أحمد عن تميم الداريِّ رضي الله عنه. هذا في حقوقِ اللهِ تعالى.

ومما لا شكَّ فيه من ضيَّعَ حقوقَ الله تعالى، فهو لحقوقِ العبادِ أضيَعُ، ومن يحافظَ على حقوقِ العبادِ، فهو على حقوقِ اللهِ تعالى أحفظُ، فماذا يقولُ العبدُ لمولاه يومَ القيامةِ إذا كان مضيِّعاً الصلاةَ وهيَ حقُّ الله تعالى، وكانت يده ملطَّخةً بدماءِ الأبرياءِ؟

لماذا هانَ قتلُ الإنسانِ؟

يا عباد الله، من خلال ما تقدَّمَ أقول: لا يعرفُ قيمةَ الإنسان إلا من كانت له صلةٌ بكتاب الله تعالى، وبهدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ولكن عندما ابتعدَ الناسُ عن الهُدى الذي أكرمنا الله تعالى به، هانَ على بعضهم

قتلُ الإنسانِ، وصارَ قتلُ الإنسانِ كقتلِ العصفورِ.

جريمةُ سفكِ الدماءِ التي تأتي بعد جريمةِ الإشراكِ باللهِ تعالى، صارت سهلةً هيِّنةً، وقلَّما أن تنظرَ إلى شاشاتِ التلفازِ، أو المجلاتِ، أو الصحفِ، أو الجرائدِ، ولا ترى فيها جرائمَ القتلِ، لقد انتشرَ القتلُ أيَّما انتشارٍ، وكَثُرَ الهرجُ، القتلُ هنا وهناك، أصبحت حرمةُ الدماءِ حقيرةً.

ولا يمكن أن يعرفَ الإنسانُ قيمةَ الإنسانِ إلا بعودتِهِ إلى كتابِ اللهِ عز وجل، فهلا علَّمتم أبناءكم وإخوانكم حرمةَ دمِ الإنسانِ، هلا ذكَّرتموهم أن يتَّقوا الله تعالى في دماءِ العبادِ، وأنَّ قتلَ الإنسانِ جريمةٌ وأيُّ جريمةٍ، هلا نصحتم أبناءكم وإخوانكم إن كانوا مجنَّدينَ أو ضبَّاطاً أن يحذروا من قتلِ الأبرياءِ؟ وأن لا يُعَلِّلَ جريمةَ القتل التي يرتكبها بأنَّه مأمورٌ من قِبَلِ وليِّ الأمرِ.

يا عباد الله: علِّموهم قولَ الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ}. علِّموهم بأنَّ طاعةَ وليِّ الأمرِ نافذةٌ إذا كانت صادرةً عن طاعةِ الله ورسوله، وإلا فلا طاعةَ لمخلوقٍ ـ مهما كان ـ في معصيةِ اللهِ تعالى، وهل هناكَ معصيةٌ أعظمُ من معصيةِ سفكِ الدماءِ بغيرِ حقٍّ بعد الإشراكِ بالله تعالى؟

يا أخي: إذا أَمَرَكَ أَحَدٌ بقتلِ أَحَدٍ، فتذكَّر قولَ الله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}.

أيُّها القاتل ما أنتَ قائلٌ لربك؟

يا عباد الله، قولوا للقاتِلِ: إذا جَمَعَ الله الأوَّلينَ والآخرينَ، وَوَضَعَ الميزانَ، ونَطَقَتِ

الألسُنُ، وتكلَّمتِ الجوارحُ، ودنتِ الشمسُ من الرؤوسِ بمقدارِ ميلٍ، وخاضَ الناسُ بعرقهم كلٌّ على حَسَبِ عَمَلِهِ، وجاءَ المقتولُ آخذاً رأسهُ بيدٍ، والقاتلَ بيدٍ أخرى، وهو يقولُ لربِّنا عز وجل: يا ربِّ سلهُ لِمَ قَتَلَني؟ فما أنتَ قائلٌ لربِّك يومَ القيامةِ أيُّها القاتل؟

أيُّها المجرمُ السَّفاحُ، إذا كانَ المعينُ على القتلِ ولو بشطرِ كلمةٍ آيساً من رحمةِ اللهِ تعالى، فكيفَ حالكَ أنتَ؟ هل نسيتَ قولَ الله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}.

كيف تجْتَرِئُ على بنيانِ اللهِ فتهدمُهُ؟ وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ) رواه الإمام الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

والدنيا فيها المسجدُ الحرامُ، والكعبةُ المشرَّفةُ، والمسجدُ النبويُّ الشريفُ، والمسجدُ الأقصى، وبيوتُ الله تعالى في مشارقِ الأرضِ ومغاربها.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، حذِّروا أبناءكم وإخوانكم من إراقةِ الدماءِ، لأَنْ يَأْتِيَ العزيزُ عليكم مقتولاً ـ لا قدَّر الله تعالى ـ خيرٌ له من أن يأتِيَ قاتلاً، لأنَّهُ لو جاءَ مقتولاً فهو شهيدٌ إن شاء الله تعالى، أما إذا جاءَ قاتلاً ـ لا قدَّرَ الله تعالى ـ كيفَ يكونُ حالُهُ وحالُكَ؟ وإن رضيتَ بالقتلِ فأنتَ شريكٌ معه في الإثم.

يا عباد الله، عزاؤنا بأنَّ الإنسانَ لن يموتَ إلا بأَجَلِهِ، قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله}. فما من ميِّتٍ يموت إلا ويموتُ بأجلِهِ، ويكونُ قاتِلُهُ آثماً.

يا عباد الله، هل من عودةٍ إلى كتابِ الله تعالى القائل: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا}. هيِّئِ الجوابَ لله تعالى أيُّها القاتل. اللهم لا تسوِّد وجوهنا يوم القيامة.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

262ـ خطبة الجمعة: ما هو دستورنا؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

الإنسانُ المكَرَّمُ ما عَرَفَ حَقِيقَتَهُ ومقدارَهُ إلا مَن التَزَمَ كِتابَ اللهِ تعالى، وقَرَأَ القرآنَ العظيمَ، لأنَّ اللهَ تعالى أعطى الصورةَ الحقيقيةَ لهذا الإنسانِ من خلالِ القرآنِ العظيمِ.

هذا الإنسانُ العظيمُ الذي خَلَقَهُ الله تعالى بيديْهِ، ونفخَ فيه من روحِهِ، وأسجدَ له ملائكتَهُ، وعلَّمَهُ الأسماءَ كلَّها، وأسكنَهُ جنَّتَهُ، حذَّرَ ربُّنا جلَّ وعلا أيَّما تحذيرٍ من الاعتداءِ عليهِ، ومِن سَحْقِ روحِهِ وقَتْلِهِ ظُلماً وعُدواناً، فقال تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}.

لم يُترَكِ الإنسانُ سُدىً:

يا عباد الله، الإنسانُ الذي خلقَهُ اللهُ عزَّ وجل، وجعلَهُ سَيِّدَ الوجودِ، وسَخَّرَ له ما في السماءِ والأرضِ، ما ترَكَهُ ربُّنا عزَّ وجل سُدَىً، بل جَعَلَ له نظاماً يسيرُ عليه، لأنَّه حاشا لربِّنا عزَّ وجل أن يُكرِّمَ الإنسانَ هذا التَّكريمَ ثمَّ يَكِلُهُ لنفسِهِ، تعالى اللهُ عزَّ وجل عن ذلك عُلُوَّاً كبيراً.

فالذي قال في حقِّ الإنسان: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}. جَعَلَ له من تمامِ التَّكريمِ نظاماً ودُستوراً من خلالِ القرآنِ العظيمِ الذي أنزله الله تعالى على قلبِ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. ولم يَأْذَنْ لأحدٍ أن يُشَرِّعَ لهذا الإنسانِ، لأنَّهُ صَنعَةُ اللهِ تعالى، وهو أعلمُ بصَنعَتِهِ، فكلُّ تشريعٍ ونظامٍ وضعيٍّ يجُرُّ الوبالَ على الإنسانِ.

فمن تمامِ فضلِ اللهِ تعالى وعطائِهِ وتكريمِهِ للإنسانِ أن جَعَلَ له دُستوراً، وهذا الدُّستورُ هو كتابُ اللهِ تعالى، وسنةُ رسولِهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، حَدَّدَ فيه علاقةَ العبدِ مع ربِّهِ، وحَدَّدَ علاقةَ الفردِ مع نفسِهِ، وحَدَّدَ علاقةَ الفردِ مع الآخرين من أبناءِ جنسِهِ جميعاً، ونَظَّمَ شؤونَ حياتِهِ كلِّهَا، قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِين}.

خيرُ دستورِ القرآنِ عائدٌ للعبدِ:

يا عباد الله، هذا الدُّستورُ دستورُ أمَّةِ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أنزلَهُ مولانا عز وجل الغنيُّ عن العالمين القائِلُ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء

إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيد}.

هذا الدُّستورُ لن يرجعَ نفعُهُ على اللهِ تعالى إن التزمَهُ الناسُ، ولن يَضرَّ مولانا عز وجل شيءٌ إن أعرضَ عنه الناسُ، كما جاء في الحديث القدسي الذي رواه الإمام مسلم عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي). ثمَّ قال: (يَا عِبَادِي: إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدْ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ).

هذا الدستورُ والتشريعُ منزَّهٌ عن الانحيازِ إلى فئةٍ أو جماعةٍ أو شخصٍ كبيرٍ أو صغيرٍ، أو حاكمٍ أو محكومٍ، أو غنيٍّ أو فقيرٍ، معاذَ الله تعالى أن تَجِدَ فيه انحيازاً لشريحةٍ من شرائحِ المجتمع.

نعم، التشريعاتُ الوضعيَّةُ إنَّما هي تشريعاتٌ منحازةٌ للمشرِّعِ أوَّلاً، ثمَّ لِفئتِهِ وجماعتِهِ ثانياً، وإذا تعارضت مصلحتُهُ الشخصيَّةُ مع هذا التشريع فإنَّه يجعلُهُ تحت قدمِهِ، لذلك تراه بين حينٍ وآخر يعدِّلُهُ.

أمَّا تشريعُ الله تعالى الذي هو دستورُ أمَّةِ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فمُنَزَّهٌ عن الانحيازِ والاستدراكِ عليهِ، لأنَّ الله تعالى قالَ فيه: {اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}. فلن يُستدْرَكَ عليه، وهو غالبٌ وليسَ بمغلوبٍ، وهو ظاهرٌ على جميعِ التشريعاتِ الوضعيَّةِ بفضلِ اللهِ عز وجل.

سماتُ تشريعِنا ودستورِنا:

يا عباد الله، تشريعُنَا ودستورُنَا الذي أكرمنا الله عز وجل به فيه سماتٌ وثمراتٌ، أسأل الله عز وجل أن يوفِّقَنا للالتزامِ بهذا التشريع لنجنيَ تلكَ السِّماتِ والثَّمَرَاتِ.
فمن سِماتِ هذا التشريعِ والدستورِ:

أولاً: أنَّه الهادي إلى سُبُلُ السلامِ وإلى الطريقِ المستقيمِ، قال تعالى: {قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِين * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم}. وقال تعالى: {إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}.

ثانياً: من سماتِ هذا التشريعِ، ومن سماتِ هذا الدستورِ، أنَّ الملتزمَ به لا يخافُ من المستقبل، ولا يحزنُ على الماضي، قال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون}.

نعم، ربنا عز وجل الآمرُ هو الضامنُ لنتائجِ الالتزامِ، فمَنِ التزمَهُ لا يخافُ من مستقبلٍ، ولا يحزنُ على ما فات.

ثالثاً: من سماتِ هذا الدستورِ والتشريعِ الذي أكرمنا الله عز وجل به، أنَّ الملتزمَ به لا يَضلُّ ولا يَشقى، قال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى}. وما ضَلَّت الأمَّةُ وشَقِيَت إلا بسببِ إعراضها عن دستورِ اللهِ تعالى وعن شرعِهِ، وعن القرآنِ الذي أكرَمَ اللهُ عز وجل به هذه الأمَّةَ، قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا

وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى}. فالإعراضُ عن تشريعِ الله تعالى شقاءٌ في الدنيا، وعذابٌ في الآخرة.

رابعاً: من سماتِ هذا التشريعِ الذي أكرمنا الله عز وجل به، أنَّهُ مَن حَكَمَ به عَدَلَ، وما تَرَكَهُ من جَبَّارٍ إلا قَصَمَهُ اللهُ تعالى، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (أَلا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، فَقُلْتُ: مَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ}، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) رواه الترمذي عَنْ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

فالجنُّ عندما سمعوا القرآنَ الذي هو دستورُ الأمَّةِ المحمديَّةِ قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا}.

فهذا هو دستورُ أمَّةِ سيدِنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وهذا ما نتمنى أن نُحكَمَ به حتى يُرفَعَ الظُّلْمُ عن أمَّةِ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

خامساً: من سماتِ هذا التشريعِ، أنَّه نجاةٌ لمن اتَّبعَهُ، روى الحاكم عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: (إِنَّ هَذَا

القُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ، فَاقبَلُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا القُرْآنَ حَبْلُ اللهِ، وَالنُّورُ المبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، لاَ يَزِيغُ فَيَسْتَعْتِبُ، وَلاَ يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلاَ يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، فَاتْلُوهُ فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلاَوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لاَ
أَقُولُ {الم} حَرف، وَلَكِنْ أَلِفٌ وَلاَمٌ وَمِيمٌ). فأين نحن من قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (فَاْتْلُوهُ)؟ أَمَا سَمِعنَا قولَ الله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}؟

سادساً: من سمات هذا التشريعِ، أنَّ ربَّنا عزَّ وجل ضَمِنَ الحياةَ الطيِّبةَ في الدنيا، وحُسنَ الجزاءِ في الآخرةِ لمن التزمَهُ، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون}.

والعملُ الصالحُ هو ما أصلحَهُ الشرعُ، والفاسدُ ما أفسدَهُ الشرعُ، وعلى سبيل المثال: البيعُ والشراءُ عملٌ صالحٌ، والرِّبا عملٌ فاسدٌ، قال الله تعالى: {وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}.

لا يقولنَّ قائلٌ: إنَّ الربا ضرورةٌ اجتماعيَّةٌ واقتصاديَّةٌ، فالرِّبا عملٌ فاسدٌ وعواقبُهُ وخيمةٌ، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُون}.

خاتمةٌ نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، لماذا تركنا دستُورَنَا؟ لماذا تركنا دِينَنَا؟ لماذا تركنا قرآنَنَا؟ هل رأينا الخيرَ في غيرِهِ؟ لقد جرَّبنا الشرقَ، وجرَّبنا الغربَ، وجرَّبنا الرَّأسماليَّةَ، وجرَّبنا الاشتراكيَّةَ، وجرَّبنا

التشريعاتِ الوضعيَّةَ، وواللهِ ما رأينا فيها خيراً.

فلماذا لا نُجرِّبُ الإسلامَ؟ لماذا لا نجعلُ دستورَنا القرآنَ، المحفوظَ إلى قِيامِ الساعةِ رغمَ أنفِ الحاقدينَ عليه؟ قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون}.

يا عباد الله: القرآنُ العظيمُ سِرُّ حياتنا الطيِّبةَ في الدنيا والآخرة، ألم يقل مولانا عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ}؟ أتريدونَ حياةً طيِّبةً، وسعادةَ الدنيا والآخرة؟ فليكُنِ القرآنُ العظيمُ دستورَكُم.

يا حُكَّامَ العربِ والمسلمين: إنْ أردتم سعادةَ الدنيا والآخرة لأنفسكم ولشعوبكم ولأمَّتِكُم فاجعلوا دستورَ بلادكم كتابَ الله عز وجل، واسمعوا قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ}. فسعادتُنا يا عباد الله في إسلامِنا، وقرآنُ ربِّنَا دستورُنا.

يا عباد الله: {أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ}؟

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

263ـ خطبة الجمعة: {وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.}

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

من تكريمِ الله عز وجل للإنسانِ أن جعلَ مسكنَهُ الحقيقيَّ الأَصْليَّ الجنَّةَ، قال تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}. ومن المعلوم أنَّ الولدَ تابعٌ لوالديه.

فاللهُ تعالى خلقَ الجنَّةَ للإنسانِ، ولكن أنزلَهُ إلى الأرضِ ليُؤهِّلَ العبدُ نفسَهُ أن يكونَ من أهلِ الجنَّة، وذلكَ من خلالِ الهدي الذي جاءَ به الأنبياءُ والمرسلونَ عليهم الصلاة، وخاصَّةً خاتمُ الأنبياءِ سيدُنا محمدٌ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ولقد أعطى الله عز وجل الإنسانَ نموذجاً لمن أطاعَهُ ولمن عصاهُ من خلال سيدنا آدم عليهِ السلام، فالجنَّةُ لمن أطاعَهُ، ومن خالفَ أُخرِجَ منها، قال تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ}. فلمَّا أَكَلا منها أُخرِجا من الجنَّة. أعطانا اللهُ نموذجاً بسيدنا آدمَ عليه السلام، وهو أكرَمُ على الله تعالى منَّا.

{وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}:

يا عباد الله، ربُّنا عز وجل أنزَلَنَا إلى الدنيا لنُؤَهِّلَ أنفسنا لنكونَ من أهلِ الجنَّة، وذلكَ من خلالِ امتثالِ الأمرِ، واجتنابِ النهيِ، وكلُّ أمرٍ في القرآنِ الكريمِ يقتضي الوجوبَ إلا إذا صُرِفَ عنه بصارفٍ، وكلُّ نهيٍ يقتضي التحريم إلا إذا صُرِفَ عنه بصارفٍ.

ومن جملة ما نهى الله تعالى عنه، التعاونُ على الإثمِ والعدوانِ، فقال تعالى: {وَلاَ

تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}.

لماذا حُرِّمَ علينا التعاونُ على الإثمِ والعدوانِ:

يا عباد الله، لقد حرَّم اللهُ تعالى علينا التعاونَ على الإثمِ والعدوانِ لضرَرِهِ الكبيرِ، من أضرارِهِ:

أولاً: يَقلُبُ نظامَ المجتمعِ، ويُساعدُ على فسادِ الذِّمَمِ والأخلاقِ، ويَفتحُ أبوابَ الشَّرِّ، ويَطمِسُ معالمَ الحقِّ، ويَجعلُ المجتمعَ يَرتَعُ بالباطِلِ وبالظلمِ والظلماتِ، لذلكَ حذَّرنا منه ربُّنا تعالى بقوله: {وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}.

ثانياً: التعاونُ على الإثمِ والعدوانِ يُساعِدُ على الطغيان، ويرخِّصُ للظالمِ أن يستمرَّ في ظلمِهِ بدون مبالاةٍ.

ثالثاً: حذَّرنا من التعاونِ على الإثمِ والعدوانِ لأنَّهُ سببٌ لخرابِ المجتمع، وسببٌ لضياعِ الحقوقِ.

أوصافُ العبدِ المعينِ على الإثمِ والعدوانِ:

أيُّها الإخوة الكرام: إنَّ العبدَ المعينَ على الإثمِ والعدوانِ هوَ:

أولاً: رجلٌ خسيسٌ باعَ دينَهُ بِعَرَضٍ من الدنيا قليل، رجلٌ باعَ آخرتَهُ بدنياهُ، رجلٌ باعَ النعيمَ المقيمَ الدائمَ بنعيمٍ زائلٍ فانٍ.

نَعَم، الدنيا لا تدوم، ولو دامت للعبدِ فلن يدومَ العبدُ لها، فنعمةُ الملكِ والجاهِ والرياسةِ والريادةِ لن تدومَ، ونعمةُ المالِ والأهلِ والعشيرةِ والأتباعِ لن تدومَ، ولو دامت للعبدِ، فإنَّ العبد المنعَمَ عليه لن يدوم. وربُّنا جلَّ وعلا يقول: {كُلُّ نَفْسٍ

ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}. {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَان}. { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ}.

ثانياً: وهوَ رجلٌ دنِيءٌ ما عَرَفَ الحياءَ.

ثالثاً: وهوَ رجلٌ ضعيفُ الإيمانِ، فلو كان إيمانُهُ باللهِ تعالى قويَّاً لَعَرَفَ أنَّ ما كانَ له فسيأتِيهِ على ضعفِهِ، وما كان لغيرِهِ فلن ينالَهُ بقوَّتِهِ.

رابعاً: وهوَ رجلٌ لا يبالي بحسنِ أو سوءِ الخاتمةِ. والعياذُ بالله تعالى. وهو قد ظنَّ أنَّ الانتماءَ للإسلامِ شكلاً يُغنيهِ، ونسيَ هذا العبدُ الخسيسُ الدَّنِيءُ المعينُ على الإثمِ والعدوانِ حديثَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي رواه الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: (صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا صَلاةَ العَصْرِ بِنَهَارٍ، ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فقال: ...... إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى، فَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ كَافِرًا،**وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ كَافِرًا**، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا ......) نسأل الله تعالى لنا ولكم حُسنَ الختام.

خامساً: وهوَ رجلٌ منبوذٌ في المجتمع، وفي نهاية المطاف سوف يكون منبوذاً من قِبَلِ الظالِمِ الذي كانَ عوناً له على الإثمِ والعدوان، وواقِعُنا يُصَدِّقُ هذا، فَكَمْ وَكَمْ من أُناسٍ أعانوا الظالمين على ظُلمِهِم، والآثِمِينَ على إثمِهِم، والعادِينَ على عدوانِهِم، ثمَّ لفظوهُم، فالظالمُ الآثمُ المعتدي، لا يرعى إِلّاً و لا ذمَّةً.

تنبيهٌ للسامعين:

أيُّها الإخوة الكرام: أرجوكم وأنتم تستمعون لهذا الحديثِ أن لا تصبُّوا هذه المعاني

على شخصيَّةِ زيدٍ أو عمروٍ من الناس، بل ليجعَلْ كلُّ واحدٍ منَّا نفسَهَ في هذا الميزان، هل هوَ ممَّن يُعينُ على البِرِّ والتقوى؟ أم هو ممَّن يُعينُ على الإثمِ والعدوانِ؟

فكِّر في نفسكَ قبلَ أن تُفكِّرَ في الآخرين، فكِّر في نجاة نفسِكَ ولا تُنَزِّه نَفسَكَ، واسمع قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (ابْدَأْ بِنَفْسِكَ) رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

نصيحتي لمن أعانَ على الإثمِ والعدوانِ:

يا عباد الله، من خلالِ قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) رواه الإمام مسلم عن تميمٍ الدَّاريِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. أتوجَّهُ إلى كلِّ معينٍ على الإثمِ والعدوانِ، وأقولُ له:

أيُّها المعينُ على الإثمِ والعدوانِ سرَّاً أو جهراً. لأنَّ هناكَ من يعينُ على الإثمِ والعدوانِ سرَّاً لوجودِ بقيَّةِ إيمانٍ في قلبِهِ، ولوجودِ بقيَّةِ حياءٍ عندَهُ، وهناك من يُعينُ على الإثمِ والعدوانِ جهراً، لأنَّه انطبق عليه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إنَّ مِمَّا أدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ..

أقولُ للفريقين المعينينِ على الإثمِ والعدوانِ: تداركوا أنفسكم بالتوبةِ الصادقةِ، وتوبوا قبلَ أن تموتوا، واسمعوا:

أولاً: قَولَ الله تعالى: {وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}. فربُّنا شديدُ العقابِ، والعذابُ على قَدْرِ المعَذِّبِ، قال تعالى: {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَد * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَد}. فهل عندكم المقدِرَةُ على تحمُّلِ شِدَّةِ

العقابِ؟

ثانياً: روى الترمذي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: (أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟ قَالَ: أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُونَ عَلَيَّ حَوْضِي).

أيُّها المعينُ للظالمِ على ظلمِهِ! هل يرضيكَ أن لا تكونَ من رسول اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وأن لا يكونَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم منكَ؟ وهل يرضيك أن لا تَرِدَ حوضَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

أيها العبدُ الظالمُ: أنت تحت نظرِ الله تعالى فلا تُخادعْ نفسَكَ، فإذا كان هذا مصيرُ المعينِ لك، فكيف بمصيرِكَ إذا لم تتب إلى الله تعالى؟

ثالثاً: روى الإمام الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (من أَعانَ على خُصومَةٍ بِغَيرِ حقٍّ كانَ في سَخَطِ اللهِ حتَّى يَنزِع).

رابعاً: وروى الإمام أحمد عَنْ أَيُّوبَ بْنِ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: (وَمَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِغَيْرِ حَقٍّ فَهُوَ مُسْتَظِلٌّ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَتْرُكَ).

خامساً: وروى الطبراني عن أَوْس بْن شُرَحْبِيل رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: (مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ وَهُوَ يَعْلَم أَنَّهُ ظَالِمٍ فَقَدْ خَرَجَ مِن الإِسْلَام).

أين الظَّلَمَةُ وأعوانُهُم:

أيُّها الإخوة الكرام: أُوصي نفسي وإياكم بالتعاون على البِرِّ والتقوى، وأُحذِّرُ نفسي وإياكم من التعاون على الإثمِ والعدوانِ، واسمعوا إلى ما جاءَ في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر:

وَقَالَ مَكْحُولٌ الدِّمَشْقِيُّ: يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الظَّلَمَةُ وَأَعْوَانُهُمْ؟ فَمَا يَبْقَى أَحَدٌ حَبَّرَ لَهُمْ دَوَاةً، أَوْ بَرَى لَهُمْ قَلَمًا، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إلا حَضَرَ مَعَهُمْ، فَيُجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فَيُلْقَوْنَ فِي جَهَنَّمَ.

أيُّها الظَّلَمَةُ ويا أعوانَ الظَّلَمَةِ! احفظوا قولَ اللهِ تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الله غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}. وقولَ الله تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم}.

يا مَن باعَ دينَهُ بِعَرَضٍ قليلٍ، وباعَ نعيماً دائماً بنعيمٍ فانٍ، اعتبر من الظالِمِ فرعون ومن أعوانِهِ، كانَ مصيرهم في الدنيا الغَرَق: {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِين}. ومصيرهم في القبر: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}. ومصيرهم يوم القيامة: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَاب}. أينَ عقولُ الظَّلَمَةِ وأعوانِهِم؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيُّها الإخوة الكرام: جاء في كتابِ مساوئِ الأخلاقِ للخرائطي عن مالك بن دينار، أنه قال لِخَتَنِهِ ـ صِهرِهِ ـ مغيرة: يا مغيرة، أُنظُر كلَّ أخٍ لكَ، وصاحبٍ لكَ، وصديقٍ لكَ، لا تستفيدُ منه في دينكَ خيراً، فانبُذ عنكَ صحبتَهُ، فإنما ذلكَ لكَ عدوٌّ.

وقال: يا مغيرة، الناسُ أشكالٌ: الحمامُ مع الحمامِ، والغرابُ مع الغرابِ، والصَّعوُ مع الصَّعوِ، وكلٌّ مَعَ شَكلِهِ. اهـ. والصَّعوُ: هو العصفور الصغير.

لينظر كلُّ واحدٍ منَّا إلى جليسِهِ من أخٍ وصاحبٍ وصديقٍ، هل هذا الجليسُ يزيدُ في إيمانكَ؟ وهل هوَ من خيرِ الجُلساءِ الذين وصفَهُمُ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما سُئل: (أيُّ جلسائنا خير؟ قال: من ذكَّرَكُمُ اللهَ رُؤيَتُهُ، وزادَ في عِلمِكُم مَنطِقُهُ، وذَكَّرَكُم بالآخرةِ عَمَلُهُ) رواه البيهقي.

إن لم تكن هذه أوصافُهُ فاعلم أنَّهُ عدوٌّ لك ولو كانَ خليلاً لك، وتذكَّر قولَ الله تعالى: {الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِين}.

تذكَّروا يا عبادَ الله: أنَّ المرءَ يحشرُ مع من أحب، روى الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قالَ: (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ). وأنَّ من كثَّرَ سوادَ قومٍ حُشِرَ معهم، روى الديلمي عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: (مَن كثَّرَ سوادَ قومٍ فهوَ مِنهُم).

أوصي نفسي وإيَّاكم مرَّةً أخرى بقولِ الله تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَاب}. وكلُّ واحدٍ أدرى بنفسِهِ من غيرِهِ، وربُّهُ أدرى بهِ من نفسِهِ، قال تعالى: {بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ

بَصِيرَة * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَه}.

وأختم كلامي بقولي: لنُفكِّر في أنفسنا قبلَ أن نفكِّرَ في الآخرين، هل نحن مِمَّن يعينُ على الإثمِ والعدوانِ أم لا؟ (ابْدَأْ بِنَفْسِكَ).

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

264ـ خطبة الجمعة: الأخسرونَ أعمالاً

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يقولُ مولانا عزَّ وجل: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}؟ أسألُ اللهَ تعالى أن يفتَحَ أقفالَ قلوبِنا بذِكرِهِ، وأن يوفِّقَنا لتدبُّرِ القرآنِ العظيمِ ومعانيهِ.

ومن الآياتِ التي يَجِبُ علينا أن نَتدبَّرهَا هي قولُه تعالى لسيدنا محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا}.

الآمرُ هو اللهُ تعالى، والمأمورُ هو سيدنا محمدٌ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، والمنبِّئُ لنا هو اللهُ تعالى، {وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}.

حقيقةُ الخسارةِ:

يا عباد الله! ما هي حقيقةُ الخسارةِ؟ من هوَ الخاسِرُ؟ بل من هوَ أخسَرُ الناسِ؟ هل هوَ مَن خَسِرَ تجارتَهُ؟ هل هوَ من خَسِرَ مالَهُ؟

الكثيرُ لا يُفكِّرُ إلا في خسارةِ الدنيا، وهذا هوَ حديثُ الناسِ اليومَ، الحديثُ عن ارتفاعِ الأسعارِ، الحديثُ عن الخسائرِ ـ خسائرِ التجّار ـ الحديثُ عن ارتفاعِ العُملَةِ الأجنبيَّةِ، وهبوطِ العُملةِ المحليَّةِ.

هل هذه هي الخسارةُ الحقيقيَّةُ يا عباد الله؟

قطعاً ليست هذِهِ هيَ الخسارةَ الحقيقيَّةَ، لأنَّ خسائِرَ الدنيا تُعوَّضُ بين حينٍ وآخرٍ، كم خَسِرتَ ثم بعد ذلك رَبِحتَ، وكم رَبِحتَ ثم بعد ذلك خَسِرتَ؟ فهذه ليست هي الخسارةَ الحقيقيَّةَ.

بل قد تكونُ نتيجةُ هذه الخسارةِ الدنيويَّة نعمةً من نِعَمِ الله تعالى عليكَ إن صَبَرتَ عليها، ألم يقل مولانا عز وجل في كتابه العظيم: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ}؟ ألم يأمُر ربُّنا عز وجل أن نُبَشِّرَ أصحابَ هذه الابتلاءاتِ والخساراتِ بقوله تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِين * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعون}؟

بأيِّ شيءٍ نُبَشِّرُ من ابتلاهُ اللهُ تعالى **بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوفْ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ**

الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ؟

نُبَشِّرُهُ بقولِهِ تعالى: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون}. فأيُّ خسارةٍ إذا كانت هذِهِ هي النتيجة؟

كلمة للتُّجار:

بهذِهِ المناسبَةِ أقولُ للإخوةِ التُّجار الذين يزيدونَ في الأسعارِ بدون شفقةٍ ولا رحمةٍ: أيُّها التُّجار، اتَّقوا الله تعالى في المسلمين، وانظروا إلى سواد المسلمين، فسواد المسلمينَ من العمَّالِ والموظَّفين، أين رحمتكم بعبادِ اللهِ تعالى؟

لا تُفكِّروا فقط في أرباحِكُم وتجارتِكُم، ولا تجعلوا حِساباتِكُم في البيعِ والشراءِ على أساسٍ من الدولارِ، ارحموا عبادَ اللهِ يا عبادَ اللهِ.

أيُّها التُّجار، يا من جَعَلَ حساباتِهِ على العُملةِ الأجنبيةِ، هل خَطَرَ في بالِكَ أن تُفكِّرَ في أجرِ الصانعِ عندَكَ، وحوَّلتَ له أجرتَهُ على العُملةِ الأجنبيةِ، ما سمِعتُ أيُّها الإخوةُ أنَّ واحداً من التُّجارِ من فَعَلَ ذلك، بل سمعتُ الكثيرَ الكثيرَ ممَّن صَرَفَ العمَّالَ من عِندِهِ.

يا عبادَ الله: يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

الخسارةُ الحقيقيَّةُ ضياعُ العمل:

أيُّها الإخوة الكرام: لنُصدِّقَ الله تعالى في نبأِ الخاسرينَ، بل الأخسرينَ، يقول الله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}.

فالأخسرونَ أعمالاً هم من اتصفوا بصفتين:

الصفة الأولى: قوله تعالى: ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

اعلموا يا عبادَ الله، أنَّ ضلالَ السعيِ في الدنيا سببُهُ ضلالٌ في العقيدة، فلو لم تكن عقيدتُهُ فاسدةً وفيها خَلَلٌ ما ضلَّ سعيُهُ في الحياةِ الدنيا، لأنَّ العقيدةَ الفاسدَةَ تُدَمِّرُ ولا تُعَمِّرُ، وتجعلُ صاحِبَها في ضلالٍ في سعيِهِ. وإذا أردتم مِصداقَ هذا:

فاقرؤوا قولَ الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين}. فالمؤمنُ حقاً لا يجترئُ على الربا مع وجودِ الإيمانِ.

وما أكثرَ الربا اليومَ في المجتمع، ولا تَقصُرُوا الربا على المعاملاتِ مع البنوكِ الربويَّةِ، بل عمَّت في أسواقِ المسلمينَ إلا من رحمَ الله تعالى، دائنٌ يُطالِبُ مدينَهُ بِفارِقِ العُملةِ قياساً على العُملَةِ الأجنبيَّةِ، وهذا نوعٌ من أنواعِ الربا. **هذا أولاً**.

ثانياً: اسمعوا حديثَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي يُبيِّنُ فيهِ بأنَّ ضلالَ السعيِ في الدنيا سببُهُ ضَعفُ الإيمانِ، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ) رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. من صحَّت عقيدتُهُ وَكَمُلَ إيمانُهُ صحَّ سُلُوكُهُ، وإلا ضلَّ سعيهُ والعياذُ بالله تعالى.

الصفة الثانية: قوله تعالى: {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}.

أما الصفةُ الثانية للأخسرينَ أعمالاً، فهي أنَّهم يحسبونَ أنَّهم يُحسنونَ صنعاً، وما ظنُّوا حُسنَ أعمالهم وأفعالهم المخالفةِ للشرعِ إلا بسبب جهلهم في دين الله عز وجل.

نحنُ أمَّةُ القراءة، نحن أمَّةٌ أنزلَ الله تعالى أوَّلَ آيةٍ لها على قلبِ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، هي قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَق}. ولكنَّ أمَّةَ القراءةِ هي أجهلُ الأمَمِ إلا من رَحِمَ الله تعالى، جهلٌ في دينِ اللهِ عز وجل، جهلٌ في سيرةِ النبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، جهلٌ في الأحكامِ الشرعيَّةِ، وعملٌ بدونِ علمٍ، والناسُ يظنونَ أنَّهم يُحسِنُونَ صُنعاً، زيَّنت لهم أنفسهم الأعمالَ فانقادوا لها بدونِ الرجوعِ إلى أهلِ العلمِ والفقهِ والفتوى، وإنَّ اتباعَ الأهواءِ والشهواتِ جريمةُ الجرائِمِ، يُصبِحُ فيها العبدُ ضالاً وهو يظنُّ أنَّهُ مُحسِنٌ، {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}.

يا عباد الله، لقد أعطانا الله عزَّ وجل نموذجاً في القرآنِ العظيمِ لرجلينِ، أحدُهُما عالِمٌ، والآخرُ جاهلٌ متَّبِعٌ لنفسه، قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المتَّقِين}.

انظروا إلى كلام العالِمِ العامِلِ: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المتَّقِين * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ العَالَمِين}.

أمَّا الجاهِلُ المتَّبِعُ لأهوائِهِ ونفسِهِ فقال تعالى عنه: {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِين}. علِّمُوا هذا النموذجَ لأبنائكم الذينَ هم في الخدمةِ الإلزامية.

المقتولُ رابحٌ وليس بخاسِرٍ:

يا عبادَ الله، تدبَّروا جيِّداً قول الله تعالى: {فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِين}. كونوا على يقينٍ بأنَّ المقتولَ ظلماً وعدواناً رابحٌ وليسَ بخاسِرٍ وربِّ الكعبَةِ، إن كانَ من المؤمنين ومن أهل الصلاح؛ اطمئِنُوا يا عباد الله، أن المقتولَ في بلدنا وفي سائرِ بلادِ المسلمينَ ظلماً وعدواناً هو رابِحٌ وليسَ بخاسِرٍ.

أمَّا القاتِلُ ظلماً وعدواناً فهو الخاسِرُ وربِّ الكعبة وإن كانَ صائماً ومُصلِّياً، وإن كان في ظاهِرِ الأمرِ مؤمناً، لأنَّ قتلَهُ الآخرينَ بغيرِ حقٍّ هو من ضلالِ السعيِ في الدنيا، وما كانَ هذا الضلالُ إلا لضلالٍ في العقيدةِ أو لضعفٍ في الإيمانِ، كيف يجترِئُ على القتلِ بغيرِ حقٍّ وهو يقرأُ قول الله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}؟

المتَّبِعُ لا يَضِلُّ في سعيِهِ:

يا عباد الله، إنَّ المتَّبِعَ للهدى الذي جاء بهِ سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لا يضِلُّ سعيُهُ في الحياةِ الدنيا، قال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى}.

فمن ضلَّ سعيُهُ في الحياةِ الدنيا، ما ضلَّ إلا بسبَبِ إعراضِهِ عن القرآنِ العظيمِ، وكم قلتُ لكم أيُّها الإخوة الكرام الحكمةَ العطائيَّةَ: (من علاماتِ النُّجْحِ في النهاياتِ، الرجوعُ إلى اللهِ في البداياتِ)؟

لنرجِع إلى الأحكام الشرعية إن كنَّا حريصينَ على الهدى، ولنلتزم بها ولو خالفتِ الأهواءَ والشهواتِ والعواطفَ، فالله تعالى أمرنا بالالتزام بهذا القرآن في سائرِ

الأحوالِ، وفي المنشَطِ والمكرَهِ، وإلا فسعيُ العبدِ في الحياةِ الدنيا في ضلال.

نتيجة الأَخسَرينَ أعمالاً:

يا عباد الله، أرجِعُ إلى الآيةِ الكريمَةِ مرَّةً أخرى، يقولُ تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا}.

فالخسارَةُ الحقيقيَّةُ هي إحباطُ العمل، وهذا الأمرُ ينطبقُ على الحاكِمِ والمحكومِ، فمن كانَ حريصاً على أن لا يكونَ من الأخسرينَ أعمالاً، فعليهِ بالمحافظةِ على أعمالِهِ الصالحَةِ، وليتذكَّر قولَ الله تعالى في حقِّ الأخسرينَ أعمالاً: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا}. وقولَ الله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَاب * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّور}.

وتذكَّروا يا عباد الله، حديثَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما قال لأصحابِه الكرام: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) رواه الإمام

مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

انظروا إلى مفرداتِ هذا الحديثِ الشريفِ، وأسقطوهُ على الواقع، الشَّتمُ قائِمٌ بين الناس، والقذفُ سَهُلَ على كثيرٍ من الألسُن، أمّا ضربُ الأبرياءِ الذين يطالبونَ بحرِّيَّاتِهِم فَحَدِّث عنه بلا حرج، والأسوأ من هذا سَفكُ الدماءِ البريئةِ، فالمسلمونَ يقتُلُ بعضُهم بعضاً ولا حول ولا قوَّةَ إلا بالله العليِّ العظيمِ.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله! لنرجِع إلى كتابِ اللهِ تعالى، يا حكَّام ويا محكومين! التزموا قولَ الله تعالى: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}. أرجعوا ذلك إلى الله تعالى ورسولِهِ إن صحَّت عقيدتكم، وإلا فأنتم في ضلالِ السعيِ.

أناشِدُكمُ الله تعالى، أناشِدُكمُ الله تعالى حُكَّاماً ومحكومينَ، تدبَّروا قولَ الله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا}. وإلا فالعاقِبَةُ وخيمَةٌ.

ولا أقصِدُ بالعاقِبَةِ الوخيمَةِ دمارَ البلادِ، بل أقصِدُ بالعاقِبَةِ الوخيمَةِ تلك التي رتَّبها الله تعالى للأخسرينَ أعمالاً بقوله تعالى: {فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا}.

لقد سمعنا كثيراً مِمَّن يطعَنُ في بعضِ الآياتِ الكريمةِ، ويطعَنُ في بعضِ أحاديثِ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وصارَ البعضُ الآخرُ يستهزئُ ويسخَرُ بها وبالأحكامِ الشرعيَّةِ؛ لأنَّها لم توافق هواهُ، وهذهِ هي فتنةُ الدينِ

والعياذُ باللهِ تعالى. اللهمَّ إنا نسألُك حسن الخاتمةِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

265ـ خطبة الجمعة: هذا ما قلناه.. والآن أقول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

اللهُ الذي خَلَقَنا يعلمُ ما يُصلِحُنا وما يُفسِدُنا، فما تَرَكَنا سُدَىً، بل أكرَمَنَا اللهُ تعال

ى بتشريعٍ ضَمِنَ فيه سعادةَ الأفرادِ والجماعاتِ، كما ضَمِنَ سعادةَ الحاكمِ والمحكومِ، ضَمِنَ سعادةَ الجميعِ فِي الحياةِ الدنيا قبل الآخرةِ، وضَمَنَ لنا به حياةً طيبةً كريمةً تُصانُ فيها الدماءُ والأعراضُ، وتُحفظُ بها الأموالُ، وتَترَابَطُ بها الأمَّةُ كلُّها حتى تصبحَ كالجسدِ الواحدِ، لذلك أمرنا بالاستجابةِ له، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ}. هذا الخطابُ شملَ الحاكمَ والمحكومَ؛ لأنَّ الجميعَ عبيدٌ للهِ تعالى، قال تعالى: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}.

فمن آمن باللهِ تعالى ربَّاً وإلهاً ومُشَرِّعَاً، وأنَّهُ خالقٌ ورازقٌ وحاكمٌ وعدلٌ، والكلُّ راجعٌ إليه، كما قال تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم}. والكلُّ محاسبٌ بين يديه، كما قال تعالى: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم}، فلا يَسَعُهُ إلا الاستجابةُ لهذا النداءِ الرَّبَّانِيِّ.

فإذا أرادَ الحاكمُ والمحكومُ حياةً طيِّبةً، حياةً لا سَفْكَ للدماءِ فيها بل وحفظٌ للأعراضِ والأموالِ والممتلكاتِ وحفظٌ للمقدساتِ وحريةٌ للتعبير، فَلْيَستَجِب لأوامرِ اللهِ تعالى، وليَجعَل شعارَهُ: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}.

أين المستجيب من المسؤولين؟

أيُّها الإخوة الكرام: من خلال قوله تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّر * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِر}.

ومن خلال قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) رواه الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ومن خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) رواه الإمام مسلم عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

من خلال ذلك تَوَجَّهنا بالتَّذكيرِ والنُّصحِ للأمَّةِ من بدايةِ الأحداثِ إلى هذهِ الخطبةِ، تَوَجَّهنا للحاكمِ كما تَوَجَّهنا للمحكومِ بالتَّذكيرِ والنُّصحِ، ولكن أين من يقول بلسان الحال أو المقال: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}؟ الكلُّ مُتَّبِعٌ هواهُ، إلا من رحم الله تعالى.

قلنا لأعلى سلطةٍ في هذه الدولة من بداية الأحداث:

أيُّها الإخوة الكرام: من بداية الأحداث في سوريا، قلنا لأعلى سلطةٍ في هذه الدولة:

أولاً: من خلال قول الله تعالى: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}. قلنا: طبِّقوا مبدأَ العدلِ، ولا تأخذوا أحداً بجريمة غيره، اِعدلوا، ومن العدلِ أن لا يُؤخذَ الأصلُ والفرعُ والقريبُ بجريمةِ واحدٍ منهم.

ثانياً: من خلال قول الله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى}. قلنا: كيف يُنهى العبدُ عن الصلاةِ أثناءَ الخدمةِ الإلزاميةِ؟ بل كيف يكونُ امتحانُ الطلابِ في الجامعاتِ أثناءَ صلاةِ الجمعةِ؟

ثالثاً: من خلال قول الله تعالى: {إِنَّمَا المؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}. قلنا: كيف يُحَرَّشُ بين القبائلِ والعشائرِ ليقتلَ بعضهم بعضاً باسمِ المعارضةِ والموالاةِ؟

رابعاً: من خلال قول الله تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المفْلِحُون}. قلنا: يجب أن يُحاسبَ من يرغمُ الموقوفَ أن يقول: لا إله إلا فلان من البشر، وأن يسجد لصورتِهِ، قبل أن يُحاسبَ من يقول: الشعب يريد إسقاط النظام، لأنَّ الأُولى تَمسُّ في عقيدةِ الأمَّةِ كلِّها وتُحرِّكُ مشاعِرَهَا، وهي كلمةُ كفرٍ صريحٍ لا تأويلَ لها.

هذا بعضُ ما قلناه بجانب ما قاله غيرُنا من طلابِ العلمِ والعلماءِ، ولكن أين من يقول: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}؟

ثم قلنا لمن دونه بالمسؤولية من لجانٍ أمنيَّةٍ وغيرها:

أيُّها الإخوة الكرام: بعد ذلك تَوَجَّهنا إلى من دونه بالمسؤوليَّة من لِجانٍ أمنيَّةٍ وغيرها، فقلنا:

أولاً: من خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟!) رواه الإمام مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. قلنا لهم: أنتم ستتحملون إثمَ سَفْكِ الدماءِ البريئةِ، فكونوا سبباً لِحَقْنِهَا لا لِسَفْكِهَا، كونوا سبباً للمحافظةِ على الأموالِ والممتلكاتِ ولا تكونوا سبباً في إتلافها.

ثانياً: من خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ) رواه الإمام مسلم عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم رضي الله عنها. قلنا لهم: عليكم بالرفق بالأمة، وإيَّاكم

والبطشَ، فإنَّ عواقبَ البطشِ وخيمة، وتذكَّروا قول الله تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيد}.

ثالثاً: من خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، إلا أَتَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَغْلُولاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَكَّهُ بِرُّهُ، أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ، أَوَّلُهَا مَلامَةٌ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه الإمام مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه. قلنا لهم: عليكم بالعدلِ، وإيَّاكم والجورَ، وإلا فأنتم مُلامُون ونادمونَ ومُعَذَّبونَ.

رابعاً: من خلال قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِله}. قلنا لهم: عظِّموا حرمةَ بيوتِ الله تعالى، وإيَّاكم والإساءةَ لها وفيها، وإلا فأنتم ظَلَمَة، قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا}.

خامساً: من خلال قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ) رواه الإمام البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه. قلنا لهم: لا تظنُّوا أنَّ المعارضة هم فقط الذين يخرجون في الشوارع، بل الكلُّ معارضٌ للظلمِ والجَورِ وهضمِ الحقوقِ.

سادساً: من خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (عُذِّبتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ حبستها حَتَّى ماتَتْ ، فَدَخلَتْ فِيهَا النَّارَ ، لا هِيَ أطْعمتْهَا وسقَتْها ، إذ هي حبَسَتْهَا، ولا هِي تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأرض) رواه الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. قلنا لهم: أطلقوا سراح المعتقلين الذين طالبوا بحقوقهم، وأنتم مُقِرُّون بها.

هذا بعضُ ما قلناه للمسؤولين في هذه البلدة وفي حلب مع بعض الإخوةِ من

طلابِ العلم والعلماءِ وغيرهم، ولكن أين من يقول: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}؟

ثم قلنا من على هذا المنبر للجميع حكومةً وشعباً:

أيُّها الإخوة الكرام: بعد هذا تَوَجَّهنا إلى الأمَّةِ كلِّها حكَّاماً ومحكومين من على هذا المنبر، ومن جملة ما قلناه:

أولاً: من خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ) رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنهما. قلنا: نحن لا يَهُمُّنا من يحكمنا، بل يَهُمُّنا أن نُحكمَ بالإسلام، وقلنا بأنَّ الدستورَ الذي يحمي الإنسان. مهما كان هذا الإنسان، ومهما كان نوعُهُ وعِرقُهُ ولسانُهُ ومُعتَقَدُهُ. هو القرآنُ العظيمُ، وليست التشريعاتُ الوضعيَّةُ، فتشريعُ ربِّنا هو الأكملُ والأتمُّ.

ثانياً: من خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا تروِّعوا المسلم، فإن رَوعة المسلم ظلم عظيم) رواه البزار والطبراني كما في الترغيب والترهيب. قلنا: ترويعُ الآمنينَ حرامٌ وكبيرةٌ من الكبائرِ، ولكن الكلُّ يروِّعُ الكلَّ، إلا من رحم الله تعالى.

ثالثاً: من خلال قوله تعالى: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}. قلنا: يا حكام ويا محكومين! حكِّموا كتابَ الله تعالى فيكم، حكِّموا شرعَ الله تعالى فيما تنازعتم فيه.

رابعاً: من خلال قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ

حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيم﴾. قلنا: يا عباد الله، حافظوا على نعمةِ الأمنِ، ولا تعرِّضوها للزوال بشؤمِ المعاصي، وَذَكَرنا ماذا إذا فقدنا نعمة الأمن؟

خامساً: من خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) رواه الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه. قلنا: يجب علينا أن نعلَمَ وأن نُعلِّمَ أبناءنا أنَّه لا طاعةَ لوليِّ الأمرِ ولا لغيرِهِ إذا أمَرَ بمعصيةِ الله عز وجل، ويجب علينا أن نفهمَ الفَهمَ الصحيحَ، قولَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾. فطاعةُ وليِّ الأمرِ مقيَّدةٌ بطاعةِ اللهِ ورسولِهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وإلا فلا طاعة.

هذا بعض ما قلناه على هذا المنبر للأمة كلِّها، ولكن أين من يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾؟

كلمةٌ إلى التجار:

أيُّها الإخوة الكرام: بعد هذا ونحن نرى هذه الأزمة، جاء الآن دور التجار، التجار الذين ركَّبوا السِّكِّينَ فوقَ الحلقِ، وهم يعرفون بأنَّ سوادَ المسلمين من العمال والموظَّفين، وأنَّ دخلَهم محدودٌ، جاء هؤلاء التجار إضافةً إلى البلاء الذي يُصَبُّ على الأمة، ليرفعوا الأسعار.

ماذا يفعل الموظَّفُ الشريفُ والعاملُ النظيفُ؟ كيف يؤمِّنُ قوتَهُ وقوتَ من يعولُ والأسعارُ زادت أضعافاً مضاعفة.

أتوجَّه إلى الإخوةِ التجارِ الذين سمعتم منهم الكثيرَ الكثيرَ، وهم يتحدَّثون عن الظلم

والظالمين، وأنَّه يحرم السكوت عن الظلم، ويجب محاربته، أقول لهم:

أولاً: الظلمُ حرَّمَهُ ربُّنا عزَّ وجل بقوله في الحديث القدسي الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا). ولكن هل تنبَّهتم إلى الفقرةِ الأولى من الحديث: (إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي) فحرَّمَ الظلمَ على نفسه أولاً، وهو الذي لا يُسألُ عما يفعل وهم يُسألون، ثم بعد ذلك حرَّمَهُ على عباده الذين سيُسألون بين يديه يوم القيامة، فهل حرَّمتم على أنفسكم الظلمَ، قبل أن تُطالبوا الآخرين بتحريمِ الظلمِ؟

أيُّها التاجر: سَمِعَكَ الناسُ وأنت تتحدَّث عن الظلم ووجوبِ التخلُّصِ منه، فما لي أراكَ اليوم تتسابق مع المتسابقين في ظلم سواد المسلمين من خلال رفع الأسعار؟

ثانياً: أما سمعتَ يا أيُّها التاجر قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ المسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِن النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ) رواه الإمام أحمد عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ؟ لماذا تحوِّلُ عُمْلَتَكَ السوريَّة إلى أجنبيَّة وأنت تعلمُ أنَّ ذلكَ يزيدُ في الأسعار؟

ثالثاً: أما سمعتَ حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَبَرِئَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمْ امْرُؤٌ جَائِعٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللهِ تَعَالَى) رواه الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ؟

رابعاً: أما سمعتَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو يُعرِّفُ المحتكرَ؟ روى الطبراني عَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الاحْتِكَارِ مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا سَمِعَ بِرُخْصٍ سَاءَهُ، وَإِذَا سَمِعَ بِغَلاءٍ فَرِحَ بِهِ، بِئْسَ العَبْدُ المحْتَكِرُ، إِنْ أَرْخَصَ اللهُ الأَسْعَارَ حَزِنَ، وَإِنْ أَغْلاهَا اللهُ فَرِحَ).

أيُّها التجار: اسمعوا وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

أولاً: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ثانياً: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، واللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ثالثاً: (أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ المخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللهُ مِنْ خُضْرِ الجَنَّةِ) رواه الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

أيُّها الإخوة التجار: تفقَّدوا الإخوة الذين وفدوا إلى هذه البلدة من سائر المدن في هذا القطر، فارِّين من أجل سلامة دمائهم وأعراضهم، تفقَّدوهم، أعينوهم، ساعدوهم، وأسأل الله تعالى أن يحقن دماء المسلمين ويستر أعراضهم ويؤمِّن روعاتهم.

أيُّها الإخوة التجار: إذا لم تسرعوا في الاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فاسمعوا حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الفُجَّارُ، قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: أَوَلَيْسَ قَدْ أَحَلَّ اللهُ البَيْعَ، قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ، وَيَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُونَ) رواه الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وإني أسألُ الله تعالى أن لا يجعلكم منهم.

أيُّها التاجر: ما الذي يضرُّك لو بِعتَ سلعتَكَ وبضاعتَكَ في هذه الآونة برأس المال، وأكلتَ الآن من رأس مالك، رحمةً بالآخرين الذين دَخْلُهُم محدود؟ أما فكَّرتَ في الموظف الشريف؟ أما فكَّرتَ في العامل النظيف؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، {اسْتَجِيبُواْ للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ}.

يا عباد الله، ليقل كلُّ واحدٍ منَّا: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}. فكِّروا في رضا اللهِ عنكم، ولا تُفكِّروا في رضا الحاكمِ، ولا في رضا المحكومِ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

266ـ خطبة الجمعة: المعين على تحمل المحن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

كلُّنا يَعلمُ بِأَنَّ اللهَ تعالى ما خَلَقَنَا في هذِهِ الحياةِ الدُّنيا إلا للاختبارِ والابتلاءِ، والاختبارُ والابتلاءُ تارةً يكونُ بالعطاءِ وتارةً يكونُ بالمنعِ، وتارةً يكونُ بالنِّعمةِ وتارةً يكونُ بالنِّقمَةِ، ولا يَسَعُ العبدَ إلا التَّحَقُّقُ بالعبوديَّةِ للهِ عزَّ وجلَّ، والانضباطُ بضوابطِ الشريعةِ في سائرِ أحوالِهِ.

فإذا كانَ الاختبارُ والابتلاءُ بالعطاءِ والنِّعمةِ، وَجَبَ على العبدِ الشُّكرُ، وأمَّا إذا كانَ بالمنعِ والنِّقمَةِ، فَيَجِبُ عليهِ الصَّبرُ.

أيُّها الإخوة الكرام: لقد مرَّت علينا سَنَةٌ كامِلَةٌ ونحنُ في امتحانٍ ومِحنةٍ عظيمةٍ، والكلُّ يعلمُ بأنَّ المؤامَرَةَ على الإسلامِ والمسلمينَ، والشِّدَّةُ في هذه المِحنَةِ قد أَوْدَتْ بالمهَجِ، وكادَ البعضُ أن يُفتنَ في دينِهِ. والعياذُ باللهِ تعالى. وهذا أمرٌ ليسَ بغريبٍ على العبدِ إذا ضَعُفَ إيمانُهُ. نسألُ الله تعالى أن يُثَبِّتنا بالقولِ الثابِتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ.

المُعينُ على تحمُّلِ المِحَنِ:

يا عباد الله، إذا أَرَدنَا أن نُخَفِّفَ عن أنفُسِنا أَلَمَ وشِدَّةَ المِحَنِ والابتلاءاتِ فَعَلَينَا بأمرينِ اثنينِ:

الأمرُ الأوَّلُ: هو التماسُ المِنحَةِ في المِحنَةِ؛ لأنَّ سنَّةَ الله تعالى في عبادِهِ

المؤمنينَ أنَّهُ ما يمتحِنُهُم إلا ليُعطِيَهُم، وما عوَّدَ ربُّنا جلَّ وعلا عبادَهُ المؤمنينَ إلا خيراً، قال تعالى: {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}. قالَ بعضُ العلماءِ: النِّعمةُ الباطِنَةُ: هي التي جاءت في ثوبِ مُصيبةٍ ومِحنَةٍ.

وهذا ما أكَّدَهُ سيِّدُنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقوله: (عَجَبًا لأَمْرِ المؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) رواه الإمامُ مسلم عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

لذلكَ وَجَبَ على العبدِ المؤمنِ أن يبحثَ عنِ المِنحَةِ من خلالِ المِحنَةِ، لأنَّ ربَّنا عزَّ وجلَّ يقول: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}. ويقول: {فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}.

العِبرَةُ في قِصَّةِ سيِّدِنا يوسفَ عليه الصلاةُ والسلامُ:

يا عباد الله، اقرؤوا قصَّةَ سيِّدِنا يوسفَ عليه السلام في القرآنِ العظيمِ، لتعرفوا بأنَّ المِحنَةَ في ضمنِها المِنحَةُ، عندما أرادَ اللهُ تعالى أن يُمَكِّنَهُ في الأرضِ، جَعَلَ طريقَ الوصولِ إلى ذلكَ المِحنَةَ، فكانت المِحنَةُ متدرِّجَةً:

أولاً: حَقَدَ عليهِ إخوتُهُ، وأرادوا أن يُفَرِّقوا بينَهُ وبين أَبَوَيهِ فجعلوهُ في غيابَةِ الجُبِّ، ونَسِيَ هؤلاء قولَ اللهِ تعالى: {وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}.

ثانياً: جاءت سيَّارةٌ ـ قومٌ سائِرونَ في الطريقِ ـ وأخذوا سيِّدَنا يوسُفَ عليه السلام من الجُبِّ وجعلوهُ من جُملةِ البِضاعةِ، وباعوهُ بِثَمَنٍ بَخسٍ، قال تعالى: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ

بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِين}.

ثالثاً: بِيعَ سيِّدُنا يوسفُ عليه السلامُ لعزيزِ مِصرَ، وقال لامرأتِهِ: {أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا}.

رابعاً: وجاءتِ المِحنَةُ القاسيَةُ، مِحنَةُ النساءِ، ولكنَّ سيِّدَنا يوسفَ عليه السلام جَعَلَ شِعارَهُ في ذلك: {مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ}. وحَفِظَهُ اللهُ تعالى من شرِّها، بل قال: {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ}.

وأخيراً جَاءَتِ المِنحَةُ بعدَ المِحنَةِ:

يا عبادَ الله، بعدَ هذِهِ المِحنَةِ القاسِيَةِ، جاءَ دورُ المِنحَةِ الإلهيَّةِ، أَلا وهيَ التَّمكِينُ في الأرضِ، فلو أَرادَهَا سيِّدُنا يوسفُ عليه السلام بِنَفسِهِ ربَّما كانَ لا يَصِلُ إليها، ولكنْ تدبيرُ اللهِ تعالى أغناهُ عن ذلك، وصَدَقَ اللهُ تعالى القائِلُ: {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}.

فَقَالَ المِلِك لسيِّدِنا يوسفَ عليه السلام: {إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِين}.

لا أيُّها المِلِكُ، لا أيُّها الحاكِمُ، أنتَ لا تَستَطيعُ أن تُمَكِّنَ أحداً في مَملَكَتِكَ، فأنتَ ومَملَكَتُكَ مُلكٌ للهِ تعالى، فالذي مَكَّنَكَ إنَّما هو اللهُ تعالى، ولو شَاءَ لَنَزَعَ عَنكَ المِلكَ، قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}. فإذا كان هذا في حقِّكَ فكيفَ بمن هو تحتَ يَدِكَ؟

لذلكَ وَجَبَ على كلِّ من يَعمَلُ تحتَ يدِ مَلِكٍ من الملوكِ أو رَئِيسٍ من الرُّؤَساءِ أن يعلَمَ أنَّ المُمَكِّنَ الحَقِيقِيَّ إنَّما هوَ اللهُ تعالى، فَمَلِكُ مِصرَ عندما قالَ لسَيِّدِنا يوسفَ

عليه السلام: {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِين}. قال تعالى مبيِّناً الحقيقة: {وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ}.

يا شبابَ هذهِ الأمَّةِ:

وأنا أقولُ للشَّبابِ: يا شبابَ هذهِ الأمَّةِ، اِعلموا عِلمَ اليقينِ بأنَّ تدبيرَ اللهِ هو خيرٌ من تدبيرِ العبادِ، ورَحِمَ اللهُ من قال: تَدبِيرِي تَدمِيرِي، وتَدبِيرُهُ تَعمِيرِي، فلا تضيقوا ذرعاً من المِحنَةِ إذا كنتم ملتزمينَ دينَ الله تعالى.

فإنَّ من خلالِها ومن ورائِها مِنحَةً، قال تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}

اِعلموا يا شبابَ هذهِ الأمَّةِ بأنَّ دِينَكم محفوظٌ، وأنَّ الأمَّةَ محفوظَةٌ، ولكِنَّ الخوفَ على أنفُسِنا أن نُفتَنَ في دينِنَا لا قدَّرَ اللهُ تعالى، لذلكَ اجعَلُوا شِعَارَكم أَمَامَ جميعِ الفتن: {مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ}.

أُثبُتُوا على الحقِّ، ولا تَخافُوا ولا تَحزَنوا إذا كنتُم مَعَ اللهِ تعالى، فَإِن آلَمَتكُم المِحنَةُ فَتَذَكَّرُوا قولَ اللهِ تعالى: {وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون}. وإيَّاكُم أن تَبِيعُوا دِينَكُم بِعَرَضٍ من الدنيا، فَضلاً عن أن تبيعُوهُ بدنيا غيرِكُم.

الأمرُ الثاني: هو التَّبَرُّؤُ من الحولِ والقوَّةِ والتَّدبِيرِ:

أيُّها الإخوة الكرام: أمَّا الأمرُ الثاني المعِينُ على تحمُّلِ المِحَنِ، فهو التَّبَرُّؤُ من الحولِ والقوَّةِ والتَّدبِيرِ إلى حَولِ اللهِ تعالى وقوَّتِهِ وتَدبِيرِهِ.

يَجِبُ علينا أن نتبرَّأَ من حَولِنا وقوَّتِنا وتَدبِيرِنا، بعد التَّبَرُّؤِ من اليَهودِ والنَّصارى، ومنَ المنافقينَ الذين بَاعُوا دينَهُم بِعَرَضٍ من الدنيا، أو بَاعُوا دِينَهُم بِدُنيَا غَيرِهِم، ومِمَّن

كَانُوا حَرِيصِينَ على كراسِيِّهِم.

يا عبادَ الله، يَجِبُ علينا أن نَتَبَرَّأَ أولاً مِمَّن قالَ الله فيهم: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}. يَجِبُ علينا أن نَتَبَرَّأَ أولاً مِمَّن قالَ الله فيهم: { قَدْ بَدَتِ البَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ}. ثمَّ بعدَ ذلك نَتَبَرَّأُ مِن حَولِنا وقوَّتِنا وتَدبِيرِنا إلى حَولِ اللهِ وقوَّتِهِ وتَدبِيرِهِ.

فإذا تبرَّأنا من حَولِنا وقوَّتِنا وتَدبِيرِنا إلى حَولِ اللهِ وقوَّتِهِ وتَدبِيرِهِ، فلا نُضامُ إن شاءَ اللهُ تعالى ولو اجتَمَعَت علينا أهلُ الأرضِ، فهذا هو سيِّدُنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَعَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ وهما في الغارِ، يقولُ لِصاحِبِهِ: {لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا}. ويقول له: (مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا) رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

سيِّدُنا نوحٌ عليه السلامُ المتوكِّلُ على اللهِ تعالى:

أيُّها الإخوة الكرام: اِسمَعوا إلى نَبأِ سيِّدِنا نوح عله السلام، الذي اجتَمَعَت عليهِ أهلُ الأرضِ، وهوَ لوحدِهِ معَ ثمانينَ بين رجلٍ وامرأةٍ.كما جاءَ في بعضِ الرواياتِ . .

قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُون}.

فهل من مُعتَبِرٍ من قِصَّةِ سيِّدِنا نوحٍ عليه السلام؟ هل من قائِلٍ: {فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ}؟ لقد تَبَرَّأَ سيِّدُنا نوحٌ عليهِ السلام من حَولِهِ وقوَّتِهِ وتَدبِيرِهِ إلى حَولِ اللهِ وقوَّتِهِ وتَدبِيرِهِ، ودعا بكلمةٍ واحدةٍ، فقال: {أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِر}.

فكانَتِ النَّتيجةُ قولَ اللهِ تعالى: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ * وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}.

أينَ الدعاءُ في هذهِ الأزمةِ:

يا عبادَ الله، بكلمةٍ واحدةٍ قالها سيُّدُنا نوحٌ عليه السلام: {أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ}. جاءه الفَرَجُ والنَّصرُ، أمَّا نحنُ فلماذا لا يُستجابُ لنا؟ الكلُّ يدعو اللهَ تعالى، والناسُ في الحَرَمَينِ الشَّريفَينِ يدعونَ لأهلِ سوريا بجوارِ الكعبةِ المشرَّفَةِ، وبجوارِ الحبيبِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ولكن لا يُستَجابُ الدعاءُ، لماذا؟

اِسمحوا لي أن أقولَ وبِكُلِّ صراحةٍ: الدُّعاءُ جِهاراً نهاراً في بعضِ الأحيانِ صارَ خالِياً من الإخلاصِ، لأنَّهُ كانَ من أجلِ إرضاءِ زيدٍ أو عمروٍ من النَّاسِ، ولو كنَّا صادِقِينَ في الدُّعاءِ، وكَانَ الدُّعاءُ سِرَّاً، وفي وقتِ السَّحَرِ، وكانَ بِقَلبٍ صادِقٍ معَ الله تعالى، لَكانَ مُستجاباً.

نَعَم، سيِّدُنا نوحٌ عليهِ السلام دَعَا بقوله: {أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ}. فَاستجابَ اللهُ تعالى له، لأنَّهُ توكَّلَ على اللهِ تعالى، ولأنَّ دَعاءَهُ دُعاءُ العبدِ المضطَرِّ، ولأنَّهُ تَبَرَّأَ من حَولِهِ وقوَّتِهِ وتَدبِيرِهِ، ولأنَّهُ كانَ مبتَعِداً عنِ الشُّبُهاتِ فضلاً عنِ الحرامِ.

قلبٌ صادِقٌ، وجَسَدٌ طاهِرٌ، وعَمَلٌ صالحٌ، ودُعاءُ مَضطَرٍّ، كيفَ لا يَستجِيبُ اللهُ تعالى لهُ، وهوَ القائِلُ: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}؟

نَعَم، استجابَ اللهُ تعالى لسيِّدِنا نوح عليه السلام وحَمَلَهُ على قِطَعٍ منَ الأخشابِ فوقَ موجٍ كالجِبالِ، كما قال تعالى: {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ}.

نَعَم، عينُ الله تعالى إذا رَعَتِ العبدَ فَحَدِّث بلا حَرَجٍ، فأينَالمعتبرُ من قِصَّةِ سيِّدِنا نوحٍ عليهِ السلام؟

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَهَا:

يا أمَّةَ سيِّدنا محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ! فَتِّشُوا عن المِنحَةِ في ثَنايَا المِحنَةِ، وإيَّاكُم واليأسَ والقُنوطَ من رحمَةِ اللهِ تعالى، ثمَّ تَبَرَّؤُوا من حولِكُم وقوَّتِكُم وتَدبيرِكُم إلى حَولِ اللهِ وقوَّتِهِ وتَدبِيرِهِ.

وتَذَكَّروا كلامَ سيِّدِنا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ الذي كانَ ينظُرُ إلى المِحنَةِ بأنَّ في ثنايَاهَا مِنَحاً كبِيرَةً، يقولُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ :

ما أُصِبتُ بِمُصيبةٍ إلاَّ ونظرتُ أنَّ اللهَ تعالى أَنعَمَ عليَّ فيها بثلاثِ نِعَمٍ:

الأولى: أنَّ اللهَ تعالى هَوَّنَهَا عليَّ، ولم يُصبنِي بِأَعظَمَ مِنهَا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلى ذَلِكَ.

والثانية: أنَّ اللهَ تعالى جعَلَهَا في دُنيَايَ، ولم يَجعَلهَا في دِينِي، وَهُوَ قَادِرٌ عَلى ذَلِكَ.

والثالثة: أنَّ اللهَ تعالى يُثِيبُنِي عليها يومَ القيامَةِ.

وأخيراً يَقولُ سفيانُ الثوريُّ: لَمْ يَفْقَهُ عِندَنَا مَنْ لَمْ يَعُدَّ البَلاءَ نِعمَةً، والرَّخَاءَ مُصِيبَةً. اهـ.

وهيَ كلمَةُ حقٍّ، لأنَّ الرَّخاءَ مَعَ الغَفلَةِ عنِ اللهِ تعالى مِن أعظَمِ المِصائِبِ، قال تعالى: {كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}.

يا عبادَ الله، إذا كانت هذهِ المِحنَةُ التي تمرُّ علينا أيقَظَتنَا من غَفلَتِنا وأَرجَعَتنا إلى اللهِ تعالى، فَهِيَ واللهِ مِنحَةٌ مِن مِنَحِ اللهِ تعالى، وإلا فما بعدَهَا أعظَمُ. والعياذُ باللهِ

تعالى، ولا قدَّرَ الله تعالى ..

اللَّهُمَّ لا تَجعَل مُصيبَتَنَا فِي دِينِنَا، ولا تَجعَلِ الدُّنيا أكبَرَ همِّنا، ولا مَبلَغَ عِلمِنَا، يا أرحَمَ الراحِمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

267ـ خطبة الجمعة: قولوا للسَّارِقِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ قلبَ الأمَّةِ مَجروحٌ مِمَّا حَلَّ بها مِن هذه المِحنةِ والفتنةِ، قَلبُها مَجروحٌ لسفكِ الدماءِ، وقتلِ الأبرياءِ، وانتهاكِ الأعراضِ، وتهديمِ البيوتِ، والاعتداءِ على المقدَّساتِ.

قلبُ الأمَّةِ مجروحٌ، ومِمَّا يزيدُ الجرحَ نَزيفاً ظُهورُ جريمةِ السَّرِقةِ، فلم يكتَفِ الناسُ بالمصابِ الذي وَقعَ على الأمَّةِ، بل زادوهُ بِسَرِقَةِ البيوتِ والمحلاتِ التجاريةِ، فَقَامَ بعضُ الناسِ مِمَّن يُدْعَوْنَ بأنَّهم حُماةُ الوطنِ والأمَّةِ، ومِن غيرِهم بهذه الجريمةِ التي تَدلُّ

على خِسَّةِ الطِّباعِ، وقِلَّةِ الإيمانِ.

تربيةُ الإسلامِ لأتباعِهِ:

يا عباد الله، ما يَجري في وَاقِعِنا من سفكٍ للدِّماءِ، وهتكٍ للأعراضِ، ثمَّ سَرِقَةِ المِمتَلَكَاتِ العامَّةِ والخاصَّةِ، ما هو إلا نَتيجَةُ التَّربِيةِ الفاسِدةِ الفاشِلَةِ.

هل ربَّى الإسلامُ أتباعَهُ على ذلك؟ لا وربِّ الكعبةِ، بل هذه تربيةُ مَن رَفَضَ الإسلامَ ديناً وقانوناً ودُستوراً، هذِهِ تربيةُ من نَظَرَ إلى الإسلامِ بأنَّهُ دِينُ تخلُّفٍ ورجعيَّةٍ، هذِهِ تربيةُ من قال: الإسلامُ لا يتناسبُ مع العصرِ، ولا يُصلحُ حالَ المجتمعِ، هذه تربيةُ مَن حاربَ الإسلامَ.

يا عباد الله، الإسلامُ ربَّى أتباعَهُ على العكسِ من ذلك تماماً، ربَّاهم على التوحيدِ، ربَّاهم على حقنِ الدماءِ، ربَّاهم على صيانةِ الأعراضِ والأموالِ والعقولِ.

روى الطبراني عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: بَايَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُمْ : (أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ، وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ ، وَلا تَزْنُوا ، وَلا تَسْرِقُوا فَمَنْ أَتَى مِنْكُمْ شَيْئًا مِنْ هَذَا فَأُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فَالْحَدُّ كَفَّارَتُهُ ، وَمَنْ سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ فَحِسَابُهُ عَلَى رَبِّهِ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ مِنْهُنَّ شَيْئًا ضَمِنْتُ لَهُ الْجَنَّةَ).

هكذا ربَّاهم سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، انظُرُوا في تاريخِنا وتاريخِ سَلَفِ هذه الأمَّةِ لِتَجِدُوا مِصداقَ قولِ الله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}.

نعم يا عباد الله، إنَّ الشركَ الجَلِيَّ والخَفِيَّ، وقتلَ الأبرياءِ، وهَتكَ الأعراضِ، واستِلابَ الأموالِ، وشُربَ المسكِرَاتِ، ليست من الإسلامِ في شيءٍ، فمن كان حريصاً على أن يدخلَ في ضمانِ سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِدخولِ الجنَّةِ فلْيَترُك هذِهِ الأمورَ.

قولوا للسَّارِقِ:

أيُّها الإخوة الكرام: إنَّ جريمةَ السَّرِقَةِ تزيدُ اضطرابَ المجتمعِ اضطراباً، والخوفَ خوفاً، وسفكَ الدماءِ سفكاً، وتزيدُ النارَ اشتعالاً.

يا عباد الله، قولوا للسَّارِقِ، سواءٌ كانَ في الخدمةِ الإلزاميَّةِ، أو كانَ من حُماةِ الوطنِ المتَطَوِّعينَ لذلك، أو كانَ من أيِّ شريحةٍ مِن شرائحِ المجتمعِ:

أولاً: لا تنسَ حدَّ السَّرِقَةِ:

قولوا للسارقِ: لا تنسَ حدَّ السَّرِقَةِ الذي قال الله تعالى فيه:{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيم}. وواللهِ لو أُقيمتِ الحدودُ لَقُطِعَت يدُكَ، وإذا قُطِعَت يدُكَ أصبحتَ معروفاً بأنَّكَ سارقٌ، فهل يُرضِيكَ هذا؟.

وروى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُما: أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ بِهَا الَّذِينَ سَرَقَتْهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ سَرَقَتْنَا، قَالَ قَوْمُهَا: فَنَحْنُ نَفْدِيهَا، يَعْنِي: . أَهْلَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (اقْطَعُوا يَدَهَا)، فَقَالُوا: نَحْنُ نَفْدِيهَا بِخَمْسِ مِائَةِ دِينَارٍ، قَالَ: (اقْطَعُوا يَدَهَا)، قَالَ: فَقُطِعَتْ يَدُهَا

الْيُمْنَى، فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ: هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (نَعَمْ، أَنْتِ الْيَوْمَ مِنْ خَطِيئَتِكِ كَيَوْمِ وَلَدَتْكِ أُمُّكِ).

نعم يا عبادَ الله، مَفزَعُ الأمَّةِ قائِدُها، حيثُ تجدُ عندهُ صيانَةَ الدِّماءِ والأعراضِ والأموالِ، لذلك جاءَ القومُ إلى سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عندما اعتُدِيَ على أموالِهِم.

قولوا للسَّارِقِ: إذا عُطِّلَتِ الحدودُ في الدنيا، وضاعتِ الحقوقُ فيها، فإنَّ السَّارِقَ والمسروقَ منهُ راجِعٌ إلى اللهِ تعالى، والسَّارِقُ هو تحتَ مراقبَةِ اللهِ تعالى، قال تعالى: {إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}. وهو في قبضَتِهِ، قال تعالى: {للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ}. وهو إليهِ راجعٌ، قال تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم}.

لِيَسمَعَ وليُّ الأمرِ، ولِيَسمَعَ قُضاتُنا إذا كانوا حريصينَ على سلامةِ المجتمعِ وأمنِهِ إلى ما رواه الإمام البخاري رحمهُ الله تعالى عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: (قَطَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَدَ سَارِقٍ فِي مِجَنٍّ ثَمَنُهُ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمَ). والمِجَنُّ: هوَ التِرسُ.

لماذا لا يُقامُ حدُّ السَّرِقَةِ في مجتمعنا؟ هل لأنَّ الغربَ لا يرضى بذلك؟ الغربُ لا يقطعُ اليدَ فقط إذا اعتُدِيَ عليهِ، بل يقتُلُ الأبرياءَ ويسفِكُ الدماءَ ويُخرِّبُ البلادَ والعبادَ.

إذا كانَ الغربُ يعترِضُ على الحدودِ، فليَعلَمَ بأنَّ هناكَ من سَبَقَهُ في هذا الاعتراضِ، وما ذاكَ إلا لجهلِهِ بحكمَةِ البَارِي.

قال المعريُّ معترضاً:

يَدٌ بِخَمسِ مِئِينٍ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ *** مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ

والعَسْجَدُ هو الذهبُ.

فأجابهُ بعضُ أهلِ العلمِ وكانَ القاضي عبدَ الوهَّابِ المالكي، رحمهُ اللهُ تعالى: لما كَانت أَمِينَةً كَانَت ثَمِينَةً، فَلَمَّا خَانَت هَانَت. وردَّ عليهِ بعضُهُم قائلاً:

عِزُّ الأمانةِ أَغْلاَهَا، وأَرْخَصَهَا *** ذُلُّ الخِيَانَةِ، فَافهَم حِكْمَةَ البَارِي

نعم يا عبادَ الله: دِيَةُ اليدِ إن قُطِعَت خطأً نِصفُ دِيَةِ الرَّجُلِ، ودِيَةُ الرَّجُلِ خَطَأً مائةُ ناقَةٍ، أو ألفُ دِينَارٍ من ذَهَبٍ، والدِّينَارُ يُعادِلُ خَمَساً من الغرامات.

هذه دِيَةُ اليدِ الأمينَةِ إذا اعتُدِيَ عليها خطأً أمَّا إذا اعتُدِيَ عليها عمداً فالجزاءُ هو القِصَاصُ إلا أن يعفُوَ المجنِيُّ عليهِ.

ثانياً: لا تنسَ أنَّ الإيمانَ يُسلَبُ من السَّارِقِ:

قولوا للسَّارِقِ: لا تنسَ حديثَ سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي يقولُ فيه: (وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) رواه الإمام البخاري عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. فتفقَّد إيمانَكَ باللهِ واليومِ الآخرِ إذا أقدمتَ إلى السَّرِقةِ، فهل يُرضِيكَ أن يُسلَبَ مِنكَ إيمانُكَ. لا قدَّرَ الله تعالى.؟

واعلموا يا عبادَ الله، بأنَّ السَّرِقَةَ من الأموالِ العامَّةِ كالسَّرِقَةِ من الأموالِ الخاصَّةِ إن لم تكن أشدَّ، ومَن الذي يُفتِيكم بأنَّ السَّرِقَةَ من الأموالِ العامَّةِ جائِزةٌ شرعاً؟

هل في الإسلامِ سرِقَةٌ حلالٌ وسرِقَةٌ حرامٌ؟ السَّرِقَةُ كلُّها حرامٌ بجميع صوَرِهَا

وأشكالِها، سواءٌ من الأموالِ العامَّةِ أم من الأموالِ الخاصَّةِ.

ثالثاً: لا تنسَ بأنَّ دعاءَكَ غيرُ مُستجاب:

قولوا للسَّارِقِ: لا تنسَ بأنَّ دعاءَكَ غيرُ مُستجابٍ، وذلكَ لما رواهُ الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}. وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ).

يا عبادَ الله، المطعَمُ والمشرَبُ والملبَسُ الحرامُ ليس مقصوراً على السَّرِقَةِ فحسب، بل يشمَلُ جميعَ المعاملاتِ غيرِ الشَّرعيَّةِ، فانظروا إلى بَيعِكُم وشِرائِكم، هل هُو موافقٌ للشَّرعِ أم لا؟

لقد كان أصحابُ سيدنا محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يتركونَ تسعَةَ أعشارِ الحلال مخافَةَ الرِّبا، كما قالَ سيدنا عمر رَضِيَ اللهُ عَنهُ: (تَرَكنَا تِسعَةَ أَعشَارِ الحَلالِ مَخَافَةَ الرِّبَا).

يا عبادَ الله، الربا حرامٌ، الرِشوةُ حرامٌ، تطفيفُ الكيلِ والميزانِ حرامٌ، السَّرِقَةُ حرامٌ، وكلُّها داخلَةٌ تحت قولِهِ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}.

يا عباد الله: يجبُ علينا أن نتفقَّهَ في دينِ اللهِ عز وجل، وخاصَّةً إذا قَصَدَ أحدُنا

التجارَةَ، وكانَ سيدنا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ: (لا يَتَّجِرُ فِي أَسْوَاقِنَا إِلا مَنْ قَدْ فَقِهَ فِي دِينِهِ، وَإِلا أَكَلَ الرِّبَا شَاءَ أم أَبَى).

رابعاً: لا تنسَ بأنَّ نارَ جهنَّمَ تنتظِرُكَ إن لم تَتُب إلى اللهِ تعالى:

قولوا للسَّارِقِ: لا تنسَ أنَّ نارَ جهنَّمَ تنتظِرُكَ إذا لم تَتُب إلى اللهِ تعالى، وتذكَّر حديثَ سيدنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) رواه البيهقي عن أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وروى الإمام مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: (مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ، لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ، فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ). والمِحجَنُ: هو العصا الملويَّةُ الرأسِ. وقُصْبَهُ يعني: أمعاءَهُ. فهل يُرضِكَ أن تكونَ من أهلِ النارِ يومَ القِيامَةِ ـ لا قدَّرَ اللهُ تعالى ـ؟

خامساً: لا تنسَ بأنَّكَ سوفَ تندمُ:

قولوا للسَّارِقِ: لا تنسَ بأنَّكَ سوفَ تَندَمُ في الدنيا ـ إن بَقِيَ عندكَ ذرَّةُ إيمانٍ ـ وخاصَّةً عندَ سَكَراتِ الموتِ، حيثُ تستحضِرُ السَّرِقَةَ، وانقَطَعَت حِيلَتُكَ، فكيفُ تستَحِلُّ صاحِبَ المالِ؟ وكيفَ تردُّ المالَ لصاحِبِهِ، وسَتَقولُ لا قدَّر اللهُ عند سَكَراتِ الموت: {رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ}. ومنَ العملِ الصَّالِحِ، إعادَةُ الحقوقِ لأصحابِها أو استِحلالُهُم.

وسوفَ تندمُ في الآخرةِ إذا مُتَّ بدونِ إعادَةِ الحقوقِ إلى أصحابِهَا أو استِحلالِهم، لأنَّك سَوفَ تكونُ من المفلِسينَ يومَ القيامَةِ، كما قال سيدنا رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (أَتَدْرُون من الْمُفْلِسُ؟ قالُوا: الْمُفْلسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ. فقال: إنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقيامةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وزَكَاةٍ، ويأْتِي وقَدْ شَتَمَ هذا، وقذَف هذَا وَأَكَلَ مالَ هَذَا، وسفَكَ دَم هذَا، وَضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذَا مِنْ حسَنَاتِهِ، وهَذا مِن حسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حسناته قَبْلَ أَنْ يقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ علَيْه، ثُمَّ طُرِح فِي النَّارِ) رواه الإمام مسلم عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَهَا:

يا عبادَ الله:

أولاً: كونوا آمرينَ بالمعروفِ ناهِينَ عن المنكرِ، وذكِّروا أبناءكم وإخوانَكم بنتائِجِ جريمَةِ السَّرِقة، وقولوا لمن يشتري من سارِقٍ وهو يعلَمُ أنَّهُ سارقٌ: قولَ الإمامِ أحمد رحمه الله تعالى: (إذا اشترى الرَّجُلُ من رجُلٍ شيئاً وهوَ يعلمُ أنَّهُ سَرَقَهُ، فقد شارَكَهُ).

ثانياً: ذكِّروا أبناءَكُم وإخوانَكم بأنَّ الرِّزقَ مقسومٌ، فمن صَبَرَ عليهِ أخَذَهُ بالحلالِ، وإلَّا أخَذَهُ بالحرامِ.

ثالثاً: ذكِّروهُم بأنَّهُم مسؤولون يومَ القيامَةِ عن المالِ من أينَ اكتسبوه؟ كما قالَ سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (لا تَزُولُ قَدمَا عبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيم فَعَلَ فِيهِ، وعَنْ مالِهِ منْ أَيْنَ اكْتَسبهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَن جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ) رواه الترمذي عن أبي برزةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

رابعاً: لنُكثر جميعاً من الدعاء: اللهمَّ أغنِنَا بحلالِكَ عن حرامِكَ، وبِطاعَتِكَ عن مَعصِيَتِكَ، وبِفَضلِكَ عمَّن سِواكَ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

268ـ خطبة الجمعة: أسباب انتشار جريمة السرقة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

قَلبُ الأمَّةِ مَجرُوحٌ بِسَبَبِ المِحنَةِ القاسِيَةِ التي تَمُرُّ عليها، قَلبُها مَجرُوحٌ بِسَبَبِ سَفْكِ الدِّماءِ وانتِهَاكِ المقدَّساتِ وهَتْكِ الأَعرَاضِ، الأمَّةُ تَلتَجِئُ إلى اللهِ تعالى لِكَشْفِ الغُمَّةِ عنها، ولكن في هذه الآوِنةِ ظَهَرَت شَرِيحَةٌ من النَّاسِ لِتَزِيدَ الأَلَمَ أَلَماً، والحُزنَ حُزناً، من خِلالِ ارتكابِ جَرائِمِ السَّرِقَةِ، سواءٌ كانت من الأموالِ الخاصَّةِ أو العامَّةِ.

يا عباد الله، لقد أكرَمَنَا اللهُ تعالى بِدِينٍ دَعَا أَتبَاعَهُ إلى احترامِ أموالِ الآخرينَ وحِفظِها وصِيانَتِها، وحرَّمَ الاعتداءَ عليها إِتلافاً واغتِصَاباً، سَرِقَةً وغِشَّاً وخِيانَةً،

وجَعَلَ السَّرِقَةَ كبيرةً من كبائِرِ الذُّنوبِ، وجريمةً من الجرائِمِ الأخلاقِيَّةِ التي لا يَتَّصِفُ بها ذو دِينٍ وَخُلُقٍ واستِقَامَةٍ.

يا عباد الله: السَّارِقُ شخصٌ مُجرِمٌ استخدَمَ نِعمَةَ اللهِ تعالى في معصيةِ اللهِ تعالى، استخدَمَ عَقلَهُ وسَمعَهُ وبَصَرَهُ ويَدَهُ ورِجلَهُ فيما يُسخِطُ اللهَ تعالى، وهوَ مسؤولٌ عن هذه الجوارحِ، قال تعالى: {إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}.

السَّارِقُ عَرَّضَ إِيمَانَهُ للضَّيَاعِ، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

السَّارِقُ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلَعنَةِ اللهِ تعالى، واللعنُ يعني: الطردَ من رحمةِ اللهِ تعالى، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ) رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

السَّارِقُ عَرَّضَ بصيرَتَهُ لِلانطِمَاسِ، فَصَارَ لا يَقنَعُ بالحلالِ، بل عَشِقَ الحرامَ، ولو خُيِّرَ بين الحلالِ والحرامِ لاختَارَ الحرامَ، قال تعالى: {زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا}. لقد طُمِست بصيرةُ السَّارِقِ لَّما طُمِست بصيرةُ القاتِلِ بغيرِ حقٍّ. والعياذُ بالله تعالى ..

الشَّهادَةُ في سبيلِ اللهِ لا تُكَفِّرُ جريمَةَ السَّرِقَةِ:

يا عباد الله، سَرِقَةُ الأموالِ خَطِيئَةٌ كَبِيرَةٌ لا يُكَفِّرُها أيُّ عَمَلٍ صَالِحٍ مهما كانَ، حتى ولو بَلَغَ دَرَجَةَ الشَّهادةِ في سبيلِ اللهِ تعالى، السَّارِقُ لا تُغفَرُ جريمَتُهُ ولو قُتِلَ في

سبيلِ اللهِ عز وجل، بل لو قُتِلَ وهو يجاهِدُ في سبيلِ الله تعالى مع سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، يقولُ سيدنا عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فُلانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (كَلا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ) رواه الإمام مسلم. فشهادتُهُ في سبيلِ الله لم تكن شفيعاً لهُ في بُردَةٍ سَرَقَها، فكيف بمن يسرِقُ ما لا يعلمُهُ إلا الله تعالى؟

وهنا أقولُ لِقاتلِ الأبرياءِ بغيرِ حقٍّ: هل سمعتَ هذا الحديثَ الشريفَ؟ رجلٌ سَرَقَ عَبَاءَةً وقُتِلَ في سبيلِ اللهِ، هوَ في النارِ، فَكَيفَ بِحالِكَ يا قاتلَ الأبرياءِ بغيرِ حقٍّ؟ يا قاتلَ الأبرياءِ بغيرِ حقٍّ أُذَكِّرُكَ بقول الله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}. أسألُ اللهَ تعالى أن يُعَجِّلَ في عُقوبَتِكَ في الدنيا قَبلَ الآخِرَةِ حتى لا تكونَ أُسوَةً لِغيرِكَ في ارتكابِ هذهِ الجريمةِ.

أسبابُ انتشارِ جريمَةِ السَّرِقَةِ:

يا عباد الله، إنَّ لِهذه الجريمةِ ـ جَريمَةِ السَّرِقَةِ ـ أسباباً أدَّت إليها، من هذه الأسبابِ:

أولاً: سوءُ التَّربِيَةِ:

يا عباد الله، إنَّ سوءَ التَّربِيَةِ لهُ آثارٌ سَيِّئَةٌ على الفردِ والمجتمعِ، فإذا لم يَقُم الأبوانِ، ثمَّ المدرسةُ، ثمَّ أجهزةُ الإعلامِ بجميعِ صُوَرِها، بما هوَ واجبٌ عليهم من حُسنِ التَّربِيَةِ للأبناءِ وأفرادِ المجتمَعِ، فَلْيَتَحَمَّلُوا نتائجَ هذا الإهمالِ من ظُهورِ السَّرِقاتِ، ثمَّ تَعاطي المخَدِّراتِ، ثمَّ الدِّياثةِ، ثمَّ الغِشِّ، ثمَّ الرِّبا، ثمَّ الزِّنى، ثمَّ العُقوقِ؛ فالآباءُ ووُزراءُ الإعلامِ

والمدرِّسونَ والمعلِّمُونَ والحُكَّامُ همُ الذين يَتَحمَّلون نتيجةَ جَرَائِمِ السَّرِقَةِ بِسَبَبِ تَقصِيرِهِم في التَّربِيَةِ، هذا إِنْ لم يكونوا هم أَوَّلَ السَّارِقِين.

وواللهِ لن تكونَ التَّرْبِيَةُ صالِحَةً للأبناءِ إلا إذا كانت مُستقاةً من شرعِ اللهِ تعالى، ومن هَدْيِ سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وما حلَّ بالأمَّةِ ما حلَّ إلا بِسَبَبِ إِعراضِها عن هذا الشَّرعِ الحنيفِ.

ثانياً: التَّقصيرُ في النَّفَقَةِ:

يا عباد الله، إنَّ التَّقصيرَ في النَّفَقَةِ على الأبناءِ سَبَبٌ من أسبابِ انتشارِ جَرِيمَةِ السَّرِقَةِ، وقد قَصَّرَ كثيرٌ من الآباءِ في النَّفَقَةِ على الأبناءِ، وربُّنا عز وجل يقول: {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ}. ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (كَفَى بِالمرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ) رواه أبو داود عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُ. ونحنُ نرى وبكلِّ أسَفٍ بعضَ الآباءِ من يُسرِعُ في الإنفاقِ بلا حِسابٍ في سبيلِ الشيطانِ، أمَّا فيما هو واجبٌ عليهِ نحوَ أبنائِهِ فبعيدٌ كلَّ البُعدِ عن الإنفاقِ، ولا حول ولا قوَّةَ إلا باللهِ العلي العظيمِ.

ثالثاً: قِلَّةُ رواتبِ الموظَّفين والعمالِ:

يا عباد الله، إنَّ قِلَّةَ رواتِبِ الموظَّفينَ وأجرةِ العمَّالِ سَبَبٌ من أسبابِ انتشارِ جريمةِ السَّرِقَةِ، ربُّنا عز وجل يقول: {وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ}. سَلُوا أَنفُسَكُم يا وُزَراءُ، يا من تحتوي مُؤسَّساتُكُم على كثيرٍ من الموظَّفين، ويا أربابَ العملِ يا من تحتوي محلاتُكُم ومعامِلُكُم ومتاجِرُكُم على كثيرٍ من العُمَّالِ، هل راتِبُ الموظَّفِ وأُجرَةُ العاملِ تُساوي الجُهدَ الذي يُقَدِّمُهُ الموظَّفُ والعاملُ؟ وهل يُعطَى أَجرَهُ كامِلاً

غيرَ منقوصٍ بدونِ خُلْفٍ في الوَعْدِ؟

هل سمعتم أيُّها الوُزراءُ أيُّها التُّجَّارُ، يا من سوفَ تُسألونَ عن الموظَّفين وعنِ العُمَّالِ يومَ القيامَةِ، حديثَ سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فيما رواهُ عن اللهِ تبارك وتعالى قال: (ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ)؟ رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. يا وزراءُ ويا أربابَ العملِ، يا من لا يُعطي الأجيرَ حقَّهُ! إنَّ خصمَكمُ اللهَ تعالى يومَ القيامةِ.

هل سَمِعتُم حديثَ سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ)؟ رواه ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

رابعاً: انتشارُ البَطالَةِ:

يا عباد الله، إنَّ انتشارَ البَطالَةِ سببٌ من أسبابِ انتشارِ جريمةِ السَّرِقَةِ، لأنَّها تَحمِلُ بُذورَ الجَريمَةِ، فإذا لم يجد المجتمعُ العِلاجَ النَّاجِحَ، تَفاقَمَ خَطَرُها على الفردِ وعلى الأُسرةِ وعلى المجتمعِ، ويقولُ بعضهم: مَن تَعَطَّلَ وتَبَطَّلَ انسَلَخَ مِنَ الإنسانِيَّةِ، بل مِنَ الحَيَوَانِيَّةِ، وصَارَ مِن جِنسِ الموتَى.

وجاءَ في الأَثرِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ المؤمنَ المحتَرِفَ ويَكرَهُ البَطَّالَ.

يا عباد الله، إنَّ من أسبابِ انتشارِ البَطالَةِ خروجُ المرأةِ من بيتِها ومزاحَمَتُها للرِّجالِ في العملِ، وربُّنا عزَّ وجلَّ يقول: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}. ولكنْ أعداءُ هذا الدينِ حرَّضوا المرأةَ على الخروجِ للعملِ من أجل فسادِها وإِفسادِهَا، ومن جملةِ إِفسادِهَا

انتشارُ البَطالَةِ في المجتمع.

يا عباد الله، لقد حَثَّنا النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على العَمَلِ وطَلَبِ الرِّزقِ الحلالِ، فقال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلاً فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ) رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً خَيْراً مِن أَنَ يَأْكُلَ مِن عمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كان يَأْكلُ مِن عَمَلِ يَدِهِ) رواه الإمام البخاري عن المِقدَامِ بن مَعْدِ يكْربَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وجاء في الأثرِ: (تِسعَةُ أَعشَارِ الرِّزقِ في التِّجَارَةِ) رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث. فالإسلامُ جاءَ مُحرِّضاً على العملِ لا على البَطالَةِ، ووليُّ الأمرِ مسؤولٌ عن تأمينِ فُرَصِ العملِ لأفرادِ أُمَّتِهِ.

خامساً: تعطيلُ حدِّ السَّرِقَةِ:

يا عباد الله، إنَّ تَعطِيلَ حدِّ السَّرِقَةِ سَبَبٌ من أسبابِ انتشارِ السَّرِقَةِ في المجتمعِ، بل سَبَبٌ من أسبابِ هلاكِ الأمَّةِ، كما قال سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ . سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا) رواه الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وحدُّ السَّرِقَةِ هوَ قَطْعُ يَدِ السَّارِقِ، كما قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ

أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيم}.

فإذا كان الحَدُّ يُطَبَّقُ على شَرِيحَةٍ من المجتمعِ دونَ شَرِيحَةٍ سَبَباً لِهَلاكِ الأمَّةِ، فكيفَ إذا تَعَطَّلَ الحدُّ وأُلغِيَ إلغاءً كاملاً؟

نعم يا عباد الله، لو أنَّ حدَّ السَّرِقَةِ طُبِّقَ على الأقوياءِ لَتَأَدَّبَ الضُّعَفاءُ، ولكن عندما عُطِّلَ هذا الحدُّ، تَجَرَّأَ الضَّعيفُ على السَّرِقَةِ بعدَ أن رَأَى القَوِيَّ يَسرِقُ، والحاكِمُ مسؤولٌ عن ذلكَ بسبَبِ تعطيلِهِ حدَّ السَّرِقَةِ.

فيا وليَّ الأمرِ: أَقِم حُدودَ اللهِ تعالى في أُمَّةِ سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وخاصَّةً حدَّ الزنى وحدَّ السَّرقة، واعلم بأنَّكَ مسؤولٌ عن ذلك يوم القيامة بين يدي الله تعالى، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) رواه الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَهَا:

يا عباد الله، قولوا لمن تُسَوِّلُ له نَفسُهُ السَّرِقَةَ: لا تستَغِلَّ زَمَنَ المِحنَةِ بِسَرِقَةِ أموالِ الناسِ، فإنَّ المِحنَةَ لن تَدُومَ وربِّ الكعبَةِ، لأنَّهُ من المحالِ دوامُ الحالِ، ولن تَطُولَ إن شاءَ اللهُ تعالى، فما هوَ وَجهُكَ أمامَ إِخوَانِكَ بعدَ انكِشَافِ الغُمَّةِ، عندما تُعرفُ بأنَّكَ أنتَ السَّارِقُ؟

يا من تُسَوِّلُ لهُ نفسُهُ جريمَةَ السَّرقةِ اعلم بأنَّ المِحنَةَ تُظهِرُ الخَبيثَ منَ الطَّيِّبِ، وتُظهِرُ طَبيعَةَ النُّفُوسِ، قال تعالى: {مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ المؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الخَبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}. فَطُوبَى لِمن كانَ في أيَّامِ المِحنَةِ رَجُلَ صِدقٍ، رَجُلَ

إِخلاصٍ، رَجُلَ وفاءٍ.

وتَذَكَّروا أخيراً قولَ الله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِين}. فَطُوبَى لِمن قدَّمَ خيراً، وتَرَكَ ذِكراً صَالِحاً بعدَ موتِهِ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

269ـ خطبة الجمعة: هلمَّ إلى اللّه تعالى

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ أعظمَ نعمةٍ في الحياةِ أن يَتَحقَّق الإنسانُ بِعُبوديَّتِهِ لله عزَّ وجلَّ، وخاصَّةً في وقتٍ اتَّجَهَ فيه بعضُ الناسِ إلى العُبوديَّةِ لغيرِ اللهِ تعالى، فمنهم من صارَ عبداً للمالِ، ومنهم من صارَ عبداً للثِّيابِ، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ) رواه البخاري وابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ومنهم من صارَ عبداً لِلجاهِ والكُرسِيِّ والرِّياسَةِ والرِّيادَةِ، وهذه العُبودِيَّةُ لِغيرِ اللهِ تعالى دَفَعَتهُ لارتِكابِ جرائِمِ القتلِ والسلبِ والسَرِقَةِ والنهبِ والهتكِ للأعراضِ. والعياذُ باللهِ

تعالى ..

هذا الصِّنفُ مِن النَّاسِ ما عَرَفوا اللّهَ تعالى، ما عَرَفوا بأنَّ اللّهَ تعالى فاطرُ السماواتِ والأرضِ، ما عَرَفوا بأنَّ اللّهَ تعالى يَعلَمُ خائِنَةَ الأعيُنِ وما تُخفي الصُّدورُ، ما عَرَفوا بأنَّ اللّهَ تعالى أَحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلماً، ما عَرَفوا بأنَّهم راجعونَ إلى اللهِ تعالى رَغماً عن أُنُوفِهِم، وما عَرَفوا حَقيقةَ قولِ اللهِ تعالى: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}.

هَلُمَّ إلى اللهِ تعالى:

يا عباد الله، إنِّي أَتَوَجَّهُ إلى من سَوَّلَت له نفسُهُ العُبودِيَّةَ لِغيرِ اللهِ تعالى، فارتَكَبَ جرائِمَ القتلِ والسَّرِقَةِ، سواءٌ كانت من الأموالِ العامَّةِ أو الخاصَّةِ، وهتكِ الأعراضِ، وترويعِ الناسِ، لِأقولَ لهُ: أَيُّها القاتلُ السَّارِقُ المرَوِّعُ للناسِ هَلُمَّ إلى اللهِ تعالى، واسمع:

أولاً: اِسمع عِتابَ اللهِ تعالى لَكَ:

يقولُ اللهُ تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُون}. أَفَلا يجدُرُ بِكَ أن تُلَبِّيَ نِداءَ اللهِ عزَّ وجلَّ، أَفَلا يجدُرُ بِكَ وقد سَتَرَكَ اللهُ فيما مَضَى أن تُلَبِّيَ نِداءَ اللهِ تعالى، أَفَلا يجدُرُ بِكَ أن تُراجِعَ حِساباتِكَ وأن تَسمَعَ إلى عِتابِ اللهِ تعالى لكَ إذ يقولُ: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ}. أَفَلا يجدُرُ بِكَ أن تَسمَعَ تَحذيرَ ربِّكَ إذ يقولُ: {وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ

قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُون}.

ثانياً: اِسمع دَعوَةَ اللهِ تعالى لَكَ:

يقولُ اللهُ تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُون}.

هَلُمَّ أيُّها القاتلُ السَّارِقُ المرَوِّعُ للناسِ إلى جنَّةٍ عَرضُها السَّماواتُ والأرضُ، فيها ما لا عينٌ رَأَت ولا أُذُنٌ سَمِعَت ولا خَطَرَ على قَلبِ بشرٍ، هَلُمَّ إلى جنَّةٍ يقولُ اللهُ تعالى فيها عن أهلِها: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة}.

أَسرِع إلى التَّوبةِ قبلَ أن تندَمَ ولا يَنفعُكَ النَّدَمُ، واسمع ماذا يقولُ سيدنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَو الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَو السَّاعَةَ، فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثالثاً: أما عَلِمتَ أيُّها القاتلُ السَّارِقُ المُرَوِّعُ للناسِ بأنَّ التَّائِبَ حبيبُ اللهِ تعالى؟

يقولُ اللهُ تعالى: {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المتَطَهِّرِين}. ألا تُريدُ أن يُحِبَّكَ اللهُ تعالى القائلُ في الحديثِ القُدسِيِّ: (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ

الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ) رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فإذا أردتَ أن تَنالَ هذهِ الدَّرَجَةَ مِن اللهِ تعالى فَتَطَهَّرْ مِنَ المالِ الحرامِ الذي دَخَلَ عليكَ في الحياةِ الدنيا، وإلا فَسَيُطَهِّرُكَ اللهُ تعالى في نارِ جهنَّمَ ـ لا قدَّرَ اللهُ تعالى ـ إذا لم تَتُبْ، لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقول: (كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) رواه البيهقي عن أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. تَطَهَّرْ من سَفْكِ الدِّماءِ، وانتهاكِ الأعراضِ، وسَلْبِ الأموالِ، وتَرويعِ الناسِ، بالاستحلالِ منهم، وإلا فأنت مِنَ النَّادِمينَ وربِّ الكعبةِ، عاجلاً أم آجلاً.

رابعاً: ألا تخافُ الرَّانَ على قلبِكَ؟

يقولُ سيدنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً، نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}) رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

هل تُريدُ أن يَكونَ الرَّانُ على قلبِكَ ـ لا قدَّرَ اللهُ تعالى ـ فتُحجَبُ عن اللهِ تعالى، ثمَّ المصيرُ إلى الجحيمِ؟ قال تعالى: {كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُون * كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُون * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيم * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُون}.

خامساً: اِغتنِم فرصَةَ الحياةِ:

يقولُ سيدنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

هَلُمَّ أيُّها القاتلُ السَّارِقُ المرَوِّعُ للناسِ إلى التَّوبَةِ للهِ تعالى قبلَ أن تَقَعَ رُوحُكَ في الغَرغَرَةِ فتَندَمُ ولا يَنفَعُكَ النَّدَمُ، قال تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}. وقال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون}.

ويقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ) رواه الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

يقولُ بعضُ أهلِ العلمِ: مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُمْنَعْ أَرْبَعًا:

مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ، لَمْ يُمْنَعِ المزِيدَ، قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد}.

وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ، لَمْ يُمْنَعِ القَبُولَ، قال تعالى: {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ}.

وَمَنْ أُعْطِيَ الاسْتِخَارَةَ، لَمْ يُمْنَعِ الخِيَرَةَ.

وَمَنْ أُعْطِيَ المشُورَةَ، لَمْ يُمْنَعِ الصَّوَابَ، هل استَشَرتَ واستَخَرتَ قبلَ القتلِ والسَّرِقَةِ والتَّرويعِ؟ بئستِ البِطانةُ التي تَأمرُ بِقَتْلِ الأبرياءِ، وانتهاكِ الأعراضِ، وسَلْبِ الأموالِ، وترويعِ الناسِ.

هَلُمُّوا جميعاً إلى التَّوبَةِ:

يا عبادَ الله، ربُّنا عزَّ وجلَّ الغَنِيُّ عن عِبادِهِ يُنَادِيهِم وهُمُ الفُقراءُ إِليهِ، بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}.

يا عبادَ الله، أَكثَرُ الناسِ لا يَعرِفُونَ قَدْرَ التَّوبَةِ ولا حَقِيقَتَهَا، فَضلاً عنِ القيامِ بِهَا عِلْماً وعَمَلاً وحَالاً، لو عَرَفُوا حَقِيقَةَ قولِ الله تعالى: {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المتَطَهِّرِين}. لَرَأيتَهُم مُسرِعِينَ إلى التَّوبَةِ الصَّادِقَةِ النَّصُوحِ، والتَّوبَةُ النُّصُوحُ لها شروطٌ:

الأَوَّلُ مِنها: الإِقلاعُ عَنِ المعصِيَةِ.

الثَّانِي مِنها: النَّدَمُ على فِعلِهَا.

الثَّالِثُ مِنها: العَزمُ على أَن لا يَعُودَ إِليهَا أَبَداً، وإلا لا تَصِحُّ تَوبَتُهُ.

هذا إذا كانَ الذَّنبُ بينَ العبدِ وربِّهِ، أَمَّا إِذَا كانَ الذَّنبُ يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ الآخرينَ، فَلَا بُدَّ أن يَبرأَ مِن حَقِّ صَاحِبِهِ، فإن كانَ مَالاً رَدَّهُ إِليهِ، وَإِن كَانَ قَذْفَاً طَلَبَ عَفوَهُ، وإِن كَانَ غِيبَةً استَحَلَّ مِنها.

وهُناكَ شَرْطٌ آخر أَضَافَهُ بعضُ العُلماءِ، أَلا وَهُوَ تَركُ قُرَنَاءِ السُّوءِ، مُستْدِلاً لِذلِكَ بِحَدِيثِ سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القائلُ فيه: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ

وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدْ اللهَ مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ.

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ، أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ.

فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ، فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الحَسَنُ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ) رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَهَا:

يا عباد الله، التَّوبةُ من كَمَالِ الإيمانِ وحُسنِ الإسلامِ، وسَبَبُ حُبِّ اللهِ تعالى ورِضاهُ، وسَبَبٌ لِذهابِ الضِّيقِ وإزالةِ الهمِّ، فمن وَقَعَ في جريمةِ القتلِ، أو في جريمةِ انتهاكِ الأعراضِ، أو في جريمةِ السَّرِقَةِ، سواءٌ من الأموالِ العامَّةِ أو الخاصَّةِ، أو في جريمةِ ترويعِ الناسِ، فليُبادر إلى التَّوبَةِ الصَّادِقَةِ، وليُرجع الحُقوقَ لأصحابِها، أو أن يَستَحِلَّهُم، وإلا فَسَوفَ يندمُ عاجلاً غيرَ آجلٍ.

يا من سَوَّلَت لهُ نفسُهُ العُبودِيَّةَ لِغيرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فَقَتَلَ وانتَهَكَ وَسَرَقَ وَرَوَّعَ، لا تَحرِمْ نفسَكَ السَّعادَةَ عندَ سَكَراتِ الموتِ، وذلكَ بِتوبَتِكَ للهِ تعالى قبلَ مَوتِكَ، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُون * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُون * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيم}.

لا تَحرِمْ نفسَكَ السَّعادَةَ في أرضِ المحشرِ، وذلكَ بِتوبَتِكَ للهِ تعالى قبلَ موتِكَ، حتى تَكونَ مِمَّن قال اللهُ فيهم: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيه * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة * فِي جَنَّةٍ عَالِيَة * قُطُوفُهَا دَانِيَة * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَة}.

وأمَّا إذا مِتَّ وأنتَ مُصِرٌّ على المعصِيَةِ والجريمَةِ مِن قَتْلِ الأبرياءِ وانتهاكِ الأعراضِ وسَلْبِ الأموالِ وترويعِ الناسِ، فخُذ قولَ اللهِ تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوه}.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

270ـ خطبة الجمعة: كيفَ يُحصِّنُ المسلمُ مالَه؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

المالُ في الحياةِ الدنيا شُريانُ الحياةِ المادِّيَّةِ، كما أنَّ الدِّينَ والشَّرعَ شُريانُ الحياةِ الرُّوحِيَّةِ والمعنَوِيَّةِ، والإنسانُ بحاجةٍ إليهما، ولا يُمكنُ الاستغناءُ عن واحدٍ منهما، فمن اقتَصَرَ على المالِ دونَ الدِّينِ، فَسَدَ وأَفسَدَ وعاثَ في الأرضِ فساداً، ومن اقتَصَرَ على الدِّينِ دونَ الدُّنيا، افتقَرَ وَخَالَفَ الفِطرَةَ التي فَطَرَهُ اللهُ تعالى عليها، قال تعالى في حقِّ ابن آدم: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيد}. وقال في وصفِ الناسِ جميعاً: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}.

فالمالُ لِأهلِ الإيمانِ والتُّقى والصَّلاحِ نِعمةٌ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن عَمْرو بْن الْعَاصِ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ)

بل دعا سيدنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لسيدنا أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ بِكثرَةِ المالِ لأنَّه عبدٌ صالحٌ، فقال: (قَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ اللهِ خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللهَ لَهُ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ) رواه الإمامان البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

فالعبدُ الصَّالحُ إذا سَاقَ اللهُ تعالى إليهِ نِعمةَ المالِ عَرَفَ للهِ تعالى فيه حَقّاً، فَأَدَّاهُ، كما قال سيدنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، . وعَدَّ منهم . عَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ حَقَّهُ، قَالَ: فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ) رواه الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. فالعبدُ الصَّالحُ ينظُرُ إلى

المالِ بأنَّه وسيلةٌ لِمرضاةِ اللهِ تعالى، وليسَ غايةً.

أمَّا المالُ لِأهلِ الفُسُوقِ والفُجُورِ نِقمةٌ وليسَ بِنعمةٍ، لأنَّ العبدَ الفاجِرَ الفاسِقَ لا يُبالي مِن أينَ جاءَهُ المالُ ولا أينَ صَرَفَهُ؟ كما جاء في الحديث الشريف (لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ) رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. فهوَ لا يَعرِفُ للهِ تعالى فيه حقَّاً، كما قال سيدنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقَّهُ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ) رواه الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

هذا العبدُ يَطغَى بِمالِهِ، كما قال تعالى: {كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى}. لأنَّهُ لا يَنظُرُ إلى المالِ أنَّه غايةٌ، فهو في سبيلِهِ يقتُلُ الأبرياءَ، وَيَنتَهِكُ الأعراضَ، ويَعيثُ في الأرضِ فساداً، ويروع الرجال والنساء والأطفال.

كيف يَصونُ العبدُ الصَّالحُ مالَهُ؟

يا عباد الله، العبدُ الصَّالحُ هوَ الذي عَرَفَ بأنَّ المالَ نِعمةٌ من اللهِ تعالى وهوَ سائلُهُ عنهُ من أين اكتَسَبَهُ وأين أنفَقَهُ؟ فهوَ يَعلمُ بأنَّ للهِ تعالى حقَّاً في هذا المالِ فَيُؤَدِّيهِ، ويَصونُ مالَهُ بالأمورِ التالية:

الأمرُ الأوَّل: بِأداءِ زكاةِ المالِ مع الصَّدَقَةِ:

يا عباد الله، إنَّ المالَ يُصانُ بالزَّكاةِ والصَّدَقَةِ، كما جاء في الأحاديثِ الشريفةِ:

أولاً: روى الإمام أحمد والترمذي عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَام بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ. وعَدَّ منها. وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ).

ثانياً: روى الطبراني عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاءِ الدُّعَاءَ).

يا عباد الله، إنَّ الحِصنَ الحَصينَ لِتَحصينِ المالِ من التَّلَفِ والهلاكِ والسَّرِقَةِ هوَ الزَّكاةُ والصَّدَقَةُ، فبِالزَّكاةِ تَتَطَهَّرُ نُفوسُ الأغنياءِ من الشُّحِّ والبُخلِ، وتَتَطَهَّرُ نُفوسُ الفقراءِ من الحِقدِ والحَسَدِ، فإذا تَطَهَّرَت النُّفوسُ أَمِنَ الناسُ على أموالِهم، بل سَيَفيضُ هذا المالُ حتَّى لا يَجِدَ المزَكِّي مَن يأخذُ منه زكاةَ مالِهِ.

يا عباد الله، لما بَعَثَ سيدنا معاذُ بنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ الصَّدَقَةَ من اليمنِ إلى سيدنا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنكَرَ عليهِ سيدنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ وقال: (لَمْ أَبْعَثْك جَابِيًا، وَلَا آخِذَ جِزْيَةٍ، وَلَكِنْ بَعَثْتُك لِتَأْخُذَ مِنْ أَغْنِيَاءِ النَّاسِ، فَتَرُدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَقَالَ مُعَاذٌ: مَا بَعَثْت إلَيْك بِشَيْءٍ وَأَنَا أَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهُ مِنِّي)

الأمر الثاني: بوضعه في حِرزٍ شرعيٍّ أمين:

يا عباد الله، المالُ يُصانُ بوضعِهِ في حِرزٍ شرعيٍّ أمين، ولن يُصانَ هذا المالُ في البنوكِ الربويةِ التي أعلنت الحربَ على الله تعالى ورسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ

وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

والعَجَبُ كلُّ العَجَبِ من عبدٍ مؤمنٍ أسبَغَ اللهُ تعالى عليه نعمةَ المال ثمَّ يودِعُ هذا المالَ في البنوكِ الربويةِ ليكون عوناً لهؤلاءِ العُصاةِ المرابين الذين أعلنَ اللهُ تعالى عليهم الحربَ بقوله: {فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ}. كيفَ يُودِعُ المؤمنُ ماله الحلالَ في بنكٍ ربويٍّ والله تعالى يقول: {وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}؟

وهل البنوك الربوية التي غَضِبَ الله تعالى عليها تكونُ حِصناً حَصِيناً للمال الحلال؟ لا وربِّ الكعبة، وسلوا التجارَ الذين أودعوا أموالهم هل أمنوا عليها؟ البنوكُ الربوية تعلنُ إفلاسها، لأنَّ الله تعالى يقول: {يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا}.

شكر وثناء لأهل البلدة:

أيُّها الإخوة الكرام: في هذه المناسبة أتوجَّهُ إلى أهلِ هذهِ البلدةِ بالشُّكرِ على حُسنِ استقبالهم للأُسَرِ المنكوبةِ والمتَضَرِّرَةِ في هذا القِطر، وأقولُ لهم داعياً اللهَ تعالى:

آواكم الله كما آويتم هذه الأُسَر، سَتَرَكُمُ الله كما سترتُموهم، فرَّجَ اللهُ عنكم كما فرَّجتُم عنهم، وأسألُ الله تعالى أن لا يَبتَلِيَكُم كما ابتلاهم.

وأنا مع هذا أقولُ لأهلِ هذهِ البلدةِ: يا حبَّذا لو أنَّكم تَرَكتُم زكاةَ أموالِكُم لفقراءِ بلدتِكُم، ثمَّ جعلتُم الصدقةَ لهؤلاءِ الإخوةِ الكرامِ ضيوفِ هذهِ البلدةِ، أما سمعتم قولَ سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ فِي الْمَالِ حَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ) رواه الترمذي عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهَا؟

يا عباد الله، يا أهلَ هذهِ البلدة قدِّروا نعمة اللهِ عليكم بإيوائكم لهذِهِ الأُسَرِ المنكوبةِ

المتَضَرِّرَةِ، ولا تُعرِّضوا هذهِ النعمةَ للزوال.

الأمرُ الثالثُ: بالدُّعاءِ:

يا عباد الله، إنَّ المالَ يُصانُ بالدُّعاءِ للهِ تعالى، بعدَ أداءِ الزكاةِ والصَّدَقةِ، بعد جعلِهِ في حِرزٍ شرعيٍّ أمين، وليسَ هناكَ شيءٌ أَكرَمَ على اللهِ تعالى من الدُّعاءِ، كما جاء في الحديثِ الذي رواه الترمذي والحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنْ الدُّعَاءِ).

فالدُّعاءُ يَرُدُّ القضاءَ والقَدَرَ إذا كانا مُعَلَّقَين، أخرج الإمام أحمد والطبراني عن أنسِ بنِ مالك رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (أُدعُوا فَإِنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ القَضاءَ) .

يا عباد الله، القضاءُ والقدَرُ إما أن يكونَ مُبرماً وإمَّا أن يكونَ مُعلَّقاً، فإن كانَ مُبرماً فهو نازلٌ لا مَحالَةَ، وإن كان مُعلَّقاً فهو يُرَدُّ بالدعاءِ، وما دامَ العبدُ لا يَعلمُ قضاءَ الله تعالى مُبرماً أم مُعلَّقاً فليدعُ اللهَ تعالى، لأنَّ القضاءَ المعلَّقَ يُرَدُّ بالدعاءِ، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والحاكم عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ).

وَيَجِبُ على المؤمنِ عندَ الدُّعاءِ أن يَكونَ مُوقِناً بالإجابةِ، كما جاء في الحديث الشريف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ

دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ) رواه الترمذي.

يا عباد الله، لِنأخُذَ هذا المثَلَ لِتحصينِ المالِ بالدُّعاءِ، فهذا سيدنا أبو الدرداءِ جَاءَهُ رجلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرداءِ، اِحتَرَقَ بَيتُكَ، قال: مَا احتَرَقَ بَيتِي، ثمَّ جَاءَ رجلٌ آخر فقال: يا أبا الدَّرداءِ، اِحتَرَقَ بَيتُكَ، قال: مَا احتَرَق، ثمَّ جَاءَ رجلٌ آخر فقال: يا أبا الدَّرداءِ، اِنبَعَثَت النَّارُ، فَلَمَّا انتَهَت إلى بَيتِكَ طُفِئَت، قال: قَد عَلِمتُ أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لم يَكُن لِيَفعَل، قالوا: يا أبا الدَّرداءِ مَا نَدرِي أيُّ كَلامِكَ أَعجَبُ، قَولُكَ: مَا احتَرَقَ أو قولُكَ: قَد عَلِمتُ أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لم يَكُن لِيَفعَلَهُ، قالَ ذاكَ لِكَلماتٍ سَمِعتُهُنَّ مِن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَن قَالَهَا أَوَّلَ النَّهارِ لم تُصِبهُ مُصيبَةٌ حتَّى يُمسِي، وَمَن قَالَهَا آخِرَ النَّهارِ لم تُصِبهُ مُصيبَةٌ حتَّى يُصبِحَ: (اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عليكَ تَوَكَّلتُ، وَأَنتَ رَبُّ العَرشِ الكَرِيمِ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَم يَشَأ لَم يَكُن، وَلا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، أَعلَمُ أنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ اللهَ قد أحاطَ بكُلِّ شيءٍ عِلماً، اللهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ من شرِّ نَفْسي، ومن شرِّ كلِّ ذي شرٍّ، ومن شرِّ كُلِّ دابَّةٍ أنتَ آخِذٌ بناصِيَتِها إنَّ ربِّي على صِراطٍ مُستَقيمٍ).

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَهَا:

يا عباد الله، حَصِّنُوا أَموالَكُم بِالزَّكَاةِ والصَّدَقَةِ وبِجَعلِهِ في مكانٍ شرعيٍّ أمينٍ وبالدُّعاءِ، وكونوا على يقينٍ بعدَ ذلك بأنَّ ما أصابَكم لم يكن لِيُخطِئَكُم، وما أخطَأَكُم لم يكن لِيُصيبَكُم، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لم يَشَأ لم يَكُن، والرِّضا بِالقضاءِ والقَدَرِ من أركانِ الإيمان.

فإذا كانَ القضاءُ مبرماً فإنَّهُ نازِلٌ لا مَحالَةَ، ألم يقُل مولانا عزَّ وجل: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ

بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ}؟

نسألُ الله تعالى أن يُفَرِّجَ عن الأُمَّةِ، وأن يحقن دماءها ويَستُرَ أعراضها ويُؤَمِّنَ روعاتِها، وأن لا يُحَمِّلَنَا ما لا طاقَةَ لنا بِه. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

271ـ خطبة الجمعة: أين يذهب القاتل المجرم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ مِنَ المظَاهِرِ التي لا يُمكِنُ إنكارُها ظَاهِرَةُ ضَعفِ الإيمانِ وتَقَلُّبِ القلوبِ، ويقولُ سيدنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (إنَّمَا سُمِّيَ القَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إنَّمَا مَثَلُ القَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ، يُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ) رواه الإمام أحمد عن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ.

ويقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ

إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ) رواه الإمام مسلم عن عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ويقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (لَقَلبُ ابْنِ آدَمَ أَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ القِدْرِ، إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلْيًا) رواه الطبراني في الكبير عَنِ المِقْدَادِ بن الأَسْوَدِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وفي روايةٍ للإمام أحمد: (لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلابًا مِنَ القِدْرِ، إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا)

نَسأَلُ اللهَ تعالى أن يُثبِّتَ قُلوبَنَا على دِينِهِ حتَّى نَلقاهُ وَهُوَ عَنَّا رَاضٍ.

من مَظاهِرِ ضَعفِ الإيمانِ:

يا عباد الله! إنَّ مِن مَظاهِرِ ضَعفِ الإيمانِ الجُرأَةَ على مَعصِيَةِ اللهِ تعالى، وارتِكابَ الكَبائِرِ، والتي مِن جُملتِها قَتْلُ النَّفسِ بِغيرِ حَقٍّ، يقولُ سيدنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبِقَاتِ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المحْصَنَاتِ المؤْمِنَاتِ الغَافِلاتِ) رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

الإسلامُ حَقَنَ الدِّماءَ:

يا عباد الله، لقد كانت البَشَرِيَّةُ تَعيشُ حَياةً غَيرَ مُستقِرَّةٍ، بل حَياةً مُسْتَعِرَةً، يَسُودُها الخِلافُ، كَثُرَ فيها القَتْلُ والتَّناحُرُ، وَكَثُرَ فيها الصِّراعُ مِن أجلِ البقاءِ، فَرَحِمَ اللهُ تعالى البَشَرِيَّةَ بِسيدنا محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وأَرسَلَ إليهم

رِسالةَ نورٍ أَخْرَجَتْهم مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ، واشْرَأَبَّتِ النُّفوسُ لِهذا الدِّينِ المتِينِ الذي قالَ فيه مولانا عزَّ وجلَّ: {اليَوْمَ أَكمَلتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}.

اِشْرَأَبَّت النُّفوسُ لِهذا الدِّينِ الذي جاءَ لِحِفظِ الأموالِ والأنفُسِ والأعراضِ والدِّماءِ والعُقولِ، اشْرَأَبَّت النُّفوسُ لِدِينٍ وَجَّهَ فيه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَتباعَهُ أَثناءَ الجِهادِ بِقولِهِ: (انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللهِ وَبِاللهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلا طِفْلاً صَغِيراً، وَلا امْرَأَةً، وَلا تَغُلُّوا، وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلِحُوا، وَأَحْسِنُوا، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المحْسِنِينَ) رواه أبو داود عَن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

اِشْرَأَبَّت النُّفوسُ لِدِينٍ وَجَّهَ فيه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَتباعَهُ إلى الرَّحمةِ لا بالإنسانِ فقط، بل بالحيوانِ، فقد روى الإمام مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: (لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ).

اِشْرَأَبَّت النُّفوسُ لِدِينٍ حَذَّرَ فيه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مِن تَخويفِ الآمِنِ، وتَرويعِ المستأمَنِ، بقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ المَلائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ) رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

أين يذهبُ القاتِلُ المجرِمُ ؟

يا عباد الله، بِسَبَبِ ضَعفِ الإيمانِ كَثُرَ الهَرجُ الذي حذَّرَ منه سيدنا محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقولِهِ: (إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ أَيَّامًا يُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ،

وَيَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ، وَالهَرْجُ: القَتْلُ) رواه الإمامان البخاري ومسلم عَنْ أَبِي وَائِلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ . وفي روايةٍ للإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ العِلْمُ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الهَرْجُ؟ قَالَ: القَتْلُ).

وإنِّي أَتَوَجَّهُ إلى القاتِلِ المجرِمِ لِأقولَ له:

أولاً: أينَ تذهبُ بِكلِمَةِ التَّوحيدِ؟

يا قاتِلَ الأبرياءِ بِغيرِ حقٍّ، أينَ تذهبُ بِكلِمَةِ التَّوحيدِ التي كان يَنطِقُ بها المقتولُ حالَ حياتِهِ؟ أينَ تذهبُ بِكلِمَةِ التَّوحيدِ التي عاشَ عليها المقتولُ، وماتَ؟

اِسمع أيُّها القاتِلُ المجرِمُ هذا الحديثَ الشريفَ الذي رواه الإمامان البخاري ومسلم عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: (يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلَهَ إلا اللهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلَهَ إلا اللهُ؟ قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ).

ثانياً: ما جوابُكَ لِربِّكَ يومَ القيامةِ؟

يا قاتِلَ الأبرياءِ بِغيرِ حقٍّ، ما جوابُكَ لِربِّكَ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ عندما تَقِفُ بينَ

يَدَيهِ أنتَ والمقتولُ ظُلماً وعُدواناً؟

اِسمع أيُّها القاتِلُ المجرِمُ هذا الحديثَ الشريفَ الذي رواه ابن ماجه عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ: (يَجِيءُ القَاتِلُ وَالمقْتُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُتَعَلِّقٌ بِرَأْسِ صَاحِبِهِ يَقُولُ: رَبِّ، سَلْ هَذَا لِمَ قَتَلَنِي؟).

وفي روايةٍ للإمام أحمد عن جُندُبِ بنِ جُنَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أن النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: (يَجِيءُ المقْتُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ آخِذًا رَأْسَهُ إِمَّا قَالَ بِشِمَالِهِ وَإِمَّا بِيَمِينِهِ، تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ فِي قُبُلِ عَرْشِ الرَّحْمَنِ تَبارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي).

وفي روايةٍ أخرى للطبراني عن عبد اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: (يَجِيءُ المقْتُولُ آخِذًا قَاتِلَهُ وَأَوْدَاجُهُ تَشْخُبُ دَمًا عِنْدَ ذِي العِزَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ: فِيمَ قَتَلْتَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ العِزَّةُ لِفُلانٍ، قَالَ: هِيَ للهِ).

ثالثاً: هل تعلمُ بأنَّ الجزاءَ من جِنسِ العملِ؟

يا قاتِلَ الأبرياءِ بِغيرِ حقٍّ، هل تَعلَمُ بأنَّ الجزاءَ من جِنسِ العملِ يومَ القيامةِ؟ قال تعالى: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾. ويقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (وَاعمَلْ مَا شِئتَ فَإِنَّكَ مَجزِيٌّ بِهِ) رواه الحاكم عن سَهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. ويقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ تَحَسَّى سُمّاً فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبداً، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً) رواه الإمام أحمد عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ

رَضِيَ اللهُ عَنهُ. هذا إذا كانَ القاتِلُ قاتِلاً نفسَهُ، فكيفَ إذا كانَ قاتِلاً غيرَهُ من الأبرياءِ؟

فالجزاءُ من جِنسِ العملِ، فكما تَقتُلُ الأبرياءَ بِغيرِ حقٍّ سوفَ يَقتُلُكَ اللهُ تعالى مِثلها في نارِ جهنَّمَ، ولكن لِتَكُن على يَقينٍ بأنَّ قتْلَكَ لِلأبرياءِ في الحياةِ الدُّنيا يَنتَهِي بأن يُصبِحَ المقتولونَ في عالَمِ البرزَخِ أحياءً عند ربِّهم يُرزقونَ، وأنَّ قُبورَهم روضةٌ من رِياضِ الجنَّةِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

أمَّا أنتَ فَيَقتُلُكَ اللهُ في نارِ جهنَّمَ بحيث لا تموتُ فيها ولا تَحيا، وإذا كنتَ مُستَحِلاً القَتْلَ فأنتَ من الخالدينَ في نارِ جهنَّمَ، قال تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}.

واسمع يا قاتِلَ الأبرياءِ بِغيرِ حقٍّ هذا الحِوارَ الذي جرى بين سَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ والحَجَّاجِ:

قَالَ الحَجَّاجُ: وَيْلَكَ يَا سَعِيْدُ!

قَالَ: الوَيْلُ لِمَنْ زُحْزِحَ عَنِ الجَنَّةِ، وَأُدْخِلَ النَّارُ.

قَالَ: اخْتَرْ أَيَّ قِتْلَةٍ تُرِيْدُ أَنْ أَقْتُلَكَ؟

قَالَ: اخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا حَجَّاجُ، فَوَاللهِ مَا تَقْتُلُنِي قِتْلَةً، إِلا قَتَلَكَ اللهُ مِثلَهَا فِي الآخِرَةِ.

قَالَ: فَتُرِيْدُ أَنْ أَعْفُوَ عَنْكَ؟

قَالَ: إِنْ كَانَ العَفْوُ، فَمِنَ اللهِ، وَأَمَّا أَنْتَ، فَلاَ بَرَاءةَ لَكَ وَلاَ عُذْرَ.

قَالَ: اذْهبُوا بِهِ، فَاقْتُلُوْهُ.

فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ البَابِ ضَحِكَ، فَأُخْبِرَ الحَجَّاجُ بِذَلِكَ، فَأَمَرَ بِرَدِّهِ، فَقَالَ: مَا أَضْحَكَكَ؟

قَالَ: عَجِبْتُ مِنْ جُرْأَتِكَ عَلَى اللهِ، وَحِلْمِهِ عَنْكَ!

فَأَمَرَ بِالنِّطْعِ، فَبُسِطَ، فَقَالَ: اقْتُلُوْهُ.

فَقَالَ: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ.

قَالَ: شُدُّوا بِهِ لِغَيْرِ القِبْلَةِ.

قَالَ:فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ.

قَالَ: كُبُّوْهُ لِوَجْهِهِ.

قَالَ: مِنْهَا خَلَقْنَاكُم، وَفِيْهَا نُعِيْدُكُم.

قَالَ: اذْبَحُوْهُ.

قَالَ: إِنِّي أَشْهَدُ وَأُحَاجُّ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، خُذْهَا مِنِّي حَتَّى تَلْقَانِي يَوْمَ القِيَامَةِ. اهـ.

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَهَا:

يا عباد الله، كُونُوا على حَذَرٍ مِن سَفْكِ الدِّماءِ البريئةِ، لأنَّ قاتِلَ الأبرياءِ بِغيرِ حقٍّ يَتَعَدَّى على صَنعةِ اللهِ تعالى، والتَّعَدِّي على الصَّنْعَةِ هوَ في الحقيقةِ تَحَدٍّ لِصَانِعِها، روى الترمذي عن أَبَي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ وَأَبَي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: (لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الأَرْضِ

اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمْ اللهُ فِي النَّارِ).

يا عباد الله، قاتِلُ العمدِ بِغيرِ حقٍّ، كم مِن زَوجةٍ رَمَّلَ؟ وكم مِن طِفلٍ يَتَّمَ؟ وكم مِن عَينٍ أَبكى؟ وكم مِن بَيتٍ هَدَّمَ؟ وكم مِن دَعوَةٍ عَلَيهِ رُفِعت إلى اللهِ تعالى؟

فلا يَظُنَّنَّ القاتِلُ بأنَّ اللهَ أهمَلَهُ ـ حاشا ـ بل أمهَلَهُ، قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار}.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

272ـ خطبة الجمعة: المؤمن ثابتٌ لا يتأثر ِبالمُغرِياتِ ولا بالوعِيدِ والتَّهديدِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ العِبرَةَ عندَ اللهِ بِالخَوَاتِيمِ، فَلا يَكفِي أن يَستَقِيمَ الإنسانُ رَدْحاً مِن الزَّمنِ ثمَّ يَرجِعَ القهقرى إلى الوراءِ، لِذلكَ جَاءَ التَّوجيهُ الرَّبَّانِيُّ لِلمؤمنينَ بِالثَّباتِ على الدِّينِ الحقِّ، وعلى تَحليلِ الحلالِ وتَحريمِ الحرامِ، والوُقوفِ عندَ حُدودِ الشَّرعِ، وأن لا يَتَجَاوَزُوهُ قَيدَ

أُنمُلةٍ حتَّى المماتِ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنتُم مُّسْلِمُون}. وقال تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِين}. فالعِبرةُ بِخَوَاتِيمِ الأمورِ.

روى الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قالَ: (فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ).

الثَّباتُ على الدِّينِ نِعمةٌ:

يا عباد الله، إنَّ الثَّباتَ على الدِّينِ، واتِّباعَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَعَدَمَ الابتِداعِ في دِينِ اللهِ تعالى، وَعَدَمَ الجُرأةِ على حُدودِ اللهِ تعالى نِعمةٌ إلهيَّةٌ ومِنحةٌ رَبَّانِيَّةٌ يُكرِمُ الله تعالى به أحبابَهُ والخيَرَةَ من خَلقِهِ والصَّفوَةَ من عِبادِهِ، قال تعالى: {وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً}. وقال تعالى: {مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}.

أسألُ اللهَ تعالى أن لا يَحرِمَنا هذهِ النِّعمةَ حتَّى لا نَندَمَ عندَ سَكَرَاتِ الموتِ، ولا في أرضِ المحشرِ، لأنَّ المبتَدِعَ في دِينِ اللهِ، والمجتَرِئَ على حُدودِ الشَّرعِ، والمتَعَدِّي على شرعِ اللهِ، نادمٌ وربِّ الكعبةِ، فَعِندَ سَكَرَاتِ الموتِ سيقولُ: {رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ}. وفي أرضِ المحشرِ سَوفَ يَتَمَنَّى لو أَنَّهُ اتَّبَعَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، يقولُ اللهُ تعالى عن مثلِ هذا العبدِ: {وَيَوْمَ

يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً}. سَوفَ يَندَمُ المجرمُ في أرضِ المحشرِ، ويَتَمَنَّى العودَةَ إلى دارِ العملِ من أجلِ العملِ الصَّالِحِ، قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ المجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُون}. هل سَمِعَ المجرمُ هذهِ الآيةَ الكريمةَ؟ هل سَمِعَ قاتِلُ الأبرياءِ، ومُرَوِّعُ الأطفالِ والرِّجالِ والنِّساءِ والضُّعفاءِ، وآكِلُ أموالِ الناسِ بالباطلِ، ومُهَدِّمُ البيوتِ، ومُرَمِّلُ النِّساءِ، ومُيَتِّمُ الأطفالِ، وهاتِكُ الأعراضِ، هذه الآيةَ الكريمةَ؟

يَتَمَنَّى هذا المجرمُ بَعدَ أن أصبحَ عالِمَ الغيبِ عالِمَ شَهادةٍ أن يُرجِعَهُ اللهُ تعالى إلى الدُّنيا لِلعملِ الصَّالِحِ، ولكن هَيهَاتَ! لقد انتهى التَّكليفُ وجاءَ الجزاءُ على العملِ، لقد انتهى وقتُ الاختبارِ والابتلاءِ والامتحانِ، وجاءَ وقتُ الجزاءِ على العملِ، قال تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه}.

المجرمُ ما أجرَمَ إلا بِسبَبِ ضَعفِ الإيمانِ في قلبِهِ، أروني من استَحضَرَ وُقوفَهُ بَينَ يَدَيِ اللهِ تعالى، ويَجتَرِئُ على قَتلِ الأبرياءِ، وترويعِ الأطفالِ والنِّساءِ.

المؤمنُ لا يَتَأَثَّرُ بِالمُغرِياتِ:

يا عباد الله، المؤمنُ الحقُّ لا يَتَأَثَّرُ بِالمغرِياتِ، وإليكم بعضَ هذِهِ الأمثلة:

أولاً: إن كُنتَ تريدُ مُلكاً ملَّكناكَ علينا:

فهذا الحبيبُ الأعظمُ سيِّدُنا محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَعرِضُ عليه قريش المالَ والجاهَ والنِّساءَ لِتركِ دِينِهِ فَيَأبى.

جاء أبو الوليدِ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا أَبَا الوَلِيدِ أَسْمَعْ.

قَالَ: يَا بْنَ أَخِي، إنْ كُنْت إنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الأَمْرِ مَالاً جَمَعْنَا لَك مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالاً، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفاً سَوَّدْنَاك عَلَيْنَا، حَتَّى لا نَقْطَعَ أَمْراً دُونَك، وَإِنْ كُنْت تُرِيدُ بِهِ مُلْكاً مَلَّكْنَاك عَلَيْنَا؛ وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيك رِئْيًا تَرَاهُ لا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِك، طَلَبْنَا لَك الطِّبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ. أورده ابن هشام في السيرة.

يا عباد الله، قريش تَعرِضُ على سيِّدنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وربُّنا جلَّت قُدرتُهُ يقولُ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الفُقَرَاء إِلَى اللهِ}. فالفقراءُ يَعرِضونَ على سيِّدنا رسولِ اللهِ مالاً وجاهاً وسِيادَةً ورِيادَةً فيأبى، وكيف لا يأبى هذا من الفقراءِ؟ وربُّنا عزَّ وجلَّ عَرَضَ عليه أن يكونَ نَبِيّاً مَلِكاً أو نَبِيّاً عَبْداً، فاختارَ العبوديَّةَ مع النُّبوَّةِ، ولم يختر الملكَ مع النُّبوَّةِ.

روى الطبراني في الأوسط عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قال: (كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَجَبْرَائِيلُ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: يَا جَبْرَائِيلُ، وَالَّذِي بَعَثَك بِالحَقِّ مَا أَمْسَى لآلِ مُحَمَّدٍ سَفٌّ مِنْ دَقِيقٍ، وَلا كَفٌّ مِنْ سَوِيقٍ، فَلَمْ يَكُنْ كَلامُهُ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ سَمِعَ هَدَّةً فِي السَّمَاءِ أَفْزَعَتْهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: أَمَرَ اللهُ القِيَامَةَ أَنْ تَقُومَ؟ قَالَ: لا، وَلَكِنْ أَمَرَ إسْرَافِيلَ فَنَزَلَ إلَيْك حِينَ سَمِعَ كَلامَك، فَأَتَاهُ إسْرَافِيلُ فَقَالَ: إنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ مَا ذَكَرْت، فَبَعَثَنِي إلَيْك بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْك أَنْ أُسَيِّرَ مَعَك جِبَالَ تِهَامَةَ زُمُرُّدًا وَيَاقُوتًا وَذَهَبًا وَفِضَّةً، فَإِذَا أَرَدْت فَعَلْت، فَإِنْ شِئْت

نَبِيًّا مَلِكًا، وَإِنْ شِئْت نَبِيًّا عَبْدًا، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ جَبْرَائِيلُ أَنْ تَوَاضَعْ، فَقَالَ: بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا . ثَلاثًا).

يا عباد الله، عندما عَرَضت قريش هذا الأمرَ على سيِّدنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، عَرَضت عليه المغرياتِ، قال: يَا عَمَّاهُ، واللهِ لَو وَضَعُوا الشَّمْسَ في يَمِيني وَالقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أنْ أَتْرُكَ هذا الأمْرُ، مَا تَرَكْتُه حتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أو أهْلَكَ فِيه ما تَرَكْتُهُ. اهـ. أخرجه البيهقي في دلائل النبوة. إنَّهُ ثَباتٌ على الحقِّ.

ثانياً: {مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ}:

يا عباد الله، هذا سيِّدُنا يوسفُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ تُعرَضُ عليه الشَّهَوَاتُ التي هيَ أشَدُّ الفِتَنِ على الرِّجالِ، كما يقولُ سيِّدُنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ) رواه الإمام البخاري عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. تُعرضُ عليه النِّساءُ فَيَأبى، كما قال تعالى: {وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُون} . إنَّهُ ثَباتٌ على الحقِّ.

يا عباد الله، كم وكم من شبابنا فُتِنوا بِالنِّساءِ فضَيَّعوا عقيدتَهُم ودِينهُم بِسَبَبِ النِّساءِ، وارتَكَبوا جرائمَ القتلِ والسَّلبِ بِسَبَبِ النِّساءِ.

ثالثاً: {فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم}:

يا عباد الله، هذا سيِّدُنا سليمانُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يُعرضُ عليه المالُ والهَدَايا فَيَأبى، قال تعالى حِكايةً على لِسانِ بلقيس: {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ

يَرْجِعُ المرْسَلُون * فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُون}. هذا هوَ المؤمنُ، لا يُمكنُ لِدُنيا فانيةٍ أن تُغرِيَهُ، ولا يُمكنُ أن يَبيعَ دِينَهُ بِعَرَضٍ من الدُّنيا، أو أن يتلاعَبَ بِدِينِ اللهِ في سبيلِ دُنيا فانيةٍ.

المؤمنُ عبدٌ للهِ تعالى، وليسَ عبداً لِدينارٍ أو درهمٍ، المؤمنُ يَعلمُ بأنَّ الدُّنيا ظِلٌّ زائِلٌ، وعَرَضٌ حائِلٌ، فمستحيلٌ وألفُ مستحيلٍ أن يَتَخَلَّى عن دِينِهِ بِسَبَبِ المغرِياتِ.

المؤمنُ ثابتٌ لا يَتَأَثَّرُ بِالوعيدِ والتَّهديدِ:

يا عباد الله، كما أنَّ المؤمنَ ثابتٌ لا يَتَأَثَّرُ بالمغرِياتِ، فهوَ ثابتٌ لا يَتَأَثَّرُ بِالوعيدِ والتَّهديدِ، لأنَّه على يَقينٍ بقوله تعالى: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا}. وعلى يَقينٍ بقولِ سيِّدنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (واعلَمْ: أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجتَمعتْ عَلَى أَنْ ينْفعُوكَ بِشيْءٍ، لَمْ يَنْفعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَد كَتبَهُ اللهُ لَكَ، وإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بشَيْءٍ قد كَتبَهُ اللهُ عليْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ) رواه الترمذي عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما. وعلى يَقينٍ بأنَّ المشيئةَ العُليا هيَ النَّافِذةُ، قال تعالى: {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاء اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

فالمؤمنُ لا يَتَأَثَّرُ بِالوعيدِ ولا التَّهديدِ، وإليكم بعضَ هذِهِ الأمثلة:

أولاً: هيَ نفسٌ واحدةٌ تُلقى في هذا القِدْرِ:

يا عباد الله، هذا سيِّدُنا عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَجَّهَ جَيْشًا إِلَى الرُّومِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَأَسَرَهُ الرُّومُ، فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ.

فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ: هَلْ لَكَ أَنْ تَتَنَصَّرَ وَأُشْرِكُكَ فِي مُلْكِي وَسُلْطَانِي؟

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: لَوْ أَعْطَيْتَنِي جَمِيعَ مَا تَمْلِكُ، وَجَمِيعَ مَا مَلَكَتْهُ العَرَبُ عَلَى أَنْ أَرْجِعَ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ طَرْفَةَ عَيْنٍ، مَا فَعَلْتُ.

قَالَ: إِذًا أَقْتُلُكَ.

قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ.

قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ فَصُلِبَ، وَقَالَ لِلرُّمَاةِ: ارْمُوهُ قَرِيبًا مِنْ يَدَيْهِ قَرِيبًا مِنْ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَأْبَى، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُنْزِلَ.

ثُمَّ دَعَا بِقِدْرٍ وَصَبَّ فِيهَا مَاءً حَتَّى احْتَرَقَتْ، ثُمَّ دَعَا بِأَسِيرَيْنِ مِنَ المسْلِمِينَ، فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا فَأُلْقِيَ فِيهَا، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ، وَهُوَ يَأْبَى.

ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُلْقَى فِيهَا، فَلَمَّا ذُهِبَ بِهِ بَكَى، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ بَكَى فَظَنَّ أَنَّهُ رَجَعَ، فَقَالَ: رُدُّوهُ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ فَأَبَى، قَالَ: فَمَا أَبْكَاكَ؟

قَالَ: أَبْكَانِي أَنِّ قُلْتُ: هي نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى هَذِهِ السَّاعَةَ فِي هَذَا القِدْرِ فَتَذْهَبُ، فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ بِعَدَدِ كُلِّ شَعَرَةٍ فِي جَسَدِي نَفْسٌ تَلْقَى هَذَا فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ: هَلْ لَكَ أَنْ تُقَبِّلَ رَأْسِي وَأُخَلِّيَ عَنْكَ؟

قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَعَنْ جَمِيعِ أُسَارَى المسْلِمِينَ؟

قَالَ: وَعَنْ جَمِيعِ أُسَارَى المسْلِمِينَ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: عَدُوٌّ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ أُقَبِّلُ رَأْسَهُ ويُخَلِّي عَنِّي وَعَنْ أُسَارَى المسْلِمِينَ لَا أُبَالِي، قال: فَدَنَا مِنْهُ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الأُسَارَى.

فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهُ فَأُخْبِرَ عُمَرُ بِخَبَرِهِ.

فَقَالَ: حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَبِّلَ رَأْسَ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ، وَأَنَا أَبْدَأُ، فَقَامَ عُمَرُ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ. اهـ . رواه البيهقي في شعب الإيمان.

ثانياً: {فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ}:

يا عباد الله، المؤمنُ لا يَتَأَثَّرُ بِالوعيدِ ولا بِالتَّهديدِ، ولا يَحيدُ عن دِينِ اللهِ قَيدَ أُنمُلةٍ، قال تعالى في حقِّ سَحَرَةِ فرعونَ الذينَ أكرَمَهُمُ اللهُ تعالى بِشرحِ صُدورِهم لِلإسلامِ، وقد تَوَعَّدَهم فرعونُ وهَدَّدَهُم بقوله: {فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى}.

يا عباد الله، هذا هوَ مَنطِقُ الفراعنةِ مع مَن يُخالِفونَهُم، لأنَّهم لا يعرفونَ إلا لُغةَ القمعِ والبطشِ والتَّعذيبِ، لا يعرفونَ لُغةَ الحِوارَ، مُنطَلَقُهُم: {مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى}. ومَن خَالَفَهُم تَوَعَّدوهُ، والمؤمنُ الثَّابتُ على الحقِّ لا يُغَيِّرُهُ تهديدٌ ولا وعيدٌ، لذلكَ قال السَّحَرَةُ لفرعونَ كما أخبَرنا اللهُ تعالى: {قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَهَا:

يا عباد الله، الثَّباتُ على الحقِّ نِعمةٌ عظيمةٌ يُكرِمُ اللهُ تعالى بها مَن سَبَقَت لهم مِن اللهِ الحُسنى، فلا تَغييرَ ولا تَبديلَ في دِينِ اللهِ، لا في العُسرِ ولا في اليُسرِ، لا في القُوَّةِ

ولا في الضَّعفِ، لا في تَرغيبٍ ولا في تَرهيبٍ، لأنَّ النِّعمةَ في الدُّنيا لا تَدومُ، كما أنَّ الشِّدَّةَ لا تَدومُ.

المؤمنُ ثابتٌ على الحقِّ لأنَّهُ يَطمَعُ في جنَّةٍ عَرضُها السماواتُ والأرضُ، المؤمنُ ثابتٌ على الحقِّ ولو جُرِّدَ من مالِهِ، قال تعالى: {لِلْفُقَرَاء المهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون}.

ونحنُ لا نَتمَنَّى الفِتنَةَ، ولا نَتَمَنَّى الابتلاءَ، ولا نَتَمَنَّى لِقاءَ العَدُوِّ، كما جاءَ في الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ العَافِيَةَ).

فالمؤمنُ ثابتٌ على الحقِّ ولو كَلَّفَهُ ذلك أن يكونَ مَعزولاً عن الناسِ جميعاً، فهؤلاءِ أصحابُ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حُوصِروا في الشُّعَبِ سَنواتٍ، وما بدَّلوا تبديلاً.

اللَّهُمَّ ثَبِّتنا بِالقولِ الثَّابِتِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

273ـ خطبة الجمعة: يا حسرةً على العباد يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد أَنعَمَ اللهُ نِعماً سَابِغَةً وآلاءَ بَالِغَةً، وأَعظمُ نِعمةٍ أَسبَغَهَا ربُّنا علينا هيَ نِعمةُ الإسلامِ والإيمانِ، قال تعالى: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين}. وقال تعالى: {وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُون}.

يا عباد الله، الإسلامُ هوَ الدِّينُ القيِّمُ الذي فيهِ صَلاحُ العِبادِ والبِلادِ، فيه المبادِئُ السَّاميةُ، والأخلاقُ العالِيَةُ، والنُّظُمُ العادِلَةُ، إنَّه الدِّينُ الذي نَفخَرُ به، ونَشرُفُ بِالانتِسابِ إليه، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُون}.

يا عباد الله، سوفَ نُسأَلُ عنِ النِّعَمِ كُلِّهَا، قال تعالى: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيم}. وخاصَّةً عن نِعمَةِ الإسلامِ والإيمانِ، هل حافظنا عليها بِالالتِزامِ، أم ضَيَّعنَاهَا بِعَدَمِ الالتِزامِ؟

بِالإسلامِ أصبحتِ الأمَّةُ عزيزةً، وأضحَت مَتبوعةً بعدَ أن كانت تابعةً، وبِفضلِ اللهِ تعالى ومِنَّتِهِ علينا، صارت هذهِ الأمَّةُ خيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت للنَّاسِ، قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}. ليسَ بِالعُروبَةِ ولا بِوُجوهِنا صِرنَا خَيرَ الأُمَم، بل بِنِعمَةِ

الإسلامِ، والالتزامِ به {تَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ}. ورضيَ اللهُ تعالى عن سيِّدِنا الفاروقِ عمرَ بنِ الخطَّابِ الذي كانَ يقولُ: (إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَومٍ، فَأَعَزَّنَا اللهُ بِالإسلامِ، فَمَهمَا نَطلُبُ العِزَّةَ بِغيرِ مَا أَعَزَّنَا اللهُ به، أَذَلَّنَا اللهُ) رواه الحاكم عن طارق بن شهاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يا عباد الله، لن يكونَ عِزُّنا بِعلمانيَّةٍ ولا مَدَنيَّةٍ ولا بِتشريعاتٍ وضعيَّةٍ، لن يكونَ عِزُّنا إلا بالإسلامِ، حيثُ نُحِلُّ حلالَهُ ونُحَرِّمُ حرامَهُ، ونَقِفُ عندَ حُدودِ اللهِ تعالى، ونقولُ لأوامِرِ الله تعالى: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}.

فَفي الإسلامِ عِزُّنَا في الدُّنيا والآخرةِ، وهوَ البابُ الوحيدُ لِدُخولِ الجنَّةِ بعدَ بِعثةِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون}.

فالبابُ الوحيدُ لِدُخولِ الجنَّةِ بعدَ بِعثةِ سيِّدِنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هو بابُ المصطفى عليه الصلاةُ والسلام.

كلُّ أبوابِ الوَرى مَغلُوقَةٌ *** غَيرَ بَابِ المصطَفى مِنهُ الدُّخُولُ

يا عباد الله، البابُ الوحيدُ لِدُخولِ الجنَّةِ هوَ إيمانُنا بِسيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، والإيمانُ يعني التَّصديقَ والعملَ والطاعةَ لهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ

الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى) رواه الإمام البخاري عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ويقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ سَمِعَ بِي مِنْ أُمَّتِي أَوْ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنْ بِي دَخَلَ النَّارَ). رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنهُ. فَمَصيرُ أهلِ الكتابِ بعد بِعثةِ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى النَّارِ إذا لم يُؤمنوا به، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّة}.

لذلك حَقَدوا علينا وحَسدُونا على هذهِ النِّعمَةِ، وضَمَروا لنا من البغضَاءِ ما لا يعلمهَا إلا اللهُ، وصَدَقَ اللهُ القائلُ: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}. فلا تُعلِّقوا آمالكم يا عبادَ اللهِ لا بِيَهودٍ ولا بِنَصارى ولا بِمَلاحِدةٍ ، بل عَلِّقُوهَا باللهِ تعالى بعدَ الالتزامِ بِالإسلامِ.

يا حسرةً على العِبادِ إذا وقفوا بين يديِ اللهِ تعالى لِلحسابِ:

يا عباد الله، لقد أكرَمَنا اللهُ تعالى بِنعمةِ الإسلامِ، وشَرَّفَنَا بِنعمةِ التَّكليفِ، فَبِنعمةِ التَّكليفِ أصبحنا أَعِزَّةً، لأنَّ تَكليفَ اللهِ تعالى لنا هوَ شَرَفٌ وعِزٌّ لنا، وخيرُهُ راجعٌ علينا وليسَ راجعاً للهِ تعالى، قال تعالى في الحديث القدسي: (يَا عِبَادِي: إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً.

يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً). ثمَّ يقول تعالى: (إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ،

ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ) رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ولكنَّ كثيراً من الناسِ ضَيَّعوا هذا التَّكليفَ، ومن ضيَّعَهُ سوفَ يَتَحَسَّرُ إذا ما وَقَفَ بينَ يَدَيِ اللهِ تعالى لِلعرضِ والحسابِ يومَ القيامةِ، فيا من زَهِدَ في الإسلامِ وأعرضَ عنه، أنتَ راجعٌ إلى ربِّكَ رغمَ أنفكَ، سواءٌ كنتَ حاكماً أو محكوماً، قويَّاً أو ضعيفاً، غنيَّاً أو فقيراً، راجعٌ إلى ربِّكَ وواقِفٌ بين يديهِ يومَ القيامةِ.

يا عبادَ الله، أتدرونَ ما هوَ يومُ القِيامَةِ؟ فَفِي يومِ القيامةِ:

أولاً: المُلكُ فيه لله تعالى الواحدِ القهَّارِ:

يا عباد الله، الملكُ للهِ تعالى في الحياةِ الدنيا والآخرة، ولكن شاءَ ربُّنا عزَّ وجل أن يعطيَ بعضَ خلقِهِ الملكَ في الحياةِ الدنيا، قال تعالى: {تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاء}.
فظنَّ هذا المِلكُ أنَّه مستَقِلٌّ، وأنَّهُ ـ والعياذُ باللهِ تعالى ـ نِدٌّ للهِ تعالى، هذا العَبدُ الظانُّ هذا الظنَّ غبيٌّ، وما عِندَهُ ذرَّةُ عقلٍ عندما يُفكِّرُ هذا التَّفكيرَ، ما آتاهُ اللهُ الملكَ إلا اختباراً وابتلاءً، هل يطغى بمُلكِهِ أم يَقِفُ عندَ حدودِ اللهِ عزَّ وجلَّ؟

فَفِي يومِ القيامَةِ تَتَجلَّى حَقيقةُ الملكِ بِأنَّهُ للهِ تعالى. يقول الله تعالى: {يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ للهِ الوَاحِدِ القَهَّار * اليَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ اليَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَاب}. أجيبوا يا حُكَّامَ العربِ، ويا حُكَّامَ الدُّنيا لمنِ الملكُ اليومَ؟

جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن عَبْد اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الملِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الملِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المتَكَبِّرُونَ؟).

هل سمعتم هذا يا مُلوكَ الأرضِ؟ هل سمعتم هذا يا حُكَّامَ الناسِ؟ هل سمعتم هذا يا جَبابِرَةُ؟ هل سمعتم هذا يا مُتكبِّرونَ؟ فالمِلِكُ والمالِكُ هوَ اللهُ تعالى، والجَبَّارُ هوَ اللهُ تعالى، والمتَكَبِّرُ هوَ اللهُ تعالى، والناسُ همُ الفقراءُ إلى اللهِ تعالى، حُكَّاماً ومَحكُومين، يَقِفُونَ بينَ يَدَيِ اللهِ تعالى لا تَخفَى منهم خافيةٌ، وهناكَ تَنكَشِفُ الحقائقُ، وتُبلى السَّرائرُ، ويَشيبُ الوِلدانُ، وتَذهلُ المرضعةُ عمَّا أرضعت، كما قالَ تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيم * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيد}.

ثانياً: لا ينفعُ فيه النَّسبُ:

يا عباد الله، الناسُ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا يفتَخِرونَ بِأنساٰبِهِم المادِّيةِ، ولا يفتَخِرونَ بِنَسَبِ التَّقوى. إلا من رحِمَ اللهُ تعالى. يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ}.

فَفِي يومِ القيامةِ لا يَنفَعُ نَسَبٌ، قال تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُون}. فكلُّ نَسَبٍ موضوعٌ إلا نَسَبَ التَّقوى، أخرج الطبراني في الكبير عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، أَمَرَ اللهُ مُنَادِياً يُنَادِي: أَلا إِنِّي جَعَلْتُ نَسَباً،

وَجَعَلْتُمْ نَسَباً، فَجَعَلْتُ أَكْرَمَكُمْ أَتْقَاكُمْ، فَأَبَيْتُمْ إِلا أَنْ تَقُولُوا: فُلانُ بنُ فُلانٍ خَيْرٌ مِنْ فُلانِ بنِ فُلانٍ، فَأَنَا اليَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي، وَأَضَعُ نَسَبَكُمْ، أَيْنَ المتَّقُونَ؟). اللهمَّ اجعلنا منَ المتَّقينَ.

فالنَّسبُ هوَ نَسَبُ التَّقوى والاتِّباعِ والاقتِداءِ، وهذا ما أكَّدَهُ سيِّدُنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقوله: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ـ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ـ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا) متَّفقٌ عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وأخرج الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ).

ثالثاً: تنطِقُ فيه الجوارِحُ:

يا عباد الله، إنَّ شُهودَ الدُّنيا في قَضِيَّةٍ (ما) قد يَكذِبونَ وقد يَكونونَ شُهودَ زُورٍ، وقد يُبالغونَ في الحقيقةِ، وقد يَمتنِعونَ عن الإدلاءِ بِالشَّهادةِ خوفاً من مُهدِّدٍ، أو طَمَعاً في مُرَغِّبٍ، وقد تَكونُ شَهادَتُهُم غَامِضَةً، لكنَّ شُهودَ يومِ القيامةِ صِنفٌ آخرُ من المخلوقاتِ، يَختلِفونَ تماماً عن شُهودِ الدُّنيا، لا يَعرِفونَ الكذِبَ، ولا يَقبَلونَ الرِّشوةَ، ولا يَزيدونَ ولا يُنقِصونَ، شَهَادَتُهُم واضِحَةٌ، عِبارتُهُم مَفهومَةٌ، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون}.

يا عبادَ الله، في يومِ القيامَةِ يَشهَدُ السَّمعُ والبَصَرُ والجِلدُ والرِجْلُ واليَدُ وجَميعُ الجَوارِحِ، فَيَا قاتِلَ الأبرياءِ، ويا سافِكَ الدِّماءِ، ويا مُرَوِّعَ النَّاسِ، ويا مُيَتِّمَ الأطفالِ، ويا مُرَمِّلَ النِّساءِ، ويا هاتِكَ الأعراضِ، إذا اختفيتَ بعدَ ارتكابِ الجريمَةِ ولم تُعرَف في الدنيا، فاعلم بأنَّك ستُعرَفُ في أرضِ المحشر عندما تأتي جهنَّمَ وبِئسَ المَصِيرُ، ولا تَخفى مِنكَ خافيةٌ، وتَشهدُ عليكَ جوارِحُكَ.

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَهَا:

يا عباد الله، يا حسرةً على العِبادِ إذا وَقَفُوا بينَ يَدَيِ اللهِ تعالى يومَ القيامةِ حُفاةً عُراةً غُرلاً، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً) ثُمَّ قَرَأَ: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}.

فَيَا أيُّها الحاكمُ، ويا أيُّها القاتِلُ، ويا سافِكَ الدِّماءِ، ويا هاتِكَ الأعراضِ، ويا مُهَدِّمَ البُيوتِ، ويا مُرَوِّعَ النَّاسِ، واللهِ سَتَقِفُ بينَ يَدَي مولاكَ حافياً عارياً فقيراً ذليلاً حقيراً، وسَيَسأَلُكَ مولاكَ: لمَ قتلتَ؟ لمَ سَفَكتَ؟ لمَ هَتَكتَ الأعراضَ؟ لمَ رَوَّعتَ؟ لمَ يَتَّمتَ الأطفالَ؟ لمَ رمَّلتَ النِّساءَ؟ فما أنتَ قائِلٌ لمولاكَ؟

يا حسرةً على العِبادِ إذا وَقَفُوا بينَ يَدَيِ اللهِ تعالى لا يَتَكَلَّمونَ، كما قال تعالى: {لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً}.

يا حسرةً على العِبادِ إذا وَقَفُوا بينَ يَدَيِ اللهِ تعالى، وسَمِعوا قولَ اللهِ تعالى: {وَامْتَازُوا اليَوْمَ أَيُّهَا المجْرِمُون * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ

عَدُوٌّ مُّبِين * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيم}.

فَيَا مَن عَبَدَ الشَّيطانَ . يعني أَطَاعَهُ وامتَثَلَ أمرَهُ . سواءٌ كان شَيطاناً جِنِّيًّاً أم إنسِيًّاً، ما أنت قائلٌ لِربِّكَ، وأنت المجرمُ القاتِلُ لِلأبرياءِ، وأنت المجرمُ المرَوِّعُ لِلناسِ، وأنت المجرمُ الهاتِكُ لِلأعراضِ، وأنت المجرمُ الميَتِّمُ لِلأطفالِ والمرَمِّلُ لِلنِّساءِ؟

ما أنت قائلٌ لِربِّكَ عندما تسمعُ قولَهُ: {لِّمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ للهِ الوَاحِدِ القَهَّار}؟.

ما أنت قائلٌ لِربِّكَ عندما تسمعُ قولَهُ: (أَيْنَ المتَّقُونَ؟). فهل تقولُ ها أنا؟

ما أنت قائلٌ لِربِّكَ عندما يَشهَدُ عليكَ سَمْعُكَ وبَصَرُكَ وكلُّ جوارِحِكَ؟ هيِّئِ الجوابَ لمولانا عزَّ وجلَّ.

يا عبدَ اللهِ اسمع هذا الحديث الشريفَ: (عِشْ مَا شِئتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحبِبْ مَن شِئتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُه، واعمَل مَا شِئتَ فَإِنَّكَ مُجْزَيٌّ بِهِ) رواه الحاكم عن سهل بن سعدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

أسألُ اللهَ تعالى أن يُعِزَّنا بالإسلامِ، وأن يَجعلَنا وقَّافينَ عندَ حدودِ اللهِ في المنشَطِ والمكرَهِ، في القوَّةِ والضَّعفِ، في الغِنى والفَقرِ، حتى نلقى اللهَ القائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنتُم مُّسْلِمُون}. فلا تموتوا إلا على الإسلامِ، لأَنَّهُ مِن بابِ الإسلامِ تدخلونَ جَنَّةَ اللهِ، وإلا فلن يدخُلَها وربِّ الكعبَةِ مَن رَغِبَ عنِ الإسلامِ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

274ـ خطبة الجمعة: الابتلاء يحتاج إلى صبرٍ وتضرعٍ

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ اللهَ تبارك وتعالى جَعَلَ الابتلاءَ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا لِخلقِهِ سُنَّةً، لِيُمَحِّصَ به إيمانَ المؤمنينَ، وَلِيَميزَ الخبيثَ من الطَّيِّبِ، والكاذبَ من الصَّادقِ، قال تعالى: {الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِين}. وقال: {ما كَانَ اللهُ لِيَذَرَ المؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}.

يا عباد الله، طريقُ الابتلاءِ طريقٌ شاقٌّ وقاسٍ، سَلَكَهُ الأنبياءُ والمرسلونَ والأولياءُ والصَّالحونَ، فيه رُمِيَ سيِّدُنا إبراهيمُ الخليلُ عليه السَّلامُ في النَّارِ، وفيه أُضجِعَ سيِّدُنا إسماعيلُ عليه السَّلامُ لِلذَّبحِ، وفيه بِيعَ سيِّدُنا يوسفُ عليه السَّلامُ بِثمنٍ بَخسٍ دَرَاهِمَ معدودةٍ، وأُدخِلَ السِّجنَ ظُلماً وعُدواناً، وفيه ذَهَبَت عينا سيِّدِنا يعقوبَ عليه السَّلامُ من البُكاءِ حُزناً على فَقدِ سيِّدِنا يوسفَ عليه السَّلامُ، وفيه ذُبِحَ سيِّدُنا يحيى الحَصورُ عليه السَّلامُ، وفيه أضنى البلاءُ وطولُ المَرَضِ سيِّدَنا أيُّوبَ عليه السَّلامُ، وفيه أُدمِيَت قَدَمَا سيِّدِ الخلقِ وحبيبِ الحقِّ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وشُجَّ وجهُهُ الشَّريفُ، وكُسِرَت رَباعيَتُهُ، وهكذا من بعدهم الأولياءُ

والصَّالحونَ، وهذا ما أَكَّدَهُ سيِّدُنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقوله: (إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

العُسرُ يَتبَعُهُ اليُسرُ:

يا عباد الله، قضى ربُّنا عزَّ وجلَّ أن يَتْبَعَ العُسرَ اليُسرُ، فمهما عَظُمَ البلاءُ واشتدَّ وامتدَّ زَمَنُهُ فإنَّه لا يدومُ. من المحالِ دوامُ الحالِ، ونسألُ اللهَ تعالى أن يُعجِّلَ الفَرَجَ. ، بل عندما يشتدُّ البلاءُ ويعظُمُ ويطولُ زَمَنُهُ فإنَّ هذا دليلٌ على قُربِ زَوالِهِ، فيأتي العونُ من اللهِ تعالى بِانكِشافِهِ، فَنِهايةُ كلِّ ليلٍ غاسِقٍ فجرٌ صادقٌ، قال تعالى: {فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً}. وقال تعالى: {سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً}.

يا عباد الله، إنَّ اللهَ تعالى لا يَجمعُ على عبدِهِ عُسرَينِ، ولن يَغلِبَ عُسرٌ يُسرَينِ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الحاكم عن الحَسنِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَوماً مَسرُوراً فَرِحاً وَهوَ يَضحَكُ وَهوَ يَقولُ: (لَن يَغلِبَ عُسرٌ يُسرَينِ).

يا عباد الله، إنِّي أرجو الله عزَّ وجلَّ لأهلِ بِلادِ الشَّامِ أن يُكرِمَهُم بِإطلالةِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهوَ مسرورٌ فَرِحٌ ضاحكٌ لهُم يُبَشِّرُهُم بقوله: (لَن يَغلِبَ عُسرٌ يُسرَينِ). أسألُ اللهَ تعالى أن يُعجِّلَ الفَرَجَ عن هذهِ الأمَّةِ.

روى الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيراً، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً). اِجعلوا

هذا الحديثَ الشَّريفَ وصيَّةً لكم تَعملونَ بها في هذهِ الآونةِ.

ويقول سيِّدُنا عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: مَهْمَا يَنْزِلُ بِعَبْدٍ مُؤْمِنٍ مِنْ مَنْزِلِ شِدَّةٍ يَجْعَلْ اللهُ بَعْدَهُ فَرَجاً، وَإِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ. رواه الإمام مالك في الموطأ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

الابتلاءُ يحتاجُ إلى صبرٍ:

يا عباد الله، الفَرَجُ مع الكَربِ، واليُسرُ مع العُسرِ، ولكنَّ الأمرَ يحتاجُ إلى صبرٍ ومُصابَرَةٍ، لِيَنالَ العبدُ الخيرَ الكثيرَ، كما جاءَ في وصِيَّةِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما بقوله: (وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيراً).

يا عباد الله، نحنُ نعيشُ في هذهِ الأيَّامِ الصَّعبةِ في بلادِ الشَّامِ على كُرهٍ ومَضَضٍ مِمَّا يجري من إراقةِ الدِّماءِ، وهتكِ الأعراضِ، وسلبِ الأموالِ، في بِلادنا خاصَّةً، وفي بِلادِ المسلمينَ عامَّةً، فالصَّبرُ حتمٌ لازمٌ علينا، وَواجبٌ على المؤمنِ، فَفِي الصَّبرِ خيرٌ كثيرٌ إن شاءَ اللهُ تعالى، قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون}.

لذلك أَمَرَ اللهُ تعالى عبادَهُ بِالصَّبرِ وَوَعَدَ عليه الأجرَ العظيمَ، فقال تعالى: {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعون * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المهْتَدُون}. وقال جلَّت قدرته: {وَبَشِّرِ المخْبِتِين * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ}. فاصبِروا على ما أصابَكُم، فإنَّ الفَرَجَ آتٍ وربِّ الكعبةِ، ولكن أسألُ اللهَ تعالى أن يُعجِّلَ به لِأُمَّةِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يا عبادَ اللهِ، الصَّبرُ يُنالُ بِقليلٍ من التَّجلُّدِ والتَّحمُّلِ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَا أَجِدُ لَكُمْ رِزْقاً أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وقال تعالى: {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المحْسِنِين}.

يا عباد الله! الصَّبرُ على الابتلاءاتِ هوَ جِلبابُ الأولياءِ والصَّالحينَ، يَرتَدُونَهُ عند نُزولِ البلاءِ، وقد كان يقول القاضي شُرَيحٌ رحمه الله تعالى: إِنِّي لأُصَابُ بِالمصِيبَةِ فَأَحْمَدُ اللهَ عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ: أَحْمَدُهُ إِذْ لَمْ تَكُنْ أَعْظَمَ مِمَّا هِيَ، وَأَحْمَدُهُ إِذْ رَزَقَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهَا، وَأَحْمَدُهُ إِذْ وَفَّقَنِي لِلاسْتِرْجَاعِ . يعني أن يقول: إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون . لِمَا أَرْجُو فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ، وَأَحْمَدُهُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي دِينِي. اهـ.

يا عباد الله! اِحمَدوا اللهَ تعالى على هذا الحالِ، فَعِندَ اللهِ تعالى أعظمُ من ذلك بِكثيرٍ . ونسألُ اللهَ تعالى أن لا يُحمِّلَنا ما لا طاقةَ لنا به .، واحمَدوا اللهَ تعالى على أنَّ هذا الابتلاءَ ليسَ في دِينِكُم وللهِ الحمدُ، واحمَدوا اللهَ تعالى إذ لم تكونوا سَبَباً في إراقةِ قطرةِ دمِ إنسانٍ مؤمنٍ، واحمَدوا اللهَ تعالى إذ لم تكونوا سَبَباً في ترويعِ إنسانٍ مؤمنٍ، واحمَدوا اللهَ تعالى إذ لم تكونوا سَبَباً في هَتكِ عِرضِ إنسانٍ مسلمٍ، واحمَدوا اللهَ تعالى إذ لم تكونوا من الظَّالمينَ، ولم تكونوا من القَتَلَةِ المجرمينَ، ولا من السَّارِقينَ، ولا من المجرمينَ، ولا مِمَّن يَعيثُ في الأرضِ فساداً، فاصبِروا على ما أنتم عليه حتى تلقَوا رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على الحوضِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

أعظمُ أسبابِ رَفعِ البلاءِ التَّضرُّعُ إلى اللهِ تعالى:

يا عباد الله، التَّضرُّعُ إلى اللهِ تعالى سَبَبٌ لكلِّ خيرٍ، وإنَّ الإنسانَ المؤمنَ لا يستغني

عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ طرفةَ عينٍ ولا أقلَّ من ذلك، وقد كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُكثرُ من قوله: (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ) رواه الحاكم والنسائي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. يا ربِّ لا تَكِلْنا إلى أنفسنا ولا إلى أحدٍ من خلقِكَ طرفةَ عينٍ ولا أقلَّ من ذلك، فإنَّا لا نَثِقُ إلا بِرَحمَتِكَ، وأصلِح لنا شأننا كُلَّهُ، تَبَرَّأنا يا ربَّنا إليكَ من حَولِنا وقُوَّتِنا وتدبيرِنا إلى حَولِكَ وقُوَّتِكَ وتدبيرِكَ، فَدَبِّر لنا فإنَّا لا نُحسِنُ التَّدبيرَ.

يا عباد الله، أَمَرَ اللهُ تعالى عبادَهُ بالتَّضرُّعِ إليه في الدُّعاءِ، فقال تعالى: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المعْتَدِين}.

فالتَّضرُّعُ إلى اللهِ تعالى هوَ أعظمُ الأسبابِ لِرَفعِ البلاءِ، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُون * فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون}. نحنُ في بُؤسٍ وضُرٍّ فهل نَتَضَرَّعُ إلى اللهِ تعالى، أم قَسَت قُلوبُنا لا قدَّرَ اللهُ تعالى؟

يا عباد الله، الغايةُ من أخذِ الناسِ بالبأساءِ والضَّرَّاءِ أن يَتَضَرَّعوا إلى اللهِ تعالى، فإذا غَفَلَ العبادُ عن التَّضرُّعِ أوقاتَ الرَّخاءِ فلا يجوزُ أن يَغْفَلوا عنه في أوقاتِ البلاءِ والشِّدَّةِ، وإلا عَرَّضوا أنفُسَهُم لِسَخَطِ اللهِ وعُقوبَتِهِ، قال تعالى: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون * فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين}.

يا عباد الله، لقد أخبَرَنا اللهُ تعالى عن أقوامٍ ابتلاهم بِالشَّدائِدِ وتَوَعَّدَهم بالعذابِ، فاستكانوا لِربِّهِم وتَضَرَّعوا إليه فَكَشَفَ عنهم العذابَ في الحياةِ الدُّنيا، قال تعالى عن

قومِ سيِّدِنا يونس عليه السَّلامُ: {فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ}.

يا عباد الله، لا مَخرجَ من الأَزَماتِ التي تمرُّ بالمسلمينَ إلا بِصِدقِ الالتِجاءِ إلى اللهِ تعالى العظيمِ الذي لا شيءَ أعظَمَ منه، والقادرِ الذي لا أقدرَ منه، والقويِّ الذي لا أقوى منه، ومع الصَّبرِ والمصابَرَةِ، ومَن كانَ مع اللهِ تعالى في السَّرَّاءِ والشِّدَّةِ والرَّخاءِ كانَ مُؤيَّداً منصوراً، وكانَ عدُوُّهُ بإذنِ اللهِ مَدحوراً.

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَهَا:

يا عباد الله، ليست المصيبةُ والمشكلةُ في وُقوعِ الابتلاءاتِ والشَّدائدِ والمِحَنِ، فإنَّها سُنَّةُ اللهِ تعالى في خلقِهِ، ولكنَّ المصيبةَ والمشكلةَ في غَفْلَتِنا عن أسبابِ الوِقايةِ منها، وفي بُعدِنا عن الرُّجوعِ إلى اللهِ سبحانه تعالى، والأخذِ بمُوجِبِ التَّقوى والإيمانِ الذي يدفعُ اللهُ سبحانه وتعالى به العذابَ، ويكشِفُ به البلاءَ، واللهُ عزَّ وجلَّ رحيمٌ وكريمٌ وهوَ الغنيُّ الحميدُ، ومن رحمتِهِ بهذه الأمَّةِ أن أنزلَ إليها الكتابَ رحمةً، وبَعَثَ إليها نبيَّ الرَّحمةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وبَيَّنَ لها كيف تَتَّقي عذابَهُ، وكيف تتجنَّبُ سَخَطَهُ، وكيف تأخذُ بأسبابِ النَّجاةِ في أمرِ دِينها ودُنياها.

فالنَّجاةُ مِمَّا نحنُ فيه بالتَّضرُّعِ إلى اللهِ تعالى بعدَ الصَّبرِ، ولا أعني الصَّبرَ على البلاءِ فقط، بل يجبُ أن يكونَ الصَّبرُ على الطَّاعةِ، والصَّبرُ عن المعصيةِ، قبلَ الصَّبرِ على الابتلاءاتِ.

يا عباد الله، ورَبِّ الكعبةِ، لو أنَّنا صَبَرنا على الطَّاعةِ، وخاصَّةً في أيَّامِ الهرجِ ـ أيَّامِ القتلِ ـ التي يقولُ فيها النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ) رواه الإمام مسلم عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. لو صَبَرنا

على الطَّاعةِ، وصَبَرنا عن المعصيةِ، وصَبَرنا على البلاءِ، وتَضَرَّعنا إلى اللهِ تعالى، وَاللهِ إنَّ الفَرَجَ يأتي مباشَرَةً من قِبَلِ ربِّنا عزَّ وجلَّ.

أُنظروا إلى سيِّدِنا يونسَ عليه السَّلامُ، اِبتلاهُ اللهُ بِأَن جَعَلَهُ في بطنِ الحوتِ، هل هُناكَ ضِيقٌ وشِدَّةٌ أشدُّ من هذا؟ وهل هُناكَ كربٌ أشدُّ من هذا الكربِ؟ فماذا فَعَلَ سيِّدُنا يونسَ عليهِ السَّلامُ؟ لقد علَّمَنا وعلَّمَ الناسَ إلى قِيامِ السَّاعةِ بِأَنَّهم إذا أصابَهُمُ الضُّرُّ أن يَتَضَرَّعوا إلى اللهِ تعالى، قال تعالى مُخبِراً عن سيِّدِنا يونسَ عليهِ السَّلام: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين}.فما كانت النَّتيجةُ؟ قال تعالى: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي المؤْمِنِين}.

يا عباد الله، أين من يقولُ من مُؤيِّدٍ ومُعارضٍ: {لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين}؟ أين من يُقِرُّ بِظُلمِهِ؟ وأين من يَتَرَاجعُ عن ظُلمِهِ حتى يَكشِفَ اللهُ تعالى الكربَ والشِّدَّةَ والغُمَّةَ عن هذِهِ الأمَّةِ؟ الكلُّ يُبَرِّئُ نفسَهُ ويَتَّهِمُ غيرَهُ إلا من رحم اللهُ تعالى.

نسألُ اللهَ تعالى أن يُعجِّلَ الفَرَجَ عن هذهِ الأمَّةِ، وأن يُكرِمَها بِشِفاءِ صَدرِها، وأن يُرِيَنا عجائبَ قدرتِهِ في القومِ الظَّالمينَ، قَتَلَةِ الأبرياءِ، ومُنتهكي الأعراضِ، وسالبي الأموالِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

275ـ خطبة الجمعة: لماذا تأخر الفرج والنصر؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لا يجوزُ أن يَضيقَ صَدرُ العبدِ المؤمنِ من الابتلاءاتِ والشَّدائِدِ وإن طَالَت، لأنَّها تَمحيصٌ لِلعبادِ، وبِها تَنكَشِفُ حَقائِقُ الناسِ، ويَتَمَيَّزُ الطَّيِّبُ من الخبيثِ، والمؤمِنُ من المنافِقِ، والصَّادِقُ من الكاذِبِ، ورحم الله تعالى من قال:

جزى اللهُ الشَّدائِدَ كلَّ خيرٍ *** وإن كانت تُغَصِّصُني بريقِي

ومَا شُكرِي لها إلا لِأنِّي *** عَرَفتُ بها عَدُوِّي مِن صَدِيقي

هذا أولاً.

ثانياً: الابتلاءاتُ والشَّدائِدُ تكفيرٌ لِذُنوبِ العبادِ، كما روى الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ حَتَّى الشَّوْكَةَ تُصِيبُهُ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ).

ثالثاً: الابتلاءاتُ والشَّدائِدُ ترفعُ مَنازِلَ العبادِ المؤمنينَ عند اللهِ تعالى، بِسَبَبِ صَبرِهِم

عليها، كما روى الإمام أحمد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: (إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِن اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ، ابْتَلاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ المَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ).

الفَرَجُ آتٍ لا مَحالةَ إن شاءَ اللهُ تعالى:

يا عباد الله، الفَرَجُ آتٍ لا مَحالةَ إن شاءَ اللهُ تعالى كما وَعَدَ اللهُ تعالى عبادَهُ المؤمنينَ، وقَرَّرَ في كتابِهِ العظيمِ، قال تعالى: {وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً}. وقال تعالى: {كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيز}. وقال تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المرْسَلِين * إِنَّهُمْ لَهُمُ المنصُورُون * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُون}. وقال تعالى: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَاد}.

يا عباد الله، كما أنَّ وَعْدَ اللهِ لا يُخلفُ لِعبادِهِ المؤمنينَ، فكذلكَ وَعيدُهُ لِلفاجِرينَ الظَّلَمَةِ الذين ظَنُّوا أنفُسَهُم أنَّهم على كلِّ شيءٍ قادرونَ، وأنَّهم لا يُعجِزُهُم شيءٌ آتٍ، وهذا ما قَرَّرَهُ ربُّنا عزَّ وجلَّ بقوله: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُون}. وبقوله: {لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ المصِير}. وبقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّين}. وبقوله: {وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى المؤْمِنِينَ سَبِيلاً}. وبقوله: {لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَد * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَاد}.

يا عباد الله، وَعْدُ اللهِ لا يُخلفُ، ونَصرُهُ لا يَتَخَلَّفُ، وهذهِ سُنَّةٌ ربَّانيَّةٌ ثابتةٌ، لا تبديلَ

لها ولا تحويلَ، وَوَعْدُ اللهِ قاطعٌ جازمٌ، ولولا هذهِ المبَشِّراتُ والوُعودُ والقراراتُ في الكتابِ المبينِ المحفوظِ لَأُصيبَ الإنسانُ باليأسِ والقُنوطِ.

كما تُجازي تُجازى:

يا عباد الله، لقد جرَت سُنَّةُ اللهِ التي لا تَتَبَدَّلُ ولا تَتَغَيَّرُ، وَوَعْدُهُ الذي لا يُخلَفُ، بأنَّ الجزاءَ من جِنسِ العملِ، فكما يَدينُ الإنسانُ يُدانُ، وكما يُجازي يُجازى، فَمَنَ نَصَرَ اللهَ نَصَرَهُ اللهُ، ومَن حَفِظَ اللهَ حَفِظَهُ اللهُ، ومَن أوفى بِعهدِهِ من اللهِ القائلِ: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}؟

يا عباد الله، كلُّ واحدٍ فينا يَطلُبُ الفَرَجَ والنَّصرَ من اللهِ على عَدُوِّهِ، ولكن يا طالبَ الفَرَجِ والنَّصرِ، هلَّا سألتَ نفسَكَ هذا السُّؤالَ: هل أنا مِمَّن يستحقُّ الفَرَجَ والنَّصرَ من اللهِ تعالى القائل: {وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِندِ اللهِ}. والقائل:{أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيب}.

يا عباد الله، من الذي يستحقُّ النَّصرَ من اللهِ تعالى؟

الذي يستحقُّ نَصرَ اللهِ الذي وَعَدَهُ عبادَهُ المؤمنينَ هوَ الذي ينصُرُ اللهَ تعالى، ونَصْرُهُ للهِ تعالى يكونُ بِالتزامِ القرآنِ العظيمِ، وتحليلِ حلالِهِ، وتحريمِ حرامِهِ، وتطبيقِ حُدودِهِ، والتَّخلُّقِ بأخلاقِهِ، فمن نَصَرَ اللهَ تعالى نَصَرَهُ اللهُ تعالى القائل: {إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ}. ومن نَصَرَهُ اللهُ تعالى فلا غالبَ له، ومن تخلَّى اللهُ عن نُصرَتِهِ فلا ناصِرَ له، قال تعالى: {إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ}.

فهل نحنُ مِمَّن يَدورُ مع الإسلامِ حيثُ دَارَ، أم نَدورُ مع مَصالِحِنا حيثُ دَارَت؟ هل

نحنُ نعيشُ لِدِيننا أم لِدُنيانا؟

وصيَّةُ سيِّدِنا عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ:

يا عباد الله، بِقُوَّةِ الصِّلَةِ مع اللهِ تعالى، وبِالاحتِراسِ من المعاصي والذُّنوبِ، يكونُ الفَرَجُ والنَّصرُ من اللهِ تعالى لِعبادِهِ، واسمعوا وصيَّةَ سيِّدِنا عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ لِسيِّدِنا سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه وجُندِهُ، قال له:

أمَّا بعدُ، فَإِنِّي آمُرُكَ وَمَن مَعَكَ مِنَ الأجنادِ بِتَقوى اللهِ على كُلِّ حالٍ، فَإِنَّ تَقوى اللهِ عزَّ وجلَّ أفضلُ العُدَّةِ على العَدُوِّ، وأقوى العُدَّةِ في الحربِ.

وآمُرُكَ وَمَن مَعَكَ أن تكونوا أَشَدَّ احتِراساً مِنَ المعاصي مِنكم مِن عَدُوِّكُم، فَإِنَّ ذُنوبَ الجيشِ أَخوفُ عليهم مِن عَدُوِّهِم، وَإِنَّما يُنصَرُ المسلمونَ بِمعصِيَةِ عَدُوِّهِم للهِ، ولولا ذلك لم تَكُن لَنَا بِهِم قُوَّةٌ، لأنَّ عَدَدَنا ليسَ كَعَدَدِهِم، ولا عُدَّتَنَا كَعُدَّتِهِم، فإذا استَوَينَا في المعصيةِ كانَ لَهُمُ الفضلُ علينا في القُوَّةِ، وإنْ لا نُنصرُ عليهم بِفضلِنا لم نَغلِبهُم بِقُوَّتِنَا.

وَاعلَمُوا أنَّ عَلَيكُم في سَيرِكُم حَفَظَةً مِنَ اللهِ يَعلَمُونَ ما تَفعَلُونَ، فَاستَحيُوا مِنهُم.

ولا تَعمَلُوا بِمَعاصي اللهِ وأنتم في سبيلِ اللهِ، ولا تَقولوا إنَّ عَدُوَّنَا شَرٌّ مِنَّا ولن يُسَلَّطَ عَلَينا وإن أَسَأنا، فَرُبَّ قومٍ سُلِّطَ عَلَيهم شَرٌّ مِنهم، كَما سُلِّطَ على بني إسرائيلَ لما عَمِلوا بِمَساخِطِ اللهِ كَفَرَةُ المجوسِ، فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيارِ، وكانَ وَعْداً مَفعولاً.

اِسألوا اللهَ العَونَ على أنفُسِكُم، كما تَسأَلُونَهُ النَّصرَ على عَدُوِّكُم، أسألُ اللهَ ذلك لنا ولكم.

الفضلُ ما شَهِدت به الأعداءُ:

يا عباد الله، لقد استقبلَ سَلَفُنا آياتِ اللهِ وَعداً وَوَعيداً استقبالَ العبدِ المؤمنِ المقِرِّ بِعُبودِيَّتِهِ للهِ تعالى، وجَسَّدوا إسلامَهُم تجسيداً عملِيَّاً، حتى شَهِدَ عَدُوُّهُم لهم بذلك.

ففي موقعة اليرموك: دَخلُوا على هِرَقلَ ملكِ الرُّومِ الهالِكِ، فَسَألَهم والحسرةُ تأكلُ قلبَهُ، والحيرةُ تكادُ تذهبُ بِعقلِهِ: ويلكم أَخبِروني عن هؤلاءِ القومِ الذين يُقاتِلُونَكُم، أليسوا بَشَراً مثلَكُم؟ قالوا: بلى.

قال: فأنتم أكثرُ أم هم؟

قالوا: بل نحنُ أكثرُ منهم أضعافاً في كلِّ موطِنٍ.

قال: فما بالُكُم تنهَزِمونَ؟

فأجابَ شيخٌ من عُظَمائِهِم: إنَّهم يهزِموننا لأنَّهم يقومونَ الليلَ، ويصومونَ النَّهارَ، ويُوفونَ بالعهدِ، ويأمرونَ بالمعروفِ، ويَنهَونَ عن المنكرِ، ويَتَنَاصَفونَ بينهم.

أمَّا نحنُ فَنَشربُ الخمرَ، ونرتَكِبُ الحرامَ، وننقُضُ العهدَ، ونغصِبُ، ونظلِمُ، وننهى عمَّا يُرضي اللهَ، ونُفسِدُ في الأرضِ.

قال هِرَقلُ: أمَّا هذا فقد صَدَقَني.

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَهَا:

يا عباد الله، لِنسألَ أنفُسَنا هذهِ الأسئلةَ: لماذا تأخَّرَ الفَرَجُ والنَّصرُ عن هذهِ الأمَّةِ؟

ولماذا تَسَلَّطَ عليها عَدُوُّها، وتَدَاعَت عليها الأُمَمُ كما تَتَداعى الأَكَلَةُ إلى قَصعَتِها؟

ومن هوَ المسؤولُ عن هذا الواقِعِ المريرِ؟

ولماذا انتَصَرَ أسلافُنا؟ ونحنُ نَتَجَرَّعُ الهزيمةَ تِلو الهزيمةِ؟

ألسنا وإيَّاهم مسلمين؟ فلماذا نَنهَزِمُ وينتَصِرونَ؟

سؤالٌ مريرٌ، والإجابةُ عنه أَشَدُّ مرارةً.

الجوابُ عن هذا السؤالِ في القرآنِ العظيمِ، قال تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ}.

ألسنا نحنُ الذين جَعلنا القرآنَ العظيمَ كتاباً عظيماً مُقدَّساً مع الغيرةِ عليه، وخُروجِ العقلِ من الرَّأسِ إذا سَمِعنا الإساءَةَ إليه؟ ولكن أوقَفنا تنفيذَ أحكامِهِ في جميعِ شُؤونِنا إلا من رحم الله! لقد جَعَلناهُ للتِّلاوةِ فقط في مُناسَباتِ أفراحِنا وأتراحِنا، أمَّا أن يكونَ حبلَ اللهِ المتينَ لنا، ودُستورَنا والمرجِعَ إليه في جميعِ شؤونِنا، فهذا أمرٌ بعيدُ المنالِ إلا من رحم الله.

أليسَ الكثيرُ من المسلمين لا يَحتَكِمونَ إلا للتَّشريعاتِ الوضعيَّةِ في أحوالِهِم؟

لقد غابتِ الأمَّةُ عن دِينِها، وَرَفَعَت شِعاراتٍ ما أنزلَ اللهُ بها من سُلطانٍ، شِعاراتٍ تصطَدِمُ مع عقيدَتِها السَّامِيَةِ العالِيَةِ، وجَعَلَت . وبِكلِّ أَسَفٍ . ولاءَها للشَّرقِ أو للغربِ، ونَسِيَت رَبَّها واليومَ الآخِرَ إلا من رحم الله تعالى.

أسألُ اللهَ أن يَرُدَّنا إلى دِينِهِ رَدَّاً جميلاً.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٢٧٦ـ خطبة الجمعة: اطمئنَّ أيها القاتل المجرم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

ما من إنسانٍ عندَهُ ذَرَّةُ إيمانٍ، أو ذَرَّةُ عقلٍ، إلا وهوَ مُعارضٌ لهذا الفسادِ الذي يجري في بَلَدِنا، ومُعارضٌ لِسَفكِ الدِّماء البريئةِ، ومُعارضٌ لِتذبيحِ الأطفالِ والنِّساءِ والرِّجالِ، ومُعارضٌ لِتهديمِ البيوتِ، ومُعارضٌ لِهَتكِ الأعراضِ، ومُعارضٌ لِتيتيمِ الأطفالِ، ومُعارضٌ لِترميلِ النِّساءِ، ومُعارضٌ لِلسَّرِقَةِ والنَّهبِ والخَطفِ، ومُعارضٌ لِلظُّلمِ وهَضمِ الحُقوقِ.

وما من عبدٍ مُؤَيِّدٍ لِهذا الفسادِ، ولِسَفكِ الدِّماء البريئةِ، ولِتذبيحِ الأطفالِ والنِّساءِ والرِّجالِ، ولِتهديمِ البيوتِ، ولِهَتكِ الأعراضِ، إلا كانَ شَريكاً للمفسدينَ في إفسادِهِم، ويَتَحمَّلُ من الوِزرِ مِثلَ أوزارِهِم، ويكونُ آثِماً معهم، روى أبو داود عَنِ العُرْسِ ابْنِ عَمِيرَةَ الكِنْدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا عُمِلَتِ الخَطِيئَةُ فِي الأَرْضِ، كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا. وَقَالَ مَرَّةً: أَنْكَرَهَا. كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا، كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا».
وروى الطبراني أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ كَانَ يَقُولُ: (إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ، فَمَنْ رَضِيَهَا مِمَّنْ غَابَ عَنْهَا، فَهُوَ كَمَنْ شَهِدَهَا، وَمَنْ كَرِهَهَا مِمَّنْ شَهِدَهَا، فَهُوَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا).

اِطمَئِنَّ أيُّها القاتلُ المجرمُ:

يا عباد الله، يقول اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ المشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ المتَّقِين﴾. وها نحنُ في شهرٍ من أشهُرِ اللهِ الحُرُمِ ـ في شهرِ رجب ـ الذي حذَّرَنا فيه ربُّنا جلَّ وعلا من الظُّلمِ فقال: ﴿فَلا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾. فإن كانَ الظُّلمُ حراماً في سائرِ الأيَّامِ، فهو في الأشهُرِ الحُرُمِ أشدُّ تحريماً، ولكن كُلَّما ضَعُفَ الإيمانُ في القلبِ اجتَرَأَ صاحبُهُ على الكبائرِ والموبقاتِ، ومن أشدِّ أنواعِ الظُّلمِ والكبائرِ والموبقاتِ قتلُ الأبرياءِ.

يا عباد الله، لقد كَثُرَ القتلُ واستَحرَّ بدونِ ضابطٍ، وخاصَّةً في الآونةِ الأخيرةِ في منطقةِ الحُولَةِ في مُحافظةِ حمصَ وفي مُحافظةِ حماة، وفي غيرِها من البُلدانِ، لذلكَ أَتوَجَّهُ إلى كُلِّ قاتلٍ، وسافكٍ للدِّماءِ، ومُذَبِّحٍ للأطفالِ والنِّساءِ والرِّجالِ، مهما كانَ، وأقولُ لهُ: أيُّها القاتلُ المجرمُ!

أولاً: اِطمَئِنَّ أيُّها القاتلُ المجرمُ، بأنَّ المقتولَ ما ماتَ إلا بِأَجَلِهِ:

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُون﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً﴾. ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «نَفَثَ رُوحُ القُدُسِ فِي رَوْعِي، أَنَّ نَفْساً لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلا يَحْمِلَنَّكُم اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ لا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلا بِطَاعَتِهِ» رواه الطبراني في الكبير عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ

يُرْسَلُ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ» متَّفقٌ عليه عن عَبْدِ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فاطمَئِنَّ أيُّها القاتلُ المجرمُ بأنَّ مَقتولَكَ ما ماتَ إلا بِأَجَلِهِ المحتومِ، فقد انتهى رِزقُهُ وأجلُهُ، وأمَّا أنت فإنْ كنتَ رجلاً فلا تَتْبعهُ، واللهِ سوفَ تموتُ رَغماً عن أنفِكَ، وأُذَكِّرُكَ بقولِ اللهِ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. سوفَ يُنَبِّئُكَ اللهُ تعالى بما اقتَرَفَتْ يَداكَ.

لذلك أقولُ لك: مُت بِغَيظِكَ لن تنالَ خيراً، فما ماتَ مَن ماتَ بِسَبَبِكَ إلا بِأَجَلِهِ، وأنتَ تَتَحمَّلُ الوِزرَ يومَ القيامةِ، والموعدُ بينَكَ وبينَهُ يومُ القيامةِ بينَ يَدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

ثانياً: اِطمَئِنَّ أيُّها القاتلُ المجرمُ، بأنَّ مُصيبةَ المقتولِ وأهلِهِ لهم وليست عليهم:

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾. فَبِقَتلِكَ الأبرياءَ، وتَذبيحِكَ الأطفالَ والنِّساءَ والرِّجالَ، وبِصبرِ أهلِهِم على ذلكَ غَسَلَهُمُ اللهُ تعالى من ذُنوبِهِم، ورَفَعَ من دَرَجاتِهِم، وكانت عليهم من اللهِ الصَّلواتُ والرَّحمةُ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعون * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُون﴾.

لقد عَلِمَ هؤلاءِ سِرَّ اللهِ في القَدَرِ، فَهَانت عليهمُ المصائبُ، وعَلِموا أنَّ الذي أجراها إنَّما هوَ اللهُ تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِين﴾.

وأمَّا أنتَ فقد تَحمَّلتَ وِزرَ جريمةِ القتلِ، وأشقَيتَ نفسَكَ بِنفسِكَ، واشتَرَيتَ سَخَطَ اللهِ بِيَدَيكَ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾.

لذلك أقولُ لك: مُت بِغَيظِكَ لن تنالَ خيراً، فَمَقتولُكَ وأهلُهُ مأجورونَ، وأمَّا أنتَ فقد تَحمَّلتَ إثمَينِ، إثمَ جريمةِ القتلِ، وإثمَ إعراضِكَ عن شرعِ اللهِ تعالى حيثُ أعرضتَ عن شرعِ اللهِ، ورَفضتَ الانقيادَ لأمرِ اللهِ الذي أمَرَكَ بِإنصافِ العبادِ، قال تعالى حكايةً عن ابني آدم: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

ثالثاً: اِطمَئِنَّ أيُّها القاتلُ المجرمُ، بأنَّكَ الخاسرُ، ومَقتولُكَ الرَّابحُ:

قال تعالى عن ابني آدم: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾. فأنتَ الخاسرُ والمفلسُ يومَ القيامةِ إذا لم تَتُب إلى اللهِ تعالى ـ وربِّ الكعبةِ ـ، وهذا ما بَيَّنَهُ سيِّدُنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقوله: « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا، مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

أنتَ الخاسرُ إذا لم تَتُب إلى اللهِ تعالى ـ وربِّ الكعبةِ ـ في حياتِكَ الدُّنيا قبلَ الآخرةِ، وانظُر إلى أسلافِكَ مِمَّن سَنَّ لكَ تلكَ السُّنَّةَ السَّيِّئةَ، مِن فرعونَ وأمثالِهِ من القَتَلَةِ، فقد خَسروا كلَّ شيءٍ، وإن ذُكِروا في الحياةِ الدُّنيا بعدَ مَوتِهِم صُبَّت عليهِمُ اللَّعنةُ،

قال تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيَامَةِ هُم مِّنَ المَقْبُوحِينَ﴾. فهل هناكَ خسارةٌ أعظمُ من هذهِ الخسارةِ؟

نعم! هناكَ خسارةٌ أعظمُ منها، حيثُ يكونُ القبرُ حُفرةً من حُفَرِ النارِ، واسمع ما قال اللهُ تعالى في حقِّ أسلافِكَ من الفراعنةِ قَتَلَةِ الأبرياءِ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾. فهل هناكَ خسارةٌ أعظمُ من هذهِ الخسارةِ؟

نعم! هناكَ خسارةٌ أعظمُ منها، حيثُ الخلودُ في نارِ جهنَّمَ إنِ استَحلَلتَ هذهِ الجريمةِ، واسمع ما قالَ اللهُ تعالى في حقِّ أسلافِكَ من الفراعنةِ قَتَلَةِ الأبرياءِ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾. دُخولَ خُلودٍ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾.

فهل اطمَأنَّ قلبُكَ بأنَّكَ أنتَ الخاسرُ في الحياةِ الدُّنيا وفي البرزخِ وفي يومِ القيامةِ، أم لا؟ لذلك أقولُ لك: مُت بِغَيظِكَ لن تنالَ خيراً، فقد خَسِرتَ دُنياكَ وآخِرتَكَ.

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَهَا:

يا عباد الله! قاتِلو الأبرياءِ مُجرمونَ، وهم في ضلالٍ وسُعُرٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ المجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُر * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَر * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر * وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَر * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِر﴾. واللهِ إنَّ اللهَ سَيُهلِكُ قَتَلَةَ الأبرياءِ كما أهلَكَ أسلافَهُم، وكلُّ ما فَعلوهُ مُسَطَّرٌ عليهم في كتابٍ عند ربِّنا، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُر * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَر﴾.

يا عباد الله، قاتِلو الأبرياءِ المجرمونَ سوفَ يُفاجَؤونَ يومَ القيامةِ عندما يَجِدونَ كلَّ شيءٍ مُحصيًّاً عليهم، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾. وسوفَ يُقالُ لكلِّ واحدٍ منهم: ﴿اقْرَأ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.

أسألُ اللهَ تعالى القائلَ في كتابِهِ العظيمِ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾. أن يُعجِّلَ بالانتقامِ من القَتَلَةِ المجرمينَ في الحياةِ الدُّنيا، وأن يَشفيَ صُدورَ قومٍ مؤمنينَ، فهو القائلُ في كتابِهِ العظيمِ: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِين﴾.

وأخيراً أَتَوَجَّهُ إلى كلِّ فردٍ من أفرادِ القُوَّاتِ المسلَّحةِ على مُختلفِ صُوَرِها وأشكالِها ومَهامِها، أَتَوَجَّهُ إلى كلِّ حُرٍّ فيهم يشعُرُ بِعُبودِيَّتِهِ للهِ تعالى، ويؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ، وأقولُ له:

١. مُهِمَّتُكَ الأولى والأساسيَّةُ الدِّفاعُ عن دينِ اللهِ عزَّ وجلَّ وحِمايتُهُ.

٢. ثمَّ حمايةُ الأرواحِ والدِّفاعُ عنها.

٣. ثمَّ حمايةُ الأعراضِ والدِّفاعُ عنها.

٤. ثمَّ حمايةُ الأموالِ العامَّةِ والخاصَّةِ والدِّفاعُ عنها.

وليست مُهِمَّتُكَ قتلَ الأبرياءِ بغيرِ حقٍّ، وليست مُهِمَّتُكَ إتلافَ الأموالِ العامَّةِ والخاصَّةِ، وليست مُهِمَّتُكَ هتكَ الأعراضِ، مهما كانَ الآمرُ لك بذلك، وقد ذَكَرتُ

لك في أسابيعَ ماضيةٍ بأنَّهُ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ، ولن يُنقِذَكَ الآمرُ يومَ القيامةِ من عذابِ اللهِ تعالى، وسوفَ تندمُ ولا ينفعُكَ النَّدمُ، وأُذكِّرُكَ بأنَّكَ إذا أطعتَ أمرَ آمرٍ بِمَعصِيَةِ اللهِ فسوفَ تعضُّ يَدَيكَ من النَّدمِ، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً * وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾. أسألُ اللهَ أن لا تكونَ منهم.

ثمَّ أَتَوَجَّهُ إلى أصحابِ مراكزِ الغازِ ومَحطَّاتِ الوَقودِ وأقولُ لهم:

أما آنَ لكم أن تسمعوا قولَ اللهِ تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ﴾؟ أما آنَ لكم أن تتوبوا إلى اللهِ تعالى من هذا الجَشَعِ ومن هذا الطَّمَعِ؟ أما آنَ لكم أن تَتَحرَّكَ في قُلوبِكُم الشَّفَقَةُ والرَّحمةُ على عبادِ اللهِ من إخوانِكُم في هذا البلدِ المنكوبِ؟ أما آنَ لكم أن تتوبوا إلى اللهِ تعالى من هذا الظُّلمِ، ومن هذا الاستغلالِ؟ أما آنَ لكم أن تشعُروا بِقولِ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ» رواه الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ؟ وهل نسيتُم قولَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلا مِنْ شَقِيٍّ» رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

أمِنَ المعقولِ أن يكونَ سعرُ الغازِ والمحروقاتِ يَتَضاعَفُ أضعافاً عِدَّةً؟ أما آنَ لكم أن تَستَحُوا من اللهِ عزَّ وجلَّ؟

أقولُ لكم: كلُّ شيءٍ يُحفظُ عليكم، وإنَّكم سَتُذكرونَ بعدَ أن يَكشِفَ اللهُ هذهِ الغُمَّةَ ـ وإنَّها مكشوفةٌ وربِّ الكعبةِ طالَ الزَّمنُ أم قَصُرَ، وأسألُ اللهَ تعالى بِفَضلِهِ أن يَكشِفَهَا عنَّا عاجلاً غيرَ آجلٍ .!

فَإمَّا أن تُذكَرُوا ذِكراً حَسَناً، وبالتَّرضِّي والتَّرحُّمِ عليكُم وعلى أُصولِكُم وعلى فُروعِكُم بِسَبَبِ حُسنِ تَربِيَتِكُم، وإمَّا أن تُذكرُوا ـ لا قدَّر الله ـ ذِكراً سيِّئاً وباللَّعنةِ حيثُ كنتُم مُستغلِّينَ، وقد نُزِعَتِ الرَّحمةُ من قُلوبِكُم، ولا تُنزَعُ إلا من شقيٍّ، فكُونوا رحيمينَ بِخَلقِ اللهِ، وعاملوا الناسَ كما تُحبُّون أن يُعاملوكُم.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

277ـ خطبة الجمعة: اطمئنَّ أيها المظلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

قبلَ أن أُلقِيَ على مَسامِعِكُمُ الكريمةِ مَوضوعَ خُطبةِ الجُمُعةِ، أقولُ: ائذَنوا لِي أن أنفُثَ نَفثَةً مِن صَدري، من قلبٍ مجروحٍ، فأقولُ: اللهُمَّ من قَتَلَ بريئاً بغيرِ حقٍّ فاقتُلهُ والْعَنهُ لعناً كبيراً، اللهُمَّ من هَتَكَ عِرضَ مسلمٍ أو غيرِ مسلمٍ بغيرِ حقٍّ فالْعَنهُ لعناً كبيراً، اللهُمَّ من هَدَّمَ بيتاً من بُيوتِ المسلمينَ، أو غيرِ بُيوتِ المسلمينَ بغيرِ حقٍّ فالْعَنهُ لعناً كبيراً.

اللهُمَّ نتوسَّلُ إليكَ بأسمائِكَ الحُسنى، وصِفاتِكَ العُلى، وبِحبيبِكَ الأعظمِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أن تُرِيَنا عاجلاً غيرَ آجلٍ عجائبَ قُدرتِكَ فِي المجرمينَ قَتَلَةِ الأبرياءِ، سَفَّاكي الدِّماءِ، فأنت القائلُ فِي كتابِكَ العظيمِ: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾.

اللهُمَّ إن لَم نكُن أهلاً لاستِجابةِ هذا الدُّعاءِ، فرحمتُكَ أوسعُ من ذلكَ بكثيرٍ، فعامِلنا على شاكِلَتِكَ، ولا تُعامِلنا على شاكِلتِنا يا أرحمَ الرَّاحمينَ.

أيُّها الإخوة الكرام: إنِّي أُريدُ أن أُطَمئِنَ المظلومَ الذي قُتِلَ له عزيزٌ عليه، وأن أُطَمئِنَ الذي سُلِبَ مالُهُ، وأن أُطَمئِنَ الذي هُدِّمَ بيتُهُ أو حُرِّقَ، وأن أُطَمئِنَ الذي فُقِدَ له عزيزٌ عليه، وأن أُطَمئِنَ الذي غُيِّبَ في غَياباتِ السُّجونِ بدونِ حقٍّ، وأن أُطَمئِنَ مَن هُضِمَ حقُّهُ، وأن أُطَمئِنَ كلَّ أسرةٍ منكوبةٍ، وأن أُطَمئِنَ كلَّ مظلومٍ ومقهورٍ لم يجِد له ناصراً ومُعيناً وحسيباً وكفيلاً إلا اللهَ تعالى.

اِطمئِنَّ بوَعيدِ اللهِ تعالى لمن ظَلَمَكَ:

يا عباد الله! أُريدُ أن أُطَمئِنَ كلَّ مظلومٍ بكلامٍ، ليسَ من كلامِ البشرِ، إنَّما من كلامِ اللهِ تعالى ربِّ البشرِ، لأنَّ كلامَ اللهِ تعالى تَتَفاعلُ معهُ قلوبُ العبادِ المؤمنينَ، وبه تَطمئِنُّ قُلوبُهُم، كما قال تعالى: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب﴾. **هذا أولاً**.

ثانياً: لأنَّ وعيدَ اللهِ تعالى لا يُخلفُ.

ثالثاً: لأنَّ اللهَ تعالى لا يُعجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، والكلُّ في قَبضَتِهِ من ظالمٍ ومظلومٍ، ومهما اشتدَّت قُوَّةُ الظالمِ فإنَّ اللهَ تعالى أقوى، قال تعالى في حقِّ عادٍ التي لم يُخلق مِثلُها في البلادِ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُون﴾.

رابعاً: مهما عَظُمَ المكرُ بأمَّةِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ المظلومةِ المقهورةِ. ولا شكَّ بِتَقصيرِها وإِسرافِها في حقِّ نفسِها. فإنَّ المكرَ بها لا يضُرُّها؛ إذا صَبَرَت واتَّقَت، قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَال * فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ

ذُو انْتِقَام﴾. وقال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُواْ لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط﴾.

فاسمَع أيُّها المظلومُ كلامَ ربِّكَ في حقِّ الظالمِ المجرمِ حتى يَطمئِنَّ قلبُكَ:

أولاً: ملائكةُ العذابِ في انتِظارِهِ عند غَمَراتِ الموتِ:

إنَّ ملائكةَ العذابِ في انتظارِ من ظَلَمَكَ، ومن قَهَرَكَ، ومن سَفَكَ لكَ دَماً، ومن هَتَكَ لكَ عِرضاً، أو سَلَبَ لكَ مالاً، أو روَّعَكَ، أو أخافَكَ، أو هَضَمَ حقَّكَ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الموْتِ وَالملائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُون﴾.

أي لو أبصَرتَ أيُّها العبدُ المظلومُ الظالمَ وهوَ في سَكَراتِ الموتِ وغَمَراتِهِ وكُرُباتِهِ وشَدائِدِهِ وآلامِهِ، لَرَأَيتَ أمراً عَجَباً فظيعاً، حيثُ بَسَطَت ملائكةُ العذابِ أيدِيَها إليهِ لِقبضِ رُوحِهِ بالضَّربِ ومُنتهى الشِّدَّةِ والعُنفِ، كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الملائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُم﴾. فعذابُهُ يبدَأُ عندَ سَكَراتِ الموتِ، واسمع ما يقولُ اللهُ تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّ الَّذِينَ كَفَرُوا الملائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيق﴾.

فهلِ اطمأنَّ قلبُكَ يا أيُّها العبدُ المظلومُ بوَعيدِ اللهِ تعالى لمن ظَلَمَكَ، حيثُ لم تجِد ناصراً عليه إلا اللهَ تعالى؟

ثانياً: يتمنَّى الفِداءَ من العذابِ بكلِّ شيءٍ:

ظالمِكَ سوفَ يتمنَّى يومَ القيامةِ الفِداءَ من العذابِ بكلِّ شيءٍ، قال تعالى:

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ المجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيه * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْويه * وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيه *كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾.

سوفَ تُبصِرُ يا أيُّها العبدُ المظلومُ هذا العبدَ المجرِمَ، سافكَ الدِّماءِ، قاتلَ الأبرياءِ، هاتكَ الأعراضِ، آكلَ الأموالِ، مُروِّعَ الناسِ، وهوَ يتمنَّى أن يفدِيَ نفسَهُ من عذابِ اللهِ يومَ القيامةِ بأعزِّ الناسِ عليهِ، وأكرمِهم لَديهِ، من أولادِهِ وزوجتِهِ، وإخوتِهِ وأخَواتِهِ، وعشيرَتِهِ وقبيلَتِهِ التي ينتمي إليها، بل يتمنَّى هذا المجرمُ لو افتدى نفسَهُ بمن في الأرضِ جميعاً، ولكن لن يُقبَلَ منه شيءٌ، كما لن يُقبَلَ منه المالُ، قال تعالى: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِين﴾.

فهلِ اطمأنَّ قلبُكَ يا أيُّها العبدُ المظلومُ بوَعيدِ اللهِ تعالى لهذا العبدِ المجرمِ الذي قَتَلَ وسَلَبَ وهَدَّمَ ورَوَّعَ؟

ثالثاً: سوفَ يُؤخذُ بناصِيَتِهِ وقَدَمَيهِ، ويُصفَّدُ معَ أقرانِهِ:

يا أيُّها العبدُ المظلومُ المقهورُ سوفَ ترى ظالمِكَ في أرضِ المحشرِ، كيف يُؤخذُ بناصِيَتِهِ وقَدَمَيهِ، وكيفَ يُصَفَّدُ مع أقرانِهِ، قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ المجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَام﴾. وقال تعالى: ﴿وَتَرَى المجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَاد * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّار * لِيَجْزِي اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَاب * هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَاب﴾.

سوفَ ترى يا أيُّها العبدُ المظلومُ هذا العبدَ الظالمَ المجرمَ وهوَ مَشدودٌ مع المجرمينَ أمثالِهِ ومع شَيَاطينِهِم، وكلُّ واحدٍ منهم مَأخوذٌ بناصِيَتِهِ وقَدَمَيهِ، وكلُّ واحدٍ مُصفَّدٌ بالقُيودِ والأغلالِ، تُطلى جُلودُهُم بالقَطِرانِ الأسودِ المنتِنِ حتى يُصبحَ كالقميصِ له، لِيزدادَ اشتِعالاً في نارِ جهنَّمَ.

فهلِ اطمأنَّ قلبُكَ يا أيُّها العبدُ المظلومُ؟ فَمَصيرُ العبدِ الظالمِ المجرمِ، سفَّاكِ الدِّماءِ، مُذبِّحِ الأطفالِ، إلى هذا المشهدِ الذي ذَكَرَهُ ربُّنا عزَّ وجلَّ في كتابِهِ العظيمِ.

رابعاً: سوفَ تأكلُ الحسرةُ قلبَهُ وفُؤادَهُ عندما يذوقُ العذابَ بِسَبَبِ إجرامِهِ:

وحتَّى يطمئِنَّ قلبُكَ أكثرَ في حقِّ من ظَلَمَكَ، فإنَّ الحسرةَ والنَّدامةَ . وربِّ الكعبةِ . سوفَ تأكلُ قلبَهُ وفُؤادَهُ عندما يرى العذابَ الأليمَ يومَ القيامةِ.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُور * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾. تَصوَّروا هؤلاءِ المجرمينَ، هؤلاءِ الذين عَذَّبوا عبادَ اللهِ بغيرِ حقٍّ في الحياةِ الدُّنيا، كيفَ يَصطَرِخُونَ ويَتوسَّلونَ، ولكن لا مُجيبَ لهم، وأنا أرجوهم أن لا يُغَيِّبوا عن أسماعِهِم صُراخَ المعذَّبينَ، صُراخَ الأطفالِ والنِّساءِ، عندما كانوا يُعذِّبونَهُم في الحياةِ الدُّنيا.

يا عباد اللهِ، لِيعلمْ هؤلاءِ بأنَّ الجزاءَ من جِنسِ العملِ، كم عذَّبَ هؤلاءِ الأشقياءُ المجرمونَ عبادَ اللهِ ظُلماً وعُدواناً؟ وكم تَوسَّلوا إليهم؟ وكم استغاثوا؟ ولكن ما زادوهم إلا عذاباً فوقَ العذابِ كُلَّما تَوسَّلوا واستغاثوا، أقولُ لهؤلاءِ ما قالَ السَّحَرَةُ لِفرعونَ: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾. عَذِّب بما شِئتَ

وكيفَ شِئتَ، ولكن وَطِّن نفسَكَ للجزاءِ، لا من قِبَلِ المعذَّبينَ، بل من قِبَلِ ربِّ العبادِ القائلِ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَد * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَد﴾.

سوفَ تصرُخُ أيُّها القاتلُ المجرمُ الظالمُ ولا مُزيلَ لِصُراخِكَ، وسوفَ تَتوسَّلُ وتستغيثُ ولكن لا مُجيبَ لك، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُون﴾. فَعذابُهُ له بدايةٌ وليسَ له نهايةٌ، قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّين * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُون * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُون﴾.

فهلِ اطمأنَّ قلبُكَ يا أيُّها العبدُ المظلومُ؟ وأنا أتوسَّلُ إليكَ، وأسألُكَ باللهِ أن تصبرَ وتَتَّقِيَ اللهَ، فإنَّ وعيدَ اللهِ تَباركَ وتعالى مُحقَّقٌ في حقِّ من أجرمَ في حقِّكَ، فَمَصيرُ العبدِ الظالمِ المجرمِ نارُ جهنَّمَ، حيثُ يصرَخُ ويَتوسَّلُ ويستغيثُ، ولكن لا مُجيبٌ.

خامساً: سوفَ يلعنُ الظالمونَ بعضُهُم بعضاً:

وحتَّى تطمئِنَّ أكثرَ وأكثرَ، اِعلم بأنَّ الظالمينَ يلعنُ بعضُهُم بعضاً، أُمراءُ ومأمورونَ، هناكَ آمرٌ وهناكَ مأمورٌ، سوفَ يلعنُ بعضُهُم بعضاً، اِسمع حتَّى تطمَئِنَّ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾. أما رأيتَ أيُّها المظلومُ الدَّجاجَ كيفَ يُشوى على سيخٍ من النارِ، وهوَ ميتٌ؟ اِعلم بأنَّ ظالمِكَ سوفَ يُشوى وجهُهُ في نارِ جهنَّمَ، وهوَ حيٌّ ولن يموتَ، قال تعالى: ﴿لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيى﴾. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾.

يا إخوتي أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى: أَطيعوا اللهَ وأَطيعوا الرَّسولَ، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾. أمَّا من عصى اللهَ تعالى وعصى رسولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فسوفَ يندمُ ويتمنَّى لو تُسوَّى به الأرضُ، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَو تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً﴾.

نعم، سوفَ يلعنُ الظالمونَ بعضُهُم بعضاً، وسوفَ يطلبُ التَّابعونَ من ربِّهِم عزَّ وجلَّ أن يجعلوا المتبوعينَ تحتَ أقدامِهِم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾.

تَصَوَّر يا أيُّها العبدُ المظلومُ ظالِمَكَ قاتلَ الأبرياءِ، سافكَ الدِّماءِ، مُذبِّحَ الأطفالِ والنِّساءِ، مُهدِّمَ البُيوتِ، المفرِّقَ بينَ الوالدِ وَوَلَدِهِ، وبينَ الزَّوجِ وزوجتِهِ، وبينَ الأحبَّةِ، تَصوَّرهُ وهوَ يُقلَّبُ وجهُهُ في نارِ جهنَّمَ التي وَقودُها الناسُ والحجارةُ.

تَصوَّر يا أيُّها العبدُ المظلومُ هذا العبدَ المأمورَ من قِبَلِ سادَتِهِ وكُبَرائِهِ بقتلِ الأبرياءِ، تَصوَّرهُ وهوَ في نارِ جهنَّمَ كيفَ يلعنُ سادَتَهُ وكُبَراءَهُ، ويطلبُ من ربِّهِ لهم ضِعفَينِ من العذابِ، معَ أنَّ أَخفَّ الناسِ عذاباً يومَ القيامةِ ما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ وَالقُمْقُمُ». تَصوَّرهُ وهوَ يبحثُ عن سيِّدِهِ لِيَجعلهُ تحتَ قَدَمِيهِ.

فهلِ اطمأنَّ قلبُكَ يا أيُّها العبدُ المظلومُ؟

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَهَا:

يا عباد الله، أَتَوَجَّهُ إلى كلِّ عبدٍ مظلومٍ، وإلى كلِّ أسرةٍ منكوبةٍ، وإلى الشَّعبِ المظلومِ، وأقولُ لهم: أكثِروا من الدُّعاءِ، فإنَّ دُعاءَكُم وخاصَّةً في السَّحَرِ يصعدُ إلى السَّماءِ مثلَ الشَّرَرِ، وتَذَكَّروا حديثَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الحاكم عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «اِتَّقوا دَعَواتِ المظلومِ، فَإِنَّها تَصعَدُ إلى السَّماءِ كَأَنَّها شَرارٌ».

أكثِروا من الدُّعاءِ، وخاصَّةً في السَّحَرِ، واجعلوا من دُعائِكُم على هؤلاءِ الظالمينَ قَتَلَةِ الأبرياءِ، ومُروِّعي الناسِ، وسارقِي الأموالِ، ومُهدِّمي البُيوتِ: يا وَدُودُ، يا ذا العرشِ المجيدِ، يا فعَّالُ لِما يريدُ، نسأَلُكَ بِعِزِّكَ الذي لا يُرامُ، ومُلكِكَ الذي لا يُضامُ، وبِنُورِكَ الذي مَلأَ أركانَ عَرشِكَ، أن تُرِيَنا عجائبَ قُدرَتِكَ في القَتَلَةِ الظالمين، يا مُغيثُ أَغِثنا. كَرِّرُوها ثلاثَ مرَّاتٍ.

اِحفظوا هذا الدُّعاءَ وعلِّموهُ لنسائكُم وأبنائكُم، ولإخوتِكُم وأخواتِكُم، واجعلوهُ وِرداً لكم.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

278ـ خطبة الجمعة: جزاء قاتل الأبرياء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

أبدأُ خُطبَتِي هذهِ بما خَتمتُ به سابِقَتَها، فأقولُ: أَكثِروا من الدُّعاءِ على القَتَلَةِ المجرمينَ قَتَلَةِ الأبرياءِ، أَكثِروا من الدُّعاءِ على المجرمينَ، وقولوا من جُملةِ دُعائكُم: يا وَدُودُ، يا ذا العرشِ المجيدِ، يا فعَّالُ لِما يريدُ، نسأَلُكَ بِعِزِّكَ الذي لا يُرامُ، ومُلكِكَ الذي لا يُضامُ، وبِنُورِكَ الذي مَلأَ أركانَ عَرشِكَ، أن تَقتُلَ قَتَلَةَ الأبرياءِ، وأن تَنتَقِمَ من المجرمينَ عاجلاً غيرَ آجلٍ، وأن تُرِيَنا فيهم عجائبَ قُدرَتِكَ، وأن تَحفَظَنا والمسلمينَ، وهذا البلدَ وسائرَ بلادِ المسلمينَ من شرِّ الأشرارِ وكيدِ الفُجَّارِ، يا مُغيثُ أَغِثنا، يا مُغيثُ أَغِثنا، يا مُغيثُ أَغِثنا، آمين.

يا عباد اللهِ، أخرجَ النسائي والطبراني ـ واللَّفظُ له ـ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أنَّ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قالَ: «يجيءُ المقتولُ آخذاً قاتِلَهُ، وَأوداجُهُ تَشخُبُ دماً عندَ ذي العِزَّةِ، فيقولُ: يا رَبِّ سَل هذا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فيقولُ: فِيمَ قَتَلتَهُ؟ قالَ: قَتَلتُهُ لِتَكونَ العِزَّةُ لِفُلانٍ، قيلَ: هيَ للهِ».

يا عباد الله، العِزَّةُ للهِ، فهوَ العزيزُ الذي يُعزُّ من يشاءُ، ويُذِلُّ من يشاءُ، كما أنَّهُ المالكُ الملكُ الذي يُؤتِي الملكَ من يشاءُ، وينزِعُ الملكَ ممَّن يشاءُ، وصدق ربُّنا القائلُ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

يا عباد الله، لماذا هذا القتلُ؟ ولماذا سفكُ الدِّماءِ؟ هل مِنَ المعقولِ من إنسان عندهُ ذرَّةُ إيمانٍ أن يَبيعَ دِينَهُ بِعَرَضٍ من الدُّنيا قليلٍ؟ بل هل مِنَ المعقولِ من إنسان عندهُ ذرَّةُ عقلٍ أن يَبيعَ دِينَهُ بدُنيا غيرِهِ؟ لا أبداً.

القتلُ جريمةُ الجرائمِ:

يا عباد الله، جريمةُ القتلُ جريمةُ الجرائمِ، وهيَ من أكبرِ الكبائرِ، وأعظمِ الذُّنوبِ، وأشدِّ الآثامِ، بل هيَ أغلظُها بعد الإشراكِ باللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالحَقِّ﴾. وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. واللهِ قاتلُ الأبرياءِ بغيرِ حقٍّ لا عَقلَ عندَهُ، واللهِ مُستَحِلُّ قتلِ الأبرياءِ لا عَقلَ عندَهُ، يقولُ اللهُ تعالى مُخبِراً عن أهلِ النارِ: ﴿وَقَالُوا لَو كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾. ومن أسبابِ دُخولِ نارِ جهنَّمَ قتلُ الأبرياءِ بغيرِ حقٍّ، ومن أسبابِ الخُلودِ فيها استِحلالُ قتلِ الأبرياءِ.

اِقرؤوا قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِّي القَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾. نعم أيُّها الإخوة،

المقتولُ بغيرِ حقٍّ منصورٌ وربِّ الكعبةِ عاجلاً أم آجلاً.

وأعظمُ من ذلك كلِّهِ وعيداً، قولُهُ تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾. ويقولُ سيِّدُنا سَعيدُ بنُ جُبيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: (مَن استَحَلَّ دَمَ مُسْلِمٍ فَكَأَنَّمَا استَحَلَّ دِماءَ النَّاسِ جَميعاً، وَمَن حَرَّمَ دَمَ مُسلِمٍ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ دِماءَ النَّاسِ جَميعاً).

جزاءُ قاتلِ الأبرياءِ:

يا عباد الله، بِئسَمَا حَصَّلَ العبدُ المستَحِلُّ قتلَ الأبرياءِ لِنفسِهِ، واللهِ لو تَدَبَّرُ مُستَحِلُّ قتلِ الأبرياءِ قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُل مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾. وكانت عندَهُ ذرَّةُ إيمانٍ لَما اجتَرَأَ على القتلِ، بل لَما اجتَرَأَ على إشهارِ السِّلاحِ في وجهِ مؤمنٍ لِيُرَوِّعَهُ فيه، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

لقد رَتَّبَ اللهُ تعالى لِمُستحلِّ قتلِ الأبرياءِ أموراً خمسةً:

١. جزاؤُهُ جهنَّمُ، وما أدراكَ ما جهنَّمُ، جهنَّمُ التي قالَ عنها سيِّدُنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، كما جاء في صحيح الإمام مسلم: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ».

لو جُمِعَ كلُّ ما في الوُجودِ من النَّارِ التي يُوقِدُها بنو آدم، لكانت جُزءاً واحداً من

أجزاءِ جهنَّمَ المذكورةِ في الحديثِ . أجارنا اللهُ تعالى وإيَّاكم منها ..

قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا».

فنارُ جهنَّمَ فُضِّلَت على نارِ الدُّنيا بِنِسبةِ تِسعةٍ وسِتِّينَ جُزءاً، كلُّ جُزءٍ من هذهِ الأجزاءِ التِّسعةِ والسِّتينَ حرارَتُها مثلُ حرارةِ نارِ الدُّنيا . أعاذنا اللهُ تعالى وإيَّاكم منها ..

وطِّن نفسَكَ يا قاتلَ الأبرياءِ، يا من استَحَلَّ قتلَ الأبرياءِ، هَيِّئ نفسَكَ لهذا المصيرِ إذا لم تَتُب إلى اللهِ تعالى، لقد هانَ على النُّفوسِ قتلُ الأبرياءِ بغيرِ حقٍّ، حتى صارَ قتلُ الإنسانِ كقتلِ عُصفورٍ لا قِيمةَ لهُ.

سوفَ يرى قاتلُ الأبرياءِ بِنَاظِرَيهِ عندما يُؤتى بها إلى أرضِ المحشرِ، كما روى الإمام مسلم عَن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا». اِحفظ هذا يا قاتلَ الأبرياءِ بغيرِ حقٍّ، واعمل ما شِئتَ بعدَ ذلكَ فإنَّكَ مجزيٌّ به.

٢. وليسَ جزاءً مُؤقَّتاً بل هوَ خُلودٌ فيها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُون * لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُون * وَمَا ظَلَمْنَاهُم وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِين * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُون﴾. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا

عَذَابَ الحَرِيقِ﴾. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُون﴾.

٣. معَ جزاءِ جهنَّمَ والخُلودِ فيها غَضَبٌ من اللهِ تعالى الجبَّارِ المنتقمِ، ومن غَضِبَ اللهُ تعالى عليه فلا تنفَعُهُ طاعةٌ ولا قُربةٌ، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾. ومن استَحَلَّ قتلَ الأبرياءِ فقد اندَرَجَ تحتَ هذهِ الآيةِ الكريمةِ. والعياذُ باللهِ تعالى . .

٤. وإضافةً إلى ذلك تُصبُّ عليه اللَّعنةُ من اللهِ تعالى، واللَّعنُ يعني الطَّردَ من رحمةِ اللهِ تعالى، ومن طُرِدَ من رحمةِ اللهِ تعالى فما تنفَعُهُ شفاعةُ الشَّافعينَ، بل لا تنفَعُهُ شفاعةُ سيِّدِ المرسلينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، كما جاء في الحديثِ الشريفِ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ سهلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَيَقُولُ: إِنَّهُم مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي».

ومن استَحَلَّ قتلَ الأبرياءِ بغيرِ حقٍّ فقد بدَّلَ وغيَّرَ وابتَدَعَ في دِينِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وكيفَ يجتَرِئُ على استِحلالِ قتلِ الأبرياءِ، وسيِّدُنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»؟ رواه الإمام البخاري عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

٥. وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ مَن غَضِبَ اللهُ عليه ولَعَنَهُ، فإنَّهُ سَيُعِدُّ له عذاباً عظيماً مُضاعفاً، قال تعالى: ﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن

يَفْعَل ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾.

روى البزار عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَرَجُلٌ لَهُ دَارٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ، مِنْهَا غُرَفُهَا وَأَبْوَابُهَا، وَإِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ لَرَجُلٌ عَلَيْهِ نَعْلانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ، مَسَامِعُهُ جَمْرٌ، وَأَضْرَاسُهُ جَمْرٌ، وَأَشْفَارُهُ لَهَبُ النَّارِ، وَتَخْرُجُ أَحْشَاؤُهُ مِنْ جَنْبَيْهِ وَقَدَمَيْهِ، قَالَ: وَسَائِرُهُمْ كَالحَبِّ القَلِيلِ فِي المَاءِ الكَثِيرِ يَفُورُ».

هنيئاً لك يا مُستحِلَّ قتلِ الأبرياءِ بغيرِ حقٍّ، والموعدُ بيننا وبينَكَ يومَ القيامةِ.

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَهَا:

يا عباد الله، السَّعيدُ من كانَ سَبباً في حقنِ الدِّماءِ البريئةِ، السَّعيدُ من كانَ مِفتاحاً لِلخيرِ مِغلاقاً لِلشَّرِّ، السَّعيدُ من حَكَّمَ أقوالَهُ وأفعالَهُ لِشرعِ اللهِ تعالى، والشَّقيُّ من كانَ عكسَ ذلكَ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيد * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيق * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إلا مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيد * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إلا مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذ﴾. اللَّهُمَّ اجعلنا من السُّعداءِ ولا تجعلنا من الأشقياءِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

279ـ خطبة الجمعة: من صور حماية المسلم في شرعنا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ لِلمسلمِ عندَ اللهِ حُرمةً وقَدْراً، واحتراماً وخَطَراً، وهوَ أعظمُ المخلوقاتِ عندَ اللهِ تعالى قَدْراً، وقد قال النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وسَلَّمَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» رواه الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنهُما.

وروى البيهقي عن أبي حازم رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: لما نَظَرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وسَلَّمَ إلى الكعبةِ، قال :«مَرحَباً بِكَ من بَيتٍ، ما أَعظَمَكِ وأَعظَمَ حُرمَتَكِ، ولَلمُؤمِنُ أعظَمُ حُرمةً عندَ اللهِ مِنكِ».

وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَوْمًا إِلَى البَيْتِ، أَوْإِلَى الكَعْبَةِ فَقَالَ: (مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالمؤمِنُأَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ) رواه الترمذي.

من صُوَرِ حِمايَةِ المُسلمِ في شَرعِنا:

يا عباد الله، لقد جاءت شريعتُنا الغرَّاءُ بالآدابِ والتَّوجيهاتِ والحُدودِ التي تُعظِّمُ الحُرُماتِ، وتَحمي المسلمَ من أن يُمَسَّ بِأَدنى أذىً، ولو كان في مشاعرِهِ وأحاسيسِهِ؛ من جُملةِ هذا:

أولاً :إيذاءُ المؤمن من أعظمِ الآثامِ

قال اللهُ تعالى :﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المؤْمِنِينَ وَالمؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ .فإيذاءُ المؤمنِ والمؤمنةِ بغيرِ حقٍّ لَمِن أعظمِ الآثامِ والذُّنوبِ، وتزدادُ الجريمةُ إثماً إذا كانت الأذِيَّةُ للصَّالحينَ والأخيارِ من المؤمنينَ، قال تعالى في الحديث القدسي الصحيح : (مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ) رواه الإمام البخاري.

يا عباد الله، ربُّنا عزَّ وجلَّ ما أعلنَ حربَهُ إلا على فِئَتَينِ من الناسِ:

الفِئَةُ الأولى: المرابونَ، الذينَ قال اللهُ تعالى فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾.

الفِئَةُ الثانيةُ: المؤذونَ للأولياءِ والصَّالحينَ.

فمَن هذا المخذولُ الأحمقُ الذي يُعرِّضُ نفسَهُ لِحَربِ اللهِ تعالى، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؟ وعلى قَدْرِ إيمانِ العبدِ يكونُ دِفاعُ اللهِ تعالى عنهُ، فكُلَّما عَظُمَ إيمانُهُ كُلَّما عَظُمَ دِفاعُ اللهِ تعالى عنهُ.

ثانياً: يحرمُ إيذاءُ المؤمنِ في مشاعرِهِ

يقول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وسَلَّمَ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فَلا يَتَنَاجَى اثْنَانِ

دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ» رواه الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

وفي رواية الترمذي يقولُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وسَلَّم: «لا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ أَذَى الْمُؤْمِنِ» فإذا كانت الشَّريعةُ تُحَرِّمُ إيذاءَ المسلمِ في مشاعرِهِ، فكيفَ إذاكانَ الإيذاءُ في إراقةِ دَمِهِ، وترميلِ زوجَتِهِ، وتيتيمِ أطفالِهِ؟

ثالثاً: كفُّ الأذى عن المؤمنين صدقةٌ:

يا عباد الله، شرعُنا الشَّريفُ الحنيفُ جَعَلَ الجزاءَ الجنَّةِ لِمَن أزالَ شَوكةً عن طريقِ المسلمين، قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وسَلَّمَ: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنْ الْمُسْلِمِينَ لا يُؤْذِيهِمْ، فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

فَكَفُّ الأذى عن المسلمينَ معروفٌ وصَدَقةٌ وإحسانٌ يُثابُ عليه المسلمُ، يقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وسَلَّمَ: «تَكُفُّ شَرَّكَ عَنْ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

رابعاً :المسلمُ الكاملُ من سَلِمَ المسلمونَ منهُ

يا عباد الله، سُئِلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِوَصَحبِهِ وسَلَّمَ:« أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي الْخَيْرِ رَضِيَ اللهُ عنهُ. وفي رواية البخاري يقول صَلَّى اللهُعَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وسَلَّمَ:« أَيُّ الإِسْلامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

وفي رواية ثالثة يقول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وسَلَّمَ: «المسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» متفقٌ عليه.

يا عباد الله، المسلمُ الحقُّ، والمسلمُ الكاملُ هوَ من سَلِمَ المسلمونَ من لِسانِهِ ويَدِهِ، بل هوَ خيرُ المسلمينَ، وأمَّا من لم يسلمِ المسلمونَ من لِسانِهِ ويَدِهِ، فقد عَرَّضَ إسلامَهُ وإيمانَهُ للضَّياعِ . والعياذُ باللهِ تعالى ..

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله! هل سَمِعَ قَتَلَةُ الأبرياءِ بغيرِ حقٍّ وأصحابُ المجازِرِ قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المؤْمِنِينَ وَالمؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾؟

هل سَمِعَ السَّفَّاحُ المجرمُ قولَ اللهِ تعالى في الحديث القدسي: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ)؟

هل سَمِعَ الذينَ يُؤذونَ المسلمينَ بِألسِنَتِهِم وأيدِيهِم قولَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وسَلَّمَ: «المسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»؟

أمَا بَقِيَ عندَ هؤلاءِ المجرمينَ ذرَّةُ إيمانٍ تردَعُهُم عن إجرامِهِم؟ فإذا لم يبقَ عندَهم ذرَّةُ إيمانٍ تردَعُهُم عن إجرامِهِم، وسفكِهِم للدِّماءِ البريئةِ، فأسألُ اللهَ تعالى باسمِهِ الأعظمِ الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، أن ينتَقِمَ منهم عاجلاً غيرَ آجلٍ، وأن يُرِيَنا فيهم عجائبَ قُدرتِهِ، إنَّهُ على ما يشاءُ قديرٌ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

280ـ خطبة الجمعة: والعاقبة للمتقين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ ما يُعانيهِ المسلمونَ في هذهِ الأيَّامِ من قتلٍ، وسلبٍ، وتعذيبٍ، وتهجيرٍ، وسفكٍ للدِّماءِ البريئةِ، واستباحةٍ للأعراضِ، وتَعَدٍّ على المقدَّساتِ والحُرُماتِ، الشيءُ الكثيرُ الذي لا يعلمُهُ إلا اللهُ تعالى.

لذلكَ المسلمونَ اليومَ بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى خُلُقِ الصَّبرِ والمصابرَةِ في هذهِ الأيَّامِ، ويجبُ عليهم أن يقتَبِسُوا هذا الخُلُقَ من سِيرةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ومن سِيرةِ أصحابِهِ الكرامِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم.

ولكِنَّكُم تَستَعجِلُونَ:

يا عباد الله، لِنَسمع حديثَ سيِّدِنا خبَّابِ بنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وهوَ يتحدَّثُ عن خُلُقِ الصَّبرِ والمصابَرَةِ، قَالَ: (شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ

وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ») رواه البخاري.

يا عباد الله، لا يَضيقُ صدركُم، فإنَّ الفَرَجَ آتٍ إن شاء اللهُ تعالى . وربِّ الكعبةِ .، لأنَّهُ من المحالِ دوامُ الحالِ، ولن تدومَ هذهِ الشِّدَّةُ، ولكنَّ الإنسانَ عجولٌ، وصدَقَ الله القائل: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولا﴾. وصدقَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القائلُ: «وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

الغَلَبَةُ للحقِّ:

يا عباد الله، كُونوا على يقينٍ بأنَّ الصِّراعَ بينَ الحقِّ والباطِلِ،وبينَ المتَّقينَ والفُجَّارِ، مهما امتدَّ أجلُهُ، والفتنَةُ مهما استحكَمَت حَلَقاتُها، فإنَّ العاقِبَةَ والغَلَبَةَ للحقِّ وللمتَّقينَ،قال تعالى: ﴿قُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾. وقال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الوُقوف مع السُّننِ الرَّبَّانيَّةِ:

يا عباد الله، يجبُ علينا أن نَقِفَ مع السُّنَنِ الرَّبَّانيَّةِ المستَوحَاةِ من دَعوةِ الرُّسُلِ لأقوامِهِم، ويجبُ علينا أن نُلِمَّ بها، ونَتَعَرَّفَ عليها، لنستفيدَ منها في تفسيرِ الأحداثِ والمواقِفِ والنَّوازِلِ، ويجبُ علينا أن ندرُسَهَا دِراسةً مُستَفيضةً حتى لا

نستغربَ هذهِ السُّنَنَ، ولا نُفاجَأ بها، لأنَّها تَحدُثُ بأمرِ اللهِ تعالى وحِكمَتِهِ التي جَعَلَت للأحداثِ والمتغيِّراتِ سُنناً لا تَتَبَدَّلُ ولا تَتَحَوَّلُ.

يا عباد الله، إنَّ معرفةَ السُّنَنِ الرَّبَّانيَّةِ تعني معرفةَ أسبابِ النَّصرِ والتَّمكينِ، كما تعني معرفةَ أسبابِ الهزيمةِ والخُسرانِ، وفي غفلةِ الأمَّةِ عن معرفةِ هذِهِ السُّنَنِ تفريطٌ في الأخذِ بأسبابِ النَّجاةِ وإعراضٌ عن هَديِ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ الذين ساروا في ضَوءِ السُّنَنِ الرَّبَّانيَّةِ.

الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين:

يا عباد الله: من هذهِ السُّنَنِ الرَّبَّانيَّةِ التي لا تَتَبَدَّلُ ولا تَتَحَوَّلُ. الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين﴾.

وحتى تكونَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ لا بُدَّ من تحقيقِ بعضِ الأمورِ، منها:

أولاً: يجبُ على أهلِ التَّقوى حتى تكونَ العاقبةُ لهم، أن يستعينوا باللهِ والصَّبرِ والصلاةِ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُون﴾. وقال تعالى مُخبراً عن قولِ سيِّدِنا موسى عليه السلامُ لقومِهِ: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا باللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِين﴾.

ثانياً: يجبُ على أهلِ التَّقوى حتى تكونَ العاقبةُ لهم، أن يتوكَّلُوا على اللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. وقال تعالى مُخبراً عن قولِ سيِّدِنا موسى عليه السلامُ لقومِهِ: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم باللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا

إِن كُنتُم مُّسْلِمِين * فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِين﴾.

ثالثاً: يجبُ على أهلِ التَّقوى حتى تكونَ العاقبةُ لهم، أن يُلِحُّوا على اللهِ تعالى بالدُّعاءِ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون﴾. وقال تعالى مُخبراً عن دُعاءِ سيِّدِنا موسى وهارونَ عليهما السلامُ عن دُعائِهِما على فرعونَ: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيم * قالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُون﴾.

أبشروا كلَّما ضاقت:

يا عباد الله، أهلُ التَّقوى لا تضيقُ صُدُورُهم من الأحداثِ مهما اشتدَّت وضاقَت، لأنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾. ولأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ» رواه الإمام الحاكم عن الحسنِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

نعم، لقد عاشَ المسلمونَ في أيَّامِ فرعونَ ظُروفاً صعبةً وعصِيَّةً، مِلؤُها الخوفُ والأذى، وَوَصَلَ بهمُ الأمرُ أن يُسِرُّوا بصلاتِهِم ويتَّخذوا بُيوتَهُم مساجدَ، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ المؤْمِنِين﴾.

يا سبحانَ الله! رَغمَ الشِّدَّةِ والظُّروفِ الصَّعبَةِ التي مَرَّت عليهم، جاءَ الأمرُ من اللهِ تعالى بقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِين﴾. فَأَبشرُوا يا عبادَ اللهِ بعدَ إقامتكم للصلاةِ التي

تنهى عن الفحشاءِ والمنكرِ، بالفَرَجِ العَاجَلِ لهذِهِ الأمَّةِ المظلومَةِ المقهُورَةِ، وأبشروا كلَّما ضاقت.

يا عبادَ الله، العاقبةُ للمتَّقينَ مهما طَغَى الطَّاغُونَ، وأَجرمَ المجرمونَ، وقَتَلَ القَاتِلونَ، وسَفَكَ الدِّماءَ البريئةَ السَّافِكونَ، ورَوَّعَ الناسَ المروِّعونَ، لأنَّ اللهَ تعالى قالَ عَقِبَ قِصَّةِ سيِّدِنا نوحٍ عليه السلامُ الذي لَبِثَ في قومِهِ ألفَ سنةٍ إلَّا خمسينَ عاماً، ودعاهُم إلى اللهِ تعالى ليلاً ونهاراً: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾. ولأنَّ الله تبارك وتعالى قالَ بعدَ هلاكِ الطَّاغيةِ قارونَ الذي خَرَجَ على قومِهِ في زينَتِهِ وهو ناسٍ مولاهُ الذي خَلَقَهُ من ضعفٍ وجَعَلَ نهايَتَهُ إلى ضَعفٍ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عبادَ الله، ما جرَى في الماضي من تَحقِيقِ السُّنَّةِ الرَّبَّانيَّةِ . وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين . فإنَّهُ سيجري مثلُهُ إن شاءَ اللهُ تعالى في الحاضَرِ والمستقبلِ إذا تَحقَّقَ الناسُ بالتَّقوى، فإذا وُجِدَ المتَّقونَ وُجِدتِ العاقِبَةُ لهم، وإلا فلا.

فإذا كنا نبحثُ عن الفَرَجِ والمخرَجِ من هذا الضِّيقِ فلنكُن من المتَّقينَ، وإذا كنا نبحثُ عن عاقبةٍ فالِحَةٍ فلنكُن من المتَّقينَ، وإذا كنا نريدُ نصراً وتمكيناً في الأرضِ فلنكُن من المتَّقينَ.

اللَّهُمَّ اجعلنا من المتَّقينَ، واجعلِ العاقبةَ لنا لا علينا عاجلاً غير آجل يا أرحم الراحمين. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

281ـ خطبة الجمعة: المحنة فيها خير عظيم لأهل التقوى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

في زَمَنٍ ادلهمَّت فيه الخُطوبُ، واحتَدَمَتِ المِحَنُ، وتوالت على قُلوبِ المسلمينَ الشَّواغلُ والفِتَنُ، وتداعى الأعداءُ عليهم تداعيَ الأَكَلَةِ على قَصعَتِها.

في زَمَنٍ قَلَّ فيه النَّاصرُ، وضَعُفَ فيه المعِينُ، وَوَهَنَتِ الأسبابُ الأرضِيَّةُ، فإنَّهُ لا يليقُ بالمسلمينَ أن يجمعوا إلى ذلكَ ضَعفاً في علاقتِهِم مع ربِّهِم، ولا يليقُ بالأمَّةِ وهيَ تشكو أمرَها إلى اللهِ تعالى، ولا تَجِدُ ناصراً ولا مُعيناً من العبادِ، أن تكونَ صِلَتُها مع اللهِ تعالى ضعيفةً، فاللهُ تعالى بِيَدِهِ الأمرُ والخلقُ.

آيةٌ قُرآنيَّةٌ سُنَّةٌ كونيَّةٌ:

يا عباد الله، ربُّنا عزَّ وجلَّ الذي بِيَدِهِ ملكوتُ السَّماواتِ والأرضِ، والذي لا

يُعجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ، والذي يقولُ للشَّيءِ كُن فيكونُ، جَعَلَ سُنَناً كونيَّةً قَرَأناها آياتٍ قُرآنيَّةً في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، هذهِ السُّنَنُ لا تَتَبَدَّلُ ولا تَتَحَوَّلُ، من هذهِ السُّنَنِ الكونيَّةِ ـ والعاقبةُ للمتَّقين ـ التي قَرَأناها في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، قولُهُ تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

لِيَسمع من أرادَ العُلُوَّ في الأرضِ وأرادَ الفسادَ من خلالِ النِّعَمِ التي أسبَغَهَا اللهُ تعالى عليهِ، بأنَّ العاقبةَ لن تكونَ لهُ، لا في الدُّنيا ولا في الآخرةِ، العاقبةُ للمتَّقينَ وللتَّقوى، كما أخبرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ عن ذلكَ بقولِهِ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.

ثِقُوا بِوَعدِ اللهِ تعالى يا أهلَ التَّقوى:

يا عباد الله، لِيَسمع كلُّ من صَدَّقَ اللهَ تعالى في قراراتِهِ، وَصَدَّقَهُ في وَعدِهِ، بأنَّ العاقبةَ للمتَّقين: يجبُ على أهلِ التَّقوى أن يكونوا على ثِقَةٍ مِمَّا وَعَدَهُم ربُّهُم ما داموا على العهدِ سائرين، وعلى التَّقوى مُحافظين، فمهما طالَ ليلُ الانتظارِ، أو غَشِيَت ظُلمةُ الظَّالمينَ أهلَ التَّقوى، فإنَّ العاقبةَ لهم، فعليهم بالصَّبرِ والمصابرةِ.

يا عباد الله، مهما مرَّ بالأمَّةِ من ضَعفٍ وتَفرُّقٍ وتَشرذُمٍ أو تَسلُّطِ أعداءٍ، وتَفوُّقِ مُناوئينَ، فإنَّ كلَّ ذلكَ زَبَدٌ، واللهُ تعالى يقولُ: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾. ولا يجوزُ بحالٍ من الأحوالِ أن يطغى هذا الحالُ على التَّصوُّرِ الصَّحيحِ بأنَّ العاقبةَ للمتَّقين.

المِحنَةُ فيها خيرٌ عظيمٌ لأهلِ التَّقوى:

يا عباد الله، أُخاطبُ أهلَ التَّقوى، وأقولُ لهم: كونوا على يقينٍ بأنَّ في كلِّ مِحنَةٍ خيرٌ عظيمٌ لا يعلمُهُ إلا اللهُ تعالى، وأكثرُ الناسِ لا يعلمونَ، تدبَّروا يا أهلَ التَّقوى قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُون﴾.

يا أهلَ التَّقوى، أنتم لا تعلمونَ الغيبَ، فاثبتُوا على التَّقوى وأنتم مُوقنونَ بأنَّ العاقبةَ للمتَّقين.

هل تظُنُّونَ يا أهلَ التَّقوى بأنَّ الظَّلَمةَ قَتَلَةَ الأبرياءِ يُعجِزونَ اللهَ تعالى؟ معاذَ اللهِ، هل تظُنُّونَ أنَّ المروِّعينَ للآمنينَ يُعجِزونَ اللهَ الملكَ الجبَّارَ المنتقمَ؟ لا وربِّ الكعبةِ، فاللهُ لا يُعجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ.

يا أهلَ التَّقوى، ألم تقرؤوا قولَ اللهِ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَاد * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَاد * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَد * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَاد * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَاد * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاَد * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَاب * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد﴾. فربُّنا عزَّ وجلَّ بالمرصادِ لأمثالِ هؤلاءِ، فلا تظُنُّوا أنَّ اللهَ تعالى يُعجِزُهُ هؤلاءِ القَتَلَة، الذينَ رَمَّلوا النِّساءَ، ويَتَّموا الأطفالَ، وهَدَّموا البُيوتَ، وانتَهكُوا الحُرُماتِ.

يا أهلَ التَّقوى، ألم تقرؤوا قولَ اللهِ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيل * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيل * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيل * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيل * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُول﴾. نعم، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ﴾.

يا أهلَ التَّقوى، ألم تقرؤوا قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوج * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُود

* وَشَاهِدٍ وَمَشْهُود * قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُود * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُود * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالمؤْمِنِينَ شُهُود * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المؤْمِنِينَ وَالمؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيق﴾.

يا عباد الله، العاقبةُ للمتَّقين، فإذا جاءتِ الخُطوبُ والمِحَنُ وكانت قاسيةً، وانشغَلتِ القُلوبُ، وتداعتِ الأعداءُ على أهلِ التَّقوى، فاعلَمُوا بأنَّ العاقبةَ لهم، وما هذهِ المِحنُ إلا مِنَحاً في نِهايةِ المطافِ.

وأمَّا إذا جاءت هذهِ المِحنُ والشَّدائدُ والرَّزايا والابتلاءاتُ لغيرِ أهلِ التَّقوى، فهيَ نوعٌ من أنواعِ العذابِ حتى يرجِعُوا إلى اللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون﴾.

صُلحُ الحُدَيبيَةِ كانَ فتحاً مُبيناً:

يا عباد الله، إذا أردتُم أن تعرِفُوا بأنَّ المِحَنَ لأهلِ التَّقوى تحملُ في طيَّاتِها المِنَحَ والخيرَ العظيمَ لهم، فارجِعُوا إلى سِيرَةِ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وسِيرَةِ أصحابِهِ الكرامِ رَضِيَ اللهُ تعالى عنهُم، لِتَرَوا صِدقَ السُّنَّةِ الرَّبَّانيَّةِ . والعاقبةُ للمتَّقين ..

لقد كانتِ الشُّروطُ قاسيةً على المسلمينَ في صُلحُ الحُدَيبيَةِ، منها:

أولاً: أن يَرجعَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وصحبُهُ الكرامُ إلى المدينةِ، ولا يدخُلُوا مكَّةَ في هذا العامِ، ويأتونَ في العامِ القادمِ.

ثانياً: إذا جاءَ مُرتدٌّ من المدينةِ إلى مكَّةَ المكرَّمةَ فلا تُرجِعُهُ مكَّةُ للمدينةِ.

ثالثاً: إذا جاءَ مؤمنٌ من مكَّةَ إلى المدينةِ رَدَّتهُ المدينةُ إلى مكَّةَ.

شُروطٌ قاسيةٌ ضاقت لها صُدورُ الصَّحابةِ، حتى جاءَ سيِّدُنا عمرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ إلى سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فقالَ له: (يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا» قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ، قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا). رواه الإمام مسلم.

يا عبادَ اللهِ، لقد جاءت هذهِ المِحنةُ القاسيةُ على أهلِ التَّقوى، ولكنَّها حمَلَت في طيَّاتِها خيراً عظيماً، حيثُ نَزَلَت سورةُ الفتحِ، قال تعالى في أوَّلِها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً * وَينصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾. إلى آخرِ السُّورةِ.

(فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ) رواه الإمام مسلم

نَعَم، حمَلَت هذهِ المِحنَةُ خيراً عظيماً لأهلِ التَّقوى، لأنَّ الصَّحبَ الكرامَ رَضِيَ اللهُ

عنهُم ما كانوا مُرابين، وما كانوا راشين ولا مُرتشين، وما كانت نِساؤهُم سافراتٍ، وما كانوا سارقين، وما كانوا مُطفِّفينَ للكيلِ والميزانِ، وما كانوا مُنافقين، وما كانوا مُداهنين، رَضِيَ اللهُ عنهُم وأرضاهُم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، الأمَّةُ تعيشُ ظُروفاً صعبةً وقاسيةً، كَثُرَ فيها القتلُ واستَحَرَّ، وضاقتِ الصُّدورُ، فإذا لازمتِ الأمَّةُ التَّقوى فلتعلم بأنَّ هذهِ المِحنَةَ تحملُ في طَيَّاتِها خيراً كثيراً وعظيماً إن شاءَ اللهُ تعالى، وأرجو اللهَ تعالى أن يرُدَّنا إلى دِينِهِ رَدّاً جميلاً.

وأمَّا إذا جانبتِ الأمَّةُ التَّقوى فالمشكلةُ كبيرةٌ، وإنِّي أرجو اللهَ تعالى أن يرزُقَنا توبةً صادقةً نصوحاً.

يا عباد الله، كم من مُرابٍ تابَ إلى اللهِ تعالى في هذهِ الأزمةِ؟

وكم من مُرتشٍ تابَ إلى اللهِ تعالى في هذهِ الأزمةِ؟

وكم من هاضمٍ لحُقوقِ للعبادِ تابَ إلى اللهِ تعالى في هذهِ الأزمةِ؟

وكم من قاطعِ رَحِمٍ، وعاقٍّ لِوالِدَيهِ، ومُشاحنٍ تابَ إلى اللهِ تعالى في هذهِ الأزمةِ؟

يا عباد الله، المِحَنُ تحملُ في طَيَّاتِها مِنَحاً لأهلِ التَّقوى، وأرجو اللهَ تعالى أن يجعَلَنا من أهلِ التَّقوى، وأن يُفرِّجَ عن هذهِ الأمَّةِ عاجلاً غيرَ آجلٍ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

282ـ كلمة الأسبوع: أصناف المعرضين عن اللّه عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ أعظمَ سببٍ للسَّعادةِ في الدُّنيا والآخرةِ يَكمُنُ في الإقبالِ على اللهِ تعالى، والاستسلامِ لهُ، والانقيادِ لِشريعتِهِ، والقبولِ بأحكامِهِ، والإذعانِ لأوامِرِه، وإنَّ أعظمَ سببٍ للشَّقاءِ في الدُّنيا والعذابِ في الآخرةِ هوَ الإعراضُ عن اللهِ تعالى، والاستنكافُ عن عبادتِهِ، ورفضُ الخُضوعِ لِشريعتِهِ، والاعتراضُ والإعراضُ عن أحكامِهِ وأوامِرِه، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ .

لا عُذرَ للمُعرضينَ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ:

يا عباد الله، إنَّ أكثرَ المعرضينَ أعرضوا عن اللهِ تعالى بعدَ قِيامِ الحُجَّةِ عليهم، قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِين * فَقَدْ كَذَّبُواْ

بِالحَقِّ لما جَاءهُمْ﴾. لأنَّ الخَلَلَ فيهم وفي أسماعِهِم وأبصارِهِم وعُقولِهِم، حينَ لم تُبصِر أعيُنُهُم آياتِ اللهِ وسُنَنَهُ الكونيَّةَ، ولم تستمع آذانُهُم الآياتِ القرآنيَّةَ المتلوَّةَ، ولم تذعن قُلوبُهُم بالعُبوديَّةِ للهِ عزَّ وجلَّ، فهؤلاءِ المعرضونَ هم شرُّ الدَّوابِّ عندَ اللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابَّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُون * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُون﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُون﴾.

أصنافُ المعرضينَ عن اللهِ تعالى:

يا عباد الله، إنَّ المعرضينَ عن اللهِ تعالى على أصنافٍ، منهم:

أولاً: إعراضُ الجاحدين، وهمُ الذينَ أعرضوا عن اللهِ تعالى وشرعِهِ بألسِنَتِهِم وقُلوبِهِم وبكلِّ جوارِحِهِم، مع عِلمِهِم بالهُدى الذي جاءَ به النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، هؤلاءِ قال تعالى فيهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾. هؤلاءِ من أشقى خلقِ اللهِ تعالى في الدُّنيا والآخرةِ.

ثانياً إعراضُ المنافقين، وهمُ الذينَ آمنوا واستسلموا ظاهراً مع الإنكارِ في قُلوبِهِم، هؤلاءِ قال تعالى فيهم: ﴿إِذَا جَاءكَ المنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ المنَافِقِينَ لَكَاذِبُون﴾. هؤلاءِ كذلكَ من أشقى خلقِ اللهِ تعالى في الدُّنيا، وعذابُهُم في الآخرةِ أشدُّ من عذابِ الصِّنفِ الأوَّلِ، لأنَّهُم أظهروا الإسلامَ وأبطنوا الكفرَ، قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّ المنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ

الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾.

ثالثاً: إعراضُ أصحابِ الهوى، وهمُ الذينَ أعرضوا عن بعضِ الأحكامِ دونَ بعضٍ، وهؤلاءِ الذينَ قال تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾. وهم على خطرٍ عظيمٍ مُهدَّدونَ بفتنةٍ أو عذابٍ أليمٍ، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

عُقوبةُ المعرضينَ عن اللهِ تعالى:

يا عباد الله، الإعراضُ عن اللهِ تعالى وعن شريعتِهِ سببٌ لِنُزولِ العذابِ في الدُّنيا، ورفعِ العافيةِ، وإبدالِ النِّعَمِ نِقَماً بِسببِ إعراضِهِم، قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

لذلكَ أُمِرَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أن يُنذِرَ كُفَّارَ مكَّةَ بِسببِ إعراضِهِم عن اللهِ تعالى وعن دِينِهِ ما أصابَ الأممَ التي قبلَهُم من العذابِ العاجلِ، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾. وقال تعالى: ﴿فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْراً حَسَناً وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

فعُقوبةُ المعرضينَ مُحَقَّقةٌ في الدُّنيا والآخرةِ:

أمَّا العُقوبةُ في الدُّنيا:

أولاً: أعظمُ عُقوبةٍ دُنيويَّةٍ تُصيبُ أهلَ الإعراضِ عن اللهِ، أن يُطمسَ على قُلوبِهِم

فلا تعي الذِّكرَ، ولا تُبصرُ الحقَّ، ولا يسيرُ أصحابُهُم فيما ينفعُهُم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾.

فكم من صاحبِ مُنكرٍ يُجادلُ عن مُنكرِهِ بالباطلِ، ويسوغُهُ بِحُجَجٍ يعلمُ أنَّها مُتهافتةٌ كَنُمروذٍ الذي أخبرنا الله تعالى عنه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

ثانياً: من عُقوبتِهِم في الدنيا أن يُعرِضَ الله تعالى عنهم لأنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ، فيَكِلُهُم إلى أنفُسِهِمُ الأمَّارةِ بالسُّوءِ، فتُزيِّنُ لهم السُّوءَ فيظنُّوهُ حسناً وهوَ سيِّءٌ، فيزدادونَ ضلالاً وإعراضاً، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾.

وأمَّا العُقوبةُ في الآخرةِ:

وأما العقوبةُ في الآخرةِ فالانتقامُ منهم في نارِ جهنَّمَ مع الخلودِ فيها، قال تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً *

خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاء لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ حِمْلاً﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ المجْرِمِينَ مُنتَقِمُون﴾.

الحذرَ كلَّ الحذرِ من الإعراضِ عن اللهِ تعالى، أو الاعتراضِ على شيءٍ من أحكامِهِ، فإنَّ تبِعَةَ ذلكَ كبيرةٌ، قد تصلُ إلى شقاءٍ أبديٍّ في الدُّنيا والآخرةِ.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، أهلُ الإعراضِ عن اللهِ تعالى يلجؤونَ إلى اللهِ تعالى في الشَّدائدِ وينسَونَهُ في الرَّخاءِ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيض﴾.

وأشدُّ جُرماً من هؤلاءِ وأعظمُ إثماً مَّن يُعرضُ عن اللهِ في الرَّخاءِ وفي الشَّدائدِ، وحَرِيٌّ بهؤلاءِ أن ينزلَ بهمُ العذابُ كما نَزَلَ بِمَن كانَ قبلَهُم، قال تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

283ـ كلمة الأسبوع: يا باغي الشر أقصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

فَسَدَتِ الأحوالُ، وكَثُرَتِ الذُّنوبُ، وقَسَتِ القُلوبُ، وضَعُفَتِ النُّفوسُ إلا من رَحِمَ ربك، وما ذاكَ إلا لضعفِ الإيمانِ بالمعادِ، وضعفِ اليقينِ بِلِقاءِ اللهِ تعالى،وغَلَبَةِ الرجاءِ الموهومِ، وقِلَّةِ الخوفِ، وإيثارِ الحياةِ الدنيا الفَانيةِ على الآخرةِ البَاقيةِ، ونِسيانِ اليومِ الثَّقيلِ حيثُ يُبعثَرُ من في القُبورِ، ويَعلَمُ كلُّ مُفَرِّطٍ ما كان عليهِ من الغُرورِ والفُجورِ.

ربٌّ رحيمٌ:

يا عباد الله، ربُّنا ربٌّ رحيمٌ، يبسُطُ يدهُ في النَّهارِ لِيَتوبَ مسيءُ الليلِ، ويَبسطُ يدهُ في الليلِ ليتوبَ مسيءُ النَّهارِ، وجَعَلَ ربُّنا عز وجل في الحياةِ الدنيا لبعضِ الأزمِنَةِ خصوصيَّةً للعِبادِ من أجلِ الاصطلاحِ معهُ تباركَ وتعالى، من هذهِ الأزمِنَةِ شهرُ

رمضانَ المبارك، وفيه ينادي المنادي: (يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ) رواهُ الترمذي عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ:

يا عباد الله، هل سمعَ باغِي الشَّرِّ هذا النِّداءَ (يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ)؟ هل سَمِعَ قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؟ هل سَمِعَ قولَ اللهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾؟

هل اغتنمَ باغِي الشَّرِّ شهرَ رمضانَ فاصطلحَ مع الله تعالى؟

يا قاتِلَ الأبرياءِ بغيرِ حقٍّ أنت مِمَّن يبغي الشَّرَّ، فهل أقصرتَ عن هذا وتُبتَ إلى اللهِ تعالى؟ ومن تمامِ التوبةِ أن تُمَكِّنَ رَقَبَتَكَ منَ القِصاصِ، أو أن تَستَحِلَّ وَرَثَةَ المِقتولِ، وإلا فَوَرَبِّ الكعبةِ سوفَ تندمُ ندماً لا ينفعُكَ إن في الدنيا وإن في الآخرة، والعاقِلُ من اتَّعَظَ بغيرِهِ.

يا مروِّعَ النَّاسِ بغيرِ حقٍّ أنت مِمَّن يبغي الشَّرَّ، فهل أقصرتَ عن هذا وتُبتَ إلى اللهِ تعالى؟ ومن تمامِ التوبةِ أن تَستَحِلَّ مِمَّن روَّعتَهُم، وإلا فأنتَ من النادمينَ وربِّ الكعبةِ عاجلاً أم آجلاً.

يا سالبَ الأموالِ وآكلَها بغيرِ حقٍّ أنت مِمَّن يبغي الشَّرَّ، فهل أقصرتَ عن هذا وتُبتَ إلى اللهِ تعالى؟ ومن تمامِ التوبةِ إعادةُ الحقوقِ إلى أصحابِها، وإلا فأنتَ من

النَّادمين وربِّ الكعبةِ بل من المفلسينَ يومَ القيامةِ.

يَا بَاغِيَ الشَّرِّ تذكَّر وقوفكَ بين يدي الله عزَّ وجل:

يا عباد الله، أتوجَّهُ إلى كلِّ صاحِبِ شَرٍّ وهو يعيثُ في الأرضِ فساداً، وأقولُ له: تذكَّر وقوفكَ بين يدي الله عزَّ وجل يومَ القيامةِ، فربُّكَ لا يَغفُلُ عنكَ لحظةً واحدةً، وأنتَ تحتَ مراقبةِ اللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾. وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾؟

فلا تَظُنَّ أنَّ اللهَ غافِلٌ عنكَ وأنتَ القاتِلُ المجرِمُ السَّفاحُ من أجلِ لُعاعَةِ الدنيا، ولا تَظُنَّ بأنَّ اللهَ غافِلٌ عنكَ وأنتَ مُيَتِّمُ الأطفالِ ومُرَمِّلُ النِّساء، ولا تَظُنَّ بأنَّ اللهَ غافِلٌ عنكَ وأنتَ تُهَدِّمُ البيوتَ فوق رُؤوسِ أصحابِها، تذكَّر يَا بَاغِيَ الشَّرِّ:

أولاً: كلُّ شيءٍ موثَّقٌ عليكَ وسوفَ تُفاجأُ يومَ القيامةِ بذلك، قال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُون﴾. تذكَّر بأنَّ كلَّ شيءٍ من أقوالِكَ وأفعالِكَ ليس مكتوباً بل منسوخٌ كما يُقال: (صورةٌ طبقُ الأصلِ). وسوفَ يُوضَعُ كِتابُكَ بينَ يديكَ يومَ القِيامةِ، وسوفَ تُنادي بالويلِ والثُّبورِ، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

ثانياً: لا مجالَ للكَذِبِ بينَ يدي اللهِ عز وجل، لأنَّك إن جادلتَ يومَ القيامةِ فإنَّ جَدَلَكَ لا ينفعُكَ، وإن طَلَبتَ شهوداً على أفعالِكَ وأقوالِكَ، فإنَّكَ ستُفاجأ بشهودٍ لا يُمكنُ تكذيبُهم، حيثُ يشهَدُ عليكَ سمعُكَ وبَصَرُكَ وجِلدُكَ بما كنتَ

تَعمل، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُون * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِين﴾.

ثالثاً: لا مجالَ للفديةِ من عذابِ اللهِ تعالى يومَ القيامةِ، قال تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيه * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيه * وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيه * كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى﴾. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُون ﴾.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، إنَّ نِسيانَ الآخرةِ والمعادِ أمرٌ خطيرٌ وبلاءٌ جسيمٌ، فمنِ ابتُليَ بذلك غَفَلَ قلبُهُ، ونَسِيَ ذنبَهُ وفَرِحَ بِشَهَواتِهِ وتَمَتَّعَ بمَلذَّاتِهِ، وسَيطَرَ عليهِ حُبُّ الدنيا، فَصَارَ كَالأنعامِ بَل أَضَلُّ سَبيلاً، صارَ هَمَّهُ المالُ والسُّلطَةُ والجاهُ وحبُّ الرياسَةِ، وحبُّ الطَّعامِ والشَّراب، فَباعَ دينَهُ بدنياهُ، والأسوأُ منهُ من باعَ دينَهُ بدنيا غيرِهِ، والأسوأُ من هذا وذاك من باعَ دينَهُ ودنياهُ بدنيا غيرِهِ والعياذُ باللهِ تعالى من الضلالِ بعدَ الهدى.

يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أقصِر وتذكَّر قولَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾.

اللهم ردَّنا إلى دينِنَا ردَّاً جميلاً، ولا تجعلنا مِمَّن يبغي الشَّرَّ، واحقن دماءَ المسلمين، واستر أعراضهم، وأمِّن روعاتِهم، ولا تُخرجنا من هذا الشَّهرِ العظيمِ المبارَكِ إلا وقد رضيتَ عنَّا أتمَّ وأعمَّ وأكملَ الرضا، وكشفت الغُمَّةَ عن هذهِ الأمَّةِ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

284ـ كلمة الأسبوع: صور من حسرات يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إذا قَسَتِ القُلوبُ وصارت أقسَى مِنَ الصَّخرِ، وتَحَجَّرتِ العُيونُ وما عادت تَدمعُ من خَشيَةِ اللهِ تعالى، وهُجِرَ كتابُ اللهِ تعالى ـ من حيثُ الالتزامُ والوقوفُ عندَ حُدودِهِ وتحليلُ حلالِهِ وتحريمُ حرامِهِ ـ مع كثرةِ التِّلاوةِ وكثرةِ نُسَخِ القرآنِ العَظيمِ في المساجِدِ وفي البيوتِ وفي المحلاتِ، بل صارَ للبركَةِ في مُجرَّدِ حَملِهِ وتلاوتِهِ في مناسباتِ الأفراحِ والأتراحِ، وتُرِكَت بَرَكَتُهُ الحقيقيَّةُ المتمثِّلةُ في التزامِهِ واتِّباعِ الهدي

الذي فيهِ، قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

فإذا كانَ هَذا حالُ الأُمَّةِ فَحَدِّث بِلا حَرَجٍ عن كَثرَةِ الفواحِشِ والمظَالِمِ، وعن هَتكِ الأَعراضِ، وعن سَفكِ الدِّماءِ، وعن أَكلِ الأموالِ بالباطِلِ، وعن التَّحاقُدِ والتَّحَاسُدِ والتَّباغُضِ، وعن إِعجَابِ كلِّ ذِي رأيٍ برأيِهِ، وعنِ الفُرقَةِ والشَّتَاتِ، وعنِ التَّكفِيرِ والتَّفسِيقِ والتَّبدِيعِ، وعن سُوءِ فَهمِ الدِّينِ.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ:

يا عبادَ اللهِ، من مظاهِرِ رَحمَةِ اللهِ تعالى أن أَمَرَ اللهُ تعالى سيِّدنا محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أن يُنذِرَ النَّاسَ عامَّةً يومَ الحسرةِ، فقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾. إنذارٌ وإخبارٌ عن يومِ الحسرةِ حينَ يُقضَى الأمرُ ويَدخُلُ أَهلُ الجنَّةِ الجَنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، ويَخطُبُ الشَّيطانُ في أَتبَاعِهِ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وأيُّ حَسرةٍ أعظمُ من فواتِ رِضَا اللهِ تعالى وجنَّتِهِ، واستِحقَاقِ سَخَطِهِ ونَارِهِ على وَجهٍ لا يُمكِنُ مَعَهُ الرُّجوعُ إلى الدُّنيا من أجلِ الإيمانِ والعملِ الصَّالِحِ.

روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يُجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ

تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ، قَالَ: وَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾».

ومن مظاهرِ رحمةِ اللهِ تعالى بعبادِهِ أنَّهُ حَذَّرَ عبادَهُ منَ التَّفريطِ فِي أَوامِرِهِ، وانتهاكِ مَحارِمِهِ، حتى لا يَتَحَسَّرَ العبدُ يومَ القيامةِ، لذلكَ أَمَرَهُم بالتَّوبَةِ والرُّجوعِ إليهِ، وعَدَمِ اليأسِ، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُون * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُون * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِين * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ المتَّقِين * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ المحْسِنِين﴾.

صورٌ من حَسَراتِ يومِ القيامةِ:

يا عبادَ اللهِ، يومُ القيامةِ يومٌ ذو حَسَراتٍ، فمن حَسَراتِهِ:

أولاً: ما يُلاقيهِ العبدُ الفاجرُ عند موتِهِ، حيثُ الشِّدَّةُ في نَزعِ رُوحِهِ وضربِهِ وإهانَتِهِ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيق﴾.

وأما وهوَ في قبرِهِ فإنَّه يُفتَحُ لهُ بابٌ إلى الجنَّة، فيقالُ لهُ: هذا مَقعدُكَ لو آمنتَ واستقمتَ، ثمَّ يُفتَحُ لهُ بابٌ إلى النَّارِ، فيُقالُ لهُ: هذا مَقعدُكَ من النَّارِ، فيتحسَّرُ حَسرةً لا مثيلَ لها.

روى الإمام مسلم عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضيَ اللهُ عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، قَالَ: يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالَ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَداً مِنْ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً».

وروى الإمام أحمد عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّهُ سَأَلَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنْ فَتَّانِي الْقَبْرِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا أُدْخِلَ الْمُؤْمِنُ قَبْرَهُ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَ مَلَكٌ شَدِيدُ الِانْتِهَارِ، فَيَقُولُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ أَقُولُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَعَبْدُهُ فَيَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ الَّذِي كَانَ فِي النَّارِ قَدْ أَنْجَاكَ اللَّهُ مِنْهُ وَأَبْدَلَكَ بِمَقْعَدِكَ الَّذِي تَرَى مِنْ النَّارِ مَقْعَدَكَ الَّذِي تَرَى مِنْ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا كِلَاهُمَا فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ دَعُونِي أُبَشِّرْ أَهْلِي فَيُقَالُ لَهُ اسْكُنْ وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيُقْعَدُ إِذَا تَوَلَّى عَنْهُ أَهْلُهُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَهُ لَا دَرَيْتَ هَذَا مَقْعَدُكَ الَّذِي كَانَ لَكَ مِنْ الْجَنَّةِ قَدْ أُبْدِلْتَ مَكَانَهُ مَقْعَدَكَ مِنْ النَّارِ».

ثانياً: الحسرةُ العظيمةُ بسببِ قُرناءِ السُّوءِ حيثُ يعضُّ الظالِمُ على يَدَيهِ نَدَماً وحسرةً، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ

الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾.

ثالثاً: الحسرةُ العظيمةُ بسببِ الاتِّباعِ لكلِّ ناعقٍ من أهلِ الباطِلِ، حيثُ يتبرَّأُ المتبوعُ من التَّابِعِ ويلعنُ التَّابعُ المتبوعَ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَاب * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَاب * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّار﴾. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾. وقال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لا تَعْلَمُون * وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُون﴾.

رابعاً: الحسرةُ على الأعمالِ الصَّالحةِ بالتي ذَهَبَت في المظالِمِ، حيثُ يأتي العبدُ بأعمالٍ صالحةٍ مثلِ الجبالِ من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحجٍّ وتلاوةٍ للقرآنِ، ولكنَّها كُلَّهَا تذهبُ في ذلك اليومِ العصيبِ للمظلومينَ، حيثُ تُوضعُ موازينُ العدلِ وتُردُّ المظالمُ لأصحابِها، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾. ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا المفْلِسُ؟ قَالُوا: المفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ المفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا،

فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ.

خامساً: الحسرةُ على أموالٍ جُمِعَت من غيرِ حِلِّها، ووُضِعَت في غيرِ مَحَلِّها، أموالٌ جُمِعَت من حرامٍ . من رِبا ورشوةٍ وغِشٍّ وسَرِقَةٍ ونَهبٍ وغصبٍ واحتيالٍ . قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه *هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوه﴾.

ويقولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ» رواه البيهقي عن أبي بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، أما آنَ الأوانُ لِنَخشَعَ لذكرِ اللهِ وما نزَلَ من الحقِّ؟ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُون﴾.

أما آنَ الأوانُ للإنابةِ والبراءةِ من الظالمينَ؟

أما آنَ الأوانُ لأن نسمعَ قولَ الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾.

أما آنَ الأوانُ لأن نسمعَ نداءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ»؟ رواهُ الترمذي عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ

عَنهُ. اللَّهُمَّ اجعلنا مِمَّن يستَمعونَ القولَ فَيَتَّبِعونَ أحسَنَهُ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

الفهرس

المحتويات